# موسوعة

# الذخائر العظام

## في ما أُثِرَ عن الإمام الهُمام
## الشهيد عبدالله عزام

المجلد الأول


نشر وإعداد :
مركز الشهيد عزام الإعلامي
ص ب (١٣٩٥) بيشاور - باكستان
تلفون وفاكس: (٨٤٠٤٨٠)



طبع بمشاركة اللجنة النسائية العربية

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة الناشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذه القفزة العظيمة والحلم الكبير الذي كان يراود أحلامنا، لطالما انتظرناه منذ زمن بعيد، فساق الله عز وجل لنا فرصة ذهبية لتحقيقه على أرض الواقع كي تكتمل عندنا المرحلة الثالثة من برنامجنا بتوفيق من الله عز وجل ورعايته.

هذا العمل الضخم لم يكن ليخرج لولا رعاية الله عز وجل لنا، ومواكبة القدرة الإلهية منذ اللحظة الأولى لهذا الكنز العظيم الذي ينتظر إخواننا الباحثين والمؤرخين في العالم الإسلامي للعمل عليه وتقديمه للجيل المؤمن المجاهد القادم بثوب جديد.

وقبل أن أنتقل إلى فوائد هذه المرحلة لابد أن أشير إلى عدة نقاط مهمة:

النقطة الأولى: أن كل ما خطه الشيخ بيده أو قاله بلسانه في هذه الموسوعة إنما هو نتاج عشر سنوات متتالية مليئة بالأحداث الجسام امتدت ما بين سنة ١٩٧٩-١٩٨٩م سوى انحلال الزواج في الفقه والقانون (١).

النقطة الثانية: أن كثيراً من خطب ومحاضرات الامام الشهيد التي القيت في الفترة المذكورة أعلاه في أوربا وأمريكا والخليج لم نستطع الحصول عليها بسبب الظروف التي ألمت بمسيرة عملنا والظروف السياسية التي قلبت العالم على عقب بعد استشهاد الشيخ رحمه الله.

النقطة الثالثة: معظم هذه المادة تركز على التجربة الجهادية والمسائل الفقهيه والعقدية والجوانب الفكرية الاسلامية المعاصرة والأحداث الجسيمة والتيارات المنحرفة والمؤامرات التي دارت على الإسلام خلال القرن العشرين.

النقطة الرابعة: لا بد أيضاً أن ننبه إلى أن الشيخ عبدالله رحمه الله كان له نشاط دعوي وتربوي على مستوى رفيع في الأردن وفلسطين في الستينات والسبعينات تخلله إلقاء خطب ومحاضرات وكتابات قيمة في الصحف والمجلات لم نستطع أيضاً العثور عليها.

**فوائد هذه الموسوعة:**

١- جمعت جميع ما قاله وما خطه الإمام الشهيد عبدالله عزام في أربع مجلدات بعد أن كانت هذه المادة مشتتة ومفرقة في كتب صغيرة وكبيرة يصعب على أي باحث احضارها، فيما لو أراد الحصول عليها مجتمعة فضلاً على أن كثيراً من هذه الكتب أو الأجزاء قد نفدت وصعب علينا إعادة طبعها من جديد.

٢- أن هذه المرحلة وفرت علينا من الناحية المادية الشيء الكثير.

فعلى سبيل المثال استطعنا أن نجمع مجلدات التربية الست في مجلد و احد مما وفر علينا الثلثين من قيمة الطباعة، وكذلك وفر نفس القيمة من حيث الوزن فيما لو أردنا إرسالها في البريد، وهذا ينطبق على بقية المجلدات الأخرى وأصبح كل انسان يستطيع الحصول على المجموعة الكاملة بنصف القيمة السابقة.

(١) كذلك رسالة الدكتوراه لم نضعها داخل هذه الموسوعة والتي حصل عليها في عام ١٩٧٣م، بالاضافة إلى الكتاب الذي شارك في تأليفه (الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية) والذي كان له نصيب الأسد في تأليفه. وكذلك بعض الكتابات القليلة والأشرطة التي لم نعثر عليها بعد.

٣- أصبحت هذه المادة وبثوبها الجديد سهلة النقل مع أي شخص مسافر إلى الخارج لصغر حجمها وقلة وزنها وهذ نقطة مهمة جداً كان يعاني منها كل من أراد أن ينقلها معه إلى بلده أو إلى الجهة التي ينوي السفر إليها.

٤- النقطة المهمة والأخيرة: أن هذه المرحلة هي توطئة للمرحلة القادمة وهي المرحلة التي سيتركز عليها العمل القادم[1].

**منهجنا في العمل:**

فكرنا كثيراً في كيفية العمل على هذه الموسوعة فاستقر الأمر على الترتيب الآتي:

١- جمع كل ما خطه الامام الشهيد بيده في مجلد واحد، وقد أطلقنا على هذا المجلد من الموسوعة (المجلد الأول).

٢- جمع كل ما خطه الامام الشهيد بيده في مجلة الجهاد ونشرة لهيب المعركة في مجلد واحد كمجلد (في خضم المعركة وكلمات من خط النار الأول وعشاق الحور ومن القلب إلى القلب) وأطلقنا عليه: المجلد الثاني.

٣- جمع مجلدات(في التربية الجهادية والبناء الست)في مجلد واحد وأطلقنا عليه: المجلد الثالث.

٤- جمع بقية المجلدات الأخرى كمجلد (في التآمر العالمي ومجلد في الجهاد فقه واجتهاد، ومجلد في الهجرة والاعداد من الأشرطة، وقد وضعت جميعها في مجلد واحد وأطلقنا عليه المجلد الرابع.

٥- ونحن نسعى بإذن الله لاصدار مجلد خامس يحتوي على فهرسة جميع هذه المجلدات ونسأل الله التوفيق والسداد.

**وأخيراً:** ندعو الله عز وجل أن يبارك لكل من وقف خلف هذا العمل وساهم به سواء من الناحية المادية أو المعنوية وأن يخلفه خيراً، وبانتهاء هذه المرحلة نكون قد طوينا نهاية المرحلة الثالثة تمهيداً للمرحلة الرابعة إن شاء الله تعالى.

وحسبنا أننا اجتهدنا صادقين فإن أصبنا فمن الله وإن اخطأنا فمنا ومن الشيطان ونأمل من الله القبول والثبات.

والله ولي التوفيق

مدير المركز

أبو عادل عزام

---

(١) راجع المرحلة الرابعة في نهاية المجلد الرابع من هذه الموسوعة (التعريف بالمركز).

# كلمة قصيرة

صدرت كتب الامام الشهيد عبدالله عزام التي خطّها بيده على شكل كتيبات صغيرة متناثرة يصعب على الاخوه حملها واحتواءها وجمعها وبناءً على رغبة تلاميذ الامام الشهيد عزام ومحبيبه وأنصار فكره قام المركز بجمع هذه المتناثرات في مجلد واحد يحمل رقم (١) كي يسهل على الباحثين مهمة البحث في هذه الكتب وهكذا بقية الكتب سنجمعها في مجلدات بحيث تكون موسوعة تجمع جميع ما قاله وما خطه الامام الشهيد وسيكون مجموع هذه المجلدات أربعة يتبعها مجلد خامس فهرسه باذن الله تعالى.

*مركز الشهيد عزام الإعلامي*

# العقيدة وأثرها
# في بناء الجيل

بسم الله الرحمن الرحيم

## خلاصة عقيدة السلف

# وهي عقيدة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره ع الدين كله وكفى بالله شهيدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً به، وتوحيداً بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عب ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذه عقيدتنا وهي عقيدة الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة (أهل السنة والجماعة) وهي: الإيمان بالله وملائكته وكت ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره.

## الإيمان بالأسماء والصفات:

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف، و تمثيل، بل نؤمن ونعتقد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فنحن نثبت لله عزوجل أسماءه الحسنى وصفاته العليا الت وردت في الكتاب والسنة الصحيحة.

ونعتقد أن السلف (رضوان الله عليهم) وأهل السنة والجماعة يعلمون معنى الصفات ولكنهم يفوضون علم الكيفية والكنه إلى ا عزوجل، فنحن نعتقد كما اعتقدوا أن الله عزوجل موصوف بهذه الصفات حقاً لا مجازاً على الوجه الذي يليق بجلاله، من غير أن يشا خلقه شيء من صفاته.

وكما قال مالك: (الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة)، فنحن نؤمن أن له يداً ليست كأيدين وله بصر ليس كأبصارنا، ونؤمن بنزول الله عزوجل إلى السماء الدنيا، فنقول: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

## الإستواء والفوقية:

ونحن نؤمن أن الله عزوجل مستو على عرشه بائن عن خلقه فوق السماء السابعة (ولا نقول الإستواء بمعنى الإستيلاء أ الهيمنة)، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن أن يحد بزمان أو مكان.

**المعية:** وهو معنا بسمعه وبصره وعلمه.

## الإيمان بالقدر:

ونؤمن أن الله خالقنا وخالق أفعالنا مع كون العبد مختاراً في أفعاله، ونؤمن أن الله فعال لما يريد .. ألا يكون شيء إلا بإرادت عن تقديره، ولا يصدر عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدد، ولا يتجاوز ما خطه له في اللوح المحفوظ، وعقيدتنا وسط بين القدرية التي تسند الفعل إلى العبد وتجعله خالقاً لفعله من خير أو شر، ونخالف الجبرية فلا نقول العبد مجبور على فعله من خير أو شر، بل كما قلنا نعتقد أن الله خالقنا وخالق أفعالنا والعبد مختار بفعله.

**الإيمان:** نحن نعتقد أن الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان، تزيده الطاعة وتنقصه المعصية.

**الذنوب والكبائر:** وعقيدتنا وسط بين المرجئة والحرورية (الخوارج) والمعتزلة، فنحن لا نقول كالخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر،

ولا نقول كالمرجئة أن الإيمان لا يضر معه معصية، ولا نقول كالمعتزلة أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، بل نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، وإن مات ولم يتب فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

**الصحابة:** وعقيدتنا وسط بين الروافض (الشيعة) والخوارج، فنحن نعتقد بفضل الصحابة كلهم، ولا نغلو في أهل البيت، وبخلاف الخوارج فإنهم قد كفروا عثمان وعليا وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص، ونؤمن أن أفضل أمة محمد ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي كرم الله وجهه، ثم بقية العشرة (سعد وسعيد وطلحة والزبير وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف)، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة (بيعة الرضوان)، ثم سائر الصحابة رضوان الله عليهم.

ونتولى أصحاب رسول الله ﷺ كلهم، ونستغفر لهم، ونذكر محاسنهم، ونكف عن مساوئهم، ونسكت عما شجر بينهم، ونُقرُّ بفضلهم، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، أو يعمل عملاً لا يحتمل إلا الكفر، مثل السجود للصليب، ونرجو للمحسنين أن يعفو الله عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ونترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء.

**الأولياء:** ونُقرُّ بكرامات الأولياء، والمؤمنون المتقون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن والسنة.

## التشريع بغير ما أنزل الله:

ونرى بأن التشريع بغير ما أنزل الله كفر ينقل عن الملة، ونرى القضاء في ظل القوانين الوضعية باطلة لا تلحقها الإجازة ولا التصحيح، ونعتقد أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة (منذ بعث الله محمداً ﷺ) إلى أن يقاتل آخر أمته الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.

وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ لا يخلدون في النار إذا ماتوا موحدين -وإن لم يكونوا تائبين- فهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم بفضله وإن شاء عذبهم بعدله.

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا نشهد على مسلم بكفر ولا نفاق ولا شرك ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، وندع سرائرهم إلى الله تعالى، ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ونكره أصحاب البدع، ونرى أن الإستغاثة بالأموات وطلب الحاجات منهم شرك، وأما التوسل بأي أحد من الخلق فهو غير جائز ويجب تركه.

ونرى أن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها ووضع السرج فوقها والرايات وتعليق الستور عليها وإقامة السدنة حولها من البدع المحرمة التي يجب محاربتها.

ونؤمن بفتنة القبر، ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، وبقيام الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا، وبنصب الموازين، وتنشر الدواوين، ونؤمن بالصراط المنصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم، ونؤمن بحوض نبينا ﷺ وبشفاعته، وأنه أول شافع، وأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان وأنهما الآن موجودتان، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كالقمر ليلة البدر، وأن النبي ﷺ خاتم النبيين والمرسلين وخير الخلق أجمعين.

وأن الله تعالى منزه عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ونؤمن أن العرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، فمن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له ما لنا وعليه ما علينا.

ونعتقد أن القرآن منزل من عند الله، وهو كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه سبحانه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمين وحيه، وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم

(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) (طه:٢٥)

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) (آل عمران:٨)

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) (البقرة:٢٨٦)

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا) (الكهف:١٠)

(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (البقرة:٢٠١)

(ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) (الفرقان:٧٤)

(رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) (إبراهيم:٤١)

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) (الحشر:١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحببت أن أضع بين يدي القارىء الكريم حقائق ضخمة غائبة عن الأذهان في كتيب صغير، مع أن الحياة كلها تدور على محور هذه الحقائق، ويقوم الكون كله على معرفة هذه المبادىء والإلتزام بها، ولقد نوهت في مقدمة هذا الكتيب بأهمية العقيدة في الحياة البشرية، وأن شقاء البشرية راجع إلى انفلاتها من حوزة هذه العقيدة.

ثم أتبعت المقدمة بتسعة فصول: كان الفصل الأول منها حول معاني العقيدة والتوحيد، وبينت فيه أن الكون كله يوحد الله ويعبده.

ثم تلاه الفصل الثاني: الذي يبين أن ضنك البشرية راجع إلى تحريف العقيدة، وأن الصراع بين العلم والدين مرده إلى عدم معرفة العقيدة الصحيحة.

ثم جاء الفصل الثالث: ليبين بعض خصائص العقيدة، ويضع الإنسان في مستقره الأساسي منها.

ثم تلاه الفصل الرابع: الذي يبين صفات الله عزوجل، وحاولت فيه إقامة معبر بين رأي السلف والخلف في الصفات.

ثم أتبعه الفصل الخامس: الذي يبين القضية الكبرى التي جاء هذا الدين ليقررها وهي الرضا بحكم الله.

وجاء الفصل السادس في مكانه المكين: الذي يبين أن رفض شريعة الله خروج من حوزة هذا الدين.

وأما الفصل السابع: فهو التأويلات التي تتردد على ألسنة الناس لآيات التشريع، وتنقل نصوصاً ليست في موضع النزاع، وتريد أن تطبقها على واقع مختلف تماماً عن الواقع الذي قيلت فيه.

وتلاه الفصل الثامن: الذي جاء فيه براهين قاطعة بإحصائيات عددية ووقائع حسية أن الشقاء اليوم هو بسبب البعد عن هذه العقيدة.

واختتمت الفصول بتاسعها الذي أوردت فيه نماذج ممن ربتهم هذه العقيدة وصقلتهم هذه المبادئ وأخرجتهم هذه القيم إلى الوجود منارات يهتدي بهم المدلجون، ويقتفي أثرهم كل من أراد السعادة والنجاة.

مـقـدمـة

# المنهج الرباني في بناء النفس الإنسانية

**(أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون)** (آل عمران: ٨٣)

**العقيدة:** هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التي تساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال، هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس.

وباختصار: فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات، وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط.

ولذا فقد عني القرآن الكريم ببناء العقيدة، فلا تكاد تخلو آية سورة -مكية كانت أو مدنية- من شد الإنسان بكليته إلى ربه، وربط كل تصرف بهذه العقيدة التي تمثل القاعدة الأساسية لهذا الدين الذي لا يقوم بدونها، وبخاصة السور المكية التي أفردت لبناء هذه العقيدة، فلقد كانت العقيدة هي الموضوع الوحيد الذي عالجته السور المكية.

وعلى هذا فإن كل الإنحرافات التي نعانيها في سلوكنا -أفراداً أو جماعات- راجعة بكليتها إلى الإنحراف في التصور العقدي، فالناس في هذه الأيام بحاجة إلى بناء العقيدة من جديد، وإلى تصحيح التصور الإعتقادي، فلا بد من إفراد الله -سبحانه- بالألوهية، ولا بد من أن تستقر عظمة الله عزوجل في الأعماق، وأن يعمر النفوس حبه، ولا مناص من أن تحيا القلوب وهي تستشعر هيبته وجلاله.

**ويقوم هذا الدين على:**

١- حقيقة الألوهية.

٢- حقيقة العبودية.

٣- الصلة بين العبد وربه.

هذه أمور ثلاثة لا بد من استقرارها في النفوس: معرفة الله وقدره، ومعرفة العبد وحده، والصلة بين الخالق والمخلوق.

وعلى هذا فإنه من العبث تتبع فروع الشرع وطلبها من شخص لا ترسخ في قلبه حقيقة هذا الدين، ولا تستقر في كيانه عظمة الله التي تهيمن على كل سكنة ونأمة وحركة في هذا الكون.

والحق أن الناس اليوم غابت عنهم حقيقة هذا الدين العظيم، ومثل كثير منهم -حتى الذين يقيمون الشعائر التعبدية- كمثل الأعمى الذي أمسك بذنب الفيل ويحسب أنه يمسك بين يديه جسم الفيل، حتى إذا طلبت منه أن يصف لك الفيل انبرى يصوره بأنه شعرات مرتبطة بعضلة قاسية، ولو اجتمع أهل الأرض لإقناعه أن الفيل سوى ذلك ما استطاعوا أن يصرفوه عن ظنه.

وقد أصبح اليوم لدينا شيء مألوف أن نرى شخصاً يداوم على العبادات وهو في نفس الوقت يزاول أعمالاً تخرجه من إطار هذا الدين، كالاستهزاء بسنة ثابتة عن رسول الله ﷺ، أو بفرضية وردت في محكم التنزيل، وهو لا يعلم أنه بالإستهزاء إنما يهزأ من أوامر الله، ويسخر منها، وهذا الذي اتفق أهل الذكر من هذه الأمة، أنه يعني ردة المستهزئ وخروجه من الإسلام.

ومن هذا القبيل سب الدين، أو سب الله أو رسوله، فمن فعلها حكم عليه بالردة، وقد قال بذلك مالك والشافعي وأحمد والليث وإسحق مستندين إلى قوله تعالى:

**(وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر)**[1] .

وقد غاب عن أذهانهم كذلك ما يترتب على هذه الكلمة من نتائج.

**أقول:** إن كلمة الطعن في الدين وما يترتب عليها من بينونة زوجته منه رأساً، واعتبار العقد مفسوخاً مباشرة، ومن خروجه من

١- راجع الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تفسير آية: (وطعنوا في دينكم) (التوبة: ١٢)

إطار الدين، وسقوط حجة الإسلام، وحرمانه من الإرث من أقاربه المسلمين، وحرمان أبنائه من الإرث منه، وغير ذلك من الأحكام خ
على معظم الناس، وكأين من رجل يسب دين زوجته ثم يبقى متصلاً بها ينكحها، ولا شك أن هذا كالزنا تماماً وأن أولاده حكمهم ح
أبناء الزنا.

أعود لأقرر الحقيقة الكبرى أن الناس لا يعرفون حقيقة هذا الدين، ويخلطون بين مناهج متعددة في حياتهم، قسم ضئيل منهاج حياتهم من دين الله، وأما معظم المنهاج الذي يوجه حياتهم فهو من صنع هواه أو هوى غيره من البشر.

**(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً، أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أ
سبيلا)** (الفرقان: ٤٣-٤٤)

و على هذا فإني أرى أن التركيز على مسائل فرعية من الشريعة بالنسبة للناس أمر غير منطقي، بل محاولة عابثة لاستنب
البذور في الهواء، ولا يمكن أبداً بتجميع أغصان نضرة مع بعضها في الهواء أن يتكون منها شجرة ذات جذور ضاربة في أعم
الأرض، لا بد من سلوك المنهاج الرباني الذي رسمه الله لهذا الخلق. فلا بد من زرع البذرة في التربة، ثم تعهدها حتى تستوي قا
على أصولها، ثم تمتد بفروعها وأفنانها. وهكذا بالنسبة لهذا الدين العظيم لا بد من اقتفاء السبيل الذي رسمه الله لهذا الكائن ح
يحمل هذا الدين، لا بد من بناء الأساس بغرس البذرة في أعماق الأرض -أي غرس العقيدة في أعماق القلب-.

والعقيدة هي الأساس المكين الذي ترتكز عليه فروع هذا الدين كله، ومن العبث محاولة إشادة بناء ضخم بلا أساس.

**ومن هنا:** فإن محاولة تتبع فروع الشريعة بالتفصيل والتعليل هو اشتغال بالمهم قبل الأهم، ولا يمكن أن تؤتي هذه المحا
أكلها التي نرجو، والثمار التي نأمل. ومن الأولى أن نتتبع المنهاج الرباني في بناء هذا الدين للنفس البشرية، وذلك بترسيخ العقيدة أ
في الأعماق، ثم مطالبة النفس بعدها بأوامر الشريعة كلها، إذ المنهاج الرباني في تربية النفس جزء من العقيدة ذاتها.

ولا ننسى أن الداعية إلى رب العالمين لا بد أن يتمثل فيه المنهاج الإلهي كاملاً، ولا بد أن يكون مصحفاً يمشي على الأرض
يتحرك فيتحرك بحركته القرآن، فالداعية يطالب بالشريعة كاملة، ولكنه في الوقت نفسه لا يطالب الناس بفروع الشريعة قبل أن يعلم
هذا الدين، ويشد أنظارهم إلى إطاره الكامل الشامل، وبعد أن يرسموا في أذهانهم الصورة الكاملة للإطار، يدخل معهم داخل الإط
ليعلمهم تفاصيل هذا الدين وتفريعاته. وهكذا قام الإسلام أول مرة في النفوس البشرية. وهكذا يقوم في كل مرة يحاول فيها بناء هذ
النفوس بالإسلام، ولا مناص من اقتفاء هذا السبيل، ولا مفر من انتهاجه.

فكما أن هذه الأوامر والنواهي فريضة من عند الله، واتباعها فرض لازب في رقابنا، فكذلك اقتفاء المنهج الرباني في بناء النفس
فرض كذلك، وكل محاولة لإقامة هذا الدين بغير المنهاج الرباني لا بد أن تبوء بالفشل، وذلك لأن هذا الدين لا يكون ولن يكون إلا كم
أراد الله، ولن يبنى إلا بنفس المنهج الذي رسمه رب العالمين، وكل منهاج بشري نستعمله لإيصال حقيقة هذا الدين إلى الناس ه
فاشل لا محالة، وهو عبث وملهاة ولعب.

لا بد من اتباع المنهج الرباني القيم الذي رسمه رب العالمين، وسلكه سيد البشرية محمد ﷺ لإيصال دين الله إلى قلوب البشر
ولا بد من البدء بالعقيدة من تعريف الناس بإلههم الحق، وبحقيقة وجودهم على هذه الأرض، والمهمة المنوطة بهم إبان مرورهم ..
الدنيا، من المسؤول عنهم؟ أي منهاج يجب أن يحكمهم؟ صلة هذا الإنسان بالكون من حوله، مكانة هذا الكائن من الكون، وبعبار
أقصر. إقرار جلال الله ورهبته وهيمنته في أعماق قلب الإنسان وطريقة الوصول إلى رضاه.

ومن ثم وفي هذا الوقت فإني لا أرى تتبع الجزئيات من هذا الدين في سلوك الناس، كالشرب باليمين، وترك التدخين، والشرب
جالساً، إلى غير ذلك من هذه التفاصيل التي لا تحتملها ولا تطيق الدوام عليها إلا نفوس بنيت على العقيدة، وجبلت بعظمة الإيمان.

لا بد أن نبدأ مع النفس البشرية من حيث هي، بحيث نلتقطها من هذا الحضيض الذي هبطت إليه، ثم نسير معها صعد
نعطيها الإيمان جرعة جرعة، نواكبها في نموها ونقيل لها عثراتها، ونردها من هنا، ونهذبها من هناك، حتى تشب قائمة على عودها
صلبة لا تهزها الزلازل، ثابتة لا تجتثها الأعاصير.

وهنا فقط نطلب منها كل ما يريده الله منها، فتنفذ وهي راضية مستسلمة مطمئنة أن الخير كله فيما نفذت، لأن الخير كل

منحصر في منهاج الله، والشر كل الشر في الخروج عن منهاج الله:

**(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا)** (طه:١٢٣-١٢٤)

وأعود فأذكر أن النفوس التي تقدم الإسلام للناس لا مناص لها من أن تكون شريعة تدب على الأرض، وتأخذ بالعزائم، ولا بد لها من أن تكون المرآة الصافية التي تعكس حقيقة هذا الدين أصوله وفروعه، إذ لا بد لها من أن يكون لحمها ودمها هو هذا الدين الذي إليه تدعو، والمنهاج الذي تهتف بالناس أن ينهجوا.

**(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب)** (إبراهيم:٥٢)

**المؤلف**

## الفصل الأول

# التعريف بالعقيدة والتوحيد

نعني بالعقيدة: الإيمان بأركانه الستة، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم بإسناده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **{... قال يا رسول الله ما الإيمان؟ .. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله}**[1].

وفي حديث عمر الذي أخرجه مسلم مرفوعا إلى رسول الله ﷺ: **{قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره}**[2].

**والعقيدة لغة فعيلة:** من عقد بمعنى معقودة (بمعنى اسم المفعول) عقد الحبل والبيع والعهد يعقده: شده، والعقد: العهد[3].

فكأن العقيدة هي العهد المشدود والعروة الوثقى، وذلك لاستقرارها في القلوب ورسوخها في الأعماق.

أما الشهادتان: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فهما القاعدة الأساسية والأولى التي يقوم عليها صرح هذا الدين، وهو الطريق الوحيد الذي يوصل سالكه دار السلام:

**(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)** (المائدة:١٦)

وهذه القاعدة -توحيد الله في الألوهية- هي الركن الأساسي بل الأساس المكين الذي قام عليه كل دين نزل من عند الله:

**(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** (الانبياء:٢٥)

وهذه القاعدة (لا إله إلا الله) تعني في أبسط صورها أن هذا الكون منبثق عن إرادة هذا الإله الواحد، بأمره يسير، وبقدره تدبر أموره، وكل خلق من مخلوقاته أمره بيده، لا يخرج عن إرادته، ولا يند عن مشيئته:

**(قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)** (طه: ٥٠)

**(سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى)** (الاعلى:١-٣)

**(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)** (يس:٣٦)

هذه نقطة لا تغيبن عن بالنا، أن كل شيء في الكون صنع بيد الله العزيز الحكيم.

**(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين)** (السجدة:٧)

وأما النقطة الثانية فهي، أن كل مخلوق في هذا الكون جندي من جنود الله، يؤمر فيطيع، ويدعى فيلبي.

١- صحيح مسلم (ص٣١) ط/صبيح.

٢- انظر شرح الاربعين النووية (ص١٩) ط/قطر.

٣- القاموس المحيط، باب الدال، فصل العين (ج١ص٣١٥).

(أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون) (آل عمران: ٨٣)

- (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين) (فصلت:٢٦)

فالسموات والأرض وما فيهن جنود مطيعة لرب العالمين.

- (وله من في السموات والأرض، كل له قانتون) (الروم:٢٦)

أي مطيعون خاشعون.

- (سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) (الحديد:١)

- (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) (الإسراء:٤٤)

ولذا فالجبال والماء والأرض والسماء كلها مخلوقات لله، وجند من جنوده.

(ولله جنود السماوات والأرض، وكان الله عليماً حكيما) (الفتح:٤)

- فلقد وجه رب العالمين الأمر إلى النار فاطاعت:

(يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) (الأنبياء:٦٩)

- ونادى الجبال فأصغت:

(ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) (سبأ:١٠)

- وأما الثالثة: فقد يُسخِّر الله بعض جنوده لطاعة عبد من عبيده.

(ولسليمان الريح غدوها شهر، ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) (سبأ:١١-١٢)

ويقول لموسى عليه السلام:

(اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) (الأعراف:١٦٠)

**وأما المسألة الرابعة:** فكل كائن من مخلوقات الله له منهاج رباني يسير عليه لا يستطيع الخروج عنه قيد أنملة ولا شعرة فالشمس لا يمكنها أن تخرج عن المدار الذي أمرها الله أن تدور فيه، ولو خرجت زاوية واحدة عن محورها لتحطمت وحطمت الكثير وكذلك القمر، والأرض، وهذا هو ناموس الله في هذا الكون لكل خلق عدا الثقلين: الإنس والجن.

وقد تتجلى مظاهر هذه العبودية أحياناً لعبد من عبيد الله بإرادة الحاكم الآمر، ومن ذلك ما يحدثنا الإمام أبو الحسين مسلم بإسناده عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، وإني لأعرفه الآن)**[1]. وإن أخبار حنين جذع النخل ( بكائه) لفراق الرسول ﷺ متواترة معنوياً.

هذا وقد يكشف الله طرفاً من هذه العبودية لغير الأنبياء، فقد تتجلى بإسفار ووضوح لعباده الصالحين، ومن ذلك ما يروى أنه: لما بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي في حرب المرتدين إلى البحرين فسلكوا مفازة، وعطشوا عطشاً شديداً، حتى خافوا الهلاك، فنزل وصلى ركعتين، ثم قال: يا حليم، يا عليم، يا علي، يا عظيم، اسقنا! فجاءت سحابة كأنها جناح طائر، فتقعقعت عليهم وأمطرت، حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب، ثم انطلقنا حتى أتينا دارين، والبحر بيننا وبينهم، وفي رواية أتينا على خليج من البحر ما خيض فيه قبل ذلك اليوم، ولا خيض بعد، فلم نجد سفناً، وكان المرتدون قد أحرقوا السفن، فصلى ركعتين، ثم قال: يا حليم، يا عليم، يا علي، يا عظيم، أجزنا، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال: جوزوا باسم الله، قال أبوهريرة: فمشينا على الماء، فوالله ما ابتل لنا قدم، ولا خف ولا حافر، وكان الجيش أربعة آلاف. وفي هذا يقول عفيف بن المنذر:

ألـم تـر أن الله ذلل بحـره ... وأنزل بالكفـار إحـدى الجلائل

دعانا الذي شق البحار فجاءنا ... بأعظم من فلق البحار الأوائل[1]

١ـ مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني ٢/١٦٣

**ثانياً:** وأما الإيمان بالملائكة فهو جزء من عقيدتنا، ويخبرنا القرآن أن الملائكة موكلون بحفظ البشر وحمايتهم، وهم مكلفون بإحصاء أعمالهم وتسجيلها.

**(إن كل نفس لما عليها حافظ)** (الطارق:٤)

**(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)** (ق:١٨)

**(سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)** (الرعد:١٠، ١١)

فالملائكة حفظة للبشر، يحصون عليهم أعمالهم، ويقدمون كتب أعمالهم إلى رب العالمين، ومنهم موكل بقبض أرواح البشر، وهم كذلك يستغفرون للذين آمنوا، ويحضرون مجالس الرحمة والذكر والتلاوة كما في الأحاديث الصحيحة، وهناك ملكان حافظان يلازمان الإنسان حيث حل وأينما سار، لا يفارقانه أبداً إلا في بعض المواطن كالخلاء مثلاً.

**ثالثاً:** وأما الإيمان بالكتب السماوية فهو جزء من العقيدة، الإيمان بصحف إبراهيم، والتوراة المنزلة على سيدنا موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، والقرآن الكريم على سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين، هذا مع الانتباه الشديد إلى مسألتين:

١ـ الأولى: نحن نؤمن أن هذه الكتب بأصلها من عند الله إلا أن يد البشر امتدت إليها تعبث وتحرف وتؤول وتغير، كما أخبرنا القرآن الكريم عن أهل الكتاب.

**(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)** (البقرة: ٧٩)

**(وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)** (آل عمران:٧٨)

فهذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يخبرنا أن البشر قد عبثوا بالكتب الربانية ولم يبق على وجه هذه البسيطة كتاب بكلماته وحروفه كما أنزل من عند الله إلا القرآن.

**(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** (الحجر:٩)

٢ـ وأما المسألة الثانية فهي أن القرآن هو المنهاج الرباني الأخير للبشر، وهو آخر أمر يُسأل الله عنه البشر يوم القيامة، فنزل القرآن ناسخاً لما قبله، مهيمناً على ما قبله من الكتب:

**(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه)** (المائدة:٤٨)

**(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً)** (الفتح:٢٨)

ولا يقبل ديناً إلا هذا الدين، ولن يحاسب يوم القيامة أحداً بعد نزول القرآن إلا عما ورد فيه من أوامر ونواه.

**(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)** (آل عمران: ٨٥)

**رابعاً:** وأما الإيمان بالرسل: فالعقيدة الإسلامية تعتبر أن الإيمان بكل رسول مرسل هو جزء منها، بحيث يعتبر من يجحد رسالة أي رسول خارجاً من إطار هذا الدين ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

**(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)** (البقرة:٢٨٥)

فمن كفر بأي رسول فقد كفر بأصل الرسالات وكفر بالقرآن، لأنه صرح بأسماء الرسل في النصوص القطعية الدلالة والثبوت.

**خامساً:** وأما الإيمان باليوم الآخر، فهو كذلك من القواعد المكينة في هذا الدين، ويكون حجر الأساس في كل دين نزل من عند

---

١ـ انظر أسباب سعادة المسلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والسنة للكاندهلوي (ص:٦٠)

رب العالمين:

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) (البقرة:٦٢)

فالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح هذه القاعدة بأركانها الثلاثة هي عماد كل دين.

وهذا الدين الذي بعث به محمد ﷺ يعتبر أن الحياة جسر إلى الآخرة، وأن الإنسان يمر بأطوار ومراحل، فمن رحم الأم هذه الأرض إلى القبر، فالبعث فالحشر فالميزان فالصراط، ثم إلى جحيم أو إلى نعيم مستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والحق أن الإيمان بالآخرة هو صمام الأمان في هذه الأرض، وهو الضابط الوثيق الذي يحرس الأخلاق، والحارس الأمين ا يضمن تنفيذ الشريعة في هذه الدنيا، فهو الذي يمنع لحظة العين أن تمتد إلى محرم، ويمنع النفس أن تهجس بهواجس الشر، وي الفم أن يهمس ولو بكلمة واحدة لا يرضاها ربه، لأنها كلها مسجلة معروضة محصية عليه أنفاسه وكلماته وحركاته.

(ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (الإسراء:١٣-١٤)

سادساً: وأما القدر فهو المحرك الأصيل للنفس البشرية، وهو الدافع الحقيقي للعمل في ميدان الحياة، وأول ما يطالعنا نصوص القدر الرزق والأجل، فقد ذكرت في أكثر من موضع في الكتاب العزيز مع إقرار أنها ثابتة محددة، ولا يغادر المرء ، الأرض قبل أن ينال كل رزقه ويستنفد جميع أجله، فلن يموت إلا بقدر، ولن يستطيع أحد أن ينقص من رزقه قرشاً واحداً مهما جاهه، وعظم سلطانه.

(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) (الأنعام:١٧)

[واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضر بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف][1].

والأجل المحدود والرزق المحدود مع العلم القطعي أن الله عزوجل بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، وله من السموات ومن في الأرض، وأنه إليه ترجع الأمور.

هذه الأمور كلها كانت تدفع بأحدهم في أتون المعركة تاركا وراءه أهله دون معيل ولا كفيل إلا الله. وحسبك كلمة أبي بكر تبوك إذ جاء إلى الرسول ﷺ بجميع ماله، فقال له ﷺ: [ماذا تركت لأهلك؟ فقال: تركت لهم الله ورسوله].

ولذا فإنا نرى أن آيات العقيدة جاءت منبثة في معرض آيات القتال والجهاد، خاصة الآيات التي تقرر أن الحياة والموت بيد الله

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) (آلعمران:١٤٥)

إن استقرار هذه العقيدة في أعماق النفس يجعلها عزيزة فلا تذل، تقف أمام كل قوى الأرض، لا ترهب سلطاناً ولا تستخ أمام صولة الملك وإغراء المال، هذه العقيدة ترفع صاحبها من أوحال الأرض ومستنقع الطين، فيقف في المرتقى السامي ينظر إ الأرض من علو مع التواضع، وبالعزة مع المحبة والتطامن، دون استطالة ولا بغي على الناس، يود لو يرفعهم إلى هذا المستوى ال رفعه الله إليه.

بهذه العقيدة أضحى الرعيل الأول من الصحب الكرام يعيشون بحسهم وأرواحهم في الآخرة، مع أن أجسادهم تدب على ه الأرض، هم يتحركون فوق هذه المعمورة، مع أن أنظارهم مشدودة بقوة إلى الجنة، إلى الحساب .. وحسبي في هذا الشأن أن أو مثلاً واحداً، ولكنه يدل كيف كا ذلك الرهط الكريم يفكر ويعيش ويتحرك.

روى الطبراني بإسناده عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ فقال له: [كيف أصبحت يا حارث؟ فقال: أصبح مؤمناً حقاً، قال: أنظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأ نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النا يتضاغون فيها، فقال: يا حارث عرفت فالزم -ثلاثاً-][2].

١- حديث حسن صحيح رواه الترمذي عن عبد الله بن عباس مرفوعاً. انظر شرح متن الأربعين النووية، ط/ قطر، صفحة (٧٣).
٢- في ظلال القرآن (ج٦ص٣٤١).

ولقد ذكر هذا الصحابي الذي أستحق شهادة رسول ﷺ له بالمعرفة من حال نفسه ما يصور مشاعره، ويشي بما وراء هذه المشاعر من عمل وحركة، فالذي كأنه ينظر إلى عرش ربه بارزاً، وينظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتضاغون فيها، لا ينتهي إلى مجرد النظر إنما هو يعيش ويعمل ويتحرك في ظل هذه المشاعر القوية المسيطرة التي تصبغ كل حركة وتؤثر فيها، وذلك إلى جانب ما أسهر ليله وأظما نهاره، وكأنما هو ناظر إلى عرش ربه بارزاً.

هذا مثل من كثير يبين كيف تترجمت العقيدة في نفوس الصحابة، وتجسدت في أناس من لحم ودم، يدبون على الأرض فيتحرك بحركتهم القرآن.

والآن دعنا نصغ إلى أحد أعيان القرن الثالث الهجري لنرى كيف يحيا بهذه العقيدة، دعنا نستمع إلى الإمام أحمد[1]. وقد دخل عليه رجل فقال: عظني يا إمام، فقال له: إن كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا؟ وإن كانت النار حقاً فالمعصية لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنية لماذا؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا؟ وإن كان كل شيء بقضاء الله وقدره فالخوف لماذا؟ و إن كان سؤال منكر ونكير حقاً فالأنس لماذا؟ فخرج الرجل من عند الإمام وعاهد نفسه أن يرضى بقضاء الله وقدره.

## الفصل الثاني

# شقاء البشرية اليوم بسبب تحريف العقيدة

## الصراع بين العقيدة المحرفة والحقائق العلمية

هنالك نقاط يجب أن لا تغيب عن بالنا كلما تحدثنا عن هذا الدين أو تكلمنا عن هذه العقيدة وهي:

١ـ ربانية هذه العقيدة، وهي المنهاج الأخير للحياة البشرية إلى يوم الدين.

٢ـ ان هذه العقيدة التي يقام عليها صرح الشريعة هي فقط التي تكفل سعادة الإنسان في الدين.

٣ـ وهي -وحدها- التي تجمع بين الروح والجسد في نظام الإنسان، والأرض والسماء في نظام الكون، وبين العبادة والعمل في نظام الدين، كما قال الأستاذ سيد قطب في العدالة الإجتماعية.

٤ـ أن الاعمال كلها والتصرفات جميعها مبنية على العقيدة وهي انعكاسات لها.

٥ـ كل عمل لا يرتبط بالعقيدة فلا وزن له:

**(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء)** (إبراهيم:١٨)

هذه الأمور الخمسة لا بد أن تكون المنارة السامقة لكل من أراد النجاة من الشقاء، ولمن أراد الطمأنينة والسلامة والسعادة.

ومن أجل أهمية العقيدة: فلقد أفرد لها رب العزة مساحة واسعة من كتابه، وأعطاها فترة طويلة حتى تستقر في الأعماق وتعيش مع النفوس، فالفترة المكية كلها تقريباً لا تكاد تخرج بنصوصها عن هذه القضية الكبرى، ولا تناقش إلا هذا الموضوع، وذلك لأن بناء النفوس بالعقيدة عملية بطيئة شاقة، قد يحتاج هذا العمل مدة توازي نمو الجسم نفسه.

**(وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث)** (الإسراء:١٠٦)

فالفرق مقصود والمكث مقصود، وكذلك فإن استقرار العقيدة في الأفئدة يتوقف عليه تنفيذ جميع التشريعات، ومن هنا تأخر نزول التشريع إلى المدينة حتى تستقر العقيدة في نفوس الصحب الكرام الذين جعلهم الله ستاراً لقدره، ونصر هذا الدين على أيديهم.

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)[2] تحت عنوان:(انحلت العقدة الكبرى).

وأنتهزها فرصة لأنوه بقيمة هذا الكتاب فلو قرأه كل واحد من المسلمين، وحبذا لو احتوته كل مكتبة.

يقول: (انحلت العقدة الكبرى، عقدة الشرك والكفر، فانحلت العقد كلها، وجاهدهم رسول الله ﷺ جهاده الأول، فلم يحتج إلى

---

١ـ أنظر إملاءات في العقيدة للدكتور محمد أمين المصري (ص١٧) دمشق.

٢ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص٨٨).

جهاد مستأنف لكل أمر أو نهي، وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى، فكان النصر حليفه في كل معركة .. نزل تحريم الخمر والكؤوس المتدفقة على راحاتهم، فحال أمر الله بينها وبين الشفاه المتلمظة والأكباد المتقدة، وكسرت دنان الخمر فسالت في سكك المدينة، كلمة واحدة اجتثت عادة متأصلة في القوم ورثوها كابراً عن كابر (فهل أنتم منتهون؟) قالوا: انتهينا، انتهينا، بينما حاولت أمريكا[1]. أن تحرم الخمر، واستعملت جميع الوسائل المدنية الحاضرة كالمجلات والجرائد والمحاضرات والصور والسينما لبيان مضارها، وأنفقت ما يزيد على (٦٠) ستين مليون دولاراً ضدها، وطبعت حوالي عشرة بلايين صفحة، وتحملت لتنفيذ القانون حوالي (٢٥٠) مليون جنيها، وأعدمت ثلاثمائة نفس، وسجنت ما يزيد على نصف مليون، وصادرت من الممتلكات بحوالي أربعمائة مليون وأربعة بلايين جنيه، ومع هذا لم يزد الشعب الأمريكي إلا معاقرة للخمرة، مما اضطر الحكومة إلى إباحته سنة (١٩٣٣م).

والسبب بسيط: إن التنفيذ للأوامر يكون ناتجاً عن الإعتقاد.

وكذلك فإن العقيدة تمثل الجذور لشجرة هذا الدين، وما لم تكن الجذور ضاربة في أعماق الأرض، فإنها لن تحمل فروع هذه الشجرة الضخمة الباسقة، فالعمل الصالح لا بد له من إيمان متمكن في جوانب النفس وأغوارها وأعماق الفؤاد ومسارب الضمير.

وكذلك فالعقيدة تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لا بد لها من أساس مكين وقاعدة صلبة حتى يستقر فوقها البناء.

وهنا يبرز عامل آخر انبثق عن هذه الحقيقة، وهي أنه لا بد من بناء الأساس قبل الشروع برفع البناء وإلا فسينهار البناء كله لا بد من البداية مع أي نفس ندعوها إلى هذا الدين أو نريد تربيتها على أساس الإسلام من الإيمان أولاً وقبل كل شيء، خاصة في هذا العصر الذي بهت فيه مفهوم العقيدة في نفوس أبناء هذا الجيل المنتسب إلى الإسلام، لا بد من انتهاج نفس الطريق الذي انتهجه رسول الله ﷺ من تثبيت العقيدة في النفس ثم مطالبتها بعدها بالفروع، لا بد أن نعرف الناس بربهم وعظمته وهيمنته على الكون، فهو مالك الملك، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو القاهر فوق عباده، وهو الذي إليه يرجع الأمر كله، وهو الخالق الرازق.. لا بد من هذه البداية، أما أن نبدأ نطالبهم بتطبيق فروع الشريعة وهم لم يعرفوا صاحب الخلق والأمر، فهذا عبث ومحاولة لاستنبات البذور في الهواء.

ومن أجل أهمية العقيدة وحساسية موضوعها وجوهريتها: فقد كانت معظم نصوص العقيدة في القرآن بكلمة (قل) التلقينية، **(قل هو الله أحد) (قل يا أيها الكافرون) (قولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا)** .

وكذلك فإن علماء الأصول اشترطوا لبناء العقيدة نصوصاً قطعية الثبوت وقطعية الدلالة[2].

## والآن لا بد أن أشير إلى نقطة هامة وهي: (التفريق بين التصور الإعتقادي والفلسفة):

إن التصور الإعتقادي تصور يستقر في القلب، ويرتضيه العقل، ويتفاعل مع المشاعر، وينعكس على التصرفات في واقع الحياة، والعقيدة -غالباً- هي من أكبر العوامل التي لها تأثير في سير التاريخ وتغيير واقع الناس وحياتهم، وليس غريباً عليك التغيير الكبير الذي حدث في الحياة منذ نزول العقيدة الإسلامية، وأما الفلسفة[3]، فإنها ترف عقلي لا يتجاوز الأخيلة وغالباً يعيش في أذهان الفلاسفة، ولم تدفع الفلسفة بالبشرية خطوة واحدة إلى الأمام، فمعظمها نظريات تعيش في عقول الفلاسفة الذين يفكرون من أبراجهم العاجية، دون أن يكون لها حرارة التفاعل مع القلوب، أو الحياة مع المشاعر والنفوس أو انعكاس السلوك في الحياة.

وهنا أريد أن أنبه إلى قضية مهمة، أصبحت وكأنها حقيقة مسلمة في أذهان الذين يدرسون ما يسمى بالفلسفة الإسلامية.

إنه ليس من السهل أن تنقل العقيدة الربانية بوسائل بشرية وتفكيرات إنسانية، كما أنه لا يمكنك أن تنقل اللبن الطاهر بكأس أثرها خمرة، ولذا فليس من السهل أن تنقل التصور الإسلامي الرباني الصافي بقوالب فلسفية، لأنها تطفيء نوره وإشعاعه وتقتله، وتصبح العقيدة جافة بعد نداوتها، سلبية بعد إيجابيتها، معقدة بعد سهولتها.

١- أنظر في ظلال القرآن، الطبعة الرابعة (ج٥ص٧٢) أخذاً من كتاب تنقيحات للأستاذ أبو الأعلى مودودي.

٢- قال ابن عبد البر من المالكية عن خبر الآحاد (والذي عليه أكثر أهل الحذق منهم أنه يوجب العمل دون العلم (أي اليقين والقطع) وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد الله به وقطع، وقال قوم كثير من أهل الأثر وبعض أهل النظر. أنه يوجب العلم والعمل جميعاً. منهم أبو الحسين الكرابيسي. ثم قال ابن عبد البر: أنه يوجب العمل دون العلم) أنظر المسودة في أصول الفقه لآل تيمية صفحة (٢٤٥).

٣- قال السيوطي: أنه يحرم الإشتغال بالفلسفة كالمنطق لإجماع السلف وأكثر المفسرين المعتبرين من الخلف، وممن صرح بذلك -التحريم- ابن الصلاح والنووي وخلق لا يحصون، وقد جمعت في تحريمه كتاباً، وقد رجع الغزالي إلى تحريمه. أنظر شرح الفقه الأكبر (٤)

**(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** (القمر:٢٢)

ولقد حاول بعض الجهابذة من العلماء الأفاضل نقل العقيدة عن طريق علم الكلام والمنطق -بعد أن افتتنوا بها-، وذلك كحجة الإسلام أبي حامد الغزالي المتوفي سنة (٥٠٥هـ) وإمام الحرمين الجويني، وفخر الدين الرازي سنة (٦٠٦هـ).

إلا أن التجربة كانت لديهم مرة، وكانت حصيلتها أن كادت تنزلق نفوسهم، وتضطرب تصوراتهم، مما اضطر الثلاثة أن يرجعوا عن الكلام أخيراً.

فقد كتب الغزالي رسالته التي أسماها (إلجام العوام عن علم الكلام) وقال: (فلم يكن الكلام في حقي كافياً ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً)، وقال: (الحق أن علم الكلام حرام إلا لشخصين)[1]. وأما الجويني فكان يعض أصابع الندم في أواخر سنين حياته لما فرط فيه في البحث عن الكلام، وكان يقول[2]: (عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص، فالويل لابن الجويني».

ويقول الرازي[3]:

| | |
|---|---|
| نهاية إقدام العقـــــول عقـــال | وغاية سعي العالمـــين ضــــلال |
| ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا | سوى أن جمعنا فيه قيل وقالـوا |

ويقول الشهرستاني: سنة (٥٤٨ هـ) (صاحب كتاب الملل والنحل):

| | |
|---|---|
| لعمري لقد طفت المعاهد كلهـا | وسيرت طرفي بين تلك المعالـم |
| فلم أر إلا واضعاً كف حائـر | على ذقن أو قارعاً سن نادم[4] |

نعم لقد تراجع الأعلام الثلاثة عن علم الكلام، ولكن متى؟ بعد أن أغرقوا العقيدة بالمنطق والكلام اليوناني المشوب بالأساطير الوثنية، (وكيف يمكن لعقيدة التوحيد الخالصة التي نزلت من رب العالمين أن تنقل بالتفكير الإغريقي الملوث بالوثنية؟ إنه محال).

وكذلك فإن هؤلاء الأئمة كانوا عباقرة في علم الأصول، فحاولوا أن ينقلوا الأصول بواسطة علم الكلام والمنطق، فعقدوا الأصول، وأصبح علم الأصول جافاً بعد أن كان سهلاً مبسطاً، وإن كنت في ريب مما أقول فاقرأ رسالة الإمام الشافعي وانظر يسرها وبساطتها، وقارن - إن شئت- بينها وبين كتاب مثل جمع الجوامع للسبكي، والتحرير للكمال بن الهمام، وانظر الفرق الشاسع والبون الواسع.

وأعجب أن يبقى المنطق وعلم الكلام يدرسان إلى يومنا هذا، بحجة أن هذين ضروريان للعقيدة والأصول.

إن العقيدة الربانية التي تكفل القرآن ببيانها وإظهارها بيسر وبساطة لا يجوز أن تنقل بوسائل من تفكير بشري، يقول الشافعي:(لأن يبتلي العبد بكل شيء نهي عنه -غير الكفر- أيسر من أن يبتلى بعلم الكلام))[5]

وقال الإمام أحمد: (لا يفلح صاحب كلام أبداً، علماء الكلام زنادقة)[6].

## ضرورة صفاء العقيدة ونقائها من آراء البشر:

وهذه نقطة مهمة جداً بل أساسية في العقيدة التي نزلت من عند الله، إذا اختلطت بآراء البشر فإنها لا تبقى ربانية، لا تبقى هي التي تقود إلى السعادة في الدارين، ولعلك بحاجة إلى زيادة تفسير (فتعال معي يا أخي نسأل التاريخ ونجول عصوره).

لقد حدثنا القرآن (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أن الرسل أجمعين جاءوا بعقيدة التوحيد الخالصة.

**(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** (الأنبياء:٢٥)

---

١ـ فيصل التفرقه بين الإسلام والزندقة للغزالي (ص٩٠) عيسى الحلبي.

٢ـ تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٩٣).

٤ـ أنظر شرح الفقه الأكبر ص (٧).

٣. شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص (٧).

٥ـ أنظر اعلام الموقعين لابن القيم (٢٤٨/٤) وتلبس إبليس (٩١).

٦ـ تلبيس إبليس (٩١)، قال الإمام مالك : (لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء)، قال بعض أصحابه: أراد أهل الكلام. أنظر شرح الفقه الأكبر (٦).

هذه شهادة القرآن الصادقة.

والآن لنفتح معا صفحات أخرى لنرى كيف بدل اليهود والنصارى هذه العقيدة.

**(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون)** (التوبة: ٣٠)

ولو فتحت الكتاب المقدس لوجدته حافلاً بهذه اللوثات الوثنية، ففي الإصحاح الثالث: (فنادى الرب الإله آدم، وقال له أين أنت سبحانك يا رب وتعاليت عما يقولون علواً كبيراً.

إنه لا يعرف أين آدم، فمن هذا الإله؟! أوليس يعلم السر وأخفى كما حدثنا القرآن؟

**(ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم)** (المجادلة:٧)

ألم يسمعوا قوله تعالى:

**(وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** (الملك:١٣-١٤)

ماذا حصل من جراء التحريف والتغيير في الكتب السماوية وفي العقيدة الربانية ؟

لقد حصل الشقاء الذي تعانيه وتعانيه البشرية كلها اليوم، لقد أدخل رجال الدين اليهودي والنصراني كلاماً من عند أنفسهم وهذا ما صرح به القرآن:

**(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)** (البقرة: ٧٩)

وكان مما أدخلوه عقيدة التثليث، وكذلك معلومات بشرية تعتمد على التجارب البشرية في الجغرافية والفلك وغيرها، وكتبوا كتباً في الجغرافية سموها (الجغرافيه النصرانية)[1]، وكفروا كل من يخالفها، وأخذت الكنيسة تبحث عن علماء الفلك والجغرافيا الذين أعلنوا اكتشافاتهم العلمية، فأنشأت الكنيسة محاكم التفتيش، فاختبأ العلماء -الذين هم ملحدون في نظر الكنيسة- في الغابات والمغاور، وعاقبت من النصارى الذين يحملون هذه الآراء الجغرافية والفلكية المخالفة لنظر الكنيسة حوالي ثلاثمائة ألف، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً أحياء، كان منهم العالم الطبيعي (برونو) سنة (١٦٠٠)، وكذلك العالم الطبيعي الشهير جاليلو سنة (١٦٤٢)، لأنه يعتقد بدوران الأرض، وعذبت كوبر نيكوس.

حتى قال أحد العلماء النصارى: (لا يمكن لرجل أن يكون مسيحياً ويموت حتف أنفه)[2]، أي يموت موتاً طبيعياً، بل لا بد أن يقتل أو يحرق.

## ماذا كانت النتيجة؟ العداء بين العلم والدين.

بدأ العلماء يفكرون كيف يخلصون من سلطان الكنيسة وسطوتها واستطالتها؟

(لا بد من إسقاط إله الكنيسة حتى تسقط الكنيسة، لأن الكنيسة تستطيل باسم الله). وقد سبق الإنكار محاولة للاصلاح بمحاربة بعض تعاليم الكنيسة، كالتي قام بها لوثر المتوفى سنة (١٥٤٦م)، كلفن المتوفى سنة (١٥٦٤م)، وأخذوا يحاربون تعاليم البابا التي كانوا يسمونها تعاليم الشيطان، مثل عقيدة التثليث، وكذلك بيع صكوك الغفران، والاعتراف بالخطيئة، وقامت حرب ضروس بين هذين وبين البابا.

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأ العصر الذي سموه (عصر التنوير أو عصر سيادة العقل) وظهر فيه نيتشه : الذي أعلن سيطرة العقل على الدين سنة (١٧١٤م)، وظهر (هيجل) : الذي حاول أن يؤيد الدين بتخبط، إذ أن الله عند هيجل عقل

١ـ أنظر كتاب ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين للندوي (١٧٥).

٢ـ أنظر هذا كله في (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للندوي ص ١٧٥، وارجع إلى (التطور والثبات في حياة البشرية) لمحمد قطب ص (١٦).

-سبحانه وتعالى عما يشركون-.

وزاد الصراع بين الدين والعلم ببزوغ فجر القرن التاسع عشر الذي سمي بعصر (الوضعية) أو عصر سيادة الحس، الذي يعتبر الواقع أو الطبيعة هو مصدر المعرفة، وسادة الطبيعة على الدين والعقل، وأن عقل الانسان هو وليد الطبيعة، وطريق الانسان يبتدىء بالفردية وينتهي بالجماعة التي يجب أن يذوب فيها الفرد، والطبيعة هي التي تنقش الحقيقة في العقل.

وأشهر أبطال هذا العصر (أوجست كونت)[1]، ولكن لا ندرى كيف تنقش الحقيقة في العقل، وهل الحقيقة التي تنقشها الطبيعة في عقل البقرة والقرد كالتي تنقشها في عقل كونت وغيره ؟

وقد ظهر في هذا العصر (دارون) الذي وضع كتابه أصل الأنوا ع سنة (١٨٥٩م)، وكتابه الآخر أصل الانسان سنة (١٨٧١م)، وزاد النزاع واحتدم الخصام بين دارون وبين الكنيسة التي كفرته، ووقف الناس بادىء ذي بدء مع الكنيسة، ولكن الموقف أخذ يتحول تدريجياً لصالح دارون، وقد وجد الناس أن هذه فرصة سانحة للتخلص من الغول البشع الذي يضطهد الناس باسم الدين[2].

وأنكر دارون تدخل الله في عملية النشوء والارتقاء، وقال: (إن تفسير النشوء والإرتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت).

ثم جاء (ماركس) ليعلن الإلحاد من خلال أبحاثه في الإقتصاد، فهو يرى أن الدين والقيم الروحية والأخلاقية والسلوك هو عبارة عن انعكاس عن المادة، وتاريخ العالم هو تاريخ البحث عن الطعام، وحدد في (المنيفستو) البيان الشيوعي المطالب الرئيسية للإنسان: المأكل والمسكن والإشباع الجنسي)[3].

والدين عنده هو أفيون الشعوب.

ثم جاء (فرويد) ليعلن صرخته في عالم الجنس.. وقال بأن الغرائز هي التي تحكم الإنسان، وأن الروح لا وجود لها على الإطلاق، والحياة كلها جنس، حتى الدين والأخلاق فإنها انبثاق جنسي، فالطفل يحب أمه جنسياً، ثم يجد الأب حائلاً دونها فينشأ عنده (عقدة أوديب)، والطفلة تعشق أباها جنسياً، ولكن أمها تحول بينها وبين أبيها، فينشأ لديها (عقدة ألكترا)!!

ومن المعلوم أن الصهيونية العالمية كانت وراء هؤلاء.

**تقول بروتوكولات حكماء صهيون[4]:**

(لقد رتبنا نجاح دارون وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم، وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد).

وبعد هذه المعارك المتواصلة بين الكنيسة وبين هؤلاء انزوى رجال الكنيسة بين جدرانها الأربعة، ورجعت كسيفة حزينة، وسقط إله الكنيسة في نفوس الناس، هذا الذي كانت تخضع الناس باسمه، والسبب في هذا بسيط جداً: (إن دين الله السماوي وعقيدته الصافية لم تدخل المعركة، إنما دخل المعركة آراء البشر الفجة المرتجلة، وأخذت تقاوم حقائق علمية وإحصائيات دقيقة تدعمها التجارب والبراهين).

يقول الأستاذ محمد البهي[5]: (ومن هذا يتضح أن صراع العقل مع الدين هو صراع الفكر الإنساني مع مسيحية الكنيسة، وإن دوافع هذا الصراع هي الظروف التي أقامتها الكنيسة في الحياة الأوروبية).

والآن ما هو موقف الكنيسة؟ لقد عادت تجري وراء الناس وتلهث على أثرهم، ترجوهم أن يحضروا ساعة أو أقل في الأسبوع

---

١ـ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي (٢٧٩) وكذلك ص (٢١٨).

٢ـ التطور والثبات في حياة البشرية ص(١٦).

٣- الفكر الإسلامي الحديث لمحمد البهي (٣٢٦) فما بعدها.

٤ـ البروتوكول الثاني، انظر بروتوكولات حكماء صهيون (الخطر اليهودي) ترجمة التونسي، صفحة (١٣٢).

٥ـ أنظر الفكر الإسلامي الحديث لمحمد البهي لفصل الدين مختبر صفحة (٢٩٥) فما بعدها.

مع الإعلانات والمغريات، وهناك إحدى الإعلانات[1] المعلقة بباب إحدى الكليات لإقامة حفلة كنسية. يوم الأحد أول أكتوبر ، (١٩٥٠م) في الساعة السادسة مساء: عشاء خفيف، ألعاب سحرية، ألغاز، مسابقات، تسلية، رقص! أسمعت؟ عادت ترجو الناس يجتمعوا داخل الكنيسة ولو على الرقص والتسلية!!

ولكن رغم أن الكنيسة هزمت إلا أن العداء بقي قائماً بين العلم والدين، وبقي هذا العداء الذي أتعب البشرية وأشقاها، ولا زلنا نعاني آثاره، وندفع ضريبته من راحتنا وأبنائنا وأجيالنا، لا زلنا تدفع الثمن بما نعيشه من حيرة واضطراب ونكد وشقاء.

## الفصل الثالث

# بعض خصائص العقيدة ومكانة الإنسان فيها

لقد بدأ الصراع في أوروبا بين العقيدة المحرفة وبين الحقائق العلمية، ثم امتد الصراع إلى أرضنا وإلى أبنائنا، وأخذ أبناؤنا -خاصة الذين يتخرجون من المؤسسات العلمية الغربية، ومن الجامعات الأمريكية والأوروبية هناك أو فروعها هنا- أخذوا يعادون الدين ظانين أن عقيدتنا تعادي العلم، وأن ديننا كالدين الكنسي يصارع ويصطدم بالبحوث العلمية، ولكنها الصبغة التي اصطبغ بها الغربي من جراء المعارك الطاحنة، صبغة الجفوة بين الدين والعلم والعداء بينهما، ونقله أبناؤنا دون تريث وبلا تفكير قليل في مصدر هذا النزاع وفي سبب هذا الشقاء، وأخذنا نتبع التفكير الأوروبي المادي حذو القذّة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلناه.

لقد نسي أبناؤنا أن قرآننا يقول:

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (المجادلة:١١)

وكأنهم لا يقرأون:

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (الزمر:٩)

نسوا أن القرآن من عند الله، والله يعلم ما سيحدث، وما سيجد من الأجيال والإكتشافات والعلوم.

إن الاكتشافات هي عبارة عن معرفة سنن الله في هذا الكون، والله الذي خلق هذه السنن والنواميس والأنظمة في الكون هو الذي أنزل القرآن، وهو الذي أنطق رسوله ﷺ بالسنة

(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (النجم: ٣)

فلا يمكن أن يصطدم نظام الله في الكون ونظام الله في القرآن. (فالكون هو كتاب الله المنظور والقرآن هو كتاب الله المسطور، فلا يمكن أن يصطدم الكتابان معاً)، هذا إذا كنا مسلمين، ونعتقد أن القرآن منزل من عند الله، وأنه قطعي الثبوت متواتر، ومن شك في حرف من القرآن فقد كفر.

(لا يمكن لأية نظرية علمية أن تصطدم مع آية قرآنية أو حديث نبوي ثابت صحيح، وإن اصطدمت فإن هذا يعني أن النظرية لم تثبت بعد، وما أكثر النظريات العلمية التي كنا نعدها حقائق علمية مسلمة) ثم تراجع عنها أصحابها في حياتهم أو أثبت خطأها من بعدهم.

ولا ننسى أن العلماء في ميادين الطب والفلك والجغرافيا وغيرها من العلوم التجريبية المحضة في هذا القرن -العشرين- قد ألقوا السلم وكفوا أيديهم عن محاربة الدين والغيب، وأخذوا يعترفون-تحت ضغط الحقائق العلمية- بوجود الله، الإرادة المدبرة لهذا الكون وما فيه. وأصبح العلم يثبت وجود الله، وأصبح العلم مرادفاً للغيب لا مناقضا له ومصطدماً معه.

ونحن عندما نقول: إن العلم يثبت وجود الله وينفي الإلحاد لا نعني به أننا نورده لتصديق نفوسنا، فلقد آمنا قبل أن يأتي العلم، آمنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، نعتقد بالله قبل أن يقول فلان فلان .. ولكننا نورد هذا لنحاكم الذين يدعون العلم ليثبتوا جحودهم وليعلنوا إلحادهم، لقد أصبح في هذا القرن من يدعي الإلحاد عن طريق العلم جاهلاً في نظر الذين فاقوه في ميدان

---

١- الإسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب صفحة (٨١).

أبحاثه -هذا إن كان باحثاً- إن لم يكن ببغاء تلوك ما تسمع.

**(ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لايعقلون)** (البقرة:١٧١)

وإن أردت الإستزادة في هذا الموضوع فاقرأ كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) وليسمع فيه قول (رسل آرنست) الأستاذ بجامعة فرانكفورت بألمانيا:(إن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق، ولذا فإنني أؤمن بوجود الله إيماناً راسخا)[1].

واقرأ إن شئت .. (العلم يدعو إلى الإيمان لكريسي موريسون) وإن استطردت فارجع إلى سلسلة كتب الأستاذ عبد الرزاق نوفل: الله والعلم الحديث، الإسلام والعلم الحديث، القرآن والعلم الحديث، طريق إلى الله، بين الدين والعلم.

والآن لنرجع إلى حديثنا عن عقيدتنا وديننا الذي تكفل الله بحفظه: **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)**.

## ولنرى (مركز الإنسان في هذه العقيدة):

إن الإنسان في العقيدة كريم، يحتل المكانة الأولى في هذا الكون، فقد سخر الله له ما في السموات وما في الأرض:

**(وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** (الجاثية:١٣).

والذي يسخر له السموات والأرض هو أثمن من السموات والأرض وأغلى منهما:

**(وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين، ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثر هم لا يعلمون)**(الدخان٣٨-٣٩).

ومن اللحظة الأولى التي أعلن فيها ميلاد الإنسان أمر الملائكة بالسجود له إيذاناً بكرامته عند الله، ولقد حرصت الآيات الكثيرة بتكريمه:

**(ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** (الإسراء:٧٠)

**(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)** (التين:٤-٦)

وعلى هذا فالإنسان كريم في هذا الدين، وتكريمه من صلب هذه العقيدة، إذن لا بد أن يكون له دور كبير، ولقد حددت الآية التي أعلنت عن خلقه وظيفة من وظائفه

**(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)** (البقرة:٣٠)

وحددت الآية الأخرى قصر وظيفته على العبادة:

**(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)**

(الذاريات: ٥٦-٥٨)

(إلا ليعبدون) وإلا عندما تأتي بعد النفي تكون للحصر والقصر، فقد حصر الله وظيفته في العبادة التي تقول بأنه لعمارة الأرض وإصلاحها وبأنه خليفة في الأرض.

إذن لا بد أن تكون خلافة الأرض وعمارتها جزء من العبادة، فالعبادة تشمل كل جوانب الحياة، فالصلاة عبادة، وزيارة الأرحام عبادة، وغض البصر عن المحارم عبادة، والعدل في الحكم عبادة، ولبس الجلباب الطويل للمرأة عبادة، والأمانة في البيع، والجهاد في سبيل الله عبادة، بل يصبح الطعام عبادة والمودة بين الزوجين عبادة، وتصبح كل كلمة وكل حركة وكل خالجة عبادة، بل النيه الطيبة عبادة، والبغض في الله عبادة.

هذا كله بشرط واحد أن تكون هذه الأعمال مرتبطة بالله، بحيث تكون متجهة إلى الله عزوجل، خالصة لوجهه الكريم.

ولذا فإن قيمة الأعمال في العقيدة الإسلامية مستمدة من بواعثها لا من نتائجها، لأن النتائج بيد الله، لأن جزاء الإنسان لا

---

١- أنظر في ظلال القرآن (٢٣٢/٧) ط/ الرابعة.

يتوقف على نتائجها، بل الجزاء من النية في عملها، ولذا فإن موقف الإنسان يتغير تغيراً كاملاً تجاه الواجبات.

ومن ثم فإن جزاء الإنسان في الإسلام لا يتعلق بالنتائج، وتخلص نفسه من حظ نفسه، ولا يترتب ثماراً لعمله -حتى انته هذا الدين على يديه-، ومن أجل هذا (فإن الغاية لا تبرر الواسطة في العقيدة الإسلامية)، فلا يمكن أن يستعمل المسلم ولا يجو استعمال الوسائل الخسيسة لتحقيق غاية كريمة، فلا يحق له الغش في الإمتحان من أجل نيل الشهادة التي يظن أنه يخدم الإسلام، ولا يحق له السرقة من أموال الكافر للتصدق بها على المسلمين.

وهنا أريد أن أشير إلى قضية تتعلق بشمول العبادة للحياة، هذه القضية هي قضية الفصل بين (العبادات والمعاملات).

إن هذه القضية جاءت مؤخراً عندما بدأ الفقهاء يؤلفون في الفقه، وذلك من ناحية علمية فنية لا بد منها التدريس، فهي للتس على الطالب والمعلم، إلا أن هذا التقسيم ترك آثار سيئة في الحياة الإسلامية، إذ تعلق في أذهان الناس، أن العبادة فقط هي الشع التعبدية، أما المعاملات فقد ثبت في عقول الناس أنها ليست عبادة، ولقد رسخ في ذهن الكثيرين أن الصلاة عبادة، أما أداء الأم وصدق الحديث والأمر بالمعروف فإنهم لا يكادون يصدقون أنها عبادات.

إن تنفيذ كل أمر جاء في الكتاب أو السنة واجتناب كل نهي ورد فيهما عبادة، إن كل تصرف في الحياة عبادة، إن العبا تشمل كل نشاط للإنسان في هذه الحياة، هذا مع صدق النية وإخلاصها وتجردها لله.

(يقول الأستاذ محمد أسد (ليوبولد فايس) وهو رجل له مكانته في النمسا ترك النصرانية وأسلم: (ان الإسلام لا ينظر إ الحياة على أنها صدفة فارغة عادية، ولا على أنها طيف خيال للآخرة، ولكن على أنها وحدة إيجابية تامة في نفسها، وعبادة الله ف أوسع معانيها تؤلف في الإسلام معنى الحياة الإنسانية، هذا الادراك -وحده- يرينا إمكان بلوغ الإنسان الكمال في إطار حيا الدنيوية، إن الإسلام لا يؤجل هذا الكمال إلى ما بعد إماتة الشهوات الجسدية، ولا بعد سلسلة متلاحقة من تناسخ الأرواح، كما ف في الهندوكية، إن العبادة في الإسلام ليست محصورة في أعمال من الخشوع الخالص كالصلاة والصيام مثلاً، ولكنها تتناول كل حي الإنسان العملية)[1].

## والآن دعنا نتعرف ( على خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها في حياة البشر ):

١- إن أولى خصائص هذه العقيدة أنها ربانية من عند الله، وأنها لم تتغير ولم تتبدل، وهذا يطمئن النفس أنها خير لأنفسنا وأن السعادة تكمن في تنفيذها، وأن الشقاء يترتب على تركها:

أ. فالخير والبركة ووفرة الإنتاج كلها من بركات تطبيق الشريعة المبنية على هذه العقيدة:

**(ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)**

(الأعراف: ٩٦)

**(ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)** (المائدة:٦٦)

ب. وما دامت ربانية من الله عزوجل فإنها مبرأة من النقص، سالمة من العيب، بعيدة عن الحيف والظلم، لأن الله له المثل الأعلى في السموات والأرض **(أفلا يتدبرون القرآن ..)** (النساء: ٨٢).

جـ. ومادامت ربانية فهي التي تشبع جوعة الفطرة للعبادة لا يسدها إلا منهاج الله، ولا تملأها النظم الفلسفية، ولا السلطان السياسي، ولا الثراء المالي.

وهذه الجوعة الفطرية للجوع إلى قوة عليا تبرز بادية للعيان أمام الأعاصير والكوارث والمحن، فهذا (ستالين) الذي كان يقول: (لا إله والحياة مادة، والدين علقة تمتص دماء الشعوب) يضعف أمام هول الحرب العالمية الثانية، فإذا به يخرج القساوسة من السجن حتى يدعوا له بالنصر.

---

١- (الإسلام على مفترق الطرق) لمحمد أسد.

ومرة ثانية أمام شدة المرض يرسل وراء القسيس حتى يصلي له ويستغفر.

د. ومادامت ربانية فالناس أمامها سواء لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، فالله خالق الناس أجمعين فكلهم عبيده، وهو لا يفضل لوناً على لون. الأبيض على الأسود -كما هو الحال في القانون الأمريكي-، ولا يفضل الرجال على النساء[1] ولا يحابيهم سبحانه -لأن الرجل والمرأة كلهم خلقه-، ولا يفضل طبقة على طبقة كالأشراف على العبيد، ولا يفضل جنساً على جنس، كتفضيل العرق الآري والجنس الأبيض على غيره (وألمانيا فوق الجميع)، ولذا فهي العقيدة الوحيدة التي تنصف الناس وتعدل بينهم، والناس يقفون فيها على قدم المساواة حاكمهم ومحكومهم سواء.

{وتمت كلمةُ ربك صدقاً وعدلاً لا مبدلَ لكلماته وهو السميع العليم} (الأنعام:١١٥)

٢ـ ومن خصائص هذه العقيدة أنها ثابتة:

{فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرةَ الله التي فطر الناس عليها، لا تبديلَ لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (الروم: ٣٠)

وثبات العقيدة ناتج عن أنها منزلة من عند الله، وقد انقطع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها كافر.

والإنسان يتحرك ويتطور وينمو، ولكن داخل إطار العقيدة الثابت الذي يتسع لحركة الإنسان ونموه، وإذا خرج الإنسان من الإطار الثابت فإنه يسبح كالنجم الذي يفلت من مداره، ويسير إلى نهايته التي تؤدي إلى اصطدامه بكوكب آخر، فيتحطم ويحطم معه غيره.

ولا بد من شيء ثابت يرجع الناس إليه، حتى يطمأنوا ويستريحوا ويكون عندهم مقياس يعرفون طول الأشياء وعرضها ووزنها، أما الذين يقولون بأن كل شيء متطور في الحياة حتى الدين والأخلاق والنظم، فهذا يؤدي إلى فوضى كبيرة، فلا نعرف الحكم على أي شيء، ولأضرب مثلاً: الزنا مثلاً ثابتة حرمته وبشاعته في الديانات التي نزلت من عند الله، فلا يختلف في هذه القضية اثنان. فإذا كان المقياس الذي حكمنا به على الزنا أنه قبيح ثابت، فإن الزنا يبقى بشعاً، ويستقر في ذهن الأجيال أن هذا الحكم ثابت لا يتغير، فتتربى قلوبهم على كراهية الزنا واحتقاره.

أما إذا كان القانون والدين غير ثابتين، وكانا متطورين، فإنه يعني أن الزنا كان بشعاً في فترة من الفترات، ولكن الزنا الآن في عرف الذين يقولون بتطور الأخلاق مثل (فرويد) ضرورة بيولوجية لا بد منها.

وكذلك ستر العورات وتغطية اللحم باللباس -خاصة من قبل النساء- كان أمراً طبيعياً وثابتاً في الأخلاق والأديان، ويبقى ثابتاً إلى يوم الدين، أما في الأخلاق المتطورة فلقد كان ستر العورة مستحسناً في عصر من العصور، ثم جاء القرن العشرين ورأى أن ستر العورة شيء مستقبح، وأصبح أصحابه ينادون بكشف العورة من أجهزة إعلامهم وأبواقهم التي تفوح منها رائحة الخبث والكيد والغدر بهذا الكائن الانساني الذي يريدون تحطيمه.

وثبات العقيدة يضع ميزاناً ثابتاً يقيس الناس، فالميزان واحد، الكيلو في هذا الميزان تساوي (١٠٠٠) غم، فإذا جئنا نزن شخصاً فإننا نضعه في هذا الميزان الواحد ونضع مقابله كيلوات حتى نعرف وزنه، وهنا يكون الحكم صحيحاً على وزن جميع الناس، لأن الوزن واحد والعيار واحد، فإذا جاء قوم وغيروا الميزان وقالوا عن الكيلو أنها قنطار، فإن الشخص الذي يزن سبعين كيلو غراماً في الميزان الأول هو نفسه يزن سبعين قنطارا في الميزان الثاني، والشخص هو الشخص.

وعندما يختلف الميزان لا يمكن أن يكون الحكم صحيحاً، ولذا فإن الرجل عند الناس يكون مبجلاً مطاعاً محترماً لأنه ثقيل في ميزانهم، ولكن عندما نضعه في ميزان الله الثابت فإنه قد لا يزن شيئاً، فمثلاً الوليد بن المغيرة كانت قريش تعتبره زعيماً وتقول:

{لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم} (الزخرف:٣١)

---

١- يعني -الشيخ- من باب قوله تعالى: {من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}(النحل: ٩٧) وليس من باب قوله تعالى: {الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم}(النساء:٣٤) فتأمل الفرق..

ولكن الله يقول عنه وعن أمثاله:

{ولا تطع كلَّ حلافٍ مهينٍ همازٍ مشاءٍ بنميم} (القلم:١٠-١١)

ويقول:

{إنَّ شرَّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون} (الأنفال:٥٥)

فقريش لا تقطع أمراً إلا بعد استشارته واستنصاحه، والله يسميه دابة، والمؤمنون يعتبرونه دابة بل أقل من الدابة:

{أولئك كالأنعام بل هم أضل} (الأعراف:١٧٩)

٣ـ وثبات العقيدة يجعل أصلاً يرجع الناس إليه حاكمهم ومحكومهم على السواء، والناس يستريحون ويسعدون، لأن الحاكم لا يستطيع أن يظلم الناس ويقول قبل أن يظلمهم غيرت القانون، ولا يستطيع المحكومون أن يقولوا للحاكم نحن لا نعرف القانون لأنه جديد.

ولكنه إذا كان ثابتاً فإن الناس يتربون منذ نعومة أظفارهم على معرفته، ويكون النظام حياً في نفوسهم ويعيش في حسهم.

فلا يستطيع الحاكم في الدين الرباني أن يدعي أن الظروف طارئة، ولا أن يقول: أحكام عسكرية يوقف بها تطبيق دين الله، وتحت هذه الأسماء ووراء هذه الشعارات تسفك الدماء، وتداس الكرامة، وتنتهك الحرمة، وهذا هو شأن جميع الأنظمة الوضعية الأرضية، أو بتعبير أدق (الأديان الأرضية) التي اخترعها البشر من عند أنفسهم، وأبرز ما تكون هذه الظاهرة في الأنظمة العسكرية والإنقلابات الثورية، ففي كل انقلاب قانون جديد، وفي كل مرة تنصب المشانق وتعلق على أعواد في الأسواق، ودعك عن التحقيقات مع النساء في الظلام، والناس الذين يدفنون أحياء أو يوضعون في براميل النيتريك، حتى يذوبوا ثم يطالب أهلهم بهم لأنهم فروا من السجن!!

وفي كل مرة يغير فيها النظام تفقد البلد أعز أبنائها، وأقدر كفاءاتها، وأعلى طاقاتها، وأثمن ما لديها وهم العينات من الشباب والمفكرين والقادة وغيرهم.

٤ـ وثبات العقيدة الربانية يجعل الناس جميعاً تحت ظل الدستور والحكم، وليس هنالك حاكم فوق القانون ومحكوم تحت القانون، ونظام يسري على الحاكم، ونظام يسري على المحكوم.

فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي...

{لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} (الأنبياء:٢٣)

أما الخليفة والأمير والحاكم فهم جميعاً خلق الله، ويعبدون الله بتنفيذ هذا القانون الرباني، فماداموا من خلق الله فهم عبيد وليسوا آلهةً لا يسألون.

وهذا الواقع التاريخي الإسلامي يدل على هذا، فهذا يهودي يشتكي عليه الخليفة علي رضي الله عنه إلى القاضي شريح بشأن درعه فيحكم شريح لليهودي بالدرع.

ورجل آخر يشتكي هارون الرشيد إلى القاضي أبي يوسف فيستشهد الرشيد بشهادة جعفر البرمكي فيردها أبو يوسف قائلاً: لقد سمعت جعفراً يقول لك: أنت سيدي وأنا عبدك، فإن كان عبدك حقاً فشهادة العبد لسيده لا تجوز، وإن كان كاذباً فشهادة الكاذب لا تجوز.

ومن هنا فقد كانت الطمأنينة تلف المجتمع كله بردائها الحاكم والمحكوم سواء، وهم سعداء بهذا، لا يستطيع الحاكم أن يرفض دين الله فضلاً أن يغيره أو يبدله بدين جديد من عنده.

وعلى هذا فالتطور يؤدي إلى الإستبداد السياسي والظلم، ويعيش الناس في قلق دائم من تغير القوانين وتبديل الدساتير، زيادة عن التعب النفسي وعدم الطمأنينة من قبل الناس، لأنهم يعلمون أن هذه الأنظمة ليست من عند الله، فإطاعتها ليست عبادة، بل تقديم أية مادة قانونية على ما ورد في القرآن مع الرضا القلبي كفر، لأنك تفضل كلام البشر على القرآن، أي على كلام رب العالمين، فأنت

تفضل البشر على رب البشر، ومن فعل هذا فقد خرج من هذا الدين، أما دين الله ونظامه فإطاعته عبادة، ومقابل إطلاق يد الراعي في تغيير الأحكام كما يشاء، هو بدوره يطلق للرعية العنان في اقتناص الشهوات والإنطلاق بالسعار الجنسي إلى أقصاه، وبالنزوات الحيوانية التي لا ترتفع عن مستوى البهيمة.

فهذه نتيجة طبيعية ومنطقية وواقعية لتطور النظم والأفكار.

(انطلاق حيواني للشهوات من قبل الرعية، يقابله انطلاق استبدادي للسلطة).

## الفصل الرابع
## من أركان العقيدة
# معرفة صفات الله (عزوجل)

من المعلوم أن صفات الله عزوجل وأسماءه توقيفية يعتمد في أخذها على الوحي فقط، سواء كان في القرآن أو السنة.

يقول ابن خزيمة في كتابه التوحيد ص ٧ «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك بقلوبنا».

وأسماء الله عزوجل ليست مقتصرة على تسعة وتسعين اسماً كما ورد في الصحيحين والترمذي: لله تسعة وتسعون اسماً، مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر وعدّدتها رواية الترمذي، ولكن ورد في أحاديث أخرى أسماء غيرها: قال أبوبكر بن العربي في شرح الترمذي حاكياً عن بعض أهل العلم: (إنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه تعالى ألف اسم)[1].

ومن هذه الأسماء: الحنان، المنان، البديع، الكفيل.

(أما صفات الله -عز شأنه- كقول الله عزوجل:

(ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام) (الرحمن: ٢٧)

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) (الفتح: ١٠)

لقد اختلفت آراء الناس في هذه الصفات على أربعة أقوال:

**الرأي الأول:** (رأي المشبهة أو المجسمة): الذين يثبتون لله الصفات، ولكن يقولون -تعالى الله عن ذلك- بأن له جوارح، فله أيد كأيدينا، وعين كأعيننا، ووجه كوجوهنا، ومن هؤلاء: داود الجواربي، وهشام بن الحكم الرافضي، وهذا كفر يخرج من الملة، لأنه عبادة وثن، وترد عليهم الآية:(ليس كمثله شيء).

يقول ابن القيم[2]:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنـــا ... إن المشبه عابد الأوثـــــان
كلا ولا نخليه عن أوصافـــه ... إن المعطل عابد البهتـــــان
من شبه الله العظيم بخلقـــه ... فهو النسيب لمشرك نصراني
أو عطّل الرحمن عن أوصافـه ... فهو الكفار وليس ذا إيمـــان

**الرأي الثاني:** (رأي المعطلة وهذا رأي الجهمية)[3]: هؤلاء ينفون صفات الله عزوجل، ويزعمون أن الله -سبحانه- لا يسمع ولا يتكلم ولا يبصر، لأن ذلك لا يكون إلا بالجوارح، وهذه الطائفة كافرة خارجة من الملة.

وقد قال السلف:(المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنما).

---

١- أنظر العقائد للأستاذ البنا. مجموعة الرسائل ص (٤٨٩).

٢- أنظر شرح قصيدة ابن القيم (٢/٢١٢)، وكذلك الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ص (٣٦).

٣- نسبة إلى الجهم بن صفوان المقتول سنة (١٢٨هـ) وقد تلقى عن الجعد بن درهم. أنظر العقيدة الواسطية تحقيق مصطفى العالم ص (٢٢).

قال ابن القيم[1]: أصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام:

١ـ تعطيل الصانع عن المصنوع.

٢ـ تعطيل الصانع –سبحانه– عن كماله المقدس: أسمائه وصفاته وأفعاله.

٣ـ تعطيل معاملته عما يجب على العباد من حقيقة التوحيد.

وقال ابن القيم:

كلا ولا نخليه عن أوصافــه        إن المعطل عابد البهتـــان

**القول الثالث:** (مذهب السلف في الصفات وهو إثباتها): وهذا المذهب يمر الصفات كما وردت في القرآن أو السنة، فعند يواجهون مثل آية: (**يد الله فوق أيديهم**) يقولون نثبت لله يداً، نؤمن بهذا، ونصدق به ولا نسأل كيف؟ ولا نعطل.

ولقد لخص الإمام ( الخطابي) هذا المذهب ودلل عليه بعبارة جزلة موجزة رصينة وما أجملها! فنوردها يقول: (مذهب السل إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذ فيه حذوه، ويتبع مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف.

وقد يعبرون عنها بقولهم: تمر كما جاءت ولا يتعرض لها بتأويل، ومرادهم: إنه يجب إثبات الصفات دون التكييف، وقد يظن ، ينسب لهم أنهم أرادوا التفويض، أو أنها من المتشابه، وهذا ظن خاطيء)[2].

ويقول ابن تيمية: (ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف و تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل).

وقال بعضهم: (صفات الرب تعالى معلومة من حيث الجملة والإثبات، غير مدركة من حيث الكيف والتحديد)[3].

وقد روى أبو القاسم اللالكائي في أصول السنة عن محمد بن الحسن –صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما– قال: (اتفق الفقه كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عزوجل من غ تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا و يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا)[4].

وقال أبوحنيفة[5]: وله يد ووجه ونفس، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، و يقال أن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف).

وقال أحمد بن حنبل[6]: في مثل (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا)، ( إن الله يضع قدمه ..).

(نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى، ولا نرد منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق إذا كان بأسانيد صحاح ولا نرد قوله، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدود ولا غاية (**ليس كمثله شيء**).

وقد أفتى الإمام مالك بأن الذي يقول: (**يد الله فوق أيديهم**) ويشير بيده، أو يتلو: (**وهو السميع البصير**) ويشير إلى عينه أ أذنه فإنه يقطع العضو المشار إليه منه، لأنه شبه الله بنفسه.

ويقول فخر الإسلام البزدوي: (إثبات اليد والوجه حق عندنا، لكنه معلوم بأصله، متشابه بوصفه، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز

---

١ـ انظر الروضة الندية/العقيدة الواسطية ص (٣٠).

٢ـ المصدر السابق ص (٢٢).

٣ـ شرح العقيدة الواسطية لمصطفى العالم ص (٢١). التحريف: تغيير النص لفظاً أو معنى.

التكييف: السؤال بصيغة كيف.

التمثيل: اثبات المثل للشيء مساوياً له من كل الوجوه.

التشبيه: إثبات المثل للشيء مساوياً له من بعض الوجوه.

٤ـ رسالة العقائد للبنا، أنظر مجموعة الرسائل ص (٤٨٩).

٥ـ شرح الفقه الاكبر (٣٦).

٦ـ مجموعة الرسائل للبنا (٤٨٩)

عن الوصف بالكيف، وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه، فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على الوجه المعقول فصاروا معطلة).

**القول الرابع:** (مذهب الخلف): وأصحاب هذا المذهب يرون جواز تأويل بعض الصفات تنزيها لله عزوجل، مع أنهم يتفقون مع السلف على أن المراد بالآيات غير ما يتبادر إلى ذهن الإنسان مما يدركه.

قال أبو الفرج بن الجوزي في كتابه (دفع شبه التشبه) قال الله تعالى: **(ويبقى وجه ربك)** قال المفسرون: يبقى ربك، وكذلك قالوا في قوله تعالى: **(يريدون وجهه)** أي يريدونه، وقال الضحاك وأبوعبيدة: **(كل شيء هالك إلاوجهه)** أي إلا هو.

ويرى ابن الجوزي أن الأخذ بظاهر الآيات تشبيه وتجسيم، إذ أن ظاهر اللفظ هو ما وضع له، فلا معنى لليد حقيقة إلا الجارحة، ويقول بأن مذهب السلف هو السكوت عن الآيات وليس أخذها على ظاهرها.

## مذهبنا في عقيدة الصفات وهو مذهب أهل السنة والجماعة:

مذهبنا الذي ندين به هو مذهب السلف: إثبات الصفات العليا والأسماء الحسنى، وتوحيدها دون تأويل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل.

ونرى أن السلف كانوا يثبتون الصفات ولا يفوضون فيها.

ونرى أن السلف لا يعتبرون الاسماء والصفات من المتشابه، بل كانوا يعلمون معناها، ولكنهم لا يسألون كيف، لأن الكيف مجهول، فنحن نقول كما قال الإمام مالك:

(الإستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) وكذلك النزول، ولا نقول الإستواء هو الهيمنة، ونقول كذلك: لله يد ليست كأيدينا، ولا نقول يده قدرته.

**ونقول:** إن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم.

ولا نقول (إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم).

ونقول: إن مذهب السلف هو مذهب أهل السنة والجماعة **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)**.

**أما الخلف:** الذين يؤولون كالأشعرية فهم من أهل السنة والجماعة إلا في تأويل الصفات، فهم ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة.

ونحن نعتقد أن الأشاعرة ليسوا كفارا خارجين من الملة بتأويلهم، ولكنهم مخطئون سيما إذا علمنا أن كثيرا من علماء المسلمين عبر التاريخ كانوا يؤولون، وبينهم مجموعة كبيرة من أعلام الحديث الشريف والتفسير والفقه.

وقد كان الدافع لهم بالتأويل هو تنزيهه عزوجل، فنرجو الله أن يثبتنا على الحق، وأن يغفر لأهل الزلل والإنحراف **(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب)**.

وقد رجع إلى مذهب السلف كثير من الصادقين، منهم أبو الحسن الأشعري (٣٢٠ هـ) الذي كان من قادة المعتزلة، ثم رجع وألف أكثر من ثلاثمائة كتاب في الرد على المعتزلة.

وقد بين عقيدته في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) و (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين).

يقول الأشعري[1]: وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عندالله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئاً ... وأن لله وجهاً كما قال: **(ويبقى وجه ربك)** وأن له يدين بلا كيف كما قال: **(خلقت بيدي)**، **(بل يداه مبسوطتان)** وأن له عينين بلا كيف كما قال: **(تجري بأعيننا)**.

---

١ـ الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ص (٩).

## الفصل الخامس

# الرضا بحكم الله هو الركن الركين في العقيدة

### شروط العبودية الأول: التحاكم إلى شريعة الله.

إن الحالة التي تردّت إليها البشرية، والدرك الذي انتكست فيه الفطرة الإنسانية، والفساد الذي ظهر في البر والبحر بما كسب أيدي الناس .. كل ذلك بسبب الخروج عن قاعدة التحاكم إلى كتاب الله .

الإحتكام إلى الكتاب الذي يملك العلاج الوحيد لما تعانيه البشرية، ليس نافلة، ولا تطوعاً، إنما هو الإيمان، ولا إيمان مع غيابه جاء في محكم لتنزيل:

**(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)** (النساء: ٦٥)

هذه الآية الكريمة تمثل القاعدة الكبرى في هذا الدين، هذه القاعدة التي لا يكون بدونها إيمان، ولا إسلام، وهي قضية المسلم الكبرى يوم أن تنزل هذا القرآن، وهي قضيته الأساسية والكبرى كذلك في كل زمان، وهي قضية العصر الراهنة التي يجب أن تشغل اهتمام كل مسلم.

إن التحاكم إلى الكتاب والسنة هو الإسلام فحسب، ولذا فلقد جاءت هذه الآية بهذا القسم المزلزل الذي ترتعش حياله الأوصال وترتجف عند سماعه الجبال، وهذه الحقيقة بديهية من المفروض ألا تغيب عن بال بشر، وذلك لأننا عبيد لله، نعيش في ملك الله.

نحن خلق من خلقه، ولذا يجب أن ينفذ فينا شرعه، ويطبق علينا حكمه، وإلا فهو تمرد على خالق الأرض والإنسان، وهو تصرف بغير إذن المالك، بل مناوأة للسيد في ملكه وحكمه وعبيده، ومن ثم تصبح القضية خروجاً وفسوقاً وكفراً بمالك الملك الذي يتصرف في ملكه كما يشاء:

**(لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)** (الأنبياء: ٢٣)

فدين الله هو :أوامره ونواهيه، وهي في جوانب العقيدة، كما أنها تتمثل في إقامة الشعائر -بالعبادات وغيرها-، وأخيراً فهي تكون في جانب الشرائع والقوانين، وهذه الجوانب كلها متكاملة إذا غاب أي جزء من هذه الأجزاء فقد تخلف هذا الدين عن الوجود لأن الإسلام كالجهاز المتناسق الذي يتوقف إذا رفع منه أي جزء أو أضيف إليه جزء غريب على كيانه.

ولله المثل الأعلى، فدينه الذي كمل على صورته النهائية بالشريعة التي تنزلت على محمد ﷺ لا يتعايش مع أي منهج من صنع البشر، ولا يقبل أي دم غريب عليه، فإن أخذ به البشر على شكل منهاج كامل ورضوا أن يتحاكموا إليه مطمئنين راضين، فهم داخلون في إطاره ويعدون داخلين في دائرته، وإن هم تمردوا عن إطاعة أية جزئية منه -مهما كان سبب التمرد- فهم خارجون عليه، باغون في الأرض بغير الحق، يريدون أن يشاركوا الله في ألوهيته وفي تصرفه في ملكه وعبيده، فهم مشركون بالله بهذه الإعتبار.

### والآن لنرجع إلى هذه الآية من الناحية الأصولية:

إن ظاهر هذه الآية يدل: على أنه من لم يتحاكم إلى شريعة الله راضياً مستسلماً فليس بمؤمن، ولم ترد هنالك أدلة أقوى أو تساوي هذا الدليل، بل لم ترد أدلة دونه في الدلالة والإثبات تستطيع أن تخرج هذا المعنى الظاهر عن ظاهره.

يقول ابن حزم: (هذا نص لا يحتمل تأويلاً، ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلاً، ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الإيمان[1]).

ولقد نقل الشيخ ابن حجر عن بعض العلماء في معنى قوله: (لا يؤمنون) أي لا يستكملون الإيمان[2] وهذا القول مردود من عدة نواح:

---

١ـ الملل والنحل لابن حزم (١٧/٤).

٢ـ أنظر الدر النضيد من أقوال الحفيد (١٦٤).

١- فهو مردود من ناحية اللغة: إذ أن (النعت لا يثبت بدون المصدر)[1] كما يقول القاضي أبو زيد الدبوسي في التقويم، إذ لو كانت الآية: (**فلا وربك لا يؤمنون إيماناً حتى يحكموك ..**) لجاز أن يثبت النعت وتقدر عندها ( كاملاً)، أما وقد غاب المصدر فإن الوصف لا يثبت على رأي الدبوسي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو ترك للمعنى الظاهر بلا مبرر، ولا ضرورة لتقدير مضمرات، وترك ظاهر اللغة إلى التأويل بلا قرينة ترجحه غير جائز.

٢- وهو مردود من الناحية الأصولية والفقهية: فالمفعول المضمر عند الحنفية من قبيل المقتضى الذي ثبت لضرورة صدق الكلام، والعموم هو زيادة عن الضرورة فلا يثبت، وإذا انتفى العموم انتفى التخصيص، لأن تخصيص ما ليس فيه عموم محال، ولذا لو قال: « إن أكلت فامرأتي طالق» ثم قال نويت طعاماً خاصاً، فإنه لا يصدق ديانة ولا قضاء عند الحنفية بخلاف المتكلمين[2].

وذكرنا أنه لو قال لامرأته (أنت طالق) ونوى ثلاثاً فلا تصح نيته عند الحنفية وتقع طلقة واحدة -رجعية- بينما تصح النية عند الشافعي[3].

وعلى هذا فالحنفية لا يجيزون تقدير الصفة في هذا الآية.

جاء في فتح القدير للكمال بن الهمام : (فيمن حلف لا يغتسل أولا ينكح، وعنى من جنابة امرأة دون امرأة لا يصدق أصلاً)[4] وأظن أن الرأي الظني لا يقوي على تخصيص النص، ولذا فلقد قال الفخر الرازي الشافعي عند هذه الآية: (ظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس، لأنه يدل على أنه يجب متابعة قوله وحكمه على الإطلاق، وأنه لا يجوز العدول منه إلى غيره، ومثل هذه المبالغة المذكورة في هذه الآية، قلما يوجد في شيء من التكاليف، وذلك يوجب تقديم عموم القرآن والخبر على حكم القياس)[5]

٣- وهو مردود من جهة سياق الآية: لأن الأخذ بالمعنى (الإيمان الكامل) يبتر النص ويشوهه، إذ أن الحشد الكبير من الآيات قبل الآية تؤكد معنى الآية الواضح، وهو أنه: إما تحاكم إلى شريعة الله ورسوله فهنا إيمان وإسلام، وإلا فلا إيمان ولا إسلام.

فقد ابتدأ السياق بآية تحدد شرط الإسلام وحد الإيمان، ابتدأ بآية:

(**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**). (النساء:٥٩)

يقول ابن كثير عند هذه الآية : (فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر )[6].

أرأيت كلام ابن كثير؟ إنه يعتبر أن عدم التحاكم إلى شريعة الله خروج عن الإيمان مهما ادعى بعد ذلك مدع أنه مؤمن.

ولذا جاءت الآية التالية تقطع وتحسم هذا الأمر لتقول:

(**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا**)

(النساء: ٦٠-٦١)

وإذن فالزعم في أمر هذا الإيمان لا يكفي، ولذا فالتحاكم إلى الطاغوت[7] أي غير شرع الله- ليس إيماناً بل هو ضلال بعيد، ثم بين الله سبحانه أن علامة النفاق هو عدم التحاكم إلى شريعة الله والصد عنها، ثم ذكر الله عزوجل أن الرسل ما أرسلوا إلا ليطاعوا وليسوا فقط للبلاغ: (**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**).

---

١- تقويم الأدلة للدبوسي (٤٣٧).

٢- المتكلمون في الأصول هم: ما عدا الحنفية.

٣- أنظر هذه المسألة في الشامل -البربوي (٤:٦٠)- وكذلك تقويم الأدلة للدبوسي (٢٤٧) مخطوطان في دار الكتب المصرية، وأنظر كذلك الأسنوي مع الإبهاج المنهاج (٢: ٦٦) والأسنوي والبدخشي المنهاج (٢: ٧٣) وفصول البدائع (٢: ١٨٣-١٨٥).

٤- أنظر الوصول إلى قواعد الأصول (٥٤) مخطوط في دار الكتب المصرية

٥- تفسير مفاتيح الغيب للرازي (٣:٥٦٣)

٦- تفسير ابن كثير (١/٥١٨) وكذلك تفسير القاسمي (٤/١٣١).

٧- يقول ابن القيم في اعلام الموقعين ١/٥٢: ثم أخبر سبحانه من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه، والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله..أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله

ويأتي الآية أخيراً: (فلا وربك لا يؤمنون) في مكانها الطبيعي لتركز هذا الأمر في النفوس ولتقطع أي تساؤل بهذا الوضوح وبهذه النصاعة والقوة.

.والآن دعنا نقف لننظر خطورة هذه القضية في حياة البشرية.

إن الحالة لتي تردت إليها البشرية، والدرك الذي انتكست فيه الفطرة الإنسانية، والفساد الذي ظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، والشقاء والنكد الذي مزق النفوس في كل مكان على وجه هذه الأرض راجع كله إلى سبب واحد: هو الخروج عن هذه القاعدة الأساسية في سعادة البشرية وهي قاعدة التحاكم إلى كتاب الله، ورد مقاليد الأمور إلى صاحبها الحقيقي سبحانه:

(له مقاليد السموات والأرض) (الشورى:١٢)

فالإحتكام إلى الكتاب -الذي يملك العلاج الوحيد لما تعانيه البشرية- ليس نافلة ولا تطوعاً، إنما هو الإيمان، ولا إسلام ولا إيمان بدونه، ولا إسلام مع غيابه:

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينا) (الأحزاب:٣٦)

(ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) (النور:٤٧)

والآيات في هذا الموضوع متوافرة.

## الفصل السادس

# رفض الشريعة خروج من الملة

### عبودية الإنسان لخالقه

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم).

بينت آنفاً خطورة قضية التحاكم في حياة البشرية، وتنسمنا بعض النفحات من الشذى الطيب ونحن نتفيأ ظلال هذه الآية، وبينت قول ابن حزم بأن هذه الآية على عمومها، وبأنها نص لا يحتمل تأويلا ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلاً، ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الإيمان.

كذلك فإني رددت على قول بعض العلماء بأن المعنى: لا يستكملون الإيمان، وجماع الأمر في هذه القضية: إنه ليس لأحد مع الله ورسوله قول، وكل كتب الأصول تفتتح أولى صفحاتها بإجماع الأصوليين والأئمة القائل: (أجمع المسلمون على أن الله هو الحاكم وحده»، وهذا الذي صرح به القرآن بأكثر من آية قطعية الدلالة، (إن الحكم إلا لله) فقد وردت هذه الآية بهذا اللفظ الذي يحصر ويقصر الحكم بيد الواحد القهار مرتين في سورة يوسف.

ويقول الشافعي: (أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس)[1].

ولقد عاش ابن كثير -المفسر المؤرخ المحدث- أول محنة لمحاولة تنحية كتاب الله عن توجيه الأمة المسلمة لاستبداله بقانون جنكيز خان الذي أسماه « الياسا أو الياسق» -أي السياسات الملكية-، فاطلق كلمته صريحة مدوية قائلاً: (فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا، وقدمها عليه؟! لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين)[2].

وقد بين رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم كيف كانت عبادة اليهود والنصارى للأحبار والرهبان، فقد دخل عدي عليه ﷺ وهو يتلو هذه الآية:

---

١- مفتاح الجنة، الإحتجاج بالسنة للسيوطي ص (٢٤).

٢ـ البداية والنهاية لابن كثير (١٣/١١٨-١١٩) وكذلك أنظر عمدة التفسير لأحمد شاكر (٤/١٧٣).

**(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم)** (التوبة:٣١)

فقال: يا رسول الله، ما عبدوهم، فقال ﷺ : **(بلى ؛ إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم)**[1].

وعلى هذا فالتحاكم إلى كلام البشر عن رضى وطواعية هو خلع لربقة الإسلام من الأعناق، فكل من رضي بترك كلام الله وبتحكيم كلام غيره، أو تقديم كلام أي بشر على القرآن والسنة فلا حظ له في دين الإسلام، وهذا هو الكفر بعينه لا غبش فيه ولا لبس ولا خفاء.

فالله هو الحاكم، كتابه هو المهيمن، والناس ليس لهم أية وظيفة مع القرآن والسنة سوى التطبيق والتنفيذ، **(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)**[2] فالله هو الحاكم بكتابه في اختلافات الناس كما جاء في تفسير الجلالين، وأن سبب نزول الآية يؤيد ما نراه من أن من لم يحكم بدين الله أو لم يتحاكم إلى شريعة الله فليس مؤمناً، ومن لم يرض بحكم الله ورسوله فليس بمسلم وإن كان يقيم الشعائر التعبدية.

يروي البخاري بإسناده عن عُروة قال: **[خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريج[3] من الحرة، فقال النبي ﷺ: إسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلوّنَ وجهه ثم قال : إسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر[4]. ثم أرسل الماء إلى جارك واستدعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه[5] الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)]**.

وإذا كان الرجل من الأنصار فهو يقيم الشعائر ولو ظاهراً، ومع ذلك فالآية نفت عنه الإيمان.

وفيما يلي نورد أقوال بعض المفسرين حول هذه القاعدة العظيمة -التحاكم إلى الله ورسوله-.

قال القاضي:[6] يجب أن يكون التحاكم إلى الطاغوت كالكفر، وعدم الرضا بحكم محمد ﷺ كفر، ويدل عليه من وجوه:

الأول: أنه تعالى قال: **(يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)**، فجعل التحاكم إلى الطاغوت يكون إيماناً به، ولا شك أن الإيمان بالطاغوت كفر بالله كما أن الكفر بالطاغوت إيمان الله.

الثاني: قوله تعالى: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم .. إلى قوله: ويسلموا تسليماً)** وهذا نص في تكفير من لم يرض بحكم الرسول ﷺ .

الثالث: قوله تعالى: **(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)**، وهذا يدل على أن مخالفته معصية عظيمة، وفي هذه الآيات دلائل على أن من رد شيئاً من أوامر الله أو أوامر الرسول ﷺ فهو خارج عن الإسلام، سواء رده من جهة الشك أو من جهة التمرد، وذلك يوجب صحة ما ذهبت الصحابة إليه من الحكم بارتداد مانعي الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم[7] وقال القاسمي: « وقال بعض المفسرين: في هذه الآية وجوب الرضا بقضاء الله سبحانه والرضا بما شرعه، وتدل على أنه لا يجوز التحاكم إلى غير شريعة الإسلام».

قال الحاكم: (وتدل على أنه من لم يرض بحكمه كفر، وما ورد من فعل عمر وقتله المنافق يدل على أن دمه هدر)[8] .

وها هنا فرع، وهو أن يقال: إذا تحاكم رجلان في أمر، فرضي أحدهما بحكم المسلمين وأبى الثاني وطلب المحاكمة إلى حاكم الملاحدة فإنه يكفر، لأن في ذلك رضا بشعار الكفرة[9].

---

١ـ رواه الترمذي، أنظر تفسير ابن كثير (١٧١/٢).

٢ـ أنظر فتح الباري ٣٢٣/٩ وكذلك مفاتح الغيب للرازي (٢٥٣/٣).

٣ـ مسيل الماء من الحرة إلى السهل، النهاية (٤٥٦/٢).

٤ـ قال السهيلي الجدر الحاجز يحبس الماء وجمعه جدور، المصباح المنير (١٢٧) وقال ابن الأثير في النهاية: هو ها هنا المسناة وهو ما رفع حول المزرعة كالجدار وقيل هو الجدار، النهاية (٢٤٦/١)

٥ـ أحفظه: أغضبه.

٦ – القاضي هو أبو يعلى الحنبلي

٧ـ أنظر تفسير القاسمي (١٣٥٥/٥) وكذلك مفاتيح الغيب للرازي (٢٥٣/٢).

٨ـ تفسير القاسمي (١٣٥٥/٥)، لا قصاص فيه ولا دية).

٩ـ أنظر تفسير القاسمي (١٣٥٥/٥).

وعلى هذا فكل من رضي بالقوانين الأرضية وبالشرائع القانونية التي شرعوها بغير إذن من الله، بل هي مصادمة للنصوص القرآنية والنبوية، أقول: كل من رضي بها أو تحاكم إليها غير مكروه، أو تدخل في تقنينها أو إقرارها أو تنفيذها راضياً فهو ممن ينسحب عليهم حكم الآية، ويخرج بهذا العمل من دائرة الإيمان، سيما وأن البخاري يروي أنها نزلت في رجل من الأنصار، وهو قطعاً يقيم الشعائر ويعلن إسلامه، ومع ذلك فقد كان القسم رهيباً وجازماً في أن هذا الذي لا يتحاكم إلى شرع الله ورسوله ليس مؤمناً[1].

ويقول سيد قطب عند هذه الآية: (وأخيراً يجيء ذلك الإيقاع الحاسم الجازم، إذ يقسم الله سبحانه بذاته العلية أنه لا يؤمن مؤمن حتى يُحكِّم رسول الله ﷺ في أمره كله، ثم يمضي راضياً حكمه مسلماً بقضائه، ليس في صدره حرج منه، ولا في نفسه تلجلج في قبوله: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)**.

ومرة أخرى تجدنا أمام شرط الإيمان وحد الإسلام، يقرره الله سبحانه وتعالى بنفسه ويقسم عليه بذاته، فلا يبقى بعد ذلك قول لقائل في تحديد شرط الإيمان وحد الإسلام، ولا تأويل لمؤول، اللهم إلا مماحكة لا تستحق الإحترام، وهي أن هذا القول مرهون بزمان، وموقوف على طائفة من الناس، وهذا قول من لا يدرك من الإسلام شيئاً، ولا يفقه من التعبير القرآني قليلاً ولا كثيراً، فهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام، جاءت في صورة قسم مؤكد، مطلقة من كل قيد، وليس هناك مجال للوهم أو الإيهام بأن تحكيم رسول الله ﷺ و تحكيم شخصه، إنما هو تحكيم شريعته ومنهجه، وإلا لم يبق لشريعة الله وسنة رسوله ﷺ مكان بعد وفاته، وذلك قول أشد المرتدين ارتداداً على عهد أبي بكر رضي الله عنه، وهو الذي قاتلهم عليهم قتال المرتدين، بل قاتلهم على ما دونه بكثير، وهو مجرد عدم الطاعة لله ورسوله في حكم الزكاة، وعدم قبول حكم رسول الله ﷺ فيها بعد الوفاة.

وإذا كان يكفي لإثبات (الإسلام) أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله، فإنه لا يكفي في (الإيمان) هذا ما لم يصحبه الرضا النفسي والقبول القلبي وإسلام القلب والجنان في اطمئنان.

هذا هو الإسلام .. وهذا هو الإيمان .. فلتنظر نفس أين هي من الإسلام وأين هي من الإيمان .. قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان[2].

وبعد أن نقلنا الكثير من أراء المفسرين حول هذه الآية التي يكمن في طاعتها الحل الوحيد لمشاكل البشرية، لا يبقى بعدها قول لقائل أن هذا عموم قد يدخله التخصيص -من أن الإيمان ليس على عمومه بل الإيمان الكامل هو المقصود- فالتخصيص الذي يمكن أن يدعيه المدعون لا بد له من دليل يسنده حتى يستطيع إخراج الآية من ظاهرها، وهو العموم إلى الخصوص، إذ أن تأويل الظاهر لا بد له من دليل أقوى من قوة الظاهر .. وأما القياس فلا يستطيع إخراج هذه الآية عن عمومها .. ولقد سبق ونقلنا قول الرازي: (ظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس، لأنه يدل على أنه يجب متابعة قوله وحكمه على الإطلاق)[3] ويقول الفخر كذلك (.. قسم من الله تعالى على أنهم لا يصيرون موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط، أولها: حتى يحكموك فيما شجر بينهم)[4] وحسبنا أننا وقفنا بجانب ظاهر الآية ومع عمومها القوي الذي لا يقوى القياس على تخصيصه، ويدعمنا في كل هذا سبب نزول الآية وسياقها بين الايات التي حشدت لتركيز مفهوم الحاكمية، وكذلك أقوال المفسرين.

والآن لنلتفت حولنا لنرى العجب العجاب في هذه الأرض التي كانت تحكم بالإسلام، ولنرى أبناءها في غالبيتهم العظمى بين اثنين:

أحدهما: رجل يتحاكم إلى الطاغوت وقد ترك التحاكم إلى الشرع الرباني، وهو لا يعي حقيقة هذه المصيبة الطامة التي يخرج بها المرء من دين الله، والثاني: إنسان يتحاكم إلى الطاغوت، ولكنه أعلن عداءه لهذا الدين، وإن كانت تشهد له شهادة الولادة والأرض أنه من المسلمين.

وهذا الامر قد تسلل إلى المسلمين في غفلة منهم، وفي غيبة الحكم الإسلامي والإمام المسلم، بعد أن فعل يهود الدونمة في سلانيك فعلتهم في إسقاط الخليفة -السلطان عبد الحميد-، وتم هذا بتنظيم رهيب اشتركت فيه الجمعيات السرية اليهودية، وقد رفعت

---

١- قد يقول قائل: لماذا لم يقتل الرسول ﷺ هذا الأنصاري؟ فالجواب: إما أن يكون منافقاً فيقبل ظاهره، أو جاهلاً فيعذر بجهله.

٢- في ظلال القرآن سيد قطب (١٣٠/٥).

٣- مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٥٢/٣).

٤- مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢٥٢/٣.

رايات وشارات وعناوين مختلفة، ماسونية، وجمعية تركيا الفتاة، وجمعية الإتحاد والترقي، وقد أوقعت في شباكها كثيراً ممن ينتمون إلى هذا الدين، حتى وقع في حبائلها رجال ممن تقلدوا إمامة الأمة الروحية، وزعامتها الدينية، حتى نال أحد كبار العلماء من الأزهر في تلك الفترة وسام الصدف والبلح من المحفل الماسوني اللبناني، بل أغرب من ذلك لقد أنشيء المحفل الماسوني الأول في مصر على يد رجل يُظَن بأنه داعية إسلامي عظيم، وكان إنشاء المحفل الماسوني الثاني على يد تلميذه[١].

ولقد أصبح الآن واضحاً وضوحاً لا جدال فيه أن الماسونية والصهيونية صنوان، بل توأمان لأم واحدة، وهي اليهودية التي تمسك بيدها خيوط المخطط الذي تريد به إفساد البشرية وهدم الأديان في الأرض، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلقد جازت الحيلة على المسلمين البسطاء، وأصبح الدين الجديد -القانون الوضعي- الذي حل محل دين الله في الأرض قانوناً يدرسه أبناؤنا، وأقيمت الجامعات والمعاهد، وتتصدر هذه الجامعات الكلية التي تدرس (الدين الجديد) وهي كلية الحقوق، ويدخلها الآلاف المؤلفة من أبناء المسلمين يدرسون هذا الدين، ويتخصصون فيه، ويصبحون هم بالتالي سدنته وكهنته وحماته، وبتخطيط عجيب يتسلم هؤلاء إدارة المحاكم وزمام الدولة، وقيادة الأمة والمؤسسات الحيوية في كل بلد كان في يوم ما داراً للإسلام!!

وأصبح هؤلاء هم القضاة والحكام في أحوال الناس ودمائهم وأعراضهم.. وضاع دين الله في الأرض إلا من شعائر يؤديها بعض الباقين على الولاء العاطفي الغامض لهذا الدين[٢].

وبإمكاننا أن نقول: كل من رفض التحاكم إلى شريعة الله، أو فضل أي تشريع على تشريع الله، أو أشرك مع شرع الله شرائع أخرى من وضع البشر وأهوائهم، وكل من رضي أن يستبدل بشرع الله قانوناً آخر فقد خرج من حوزة هذا الدين، وألقى ربقة الإسلام من عنقه، ورضي لنفسه أن يخرج من هذه الملة كافراً.

يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-: (إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك ويتحرجون من هذه ولا يتحرجون من تلك .. إن هؤلاء لا يقرأون القرآن .. ولا يعرفون طبيعة هذا الدين .. فليقرأوا القرآن كما أنزله الله وليأخذوا قول الله بجد: **{وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}**)[٣].

وأجمل ما ننهي به هذا الفصل بكلمة للأستاذ أحمد شاكر إذ يقول عند آية: **{أفحكم الجاهلية يبغون}**. ما يلي:

(أفيجوز لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدين الجديد -أعني التشريع الجديد-؟ أو يجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا الدين واعتقاده والعمل به عالماً أو جاهلاً؟ أو يجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا الياسق العصري؟ إن ولاية القضاء في هذه الحال باطلة بطلاناً أصلياً لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة.

ان الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب إلى الإسلام -كائناً من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها، فليحذر امرؤ لنفسه وكل امرئ حسيب نفسه)[٤].

## الفصل السابع

# تأويلات ترد على آيات التشريع

لقد أخذت الألسنة تردد أن المقصود بالآيات القرآنية التي تجزم بكفر الذين يحكمون بغير ما أنزل الله هو الكفر العملي[٥] وليس إعتقادي الذي يخرج عن الملة، وبعضهم يعلن ببراءة صادقة أن نفي الإيمان عمن لا يتحاكم إلى الكتاب والسنة هو نفي الإيمان الكامل، وبعضهم أغرب أكثر من هذا فقال: بأن المسلمين ليسوا مقصودين بهذه الآيات!! فلا بد من الرد عليهم وإيضاح الحقيقة، وحتى تتضح الحقيقة نرى أن من الضروري إيراد بعض المبادئ الأولية الأساسية التي يغفل عنها الكثير ممن يتكلمون في أمر هذا الدين أو يتعامون عنها.

---

١- الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر لمحمد حسين، أستاذ الأدب العربي في جامعة الإسكندرية.

٢- راجع هذا الأمر في عمدة التفسير لأحمد شاكر.

٣- في ظلال القرآن جـ (٨) ص (٥٦).

٤- عمدة التفسير لأحمد شاكر (٤/٧٤).

١ـ **الحقيقة الأولى:** إن اعتبار كلام علية الصحابة كأبي بكر وعمر مساوياً في بلاغته للقرآن الكريم كفر صريح يخرج من الملة كما أجمع على هذا أهل القبلة جميعاً، فكيف إذا نسبت مساواة البلاغة في المعاني أو اللفظ لنابليون وكابيتان وجوسران أو جوستنيان، حيث توضع قوانينهم في مصاف شريعة الله التي ارتضاها دينا للبشرية، بل تُقدم هذه القوانين الوثنية الأرضية على دين رب العالمين.

يقول ابن عباس[1]: **[يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر].**

وقال أحمد بن حنبل[2]: عجبت لقوم عرفوا الأسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول:

**(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** (النور:٦٣)

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة-الشرك، لعله إذا رد بعض قوله يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

٢ـ **الحقيقة الثانية:** إن إنكار معلوم من الدين بالضرورة كفر يخرج من الملة[3] فمن ادعى أن صلاة العصر ثلاث ركعات فهو كافر خارج من الإسلام .. ومن رأى أن فريضة الصيام سيان وقعت في رمضان أو شوال فهي جائزة مسقطة للفرض فهو كافر خارج من الإسلام.

والذي يرى أن عقوبة السارق سواء كانت بقطع اليد أو السجن فهذا لا بأس به فهو كافر خارج من الإسلام، فكيف إذا رأوا أن القطع وحشية وهمجية؟؟؟ كما أعلن هذا مقرر مجلس الأمة المصري.

٣ـ **تحليل الحرام وتحريم الحلال في أية جزئية كفر يخرج من الإسلام.** يقول ابن تيمية: (من ادعى حل النظرة فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع).

وقد ذكر البرقاوي في حديث صحيح عن ابن عباس: [لما قدم الجارود من البحرين قال: يا أمير المؤمنين إن قدامة بن مظعون قد شرب مسكراً وإني إذا رأيت حقاً من حقوق الله حق عليّ أن أرفعه إليك، فقال عمر: من يشهد على ما تقول؟ فقال: أبو هريرة، فدعا عمر أبا هريرة فقال: علام تشهد يا أبا هريرة؟ فقال: لم أره حين شرب، ورأيته سكران يقيء، فقال عمر: لقد تنطعت في الشهادة، ثم كتب عمر إلى قدامة وهو بالبحرين يأمره بالقدوم عليه، فلما قدم قدامة والجارود بالمدينة كلم الجارود عمر فقال: أقم على هذا كتاب الله، فقال عمر للجارود: أشهيد أنت أم خصم؟ فقال الجارود: أنا شهيد، قال: قد كنت أديت الشهادة، ثم قال لعمر: إني أنشدك الله! فقال عمر: أما والله لتملكن لسانك أو لأسوأنك، فقال الجارود: أما والله ما ذلك بالحق، أن يشرب ابن عمك وتسوءني، فأوعده عمر، فقال أبو هريرة وهو جالس: يا أمير المؤمنين، إن كنت في شك من شهادتنا فسل بنت الوليد امرأة ابن مظعون، فأرسل عمر إلى هند ينشدها بالله فأقامت هند على زوجها الشهادة، فقال عمر: إني جالدك، فقال قدامة: والله لو شربت -كما يقولون- ما كان لك أن تجلدني يا عمر، قال: ولم يا قدامة؟ قال: لأن الله سبحانه يقول:

**(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين)** (المائدة:٩٣)

فقال عمر: أخطأت التأويل يا قدامة، إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله.

ثم أقبل على القوم فقال: ما ترون في جلد قدامة؟ فقال القوم: لا نرى أن تجلده ما دام وجعاً، فسكت عمر عن جلده، ثم أصبح يوماً فقال لأصحابه: ما ترون في جلد قدامة؟ فقال القوم: لا نرى أن تجلده ما دام وجعاً، فقال عمر: إنه والله لأن يلقى الله تحت السوط أحب إليّ أن ألقى الله وهو في عنقي! والله لأجلدنه، ائتوني بسوط، فجاءه مولاه أسلم بسوط رقيق صغير، فأخذه عمر فمسحه بيده ثم قال لأسلم: أخذتك دقرارة أهلك (باطل أهلك) ائتوني بسوط غير هذا، قال: فجاءه أسلم بسوط ثان، فأمر عمر بقدامة فجلد، فغاضب عمر قدامة وهجره، فحج وقدامة مهاجر لعمر (مقاطع لعمر)، حتى قفلوا عن حجهم ونزل عمر بالسقيا[4] ونام بها، فلما استيقظ عمر قال: عجلوا عليّ بقدامة، انطلقوا فائتوني به، فوالله لأرى في النوم أنه جاءني آت فقال: سالم قدامة فإنه أخوك، فلما جاءوا قدامة أبى

---

١ ،٢ـ أنظر إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد للشيخ حمد بن علي بن عتيق، وكذلك أنظر كتاب فتح المجيد شرح التوحيد، ص (٣٨٥).

٣ـ المعلوم من الدين بالضرورة الذي يعرفه الناس ولا يختلفون عليه، كالصلوات الخمس، وصوم رمضان، وصلاة العصر أربع ركعات، والطهارة للصلاة.

٤ـ السقيا: مكان بين المدينة ووادي الصفراء.

أن يأتيه، فأمر عمر بقدامة أن يجر إليه جراً حتى كلمه عمر واستغفر له[١].

ويروى عن علي رضي الله عنه أن قوماً شربوا بالشام وقالوا: هي لنا حلال، وتأولوا هذه الآية، فأجمع علي وعمر على أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا قتلوا، (ذكره الكيا الطبري).

ومحل شاهدنا هنا أن قدامة لم يقتل لأنه تأول الآية خطأ كما قال له عمر: (أخطأت التأويل يا قدامة» ولم يقل إن الخمر حلال، وإن كان قد جاء في بعض الروايات أن علياً رضي الله عنه قال لعمر: اسأل قدامة فإن كان يستحل الخمر فإنه يقتل مرتداً وإلا فإنه يجلد، وهي نفس الرواية الواردة آنفاً عن قوم من الشام.

فمن استحل الحرام فإنه يرتد فيستتاب أولاً، وإن أقر يقتل مرتداً، هكذا أجمع عمر وعلي بحضور الصحابة ولم يعرف لهما مخالف.

أما المخطيء في التأويل، فإنه يفهم بقول أبي بكر بن العربي[٢] بعد قصة قدامة « فهذا تأويل فاسد، وقد خفي الأمر على قدامة وعرفه من وفقه الله له كعمر وابن عباس).

فحق التحليل والتحريم والتشريع خالص لله -عز وجل-، فمن نازعه فيه هذا الحق فإنه يخرج من عبوديته لله عزوجل ويخلع ربقة الإسلام من عنقه.

**(قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون)** (يونس:٥٩)

**٤ـ الإستهزاء بآية من القرآن أو بالسنة أو بجزء ثابت من السنة يخرج من الإسلام.**

**(ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن تعف عن طائفة منكم تعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين)** (التوبة:٦٥-٦٦)

فقد نص القرآن على كفر الذين يستهزئون بالقرآن أو بالسنة.. وعليه يكفر من وصف دين الله بالرجعية، أو الجمود، أو التقوقع أو قال عنها شريعة الغاب.

لأنه بهذا العمل ينصب نفسه إلهاً يحكم على شرع رب العالمين وينتقده، وعلى هذا يكفر[٣] البعثيون والشيوعيون والقوميون، لأنهم يصفون الإسلام بالرجعية والجمود.

٥ـ اعتبار الإسلام غير صالح لكل زمان ومكان كفر يخرج من الملة، وعليه يكفر البعثيون والشيوعيون الذين يرون أن الإسلام غير قادر على إدارة المجتمعات المعاصرة، ولا يستطيع مواكبة الأمم في تطورها، أو يعتبرون نظامه الإقتصادي قاصر عن إغناء المجتمع وإثرائه وتقديم متطلباته، فيقولون: نأخذ بالنظرية الماركسية أو الاشتراكية العلمية في دنيا الإقتصاد، وهذا لا يتعارض مع الإسلام ولا يصطدم مع الإيمان، ولا يعلمون أن هذا العمل اتهام لرب العالمين أن ماركس استطاع أن يصنع نظاماً اقتصادياً خيراً من نظامك، وهذا لا يقول به أحد ويبقى في دين الله لحظة، بل يخرج فوراً من دين رب العالمين.

**والآن دعنا نعرض للتأويلات التي أوردها بعض العلماء، لقد تعتبرا الآيات بأربع تأويلات:**

**١ـ الأولى:** اعتبار الإيمان الوارد في الآية: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ..)** هو الإيمان الكامل، أي أن الآية لا تنفي الإيمان مطلقاً عمن لا يحكمون شرع رسول ﷺ، بل تنفي الإيمان الكامل، أي لا يكون إيمانه كاملاً. وقد تعقبنا هذا القول ورددنا عليه لغوياً وأصولياً ومن خلال السياق القرآني.

**٢ـ الثانية:** قولهم في الآية: **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** كفر لا يخرج من الملة، وكفر دون كفر.

**٣ـ الثالثة:** الحكم بالكفر على من جحد أو فعل الحرام معتقداً ومستحلاً، وأما غيره فلا يكفر.

**٤ـ الرابعة:** قولهم في آيات الحكم: **( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .. الظالمون .. الفاسقون)** أنها نزلت في

---

١ـ أنظر تفسير القرطبي جـ(٦) ص (٢٩٨-٢٩٩)، وانظر أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (٦٥٩/٢). (وقال ابن العربي روى البخاري عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة) (٦٥٩/٢).

٢ـ أحكام القرآن لابن العربي (٦٦١/٢)

٣ـ الكفر هنا كفر يخرج من الملة، لأنه كفر اعتقاد وليس كفر عمل.

أهل الكتاب.

ونرجو الله عزوجل أن يلهمنا الحق وأن يعيننا على بيانه واتباعه وإيضاح وجهات النظر (الثانية والثالثة والرابعة).

## التأويل القائل: كفر دون كفر.

يستند الذاهبون إلى هذا التأويل على قول ابن عباس وتلاميذه، ومن هذه النصوص:

١ـ عن طاووس عن ابن عباس[1] {إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون)** كفر دون كفر.

٢ـ وقال ابن عباس: هي به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر.

٣ـ قال عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

٤ـ قال طاووس: ليس بكفر ينقل عن الملة[2].

## الرد على هذا الإستدلال:

نحن لا نرد على ابن عباس –فمعاذ الله– أن نسيء الأدب مع أصحاب رسول الله ﷺ أو أن نقدم بين أيديهم، وإنما هو توضيح لمن استدل برأي ابن عباس –رضي الله عنهما، فالذي أراه– وبالله التوفيق–:

١ـ لم يكن في ذهن ابن عباس –رضي الله عنه– صورة مسلم يقول (لا إله إلا الله) بحق ثم يرضى أن يسوي كلام رب العالمين بكلام أحد من خلقه فضلا عن أن يقدم كلام كافر على كلام الله، فهذا الشخص لا أظن أن أحدا من الصحابة أو التابعين يشك في كفره، وعندما جاء المنافق إلى عمر يرفع إليه قضية حكم فيها رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، قتله عمر وأهدر رسول الله ﷺ دمه[3] لأن هذه العملية تقديم لحكم عمر على حكم رسول الله ﷺ، وهذا كفر صريح.

٢ـ الصورة التي يتكلم عنها الصحابة رضوان الله عليهم: صورة قاض ارتشى ولم يطبق شرع الله في قضية من القضايا، وليس صورة إنسان يبدل تشريع الله ويحل محله شرعاً بهواه، والدليل على هذا قول ابن مسعود[4] الذي رواه عنه علقمة والأسود، فقد سألاه عن الرشوة فقال: من السحت، فقالا: أفي الحكم؟ قال: ذاك الكفر، ثم تلا الآية: **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)**، فهذا القاضي لا يقول أحد بكفره كفراً يخرجه من الملة، بل هو كفر دون كفر أو كفر عملي وليس اعتقاديا.

٣ـ لقد كان ابن عباس يعيش قضية الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، ويكفرون خيرة الصحابة، ولذلك لا بد من هذا القول الذي يرد على الخوارج بنظرتهم المتطرفة.

وعليه فلم يكن كلام الصحابة والتابعين في الأمر الذي يحياه المسلمون اليوم، من تغيير جذري في تشريعهم الإسلامي وإحلال آراء وأهواء الكفار مقامه دينا جديداً، يحكم في الأعراض والأموال والدماء.

وأول صورة واضحة شخصت في المجتمع الإسلامي لإحلال قانون مقام دين الله كانت أثناء الغزو التتري، عندما أراد هولاكو أن يطبق الياسا (الياسق) مكان القرآن والسنة، وكان ابن كثير آنذاك يعيش المشكلة، عندما أفتى بها بقول فصل، فعند آية:

**(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)** (المائدة:٥٠)

يقول ابن كثير[5]: (ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات

---

١ـ رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي صحيح: الأثر (٥٣٠٢)، انظر تفسير الطبراني (٣٥٦/١٠) تحقيق أحمد شاكر، وانظر المستدرك (٣١٣/٢)، وانظر تفسير ابن كثير (٦١/٢).

٢ـ أنظر تفسير الطبرى (٣٥٦/١٠) تحقيق أحمد شاكر، وانظر أحكام القرآن لابن العربي (٦٢٥/٢).

٣ـ أنظر تفسير القاسمي (١٢٥٥/٥).

٤ـ أنظر تفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر ٣٥٧/١٠، وتفسير ابن كثير (٦١/٢)، وانظر أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (٦٢٥/٢).

٥ـ تفسير ابن كثير (٦٧/٢).

والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان، الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من أحكام شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يُحكَّم سواه في قليل ولا كثير).

## التأويل الثالث: الكفر بالجحود والإستحلال.

يرى هذا الفريق من العلماء الذين قالوا: إن في الآية إضماراً، ويكون المعنى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله رداً للقرآن وجحداً لقول رسول الله ﷺ فهو كافر.. قاله ابن عباس ومجاهد)[1].

وقال ابن مسعود والحسن: (هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي معتقداً ذلك ومستحلاً له)[2]. قال ابن العربي[3]: (إن حكم بما عنده على أنه من عندالله فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين).

وهذا الفريق يريد أن يقول: ما لم يصرح الذي يعطل شرع الله بكفره، ويقول أنه ترك الشرع جحوداً وإنكاراً فلا يكفر.

الـــــــــرد:

١ ـ إن دعوى الإضمار تحتاج إلى دليل، فلا يجوز الإنتقال من الظاهر إلى المؤول، ولا من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة ترجح هذا الانتقال، فالأصل أن يؤخذ النص على ظاهره حتى يأتي الدليل الذي ينقله.

٢ـ أما ضرورة التصريح باللسان فليس ضرورياً لتكفير صاحب العمل إذا كان العمل لا يحتمل إلا الكفر. فقد اتفق العلماء على تكفير من سجد إلى صنم دون سؤاله عما في قلبه، وكذلك اتفقوا على تكفير من ألقى المصحف في مكان قذر، فإحلال أديان البشر جملة وتفصيلاً مقام دين الله عمل لا يحتمل إلا الكفر، ولا يحتاج :إلى سؤال صاحبه عما إذا كان يستحله أو لا يستحله.

يقول الأستاذ حسن البنا في الأصول العشرين[4]:(لا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض-برأي أو معصية- إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر)[5].

فإقامة قانون نابليون -أو غيره- مقام دين الله، وجعله حكماً فصلاً في السياسة والإجتماع والأعراض والأموال والدماء عمل لا يحتمل تأويلا غير الكفر. ليست القضية اعترافاً بشرع الله ثم بعد ذلك قد يخالف قاض في التطبيق لهوى أو رشوة أو قرابة، وإنما القضية إقصاء لدين الله نهائياً من واقع الحياة، والإعتراف بشرع جديد وفرضه بالحديد والنار على رقاب المسلمين بوجوب طاعته والإذعان له.

٣ـ ولعلك لو تفحصت في الأدلة التي استدلوا بها تستطيع أن ترد على استدلالهم، فاستشهادهم بقول ابن مسعود والحسن[6]: (هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي معتقداً ذلك ومستحلاً له» فجملة (أي معتقدا ذلك ومستحلاً له) ليست من كلام ابن مسعود والحسن، وإنما هي من كلام القرطبي. فسقط الإستدلال بقول ابن مسعود والحسن، بل إن كلام ابن العربي الذي أوردوه شاهدا لهم هو شاهد لنا.. فيقول ابن العربي (إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر)[7].

ولاحظ كلام ابن العربي: فهو تبديل له يوجب الكفر. فالتبديل هو الكفر وليس في مجال التطبيق، والذي يقع الناس اليوم في

---

١ ٢ـ أنظر تفسير القرطبي (جـ ٦/ ١٩٠).
٣ـ أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٦٢٥)
٤ـ مجموعة الرسائل /رسالة التعاليم ص (١١)
٥ـ مجموعة الرسائل الأستاذ البناء ص (١١).
٦ـ تفسير القرطبي (جـ ٦/ ١٩٠)
٧ـ أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٦٢٥)

مصيبته هو التبديل، تبديل دين بدين، وإحلال شريعة مقام شريعة، وإقامة مبدأ ونظام مكان مبدأ الله ونظامه، وهذا يوجب الكفر، كم قال ابن العربي نفسه.

## التأويل الرابع: آيات الحاكمية في أهل الكتاب وليس فينا.

واستدل من ذهب إلى هذا التأويل بالنصوص الآتية:

١ـ عن الضحاك[١]: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .. الظالمون .. الفاسقون)، قال نزلت هذه الآيات في أهل الكتاب.

٢ـ عن أبي صالح[٢]: ليس في أهل الإسلام منها شيء: هي في الكفار.

٣ـ أتى أبا مجلز[٣]: (لاحق بن حميد الشيباني السدوسي» أناس من بني عمرو بني سدوس، فقالوا: يا أبا مجلز، أرأيت قول الله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .. الظالمون .. الفاسقون) أحق هو؟ قال: نعم: فقالوا: يا أبا مجلز، فيحكم هؤلاء بما أنزل إليه، قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون، وإليه يدعون، فإن هم تركوا شيئاً منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنباً، فقالوا: لا والله ولكنك تفرق ( تخاف)، قال: أنتم أولى بهذا مني! لا أرى، وإنكم ترون هذا ولا تحرجون، ولكنها أنزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك.

٤ـ وهذا رأي البراء بن عازب وحذيفة بن اليمان وابن عباس وأبو مجلز وأبو رجاء العطاردي وعكرمة والحسن[٤].

## الرد على هذا الاستدلال:

١ ـ جاء النص عاماً بلفظ (مَن) ولفظ (مَن) اسم الشرط للعموم والقاعدة تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»، فآية السرقة نزلت في سارق رداء صفوان أو سرقة المجن، وآية الملاعنة نزلت في زوجة هلال بن أمية، وآية الظهار نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت.

فإذا أردنا أن نربط كل آية بسببها فإن تطبيق القرآن لا يتعدى الظروف والأشخاص والعصر الذي نزل في!!، ولكن القرآن شرعة الله للبشرية إلى يوم الدين، جاء بألفاظ عامة ونصوص مطلقة حتى تصلح للتطبيق فيما يواجه البشرية من قضايا وما يجد لها من مشكلات.

٢ـ إن دعوى تخصيص هذه الآيات بأهل الكتاب قضية تحتاج إلى دليل راجح، لأن التخصيص خروج عن الظاهر بلا داع ولا مبرر.

٣ـ هنالك أقوال كثيرة للصحابة والتابعين تدل على عموم هذه الآيات:

أ. سأل رجل حذيفة بن اليمان[٥] عن هذه الآيات: قال الرجل: ذلك في بني اسرائيل؟ قال: نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل، إن كانت لهم كل مرة ولكم كل حلوة! كلا والله، لتسلكن طريقهم قدى (قدر) الشراك، وفي رواية (**والذي نفسي بيده حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة**)، أي أن حذيفة رضي الله عنه يستغرب كيف يغيب عن المسلمين الذي يريدون أن يقصروا ويخصصوا هذه الآيات بأهل الكتاب، إن نتيجة تعطيل شريعة الله واحدة وهي الكفر والخروج من الشريعة ذاتها، فليس من العدل أن يحكم المرء بالكفر على اليهود لأنهم عطلوا شريعة التوارة، بينما لا يحكم بنفس الحكم على المسلمين الذين عطلوا شريعة القرآن، فقال: إن كانت لهم كل مرة ولكم كل حلوة)، أي لهم الكفر بنبذ شريعتهم، أما أنتم فلكم الإيمان وإن نبذتم شريعتكم!! (**تلك إذاً قسمة ضيزى**).

ب. عن الشعبي قال: ( الكافرون: في المسلمين) و( الظالمون: في اليهود) و( الفاسقون: في النصارى)[٦] وهذا اختيار ابن عباس وجابر بن زيد وابن أبي زائدة وأبي شبرمة وأبي بكر بن العربي.

جـ. عن الحسن[٧]: نزلت في اليهود وهي علينا واجبة.

---

١، ٢، ٣ـ أنظر تفسير الطبري (١٠/٢٤٦-٢٥٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٦١/٢).

٤ـ تفسير ابن كثير ٦١/٢.

٥ـ أنظر تفسير الطبري (٢٤٦/١٠

٦ـ أنظر تفسير القرطبي (١٩٠/٦) و أحكام القرآن لابن العربي (١٢٥/٢).

٧ـ أنظر الطبري (١٠/٢٤٦-٢٥٠)، تفسير القرطبي(١٩٠/٦) أحكام القرآن لابن العربي (٦٢٥/٢)، تفسير ابن كثير (٦١/٢)

د. عن إبراهيم[١]: نزلت في بني إسرائيل ورضي الله لهذه الأمة.

هـ. قال ابن مسعود والحسن[٢]: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار.

و. قال السُّدّي[٣]: ومن لم يحكم بما أنزلت فتركه عمداً وجار -وهو يعلم- فهو من الكافرين، وعليه فلا يستطيع أحد أن يخصص هذه الآيات بأهل الكتاب، ثم يمضي وكأنها لا تعني المسلمين من قريب أو بعيد.

ولقد علق الأستاذ محمود شاكر[٤] تعليقاً نفيساً على من احتج بهذا الدليل، فقال بعد أن ساق رواية أبي مجلز:

(وإذن فلم يكن سؤالهم -الخوارج «بنو سدوس»- عما احتج به مبتدعة زماننا من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام، ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام.. فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى، وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة -على اختلافهم- في تكفيرالقائل به والداعي إليه.

والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء، وإيثار أحكام غير حكمه..، فإنه لم يحدث في تاريخ الإسلام أن سَنَّ حاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها.. هذه واحدة.

وأخرى: أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله منها فإنه: إما أن يكون حكم بها وهو جاهل، فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة، وإما: أن يكون حكم بها هوى ومعصية، فهذا ذنب تناله التوبة والمغفرة، وإما: أن يكون حكم بها متأولاً حكماً خالف به سائر العلماء، فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأويله من الإقرار بالكتاب والسنة، وإما: أن يكون كما كان في زمن أبي مجلز أو قبله أو بعده، حاكم حكم بقضاء في أمر جاحداً لحكم من أحكام الشريعة أو مؤثراً لأحكام أهل الكفر على حكم الإسلام فذلك لم يكن قط)[٥].

## وبعد هذا نخلص إلى القول:

إن كل من رضي بالقوانين والأحكام التي تصطدم مع شريعة الله (لحظة واحدة) فإنه يخرج من الإسلام في هذه اللحظة، سواء كان هذا الراضي بالأديان الجديدة حاكماً، أو مقنناً (مشرعاً)، أو مستشاراً، أو قاضياً، أو من عامة الناس.

أما غير هؤلاء الراضين فحكم الذين يعملون بهذه الأحكام الأرضية أو يتحاكمون إليها فنرجو الله أن يلهمنا بقول الحق والصواب، والذي استقرت عليه نفسي واطمأن إليه قلبي أن الناس أمام هذه الأديان الجديدة فئات:

**١ـ الحاكم الذي يأمر باستبدال دين الله وإحلال قوانين الكفر مكانه يخرج من الملة بهذا العمل،** لأنه يفضل ويؤثر ويقدم كلام البشر على كلام الله، ويرى أن قانون الكفر هذا أفضل للمجتمع من قانون الله، وهؤلاء يقول الله فيهم:

**(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً)** (المائدة:٦٠)

فإيمانهم زعم وكذب وليس حقيقة، لأن حقيقة الإيمان تتنافى مع التحاكم إلى الطاغوت (أي كل قانون غير قانون الله)، الذي يجب الكفر به ونبذه ومحاربته.

**٢ـ المشرع** (المقنن) المقنن الذي يصوغ قانوناً يخالف دين الله إنما هو يصوغ ديناً جديداً، **وبهذا يخرج من الإسلام بهذا العمل،** بل يشارك الله في ألوهيته عندما يصوغ ديناً وقانوناً دستوراً للناس بغير ما أنزل الله.

**(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله )** (الشورى:٢١)

**(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم)** (التوبة:٣١)

---

١، ٢، ٣ـ انظر الطبري (١٠/٣٤٦-٣٥٠)، تفسير القرطبي(٦/١٩٠) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٦٢٥)، تفسير ابن كثير (٢/٦١).

٤ـ انظر تفسير الطبري (١٠/٣٤٨).

٥ـ تفسير الطبري (١٠/٣٤٨).

وقد فسر رسول الله ﷺ ربوبية الرهبان والأحبار بأنها تحريم الحلال وتحليل الحرام .. ففي حديث عدي بن حاتم (... **إنا لسنا نعبدهم، قال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم**)[1].

٣ـ **المجلس التشريعي**: الذي يشرع بغير ما أنزل الله قانوناً يصادم الله في أمره يخرج من الإسلام . فلا يجوز لمسلم في المجلس أن يوافق على جزئية تخالف أمر الله، وإلا فإنه يخرج من الإسلام.

٤ـ **القضاة**: الذين ينفذون غير شرع الله هؤلاء لا يخرجون من الإسلام -والله أعلم-، ولكن عملهم حرام وباطل، وأجرتهم حرام وباطلة، لأنه راتب على عمل محرم، كمن يعمل مديراً لبنك ربوي، أو مسؤولاً عن خمارة أو نادي قمار، أما إذا رضوا عن غير شرع الله فإنهم يكفرون، لأن الراضي بغير شرع الله يخرج من الملة مهما كان[2].

٥ـ **المحامي**: اختلف العلماء والمطلعون في العصر الحديث في حكم المحامي الذي يترافع أمام محاكم غير شرعية، قالت غالبيتهم: إن عمل المحامي جائز شرعاً بشروط:

أ. أن يدرس القضية جيداً ويعتقد أنه يخلص حقاً لموكله.

ب. أن لا يشترك في قضية حكمها في القانون يصادم الشرع، كالزنا والسرقة والربا والقتل.

جـ . أن ينسحب من القضية لمجرد ما تبين له أن موكله ليس صادقاً.

وقال بعضهم: إن عمل المحامي حرام لأنه يترافع أمام الطاغوت، ويوقر الحكم بأحكام الكفر، ويبجل القضاة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، وقد تدخل المبالغات والزيادات والتهويلات في مرافعاته، وهذا الذي تميل إليه النفس.

٦ـ **عامة الناس الذين يحاكمون**: لو كان للناس خيار أن يتحاكموا إلى محكمة تحكم بالإسلام وأخرى تحكم بالكفر، فإن الفرد يأخذ حكم محكمته التي يتحاكم إليها، كما فعل الناس أيام هولاكو، عندما نُصّب قاضيين ومحكمتين في كل مكان ( محكمة الياسا: القانون التتري) (ومحكمة القرآن)، فكل من تحاكم إلى الياسا كانوا يكفرونه ويخرجونه من الملة.

قال ابن كثير[3]: (.. فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها على شرع الله، لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين)، ولكن أحكام الطاغوت الآن مفروضة على الناس جميعاً، وتفصل في شؤون حياتهم كلها، ولا بد للناس كي يخلصوا حقوقهم من أن تهضم أن يرفعوا إلى الطاغوت قضاياهم، فالناس لهم حكم المضطر الذي يرفع عنه الإثم-والله أعلم-، وإن كان الأولى والأفضل أن يتركوا حقوقهم حتى لا يتحاكموا إلى الطاغوت، وهذا الذي مال إليه المودودي والبنا. -أعاذنا الله وعافانا من التحاكم إلى الطاغوت-، وفيأنا الله ظلال شريعته.

ونختم كلامنا في هذا الموضوع بكلمة نفيسة لابن تيمية حول حكم الذي يتحاكمون إلى قوانين البادية والعشائر والطاغوت، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله، كسواليف البادية، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكم بخلاف ما أنزل الله فهم كفار)[4].

وأجمل ما تنهي به هذا البحث كلمة رائعة لرجل خبر القانون الوضعي وعاشه وهو الشهيد عبدالقادر عودة -رحمه الله-.

والمسلم لا يعتبر مسلماً حتى يحكم الإسلام في شؤونه وما يشجر بينه وبين غيره، طبقاً لقوله تعالى: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)**.

---

١ـ رواه أحمد والترمذي وحسنه، انظر كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ حسن ص (٢٨٩)، وانظر عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (٢٣٩/١١).

٢ـ يقول أحمد شاكر: (إن ولاية القضاء في ظل هذا الياسق العصري -القانون- باطلة بطلاناً أصلياً لا تلحقها الإجازة ولا التصحيح ) عمدة التفسير (١٧٤/٤).

٣ـ البداية والنهاية لابن كثير (١٣/١١٨-١١٩).

٤ـ الإيمان للدكتور محمد نعيم نقلا من كتاب منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ومجموعة التوحيد ص (١٩٢).

ومن لم يحكم بما أنزل الله، أو تحاكم إلى غير شريعته، فهو كافر ليس في قلبه ذرة من الإسلام وإن تسمى باسم مسلم، وانتسب إلى أبوين مسلمين، وادعى لنفسه الإسلام، ذلك حكم الله جل شأنه: **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)**.

وإذا كان هذا حكم الإسلام الذي عطلته ولا تزال تعطله الحكومات في البلاد الإسلامية، فإن كل ذي عقل يستطيع أن يدرك بسهولة مدى حظ هذه الحكومات من الإسلام، وأن يقول غير متحرج أن هذه الحكومات تدعو المسلمين إلى الكفر وتحملهم عليه[1].

## الفصل الثامن

# آثار ترك العقيدة وآثار اعتناقها

والآن أين وصلت البشرية بعد أن أفلتت من ربقة الدين ولم تتقيد بعقيدة ثابتة، ونادت بالتطور في الأخلاق والأديان والأفكار والتقاليد؟ لقد ظهرت آثاره -في أشد الدول رخاء من حيث المادة- ظهرت آثاره فكانت:

١ـ سوء في التوزيع ثراء فاحش من ناحية، وفقر مدقع من ناحية، ترف من ناحية، يقابله حقد وغيظ في قلب الفقير، مما يجعل المجتمع على شفا بركان مهدد بانقضاض طبقة على طبقة.

٢ـ الكبت والقمع والخوف في الأمم التي ادعى بعض حكامها أنهم يريدون عدالة التوزيع، وقامت المجازر على الطريق، وسالت الدماء، حتى تناقص عدد المسلمين في الإتحاد السوفياتي (٢٦) مليونا في مدة ربع قرن، بمعدل المليون ونيف سنوياً، وتقص في يوغسلافيا مليون مسلم.

٣ـ الإنحلال النفسي والخلقي الذي يؤدي إلى تدمير الحياة المادية ذاتها، لأن الحضارة لا بد لها من ضمان يحميها، ومؤيدات تحفظها، فإذا غرقت الأمة في وحل الجنس وعفن النزوات الحيوانية فإنها تزول، والتاريخ خير شاهد، لقد اندثرت أثينا عندما عبدت الشهوة، وكذلك ذهبت الإمبراطورية الرومانية التي استغرق بناؤها ألف عام، وسقطت روما على يد ضربات من قبائل متوحشة همجية من الوندال والهون، وذلك بعد أن ألهت روما (فينوس) الزانية كآلهة للجمال، (وباخوس) السكير كإله للخمر، و (كيوبيد) الذي تقول أساطيرهم الموروثة عن اليونان أنه ابن (أفروديت) -إله الحب التي زنت من ثلاثة آلهة- فأصبح كيوبيد إلهاً للحب!!

٤ـ القلق العصبي، والتمزق النفسي، والأمراض النفسية والعصبية والجسدية والقرح المعدية، والشذوذ الجنسي، وانفصام الشخصية، والإنتحار الذي أصبح ظاهرة خطيرة في المجتمعات المترفة، خاصة في قطاعات التمثيل والسينما والمسارح، والأمراض الجنسية كالزهري والسيلان، ففي أمريكا مثلاً -كما تقول دائرة المعارف البريطانية- يخصص للأمراض الجنسية أكثر من الأمراض بمجموعها عدا السل، وذلك لأن ٩٠٪ من الشباب الأمريكي مصاب بالزهري، و (٦٠٪) مصابون بالسيلان، و (٤٠٪) مصابون بالبرود الجنسي، ويموت سنوياً ثلاثون إلى أربعون ألفاً من الأطفال بمرض الزهري الموروث[2].

وهذا يؤدي إلى عدم صلاحية كثير من الشباب للجندية.. فقد ردت فرنسا في الحرب الأولى سبعين ألفاً لهذا السبب، وكذلك مليون من بين ستة ملايين في أمريكا لا يصلحون للجندية[3].

وهذا يؤدى إلي هبوط مستوى الذكاء وقلة الإحتمال، وبالتالي قلة في الإنتاج.

٥ـ الخوف العالمي من الدمار الشامل في هذا العالم المضطرب، وشبح الحرب الرهيب يضغط على أعصاب الكثيرين ويقض مضاجعهم.

٦ـ ميل بعض الشعوب إلى الإنقراض، فمثلاً في فرنسا عدد الجاليات ثلاثة وثلاثون مليوناً من بين اثنين وأربعين مليوناً من سكان فرنسا الأصليين.

٧ـ بعض مظاهر التمرد التي تعبر عما تعانيه البشرية من حيرة وقلق وتعب، مظاهر الخنافس والهيبيين الذين أصبحوا يشكلون خطراً كبيراً على أمن أمريكا وأوروبا، ويعقدون الإجتماعات التي قد تعد بالملايين، فهم من جميع الطبقات الإجتماعية، في الشارع

١ـ الاسلام وأوضاعنا القانونية صفحة (٧١).

٢ـ أنظر كتاب الحجاب للمودودي، فصل أوروبا الجديدة.

٣ـ يقول كنيدي (رئيس الولايات المتحدة الأمريكية) سنة (١٩٦٢م): أن (٦/٧) الشباب الأمريكي اليوم لا يصلح للجندية لأنه غارق في الجنس فانحل نفسياً وجسدياً.

العام (أكلهم وشربهم وبرازهم ونكاحهم في مكان واحد ووسط الشارع).

**والآن دعني أنقل إليك فقرة من كتاب الشهيد سيد قطب (خصائص التصور الإسلامي[1]) وهو من أنضج ما كتب سيد قطب -رحمه الله- إذ يقول:**

(والعاقل الواعي الذي لم يأخذه الدوار الذي يأخذ البشرية اليوم حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة، يراها تتخبط في تصوراتها وأنظمتها وأوضاعها وتقاليدها وعاداتها وحركاتها كلها تخبطاً شنيعاً، يراها تخلع ثيابها وتلقيها كالمهووس، وتتشنج في حركاتها، وتتلبط كالممسوس، يراها تغير أزياءها في الفكر والإعتقاد، كما تغير أزياءها في الملابس وفق بيوت الأزياء!

يراها تصرخ من الألم، وتجري كالمطارد، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكير، وتبحث عن لا شيء، وتجري وراء أخيلة! وتقذف بأثمن ما تملك، وتحتضن أقذر ما تمسك به يداها من أحجار وأوضار، لعنة! لعنة كالتي تتحدث عنها الأساطير، إنها تقتل الإنسان وتحوله إلى آلة لتضاعف الإنتاج، إنها تقضي على مقوماته الإنسانية وعلى إحساسه بالخُلُق والجمال والمعاني السامية لتحقيق الربح لعدد قليل من المرابين وتجار الشهوات ومنتجي الأفلام السينمائية ودور الأزياء.

وتنظر إلى وجوه الناس، ونظراتهم، وأزيائهم وحركاتهم وأفكارهم وآرائهم ودعواتهم، فيخيل إليك أنهم هاربون! مطاردون لا يلوون على شيء ولا يتثبتون من شيء، وهم هاربون فعلاً، هاربون من نفوسهم الجائعة القلقة الحائرة، التي لا تستقر على شيء ثابت، ولا تدور حول محور ثابت.. وحول هذه البشرية المنكودة زمرة من المستنفعين بهذه الحيرة الطاغية، وهذا الشرود القاتل.. زمرة من المرابين، ومنتجي السينما، وصانعي الأزياء والصحفيين والكتاب.. يهتفون لها بالمزيد من التخبط والدوار، كلما تعبت وكلّت خطاها وحنت إلى المدار المنضبط والمحور الثابت، وحاولت أن تعود.

زمرة تهتف لها: التطور .. الإنطلاق .. التجديد بلا ضوابط ولا حدود .. إنها الجريمة.. الجريمة المنكرة في حق البشرية كلها.. وفي حق هذا الجيل المنكود)[2].

والآن تعال معي لأريك في الصورة المقابلة (الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم).

الشخصية المسلمة التي بنتها العقيدة، فتجد صاحبها: مطمئن النفس، هادئ البال، قرير العين، ليس بالقلق ولا بالحيران، حتى كان يقول أحدهم: (نحن في سعادة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها)، وقيل للعالم عبد الله بن مبارك (من الملوك؟ قال: الزهاد، قالوا فمن السفلة؟ قال: الذين يأكلون بدينهم، قالوا: فمن سفلة السفلة؟ قال: الذين يصلحون دنيا غيرهم بتضييع دينهم).

ولعلك تتذوق معي حلاوة الأبيات التي كانت تتغنى بها رابعة العدوية:

فليتك تحلو والحياة مريــــرة ... وليتك ترضى والأنام غضــــاب
وليت الذي بيني وبينك عامــر ... وبيني وبين العالمـين خـــراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تـــراب

**وفي هذا المعنى يروي صهيب عن رسول الله ﷺ: [عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له][3].**

والمسلم الذي استقرت العقيدة في أعماقه لا يقلق لأسباب منها:

١- ليس هناك أسئلة في الكون تحيره: فهو يعلم أن الله واحد، وأن هذا الكون كله من خلق الله (الله خالق كل شيء..)، وهو يعلم أن الانسان قبضة من طين ونفخة من روح خلقه رب العالمين بيديه، وبدأ رحلته من الجنة ونزل إلى الأرض، وأن له طريقاً مستقيماً توصله إلى منازله الأولى:

فحي على جنات عدن فإنهـا ... منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... تعود إلى أوطاننا ونسلم[4]

١- خصائص التصور (٨٩).
٢- خصائص التصور الإسلامي (٩١).
٣- صحيح مسلم (٢٦٩٥) ط/دار إحياء التراث العربي.
٤- قاله ابن القيم أنظر (طريق الهجرتين وباب السعادتين) صفحة (٥١)، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم صفحة (١٣).

هذا الطريق المستقيم هو اتباع القرآن والسنة، وأن له عدواً عنيداً سبب إخراجه من الجنة، وهكذا كل الأسئلة التي تحير الفلاسفة والمفكرين أخبره عنها ربه، فأراحه وطمأنه من مصدر موثوق صادق يجيب له عن جميع استفساراته.

٢ـ إنه يعلم أن هذه الدنيا ليست النهاية، والجزاء ليس في هذه الأرض، وأن إلى ربك المنتهى:

**(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى)** (النجم:٣٩-٤١)

فما فاته في الدنيا سيعوض عليه في الآخرة، والحياة الدنيا بالنسبة للآخرة كساعة من نهار.

**(فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)** (التوبة:٣٨)

وهذا كله يسكب الطمأنينة في قلبه، والسعادة في أعماقه، وهذا يجعله يترفع على الصغائر وسفساف القول والعمل، ويهتم بما عظم من الأمور.

وهذا يربي عنده التضحية والبذل، حتى أنه ليبذل روحه في سبيل الله طمعاً فيما هو أكبر من النفس والأرض وهو الجنة، ولعلك تذكر معي ما قاله خالد بن الوليد رضي الله عنه لملك الروم: (جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة).

وهذه التربية الإسلامية العالية هي التي جعلت المرأة من بني عبد الدار عندما أخبرت باستشهاد زوجها وأخيها وأبيها تقول: ماذا صنع رسول الله ﷺ؟ فقالوا: هو بخير .. قالت: (كل مصيبة بعدك يا رسول الله جلل) أي هينة.

وهذه العقيدة التي ربت أمينة قطب -الكاتبة الإسلامية المعاصرة شقيقة المرحوم الأستاذ سيد قطب-. هذه المرأة التي تقدم لخطبتها أمير فرفضت، وتقدم سفير فأبت، وآثرت أن تخطب أحد المحكومين بالأشغال الشاقة المؤبدة سنة (١٩٦٣م)، وانتظرته عشر سنوات -أطول خطبة في التاريخ كما نظن-، وفي عام (١٩٧٣م) خرج زوجها من السجن وتزوجت.

٣ـ وهو مطمئن لأنه يعلم أن الرزق محدود والأجل مقدر:

**(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا)** (آل عمران:١٤٥)

**(وفي السماء رزقكم وما توعدون)** (الذاريات:٢٢)

والإطمئنان إلى أن كل شيء فيه هذا الكون بقدر، وأن الله عزوجل وراء كل حدث، وفوق كل نفس وهو **(فعال لما يريد)**، و**(غالب على أمره)**، و**(لا معقب لحكمه)**، و**(إليه يرجع الأمر كله)**، **(ولله خزائن السموات والأرض)**، **(يعز من يشاء ويذل يشاء)**.

وهذا الإعتقاد يجعل الإنسان أعز من على الأرض.

**(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا)** (فاطر:١٠)

وهذا الإعتقاد هو الذي أخرج أمثال ابن تيمية الذي تحدى حكام زمنه -الذين زجوا به في سجن القلعة- قائلاً: (ماذا تصنعون بي؟ إن قتلي شهادة، وإن سجني خلوة، وإن نفيي سياحة).

ولهذه العقيدة أبناؤها البررة في كل زمان، فلنصغ إلى العز بن عبد السلام من وراء القرون، وهو يرد على رسول الملك الصالح إسماعيل الذي رجاه أن يعتذر للسلطان ويقبل يده حتى يعيد إليه مناصب القضاء فقال: (والله لو قبل يدي ما قبلت، يا قوم أنتم في واد ونحن في واد، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به).

وفي هذا العصر كان من أبنائها البررة الأستاذ سيد قطب، الذي كانت تعرض عليه مناصب الدنيا من وراء القضبان، ولكنه آثر الزنزانة على البريق الخادع واللألاء الكاذب وكان يقول: (إن أصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً واحداً تقر به طاغية).

وكان يقول: (لماذا أسترحم؟ إن كنت محكوماً بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت محكوماً بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل).

والعقيدة ذاتها هي التي جعلت محمد صالح عمر (الوزير السوداني المعروف) يطأ الدنيا بقدميه، ويؤثر حياة المغاور والخيام، فوق ربى فلسطين مجاهداً حتى خر شهيداً فوق جزيرة أبا.

## الفصل التاسع

# الربانيون الذين صقلتهم العقيدة ومجتمعهم الآمن

(ولقد ربت هذه العقيدة نماذج يحسبها المرء أساطير، ولكنها الحقائق التي هي أكبر من الخيال).

فلقد عاشوا للحق به يمسكون، مهما علت التضحية. ودعني أسق لك بعض لأمثلة:

**أولاً:** كان لسعيد بن المسيب التابعي العظيم رأي في البيعة لولي العهد، لا يراها في وجود الوالي لحديث فهمه على وجه صح عنده، واعتقد أنه مقصود الحديث، وقد آذاه الولاة في سبيل هذا وثبت على رأيه إلى أيام عبدالملك بن مروان أراد أن يبايع لابنه الوليد، وكتب لولاة الأمصار بأخذ البيعة له، قال يحيي بن سعيد: كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان، إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب، فكتب أن اعرضه على السيف، فإن مضى فاجلده جلدة وطف به أسواق المدينة، فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله على سعيد بن المسيب، وقالوا: جئناك في أمر، قد قدم كتاب عبدالملك إن لم تبايع ضربت عنقك، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً فاعطنا إحداهن، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل، لا، ولا نعم، قال: يقول الناس بايع سعيد بن المسيب، ما أنا بفاعل وكان إذا قال لا لم يستطيعوا أن يقولوا نعم، فإنه يقبل منك إذا طلبك في مجلس فلم يجدك. قال: فأنا أسمع الأذان فوق أذني حي على الصلاة وحي على الصلاة؟ ما أنا بفاعل، قالوا: فانتقل من مجلسك إلى غيره، فإنه يرسل إلي مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك، قال: أفرقا من مخلوق؟!.. لقد كان الجواب مفحماً متضمناً سر هذه الصلابة بجانب الحق، إنه عدم الخوف من البشر.

**ثانياً:** ومن ذلك أيضاً أن أبا حنيفة ترك لحم الغنم لما فقدت شاة في الكوفة إلى أن علم موتها، سبع سنين تورعاً منه لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه، إذ هذا شأن أكل الحرام، وإن انتفى الإثم للجهل بعين الحرام[1].

**ثالثاً:** وفي (ترجمة إمام الحرمين) إن أباه (أبا محمد الجويني) كان في أول امره ينسخ بالأجر، فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح، ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضاً إلى أن حملت بإمام الحرمين، وهو مستمر على تربيتها بكسب الحل، فلما وضعته أوصاها ألا تمكن أحداً من إرضاعه، فاتفق أنه دخل عليها يوماً وهي متالة، والصغير يبكي، وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاغلته بثديها، فرضع منها قليلاً، فلما رآه شق عليه، وأخذه إليه ونكس رأسه ومسح بطنه وأدخل أصبعه في فيه، ولم يزل يفعل ذلك حتى قاء جميع ما شربه وهو يقول: يسهل علي أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير لبن أمه، ويحكى عن إمام الحرمين أنه كان يلحقه بعض الأحيان فترة في مجلس المناظرة فيقول: هذا من بقايا تلك الرضعة!

**رابعاً:** قال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدي وأتى سفيان الثوري، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة، و « الربيع» قائم على رأسه، متكئاً على سيفه يرقب أمره، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق وقال له: يا سفيان، تفر ها هنا وها هنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك؟ فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوان؟ قال سفيان: إن تحكم في يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل، فقال له الربيع: يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ ائذن لي أن أضرب عنقه، فقال له المهدي: أسكت ويلك، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى لسعادتهم ؟ أكتبوا عهده على قضاء الكوفة على ألا يعترض عليه في حكم، فكتب عهده ودفع إليه، فأخذه وخرج ورمى به في دجلة وهرب، فطلب في كل بلد فلم يوجد، ولما امتنع من قضاء الكوفة تولاه شريك النخعي، فقال الشاعر[2]:

تحرز سفيـــــان وفـــر بدينـه          وأمسى شريك مرصداً للدراهم

**خامساً:** وكم يهزني موقف سعيد الحلبي أمام إبراهيم باشا -وهو صاحب الهيل والهيلمان والسلطان-، عندما دخل إبراهيم المسجد بقي الشيخ سعيد جالساً مادا رجله، وأقبل الناس جميعاً يحيون ويصافحون، ووقف إبراهيم باشا طويلاً أمام الشيخ سعيد الذي لم يقبض رجله، وسار وهو يغلي غيظاً وقد استشاط غضباً، فأخذ صرة من النقود وقال لحاجبه: ادفعها للشيخ، فعندما وضعت

---

١ـ أخلاق العلماء لمحمد سليمان ص (١٠٠).

٢ـ محمد سليمان في كتابه أخلاق العلماء ص (١٦٠).

في حجر الشيخ سعيد قال الحاجب: (قل لسيدك: إن الذي يمد رجله لا يمد يده)[1].

أما المجتمع الذي صنعته هذه العقيدة: فإنه مجتمع آمن، كل فرد من أفراده آمن على عرضه: فالزنا من أكبر جرائمه، يستحق عليها المحصن عقوبة الموت رجماً بالحجارة.

وهو من أمن من أن يمس جنابه بكلمة، سواء كانت كلمة قذف في عرض، إذ أن هذه الكلمة توجب جلد ثمانين أمام الناظرين، ولا يمس طرفه بكلمة معيبة.

وهو آمن على ماله: فالسرقة كبيرة، ومن سرق من ماله مقدار ربع دينار فإن هذا المبلغ يعرض يد السارق للقطع، وهو آمن من أن يعرض ماله للضياع عن الطرق المحرمة، فالربا محرم، والإحتكار ممنوع، والغش منفي بتاتاً، والقمار رجس من عمل الشيطان.

وهو آمن على نفسه: فكل يد تمتد لتسفك دمه ظلماً فلن يكتب لهذه اليد البقاء، إذا أصر أولياؤه على الثأر من القاتل، فهذا المجتمع فيه:

**(النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص)** (المائدة:٤٥)

وهو آمن على نفسه وماله وعرضه من الحاكم، فالحاكم والمحكوم مقيدون بأحكام الشرع، لا يستطيعون أن يخرجوا عليها.

٢ـ وهو مجتمع متحاب: أفراده كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

مجتمع إذا صاحت امرأة مستغيثة في عمورية هب الخليفة لنجدتها من بغداد، وتحرك الجيش بأسره لمجرد صرخة ألم انطلقت من فم مسلمة.

مجتمع يقول فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أن أتقدم إلى سيف فيقطع عنقي -في غير معصية- أحب إلي من أن أتأمر على أناس فيهم أبو بكر).

مجتمع يقول فيه الشافعي عن الإمام أحمد بن حنبل:

قالوا يزورك أحمـــد وتـــزوره ... قـلت المكارم لا تفـارق منـــزله
إن زارني فبفضلـــه أو زرتـــه ... فلفضله فالفضل في الحالين لـه

ويقول أحمد عن الشافعي: (لقد كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للجسد وهل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض؟!)[2].

ويقول أحمد بن حنبل: (ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له)[3].

ويقول الشافعي: (الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة)[4].

وهو مجتمع نظيف ليس فيه من الزبد ما يطفو على وجهه، ولا من الأقذار والمشاكل ما يعكر صفوه، مجتمع لا ترفع فيه قضية واحدة خلال عام كامل في زمن أبي بكر.

وهو مجتمع غني.. يجمع يحيى بن سعيد صدقات إفريقيا في زمن عمر بن عبد العزيز الزكاة وينادي شهراً كاملاً ليأتي مستحقوها لأخذها ولم يتقدم أحد، فأمره عمر أن يشتري رقيقاً ويعتقهم.

وهو مجتمع متراص متضامن لا خلل فيه ولا جيوب، فلا يستطيع أي جسم غريب أن يتخلل فيه أو أن يعيث فساداً، ولقد حاول ملك غسان أن يراود كعب بن مالك في أزمته التي وصفها القرآن:

**(حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه)**

في هذا الوقت الذي قاطعته المدينة بأسرها، كما يقول كعب في رواية البخاري عنه :(ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي...)[5].

---

١ـ مقدمة كتاب ربانية لا رهبانية لأبي الحسن الندوي.(التوبة: ١١٨)

٢ـ أخلاق العلماء لمحمد سليمان ص (٣٦).

٣ـ أخلاق العلماء ص (٣٦).

٤ـ أخلاق العلماء ص (٣٦).

٥ـ فتح الباري لابن حجر (٤١٢/٩).

يقول كعب: (فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا أنا بنبطي من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه في المدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى جاء فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان وكنت كاتباً، فإذا فيه: أما بعد، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، وأن الله لم يجعلك في دار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، قال: فقلت حين قرأته: وهذا أيضاً من البلاء، قال: فيممت به التنور فسجرته به)[1].

إنه مجتمع عجيب حقاً، يعجز ملك غسان أن يستميل إلى جانبه رجلاً منبوذاً منه، تنكرت له الأرض التي عليها يعيش، وتنكر له الناس الذين عاش وشب بين ظهرانيهم.

وهو مجتمع أفراده على قلب رجل واحد منهم، ملتفون حول قائدهم، يتحركون بإشاراته، ويضحون لمجرد نظرة من الأمير.

هذا المجتمع الذي قاطع كعب بن مالك -حتى عن رد السلام والكلام، قاطعة حتى لم يعد يحظى بكلمة واحدة من أي فرد من أفراده، وذلك بمجرد كلمة سمعها المجتمع من الرسول القائد ﷺ .

ودعنا نستمع إلى الإمام الأعظم -أبي حنيفة- وهو يعبر بكلمات القليلة عن معنى الطاعة في أعماقه للأمير، فلقد منعه المنصور من الإفتاء، وفي إحدى الليالي جرح أصبع ابنته، فجاءت تسأله عن تأثير الدم على وضوئها، فقال: اسألي حماداً، فلقد منعني أميري من الإفتاء، وما كنت لأعصي أميري بالغيب.

فيا أبناء هذا الجيل، هذه لمحة موجزة أشد الإيجاز عن العقيدة وأثرها في بناء النفس وإنشاء المجتمع، عرضنا فيها لأركان العقيدة، وعن أثر الانحراف الخطير في حياة المجتمع إذا تخلل الإنحراف إلى العقيدة، ولقد نبهنا أن ما تعانيه البشرية اليوم من ضنك وشقاء وبؤس كان سببه عبث أيدي البشر بالعقيدة الربانية، حتى حصل هذا الانفصام النكد بين الدين والعلم، وأصبح العلم عدواً لدوداً للغيب والدين، ولكن العلم والحمد لله أخذ يتراجع أمام ضغط الحقائق، ولم يعد يستطيع التمحل والمماحكة أمام الإكتشافات العلمية خاصة في ميداني النفس والفلك.

يا أبناء هذا الجيل.. لا مفر من العودة إلى ظلال هذه العقيدة، ولا بد لكم أن تفيئوا إليها، هذا إذا كنتم تفكرون في الخلاص من شقائكم وبناء أنفسكم، وإلا تسلكوا هذه الجادة فإنكم هالكون لا محالة، خاسرون دنياكم وأخراكم بكل تأكيد.

(وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (محمد:٣٨)

(خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) (الحج:١١)

والبشرية بأسرها لا يمكن لفطرتها أن تحتمل هذا الشقاء، ولقد أضناها السير في هذه المفازة المهلكة، لا بد أن تعود بعد أن جربت جميع الأنظمة من اشتراكية وقومية ورأسمالية فتحطمت جميعاً تحت مطارق الفطرة، وكان الإنسان هو الضحية والفداء.

عودوا واحملوا الإسلام وقدموه للبشرية المنكودة التي تنتظر من ينقذها.

التفوا حول من تثقون به ممن يحمل هذا الدين علماً وعملاً وحياة عقيدة وعبادة ودستور حياة.

وأوصيكم وصية بسيطة أن تتعرفوا على كتاب الله، وحبذا لو حمل كل واحد منكم مصحفاً صغيراً في جيبه، حتى يتعرف على رسالة رب العالمين التي أرسلها إليه ويقرأها.

وبودي لو اشترى كل واحد كتاباً مبسطاً للحديث الشريف، وليكن مثلاً رياض الصالحين، عليكم بمطالعة كتب المودودي، وكتب الأستاذ سعيد حوى، وكتب سيد قطب، ومحمد قطب، والندوي.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

---

١- تفسير ابن كثير (٣٩٨/٢).

# جريدة المراجع


## أولاً: التفسير:

١- تفسير ابن كثير: ابن كثير القرشي.

٢- تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.

٣- تفسير الرازي المسمى (مفاتيح الغيب) فخر الدين الرازي.

٤- تفسير القاسمي: جمال الدين القاسمي.

٥- تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله القرطبي.

٦- عمدة التفاسير: أحمد شاكر.

٧- في ظلال القرآن: سيد قطب.

٨- تفسير الطبري.

## ثانياً: الحديث الشريف:

١- شرح الأربعين النووية.

٢- صحيح مسلم.

٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني.

٤- مختصر صحيح مسلم للمنذري: تحقيق الألباني.

٥- مفتاح الجنة الإحتجاج بالسنة: جلال الدين السيوطي.

٦- النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير.

٧- تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي.

## ثالثاً: معاجم لغوية

١- القاموس المحيط: للفيروز أبادي.

٢- المصباح المنير: الفيومي.

## رابعاً: كتب العقيدة

١- الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن الأشعري.

٢- إملاءات في العقيده: الأستاذ محمد أمين المصري.

٣- تلبيس إبليس: ابن الجوزي.

٤- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية: عبد العزيز بن سليمان.

٥- شرح قصيدة ابن القيم.

٦- شرح الفقه الاكبر لملا علي القاري.

٧- العقيدة الواسطية إخراج مصطفى العالم.

٨- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة: الغزالي.

٩- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

١٠- الإيمان للدكتور محمد نعيم.

١١- إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد لحمد بن علي بن عتيق.

١٢- الملل والنحل لابن حزم.

## خامساً: أصول الفقه

١- الأسنوي مع الإبهاج بشرح المنهاج: الأسنوي والسبكي.

٢- الأسنوي والبدخشي بشرح المنهاج: الأسنوي والبدخشي.

٣- إعلام الموقعين: ابن القيم.

٤- تقويم أصول الفقه وتحديد أدلة الشرع: القاضي الدبوسي/مخطوط.

٥- الشامل بشرح أصول البزدوي: مخطوط.

٦- المسوده في أصول الفقه: آل تيميه.

٧- الوصول إلى قواعد الأصول.

## سادساً: كتب التاريخ

١- البداية والنهاية لابن كثير.

## سابعاً: كتب فكرية إسلامية وعامة

١- الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين.

٢- أسباب سعادة المسلمين وشقائهم للكاندهلوي.

٣- الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد.

٤- الإسلام ومشكلات الحضارة: سيد قطب.

٥- بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة التونسي.

٦- التطورات والثبات في حياة البشرية: محمد قطب.

٧- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ابن القيم.

٨- الحجاب: أبو الأعلى المودودي.

٩- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: سيد قطب.

١٠- طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن القيم.

١١- العدالة الإجتماعية: سيد قطب.

١٢- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي: د. محمد البهي.

١٣- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي.

١٤- مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا.

١٥- الإسلام وأوضاعنا القانونية لعبد القادر عوده.

# تهذيب شرح
# العقيدة الطحاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

# تهذيب شرح العقيدة الطحاوية

رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، رب زدني علماً، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

إن هذا الدين مداره على العقيدة، وأساس العقيدة معرفة الله بصفاته وأفعاله وأسمائه، ولذا فقد سمي هذا العلم علم أصول الدين، وسماه أبو حنيفة (الفقه الأكبر)، لأن فقه الفروع الشرعية هو الفقه الأصغر، وبعد معرفة الله وتوحيده بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته تأتي معرفة الأحكام الشرعية كالصلاة والصيام والطهارة، وكذلك وصف النعيم المقيم الذي أعدّه الله للسالكين على جادة الحق، والعذاب الأليم الذي ينتظر المجرمين.

ولا ريب أن الدين –الذي أنزله الله على الأنبياء والذي ختم بالرسالة الخاتمة المنزلة على المصطفى ﷺ– واحد، وفحواه واحد، وهو التوحيد: **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** (الأنبياء:٢٥).

وهذا الوحي روح ونور وهدى وشفاء: **فهو روح**: لأن الحياة الحقة لا تقوم إلا به، فهو حياة القلوب والنفوس.

**وهو نور**: لأن الاستضاءة لا تكون إلا به، وإلا أظلمت القلوب.

**وهدى**: فهو وحده الطريق الذي يهدي ويدل على الله.

**وشفاء**: لأن أمراض القلوب، وسعادة الأرواح، وخلاصها من شقائها لا يتم إلا عن طريقه.

والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً فرض عين على كل واحد، وأما معرفة ما جاء به الرسول ﷺ بالتفصيل فهو فرض على الكفاية، والناس متفاوتون فيما يجب على كل فرد بعينه، وذلك بناء على قدره ومعرفته وطاقته وفهمه[١].

والإسلام يتمثل أولاً في الكتاب والسنة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة)، ثم قرأ هذه الآيات: **(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)** (طه:١٢٣)[٢]

ولا يقبل الله ديناً غير الإسلام، أي الذي أنزله على محمد ﷺ، أما قبله فيقبل أتباع أنبيائه الذين وحّدوه **(سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمدلله رب العالمين)** (الصافات:١٨٠-١٨٢).

فقد نزه ذاته العلية عن وصف الكافرين[٣]، ثم سلم على الأنبياء لأنهم وصفوه بصفات الكمال التي أوحى بها إليهم، ثم حمد نفسه على تفرده بالصفات العليا.

وقد نقل الصحابة التوحيد إلى من بعدهم من التابعين وتابعيهم على ألسنة القائمين بالحجة على الخلق، أي العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

---

١- يعني أن الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً فرض عين عند أول ما يسمع به ﷺ، وهذه الفرصة ضيقة لا يمكن العلم بتفصيل ما يسمع به . أما إذا جاء بعد الإيمان فالإيمان بالتفصيل فرض عين، ولكن الناس متفاوتون في قدر التفصيل (التعليق من الناشر).

٢- شرح العقيدة الطحاوية ص(٦٨).

٣- أي عن وصفهم إياه بالشريك وبما لا يليق به تعالى (من الناشر).

ثم خلف من بعدهم خلف ولعوا بعلم الكلام وغرقوا فيه، واشتغلوا بالتحريف الذي سموه تأويلاً. والتحريف قد يصل درجة الكفر، وقد يكون فسقاً أو معصية أو خطأ[1].

شريعة سيدنا محمد ﷺ

## خاتمة ومهيمنة وكاملة وعامة للثقلين

أقسم رب العزة قائلاً: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)** (النساء: ٦٥) ، وبين سبحانه أن الإعراض عن شريعته وحب التحاكم إلى غيرها نفاق، ولا بد من محاولة معرفة الشريعة واعتقادها، ومحاولة العمل بها، وتشجيع من يلتزمها.

ولا بد أن نعلم أن معرفة أصول الدين لا تحتاج إلى علم الكلام كالفلسفة والمنطق، بل يكره الخوض في علم الكلام.

قال أبو يوسف لبشر المريسي: (العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام قيل زنديق) وقال: (من طلب العلم بالكلام فقد تزندق).

وقال الإمام الشافعي: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام).

وقال الشافعي:

*كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين*

*العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين*

### التوحيد دعوة الرسل أجمعين:

لو سرنا مع الركب الرباني -الذي يقوده نوح وهود وصالح ومحمد ﷺ أجمعين- لوجدنا هؤلاء الحداة يرددون للبشرية كلمة واحدة وهي قوام رسالاتهم: **(يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)** (الأعراف: ٥٩) ، **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)**. الأنبياء: ٢٥

فالشهادة بالوحدانية، والشهادة بنبوة المصطفى ﷺ هي الباب الوحيد الذي يدخل به الداخل للإسلام، وهي آخر كلمة يفارق بها الدنيا: **(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)**[2].

ولذا فلقد ابتدأت البشرية أولى خطواتها على هذه الأرض بالتوحيد، وليس كما يقول علماء الأديان المقارنة أن البشرية في المراحل البدائية كانت تعبد آلهة متعددة، ثم كلما ترقّت قلت آلهتها حتى انتهت البشرية بالتوحيد.

### أنواع التوحيد الذي دعت إليه الرسل صلى الله عليهم وسلم:

لقد دعا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى ثلاثة أنواع من التوحيد:

١- **توحيد الربوبية:** (توحيد المعرفة والإثبات)، وهو الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون، قادر على كل شيء، رازق، يحي، ويميت، وبيده الأمر...

٢- **توحيد الصفات والأسماء:** أن تثبت لله عز وجل الأسماء والصفات التي أثبتها لذاته العلية.

٣- **توحيد الألوهية أو الإلهية:** (توحيد العبودية لله عزوجل، وهو توحيد القصد والطلب) ويتضمن فعل المأمور وترك المحظور.

وكثير من علماء التوحيد جمعوا النوع الأول والثاني في اسم واحد وهو توحيد الربوبية، لأن توحيد الصفات هو معرفة وإثبات صفات الكمال لله عز وجل.

---

[1] ص(٧٠) هذا الرقم وجدناه هكذا في حاشية الأصل ولا نعلم ماذا قصد به المؤلف، والراجح أنه يشير إلى ص(٧٠) من شرح الطحاوية والله أعلم   من الناشر)

[2] حديث حسن صحيح رواه الحاكم وغيره، أنظر العقيدة الطحاوية (٧٥).

وتوحيد الربوبية قد أقر به المشركون الأوائل بنصوص كثيرة من القرآن: (قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) (يونس: ٣١) والواو في (فسيقولون) تعني المشركين.

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (لقمان: ٢٥).

وكلمة عبدالمطلب لأبرهة مشهورة: (إن للبيت رباً يحميه).

وأنشد عبدالمطلب:

*لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك　　　وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك*

وجحود الخالق البتة ما ورد في أذهان المشركين القدماء، وإنما ورد على لسان فرعون ما يشي بأنه أنكر الخالق بلسانه، وإن كان يقر به في أعماقه. (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) (النمل: ١٤)، فلقد قال فرعون: (وما رب العالمين) فقال موسى:

(رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، قال لمن حوله ألا تستمعون) (الشعراء: ٢٤-٢٥).

إنما كان النزاع حول توحيد الالوهية (توحيد العبودية لله وحده): (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) (ص: ٥)، (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون) النمل: ٥٩.

(أإله مع الله بل هم قوم يعدلون... أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون... أإله مع الله قليلاً ما تذكرون... أإله مع الله تعالى الله عما يشركون... أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (النمل ٥٩-٦٤).

ولقد كانت المعركة لإثبات توحيد الألوهية حامية الوطيس مع المشركين، وتولى رب العزة إدارة المعركة، فأفرد لها صفحات كثيرة من كتابه العزيز.

يقول ابن تيمية في رسالة الحسنة والسيئة ص(٢٦٢): (وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين). (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (النساء: ٤٨)

## شرك العرب:

وكانت بداية الشرك في جزيرة العرب أنهم نقلوا أصنام قوم نوح: (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا) (نوح: ٢٣).

وقد ثبت في البخاري عن ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

ومن هنا نهى الشارع عن بناء القبور والدعاء عندها والتمسح بها، حتى لا يفضي الأمر إلى الشرك كما حصل مع قوم نوح.

ففي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: [أمرني ألا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر مما فعلوا. قالت عائشة رضي الله عنها: (ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً)[1].

والعرب كانوا يعبدون الأصنام ليتقربوا إلى الله كما حكى عنهم القرآن: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (الزمر: ٣)

(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (يونس: ١٨).

وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وليس العكس: (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (الروم: ٣٠).[2]

١-شرح العقيدة الطحاوية ص(٨٠).　　٢-شرح العقيدة الطحاوية ص(٨١).

وإذا فتوحيد الألوهية -وهي عبادة الله وحده لا شريك له- لا بد أن تتضمن توحيد الربوبية، لأن توحيد الألوهية يقتضي معرفة الله وصفاته وقدرته حتى يعبده، وتوحيد الألوهية يتلخص في كلمتين: **{إياك نعبد وإياك نستعين}** (الفاتحة: ٥)، **{عليه توكلت وإليه أنيب}** (هود: ٨٨) ، وقد تكرر الجمع بين العبادة والاستعانة (أي الإنابة والتوكل) سبع مرات في القرآن **{ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون}** (هود:١٢٣).

ولقد أقام رب العزة الشواهد على توحيد الألوهية بكلمات موجزة مفحمة للحس البشري، ومن ذلك قوله: **{ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون}** (المؤمنون:٩١).

فالإله لا بد أن يكون قادراً على الخلق، فلو التقى إلهان خالقان لكان لا بد من حصول واحدة من ثلاث:

١- إما أن يقهر أحدهما الآخر، فالمقهور لا يمكن أن يكون إلهاً.

٢- وإما أن يعلو بعضهم على بعض، فالأعلى هو الإله دون الأسفل.

٣- وإما أن يستقل كل إله بخلقه وملكه.

ولكن انتظام الكون، ودقة تسييره، وإحكام تدبيره يدل قطعاً على إله واحد متفرد بالخلق والتدبير (وهذا توحيد ربوبيه)، وتفرد الإله بالأمر يستدعي تفرده بكونه أحق مَنْ يعبد (وهذا توحيد ألوهيه).

وباختصار: فمدار ما في القرآن كله على التوحيد.

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو: التوحيد العلمي الخبري (الربوبيه)، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي (الألوهيه)، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما يفعل بهم في الدنيا من العذاب، وما ينتظرهم من الجحيم، فهو جزاء من خرج على حكم التوحيد.

## شهادة التوحيد:

شهادة التوحيد تعني: **{لا إله إلا الله}**، وقد شهد الله لذاته بها: **{شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام}** (آل عمران:١٨-١٩).

ومعنى شهد لغة: لا يتعدى حكم وقضى وأعلم وبيَّن وأخبر، والحق أن الشهادة تجمعها جميعاً، فهي تتضمن الخبر والإعلام والتبيين، ولها أربع مراتب:

١- العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به، ويدل على هذا الآية: **{إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}** (الزخرف: ٨٦).

٢- التكلم بالشهادة (بما علم) ولو بينه وبين نفسه: **{وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون}** (الزخرف:١٩).

٣- إعلام الغير بها وإخباره: والإعلام إما بالفعل، كبناء دار وجعل لها مؤذناً وإماماً وأذن للناس بالصلاة فيها، فهذا دليل (شهادة) على وقفها، ويدل عليه قوله تعالى: **{ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر}** (التوبة: ١٧)، فهذه شهادة بالفعل، والكون شهادة عملية على وحدانية الله:

*وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد*

وإما يكون الإخبار بالقول.

٤- أن يلزمه بمضمونها ويأمره بها.

وشهادة التوحيد تضمنت المعاني الأربعة، فقد حكم الله بها وأخبر وقضى وأمر بها فقال: **{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}** (الإسراء: ٢٣)

**{لا تجعل مع الله إلهاً آخر}** (الإسراء:٢٢)[١]

---

١- شرح العقيدة الطحاوية ص(٩٢).

ثم انظر أي مقام هذا الذي رفع إليه العلماء أن يشهدوا مع الملائكة لله بالوحدانية، وأن تقرن شهادتهم بشهادة رب الع والملائكة.

والإنسان مفطور على التوحيد، وعلى محبة الله، والاستسلام له ذلاً وانقياداً وإنابة، ولذا فقد كان ﷺ يعلم أصحابه أن يقو إذا أصبحوا: [**أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان المشركين**][1].

فملة إبراهيم التوحيد، ودين محمد ما جاء به من عند الله قولاً واعتقاداً وعملاً، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله وفطرة الإسلام هي ما فطر عليه الإنسان من التوحيد والمحبة لله عز وجل والذل والانقياد له.

ويشهد لهذه الفطرة الموحدة قوله ﷺ: [**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**][2]. وقوله ﷺ فـ يرويه عن ربه: [**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**][3] ولذا لم يقل أو يسلمانه.

فالقلوب مفطورة على حب إلهها وفاطرها وتأليهه، فصرف ذلك التأله والمحبة إلى غيره تغيير للفطرة، فالإنسان يخلق مسـ يحب إلهه: (**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**). (الروم: ٣٠). فالخلق يخلقون على الفطـ ثم يأتي تغيير الفطرة من الخلق، وليس من الخالق، كما في الحديث: [**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها**]. فالجدع -أي قطع الأنـ أو الأذن- إنما يأتي من البشر، وهذا مصداق قوله تعالى في الميثاق على الفطرة: (**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرية وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**) (الأعراف:١٧٢).

ويجب التنبيه هنا إلى ادعاء بعض الصوفية تقسيم التوحيد إلى توحيد عامة وتوحيد خاصة وتوحيد خاصة الخاصة، وهذا أصل له من كتاب ولا سنة، بل إن توحيد خاصة الخاصة عندهم قد يفضي إلى القول بالحلول والاتحاد والفناء.

إسمع قول أبي إسماعيل الأنصاري (شيخ الإسلام) كما يقول شارح الطحاوية:

| | |
|---|---|
| ما وحد الواحد من واحد | إذ كل من وحده جاحد |
| توحيد من ينطق عن نعته | عارية أبطلها الواحد |
| توحيده إياه توحيده | ونعت من ينعته لاحد |

يقول شارح الطحاوية: (**هذا وإن كان قائله رحمه الله لم يرد به الاتحاد، لكن ذكر لفظاً مجملاً محتملاً جذبه به الاتحادي إ وأقسم بالله جهد أيمانه أنه معه..**)[4].

وكلمة التوحيد هي (لا إله إلا الله) فهي نفي (لا إله) وإثبات (إلا الله)، وهي كقوله عز وجل: (**وإلهكم إله واحد**) (البقرة: ١٦٣) أتبعها رب العزة قائلاً: (**لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**). لأنه -والله أعلم- قد يخطر خاطر شيطاني: هب أن إلهنا واحد فلغيرنا غيره، فقال تعالى: (**لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**).

وإعراب: (لا إله إلا الله) (لا): نافية للجنس، (إله): إسم لا النافية للجنس مبني على الفتح، وخبرها محذوف تقديره: موجـ (إلا): أداة حصر.

## صفات الله -عز وجل-

# الواجب في حقه تعالى

اعتاد علماء التوحيد أن يذكروا في مصنفاتهم أن الواجب في حقه تعالى عشرون صفة وهي أربعة أنواع:

أ- الصفات النفسية: وهي صفة واحدة: الوجود.

١- حديث صحيح أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٢٣/٥)، أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص(٩٧).

٢- متفق عليه من حديث أبي هريرة، أنظر شرح الطحاوية ص(٨٢).

٣- رواه مسلم عن عياض بن حمار، أنظر شرح الطحاوية ص(٨٢).

٤- شرح الطحاوية ص(٩٨)

ب- الصفات السلبية: وهي خمس: (القدم، البقاء، مخالفته للحوادث، قيامه تعالى بذاته، الوحدانية).

قال البيجوري في شرحه على السنوسية ص(١٦): (وإنما نسبت للسلب لأنها مفسرة به، إذ القدم سلب أولية الوجود، والبقاء سلب آخرية الوجود، والمخالفة للحوادث سلب المماثلة لها، والقيام بالنفس سلب الافتقار، والوحدانية سلب التعدد).

جـ- صفات المعاني: هي كل صفة قائمة بذاته تعالى تستلزم حكماً معيناً له، فالعلم مثلاً يستلزم أن يكون المتصف به عليماً، وهي سبعة: (العلم، الإرادة، القدرة، السمع، البصر، الكلام، الحياة).

وقد أثبت أهل السنة هذه الصفات السبع، وإضافة بعض صفة ثامنة، وهي صفة التكوين، وقد استدل أهل السنة بأن كون الله عليماً يستدعي أن يكون لديه صفة العلم، وبصيراً يستلزم أن يكون قيام البصر بذاته تعالى، لأن المشتق يؤذن (يعلن) بمصدر الاشتقاق.

وأما المعتزلة فقد أنكروا هذه الصفات قائلين: ليس لله صفات زائدة على الذات هي القدرة والكلام والإرادة؛ بل الله قادر بذاته، عالم بذاته فليس إلا الذات فقط.

ولذا فقد رد عليهم أهل السنة كأبي حنيفة في الفقه الأكبر إذ يقول: (لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له اسم ولا صفة، لم يزل عالماً بعلمه والعلم صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل، قادراً بقدرته والقدرة صفة بالأزل)(١).

د- الصفات المعنوية: وهي الصفات التي تتبع صفات المعاني وهي سبع: (عليم، مريد، قدير، سميع، بصير، متكلم، حي).

وهذه الصفات العشرون هي واجب في حقه تعالى.

## المستحيل في حقه تعالى:

يستحيل في حقه تعالى كل صفة نقص، ولذا فالمستحيل يقابل الواجب في حقه تعالى، وعلى هذا فيستحيل في حقه تعالى أضداد الصفات العشرين السابقة:

١- فالوجود يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي العدم.

٢- والقدم يقابله صفة مستحيلة في حـق الله تعـالـى وهي الحدوث.

٣- البقاء يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي طروء العدم.

٤- مخالفته للحوادث يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي المماثلة للحوادث.

٥- القيام بالنفس يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي ألا يكون قائماً بنفسه.

٦- الوحدانية يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي التعدد.

٧-القدرة يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي العجز.

٨- الإرادة يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي الذهول والغفلة.

٩- العلم يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي الجهل.

١٠- الحياة يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي الموت.

١١- البصر يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي العمى.

١٢- السمع يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي الصمم.

١٣- الكلام يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي البكم.

## الجائز في حقه تعالى:

يجوز في حقه تعالى إضلال من يشاء وهداية من يشاء، ورزق من يشاء وحرمان من يشاء.

---

١- شرح الفقه الأكبر ص(١٦).

## شرح بعض الصفات:

**١- لا شيء مثله: (مخالفته للحوادث).**

اتفق أهل السنة أن الله لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو تعالى ليس جسماً ولا متصلاً بجسم، ولا حالاً في جهة، وليس مركباً من أجزاء، ولا يحده زمان، وليس متصفاً بصغر ولا كبر في الحجم، ولا يتصف بحركة ولا سكون، ولا يتصف باليمين ولا بالشمال ولا بالأمام أو الخلف.

ومن الأدلة النقلية على هذه الصفة: **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** (الشورى: ١١)، فالشطر الأول: رد على المشبه الذين يقولون أن لله يداً كأيدينا. والشطر الثاني: رد على المعطلة الذين ينفون صفات الله وينكرون السمع والبصر لله.

وكلمة التشبيه كررت لتأكيد نفي التماثل، وتقديره ليس مثله شيء، وقيل المثل زيادة، وتقديره (ليس كهو شيء)، كقوله تعالى: **(فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به)**، وهذا لأن المراد نفي المثلية، ويمكن أن يكون التعبير للمبالغة بالكناية لأنهم يقولون: مثلك لا يجبن، أي أنك لا تجبن(١).

وقال بعضهم: إن الكاف زائدة لزيادة التأكيد في نفي المماثلة، كقول العرب: كلمني بلسان كمثل السنان، أي مثل السنان.

قال البيهقي: (فلما أراد الله أن ينفي التشبيه على آكد ما يكون من النفي جمع في قراءتنا بين حروف التشبيه وأسماء التشبيه حتى يكون النفي مؤكداً على المبالغة)(٢).

قيل للحسن البصري (صف لنا ربك، قال نعم، أصفه بغير مثال **(ليس كمثله شيء)**، وقال بعض المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات، وزاد الواسطي رحمه الله فقال: (ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ)(٣).

وقد نص أبو حنيفة في الفقه الأكبر على الإثبات ونفي التشبيه معاً فقال: (يرى لا كرؤيتنا، ويعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا).

ويقول الطحاوي: (ولا يشبه الأنام)(٤).

ولقد أفتى الإمام مالك بأن من قال السميع البصير ثم أشار إلى أذنه أو عينه يقطع ذلك العضو منه، ألا ترى أن البراء بن مالك عندما قال: أربع لا تقبل في الضحايا وأشار بيده قال ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ.

يقول ابن القيم:

*لسنا نشبه وصفه بصفاتنا — إن المشبه عابد الأوثان*

*كلا ولا نخليه عن أوصافه — إن المعطل عابد البهتان*

قال بعض العلماء: (المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً)(٥).

قال الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقي -شارح قصيدة ابن القيم (٢٥٤/١)-: (ومذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات صفات الله تعالى التي ورد بها الكتاب وصحيح السنة وحسنها، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، خلافاً للجهمية والمعتزلة والأشاعرة، والأمر كما قال نعيم بن حماد الخزاعي -شيخ البخاري-: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله تشبيها).

قال الطحاوي في العقيدة ص(١٤٤): (ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه).

ولقد سمى الله نفسه رؤوفاً رحيماً، وسمى رسول الله ﷺ رؤوفاً رحيماً فقال: **(بالمؤمنين رؤوف رحيم)**، وليس في التسمية تشبيهاً، إذ شتان ما بين الخالق والمخلوق، والله منزه عن مشاركة المخلوق في خصائصه.

---

١- مذكرة في التوحيد لحسن متولي ص(٤٩).
٢- أنظر الأسماء والصفات البيهقي ص(٢٧٨).
٣- تفسير القرطبي (٩/١٦).
٤- شرح الطحاوية ص(١٢١).
٥- روضة الندية ص(٢١).

قال إسحاق بن راهويه: (من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم)(1).

قال ابن تيمية: (ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل)(2).

وعن ابن عباس في قوله تعالى، وله المثل الأعلى، قال: يقول: (ليس كمثله شيء)، وفي قوله تعالى: **(هل تعلم له سميا)**

(مريم: 65)

يقول: هل تعلم للرب شبهاً أو مثلاً.

ولقد بالغ المعتزلة والمعطلة في تعطيل الصفات، حتى أشار ابن أبي دؤاد المعتزلي -وزير المأمون- على المأمون أن يكتب على ستر الكعبة **(ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم)** بدل وهو السميع البصير.

وقال جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: **(الرحمن على العرش استوى)** (طه: 5)، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

## إعراب (ليس كمثله شيء):

في إعرابها وجوه:

الوجه الأول: أن الكاف زائدة، وبذا تكون (كمثله) مجرورة لفظاً منصوبة محلاً لأنها خبر ليس، وشيء: اسم ليس، والتقدير (ليس **مثله شيء**) كقول الشاعر: (أصبحت مثل كعصف مأكول).

الوجه الثاني: أن كلمة مثل زائدة، ويكون المعنى (ليس كهو شيء) وهذا بعيد، لأن زيادة الحرف أولى من زيادة الاسم.

2- ولا شيء يعجزه (القدرة).

القدرة: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة(3). **(وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً)**(فاطر: 44)، **(إن الله على كل شيء قدير)**(البقرة: 20)، **(وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)** (البقرة: 255)، ومعنى (لا يؤوده): لا يثقله ولا يعجزه، فهذا النفي لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده، كقوله تعالى: **(ولا يظلم ربك أحداً)**

(الكهف: 49)

لكمال عدله، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً.

قال الأستاذ أبو إسحاق: (من أسامي صفات الذات ما يعود إلى القدرة، منها القاهر: ومعناه الغالب، ومنها القهار: ومعناه الذي لا يُقصد إلا ويُغلب، ومنها القوي: ومعناه المتمكن من كل مراد، ومنها القادر بإثبات القدرة، ومنها المقتدر الذي لا يرده شيء عن المراد، ومنها ذو القوة المتين لنفي النهاية في القدرة، وفي بعض الأخبار: جاء ذكر الغلاب الذي يكره على ما يريد ولا يكره على ما يراد).

وحسبك من معرفة الصفات دافعاً للعمل، وتربية العزة في قلب المؤمن، عندما يعلم أن خالقه قادر على كل شيء فكيف يلجأ لغيره أو يذل؟ **(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)** (الأعراف: 195-196).

جاء في حديث الاستخارة: عن جابر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ **يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: [اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر**

---

1- شرح الطحاوية ص(121).

2- الروضة الندية ص(21).

3- مذكرة التوحيد لحسن متولي ص(44).

شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به)، قال ويسمي حاجته)[1] .

## ٣- قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء

(القدم والبقاء)

ومعنى القدم: عدم أولية الوجود.

والبقاء: عدم آخرية الوجود، وهذه العبارة تتضمن صفتين لله عز وجل: ١- القدم. ٢- البقاء.

وكان الأولى أن يقال: أول بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، كما قال القرآن الكريم: **(هو الأول والآخر والظاهر والباطن)** (الحديد: ٣).

وفي صحيح مسلم (٧٨/٨): **{اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء}**.

ومعرفة هاتين الصفتين مستقر في الفطرة، إذ أن المخلوق لا بد له من خالق، والحادث لا بد له من محدث، وكل المخلوقات غير ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، كما قال الله تعالى: **(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)** (الطور: ٣٥).

### ما ثبت قدمه استحال عدمه:

ولذا فقطعاً للتسلسل فلا بد من الإيمان بذات واجبة الوجود، فلو فرضنا أن الخالق -سبحانه- خلقه خالق، ثم الخالق خلقه خالق لكان تسلسلاً، وعلينا أن ننتبه أن القديم ليس من أسماء الله تعالى، فإن القديم في لغة العرب هو المتقدم على غيره، فالقديم هو العتيق. **(حتى عاد كالعرجون القديم)** (يس: ٣٩). والعرجون القديم: هو الذي يبقى حتى يخرج العرجون الثاني. وقد أنكر كثير من السلف والخلف -ومنهم ابن حزم- إدخال اسم القديم في أسماء الله.

وفي الحديث الصحيح في البخاري عن عمران بن الحصين قال ﷺ: **{كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء}** وفي رواية **{ولم يكن شيء قبله}**.

قال ابن القيم:

*والله كان وليس شيء غيره ... ويرى البرية وهو ذو حدثان*[2]

ومن الأدلة على البقاء قوله تعالى: **(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)** (الرحمن:٢٦-٢٧).

## ٤- الحي القيوم

ودليل هاتين الصفتين قوله تعالى: **(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)** (البقرة: ٢٥٥).

**(وعنت الوجوه للحي القيوم)**، ومعنى القيوم: المبالغ في القيام بتدبير خلقه، ولأمر ما نرى بعدها **(لا تأخذه سنة ولا نوم)**، دليل القيام.

ولأجل هذا جاء الحديث بأن الحي القيوم هما اسما الله الأعظم، فقد روى أبو داود والترمذي وصححه ابن ماجة وحسنه من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **{اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن**

---

١- رواه البخاري.

٢- شرح قصيدة ابن القيم (٢٨٥/١).

الرحيم) (البقرة:١٦٣).(الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (آل عمران:١-٢)).[1]

بل لقد قال ابن القيم: إن الأوصاف كلها ترجع إلى هذين الوصفين، فيقول في النونية:

وله الحياة كمالها فلأجل ذا ... ما للممات عليه من سلطان

وكذلك القيوم من أوصافـه ... ما للمنام لديه من غشيان

وكذاك أوصاف الكمال جميعها ... ثبتت له ومدارها الوصفان

فمصحح الأوصاف والأفعال ... والأسماء حقاً ذانك الوصفان

وهذا شيء بديهي، لأن المتصف بالقدرة والعلم والسمع والبصر تجب له الحياة، وحاشا لواهب الحياة ألا يكون حياً، ومن ذا الذي يدبر شؤون السموات والأرض، ومن الذي يحور الأفلاك ويسير الأملاك، فكيف ينام؟ {إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام}[2].

ولفظ القيّوم أبلغ من القيّام، لأن الواو أقوى من الألف، ومعنى القيوم أنه يقوم بنفسه باتفاق جميع المفسرين، ولكنّ هل تفيد إقامته لغيره؟ فيه قولان أصحهما أنها تفيد إقامته للغير، ولفظ القيّوم متضمن كمال غناه، وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته، ويدل القيوم على الأزلية والأبدية، فهو سبحانه لا يغيب ولا ينقص ولا يفنى ولا يعدم بل هو الدائم الباقي، واقتران القيوم بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ومن هنا كانت آية الكرسي (الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم) أعظم آية في القرآن كما في صحيح مسلم عن أبيّ بن كعب[3].

## ٥- الخالق الرزاق

ومن صفاته عز وجل (الخلق والرزق). (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (الذاريات:٥٦-٥٨). (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم) (الأنعام:١٤)، (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) (هود:٦)، قال الطحاوي: (خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة)[4] والمؤنة هي المشقة والثقل.

## ٦- محيي ومميت

(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (الملك:٢).

(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي).

يقول الطحاوي ص(١٢٦): (مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة).

وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: {يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار}[5].

### صفات الله أزلية أبدية:

إن الله عز وجل يتصف بصفات الكمال العليا، وله الأسماء الحسنى، لأنه إن لم يكن متصفاً بها فهذا يعني أنه كان ناقصاً -سبحانه وتعالى- ثم حصل له الكمال من بعد، وهذا ينطبق على صفات الله عز وجل بأنواعها الثلاثة:

١- الذاتية: كالقدرة والحياة والسمع والبصر.

---

١- شرح قصيدة ابن القيم (١/٢٦٠).

٢- رواه مسلم، انظر شرح الطحاوية ص(١٢٣).

٣- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٢٥).

٤- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٢٥).

٥- متفق عليه

٢- الفعلية: كالتخليق والترزيق.

٣- الإختيارية: كالرضا والغضب والاستواء.

فالله عز وجل خالق قبل الخلق، وله صفة الترزيق قبل أن يرزق، يقول أبو حنيفة في الفقه الأكبر ص(١٤): (لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له اسم ولا صفة، لم يزل عالماً بعلمه والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته والقدرة صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل، وخالقاً بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفاعلاً لفعله والفعل صفة في الأزل).

ومعنى لم يزل: فيما كان، ولا يزال: فيما يكون.

ويقول الطحاوي ص(١٢٧): (ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق)، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم (الباريء)).

## القضاء والقدر:

الإيمان بالقدر أحد أركان العقيدة الإسلامية، وهو الركن السادس للإيمان، وإذا تخلف الإيمان بالقدر تخلف الإيمان عن الوجود، ويخرج المرء الكافر بالقدر من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر، ففي حديث عمر -الذي رواه مسلم في سؤال رسول الله ﷺ لجبريل- فأخبرني عن الإيمان قال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[١].

وقد أخذ الناس وأعطوا في القدر وضلت أقوام وهلكت بسببه، ونرجو الله أن يعصمنا الزلل، أن يهدينا جميعاً سواء السبيل.

## تعريف القضاء والقدر:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلها شيئاً واحداً، ومنهم من عرف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر فقال: القدر: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل[٢].

القضاء: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته.

ومنهم من عرفها تعريفاً واحداً، فقال: هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها[٣]، وما أجمل رد الإمام أحمد عندما سئل عن القدر فقال: (القدر قدرة الرحمن)، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد، يقول ابن القيم[٤] في قصيدته الكافية الشافية:

*فحقيقة القدر الذي حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمن*

*واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضى الرباني*

والحق أن تعريف أحمد قد كفى وشفى، فالقدر يعني: **(قل إن الأمر كله لله)** (آل عمران: ١٥٤)، **(إليه يرجع الأمر كله)** (هود: ١٢٣).

وأن الله: **(بيده ملكوت كل شيء)** (يس: ٨٣)، **(يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه)** (يونس: ٣).

ولا يحدث شيء في الكون إلا بإرادته ومشيئته، وعقيدة القدر مبنية على صفات الله الحسنى، ومنها: العلم والقدرة والإرادة. **(وهو بكل شيء عليم)** (البقرة: ٢٩)، **(وهو على كل شيء قدير)** (الحديد: ٢)، **(فعّال لما يريد)** (البروج: ١٦).

قال الطحاوي في عقيدته[٥]: (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره).

---

١- أنظر شرح قصيدة ابن القيم (٢٥٦/١)، رواه الإمام مسلم عن عمر.

٢- تبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب ص(٧٧).

٣- العقائد لسيد سابق ص(٩٥).

٤- شرح قصيدة ابن القيم (٢٥٤/١).

٥- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٥٣)

## معنى الإيمان بالقدر:

يجب الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ونعني بالإيمان بالقدر الإيمان بدرجاته (مراتبه الأربع)[1].

١- علم الله القديم (الأزلي) لكل شيء، وأنه قد علم أعمال العباد قبل أن يعملوها. **(واعلموا أن الله بكل شيء عليم)** (البقرة: ٢٣١).

وعلم أحوال العباد وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم.

٢- كتابة الله لكل شيء في اللوح المحفوظ. **(ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)** (الحج: ٧٠).

٣- مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. **(لتعلموا أن الله على كل شيء قدير)**(الطلاق: ١٢).

٤- خلق الله لكل شيء. **(الله خالق كل شيء)** (الزمر: ٦٢)، **(والله خلقكم وما تعملون)**(الصافات: ٩٦).

ويعنون بالحلاوة والمرارة مباشرة الأسباب في العاجل، والخير والشر يرجع إلى حسن العاقبة وسوئها، فهو حلو ومر في بدايته، خير وشر في عاقبته. والحلاوة العاجلة غالباً تعقب ألماً، والمرارة العاجلة تخلف سعادة.

وأما الإيمان بالقدر خيره وشره وذلك بإضافته إلى الناس والمخلوقات. أما بالنسبة لله عز وجل فالقدر خير كله، والشر لا ينسب إلى الله[2]. فعلم الله ومشيئته وكتابته وخلقه للأشياء والحوادث فهذه كلها حكمة وعدل ورحمة وخير. فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا أفعاله، ولا يلحق ذاته تبارك وتعالى نقص ولا شر، فله الكمال المطلق والجلال التام[3]. وفي الحديث **{والشر ليس إليك}**[4].

مع اعتقادنا أن الله خالق الخير والشر لما له في ذلك من حكمة، ولكن لا يضاف الشر إلى الله مفرداً، بل إما أن يدخل الشر في العموم كقوله تعالى: **(الله خالق كل شيء)** (الزمر: ٦٢). أو يضاف إلى السبب. **(قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق)** (الفلق: ١-٢).

أو بحذف فاعله: كقول الله عز وجل فيما حكاه عن الجن: **(وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً)** (الجن: ١٠).

فالمرض مثلاً شر ومصيبة بالنسبة للإنسان عاجلاً، لكنه خير في الآجل، ولكنه خير بالنسبة لله عز وجل لما يعلم ما يعقبه المرض من مغفرة للذنوب وتطهير للأجساد.

وسجن أعداء الله للمؤمنين شر في ظاهره لما فيه من آلام ومحن، ولكنه تمحيص للنفوس وتطهير للصفوف وتربية للأرواح، فضلاً عن الثواب الجزيل والخير العميم الذي ينتظرهم.

وخلق إبليس فيه من الحكم الكثيرة: كتوبة البشر بعد الزلل، وكذلك عبودية جهاد إبليس وحزبه، والصبر على إغرائه وإغوائه، والالتجاء إلى حمى الله واللياذ بركنه الركين.

وقد ذكر ابن القيم في مدارج السالكين (٢/١٩٤) الحكم الكثيرة المترتبة على خلق إبليس منها:

١-أن تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات -التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كل شر- في مقابلة ذات جبريل التي هي أشرف الذوات، وأطهرها وأزكاها، وهذا من أكبر الأدلة على كمال قدرته.

٢- ظهور آثار أسمائه القهرية مثل (القهار، المنتقم، العدل، شديد العقاب) فلا بد لهذه الأسماء من متعلقات، ولو كان الناس جميعاً على طبيعة الملائكة لما ظهر أثر الأسماء والأفعال.

٣- ظهور آثار أسمائه المتضمنه لحلمه وعفوه، ومغفرته وستره، وتجاوزه عن حقه.

٤- ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة: فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن يصلح لقبولها.

---

١- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية.

٢- أنظر الروضة الندية (٣٥٦)، وشرح العقيدة الطحاوية، ومجموع فتاوي ابن تيمية (٨/٩٤-٩٥).

٣- أنظر تيسير العزيز الحميد (٦٢٥).

٤- أنظر كتاب الحسنة والسيئة لابن تيميا صفحة (١٩٠).

٥- حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، ولكان الحاصل بعضها لا كلها، منها:

أ- عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية، من الموالاة والمحبة في الله، والبغض في الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب- عبودية التوبة والرجوع إلى الله واستغفاره.

جـ- عبوديته بمخالفة عدوه والاستعاذة منه.

د- الحذر من الغرور والاتعاظ.

هـ- ظهور كثير من الآيات والدلائل على قدرة الله، كالطوفان والريح وإهلاك ثمود وقوم لوط.

فالحسنة مضافة إلى الله من كل وجه، وأما السيئة فهي مضافة إلى الله لأنه خلقها كما خلق الحسنة.

## احتجاج المشركين بالقدر:

احتج المشركون بالقدر تبريراً لكفرهم، ففي سورة الأنعام: **{سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين}**(الأنعام١٤٨-١٤٩).

ولكن الله عز وجل سمى هذا الادعاء كذباً وخرصاً وافتراء عليه، هذه الحجة الواهية الداحضة بالحجة البالغة بأن الله قادر على أن يهدي الناس أجمعين.

وقد ترد هذ الشبهة على أذهان المسلمين فيقولون: إذا كان الله قد كتب كل شيء وقدره ففيم العمل؟

وقد جاء في الصحيحين عن عمران بن الحصين قال: (إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: **{اقبلوا البشرى يا بني تميم}** قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: **{اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم}** قالوا: قبلنا، جئنا نتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، كتب في الذكر كل شيء)[1].

وقد روى البخاري[2] بسنده عن علي رضي الله عنه قال: **{كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق الله}**.

يقول ابن كثير[3] عند آيات: **{فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى}** (الليل: ٥-٧)، (والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدور).

ولتجلية هذه القضية في الأذهان علينا أن نضع بعض المعالم في هذا الطريق:

١- عدل الله المطلق: **{ولا يظلم ربك أحدا}**، فهو: **{فعال لما يريد}**، ولكنه عادل بر رحيم، لا يمكن أن يقهر نفساً على المعاصي ثم يعذبها.

٢- التكليف متناسب مع الطاقة: **{لا يكلف الله نفساً إلا وسعها}**(البقرة: ٢٨٦) فلو كان الإنسان مجبوراً على الذنوب المكتوبة عليه لما كلفه بواجبات، ولا فرض عليه فروضاً، ولا زجره عن المعاصي.

**٣- كتب الله عز وجل أعمال العباد بالوصف لا بالحكم:** ما قال كن لأنه حكم، ولكن كتابته بالوصف أي فلان يعمل كذا وكذا.

وقد ضرب الأستاذ شعراوي مثلاً جميلاً فقال: كما لو جاءني ضيف فأرسلت ابني لشراء فاكهة وأعطيته نقوداً، فتأخر الولد فقلت للضيف: إن سبب تأخره هو وجود أبناء الجيران يلعبون في ساحة فقد انشغل معهم، وعندما عاد الولد فإذا بالأمر كما توقعت

١- الروضة الندية (٣٦٩).

٢- تفسير ابن كثير في سورة الليل (٥١٨/٤).

٣- تفسير ابن كثير (٥١٨/٤).

مع أنني لم أجبر الولد على اللعب ولم أرضه منه[1].

ولله المثل الأعلى، فهو يعلم ما سيفعل العباد فكتب ما سيفعلونه دون قهرهم عليه.

**٤- التفريق بين المشيئة والإرادة من جهة وبين المحبة والرضا من جهة أخرى:** فالله عز وجل يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولكن لا يرضاه ولا يحبه[2]، فيشاؤه، كوناً ولا يرضاه ديناً، وفي التنزيل: **{وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول}**(النساء: ١٠٨)، فأخبر أنه لا يرض قولهم مع أنه قدره وقضاه[3].

وكذلك يقول عز وجل: **{إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم}**(الزمر: ٧).

وما أجمل حوار أبي إسحق الإسفراييني مع عبد الجبار الهمداني المعتزلي في حضرة الصاحب بن عباد (قال القاضي عبدالجبار: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الأستاذ الإسفراييني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال القاضي: أيشاء ربنا أن يعصى؟ قال الأستاذ: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال القاضي: أرأيت إن منعني الهدى، وقضى عليّ بالردى، أحسن إليّ أم أساء؟ فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء، فبهت القاضي)[4].

وقد جاء في تاريخ الطبري: أن هشام بن عبد الملك استقدم ميمون بن مهران لمناقشة غيلان الدمشقي، فقال غيلان: أشاء الله أن يعصى؟ فقال له ميمون: أفعصي كارهاً[5].

ومما يروى أن أعرابياً وقف على حلقة فيها عمرو بن عبيد المعتزلي فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعو الله أن يردها علي، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت فارددها عليه! فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك! قال: ولم؟ قال: أخاف -كما أراد أن لا تسرق فسرقت- أن يريد ردها فلا ترد[6].

جاء في الطحاوية (يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلاً، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله)[7].

**٥- الإنسان موهوب قسطاً من الحرية يختار بعقله وإرادته الفعل، ويناط به التكليف، ويبنى على هذا القسط من الحرية الثواب والعقاب.**

فالإنسان يشبه النبات والحيوان في بعض الصفات، كالحاجة إلى الطعام والشراب والهواء وما يتبع هذه العمليات من عمليات فسيولوجية؛ كالهضم وتوزيع الغذاء والأكسدة. ففي هذه الأشياء الإنسان ليس له إرادة ولا حرية، فهو مسير على نظام إلهي لا يتخلف شعرة، ولا يستطيع الإنسان أن يُعدِّل في عمليات الهضم والتنفس أو أن يوجه أجهزتها، ولو حاول لحطم كيانه كله.

أما فيما يفترق الإنسان فيه عن الحيوان. كالفكر: الذي يختار به الفعل أو يتركه، فهنا للإنسان إرادة وحرية ناط به الله الثواب والعقاب. وقد ضل المبتدعة في هذه القضية بين إفراط وتفريط.

فالقدرية والمعتزلة: يرون أن العبد يخلق أفعاله ويعملها دون مشيئته وقدرته، ولذا سموا بمجوس هذه الأمة، وقد رأينا نماذج من أقوالهم كقول عمرو بن عبيد وغيلان الدمشقي والقاضي عبدالجبار. فالمعاصي ليست مرضية لله عز وجل ولا مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته، وقد سموا مجوس هذه الأمة لتشابه آرائهم مع دين المجوس الذين يرون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلام، وكذلك القدرية فهم يضيفون الخير إلى الله عز وجل والشر إلى غيره، مع أن الله سبحانه خالق الخير والشر، ولا يكون شيء منهما إلا بمشيئته.

---

١- القضاء والقدر للشعراوي (٥٩).

٢- شرح الطحاوية (٢٧٧)، ومجموع الفتاوى (٨/١٥٩).

٣- الروضة الندية (٢٧٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٩٨)، والعقائد الإسلامية لسيد سابق (١٠٤).

٤- شرح الطحاوية (٢٧٨) على مسند أحمد (٨/١٧٨) رقم (٥٨٨١).

٥- شرح الطحاوية (٢٧٨)، نقلاً عن حاشية أحمد شاكر.

٦ - شرح الطحاوية (٢٧٨).

٧- شرح الطحاوية (١٥٥)

## والجبرية أتباع جهم:

ينفون فعل العبد أصلا ويقولون انه مجبر على أفعاله، وأن فعله نفس فعل الله[1]. وإنما نسبة الأفعال للأشخاص كنسبة الاهتزاز للأغصان، مع أن الفاعل حقيقة هو الريح، وقد ضل بعض الصوفية في هذا فرأى أن كل ما يحدث في الكون برضا الله فهو طاعة، وقال بعضهم: (إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته)، وقال ابن إسرائيل[2]:

*أصبحت منفعلا لما تختاره ... مني ففعلي كله طاعات*

فلم يعد في نظرهم فرق بين شرب الخمر وقيام الليل.

## عقيدة أهل السنة بالقدر:

أما أهل السنة فهم وسط بين الجبرية والقدرية، فهم يقولون: للعبد قدرة وإرادة وفعل وهبها الله له لتكون أفعاله حقيقة لا مجازاً، مع اعتقادهم أن الله خالق كل شيء[3].

قال البغوي في شرح السنة: (الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرها وشرها، وكتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم)[4].

فالعباد -في عقيدة أهل السنة- فاعلون حقيقة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، يقول ابن القيم[5]:

*وعموم قدرته تدل بأنه ... خلق الأفعال الحيوان*
*هي خلقه حقاً وأفعال لهم ... حقاً ولا يتناقض الأمران*
*لكن أهل الجبر والتكذيب ... بالأقدار ما انفتحت لهم عينان*

ويقول ابن تيمية: (مذهب أهل السنة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو: أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون شيء في الوجود إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون)[6].

وقد استدل أهل السنة على مذهبهم بقوله عز وجل: (**لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**)(التكوير: ٢٨-٢٩). فالآية الأولى رد على الجبرية الذين ينفون إرادة العبد ومشيئته. والآية الثانية رد على القدرية الذين يرون أن مشيئة العبد مستقلة في إيجاد الفعل ولا شأن لإرادة الله في الأفعال.

ولكل من الآيتين عبودية: فعبودية الأولى هي بذل أقصى الجهد، واستفراغ الطاقة والوسع من أجل العبادة والإنابة والاستقامة، وعبودية الآية الثانية: هي التوكل على الله، واللجوء إليه، والتضرع إليه من أجل التوفيق والهداية والإنابة[7].

**٦- خفاء القدر وكراهية الخوض فيه:**

العقل البشري محدود، خلقه الله لعمارة الأرض ولصلاح الإنسان. ولذا فإن بعض قضايا الغيب ليس له أمامها إلا التسليم والإيمان، ومن هذه القضايا الصلة بين خلق الله للأفعال وإرادة الإنسان وقدرته وفعله لهذه الأفعال، وليست هذه هي القضية الغيبية الوحيدة التي لا يدرك كنهها. فصفات الله عز وجل ندرك آثارها ولا ندرك حقيقتها، شأنها شأن الذات الإلهية التي لا يستطيع العقل البشري إدراكها[8]، وإن كانوا يرون آياتها.

---

١- شرح العقيدة الواسطية لمصطفى العالم (٧٢).

٢- الروضة الندية (٢٦١)، ومجموعة الفتاوى (٨/٢٥٧).

٣- شرح العقيدة الواسطية لمصطفى العالم (٧٣).

٤- تيسير العزيز الحميد (كتاب التوحيد) (٦١٩).

٥- شرح قصيدة ابن القيم (١/٢٥٤) وكذلك الأسئلة والأجوبة الأصولية (٢٣٢).

٦- تيسير العزيز الحميد (٦٢٠).

٧- الروضة الندية شرح الواسطية (٢٨١).

٨- تبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب.

ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن الخوض في القدر والتعمق فيه، فقد أخرج الإمام أحمد بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: (**خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم**)[١].

وروى الطبراني بسند حسن من حديث ابن مسعود مرفوعاً: (**إذا ذكر القدر فأمسكوا**).

وقد روى الترمذي وأبو داود عن نافع قال: (كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله أنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليّ، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: (**سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر**))[٢].

وقد جاء رجل علياً رضي الله عنه فسأله عن القدر فقال: (طريق مظلم فلا تسلكه، قال: أخبرني عن القدر، قال: بحر عميق فلا تلجه، قال: أخبرني عن القدر، قال: سر الله فلا تكلفه)[٣].

يقول جعفر الصادق[٤]: (إن الله تعالى أراد بنا أشياء وأراد منا أشياء، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا).

يقول الطحاوي: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: (**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**) (الأنبياء: ٢٣). فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين).

ولله -عز وجل- الحكمة البالغة في خفاء الأقدار كالأجل مثلاً، فمن أيقن أن موته في اليوم التالي فإن أعماله تتعطل وفكره يشل، وتجارته تتوقف، ولكن ليعمر الله الأرض وحتى تنطلق الطاقات كلها من أجل استمرار الحياة البشرية أخفى الله المقادير عن البشر.

## عقيدة القدر بناءة إيجابية:

ذكرنا سابقاً أن الإيمان بالقدر ركن أساسي من العقيدة الإسلامية، ولا يؤمن مؤمن حتى يسلم للقضاء والقدر ويرضى به، ويعتقد أن كل حادث إنما هو بقضاء الله، وأنه لحكمة، وإنه رحمة، وإنه العدل.

وقد بني هذا الدين على التسليم لحكمة الله وإرادته، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي، وكذلك كان أصحاب الأنبياء، فإن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم، فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به[٥].

وهكذا كان الصحب الكرام، فقد كانوا شديدي الأدب مع ربهم ومع رسول الله ﷺ، وهم كما يقول ابن عباس: (ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض)[٦].

وقد أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب[٧].

عن ابن الديلمي: أتيت أبي بن كعب فقلت له: قد وقع في نفسي شيء من القدر؛ فحدثني لعل الله أن يذهبه من قلبي، فقال: لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار، قال: ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة فقال مثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك[٨].

---

١- صحيح رواه أحمد بسند جيد وابن ماجة، أنظر شرح الطحاوية (٢٨٩).

٢- سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنة (١٦/٧)، أنظر جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (٣٢٤/٢).

٣- تيسير العزيز الحميد (٦٢٠)، والعقائد لسيد سابق (٩٩)، والشريعة للآجري (٢٠٢).

٤- إملاءات في العقيدة للدكتور محمد أمين المصري.

٥- شرح الطحاوية (٢٩١).

٦- أعلام الموقعين (٥٩/١).

٧- شفاء العليل (٤١) نقلاً عن الروضة الندية (٣٦٤).

٨- رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد والطبراني وابن حبان، وفي إسناده سعيد بن سنان الشيباني وثقه ابن معين وتكلم فيه أحمد وغيره، أنظر تخريج السنن (٦٦/٧)، أنظر جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (٢٢٨/٢)، وكتاب الشريعة للآجري (٢٠٣)، وصحيح الجامع الصغير (ج٥ص٥٧-٥٨).

وعن عبادة بن الصامت قال لابنه عند الموت: يا بني إنك لم تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: [**إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**]. يا بني إني سمعت النبي ﷺ يقول: [**من مات على غير هذا فليس مني**][1].

وقد انطلق الصحابة في الأرض وهم يحملون عقيدة القدر كما علمهم إياها رسول الله ﷺ. فقد قال لابن عباس: [**يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**][2].

هذه العقيدة سكبت في قلوبهم السكينة، وأفاضت على نفوسهم الطمأنينة، وربت في أعماقهم العزة، فارتاحت أعصابهم وهم منطلقون لتبليغ هذا الدين إلى البشرية، وقد استصغروا قوى الأرض جميعاً أمام عقيدة القدر التي لخصها سلمان الفارسي[3] عندما سئل (ما قول الناس حتى تؤمن بالقدر خيره وشره؟ قال: حتى تؤمن بالقدر، تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك)، ولم يكن هذا قول سلمان فحسب وإنما هو قول جلة الصحابة.

أية سعادة تضفيها على النفس هذه العقيدة! إن قوى الأرض جميعاً لا تقف أمام إنسان يحمل هذا المبدأ، ويكنّ بين طياته هذا الإيمان، ومن هنا نجد التفسير الصحيح للأعمال التي حققها هذا الإيمان على يد العصبة المؤمنة التي انطلقت بهذا الدين، إنها أعمال تشبه الخوارق ولكنها حقائق، ويكاد المرء وهو يدرس سيرة ذلك الركب الكريم يحسب أن الأمر ضرب من الأساطير، وأنه نسج من الخيال، وأحلام يقظة تدركها الأشواق وتقصر دونها الأفعال، ولكنها الحقائق التي دبت فوق المعمورة حياة وسلوكاً وأخلاقاً وبناءً وإنشاءً...(وهي المرة الوحيدة التي تخرج فيها أمة من بين دفتي كتاب، وتنطلق حياة من خلال كلمات)[4].

فإذا كان الإنسان ينعم بهذه العقيدة ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن الأمة لو اجتمعت لن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه، بالإضافة إلى الاعتقاد الجازم بضمان الرزق والأجل، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.. وما أحسن قول المثنى الأنباري الحنبلي: (لا تكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين، وبرزقه غير راضين)[5].

إذا كان يعتقد بهذا فكيف تنحني جبهته لأية قوة على الأرض؟! وكيف تذل نفسه لعبد من تراب؟ ولذا فقد كان أحدهم أو إحداهن كرابعة العدوية يعبر عن استصغاره للأرض بقوله:

| | |
|---|---|
| *فليتك تحلو والحياة مريرة* | *وليتك ترضى والأنام غضاب* |
| *وليت الذي بيني وبينك عامر* | *وبيني وبين العالمين خراب* |
| *إذا صح منك الود فالكل هين* | *وكل الذي فوق التراب تراب* |

قال ابن رجب[6]: **(فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب؟ (إن هذا لشيء عجاب)**.

ودعك عن الرضا الذي تنعم به النفس بحيث ترى أن المقادير تجري بأمر الله ومشيئته وتدبيره، ولم تصبه صدفة ولا فلتة، وإنما الأحداث تنبثق بحكمة الله وإرادته، وهو يعلم والناس لا يعلمون. **(وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** (البقرة:٢١٦).

فالله الذي جعل الأمر يصيبه، أو الحزن والوصب والضر يمسه حكيم ورحيم، ولذا فكل ما يصيب المؤمن هو خير له، وفيه راحة وطمأنينة لذاته، وفي صحيح مسلم[7] **[عجباً للمؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له]**.

---

١- رواه أبو داود، جمع الفوائد (٣٢٨/٢)، وكتاب الشريعة (٢١١).

٢- رواه الترمذي وقال حسن صحيح، جمع الفوائد (٣٢٩/٢).

٣- الشريعة للآجري (٢٠٦).

٤- في ظلال القرآن (٥/٢).

٥- تيسير العزيز الحميد (٤٣٦).

٦- جامع العلوم والحكم (٣٨٥).

٧- رواه مسلم وأحمد عن صهيب، انظر رياض الصالحين (٣١).

فالمؤمن ينظر إلى مصدر المصيبة -أنها من الله- فيطمئن ويرضى، وهو أكثر أدباً من أن يعترض على مولاه وخالقه وينظر إلى عاقبة المصيبة ومآلها من الثواب فيرضى ويصبر.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **{أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة ابتلي على قدر ذلك، وإن كان فيه رقة هون عليه، فما يزال البلاء بالرجل حتى يدعه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة}** وأخرجه أيضاً أحمد والنسائي وابن ماجة، وقد عبر عن ذلك ابن القيم أجمل تعبير فقال:

*وإذا اعترتك بلية فاصبر لها ... صبر الكريم فإنه بك أكرم*

*وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم*

وهذا علقمة[1] يفسر قوله تعالى: **(ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه)** (التغابن: ١١). فيقول: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، وقال ابن عباس: يهد قلبه اليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وقد ارتفعت نفوسهم في ظلال هذا التصور الإيماني، وسمت أرواحهم ورهفت ضمائرهم حتى استوت في نظرهم السراء والضراء، وتماثل لديهم الشكر والصبر، كما يقول عمر[2] رضي الله عنه: (لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما أركب). ويقول أبو محمد الحريري[3]: (الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما). وقال عمرو بن عثمان المكي[4]: (الصبر هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة). ولله در القائل:

*العبد ذو ضجر والرب ذو قدر ... والدهر ذو دول والرزق مقسوم*

*والخير أجمع فيما اختار خالقنا ... وفي اختيار سواه اللوم والشوم[5]*

وقد سئل الإمام أحمد[6]: عن الرجل يكون معه مائة ألف دينار هل يكون زاهداً؟ قال: نعم، بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت.

وقال بعض السلف[7]: الزاهد من لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره، وكتب عمر بن الخطاب[8] إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: (أما بعد فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر).

وقال أبو عثمان الحيري[9]: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، وما نقلني إلى غيره فسخطته. وقال ابن عطاء[10]: الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل.

والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله، والرضا قيل أنه واجب وقيل هو مستحب، وقد أجمع العلماء على أنه مستحب مؤكد استحبابه، واختلفوا في وجوبه على قولين، وذكر ابن تيمية القولين لأصحاب أحمد[11].

ويحكى أن امرأة عابدة[12] عثرت فانقطعت إصبعها فضحكت، فسئلت عن سبب الضحك فقالت: حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها. وقال عمر بن الخطاب[13]: وجدنا خير عيشنا بالصبر.

وقال ابن مسعود[14]: أن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

وقال عبد الواحد بن زيد[15]: الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين، وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة

---

١- أثر صحيح رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علقمة، أنظر تيسير العزيز الحميد (٤٥٢).

٢- عدة الصابرين لابن القيم (٩٠). ٣- عدة الصابرين (٩).

٤- عدة الصابرين (٩). ٥- مدارج السالكين (٢/٤٢٥).

٦- عدة الصابرين (٢٢). ٧- عدة الصابرين (٢٢٦).

٨- مدارج السالكين (٢/١٧٧). ٩- مدارج السالكين (٢/١٧٧).

١٠- مدارج السالكين (٢/١٧٥). ١١- مدراج السالكين (٢/١٧١)، والروضة الندية (٤٨٩).

١٢- أنظر الروضة الندية (٤٨٦) ومدارج السالكين (٢/١٦٧)، وجامع العلوم والحكم (١٧٠).

١٣- أنظر الروضة الندية (٤٨٦) ومدارج السالكين (٢/١٦٧)، وجامع العلوم والحكم (١٧٠).

١٤- أنظر الروضة الندية (٤٨٦) ومدارج السالكين (٢/١٦٧)، وجامع العلوم والحكم (١٧٠).

١٥- أنظر الروضة الندية (٤٨٦) ومدارج السالكين (٢/١٦٧)، وجامع العلوم والحكم (١٧٠).

المبتلي وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء فينسيهم ألم المقضي به، وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالألم، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظة صدوره من حبيبهم.

وسئل بعض التابعين[1] عن حاله في مرضه فقال: أحبه إليه أحبه إليّ. وقال بعضهم:

*عذابه فيــك عــذب — وبعــــده فيك قرب*

*وأنت عندي كـروحي — بل أنت منها أحب*

*حسبي من الحب أني — لما تحــب أحــب*

وقد يرتفع الإيمان بالقدر في نفس المؤمن حتى يصبح القدر وإن كان مصيبة سروراً، وقد عبر عن هذا عمر بن عبدالعزيز أجمل تعبير فقال: (أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر).

ونرى اللغة الموحية، والتعبير العميق للرضا بالقدر من خلال قول أحدهم[2]:

*لئن ساءني أن نلتني بمساءة — فقد سرني أني خطرت ببالكا*

وقد كان عمران بن الحصين رضي الله عنه استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره مدة طويلة لا يقوم ولا يقعد، وقد نقب له في سريره موضع لحاجته، فدخل عليه مُطرف بن عبد الله الشخير فجعل يبكي لما رآه من حاله، فقال له: عمران لم تبكي؟ فقال: لأني أراك على هذه الحال الفظيعة، فقال: لا تبكي فإن أحبه إلي أحبه إليه، وقال: أخبرك بشيء لعل الله أن ينفعك به، وأكتم عليّ حتى أموت، إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم عليّ فأسمع تسليمها[3].

إن الرضا بالقضاء، والصبر على البلاء، والطمأنينة إلى حكم الله عز وجل لهي أهم القواعد التي يقام على أساسها السكن النفسي، وهي من أبرز الدوافع لانطلاق جميع الطاقة البشرية للعمل في هذه الأرض ضمن منهج الله، فلا التفات إلى الوراء، ولا محطات للتحسر والندم –لو كان كذا وكذا لكان كذا وكذا وكذا، ولكن قدر الله وما شاء فعل–، ثم الهدوء القلبي، والراحة البدنية والنفسية والعصبية، ومفارقة الهم والحزن فراق غير وامق، فلا تمزق نفسي، ولا توتر عصبي، ولا شذوذ، ولا انفصام، وإنما هو الهدوء والسكينة والرضا والسعادة والراحة والطمأنينة، وبرد اليقين، وقرة العين، وهناءة الضمير، وانشراح الصدر. (والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله، وإلى حكمته وعلمه، هو وحده الملاذ الأمين، والنجوة من الهواجس والوساوس، ومن ثم عشت في ظلال القرآن، هادىء النفس، مطمئن السريرة، قرير الضمير... أي طمأنينة ينشئها هذا التصور؟ وأي سكينة يفيضها على القلب؟ وأي ثقة في الحق والخير والصلاح؟ وأي قوة واستعلاء على الواقع الصغير يسكبها في الضمير؟ لقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثاً هائلاً في تاريخها، ونكبة قاصمة في حياتها، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيراً في كل ما ألمّ بها من نكبات)[4].

إن التصور الإسلامي، والاعتقاد بعقيدة القدر ينشيء نظافة في السلوك، ورفعة في الاهتمام، وعلواً في الخلق، واستقامة في الحياة، وسعادة في العيش، وراحة في الضمير، وطمأنينة في القلب، ونتائج إيجابية هائلة في واقع الناس، وفوق هذه الأرض.

وأما المجتمعات التي تركت عقيدة القدر، وفرغت من الإيمان بالله وتدبيره لشؤون الحياة والأحياء، فاسألها عن تمزق أعصابها، وضياع سعادتها، وضنك عيشها، وتوتر حياتها، ففي نيويورك مثلاً يدخل شخص من بين كل اثنين وعشرين شخصاً مستشفى عقلياً، والمجانين فيها (٣٤٠) ألفاً، والمصروعون (٨١٥٨٠)، ومطلقي السراح بكلمة الشرف (١٠٩٣٠)، وضعاف العقول نصف مليون، وأطفال منخفضي الذكاء (٤٠٠) ألف، ولا تسأل عن القلق النفسي الذي أدى إلى الأرقام المذهلة من الانتحار والجرائم والطلاق والولوغ في الدنس الجنسي! ففي السويد نسبة الطلاق (٦٠٪)، وفي أمريكا تضرب الأمهات أولادهن ضرباً مبرحاً يصل إلى درجة القتل بمعدل (١٣٠ر – ٢١٠ر) –أي ما يعادل (٢,٥–٤) مليون واقعة من هذا النوع في العام والواحد–.

وفي أمريكا جرائم الأحداث ارتفعت بمعدل (٣٠٠٪) خلال العشرة أعوام الأخيرة، وفي ألمانيا الغربية مليون امرأة تتعاطى السحاق، وفيها (٣) ملايين مصاب بالصديد التناسلي، ونسبة التعرض للإصابة بأحد مرضى الزهري والسيلان القيحي بين الشباب الأمريكيين في سن (٢٥) عاماً تصل إلى (٥٠٪)، وفي العالم اليوم سبعون مليوناً من المصابين بمرض السيلان القيحي[5].

---

١– أثر صحيح رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علقمة، أنظر تيسير العزيز الحميد (٤٥٢). ٢– مدارج السالكين (١٦٨/٢). ٣– مدارج السالكين (٢٢٧).

٤– مقدمة في ظلال القرآن لسيد قطب. ٥– مجلة الرائد عدد (١٦) التي تصدر من آخن نقلاً عن دير شبيجل الألمانية في (٧٥/١/٢١).

## الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب:

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أننا مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله عز وجل، والإيمان أن بيده ملكوت كل شيء، والإيمان أن الأسباب لا تعطي النتائج، بل الذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار، فمن أراد النسل الصالح فلا بد أن يتخذ لذلك سبباً وهو الزواج الشرعي، ولكن الزواج الشرعي قد يعطي الثمار وهي النسل، وقد لا يعطي حسب إرادة العزيز الحكيم، ومشيئة اللطيف الخبير. **{يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير}** (الشورى: ٤٩).

ولذا فلو ترك الإنسان الأخذ بالأسباب لأثم، مع أن الأسباب لا تعطي النتائج، فلو ترك الإنسان السعي في طلب الرزق لكان آثماً، مع أن الرزق بيد الله (واعلم أن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره)، (وقد بين ﷺ أن الأسباب المخلوقة والمشروعة هي من القدر، فقيل له: أرأيت رقى نسترقي بها، وتقى نتقي بها، وأدوية نتداوى بها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: **{هي من قدر الله}** (فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع)[١].

لذا فقد أمر النبي ﷺ بالتداوي، فقد روى أصحاب السنن عن أسامة بن شريك قال: **{أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت، ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم}**[٢].

ولذا فقد استحب الشافعية التداوي، بل أكد الحنفية الاستحباب حتى أوصله بعضهم إلى الوجوب.

(وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه حرام، وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب)[٣].

روى البخاري[٤] أن عمر رضي الله عنه لما خرج إلى الشام لقيه أمراء الأجناد، وأخبروه بانتشار الوباء فيها، فاستشار المهاجرين والأنصار، ثم مهاجرة الفتح من مشايخ قريش، فاجتمع المهاجرة على الرجوع بعداً عن الوباء، وأمر بذلك عمر، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟).

ولذا فقد بكّت عمر بن الخطاب جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون بلا زاد، فذمهم، قال معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ثم يتوكل على الله)[٥].

يقول ابن القيم: وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة (الأخذ بالأسباب) فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته[٦].

يقول ابن دقيق العيد: (إن كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف، وإن كان من المجاز الشاذ فالحق تركه، وإن استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدم جوازه مسألة فقهية اجتهادية، والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين)[٧].

قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!

وقال ابن مسعود: (ما من قوم يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لهم)[٨].

---

١- مجموعة فتاوى ابن تيمية (٨/٥٢٨).

٢- رواه الأربعة وقال الترمذي حسن صحيح انظر مختصر أبي داود (٥/٣٤٦)

٣- شرح الطحاوية (٢٠١).

٤- فتح الباري (١٠/١٥٠-١٥١).

٥- جامع العلوم والحكم (٣٨٤).

٦- مدارج السالكين (٢/١١٦).

٧- (فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان) (٩٦).

٨- مجموع الفتاوى (٦/٥٩).

# شروط العمل بخبر الواحد

**اشترط الحنفية للعمل بالخبر ما يلي:**

١- ألا يكون الحديث مخالفاً للقياس والأصـــول الشرعية إذا كان الراوي له غير معروف بالفقه والاجتهاد، وممن عرف من الصحابة بالفقه عندهم عبدالله بن عباس وابن مسعود والخلفاء الأربعة.

وإن كان الصحابي قد عرف بالرواية فقط ولم يعرف بالإجتهاد فيرد حديثه، فردوا حديث المصراة لأن أبا هريرة رواه: (لا تصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظر من بعد أن يحلبها، إن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها ورد معها صاعاً من تمر) وذلك لأنه مخالف لقاعدة ضمان المتلفات ولقاعدة الخراج بالضمان، ولكن هذا مردود من ناحيتين:

أ- عمل الحنفية بحديث **{من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه}**. قال أبو حنيفة: (لولا الرواية لقلت بالقياس).

ب- حديث المصراة رواه البخاري عن ابن مسعود، والصحيح أن هذا الحديث لم يصل أئمة الحنفية، والحق أن الذي قال بهذا الشرط عيسى بن ابان تلميذ محمد بن الحسن وتبعه الدبوسي والمتأخرون.

٢- ألا يخالف عمل الراوي ظاهر الحديث، وهذا خلاف الجمهور الذين يأخذون بظاهر الحديث لأننا متعبدون بالرواية لا بالرأي، فقال الحنفية بعدم وجوب غسل السبع لولوغ الكلب لأن أبا هريرة الراوي كان يفتي بجواز الثلاث.

٣- ألا يخالف نص الكتاب: القضاء بالشاهد واليمين مخالفاً: **(شهيدين من رجالكم)**(البقرة: ٢٨٢).

٤- ألا يعرض عنه أئمة الصحابة كحديث **{ابتغوا في أموال اليتامى خيراً كيلا تأكلها الصدقة}**.

٥- ألا تعم به البلوى، مثال حديث أبي هريرة بالجهر بالبسملة، ورفع اليدين في الصلاة، ومس الذكر، والوضوء مما مست النار، وهذه كلها مردودة لأن الصحابة أخذوا بحديث عائشة في الغسل من الإيلاج، ورافع بن خديج في المخابرة والمزارعة.

٦- ألا يخالف القياس -عند مالك- أو الأصول أو معنى الأصول عند الحنفية، وهذا مردود، فعمر رضي الله عنه رجع إلى حديث المغيرة ومحمد بن مسلمة في غرة الجنين، وإلى التسوية بين دية الأصابع -عشر من الإبل-، ولكن الحنفية عملوا بحديث القهقهة مع مخالفته للقياس، والمالكية أخذوا بحديث المصراة مع مخالفته للقياس.

حديث ربيعة بن عبدالرحمن عن سعيد بن المسيب الذي رواه مالك والبيهقي دية إصبع المرأة عشرة، اثنان عشرون، ثلاثة ثلاثون، أربعة عشرون.

ويقبل خبر الواحد في الحدود وما يسقط بالشبهات خلافاً للكرخي.

## المرســـل:

يؤخذ به عند الجمهور خلافاً للشافعية، يؤخذ بالحديث وإن خالف عمل أهل المدينة.

ولهذا رد الشافعي حديث عائشة قالت: **{أهدي لحفصة طعام وكنا صائمتين فأفطرنا، ثم دخل رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله إنا أهديت لنا هدية واشتهيناها فأفطرنا، فقال رسول الله: لا عليكما صوماً مكانه يوما آخر}**. لأنه حديث مرسل رواه الزهري عن عائشة ولم يسمع منها وإنما سمعه من عروة، ولكنه أخذ بحديث الزهري عن سعيد بن المسيب من أن رسول الله ﷺ قال: **{لا يغلق الرهن من رهنه، له غنمه، وعليه غرمه}** فالرهن أمانة في يد المرتهن في مذهب الشافعي.

## الحديث المشهور:

ما كان من الآحاد في القرن الأول ثم نقله قوم لا يتوهم اتفاقهم على الكذب في القرن الثاني والثالث -التابعين وتابعي التابعين-، ولا عبرة بالاشتهار بعدها.

وحكمه يقيد به مطلق الكتاب: كحديث ماعز بالرجم قيد مطلق الآية (الزانية)، وحديث المسح على الخفين قيد الرجلين، والتتابع في كفارة اليمين، وقطع اليد إلى الكوعين -الرسغين- لا إلى المرفقين.

اشترط المالكية موافقة الحديث لعمل أهل المدينة، ردوا حديث خيار المجلس [البيعان بالخيار ما لم يتفرقا].

قال مالك بعد رواية الحديث: (وليس لهذا حدّ معروف -أي مدة معلومة- ولا أمر معمول به فيه أي مخالف لعمل أهل المدينة)[1].

ويكتفي الإمام مالك بتسليمة واحدة أخذا بعمل أهل المدينة.

كذلك يشترط المالكية ألا يخالف الحديث القياس:

عن مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: (سألت سعيد بن المسيب: كم في أصبع المرأة؟ فقال: عشر من الإبل، فقلت: كم في إصبعين؟ قال: عشرون من الإبل، فقلت: كم في ثلاث؟ فقال: ثلاثون من الإبل، فقلت: كم في أربع؟ قال: عشرون من الإبل، فقلت: حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها، فقال سعيد: أعراقي أنت؟ فقلت: بل عالم متثبت، أو جاهل متعلم، فقال سعيد: هي السنة يا ابن أخي).

قال مالك: الأمر عندنا في أصابع الكف إذا قطعت فقد تم عقلها وذلك أن خمس الأصابع إذا قطعت كان عقلها عقل الكف، خمسين من الإبل في كل إصبع عشرة من الإبل[2].

«ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به أنه يوجب العلم، إلا أنه جاء في كشف الأسرار/ البزدوي (٢/٣٧٠): (أنه يوجب العمل ولا يوجب اليقين -أي خبر الواحد-)[3].

وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، ولكن كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء، وأهل الحديث والسلف على ذلك، وهو قول أكثر الأشعرية كأبي أسحق وابن فورك، وأما ابن الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك، وتبعه مثل أبي المعالي وأبي حامد وابن عقيل وابن الجوزي وابن الخطيب والآمدي ونحو هؤلاء، والأول هو الذي ذكره الشيخ أبو حامد وأبو الطيب وأبو إسحاق وأمثاله من أئمة الشافعية، وهو الذي ذكره القاضي عبدالوهاب وأمثاله من المالكية، وهو الذي ذكره أبو يعلى، وأبو الخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني وأمثالهم من الحنبلية، وهو الذي ذكره شمس الدين السرخسي وأمثاله من الحنفية. وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالحديث، كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة»[4].

وفي المسودة ص(٢٤١) قال أحمد: (إذا جاء الحديث عن النبي ﷺ بإسناد صحيح فيه حكم أو فرض عملت بالحكم أو الفرض ودنت الله تعالى به، ولا أشهد أن النبي ﷺ قال ذلك).

قال القاضي: وقد نقل أبو بكر المروزي قال: قلت لأبي عبد الله: ها هنا إنسان يقول أن الخبر يوجب عملاً، ولا يوجب علماً، فعابه، وقال: ما أدري ما هذا؟ قال: وظاهر هذا أنه سوّى فيه بين العلم والعمل.

قال القاضي: وقال في رواية حنبل في أحاديث الرؤية: نؤمن بها ونعلم أنها حق نقطع على العلم بها، قال: وذهب إلى ظاهر هذا الكلام جماعة من أصحابنا، وقالوا: خبر الواحد إن كان شرعياً أوجب العلم[5].

وفي المسودة ص(٢٤٠): (خبر الواحد يوجب العلم وغلبة الظن دون القطع في قول الجمهور).

وفي المسودة ص(٢٤٠) قال النظام إبراهيم: خبر الواحد يجوز أن يفيد العلم الضروري إذا قارنته إمارة.

قال ابن عبدالبر[6]: (والذي عليه أكثر أهل الحذق منهم أنه يوجب العمل دون العلم، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد الله به وقطع).

وقال قوم كثير من أهل الأثر وبعض أهل النظر: أنه يوجب العلم والعمل جميعاً منهم الحسين الكرابيسي.

ثم قال ابن عبدالبر: (الذي نقول به أنه يوجب العمل دون العلم).

---

١- (المنتقى، الموطأ) (٥/٥٥)، والمدونة الكبرى (١٠/٢٠).

٢- أنظر الموطأ (٢/١٨٦).

٣- أنظر كشف الأسرار، المنار (٢/٧)، وأصول اللواليبي ص(٢٤٩).

٤- أ. هـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية م(١٣) مقدمة التفسير ص(٣٥ - ٢٥٢).

٥- المسودة ص(٢٤٣).

٦- المسودة ص(٢٤٤)

وأثبت أبو إسحاق الإسفراييني قسماً بين المتواتر والآحاد سماه المستفيض، وزعم أنه يفيد العلم نظراً، والمتواتر يفيد العلم ضرورة، وأنكر عليه الجويني ذلك.

قال والد ابن تيمية: إن اتفقوا على العمل به لم يحكم بصدقه لجواز العمل بالظاهر، وقد اختلف العلماء في تكفير منكر خبر الواحد العدل فذكر وجهان عن الحنبلية، والتكفير منقول عن إسحاق بن راهوية[1].

قال شيخ الإسلام[2]: (مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات).

قال القاضي: وخبر الواحد يوجب العلم إذا صح ولم تختلف الرواية فيه وتلقته الأمة بالقبول.

# أسماء الله عز وجل وصفاته توقيفية

قال أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي -حاكياً عن بعض أهل العلم-: أنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه تعالى ألف اسم.

## الآراء في الصفات:

١- المجسمة والمشبهة: يد كأيدينا، وعين كأعيننا، كداود الجوارني وهشام بن الحكم الرافضي.

٢- المعطلة: لأن الكلام والسمع والبصر بالآلات وهو منزه عنها، كالجهمية.

قال ابن القيم: (أصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل) وهو ثلاثة أقسام:

أ- تعطيل الصانع عن المصنوع.

ب- تعطيل الصانع سبحانه عن كمال القدس أسمائه وصفاته وأفعاله.

جـ-تعطيل معاملته عن ما يجب على العباد من حقيقة التوحيد[3].

٣- السلف: قال أحمد: (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى، ولا نرد منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق إذا كان بأسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حد ولا غاية **(ليس كمثله شيء)**[4].

٤- مذهب الخلف: يجوز تأويل الصفات، فالوجه للذات، واليد للقدرة.

قال ابن الجوزي: (دفع شبه التشبيه): **(ويبقى وجه ربك)** يبقى ربك، وقال الضحاك وأبو عبيدة: **(كل شيء هالك إلا وجهه)** إلا هو، وقال: الأخذ بظاهر الآيات تجسيم وتشبيه، وليس الأخذ بالظاهر مذهب السلف، بل السكوت جملة عن البحث فيها، وقال: إن تسميتها آيات وأحاديث صفات بدعة.

ويرد على الرأيين الأولين بالآية **(ليس كمثله شيء)** رد على المشبهة، **(وهو السميع البصير)** رد على المعطلة.

قال ابن القيم في الكافية الشافية:

*لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ... إن المشبه عابد الأوثان*
*كلا ولا نخليه من أوصافه ... إن المعطل عابد البهتان*
*من شبه الله العظيم بخلقه ... فهو النسيب لشرك نصراني*
*أو عطل الرحمن عن أوصافه ... فهو الكفور وليس ذا إيمان*[5]

قال بعض العلماء: (المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً).

قال الخطابي: (مذهب السلف إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذ الكلام في الصفات فرع عن[6] الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه، ويتبع فيها مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف

---

١- المسودة ص(٢٤٥).    ٢- ص٢٤٨ المسودة.    ٣- الروضة ص(٢٦).
٤- العقائد للبنا ص(٤٨٩).    ٥- الروضة الندية ص(٢١).    ٦- في الأصل (على) ولعل الصحيح ما أثبتناه.

فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف).

وقد يعبرون عن ذلك بقولهم: تمر كما جاءت ولا يتعرض لها بتأويل، ومرادهم أنه يجب إثبات حقيقة الصفات دون التكييف، وقد يظن أنهم أرادوا التفويض أو أنها من المتشابه وهذا ظن خاطىء[1].

قال ابن تيمية: (ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل)[2]. قال بعضهم: (صفات الرب تعالى معلومة من حيث الجملة والإثبات، غير مدركة من حيث الكيف والتحديد)[3].

**أهل السنة يثبتون لله تعالى:**

١- الصفات الذاتية: كالقدرة والإرادة والعلم.

٢- صفات الأفعال: كالنزول والمجيء.

٣- الصفات الاختيارية: كالفرح والضحك.

## الصفات:

١- النفسية (الوجود): يدل الوصف على نفس الذات، دون معنى زائد عليها، ولا تعقل الذات إلا بها.

٢- الصفات السلبية: وهي كل صفة مدلولها عدم أمر لا يليق بالله سبحانه.. الوحدانية، القدم، البقاء، القيام بالذات، المخالفة للحوادث.

٣- صفات المعاني: هي كل صفة قائمة بذاته سبحانه وتعالى تستلزم حكماً معيناً له، كصفة العلم، تستلزم أن يكون المتصف بها عليماً.

وأنكر المعتزلة هذه الصفات فقالوا: إن الله تعالى عالم بدون أن يتصف بشيء اسمه العلم، وإن الله تعالى قادر بدون أن يتصف بشيء اسمه القدرة.

وقال المعتزلة: (إن عالميته وقادريته واجبة لذاته تعالى، فلا تحتاج لوجودها إلى العلم كما هو الحال بالنسبة إلينا، وقالوا: إن الله كامل بذاته... فيلزم إذا قلنا إن عالميته ثابتة بواسطة صفة العلم فيه أن يكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره وهو باطل باتفاق)[4]، وهي: (العلم، الإرادة، القدرة، السمع، البصر، الكلام، الحياة).

٤- الصفات المعنوية: هي الصفات التي تترتب على ثبوت صفات المعاني وهي: (عليم، مريد، قدير، سميع، بصير، متكلما حي).

جاء في كتاب شرح الفقه الأكبر ص(١٤) قال أبو حنيفة: (والله تعالى واحد، لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له (قل هو الله أحد...) لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية.

أما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة.

وأما الفعلية: فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل.

لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له اسم ولا صفة، لم يزل عالماً بعلمه والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته والقدرة صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل، وخالقاً بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفاعلاً بفعله والفعل صفة في الأزل).

قال الإمام عبدالعزيز المكي في (كتاب الحياة) الذي حكى فيه مناظرته لبشر المريسي عن علمه تعالى: وبشر يقول لا يجهل ولا يعترف أن الله عالم بعلم، فقال الإمام عبدالعزيز: نفي الجهل لا يكون صفة مدح، فإن هذه الأسطوانة لا تجهل، وقد مدح الله الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم[5].

---

١- الروضة ص(٢١). ٢- الروضة ص(٢١). ٣- شرح العقيدة الواسطية -مصطفى العالم-.

٤- كبرى اليقينيات (١٢٤) نقلاً عن المواقف (٣/٢٤٦). ٥- الروضة ص(٧٢).

# الواجب في حقه تعالى

يقول السنوسي في البيجوري/السنوسية ص(١٦): يجب لمولانا جل وعز عشرون صفة وهي:

أ- نفسية: الوجود.

ب- سلبية: القدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية.

قال البيجوري: إنما نسبت للسلب لأنها مفسرة به، إذ القدم سلب أولية الوجود، والبقاء سلب آخرية الوجود، والمخالفة للحوادث: سلب المماثلة لها، والقيام بالنفس: سلب الافتقار، والوحدانية: سلب التعدد.

جـ- صفات المعاني: وهي سبع عند الأشاعرة، وأما عند الماتريدية فثمان صفات لأنهم يزيدون صفة التكوين؛ فهي عندهم صفة قديمة قائمة بذاته تعالى بها الإيجاد والإعدام، وهي المرادة عندهم من صفات الأفعال، وهي:

١- القدرة والإرادة: المتعلقتان بجميع الممكنات.

٢- العلم المتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات.

٣- والحياة: وهي لا تتعلق بشيء.

٤، ٥ - السمع والبصر: المتعلقان بجميع الموجودات.

٦- الكلام: ويتعلق بما يتعلق به العلم.

د- صفات معنوية: وهي ملازمة للسبع الأولى وهي كونه تعالى: قادراً، مريداً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، متكلماً.

# المستحيل في حق الله تعالى

أضداد الصفات العشرين وهي:

أ- العدم.

ب- الحدوث، وطروء العدم (الفناء)، والمماثلة للحوادث.

## أنواع المماثلة عشرة:

١- أن يكون جرماً. ٢- عرضاً. ٣- أن يكون في جهة. ٤- أن يكون له هو جهة. ٥- أن يكون في مكان. ٦- أن يكون في زمان. ٧- أن يكون محلاً للحوادث. ٨- أن يكون متصفا بالصغر. ٩- أن يكون متصفا بالكبر. ١٠- أن يكون متصفاً بالأغراض في الأفعال أو الأحكام.

## القدم:

روى البخاري عن عمران بن الحصين: (إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا، جئنا لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ فقال ﷺ: **كان الله ولم يكن شيء غيره** -وفي رواية: قبله- **وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق الله السموات والأرض**)[1].

روى أبو داود حديثاً رقم (٤٧٠٠) عن عبادة بن الصامت: **[إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة]**.

قال البيهقي: وإنما أراد -والله أعلم- أول شيء خلقه الله بعد الماء والريح والعرش والقلم[2].

واختلف العلماء أيهما خلق أولا العرش أو القلم؟

١- قالت طائفة: القلم أولاً، لحديث عبادة، وقال بهذا ابن جرير الذي قال: وبعد القلم السحاب الرقيق وبعده العرش. وبه قال

١- العقائد لسيد سابق ص(٥٤). ٢- شرح قصيدة ابن القيم (٢٧٥/١).

ابن أبي عروبة وأبو القاسم الطبراني، وابن الجوزي.

٢- قال ابن كثير: والذي عليه جمهور العلماء أن العرش مخلوق قبل ذلك كما دل عليه حديث مسلم: **[كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة -قال- وكان عرشه على الماء]**(١).

*والحق أن العرش قبل لأنـــه — قبل الكتابة كان ذا أركـــان*
*وكتابة القلم الشريف تعقبت — إيجاده من غير فصل زمان*(٢)

فالله عز وجل لا أول لوجوده، وإن وجوده غير مسبوق بعدم.

روى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: **[لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله]**.

إذا وضعت كتاباً على مكتبك ثم عدت فوجدته على طاولة أخرى تسأل عمن نقله، أما إذا كان في غرفتك رجل جالساً على الأرض ثم عدت فوجدته على الكرسي فلا تسأل من الذي نقله.

أقرب نجم إلينا بعد الشمس يعادل بعده (٢٦٠٠٠٠) مرة بعد الشمس عنا، تعتبر المجموعة الشمسية ذرة إذا قيست بالمجرة إذ أنها تحتوي على مائة مليون نجم.

إن الضوء يستغرق مائة ألف سنة ضوئية ليرحل بين طرفي المجرة، والسنة الضوئية تساوي عشرة مليون مليون كيلو متر (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) كم(٣).

الدليل العقلي: إذا لم يكن قديماً كان حادثاً، وإذا كان حادثاً احتاج إلى من يحدثه مع أن المفروض في الله تعالى أنه خلق جميع الموجودات، وهذا محال لأنه يترتب عليه الدور والتسلسل وهو محال وباطل، وما ترتب على المحال والباطل فهو باطل.

ولو كان مسبوقاً بالعدم لكان لا بد من مؤثر في إيجاده، ومحال أن يكون مع ذلك إلهاً، فلا بد أن تكون الموجودات مستندة في وجودها إلى ذات واجبة الوجود (أي أن الوجود لازم لها بلا ابتداء ولا انتهاء)، ولا تكون هذه الذات واجبة الوجود إلا إذا كانت مؤثرة في غيرها غير متأثرة بسواها، وذلك يستلزم أن تكون متصفة بالقدم.

ويجب أن نضع نصب أعيننا أن العقل لا يستطيع إدراك عدم الأولية أو اللانهائية، وذلك لأنه محدود وقدرته متناهية ومحصورة، وعدم إدراك حقيقة لا يعني أنها غير موجودة، ولذلك قالوا: (عدم الوجدان للشيء لا يستلزم عدم وجوده في الواقع).

*العجز عن درك الإدراك إدراك — والبحث في كنه ذات الله إشراك*

عن عكرمة عن ابن عباس «أن اليهود جاءت النبي ﷺ منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد الله الصمد، لم يلد) -فيخرج منه-، (ولم يولد) -فيخرج من شيء-، (ولم يكن له كفوا أحد) ولا شبه، فقال: هذه صفة ربي عز وجل وتقدس علواً كبيراً». **(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)**.

وقد أنكر ابن حزم وأكثر السلف هذا الاسم فقالوا: القديم هو المتقدم على غيره **(حتى عاد كالعرجون القديم)** وهو الذي يبقى حتى وجود العرجون الثاني. **(هذا إفك قديم)** (الأحقاف: ١١). **(هو الأول والآخر والظاهر والباطن)**.

مدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده (فالأول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه)(٤).

## البقـــاء:

ومعناه أنه سبحانه لا آخر له، فيمتنع لحوق الفناء والعدم بذاته، وذلك لأنه واجب الوجود، فالوجود لازم له في القدم والبقاء، وهو يؤثر ولا يتأثر.

١- رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب.
٢- شرح الكافية الشافية (١/٢٧٥).
٣- سيد سابق -العقائد- ص(٤٢).
٤- الروضة الندية (٦٨-٦٩).

الدليل النقلي: **(كل شيء هالك إلا وجهه)**، **(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك...)**.

**(أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء)**[1].

## القيام بالذات:

أي أنه غني عن المحل، وغير مفتقر إلى موجد، **(الله الصمد)** يحتاج إليه كل شيء ولا يحتاج إلى شيء، **(الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم)** **(وهو الغني الحميد)**، والقيوم أبلغ من القيام، لأن الواو أقوى من الألف، ويفيد قيامه بنفسه باتفاق المفسرين وأهل اللغة، وهو معلوم بالضرورة، وهل تفيد إقامته لغيره؟ فيه قولان: أصحهما: أنه تفيد دوام قيامه.

والقيوم متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته[2].

الدليل العقلي: هو خالق الخلق، فلو احتاج إلى غيره لكان ضعيفاً -سبحانه-، ولكان حادثاً مخلوقاً.

## مخالفته للحوادث:

وقد ذكرنا من قبل معنى المخالفة -وهي عشرة- أنه ليس بجرم ليس له مكان ولا زمان.

وقد جاء في القرآن **(ليس كمثله شيء)**، **(قل هو الله أحد)**، ومعنى ليس كمثله شيء: أي ليس كهو شيء، ومثله **(فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا... أي بالذي آمنتم)**.

ويقال الكاف: زيادة، يقال: فلان كلمني بلسان كمثل السنان، فلما أراد اللّٰه أن ينفي التشبيه على آكد ما يكون من النفي جمع في قراءتنا بين حروف التشبيه واسم التشبيه حتى يكون النفي مؤكداً على المبالغة[3].

وفي الحديث: **[قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، والله عز وجل لا يموت ولا يورث، ولم يكن لـه كفواً أحد، قال: لم يكن له شبه ولا عدل، وليس كمثله شيء]**[4].

عن ابن عباس: **(ولله المثل الأعلى** قال يقول **(ليس كمثله شيء)**، وفي قوله: **(هل تعلم له سميا)** يقول: هل تعلم للرب مثلاً أو شبهاً).

قالوا للحسن البصري: صف لنا ربك، قال: أصفه بغير مثال.

قال بعض العلماء المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات.

وزاد الواسطي -رحمه اللّٰه- فقال: ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ[5].

## صفات الله عز وجل:

| الصفـــــات | الواجب في حقه تعالى | المستحيل |
|---|---|---|
| النفســـية | الوجـــود | العـــدم |
| السلبية | القدم | الحدوث |
| | البقاء | طروء العدم |
| | مخالفته للحوادث | المماثلة للحوادث |
| | قيامه بنفسه | ألا يكون قائماً بنفسه |
| | الوحدانية | يستحيل ألا يكون واحداً |

١- مسلم.
٢- شرح الطحاوية (٥٤-٥٥).
٣- الأسماء والصفات للبيهقي ص(٢٧٨).
٤- الأسماء للبيهقي ص(٢٧٩).
٥- تفسير القرطبي (٩/١٦).

| صفات المعاني | القدرة | العجز |
|---|---|---|
| | | عدم الإرادة (الذهول والغفلة) |
| | العلم | الجهل |
| | الحياة | الموت |
| | البصر | العمى |
| | السمع | الصمم |
| | الكلام | البكم |

الصفات المعنوية[1]

## الوحدانية:

أي أن الله واحد أحد في ذاته وصفاته وأفعاله.

أما الوحدانية في الذات فتعني أن ذات الله واحدة ليست مركبة من أجزاء، ولا هي نوع تحته أفراد، ولا شريك له في ملكه **(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)**. (سبأ: ٢٢)

ولو كان له شريك لفسدت السموات والأرض. **(قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا)** (الإسراء: ٤٢)

**(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)**. (الأنبياء:٢٢)

والفساد يأتي لتعارض الأوامر، لقال إله بالخلق ومانع وعارض آخر، وتوقف النظام الكون **(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)**. (المؤمنون:٩١).

**(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** (الأنبياء:٢٥)

قال الحليمي في معنى (لا إله إلا الله): إن هذه الكلمة يكفي الإنسلاخ بها من جميع أنواع الكفر بالله جل ثناؤه، وإذا تأملنا وجدناها بالحقيقة كذلك، لأن من قال: (لا إله إلا الله) فقد أثبت الله تعالى ونفى غيره، فخرج بإثبات ما أثبت من التعطيل، وبما ضم إليه من نفي غيره عن التشريك، وأثبت باسم الإله الإبداع والتدبير.

(فتبين أن اسم الإله والتشبيه لا يجتمعان، كما أن اسم الإله ونفي الإبداع عنه لا يأتلفان)[2].

## القدرة:

**(بلى قادرين على أن نسوي بنانه)** (القيامة: ٤). **(أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة)** (فصلت: ١٥). **(قل هو القادر)** (الأنعام: ٦٥). **(وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض)** (فاطر: ٤٤).

قال الأستاذ أبو إسحق: من أسامي صفات الذات ما يعود إلى القدرة، منها (القاهر) ومعناه (الغالب)، ومنها (القهار) ومعناه الذي لا يقصد إلا ويغلب، ومنها (القوي) ومعناه المتمكن من كل مراد، ومنها (القادر) ومعناه إثبات القدرة، ومنها (المقتدر) الذي لا يرده شيء عن المراد، (ذو القوة المتين) نفي النهاية في القدرة.

وفي بعض الأخبار (الغلاب): الذي يُكره على ما يريد ولا يُكره على ما يراد.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: **{كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك**

---

١- هكذا موجودة في الأصل وحدها، إلا أن الشيخ ذكرها مفصلة فيما سبق، فقال: وهي الصفات التي تتبع صفات المعاني وهي سبع (عليم، مريد، قدير، سميع، بصير، متكلم، حي).

٢- الأسماء والصفات للبيهقي ص(٩٧).

بقدرتك..][1]. (سجد وجهي للذي خلقه... بحوله وقوته).

## الإرادة والمشيئة:

الإرادة والمشيئة عبارتان عن معنى واحد.

**(يريد في الخلق ما يشاء)** (فاطر: ١)، **(في أي صورة ما شاء ركبك)** (الإنفطار: ٨)، **(إن الله يفعل ما يشاء)** (الحج: ١٨)، **(إن الله يفعل ما يريد)** (الحج: ١٤)، **(فعال لما يريد)**. (البروج: ١٦)، **(وربك يخلق ما يشاء ويختار)** (القصص: ٦٨)، **(ولو شاء ربك ما فعلوه)** (الأنعام: ١١٢).

(قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد)، (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان).

قال الشافعي: المشيئة إرادة الله تعالى.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ما شاء الله وشئت، فقال رسول الله ﷺ: أجعلتني لله عدلاً؟ بل شاء الله وحده**].

وفي الصحيحين: [**فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط قط**].

قال أبو سليمان الخطابي: فيشبه أن يكون من ذكر القدم والرجل أو ترك الإضافة إنما تركها تهيباً لها وطلباً للسلامة من خطأ التأويل فيها، وكان أبو عبيد وهو أحد أئمة أهل العلم يقول: نحن نروي هذه الأحاديث ولا نريغ (نطلب) لها المعاني.

قال الخطابي: ونحن أحرى بأن لا نتقدم فيما تأخر عنه من هو أكثر علماً وأقدم زماناً وسناً، ولكن الزمان الذي نحن فيه قد صار أهله حزبين:

١- منكر لما يروى من نوع هذه الأحاديث وهم أئمة الدين ونقلة السنن، والواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ.

٢- والطائفة الثانية: مسلمة للرواية فيها ذاهبة في تحقيق الظاهر منها مذهباً يكاد يفضي بهم إلى القول بالتشبيه.

قال الخطابي: ونحن نرغب عن الأمرين معاً، ولا نرضى بواحد منهما مذهباً، فيحق علينا أن نطلب لما يرد من هذه الأحاديث إذا صحت من طريق النقل والسند تأويلاً يخرج على معاني أصول الدين، ومذاهب العلماء، ولا نبطل الرواية فيها أصلاً، إذا كان طرقها مرضية ونقلتها عدولاً.

قال الخطابي: وذكر القدم هنا يحتمل أن يكون المراد به من قدمهم الله للنار من أهلها، فيقع بهم استيفاء أهل النار، وكل شيء قدمته فهو قدم كما يقال لما هدمته هدم، ولما قبضته قبض، ومن هذا قوله عز وجل: **(أن لهم قدم صدق عند ربهم)** (يونس: ٢)، أي ما قدموه من الأعمال الصالحة[2].

العرب تسمي جماعة الجراد رجلاً، وجماعة الظباء سرباً، وجماعة النعام خيطاً، وجماعة الحمير عانة.

قال الخطابي: وفيه وجه آخر وهو أن هذه الأسماء مثال يراد بها إثبات معان لا حظّ لظاهر الأسماء فيها من طريق الحقيقة، إنما أريد بوضع الرجل عليها نوع من الإذلال والتمكين من غربها (حدتها) كما في الحديث: [**ألا إن كل دم ومأثرة في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين إلا سقاية الحاج وسدانة البيت**] يريد محو المآثر.

وتقول العرب: سقط في يده -ندم-، ورغم أنف الرجل: إذا ذل، وعلا كعبه: إذا جل، ومنه:

*فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف إعجازاً وناء بكلكل*

وتقول العرب: (قام على ساق): إذا جد في الأمر.

وهذا الباب كثير التصرف.

## نواقض الإسلام[3]:

١- الشرك بالله، الذبح لغير الله، والقبر.

---

١- رواه البخاري عن ابن مسعود. ٢- الأسماء والصفات للبيهقي (٢٥٠-٢٥١) ٣- محمد عبد الوهاب.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

٣- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

٤- من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

٥- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ -ولو عمل به- فهو كافر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل: **{قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون}** (التوبة: ٦٥)

٧- السحر، فمن فعله أو رضي به كفر. **{وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر}** (البقرة: ١٠٢).

٨ - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. **{ومن يتولهم منكم فإنه منهم}** (المائدة: ٥١).

٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

١٠- من أعرض عن دين الله -لا يتعلمه ولا يعمل به-. **{والذين كفروا عما أنذروا معرضون}** (الأحقاف ٣)

## الطواغيت:

**{ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}** (النحل ٣٦).

الطاغوت: كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة:

١- الشيطان. **{ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان}** (يس: ٦٠)

٢- الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى. **{ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك}** (النساء: ٦٠)

٣- الذي يحكم بغير ما أنزل الله.

٤- الذي يدعي علم الغيب.

٥- الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة. **{فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى}**(البقرة: ٢٥٦).

ولا يصير الإنسان مؤمناً بالله حتى يكفر بالطاغوت.

## حكم موالاة أهل الإشراك:

قال سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم -خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم- فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين. هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك.

فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة، ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ. ولا يستثنى من ذلك إلا المكره. وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً فإنه يكفر. فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً

وساق الشيخ عشرين دليلاً على قوله منها: **{ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}** (البقرة ١٢٠) **{ولا يزالون يقاتلونكم}** (البقرة: ٢١٧). **{لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين}** (آل عمران ٢٨) **{وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم}** (النساء ١٤٠) **{ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء}** (المائدة: ٨٠-٨١). الحديث: **[من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله]**.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: إن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة

والمنزل معهم بحيث يعده المشركون منهم فهو كافر مثلهم، وإن ادعى الإسلام، كالناس الذين أقاموا في مكة وادعوا الإسلام بعد الهجرة، وخرجوا في بدر مع المشركين فظن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تعالى: (**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**) (النساء:٦٧).

(من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المؤمنين وخذلانهم عند اجتماع العدو، يجوز إطلاق اسم منافق عليه).

## ملاحظات:

١- سيرة الخلفاء في مانعي الزكاة واحدة: قتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسموهم جميعاً أهل الردة.

٢- قال ابن تيمية في كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول): أجمع المسلمون أن من سب الله أو رسوله أو دفع شيئاً مما أنزل الله أنه كافر بذلك وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله.

وقال محمد بن سحنون -أحد أصحاب مالك- أجمع العلماء على أن شاتم الرسول ﷺ كافر، وحكمه عند الأئمة القتل، ومن شك في كفره كفر.

قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم أن على من سبه القتل، وهذا قول أحمد وابن عمر وعمر بن عبدالعزيز.

ولقد قتل خالد بن الوليد رجلاً شتم الرسول ﷺ ولم يستتبه.

قال الشافعي: من هزل بشيء من آيات الله فهو كافر، فكيف بمن هزل بسب الله تعالى أو بسب رسوله ﷺ.

قال ابن تيمية: قال أصحابنا وغيرهم: من سب الله كفر -مازحاً أو جاداً- وهذا هو الصواب المقطوع به.

ومعنى قول إسحاق: أو دفع شيئاً مما أنزل الله: أن يدفع شيئاً مما أنزل الله في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من الفرائض أو الواجبات أو المسنونات أو المستحبات، بعد أن يعرف أن الله أنزله في كتابه أو أمر به رسوله ﷺ، أو نهى عنه، ثم دفعه بعد ذلك فهو كافر مرتد، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله من الشرع إلا ما دفعه وأنكره لمخالفته هواه أو عادته أو عادة أهل بلده، وهذا قول العلماء: من أنكر فرعاً مجمعاً عليه فقد كفر.

فإذا كان من أنكر النهي عن الأكل بالشمال، أو النهي عن إسبال الثياب -بعد معرفته أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك- فهو كافر مرتد، ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم، فكيف بمن أنكر إخلاص العبادة لله وحده؟!.

## الإيمان المطلق ومطلق الإيمان:

الإيمان المطلق: هو الذي لا يتقيد بمعصية ولا فسوق ولا نقصان ونحو ذلك، ويقال: الإيمان الكامل وهو الإتيان بالواجبات وترك المعصية.

وأما مطلق الإيمان: فهو ما كان معه ترك واجب أو فعل محرم كفعل معصية.

## الواجب نحو أصحاب النبي ﷺ:

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله ﷺ من الحقد والبغض والاحتقار والعداوة، وسلامة ألسنتهم من الطعن واللعن والوقيعة فيهم، ويعتقدون فضلهم، ويعرفون سابقتهم ومحاسنهم، ويترحمون عليهم، ويستغفرون لهم، ولا يقولون إلا ما حكاه الله عنهم. (**والذين جاءوا من بعدهم**) (الحشر: ١٠).

قال ﷺ لخالد بن الوليد عندما سب عبدالرحمن بن عوف: (**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**)، ويجب الإمساك والكف عما شجر بينهم.

## أهل السنة والجماعة:

أهل السنة: هم المتبعون لها ونسبوا إليها لتمسكهم بها وانتسابهم إليها دون غيرها من الطرق.

## الجماعة:

سلف الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من الكتاب والسنة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة فهو منهم.

## الحرورية:

هم الخوارج: سموا بذلك نسبة إلى قرية قرب الكوفة حرورا.

## الرافضة:

هم الذين غلوا في أمير المؤمنين علي، وغلوا في أهل البيت، ونصبوا العداوة لجمهور الصحابة -كالثلاثة- وكفروهم ومن والاهم.

وقالوا: لا ولاء إلا ببراء، أي لا يتولى أحد بعد علي إلا ببراءته من أبي بكر وعمر، وكفروا من قاتل علياً.

وسبب تسميتهم الرافضة: لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين، وارْفَضُّوا عنه حينما قالوا له: تبرأ من الشيخين، فقال: معاذ الله وزيرا جدي.

## الصلاة وراء الفجار (المسلم الفاسق) جائزة:

فقد صلى ابن مسعود خلف الوليد بن عقبة وكان يشرب الخمر، وصلى الفجر أربعاً[1]، وجلده عثمان على الخمر، وصلى ابن عمر خلف الحجاج، وخلف الخوارج، وكان الصحابة يصلون وراء ابن أبي عبيد، وكان متهماً بالإلحاد وداعياً إلى الضلال.

الفاسق أو العاصي: كل من ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة.

*ويفسق المذنب بالكبيرة ... كذا إن أصر على الصغيرة*

*لا يخرج المؤمن من الإيمان ... بموبقات الذنب والعصيان*

وفي المغني (٢/١٨٥): (ومن صلى خلف من يعلن ببدعة أو بسكر أعاد).

قال الأثرم، قلت لأحمد: الرافضة الذين يتكلمون بما تعرف؟ فقال: نعم أمره أن يعيد، فقيل له: وهكذا أهل البدع كلهم، قال: لا، إن منهم من يسكت، ومنهم من يقف ولا يتكلم، وقال: لا تصل خلف أحد من أهل الأهواء إذا كان داعية إلى هواه.

وقد روي عن أحمد: أنه لا يصلي خلف مبتدع بحال، وفي رواية: لا يصلي خلف مرجيء ولا رافضي ولا فاسق إلا أن يخافهم فيصلي ثم يعيد.

وعن مالك: أنه لا يصلي خلف أهل البدع.

واعتمد الحنبلية على الحديث: {**لا تؤمن امرأة رجلاً، ولا فاجر مؤمناً إلا أن يقهره بسلطان، أو يخاف سوطه أو سيفه**}[2].

أما الجمع والأعياد: فإنها تصلى خلف البر والفاجر، وكان أحمد يشهدها مع المعتزلة ثم تعاد.

جاء رجل إلى محمد بن النضر، فقال له: إن لي جيراناً من أهل الأهواء لا يشهدون الجمعة، فقال: حسبك، ما تقول فيمن رد إلى أبي بكر وعمر؟ قال: رجل سوء، قال: فإن رد على النبي ﷺ؟ قال: يكفر، قال: فإن رد على العلي الأعلى؟ ثم غشي عليه، ثم أفاق.

## الصلاة خلف مستور الحال:

وإن لم يعلم حاله ولم يظهر منه ما يمنع الائتمام به، فصلاة المأموم صحيحة، نص عليه أحمد، لأن الأصل في المسلمين السلامة، ولو صلى خلف من يشك في إسلامه فصلاته صحيحة.

ويصلى على من مات من الأبرار والفجار من أهل القبلة عدا البغاة وقطاع الطرق وقاتل نفسه خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد

---

١- يعني من سكره لا من اعتقاده، ورواية أن الوليد بن عقبة شرب الخمر رواها الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده، والطبري في تاريخه، مع أن الوليد بن عقبة مشهود له بأنه قائد مجاهد فاتح عادل، بل مثالي في جهاده وقيامه للإسلام، وقد تحير الشيخ محب الدين الخطيب في هذه الرواية واستغربها أشد الغرابة، واضطر إلى تأويلها ودراسة ملابساتها من كل جهة، ويصل أخيراً إلى نتيجة بأن الرواية في أصلها وفي حقيقتها لَبْسٌ كثير، واتهام الوليد بشرب الخمر ظلم عظيم، والسبب في هذا الظلم هم الشهداء الذين شهدوا عليه أمام عثمان رضي الله عنه -انظر لتفصيل هذا الموضوع حاشية كتاب (العواصم من القواصم) تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب ص(٩٤-٩٩)- (التعليق من الناشر).

٢- رواه ابن ماجة عن جابر مرفوعاً

خلافاً لمالك والشافعي.

ولا ننزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً، ولا نرى السيف على أحد من أهل القبلة إلا من وجب عليه السيف، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة.

## التوقيف في الأسماء وعددها[١]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **{إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، من حفظها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر}**[٢].

وليس في قول النبي ﷺ تسعة وتسعون اسماً نفي غيرها، وإنما وقع التخصيص بذكرها لأنها أشهر الأسماء وأبينها معاني[٣].

ومعنى أن أسماء الله توقيفية: أنه لا يتجاوز بها الوارد في الكتاب والسنة، فهي تتلقى عن طريق السمع لا بالآراء، فلا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، ولا يسمى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ[٤].

وهي ليست محصورة بعدد معروف، وأما الحديث الوارد: **{أن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة} فلا يفيد أنها محصورة بالتسعة والتسعين، وإنما غاية ما فيه أن هذه الأسماء موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة**[٥].

وقيل: فصل الخطاب في أسماء الله الحسنى، هل هي توقيفية أم لا؟ وحاصله: أن ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق من باب الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً، كالقديم، والشيء الموجود، والقائم بنفسه، والصانع ونحو ذلك[٦].

### وهذه أسماء الله الحسنى:

هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور[٧].

وزاد الفاريابي: الكافي بعد الصبور، وفي رواية الحسن بن سفيان الرافع بدل المانع، وقيل رواية النصيبي المغيث بدل المقيت[٨].

### اسم الله الأعظم:

ورد ذكر اسم الله الأعظم في أحاديث كثيرة منها:

١- عن بريدة رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: فقال: **{والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى}**[٩].

قال الطيبي: فيه دلالة على أن لله تعالى اسماً أعظم إذا دعي به أجاب، وإن ذلك مذكور ههنا، وفيه حجة على من قال: كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو الإسم الأعظم، إذ لا شرف للحروف، وقد ذكر في أحاديث آخر مثل ذلك، وفيها أسماء ليست في هذا الحديث، إلا أن لفظ الله مذكور في الكل فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم.

---

١ ملاحظة: من هنا حتى آخر الكتاب وجدناه في الأصل بغير خط الشيخ الشهيد، وإنما هو بخط الناسخ الذي كان يملي عليه الشيخ، عدا آخر صفحتين فهي بخط الشيخ

٢ رواه البخاري في الصحيح عن علي بن المديني، ورواه مسلم عن عمرو الناقد وزهير بن حرب وابن أبي عمر كلهم عن سفيان بن عيينه، الأسماء والصفات البيهقي ص(٤).

٣ الأسماء والصفات البيهقي ص(٦).

٤ الأسئلة والأجوبة الأصولية -عبد العزيز السلمان- ص(٤٥).

٥ الأسئلة والأجوبة الأصولية -عبد العزيز السلمان- ص(٤٤)

٦- تيسير العزيز الحميد -سليمان بن عبد الوهاب- ص(٥٧٤)

٧- تيسير العزيز الحميد -سليمان بن عبد الوهاب- ص(٥٧٦-٥٧٧)

٨- الأسماء والصفات البيهقي ص(٥)

٩ رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

لقادرون} (المؤمنون: ٩٥).

وكان أبو إسحق رحمه الله يقول: من أسامي صفات الذات ما يعود إلى القدرة منها: القاهر: ومعناه الغالب، ومنها القهار: ومعناه الذي لا يقصد إلا ويغلب، ومنها القوي: ومعناه المتمكن من كل مراد، ومنها المقتدر: ومعناه الذي لا يردّه شيء عن المراد، ومنها القادر: ومعناه إثبات القدرة، ومنها ذو القوة المتين: ومعناه نفي النهاية في القدرة، وتعميم المقدورات.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: [إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، لإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال في عاجل أمري وآجله- فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال في عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه وعجل لي الخير حيث كان ثم أرضني به][1].

## باب ما جاء في إثبات صفة القوة وهي القدرة:

قال الله عز وجل: {أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة}(فصلت: ١٥). وقال: {إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} (الذاريات: ٥٨). {والسماء بنيناها بأيد} (الذاريات: ٤٧). يعني بقوة.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده بالليل مراراً: [سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته][2].

وقال تعالى: {يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة}(الحج: ٥) أي خلقنا آدم عليه السلام من تراب، ثم خلقنا ذريته من نطفة من مني، ثم من علقة أي دم جامد، ثم من مضغة، وهي لحمة قدر ما يمضغ. {مخلقة وغير مخلقة} (الحج: ٥). أي مصورة تامة الخلق وغير تامة الخلق. {ثم لتبلغوا أشدكم} (الحج: ٥)[3]

## السمع:

قال الله تبارك وتعالى: {فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير} (غافر: ٥٦). {إنه هو السميع العليم} (الأنفال: ٦١). {لقد سمع الله قول الذين قالوا} (آل عمران: ١٨١). {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما} (المجادلة: ١). {إنني معكما أسمع وأرى} (طه: ٤٦). {أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم} (الزخرف: ٨٠).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير، فكنا إذا علونا كبرنا وإذا هبطنا سبحنا، فقال رسول الله ﷺ: [أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولكنكم تدعون سميعاً قريباً].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: [الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها}][4].

وعن أبي عياض قال: [سألت ابن عمر -أو سئل ابن عمر- رضي الله عنهما، -وأنا أسمع- عن الخمر، فقال: لا وسمع الله عز وجل، لا يحل بيعها ولا ابتياعها، فحلف بسمع الله تعالى][5].

ومن أسمائه تعالى: -السميع- ومعناه الذي لا يعزب عن سمعه المسموع وإن خفي، فيسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، فأحاط سمعه بجميع المسموعات، سرها وعلنها، وقريبها وبعيدها، فلا تختلط عليه الأصوات على اختلاف اللغات، وعلى تفنن الحاجات وكأنها لديه صوت واحد.

وسمعه تعالى نوعان: أحدهما سمعه جميع الأصوات -كما تقدم- والثاني: سمع إجابة منه للسائلين والداعين والعابدين، ومنه قوله تعالى: {إن ربي لسميع الدعاء} (إبراهيم: ٣٤).

---

١- رواه البخاري في الصحيح عن قتيبة بن سعيد. الأسماء والصفات -البيهقي- ص(١٢٤-١٢٥).
٢- الأسماء والصفات البيهقي ص(١٢٩)
٣- مجموعة الرسائل ص(٤٦٢).
٤- أخرجه البخاري.
٥- الأسماء والصفات ص(١٧٥-١٧٨).

وقال ابن القيم:

وهو السميع يرى ويسمع ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل سمع منه صوت حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والدان[1]

والذي يراد بفعل السمع -كما ذكر ابن القيم رحمه الله- أربعة معان:

أحدها: سمع إدراك، ومتعلقه الأصوات.

الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني.

الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سأل.

الرابع: سمع قبول وانقياد.

فمن الأول: **{قد سمع الله قول التي تجادلك}**.

ومن الثاني: **{وقولوا انظرنا واسمعوا}** (البقرة:١٠٤).

ومن الثالث: **{سمع الله لمن حمده}**.

ومن الرابع: **{سماعون للكذب}** (المائدة:٤١).

أي قابلون له ومنقادون[2].

## البصر:

قال الله عز وجل: **{إن الله هو السميع البصير}** (غافر: ٢٠). **{إنه كان بعباده خبيراً بصيراً}** (الإسراء: ٣٠). **{فسيرى الله عملكم}** (التوبة: ١٠٥) **{ألم يعلم بأن الله يرى}** (العلق: ١٤). **{أسمع وأرى}**.

وقال رسول الله ﷺ: **[إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، وحجابه النار، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره]**، وفي رواية: **[حجابه النور]**.

قال ابن الأثير: سبحات الله جلاله وعظمته، والمعنى: لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خرّ موسى عليه السلام صعقاً وتقطع الجبل دكاً لما تجلى الله سبحانه وتعالى.

وقال النووي: والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته.

وفي حديث الإيمان قال: **[يا محمد ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك]**[3].

ومعنى البصير: أي أحاط بصره بجميع المبصرات، فهو سبحانه يشاهد ويرى كل شيء وإن خفي قريباً أو بعيداً، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار، كما قال ابن القيم:

وهو البصير يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى مناط عروقها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان

وقال الله سبحانه وتعالى: **{وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}** (التوبة:١٠٥).

أي قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المنافقين: اعملوا ما شئتم من الأعمال، واستمروا على باطلكم فلا تحسبوا أن ذلك سيغفر، فلا بد أن يبين عملكم ويتضح.

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: **[لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس باب ولا كوة لأخرج الله تعالى عمله للناس**

١- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٨٠) ٢- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٨٣-٨٤)

٣- أخرجه مسلم، الأسماء والصفات ص(١٧٨-١٨١).

كائناً ما كان}.

وقال مجاهد: هذا وعيد -يعني من الله- للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى المؤمنين، وهو كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال تعالى: {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية} (الحاقة: ١٨)(١)

## الكلام:

قال الله جل ثناؤه: {قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً}(الكهف:١٠٩). {ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله}(لقمان: ٢٧). {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} (التوبة: ٦). {يسمعون كلام الله ثم يحرفونه} (البقرة: ٧٥). {يريدون أن يبدلوا كلام الله} (الفتح: ١٥). {واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته} (الكهف:٢٧). {لا تبديل لكلمات الله} (يونس: ٦٤). {ويريد الله أن يحق الحق بكلماته} (الأنفال: ٧). {ويحق الله الحق بكلماته} (يونس: ٨٢). {إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون} (يونس: ٩٦). {وتمت كلمة ربك الحسنى} (الأعراف:١٣٧).

وروى مسلم في الصحيح: {تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيل الله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة}.

وكلمات الله تعالى لا تنتهي إلى أمر، ولا تحصر بعد، وقد نفى الله تعالى عنها النفاد كما نفى عن ذاته الهلاك، والمراد بالخبر ضرب المثل دلالة على الوفور والكثرة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: {كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ثم يقول ﷺ: كان أبوكم يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام}(٢).

وقال رجل: يا رسول الله لدغتني عقرب، فقال رسول الله ﷺ: {لو أنك قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك}(٣).

وقال عز وجل: {فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم} (النحل:٩٨).

ولا يصح أن يستعيذ بمخلوق من مخلوق، فدل أنه استعاذ بصفة من صفات ذاته، وأمر أن يستعاذ بصفة من صفات ذاته، وهي غير مخلوقة، كما أمره الله تعالى أن يستعيذ بذاته وذاته غير مخلوق.

وعن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول عند مضجعه: {اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم، اللهم لا ينهزم جندك ولا يخلف وعدك ولا ينفع ذا الجد منك الجد، سبحانك وبحمدك}.

قلت: فاستعاذ رسول الله ﷺ في هذا الخبر بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم، فكما أن وجهه الذي استعاذ به غير مخلوق، فكذلك كلماته التي استعاذ بها غير مخلوقة، وكلمات الله تعالى واحد، وإنما جاء بلفظ الجمع على معنى التعظيم والتفخيم، كقوله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر} (الحجر: ٩). {فقدرنا فنعم القادرون} (المرسلات:٢٣).

وإنما سماها تامة لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه عيب أو نقص كما يكون ذلك في كلام الآدميين(٤).

وعن(٥) أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق، قال: وذلك لأنه ما من مخلوق إلا وفيه نقص.

## أما الإيمان بصفة الكلام لله عز وجل فهو:

الاعتقاد الجازم بأن الله متكلم بكلام قديم النوع، حادث الآحاد، وأنه لم يزل يتكلم، ولا يزال يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء، وأنه يتكلم بحرف وصوت بكلام يسمعه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام من الله من غير واسطة، ومن أذن له من ملائكته

١- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٨٤-٨٦).
٢- رواه البخاري، الأسماء والصفات للبيهقي ص(١٨١-١٨٤).
٣- رواه مسلم في الصحيح عن عيسى بن حماد.
٤- الأسماء والصفات البيهقي ص(١٨٥-١٨٦).
٥- في الأصل (وبلغني) ولعلها زيادة والله أعلم.

ورسله، ويكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة.

يقول ابن القيم:

والله ربي لم يزل متكلماً … وكلامه المسموع بالآذان

صدقاً وعدلاً أحكمت كلماته … طلباً وإخباراً بلا نقصان

كلام الله بلا واسطة: فكلامه لموسى ولآدم وحواء وجبريل.

كلام الله بواسطة: إما بالوحي للأنبياء، وإما بإرساله إليهم رسولاً يكلمهم من أمره بما شاء. **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾**(الشورى:٥١)

الكوني القدري: فهو الذي توجد به الأشياء. **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾** (يس:٨٢).

الديني الشرعي كقوله: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾** (النحل: ٩٠).

والشرعي: هو الذي منه الكتب المنزلة على رسل الله عليهم الصلاة والسلام(١).

## الحي:

قال تعالى: **﴿هو الحي لا إله إلا هو﴾** (غافر: ٦٥). **﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾** (الفرقان: ٥٨). **﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾** (طه: ١١١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: **{اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون}**(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: **{من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم غفر له وإن كان فرّ من الزحف}**.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان دعاء النبي ﷺ: {يا حي يا قيوم}(٣).

فصفة الحياة ثابتة وهي من الصفات الذاتية، فحياته سبحانه أكمل حياة وأتمها، ويستلزم ثبوتها ثبوت كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، وخصص صفة الحياة إشارة إلى أن الحي هو الذي يوثق به في المصالح، ولا حياة على الدوام إلا الله سبحانه دون الأحياء المنقطعة حياتهم، فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم(٤).

ولذا كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله لما اشتملت عليه من الأسماء والصفات، فقد اجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها.

والحي: هو الباقي الذي لا سبيل للفناء عليه.

وورد أن اسم الحي واسم القيوم الإسم الأعظم، فإنهما متضمنان لصفات الكمال أعظم تضمن، فالصفات الذاتية ترجع إلى اسمه الحي، والصفات الفعلية ترجع إلى اسمه القيوم.

قال ابن القيم:

وله الحياة كمالها فلأجل ذا … ما للممات عليه من سلطان

وكذلك القيوم من أوصافه … ما للمنام لديه من غشيان

وكذاك أوصاف الكمال جميعها … ثبتت له ومدارها الوصفان

فمصحح الأوصاف والأفعال … والأسماء حقاً ذانك الوصفان

ولأجل ذا جاء الحديث بأنه … في آية الكرسي وذي عمران

اسم الإله الأعظم اشتمالاً على … اسم الحي والقيوم مقترنان

فالكل مرجعها إلى الإسمين يدري … ذاك ذو بصر بهذا الشأن(٥)

---

١- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(١٨٣-١٨٥).
٢- رواه البخاري عن أبي معمر، ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبي معمر.
٣- الأسماء والصفات ص(١١١-١١٣).
٤- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٦٦).
٥- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٦١-٦٢).

## القيوم:

قال الله عز وجل: **(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)**، **(الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم)**.

وقال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: **[ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين]**.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **[من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، كفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر]**[١].

والقيوم: هو القائم بنفسه المقيم لما سواه.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان.. فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية، فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح[٢].

ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ما لا يدل عليه لفظ القديم، ويدل أيضاً على كونه موجوداً بنفسه، وهو معنى كونه واجب الوجود، والقيوم أبلغ من القيّام، والقيوم: متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى غيره[٣].

## الخالق:

قال تعالى: **(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)** قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في الجامع الصحيح: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثوني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب: والطور، فلما بلغ هذه الآية:

**(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)**(الطور: ٣٥-٣٦) كاد قلبي أن يطير.

وقال بعض أهل اللغة: ليس هم بأشد خلقاً من خلق السموات والأرض، لأن السموات والأرض خلقتا من غير شيء وهم خلقوا من آدم، وآدم خلق من تراب.

وقيل: **(أم خلقوا من غير شيء)** فوجدوا بلا خالق[٤]؟

وقال تعالى: **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)**.

وقال ﷺ من حديث أبي ذر رضي الله عنه: **[يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا]**[٥].

## الرازق:

قال الله تعالى: **(ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)**. **(يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)** (فاطر: ١٥). **(والله الغني وأنتم الفقراء)**(محمد: ٣٨). **(قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم)**[٦].

فيخبرنا الله تعالى بأنه المتفرد بالرزق لا رازق سواه ولا معطي غيره، فما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، وأوصل رزقه إلى جميع العالم.

**والرزق قسمان:**

**الأول:** (الرزق المطلق) وهو ما استمر نفعه في الدنيا والآخرة وهو رزق القلوب، والعلم، والإيمان، والرزق الحلال.

**والثاني:** مطلق الرزق العام لسائر الخلق برهم وفاجرهم والبهائم وغيرها، وهو إيصال القوت إلى كل مخلوق، وهذا يكون من الحلال والحرام والله رازقه.

---

١- الأسماء والصفات ص(١١١-١١٣). ٢- الأسئلة والأجوبة الأصولية -عبد العزيز السلمان- ص(٦١-٦٢). ٣- شرح العقيدة الطحاوية ط(٤) ص(١٢٤).

٤- الأسماء والصفات ص(٢٩٠-٢٩١). ٥- شرح العقيدة الطحاوية ط(٤) ص(١٢٥) ٦- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٧٥)

قال ابن القيم:

وكذلك الرزاق مــن أسمائــــه ... والرزق مـــن أفعاله نوعـــان
رزق على يد عبــده ورسولـــه ... نوعــان أيضـــا ذان معروفان
رزق القلوب العلـــم والإيمـــان ... والرزق المعد لهذه الأبدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا ... رازقه والفضل للمنـــان
والشان سوق القوت للأعضاء في ... تلك المجاري سوقها بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكون ... من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقـــه بهذا الاعتبار ... وليس بالإطلاق دون بيان(١)

## الوجود:

قال الله تعالى: (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) (الرعد:٢).

(وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) (الملك:٧٨).

فهذه الآيات تنبئك بوجود الله تعالى، وتستدل عليه بما ترى من تصرفاته في شئون هذا الكون العجيب(٢).

ومعلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلى الخالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عما سواه.

وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غني عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك(٣).

روى البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: [قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحداً](٤).

روى أبو نعيم بسند حسن عن حذيفة مرفوعاً: [إن مما أتخوف عليكم رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رئيت عليه بهجته وكان ردءاً للإسلام، غيره الله إلى ما شاء، فانسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وخرج على جاره بالسيف، ورماه بالشرك، قلت يا رسول الله أيهما أولى بالشرك، الرامي أم المرمي؟ قال: بل الرامي].

قال ابن دقيق العيد: إن كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف، وإن كان من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه، وإن اختلف الأمران فالاختلاف في جوازه وعدم جوازه مسألة فقهية اجتهادية، والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين(٥).

قال النووي في شرح مسلم: والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لإحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته.

[اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين](٦).

---

١- الأسئلة والأجوبة ص(٧٥-٧٦).
٢- مجموعة الرسائل -رسالة العقائد- ص(٤٠٥-٤٠٦).
٣- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٠٦)، فتح الباري (١٠/٣٧٠) تفسير سورة الصمد.
٤- أهل السنة والجماعة ثلاث فرق كما قال السفاريني (١/٧٣) من شرح لوامع الأنوار البهية، هم -الأثرية- ابن حنبل، والأشعرية، والماتريدية.
٥- أركان القرآن ص(٩٦).
٦- حديث في المسند والسنن مدارج السالكين (٢/٢٢٢)، حاشية الأسماء ص(١٨١).

# المأثورات بثوبه الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، أما بعد.

فإن لتخريج كتاب (المأثورات) للإمام حسن البنا قصة، فقد جاءني أحد الإخوة الأحبة بمجلة المجتمع وفيها مقال لأحد الشباب الكويتي يقول فيه: إن كتاب المأثورات مليء بالأحاديث الموضوعة والضعيفة، وطلب إليّ أن أرد على هذا الشاب، فقلت: لن أردّ عليه إلا رداً علمياً، إذ لا بد أن يكون لي متكأ أستند إليه في هذا الموضوع.

وعندما صممت أن أبدأ بتخريج المأثورات، فأعطيت نسخة منه للأخ الكريم (إرشاد الحق الأثري) الذي سبق له أن خرج كتاب (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية) لابن الجوزي، وحقق الكتاب وطبعه ونشره، وحقق سنن أبي يعلى، ثم صرت أبحث بنفسي في أمهات الكتب رغم انشغالي الشديد بخدمة الجهاد الإسلامي في أفغانستان، والذي شرف الله به الأمة الإسلامية، وأيقظها من سباتها العميق، وهزّ به العالم كله هزة عنيفة.

وأخيراً انتهى هذا التخريج، وكان الجهد الكبير فيه لأخي المحدث الناشئ (إرشاد الحق)، فجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

وبعد أن انتهى التخريج وجدت أن في المأثورات مائة وسبعة وعشرين حديثاً، كان الصحيح والحسن مائة وستة أحاديث أما الأحاديث الباقية وهي واحد وعشرون حديثاً فوقع في نفسي أنها ضعيفة بعد التخريج، إلا أن يفتح الله عليّ في المستقبل فأجد لبعضها شواهد ترفعها من درجة الضعيف إلى درجة الحسن لغيره.

وعلى هذا فنسبة الأحاديث الضعيفة في المأثورات أقل من نسبة الأحاديث الضعيفة في كتاب الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية، فكتاب الكلم الطيب قد حوى مائتين واثنين وخمسين حديثاً، أخرج الشيخ الألباني منها ثمانية وأربعين حديثاً ضعيفاً.

ومع أن الحديث الضعيف قد تساهل العلماء بروايته في الفضائل، إلا أنني أرى أن الاكتفاء بالأحاديث الصحيحة والحسنة أفضل وأورع.

ولكن في المقابل علينا ألا نشدد النكير على كتاب أو على كاتبه إن رأينا فيه حديثاً ضعيفاً، إذ أن سلف هذه الأمة من التابعين فمن بعدهم سكتوا عمن يروي حديثاً ضعيفاً، ونحن الأولى بنا أن نتأدب بأدبهم وليسعنا ما وسعهم.

أما عندما تنشأ ناشئة أحداث الأسنان تسفه آراء علمائنا السابقين ولا يقيمون لهم وزناً، فهذا ليس من منهاج سلفنا الصالح.

لقد تجرأ كثير من الشباب على أئمة الفقه -خاصة الإمام أبي حنيفة-، وتطاولت الألسنة تنهش لحوم هؤلاء العلماء، فلم ينج منهم لا شارح صحيح مسلم (النووي)، ولا ابن حجر العسقلاني (شارح البخاري).

إن هذا النهج خطير على نشأة هؤلاء الشباب، إذ أنه يحرمهم من كثير من الخير الذي ساقه الله على يد هؤلاء الصفوة من العلماء الذين اختارهم الله لحمل دينه، واجتباهم لتبليغ رسالته.

وكما قال ابن عساكر :(واعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار من نهشها معلومة، ومن أطلق لسانه على العلماء بالثلب أصابه الله بموت القلب).

وكذلك فإن رسول الله ﷺ يقول: (**ليس منّا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**)(١).

وقد ورد كذلك (**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود**)(٢).

وقد علمنا القرآن الكريم أدب التعامل مع سلفنا الصالح، فقال جل من قائل: (**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا**

---

١- حديث حسن رواه أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت. انظر صحيح الجامع ص(٥٣١٩).

٢- حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود.

ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (الحشر:٩).

إن أعداء الله مع الحاقدين يثيرونها حملة شعواء على الصادقين من الدعاة وشغلهم الشاغل كيف يقيمون المعارك الكلامية بين الجماعات الإسلامية لتستنفد طاقتها في معارك داخلية لا طائل من ورائها سوى صرف المغفلين من أبناء هذا الدين عن نهجهم القويم، وأصبح الشباب الصغار يمضغون لحوم العلماء المعاصرين ممن يقودون الدعوات الإسلامية أو يرسمون لها.

## العمل بالضعيف:

وإني لأسوق هنا طائفة من أقوال علماء الحديث في جواز رواية الحديث الضعيف -وهذا الفريق الذي يجيز رواية الحديث الضعيف يمثل جمهور أهل الحديث-.

أما المعارضون لنقل الحديث الضعيف في الفضائل فهم أقلية من العلماء، ومن هؤلاء: يحيى بن معين، ابن العربي المالكي، والشوكاني، ومن المحدثين الذين عاشوا في القرن العشرين أحمد محمد شاكر، والألباني، يقول عبد الحي اللكنوي في كتابه (الأجوبة الفاضلة للاسئلة العشرة الكاملة) ص(٥٣) حول العمل بالحديث الضعيف:

١- فمنهم من منع العمل بالضعيف مطلقاً: وهو مذهب ضعيف.

٢- ومنهم من جوّزه مطلقاً: وهو توسع سخيف.

٣- ومنهم من فصّل وقيّد: وهو المسلك المسدد.

قال السخاوي في (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع): سمعت شيخنا ابن حجر العسقلاني المصري مراراً يقول: شروط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة:

١- الشرط الأول: متفق عليه وهو أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين ومن فحش غلطه.

٢- الثاني: أن يكون مندرجاً تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلاً.

٣- الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، لئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله.

قال: والأخيران عن ابن عبدالسلام وابن دقيق العيد، والأول نقل العلائي الاتفاق عليه[1].

وقال ابن حجر المكي الهيثمي: قد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث في فضائل الأعمال[2].

وقال العراقي في شرح ألفية الحديث (٢٩١/٢).: أما غير الموضوع فجوزوا التساهل في إسناده وروايته من غير بيان ضعفه إذا كان في غير العقائد والأحكام بل في الترغيب والترهيب من المواعظ والقصص وفضائل الأعمال ونحوها.

وقال علي القاري: إن الحديث الضعيف معتبر في فضائل الأعمال عند جميع العلماء من أرباب الكمال[3]، وقال السيوطي: إن إيراد ما ضعف في الفضائل والمناقب معتبر.

وقال ابن الهمام: الاستحباب يثبت بالضعيف غير الموضوع[4].

وقال النووي في (التقريب) ص(١٩٦): يجوز عند أهل الحديث التساهل في الأسانيد الضعيفة، ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله والأحكام.

وقال النووي في الأذكار ص(١٥): (قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم: يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً).

وأما الأحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح أو الحسن، إلا أن يكون في احتياط في شيء من ذلك.

وخلاصة القول: إن العمل بالحديث الضعيف هو قول جمهور العلماء بالشروط السابقة، ولكن النفس تميل إلى أن لا يورد في الكتب إلا الأحاديث الصحيحة والحسنة، وأريد أن أخلص إلى القول: أن الإنحاء باللائمة على الأئمة الذين يوردون بعض الأحاديث الضعيفة في الفضائل لا وجه له البتة، وهو مردود، ولنا في جمهرة جهابذة العلماء من أبناء هذه الأمة أسوة حسنة.

---

١- الأجوبة الفاضلة ٤٣. ٢- الأجوبة الفاضلة ص(٤٣). ٣- الأجوبة الفاضلة ٢٧. ٤- فتح القدير (١٦٧/١)

# القسم الأول

الوظيفة:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [1].

(والذي نفسي بيده ما أنزل في التوارة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها –يعني أم القرآن-. وإنها السبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته) [2].

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾[3].

(البقرة: ١-٥)

﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلابما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم[4]. لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم، الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ . (البقرة: ٢٢٥-٢٥٧)

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم. قلت: الله لا إله إلاهو الحي القيوم. فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر) [5].

وجاء في البخاري (٣٩٦/٤)( إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلاهو الحي القيوم)، وقال لي لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان له جزن من تمر فكان ينقص، فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم، فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال: ما أنت؟ جني أم إنسي؟ قال: جني، قال: فناولني يدك، فناوله يده، فإذا يده يد كلب، وشعره شعر كلب، قال هذا خلق الجن؟ قال: قد علمت الجن أن ما فيهم رجلاً أشد مني، قال: فما جاء بك؟ قال: بلغنا أنك تحب الصدقة فجئنا نصيب من طعامك، قال: فما ينجينا منكم؟ قال: هذه الآية التي في سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) من قالها حين يمسي أجير منا حتى يصبح ومن قالها حين يصبح، أجير منا حتى يمسي، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال: [صدق الخبيث][6].

﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير، آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو

---

١- سورة الفاتحة ويقال لها (الرقية) لحديث أبي سعيد حين رقى بها رجلاً فقال له رسول الله ﷺ : (وما يدريك أنها رقية)، أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٧٢٩/٢)، ومسلم في الطب (٢٢٤/٢)، وغيرهما، وقد ورد في فضل الفاتحة أحاديث (راجع الاحاديث للتفصيل الدر المنثور وابن كثير)، وفي صحيح الجامع (٦٩٥٦).

٢- حديث صحيح رواه أحمد، والترمذي عن أبي هريرة، وفي البخاري إنها أعظم سورة في القرآن.

٣- عشر آيات من سورة البقرة، روى الطبراني في الكبير (١٤٧/٩) والدارمي (٤٤٨/٢) عن ابن مسعود. من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح، أربع آيات من أولها، وآية الكرسي، وآيتين بعدها وخواتيمها. وفي الدارمي وثلاث خواتيمها، أولها (لله ما في السموات)، وقال الهيثمي في المجمع (١١٨/١٠) بعد عزوه إلى الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود، قال الحافظ وروى الدارمي (٤٤٩/٢) ولي المطبوع الترمذي أيضاً بسند موصل إلى المغيرة بن سبيع ولي المطبوع بن أستمع وكان من أصحاب ابن مسعود ومثله لا يقال من قبل الرأى فله حكم الرفع كما في الفتوحات الربانية (٢٨٤/٣).

٤- آية الكرسي عن أبي أمامة مرفوعاً: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت) وهو صحيح عند النسائي، صحيح الجامع ص(٦٣٤٠)

٥- رواه مسلم (٨١٠) وأخرجه أبو داود (١٤٦٠).

٦- رواه النسائي والطبراني بإسناد جيد واللفظ له أنظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني وقال صحيح، الجرن بيدر التمر.

والأئمة الأربعة يقدمون الحديث الضعيف على الرأي والقياس، كما قال ابن القيم في أعلام الموقعين (٣١/١).

١- فالحنفية مثلاً: قدموا الأحاديث الضعيفة على الرأي، وذكر ابن حزم الإجماع على أن مذهب أبي حنيفة: أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي والقياس.

فقدموا حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس، وأجمع أهل الحديث على ضعفه، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس، وأكثر أهل الحديث يضعفه، وأكثر الحيض عشرة أيام وهو ضعيف باتفاقهم. ولا مهر في أقل من عشرة دراهم، وأجمعوا على ضعفه بل بطلانه، ومنع قطع اليد في أقل من عشرة دراهم، والحديث ضعيف، وشرط في إقامة الجمعة المصر والحديث ضعيف:

٢- وقدم الشافعي: خبر تحريم صيد (وج) -موضع قرب الطائف- مع ضعفه على القياس وقدم خبر جواز الصلاة في مكة في وقت النهي.

وقدم في أحد قوليه حديث: (من قاء أو رعف فليتوضأ وليبن على صلاته) على القياس، مع ضعف الخبر وإرساله.

٣- وأما مالك: فإنه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس.

٤- وأما أحمد: فإن لم يكن عنده في المسألة نص ولا قول صحابي ولا واحد منهم ولا أثر مرسل ولا ضعيف عدل إلى الأصل الخامس وهو القياس فاستعمله للضرورة.

وقد قال في كتاب الخلال: سألت الشافعي عن القياس فقال: إنما يصار إليه عند الضرورة.

والضعيف عند أحمد قسيم الصحيح وليس عنده حسن[1].

ونرجو الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنه سميع قريب.

العبد الفقير إلى الله تعالى

عبدالله عزام

---

١- أنظر هذا كله في الأجوبة الفاضلة ص(١٨-١٩).

أخطانا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصر نا على القوم الكافرين﴾ [1]. (البقرة: ٢٨٤-٢٨٦)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، الم[2] الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ . (آل عمران: ١-٢)

﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما ﴾[2].

(طه: ١١١-١١٢).

( حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)[3] (سبعاً). (التوبة: ١٢٩)

﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا مًا تدعو فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴾. (الإسراء الآيتان: ١١٠-١١١)

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون[4] فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم، ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون، وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الرحمين ﴾. (المؤمنون: ١١٥-١١٨)

﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون[5] يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون، ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون، وله من السموات والأرض كل له قانتون ﴾

(الروم: ١٧-٢٦)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، حم، تنزيل الكتاب مِن الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التَّوب شديد العقاب ذي الطَّول[6] لا إله إلا هو إليه المصير ﴾.(غافر: ١-٣)

﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن[7] العزيز الجبَّار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئُ المصورُ لهُ الأسماءُ الحسنى يُسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ . (الحشر ٢٢-٢٤)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان ما لها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .

(الزلزلة)

---

١- الآيتان من آخر سورة البقرة جاء في الصحيحين البخاري (٩/٥٠)، ومسلم (٨٠٨) من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه، رواه الأربعة أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، أنظر صحيح الجامع (٦٣٤١).

٢- (بسم الله الرحمن الرحيم، الم، الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما، ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً).
روى الحاكم في المستدرك (١/٥٠٥) عن القاسم يحدث عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن. سورة البقرة وآل عمران وطه. قال القاسم: فالتمسته أنه الحي القيوم، ورجاله ثقات، وفي صحيح الجامع (٩٩٠) اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن: في البقرة وآل عمران وطه، رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم عن أبي أمامة (وهو صحيح)

٣- قال النووي في الأذكار ص(٧٠) روينا عن ابن السني عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ : [من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم] سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة قال الأرناؤط في تخريج الأذكار رواه أبو داود مرفوعاً على أبي الدرداء، ومثل هذا لا يقال بالرأي، سبيله سبيل المرفوع، وانظر عون المعبود (٤/٤٨٢).

٤- (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً، وأنكم إلينا لا ترجعون) أخرج ابن السني وابن منده في المعرفة بسند حسن من طريق محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا أن نقول إذا أصبحنا وإذا أمسينا ، أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون، فقرأناها فغنمنا وسلمنا كما في الدره (١٧)

٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يصبح، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون له الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون.... وكذلك تخرجون) أدرك ما فاته في يومه ذلك، ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته) رواه أبو داود ضعيف الجامع (٥٧٤٥)).

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: [من قرأ (حم...... إليه المصير) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح] أخرجه الترمذي، والدارمي، وابن السني، والمروزي ضعيف الجامع (٥٧٨١)-
قابل التوب أي التوبة، ذي الطول الإنعام الواسع.

٧- عن أبي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فمات في ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة) أخرجه البيهقي (ضعيف الجامع ٥٧٨٢)
القدوس المنزه عن كل نقص، الطاهر عما لا يليق به، المهيمن: الشهيد على عباده بأعمالهم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين ﴾[1]. (الكافرون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾(النصر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾ ثلاثا[2]. (الإخلاص)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد﴾[2] ثلاثاً. (الفلق)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، قل أعوذ برب الناس ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس﴾ ثلاثاً. (الناس)

١ - قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: قال الله تبارك وتعالى: {أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ [3]خيرمنهم﴾.

٢- وعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء اتشبث[4] به: قال: ﴿لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله﴾.

٥- ورد في الأحاديث ما يشعر باستحباب الاجتماع على الذكر، ففي الحديث الذي يرويه مسلم: ﴿لا يقعد قوم يذكرون الله عزوجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة[5]، وذكرهم الله فيمن عنده﴾.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا أصبح ﴿أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله، لا شريك له، لا إله إلا هو وإليه النشور﴾[6] وتمامه: وإذا أمسى قال: ﴿أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، لا شريك له، لا إله إلاّ هو وإلي المصير﴾ ثلاثاً.

٥- ﴿أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم[7] حنيفاً وما كان من

---

١- أخرج الترمذي عن أنس من قرأ "قل يا أيها الكافرون عدلت ربع القرآن، ومن قرأ (قل هو الله أحد) عدلت له بثلث القرآن، قال الألباني في صحيح الجامع (٦٣٤٢) حديث حسن، إقرا (قل يا أيها الكافرون) عند منامك وقد روى البيهقي في الشعب عن أنس بأنها براءة من الشرك.

٢- وأحمد وأبو داود والترمذي عن نوفل قال الألباني صحيح أنظر صحيح الجامع (١١٧٢) قراءة -قل هو الله أحد- والمعوذتين.

قال عبد الله بن خبيب: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة، نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فادركناه فقال (قل) فلم أقل شيئا، ثم قال: (قل) فلم أقل شيئاً. قال (قل) فقلت يارسول الله ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شئ خرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح، أنظر عون المعبود (٤٨٣/٤) والترمذي في التحفه (٢٨١/٤) والنسائي (٥٤٣٠) ونسبه السيوطي لابن سعد وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد والطبراني أيضاً كما في الدر المنثور (٤١٥/٦)، وقال الألباني والأرناؤوط في تخريج الكلم الطيب بعد قول الترمذي حسن صحيح وهو كما قال وإسناده جيد.

٣- متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد. أخرجه البخاري في التوحيد (١١٠١/٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٤١/٢)، والترمذي كما في التحفة (٢٨١/٣)، وابن ماجة في الأدب (٢٧٩)، والنسائي في الكبرى وأحمد في المسند (٢٥١/٢)، والترغيب والترهيب (٢٢٧/٢)

الملأ: أشراف الناس ورؤساؤهم، والملأ الأعلى: الملائكة المقربون

٤- رواه الترمذي وقال حديث حسن، صححه الحاكم ووافقه الذهبي، أنظر المستدرك (٤٩٥/١)، والترمذي رقم (٣٣٧٣)، وابن ماجة (٣٧٩٢)، وابن حبان (٢٣١٧)، في الموارد ص (٥٢٦)، ورواه أبو داود بإسناد حسن، قال الألباني وهو صحيح في صحيح الجامع (٧٥٧٧)

أنظر تحفة الأحوذي على الترمذي (٢٢٤/٤)، وابن ماجة (٣٧٧)، وأحمد في المسند (١٩٠/٤)، والحاكم في المستدرك (٤٩٥/١)، وحسنه الحافظ كما في الفتوحات الربانية (٢٥٧/١).

التشبث: التعلق والتمسك.

٥- أخرجه مسلم وأبو داود، ورواه مسلم في باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن (٣٤٥/٢) عن أبي هريرة وأبي سعيد، والترمذي كما في التحفة (٢٢٥/٤)، وابن ماجة (٣٧٧)، ونسبه الشوكاني في تحفة الذاكرين لأحمد وأبي داود الطيالسي وعبد بن حميد وأبي يعلى وابن حبان وابن أبي شيبة والترغيب (٢٠٥/٢).

(وكثيراً ما نرى في الأحاديث أنه ﷺ خرج على جماعة وهم يذكرون الله في المسجد فبشرهم ولم ينكر عليهم، منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومنّ به علينا، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة. رواه مسلم والترمذي والنسائي أنظر مسلم (٣٤٦/٢) تحفة الأحوذي (٢٢٥/٤) النسائي (٥٤٢٨) مسند أحمد (٩٢/٢). نشر الميت: ينشر نشورا إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله، أحياه بعد الموت.

حفتهم الملائكة: أحاطت بهم يطوفون بهم ويدورون حولهم، غشيتهم الرحمة: علتهم وغطتهم، الطمأنينة والسكينة، الطمأنينة الوقار، والسكون وقيل الرحمة، يباهي: فاخر، المباهاة: المفاخرة.

٦- أخرجه ابن السني والبزار، قال الهيثمي: و إسناده جيد (١١٤/١٠)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٠٤)، جامع الأصول -٢٢٣٣- وانظر نزل الأبرار (١٠٥) لصديق حسن خان.

٧- قال الهيثمي: أخرجه أحمد والطبراني عن عبدالرحمن بن أبزى عن أبيه ورجالهما رجال صحيح، و صححه النووي. فطرة الإسلام دين الإسلام، كلمة الإخلاص: كلمة التوحيد، ملة إبراهيم: دين إبراهيم عليه السلام أنظر الفتح الرباني (٢٣٨/١٤)، والمسند (٤٠٧/٣)، والدارمي(٢٩٢/٢)، وابن أبي شيبه (٧٧/٩)، ورواه ابن السني وإسناده حسن.انظر جامع الأصول (٢٢٣٩) قال الألباني: صحيح، أنظر صحيح الجامع (٤٥٥٠) قال النووي في الأذكار روينا في كتاب ابن السني باسناد صحيح عن عبدالله بن ابزى ولفظه عند أحمد عن

[illegible]

المشركين﴾ ثلاثاً.

٦- ﴿اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر فأتم علي نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة﴾[١] ثلاثاً.

٧- ﴿اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك. فلك الحمد[٢] ولك الشكر﴾ ثلاثاً

٨- ﴿يا ربي لك الحمد كما ينبغي[٣] لجلال وجهك وعظيم سلطانك﴾ ثلاثاً.

٩- أ. ﴿رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولا﴾[٤] ثلاثاً.

ب. ﴿سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته﴾ [٦] ثلاثاً.

١٠- ﴿بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم﴾[٧] ثلاثاً.

١١- ﴿اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه﴾[١] ثلاثاً

١٢- ﴿أعوذ[٨] بكلمات الله التامات من شر ما خلق﴾ ثلاثاً.

١٣- ﴿اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة[٩] الدين وقهر الرجال﴾ ثلاثاً.

---

١- رواه ابن السني رقم (٥٥) وفي إسناده عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك، متهم بالوضع، كذبه الخطيب وغيره وحكم ابوزرعة والذهبي على أحاديث رواها بأنها موضوعة. أنظر التقريب (٣٩٠).

٢- رواه أبو داود عن عبدالله بن غنام البياضي. قال النووي إسناده جيد ورواه النسائي وحسنه الحافظ ورواه البغوي في شرح السنة، ولفظه عن أبي داود في الأدب قال ﷺ: [من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فإنها منك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته)، أخرجه أبو داود، وقال عبد القادر الأرناؤوط: وهو حسن. أنظر الأذكار ص(٦٦) وانظر الجامع (٢٢٢٨)، وشرح السنة للبغوي (٥/١١٥) أنظر الفتوحات الربانية ص(١٠٧) ج ٣ رواه أبو داود والنسائي وحسنه الحافظ، موارد الظمآن ص(٥٨٧)، مرعاة المفاتيح (٣٩/٦)، تحفه الاشراف (٤٠٤/٦) عون المعبود شرح أبي داود (٤٧٨/٤)، الحمد، هو الثناء باللسان على الجميل وهو باللسان فقط، أما الشكر فيكون باللسان والقلب والأعضاء، ولا يكون الشكر إلا مقابل نعمة، أما الحمد فيكون لكمال المحمود ولو في غير مقابل نعمة.

٣- رواه أحمد وابن ماجة ص(٣٢٨) ورجاله ثقات، وأخرجه ابن ماجة في الأدب في باب فضل الحامدين ص(٤٧٨) عن ابن عمر، وفي الترغيب (٤٤٠/٢) إسناده متصل ورواته ثقات، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين (أعيتهما) فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء، فقالا يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها؟ قال الله عز وجل وهو أعلم بما قال عبده، ماذا قال عبدي؟ قالا يا رب إنه قد قال: يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله عز وجل لهما (أكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها )] رواه أحمد وابن ماجة ورجاله ثقات، كما ينبغي: كما يليق ويستحب

٤- صححه الحاكم ووافقه الذهبي المستدرك (٥٢٨/١)، ورواه أبو داود والنسائي بأسانيد جيدة، وحسنه الحافظ والطبراني بإسناد حسن، ورواه أحمد (٣٧/٤)، قال الهيثمي: رجال أحمد والطبراني ثقات، أنظر جامع الأصول (٢٢٢٦)، الفتح الرباني (٢٣٧/١٤)، الكنز (١٦٦/٢)، نزل الأبرار (١٠٨)، قال في الترغيب (٢٢٩/١) رواه الطبراني بإسناد حسن، تحفة الاشراف (٢٢٠/٩)، الفتوحات الربانيه (١٠٣/٣)، تحفه الاحوذي (٢٢٨/٤)، وانظر عون المعبود (١٧٨/٤) والنسائي في الكبرى والحاكم في المستدرك (٥١٨/١)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقال النووي في الأذكار إسناده جيد ص(٦٥)، ولفظه في الترمذي عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال ( من قال حين يمسي وحين يصبح [رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه).

٥- رواه مسلم عن جويريه (٢٥٠/٢) كتاب الذكر تحفة الأحوذي، الترمذي (٢٧٤/٤)، النسائي (١٣٥٢)، ابن ماجة في الأدب في فضل التسبيح (٢٧٨)، أحمد (٣٢٥/٦)، ابن سعد (١١٩/٨)، أبو داود (٥٥٦/١)، أحمد (٢٥٨/١) عن ابن عباس ولفظه وعن جويريه أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال ما زلت اليوم على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت. نعم، فقال النبي ﷺ (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن. سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته] رواه مسلم. مداد حبر

٧- رواه أحمد بإسناد جيد أنظر الفتح الرباني (٣٠٥/١٤) للبنا، ورواه أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٤/١٠) رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقة بن حبان. أنظر مسند أحمد (٤٠٣/٤)، والطبراني عن أبي موسى ورجاله موثقون، وأبو نعيم في الحلية (١١٢/٧)، رواه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦). ولفظه [عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال. [يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل. فقال له من شاء الله أن يقول. وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله قال. قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم) رواه أحمد و الطبراني.

٨- حديث صحيح رواه مسلم والأربعة، الطبراني، أحمد، أنظر جامع الأصول (٢٢٩٢)، والفتح الرباني للبنا (٢٢٦/١٤)، والترغيب والترهيب (٢٢٧/١)، وصحيح مسلم (٣٤٧/٢) في الدعوات والتعوذ (تحفة الأحوذي) (٢٤٢/٤)، النسائي في اليوم والليلة وابن السني ٥٢٨ والدارمي ٢٨٩/٢ ومالك في الموطأ مع الزرقاني(٣٨٩/٤) في باب ما يؤمر به من الكلام في السفر، ومسند أحمد (٣٧٧/٦، ٤٠٩)، البغوي في شرح السنة (١٤٥/٥)، والحاكم (٤١٥/١)، والبخاري في خلق أفعال العباد ص(٨٨)، والكنز (٢/ ١٦٧) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه لفظه عن أبي هريره مرفوعاً. أعوذ: التجي، وأحتمي، أعوذ بكلمات الله التامات إنما وصف كلامه بالتمام لأنه لايجوز أن يكون في كلامه نقص أوعيب كما يكون في كلام الناس، وقيل معنى التمام مهنا. أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه، أنظر النهاية لابن الأثير (١٩٧/١). من قال حين يمسي ثلاث مرات [أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره لدغة حية في تلك الليلة ] رواه الترمذي صحيح الجامع (٦٣٠٢).

٩- له شاهد عن الشيخين وأحمد والثلاثة عن أنس ولفظه [اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال ] وأما اللفظ الأول فأخرجه أبو داود بإسناد حسن في الصلاة، عون المعبود (٥٦٦/١). قال في نزل الأبرار ص ١١١ ولا مطعن في إسناده، جامع الأصول (٢٢٩٦)، لفظه قال النووي في الأذكار ورويناه في سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري قال [دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو امامه فقال يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟ قال. هموم لزمتني وديون يا رسول الله. قال أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟ قلت بلى يا رسول الله قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. قال. ففعلت ذلك فأذهب الله تعالى عني همي وقضى عني ديني]، قال الأرناؤط في تخريج الأذكار ص(٦٨) إسناده حسن. الهم. غم يصيب الإنسان لضر يتوقعه في المستقبل، الحزن. الغم على ضر نزل به، ضلع الدين. ثقل الدين.

١٤- ﴿اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري﴾ ثلاثاً

١٥- ﴿اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت﴾ يضم لما قبله لأنهما حديث واحد[1] ثلاثاً.

١٦- ﴿اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي[2] فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت﴾ ثلاثاً.

١٧- ﴿أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم[3] وأتوب إليه﴾ ثلاثاً

١٨- ﴿اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد﴾[4] عشراً.

١٩- ﴿سبحان الله [5] والحمد لله و لا إله إلا الله والله أكبر﴾ مائة مرة.

٢٠- ﴿ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ﴾[6] عشراً

---

١- رواه أبو داود وسكت عليه هو والمنذري، أنظر مختصر أبي داود (٤٩٢٦)، وعون المعبود (٤٨٤/٤)، والنسائي في اليوم والليلة، وابن السني رقم (٦٩) والبخاري في الأدب المفرد (٧٠١)، وصححه الحاكم وأقره الذهبي أنظر الفتح الرباني (٢٤١/١٤) وانظر جامع الأصول (٢٢٩٩)، وحسنه الحافظ في نتائج الأفكار، أنظر الفتوحات الربانية (١١٦/٣). لفظه، قال النووي في الأذكار (٦٧) ورويناً في سنن أبي داود[ عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة (اللهم عافني في بدني اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت) تعيدها حين تصبح ثلاثاً، وثلاثاً حين تمسي، فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن، فأنا أحب أن أستن بسنته) وسنده حسن .

٢- أخرجه البخاري في الدعوات (٩٣٣/٢) في باب أفضل الاستغفار، والنسائي (٥٥٢٤)، والترمذي تحفة الأحوذي (٢٢٩/٤)، وأحمد (١٢٢/٤)، والحاكم (٤٥٨/٢)، كلهم عن شداد بن أوس وأما حديث بريدة رواه أحمد (٣٥٦/٥)، وأبو داود (٤٧٧/٤)، والنسائي، وابن ماجة في الدعاء ص(٢٨١) لفظه (سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة] رواه البخاري عن شداد بن أوس

العارف إلى الله يسير بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل، فمشاهدة المنة توجب له المحبة، والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لايرى نفسه إلا مفلساً، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى باب الإفلاس، ولا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى، والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها، حب كامل وذل تام، فمشاهدة المنة تورث المحبة ومطالعة عيب النفس والعمل تورث الذل التام، واذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر به عدوه الا على غرة وغفلة). وعدك بالثواب، أنا على عهدك على شهادة التوحيد التي جرى عليها الميثاق والعهد، أو على طاعة الأوامر والنواهي، أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي التزم وأرجع وأقر، وأصل البواء اللزوم، جاء في الوابل الصيب ص(٢٢) (أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي)

٣- أخرجه الترمذي (التحفة ٢٨٦/٤)، وأبو داود عون المعبود (٥٦٠/٦)، والبخاري في التاريخ (٣٨٠/٢)، وقال المنذري في الترغيب إسناده جيد متصل، وقال العراقي في المغني (٣٢٠/١) رجاله موثقون، قال الهيثمي (٢١٠/١٠) رجاله ثقات، وانظر جامع الأصول (٢٤٤٧) والمستدرك (٥١١/١) وقال الحاكم على شرطهما وصححه ووافقه الذهبي الكنز (١٨٢/١). ولفظه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ (من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف) رواه أبو داود والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم وقال الألباني اسناد الحاكم عن ابن مسعود قوي . القيوم القائم بتدبير الخلق وحفظه، وقيل معناه: الدائم القائم بحفظ المخلوقات، وقيل القائم بنفسه الذي يقوم به كل موجود ، حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به بذل المجهود في حل أبي داود (٥٠٧/١)

٤- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٠/١٠) رواه الطبراني بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله ثقات، اللهم صلِّ على سيدنا محمد، الصلاة من الله رحمة أو ثناء، والصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ولفظه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ [من صلى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة] رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد.

٥- وأما أصل التسبيح بهذه التسبيحات فقد رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ ، وأما عدد المائة فقد رواه النسائي -في اليوم والليلة- بسند حسن عن الأوزاعي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً [من قال سبحان الله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة، ومن قال الحمد لله مائة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة فرس يحمل عليها في سبيل الله، ومن قال الله أكبر مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من عتق مائة رقبة، ومن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لم يجئ يوم القيامة أحد بعمل أفضل من عمله إلاّ من قال مثل قوله أو زاد عليه) أنظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني رقم (٦٥٤)، وقد رواه الترمذي بألفاظ قريبة وقال حسن غريب وفي إسناده الضحاك بن حمزة قال في التقريب ضعيف، وذكر الذهبي الحديث في ترجمته في الميزان (٣٢٢/٢). سبحان الله، التسبيح التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص، سبحان الله تنزيه الله ، كأنه قال، أبرئ الله من السوء براءة، وقيل معناه التسرع إليه والخفة في طاعته.

٦- أخرجه البخاري في الدعوات في باب فضل التهليل (٩٤٢/٢)، ومسلم في باب التهليل والتسبيح والدعاء ٢٤١/٢، والترمذي (٢٧٣/٤)، والطبراني كما في المجمع (٨٥/١٠)، والنسائي في اليوم والليلة كما في الأطراف (٩٥/٣) عن أبي أيوب الأنصاري بلفظ (من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، وروى الترمذي (٢٥٢/٤)، والنسائي في اليوم والليلة كما في الأطراف عن أبي ذر بلفظ (من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثاني رجليه قبل أن يتكلم وزاد فيه (يحيي ويميت) وقال الترمذي حسن صحيح غريب ورواه أحمد ص(٢٢٧/٤) عن عبد الرحمن بن غنم عن النبي ﷺ ، راجع الفتوحات الربانية (٦٦/٣) ولفظه كما جاء في صحيح الترغيب والترهيب للألباني رقم (٤٧٢) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال - وهو في أرض الروم- أن رسول الله ﷺ قال من قال إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير -عشر مرات- كتب الله له بهن عشر حسنات، ومحا بهن عشر سيئات، ورفع له بهن عشر درجات، وكن له عدل عتاقة أربع رقاب، وكن له حرساً حتى يمسي، ومن قالهن اذا صلى المغرب دبر صلاته فمثل ذلك حتى يصبح) قال الألباني صحيح رواه أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه وهذا لفظه، ومعنى إذا أصبح أي إذا صلّ الصبح، ففي حديث أبي هريرة (بعد ما يصلي الغداة ) عند الحسن بن عرفة والخطيب بسند صحيح، ورواية عبد الرحمن بن غنم مرفوعاً بسند حسن (من قال قبل أن ينصرف ويثني رجليه من صلاة المغرب والصبح لا إله إلا الله وحده لاشريك له )

٢١- ﴿سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك﴾[١].

اللهم صلّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً عدد ما أحاطه به علمك وخط قلمك وأحصاه كتابك، وارض اللهم على ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

٢٢- ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾[٢].

# الوظيفة الصغرى

إذا وجد الأخ ضيقاً في وقته، أو فتورا في نفسه، أو في إخوانه إذا كان يقرأ الوظيفة بهم، فليختصرها على هذا النحو: يقرأ الاستعاذة والفاتحة وآية الكرسي وخواتيم البقرة وسورة الإخلاص والمعوذتين كل منها ( ثلاثة )، ثم يتبع ذلك بالأذكار الواردة إلى الاستغفار الأخير: ﴿أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم...﴾ الخ، ثم يتبع الاستغفار مباشرة بصيغة: ﴿سبحانك اللهم وبحمدك﴾

# تلاوة القرآن

## فضل القرآن:

القرآن الكريم هو الدستور الجامع لأحكام الإسلام، وهو المنبع الذي يفيض بالخير والحكمة على القلوب المؤمنة. وهو أفضل ما يتقرب المتعبدون بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى.

٢٢- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿إن هذا القرآن مأدبة الله[٣] ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم﴾، ﴿إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة[٤] لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ[٥] فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولايخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول لكم ﴿ألم﴾ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف﴾ رواه الحاكم.

# ثواب التلاوة و درجة التلاوة

٢٣- وفي وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه:﴿عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء﴾[٦].

٢٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ، (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع[٧] فيه وهو عليه شاق له أجران) رواه البخاري ومسلم.

---

١- رواه جماعة من الصحابة منهم أبوهريرة وجبير بن مطعم، ورافع بن خديج، وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبو برزه وعائشة ، وابن مسعود انظر عون المعبود (٤١٥/٤)، وتحفة الأحوذي (٢٤٦/٤) وابن السني (٤٤٧)، والحاكم (٥٣٦/١)، وموارد بن حبان (٥٨٨) ومجمع الزوائد (١٣٣/١٠)، والألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٨١)، والطبراني في الثلاثة بإختصار بإسناد جيد وقال في المجمع (١٤١/١٠)، رجاله ثقات، لفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: [من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك، قال الترمذي حديث حسن (صحيح) قال الأرناؤط وإسناده حسن ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال الألباني في تخريج الكلم (٢٢٢) وهو كما قال الحاكم و الذهبي ، اللغط: صوت وضجة لا يفهم معناها.

٢- أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبدبن حميد وأبو يعلى وابن مردويه عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أراد أن يسلم من صلاته قال سبحان ربك رب العزة – كما في الدر، واللفظ لأبي يعلى كان يقول بعدما سلم قال في المجمع (١٤٨/٢) رجاله ثقات.

٣- القرآن مأدبة الله: مدعاته شبّه القرآن بصنيع صنعه الله للناس، لهم فيه خير ومنافع لأن المأدبة الطعام الذي يصنعه الرجل يدعو إليه الناس. العصمة: المنعة والعاصم هو المانع والحامي زاغ: مال والزيغ هو الميل والجور. قال المنذري في الترغيب (٢١٠/٢) تفرد به صالح بن عمر وهوصحيح ورواه الحاكم في المستدرك (٥٥٤/١) صحيح الإسناد ولم يخرجاه. بصالح بن عمر وتعقبه الذهبي بأن إبراهيم ضعيف وذكره بن حبان في المجروحين (١/ ١٠٠)، وذكره ابن الجوزي في العلل (١٠١/١)، والطبراني كما في المجمع (١٦٤/٢)، وأورده الذهبي في الميزان (٦٦/١).

٦- أخرجه بن حبان في حديث طويل كما في الترغيب (٢٠٧/٢)، وقد روى الحديث الإمام أحمد بطريقين عن أبي سعيد الخدري، والحديث حسن بطريقيه. أنظر المسند (٨٢/٣)، وأخرجه الطبراني في الصغير ص(١٩٧) عن أبي سعيد، ولفظ الحديث عند أحمد: (أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض).

أخرجه البخاري في التفسير في تفسير سورة عبس (٧٣٥/٢)، ومسلم في فضائل القرآن في باب فضيلة حافظ القرآن (٣٦٩/١)، والترمذي (٥١/٣)، وأبو داود (٧٤٣/١)، وابن ماجة (٢٧٦) في ثواب القرآن، والدارمي (٤٤٤/٢)، وأحمد (٤٨/٦، ٩٤، ١١٠). السفرة: جمع سافر وهم الملائكة، والسافر في الأصل الكاتب، سمي به لأنه يبين الشيء ويوضحه، يتتعتع: أي يتردد في قراءته ويتبلد فيها لسانه.

## أجر التلاوة

٢٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة﴾[١].

## منزلة القارئ

٢٦- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثا وهم ذوو عدد، فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم يعني ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سناً[٢] فقال: ﴿ما معك يا فلان؟﴾ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة قال: ﴿أمعك سورة البقرة؟﴾ قال: نعم، قال: ﴿ اذهب فأنت أميرهم﴾ رواه الترمذي وقال حسن.

## نسيان القرآن

٢٧- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة[٣] يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها﴾.

## مدة ختم القرآن

٢٨- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لم يفقه[٤] من قرأ القرآن في أقل من ثلاث﴾.

٢٩- ﴿وقد أمر رسول الله ﷺ عبدالله بن عمرو بن العاص أن يختم في كل أسبوع مرة﴾[٥].

## سورة ياسين

٣٠- عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿قلب القرآن ( يس )، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرأوها على موتاكم﴾[٦] رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم.

---

١- رواه أحمد ( ٣١٣/٢ ) وفيه عباد بن ميسرة ضعفه أحمد وغيره ووثقه ابن حبان، والجمهور أن الحسن لم يسمع أبا هريرة.

٢- أنظر تحفه الأحوذي (٤٣/٤)، والنسائي في الكبرى، وابن ماجة بعضه ص(١٩)، وابن حبان في الموارد (٤٤٢). أحدثهم سناً أصغرهم سناً.

٣- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة، أنظر عون المعبود (١٧٤/١)، وتحفه الأحوذي (٥٥/٤)، وابن خزيمة (٢٧١/٢)، والترغيب (٢٥٩/٢)، وذكره ابن الجوزي في العلل وقال (١٠٩/١): والحديث غير ثابت لأن ابن جريج لم يسمع من المطلب شيئاً، وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه واستغربه، وقال محمد لا نعرف للمطلب سماعاً من أحد من أصحاب النبي ﷺ ، وفيه أيضاً عبد المجيد بن أبي رواد وفي توثيقه خلاف، وقال أبو زرعة: المطلب ثقة أرجو أن يكون سمع من عائشة. القذاة: ما يقع في العين والماء والشراب من تبن أو تراب أو وسخ أو غير ذلك.

٤- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وهو صحيح، أنظر شرح السنة ٤٩٨/٤، والمشكاة (٢٢٠١)، أنظر عون المعبود (٥٢٧/١)، والترمذي (٦١/٤)، وابن ماجة (٩٧)، والدارمي (٤٧١/٢)، وأحمد (١٦٥/٢)، والطيالسي (٢٢٧٥)، والنسائي في الكبرى. فقه، يفقه فقها إذا فهم وعلم.

٥- لفظ الحديث في البخاري (٧٥٥/٢) في فضائل القرآن، ومسلم في الصوم باب النهي عن صوم الدهر (٣٦٥/١)، وعون المعبود (٥٢٦\١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، فإما ذكرت للنبي ﷺ وإما أرسل إليّ فأتيته، فقال لي (ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟ فقلت بلى يا نبي الله ، ولم أرد بذلك إلا الخير، قال: فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً، فصم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس، قلت يا نبي الله وما صوم داود؟ قال: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وقرأ القرآن في كل شهر، قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال فاقرأه في كل عشرين، قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال، فاقرأه في كل عشر، قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً، فشددت فشدد علي، وقال لي النبي ﷺ . إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر، فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ . فلما كبرت وددت أني قبلت رخصة نبي الله ﷺ ) رواه البخاري ومسلم. الزور: جمع زائر، وأما الزائر المفرد وهو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم.

٦- رواه أحمد (٢٦/٥)، والنسائي في اليوم والليلة، كما في الأطراف للمزي (٤٦٥/٨) من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل هكذا بلفظ (قلب القرآن ياسين)، وفيه رجل لم يسم وكذا أبوه كلاهما لا يعرفان، أما الشطر الثاني بلفظ إقرؤها على موتاكم فرواه أحمد (٢٤/٥)، وأبو داود (١٥٨)، وابن أبي شيبة (٢٣٧/٣)، وابن ماجة في الجنائز ص(١٥٠)، والحاكم (٥٦٥/١)، والبيهقي ٣٨٣/٣ ، وابن حبان في الموارد (١٨٤)، والطيالسي رقم (٩٣١) عن طريق سليمان التيمي عن أبي عثمان غير النهدي عن أبيه عن معقل، وقال المنذري أبو عثمان وأبوه ليسا بمشهورين، وأعله ابن القطان بالاضطراب وبالوقف وبجهالة حالة أبو عثمان وأبيه، وقال أبو بكر بن العربي عن الدارقطني أنه قال هذا حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث. راجع الفتوحات الربانية (٤١٩) وإرواء الغليل (١٥٠/٣)

## سورة الملك

٣١- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ﴿من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله عز وجل سورة من قرأ بها فقد أكثر وأطاب﴾[١].

## سورة الدخان

٣٢- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك﴾[٢].

## سورة الكهف

٣٣- وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين﴾[٣].

## سورة آل عمران

٣٤- وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: ﴿من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلىّ عليه الله وملائكته حتى تغيب الشمس﴾[٤] رواه الطبراني في الأوسط والكبير.

## فضل سورة الواقعة

٣٥- أخرج أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعاً: ﴿من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة[٥] أبداً﴾.

## الخشوع في التلاوة

٣٦- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ﴿إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به، فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا﴾[٦] رواه ابن ماجة.

## تحسين الصوت بالتلاوة

٣٧- جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ

---

١- رواه النسائي، وروى مثله الحاكم وصححه، قال الهيثمي في المجمع (٧٢٧) رجاله ثقات، وروى بمعناه الحاكم (٤٩٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي. وانظر شرح السنة (٤٧٣/٤)، وفي المشكاة قال صحيح رقم (٢١٥٣).

٢- رواه الترمذي والأصبهاني. تحفة الأحوذي (١٧/٤)، والدر المنثور (٢٤/٦)، وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمر بن خثعم يضعف قال محمد هو منكر الحديث، وذكره ابن حبان في المجروحين (٨٣/٢)، والذهبي في الميزان (١٩٤/٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٨/١)، والسيوطي من اللآلئ (٢٢٤/١)، وابن العراقي (٢٩٠/١).

٣- رواه النسائي ، والبيهقي مرفوعاً. رواه الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد . قال الألباني في صحيح الجامع (٦٣٤٦) حديث صحيح. أنظر تخريج الترغيب (٢٦١/١)، وتخريج المشكاة (٢١٧٥)، والإرواء (٦١٩)، وفي رواية البيهقي في شعب الإيمان الصحيحة عن أبي سعيد. (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بين الجمعتين) المستدرك (٣٦٨/٢)، وسنن البيهقي (٢٤٩/٣).

٤- أخرجه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف كما في الدر (٢/٢)، ورواه الطبراني في الكبير (١١٠٠٢) جزء (١٨/١١)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٦٨/٢) وقال فيه طلحة بن زيد الرقي وهو ضعيف وفيه تصور لأنه متروك. قال الحافظ في التقريب وقال أحمد و أبو داود وعلي كان يضع الحديث. ولذا قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم (٤١٥) بأنه موضوع.

٥- ذكره الحافظ في المطالب العالية (٢٨٣/٣)، وعزاه للحارث ، وقال البوصيري رواه الحارث عن العباس بن الفضل وهو ضعيف، ورواه أبو يعلى بسند رواته ثقات كما ذكره الأعظمي على حاشية المطالب، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٢٨٩). فاقة. فقر .

٦- رواه ابن ماجة في الإقامة في باب حسن الصوت ص(٩٦)، وفي إسناده إسماعيل بن رافع أبو رافع المدني ضعيف الحفظ كما في التقريب ص(٤٢) ، لكن تابعه المليكي، ولكن المليكي ضعيف أيضا، راجع التهذيب (١٨١/٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٦٩/١) وصححه ووافقه الذهبي. من لم يتغن بالقرآن فليس منا أي لم يستغن به عن غيره، يقال تغنيت واستغنيت ، وقال الشافعي: معناه تحسين القراءة وترتيقها، ويشهد له الحديث الآخر (زينوا القرآن بأصواتكم) وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء .

حسبتموه يخشى الله﴾[1] رواه ابن ماجة.

## تعلم القرآن

٣٨- وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: لأبي ذر رضي الله عنه: ﴿يا أباذر لأن تغدو[2] فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة﴾.

## أدعية الاستيقاظ من النوم

٣٨- عن حذيفة بن اليمان وأبي ذر رضي الله عنهما قالا: كان رسول الله ﷺ إذا استيقظ قال: ﴿الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور[3]﴾ رواه البخاري.

## الاستيقاظ من النوم

٣٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿إذا استيقظ أحدكم فليقل الحمد لله الذي رد عليّ روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره[4]﴾ رواه ابن السني.

٤٠- وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ﴿ما من عبد يقول حين يرد الله إليه روحه: ﴿لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، إلا غفر الله تعالى له ذنوبه ولو كانت مثل زبد[5] البحر﴾.

٤١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ما من رجل ينتبه من نومه فيقول: الحمدُ لله الذي خلق النوم واليقظة، الحمد لله الذي بعثني سالماً سوياً، أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، إلا قال الله تعالى: صدق عبدي﴾[6].

٤٢- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك[7] رحمة إنك أنت الوهاب﴾.

## دعاء لبس الثوب الجديد

٤٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا لبس ثوباً سماه باسمه قميصاً أو رداء أو عمامة يقول: ﴿اللهم

---

١- أخرجه ابن ماجة في الإقامة، وفي إسناده عبد الله بن جعفر المدني هو ضعيف كما في التقريب ص(٢٦٠)، وكذا شيخه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع المدني ضعيف أيضاً كما في التقريب ص(١٩)، ولكنه حسن بشواهده ، والرواية الصحيحة عن ابن عباس وابن عمر وعائشة بلفظ (أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله) رواه البيهقي في الشعب والخرائطي عن ابن عباس، ورواه الخرائطي عن ابن عمر وقال الألباني في صحيح الجامع (١٩٢) حديث صحيح.

٢- رواه ابن ماجة بإسناد حسن، ويعضده حديث مسلم وأبي داود في هذا المعنى، رواه ابن ماجة ص(٢٠) في المقدمة، وقال المنذري في الترغيب (٢/٣٥٥) إسناده حسن لكن فيه عبدالله بن زياد البحراني مستور كما في التقريب ص(٢٦٦)، وشيخه علي بن زيد بن جدعان ضعيف كما في التقريب ص(٣٧١)، ولكنه حسن بشواهده ، وأما حديث مسلم فلعله حديث عقبة بن عامر بلفظ (خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفه فقال أيكم يحب يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا يا رسول الله نحب ذلك، قال أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل. أخرجه مسلم في فضائل القرآن (١/٢٧٠)، وأبو داود عون المعبود (١/٥٤٤)، وأحمد (٤/١٥٤)، غدا، يغدو، غدوا: السير أول النهار نقيض الرواح، والغدوة: ما بين صلاة الغداة (الفجر) وطلوع الشمس.

٣- أخرجه البخاري في الدعوات في باب ما يقول إذا أصبح (٣/٩٢٦)، وتحفه الأحوذي على الترمذي (٤/٢٣٤)، وأبو داود -عون المعبود- (٤/٤٧١)، وأحمد (٥/٤٥٧)، وابن ماجة ص(٢٨٤)، والدارمي (٢/٢٩١)، بذل المجهود (١٩/٢٨٦)، النشور: البعث بعد الموت ، وسمي النوم موتا لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيها.

٤- رواه الترمذي وإسناده حسن، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٩)، وقال النووي في الأذكار ص(١٦) روينا في كتاب ابن السني بإسناد صحيح عن أبي هريرة وذكر الحديث.

٥- رواه ابن السني ، ضعيف فيه إسماعيل بن عياش عن محمد بن إسحاق، وإسماعيل ضعيف في غير أهل بلده كما هنا، ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وفيه أيضاً موسى بن وردان وهو صدوق ربما أخطأ كما في التقريب (٢/٢٨٩). الزبد: الغثاء والرغوة.

٦- رواه ابن السني رقم (١٣) وإسناده ضعيف.

٧- رواه أبوداود ، وصححه الحاكم (١/٥٤٠) ووافقه الذهبي، لكن فيه عبدالله بن الوليد التجيبي ذكره بن حبان في الثقات، وضعفه الدارقطني وقال لا يعتبر به كما في التهذيب (٦/٦٩)، وقال في التقريب (٢٩٥) (لين الحديث) ، ورواه أبو داود عون المعبود (٤/٤٧٦)، والنسائي في اليوم والليلة، وابن حبان في الموارد (٥٨٦)، حسنه الترمذي والحافظ. أنظر الفتوحات (٣/١٦٥). لا تزغ قلبي لا تمله عن الإيمان، لدن: ظرف مكان بمعنى عند، وفيه لغات إلا أنه أقرب مكاناً من عند وأخص منه.

إني أسألك من خيره وخير ما هو له وأعوذ بك من شره وشر ما هو له[1]﴾ رواه ابن السني.

٤٤- وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من لبس ثوباً جديداً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول[2] مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه﴾.

## خلع الثوب

٤٥- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ستر ما بين أعين الجن وعورات[3] بني آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه بسم الله الذي لا إله إلا هو﴾ رواه ابن السني.

## الخروج من المنزل

٤٦ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿من قال يعني إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لاحول ولاقوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت وهديت وتنحى[4] عنه الشيطان﴾ رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

## دخول البيت

٤٧- وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله﴾[5] رواه أبو داود.

## المشي إلى المسجد

٤٨- عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلى المسجد وهو يقول: ﴿اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً واجعل لي نوراً﴾[6] رواه البخاري.

## دخول المسجد

٤٩- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: أنه كان إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم﴾[7] رواه أبو داود.

---

١- بهذا اللفظ رقم (١٤)، وفي إسناده يحيى بن راشد المازني ضعيف كما في التقريب (٥١٨)، ولكن الصحيح كالتالي قال النووي حديث صحيح رواه الثلاثة ولفظه [كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوباً سماه باسمه عمامة أو قميصاً أو رداء ثم يقول (اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، أنظر المستدرك (١٩٢).

٢- رواه ابن السني رقم (٢٧٠)، ورجاله ثقات، وانظر الفتح الرباني (١٧/٢٤١) وجامع الأصول (٢٣٥٠) وسكت عليه أبو داود المنذري، وانظر جامع الأصول (٢٣١٠) جزء (٤/٣٠٨)، ورواه أبو داود، وحسنه الحافظ في الفتوحات (١/٣٠٤). الحول: الحركة، يقال حال الشخص يحول إذا تحرك ولا حول ولا قوة إلا بالله المعنى لاحركة ولا قوة إلا بمشيئة الله تعالى، وقيل الحول الحياة.

٣- رواه الطبراني في الأوسط ، وهو حديث صحيح كما قال الالباني في صحيح الجامع (٣٦٠٤) عن أنس، قال الهيثمي في المجمع (١/٢٥٠) وقال رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما فيه سعيد بن مسلمة الأموي، ضعفه البخاري ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله موثوقون، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٢/٢١). العورة كل ما يستحيا منه إذا ظهر، وعورة الرجل ما بين السرة والركبة، وعورة المرأة: جميع بدنها إلا الوجه والكفين ففيهما خلاف، وستر العورة واجب (فرض) أمام الناس، أما عند الخلوة ففي وجوب سترها خلاف.

٤- وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الأرناؤط في تخريج الكلم الطيب وهو صحيح رقم (٥٧)، أنظر جامع الأصول (٢٢٦٨)، أنظر عون المعبود (٤/٤٨٦)، وتحفة الأحوذي على الترمذي (٣/٢٣٩)، وابن السني (١٢٨)، وابن حبان كما في الموارد (٥٩٠) تنحى تجنب وصار في ناحية منه أي أبعد

٥- رواه أبو داود وإسناده صحيح، أنظر جامع الأصول (٢٢٦٩) ، تخريج الكلم الطيب للالباني وللأرناؤط رقم (٦٠) وأنظر عون المعبود -أبو داود- (٤/٤٨٦) ولج دخل

٦- أخرجه البخاري في الدعوات (٢/٩٣٥)، ومسلم في باب صلاة النبي (١/٦٦١)، وأبو داود عون المعبود (١/٥١٦)، قال الالباني في صحيح الجامع رقم (١٢٧٠) أخرجه أحمد والشيخان والنسائي عن ابن عباس.

٧- وسنده صحيح، وحسنه النووي وابن حجر، تخريج الكلم الطيب للالباني (٦٥)، وصححه في صحيح الجامع (٤٥٩٠)، أنظر عون المعبود (١/١٧٥)، وقال ابن حجر حديث حسن غريب رجاله موثقون وهم رجال الصحيح إلا اثنين كما في الفتوحات (٢/٤٧)

٥٠- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال ﴿بسم الله اللهم صلِّ على محمد﴾ وإذا خرج قال:( اللهم صلِّ على محمد )[١] رواه ابن السني.

٥١- و عن أبي حميد أو عن أبي أسيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك﴾[٢].

# دخول الخلاء

٥٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند دخول الخلاء: ﴿اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث﴾[٣] رواه الشيخان.

# الخروج من الخلاء

٥٣- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء[٤] قال ﴿الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى فيَّ قوته و دفع عني أذاه﴾ رواه ابن السني و الطبراني.

# الخروج من الغائط

٥٤- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من الغائط[٥] قال: ﴿غفرانك﴾.

# دعاء المباشرة

٥٥- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ﴿لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا﴾[٦] رواه البخاري.

# دعاء الوضوء

٥٦- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، فسمعته يقول: ﴿اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي ﴾، قلت: يا نبي الله، لقد سمعتك تدعو بكذا وكذا؟ قال:﴿ وهل تراهن تركن من شيء﴾[٧] رواه ابن السني والنسائي.

---

١- أخرجه أبو داود عون المعبود (١/١٧٥)، قال النووي في الأذكار حديث حسن وإسناده جيد. قال الأرناؤط في تخريج الأذكار حسن لغيره، وحسّنه الألباني في تخريج الكلم الطيب رقم (٦٣)

٢- رواه مسلم و أبو داود و النسائي (١/٢٤٨)، مسلم في باب ما يقول إذا دخل المسجد، وأبو داود عون المعبود (١/١٧٥)، والنسائي (٧٣٠)، و أحمد (٣/١٩٧)، وابن ماجة (٥٦)

٣- أخرجه البخاري في الوضوء في باب ما يقول عند الخلاء (١/٢٦)، ومسلم في الطهارات ما يقول إذا أراد دخول الخلاء ١/١٦٣، و أبو داود (١/٥)، والترمذي (١/١٤)، والنسائي رقم (١٩)، وابن ماجة (٢٦)، والدارمي (١٠/١٢١)، الخبث: بضم الخاء و الباء جمع خبيث، والخبائث جمع خبيثة يريد ذكور الشياطين و إناثهم، وقيل هو الخبث بإسكان الباء و هو خلاف طيب الفعل من فجور وغيره، والخبائث يريد بها الأفعال المذمومة و الخصال الرديئة، الخلاء قضاء الحاجة

٤- ابن السني (٢٥)، أنظر الأذكار ص(٢٢)، وأخرجه المعمري في اليوم والليلة وفي سنده ضعيفان ولكن للحديث شواهد قاله الحافظ راجع الفتوحات الربانية (١/٣٨٤)، فهو حسن بشواهده.

٥- رواه أبو داود والترمذي، وصححه النووي في الأذكار، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، أنظر جامع الأصول (٢٣١٧)، شرح السنة (١/٣٧٩)، عون المعبود (١/١٢)، وتحفة الأحوذي (١/١٦)، وابن ماجة (٢٦)، والدارمي (١/١٧٤)، وابن حبان كما في الإحسان (٢/٥١٠)، و أحمد (٦/١٥٥)، والحاكم (١/١٥٨)، والبيهقي (١/٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٨٣)، الغائط المكان المنخفض من الأرض، وسمي مكان قضاء الحاجة بالغائط لأن العادة أن قضاء الحاجة تقضى في المنخفض من الأرض حيث هو أستر له، ثم صار يطلق على البراز (النجو) نفسه.

٦- في الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله (٢/٩٤٥)، ومسلم في النكاح (١/١٦٣) وعون المعبود على أبي داود ٢/٢١٤ و الترمذي (٢/١٧١)، والبيهقي (١/١٤٩)، والدارمي (٢/١٤٥).

٧- قال الألباني في صحيح الجامع (١٢٧٦): حديث حسن، رواه الترمذي عن أبي هريرة، رواه أحمد والطبراني في الأوسط وأبو يعلى وابن السني عن أبي موسى، أخرج النسائي في اليوم والليلة ومن طريقه ابن السني (٨) وأبو يعلى (٧٢٣٥)

## فضل دعاء الوضوء

٥٧- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيّها شاء»[1] رواه مسلم والترمذي.

## إجابة المؤذن

٥٨- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا[2] الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» رواه البخاري.

## دعاء الطعام

٥٩- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يقول في الطعام إذا قرب إليه: «اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار، بسم الله»[3].

## من نسي التسمية

٦٠- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليق: بسم الله أوله وآخره»[4] رواه أبو داود والترمذي.

## الإنتهاء من الطعام

٦١- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعام قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»[5]رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

## الانتهاء من الطعام

٦٢- وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طعاماً فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه»[6] رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٦٣- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه، فجاء بخبز وزيت، فأكل ثم قال

---

١- أخرجه مسلم في الطهارة (١٢٢/١) بدون زيادة [واجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين] أنظر جامع الأصول (٧٠١٧) قال الألباني في (٦٠٤٣) صحيح الجامع حديث صحيح رواه الترمذي عن عمر باللفظ كله.

٢- في الأذان (٨٦/١)، وفي التفسير (٦٨٦/٢)، والترمذي (١٨٥/١)، وأبو داود عون المعبود (٢٠٨/١)، والنسائي (٦٨١)، وابن حبان كما في الإحسان (١٤٩/٣)، وابن ماجة (٥٣)، و البيهقي (٤١٠/١)، وابن خزيمة (٢٢٠/١)، وأحمد (٣٥٤/٣). الوسيلة قيل هي الشفاعة. وقيل في منزلة من منازل الجنة لا يدركها إلا الرسول ﷺ مقاماً محموداً يحمده فيه الأولون و الآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء يوم القيامة.

٣- رواه ابن السني (٤٥٧)، وفي إسناده محمد بن أبي الزعيزعة وهو منكر الحديث جداً، وقال بن عدي هذا مما أنكر عليه، وعده الذهبي في الميزان (٥٤٩/٣) من مناكيره.

٤- قال الترمذي حديث حسن صحيح [تحفة الأحوذي (١٠٢/٣)] وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، انظر المستدرك (١٨/٤). رواه أبو داود عون المعبود (٤٠٧/٢)، وأحمد (١٤٣/٦)، وموارد ابن حبان (٣٢٦)، وانظر الفتح الرباني للبنا (٩٣/١٧).

٥- قال الحافظ بعد تخريجه من طريق أحمد. هذا حديث حسن، وسكت عليه في الفتح، انظر تخريج الكلم الطيب الأرناؤط ١٨٧ . وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة والنسائي وابن السني وأحمد ، أنظر عون المعبود (٤٣٣/٣)، والترمذي (٢٤٧/٤)، وابن ماجة (٢٤٤) وأحمد (٣٢/٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣٥٢/١)، والفتوحات الربانية (٢٢٩/٥).

٦- قال الألباني والأرناؤط في تخرج الكلم الطيب (١٨٦) والحديث حسن، وجاء في الفتوحات الربانية (٢٣٠/٥) والحديث حسن. كما قال الحافظ ورواه أبو داود عون المعبود (٧٥/٤) وتحفة الأحوذي (٢٤٨/٤)، وابن ماجة (٢٤٤)، وأبو يعلى (١٤٨٦) وابن السني (٢٧١)، وأحمد (٤٣٩/٣).

النبي ﷺ: ﴿أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة[1]﴾ رواه أبو داود.

# دعاء القيام - قيام الليل-

٦٤- عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: ﴿اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت[2] ، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولاحول ولا قوة إلا بالله﴾ رواه البخاري، ومسلم.

# الرؤيا

٦٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله ، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله من شرها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره﴾[3] رواه البخاري ومسلم.

# الفزع في النوم

٦٦- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إذا فزع أحدكم في النوم فليقل:أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين[4] وأن يحضرون، فإنها لن تضره﴾ رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

# الأرق

٦٧- وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه أصابه الأرق، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن نمت؟ قل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جاراً[5] من شر خلقك أجمعين، أن يفرط علي أحد منهم أو أن يطغى، عز جارك وتبارك اسمك﴾ فقالهن فنام، رواه الطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة في مصنفه.

٦٨- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ أرقاً أصابني فقال: ﴿ قل:اللهم غارت[6] النجوم، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، يا حي يا قيوم أهد ليلي وأنم عيني﴾ فقلتها فأذهب الله عز وجل ما كنت أجده.

---

١- قال الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٩٢) وهو صحيح الإسناد، انظر آداب الزفاف (٩١)، رواه أحمد، والبزار، قال الهيثمي في مجمع الزوائد رجالهما رجال الصحيح، ورواه أحمد (٨٣/٣)، والطبراني والبيهقي في سننه (٢٨٧/٧)، وانظر صحيح الجامع (١١٤٨)، عون المعبود (٤٣٣/٣)، ومسند أحمد (١٣٨/٣)، وصحح إسناده النووي، لكن تعقبه الحافظ لأن معمر وإن احتج به الشيخان فروايته عن ثابت بخصوص مقدوح فيها، انظر الفتوحات الربانية (٣٤٣/٤)، قلت وأصله صحيح رواه ابن السني (٤٨٢)، والدارمي (٢٥/٢)، وأحمد (١١٨/٣) من طرق عن أنس. صلت عليكم الملائكة: أي دعت لكم وبركت (دعت بالبركة).

٢- انظر البخاري في التهجد (١٥١/١)، وفي التوحيد (١٠٩٦/٢)، ومسلم في باب صلاة النبي ﷺ (٣٦٢/١)، والنسائي (١٦٢٠)، وابن ماجة (٩٧)، وأحمد (٣٥٨/١). أنيب: أرجع.

٣- أخرجه البخاري في الرؤيا (١٠٤٣/٢)، والترمذي (٢٤٦/٤)، (تحفة الأحوذي) والنسائي في الكبرى من طريق ابن السني رقم (٢٦٨).

٤ وقال الترمذي حديث حسن، وفي الحديث قال: وكان عبدالله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه، وانظر عون المعبود (١٨/٤)، والترمذي (تحفة الأحوذي) (٢٦٦/٤)، وأحمد (١٨١/٢)، والحاكم (٥٤٢/١)، وابن أبي شيبة (٣٩/٨)، وإسناده صحيح في سند أحمد، وانظر جامع الأصول (٢٢٢٦) فزع خاف، همزات الشياطين نزعاتهم بما يوسوسون به

٥- أخرجه الترمذي التحفة (٢٦٦/٤) قال الترمذي ليس إسناده بالقوي، والحكم بن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث . قال الهيثمي في المجمع (١٢٦/١٠) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من خالد بن الوليد، ورواه الطبراني في الكبير رقم (٣٨٣٩) بسند ضعيف وقال الحافظ هذا مرسل صحيح الإسناد، أنظر الفتوحات (١٨١/٣). الأرق السهر، جار: حامي ومؤمن وناصر، يفرط:يجاوز الحد ويعتدي

٦ رواه ابن السني رقم (٧٤٩)، قال في المجمع (١٢٨/١٠) بعد عزوه للطبراني فيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك .راجع الفتوحات (١٧٧/٣). غار غاب

# دعاء النوم

٦٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه[1] ثلاث مرات، وليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكتَ نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين﴾ رواه الجماعة.

٧٠- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿إن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ونفخ فيهما. فقرأ فيهما ﴿قل هو الله أحد﴾ و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ . ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات﴾ [2]رواه البخاري.

٧١- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه – ثلاث مرات- غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج[3] ، وإن كانت عدد أيام الدنيا﴾ رواه الترمذي وقال حديث حسن.

٧٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿من قال حين يأوي[4] إلى فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر﴾ رواه ابن حبان.

٧٣- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة[5] ، واجعلهن آخر ما تتكلم به﴾ أخرجه الجماعة.

٧٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ﴿من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر﴾[6] رواه مسلم.

٧٥- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: ﴿يا معاذ إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك﴾[7] رواه أبو داود.

٧٦-أ وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: ﴿سبحانك اللهم[8]

---

١ البخاري في الدعوات (٩٣٥/٢)، ومسلم في الدعوات (٢٤٩/٢)، عون المعبود على أبي داود (٤٧٢/٤)، وتحفة الأحوذي على الترمذي (٢٣١/٤)، وابن ماجة ص(١٢٨٤)، والدارمي (٢٩٠/٢)، وأحمد (٢٤٦/٢)، صنفة ثوبه طرفه وحاشيته (إن أمسكت نفسي أمتها، من الموت)

٢ البخاري في الدعوات (٩٣٥/٢) وفي الطب (٨٥٥/٢)، وأبو داود عون المعبود (١٧٣/٤)، وتحفة الأحوذي على الترمذي ٢٣١/٤، والنسائي في التفسير في السنن الكبرى، وفي اليوم والليلة كما في الأطراف (٦٦/١٢) ، وابن ماجة (٢٨٥)، وأحمد ١١٦/٦، بذل المجهود (٢٩٦/١٩) قال السهارنفوري في بذل المجهود (٢٩٦/١٩) (والظاهر أنه ﷺ كان يقرأ أولاً هذه السور ثم ينفخ في كفيه ثم يمسح بهما جسده ).

٣ قال الترمذي حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه –تحفة الأحوذي- (٢٣٠/٤) وفي إسناده عبيد الله بن الوليد وشيخه عطية العوفي وهما ضعيفان. عالج ما تراكم من الرمال ودخل بعضه في بعض، أوى: يأوي إلى الفراش: أي دخل في الفراش فضمه الفراش وأحاطه

٤ أخرجه ابن حبان كما في الموارد (٥٨٧)، وابن السني (٧٢٢)، وفيه معمر بن سهل الأحوازي، وفي رواية ابن السني عمر بن سهل وبقية رجاله ثقات.

٥- خرجه البخاري في الوضوء وفي الدعوات (٩٣٢/٢)، ومسلم في الدعوات (٣٤٨/٢)، والترمذي التحفه ٢٢٩/٢ وعون المعبود (٤٢١/٤)، وابن السني (٧٠٨)، وابن ماجة (٢٨٥)، وأحمد (٢٩٠/٤)، والبغوي في شرح السنة (١٠٣/٥)، وانظر مختصر أبو داود (٤٨٨١)، والفتح الرباني للبنا (٢٥٠/٤)، وصحيح الجامع (٢٢٥٠)، بذل المجهود في حل أبي داود (٢٨٣/١٩)، قال البراء في آخر الحديث (فقلت أستذكرهن فقلت وبرسولك الذي أرسلت قال لا وبنبيك الذي أرسلت) بذل المجهود ٢٨٤/١٩. قال الحافظ في شرح البخاري. وأولى ما قيل في حكمة رده ﷺ على من قال الرسول بدل النبي إن ألفاظ الأذكار توقيفية ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به. فوضت أمري إليك ردت أي توكلت عليك في أمري كله، ألجأت ظهري إليك أسندته أي اعتمدت عليك في أموري لتعينني، الفطرة الإسلام، رغبة طمعا في رحمتك رهبة خوفا من عذابك، كتابك القرآن

٦ رواه مسلم كتاب الصلاة (٤١٩/١)، وأحمد (٣٧١/٢)، وابن خزيمة (٣٦٩/١)، عون المعبود أبي داود (٤٥٧/١) وابن حبان كما في الإحسان (٣٥٣/٣)، والموطأ (٢٢٢/١)

٧ إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، انظر تخريج الكلم الطيب للألباني (١١٤)، والأرناؤط (١١٣)، وانظر عون المعبود (٥٦١/١)، والنسائي (١٣٠٤)، وأحمد (٢٤٥/٥)، وابن خزيمة (٣٦٩/١)، والحاكم (٢٧٣/١) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي، وابن السني (١١٨)، وابن حبان كما في الإحسان (٣٥٩/٣)، وقال الحافظ في بلوغ المرام سنده قوي، وقال النووي في الأذكار إسناده صحيح.

٨- تقدم تخريجه في حديث رقم (٢١)، ورواه الترمذي وإسناده حسن، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي حسن صحيح، قال الألباني في تخريج الكلم (٢٢٢) وهو كما قال.

وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فقال رجل: يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ قال: ذلك كفارة لما يكون في المجلس﴾ رواه أبو داود والحاكم في المستدرك.

٧٦-ب عن عليّ رضي الله تعالى عنه ﴿من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل في آخر مجلسه أو حين يقوم ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾[1] رواه أبو نعيم في الحلية.

٧٧- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ: ﴿يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به﴾ قال ويسمي حاجته، رواه البخاري[2].

٧٨- عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ﴿من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه، ثم ليصل ركعتين، ثم يثني على الله تعالى، وليصل على النبي ﷺ وليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والعصمة من كل ذنب، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء فانه يُقدِّرُ﴾[3] أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة.

٧٩- يقول المقيم للمسافر: ﴿أستودع الله دينك[4] وأمانتك وخواتيم عملك، وأقرأ عليك السلام﴾ رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمر.

٨٠- ثم يوصيه فيقول: عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف، اللهم أطو له البعد[5] وهون عليه السفر﴾ رواه الترمذي .

٨١- ثم يدعو له بقوله: ﴿زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسر لك الخير حيثما كنت﴾[6] أخرجه الترمذي والنسائي من حديث أنس.

٨٢- ويقول المسافر للمقيم: ﴿أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه﴾ [7]رواه الطبراني من حديث أبي هريرة.

٨٣- ثم يدعو الله بقوله: ﴿اللهم بك أصول وبك أجول وبك أسير، اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنّا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعو ذبك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون[8] تائبون عابدون لربنا حامدون﴾ رواه

---

١- قال الأرناؤط في تخريج الاذكار، وأخرجه بن أبي حاتم عن الشعبي مرسلاً ، ويمعناه رواه الطبراني عن زيد بن أرقم وحميد بن زنجويه في (ترغيبه) من طريق الأصبغ بن نباته عن عليّ رضي الله عنه وهو حديث ضعيف.

٢- أخرجه البخاري في التهجد (١/١٥٥)، وفي الدعوات (٢/٩٤٤)، وفي التوحيد (٢/١٠٩٩)، والترمذي تحفه الأحوذي (١/٣٤٨)، وأبو داود عون المعبود (١/٥٦٤)، والنسائي في النكاح (٣٢٥٥) وابن ماجة في الصلاة ص(٩٩)، وأحمد (٣/٣٤٤)، والبيهقي (٣/٥٢) كلهم عن جابر، وقد رواه غير واحد من الصحابة.

٣- رواه الترمذي تحفة الأحوذي (١/٣٤٨)، وابن ماجة ص(١٠٠)، والحاكم (١/٣٢٠)، وقال الترمذي غريب وفي إسناده مقال فيه فايد بن عبد الرحمن مضعف الحديث، لكن المزي ذكر عنه بانه قال حسن غريب كما في تحفة الأشراف (٤/٢٨٨)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٤/١٤٠)، والسيوطي في اللآلىء (٢/٤٦)، والشوكاني في الفرائد المجموعة، والحال أن جميع طرقه لا تخلو عن ضعف، إلا حديث أبي الدرداء، قال الحافظ فايد متروك روى عنه الثقات، وقال ابن عدي مع ضعفه يكتب حديثه، وقال الحاكم فايد مستقيم الحديث.

٤- ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه رقم (١٤)، وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة أنظر عون المعبود (٢/٣٣٩)، تحفه الأحوذي (٢/٢٤٣)، ابن ماجة ص(٢٠٨)، وأحمد (٢/٢)، وابن حبان كما في الإحسان (٥٩٠)، والحاكم (٢/٩٧)، وراجع الفتوحات (٥/١١٨)، وجامع الأصول (٢٢٨٩) أستودع وديعة أستحفظه إياها، استودع الله دينك، أي جعلت دينك وديعة عند رب العالمين

٥- والنسائي من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن، تحفه الأحوذي (٤/٢٤٤)، وابن ماجة في الجهاد (٢٠٤)، وأحمد (٢/٣٢٥)، والنسائي في اليوم والليلة وابن السني رقم (٥٠١)، وابن حبان كما في الموارد (٥٦١)، وابن خزيمة كما في الفتوحات (٥/١٢١)، قال الألباني في صحيح الجامع (٣٩٢٥) حديث حسن، ورواه الحاكم (٢/٩٨) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الأرناؤط في تخريج الكلم الطيب (١٧٠)، الشرف: العلو والمكان المرتفع، اطو لنا البعد، أي قربه لنا وسهل السير حتى لا يطول علينا فكأنه طوي

٦- قال الترمذي حديث حسن، وقال الأرناؤط وهو كما قال الترمذي، وحسنه الحافظ ، انظر تحفه الأحوذي (٤/٢٤٤)، وابن السني (٥٠٢)، والنسائي والحاكم ، وحسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب رقم (١٧٠)

٧- رواه ابن السني رقم (٥٠٥)، والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجة في الجهاد (٢٠٨)، وحسنه الحافظ إلا أنه قال في إسناده رشدين بن سعد وفيه ضعف، راجع الفتوحات الربانيه (٥/١١٤)، وحسنه الأرناؤط في تخريج الكلم الطيب (١٦٦)، ورواه أحمد في المسند (٢/٤٠٣)، وكذلك حسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٦٧).

٨- أخرجه مسلم في الحج (١/٤٣٤)، وأبو داود عون المعبود (٢/٣٣٨) والترمذي (٤/٢٤٥)، والنسائي وأحمد (٢/١٤٤)، والدارمي (٢/٢٨٧)، كلهم عن ابن عمر، ورواه أحمد والبزار عن عليّ (١/٩٠)، قال الهيثمي في المجمع (١٠/١٣٠) رجالها ثقات، أصول أسطو وأقهر، والصولة الحملة والوثبة، جال واجتال: إذا ذهب وجاء، وعثاء السفر شدته ومشقته، وأصله من الوعث وهو الرمل، لأن المشي فيه شديد، الكآبة تغير النفس بالانكسار من شدة [illegible]

أحمد و البزار ومسلم وغيرهم من حديث عليّ وابن عمر وعبد الله بن سرجس وغيرهم.

٨٤- فإذا بدأ الركوب قال: ﴿بسم الله﴾ فإذا استوى على مركبه قال: ﴿الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين[١] وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ رواه أبو داود و الترمذي من حديث عليّ رضي الله عنه.

## من أدعية الظواهر الكونية

٨٥- إذا رأى المطر قال: ﴿اللهم صيبًا[٢] نافعاً﴾ مرتين أو ثلاثاً رواه ابن أبي شيبه من حديث عائشة.

٨٦- فإذا كثر المطر أو خاف ضرره قال: ﴿اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والآجام والظراب[٣] والأودية ومنابت الشجر﴾ رواه البخاري من حديث أنس.

٨٧- إذا سمع الرعد والصواعق قال: ﴿اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك﴾[٤] رواه الترمذي والحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن عمر.

٨٨- إذا رأى الهلال قال: ﴿الله أكبر، اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله، هلال[٥] خير ورشد﴾ رواه الدارمي والترمذي والطبراني.

٨٩- يقول لمن تزوج :﴿بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير﴾[٦].

٩٠- ﴿إذا أتي بمولود أذن في أذنه حين ولادته﴾[٧] رواه أبو داود والنسائي.

## تعويذ الأطفال

٩١- ﴿أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة[٨]﴾ رواه البخاري من حديث ابن عباس.

٩٢- ﴿إذا أفصح الصبي فليعلمه لا إله إلا الله، وإذا أثغر[٩] فليأمره بالصلاة﴾.

---

١- قال الترمذي حديث حسن صحيح وقال الالباني والارناؤط في تخريج الكلم الطيب ١٧٣ وهو كما قال. انظر عون المعبود ٣٣٩/٢، تحفة الأحوذي ٢٤٤/٤، ابن السني ٤٩٦، موارد ابن حبان ٥٩١ والحاكم في المستدرك ٩٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي وأحمد ٩٧/١ سخر لنا هذا أي ذلله لنركبه. استوى استقر. مقرنين مطيقين

٢- رواه ابن أبي شيبه (٢١٨/١)، والبخاري في الاستسقاء (١٤٠/١)، وأبو داود عون المعبود (٤٨٧/٤)، والنسائي (١٥٢٤)، وأحمد (٤١/٦)، وسكت عليه أبو داود والمنذري مختصر أبي داود (١٩٣٦)، وانظر جامع الأصول (٢٣٢٩). صيبا: أي ماء منهمراً متدفقاً.

٣- أخرجه البخاري في الاستسقاء (١٣٧/١)، ومسلم في الاستسقاء (٢٩٣/١)، والبيهقي (٢٥٥/٣)، والنسائي (١٥١٦). الآكام: جمع أكمة وهي الرابية وتجمع الآكام على أكم والأكم على آكام، الظراب الجبال الصغار مفردها ظرب على وزن كتف، الآجام: جمع أجمه وهو الشجر الكثير الملتف.

٤- صححه الحاكم وأقره الذهبي، وحسنه العراقي، وقال ابن حجر وهو متماسك، ورواه أحمد، انظر الفتح الرباني ٢٥٨/١٤، وانظر تخريج الالباني والارناؤط لكلم الطيب (٢٥٨)، وضعفه الألباني والنووي في الأذكار، قال ابن حجر في تخريج الأذكار رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي والنسائي والحاكم من طرق متعددة، ثم قال والعجيب من النووي كيف يطلق الضعف على هذا الحديث وهو متماسك. قال الجزري بعد ذكر حديث النسائي والحاكم إسناده جيد وله طرق. الخلاف يدور حول أبي مطر وهو مجهول كما في التقريب (٦١٢) ووثقه ابن حبان وحده كما في التهذيب، وهو العمدة عند الشيخ شاكر، فلذا قال في تعليق المسند رقم (٥٧٦٣) إسناده صحيح

٥- وغيرهم من حديث عبدالله بن عمر وغيره. صححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٠٢)، قال الالباني حديث صحيح بشواهده، وصححه بن حبان، وحسنه الترمذي، وقال الارناؤط وهو حديث حسن، وأخرجه الدارمي (٣/٢)، وابن حبان في الموارد (٥٩٠)، والطبراني عن ابن عمر كما في المجمع (١٣٩/١٠)، والحاكم وقال صحيح الإسناد (٢٨٥/٤)، وقد حسنه الترمذي بشواهده، قاله الحافظ كما في الفتوحات (٣٢٩/٤) هلال خير ورشد رواه أبو داود (٤٨٥/٤) [عن قتادة أنه بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاث مرات]. وروى ابن السني رقم (٦٤٢) عن أبي سعيد، لكن فيه عبيدالله بن تمام ضعفه الدارقطني وأبو حاتم وغيره كما في الميزان (٣/٤) ورواه الطبراني في كتاب الدعاء عن أنس لكنه ضعيف أيضا كما في الفتوحات (٣٣٠/٤). وروى الترمذي تحفه الأحوذي (١٧١/٢)، وأبو داود عون المعبود (٣٠٧/٢)، والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجة في النكاح (١٢٨)، والدارمي (١٣٧/٢)، وأحمد (٣٨١/٢)، وابن حبان كما في الموارد (٣١٣)، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ إذا رفا الإنسان إذا تزوج قال (بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير) وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي ووافقهم الأرناؤط والألباني في تخريج الكلم الطيب رقم (٢٠٦) على صحته وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٠٥). أهله: أطلعه

٦- رواه البخاري ومسلم والأربعة من حديث أنس وأبي هريرة، أخرجه البخاري في الدعوات (٩٤/٢)، ومسلم في النكاح ٤٥٨/١ وغيرهما من أنس أن النبي ﷺ قال لعبدالرحمن بن عوف حين أخبره أنه تزوج بارك الله لك. اليمن: البركة

٧- أخرجه أبوداود -عون المعبود- (٤٨٨/٤)، والترمذي كما في التحفه (٣٦٣/٢)، وأحمد (٩/٦)، والبيهقي (٣٠٥/٩)، عن أبي رافع قال( رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة). وقال الترمذي حسن صحيح، وجمع أبو نعيم بلفظ أذن في أذن الحسن والحسين كما في الفتوحات (٩٤/٦) قلت لكن في إسناده عاصم بن عبيدالله بن عاصم بن عمر بن الخطاب وهو ضعيف كما في التقريب ص(٢٤٥)، لكن الالباني والأرناؤط في تخريج الكلم رقم (٢١٠) قالا حسن بشاهده الذي رواه البيهقي في الشعب

٨- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (٤٧٧/١)، والترمذي كما في التحفة (١٦٦/٣)، وأبو داود -عون المعبود- (٣٧٧/٤)، وابن ماجة في الطب ص(٢٦٠/١)، وأحمد (٢٣٦/١)، وابن السني (٦٣٤). هامة كل ذات سم يقتل، والجمع: الهوام، فاما ما يسم ولا يقتل فهو السامة كالزنبور. لامة أي ذات لم، واللمم طرف من الجنون يلم بالإنسان. أي يقرب منه ويعتريه

٩- أخرجه ابن السني من حديث عبدالله بن عمر، رواه ابن السني رقم (٤٢٣) وفي إسناده عبد الكريم أبو أمية كما في التقريب (٢٢١) الإثغار سقوط سن الصبي ونباتها، والمراد به هنا السقوط، يقال. إذا سقطت رواضع الصبي قيل ثغر فهو مثغور، فإذا نبتت بعد السقوط قيل أثغر

٩٣- إذا رأى ما يحب قال: ﴿الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات﴾ وإذا رأى ما يكره قال: ﴿الحمد لله على كل حال﴾[١] رواه الحاكم وابن ماجة من حديث عائشة.

٩٤- إذا رأى وجهه في المرآة قال: ﴿اللهم أنت حسّنت خلقي فحسّن خلقي وحرم وجهي على النار، الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرّم صورة وجهي فأحسنها وجعلني من المسلمين﴾[٢] رواه ابن حبان.

٩٥- إذا رأى باكورة ثمرة أو فاكهة قال: ﴿ اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا[٣] اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره﴾، ثم يعطيه أصغر من يكون عنده من الصبيان. رواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة.

٩٦- إذا رأى أخاه المسلم يضحك قال: ﴿أضحك الله سنك﴾[٤] رواه البخاري.

٩٧- إذا بُلّغ عن أحد سلاماً رده على المبلغ والمسلم معاً[٥].

٩٨- إذا قال له إنسان إني أحبك قال: ﴿أحبك الله الذي أحببتني له﴾[٦] رواه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أنس.

٩٩- إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: ﴿أحمد الله إليك، أو يقول: بخير أحمد الله﴾[٧] رواه أحمد والطبراني من حديث عبدالله بن عمرو وأنس.

١٠٠- ﴿إذا صنع إليه أحد معروفاً قال: جزاك الله خيراً﴾[٨] رواه الترمذي من حديث أسامه.

# من أدعيه عوارض الحياة

١٠١- إذا أصابه الكرب أو الهمّ أو الغمّ أو الحزن يقول: ﴿لا إله إلا الله الكريم العظيم سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين﴾[٩] رواه النسائي.

١٠٢- (توكلت على الحي الذي لا يموت، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) [٩].

---

١- رواه ابن ماجة في الأدب (٢٧٨)، وابن السني (٣٧٨)، والحاكم وقال صحيح الإسناد كما في الفتوحات (٢٧١/٦)، رواه البزار من حديث علي وفيه عبد الله بن رافع وابنه محمد غير معروفين كما في فيض القدير (١٣٨/٥)، والأرناؤط في تخريج الكلم رقم ١٣٩ حسن بغيره، وقال الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥١٦، ٤٦٠٣) حديث صحيح

٢- وابن مردويه والطبراني من حديث عبدالله بن مسعود وعائشة وأنس، قال الألباني والأرناؤط في تخريج الكلم رقم (٢٢٠، ٢٢١) حديث ضعيف. لكن صح عن رسول ﷺ أنه كان يدعو بدون النظر إلى المرآة (اللهم أحسنت خلقي، فحسن خلقي) رواه أحمد (٤٠٣/١)، وأبو يعلي (٥٠٥٣) قال في المجمع (١٧٣/١٠) رجالهما رجال الصحيح غير عوسق بن الرماح وهو ثقة، ورواه ابن حبان كما في الإحسان (٢٢١/٢). أما ألفاظ النظر في المرآة فضعيفه كلها ففي إسنادها هاشم بن عيسى الحمصي، قال العقيلي منكر الحديث كما في اللسان (١٨٤/٦) وبشيخه الحارث بن مسلم لم أنتبه عليه.

٣- أخرجه مسلم في الحج من دعائه المدينه (٤٤٢/١)، والترمذي كما في التحفه (٢١٦/٤)، وقال حسن صحيح، والنسائي في اليوم والليلة كما في الأطراف (٤١٧/٩)، والدارمي (١٠٧/٢) كلهم من طريق سهيل بن أبي صالح، وليس عندهم (اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره)، وهو عند ابن السني رقم (٢٨٠) وفي إسناده عبد الرحمن بن يحيى مجهول. قال العقيلي في الميزان (٥٩٧/٢). المد: رطلان والرطل (٤٠٨) غم أي أن المد يساوي (٨١٦) غم. الصاع عند الحنفية يساوي (٤) أمداد يساوي (٣٢٦٤) عند الجمهور (أي الصاع النبوي في المدينة المنورة) (٣/١ره رطل) (٤٠٨ × ١٦/٣) يساوي (٢١٧٦)غم

٤- ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص، البخاري في الفضائل (٤٦٥/١)، وفي بدء الخلق (٥٢٠/١)، ومسلم في فضائل الصحابة في فضل عمر (٢٧٦/٢)، وأحمد (١٢١/١) عن سعد بن ابي وقاص.

٥- أخرجه النسائي وابن القطان من حديث أنس في سلام خديجة، النسائي عن أنس كما في فتح الباري (١٣٩/٧)، وهو في الكبرى وابن السني (٢٤٠) لكن الإسناد فيه مجاهيل، ورواه أحمد انظر الفتح الرباني (٣٢١/١٧) ثم يقول ثلاثاً (اللهم إني أسالك من خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شره) رواه الطبراني عن رافع بن خديج قال الهيثمي في المجمع (١٣٩/١٠) إسناده حسن لكن رمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير مع فيض القدير (٦٦٩٤) ج(١٣٥/٥).

٦- رواه النسائي في اليوم والليلة كما في الأطراف (١٠٨/١)، وابن حبان كما في الموارد، وأحمد (١٤٠/٣)، وفيه مبارك بن فضالة قال الحافظ في التقريب (٤٨١) صدوق مدلس ولكنه صرح بالتحديث، وأبو داود في عون المعبود (٤٩٥/٤)، قال الشيخ شعيب الأرناؤط رواه أبو داود (٥١٢٥) وسنده حسن، وصححه ابن حبان (٢٥١٣)، قال النووي في رياض الصالحين رواه أبو داود بإسناد صحيح، ولفظه (عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمر رجل به فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا فقال له النبي ﷺ (أأعلمته)؟ قال: لا، قال: أعلمه. فلحقه فقال: إني أحبك في الله فقال: أحبك الذي أحببتني له).

٧- أما حديث عبدالله بن عمر فرواه الطبراني في الأوسط وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف، أنظر مجمع الزوائد (٤٦/٨) ولفظ (بخير أحمد الله)رواه ابن ماجة في الأدب ص(٦٧٢)، وابن السني رقم (١٨٥) عن أبي أسيد الساعدي، وفي إسناده عبدالله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص وهو مستور كما في التقريب (٣٧٧)، ورواه ابن السني رقم (١٨٨) عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة أيضاً لكنه مرسل حسن بشواهده.

٨- تحفة الأحوذي (١٥٧/٣)، والنسائي في اليوم والليلة كما في الأطراف (٥١/١)، وابن السني رقم (٢٧٥)، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير (١٧٤/٢) لابن حبان ورمز لصحته، وقال الترمذي هذا حديث حسن جيد غريب لا نعرفه من حديث أسامه إلا من هذا الوجه.

٩- في اليوم والليلة من طريق ابن السني رقم (٣٤١)، والحاكم في المستدرك (٥٠٨/١)، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وابن حبان ص(٥٨٩) كلهم عن ابن عجلان عن محمد بن كعب عن عبدالله بن شداد عن عبدالله بن جعفر عن علي، وابن عجلان مدلس ولكنه لم ينفرد به بل تابعه أسامة بن زيد عند أحمد (٦٦/١)، وللنسائي طرق أخرى، والخرائطي (٨٤٠)، راجع تحفة الأشراف ٣٩٥/٢،والحديث الذي في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب (لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم). رواه البخاري (١٢٣/١١) في الدعوات وفي التوحيد ومسلم في الذكر (٢٧٣٠)

٩- رواه أبو يعلى رقم (٦٦٤١) ومن طريق ابن السني رقم (٥٤٦) عن أبي هريرة، قال ابن كثير في التفسير (٢٠/٣) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة، ورواه الحاكم (٥٠٩/١) من طريق آخر عن أبي هريرة و قال صحيح الإسناد، قلت لكن فيه سعد بن سعيد المقبري لين الحديث كما في التقريب ص(١٨٦)، ومع ذلك سقط من السند واسطة عبد الله بينه وبين سعيد، راجع التهذيب (٤٦٩/٣)، لم يكن له وليّ من الذل: أي لم يحتج لموالاة أحد لذل يلحقه فهو مستغن عن الوليّ والنصير

١٠٣- ﴿اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت﴾[1].

١٠٤- ﴿يا حي ياقوم برحمتك أستغيث﴾[2].

١٠٥- ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[3].

١٠٦- ﴿اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همّي﴾[4].

١٠٧- ﴿لا حول ولا قوة إلا بالله﴾[5].

١٠٨- إذا وقع له ما لا يختاره فليقل: ﴿قدر الله وما شاء فعل، ولا يقول لو فإن لو تفتح باب الشيطان﴾[6] رواه النسائي من حديث أبي هريرة.

١٠٩- إن غلبه أمر فليقل: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[7] رواه أبو داود من حديث عوف بن مالك.

١١٠- إن أصابته مصيبة قال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها وأبدلني منها خيراً﴾[8] رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي سلمة.

١١١- إذا استصعب عليه شيء قال: ﴿اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تَجعلُ الحزن إذا شئت سهلا﴾[9] رواه ابن حبان من حديث حسن.

١١٢- إذا غضب قال: ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[10] رواه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن صرد.

---

١- رواه أبو داود وكما في الموارد (٤٨١/٤)، والنسائي في اليوم والليلة كما في الأطراف (٥٢/٩)، وابن السني رقم (٣٤٢)، وابن حبان كما في الموارد ص(٥٨٩)، وأحمد (٤٢/٥)، والطبراني وابن أبي شيبة عن علي وقال الحافظ هذا حديث حسن كما في الفتوحات (٨/٤)، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٧/١٠) بعد عزوه للطبراني إسناده حسن، قلت فيه جعفر بن ميمون وفيه كلام معروف، لكن قال الحافظ في التقريب ص(٨٣) صدوق يخطئ، وحسنه الأرناؤط في تخريج الكلم الطيب رقم (١١٧).

٢- رواه الترمذي كما التحفه (٣٦٧/٤) وابن السني (٣٣٧) عن أنس، وفي إسناده يزيد الرقاش وهو ضعيف كما في التقريب، ورواه الحاكم (٥٠٩/١) عن ابن مسعود وقال صحيح الإسناد. قال الألباني في تخريج الكلم الطيب حديث حسن رقم (١١٨)، ولفظه في الترمذي (كان إذا كربه أمر قال: يا حي يا قيوم برحمتك استغيث). كربه أمر: اشتد عليه وثقل. أستغيث: أطلب الغوث والإعانة.

٣- رواه الترمذي والحاكم في المستدرك (٥٠٥/١) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الألباني والأرناؤط في تخريج الكلم الطيب وهو كما قال. ولفظ الحديث عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً (دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا ستجاب الله له) رواه الترمذي وهو صحيح.

٤- رواه النسائي وابن حبان من حديث عليٍّ، والحاكم من حديث أبي هريرة وعبدالله بن مسعود، والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص، وأحمد والبزار من حديث بن مسعود. أنظر مسند أحمد (٣٩١/١)،وابن حبان كما في الموارد (٥٨٩)، وكما في الإحسان (٢٣٠/٢)، وأبو يعلى رقم (٥٢٧٦)، والحاكم (٥٠٩/١)، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٦/١٠) رواه أحمد وأبو يعلي والبزار ورجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وثقه بن حبان. وانظرالفتح الرباني (٢٦٣/١٤)، وقال الألباني في تخريج الكلم والأرناؤط رقم (١٢٣) حديث صحيح، وقال الحافظ في تخريج الأذكار حديث حسن. الناصية. مقدم الرأس أو شعر مقدم الرأس إذا طال، ذي النون: يونس عليه الصلاة وسلام.

٥- رواه الحاكم (٥٤٢/١). والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة بلفظ (لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم). قال الهيثمي في المجمع (٩٨/١٠) فيه بشر بن رافع الحارثي وهو ضعيف وقد وثق، قال الذهبي بشر واه، ورواه البيهقي في الدعوات، راجع المرعاه (٤٠٩/٣). لكن أصل الحديث ثابت من طرق عن النبي ﷺ.

٦- أخرجه مسلم في القدر (٢٢٨/٢) ، وابن ماجة في المقدمة ص(٩)، وأحمد (٣٦٦/٢)، والنسائي في اليوم والليلة، كما في الأطراف (٢١٩/١٠)، ونص الحديث في مسلم عن أبي هريرة [المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا و كذا، ولكن قل: قدر الله و ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان).

٧- أخرجه أبو داود في الضعفاء عون المعبود (٣٤٨/٣)، والنسائي في اليوم والليلة كما في الأطراف (٢١٣/٨)، وأحمد (٢٥/٦)، وفي إسناده بقية بن الوليد وفيه مقال، قاله المنذري، وقال في التقريب ص(٦٥) صدوق كثير التدليس عن الضعفاء لكن في هذا الحديث صرح بالتحديث عن أحمد فالحديث حسن إن شاء الله، والحديث رواية أخرى عند البخاري. قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: حسبنا الله ونعم الوكيل -آل عمران (١٧٣)- قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قال له الناس إن الناس قد جمعوا لكم -آل عمران (١٧٣)- حسبنا: كافينا.

٨- تحفه الأحوذي (٢٦٣/٤)، والنسائي في اليوم والليلة كما في الأطراف (٢٨١/٥)، وابن ماجة (١١٦)، والحاكم ٦٢٩/٢ وقال هذا حديث مخرج في الصحيحين وإنما أخرجته لأني لم أجد لأبي سلمة عن رسول الله ﷺ حديثا مسنداً غير هذا، وقال الترمذي حسن غريب، ولفظ الحديث في مسلم قالت أم سلمة رضي الله عنها (سمعت رسول الله يقول: ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها، قالت: فلما توفي أبو مسلمة قلت كما أمرني رسول الله فاخلف الله تعالى لي خيراً منه رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم رقم (٩١٨) في الجنائز. أنظر تخريج الكلم (١٤٠) الأرناؤط. أحتسب: أكتفي بثواب الله.

٩- رواه ابن حبان كما في الموارد (٦٠١)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٣٠٥/٢)، وفي إسناده حماد بن سلمة. قال في التقريب ص(١٢٥) ثقة عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بآخره لكن أخرج له مسلم في الرؤيا والاستئذان والمغازي، قال البيهقي حماد أحد أئمة المسلمين، وقال أحمد إذا رأيت الرجل يغمز حماداً فاتهمه على الإسلام، فالحديث صحيح، قال الأرناؤط في تخريج الأذكار ص(١٠٦)، حديث صحيح.

١٠- أخرجه البخاري في بدء الخلق (٤٦٤/١)، والأدب (٩٠٢/٢)، ومسلم في الأدب (٣٢٦/٢)، قال سليمان بن صرد كنت جالسا مع رسول الله ﷺ ورجلان يستبان وأحدهما قد أحمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله ﷺ إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب الذي يجد) متفق عليه. الحزن: بفتح الحاء وإسكان الزاي المكان المرتفع الصعب، يستبان: يشتم أحدهما الآخر، أوداجه: عروق عنقه.

١١٣- إذا ابتلي بالدين قال: ﴿اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك﴾[١].

## من أدعية المرض والوفاة

١١٤- إذا أشتكى وضع يده على موضع الألم من جسده ثم قال: ﴿بسم الله -ثلاث مرات-، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر- سبع مرات-﴾[٢].

١١٥- إذا عاد مريضاً قال: ﴿اللهم أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً﴾ ويمسح بيده عليه ويطيب خاطرة[٣] . رواه البخاري من حديث عائشة.

١١٦- وفي العزاء يسلم يقول: ﴿إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب﴾[٤] رواه البخاري من حديث أسامة.

١١٧- وكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ يعزيه في ابنه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا من مواهب الله عز وجل الهنية، وعواريه المستودعة، نمتع بها إلى أجل معدود، ويقبضها لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلي وكان ابنك من مواهب الله الهنيّة، وعواريه المستودعة، متعك به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير: الصلاة والرحمة والهدى إن احتسبت، فاصبر ولا يحبط جزعك أجرك فتندم، واعلم أن الجزع لا يرد شيئاً، ولا يدفع حزناً، وما هو نازل فكأن قد والسلام﴾[٥] رواه الحاكم.

١١٨- وفي صلاة الجنازة يدعو للميت بقوله: ﴿اللهم اغفر له وارحمه، وعافه وأعف عنه، وأكرم نزله، ووسّع مدخله، وأغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار﴾[٦] رواه مسلم من حديث عوف بن مالك.

١١٩- في زيارة القبور يقول: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية، أنتم لنا فَرَط ونحن لكم تبع، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تضلنا بعدهم﴾[٧] رواه مسلم والنسائي وابن ماجة وابن السني.

## صلاة التسبيح

١٢٠- أربع ركعات بتسليمة واحدة أو بتسليمتين، يقرأ في كل ركعة بالفاتحه وسورة، ثم يسبح قائماً خمس عشرة مرة يقول[٨]: ﴿سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ويسبح في الركوع عشراً، وفي الرفع منه عشراً، وفي السجود عشراً، وبين

---

١- رواه الترمذي والحاكم من حديث على أخرجه الترمذي كما في التحفه (٢٧٦/٤)، وأحمد (١٥٣/١)، والحاكم (٥٣٨/١)، قال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. ولفظ الحديث في الأذكار ص(١٠٧)، روينا في كتاب الترمذي عن على رضي الله عنه، أن مكاتبا جاءه فقال: إن عجزت عن كتابي فاعني، قال ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل دينا أداه الله عنك؟ قال بلى: (اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك) قال الترمذي حديث حسن. المكاتب: العبد إذا أراد التحرر يعمل مع سيده عقداً على أن يدفع له ثمن نفسه مقسطاً على أقساط.

٢- أخرجه مسلم في الطب (٢٢٤/٢)، وأبو داود (١٧/٤)، والترمذي (١٢٥/٣)، والنسائي في الكبرى وفي اليوم والليلة ومن طريق ابن السني وأحمد (٢١/٤)، ومالك في الموطا في كتاب الجامع (٢٢٦/٤).

٣- أخرجه البخاري في المرضى وفي الطب (٨٥٥/٢)، ومسلم في الطب (٢٢٢/٢)، وعبد الرزاق (١٩/١١). البأس: الشدة. السقم. المرض.

٤- أخرجه البخاري في الجنائز (١٢١/١)، ومسلم في الجنائز (٣٠١/١)، وأبو داود (١٦٢/٣)، والنسائي (١٨٦٩)، وأحمد (٢٠٤/٥)

٥- وابن مردويه رواه الحاكم (٢٧٣/٢) وقال غريب حسن إلا مجاشع ابن عمرو ليس من شرط هذا الكتاب، وقال الذهبي في تلخيصه ذا من وضع مجاشع. الجزع: الحزن والخوف.

٦- أخرجه مسلم في الجنائز (٣١١/١)، والترمذي مختصراً (١٤١/٢)، والنسائي (١٩٨٥)، وابن ماجة (١٠٩)، والبيهقي (٤٠/٤)، والطيالسي رقم (٩٩٩)، وقال البخاري أصح شيء في هذا الباب هذا الحديث. الدنس: الوسخ.

٧- رواه مسلم (٣١٤/١)، وأحمد (٣٥٢/٥)، والبيهقي (٢٩/٤) عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرج إلى المقابر (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)، واللفظ لمسلم وزاد النسائي (أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع)، وروى النسائي ومسلم والبيهقي عن عائشة (السلام على أهل الديار من المسلمين والمؤمنين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإن شاء الله بكم لاحقون) واللفظ لمسلم، وروى بن السني (٥٩١) عن عائشة زيادة (اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تضلنا بعدهم).

فرط. سابقون ومنها (أنا فرطكم على الحوض) أي متقدمكم إليه.

٨- رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة والحاكم عن ابن عباس، قال الألباني حديث صحيح، وانظر عون المعبود ٤٩٩/١ وابن ماجة ص(١٠٠)، والحاكم (٣١٨/١)، والبيهقي (٥١/٢)، وابن خزيمة (٢٢/٢)، والبخاري في جزء القراء، مختصراً ص(٣٦)، وللتفصيل راجع مرعاة المفاتيح (٢٥٢/٢).

السجدتين عشراً، وفي السجدة الثانية عشراً، وفي الرفع منها قبل القيام أو التشهد عشراً، فهي خمس وسبعون تسبيحة، يفعل ذلك في كل ركعة﴾ الحديث أخرجه أبو داود والحاكم من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

# دعاء إقبال الليل

١٢١- ﴿اللهم إن هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك فاغفر لي﴾[1].

من أوراد الاخوان

# بعد الورد القرآني وورد المأثورات

## ١- ورد الدعاء:

﴿أستغفر الله﴾ مائة مرة ﴿اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم﴾ مائة مرة ﴿لا إله إلا الله﴾ مائة مرة الدعاء للدعوة والقائمين بها وللإخوان وللنفس والأهل بعد ذلك بما تيسر من الدعوات

ويقرأ الورد صباحاً بعد صلاة الصبح، مساء بعد صلاة المغرب أو العشاء أو قبل النوم مع الخشوع التام، وألا يقطع ورده بكلام دنيوي إلا للضرورة استكمالاً للخشوع وتأدباً في الذكر

## ٢- ورد الرابطة:

يتلو الآية الكريمة في تدبر كامل:

﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت ، وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب﴾

( آل عمران: ٢٦-٢٧ ).

ثم يتلو الدعاء المأثور بعد ذلك: ﴿اللهم إن هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك فاغفر لي﴾ ( الكلم الطيب رقم ٧٦ )

ثم يستحضر صورة من يعرف من إخوانه في ذهنه، ويستشعر الصلة الروحية به وبين من لم يعرفه منهم، ثم يدعو لهم بمثل هذا الدعاء: اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحدت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك، فوثق اللهم رابطتها، وأدم ودها، واهدها سبلها، واملأها بنورك الذي لا يخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك ، وجميل التوكل عليك، وأحيها بمعرفتك، وأمتها على الشهادة في سبيلك، إنك نعم المولى ونعم النصير، اللهم آمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ووقت هذا الورد ساعة الغروب تماماً من كل ليلة.

## ٣- ورد المحاسبة:

وهو استعراض أعمال اليوم ساعة النوم، فإن وجد الأخ خيراً فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فليستغفر وليسأل ربه ثم يجدد التوبة وينام على أفضل العزائم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

[1] أخرجه أبو داود (٢٠٩/١)، والترمذي (٢٨٦/٤)، وزاد( وحضور صلواتك)، والحاكم (١٩٩/١)، وقال صحيح ووافقه الذهبي

# المراجع


١- الجامع الصحيح للبخاري، أصح المطابع -دهلي.

٢- الجامع الصحيح لمسلم، أصح المطابع -كراچي (١٣٤٩).

٣- سنن أبي داود مع عون المعبود، دار الكتاب العربي -بيروت.

٤- سنن الترمذي مع تحفه الأحوذي، دار الكتاب العربي -بيروت.

٥- سنن النسائي، المكتبة السلفية -لاهور.

٦- سنن ابن ماجة، إدارة إحياء السنة النبوية -سركوده باكستان.

٧- السنن الكبرى للبيهقي، دائرة المعارف العثمانية -حيدر أباد (١٣٥٢هـ).

٨- المستدرك للحاكم، مكتب المطبوعات الاسلامية حلب-بيروت.

٩- سنن الدارقطني، دار إحياء السنة النبوية.

١٠- سنن الإمام أحمد، المكتب الإسلامي -بيروت (١٣٨٩هـ).

١١- سنن الإمام أبي يعلى، المخطوط بتحقيق إرشاد الحق الإثري.

١٢- موطأ مالك مع الزرقاني، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (١٣٧٩هـ).

١٣- أخبار أصبهان لأبي نعيم، طبع مطبعة ليدن (١٩٣٤م).

١٤- تحفة الأشراف للمزي، دار القيمة -الهند بومبي.

١٥- فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى -مصر (١٣٥٦هـ).

١٦- عمل الليلة واليوم، لابن السني -حيدر اباد الركن (١٣٥٨هـ).

١٧- مرعاة المفاتيح، من (ج١-ج٦) الطبعة الأولى الجامعة الإسلامية بنارس، والباقي المكتبة الأثرية باكستان.

١٨- الفتوحات الربانية، المكتبة الاسلامية لصاحبها رياض الشيخ.

١٩- الأذكار للنووي مع الفتوحات الربانية.

٢٠- التفسير لابن كثير، لاهور باكستان.

٢١- موارد الظمآن، المطبعة السلفية ومكتبتها (٣١) شارع الروضة.

٢٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٢٣- النكت الظراف، الدار القيمة بمباي بالهند.

٢٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، المكتب الإسلامي.

٢٥- سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني، المكتب الإسلامي.

٢٦- المنتقى لابن الجارود، مكتبه الفجالة الجديدة القاهرة (١٣٨٢هـ).

٢٧- إرواء الغليل للألباني، المكتب الإسلامي بيروت (١٣٩٩هـ).

٢٨- المصنف لابن أبي شيبة، المطبعة العزيزية حيدرآباد الدكن (١٣٩٦هـ)، الطبعة الأولى.

٢٩- المصنف لعبد الرزاق، المجلس العلمي (١٣٩٠هـ).

٣٠- الصحيح لابن خزيمة، المكتب الإسلامي (١٣٩٠هـ)

٣١- الدّر المنثور للسيوطي، بيروت.

٣٢- مسند الشاميين للطبراني، في مكتبه الإداره للعلوم الأثرية

٣٣- المعجم الكبير للطبراني، المصور الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف.

٣٤- جزء القراءة للبخاري، المطبعة العلمية دهلي.

٣٥- مسند الطيالسي، حيدر أباد الدكن (١٣٢١هـ).
٣٦- مجمع الزوائد للهيثمي، مكتبه القدس القاهرة (١٣٥٢هـ).
٣٧- مكارم الأخلاق للخرائطي، المطبعة السلفية القاهرة (١٣٥٢هـ).
٣٨- الادب المفرد للبخاري، المكتبة الإسلامية.
٣٩- فتح الباري لابن حجر، المطبعة السلفية المدينة المنورة.
٤٠- القول البديع للسخاوي، ثاني كتب خان سيالكوت باكستان.
٤١- العلل المتناهية لابن الجوزي، إداره علوم أثرية -فيصل أباد.
٤٢- كنز العمال، موسسة الرسالة بيروت.
٤٣- الجامع الصغير للسيوطي، المكتبة الإسلامية سمندري فيصل أباد (١٣٩٢هـ).
٤٤- المكني للدولابي، حيدر أباد الدكن (١٣٢٢هـ).
٤٥- الموضوعات لابن الجوزي، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة (١٣٨٤هـ).
٤٦- اللآليء المصنوعة للسيوطي، المكتبة التجارية مصر.
٤٧- الفوائد المجموعة للشوكاني، مطبعة السنة المحمدية (١٣٨٠هـ).
٤٨- المطالب العالية لابن حجر العسقلاني، الكويت.
٤٩- مسند أبي عوانة.
٥٠- ميزان الاعتدال للذهبي، دار إحياء الكتب العربية (١٣٨٣هـ).
٥١- لسان الميزان لابن حجر، حيدر أباد الدكن (١٣٢٥هـ)
٥٢- تهذيب التهذيب لابن حجر، حيدر أباد الدكن (١٣٢٥هـ).
٥٣- تقريب التهذيب، للهند بالهند.
٥٤- الجرح والتعديل، حيدر أباد الدكن.
٥٥- التاريخ الكبير للبخاري، حيدر أباد الدكن.
٥٦- تعجيل المنفعة لابن حجر، حيدر أباد الدكن.
٥٧- خلق أفعال العباد للبخاري، المطبع الأنصاري - دهلي.
٥٨- أعلام العلا الصغير، إدارة العلوم الأثرية -فيصل أباد.
٥٩- الترغيب والترهيب للمنذري.
٦٠- الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، أحمد عبدالرحمن البنا -طبعة القاهرة.
٦١- نزل الأبرار، صديق حسن خان.
٦٢- جامع الأصول لابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط.

**وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين).**

قال رسول الله ﷺ: **{من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه}**[1].

٤- {قل هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس} .. كل واحدة (ثلاث مرات).

قال عبد الله بن خبيب: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا، فأدركناه فقال: {قل} فلم أقل شيئاً. ثم قال: **{قل}**، فلم أقل شيئاً. قال:{ **قل**}، فقلت يا رسول الله ماذا أقول؟ قال: {قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح -ثلاث مرات- تكفيك من كل شيء}[2].

٥- **سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، الحمد لله ثلاثاً وثلاثين، الله أكبر أربعاً وثلاثين.**

قال رسول الله ﷺ: **{من سبح في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر}**[3].

٦-الحديث: **{أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له، لا إله إلا هو وإليه النشور}**[4].

٧- الحديث: **{أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين}**[5].

٨- الحديث: {اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر}.

عن عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عن أن رسول الله ﷺ قال: **{من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته}**[6].

٩- الحديث: {يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك}.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال: **{يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك} فعضلت بالملكين -أعيتهما- فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء، فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها. فقال الله عز وجل -وهو أعلم بما قال عبده- ماذا قال عبدي؟ قالا: يا ربي إنه قد قال: يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله عز وجل لهما: أكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها}**[7].

١٠- الحديث: {رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً}[8].

عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال: **{من قال حين يمسي وحين يصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ... كان حقاً على الله أن يرضيه}**[9].

١١- الحديث: {سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته} (ثلاث مرات)[10].

عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها: أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم. فقال النبي ﷺ: **{لقد قلت بعدك أربع كلمات -ثلاث مرات- لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته}.**

---

١- رواه البخاري ومسلم. ومعنى كفتاه: قيام الليل أو شرور الخلق والشياطين.

٢- وهو حديث صحيح، رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح

٣- رواه مسلم عن أبي هريرة.

٤- رواه البزار وابن السني بإسناد جيد عن أبي هريرة

٥- رواه أحمد والطبراني عن أبي بن كعب ورجاله رجال الصحيح.

٦- رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه وهو حسن

٧- رواه أحمد وابن ماجه ورجاله ثقات.

٨- حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي عن ثوبان، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي

٩- قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

١٠- رواه مسلم عن جويرية

١٢- الحديث:

عن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **[ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم -ثلاث مرات- لم يضره شيء]**[١].

وكان أبان بن عثمان قد أصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر إليه. فقال أبان: ما تنظر؟ أما إن الحديث كما حدثتك ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله قدره.

١٣- الحديث: [اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه][٢].

[عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: **[يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ فقال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه]**.

١٤- الحديث: [أعوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق] (ثلاث مرات)[٣].

**[من قال حين يمسي -ثلاث مرات- (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) لم يضره لدغة حية في تلك الليلة]**[٤].

١٥- الحديث: [اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال][٥].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يُقال له أبو أمامة، فقال: **[يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟]** قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله.. فقال: **[ألا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟]** قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: **[اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال]**.

قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همّي وقضى عني ديني[٦].

١٦- الحديث: [اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت][٧].

١٧- الحديث:

عن شداد بن أوس مرفوعاً: سيد الإستغفار أن تقول: **[اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت] من قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل -وهو موقنٌ بها- فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة]**[٨].

١٨- الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: **قل: [اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه -وفي رواية- وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم] قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك**[٩].

١٩- الحديث:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: **[اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني**

---

١- حديث صحيح رواه الأربعة وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٢- رواه أحمد بإسناد جيد عن أبي موسى ٣- رواه مسلم عن أبي هريرة
٤- حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة ٥- رواه أبو داود بإسناد جيد عن أبي سعيد الخدري ٦- أخرجه أبو داود بإسناد جيد
٧- رواه أبو داود وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي عن أبي بكرة. ٨- رواه البخاري
٩- قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. قال النووي: وشركه رُوي على وجهين بكسر الشين وشركه من الشرك والثاني بفتح الشين والراء (وشَرَكه) أي مصائده.

**من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي]**[1].

٢٠- الحديث: [أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه].

عن أبي مسعود مرفوعاً: من قال: [**أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت له ذنوبه وإن كان فرّ من الزحف**].

٢١- الحديث: [يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: [**ما يمنعك أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت "يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**][2].

٢٢- الصلاة على النبيّ عشر مرات.

[**من صلّى عليّ حين يصبح وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة**][3].

٢٣- سبحان الله وبحمده مائة مرة.

روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [**من قال حين يصبح وحين يمسي: (سبحان الله وبحمده) مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثلما قال أو زاد عليه**].

٢٤- كفارة المجلس: [سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [**من جلس في مجلس، فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" إلا كفّر الله له ما كان في مجلسه ذلك**][4].

٢٥- الحديث: [سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين][5].

---

١- أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وهذا الحديث من دلائل النبوة ومعجزاتها لأن أقرب معنى لقوله [وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي] هو انفجار الألغام من تحت قدميه وهو أخطر الأسلحة وأشدها فتكاً

٢- حديث صحيح رواه النسائي والبزار والحاكم.

٣- رواه الطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً بإسنادين أحدهما جيد

٤- قال الترمذي حسن صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني

٥- أخرجه أبو يعلى عن أبي سعيد مرفوعاً ورجاله ثقات

# الدفاع عن أراضي المسلمين

## أهم فروض الأعيان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل: (إنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون).

١- هل القتال في أفغانستان وفلسطين وغيرهما من بلاد المسلمين التي تعرضت للغزو فرض عين أم فرض كفاية؟

٢- هل يمكن تطبيق النفير عملياً في هذه الأيام؟

٣- هل نجاهد وليس هناك قائد واحد؟

٤- هل نقاتل في أفغانستان والقادة مختلفون ومتفرقون؟

٥- هل يقاتل المسلم وحده إذا قعد الناس؟

٦- هل نستعين بالكفار إذا كنا ضعافاً؟

٧- هل نقاتل مع مسلمين ليسوا على مستوى مقبول من التربية؟

٨- هل نبدأ بأفغانستان أو بفلسطين؟

هذه الأسئلة المحيرة التي تدور في الأذهان الآن، واختلف الناس في فهمها كل حسب اجتهاده، تجد لها جوابا -بإذن الله- في هذا الكتاب بنصوص شرعية تكاد تكون متواترة لكبار أئمة المسلمين وفقهائهم.

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. أما بعد:

فهذه الفتوى كتبتها وكانت أكبر من هذا الحجم، ثم عرضتها على فضيلة شيخنا الكبير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وقُرئت عليه واستحسنها، وقال: إنها طيبة، ووافق عليها، إلا أنه اقترح عليَّ أن أختصرها حتى يكتب لها مقدمة ننشرها بها، ثم اختصرتها، ولكن وقت الشيخ كان مزدحماً أيام الحج، ولم يتسع المجال لعرضها عليه مرة أخرى.

- ثم أفتى الشيخ حفظه الله ورعاه في مسجد ابن لادن في جدة وفي الجامع الكبير في الرياض، أن الجهاد بالنفس اليوم فرض عين، ثم عرضت هذه الفتوى بحالها -دون الأسئلة الستة الأخيرة- على أصحاب الفضيلة (الشيخ عبد الله علوان وسعيد حوّى ومحمد نجيب المطيعي والدكتور حسين حامد حسان وعمر سيف) وقرأتها عليهم، ووافقوا عليها، ووقع معظمهم عليها، وكذلك الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين قرأتها عليه ووقع عليها.

وأفتى بمثلها الشيوخ الكرام عبد الرزاق عفيفي وحسن أيوب والدكتور أحمد العسّال، ثم عرضت فحواها في خطبة في منى في مركز التوعية العامة في الحج، حيث يجتمع فيها أكثر من مائة عالم من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقلت لهم: (اتفق السلف والخلف وجميع الفقهاء والمحدثين في جميع العصور الإسلامية (أنه إذا اعتدي على شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والمرأة دون إذن زوجها)، وأنا أقرر أمام أمير المجاهدين سياف ومن خلال معايشتي للجهاد الأفغاني ثلاث سنوات أن الجهاد في أفغانستان يحتاج إلى رجال، فمن كان منكم أيها العلماء عنده اعتراض فليعترض، فلم يعترض أحد... بل قال الدكتور الشيخ إدريس. يا أخي هذا الأمر لا خلاف فيه).

من أجل هذا طبعت هذه الفتوى عسى الله أن ينفعنا بها في الدارين وينفع بها جميع المسلمين.

د. عبدالله عزام

(ملاحظة: يرفق بالكتاب تقارير مكتوبة باليد من عدة علماء ومشايخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد قائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه الذين حملوا راية الجهاد في ربوع العالمين، وعلى من سار على نهجهم من دعاة الخير بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

فقد اطلعت على ما كتبه فضيلة الأخ الدكتور عبد الله عزام حفظه الله على ما كتبه في حكم الجهاد اليوم في أفغانستان وفلسطين وغيرهما في بلاد الإسلام، فأقول وبالله التوفيق:

إن كل ما ذهب إليه، وأفتى به، ونقله عن الأئمة الأعلام سلفاً وخلفاً صحيح، وذلك لأن أية بلدة إسلامية احتلها الكفار - كما يقرر الفقهاء - تعين القتال على كل أهلها، فتخرج المرأة بدون إذن زوجها، والولد بدون إذن والديه.. وكذلك يصبح الجهاد فرض عين على كل بلدة قريبة منها حتى تتحقق الكفاية في تحرير البلدة المسلمة من ربقة الكفار، فإن لم يكفوا يتوسع فرض العين على شكل دوائر الأقرب فالأقرب.. فإن لم يكفوا أو تكاسلوا أو قعدوا أو قصروا يشمل فرض العين الأرض كلها حتى يتم تحرير [illegible] من أرض الإسلام.

والأمة في هذا العصر تجد كثيراً من المسلمين في شتى بلاد الإسلام [illegible] وتقصيرهم في تحرير أفغانستان وفلسطين وغيرهما من بلاد المسلمين.

لذا أصبح الجهاد اليوم فرض عين على كل من يسكن أرض الإسلام من المسلمين لكون الكفاية من الرجال والمال لم تتحقق بعد.

وبناءً على هذا وجب على كل مسلم اليوم قادر على حمل السلاح أن يخرج [illegible] للجهاد لنصرة إخوانهم المسلمين في أفغانستان (وكل من لم يأذن له والداه حتى تتحقق الكفاية) والله أعلم

أخوكم
عبد الله ناصح علوان
[توقيع]

١٦/١١/١٤٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه [illegible]
وبعد لقد اطلعت على ما كتبه الأخ الشيخ الفاضل والصادق المخلص الدكتور عبد الله عزام على صفحة الفتوى العظيمة لموضوع التشريع حكم الجهاد حيث يكون فرض عين أو [illegible] وقد قرأتها [illegible] بعين الصواب والحق الذي [illegible] [illegible] كل ما في هذه الفتوى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[توقيع]
[illegible] جدة
[illegible] ١٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابته ومن والاه

أما بعد

[illegible] الجهاد في سبيل الله [illegible] (ويتخذ منكم شهداء) [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الدكتور عبد الله عزام [illegible] على الجهاد [illegible]
[illegible]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جدة [illegible]

محمد [illegible]
خادم [illegible] الإسلامية
[illegible]
[illegible] ١٤٠٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم لقد سمعت ما كتبه أخونا عبد الله عزام من حكم الدفاع عن أرض المسلمين التي احتلها أعداء الله تعالى وأعداؤهم من أجناس الكفار والباغي الذي [illegible] وهي كتابة جيدة أرى أن تعرض على رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية لتقرير ما تراه في ذلك ونشره ليعم الانتفاع بمضمونه ونسأل الله أن يجعلنا من المجاهدين في سبيله تعليماً ودعوة وعملاً ويوفقنا لما يحب ويرضى قال ذلك [illegible] ١٤٠٦/١١/٢٥ هـ
[توقيع]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لقد أطلعني أخي في الله الشيخ الفاضل الصادق المناضل الدكتور عبد الله عزام على هذه الفتوى العظيمة والنصيحة الثمينة في حكم الجهاد ومتى يكون فرض عين، وقد قرأتها كلها فرأيتها عين الصواب والحق الذي لا محيص عنه، ولا يسع كل من في قلبه ذرة من إيمان إلا الإذعان لهذه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع العلماء، أقول: الإذعان والنفير والمسارعة إلى أداء هذه الفريضة، ولا يتوقف في ذلك إلا من أمثال الذين قال الله فيهم: (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت)

(محمد ٢٠) صدق الله العظيم.

جزى الله الشيخ عبد الله خير الجزاء بنيته وإيقاظه، ووفقنا جميعاً لرضاته، والحق أن الجهاد الآن فرض عين ولا إذن لأحد.

الفقير إلى الله/عمر سيف

(١٤٠٤/١٢/٢٨هـ)/جده

مجلس كبار العلماء/اليمن-صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد سماعي لهذه الرسالة من أخينا الشيخ الدكتور عبد الله عزام فإنني أعتبرها فتوى محققة منقحة أقرّ ما ورد فيها وأدعو إليه.

سعيد حوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد قائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه الذين حملوا راية الجهاد في ربوع العالمين، وعلى قادة الحق، ودعاة الخير بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فقد أطلعني فضيلة الدكتور عبد الله عزام -حفظه الله- على ما كتبه في حكم الجهاد اليوم في أفغانستان وفلسطين، وغيرهما في بلاد الإسلام، فأقول وبالله التوفيق:

إن كل ما ذهب إليه وأفتى به، ونقله عن الأئمة الأعلام سلفاً وخلفاً هو صحيح، ذلك لأن أية بلدة إسلامية احتلها الكفار -كما يقرر الفقهاء- تعين القتال على كل أهلها، فتخرج المرأة بدون إذن زوجها، والولد بدون إذن والديه، وكذلك يصبح الجهاد فرض عين على كل بلدة قريبة منها حتى تتحقق الكفاية في تحرير البلدة المسلمة من ربقة الكفار. فإن لم يكفوا يتوسع فرض العين على شكل دوائر الأقرب فالأقرب، فإن لم يكفوا أو تكاسلوا أو قصروا أو قعدوا، يشمل فرض العين الأرض كلها حتى يتم قهر العدو، وإخراجه من أرض الإسلام.

والآن في هذا العصر نجد كثيراً من المسلمين في شتى بلاد الإسلام متكاسلين ومقصرين وقاعدين في حق أفغانستان وفلسطين وغيرهما من بلاد المسلمين، لذا أصبح الجهاد اليوم فرض عين على كل من يسكن أرض الإسلام من المسلمين، لكون الكفاية من الرجال والمال لم تتحقق!!

فبناء على هذا وجب على كل مسلم اليوم قادر على حمل السلاح أن يخرج للجهاد لنجدة إخوانهم المسلمين في أفغانستان وفي كل مكان، ولو لم يأذن له والده، حتى تتحقق الكفاية، والله أعلم

عبد الله ناصح علوان/جامعة الملك عبد العزيز/جده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابته ومن والاه، أما بعد:

فإن الجهاد في سبيل الله طلباً للشهادة التي بشر الله بها من اصطفاهم لها بقوله تبارك وتعالى: {ويتخذ منكم شهداء} إنما هو انتقال من دار إلى دار، ومن حياة ضيقة إلى حياة أخرى مطلقة، ومن حياة النكد والغش والخداع والنهب إلى حياة السعادة والبلهنية والرضوان.

في هذه العجالة التي كتبها الأخ الكريم المجاهد العريق الدكتور عبد الله عزام حاضاً على الجهاد، ومبصراً به، ناهجاً النهج الصحيح بإعطاء الأمر حظه الوافر من الفقه والحديث والتفسير، مناقشاً ومستدلاً بحجج هي شجى في حلوق المخالفين، وقذى في عيون الجبناء والمنافقين، أقول فيها من الدعوة إلى السبيل الذي لا سبيل غيره في هذه الآونة الحرجة لرفع الحرج عن الأمة، والذود عن الملة، وإنما هي في الجملة حياة واحدة، فلتكن في سبيل الله ورسوله وكتابه وأمته لتكون أشرف وأرفع، وأبقى وأدوم، وإنما يجاهد المؤمن في الله جهاده، إن أخفق فإفادة، أو أوذي فإرادة، أو نفي فريادة، أو سجن فعبادة، أو عاش فقيادة، أو مات فشهادة، فله الحسنى وزيادة.

وسلام على الذين سمعوا النداء فلبوا {وإذا استنفرتم فانفروا} ورحمة الله وبركاته.

جدة/ناحية شارع الجهاد

محمد نجيب المطيعي

خادم السنة بالأسانيد العالية وصاحب تكملة المجموع شرح المهذب

وعضو اتحاد الكتاب في جمهورية مصر العربية

# الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد اختار الله برحمته هذا الدين ليكون رحمة للعالمين، وأرسل سيد المرسلين ﷺ ليكون خاتماً للنبيين بهذا الدين، ونصر هذا الدين بالسيف والسنان، بعد أن وضحه رسول الله ﷺ بالحجة والبيان، فقد قال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والطبراني: **{بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم}**[1].

وقد اقتضت حكمة الله أن يقيم صلاح الأرض على قانون الدفع، فقال سبحانه وتعالى: **{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين}** (البقرة:٢٥١)

أي أن الله عز وجل تفضل على البشرية بأن سنّ لهم هذا الناموس، وبين لهم هذا القانون (قانون الدفع)، أو بعبارة أخرى الصراع بين الحق والباطل، وذلك من أجل صلاح البشرية، وسيادة الحق، وانتشار الخير، بل إن الشعائر التعبدية ودور العبادة محمية بهذا القانون لقوله تعالى: **{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}** (الحج: ٤٠)

وهذا القانون (قانون الدفع) أو الجهاد قد احتل صفحات كثيرة من كتاب الله عز وجل، لأن الحق لا بد له من قوة تحميه، فكم من حق وُضيع بسبب خذلان أهله له، وكم من باطل رفع لأن له أنصارا ورجالاً يضحون من أجله.

والجهاد يقوم على ركنين أساسين هما: الصبر، الذي يظهر شجاعة القلب والجنان، والكرم الذي هو بذل المال والروح (والجود بالنفس أقصى غاية الجود)، ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد: **{الإيمان الصبر والسماحة}**[2].

يقول ابن تيمية:[3] (ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم بين سبحانه أن من تولى عن الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك **{إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير}**).

ولذا فقد أشار ﷺ إلى شر الصفات وهي البخل والجبن التي تؤدي إلى فساد النفوس وتدمير المجتمعات، ففي الحديث الصحيح: **{شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع}**.[4]

ولقد مرت أزمان على سلفنا الصالح أخذوا بهذا القانون فسادوا الدنيا وأصبحوا أساتذة الأنام كما قال الله تعالى:

**{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}** (السجدة:٢٤).

وكما قال ﷺ في الحديث الصحيح: **{صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل}**[5].

ثم جاءت ذراري المسلمين وأهملت قوانين الله، ونسيت ربها فنسيها، وضيعوا أحكامه فضاعوا. **{فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا}** (مريم:٥٩).

زين لهم سوء أعمالهم واتبعوا أهواءهم، جاء في الحديث الصحيح: **{إن الله يبغض كل جعظري جوّاظ، سخّاب في الأسواق، جيفة بالليل حمار بالنهار، عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة}**[6].

ومن أهم الفرائض الغائبة والواجبات المنسية فريضة الجهاد التي غابت عن واقع المسلمين فأصبحوا كغثاء السيل، كما قال ﷺ: **{يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب أعدائكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت}** وفي رواية: **{قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبكم للدنيا وكراهيتكم للقتال}**[7].

---

١- صحيح الجامع الصغير (٢٨٣٨) للألباني.
٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني [٥٥٤]
٣- مجموع الفتاوى ١٥٧/٢٨.
٤- رواه أبو داود وهو صحيح.
٥- رواه أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي، صحيح الجامع الصغير (٣٧٣٩).
٦- (صحيح الجامع الصغير) (١٨٧٤)، جعظري: فظ غليظ مستكبر، جواظ: جماع مناع، سخاب: ثرثار.
٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٥٨)، رواه أحمد بإسناد جيد وأبو داود، وفي رواية وكراهية الموت وهو حديث صحيح.

## وجهاد الكفر نوعان:

١- جهاد الطلب (طلب الكفار في بلادهم) بحيث يكون الكفار في حالة لا يحشدون لقتال المسلمين، فالقتال فرض كفاية، وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله، وإرسال جيش في السنة على الأقل، فعلى الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين، وعلى الرعية إعانته، فإن لم يبعث كان الإثم عليه[1]، وقد قاسها الفقهاء على الجزية، قال الأصوليون: (الجهاد دعوة قهرية، فتجب إقامته بقدر الإمكان حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم)[2].

٢- جهاد الدفع (دفع الكفار من بلادنا)، وهذا يكون فرض عين، بل أهم فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

أ- إذا دخل الكفار بلدة من بلاد المسلمين.

ب - إذا التقى الصفان وتقابل الزحفان.

جـ - إذا استنفر الإمام أفراداً أو قوما وجب عليهم النفير.

د - إذا أسر الكفار مجموعة من المسلمين.

## الحالة الأولى: دخول الكفار بلدة من بلاد المسلمين:

ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقاً أن الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة -التي هاجمها الكفار- وعلى من قرب منهم، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا أو تكاسلوا أو قعدوا يتوسع فرض العين على شكل دوائر الأقرب فالأقرب، فإن لم يكفوا أو قصروا فعلى من يليهم ثم على من يليهم، حتى يعم فرض العين الأرض كلها.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية: (وأما قتال الدفع فهو أشد أنوا ع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط ( كالزاد والراحلة)، بل يُدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم)، ويعلل ابن تيمية رأيه بعدم اشتراط الراحلة في رده على القاضي الذي قال: إذا تعين فرض الجهاد على أهل بلد فمن شرط وجوبه الزاد والراحلة إذا كانوا على مسافة القصر قياسا على الحج، قال ابن تيمية: (وما قاله القاضي من القياس على الحج لم يُنقل عن أحد وهو ضعيف، فإن وجوب الجهاد يكون لدفع ضرر العدو فيكون أوجب من الهجرة. ثم الهجرة لا تعتبر فيها الراحلة، فبعض الجهاد أولى، وثبت في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: [**على المرء المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وأثرة عليه**] فأوجب الطاعة عمادها الاستنفار في العسر واليسر، وهنا نص في وجوبه مع الإعسار بخلاف الحج، هذا في قتال الطلب، وأما قتال الدفع فهو أشد أنوا ع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه).[3] وإليك نصوص مذاهب الفقهاء الأربعة التي تجمع على هذه القضية.

### أولاً: فقهاء الحنفية:

قال ابن عابدين[4]: (وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام فيصير فرض عين على من قرب منه، فأما من وراءهم ببعد من العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم، فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو أو لم يعجزوا عنها ولكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا فإنه يفترض على من يليهم فرض عين كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه، وثم وثم إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا على هذا التدريج)، وبمثل هذا أفتى الكاساني[5] وابن نجيم[6] وابن الهمام[7].

### ثانياً: عند المالكية:

جاء في حاشية الدسوقي: ويتعين الجهاد بفجء العدو، قال الدسوقي: (أي توجه الدفع بفجء (مفاجأة) على كل أحد وإن امرأة أو عبدا أو صبيا، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدين) [8].

---

١- حاشية ابن عابدين (٣/٢٣٨) ٢- حاشية الشرواني وابن القاسم على تحفة المحتاج على المنهاج (٩/٢١٣).
٣- من كتاب الإختيارات العلمية لابن تيمية ملحق بالفتاوى الكبرى (٤/٦٠٨) ٤- حاشية ابن عابدين (٣/٢٣٨). ٥- بدائع الصنائع (٧/٧٢)
٦- البحر الرائق لابن نجيم (٥/١٩١). ٧- فتح القدير لابن الهمام (٥/١٩١) ٨- حاشية الدسوقي (٢/١٧٤)

**ثالثاً: عند الشافعية:**

جاء في نهاية المحتاج للرملي: (فإن دخلوا بلدة لنا وصار بيننا وبينهم دون مسافة القصر فيلزم أهلها الدفع حتى من لا جهاد عليهم، من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة)[١].

**رابعاً: عند الحنابلة:**

جاء في المغني لابن قدامة: ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع:

١- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.

٢- إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

٣- إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير.[٢].

ويقول ابن تيمية: (إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا).[٣] وهذه الحالة تعرف بالنفير العام.

## أدلة النفير العام ومبرراته:

١- قال الله عز وجل: **(إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)** (التوبة: ٤١).

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءً لترك النفير، ولا عذاب إلا على ترك واجب أو فعل حرام.

**(إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليماً ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير)** (التوبة:٣٩)

قال ابن كثير: أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب، وقد بوب البخاري (باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية) وأورد هذه الآية، وكان النفير العام بسبب أنه ترامي إلى أسماع المسلمين أن الروم يتعدون على تخوم الجزيرة لغزو المدينة، فكيف إذا دخل الكفار بلد المسلمين، أفلا يكون النفير أولى؟ قال أبو طلحة رضي الله عنه في معنى قوله تعالى:(خفافاً وثقالاً): كهولاً وشباباً ما سمع الله عذر أحد[٤] . وقال الحسن البصري: في العسر واليسر.

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٥٨/٢٨): (فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجبا على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين، كما قال تعالى:( وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) (الأنفال: ٧٢). كما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم، وسواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب، كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد)، وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: (استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع)[٥].

٢- ويقول الله عز وجل: **(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين)** (التوبة:٣٦).

قال ابن العربي: كافة يعني محيطين بهم من كل جانب وحالة[٦].

٣- ويقول الله عز وجل: **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)** (الأنفال: ٤٠).

والفتنة هي الشرك كما قال ابن عباس والسُّدِّي[٧]. وعند هجوم الكفار واستيلائهم على الديار فالأمة مهددة في دينها، ومعرضة للشك في عقيدتها، فيجب القتال لحماية الدين والنفس والعرض والمال.

٤ – قال ﷺ: **(لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، فإذا استنفرتم فانفروا)**.[٨]

---

١- نهاية المحتاج (٥٨/٨).

٢- المغني (٣٤٥/٨).

٣- الفتاوى الكبرى (٦٠٨/٤).

٤- مختصر ابن كثير (١٤٤/٢).

٦- الجامع لأحكام القرآن (١٥٠/٨)

٧- القرطبي (٣٥٣/٢)

٨- رواه البخاري

فيجب النفير إذا استنفرت الأمة، وفي حالة هجوم الكفار فالأمة مستنفرة لحماية دينها، ومدار الواجب على حاجة المسلمين أ استنفار الإمام كما قاله ابن حجر في شرح هذا الحديث.

قال القرطبي: (كل من علم بضعف المسلمين عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج اليهم)[1].

٥- إن كل دين نزل من عند الله جاء للحفاظ على الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال.

ولذا فيجب المحافظة على هذه الضرورات بأية وسيلة، ومن هنا شرع الإسلام دفع الصائل[2]، والصائل: هو الذي يسطو علم غيره قهرا يريد نفسه أو ماله أو عرضه.

أ- الصائل على العرض: ولو كان مسلماً إذا صال على العرض وجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله، ولذا فقد نص الفقهاء على أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر ولو قتلت إذا خافت على عرضها.

ب - أما الصائل على المال أو النفس فيجب دفعه عند جمهور العلماء، ويتفق مع الرأي الراجح في مذهبي مالك والشافعي ولو أدى إلى قتل الصائل المسلم، ففي الحديث الصحيح: **(من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينا فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)**.[3]

قال الجصاص بعد هذا الحديث: (لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفاً على رجل ليقتله بغير حق أن على المسلمين قتله)[4].

وفي هذه الحالة -الصيال- إذا قُتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلماً، وإذا قُتل العادل فهو شهيد. هذا حكم الصائل المسلم، فكيف إذا صال الكفار على أرض المسلمين حيث يتعرض الدين والعرض والنفس والمال للذهاب والزوال؟ ألا يجب في هذه الحالة على المسلمين دفع الصائل الكافر والدولة الكافرة؟!

٦- تترس الكفار بأسرى المسلمين: إذا اتخذ الكفار أسرى المسلمين كترس أمامهم وتقدموا لاحتلال بلاد المسلمين يجب قتال الكفار، ولو أدى إلى قتل أسرى المسلمين.

يقول ابن تيمية في مجمع الفتاوى (٥٣٧/٢٨): (بل لو فيهم (الكفار) قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضاً، فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بأسرى المسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يقاتلوا فإنه يجوز أن نرميهم -ونقصد الكفار- ولو لم نخف على المسلمين جاز رمي أولئك المسلمين أيضاً على أحد قولي العلماء)، وفي الصفحة (٤٥) يقول: (والسنة والإجماع متفقان على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل، وإن كان المال الذي يأخذه قيراطاً من دينار، ففي الصحيح (من قتل دون ماله فهو شهيد).

وذلك لأن حماية بقية المسلمين من الفتنة والشرك وحماية دينهم وعرضهم ومالهم أولى من إبقاء بعض المسلمين أحياء، وهم الأسرى في يد الكفار المتترس بهم.

٧- قتال الفئة الباغية: يقول الله عز وجل: **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)** (الحجرات:٩)

فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفظاً لوحدة كلمة المسلمين وحماية دينهم وأعراضهم وأموالهم، فكيف يكون الحكم في قتال الدولة الكافرة الباغية، أليس هذا أولى وأجدر؟

٨- حد الحرابة: قال تعالى: **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** (المائدة:٣٣)

هذا حكم المحاربين من المسلمين الذين يُخيفون عامة المسلمين ويفسدون في الأرض فيعبثون بأموال الناس وأعراضهم، ولقد

---

١- فتح الباري (٣٠/٦).

٢- جامع الأحكام (١٥٠/٨).

٣- حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، حاشية ابن عابدين (٢٨٣/٥)، والزيلعي (١١٠/٦)، ومواهب الجليل (٣٢٣/٦)، تحفة المحتاج (١٢٤/٤)، الإقناع (٢٩٠/٤)، والروضة البهية (٣٧١/٢)، والبحر الزخار (٢٦٨/٦)، وتاج العروس صحيح الجامع الصغير للألباني (٦٣٢١).

٤- أحكام القرآن للجصاص (٢٤٠٢/١).

فعل ذلك رسول الله ﷺ بالعرنيين كما جاء في الصحيحين[1] . فكيف بالدولة الكافرة التي تفسد على الناس دينهم ومالهم وعرضهم، أليس قتالها أوجب على المسلمين وأحرى؟!

هذه بعض الأدلة والمبررات للنفير العام إذا دخل الكفار أرض المسلمين.

إن دفع العدو الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان، وكما قال ابن تيمية: (فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه[2]).

## حكم القتال الآن في فلسطين وأفغانستان:

لقد تبين فيما سبق أنه إذا اعتدي على شبر من أراضي المسلمين فإن الجهاد يتعين على أهل تلك البقعة وعلى من قرب منهم، فإن لم يكفوا أو قصروا أو تكاسلوا يتوسع فرض العين على من يليهم، ثم يتدرج فرض العين بالتوسع حتى يعم الأرض كلها شرقاً وغرباً.

وفي هذه الحالة لا إذن للزوج على زوجته وللوالد على ولده وللدائن على مدينه، وعليه:

١- فإن الإثم باق في رقاب المسلمين جميعاً ما دامت أية بقعة كانت إسلامية في يد الكفار.

٢- يزداد الإثم طردياً حسب القدرة والإمكانية والطاقة، فإثم العلماء والقادة والدعاة البارزين في مجتمعاتهم أشد من إثم الدهماء والعامة.

٣- إن إثم تقاعس جيلنا عن النفير في القضايا المعاصرة –كأفغانستان وفلسطين والفلبين وكشمير ولبنان وتشاد وأريتيريا– أشد من إثم سقوط الأراضي الإسلامية السابقة والتي عاصرتها أجيال مضت، وكنا نقول: يجب أن نركز جهودنا على أفغانستان وفلسطين الآن، لأنها قضايا مركزية، والعدو المحتل ماكر يحمل برنامجاً توسعياً في المنطقة كلها. ولأن في حلها حلاً لكثيراً من القضايا في المنطقة الإسلامية كلها، وحمايتها حماية للمنطقة كلها.

## البدء بأفغانستان:

من استطاع من العرب أن يجاهد في فلسطين فعليه أن يبدأ بها، ومن لم يستطع فعليه أن يذهب إلى أفغانستان، وأما بقية المسلمين فإني أرى أن يبدأوا جهادهم في أفغانستان، إننا نرى البدء بأفغانستان قبل فلسطين، لا لأن أفغانستان أهم من فلسطين، بل فلسطين هي قضية الإسلام الأولى، وقلب العالم الإسلامي، وهي الأرض المباركة، ولكن هناك أسباب تجعل البدء بأفغانستان قبل فلسطين أولى منها:

١- إن المعركة في أفغانستان لا زالت قائمة وعلى أشدها، وتشهد ذرى الهندوكوش في أفغانستان معارك لم يشهد التاريخ الإسلامي عبر قرون كثيرة لها نظيراً.

٢- إن الراية في أفغانستان إسلامية واضحة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، والغاية واضحة (لتكون كلمة الله هي العليا)، ولقد نص دستور الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان في المادة الثانية (أن الهدف من هذا الاتحاد هو إقامة دولة إسلامية في أفغانستان).

وفي المادة الثالثة: (إن هدفنا منبثق من قوله تعالى {إن الحكم إلا لله} فالحاكمية المطلقة لرب العالمين).

٣- لقد سبق الإسلاميون غيرهم إلى قيادة المعركة في أفغانستان، فالذين يقودون الجهاد في أفغانستان هم أبناء الحركة الإسلامية والعلماء وحفظة القرآن، بينما الأمر مختلف في فسلطين، فلقد سبق إلى القيادة أناس خلطاء، منهم المسلم الصادق، ومنهم الشيوعي، ومنهم المسلم العادي، ورفعوا راية الدولة العلمانية.

٤- إن القضية في أفغانستان لا زالت بيد المجاهدين، ولا زالوا يرفضون المساعدة من الدول المشركة، بينما اعتمدت الثورة

---

١- أنظر الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني لأحمد عبد الرحمن البنا (١٢٨/١٨)، وفي الحديث عن أنس أن نفراً من عكل وعرينه فأتى بهم فسمل أعينهم وقطع أيديهم وأرجلهم

٢- الفتاوى الكبرى (٦٠٨/٤)

الفلسطينية كلياً على الاتحاد السوفيتي، فتركتهم روسيا في أحلك الظروف يواجهون مصيرهم بأنفسهم أمام المؤامرة العالم وأصبحت القضية لعبة في يد الدول الكبرى تقامر على الأرض والشعب والعرض في فلسطين، بل تابعتهم فوق أرض الدول العر حتى أنهت وجودهم العسكري وصفتهم جسدياً وعسكرياً.

٥- إن حدود أفغانستان مفتوحة أمام المجاهدين، فهناك أكثر من ثلاثة آلاف كم من الحدود المفتوحة، بالإضافة إلى أن حد أفغانستان منطقة القبائل التي لا تخضع لسلطة سياسية، وهذه تشكل درعاً حصيناً للمجاهدين، أما بالنسبة لفلسطين فالأمر مختل تماماً، فالحدود مغلقة، والأيدي موثقة، وعيون المسؤولين متربصة بكل من حاول أن يخترق حدودهم لقتال اليهود.

قال الشافعي في الأم (١٧٧/٤): (فإن اختلف حال العدو فكان بعضهم أنكى من بعض أو أخوف من بعض، فليبدأ الإم بالعدو الأخوف أو الأنكى ولا بأس أن يفعل، وإن كانت داره أبعد إن شاء الله تعالى حتى ما يخاف لمن بدأ به لما لا يخاف من غي مثلاً، وتكون هذه بمنزلة الضرورة، لأنه يجوز في الضرورة ما لا يجوز في غيرها، وقد بلغ النبي ﷺ عن الحارث بن أبي ضرار أ مجمع له، فأغار النبي ﷺ وقربه عدو أقرب منه، وبلغه أن خالد بن أبي سفيان بن شح يجمع له فأرسل ابن أنيس فقتله وقربه ع أقرب).

٦- ثم إن شعبها فريد في صلابته وعزته ، كأن الله عز وجل أعد جبالها وأرضها للجهاد.

## فرض العين وفرض الكفاية:

فرض العين: هو الفرض الذي يجب على كل مسلم أن يفعله بنفسه كالصلاة والصوم.

فرض الكفاية: هو الفرض الذي إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، ومعنى فرض الكفاية أي الذي إن لم يقم به من يكفي أ الناس كلهم، وإن قام به من يكفي سقط عن سائر الناس، فالخطاب في ابتدائه يتناول الجميع كفرض العين، ثم يختلفان في أن فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس له، وفرض العين لا يسقط بفعل غيره[1].

ولذا فقد عرَّف الفخر الرازي فرض الكفاية بأنه: يقصد حصوله من غير النظر بالذات إلى فاعله[2].

قال الشافعي: (إن الواجب الكفائي مطلوب على العموم ومراد به الخصوص)[3] ، والذي عليه جمهور الأصوليين ومنهم ا الحاجب والآمدي وابن عبدالشكور أن فرض الكفاية يجب على الكل ويسقط بفعل البعض. وبعض الناس الآن يجادلون في حكم الجه فيعتبرونه فرض كفاية، فالفرض يجب على الجميع ولكن يسقط بفعل البعض، ففرض الجهاد في أفغانستان على هذا الرأي (أنه فرض كفاية واجب على جميع المسلمين في الأرض كلها حتى يتم القيام بالفرض وهو طرد الروس والشيوعيين من أفغانستان، والإثم يلح رقاب الناس جميعا حتى يتم طرد الشيوعيين، لأن الفرض في حالة هجوم الكفار هو: إخراج الكفار من أرض المسلمين).

وهناك مقالة يرددها بعض الناس من بعيد: (إن الجهاد في أفغانستان بحاجة إلى مال وليس بحاجة إلى رجال) وهذه مقا عارية عن الصحة، إذ أن مرور قرابة ست سنوات على الروس في أفغانستان وهجرة خمسة ملايين مسلم خارجها، وسبعة ملايين ف داخلها مشردين في الجبال والأدغال يكفي للرد على هذه المقالة.

وكما يقول سياف:(إن أربع عشرة دولة في مقدمتها الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو والشيوعية الدولية ترمينا كلها عن قوس واحدة، بينما المسلمون في العالم الإسلامي لا زالوا يتناقشون: هل الجهاد في أفغانستان فرض عين أم فرض كفاية؟ فلينتظ المسلمون حتى يستشهد آخر رجل في أفغانستان، وعندها يصدقون أن الجهاد فرض عين، مع العلم أنه سقط حتى الآن فوق أرض أفغانستان قرابة مليون ونصف المليون من الشهداء).

يقول الأفغانيون: وجود عربي واحد بيننا أحب إلينا من مليون دولار.

---

١ المغني لابن قدامة (٣٤٥/٨).

٢ أنظر المحصول للرازي تحقيق الدكتور طه جابر ج القسم(٢)ص(٣١)

٣ أصول الفقه لأبي زهرة

وقد وجه الأستاذ سياف نداء إلى العلماء والدعاة نشر في مجلة الجهاد -العدد التاسع- هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن واهتدى بهديه، أما بعد:

إنكم تعرفون أن الجهاد في أفغانستان ابتدأ ولا زال مستمراً لإعلاء كلمة الله، ولإقامة دولة القرآن، وبما أن تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى مجاهدين يعرفون الإسلام على حقيقته، ويستطيعون أن يحافظوا على أصالة الجهاد الإسلامي، فلا بد من وجود علماء ودعاة يقومون بالتوعية والتوجيه بصفة مستمرة، وللعلم فإن كثيراً من العلماء والإخوة المربين في أفغانستان استشهدوا في ميادين الجهاد، فنحن بحاجة ماسة إلى رجال يقومون بالتدريس والتوجيه والتوعية في مدارس المجاهدين ومخيماتهم ومعسكراتهم وجبهاتهم حتى يمكننا الله سبحانه من تحقيق الأهداف المنشودة، وإن حاجتنا إلى العلماء الدعاة أكثر من حاجتنا إلى أي خبير ومتخصص آخر، وفقنا الله وإياكم لخدمة الإسلام والمسلمين.

أخوكم/عبد رب الرسول سياف

بكتيا/جاجي (٢) شوال (١٤٠٥هـ)

## استئذان الوالدين والزوج والدائن:

يتوقف حكم الاستئذان على حالة العدو:

١- فإن كان في بلاده ولا يحشد على الثغور، وليس هنالك أثر على بلاد المسلمين، فالثغور مشحونة بالجند، ففي هذه الحالة الجهاد فرض كفاية، ولا بد من الإذن، لأن طاعة الوالدين والزوج فرض عين، والجهاد فرض كفاية، وفرض العين مقدم على فرض الكفاية.

٢- وإن هجم العدو على ثغر من ثغور المسلمين، أو دخلوا بلدة إسلامية، فهنا كما ذكرنا يصبح الجهاد فرض عين على أهل تلك البلدة، وعلى من حولها، وفي هذه الحالة يسقط الإذن، فلا إذن لأحد على أحد، حتى يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه.

وتبقى حالة سقوط استئذان الوالدين والزوج مستمرة حتى إخراج العدو من أرض المسلمين، أو يتجمع عدد فيهم الكفاية لإخراج العدو ولو اجتمع كل المسلمين في الأرض.

ويقدم الجهاد وهو فرض عين على طاعة الوالد وهي فرض عين لأن الجهاد حماية للدين وطاعة الوالدين حماية النفس، إذ أن الجهاد (مظنة حزنهما وتعبهما) والحفاظ على الدين مقدم على الحفاظ على النفس، إذ الجهاد نفسه إتلاف لنفس المجاهد إذ استشهد من أجل حفظ الدين. وحماية الدين يقين، وتلف نفس الوالدين ظن، واليقين مقدم على الظن.

## مثال فرض العين والكفاية:

مثل قوم على شاطئ البحر يتنزهون، وفيهم مجموعة تتقن السباحة، ورأوا طفلاً يكاد يغرق وهو يصيح أنقذوني، فلم يتحرك إليه أحد من السباحين، وأراد سباح أن يتحرك لإنقاذه فنهاه أبوه عن إنقاذه، فهل يقول فقيه من فقهاء العصور كلها أنه يجب عليه طاعة والده وترك الطفل يغرق؟

وهذا مثال أفغانستان اليوم، إنها تستغيث، فأطفالها يذبحون، وتنتهك الأعراض فيها، ويقتل الأبرياء، وتتناثر الأشلاء، ويريد بعض الشباب الصادق أن يتحرك لإنقاذهم ولمساعدتهم فيتعالى عليهم النكير كيف تذهب دون إذن والديك؟

فإنقاذ الطفل الغريق فرض على كل السباحين الذين يرونه، فقبل أن يتحرك أحد يتوجه خطاب وجوب الإنقاذ إلى الجميع، فإن تحرك واحد لإنقاذه سقط الإثم عن الآخرين، وإن لم يتحرك أحد فالإثم يلزم جميع السباحين.

وقبل أن يتحرك أحد لا إذن للوالدين، ولو نهى الوالد ولده عن إنقاذ الغريق فلا طاعة له، لأن فرض الكفاية خطابه ابتداءً كفرض العين، وإنما يختلفان في النهاية، فإن قام به البعض سقط الإثم عن الآخرين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع.

يقول ابن تيمية: (فأما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعاً). ودليل استئذان الوالدين في فرض الكفاية وعدم استئذانها في فرض العين الجمع بين الحديثين التاليين.

أولاً: حديث البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: **{جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد}.**

ثانياً: روى ابن حبان عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما[2]. **{جاء رجل الى رسول الله ﷺ فسأله عن أفضل الأعمال قال الصلاة، قال: ثم مه قال: الجهاد، قال: فإن لي والدين، فقال: آمرك بوالديك خيراً، فقال: والذي بعثك بالحق لأجاهدن وأتركهما، قال فأنت أعلم}**[3] قال الحافظ: وهو محمول على جهاد فرض العين توفيقاً بين الحديثين[4].

## استئذان الشيخ والمربي:

لم ينص أحد من الفقهاء سلفاً وخلفاً أن للشيخ أو المربي حق الإذن على تلميذه في العبادات، سواء كانت فروض كفاية أو فروضاً عينية، ومن قال بغير هذا فليأتنا بنص شرعي أو بسلطان مبين، فلكل إنسان مسلم أن يذهب إلى الجهاد دون استئذان شيخه أو معلمه، لأن إذن رب العالمين هو المقدم، وقد أذن بل فرض الجهاد.

قال ابن هبيرة: (إن من مكائد الشيطان أن يقيم أوثاناً في المعنى تعبد من دون الله، مثل أن يتبين له الحق فيقول: ليس هذا مذهبنا، تقليداً لمعظَّم عنده قد قدمه على الحق).[5]

ولو كان هذا التلميذ يريد دراسة الهندسة أو الطب أو التاريخ في الدول الغربية أو أمريكا حيث الفتن كقطع الليل المظلم، وحيث الخضم المتلاطم من المغريات وبحور تسعير الشهوات وتأجج النزوات، أقول: لو ذهب هذا التلميذ دون إذن شيخه لما أنكر عليه الشيخ ولا غيره، ولكن إذ نفر للرباط أو خرج للجهاد تجد الألسنة عليه من كل جانب، حيث يقال: كيف يخرج دون استئذان؟ وقد فات شيخه أن يسمع لكلام النبوة الشريف **{حرس ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها}**[6]، وفي صحيح مسلم **{رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه وأمن الفتان} {غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها}.**[7]

على الشيخ وتلاميذه أن يبادروا بالأعمال ويستبقوا الخيرات، ولا تفوتنهم نصيحة رسول الله ﷺ: **{اغتنم خمساً قبل خمس حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك}**[8]، وعليهم أن يسمعوا الحديث الصحيح: **{قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة}**[9]

قال الشافعي: (أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد).

## الجهاد بالمال:

لا شك أن الجهاد بالنفس أعلى مرتبة من الجهاد بالمال، ولذا فلم يعف الأغنياء في زمن الرسول ﷺ من المشاركة بأنفسهم أمثال عثمان وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما، لأن صقل النفوس وتربية الأرواح إنما تتم على مستوى رفيع في خضم المعركة ولذا فقد أوصى ﷺ أحد الصحابة قائلاً: **{... وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام}**[10] . ولذلك فعندما سئل رسول الله ﷺ: **{أيُفتن المرء في قبره؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة}.**[11]

---

1 الفتاوى الكبرى ٤/٦٠٧. 2- أنظر فتح الباري (٦/١٠٥) 3- فتح الباري (٦/١٠٦). رواه ابن حبان وصححه وسكت عليه الحافظ في الفتح فهو حسن أو صحيح

4 فتح الباري (٦/١٠٦). 5- العقد الياقوتيه (١٠٤).

6 رواه ابن ماجة والطبراني والبيهقي وصححه الحاكم وأقره الذهبي وقال الحافظ إسناده حسن أنظر الفتح الرباني (١/٩٥). مختصر مسلم رقم (١٠٧٥)

7 متفق عليه 8- رواه الحاكم والبيهقي وهو صحيح أنظر صحيح الجامع الصحيح للألباني (١٠٨٨)

9 رواه أحمد والحاكم والدارمي، صحيح الجامع الصغير للألباني (٤٣٠٥)

10 صحيح الجامع الصغير للألباني (٤٢٠٥)، حديث صحيح رواه أحمد. 11- صحيح الجامع الصغير للألباني (٤٣٥٩)، حديث صحيح رواه النسائي

ولذا فقد حذر رسول الله ﷺ من الانشغال بالدنيا عن الجهاد: فقد أشار ذات مرة إلى سكة محراث وقال: **[لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل]**[1].

وفي الصحيح: **[إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم]**.[2]

وفي الصحيح كذلك: **{لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا}**[3] والضَّيعة: هي العقار أو الحرفة، ففي هذه الأحاديث جمع رسول الله ﷺ متاع الدنيا وأسباب الانشغال: الزراعة، التجارة بالربا وحيلة ( العينة)، والإنتاج الحيواني، والصناعة، والحرف (الضيعة)، فالانشغال بهذه في وقت يتعرض فيه الإسلام لمعركة الوجود أو الاجتثاث يعد حراما وموبقة شرعية.أما الجهاد بالمال فهو فرض إذا احتاج المجاهدون إليه، فرض على النساء وفي أموال الصغار حتى لو كان الجهاد فرض كفاية، كما قرر ذلك ابن تيمية[4].

ولذا يحرم على الناس الإدخار في حالة الحاجة للمال، بل لقد سئل ابن تيمية سؤالا: (ولو ضاق المال عن إطعام جياع والجهاد الذي يُتضرر بتركه فقال: قدمنا الجهاد وإن مات الجياع، كما في مسألة التترس وأولى، فإن هناك ( التترس) نقتلهم بفعلنا وهنا يموتون بفعل الله)[5].

قال القرطبي[6]: اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها) وقال مالك[7]: (يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم. وهذا إجماع أيضاً).

والحفاظ على الدين مقدم على الحفاظ على النفوس، والحفاظ على النفوس أولى من الحفاظ على المال. فأموال الأغنياء ليست أغلى ولا أثمن من دماء المجاهدين. فلينتبه الأغنياء إلى حكم الله في أموالهم، حيث الجهاد في أشد الحاجة، ودين المسلمين وديارهم معرضة للزوال، والأغنياء غارقون في شهواتهم، ولو صام الأغنياء يوما واحدا عن شهواتهم، وأمسكوا أيديهم عن إتلاف الأموال في كمالياتهم، وحولوها إلى المجاهدين في أفغانستان -الذين يموتون بردا، وتتقطع أقدامهم من الثلج، ولا يجدون قوت يومهم، ولا ذخيرة يدفعون بها عن أنفسهم ويحقنون بها دماءهم-، أقول: لو دفع الأغنياء مصروف يوم واحد للمجاهدين الأفغان لأحدثت أموالهم بإذن الله تغييراً كبيراً في الجهاد نحو النصر. ولقد أفتى كبار العلماء وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز أن دفع الزكاة للمجاهدين الأفغان من أعظم القربات وأفضل الصدقات.

الخلاصة:

أولاً: الجهاد بالنفس فرض عين عل كل المسلمين في الارض.

ثانياً: لا إذن لأحد على أحد في الجهاد، فلا إذن للوالدين على الولد.

ثالثاً: الجهاد بالمال فرض عين، ويحرم الادخار ما دام الجهاد بحاجة إلى مال المسلمين.

رابعاً: إن ترك الجهاد كترك الصلاة والصيام، بل ترك الجهاد أشد في هذه الأيام. ونقل ابن رشد الاتفاق على أن الجهاد إذا تعين أقوى من الذهاب إلى حجة الفريضة.

# أسئلة كثيرة وأسئلة مهمة

## هل نستطيع تطبيق هذه الفتوى اليوم؟

قد يقول قائل بعد هذا: قد علمنا أن الجهاد اليوم بالنفس فرض عين، وأن الجهاد فرض كالصلاة والصيام، بل الجهاد بالنفس مقدم على الصلاة والصيام كما يقول ابن تيمية: (فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه)[8].

فالصلاة تؤخر وتجمع، أو تختصر ركعاتها، أو تتغير هيئتها بوجود الجهاد، وفي الصحيحين: **{ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما**

---

١- رواه البخاري في صحيحه، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (١٠)
٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (١١) رواه أبو داود
٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (١٢) رواه الترمذي.
٤- الفتاوى الكبرى (٦٠٧/٤)
٥- الفتاوى الكبرى (٦٠٨/٤)
٦ ٧- القرطبي (٢٤٦/٢).
٨- الفتاوى الكبرى (٦٠٨/٤).

**شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس]**، والمجاهد يفطر في رمضان، كما روى مسلم أن رسول الله ﷺ أفطر وهو في طريقه إلى فتح مكة وقال: **[إنكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا]**. وتبين لنا أنه لا يستأذن أحد في أداء فريضة الجهاد إذا تعينت(أصبحت فرض عين)، كما أنه لا يُستأذن الوالد أو الشيخ أو السيد في أداء فريضة الصبح قبل طلوع الشمس، كذلك لا يُستأذن أحد في أداء فريضة الجهاد، فإذا نام الأب وابنه في مكان واحد وأراد الابن أن يصلي الفجر وأبوه نائم فهل يقول أحد بوجوب استئذان الابن لأبيه في صلاة الفرض؟ ولنفرض أن الأب قد نهى ابنه عن القيام للصلاة لأي سبب في نفس الأب لئلا يزعج النائمين -الذين لا يصلون الفجر -، أو لأن أباه لا يريد الصلاة. فهل يطيع الابن أباه؟ الجواب واضح **[إنما الطاعة في المعروف]**.[1] **[لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق]**.[2] **[لا طاعة لمن لم يطع الله]**.[3] وترك الجهاد معصية، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

## الاستئذان:

أمر الاستئذان: ولزيادة الإيضاح في هذه المسألة نقول وبالله التوفيق: إن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يستأذنون رسول الله ﷺ بعد عقد الراية واستنفار الأمة.. بل كان استئذان النبي ﷺ استشارة بعد عقد النية أو بعد تسجيل اسم الصحابي في الغزوة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والنسائي عن معاوية بن جاهمة السلمي **[أن جاهمة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئتك أستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ فقال: نعم، فقال: الزمها فإن الجنة عند رجليها]**[4]، وفي رواية: **[إني اكتتبت في غزوة كذا]**، أي كتبت اسمي، هذا عندما كان الجهاد فرض كفاية.

فأما إذا أصبح الجهاد فرض عين بعد الاستنفار فإن استئذان النبي ﷺ يصبح علامة نفاق، فقد جاء في محكم التنزيل:

**(لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون)** (التوبة:٤٤-٤٥)

وأما الخلفاء الراشدون -أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم- فلا نعلم أن الصحابة والتابعين كانوا يستأذنونهم، وهل كان كل واحد يريد الغزو أو الجهاد يأتي إلى أبي بكر ليستأذنه، فالمهم أن تعقد الراية وتخرج السرية، وأمراء المؤمنين من بعد الخلفاء لا نعلم أن الذي كان ينوي الرباط أو الجهاد يرسل إليهم يستأذنهم، ولا نعلم أن واحداً من المسلمين في التاريخ الإسلامي كله قد عوقب من قبل أمير المؤمنين بسبب الجهاد أو الغزو بدون إذنه، وإنما يستأذن أمير الحرب وقائد المعركة في الغزو والهجوم من أجل التنظيم والتنسيق، وحتى لا يفسد المرء الذي يهجم على العدو خطة المسلمين. وخصص بعض الفقهاء كالأوزاعي الاستئذان من الإمام في حالة الجنود الذين يأخذون رواتبهم من ديون الجند. قال الرملي في نهاية المحتاج (٨/٦٠): يكره الغزو بغير إذن الإمام أو نائبه، ولا كراهة في حالات:

١- إذا فوّت الاستئذان المقصود.

٢- أو عطّل الإمام الغزو.

٣- أو غلب على ظنه عدم الإذن كما بحث ذلك البلقيني.

نعود فنقول: هذا كله إذا كان الجهاد فرض كفاية، أما إذا أصبح الجهاد متعيناً (فرض عين) فلا إذن ولا استئذان، قال ابن رشد:(طاعة الإمام لازمة وإن كان غير عدل ما لم يأمر بمعصية، ومن المعصية النهي عن الجهاد المتعين)[5].

ونزيد المسألة وضوحاً فنقول: إن الإذن والاستئذان في فرض الكفاية إنما يكون بعد الكفاية، أي بعد أن يكون عدد المجاهدين كافيا للقيام بالفرض، أما قبل أن تحصل الكفاية فالخطاب موجه إلى الجميع، ويجب على الكل، ويسقط بفعل البعض، ولا فرق بين فرض الكفاية والعين قبل أن تتم الكفاية. وقبل الكفاية: لا إذن ولا استئذان، والإذن والاستئذان إنما يكون بعد العلم بكفاية المسلمين في أرض المعركة للقيام بالفرض.

بعد هذا كله قد يقول قائل: تيقنا الآن أن الجهاد فرض عين، وأنه لا إذن ولا استئذان من أحد أبداً في الجهاد، ولكن هنالك

---

١- متفق عليه، صحيح الجامع (٢٣٢٣)، أنظر صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (٣٩٦٧)، ورقم (٧٣٩٧)

٢- حديث صحيح رواه أحمد والحاكم

٣- حديث صحيح رواه أحمد، وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (٣٩٦٧) ورقم (٧٣٩٧).

٤- نيل الأوطار للشوكاني(٨/٣٧)

٥- أنظر منح الجلي المالك للشيخ عليش (١/٣٩٠).

أسئلة مهمة:

١- هل يمكن تطبيق النفير عمليا في هذه الأيام؟

٢- هل نجاهد وليس هنالك أمير واحد؟

٣- هل نقاتل في أفغانستان والقادة مختلفون ومتفرقون؟

٤- هل يقاتل المسلم وحده إذا قعد الناس؟

٥- هل نستعين بالكفار إذا كنا ضعافاً؟

٦- هل نقاتل مع مسلمين ليسوا على مستوى مقبول من التربية الإسلامية؟

## السؤال الأول: كيف نطبق النفير عملياً في هذه الأيام؟

يرى بعض الناس أن النفير كما يطلب الإسلام بحيث تخرج المرأة دون إذن زوجها والولد دون إذن والده هذا أمر عسير جداً لأسباب:

١- إن أية بقعة إسلامية لا تتسع لعشر معشار المسلمين.

٢- إن هذا يؤدي إلى الإخلال بعملية التربية الإسلامية التي تعتبر الأمل بإذن الله -عز وجل- في إنقاذ الأمة.

٣- إن هذا يؤدي إلى عملية تفريغ للبقاع الإسلامية، إذ كل واحد يأتي للجهاد في فلسطين أو أفغانستان إنما يترك ثغرة للشيوعيين والبعثيين والقوميين والعلمانيين في بلده.

**الجواب:** لو طبق المسلمون أمر ربهم ونفذوا حكم شريعتهم في النفير أسبوعاً واحداً لفلسطين، فإن فلسطين ستتطهر نهائيا من اليهود، وكذلك في أفغانستان لا يطول الأمر لو نفرت الأمة، وعندئذ لا تشغر أماكن الدعاة، ولا تتدمر بيوتهم بخروج نسائهم. ولكننا ننتظر في كل مرة ونبقى ننظر إلى الإقليم الإسلامي الذي وقع تحت سيطرة الكفار حتى يبتلع، ثم نؤبنه بخطب رنانة، ودموع هتانة، وحوقلات حرّى، وتأوهات كثيرة.. إننا نفكر بالإسلام تفكيرا إسلاميا قوميا، فلا تتعدى نظراتنا الحدود الجغرافية التي رسمتها لنا معاهدة سايكس -بيكو، أو خطها جون أنطون البريطاني أو الفرنسي.

إن ابن مدينة الرمثا الأردنية على حدود سورية ليشعر بالانتماء ويشتد بتفكيره الإسلامي إلى ابن العقبة الأردنية - التي تبعد أكثر من ستمائة كم أكثر من ارتباطه بابن مدينة درعا السورية التي لا تبعد عشرة كيلوات عن الرمثا، مع أن ابن درعا وابن العقبة الاثنان مسلمان متعبدان، بل قد يكون ابن درعا أكثر تديناً والتزاماً من ابن العقبة الأردنية.

## السؤال الثاني: هل نجاهد وليس لنا أمير واحد؟

نعم نجاهد وليس لنا أمير، ولم يقل أحد أن عدم اتحاد المسلمين على أمير يسقط فرضية الجهاد. بل لقد رأينا المسلمين أيام الحروب الصليبية والتتار يقاتلون مع أن أمراءهم مختلفون، وفي كل بلد أمير أو عدة أمراء، ففي حلب أمير، وفي دمشق أمير، وفي مصر أكثر من أمير، وبعضهم يستنجد بالصليبين على إخوانهم الأمراء كما حصل من شاور الذي استعان بالصليبيين على أمير آخر في مصر (ضرغام).

ولم يقل أحد من العلماء أن هذا الحال وهذا الغثاء يسقط فرضية الجهاد للدفاع عن أرض المسلمين، بل يضاعف واجبهم، وكذلك الحال في الأندلس التي كانت كما يقول الشاعر:

*وتفرقوا شيعاً فكل محلة ... فيها أمير المؤمنين ومنبر*

وقال آخر:

*مما يزهدني في أرض أندلس ... ألقاب معتمد فيها ومعتضد*
*ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد*

ولم يقل أحد من العلماء أنه لا جهاد في هذا الحال. بل كان أعيان العلماء في مقدمة الصفوف في الأندلس.

وقد تخلو المعركة من قائد شرعي معه الولاية من الأمير العام كما حدث يوم مؤتة، فقام خالد بن الوليد واستلم الراية وأنقذ به الجيش المسلم وأقره ﷺ وأثنى عليه.

وقد يكون الإمام أو أمير المؤمنين غير موجود، وهذا لا يسقط فرضية القتال والدفاع عن أرض المسلمين، ولا ننتظر حتى تة الولاية الكبرى وتستأنف الخلافة، لأن الولاية العامة والخلافة لا تأتي نظرياً بالثقافة والدراسة، بل الجهاد أسلم طريقة لكي تصد الولاية الخاصة -أي إمارة القتال- ولاية عامة وخلافة، والمجاهدون يختارون أميرا للجهاد من بينهم يصلح أمرهم، ويلم شعثهم، وير قويهم عن ضعيفهم، ففي الحديث الصحيح عن عقبة بن عامر وكان من رهطه قال: [**بعث رسول الله ﷺ سرية فسلحت رجلاً سيفاً قا فلما رجع قال: ما رأيت مثل ما لامنا رسول الله ﷺ قال: أعجزتم إذ بعثت رجلاً فلم يمض لأمري أن تجعلوا مكانه من يمضي لأمري**][1] فالرسول ﷺ حرّضهم على تغيير أمير السرية الذي عقد له الراية بيده الشريفة، فكيف إذا لم يكن أميراً أصلاً؟ إن الحاجة أشد إ تأمير أمير للحرب.

قال ابن قدامة في المغني (٨/٢٥٣): (فإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد لأن مصلحته تفوت بتأخيره).

وإذا اختار الناس أميراً فيجب طاعته، جاء في فتح العلي المالك (٣٨٩/١): نقل الشيخ ميارة إذا خلا الوقت من الأمير وأج الناس رأيهم على بعض كبراء الوقت يمهد سبيلهم ويرد قويهم عن ضعيفهم فقام بذلك قدر الجهد والطاقة. فالظاهر أن القيام علي يجوز، والمعرض له يريد شق عصا الإسلام وتفريق جماعته، ففي صحيح مسلم الحديث: [**إنها ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يف أمر هذه الأمة وهو جميع فاقتلوه كائنا من كان**] [**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد تفريق جماعتكم فاقتلوه**].

## السؤال الثالث: هل نقاتل في أفغانستان والقادة مختلفون ومتفرقون؟

**الجواب:** يجب القتال في أفغانستان مع أن القادة مختلفون ومتفرقون، لأن القتال دفاع عن المسلمين المعتدى عليهم من ة الملحدين، ولا مانع من القتال مع مجموعات إسلامية ضد الكفّار الملحدين حيث يعتبر قائد كل حزب أمير القتال لذلك الحزب.

## السؤال الرابع : هل يقاتل الإنسان وحده إذا قعد الناس؟

نعم يقاتل، لأن الله عز وجل يخاطب نبيه ﷺ قائلا: **(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا)**(النساء:٨٤).

فالآية تأمر الرسول ﷺ بأمرين واجبين -لأن الأمر للوجوب-:

١- القتال ولو وحده.

٢- تحريض المؤمنين.

ويذكر رب العزة الحكمة من القتال وهو كف بأس الكفار، لأن الكفار لا يخشون وجودنا إلا بالقتال **(وقاتلوهم حتى تكون فتنة ويكون الدين كله لله)**.

وبترك القتال يسود الشرك وهو الفتنة وينتصر الكفر. وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم الآية على ظاهرها. فعن أبي إسـ قال: قلت للبراء بن عازب رضي الله عنه: الرجل يحمل على المشركين أهو يلقي بيده إلى التهلكة؟ قال: لا، لأن الله بعث رسوله ﷺ فقا **(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك)**. إنما ذاك في النفقة[2].

قال ابن العربي في أحكام القرآن (٩٥٤/٢): (وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة الع على قطر من الأقطار، أو لحلوله بالعقر، فيجب على كافة الخلق الجهاد والخروج، فإن قصروا عصوا).

فإذا كان النفير عاما لغلبة العدو على الحوزة أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاماً، ووجب الخروج خفافاً وثقالاً ركب ورجالاً عبيداً وأحراراً..... من كان له أب من غير إذنه، ومن لا أب له حتى يظهر دين الله، وتحمى البيضة، وتحفظ الحوزة، ويخز

---

١- أبو داود وأحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، أنظر الفتح الرباني (٤٥/١٤)

٢- (الفتح الرباني(٨/١٤))، رواه أحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ومعنى (إنما ذلك في النفقة) يشير إلى الآية. (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة. ) فترك الن هو التهلكة.

العدو، ويستنقذ الاسرى ولا خلاف في هذا.

فكيف يصنع الواحد إذا قعد الجميع؟ يعمد إلى أسير واحد فيفديه، ويغزو بنفسه إن قدر وإلا جهز غازيا).

بل إن قتال المرء وحده يرضي الله ويعجبه، ففي الحديث الحسن الذي رواه أحمد وأبو داود قال ﷺ: **{عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أهرق دمه، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه}.**

## السؤال الخامس: هل نقاتل مع مسلمين ليسوا على مستوى مقبول من التربية الإسلامية؟

هذا السؤال يثور من قبل بعض الناس، وقسم منهم مخلصون، ويتساءلون: كيف نقاتل مع قوم كالأفغان فيهم الصادق وفيهم الكاذب، وينتشر بينهم شرب الدخان والنسوار (كالدخان)، وقد يبيع بعضهم سلاحه؟ وهم أناس متعصبون لمذهبهم الحنفي، وبعضهم يعلق الرقى والتمائم، وقبل أن أبين الحكم الشرعي أقول: أروني شعبا مسلما في الأرض يخلو من هذه الأمور؟ فهل نترك الكفار في كل أراضي المسلمين لأن هذه الأمور موجودة؟

**الجواب:** يجب القتال، لأن القتال مبني على دفع أعظم الضررين، فهنالك القواعد الفقهية في مجلة الأحكام العدلية المادة رقم (٢٦): (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام)، وفي المادة رقم (٢٧): (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف)، وفي المادة رقم (٢٨): (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما)، وفي المادة رقم (٢٩): (يختار أهون الشرين).

فلا بد من اختيار أهون الشرين: أيهما أعظم شرا استيلاء الروس على أفغانستان وتحويلها إلى بلاد كفر يمنع فيها القرآن والإسلام أم الجهاد مع قوم فيهم ذنوب وأخطاء؟

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٠٦/٢٨): {ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين:

إما ترك الغزو معهم، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شعائر الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل مع الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه، وثبت عن النبي ﷺ: **{الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم}** فما داموا مسلمين يجب القتال معهم، والراية في أفغانستان إسلامية، والهدف المعلن هو إقامة دين الله في الأرض، ولو قاتل المسلمون في فلسطين لما ضاعت فلسطين رغم المفاسد التي كانت في البداية، وقبل أن يفسد الأمر نهائياً بمجيء جورج حبش ونايف حواتمه والأب كبوشي وأمثالهم.

وأما قادة الجهاد الأفغاني فكلهم صائمون مصلون يقيمون الشعائر وينادون بالإسلام.

يجب القتال مع أي قوم مسلمين ما داموا مسلمين مهما كان فسقهم وفجورهم، إذا كان القتال ضد الكفار أو أهل الكتاب أو الملحدين، يقول الشوكاني في نيل الأوطار (٤٤/٨): (وتجوز الاستعانة بالفساق على الكفار إجماعاً).

## السؤال السادس: هل نستعين بالمشركين إذا كنا في حالة ضعف؟

يرى بعض الناس الاستعانة بأمريكا وبالدول الغربية في الجهاد الأفغاني، والاستعانة بروسيا ضد اليهود في فلسطين، وهذا النوع من الاستعانة حرام باتفاق الفقهاء، وتضييع لهدف الجهاد نهائياً، وفي المسألة أحاديث متعارضة، فمن الأحاديث المانعة للاستعانة:

١- حديث في صحيح مسلم قوله ﷺ لمشرك يوم بدر: **{فارجع فلن أستعين بمشرك}**.[1]

٢- حديث آخر: **{إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين}**.[2] وهنالك نص صحيح أن صفوان بن أمية قاتل مع رسول الله ﷺ وهو كافر.

---

١- نيل الأوطار (١٢٨/٧).

٢- رواه أحمد والطبراني، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال أحمد والطبراني ثقات.

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات رقم (٢٦٣): (صفوان بن أمية شهد حنيناً مع النبي ﷺ كافراً) وقد استعار رسو ﷺ يوم حنين دروع صفوان بن أمية وقال له ﷺ: **[عارية مؤداة]**.[١] وثبت عند أهل السير أن قزمان خرج مع النبي ﷺ يوم أحد ثلاثة من حملة لواء المشركين وقال ﷺ عن قزمان: **[إن الله ليأزر هذا الدين بالرجل الفاجر]**.

وبناء على هذا التعارض فقد اختلف الفقهاء في الجمع بين الأحاديث منها: أن الاستعانة بالمشركين كانت ممنوعة ثم ر فيها، قال الحافظ في التلخيص: وهذا أقربها وعليه نص الشافعي[٢]. وقد اتفق الفقهاء الأربعة على جواز الاستعانة بالكفار بشروه

١- أن يكون حكم الإسلام هو الظاهر، أي يكون المسلمون أقوى من مجموع المشركين الذين استعانوا بهم والمشركين ا يقاتلونهم، بحيث لو اتفق الكفار جميعاً غلبهم المسلمون.

٢- أن يكون الكافر حسن الظن بالمسلمين وتؤمن خيانتهم، ويعرف ذلك من خلال معاملته.

٣- أن يكون المسلمون بحاجة إلى الكافر أو الكفار المستعان بهم.

**أ - رأي الحنفية:**

قال محمد بن الحسن[٣]: (لا بأس بأن يستعين المسلمون بأهل الشرك على أهل الشرك إذا كان حكم الإسلام هو الغالب).

وقال الجصاص[٤]: (قال أصحابنا: لا بأس بالاستعانة بالمشركين على قتال غيرهم من المشركين إذا كانوا متى ظهروا كان ـ الإسلام هو الظاهر).

**ب- المالكية:**

قال ابن القاسم[٥]: (ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم إلا أن يكونوا نواتية أو خدماً، فلا أرى بذلك بأساً).

وقال مالك[٦]: (لا أرى أن يستعان بالمشركين على المشركين إلا أن يكونوا خدماً)

**جـ- الشافعية:**

قال الرملي[٧]: (وللإمام أو نائبه الاستعانة بكفار ولو أهل حرب، كأن يعرف حسن رأيهم فينا، ويشترط لجواز الاستع احتياجنا له لنحو خدمة أو قتال لقلتنا).

**د- الحنبلية:**

قال ابن قدامة[٨]: (وعن أحمد ما يدل على جواز الاستعانة بالمشرك، بل روي عن أحمد أنه يسهم للكافر من الغنائم إذا غزا مـ الإمام خلافا للجمهور الذين لا يسهمون له).

كثير من الكتاب يخطئون عندما يكتبون عن جواز السلم، ويستشهدون بالنصوص القرآنية دون معرفة المراحل التاريخ للنصوص، فلا بد من معرفة التدرج في النصوص الجهادية في القرآن حتى نزلت آية السيف في سورة التوبة:

**(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين)** (التوبة:٣٦)

**(فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)** (التوبة:٥)

فقد قرر ابن القيم في زاد المعاد أن الجهاد كان محرماً في مكة المكرمة، ثم مأذونا فيه عند الهجرة، ثم مأمورا به مع مز بادءهم بالقتال، ثم مأمورا مع المشركين كافة.

ويقول ابن عابدين -حاشية ابن عابدين (٢٣٩/٣): اعلم أن الأمر بالقتال نزل مرتبا، فقد كان رسول الله ﷺ مأمورا أولا بالتبليغ والإعراض، يقول تعالى: **(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)** (الحجر: ٩٤)، ثم بالمجادلة بالأحسن. **(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** (النحل:١٢٥).

ثم أذن لهم بالقتال: **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)** (الحج: ٣٨)، ثم أمروا بالقتال إن قاتلوهم: **(فإن**

---

١- حديث صحيح رواه الحاكم، أنظر صحيح الجامع٣٨٦٢. ٢- نيل الأوطار (٤٤/٨). ٣- شرح كتاب السيرة فقرة (٢٥١).

٤- أحكام القرآن للجصاص. ٥- المدونة (٤٠/٢). ٦- القرطبي (١٠٠/٨)

٧- نهاية المحتاج (٥٨/٨)، وتكملة المجموع (٢٨/١٩). ٨- المغني: (٤١٤/٨).

قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين)، ثم أمروا بالقتال بشرط انسلاخ الأشهر الحرم. **(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)** (التوبه: ٥)، ثم أمروا به مطلقاً:

**(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)** (البقرة:١٩٠)

ولذا لا بد من معرفة المرحلة الزمنية التي نزلت فيها الآية، ولا بد من الإشارة ابتداء أنه لا تجوز المفاوضات السياسية في مراحل الدعوة الأولى قبل أن يقوم للدعوة كيان وسلطان يحمي مبادئها، وإذا دخلت الدعوة الإسلامية في أوائل مراحلها في المفاوضات السياسة فإن المبادىء تتميع وتختلط، وتلتبس على الناس مفاهيمها، ولا يقوم لها قائمة، وتضيع الدعوة في غمرة الألاعيب السياسية والأحابيل الدولية. وهذه الفترة تمثلها السورة الكريمة **(قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد..)** ويمثل موقف المؤمن فيها **(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)** (الأعراف: ١٩٥-١٩٦).

لا بد من إعلان المبادئ واستعلاء الدعاة، حتى يصلب عودهم على نار المحنة، وتصقل أرواحهم في الصبر على الفتنة، وهكذا كان موقف رسول الله ﷺ الواضح والصحابة معه في مكة المكرمة، أما بعد قيام دولة الإسلام فلا مانع من عقد المعاهدات.

## شروط عقد المعاهدة مع الكفار

اختلف الفقهاء في جواز عقد صلح مع الكفار، فمنهم من أجازه على صلح الحديبية، ومنهم من أجازه إذا كان المسلمون في ضعف شديد، ومنهم من لم يجز الصلح أبداً، وقالوا: نسخت آية السيف كل معاهدة مع الكفار، ولكننا نقول: يجوز للمسلمين عقد معاهدة مع الكفار إذا كان ذلك مصلحة للمسلمين، ولكن بشرط أن لا تتضمن المعاهدة شرطاً يبطل المعاهدة أو يفسدها ومنها.

١- لا يجوز أن تتضمن المعاهدة شرطاً فيه اعتراف أو إقرار الكفار بشبر من أراضي المسلمين[1] ، لأن أرض الإسلام ليست لأحد، فلا يحق لأحد أن يفاوض عليها، وهذا الشرط يبطل العقد، لأن الأرض لله ثم للإسلام، فلا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك غيره، ولا بيع لابن آدم فيما لا يملك، ولذا بالنسبة للروس لا يجوز التفاوض معهم حتى ينسحبوا من كل شبر من أراضي أفغانستان، ولا مع اليهود أبداً في فلسطين.

٢- إذا تعين الجهاد بطل الصلح، كما إذا دخل العدو أرض المسلمين أو كان طالباً لهم، جاء في فتح العلي لمالك (٢٨٩/١) في الصلح والمعاهدة في المعيار -في باب الجهاد- ما نصه: (أوقع الخليفة الصلح مع النصارى، والمسلمون لا يرون إلا الجهاد، فمهادنته منقوضة وفعله مردود)، وحيثما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح، كما لو كان العدو غالباً على المسلمين، وكل ما نقل في تعين فرض الجهاد مانع من الصلح، لاستلزامه إبطال فرض العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه الاستنقاذ.

نقل القاضي ابن رشد الاتفاق على أن الجهاد إذا تعين أقوى من الذهاب إلى حجة الفريضة، لأن الجهاد إن تعين كان على الفور، والحج قد قيل فيه أنه على التراخي، فالصلح المذكور يجب نقضه، لأنه بمقتضى الشرع غير منبرم، فحكمه غير لازم عند كل من حقق أصول الشريعة، والصلح المذكور فيه ترك الجهاد المتعين، وترك الجهاد المتعين ممتنع، وكل ممتنع غير لازم.

٣- كل شرط تضمن تعطيل شريعة الله أو إهمال شعائره فهو باطل، فلا يجوز للروس أن يتدخلوا في نظام الحكم، لأن هذا إفساد للجهاد وهدفه.

٤- لا يجوز أن يتضمن العقد شرطاً فيه إذلال للمسلمين أو يشعر بهذا، كما جاء في الحديث عن الزهري[2] (قال: لما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وإلى الحارث بن أبي عوف المزني -وهما قائدا غطفان- فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، ولم تقع الشهادة، فلما أراد ذلك بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فذكر الحديث مفصلاً وفيه: قد علمنا أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فهل ترون أن ندفع إليهم شيئاً من ثمار المدينة؟ قالوا: يا رسول الله إن كنت قلت عن رأي فرأيك متبع. كنا لا ندفع إليهم تمرة إلا

---

١- نهاية المحتاج (٥٨/٨).

٢- إعلاء السنن (٨/١٢)

بشرى أو قرى ونحن كفار، وقد أعزنا الله بالإسلام، فسر النبي ﷺ بقولهم) [1]. وقد شعر الأنصار من هذا أن فيه إذلالاً لهم، ولذ في بعض الروايات: لا نعطيكم إلا السيف.

٥- أن لا يتضمن العقد شرطاً يخالف الشريعة الإسلامية مثل:

أ- إقرار المشركين السكن في أرض الحرمين، لأنه في الحديث: [أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب][2].

ب- أو إرجاع امرأة مسلمة إلى الكفار.

**(فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن)** (الممتحنة:١٠).

أما إرجاع المسلم إلى الكفار، فقد اختلف الفقهاء فيه، فبعضهم أجاز إرجاعه قياساً على شرط الحديبية، ولكن الفقهاء الأ رجحوا عدم جواز هذا الشرط أما شرط الحديبية فهو خاص بالرسول ﷺ، لأنه علم أن الله سيجعل لهم مخرجاً، وهذا هو الراجح

عن البراء بن عازب قال: وادع رسول الله ﷺ المشركين يوم الحديبية على ثلاث -من أتاهم من عند النبي ﷺ لن يردوه، أتى منهم ردوه، قال ﷺ: [من ذهب منا إليهم فأبعده الله][3].

٦- ولا يجوز كذلك أن يتضمن العقد إظهار شعائر الكفار في بلاد المسلمين، مثل السماح لهم ببناء الكنائس والأديرة إرسال المبشرين الذين يفتنون المسلمين ويفسدون عقائدهم وخاصة في جزيرة العرب، وعليه: فالحل السياسي والمفاوضات في فلس باطلة بطلاناً أصلياً لا يلحقها الإجازة ولا التصحيح، أما في أفغانستان فتجوز بشروط:

١- أن ينسحب الروس من أرض المسلمين جميعاً.

٢- أن تقوم دولة الإسلام في أفغانستان بعد خروجهم، وأن لا يتدخلوا في نظام الحكم المقبل كإرجاع الملك، أو إملاء ب الشروط الثقافية التي تريد إفساد عقائد الشعب الأفغاني.

٣- أن يكون الانسحاب دون قيد أو شرط.

٤- أن يعترف الروس بالمجاهدين، وأن يطلبوا منهم الصلح (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)، قال السدي و زيد: (إن دعوك إلى الصلح فأجبهم)[4].

قال ابن حجر الهيثمي: (والشرط الفاسد يفسد العقد على الصحيح، بأن شرط فيه منع فك أسرانا، أو ترك ما استولوا عليه رد مسلم أسير أفلت منهم، أو سكناهم الحجاز، أو إظهار الخمر بدارنا، أو أن نبعث إليهم من جاءنا منهم)[5].

٥- أن يطمئن المجاهدون أن الروس صادقين في طلب السلم وليسوا مخادعين، ولذا فالذين يطالبون بالحل السلمي أو يريد حلولاً وسطاً بعدم إعلان هدف الجهاد وهو: قيام دولة إسلامية بحجة أن الدول الغربية لا تقبل هذا وتقاومه، هؤلاء لا يدركون هد الجهاد، بل ليس عندهم تصور إسلامي واضح، وهؤلاء لا يجوز أن يكونوا جنوداً في الجهاد فضلاً عن أن يكونوا قادة، لأن الله عز و يقول: **(فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستئذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا)** (التوبة:٨٣).

قال القرطبي (٣١٨/٨): وهذا يدل على أن استصحاب المختل في الغزوات لا يجوز، وقد نص معظم الفقهاء في كتاب الجه على أنه لا يجوز أن يستصحب في الجيش مختل ولا مثبط ولا مرجف ولا مخذل ولا معوق.

اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وفي فلسطين وفي الفلبين وفي لبنان وفي كل مكان، وارفع راية الإسلام، وحكم بـ القرآن، وأمتنا على الشهادة في سبيلك.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحـ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

١- مرسل قوي.

٢- رواه مسلم -الفتح الرباني (١٦٠/١٤)-.

٣- متفق عليه وزاد مسلم [من خرج منهم سيجعل الله له مخرجاً] القرطبي (٣٩/٨)

٤- حاشية الشرواني وابن القاسم على تحفة المحتاج (٣٠٦/٩).

٥- القرطبي (٣٩/٨).

# كلمة خاتمة

وختاماً نقول: ليست القضية بكثرة النصوص ووفرة الشواهد، وإنما الأمر متعلق بالقلوب، فإن أعطاها الله نوراً أبصرت الحق واتضح فيه، وإن أظلمت القلوب لم تعد ترى.**(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)** (الأنعام:١٠٤).

وإبصار القلوب للبصائر والآيات الربانية تأتي نتيجة التقوى والطاعة والاجتهاد في العبادة **(قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بوكيل)**.

وهذه البصيرة تفجر في القلب ينابيع المعرفة والإدراك، وهذه لا تنال بكسب ولا دراسة، إن هو إلا فهم يؤتيه الله عبداً في كتابه ودينه على قدر بصيرة قلبه، (وهذه البصيرة تنبت في أرض القلب)، يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب، قال تعالى:

**(إن في ذلك لآيات للمتوسمين)** (الحجر:٧٥)

قال مجاهد: وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **[اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل]** ثم قرأ (إن في ذلك لآيات للمتوسمين).

وكل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره والزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسه.

والذين يتبعون الشهوات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات، لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى، فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق.

وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة. وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: **(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات)** وقال تعالى فيهم أيضاً: **(فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)**(الأعراف:١٦٩).

فإن اتباع الهوى يعمي عين القلب، فلا يميز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة. فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات[1] .

وهذه الآيات فيهم إلى قوله: **(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)** (الأعراف:١٧٥-١٧٦).

ولذلك فإن النصوص وحدها لا تكفي، ولا بد من بصيرة القلب حتى يبصر بها الحق.

إن القلب إذا كثر تكالبه على الدنيا، وكثرت ذنوب النفس التي تحمله يكون عليه الران، لأن كل ذنب يكون نكتة سوداء على القلب، ولا تزال النكات السوداء تتكاثر حتى يتكون الران (الغلاف الأسود) الذي يمنع دخول النور إلى هذا القلب.

وعندما يظلم القلب لا تظهر صور الأشياء على حقيقتها، فيلتبس الحق ولا تظهر صورته، وقد ينتكس القلب فيرى الحق باطلاً والباطل حقاً.

ولذا لا بد من التقوى حتى يظهر الفرقان، ويصفو القلب، وتبدو الأشياء على مرآته جلية واضحة **(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)** (الأنفال:٢٩).

ولذا كانوا إذا أشكل عليهم وأعضلتهم مسألة يقولون: اسألوا أهل الثغور لأنهم أقرب الناس إلى الله.

وقد سألوا أحمد بن حنبل من نسأل بعدك؟ قال: اسألوا أبا بكر الوراق فإن عنده ورع -كما يحسب-، وأرجو أن يوفق للإجابة.

وفي البخاري ومسلم الحديث المرفوع: **[قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد منهم فهو عمر بن الخطاب]**، وذلك لصدق عمر وإخلاصه، ومعنى محدثون: ملهمون.

---

١- (الفوائد ١١٣-١١٤).

كما أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: [كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل: **اللهم جبريل وميكائيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**].

وختاماً ندعو بالآية الكريمة: (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) ونردد بالدعاء المأثور الذي كان يدعو رسول الله ﷺ كما أخرجه مسلم في صحيحه: [**اللهم اهدنا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستق ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**].

اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغ وأتوب إليك.

# وثائق وحقائق مصورة

## يوغسلافيا

### حملة إرهابية:

يتعرض المسلمون -هذه الأيام- في يوغسلافيا لحملة إرهابية شرسة، تستهدف محو وجود الكيان الإسلامي في يوغسلاة والمعروف أن تعداد المسلمين في يوغسلافيا حوالي خمسة ملايين مسلم من مجموع السكان البالغ حوالي الواحد والعشرين ملي نسمة.

المسلم في يوغسلافيا مواطن من الدرجة الثالثة، فهو لا يجد الوظيفة التي تناسب مؤهلاته، إذ أن الأفضلية في التعيين لأعض الحزب الشيوعي، فالمسلم محارب في معيشته وفي معتقداته، يصرح الحزب الشيوعي بأن لكل يوغسلافي الحرية التامة في اعتناق مبدأ أو أي دين يريد، ولكن هذه الفقرة من القانون لا تنطبق على المسلمين، يجوز لليوغسلافي أن يختار أي دين إلا الإسلام، فطبا أو تأليف الكتب الإسلامية أمر محظور، وتعليم الأطفال الإسلام أو قراءة القرآن في المسجد ممنوع، وتعليمهم داخل البيوت جرير يعاقب عليها القانون بصرامة، ولذلك حوكم (مجرم حسن بك) إمام مسجد قورا جدة بخمس سنين، ولا يعتبر الحزب الشيوع المسلمين في يوغسلافيا مواطنين يوغسلاف، وإنما اعتبرهم دخلاء مستعمرين يجب التخلص منهم بأية وسيله، ويجب أن يدفعوا ث الاحتلال التركي لدول شرق أوروبا وللقومية السلافية، مع أنه من الأخطاء التي تحسب على الأتراك أنهم لم يعملوا على أسل السلاف، لأنهم لو فعلوا ذلك لأصبحت شبه جزيرة البلقان اليوم دولة مسلمة بعد احتلال دام خمسة قرون من الزمان، ويعر اليوغسلاف جيداً معاملة المسلمين الحسنة التي تأكدت لهم بعد انسحاب الأتراك من شمال وغرب يوغسلافيا واحتلال المجر والنمس لتلك المناطق، حيث أجبر اليوغسلاف على فتح بيوت الدعارة والحانات ومواخير القمار والانحطاط، الأمر الذي لم يعرفوه طوال القرو التي حكمهم فيها الأتراك، ومهما يكن الأمر فالأتراك لم يعاملوا اليوغسلاف كما عاملهم الألمان، حيث كان يقتل مائة يوغسلافي م نساء وأطفال مقابل ألماني واحد، وبالرغم من ذلك نجد أن اللغة الألمانية تدرس في مدارس يوغسلافيا، وأن عربات المرسيدس ه مطية أعضاء الحزب الشيوعي، وأن المجال مفتوح لكل من هو ألماني حتى بلاجات العراة أي (النودست) على شاطئ الأدرياتيك.

وحتى لو كان الأتراك قساة في معاملتهم للسلاف فهذا لا يبرر أن يحاسب مسلمو اليوم على ما فعله الأتراك قبل مئات السنين

### عداء فطري:

نرى أن عداء الشيوعيين للمسلمين عداء فطري، وأن الحزب الشيوعي اليوغسلافي قد بيت النية لإبادة المسلمين في يوغسلافيا خاصة أنه لم يجد من يعاقبه أو يسأله عن ذلك، ولا من يدافع عن المسلمين، بل وجد أن عطاء الدول العربية يزداد يوماً بعد يو ليوغسلافيا، بل إن السواح العرب صاروا يتوافدون على يوغسلافيا ومصايفها من كل الدول العربية بلا استثناء، حتى التي كان محافظة وليس لها علاقات دبلوماسية مع يوغسلافيا، ولذا أصبحت يوغسلافيا حين تصدر كتيبات الدعاية السياسية ليوغسلافيا تطب صور نساء عاريات على الشواطئ لجذب أكبر عدد من السياح لها.

وجد الحزب الشيوعي أنه لا يستطيع أن يعتقل أو يمس أحداً من المسيحيين إذ أن الفاتيكان ستتدخل، ولا أحداً من اليهود، لأن

اليهود وصحافة العالم ستتدخل، كما لا يستطيع أن ينال من أي سائح أوروبي حتى لو كان مخطئاً، كما حدث لأحد الإنجليز حيث قتل يوغسلافياً في حادث حركة، فحكم على الإنجليزي بأربع عشرة سنة سجناً، ثم تدخلت الملكة وأفرجت عن الإنجليزي فوراً وسافر معززاً مكرماً.

وجد الشيوعيون ضالتهم المنشودة في المسلمين، فزج بأفواج من المسلمين داخل السجون الشيوعية، والتي هي تحت الأرض بمئات الأمتار، وعادة لا يخرج من داخلها إلا بعاهة مستديمة، كما يفرض الحزب الشيوعي على المسلمين الانسلاخ من الإسلام، فالصلاة ممنوعة داخل أي تجمعات طلابية أو عمالية، ولا بد من أكل لحم الخنزير للطلاب والمجندين المسلمين، لأن تحضير أكل آخر يعتبر تمييزاً، وهذا لا يسمح به للمسلمين خاصة، وينال ذلك التمييز غيرهم!!

ويكشف الحزب الشيوعي إرهابه ضد الطلاب المسلمين في المدارس، فالمعلم الذي يذل الطالب المسلم ويهزأ بالإسلام وبالطالب المسلم أمام بقية زملائه في الصف، والمعلم الذي يؤكد للتلميذ المسلم خاصة أنه لا إله والحياة مادة، وأن الدين أفيون الشعوب، وأن الإسلام سبب تأخر العرب وتوحشهم في الصحراء وسط الحريم وآبار البترول، مثل هذا المعلم يستحق مكافأة وترقية، وكذلك في الجيش، فالمسؤول الذي يتعمد إذلال المسلم وإطعامه أكبر كمية من لحم الخنزير، ومنعه من الصلاة، أو حتى من استعمال الماء، هذا المسؤول جدير بالأوسمة وبالتقرب من رؤسائه.

## مصادرات:

قام الحزب الشيوعي بمصادرة الأوقاف الإسلامية الضخمة الهائلة، والتي بناها الغازي خروف بك وعلي باشا ومزهد باشا لتقوم بالصرف على المدارس الإسلامية وعلى الطلاب والمعلمين في تلك المدارس والتي أقفلت جميعها إلا واحدة، وقد بلغت تلك الأوقاف من الضخامة والثراء أن أقيم بنك خاص لها يسمى بنك الأوقاف صادرته السلطات ونهبت أمواله، وقد سجل الغازي خروف بك في وصيته أن هذه الأوقاف تصرف على المدارس، على أن يعلم في تلك المدارس القرآن الكريم واللغة العربية، ولم يتجرأ الحزب الشيوعي على مصادرة أوقاف أية كنيسة كاثوليكية أو بروتستانتية، لأنه وجد من يدافع عنها.

ويترصد الحزب الشيوعي للطلاب والخريجين المسلمين الذين يجيدون اللغة العربية والمتمسكين بالإسلام، فيعرض عليهم وظائف في مجالات أخرى كالترجمة والعلاقات العامة وبمرتبات كبيرة ليمنعهم من العمل للإسلام بين المسلمين، ويعمل على أن لا يختلطوا بالمسلمين، ويخطط على أن يتخلوا عن الإسلام تدريجياً ليكون مثالاً يحتذي به المسلمون الآخرون، والويل كل الويل لمن يرفض عرضهم، فسيعتبر خائناً ولا ولاء له للدولة، وغير متعاون، ويسعى لقلب نظام الحكم، وأية واحدة من هذه التهم تكفي لإرساله للموت.

قام الحزب الشيوعي بقفل جريدة البعث الإسلامي الأسبوعية التي تصدرها المشيخة الإسلامية، بحجة أن هذه الجريدة -وهي أسبوعية- تقوم بنشر الإسلام.

يحصي الحزب الشيوعي الكلمات التي يستعملها أي مسلم في مناسبة إسلامية، وتفسر تلك الكلمات بالمعاني التي يريدها الحزب الشيوعي، ويبطش بقائلها حسب أوامر الحزب، فقد زج بالشيخ الفاضل حسين جوزو، لأنه قال في احتفال ديني في مدينة بقوينا أمام حشد من المسلمين خاطبهم يقول: أيها الإخوة المسلمون، فأخذ مباشرة من المسجد مكان الاحتفال للسجن، واعتبرت السلطات أن ذلك اللفظ لا يطلق إلا إذا كان هناك تكوين سياسي وتنظيم حزبي.

إن أشد ما يؤلم الحزب الشيوعي فشله الذريع في استقطاب الشباب المسلم في قنواته الحزبية، بل فشل حتى في أن يصرف ذلك الشباب عن الإسلام، بالرغم من كل الجهود التي بذلها من أجل ذلك، فالمدارس تدرس الإلحاد والشيوعية، واتحادات الطلاب -وهي تنظيمات ذات ثقل سياسي في الدول الشيوعية- تنظم المعسكرات والرحلات المختلطة الداعرة، والتي تستمر عدة أسابيع لتجمع بين الذكور والإناث باسم النشاط الطلابي، والدولة تعطي السكن والمنح الدراسية والإعانات المالية لتستقطب الشباب في ركابها، والأندية تمهد للدعارة الجماعية والانحلال الخلقي، ويصرف على كل ذلك بسخاء، حتى وصلت ديون يوغسلافيا تسعة عشر بليون دولار، كل ذلك لم يجلب الشباب المسلم، وبعد السيطرة الشيوعية التي استمرت حوالي الأربعين عاماً نجد الشباب المسلم يختار له السنين من حكم وإرهاب الحزب، ويسقط منهم المئات، ولكن يعارضون الإرهاب الأحمر، فهذه الشخصية القومية للفرد انعدمت في كل الدول الشيوعية إلا عند المسلمين، وهذا ما يخيف الأحزاب الشيوعية من المسلمين في كل مكان.

استطاع الحزب الشيوعي أن يقضي على الروابط الأسرية لكل قوميات الدولة، ليسهل عليه حكم مجتمع مفكك وممزق، ول الأسرة المسلمة استعصت على تلك المؤامرة، واحتفظت بتماسكها وروابطها الأسرية، حتى أصبح المسلمون الشغل الشاغل للحز الشيوعي، وصار يتفنن في تدبير المؤامرات ضد المسلمين، ولما لم تنجح كل وسائل الدسائس والمؤامرات والحيل والألاعيب استشا الحزب غضباً، وبدأ يزج آلاف المسلمين في السجون، وبخيرة الشباب والعلماء، وعزم على إبادتهم إعداماً كما فعل بأسلافه في الماض حين قتلوا الفتى عصمت مفتيش والعالم الجليل عصمت بوصلا جيتش، كما أبادوا أكثر من اثني عشر ألف مسلم في المسجد الك بفوجا في شرق البوسنة، وعندما ذبحوا أكثر من ستة آلاف مسلم في جسر فورا جدة على نهر الدرينا، وعندما أبادوا أكثر من ثلا آلاف في توزلا وضواحيها، وأكثر من ستة آلاف مسلم في مقدونيا، وتم إعدام اثني عشر عالماً مسلماً ألبانياً في محاكم الشيوعي وإرسال عشرات من علماء البوسنة للسجون على رأسهم العالم قاسم دوبراجا عليه رحمة الله، وأعيدت تلك المحاكمات عدة مرا للمحاكمة تحت المادة (١٣٣) الفقرة الأولى والثانية بتهمة الدعاية المضادة للدولة والاتصال بجهات خارجية.

نشر هذا الخبر في الصحف في صفحة الجريمة مع أخبار لصوص من الصرب قاموا بمحاولة سرقة منزل وسيارة، ظا الصحف تردد يومياً بأن هؤلاء المسلمين يجب أن ينالوا أقصى العقوبة الرادعة، وأن يكونوا عبرة لغيرهم من المسلمين، وكانت أقص عقوبة لتلك المادة خمسة عشر عاماً، ولكن أحد المسلمين اليوغسلاف صرح بأن التهمة التي ستوجه إليهم أنهم حاولوا تغيير الحكم ف جمهورية بوسنا لتكون جمهورية إسلامية، وبذا تصبح أول جمهورية إسلامية في أوروبا.

واستمرت الاعتقالات حتى بلغت المئات بعد فترة وجيزة من اعتقال الدفعة الأولى، وربما وصل العدد الآن إلى الآلاف.

وقد تخطى الإرهاب الشيوعي المسلمين اليوغسلاف إلى الطلاب العرب الوافدين للدراسة في يوغسلافيا، فقد تم القبض عل عشرين منهم حتى الآن، واستجوبوا بطرق استفزازية، وبذلك أرادوا إرهاب الطلاب الأجانب الذين يتمسكون بالإسلام، وتخويفهم م الذهاب للمساجد لكي لا يراهم المسلمون اليوغسلاف وترتفع معنوياتهم بذلك، وهددوا بأنهم سيحرمون من الدراسة، وسيزج بهم ف السجون، وستشرد عوائلهم وأطفالهم، ولن يسمح لهم بالعودة إلى بلادهم.

## تصنت واستجواب:

إن من أكثر الأشياء آلاماً للحزب الشيوعي اليوغسلافي أن يرى المسلمين متصدرين أي شيء، حتى لو كان ذلك الشيء الأغلبي السكنية في قرية أو مدينة، لذا قام الحزب الشيوعي بإغراء وترحيل أعداد ضخمة من غير المسلمين إلى المدن ذات الأغلبية الإسلامية لكي لا تكون الأغلبية من المسلمين، وقام الحزب الشيوعي ببناء أحياء ضخمة مماثلة لحجم المدينة الأولى، وأطلق عليها اسم المدين الجديدة، وسلمها لغير المسلمين تشجيعاً لهم للسكن في المدن الإسلامية، وقد حدث ذلك في كل المدن الإسلامية في يوغسلافيا، خاصة سراييفو والتي كان اسمها سراي بوسنا، وفي مدينة سكوبيا وفي مدينة برشتنا، وحتى المدرسة الإسلامية الوحيدة في البوسنا حولها لمركز مخابرات، إذ أصبح عدد المخبرين أكثر من عدد الطلاب، ولرجل المخابرات الدخول في أي صف دون استئذان من المعلم، وبدو إذن مدير المدرسة، وركبت أجهزة التصنت في كل الصفوف ليلفقوا بواسطتها التهم ليفصلوا ويحاكموا بها أي طالب يرونه جاداً في تعلم الإسلام، ويمكن أن يصبح مسلماً متمسكاً بالإسلام، ولهم الحق في استجواب أي طالب، وعدة مرات في اليوم، ولا أحد يملك حق الاعتراض.

وتكون الشيوعية بذلك قد مهدت لتغيير نظام الحكم والتمهيد لقيام حكم إقطاعي برجوازي رأسمالي، ومع أن يوغسلافيا مليئا بالصحف اليومية والصحف التي تصدر مرتين في اليوم، ومجلات الجنس الفاضحة، وصحف الكنيسة الكاثوليكية التي تصدر يومياً، ولا يرى الحزب الشيوعي خطراً في كل تلك الصحف، إنما يرى الخطر كل الخطر في جريدة المسلمين والتي تصدر مرة في الأسبوع.

ويضع الحزب الشيوعي القيود الصعبة على كل من يريد الحج، حيث كان يأخذ قدراً كبيراً من الذهب كتأمين على كل من يريد الحج لضمان عودته وعدم بقائه في ديار المسلمين، ولذا كان يعمل المسلم ويكد طوال حياته ليستطيع أن يدبر ذلك المبلغ قبل وفاته ليتمكن من الحج، أما الآن فقد عمد الحزب الشيوعي إلى فرض قيود أخرى تزداد عاماً بعد عام، حتى لم يبلغ عدد الحجاج اليوغسلاف ألف حاج من مجموع الخمسة ملايين مسلم يوغسلافي.

## التفوق في الإرهاب على الروس:

إن ما تقوم به يوغسلافيا من إرهاب ضد المسلمين عجزت أن تقوم به روسيا التي أبادت أكثر من عشرين مليون مسلم، والغريب في الأمر أن يوغسلافيا تقوم بكل ذلك الإرهاب والبطش والتنكيل بالمسلمين، وهي في أوروبا مجاورة للعالم الذي يقال عنه حر ومتحضر، ولا أحد يتحرك أو يحتج من الدول الأوروبية أو الدول العربية أو الإسلامية، بل لقد أوهمت تلك الدول بأنها تعامل مسجداً نائياً له صلة طيبة بتاريخ المسلمين في المنطقة، وتقوم بإصلاحه وتعميره ليتناولوا فيه طعام الإفطار في رمضان، ويصلوا فيه التراويح والتهجد وتلاوة القرآن حتى صلاة الصبح، ويكتظ المسجد بالمعتكفين، ويلتف الشباب المسلم حول ذلك المسجد القديم، ويزهدون في كل ما لدى الحزب من مغريات، ويصبح ذلك المسجد شعاراً للشباب المسلم، فيغضب الحزب، ويفقد المسؤولون صوابهم، فتصدر الأوامر بقفل المسجد ومنع المسلمين من دخوله، واعتقال أولئك الشباب الذين كانوا وراء ذلك النشاط، ويزداد الحزب تفنناً في جذب شباب المسلمين إلى تنظيماته، أو أضعف الإيمان إبعادهم عن الإسلام، فيفشل في ذلك، وإذ بنسبة المصلين في المساجد من الشباب أكبر من كبار السن، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

## لماذا يتميز المسلمون:

ومما يقلق الحزب الشيوعي ويؤرقه أن المسلمين ما زالوا متميزين عن غيرهم، ولم يستسلموا لمكائد الحزب الشيوعي، طاهرين بعيدين عن الانحلال والانحطاط الخلقي الذي انغمست فيه معظم القوميات الأخرى، حتى أصبحوا لا يستطيعون العيش بدون خمرة، فأدمنوها، وبدون زنا، حتى ارتفعت نسبة الأمراض التناسلية بينهم إلى درجة عالية، ومع مرور الأيام يعمل الحزب الشيوعي على تمكين نفسه في الحكم، وتحطيم القوميات كلها، وقد نجح في ذلك واستعصى عليه المسلمون الأبطال الأشاوس، فهم الوحيدون في العالم الذين يخرجون في مظاهرات ضد الحزب الشيوعي، وفي كل مرة ترسل فوجاً من المسلمين إلى الإعدامات، كما أعدمت أربعة من الشبان المسلمين، وقتلت الكثير تحت التعذيب.

## إتهامات:

بدأت الصحف اليوغسلافية في بداية شهر نيسان من هذا العام في نشر اتهامات ضد المسلمين، والتنديد ببعض المثقفين المسلمين، وفي (١٣/٤/١٩٨٣م) نشرت جريدة البوليتيكا اتهاماً صريحاً لبعض العناصر الإسلامية وهم من الذين حكم عليهم بالسجن عام (١٩٤٩م) بأعداد متفاوتة، وكانوا قد خرجوا من السجن بعد قضاء فترة الحبس التي تراوحت ما بين خمس وخمس عشرة سنة، وعلى رأسهم:

١- علي عزت بك.

٢- عمر بهمن.

٣- صالح بهمن.

٤- عصمت قاسم.

٥- رشيد برفودا.

وأضافوا لهم بعض الشباب من أمثال:

١- درويش جورافيجا.

٢- مصطفى سباهج.

٣- حسن جيونتس.

كما قاموا باعتقال امرأتين هما:

١- حليمه صالح بك.

٢- جولا بيجا كجيج.

وأوردت وكالة الأنباء اليوغسلافية (التانيوق) بأن هؤلاء متعصبون ضد الدولة.

كما شمل الإرهاب الشيوعي السواح الزائرين ليوغسلافيا من المسلمين، وحقق مع عدد كبير منهم، وقدموا للمحاكمة، ولـ أن يوغسلافيا لن تتردد في الفتك بأي شخص إذا أرادت ذلك. فقبل عام عرضت التعامل مع طالب سوري سحبت سوريا جواز سـ فعرضت عليه المخابرات أن يتعامل معها، وعندما رفض أطلق عليه مجهول الرصاص في مؤخرة رأسه واستشهد في الحال.

## نداء المسلمين اليوغسلاف:

إننا نناشد الدول العربية والدول الإسلامية التدخل لوقف تلك المجازر ضد المسلمين الذين لا حول لهم ولا قوة، والذين هم ت السيطرة التامة للشيوعيين منذ أربعين سنة، فهل يعقل أن يقوموا بمحاولة قلب نظام الحكم في دولة شيوعية بوليسية تعلم كم بـ تبيض كل دجاجة في يوغسلافيا.

إننا نناشد كل الدول العربية أن تتدخل لتنقذ أرواح مئات المسلمين من الموت، وإنقاذ مئات الأسر من التشرد، ومئات الزو من الترمل، وآلاف الأطفال من اليتم.

إننا نناشد الجميع لرفع هذا الأمر للجنة حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الودلية، ومحكمة العدل الدولية.

إن العالم كله يحتج عندما يمنع يهودي واحد من الهجرة إلى إسرائيل، ولا أحد يتحرك عند إبادة آلاف المسلمين في يوغسلا أوليس لدماء المسلمين أية قيمة في نظر العالم وفي نظر المسلمين أنفسهم؟

إننا نناشد كل المسلمين أن يهبوا للدفاع عن إخوانهم في سجون ومعتقلات الشيوعيين في يوغسلافيا.

إننا نسأل كل المسلمين أن يتضرعوا بالدعاء في هذا الشهر المبارك لنصرة ونجاة تلك العصبة المسلمة التي لا ذنب لها إلا أ مسلمون.

## نداء:

إننا نناشد الدول العربية ذات العلاقة الوطيدة مع يوغسلافيا مثل مصر والعراق والكويت وليبيا أن تتدخل لإنصاف المسلـ اليوغسلاف.

إننا نناشد رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وندوة الشباب الإسلامي العالمي، ومؤتمر وزراء خارجية الـ الإسلامية.

إننا نناشد المملكة العربية السعودية، وبقية الدول العربية التي لها صلات اقتصادية مع يوغسلافيا أن تتدخل في الأمر.

إننا نناشد المنظمات الإسلامية العالمية -كرابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي وغيرهم- أن يرفعوا قـ المسلمين اليوغسلاف للهيئات الدولية، وأن ينشروها في العالم، وأن يطالبوا بعدم إقامة الألعاب الأولمبية في سراييفو عام (١٩٨٤م) لم تكف يوغسلافيا عن البطش بالمسلمين.

إننا نناشد الدول العربية وإذاعة صوت الإسلام أن تخصص برنامجاً يبث باللغة اليوغسلافية ولغات كل الأقليات الإسلامية الدول الشيوعية، ونناشد كل المسلمين بالدعم المادي لمئات الأسر اليوغسلافية المسلمة.

**(وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)، (وإنا لله وإنا إليه راجعون).**

## بلغاريا

إن اضطهاد المسلمين الذين هم من أصل تركي في بلغاريا لمحو الهوية الإسلامية لهذه الأقلية المسلمة التي تزيد عن مليـ نسمة قد زاد بشكل واضح خلال الحكم الشيوعي، وبلغ درجة لا يمكن السكوت عليها خلال الأشهر القليلة الماضية، وقد وافانا بـ التقرير إخوة مسلمون يعيشون في داخل البلاد:

لقد بدأت معارك دموية حديثاً تساقط فيها المئات من المسلمين من أصل تركي في بلغاريا أثناء حملة لإجبار هذه الأقلية عـ محو هويتها الإسلامية بقوة الحديد والنار، وقامت الحكومة البلغارية بهذه العمليات على أساس أن المسلمين الأتراك يجب أن يحمـ

أسماء بلغارية، حتى يعكسوا وحدة الأمة البلغارية الإسلامية، وفي سبيل تنفيذ هذا الغرض الخبيث قتل ثمانمائة مسلم بواسطة السلطات البلغارية، وتحركت الاتصالات الدبلوماسية بين تركيا وبلغاريا، ولكن ذلك لم يسهل ما يعانيه المسلمون هناك، وقد أرسل الرئيس كنعان إيفرين رسالة إلى تيودور زيفيكوف يناشده أن يضمن الحرية والحقوق المدنية للبلغاريين من أصل تركي، كما طالب إيفرين بأن تقوم الحكومة البلغارية بفحص وإعادة النظر في تغيير الأسماء، وإغلاق المدارس التركية، ومنع استخدام اللغة التركية في الأماكن العامة، حيث يعيش الأتراك المسلمون في بلغاريا، وقام زيكوف بإرسال رسالة يعد فيها بالتحقيق في ظل روح الجوار بين الدولتين، وفي (٢١) يناير قام ثلاثة من قادة الأحزاب في تركيا وهم بيرتيف بنسكيولو عن (حزب أمنا الأرض) الحاكم، وأمين عام (حزب الشعب) المعارض، وأمين عام (الحزب الديمقراطي الوطني) قام هؤلاء الثلاثة بإصدار بيان نشر في مجلة اسطانبول اليومية (تركمان) حذروا فيه بأن الأمة التركية ساءها جداً ما يحدث للأتراك المسلمين في بلغاريا.

## إغلاق الحدود:

وقامت السلطات البلغارية في اليوم التالي بإذاعة بيان تهاجم فيه الدعايات المناوئة لبلغاريا التي تنشر في تركيا، كما قامت بلغاريا بإغلاق حدودها بالنسبة للسواح من الأتراك، لعلمها بأنه لو تم إغلاق الحدود بصورة كاملة فستتضرر تجارتها مع الشرق الأوسط، وكانت الحكومة البلغارية تأمل بهذه الطريقة أن تنجح في منع المسلمين البلغاريين من الاتصال بالطريق الوحيد لهم بالعالم الإسلامي عن طريق تركيا، ومنع تسرب المعلومات التي تثير المسلمين خارج بلغاريا، وفي الواقع أن المشكلة لم تأت إلى الضوء إلا بعد اكتشاف أن عدد اللاجئين غير القانونيين والمهاجرين غير القانونيين من بلغاريا إلى تركيا قد تضاعف عدة مرات خلال الأيام الأخيرة، هرباً من محاولة تغيير دينهم وأسمائهم وهويتهم بالقوة، كما قامت السلطات البلغارية بطرد ثلاثة صحفيين أتراك كانوا يحاولون التحقيق في هذه الحوادث.

وفي نهاية العام الماضي -كجزء من خطة خمسية لإجبار جميع المسلمين لتغيير أسمائهم في الجوازات والهويات الشخصية- أعلنت الحكومة بأنها قد انتهت بنجاح من هذه العملية في جميع المدن، وعندئذ اتجهت الحكومة إلى تنفيذ برنامجها في المناطق الريفية، وبالذات في منطقة خازقور وموممجلفرد في جنوب دبرودجا، ولكن المواطنين المسلمين رفضوا وقاوموا (البلغرة) بالإجبار، حيث رفضوا أن يوقعوا على الأوراق البلغارية (تطوعاً) ليتم تغيير أسمائهم حالاً كي يصبح اسمه أحمد يدعى بيتور، وبذلك تنمحي حضارتهم وثقافتهم.

## ضغوط متنوعة:

وقد تم مضايقة الناس بأشكال كثيرة، حيث وضع الكثيرون منهم في سجون عبارة عن مخيمات عندما رفضوا أن يستجيبوا لهذا الأمر، كما أن السلطات العسكرية قامت بإحضار أعداد كبيرة من الجيش والشرطة إلى المناطق التي رفضت التوقيع، وكما يذكر هلال أوجون قولو -أحد رؤساء المهاجرين في تركيا- فإن ثمانين مسلماً في قرية أجردير قرب كركالي قد قتلوا خلال الشهرين الماضيين، ويذكر أن بعض الجرائم الشبيهة بذلك جرت في عدد من القرى الإسلامية، ويذكر أحد ضباط المباحث البلغارية (رحيم مومنات) الذي هرب من بلغاريا ولجأ إلى تركيا بأنه في شهر أكتوبر (١٩٨٤م) طلب من عمدة مدينة سيمولين السيد كميل بأن يغير اسمه، ولكنه رفض ذلك، وفي اليوم التالي عثر على جثته بعد أن قامت إحدى سيارات اللوري بالمرور عليها في وسط المدينة، وفي نفس المدينة قام أربعة من المسلمين من قبيلة البوماكس البلغار بالانتحار بعد إجبارهم على تغيير أسمائهم ومنعهم من مزاولة دينهم.

## تدمير المساجد والمقابر:

وفي بداية هذا العالم تم تدمير عشرة مساجد بواسطة الديناميت في مدينة سمولين بحجة أن الحكومة تريد أن تبني فنادق ومواقف للسيارات، ولا يمكن حصر أسماء أو أعداد الناس الذين أجبروا على قبول أسماء سلافاكية وترك أسمائهم الإسلامية، حيث يتم إصدار هويات لهم، كما تم تدمير مقابر المسلمين، وإزالة جميع شواهد القبور التي تحمل أحرفاً أو كلمات عربية.

## تاريخ الإسلام في بلغاريا:

ومن المعروف أن الأتراك المسلمين في بلغاريا لهم عهد طويل جداً في بلغاريا، حتى أن البلغار أنفسهم هم من أصل تر واسمهم جافوش، والذي يعني باللغة التركية الخليط، ومعظم المسلمين في بلغاريا هم من أصل تركي، بالإضافة إلى أن المسلمين الذ هم من أصل بلغاري، والمسلمين الغجر الذين تبلغ نسبة المسلمين فيهم حسب إحصائيات المسلمين البلغاريين (٢٥٪) من سكان بلغا البالغ عددهم ثمانية ملايين نسمة (لا يوجد أي إحصائيات رسمية)، وقد دخل الإسلام إلى منطقة البلقان بواسطة الدولة العثمانية عهد السلطان مراد الأول، حيث تم احتلال مدينة درين وفتحها في يوليو (١٦٩٢م)، وبعد ذلك بثلاثين عاماً كانت جميع بلغاريا تح السيطرة الإسلامية، وجاء آلاف المسلمين من منطقة أناضوليا ليستقروا في هذه المنطقة، كما أن أعداداً كبيرة من السكان المحليين تحولوا إلى الإسلام، واستمر الحكم العثماني حتى عام (١٨٧٧م) عندما انتهت الحرب التركية الروسية، وحسب معاهدة برلين ( (١٣) يوليو عام (١٩٧٨م) تم إعطاء بلغاريا حكماً ذاتياً، وبعد ذلك بسبع سنوات تم ضم شرق الروملي التركية إلى بلغاريا، وفي نها حرب البلقان في عام (١٩١٣م) أضافت بلغاريا تسعة مدن تركية في غيررايكا ورادوا، وفي عام (١٩٤٠م) استولت بلغاريا على منط جنوب دبروكا من رومانيا، حيث يعيش أعداد من المسلمين، ورغم أن معاهدة برلين نصت على الأقلية التركية التي تعيش في هـ المنطقة ودعت إلى حفظ حقوقها إلا أنه تم طرد ما يزيد عن مليون تركي من المنطقة، وقتل ما يزيد عن ثلاثمائة وخمسين ألفاً المذابح التي قام بها البلغاريون ضد المسلمين هناك، ولم يستطع اللاجئون بعد الحرب العودة إلى أراضيهم، حيث انتشروا في بقا الامبراطورية العثمانية آنذاك.

قامت الحكومة البلغارية تدريجياً بالاستيلاء على أراضي المسلمين، بل وحتى حيواناتهم، حيث كان أكثر من (٧٠٪) ـ الأراضي في بلغاريا يمتلكها المزارعون المسلمون، بدأت تنقلب الكفة عن طريق استيلاء السلطات على الأراضي بحجة الاصلا الزراعي وتسليم هذه الأراضي إلى البلغاريين، وفي عام (١٩٤٤م) كان ما يزيد عن (٨٠٪) من المسلمين في بلغاريا قد أصبحوا مـ المزارعين الصغار ممن يسكنون في المدن والضواحي، ونظراً للضغوط عليهم لم يكن عددهم في الصناعة أو التجارة أكثر من (١٪ أما الضغوط الاقتصادية التي كانت تواجه بعض المسلمين الأتراك فقد أصبحت عامة ومنظمة منذ الانقلاب الشيوعي في (٩) سبتم (١٩٤٤م)، حينما دخلت بلغاريا ضمن الستار الحديدي، وانتشر اضطهاد المسلمين في كل أوجه الحياة اقتصادية ودينية وتعليمي وتعتبر بلغاريا أقسى الحكومات وأكثرها اضطهاداً بين الدول الشيوعية باستثناء ألبانيا.

وفي الفترة قبل (١٩٤٤م) كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً محافظاً مغلقاً على نفسه، وكانت علاقته بالبلغاريين الآخرين عل أدنى مستوى، رغم أنهم موزعون في عدة مناطق وقرى ومحافظات، إلا أنهم حافظوا على أماكن التعليم وأماكن العبادة، وحتى عل النوادي الرياضية الخاصة بهم، ولكن النظام الجديد استخدم القوة ليغير من واقع المجتمعات الإسلامية المغلقة، وتم تأميم الأرض ب عامي (١٩٤٩م-١٩٥٥م)، وأثر ذلك على المسلمين بشدة أكثر من غيرهم، لأنهم كانوا في الأغلب من صغار المزارعين، وبذلك اضطر الغالبية العظمى من المسلمين إلى هجر الأرض والعمل في وظائف متدنية في تعاونيات الحكومة وجمع القمامة ورعي الأغنام.

## عمليات التهجير:

وكان تذويب المسلمين يتم عن طريق هندسة التركيبة السكانية في البلاد بإجبارهم على الانتقال من مكان إلى آخر، ففي يوليو (١٩٤٨م) تم نقل خمسين لوري من المسلمين من منطقة رودوب بالقوة إلى منطقة دبروكا، وفي اكتوبر (١٩٤٩م) تم نقل (٢٨) لور محملة بالعائلات المسلمة من مستنالي كورو كافاك وداري دير ثم أرسلوا إلى الشمال، وفي سبتمبر (١٩٥٠م) تم نقل (٦٣) لور محملة بالعائلات المسلمة، وكان هذا النقل يتم باسم مشاريع التنمية والتقدم، وتم فصل الشباب عن عائلاتهم وعن محيطهم وتوزيعه بين المجموعات البلغارية، وكانوا يؤخذون من مناطق رودوب ودليورمان حيث يعيش غالبية المسلمين ويرسلون إلى مدن صوفيا بورقا بديموترفقراد حيث لا يعيش أي مسلم، ولا يزال حتى الآن عدد كبير من العائلات لا يعلمون مكان أطفالهم، ورغم الوعود الكثيرة الت تمت بالنسبة لتعليم الأطفال المسلمين قبل الاحتلال الشيوعي وفي ظل هذه الوعود اجتمع في (٢٧) ديسمبر (١٩٤٤م) مؤتمر لممثل عن المسلمين في بلغاريا حضره مائتا شخص، وقدم هذا المؤتمر طلبات بالنسبة للتعليم الإسلامي في مذكرة إلى الحكومة البلغارية وكانت الإجابة على هذه المذكرة من قبل رئيس الوزراء جورجي ديمتروف وهو رئيس الحزب الشيوعي البلغاري في خطبته بتاريخ (١٩

# إعلان الجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

# إخلاص النية في الجهاد

الجهاد عبادة من أرفع الفرائض وأفضلها عند الله، ولا يقبل الله عز وجل عبادة إلا بنية، وإن الثواب العظيم الذي أعده الله للمجاهدين لم يجعله لعابدين مثلهم، وهذا الثواب متوقف على إخلاص النية لله عز وجل؛ لأن الله عز وجل لا يقبل عملاً إلا بشرطين:

- أن يكون خالصاً -النية صادقة- لوجهه الكريم.
- وأن يكون صواباً -موافقاً للسنة الشريفة-.

وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد على إخلاص النية، وتمحضها لله عز وجل، وتحذر من أن تكون مشوبة بأغراض الدنيا وأهوائها من أجرة، أو مال، أو نكاح امرأة، وغير ذلك، فمنها الحديث الأول في البخاري: **{إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه}.**

وخرّج الإمام أحمد وابن ماجة من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: **{من كان همه الدنيا فرق الله شمله}**

وفي لفظ: **{... أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة}.**

وعن زيد الشامي قال: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب.

وعنه أنه قال: انْوِ في كل شيء تريد الخير حتى خروجك إلى الكناسة.

وعن داود الطائي قال: رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية، وكفاك بها خيراً وإن لم تنصب.

قال داود: والبرُّ همة التقي، ولو تعلقت جميع جوارحه بحب الدنيا لردته يوماً نيته إلى أصله.

وعن سفيان الثوري قال: ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي لأنها تتقلب علي.

وعن يوسف بن أسباط قال: تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد.

وقيل لنافع بن حبيب: ألا تشهد الجنازة؟ قال: كما أنت حتى أنوي، قال ففكر هنيهة ثم قال: امض.

وعن مطرف بن عبد الله قال: صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية.

وعن بعض السلف قال: من سره أن يكمل له عمله فليحسن نيته، فإن الله عز وجل يأجر العبد إذا أحسن نيته حتى باللقمة.

وعن ابن المبارك قال: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية.

وقال ابن عجلان: لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله، والنية الحسنة، والإصابة.

وقال الفضيل بن عياض: إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك.

وعن يوسف بن أسباط قال: إيثار الله عز وجل أفضل من القتل في سبيل الله.

في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري: **{أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن قاتل في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله}.**

وفي رواية لمسلم: **{سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟...}** فذكر الحديث.

وفي رواية له ايضا: **{ الرجل يقاتل غضباً ويقاتل حمية}.**

وخرّج النسائي بسند جيد من حديث أبي أمامة قال: **{جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر**

ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه}.

وخرّج أبو داود من حديث أبي هريرة: {أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد،وهو يريد عرضاً من عروض الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: لا أجر له}.

وخرّج الإمام أحمد وأبو داود من حديث معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: {الغزو غزوان، فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخراً، ورياء، وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لم يرجع بالكفاف}.

وخرّج أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو قال: {قلت: يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو، فقال: إن قاتلت صابرا محتسبا جعلك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً، على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال}.

وخرّج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: {إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. فقال ما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، قرأت القرآن فيك. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال ما عملت فيها؟ فقال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، لكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار}.

وفي الحديث: إن معاوية لما بلغه هذا الحديث بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله، قال عز وجل: {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار}.

# إعلان الجهاد

الإسلام دين واقعي جاد، يتعامل مع الواقع بالمثل والقيم، ويواجه الواقع بوسائل مكافئة، فالجهاد عبادة جماعية لا يـ بوجود جماعة تواجه المجتمع الجاهل أو الكافر، ولذا فلم يفرض الجهاد في مكة لضعف المسلمين ولقلة عددهم وعجزهم عن ـ الجاهلية التي تعتمد على القوة والعدد.

وما دام الجهاد عبادة جماعية؛ فلا بد أن يكون صاحب الأمر في هذه العبادة هو أمير الجماعة المسلمة، فهو الذي يعلن ا فأمير المؤمنين هو صاحب الشأن في قضايا الجهاد والسلم، وذلك لأن الإمام نائب عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة كما يقول الماوردي.

والإمام إنما جعل إماماً لحفظ الدين، وحماية الديار، وسد الثغور، وإقامة الحدود، وحفظ الحقوق، وصيانة الأعراض، و الغنائم، وإقامة الشعائر الإسلامية؛ كالصلاة والحج والصيام وجمع الزكاة وردع أهل الفساد.

يقول ابن قدامة في المغني: (وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك).

وقد نص كثير من الفقهاء على حرمة الجهاد أو كراهته بدون إذن الإمام، ولكنهم في نفس الوقت نصّوا على أن الإ يستأذن في أمور الجهاد في حالات:

**١- إذا عطل الإمام الجهاد.**

**٢- إذا فوّت الاستئذان المصلحة المقصودة.**

**٣- إذا علمنا أن الإمام لا يأذن بالجهاد.**

وقد نص الفقهاء كذلك أنه: إذا عُدم الإمام فإن الجهاد لا يعطل لفوات المصلحة المترتبة على الجهاد.

فإذا فقد الإمام فإن العلماء يقومون مقام الإمام أو الرؤساء المطاعون في أقوامهم، ويصبح أمير الحركة الإسلامية وال المهابون المطاعون الذين عرفوا بالتقوى والعلم وسادة الأقوام هم أولوا الأمر إذا خلا الزمان من الإمام أو الخليفة، وقد نص ال جميعاً على أن: على الإمام أن يرسل جيشاً إلى بلاد الكفار مرة أو مرّتين في السنة لإسقاط فرض الكفاية، لأن فرض الكفاية لا يـ إلا بإرسال الجيش المسلم مرة على الأقل في السنة للجهاد وإلا أثم وأثمت الأمة.

# إعلام الكفار بالجهاد عليهم

وقد اختلف الفقهاء في حكم الجهاد قبل إعلام العدو، إذ أن هذا الأمر يتوقف على حالة العدو نفسه:

**١- الحالة الأولى.**

فإن كان بين المسلمين وبين الكافر عهد سابق أو معاهدة أمان أو عقد ذمة، فهذا يجب أن نوفي له بعهده، والمسلمون شروطهم ما لم يكن ينقض الكافر عهده من جهته.

**٢- والحالة الثانية.**

إذا لم يكن بين المسلمين وبين الكفار عهد سابق.

ولكل من الحالتين تفصيل:

الحالة الأولى: حالة العقد أو العهد بين المسلمين وبين الكفار. والعهود التي يعقدها المسلمون للكفار نوعان:

أ- عقد دائم: وهذا يسمى عقد الذمة: وهو عقد أمان دائم يعطى للكفار عامة على رأي الحنفية، أو لأهل الكتاب والمجوس ـ رأي الشافعية، مقابل دفع جزية سنوية يدفعها الذمي مقابل حمايته وسكنه في الدولة الإسلامية وإعفائه من الجزية

وهذا العقد يجب الوفاء به ما وفّى الذميّ بعهده، ولو خاف الإمام خيانة الذمي ولم تظهر دلالة كافية فلا يجوز للإمام نقض ـ الذمة من جهته، لأن قوله تعالى: (**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء**) فهذه الآية في أهل العهود الواقتة (عهود الأمان

وليس في أهل الذمة ذوي العقود الدائمة الذين يعيشون تحت ظل الدولة الإسلامية.

ولذا يبقى عقد الذمة سارياً حتى ينقض الذمي عهده، وذلك بإحداث أمور تعني أنه لا يريد الالتزام بالعقد. أو القيام بجرائم تقطع عهد الذمة الذي أعطي له، ومنها:

**أ- استخفافه بالمقدسات والمعتقدات الرئيسية الكبرى عند المسلمين.**

مثل سب الله عز وجل، أو سب رسوله ﷺ، أو وطئه على المصحف، هذه ليس لها جزاء عند جمهور الفقهاء إلا القتل. وقد نص على القتل شيخ الإسلام في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ).

والقتل هو رأي المالكية والشافعية والحنبلية، أما الحنفية فقال جمهورهم: إن عقد الذمة لا ينتقض بسب الرسول ﷺ، ولكن يعزر الذمي الذي يشتمه ﷺ. والتعزير قد يصل إلى حد القتل عند الحنفية سياسة ومصلحة، وقد نص الكمال بن الهمام في فتح القدير وابن عابدين في حاشيته ورسائله، والعيني أن الحق عند الحنفية: أن ينتقض عهد الذمي إذا شتم الرسول ﷺ ويقتل[1].

قال القاضي عياض: (أما الذمي إذا صرح بسب أو عرّض واستخف بقدره فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم، لأننا لم نعطه الذمة والعهد على هذا، وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة... وقد قتل خالد بن الوليد امرأة سبت رسول الله ﷺ، وكذلك قتلت عصماء اليهودية لإيذائها النبي ﷺ وسبه[2]

وحكم قتل ساب الرسول ﷺ: يطبق على المسلم عند جمهور الفقهاء، قال الليث[3] في المسلم يسب النبي ﷺ : إنه لايناظر ولا يستتاب، يقتل مكانه وكذلك اليهود والنصارى.

ب- اقتراف الذمي لبعض الجرائم الكبرى: مثل التجسس، الزنا بمسلمة، أو قطع طريق المسلمين، أو إعانة أهل الحرب؛ بدلالة على المسلمين، أو تزيين الكفر لمسلم وفتنته عن دينه، أو إيواء عيون الكفار وجواسيسهم.

أما التجسس على المسلمين: فالعقوبة القتل للجاسوس سواء كان مسلماً أو ذمياً -هذا رأي مالك ورجحه ابن القيم-.

وأما الحنبلية: فيرون أن الجاسوس الذمي نقض عهده، والإمام مخير فيه بين القتل والاسترقاق والمن والفدية.

وأما الحنفية: فلا يرون تجسس الذمي ناقضاً لعهده ولكنه يعزر. وقد يصل التعزير عندهم إلى القتل.

وفي أفغانستان: حدثني القاضي محمد عمر من بروان: أني حكمت على كثير من الجواسيس بالقتل تعزيراً لا حداً.

أما الجرائم الأخرى: كالزنا بمسلمة: فقد نصّ جمهور المالكية والحنبلية: أنها تنقض الذمة، وقد ورد أن عمر صلب يهودياً في بيت المقدس؛ استكره امرأة مسلمة على الزنا، وقال: (ما على هذا صالحناكم). وكذلك قتل أبو عبيدة نصرانياً استكره مسلمة على الزنا، وقال: (ما على هذا صالحناكم)[4].

**٢- الصنف الثاني من العهود: عهد الأمان المؤقت.**

ويسمى هذا العهد بالهدنة، أو الموادعة، أو المسالمة، أو المصالحة، أو المعاهدة، وهذا يجوز للإمام إعطاؤه للكفار والحربيين سواء كانوا أفراداً أو جماعات، بشرط توقيته بوقت، وبشرط توفر المصلحة لصالح المسلمين.

وقد اشترط الفقهاء أن عهد الأمان يعطى للكافر الحربي في داخل الدولة الإسلامية أن لا تصل مدته إلى سنة، فإذا وصلت المدة سنة كاملة ضربت الجزية على الكافر واعتبر من أهل الذمة.

واشترط الحنفية استمرار وجود المصلحة للمسلمين طيلة مدة العهد، فإذا لم توفر المصلحة في أي وقت؛ يجوز للإمام نبذ العهد وإعلام الكافر أو الكفار بانتهاء العهد.

أما الجمهور: فاشترطوا للوفاء بالعهد طيلة المدة؛ عدم وجود الغدر. فإذا لم يوجد الغدر لا ينبذ الإمام إليهم العهد.

---

١- فتح القدير (٤/٣٨١)، رسائل ابن عابدين (١/٣٥٣)، حاشية ابن عابدين (٣/٣٨٦)

٢- أنظر آثار الحرب للدكتور وهبه الزحيلي ص(٣٧٦).

٣- أنظر أحكام القرآن للجصاص ص(٤/٢٧٥).

٤- أنظر آثار الحرب للزحيلي ص(٣٧٣) نقلاً عن الأموال لأبي عبيد (١٨١) والخراج لأبي يوسف (١٧٨)

وهذا العهد أضعف من عقد الذمة، فيجوز للإمام إيقاف المعاهدة ونبذ العهد للكفار بمجرد استشعار الخيانة أو الظن الغالب

والأصل في هذا الباب قوله تعالى: **{وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم لا يعلمون}** (التوبة: ٦)، وأما نبذ العهد إليهم فالأصل فيه قوله تعالى: **{وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين}** (الأنفال: ٥٨).

## نقض الكفار العهد:

فإذا نقض الكفار العهد فإنه لا حاجة لإنذارهم بالحرب عليهم كما فعل رسول الله ﷺ مع اليهود عندما نقضوا عهودهم على التوالي: بني قينقاع، بني النضير، بني قريظة، وكذلك غزا رسول الله ﷺ مكة بعد عهد الحديبية سنة (٦ هـ) لأن قريشاً ساعدت بكر ضد خزاعة -حلفاء الرسول ﷺ-.

قال الجصاص في أحكام القرآن (٤/٢٥٢)[1]: (يعني والله أعلم: إذا خفت غدرهم وخدعهم وإيقاعهم بالمسلمين وفعلوا ذلك، ولم يظهروا نقض العهد؛ فانبذ إليهم على سواء يعني ألق إليهم فسخ ما بينك وبينهم من العهد والهدنة؛ حتى يستوي الجميع في معرفة ذلك. وهو معنى قوله تعالى: **{على سواء}**؛ لئلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب).

ولا بد من إعلام العدو بفسخ العهد، وإعطائه مدة للاستعداد. ولا يجوز إعلامه ثم مهاجمته دون إعطائه فرصة.

## إنتهاء مدة العهد:

وهذه العهود إذا لم تفسخ؛ فإنها تنتهي بانتهاء مدتها، ثم يعلم العدو بأننا لا نريد تجديد العهد ويعطى مدة الاستعداد.

فقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وصححه القصة التالية: (كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انتقض العهد غزاهم؛ فجاء رجل على فرس أو برذون[2] وهو يقول: الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر، فنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **{من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء}** فرجع معاوية).

وقد اتفق الفقهاء على وجوب القتال مع الإمام الفاسق الفاجر، ولكن ذهب جمهور الفقهاء أنه لا يقاتل مع الإمام الغادر.

## الإنذار النهائي:

وإذا أراد حاكم البلد إعلان الحرب على حكومة أخرى، فإنه يعلمها بما يسمى بالمصطلح الحديث (الإنذار النهائي).

أما في الإسلام فيكون الإنذار النهائي بثلاثة عروض: الإسلام (بقبول الإسلام )، أو قبول الخضوع للدولة الإسلامية بدفع الجزية، وإلا فإعلان الحرب.

## إيصال الحربي مأمنه:

إذا جاء الحربي طالباً الأمان لفترة -لسماع محاسن الإسلام- وانتهت هذه الفترة، فإن الإسلام مطالب بإيصاله إلى مأمنه -أي إلى موطنه- الأصلي أو إلى أي مكان لا تهدد فيه حياته أو مصالحه.

**{وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون}**[3] (التوبة: ٥)

## الإبعاد:

أما بالنسبة للذمي، فإذا عمل عملاً نقض فيه عهده فإن جمهور الأئمة قالوا: إنه يصبح كالحربي. والإمام مخير بالنسبة

---

١- أحكام القرآن للجصاص (٤/٢٥٢).

٢- البرذون: الفرس الأعجمية.

٣- في الطبعة الأولى من هذا الكتاب (إعلان الجهاد) أخطأ الأخ الذي يلصق الآيات فوضع آية أخرى مكانها وهي (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ) والصحيح ما ذكرنا

كالأسير تماماً: القتل، الرق، الفدية، المن، تبادل الأسرى.

أما الحنفية فإنهم لا يجيزون الفدية ولا المنّ.

فإذا منّ الإمام على الذمي، أو افتدى الذمي نفسه، أو حصل تبادل أسرى، فلا بد للإمام أن يوصله إلى المكان الذي يأمن فيه على نفسه وماله، وهذا يسمى في المصطلحات الحديثة (بالإبعاد).

وهذا الحكم كذلك إذا كان الإمام قد أعطى الحربي أو مجموعة من الحربيين كالسفارات عهد أمان، ثم ارتاب في أمرهم فإنه ينبذ إليهم عهدهم، ويخبرهم بانتهاء أمانهم، ويوصلهم إلى مأمنهم؛ وهذا يسمى كذلك في المصطلح السياسي. بالإبعاد للهيئات الدبلوماسية أو لبعضهم ممن يعيشون في ظل الدولة الإسلامية.

**الحالة الثانية:** إذا لم يسبق للمسلمين تعامل مع مجموعة من الكفار.

إذا واجه الجيش الإسلامي بلدة كافرة لم يسبق لها تعامل مع المسلمين، أو أراد الإمام غزو بلدة كافرة ليس بينها وبين المسلمين عهد، فهل له أن يغزوها دون إعلامها ويأخذها مباغتة على حين غرة (غفلة)، فهنا اختلف الفقهاء في المسألة:

١- فالرأي الراجح الذي نذهب إليه هو رأي الجمهور القائل: يجب على الإمام إعلامهم (إنذارهم بإحدى الخصال الثلاث: الإسلام أو القتال أو الجزية إذا لم يسبق للبلدة معرفة الإسلام، أما إذا كانت البلدة قد وصلها الإسلام ولم تعتنقه؛ فإنه يستحب للإمام إعلامهم، ولقد تشدد الشافعية في قتال القوم الذين لم تبلغهم الدعوة حتى أفتوا بوجوب الدية للقتلى وتدفعها عاقلة (عصبات) القاتلين.

اما الحنفية فقالوا: لا دية ولا ضمان.

٢- أما الإمام مالك: فقال بوجوب الإعلام قبل القتال في كل الحالات.

٣- وهنالك رأي ثالث يقول بجواز القتال دون إعلام في كل الحالات.

وسبب اختلافهم في الرأي ورود أحاديث متعارضة -ظاهراً- في الموضوع، لأنه لا يوجد تعارض حقيقي أبداً بين أي حديثين أو نصين في هذا الدين: **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** (النساء: ٨٢).

وقد أورد ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) حوالي تسعين حديثاً مما يرى فيها تعارض مع أحاديث أخرى أو آيات قرآنية ثم أزال الإشكال في التعارض.

وقد كتبَ ابن قتيبة كتاباً في (مشكل الحديث)، وكذلك الطحاوي الحنفي كتب (مشكل الآيات).

والأحاديث الواردة في موضوع إنذار العدو هي:

١- الحديث الأول: عن ابن عوف **{أن الرسول ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون** (غافلون) **وأنعامهم تسقي على الماء، فقتل مقاتلهم، وسبى سبيهم}.**

٢- حديث أسامة بن زيد: **{أن رسول ﷺ كان عهد إليه فقال: أغر على أبنى صباحاً وحرق}.**

وأبنى: على وزن حبلى: فعلى: قرية بين الرملة وعسقلان من فلسطين ومعنى حرق: أي الزرع وغيره كالشجر.

٣- حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **{ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً إلا دعاهم}.**

٤- حديث سليمان بن بريدة عن ابنه قال: **{كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً.... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيّتهن ما أجابوك؛ فاقبل منهم وكفّ عنهم: أدعهم إلى الإسلام: فإن أجابوك فاقبل منهم، وكفّ عنهم؛ فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم؛ فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم}.**

أما الإمام مالك (القائل بوجوب تقديم الدعوة للكفار قبل القتال على أي حال) فقد أخذ بحديث ابن عباس رضي الله عنهما الثالث وحديث بريدة الرابع. اعتبرها مقدمة على حديث بني المصطلق، باعتبار أن حديث بني المصطلق فعل، والحديثين الثالث والرابع من الأقوال والقول مقدم على الفعل.

أما أصحاب الرأي الثالث القائلين (بعدم وجوب تقديم الدعوة قبل القتال على أي حال) فاعتبروا حديث أسامة ناسخاً لكل

الأحاديث الأخرى: باعتبار أن حديث أسامة كانت سرية في أواخر أيام النبي ﷺ.

أما الجمهور، فقاموا بالجمع بين الأحاديث، والجمع مقدم على النسخ في أصول الجمهور، إذ أن إزالة التعارض عند الجم يكون حسب الخطوات التالية:

١- الجمع -إن أمكن-.

٢- ثم النسخ -إن عرف التاريخ- .

٣- ثم الترجيح.

٤- ثم التوقف والانتقال من الأعلى إلى الأدنى.

فإذا كان التعارض بين آيتين ولم نستطع الجمع ولا النسخ ولا الترجيح ننتقل إلى العمل بالحديث، فإذا تعارض الحديثان نستطع الجمع ولا النسخ ولا الترجيح؛ توقفنا وانتقلنا إلى عمل الصحابة؛ فإن لم نستطع نتوقف.

فقد اعتبروا أن حديث ابن عباس وبريدة فيمن لم تبلغه الدعوة، واعتبروا حديث أسامة وبني المصطلق: بسبب وصولهم الد من قبل.

مدة الإنذار:

يرى الحنفية والمالكية أنه لابد من إعطاء الكفار فرصة ثلاثة أيام بعد الإنذار تكرر فيها دعوة الكفار ثلاثاً إلى الإسلام.

وقد اعتمدوا على كتاب عمر إلى سعد بن ابي وقاص فيما رواه أبو عبيدة: (أني قد كنت كتبت إليك أن تدعو الناس إلى الإس ثلاثة أيام، من استجاب لك قبل القتال فهو رجل من المسلمين، له ما للمسلمين ولهم سهم في الإسلام)[١].

وقد دعا سلمان أهل فارس إلى الإسلام أو الجزية أو القتال فقالوا: أما الإسلام فلا نسلم، وأما الجزية فلا نعطيها، واما الق فإنا نقاتلكم، فدعاهم كذلك ثلاثاً فأبوا عليه، فقال للناس: (انهدوا إليهم)[٢] أي انهضوا -وزناً ومعنى-.

# الأحكام المترتبة على الجهاد

إن الإسلام دين إلهي نظم الحياة بكاملها ابتداء من الأمور الخاصة جداً حتى الأمور الكبرى المتصلة بالدولة الإسلا وعلاقاتها الدولية.

والأحكام التي تختص بالجهاد -كعبادة جماعية- يقوم عليها كيان هذا الدين وبها يقر، ويمثل الجهاد السور الحصين ا تعاليم الإسلام، ولذا فقد اعتنى به القرآن، واعتنت به السنة المشرفة بالتفصيل والتقعيد، والأحكام التي خصها الإسلام بالجهاد هي:

**١- أحكام تسبق البدء بالجهاد، منها:** إعلام العدو ببدء القتال، و منها الإعداد ويعتبر فرضاً من حيث اللياقة البدنية، وت السلاح، وإتقان أدوات القتال، وخططه، والتكتيك، والهجوم...إلخ.

**٢- أحكام تواكب عملية القتال:** مثل عدم قتل غير المقاتلة، كالنهي عن قتل الصبيان، والشيوخ، والرهبان، والنساء، والعم الذين ليس بهم فائدة للجهاد سواء بالرأي أو بالفعل إلا للضرورة الماسة: كأن يتترس (يختبيء) العدو بهم، وكذلك عدم تشويه الج (المثلة)، وعدم قتل الحيوانات التي يمتلكها العدو إلا للضرورة القصوى، وكذلك عدم قطع الشجر المثمر إلا لضرورة الحرب كأن يخت العدو بها، أو لضرب العدو اقتصادياً، وعدم أخذ المصحف إلى أرض الأعداء إن خشينا من أن تدور الدائرة علينا فيعبث العدو بقدا الكتاب الكريم.

وقد تحدثنا في كتاب (في الجهاد آداب وأحكام) عن قسم من هذه الأحكام، وسنفرد إن شاء الله باباً للآداب التي لم نتعر لها.

---

١- أنظر آثار الحرب (١٥٨) نقلاً عن كنز العمال من مسند أحمد (٣١٩/٢)، الخراج لابن آدم ص(٤٨).

٢- آثار الحرب (١٥٨) نقلاً عن الخراج (١٩١).

**٣- الأحكام التي تترتب على انتهاء القتال:** وقد كتب الأستاذ وهبه الزحيلي رسالة الدكتوراه في هذا الموضوع(آثار الحرب في الفقه الإسلامي)، وقد تعب عليها كثيراً، وقد أفدت من هذا الكتاب كثيراً، وإن كنا نخالفه في بعض الأحكام الجهادية التي رجحها في رسالته.

وقد قسم الأستاذ الزحيلي الآثار المترتبة على قيام الحرب إلى خمسة أقسام، وزعها على خمسة فصول من كتابه على النحو التالي:

١- الفصل الأول: انقسام الدار إلى دارين أو ثلاثة: دار حرب ودار إسلام ودار عهد .

٢- الفصل الثاني: أثر الحرب في العلاقات بين المسلمين وغيرهم.

٣- الفصل الثالث: أثر الحرب في العلاقات السياسية (الدبلوماسية والمعاهدات).

٤- الفصل الرابع: في الأسرى والجرحى والمرضى والقتلى.

٥- الفصل الخامس: أثر الحرب في الأشخاص والأموال.

وأما الآثار المترتبة على انتهاء الحرب فقد قسمها الزحيلي إلى خمسة فصول:

١- انتهاء الحرب بدخول الإسلام.

٢- انتهاء الحرب بالصلح.

٣- انتهاء الحرب بالفتح.

٤- انتهاء الحرب بترك القتال.

٥- انتهاء الحرب بالتحكيم.

# الآثار المترتبة على قيام الجهاد

## ١- دار الحرب ودار الاسلام:

إن من الآثار المترتبة على قيام القتال انقسام الدنيا إلى دارين:

١- دار الإسلام .

٢- دار الحرب.

٣- وأضاف الشافعية وبعض الحنابلة داراً ثالثة وهي دار العهد.

**١- والرأي الراجح في تعريف دار الإسلام عند جمهور الفقهاء:**

هي الأرض التي تكون فيها السلطة السياسية الحاكمة بيد المسلمين، وتقام فيها الشعائر، تطبق فيها أحكام الإسلام، أي هي الدار التي حكامها مسلمون، وقانونها الإسلام؛ وإن كان غالبية سكانها من غير المسلمين.

ولذا كانت تعتبر خراسان، وبلاد فارس، وبلاد ما وراء النهر جيحون، مثل بخارى، وسمرقند، وفرغانة، وطشقند دار إسلام، لأن القانون الذي يحكمها هو الإسلام، وأمراؤها مسلمون؛ وإن كانت غالبية سكانها من غير المسلمين. فقد كان معظم سكانها من المجوس عند الفتح، وكانوا يرتدون بين الحين والآخر، فقد ارتدت بخارى ثلاث مرات ويخضعها الإسلام لحكمه في المرة الرابعة، مما اضطر قتيبة بن مسلم الباهلي أن يجبرهم أن يعطوا العرب المسلمين دوراً بينهم، ليعلموهم الإسلام، وكان قتيبة يأمر العرب المسلمين أن يخرجوا للعيد بأسلحتهم فصارت عادة على مرّ القرون.

**٢- دار الحرب:** هي الدار التي لا يطبق فيها قانون الإسلام، وإن كانت غالبية سكانها من المسلمين، أو هي الدار التي لا يكون ميزان التعامل فيها وبينها وبين غيرها هو الإسلام.

**٣-دار العهد:** وللشافعية وبعض الحنابلة مصطلح تفردوا به وهو تقسيم الدار إلى ثلاث: دار الإسلام والحرب والعهد.

ويعرف الشافعية دار العهد بأنها: هي الدار التي لم يظهر عليها المسلمون، عقد أهلها الصلح بينهم وبين المسلمين على شـ يؤدونه من أرضهم يسمى خراجاً دون أن تؤخذ منهم جزية رقابهم لأنهم في غير دار الإسلام[1].

فهذه الدار لم يفتحها المسلمون، ولا تنفذ على أهلها قوانين الدولة الإسلامية، ولكن أهلها دخلوا في عقد مع المسلمين بشر معينة، والتزموا مبلغاً معيناً يؤدونه، وهذه الحالة: شبيهة في الدبلوماسية المعاصرة بالدول التي لم تتمتع بكامل استقلالها لوج معاهدة معقودة بينها وبين دولة كبرى مثلاً.

ومن الأمثلة على هذه الدار عند الشافعية: أرمينية ونجران وبلاد النوبة، فقد عقد النبي ﷺ صلحاً مع نصارى نجران أمّ على حياتهم، وفرض عليهم ضريبة سنوية قيل أنها جزية وقيل أنها خراج.

ولم يستطع عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يفتح بلاد النوبة، فعقد معهم عهداً ليس فيه جزية.

**رأي جمهور الفقهاء في هذا الدار:**

ويعتبر جمهور الفقهاء هذه الدار (دار العهد) من دار الإسلام لأنهم ارتبطوا بدار الإسلام، بعهد أعلنوا فيه عن إذعانهم لـ الإسلام بجزية.

## تحول الدار من دار إسلام إلى دار الحرب:

قد تبين مما ذكرنا أن الميزان الدقيق في معرفة الدار هو القانون، فإذا كانت السيادة للقانون الإسلامي فالدار دار إسلام، و كانت السيادة لقانون آخر -مهما كان هذا القانون- فهي دار حرب؛ وإن كان السكان مسلمين.

وتسمى دار الإسلام (دار العدل)، لأن القانون الإسلامي هو القانون الوحيد الذي يضمن العدل والمساواة بين الحاكم والمحك أمام الشريعة الحاكمة. وأي قانون آخر من صنع أهواء البشر؛ لا يمكن أن يكون عادلاً ولا يمكن أن يخلو من الظلم:

**(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما أنزل الـ فأولئك هم الفاسقون)** (المائدة: ٤٤، ٤٧).

فقد سمى الله عز وجل كل حاكم بغير حكمه كافراً ظالماً فاسقاً.

أما نوع الكفر أن يخرج من الملة أم لا يخرج من الملة؟ فهذا له مجال آخر لا يتسع له هذا الباب، وإن شئت فارجع إلى كتا (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) ففيها تفصيل لهذه القضية.

فإذا كانت الدار إسلامية، تسود فيها الشريعة الإسلامية والحكم فيها لقانون الله، والحكام فيها مسلمون ينفذون هذه الشريع فكل مسلم يدين بالولاء والمحبة لهذه الدار.

أما إذا كانت الدار(دار إسلام) واستولى عليها أناس عطلوا شرع الله، ونفذوا فيها شرعاً آخر من صنع أهواء البشر، أو خلط شرع الله بشرائع البشر ونفذوها، فإن الدار لا تبقى دار إسلام.

ولكن ما اسم هذه الدار بعد تعطيل شرع الله فيها؟

١- قال جمهور الفقهاء هي دار حرب[2]: وهذا رأي مالك والشافعي وأحمد والصاحبين من الحنفية. إذ أنهم قالوا: تصير الد دار حرب بإجراء أحكام الشرك فيها فقط. لإن ظهور الإسلام بظهور أحكامه، فإذا زالت منها هذه الأحكام لم تبق دار إسلام.

٢ - أما الإمام أبو حنيفة: فقد خالف صاحبيه (أبي يوسف ومحمد بن الحسن ) فقال[3]: إن دار الإسلام لا تصبح دار حر إلا بشروط ثلاثة:

أ- ظهور أحكام الكفر ونفاذها فيها.

---

١- آثار الحرب (١٧٥) نقلاً عن الأم (٤/١٠)، مغني المحتاج (٤/٢٣٦)، الأحكام السلطانية للماوردي (١٣٣).

٢- أنظر آثار الحرب (١٧٢) نقلاً عن شرح السير الكبير (٤/٣٠٢)، بدائع الصنائع للكاساني (٧/١٣٠)، حاشية ابن عابدين (٣/٢٥٠)، الإفصاح لابن هبيرة (٢١٨).

٣- المبسوط للسرخسي (١٠/١١٤).

ب- أن تكون متاخمة لدار الكفر (الحرب).

جـ- ألا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمناً بأمان المسلمين الذي كان يتمتع به، أي الأمان الأول الذي أقرّه الشرع للمسلم، وأقرّه الشرع للذمي بعقد الذمة.

وبناء على رأي جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية وأحمد والصاحبين من الحنفية: أن الأقاليم الإسلامية التي تحكم بغير ما أنزل الله لم تعد دار إسلام بل أصبحت دار حرب[1] وهذا رأي الأستاذ محمد أبي زهرة.

٣- أما ابن تيمية: فهو يرى أنها دار ثالثة (الدار التي كان يسود فيها شرع الله ، ثم تغير الحكم بقانون من وضع البشر(وضعي)، فالدار خرجت عن كونها دار إسلام ولكنها لم تصبح دار حرب).

فهي دار ثالثة: وضرب ابن تيمية مثالاً لهذه الدار بـ (ماردين) التي كانت من دار الإسلام ينفذ فيها شرع الله. ثم استولى عليها مجموعة من الكفار وعطلوا شرع الله.

## رأي الشرع في الحكام الذين يحكمون بالقوانين الوضعية ويعطلون شرع الله:

اتفق السلف والخلف على قاعدة شرعية: (من أحل الحرام فقد كفر ومن حرم الحلال فقد كفر). **(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب اليم)** (الشورى: ٢١).

فهم شركاء، فالتشريع بغير ما أنزل الله شرك بالله: **(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)** (التوبة: ٣١).

وقد فسرها ﷺ لعدي بن حاتم عندما قال: يا رسول الله ما عبدوهم فقال ﷺ: **(بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم)**[2].

وعندما حاول هولاكو -حفيد جنكيز خان- أن يحكم بقانون جنكيز خان (الياسق أو الياسا) أي (السياسات الملكية): وقد بين ابن كثير في البداية والنهاية[3] -بعد أن استعرض بعض سخافات الياسق- الحكم الشرعي لمن حكم بالياسق (من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله -خاتم الأنبياء-، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة، فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه، لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين).

وما أجمل كلمة الأستاذ أحمد شاكر عند قوله تعالى: **(أفحكم الجاهلية يبغون...)** (المائدة: ٥٠).

أو يجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا الدين واعتقاده والعمل به عالماً أو جاهلاً؟! أفيجوز لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدين الجديد؟! أعني التشريع الجديد، أو يجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا الياسق العصري.

إن ولاية القضاء في هذه الحال باطلة بطلاناً أصلياً لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة. إن الأمر في هذه القوانين الوضعية؛ واضح وضوح الشمس: هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب إلى الإسلام، -كائناً من كان- في العمل بها، أو الخضوع لها، أو إقرارها. فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرىء حسيب نفسه[4]. التشريع بغير ما أنزل الله كفر ينقل عن الملة (يخرج من الإسلام)، وعليه فالتشريع (سنّ القوانين) بغير ما أنزل الله كفر ينقل عن الملة لأنه تحليل الحرام أو تحريم الحلال

قال ابن تيمية: (من حرم الخبز فقد كفر بالإجماع، ومن أحل النظرة فقد كفر بالإجماع). ولا فرق بين الحاكم الذي يسن قانوناً يقول فيه: إن عقوبة السارق سجن شهرين، وبين الحاكم الذي يسن قانوناً يقول فيه: صلاة المغرب أربع ركعات.

ولذا فالتشريع (أي إخراج القوانين وسنّها) كفر ينقل عن الملة

## الحكم بغير ما أنزل الله:

أما الذي يطبق القوانين الوضعية (يحكم بغير ما أنزل الله ) فإن سوّى في الحكم بين الإسلام وبين القوانين الوضعية، أو رأى

١- الجريمة والعقاب لأبي زهرة (٣٦٢)
٢- رواه الترمذي، أنظر تفسير ابن كثير (٢/ ١١١)
٣- أنظر البداية والنهاية (١٣/ ١١٨).
٤- عمدة التفسير لأحمد شاكر (٤/ ١٠١)

أن القوانين الوضعية أفضل للمجتمع، وتقل المشاكل بتطبيقها، أو رأى جواز الحكم بالقوانين الوضعية، فهذا كافر خارج من الم

فالحاكم الأعلى في أية دولة إذا طبق غير شرع الله: فهو كافر خارج من الملة، والمشرع (الذي يصوغ القوانين الوض ومجلس النواب (الأمة) الذي يقر القوانين الوضعية: خارج عن الملة، إذا كان يعلم الحكم الشرعي -أما الجاهل بالحكم الفقهي القضية العظيمة: فهو معذور: إذ أن الجهل عذر في الأصول وفي الفروع -كما قرر كثير من العلماء- منهم ابن تيمية، وابن القي كان ابن تيمية يقول للجهمية: (لو قلت بقولكم لكفرت، ولكني لا أكفركم لأنكم جهال).

وكذلك رأيت ابن القيم ينص على أن الذين يستغيثون بأصحاب القبور من الأنبياء والأولياء -لا نكفر الجهال منهم-.

## كلمة لعبد القادر عودة:

-الشهيد الذي أعدمه عبد الناصر سنة (١٩٥٤م) (صاحب كتاب التشريع الجنائي في الإسلام)-.

بعد أن أورد آية **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** (وإذا كان هذا هو حكم الإسلام الذي عطلته، ولا زالت الحكومات في البلاد الإسلامية، فإن كل ذي عقل يستطيع أن يدرك بسهولة مدى حظ هذه الحكومات من الإسلام، وأن يقول متحرج: أن هذه الحكومات تدعو المسلمين إلى الكفر وتحملهم عليه)[١].

أما حكم القاضي الذي يطبق الأحكام الوضعية (غير الشرعية) فهو ليس كافراً ولكنه ظالم فاسق -والله أعلم-، وعمله وراتبه حرام.

## رأي العلماء الأفغان في كابل الآن (تحت حكم نجيب [٢] أو عندما كانت تحت حكم الروس):-

اختلفت وجهات نظر العلماء الأفغان في حكم أفغانستان الآن أهي دار حرب أم دار إسلام؟ وأشهر الأقوال رأيان:

١- الرأي الأول: وهو رأي أغلبية علماء أفغانستان: أن كابل لم تتحول من دار إسلام، إلى دار حرب. أخذاً برأي أبي ح السابق، الذي يشترط شروطاً ثلاثة لتحول الدار (تغير القانون، متاخمة ديار الكفر، عدم أمن المسلمين والذميين على دينهم وأمو وأعراضهم[٣].

فهم يرون أن الشرط الثالث لم يتحقق ولذا لم تصبح كابل دار حرب، وهذا رأي جمهور علماء شمال أفغانستان.

٢- الرأي الثاني: رأي بعض علماء جنوب أفغانستان: أن أفغانستان دار حرب، ولذا أفتوا بتعطيل صلاة الجمعة في المسا ويبدو أنهم أخذوا برأي الصاحبين (أي أبي يوسف ومحمد بن الحسن).

ونحن نرى أن أفغانستان دار ثالثة: مثل (ماردين) فلا هي دار إسلام، ولا هي دار كفر (دار حرب) إذ يطبق عليها بعض أح دار الإسلام وبعض أحكام دار الحرب.

## الأحكام التي تختلف باختلاف الدار:-

**١- إقامة الحدود:**

يرى الحنفية أن الحدود لا تقام في دار الحرب، ولو اقترف المسلم في دار الحرب ذنباً قد حدد له الشارع حداً، فإن الذنب الجريمة تقع ولا مقتضى أو موجب لحدّها، وذلك لأن إقامة الحدود تعتمد على الولاية، ولا ولاية لقائد المعركة في دار الحرب، وكذلك قتل مسلم آخر فإنه لا يقتص من القاتل إذا خرج إلى دار الإسلام، فلو سرق المسلم، أو زنى، أو شرب خمراً، أو قذف مسلماً دار الحرب فإنه لا يقام عليه الحد لا في دار الحرب، ولا في دار الإسلام، بعد أن يعود، لأن الفاحشة لم تقع موجبة للحد أصلاً.

ويستثني الحنفية من هذا كله حالة واحدة وهي: إذا كان قائد الجيش هو الخليفة نفسه أو أمير القطر بكامله، كأمير خراس

---

١- الإسلام وأوضاعنا القانونية لعبد القادر عوده ص(٧١).

٢- حاكم أفغانستان في أواخر الحكم الشيوعي.

٣- قال الكاساني في البدائع (١٢١/٧): (قول أبي حنيفة أن المقصود من إضافة الدار إلى الإسلام أو الكفر ليس هو عين الإسلام والكفر وإنما المقصود هو الأمن والخوف ومعنا الأمان إن كان للمسلمين على الإطلاق والخوف للكفرة على الإطلاق فهي دار إسلام، وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق والخوف للمسلمين على الإطلاق فهي دار الكفر).

## وجوب الهجرة من أجل الجهاد:

وهنالك هجرة أخرى واجبة لا تنقطع إلى يوم القيامة، وهي الهجرة من أجل الجهاد، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وابن حبان: **[إن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد]**.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وابن حبان والنسائي: **[لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار]**.

وقد تكفل رسول الله ﷺ للمهاجر في سبيل الله بالجنة ويشره بالشهادة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم وابن حبان عن فضالة بن عبيد قال: قال ﷺ: **[أنا زعيم لمن آمن بي، وأسلم، وهاجر ببيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة]**.

وأما بشرى الشهادة فقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري قال ﷺ: **[من فصل في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد، أو وقصته فرسه، أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه، أو بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة]**.

## واجبات الدولة الإسلامية:

إن أهم مميزات دار الإسلام أن تقوم فيها دولة إسلامية تطبق شرع الله، ويقوم على رأس الدولة أمير يبايع بيعة شرعية من قبل الأمة، ويناط به تطبيق الشريعة، وحماية دين الله، وتوفير الأمن لدين الناس، ودمائهم، وأعراضهم، وأموالهم.

والواجبات التي تلقى على عاتق أمير المؤمنين كثيرة، وقد حدد الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية ص١٥) وابن جماعة في كتابه (تحرير الأحكام ص٦٥) وأبو يعلى الفراء (الأحكام السلطانية ص١١)، واجبات أمير المؤمنين (رئيس الدولة الإسلامية) بعشرة واجبات[1].

**الأول**: حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، أي: إقامة الدين على وجهه الصحيح بتعبيرنا العصري.

**الثاني**: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم، أي إقامة العدل بين الناس وتنفيذ الأحكام.

**الثالث**: حماية البيضة والذب عن الحوزة ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين، أي نشر الأمن في الداخل.

**الرابع**: إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك، أي تنفيذ عقوبات جرائم الحدود وجرائم القصاص.

**الخامس**: تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا يظفر الأعداء بغرّة ينتهكون بها محرماً، ويسفكون فيها دما لمسلم أو معاهد، أي حماية الأمن الخارجي بالعدة والاستعداد الدائمين.

**السادس**: جباية الفيء والصدقات مع ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير عسف[2].

**الثامن**: تقدير العطاء، وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

**التاسع**: استكفاء الأمناء، وتقليد العظماء فيما يفوضه إليهم من الأعمال.

**العاشر**: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة.

هذه هي واجبات الإمام كما حددها بعض الفقهاء، وهي تدخل جميعاً تحت واجبين اثنين هما: إقامة الدين وإدارة شئون الدولة في حدوده.

## العلاقات التجارية بين دار الإسلام ودار الحرب:

لا شك أن الاقتصاد أحد العوامل الكبرى التي تقوم عليها الدول.

ولا شك أن المسلمين والكفار كل يسلك الطرق التي تؤدي إلى كسبه المعركة وانتصاره في ميدان القتال. إلا أن الفرق بين المسلمين والكافرين: أن الشرع يضبط معاملات المسلمين بدائرة الحلال التي رسمها الشرع، ولا يجيز الإسلام اتباع الأساليب

خيصة، والطرق الخسيسة من أجل الوصول إلى الغاية، إذ أن الغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، والإسلام يدحض قول ميكا (الغاية تبرر الوسيلة)، أو قول لينين (في سبيل المصلحة افعل ما شئت). فالإسلام مثلاً يحترم العهود والمواثيق، ولا يجيز فتح م العدو بنكث عهد، أو نقض ميثاق، وكذلك لا يبيح الإسلام قتل الأولاد واختطاف النساء من أجل الضغط على العدو.

أما بالنسبة للمعاملات التجارية بين المسلمين والكفار أثناء الحرب، فعندما وضع الفقهاء قواعدهم في التجارة إنما بنوها تصورهم فيما يكون فيه خير للمسلمين، وتضييق على الكافرين.

١- فالإمام مالك مثلاً: يجيز الاستيراد من بلاد الكفار، ويرى السماح للتجار الحربيين بالدخول إلى بلاد الإسلام يحملون م تجاراتهم، ولأن في هذا تقوية للمسلمين، بينما يمنع الإمام مالك التصدير إلى بلاد الكفار لأن في هذا تقوية لهم[1].

بينما الشراء من مصنوعات الكفار في الواقع الدولي الآن، إنما يعتبر تقوية للكفار بإدخال العملة الصعبة إلى الدولة المصد ويعتبر البحث عن الأسواق التجارية التي تصرف فيها المنتجات للدول الكبرى أحد الأسباب الرئيسية التي سنت من أجلها الد الحديثة، وقام من أجلها الاستعمار.

وعلى كل حال فالقاعدة في الميدان التجاري عند الفقهاء: (يمنع تصدير أو استيراد أي شيء فيه تقوية للكفار). (يسمح بتص أو استيراد كل شيء فيه تقوية للمسلمين). فتصدير السلاح مثلاً حرام إلى بلاد الكفار وكذلك البترول الذي تدار فيه مصانع السا وكل آلات الحرب، حتى منع الفقهاء تصدير الحرير والديباج لأنه تصنع منه رايات الحرب، ويمنع تصدير الحديد الذي يصنع السلاح، فقد جاء في الفتاوى الهندية[2] (ولا يباع كل ما هو أصل في الحرب).

وفي العصر الحديث يمنع بيع النحاس والكوبالت والراديوم واليورانيوم (إذ منهما تصنع القنبلة الذرية). وقد قال الإمام في المدونة[3] (أما كل ما هو قوة على أهل الإسلام مما يتقوون به في حروبهم من كراع أو سلاح أو -خرثي- متاع أو شيء مما أنه قوة في الحرب من نحاس أو غيره فإنهم لا يباعون ذلك).

## نقاط التفتيش في الحدود:

وقد نصّ أبو يوسف[4]: أنه لا بد من وضع نقاط على الثغور لتفتيش الداخل والخارج: (وينبغي للإمام أن تكون له مس (أماكن حراسة) على المواقع التي تنفذ إلى بلاد الشرك من الطرق، فيفتشون من مرّ بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ وردّ، ومن كان معه رقيق-عبيد- ردّ (لأنه تقوية للكفار)، ومن كانت معه كتب قرئت كتبه).

**أدلة الجمهور:**

١- وقد استدل الجمهور بمنع تصدير السلاح للكفار بحديث عمران بن الحصين: أن رسول الله ﷺ: **{نهى عن بيع السلاح الفتنة}** قال البيهقي: الصواب أنه موقوف[5].

٢- قال الحسن البصري: لا يحل لمسلم أن يحمل إلى عدو المسلمين سلاحاً يقويهم به على المسلمين، ولا كراعاً، ولا ما يست به على السلاح والكراع[6] ومما استدل به الفقهاء المجيزون لإرسال الطعام إلى بلاد الحرب حديث ثمامة بن أثال الذي أسره ر الله ﷺ من اليمامة وربطه في المسجد، ثم منّ عليه فأسلم، والحديث كما رواه الشيخان -البخاري ومسلم-: **{أنه قال لأهل مكة، قالوا له صبوت فقال: إني والله ما صبوت ولكني والله أسلمت، وصدقت محمداً ﷺ، وآمنت به، وأيم الله الذي نفس ثمامة بيد تأتيكم حبة من اليمامة -وكانت ريف مكة- حتى يأذن فيها محمد ﷺ، وانصرف إلى بلده، ومنع الحمل إلى مكة حتى جه قريش، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ، يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يحمل إليهم الطعام ففعل رسول الله ﷺ}**[7].

## إغلاق الطرق المؤدية إلى المدن في أفغانستان:

لا شك أن إغلاق الطرق المؤدية إلى المدن التي بيد الشيوعيين: يؤدي إلى فقد المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار، واضط

---

١- المدونة (١٠٢/١٠)، أنظر آثار الحرب للزحيلي (٥١٣).
٢- الفتاوى الهندية لعالمجير (١٩٧/٢)
٣- انظر المدونة للإمام مالك (١٠٢/٣)
٤- أنظر كتاب الخراج لأبي يوسف (١٩٠).
٥- نصب الراية (٣٩١/٣) أنظر آثار الحرب (٥١٨).
٦- الكراع: بضم الكاف وفتح الراء تطلق على الدواب غالباً يراد بها الخيل، والكراع هي الأرجل لأن أرجل الخيل هي التي يستفاد منها في الحرب
٧- انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٨٦/١٢).

الأحوال، مما يعجل بإسقاط الحكم الشيوعي.

لكن سكان المدن الأفغانية من المسلمين، والتضييق عليهم بمنع وصول الدقيق -القمح- إلى كابل وغيرها؛ يؤدي إلى إحكام الخناق على السكان مما يؤدي إلى هجرتهم وإخلاء المدن، وقد أحكم المجاهدون الحصار على قندهار، فضاق السكان ذرعا بقلة الخبز، فخرجوا إلى حكمتيار وقالوا له: أيجوز شرعاً لكم أن تمنعوا عنا الغذاء حتى نموت، فقال لهم حكمتيار: أخرجوا ونحن نرتب لكم خياماً وغذاء. وقد سألت أحمد شاه مسعود: لماذا لا تحكمون الحصار على كابل؟ ولماذا لا تغلقون الطريق أمام القوافل المارة من روسيا إلى كابل (حيرتان-كابل) فقال أحمد شاه: هنالك أسباب:

١- أن إغلاق الطريق على كابل -الآن- لا يضر إلا الشعب، أما الحكومة الشيوعية فعندها المخازن المليئة بالمواد الغذائية.

٢- إن إغلاق الطريق على كابل يكلف كثيراً، وإغلاقه الآن لا يفيد ما دمنا لا نحاصر كابل ولسنا على أبواب فتحها، فإذا جاء الوقت المناسب للفتح أحكمنا الإغلاق من أجل تعجيل الإطاحة بالدولة.

## أخذ العشور من التجارة:

**التجارة قسمان:**

١- التجارة الداخلية: المواد والحبوب والصناعات التي تنتج في دار الإسلام وتباع في دار الإسلام، فهذه يحرم أخذ العشور منها.

قال الماوردي[1]: (وأما أعشار الأموال المتنقلة في دار الإسلام من بلد إلى بلد؛ فمحرمة لا يبيحها شرع، ولا يسوغها اجتهاد، ولا هي من سياسات العدل ولا من قضايا النصفة).

وقد روى أحمد وأبو داود الحديث: (**ليس على المسلمين عشور، إنما العشور على اليهود والنصارى**) وسكت عنه أبو داود والمنذري.

٢- التجارة الخارجية: التي تدخل من خارج بلاد الإسلام: فهذه اختلف الفقهاء في أخذ العشور عليها (الضرائب)، وأبرز المذاهب في القضية رأيان:

١- الرأي الأول: وهو رأي الجمهور من المالكية والحنبلية وبعض الشافعية أن يؤخذ العشر من الحربيين سواء اشترط سابقاً أم لا؟ وسواء كانوا يأخذون من تجارنا أم لا.

٢- الرأي الثاني: وهو رأي الحنفية: وهو مبدأ المعاملة بالمثل، أي: نأخذ منهم بقدر ما يأخذون منا، فإن لم يأخذوا منا، لا نأخذ منهم.

## أدلة الجمهور القائلين بأخذ العشر:

١- روى عمر أنه بعث أنس بن مالك رضي الله عنه مصدقاً في العشور، فقال أنس: يا أمير المؤمنين تقلدني في المكس في عملك؟ فقال له عمر رضي الله عنه: قد قلدتك ما قلدني رسول الله ﷺ، قلدني أمور العشور، وأمرني أن آخذ من المسلم ربع العشر، ومن الذمي نصف العشر، ومن الحربي العشر كله[2].

قال الشعبي فيما روى البيهقي[3]: أول من وضع العشر في الإسلام عمر.

٢- وعن زياد بن حدير قال: استعملني عمر على العشر، فأمرني أن آخذ من تجار أهل الحرب العشر، ومن تجار أهل الذمة نصف العشر ومن تجار المسلمين ربع العشر[4] قال ابن قدامة[5] فأخذ عمر من تجار الحربيين، واشتهر ذلك فيما بين الصحابة، وعمل به الخلفاء الراشدون بعده في كل عصر من غير نكير، فأي إجماع أقوى من هذا؟ ولم ينقل أنه شرط ذلك عليهم عند دخولهم، ولا يثبت ذلك بالتخمين من غير نقل، ولأن مطلق الأمر يحمل على المعهود في الشرع، وقد استمر أخذ العشر منهم في زمن الخلفاء الراشدين فيجب أخذه.

---

١- انظر (الأحكام السلطانية للماوردي ص٢٠١)    ٢- أنظر المغني (٥١٨/٨)    ٣- منتخب كنز العمال من مسند أحمد ص(٥٣٤)

٤- دار الحرب نقلاً عن الأموال لأبي عبيدة ص(٥٢٣)، ونيل الأوطار (٦٣/٨).    ٥- المغني لابن قدامة (٥٢٢/٨)

**أدلة الحنفية:**

وأما الحنفية فقد استدلوا بما يلي:

١- كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب: أن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشـ قال: فكتب إليه عمر، خذ منهم كما يأخذون من تجار المسلمين[١].

٢- عن أبي مجلز قال: قالوا لعمر كيف نأخذ من أهل الحرب إذا قدموا علينا؟ قال كيف يأخذون منكم إذا دخلتم اليهم؟ قا العشر. قال: فكذلك خذوا منهم. فهذا هو ضابط المعاملة بالمثل[٢].

**الرأي الراجح عندنا:**

نحن نرى أن هذا الأمر من السياسة الشرعية التي يرجع تقريرها إلى أولي الأمر -أمير المؤمنين- وهو يقدر المصلحة الراجـ ويعمل بها فيما يعود بالنفع للإسلام والمسلمين. ولذا فإننا نرى أن مذهب الحنفية يعطي للأمر مرونة، ويجعل ولي الأمر في سعة يتخذ القرار المناسب للمسلمين. ولا يجعله مقيداً بالعشر، فالبلاد قد تحتاج إلى المواد الغذائية أو المعادن أو المصنوعات، فيكون لو الأمر الحرية في إعفاء تجارة الحربيين من الضرائب والعشور. وهذا الرأي كذلك ذهب إليه الحنبلية والمالكية الذين يرون بوجوب أ العشر، فقد اضطروا أحياناً أن يفتوا بمخالفة أخذ العشر بالنقصان أو الزيادة أو الإعفاء كلياً إذا كانت بلاد المسلمين بحاجة إ التجارة.

فقد روى ابن عمر قال: (كان عمر يأخذ من النبط -من الزيت والحنطة- نصف العشر لكي يكثر الحمل إلى المدينة ويأخذ القطنية العشر)[٣].

قال ابن قدامة[٤] : (وهذا الأثر يدل على أنه يخفف عنه إذا رأى المصلحة فيه، وله الترك أيضاً إذا رأى المصلحة).

وقال العدوي من المالكية: (لا يؤخذ على حمل الطعام إلى الحرمين وما والاهما أكثر من نصف العشر، وذلك للإغراء بتكـ حمله إلى هذه البقاع مع شدة حاجة أهلها)[٥].

وقال الماوردي من الشافعية[٦]: (إذا رأى الإمام أن يسقط عن أهل الحرب تعشير أموالهم بحادث اقتضاه نظراً لجدب أو قـ أو لخوف من قوة تجددت لهم جاز إسقاطه عنهم).

## نصاب التجارة التي يؤخذ منها العشور:

اختلف الفقهاء في المقدار الذي يؤخذ عليه العشور (الضرائب) أله نصاب لا يؤخذ من المقدار الذي يقل عنه -كالزكاة- يؤخذ من قليلها وكثيرها؟

١- مذهب الشافعية والمالكية إلى أنه: لا نصاب للتجارة التي يؤخذ عليها العشور.

٢- ومذهب الحنفية والحنبلية: إلى أنه لها نصاب.

فقال الحنفية: نصابها نصاب الزكاة (٢٠ ديناراً ذهباً أو مائتا درهم من الفضة).

وقال الحنبلية: نصابها نصف نصاب الزكاة.

وأرجح الأقوال قول الحنابلة، لأنهم اعتمدوا على نص منقول عن عمر، فقد استدل الحنابلة في تحديد النصاب بمائة درهم بـ فسر به عمر بن عبد العزيز قول عمر بن الخطاب في كتابه إلى زريق بن حيان: (من مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون ا التجارات من كل عشرين ديناراً ديناراً، فما نقص فحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير، فإن نقصت ثلث دينار فلا تأخذ منه شيئاً).

قال أبو عبيد[٧] : (فعشرة دنانير إنما هي معدولة بمائة درهم في الزكاة وهو عندنا تأويل حديث عمر بن الخطاب مع تفسـ عمر بن عبد العزيز، ولا يوجد في هذا مفسر هو أعلم منه، وهو قول سفيان الثوري).

---

١- شرح السير الكبير (٤/٢٨٤).
٢- آثار الحرب (٥٢٩) نقلاً عن أحكام أهل الذمة لابن القيم ص(٦٩
٣- آثار الحرب (٥٢٣) نقلاً عن نيل الأوطار (٨/٦٢) الأموال (٥٣٣)، والنبط: النصارى والقطنية: الحبوب والثياب.
٤- انظر المغني لابن قدامة (٨/٥٢٢).
٥- الشرح الصغير (١/٤١٧).
٦- آثار الحرب (٥٣٢) نقلاً عن الحاوي (١٩/١٩٩).
٧- انظر كتاب (الأموال لأبي عبيد) (٢٧).

## العشر يؤخذ مرة واحدة في العام:

يرى جمهور الفقهاء أن العشر لا يؤخذ من تجارة الحربي أو الذمي إلا عند دخول البضاعة البلد كما هو الحال في (مصلحة الجمارك الحدودية)، فالتاجر الذي يدخل البضاعة يدفع ضريبتها (عشرها أو نصف عشرها) ثم يعطى التاجر إيصالاً بهذا ولا يدفع عليها شيئاً أثناء تنقله بها في دار الإسلام.

ولا يؤخذ العشر إلا مرة واحدة في السنة: وقد قاس بعضهم هذا الحكم على الزكاة. وقد روى البيهقي عن زياد بن حدير: أن أباه كان يأخذ من نصراني في كل سنة مرتين، فأتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك يأخذ مني العشر في السنة مرتين فقال عمر: ليس ذلك له، إنما له في كل سنة مرة، ثم أتاه فقال: أنا الشيخ النصراني. فقال عمر: أنا الشيخ الحنيف قد كتبت لك في حاجتك[1].

## البضائع التي يؤخذ عليها العشر:

يؤخذ العشر أو نصفه على كل تجارة تدخل البلد، حتى الخمر والخنزير إذا سمحت الدولة الإسلامية بإدخالها للنصارى فإنها تعشّر، ولكن لا يؤخذ العشر من أعيانها، وإنما تقوّم ويؤخذ العشر من أثمانها نقداً. وهذا رأي الشافعية وأبي يوسف والمالكية ورأى الحنبلية[2]. فقد روي عن عمر (ولّوهم بيع الخمر والخنزير بعشرها). قال أبو عبيد ومعنى قول عمر رضي الله عنه (ولوهم بيعها وخذوا أنتم الثمن)[3].

وقد كان المسلمون يأخذون الخمر والخنزير جزية على الرؤوس، ثم يبيعها المسلمون، فاعترض عمر على ذلك، وكذلك بلال رضي الله عنهم، أما غير الخمر والخنزير والميتة فقد يؤخذ العشر من عينها أو من ثمنها.

**الفرق بين تعشير الذمي والحربي[4]:**

١- الذمي يؤخذ منه نصف العشر، وأما الحربي فيؤخذ منه العشر.

٢- الذمي يؤخذ منه نصف عشر ثمن بضاعته التي باعها، أما الحربي فيؤخذ منه عشر ثمن بضاعته عند دخول بلادنا باع أم لم يبع.

٣- لو كان الذمي مديناً وأثبت دينه فإنه يوضع عنه نصف العشر، أما الحربي فلا يصدق، ويؤخذ منه العشر ولو أثبت أنه مدين.

# آداب الجهاد

## منع المثلة والتشويه:

إن الإسلام دين يترفع عن الدنايا، وعن الأعمال الخسيسة، وعن الأحقاد الصغيرة التي تبرز في الانتقام من جثث الموتى. حتى أن سدنة الجاهلية كانوا يترفعون عن هذا الفعل، وإذا حصل فإنهم يتبرأون منه، فقد قال أبو سفيان بعد معركة أحد مخاطباً المسلمين: (إنكم ستجدون في القوم مثلة، ولكني لم آمر بها ولم تسؤني)[5].

**وقد اختلف الفقهاء حول المثلة على رأيين:**

١- الرأي الأول: رأي الحنفية والحنبلية الذين لا يجيزون المثلة ابتداء، ولكنهم يجيزونه إذا كان من قبيل الجزاء والمعاملة بالمثل.

٢- الرأي الثاني: رأي الشافعية والمالكية: بكراهة المثلة أو تحريمها، سواء كانت مبتدأة أو معاملة بالمثل.

## تعريف المثلة:

جاء في تهذيب اللغات للنووي (يقال مثّل بالقتيل والحيوان تمثل مثلاً بالتخفيف في الجميع كقتل يقتل قتلاً: إذا قطع أطرافه

١- منتخب كنز العمال من مسند أحمد (٢/٢٠١)، الأموال (٥٢٨).
٢- أنظر آثار الحرب (٥٣٦) نقلاً عن الأم (٤/١٢٥) الخراج لأبي يوسف (١٣٢) الشرح الصغير (١/٣١٦).
٣- الأموال ص(٥) والمغني (٨/٥٢٠).
٤- أنظر آثار الحرب (٥٤٦) نقلاً عن الخراج (١٣٣) وحاشية الدسوقي(٢/١٧٥)، المغني (٨/٥١٩).
٥- رواه البخاري/العيني(١٠٣).

وأنفه أو أذنه أو مذاكيره ونحو ذلك، والاسم: المثلة قالوا: وأما مثّل بالتشديد فهو للمبالغة. قال الباجي: يريد العبث في قتلهم بـ الأيدي، والأرجل، وفقء العين، وقطع الآذان، وإنما يقتل من أسر منهم بضرب الرقاب)[1].

وقد استدل الحنفية والحنبلية على رأيهم بحديث العرنيّن في الصحيحين[2] عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رهطاً من ثمانية قدموا على النبي ﷺ فاجتووا المدينة، فقالوا: يا رسول الله ابغنا رسلاً، قال: **(ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالذود)**، فانطلقوا فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صحّوا وسمنوا، وقتلوا الراعي واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم، فأتى الصريخ النبي ﷺ، فبعث الطلب، فما ترجل النهار حتى أتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون يسقون حتى ماتوا. قال أبو قلابة: قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله ﷺ وسعوا في الأرض فساداً.

قال الكرماني: (إنه ﷺ فعل بهم مثل ما فعلوا بالراعي من سمل العين ونحوه. ويؤول (لا تعذبوا بعذاب الله) بما إذا لم يكن مقابلة فعل الجاني في الحديثين لوضع النهي والجزاء. واستدل منه البخاري أنه لما جاز تحريق أعينهم بالنار ولو كانوا لم يحرقوا أعين الرعاء أنه أولى بالجواز في تحريق المشرك إذا أحرق المسلم)[3].

أما أنها من قبيل المقابلة بالمثل فقد روى مسلم عن أنس: (إنما سمل النبي ﷺ أعين العرنيين لأنهم سملوا أعين الرعاة) وقام هذا الفريق بالجمع بين أحاديث النهي عن المثلة وبين حديث العرنيين ولم يعتبروا حديث العرنيين منسوخاً.

### أدلة الشافعية والمالكية:

يستدلون بحديث سليمان بن بريدة عن أبيه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه... اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)[4].

وروى البخاري: **(نهى رسول الله ﷺ عن المثلة)** والبيهقي **(كان رسول الله ﷺ يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة)**.

وقد اعتبر هذا الفريق من الفقهاء أحاديث النهي عن المثلة ناسخة لحديث العرنيين.

قال ابن سيرين بعد ذكر حديث العرنيين: إن ذلك قبل أن تنزل الحدود، وقال سعيد بن جبير بعد ذكر حديث العرنيين: فما مثّل رسول الله ﷺ قبل ولا بعد، ونهى عن المثلة وقال: لا تمثلوا بشيء.

### الترجيح:

نحن نرجح مذهب الشافعية والمالكية بمنع المثلة، لأنه يتمشى مع القواعد العامة للإسلام، ويتفق مع الروح التي تسري في تعاليم هذا الدين، وقد ورد عن الزهري: (لم يحمل إلى النبي ﷺ رأس قط، وحمل إلى أبي بكر رأس فأنكره، وأول من حملت إليه الرؤوس عبد الله بن الزبير) يوضحه ما روى البيهقي وعبد الرزاق عن عقبة بن عامر أن شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص بعثاه بريداً إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه برأس (ينّاق) فقال: أتحملون الجيف إلى مدينة رسول الله ﷺ؟ قلت: يا خليفة رسول الله إنهم يفعلون بنا هكذا، قال: لا تحملوا إلينا منهم شيئاً)[5].

فقول أبي بكر رضي الله عنه: يدل على منع المثلة وإن كان من قبيل المعاملة بالمثل.

### التحريق بالنار:

اختلف السلف في التحريق:

١- فكره ذلك عمر وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهما مطلقاً، سواء كان ذلك بسبب كفر أو في حال مقاتلة أو قصاصاً.

٢- وأجازه علي وخالد رضي الله عنهما.

وقد استدل الفريق الأول: بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: **(بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما في النار)**[6].

---

١- أوجز المسالك (٨/ ٢٣٩).
٢- العيني/البخاري (٨٦)، والذود من الثلاثة إلى العشرة من الإبل.
٣- أنظر العيني/البخاري (٨٧)
٤- رواه البخاري
٥- سنن البيهقي (٩/١٣٢)، منتخب كنز العمال من مسند أحمد (٢/٢٢٣)
٦- رواه البخاري (فتح الباري ٦/١١٢)

وفلاناً وفلاناً هما: هبّار بن الأسود ونافع بن عبد قيس، وكانا قد نخسا بعير زينب بنت رسول الله ﷺ أثناء هجرتها، فأسقطت، ومرضت، وآخر الحديث في البخاري [...ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: **إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما**].

٢- ومما استدلوا به أيضاً حديث عكرمة: [أن علياً رضي الله عنه حرق قوماً، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لأن النبي ﷺ قال: لا تعذبوا بعذاب الله][١].

أما أدلة الفريق الثاني:

فهو كما قال المهلب: هذا النهي ليس على التحريم بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة وقد سمل النبي ﷺ أعين العرنيين بالحديد المحمى، وقد حرق أبو بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة، وحرق خالد بن الوليد بالنار ناساً من أهل الردة.

وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب.

وأجاز الحنفية تحريق الحصون بالنار وإن كان فيها مسلمون.

قال السرخسي في المبسوط[٢]: (ولا بأس بإرساله الماء إلى مدينة أهل الحرب، واحراقهم بالنار، ورميهم بالمنجنيق، وإن كان فيهم أطفال أو ناس من المسلمين... فقد نصب النبي ﷺ المنجنيق على الطائف، وأحرق قصر عوف بن مالك) (ولا يمتنع تحريق حصونهم بكون النساء والولدان فيها، وكذلك لا يمتنع تحريقهم بكون الأسير المسلم فيها ولكن يقصدون المشركين)[٣].

**رأينا في التحريق:**

نحن نرى منع التحريق بالنار إذا استطعنا أن نقتلهم بطريقة أخرى، لأن الأحاديث الواردة تقتضي الكراهة أو التحريم، هذا إذا كانوا في قبضتنا وبإمكاننا قتلهم بالسيف.

أما إذا كانوا في مدينة ممتنعة، أو حصن حصين، أو مركب في بحر، ونحن نريد أن نقتلهم من بعيد، فلا بأس من استعمال النار للحريق والقتل.

وفي الأصول: إذا تعارض النهي مع الإباحة قدم النهي، فهنالك أحاديث في النهي وهنالك حديث العرنيين يبيح فيقدم النهي على الإباحة، كما يقدم الحرام على الواجب والمندوب والمباح، ويقدم المكروه على المباح والمندوب.

قال الشافعي[٤]: (وإذا أسر المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم، قتلوهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك إلى أن يمثلوا بقطع يد، والأرجل، ولا عضو، ولا مفصل، ولا بقر بطن، ولا تحريق، ولا تغريق، ولا شيء يعدو ما وصفت، لأن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة وقتل من قتل كما وصفت).

## دفن جيف المشركين وعدم أخذ أثمان جيفهم:

وهذا باب في البخاري[٥].

ومن آداب الجهاد دفن جيف أجساد القتلى من المشركين، وإذا أرادوا أخذها ودفع ثمنها فالأولى عدم أخذ الثمن. فقد ألقى رسول الله ﷺ جثث زعماء قريش يوم بدر في القليب، وحفر لبني قريظة الخنادق عند قتلهم.

وقد ذكر ابن إسحق في المغازي أن المشركين سألوا النبي ﷺ أن يبيعهم جسد نوفل بن عبد الله بن المغيرة وكان اقتحم الخندق، فقال النبي ﷺ: **[لا حاجة لنا بثمنه ولا جسده]** فقال ابن هشام: بلغنا عن الزهري أنهم بذلوا فيه عشرة آلاف[٦].

وفي المبسوط للسرخسي[٧]: (عن بيع جيف الكفار، قال أبو يوسف: قال أبو حنيفة: لا بأس به في دار الحرب، قال أبو يوسف: أكره ذلك وأنهى عنه).

---

١- فتح الباري (٦/١١٢). ٢- أنظر المبسوط للسرخسي (١٠/٦٤) ٣- أنظر المبسوط للسرخسي (١٠/٣٢). ٤- (الأم) للشافعي (٤/ ١٦٢).
٥- العيني/البخاري (٢٥١) وفتح الباري (٦/٢١٧). ٦- فتح الباري (٦/٢١٧). ٧- المبسوط للسرخسي (١٠/١٢٨)

## النهي عن السفر بالمصحف الى أرض الكفار:

فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: [أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو][1].

قال مالك: وإنما ذلك لمخافة أن يناله العدو.

واختلف الفقهاء في حكم السفر بالقرآن إلى أرض الكفار على أقوال:

١- فذهب الشافعية والحنفية والبخاري: إلى جواز السفر بالقرآن إذا أمنا على المصحف من الاستهانة والاستخفاف من ق الكافر.

قال النووي: (فيه النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة، وهي مخافة أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإ أمنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم فلا كراهة ولا منع عنه حينئذ لعدم العلة هذا هو الصحيح).

٢- وذهب مالك وأصحابه إلى عدم الجواز مطلقاً.

ونحن نرجح المذهب الأول: القائل بالجواز إذا أمن الاستخفاف بالمصحف، ونقول: لم تكن المصاحف مطبوعة بهذا الشكل وبـ الحجم الصغير الذي يوضع في الجيب الصغير، ويحفظ ويؤمن عليه، ونقول كذلك: كيف يمكن المسلم أن يسافر إلى بلاد الكفر دون أ يكون معه زاده (الكتاب والسنة).

وإني لأعجب من الشاب المسلم الذي أسأله في أرض المعركة أين مصحفك فيقول نسيته في بيشاور. إن هذا الجواب يهزنـ كيف بامكان المسلم أن يعيش دون كتاب ربه في أرض الرباط سنة أو أكثر أو أقل، دون أن يكون معه حبيبه الذي به يترنم ويتـ ويأنس ويفرح؟! أمر عجيب غريب لا تحتمله نفسي.

## بيع القرآن للكافر:

لا خلاف في تحريم بيع المصحف للكافر حتى لا يستهين به.

## إهداء القرآن للكافر:

قال الباجي (المالكي) ولو أن أحداً من الكفار رغب أن يرسل إليه بمصحف يتدبره، لم يرسل إليه لأنه نجس جنب لا يجوز مس المصحف[2].

## كتابة رسالة لكافر فيها آيات قرآنية:

أما هذه فلا خلاف في جوازها، لأن رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء....).

**ومن آداب الجهاد:**

## منع قتل الضعفاء (غير المقاتلة):

لقد شرع الإسلام القتال لتحطيم الحواجز أمام الدعوة الإسلامية، سواء كانت هذه الحواجز عقبات سياسية، أو عسكرية، أ اقتصادية، أو اجتماعية.

ولذا فإننا نرى في التوجيهات النبوية الكريمة للغزاة ما يحرم قتل النساء والولدان في روايات كثيرة، والسبب أنهم لا يقاتلو واتفق الجميع -كما قال ابن بطال وغيره- على منع القصد إلى قتل النساء والولدان، أما النساء فلضعفهن. وأما الولدان فلقصوره عن فعل الكفر، ولما في استبقائهم جميعاً من الانتفاع بهم[3].

وقد روى الطحاوي عن تسعة أناس من الصحابة: النهي عن قتل النساء والصبيان[4].

قال النووي[5]: أجمع العلماء على تحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا، فإن قاتلوا، قال جماهير العلماء: يقتلون.

---

١ فتح الباري (٦/١٠٠). ٢- (أوجز المسالك إلى موطأ مالك) (٨/٢١٨) ٣- فتح الباري (٦/١١١).
٤ العيني/البخاري (١٥/٨٠). ٥- النووي/مسلم (١٢/٤٨).

## القاعدة (من قاتل يقتل):

القاعدة من قاتل يقتل ولو كان امرأة أو راهباً أو خادماً.

فقد ورد النهي عن قتل النساء والولدان في الصحيحين بروايات كثيرة، هذا في الحالات العادية، منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: **(وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان)**[1].

أما إذا قاتلت المرأة فإنها تقتل عند جمهور الفقهاء، فقد قتل ﷺ امرأة يهودية يوم قريظة لأنها ألقت رحى على محمود بن مسلمة، وقتل الزبير بن باطا يوم الأحزاب، وكان أعمى لمظاهرته على المسلمين مع قومه.

أما المالكية فإنهم بالغوا كثيراً في حقن دم المرأة ولو شاركت في القتال بالصياح أو الحراسة على الأسوار كما قال الباجي وابن سحنون[2].

واستدل المالكية بعدم قتل المرأة ولو شاركت في الصياح ضد المجاهدين بالحديث الذي رواه مالك في الموطأ عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك: **[نهى رسول الله ﷺ الذين قتلوا بن أبي الحقيق عن قتل النساء والولدان، قال: فكان رجل منهم يقول: برحت بنا امرأة ابن أبي الحقيق بالصياح فأرفع السيف، ثم أذكر نهي رسول الله ﷺ فأكف، ولولا ذاك لاسترحنا]**[3].

ومعنى برح به: شق عليه، وبرح الخفاء إذا ظهر.

والرأي الراجح الذي نميل إليه: أنها إن شاركت في القتال برأي، أو صياح، أو حراسة، فإنها تقتل، وهذا رأي الشافعية.

## قتل الأجير والفلاحين الذين يعملون في أراضيهم:

يرى بعض الفقهاء أن الأجير لا يقتل لأنه لا يتدخل في الحرب، وكذلك الفلاحون الذين لا صلة لهم بهذه الأمور ولا يشاركون لا برأي ولا بيد، وقد استدلوا برواية أبي داود والنسائي وابن حبان لحديث رباح بن الربيع أن رسول الله ﷺ قال: **[كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فرأى الناس مجتمعين، فرأى امرأة مقتولة، فقال: ما كانت هذه لتقاتل... فقال لأحدهم: الحق خالداً فقل له لا تقتل ذرية ولا عسيفاً]**[4].

وقد روى الإمام أحمد والبيهقي: **[نهى رسول الله ﷺ عن قتل الوصفاء -العبيد- والعسفاء]**.

أما الفلاحون فقد جاء في كتاب عمر: (اتقوا الله في الفلاحين فلا تقتلوهم إلا أن ينصبوا لكم الحرب)[5].

وكذلك التجار فقد روى البيهقي: (كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يقتلون تجار المشركين)[6].

## قتل الرهبان:

يرى جمهور الفقهاء -عدا الشافعية- أن الراهب المعتزل في صومعته، ولا يختلط بالناس فإنه لا يقتل.

وأما الشمامسة (كبار القوم وأئمة الكفر) فإنهم يقتلون، لأن النصارى يصدرون عن آرائهم غالباً، وكذلك يقتل القسيس الذي في الكنيسة ويختلط مع الناس.

أما الشافعية: فيرون قتله على كل حال لأنهم يقتلون ماعدا النساء والولدان الذين خصصهم النص عن الآية الكريمة **(فاقتلوا المشركين....)**.

ويستدل للشافعية بحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: **[اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم]**[7].

واستدل الجمهور بأحاديث رواها أحمد والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما: **(لا تقتلوا أصحاب الصوامع)**.

وبوصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم (أنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعهم وما حبسوا أنفسهم له، وستجد قوماً فحصوا من أوساط رؤوسهم من الشعر فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف)[8].

---

١- المصادر الثلاثة السابقة   ٢- أوجز المسالك (٨/٢٢٢).   ٣- أوجز المسالك (٨/ ٢٢).   ٤- فتح الباري (٦/١١١)، والعسيف هو الأجير وزناً ومعنى

٥- البيهقي (٩/٩١)   ٦- البيهقي (٩/٩٩).   ٧- الترمذي (٢/٢٩٩)   ٨- أوجز المسالك (٨/٢٢٧)

ومعنى -زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله- قال الباجي المالكي: (يريد الرهبان الذين حبسوا أنفسهم عن مخالطة الناس، وأقبلو على ما يدعون من العبادة، وكفوا عن معاونة أهل ملتهم برأي، أو مال، أو حرب، أو أخبار، فهؤلاء لا يقتلون سواء كانوا في صوامع أ ديارات (أديرة) أو غيران -مغاور-، أما رهبان الكنائس فقال ابن حبيب المالكي يقتلون لأنهم لم يعتزلوا أهل ملتهم)[1] ولا يسبى الرهبان ولا يخرجون من صوامعهم بخلاف الشافعي في قوله (يسبون ويسترقون)[2].

وفي المبسوط للسرخسي[3] عن قتل الضعفاء قال أبو يوسف: (سألت أبا حنيفة عن قتل النساء، والصبيان، والشيخ الكبير الذي لا يطيق القتال، والذين بهم زمانة لا يطيقون القتال، فنهى عن ذلك وكرهه.

وعن قتل الرهبان: قال أبو يوسف ومحمد ورواية السِّير الكبير عن أبي حنيفة. لا يقتلون.

وفي رواية: قال أبو يوسف: سألت أبا حنيفة عن أصحاب الصوامع، والرهبان، فرأى قتلهم حسناً وقال: هؤلاء أئمة الكفر.

والجمع بين روايتي أبي حنيفة: الخلطة مع الناس. فمن اختلط يقتل ومن لم يختلط لا يقتل).

قال ابن عابدين: وفي السِّير الكبير: لا يقتل الراهب في صومعته، ولا أهل الكنائس الذين لا يخالطون الناس، فإن خالطوا قتلو كالقسيس.

ومعنى (فحصوا عن أوساط رءوسهم من الشعر) فحصوا: كشفوا أوساط رءوسهم بالحلاقة وهم الشمامسة (رؤساء النصارى جمع شماس)، فاضربوا ما فحصوا عنه بالسيف: اقتلوهم.

## مال الراهب:

روى ابن نافع عن مالك في الراهب له الغُنَيْمَة (الغنم القليل) والزرع في أرض الروم، أنه لا يعرض له وذلك يسير ولا يعرض لبقره ولا لغنمه إذا عرف أنها له، وقال سحنون: معنى قول مالك إذا كان قليلاً قدر عيشه، وأما ما جاوز ذلك فلا يترك له. ومعنى قول سحنون: لأن في استئصال ماله قتل له أو إنزاله عن موضعه وهذا غير جائز[4].

## متى يرفع الحرج في قتل النساء والصبيان والضعفاء:

### يرفع الحرج ويزول الإثم إذا قتل الضعفاء في حالتين:

١- حالة الغارات والقصف الثقيل بالهاون والمدافع، على المدن، والمعسكرات، والقرى، والتجمعات الكافرة. وهذا رأي جمهور الفقهاء: استناداً إلى حديث البخاري عن الصعب بن جثامة رضي الله عنه قال: **(مر بي النبي ﷺ بالأبواء أو بودان، فسئل عن أهل الدار يبيَّتون من المشركين، فيصاب من نسائهم وذراريهم قال: هم منهم)**[5].

ومعنى يبيَّتون: أي يهجم عليهم أثناء البيات في الليل، والرجال مختلطون بالنساء والولدان قال هم منهم: لا يعني جواز قتله قصداً وإنما حكمهم كحكم آبائهم في رفع الإثم، ونفي الحرج، إذا لم نستطع الخلاص والوصول إلى آبائهم إلا بقتلهم.

وقد جمع الفقهاء بين هذا الحديث وحديث (النهي عن قتل النساء والولدان) بأن الإثم رفع في هذه الحالة بسبب اختلاطهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والطاعة على قدر الطاقة.

وفي حالة (النهي عن قتلهم) عندما ينفردون عن بعضهم ويمكننا عدم قتلهم عند قتل آبائهم؛ فهنا يحرم قتلهم إذا كانوا أسرى بقبضتنا وتحت أيدينا.

٢- حالة التترس: الحالة الثانية التي يرفع فيها الإثم والحرج في قتل الضعفاء: إذا اتخذ الكفار أطفالهم، ونساءهم، أو أسرى المسلمين ترسا (سداً) أمامهم يتقون به من ضربات المسلمين.

وقد نص جمهور الفقهاء على أنه يجوز رمي هذا الترس المكون من مجموعة لا يجوز قتلها ولا قتالها إذا انفردت، فدماء أسرى المسلمين حرام ولا يجوز قتلهم، وكذلك أطفال الكفار. وفي هذه الحالة يقصف الكفار ونقصد قتلهم دون قتل من حرّم قتلهم. فإن قتل بعض هؤلاء فلا إثم على المجاهدين ولا حرج؛ لأن هؤلاء غير مقصودين.

---

١- أوجز المسالك (٢٢٧/٨). ٢- أوجز المسالك (٢٢٧/٨). ٣- المبسوط (١٢٧/١٠). ٤- أوجز المسالك (٢٢٨/٨). ٥- فتح الباري (١١١/٦).

وقد عجبت للإمام مالك والأوزاعي: أنهما يخالفان اتفاق الأغلبية من الفقهاء فقد قالا: (لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال، حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان، أو تحصنوا بحصن أو سفينة، وجعلوا معهم النساء والصبيان: لم يجز رميهم ولا تحريقهم)[1].

ولعل مالكاً يرى أن حديث الصعب منسوخ، فقد أشار الزهري إلى نسخ حديث الصعب بن جثامة، فقد أخرج أبو داود رواية الصعب عن طريق الزهري، وذكر في آخره قال الزهري: ثم نهى رسول الله ﷺ بعد ذلك عن قتل النساء والولدان.

ورأي الجمهور هو الأرجح لأنهم يجمعون بين الحديثين، وقد أوصى رسول الله ﷺ يوم الفتح بمجموعة من الكفار بالقتل فقال: (اقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة) منهم جاريتان لعبد المطلب.

٣- الحالة الثالثة: التي يقتل فيها هؤلاء الضعفاء ولو انفردوا واستقلوا إذا شاركوا في المعركة برأي أو فعل أو مال، فقد ثبت في الصحيحين أن دريد بن الصمة قتل وعمره مائة وعشرون عاماً وهو أعمى، لأنه شارك في غزوة حنين برأيه ونصحهم أن يرجعوا النساء والولدان، فأبى عليه القائد مالك بن عوف، فقتله أبو عامر الأشعري بعد النصر في حنين وأوطاس.

وقتل المسلمون اليهودية التي قتلت محمود بن مسلمة بإلقاء الرحى عليه يوم قريظة.

قال النووي[2]: (أجمع العلماء على تحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا، فإن قاتلوا، قال جماهير العلماء: يقتلون).

## رأينا في المسألة:

نحن نرى أن المالكية قد تشددوا كثيراً في منع قتل النساء والولدان والعجزة والرهبان حتى في حالة التترس، فقد وقف المالكية على طرف نقيض لموقف الشافعية الذين أباحوا قتل الرهبان وكبار السن وكل من عدا النساء والولدان.

ونحن نرى كما يرى الحنفية في جواز قتل هؤلاء جميعاً إن اختلطوا في حالة التترس والغارات، ونرى عدم قتلهم جميعا إذا انفردوا عن المقاتله.لأن العلة في القتل هي المقاتلة: فمن كان من الكفار ذا قدرة على القتال قاتلناه، ولذا فإنا نرى الحنفية ينصون في باب الجزية أن هؤلاء جميعاً لا تؤخذ منهم الجزية لأنهم ليسوا أهل القتال.

قال الجصاص في أحكام القرآن[3]: (ولذا قال أصحابنا: إن لم يكن من أهل القتال فلا جزية عليه فقالوا: من كان أعمى، أو زمناً، أو مفلوجاً، أو شيخاً كبيراً فانياً وهو موسر، فلا جزية عليه، وهو قولهم جميعاً في الرواية المشهورة.. وكذلك النساء والصبيان لا جزية عليهم إذ ليسوا من أهل القتال... كتب عمر إلى أمراء الجيوش أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم).

والحق أن رأي الحنفية في هذا الباب راجح واضح.

أما الشافعية: فإن العلة في القتل هي الكفر، لأن الله عز وجل يقول: **(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)**[4] ولا يخصص من هذا العموم إلا النساء والصبيان وما عدا هؤلاء يقتلون.

وأما الرهبان فكذلك نأخذ برأي الحنفية وهو رأي الجمهور: أن الراهب الذي لا يخالط الناس لا يقتل، أما القساوسة الذين يخالطون الناس فيقتلون، وأما الشيخ الهرم فكذلك نأخذ برأي الحنفية وهو رأي الجمهور من المالكية والحنبلية أن لا يقتل: قال الباجي المالكي في شرح وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم: (يريد الشيخ الهرم الذي بلغ من السن ما لا يطيق القتال، ولا ينتفع به في رأي، ولا مدافعة، فهذا مذهب جمهور الفقهاء أن لا يقتل، وبه قال أبو حنيفة، ومالك، وللشافعي قولان: أحدهما مثل قول الجماعة، والثاني يقتل، والدليل لما نقوله، قول أبي بكر رضي الله عنه ولا مخالف له فثبت أنه إجماع)[5].

والأدلة والعقل بجانب الحنفية في هذا الموضوع، وإن النفس لتشمئز من قتل شيخ كبير في السبعين من عمره، أو قتل راهب منعزل عن الحياة والناس، فكيف إذا كانت النصوص تدعم هذا الرأي.

## قطع الشجر وتدمير البنيان:

ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنفية إلى جواز ذلك، لأن رسول الله ﷺ قطع بعض نخيل بني النضير، وبعض

---

١- أوجز المسالك (١٠/٢٢٤). ٢- النووي/مسلم (١٢/٤٨). ٣- أنظر أحكام القرآن للجصاص (٤/٢٨٩). ٤- في الطبعة الأولى من هذا الكتاب أخطأ الإخوة وكتبوا آية أخرى مكانها وهي (وإن أحد من المشركين استجارك) وهو خطأ من الصق الآيات وليس ممن أخرجه. ٥- أوجز المسالك (٨/٢٣١)

أعناب الطائف، وبعض نخيل خيبر، ونصب المنجنيق على الطائف، وأرسل أسامة بن زيد إلى أبنى وقال له: **(أغر على أبنى صباحاً وحرّق)**.

قال الباجي: (أما ما كان من البلاد مما يرجى أن يظهر عليه المسلمون فإنه لا يقطع شجره المثمر، ولا يخرب عماره، لما يرجى من استيلاء الإسلام عليه وانتفاعهم به، وما كان بحيث لا يرجى مقام المسلمين به لبعده في بلاد الكفر، فإنه يخرب عامره، ويقطع شجره المثمر وغيره، لأن في ذلك إضعافاً لهم وتوهيناً وإتلافاً لما يتقوون به على المسلمين.

قال مالك: إنما نهى الصدّيق عن إخراب الشام؛ لأنه علم مصيرها للمسلمين.

قال الشافعي في الأم: (يقطع النخل ويحرق كل ما لا روح فيه)

أما الحنابلة والأوزاعي: فقد خالفوا الجمهور في هذا، فقد كره أحمد تخريب العامر إلا من حاجة لذلك، قال الخرقي: (لا يقطع شجرهم، ولا يحرق زرعهم؛ إلا أن يكونوا يفعلون ذلك في بلادنا، فيفعل ذلك لينتهوا).

رأينا:

نرجح رأي الجمهور لأن كل ما فيه توهين للعدو يفعل، إلا ما ورد فيه نص بالنهي.

## قتل الحيوانات:

١- ذهب الحنفية والمالكية إلى جوازقتل حيوانات الكفار كلها إذا عجزنا عن أخذها، سواء كانت مأكولة كالأنعام: (الإبل والغنم والبقر)، أو مركوبة كالخيل والبغال والحمير، لأن فعل كل ما فيه إنهاك للعدو وإضعاف لقوته فهو جائز، حتى نص المالكية: أنه يجوز قتل الحيوانات المأكولة، وإذا كان الكفار يرون جواز أكل الميتة؛ فإنها تحرق حتى لا يستفيدوا منها.

٢- ذهب الشافعية والحنبلية: إلى عدم جواز قتل أو عقر أو حرق الحيوانات التي لا نستطيع أخذها من الكفار. واستدلوا بوصية أبي بكر رضي الله عنه (ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لأكله، وفي رواية (إلا لمأكله). وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل شيء من الدواب صبراً).

**رأينا:**

نرجح رأي الحنفية والمالكية؛ بجواز قتل الحيوانات التي لا نستطيع إخراجها إلى بلادنا، وذلك لأن بقاءها قوة للعدو، فإذا كان بيع الخيول إلى الكفار أثناء الحرب للبيع حرام، فكيف نتركها لهم بدون عوض؟

# خطوط رئيسية في آداب الجهاد

رسم أبو بكر رضي الله عنه معالم واضحة، وخطوطاً واضحة في سياسة التعامل مع الكفار أثناء الجهاد، فقد أوصى يزيد بن أبي سفيان لما شيعه ماشياً ووجهه إلى الشام فقال: (وإني قد وليتك لأبلوك وأجربك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك. فعليك بتقوى الله، فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم تولياً له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد. فإياك وعبية الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها، والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبثهم، حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا تريَنّهم -والله أعلم- فيروا خللك، ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث لصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجآتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط. واعقب بينهم في

الليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تتجنّ فيها، ولا تسرع إليها، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف عن الناس أستارهم، واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العبّاثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له).

---

ملاحظة. هذا الكتاب (إعلان الجهاد) لقد حمل الشيخ الشهيد راية الجهاد على نجود فلسطين قبل أن يجاهد في أفغانستان، ثم عزم الشهيد أن لا يحط رحاله ولا يضع البندقية من يده حتى يرى دولة الإسلام قائمة، ويرى ديار الإسلام المغتصبة تعود إلى أهلها، فكان الشيخ الشهيد بحق صاحب مدرسة جهادية عملية، وبذلك أعاد للأمة ثقتها بنفسها، وغرس في أعماقها الأمل؛ بأنه يمكن أن تعود لهذه الأمة مكانتها من جديد، إن هي نهجت الجهاد سبيلاً وسارت في درب سيد المرسلين وصحابته الغر الميامين.

.كذلك كان الشهيد بحق فارس المجاهدين، وقد عمل لإعادة الأمة التائهة إلى خطها الأصيل الذي طال انحرافها عنه ونحن نجد بشائر ذلك في انتفاض المارد الجبار وتحطيم أغلاله التي طالما صفد بها طويلاً من قوى البغي والعدوان.

لقد طوّف شهيدنا الغالي في آيات الجهاد وأحاديثه، وترسّم خطى المصطفى صلى الله عليه وسلم في جهاده، وسار على نهج الصحابة والتابعين في دربه، وقد شعر بأن شجرة هذا الدين بدأت تذوي وتذبل فصمّم على أن يرويها من دمه، فالناظر إلى خطبه ومحاضراته ودروسه يلمس صدق الكلمة من صاحبها، وأكبر دليل على ذلك أنه ترجم صدق الكلمات وبرهن عليها بدمائه الزكية.

فكلماته ومحاضراته وخطبه كتبها بدمه بعد أن كتبها بعرقه ودموعه وماء قلبه. (الناشر).

# إلحق بالقافلة

## الفصل الأول

# مبررات الجهاد

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، وبعد:

فإن الناظر في واقع المسلمين اليوم يجد أن مصيبتهم الكبرى هي ترك الجهاد **(حب الدنيا وكراهية الموت)**، ولذا تسلط الطغاة على رقاب المسلمين في كل ناحية وفوق كل أرض، وذلك لأن الكفار لا يهابون إلا القتال:

**{فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا}**

**(النساء: ٨٤)**

ونحن إذ ندعو المسلمين ونستحث خطاهم للقتال لأسباب كثيرة وعلى رأسها:

١- حتى لا يسود الكفر.

٢- لقلة الرجال.

٣- الخوف من النار.

٤- أداء للفريضة واستجابة للنداء الرباني.

٥- اتباعاً للسلف الصالح.

٦- إقامة القاعدة الصلبة التي تكون منطلقاً للإسلام.

٧- حماية المستضعفين في الأرض.

٨- طمعاً في الشهادة.

## ١- حتى لا يسود الكفر:

ففي الآية الكريمة:

**{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير}** (الانفال:٣٩)

فإذا توقف القتال ساد الكفر، وانتشرت الفتنة وهي الشرك.

## ٢- لقلة الرجال:

إن أزمة العالم الإسلامي هي أزمة رجال يضطلعون بحمل المسؤولية، والقيام بأعباء الأمانة، وكما جاء في الصحيح: **[الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة]**[1].

أي لا تجد في كل (مائة جمل) واحداً يحتملك في أسفارك، وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لصفوة من صحبه تمنوا، فتمنى كل واحد منهم شيئاً، ثم قالوا: تمن يا أمير المؤمنين، فقال: أتمنى أن يكون لي ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة.

إن الرجال الذين يعلمون قليلون، والذين يعملون أقل، وإن الذين يجاهدون أندر وأغرب، وإن الذين يصبرون على هذا الطريق لا يكادون يذكرون.

نظرت ذات مرة في حلقة قرآنية من الشباب العرب الذين وردوا إلى أرض العزة والمجد -أعني أرض أفغانستان-.

*والعز في صهوات المجد مركبه … والمجد ينتجه الإسراء والسهر*

أقول نظرت في وجوه الشباب حتى أرى من بينهم من يتقن أحكام التلاوة لأوكل إليه الحلقة، فلم أجد أحداً، وعندها حق لي أن

---

١- أي أن الكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة لقلة الراحلة في الإبل، والراحلة هي البعير القوي على الأسفار والأحمال، النجيب التام الخلق الحسن المنظر، ويقع على الذكر والانثى، والهاء فيه للمبالغة.

أقول: ما أنصفنا قومنا، وهو نفس قول النبي ﷺ عندما قتل سبعة بين يديه يوم أحد من شباب الأنصار.

ونحن نقول إن إخواننا المتعلمين والدعاة الناضجين لم يفدوا إلينا، بل إن بعضهم ينصح القادمين بالاستقرار في بلده، ولو كان لا يستطيع أن ينبس ببنت شفة من ظلم الطغاة وجبروت المتسلطين!! وبعضهم يفتي بلا علم، يقول: إن الأفغان بحاجة إلى مال وليسوا بحاجة إلى الرجال!! وأما أنا فمن خلال معايشتي اليومية لهذا الجهاد وجدت أن الأفغان بحاجة شديدة إلى المال، ولكن حاجتهم إلى الرجال أشد، وعوزهم إلى الدعاة أكثر.. أقرر هذا وأنا أعيش السنة الثامنة بين المجاهدين.

وإن كنت في ريب مما أقول فهيا بنا نعبر أفغانستان لتجد جبهة بكاملها ليس فيها من يتقن قراءة القرآن، وانتقل معي إلى جبهة أخرى لتتأكد أن ليس فيها من يعرف صلاة الجنازة، مما يضطرهم لحمل شهيدهم -لأن الشهيد يصلى عليه في المذهب الحنفي- مسافات بعيدة ليجدوا من يصلي عليه.

أما أحكام الجهاد الفقهية كتوزيع الغنائم ومعاملة الأسرى فحدث عن الجهل بها ولا حرج في جبهات كثيرة، مما يضطرهم إلى تحويلهم إلى منطقة فيها عالم أو علماء ليروا فيهم رأيهم حسب مقتضى الشرع الإسلامي، وإنك لتلمس الحاجة الشديدة للدعاة والأئمة وقراء القرآن والعلماء من خلال الآثار العميقة التي خلفها في الجبهات شباب من العرب ذوي ثقافة بسيطة، قد لا تتجاوز المرحلة الثانوية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الإخوة: عبدالله أنس، أبا دجانة، وأبا عاصم، وطاهر، وغيرهم كثير، ولو حدثتك عن أبي شعيب الأمي العربي وماذا ترك وراءه من آثار معنوية في ولاية بغلان بكاملها لوقفت واجماً مشدوهاً لا تحير بكلمة، ولا ينقضي منك العجب.

ونحن نأمل من الإخوة الذين لم يستطيعوا أن ينفلتوا من قفص العادات الاجتماعية، ولم ينفضوا عن رؤوسهم ركام التقاليد، ولم يلقوا عن كاهلهم موروثات الأجيال المهزومة تحت ضغط الواقع المرير، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر الشرير، أقول لهؤلاء الإخوة: إن لم ينفروا إلينا بأنفسهم فلا أقل من أن يدعوا الذين يرفرفون بأرواحهم فوق أرض الجهاد أن يصلوا بأجسادهم إليها.

قلنا للقاضي (مظلوم) أحد أركان أحمد شاه مسعود -ألمع قائد في أفغانستان بلا منازع- حدثنا عن أبي عاصم قارئ القرآن الذي استشهد بينكم في (أندراب)، فقال: لم أر مثله في هيبته وسمته ودله (الوقار والسكينة). فكان أحدنا لا يجرؤ أن يتكلم في حضرته، ولا أن يمد رجله فضلاً عن أن يهزل أو يضحك، فماذا تقول يا أخي إذا أخبرناك أن أبا عاصم لا يحمل إلا الشهادة الثانوية وعمره دون الثالثة والعشرين ولكنه يحفظ القرآن؟!!

ولذا فقد آن أوان الرجال، وهذا مقام الفعال دون حال المقال.

*فدع عنك نهباً صحيحاً في حجراته ... وهات حديثاً ما حديث الرواحل*[1]

لقد حل بالمسلمين أمور عظيمة، وأرزاء فادحة أليمة، فدع الكلام عن الطعام وعن أساليب الكلام، ولكن حدثني عن هذا الأمر الجلل وماذا قدم له المسلمون.

*أمور لو تأملهن طفل ... لطفّل في عوارضه المشيب*

## ٣- الخوف من النار:

يقول الله عز وجل:

**(إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير)** (التوبة ٣٩).

قال ابن العربي: العذاب الأليم هو في الدنيا باستيلاء العدو، وبالنار في الآخرة.[2]

وقال القرطبي: وقد قيل أن المراد بهذه الآية وجوب النفير عند الحاجة، وظهور الكفرة واشتداد شوكتهم.

ويقول الله عز وجل:

**(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة**

---

١- البيت لامرئ القيس، ومعناه العرفي: أترك الحديث عن الحجرات التي نهبت أمتعتها، وحدثني عن قطيع الجمال القوية التي عليها مدار حياتنا، وهذا مثال يقال لمن يتحدث عن الأمور التافهة ويدع الأمور العظيمة. ٢- (تفسير القرطبي ٨/١٤٢)

**فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وسأءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا)** (النساء٩٧-٩٩)

روى البخاري بإسناده عن عكرمة: أخبرني ابن عباس أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، فأنزل الله تعالى: **(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...)**، فإذا كان المؤمنون في مكة -القابضون على دينهم ولم يهاجروا وخرجوا حياء وخوفاً من الكفار يوم بدر فكثروا سواد المشركين (عددهم) ثم قتل بعضهم- قد استحقوا جهنم برواية البخاري، فما بالك بالملايين من المتمسلمين الذين يسامون سوء العذاب، ويعيشون حياة السوائم، لا يملكون أن يردوا عادية عن أعراضهم أو دمائهم أو أموالهم. بل لا يستطيع أحدهم أن يتحكم في لحيته فيطلقها لأنها تهمة إسلامية ظاهرة، بل لا يستطيع أن ينفرد في لباس زوجته فيطيله حسب الشرع، لأنها جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، ولا يستطيع أن يعلم القرآن لثلاثة من الشباب المسلم في بيت الله، لأنه تجمع غير مشروع في عرف الجاهلية، بل لا يستطيع في بعض البلدان المسماة الإسلامية أن يغطي شعر زوجته، ولا يستطيع أن يمنع رجال المخابرات أن يأخذوا بيد ابنته بعد وهن من الليل، تحت جنح الظلام الدامس إلى حيث يشاؤون!! وهل يستطيع أن يرفض أمراً يصدر من الطاغوت يقدم فيه هذا الفرد قرباناً رخيصاً على مذبح شهوات هذا الطاغية؟!

أليست هذه الملايين تعيش ذليلة مهينة مستضعفة وتتوفاها الملائكة ظالمة لأنفسها؟ فماذا سيكون جوابها إذا سألتها الملائكة **(فيم كنتم) ألا يقولون (كنا مستضعفين في الأرض)**.

إن الضعف ليس عذراً عند رب العالمين، بل هو جريمة يستحق صاحبها جهنم، وقد أعذر الله الطاعنين في السن والأطفال الصغار والنساء الذين لا يجدون حيلة للتخلص، ولا يعرفون الطريق إلى أرض العزة، ولا يستطيعون الهجرة إلى دار الإسلام، ولا الوصول إلى قاعدة الجهاد.

*سأصرف وجهي عن بلاد غدا بها     لساني معقولاً وقلبي مقفلا*
*وإن صريح الحزم والرأي لامرئ     إذا بلغته الشمس أن يتحولا*

إن الجهاد والهجرة إلى الجهاد جزء أصيل لا يتجزء عن طبيعة هذا الدين، والدين الذي ليس فيه جهاد لا يستطيع أن يثبت فوق أي أرض، ولا أن تستوي شجرته على سوقها، وأصالة الجهاد التي هي من صميم هذا الدين ولها وزنها في ميزان رب العالمين ليست ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة التي تنزل فيها القرآن، وإنما هو ضرورة مصاحبة لهذه القافلة التي يوجهها هذا الدين.

يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال (٢-٧٤٢) في تفسير هذه الآية: لو كان الجهاد ملابسة طارئة في حياة الأمة المسلمة ما استغرق كل هذه الفصول من صلب كتاب الله في مثل هذا الأسلوب! ولما استغرق كذلك كل هذه الفصول من سنة رسول الله ﷺ وفي مثل هذا الأسلوب.

لو كان الجهاد ملابسة طاردة ما قال رسول الله ﷺ تلك الكلمة لكل مسلم إلى قيام الساعة **[من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق]**.[1]

إن الله سبحانه يعلم أن هذا أمراً تكرهه الملوك! ويعلم أن لا بد لأصحاب السلطان أن يقاوموه، لأنه طريق غير طريقهم، ومنهج غير منهجهم، ليس في ذلك الزمن فقط، ولكن اليوم وغداً وفي كل أرض وفي كل جيل!

وإن الله سبحانه يعلم أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون منصفاً، ولا يمكن أن يدع الخير ينمو مهما يسلك هذا الخير من طرق سليمة موادعة. فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطر على الشر، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل، ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولة قتل الحق وخنقه بالقوة! هذه جبلة! وليست ملابسة وقتية. هذه فطرة! وليست حالة طارئة.

ومن ثم لا بد من الجهاد.. لا بد منه في كل صورة... ولا بد أن يبدأ في عالم الضمير، ثم يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع والشهود.. ولا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح... ولا بد من لقاء الباطل المتترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة... وإلا كان

---

١ الحديث رواه عن أبي هريرة

الأمر انتحاراً أو كان هزلاً لا يليق بالمؤمنين.

*أنا لا ألوم المستبد إذا تجبر أو تعدى ... فسبيله أن يستبد وشأننا أن نستعدا*

## ٤- الاستجابة للنداء الرباني:

قال تعالى: **(انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)** (التوبة:٤١).

وقد أورد القرطبي في تفسيره (٨-١٥٠) في تفسيرها عشرة أقوال (خفافاً وثقالاً):

١- روي عن ابن عباس شباناً وكهولاً.

٢- روي عن ابن عباس وقتادة نشاطاً وغير نشاط.

٣- الخفيف: الغني، والثقيل: الفقير، قاله مجاهد.

٤- الخفيف: الشاب، والثقيل: الشيخ، قاله الحسن.

٥- مشاغيل وغير مشاغيل، قاله زيد بن علي والحكم بن عتيبة.

٦- الثقيل الذي له عيال، والخفيف الذي لا عيال له، قاله زيد بن أسلم.

٧- الثقيل الذي له صنعة يكره أن يدعها، والخفيف الذي لا صنعة له، قاله ابن زيد.

٨- الخفاف: الرجال، الثقال: الفرسان، قاله الأوزاعي.

٩- الخفاف الذين يسبقون إلى الحرب كالطليعة وهو مقدمة الجيش بأسره.

١٠- الخفيف: الشجاع، الثقيل: الجبان، حكاها النقاش.

والصحيح في فهمنا الآية أن الناس أمروا جملة، أي انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت... روي أن ابن أم مكتوم جاء إل رسول الله ﷺ وقال له: أعليّ أن أغزو؟ فقال: نعم، حتى أنزل الله تعالى **(ليس على الأعمى حرج)**.

وهذه الأقوال إنما هي على معنى المثال في الثقل والخفة، ولا يشك عاقل أن حالتنا التي نعيشها في أفغانستان وفي فلسطين بل في معظم أرجاء العالم الإسلامي داخلة تحت نص هذه الآية، فقد اتفق المفسرون والمحدثون والفقهاء والأصوليون على أنه إذا دخ العدو أرضاً إسلامية أو كانت في يوم من الأيام داراً للإسلام، فإنه يجب على أهل تلك البلدة أن يخرجوا لملاقاة العدو، فإن قعدوا أ قصروا أو تكاسلوا أو لم يكفوا توسع فرض العين على من يليهم، فإن قصروا أو قعدوا فعلى من يليهم، وثم وثم حتى يعم فرض العين الأرض كلها، ولا يسع (يمكن) أحداً تركه كالصلاة والصيام، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، والمر دون إذن زوجها، والعبد دون إذن سيده، ويبقى فرض العين مستمراً حتى تطهر البلاد من رجس الكفار (ولكن خروج المرأة لا بد له م محرم).

ولم أجد (وبقدر اطلاعي القليل) كتاباً في الفقه أو في التفسير أو في الحديث إلا ونص على هذه الحالة، ولم يقل أحد م السلف أن هذه الحالة فرض كفاية، أو أنه يجب استئذان الوالدين، ولا يسقط الإثم عن رقاب المسلمين ما دامت أية بقعة في الأرض (كانت إسلامية) في يد الكفار، ولا ينجو من الإثم إلا الذي يجاهد.

فكل من ترك الجهاد اليوم فهو تارك لفريضة، كالمفطر في رمضان بدون عذر، أو كالغني الذي يمنع زكاة ماله، بل تارك الجها أشد.

وكما يقول ابن تيمية: والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه.

والحق المبين الذي لا محيد عنه قول أبي طلحة عندما قرأ **(انفروا خفافاً وثقالاً)** قال: شباباً وكهولاً، ما سمع الله عذر أحد، قال: أي بني جهزوني جهزوني، فقال بنوه: يرحمك الله لقد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حت مات، فنحن نغزو عنك، فقال: لا... جهزوني، فغزا، فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام، فدفنو فيها ولم يتغير رضي الله عنه.

يقول القرطبي (٧-١٥١) في تفسيره: (إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر (أصل الدار) فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً، شباباً وشيوخاً، كل على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له.

ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر، فإن عجز أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم.

وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكن غياثهم لزمه أيضاً الخروج إليهم.

فالمسلمون كلهم يد على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتلها سقط الفرض عن الآخرين.

ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلها لزمهم أيضاً الخروج إليه، حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة، وتحفظ الحوزة، ويخزى العدو، ولا خلاف في هذا).

وما أجمل أبيات النابغة الجعدي وهو يخاطب زوجته التي ترجوه أن يجلس عند عائلته:

*باتت تذكرني بالله قاعدة ... والدمع يهطل من شأنيهما سبلا*[1]
*يا بنت عمي كتاب الله أخرجني ... كرهاً وهل أمنعن الله ما فعلا*
*فإن رجعت فرب الخلق أرجعني ... وإن لحقت بربي فابتغي بدلا*[2]
*ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني ... أو ضارعاً من ضنى لم يستطع حولا*[3]

## ٥- اتباعا للسلف الصالح:

فقد كان الجهاد ديناً للسلف الصالح، وكان ﷺ سيداً للمجاهدين، وقائداً للغر الميامين، فكانوا إذا اشتد الوطيس يحتمون برسول الله ﷺ فيكون أقربهم إلى العدو، وعدد مغازيه ﷺ التي خرج بنفسه فيها سبع وعشرون، وقاتل في تسع منها بنفسه: [بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف] وهذا على قول من قال: مكة فتحت عنوة، وكانت سراياه التي بعثها سبعاً وأربعين، وقيل أنه قاتل بني النضير.[4]

وهذا يعني أن رسول الله ﷺ كان يخرج في غزوة أو يرسل سرية في كل شهرين أو أقل.

وسار الصحب الكرام على سنة النبي الكريم ﷺ، فلقد كان القرآن الكريم يربي هذا الجيل تربية جهادية، ويحميهم من أن ينغمسوا في الدنيا كما يحمي أحدنا لديغه من الماء، فلقد روى الحاكم في المستدرك (٢-٢٧٥) وصححه ووافقه الذهبي، عن أسلم أبو عمران قال: حمل رجل من المهاجرين -بالقسطنطينية- على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما نشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحبباً، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين، والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلنا وأولادنا فنقيم فيها، فنزل فينا:

(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة ١٩٥). فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.

وقد روى عكرمة أن ضمرة بن العيص -وكان من المستضعفين في مكة وكان مريضاً-، فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة قال: أخرجوني، فهيء له فراش ثم وضع عليه وخرج، فمات في الطريق بالتنعيم -على بعد (٦ كم) من مكة[5]-.

وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود في حمص على تابوت صراف، وقد فضل على التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو، فقيل: عذرك الله، فقال: أتت علينا سورة البحوث (إنفروا خفافاً وثقالاً).

---

١- شأنيهما: طريق الدمع، سبلا: غزيراً.
٢- فابتغي بدلا: تزوجي غيري
٣- ضارعاً من ضنى: ضعيفاً من مرض
٤- (نهاية المحتاج ٨/١٦)
٥- (القرطبي ٥/٣٤٩)

وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

وروي أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فقال له: يا عم إن الله قد أعذرك فقال: يا ابن أخي قد أمرنا بالنفير خفافاً وثقالاً.(١)

وهذا إبراهيم بن أدهم عندما أحس بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وتوفي وهو في كفه، ودفن في إحدى جزائر البحر في بلاد الروم.(٢)

وهذا عبد الله بن المبارك كان يقطع مسافة ألفين وستمائة كيلو متراً راجلاً أو راكباً على دابته ليقاتل في سبيل الله في ثغور المسلمين.(٣)

وقال زهير بن قمير المروزي: أشتهي لحماً من أربعين سنة ولا آكلها حتى أدخل الروم فآكله من مغانم الروم.(٤)

وهذا قاضي الكوفة عروة بن الجعد كان في بيته سبعون فرساً مربوطة للجهاد.(٥)

وهذا محمد بن واسع كان من العباد المحدثين الغزاة المرابطين يقول عنه القائد قتيبة بن مسلم الباهلي: لإصبع محمد بن واسع تشير إلى السماء، في المعركة أحب إليّ من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير -قوي(٦)-.

وهذا أحمد بن إسحاق السلمي يقول: أعلم يقيناً أني قتلت بسيفي هذا ألف تركي، ولولا أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي.(٧)

وهذا أبو عبد الله بن قادوس لكثرة قتله من نصارى الأندلس كان النصراني إذا سقى فرسه فلم يقبل على الماء قال له: مالك أرأيت بن قادوس في الماء(٨)؟!

وهذا بدر بن عمار يقتل الأسد بسوطه، فيمدحه المتنبي:

*أمعفّر الليث الهزبر بسوطه   لمن ادخرت الصارم المصقولا*(٩)

وهذا عمر المختار يقول عنه غراسياني (القائد الإيطالي). لقد خاض عمر المختار مع جنودنا (٢٦٣) معركة خلال عشرين شهراً. أما مجموع معاركه فقد بلغت ألف معركة!!.

وهذا الشيخ محمد فرغلي كان الإنجليز في الإسماعيلية يعلنون حالة الطوارئ في معسكراتهم إذا دخل الفرغلي المدينة، وقد دفع الإنجليز خمسة آلاف جنيه لمن يأتي برأسه حياً أو ميتاً.

وهذا يوسف طلعت كان يسمى (جزار الإنجليز) لكثرة ما قتل منهم في قناة السويس، فأعدمهما عبد الناصر إرضاء لسادته الأمريكان!!.

حدثني محمد بانا -أحد أركان أحمد شاه مسعود-: أنه قد أحرق هو ومجموعته في ممر سالنج أربعمائة ناقلة، ويطلق عليه الروس (الجنرال)، وقد غنم مائتي كلاكوف ومائتي كلاشنكوف.

وقد حدثني محمد بانا أنه أحرق ذات مرة مائة وخمسين آلية دفعة واحدة.

## ٦- إقامة القاعدة الصلبة لدار الإسلام:

إن إقامة المجتمع المسلم فوق بقعة أرض ضرورية للمسلمين، ضرورة الماء والهواء، وهذه الدار لن تكون إلا بحركة إسلامية منظمة تلتزم الجهاد واقعاً وشعاراً، وتتخذ القتال لحمة ودثاراً.

وإن الحركة الإسلامية لن تستطيع إقامة المجتمع المسلم إلا من خلال جهاد شعبي عام، تكون الحركة الإسلامية قلبه النابض وعقله المفكر، وتكون بمثابة الصاعق الصغير الذي يفجر العبوة الناسفة الكبيرة، فالحركة الإسلامية تفجر طاقات الأمة الكامنة، وينابيع

١- (القرطبي ٨/١٥١)  ٢- (تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/١٧٩٠)  ٣- (عبد الله بن المبارك/ د. المحتسب).  ٤- (ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣/٢١٩).
٥- (تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٣١).  ٦- (المشوق في الجهاد ٧٧).  ٧- (تهذيب التهذيب لابن حجر ١/١٤).
٨- (المشوق في الجهاد)  ٩- معفر: ممرغ بالتراب.  الهزبر: الأسد  الصارم: السيف

الخير المخزونة في أعماقها.

فالصحابة رضوان الله عليهم كان عددهم قليلاً جداً بالنسبة لمجموع عامة المسلمين الذين قوضوا عرش كسرى وثلوا مجد قيصر.

بل إن القبائل المرتدة عن الإسلام في أيام الصديق قد سيرهم عمر بن الخطاب -بعد أن أعلنوا توبتهم- إلى قتال الفرس، ولقد أصبح طلحة بن خويلد الأسدي -الذي ادعى النبوة من قبل- أحد أبطال القادسية البارزين، واختاره سعد بمهمة استكشاف أخبار الفرس فأبدى شجاعة فائقة.

أما الحفنة من الضباط[1] التي يمكن أن يتوهم البعض أن بإمكانهم عمل مجتمع مسلم، فهذا ضرب من الخيال، أو وهم يشبه المحال لا يعدوا أن يكون تكراراً لمأساة عبد الناصر مع الحركة الإسلامية مرة أخرى.

والحركة الشعبية الجهادية مع طول الطريق ومرارة المعاناة وضخامة التضحيات وفداحة الأرزاء تصفى النفوس، فتعلو على واقع الأرض الهابط، وترتفع الاهتمامات عن الخصومات الصغيرة على دراهم، وعن الأغراض القريبة، وسفاسف المتاع، وتزول الأحقاد، وتصقل الأرواح، وتسير القافلة صعداً من السفح الهابط إلى القمة السامقة بعيداً عن نتن الطين وصراع الغابات.

وعلى طول طريق الجهاد تفرز القيادات، وتظهر الكفاءات من خلال العطاء، والتضحية، ويبرز الرجال شجاعتهم وبذلهم.

*ولا تحسبن المجد زقاً وقينة　　　فما المجد إلا الحرب والفتكة البكر*

ومع ارتفاع الاهتمامات ترتفع النفوس عن الصغائر، وتصبح الأمور العظيمة غاية القلوب وأمل الشعوب.

*إذا غامرت في شرف مروم　　　فلا تقنع بما دون النجوم*
*فطعم الموت في أمر حقير　　　كطعم الموت في أمر عظيم*
*يرى الجبناء أن الجبن عقل　　　وتلك خديعة الطبع اللئيم*

وطبيعة المجتمعات كالماء تماماً، ففي الماء الراكد تطفو على السطح الطحالب والأعفان، أما الماء المتحرك فلا يحمل العفن فوقه، والقيادات في المجتمعات الراكدة لا يمكن أن تكون على قدر المسؤولية، لأنها لا تبرز من خلال الحركة والتضحية والبذل والعطاء، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ما برزوا إلا من خلال الأعمال الجليلة والتضحيات الباهظة، ولذا لم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية عندما أجمعت الأمة على انتخابه، فما أن فاضت روح رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى في الجنة تطلعت العيون إلى الساحة فلم تجد أفضل من أبي بكر رضي الله عنه.

والأمة التي تجاهد تبذل الثمن غالياً فتجني الثمرة الناضجة، ليس من السهل أن تفرط فيما جنته بالعرق والدم، وأما الذين يتربعون على صدور الناس من خلال البيان الأول في انقلاب عسكري صنع وراء الكواليس في سفارة من السفارات، يسهل عليهم التفريط بكل شيء.

*ومن أخذ البلاد بغير حرب　　　يهون عليه تسليم البلاد*

والأمة الجهادية التي يقودها أفذاذ برزوا من خلال الحركة الجهادية الطويلة، ليس من السهل أن تفرط بقيادتها أو تخطط للإطاحة بها، وليس من اليسير على أعدائها أن يشككوها بمسيرة أبطالها، والحركة الجهادية الطويلة تشعر الأمة بأفرادها جميعاً أنهم قد دفعوا في الثمن، وشاركوا في التضحية من أجل قيام المجتمع الإسلامي، فيكونون حراساً أمناء لهذا المجتمع الوليد، الذي عانت الأمة جميعها من آلام مخاضه.

لا بد للمجتمع الإسلامي من ميلاد، ولا بد للميلاد من مخاض، ولا بد للمخاض من آلام.

## ٧- لحماية المستضعفين في الأرض:

إن من بواعث الجهاد الإسلامي حماية المستضعفين في الأرض، ورفع المظالم عنهم..

**(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا).** (النساء:٧٥)

[1] - يقصد الشيخ عن طريق الانقلابات العسكرية بواسطة حفنة من الضباط

ومعنى الآية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين.

*كيف القرار وكيف يهدأ مسلم　　　والمسلمات مع العدو المعتدي*

وقد اتفق الفقهاء على أن الجهاد يصبح فرض عين بالنفس والمال إذا سبيت امرأة مسلمة. وفي (البزازية) امرأة سبيت في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها.

*فليتهم إذا لم يذودوا حمية　　　عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم*
*وإن زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى　　　فهلا أتوه رغبة في المغانم*

كنت ذات مرة مع حكمتيار في لوجر (ولاية أفغانية) وضرب مركز الولاية ضربة موجعة، فضج أطفال الولاية ولهجت ألسنة نسائها بالدعاء لحكمتيار.

*أتسبى المسلمات بكل ثغر　　　وعيش المسلمين إذا يطيب*
*أما لله والإسلام حق　　　يدافع عنه شبان وشيب*

لقد جاء الإسلام لإقرار العدل في الأرض **(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)** (الحديد: ٢٥).

## ٨- طمعاً بالشهادة والمنازل العلى في الجنة:

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي عن المقدام بن معد يكرب مرفوعاً: **[للشهيد عند الله سبع خصال، يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته]**.[1]

وقد روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: **[إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس]**.[2]

## ٩- إن الجهاد حفظ لعزة الأمة ورفع الذل عنها:

ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد عن ابن عمر مرفوعاً: **[إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر سلط الله عليهم ذلاً لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم]**.[3]

## ١٠- إن الجهاد حفظ لهيبة الأمة ورد لكيد أعدائها:

**(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا)** (النساء: ٨٤)

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داوود عن ثوبان: **[يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل يا رسول الله فمن قلة يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت]**.[4]

## ١١- في الجهاد صلاح الأرض وحمايتها من الفساد:

**(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)** (البقرة: ٢٥١)

---

١- صحيح الجامع (٥٠٥٨).　　٢- فتح الباري (٦-٩)
٣- صحيح الجامع (٦٨٨).　٤- صحيح الجامع (٨٠٢٥).

١٢- في الجهاد حماية للشعائر الإسلامية:

**(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)** (الحج:٤٠).

١٣- وفي الجهاد حماية الأمة من العذاب ومن المسخ والاستبدال:

**(إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم)** (التوبة:٣٩)

١٤- وفي الجهاد غنى الأمة وزيادة ثرواتها:

**(وجعل رزقي تحت ظل رمحي)**.[1]

١٥- والجهاد ذروة سنام الإسلام:

**(وذروة سنامه الجهاد)** حديث صحيح عن معاذ، وهو رهبانية هذه الأمة **(وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام)**.[2]

١٦- الجهاد من أفضل العبادات وبه ينال المسلم أرفع الدرجات:

قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل وذكر أمر العدو، فجعل يبكي ويقول: ما من أعمال البر أفضل منه.

وقال عنه غيره: ليس يعدل لقاء العدو شيء، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال، والذين يقاتلون العدو هم الذين يدافعون عن الإسلام وعن حريمهم، فأي عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون وقد بذلوا مُهَجَ أنفسهم.

ورد في البخاري (٦-٩) الحديث: **[إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض]**.

## الفصل الثاني

# واإسلاماه

أيها المسلمون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

فلا يخفى عليكم التضحيات الباهظة التي فرضت على الشعب الأفغاني المسلم، فقد مضى حتى الآن تسع سنوات ونيف على انقلاب نور تراقي الشيوعي في نيسان سنة (١٩٧٨م)، ومنذ ذلك الحين والمسلمون في أفغانستان يتحملون أقصى ما يمكن أن يتحمله بشر لحماية دينهم وأعراضهم وأطفالهم، ولم يبق بيت في أفغانستان إلا وتحول إلى مأتم وميتم.

وقد أعذر هؤلاء إلى الله، وأشهدوا الله من خلال الجماجم والأشلاء والأرواح والدماء أنه لم يبق في القوس منزع، وكادت سهام الكنانة تنفد، وخلال هذه الفترة الطويلة كان الأفغان يأملون من إخوانهم المسلمين أن تَفِدَ جموعهم، وأن تتحرك إخوة الإسلام في أعماقهم، ولكن لم يُلبِّ المسلمون نداءهم حتى الآن، وكأن في آذانهم صمت دون أنات الثكالى، وصيحات العذارى، وآهات الأيتام، وزفرات الشيوخ، واكتفى كثير من الطيبين بإرسال بعض فضلات موائدهم وفتات طعامهم!!.

ولكن الأمر أكبر من هذا، والخطر جلل، والإسلام والمسلمون في أفغانستان في كرب شديد وخطر مهدد أكيد.

قام هذا الجهاد المبارك على يد حفنة من الشباب تربوا على الإسلام، وعلى يد جماعة من العلماء نذروا أنفسهم لله.

ولكن هذا الجيل الأول معظمه سقط على طريق الشهادة، وتقدم الجيل الثاني الذي لم يحظ بقسط من التربية والتوجيه، ولم يلق يداً حانية توليه اهتماماً بالتربية والتعليم.

ومثل هؤلاء بحاجة ماسة إلى من يعيش بينهم ليربطهم بالله، ثم بالأحكام الشرعية.

ونحن على قدر اطلاعنا القليل وعلمنا اليسير، نعتقد أن الجهاد في مثل هذه الحالة الراهنة في أفغانستان فرض عين بالنفس

١- حديث صحيح رواه أحمد عن ابن عمر (صحيح الجامع ٢٨٢٨).

٢- حديث حسن رواه أحمد في المسند (٣-٨٢) عن أبي سعيد الخدري

والمال، كما قرر فقهاء المذاهب الأربعة بلا استثناء، ومعهم جمهرة المفسرين والمحدثين الأصوليين.

يقول ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٤-٦٠٨): إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب... إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا.

ويقول في مجموع الفتاوى (٢٨-٣٥٨): فإذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين كما قال تعالى:

**﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾** (الأنفال:٧٢).

كما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم، وسواء كان الرجل من المرتزقة للقتال، أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب، كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد.

ونصوص فقهاء المذاهب الأربعة صريحة قاطعة بهذا لا تحتمل تأويلاً دون لبس ولا غموض.

يقول ابن عابدين الحنفي في حاشيته (٣-٢٣٨): وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير فرض عين على من قرب منه، فأما من وراء بعيد عن العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم، فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان قرب العدو عن المقاومة مع العدو أو لم يعجزوا عنها ولكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم -فرض عين- كالصلاة والصوم، ولا يسعهم تركه، وثم وثم إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً على هذا التدريج.

وبمثل هذا النص الواضح الجلي أفتى الكاساني الحنفي في بدائع الصنائع (٧-٧٢)، وابن نجيم الحنفي في البحر الرائق (٥-٧٢)، وابن الهمام في فتح القدير (٥-١٩١).

وراجع إن شئت حاشية الدسوقي المالكي (٢-١٧٤)، ونهاية المحتاج للرملي الشافعي (٨-٥٨)، والمغني لابن قدامة الحنبلي (٨-٣٤٥).

ولعل بعض الناس يجدون مبرراً لأنفسهم بأن كثيراً من الأفغان ليسوا على المستوى الإسلامي المقبول من التربية، ويعذرون أنفسهم بالقعود بسبب بعض المخالفات.

ولكن الرد على هذا بأن الفقهاء نصوا على أنه يجب الجهاد ولو مع عسكر كثيري الفجور.

وهذا من أصول أهل السنة والجماعة (الغزو مع كل بر وفاجر)، [فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم]، وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديماً وحديثاً، وهي واجبة على كل مكلف.

وعدم الغزو مع الأمراء (ولو كانوا فجاراً) أو مع عسكر كثيري الفجور هو مسلك الحرورية -من فئات الخوارج- وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم (مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨-٥٠٦).

وبعض الناس يعذرون أنفسهم بأن مكانهم في بلدهم ضروري للتربية والتعليم، ونحن نورد لهم قول الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

فأي الناس منزلته وعمله يداني سيد التابعين، ووارث علم النبوة عن طريق صهره والد زوجته -أبي هريرة- رضي الله عنه.

لقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين، واشتد الأمر على المسلمين، فمتى النفير!! وإلى متى القرار؟!.

فإن كان الفقهاء يفتون كما جاء في البزازية: امرأة سبيت في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها.

فماذا يفتي علماؤنا بالآلاف من العواتق تنتهك أعراضهن في خدورهن؟

وماذا يجيبون في النساء اللواتي يلقين بأنفسهن في نهر (كونر في لغمان) فراراً بأعراضهن من الانتهاك على يد الجنود الحمر، لأن المرأة لا يجوز لها باتفاق العلماء أن تستسلم للأسر إذا خشيت على عرضها.

أوما تخشى أن تدور الدائرة عليك ويصل الأمر إلى عرضك؟ [ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه

**وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته)**[1] فاتقوا الله في أعراضكم.

وقال حبان بن موسى: خرجنا مع ابن المبارك مرابطين إلى الشام، فلما نظر إلى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسرايا كل يوم التفت إليّ وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون على أعمار أفنيناها وليال وأيام قطعناها في علم (الخلية والبرية) -كنايات الطلاق- وتركنا هاهنا أبواب الجنة مفتوحة!!

هذا ابن المبارك الذي كان يرابط شهرين أو أكثر في السنة، يدع تجارته ومجالس الحديث ويخرج للرباط، لأنه لم يرابط طيلة عمره وانشغل بالعلم عن الرباط، فماذا يقول الذين لم يطلقوا طلقة واحدة في سبيل الله؟!

إذا كان مرض الموت -الذي ألمّ برسول الله ﷺ- لم يشغله عن تذكير الصحابة بإنفاذ بعث أسامة رضي الله عنه.

وعندما حاول أبو بكر الصديق أن ينفذ بعث أسامة حاول الصحابة أن يثنوه عن عزمه، فقال كلمته المشهورة: والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواء عقده رسول الله[2].

ويشاء الله أن تكون آخر وصايا صاحب رسول الله ﷺ في حث الناس على الجهاد إذ يستدعي أبو بكر عمر في آخر ساعات حياته قائلاً: إسمع يا عمر! أقول لك ثم اعمل به، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا -وذلك يوم الإثنين-، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى، لا يشغلنكم مصيبة -وإن عظمت- عن أمر دينكم، ووصية ربكم، وقد رأيتني متوفى رسول الله ﷺ وما صنعت، ولم يصب الخلق بمثله، وبالله لو أني تأخرت عن أمر رسوله لخذلنا الله ولعاقبنا، فأضرمت المدينة ناراً.[3]

فلقد أدرك أبو بكر -خير الناس بعد النبي ﷺ- أن التأخر في تنفيذ أمر الله وأمر رسوله ﷺ بالنفير إلى الجهاد عاقبته الخذلان ومآله الخسران.

**هذا كتاب الله يحكم بيننا، وهذه سنة رسوله ﷺ ناطقة شاهدة علينا، وهذا هدي أصحابه في فهمهم لأهمية الجهاد في هذا الدين، فهل لنا من تعقيب على هذه النصوص المتواترة المتوافرة الناصعة الجلية القاطعة؟ لقد وصل اللص إلى داخل خدور المؤمنات، فهل ندعه!!! ينتهك الأعراض ويمسخ القيم ويجتث المبادئ؟!**

*رب وامعتصماه انطلقت ... ملء أفواه الصبايا اليتم*

*لامست أسماعهم لكنها ... لم تلامس نخوة المعتصم*

لقد أخذ الروس مائتين وخمسة آلاف من أطفال المسلمين الأفغان لتربيتهم على العقيدة الشيوعية، ولغرس الإلحاد في أعماقهم، وقرر الأمريكان فتح ستمائة مدرسة، وتعهد مائة وخمسة آلاف من أطفال الأفغان في الداخل والخارج بالتربية والتعليم.

فأين دعاة الإسلام؟ وأين المربون المسلمون؟ وماذا أعدو لإنقاذ الجيل المسلم، ومن أجل رعاية هذا الجيل المبارك العظيم.

لقد نص الفقهاء على أن بلاد المسلمين كالبلد الواحد، فأي بقعة من بقاع المسلمين تعرضت لخطر وجب أن يتداعى جسد الأمة الإسلامية كلها لحماية هذا الشلو الذي تعرض لغزو الجراثيم.

ماذا على العلماء لو حرضوا الشباب على الجهاد؟ سيما والتحريض فرض.

**(وحرض المؤمنين)** (النساء: ٨٤).

ماذا على الدعاة لو خصصوا سنة من حياتهم للعيش بين المجاهدين يوجهون ويرشدون؟

ماذا على طلاب الجامعة لو أجّلوا سنة من دراستهم لينالوا شرف الجهاد، وليسهموا بأنفسهم في إقامة دين الله في الأرض؟

**(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون، لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون)** (التوبة: ٨٧-٨٨).

ماذا على الأئمة لو أخلصوا النصح لمن يستنصحهم بالخروج في سبيل الله بالدم والروح؟

إلى متى يُثَبَّطُ الشباب المؤمن ويُعَوَّقُ عن الجهاد؟ الفتية الذين تضطرم أفئدتهم ناراً وتتفجر حماساً وتلتهب غيرة لتسقي تربة

---

١- حديث حسن رواه أبو داود عن جابر (صحيح الجامع ٥٥٦٦). ٢- (حياة الصحابة ١-٤٤). ٣- (حياة الصحابة ١-٤٤١)

المسلمين بدمهم الطاهر.

إن الذي ينهى شاباً عن الجهاد لا يفرق عن الذي ينهاه عن الصلاة والصوم.

أما يخشى الذي ينهى عن الجهاد أن يدخل -ولو بطريقة غير مباشرة- تحت المعنى العام للآية الكريمة في قوله تعالى:

**(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا، أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا)** (الأحزاب١٨ ١٩)

ماذا على الأمهات لو قدمت الواحدة منهن أحد أبنائها في سبيل الله يكون عزاً لها في الدنيا وذخراً لها في الآخرة بالشفاعة؟

ماذا على الآباء لو دفعوا بأحد أبنائهم ليشب في مصانع الأبطال وميادين الرجال وساحات النزال؟ وليهب أحدهم أن الله خلقه عقيماً، فمن شكر النعمة أن يؤدي زكاة أولاده شكراً لربه.

أنفس هو خالقها، وأموال هو رازقها، فلم البخل على رب العالمين؟ البخل على المالك بما يملك، مع العقيدة الراسخة بأنه **(لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها)**.

ماذا على المسلمين لو سطروا في صحائف أعمالهم وديوان حسناتهم أياماً من الرباط، وساعات من القتال؟

وقد ثبت في الحديث الصحيح: **{رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه}**، وفي الحديث الحسن: **{رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها}**، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي في صحيح الجامع (٤٥٠٣): **{قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة}**.

فيا إخوة الإسلام أقبلوا لحماية دينكم ونصرة ربكم وإعلاء سنة نبيكم.

أيها الأخ الحبيب: امتشق حسامك، واعل صهوة جوادك، وامسح العار عن أمتك، إن لم تقم بالعبء، أنت فمن يقوم به إذن؟

أيها الأخ الكريم:

*طال المنام على الهوان فأين زمجرة الأسود*
*واستنسرت فئة البغاث ونحن في ذل العبيد*
*ذل العبيد من الخنوع وليس من زرد الحديد*

فيا خيل الله اركبي!!!

أيها الأخ العزيز: **(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)** (يوسف:١١١).

فقصة بخارى الدامية، ورواية فلسطين الجريحة، وعدن المحترقة، والأوجادين الأسيرة، وأحاديث الأندلس الأسيفة، وأرتيريا الأليمة، وبلغاريا المكلومة، والسودان مع قرنك المحزنة، ولبنان الممزقة أشلاؤها، والصومال وبورما وتشاد وتفقاسيا بجراحاتها العميقة، وأوغندا وزنجبار وأندونيسيا ونيجيريا...... ذات الملاحم والمآسي خير عبرة لنا، فهل نعتبر فيما مضى قبل فوات الأوان؟ أتجري علينا السنن ونحن نتجرع الهوان، ونندثر كما اندثروا، ونضيع كما ضاعوا؟ ونحن نأمل من الله أن يندحر الروس في أفغانستان ويرتدوا على أعقابهم خائبين، وإن كانت الأخرى، فليت شعري أي داهية تحل بالمسلمين؟

فقد روى أبو داوود بإسناد قوي عن أبي أمامة مرفوعاً: **{من لم يغز أو يجهز غازياً ولم يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة}**.

**(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** (ق ٤٥)

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

# خاتمة

١- إذا دخل العدو أرض المسلمين يصبح الجهاد فرض عين عند جميع الفقهاء والمفسرين والمحدثين.

٢- إذا أصبح الجهاد فرض عين فلا فرق بينه وبين الصلاة والصوم عند الأئمة الثلاثة. أما الحنبلية فيقدمون الصلاة.

جاء في بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك: الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين ويتعين -أي يصير فرض عين كالصلاة والصوم- بتعيين الإمام وبهجوم العدو على محلة قوم.

وجاء في مجمع الأنهر في المذهب الحنفي: فإذا لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة.

وجاء في حاشية ابن عابدين الحنفي (٢-٢٣٨): وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير فرض عين كالصلاة والصوم ولا يسعهم تركه.

٣- إذا أصبح الجهاد فرض عين فلا إذن للوالدين، كما لا يستأذن الوالدان في أداء فريضة الصبح أو صيام رمضان.

٤- لا فرق بين تارك الجهاد بدون عذر إذا تعين (صار فرض عين) وبين مفطر رمضان بدون عذر.

٥- لا يغني دفع المال عن الجهاد بالنفس مهما كان المبلغ الذي دفع، ولا تسقط فريضة الجهاد اللازمة في عنقه، فكما أنه لا يجوز أن يدفع مبلغاً من المال لفقير حتى يصوم عنه أو يصلي فكذلك الجهاد بالنفس.

٦- الجهاد فريضة العمر كالصلاة والصوم، فكما أنه لا يجوز أن يصوم عاماً ويفطر عاماً أو يصلي يوماً ويترك آخر، فكذلك الجهاد لا يجوز أن يجاهد سنة ويترك سنوات قدر طاقته.

٧- إن الجهاد الآن فرض عين بالنفس والمال في كل مكان استولى عليه الكفار، ويبقى فرض العين مستمراً حتى تتحرر كل بقعة في الأرض كانت في يوم من الأيام إسلامية.

٨- إن كلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني القتال بالسلاح كما قال ابن رشد وعليه اتفق الأئمة الأربعة.

٩-إن المتبادر من كلمة (في سبيل الله) هو الجهاد كما قال ابن حجر في الفتح (٦-٢٢).

١٠- إن قولهم رجعنا من الجهاد الأصغر -القتال- إلى الجهاد الأكبر -جهاد النفس- الذي يرددونه على أساس أنه حديث، هو حديث باطل موضوع لا أصل له، وإنما هو من قول إبراهيم بن أبي عبلة أحد التابعين، وهو مخالف للنصوص والواقع.

١١- إن الجهاد ذروة سنام الإسلام وتسبقه مراحل، فقبله الهجرة، ثم الإعداد (التدريب)، ثم الرباط، ثم القتال، والهجرة ملازمة للجهاد، ففي الحديث الصحيح رواه أحمد عن جنادة مرفوعاً: {أن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد}.[١]

وأما الرباط وهو السكن على حدود العدو لحماية المسلمين فهو ضرورة من ضرورات القتال، لأن المعارك ليست كل يوم، فقد يرابط الإنسان فترة طويلة ويدخل معركة أو معركتين في هذه الفترة.

١٢- إن الجهاد اليوم فرض عين بالنفس والمال على كل مسلم، وتبقى الأمة الإسلامية آثمة حتى تتحرر آخر بقعة إسلامية من يد الكفر، ولا ينجو من الإثم إلا المجاهدون.

١٣- إن الجهاد في زمان رسول الله ﷺ كان أنواعاً، فقد كانت غزوة بدر مندوبة -مستحبة-، وكانت غزوة الخندق وتبوك فرض عين على كل مسلم، استنفر الأمة، وأما الخندق فلأن الكفار غزوا المدينة أرض الإسلام، وأما غزوة خيبر (٧هـ) فكانت فرض كفاية ولم يأذن رسول الله ﷺ بحضورها إلا لمن شهد الحديبية (٦هـ).

١٤- أما الجهاد في أيام الصحابة والتابعين فمعظم أحواله فرض كفاية، لأنه كان فتوحات جديدة.

١٥- أما الجهاد بالنفس اليوم فكله فرض عين.

١٦- لم يعذر الله عز وجل أحداً بترك الجهاد إلا المريض والأعرج والأعمى، والطفل الذي لم يبلغ الحنث، والمرأة التي لا تعرف طريق الجهاد والهجرة، والطاعن في السن، وحتى المريض مرضاً غير شديد، والأعرج، أو الأعمى إذا استطاعوا أن يصلوا معسكرات

١- صحيح الجامع (١٩٨٧).

التدريب لينضموا للمجاهدين ويعلموهم القرآن ويحدثوهم ويشجعوهم فالأولى أن يأتوا كما فعل عبد الله بن أم مكتوم في أحد وفي القادسية.

وغير هؤلاء ليس لهم عذر عند الله، سواء كان موظفاً أو صاحب صنعة أو من أرباب الأعمال أو تاجراً كبيراً، فهؤلاء ليسوا معذورين بترك الجهاد بأنفسهم وأن يدفعوا أموالهم.

١٧- إن الجهاد عبادة جماعية، وكل جماعة لا بد لها من أمير، وطاعة الأمير في الجهاد من الضرورات، فلا بد من تعويد النفس على التزام طاعة الأمير **(عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك)**.[١]

## ملاحظات للقادمين للجهاد

١- إن جهاد الشعوب عامة غير جهاد الدعوات الإسلامية... فأبناء الدعوات دائماً أقلية، وهم في العادة صفوة الأمة، ولكنهم بمفردهم لا يستطيعون مواصلة جهاد طويل، ولا يقدرون على مواجهة دول، فلا بد أن تشاركهم الأمة، والشعوب تجد فيها كثيراً من العيوب، فلا يظنن أحد أن شعباً كله من الأخيار يتسم بطهر الملائكة الأبرار.

٢- إن الشعب الأفغاني كبقية الشعوب فيه جهل وفيه عيوب، فلا يظنن أحد أنه سيجد شعباً كاملاً ليس فيه نقائص، ولكن الفرق بين الشعب الأفغاني وبين بقية الشعوب أنه رفض أن يعطي الدنية في دينه، واشترى عزته ببحر من الدماء وجبال من الجماجم والأشلاء، أما بقية الشعوب فقد خضعت من أول يوم للاستعمار والكفر.

٣- إن الشعب الأفغاني أمي تربى على المذهب الحنفي، ولم يعايش المذهب الحنفي في أفغانستان مذهب آخر، ولذا فكثير منهم يظن أن كل من يخالف المذهب الحنفي ليس من الإسلام، وعدم وجود مذاهب أخرى في أفغانستان أظهر التعصب للمذهب الحنفي في قلوب الأفغان، فعلى كل من أراد الجهاد مع الشعب الأفغاني أن يحترم المذهب الحنفي.

٤- إن الشعب الأفغاني شعب وفي عنده مروءة ورجولة وإباء، ولا يعرف المراوغة ولا المداهنة، فإذا أحب شخصاً بذل لأجله دمه ونفسه، وإذا بغض لا يقوم لبغضه شيء.

- وترك بعض هيئات الصلاة في بداية الاختلاط بهم تعطيك فرصة غالية حتى تصل إلى قلوبهم فتوجههم وتربيهم، وتصلح لهم أمر دينهم ودنياهم، وقد أفتى أحمد بن حنبل ومالك وابن تيمية بمثل هذا.

٥- لا بد أن تعلم أن طريق الجهاد شاق وطويل، وليس من السهل على الكثيرين أن يواصلوا المسير وإن تحمسوا كثيراً في البداية، وإن الأشواق مع العاطفة الفياضة للجهاد لا بد أن يصاحبها توطين النفس على احتمال الشدائد، وتربيتها على المشاق والمصاعب، فكثير من الشباب جاءوا متحمسين ثم خبا حماسهم تدريجياً، ثم أصبح يناقش في حكم الجهاد أصلاً!!.

٦- تكفل الله بعون المجاهدين، فمن خرج في سبيله فإن الله يأخذ بيده، ويقوي عزيمتهم، ويربط على قلوبهم، ويثبت أقدامهم **{ثلاث حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف}**.[٢]

٧- من أراد القدوم إلى أفغانستان فعليه أن يتصل بأرقام الهواتف التالية في بيشاور: (٤٣٢٠٣، ٤٣٧٠٨، ٤٢٣٩٧، ٤٢٣١١، ٤٢٠٤٠) فعندما تصل إلى بيشاور فاتصل بأحد هذه الأرقام، واطلب منه أن يأتيك إلى المكان الذي أنت فيه، وعندئذ يأتيك إلى مكانك شخص يتكفل بخدمتك.

**أما عنوان المراسلة فهو:**

PESHAWAR UNIVERSITY

P.O.BOX (977)

PESHAWAR-PAKISTAN

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

١- رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. ٢- رواه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

# إيضاحات حول حكم الجهاد اليوم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

١- فقد تكلمنا طويلاً عن حكم الجهاد اليوم في أفغانستان وفلسطين، وفي كل ما شابهها من أراضي المسلمين المغتصبة، وأكدنا ما قرره السلف والخلف من محدثين ومفسرين وفقهاء وأصوليين أنه **(إذا اعتدي على شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على أهل تلك البقعة، تخرج المرأة دون إذن زوجها -بمحرم-، والمدين دون إذن دائنه، والولد دون إذن والده، فإن لم يكف أهل تلك البقعة أو قصروا أو قعدوا توسع فرض العين على من يليهم، وثم وثم إلى أن يعم فرض العين الأرض كلها فرضاً لا يسعهم تركه كالصلاة والصوم وغيرها)**.

٢- إن فريضة الجهاد اليوم تبقى عينية حتى تتحرر آخر بقعة إسلامية كانت بيد المسلمين واستولى عليها الكفار.

٣- بعض العلماء يرون أن الجهاد الآن في أفغانستان وفلسطين فرض كفاية، ونحن معهم أن الجهاد كان بالنسبة للعرب في أفغانستان فرض كفاية، ولكن الجهاد بحاجة إلى رجال، ولم يقم أهل أفغانستان بفرض الكفاية -وهو إخراج الكفار من أفغانستان-، وهنا ينقلب فرض الكفاية ويصبح فرض عين، ويبقى فرض عين في أفغانستان حتى يتجمع عدد من المجاهدين يكفون لطرد الشيوعيين، وهذا يرجع الحكم من فرض عين إلى فرض كفاية.

٤- ليس لأحد إذن أحد في فروض الأعيان، لأن القاعدة **(لا استئذان في فروض الأعيان)**.

٥- إن الذي يصد عن الجهاد كالذي يصد عن الصيام، ومن نصح مسلماً قادراً على عدم الذهاب للجهاد فهو في حكمه كمن نصحه بالإفطار في رمضان وهو صحيح مقيم.

٦- الأولى هجران الذين يثبطون عن الجهاد وعدم الدخول معهم في نقاش يؤدي إلى جدل يقسي القلوب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥-٣١٣): وجماع الهجرة هي هجرة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع، وهجران الفساق، وهجران من يخالط هؤلاء أو يعاونهم، وكذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه، فإنه يعاقب بهجرهم له لما لم يعاونهم على البر والتقوى، فالزناة واللوطية ومن ترك الجهاد وأهل البدع وشربة الخمر فهؤلاء كلهم، ومن خالطهم مضرة على دين الإسلام، وليس فيهم معاونة على بر ولا تقوى، فمن لم يهجرهم كان تاركاً للمأمور فاعلاً للمحظور.

## ملاحظات هامة حول تطبيق الحكم:

١- إننا عندما ندعو الناس للجهاد ونبين حكمه لا يعني أننا متكفلون بهم وبتذاكرهم وكفالة أسرهم. إذ أن مهمة العلماء بيان الحكم الشرعي، وليس عليهم أن يحملوا الناس إلى الجهاد ويستدينوا من أموال الناس لكفالة أسر المجاهدين، فإذا بين ابن تيمية أو العز بن عبد السلام حكم قتال التتار فلا يعني هذا أنه يجب عليه تجهيز الجيش.

٢- إن تنفيذ الفرائض وأداءها مبني على الاستطاعة، فالحج فريضة على المستطيع..

**(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)** (آل عمران:٩٧).

وكذلك الجهاد أداؤه حسب الاستطاعة، ففي الكتاب العزيز:

**(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون)** (التوبة:٩١-٩٢).

قال ابن العربي (٢-٩٩٥): هذه الآية الثانية أقوى دليل على قبول عذر المعتذر بالحاجة والفقر عن التخلف في الجهاد إذا ظهر من حاله صدق الرغبة مع دعوى العجزة.

وقال القرطبي (٨-٢٢٦): الآية أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شيء سقط عنه، فتارة إلى بدل هو

فعل، وتارة إلى بدل هو عزم، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال.

ويفسر هذه الآية قوله تعالى:

**(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)** (البقرة:٢٨٦).

وفي صحيح مسلم: **{إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض}** وفي رواية **(حبسهم العذر)**.

قال القرطبي والجمهور من العلماء: على أن من لا يجد ما ينفقه في غزوة أنه لا يجب عليه.

يستدل الطبري (١٠-٢١١): ليس على أهل الزمانة -المرض المزمن- وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ فيها إلى مغزاه حرج -وهو الإثم-.

ويقول ابن تيمية (١٥-٣١٣): وما جاءت به الشريعة من المأمورات والعقوبات والكفارات وغير ذلك فإنه يفعل منه بقدر الاستطاعة.

## وبناء على ما تقدم من نصوص العلماء:

١- فإن إثم القعود عن الجهاد ساقط عن أصحاب الأعذار، ومن أصحاب الأعذار:

أ- من كان له زوجة وأولاد وليس لهم معيل بالنفقة غيره، أو ليس لهم من يقوم على خدمتهم وكفالتهم غيره، فإذا استطاع أن يدبر لهم نفقة أثناء غيابه فإنه آثم بالقعود، وعلى كل مسلم أن يقلل من نفقته ويوفر من راتبه حتى يتمكن من النفير.

ب- من لم يستطع أن يتحصل على تأشيرة قدوم إلى باكستان بعد محاولات كثيرة.

جـ- من منعته حكومته بأخذ الجواز أو منعته من الخروج من المطار.

د- من له والدان وليس لهما معيل يقوم عليهما بالنفقة أو الخدمة غيره.

## حكم التخوف من سؤال أجهزة الأمن إذا رجع المجاهد من الجهاد إلى مسقط رأسه:

إن هذا الأمر ليس عذراً أبداً لأنه ظن وشك، واليقين لا يزول بالشك، فالجهاد يقيني، والخوف من سؤال المخابرات شك، وكذلك لو تيقن أن المخابرات تسأله فهذا ليس عذراً يرفع به إثم القعود عن الجهاد، لأن العذر بالإكراه المعتبر في الشريعة الذي يسقط به إثم ترك الفرائض هو (الإكراه الملجئ الذي به فوات النفس أو العضو) أي التعذيب فيه موت أو قطع عضو، وكذلك التخوف من أجهزة الأمن في البلدان التي يحمل جوازها -ولو تيقن أنه إذا رجع وأمسكت به قتلته أو قطعت عضواً من أعضائه- فهذا ليس عذراً مقبولاً عند الله، لأنه في هذه الحالة يجب أن يترك بلده ويعيش في أرض الجهاد:

**(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا)** (النساء:٩٧-٩٩).

## حكم جهاد النساء العربيات في أفغانستان:

النساء العربيات لا يجوز لهن أن يأتين بدون محرم، وعملهن مختص بالتعليم أو التمريض أو إغاثة المهاجرين، وأما القتال فلا تستطيع العربيات القتال، لأن المرأة الأفغانية حتى الآن لم تقاتل.

## حكم الذي به عاهة تمنعه عن القتال ولكن لا تمنعه من العمل في مجالات أخرى كالأعرج:

إن فرضية العين لا تسقط عن الأعرج ولا عن المريض مرضاً غير مقعد، لأن بإمكانهم أن يعملوا في مجالات الصحة والتعليم وهو ميدان واسع، والمجاهدون الآن حاجتهم إلى الدعاة أشد من حاجتهم إلى الطعام والسلاح والدواء.

قال ابن الهمام في فتح القدير (٥-٤٤١): وأما الذي يقدر على الخروج دون الدفع -القتال- ينبغي -يجب- أن يخرج لتكثير السواد، فإن فيه إرهاباً.

فإذا كان الخروج لتكثير العدد واجب، فكيف بالخروج لتعليم المجاهدين أحكام دينهم؟ إن هذا أشد وجوباً وأعظم فرضية.

## نداء إلى ذوي الأسر:

وفي الختام نقول لأصحاب الأسر: لا يجوز أن يتركوا أسرهم وينفروا للجهاد بدون تأمين نفقتهم، وبدون تأمين من يقوم على خدمتهم.

فمن أراد الخروج الآن من أرباب الأسر ومعه أسرته، فنحن لا نستطيع كفالته، فعليه أن يبحث مع المركز الإسلامي القريب منه، أو مع بعض الأخيار حتى يؤمنوا له نفقة عياله. فعلى الفقراء من أرباب الأسر أن يبحثوا جادين عمن ينفق على أهاليهم أثناء غيابهم، ويسعوا سعياً حثيثاً لتدبير نفقتهم ثم ينفروا للجهاد.

*********************

## هذا الكتاب

**أيها الأخ الحبيب:**

إمتشق حسامك، واعل صهوة جوادك وامسح العار عن أمتك.

*إن لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذن؟*

**أيها الأخ الكريم:**

*طال المنام على الهوان فأين زمجرة الأسود*
*واستنسرت فئة البغاة ونحن في ذل العبيد*
*ذل العبيد من الخنوع وليس من زرد الحديد*
*فيا خيل الله اركبي*

أيها الأخ العزيز:

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب).

# آيات الرحمن
# في جهاد الأفغان

بسم الله الرحمن الرحيم

{أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير} (الحج:٣٩).

[عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام] (حديث صحيح رواه أحمد).

[إن وسط آسيا كالجسم الحي، وأمة الأفغان هي قلبه النابض بالحياة، والقضاء على الأفغان يعني القضاء على هذه القارة الضخمة وفي نموها وازدهارها، وما دام القلب طليقاً حياً فكل الجسم يتمتع بالعافية وإلا فإنه يصبح كالريشة في مهب الريح].

(إقبال)

[لعمري لو لم يبق للإسلام في الدنيا عرق ينبض لرأيت عرقه بين سكان جبال الهملايا والهندوكوش نابضاً، وعزمه هناك وامضاً].

(شكيب أرسلان)

# الإهـــــداء

إلى الذين علموا العالم الإسلامي والعربي روح الجهاد والبذل والتضحية والفداء، وعلى رأسهم محمد فرغلي ويوسف طلعت، وإلى الذين قضوا نحبهم وهم يحاولون رفع اللواء في فلسطين وسوريا ومصر والفلبين ولبنان وكشمير.

وإلى الذين لا زالوا على الطريق يخطون بدمائهم أروع آيات البطولة فوق ذرى جبال الهندوكوش في أفغانستان، إلى هؤلاء الشعث الغبر الذين لو أقسموا على الله لأبرهم، وهم يرسمون خط التاريخ بعرقهم ودمائهم، أهدي ثواب جهدي المتواضع راجياً أن يتقبلنا الله وإياهم في الصالحين.

العبد الفقير إليه تعالى

عبدالله عزام

خلاصة عقيدة السلف

# وهي عقيدة المؤلف

قد علمت أن هذا الكتاب سيثير ضجة لدى بعض الطيبين ممن منَّ الله عليهم بالاطلاع على بعض آراء السلف -خام العقيدة-، إلا أنني أتوقع أن هذه الضجة ستكون من أنصاف المتعلمين أو الجامدين على ظاهر النصوص، أما المتعمقون فهم ع جانب كبير من الثقافة، واطلاع كاف على سيرة الصحب والتابعين، وما حدث لهم من كرامات، وهذا يكفي في تقبلهم هذه الأخبار، أنها لن تثير استغراباً ، ولن تحدث انتفاضة لديهم أو ارتباكاً، أما غير الطيبين فنحن لا نعير لهم أي اهتمام لأنهم اتخذوا دينهم لم ولعباً، وأمرنا بإهمالهم بنص القرآن الكريم:

**(وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا)** (الانعام:٧٠)

ومن أجل الطيبين من أنصاف المتعلمين بينت عقيدتي حتى لا تذهب بهم الظنون إلى بعيد، فيرمونني بالصوفية المخرّفة، الإبتداع المنحرف عن جادة الحق القويمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره عا الدين كله وكفى بالله شهيداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً به، وتوحيداً بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عب ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذه عقيدتنا وهي عقيدة الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة (أهل السنة الجماعة) وهي:

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره.

## الإيمان بالأسماء والصفات:

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف و تمثيل، بل نؤمن ونعتقد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فنحن نثبت لله عز وجل أسماءه الحسنى وصفاته العليا الت وردت في الكتاب والسنة الصحيحة.

ونعتقد أن السلف (رضوان الله عليهم) وأهل السنة والجماعة يعلمون معنى الصفات ولكنهم يفوضون علم الكيفية والكنه إلى ا عز وجل، فنحن نعتقد كما اعتقدوا أن الله عز وجل موصوف بهذه الصفات حقاً لا مجازاً، على الوجه الذي يليق بجلاله، من غير أ يشابه خلقه في شيء من صفاته.

وكما قال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فنحن نؤمن أن لله يداً ليست كأيدينا، وله بصر ليس كبصرنا، ونؤمن بنزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا، ونقول: النزول معلو والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

## الاستواء والفوقية:

ونحن نؤمن أن الله عز وجل مستو على عرشه، بائن عن خلقه، فوق السماء السابعة (ولا نقول الاستواء بمعنى الاستيلاء ا الهيمنة)، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن أن يحد بزمان أو مكان.

**المعية:** وهو معنا بسمعه وبصره وعلمه.

## الإيمان بالقدر:

ونؤمن أن الله خالقنا وخالق أفعالنا، مع كون العبد مختاراً في أفعاله، ونؤمن أن الله فعال لما يريد.. لا يكون شيء إلا بإرادتا ولا يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المحفوظ، وعقيدت

وسط بين القدرية التي تسند الفعل إلى العبد وتجعله خالقاً لفعله من خير أو شر، ونخالف الجبرية فلا نقول العبد مجبور على فعله من خير أو شر، بل -كما قلنا- نعتقد أن الله خالقنا وخالق أفعالنا والعبد مختار بفعله.

**الإيمان:** نحن نعتقد أن الإيمان اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، تزيده الطاعة وتنقصه المعصية.

## الذنوب والكبائر:

وعقيدتنا وسط بين المرجئة والحرورية (الخوارج) والمعتزلة، فنحن لا نقول كالخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر، ولا نقول كالمرجئة أن الإيمان لا يضر معه معصية، ولا نقول كالمعتزلة أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين، بل نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، وإن مات ولم يتب فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

## الصحابة:

وعقيدتنا وسط بين الروافض (الشيعة) والخوارج، فنحن نعتقد بفضل الصحابة كلهم، ولا نغلو في آهل البيت، وبخلاف الخوارج فإنهم قد كفروا عثمان وعلياً وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص، ونؤمن أن أفضل أمة محمد ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي كرم الله وجهه، ثم العشرة: سعد وسعيد وطلحة والزبير وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة ( بيعة الرضوان)، ثم سائر الصحابة رضوان الله عليهم.

ونتولى أصحاب الرسول ﷺ كلهم، ونستغفر لهم، ونذكر محاسنهم، ونكُف عن مساوئهم، ونسكت عما شجر بينهم، ونقر بفضلهم، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، أو يعمل عملاً لا يحتمل إلا الكفر، مثل السجود للصليب، ونرجو للمحسنين أن يعفو الله عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ ، ونترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء.

## الأولياء:

ونقر بكرامات الأولياء، والمؤمنون المتقون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن والسنة.

## التشريع بغير ما أنزل الله:

ونرى بأن التشريع بغير ما أنزل الله كفر ينقل عن الملة، ونرى القضاء في ظل القوانين الوضعية باطلة لا تلحقها الإجازة ولا التصحيح، ونعتقد أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة (منذ بعث الله محمداً ﷺ) إلى أن يقاتل آخر أمته الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.

وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ لا يخلدون في النار -إذا ماتوا موحدين- وإن لم يكونوا تائبين، فهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم بفضله وإن شاء عذبهم بعدله.

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا نشهد على مسلم بكفر ولا نفاق ولا شرك ما لم يظهر منهم شيء من ذلك.

وندع سرائرهم إلى الله تعالى، ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ونكره أصحاب البدع، ونرى أن الاستغاثة بالأموات وطلب الحاجات منهم شرك، وأما التوسل بأي أحد من الخلق فهو غير جائز ويجب تركه.

ونرى أن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها ووضع السرج فوقها والرايات وتعليق الستور عليها وإقامة السدنة حولها، من البدع المحرمة التي يجب محاربتها.

ونؤمن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، وبقيام الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، وبنصب الموازين وبنشر الدواوين، ونؤمن بالصراط المنصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم، ونؤمن بحوض نبينا ﷺ وبشفاعته وأنه أول شافع، وأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، وأنهما الآن موجودتان. وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كالقمر ليلة البدر،

وأن النبي ﷺ خاتم النبين والمرسلين، وخير الخلق أجمعين.

وأن الله تعالى منزه عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ونؤمن العرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، فمن ص صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له ما لنا وعليه ما علينا.

ونعتقد أن القرآن منزل من عند الله، وهو كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه سبحانه تكلم به حقيقة، وأنزله على ع ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

إنه ليسعدني أن أقدم هذا الكتاب إلى جميع محبي الجهاد، إلى هؤلاء الذين يتطلعون إلى قيام دولة إسلامية تؤوي الدعوة الإسلامية في ظلالها، وإلى هؤلاء الذين نسوا قوة المسلمين وأدهشهم ما تصنعه أيدي أعدائنا من سلاح وعتاد، ولم ينتبهوا إلى قوة الإيمان التي لا تُهدم ولا تُهزم، أقدم إليهم هذا الكتاب، ليعرفوا أن نصر الله يدرك عباده المخلصين، وأن الله يؤيد السائرين في درب الحق والجهاد لإعلاء كلمته، يؤيدهم من حيث لا يحتسبون.

وقد قام بتأليف هذا الكتاب رجل نشأ في حقل الدعوة الإسلامية (ولا زال) من رجالها، فقدر الله له أن يعيش مع المجاهدين الأفغان ويعايش جهادهم وأوضاعهم، ويختلط بهم في أجواء الحب والإخاء.

وكما أعلم أنه لم يكتب شيئاً قبل التأكد من صحته، لعل الله ينفع به وبكتابه هذا جميع من يتلهفون إلى الجهاد، وجميع من يعملون في حلقل الدعوة إلى الله.

ولا بد للمسلمين أن ينتبهوا بأن تربية النفوس وصقل الأرواح إنما يتم في خضم المعارك وميادين الجهاد.

ولم يقسم الرسول ﷺ المجتمع المسلم إلى طبقتين: طبقة التجار والزراع أمثال أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن معاذ وقال هؤلاء يجهزون الجيوش، وطبقة المحاربين الفقراء أمثال بلال وعمار وصهيب.

وأما الذين يشككون في هذه الكرامات فأنا لا ألومهم لأنهم غارقون في نظراتهم المادية، بعيدون عن واقع الجهاد، ولا يعرف الشوق إلا من من يكابده، وليس من رأى كمن سمع، وأنا أدعو الذين يكذبون أن يزوروا أرض الجهاد ليروا بأم أعينهم أن رب العزة سبحانه هو الذي يدير المعركة.

وأما الكتّاب المسلمون الذين يجهدون أنفسهم بالتفكير في قصص خيالية لملء فراغ الجيل وتسليته بالقصص الهادفة النظيفة، فادعوهم كذلك ليكتبوا عن قصص أبعد من الخيال، وأغرب من الأساطير، تصنع التاريخ من جديد، وتخطه بالدماء، وتبنيه بالرؤوس والأشلاء.

وأما قضية الجهاد فقد خرجت من قضية محلية إلى قضية إسلامية عامة ، وإنني أصارح المسلمين بأننا بدأنا المعركة بالمسدسات ولم يكن معنا بندقية واحدة، وبأن الشعب الأفغاني واجه الدبابات الروسية أول أمره بالحجارة والصخور.

لقد آمن الشعب الأفغاني بالحقيقة الإيمانية البديهية التي تمثلها المعادلة التالية (**الله أقوى من روسيا**) ، الله لا يقهر ولا يهزم، إذن ستهزم روسيا وتقهر بإذن الله.

إننا نذكر الذين يجوبون أرجاء الأرض للتنزه والسياحة بالحديث (**سياحة أمتي الجهاد**) حديث صحيح رواه أبو داوود ونحذرهم من مغبة ترك الجهاد، ونلفت أنظارهم إلى الحديث: [**من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة[1] قبل يوم القيامة**] حديث صحيح رواه أبو داوود وابن ماجة والدرامي.

وأذكر المسلمين بقوله ﷺ: (**لقيام ساعة في سبيل الله خير من قيام ستين سنة**) حديث صحيح رواه أحمد والترمذي والحاكم.

وأدعو الله أن يجعل عمله هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبله منه.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عبد رب الرسول سياف

---

١- القارعة: المصيبة والداهية.

# مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، و يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

فها أنا أكتب مقدمة الطبعة الثانية لكتاب (آيات الرحمن)، وإن كان الكتاب قد كتب على عجل، وأحببت أن أسجل فيه انطباعا عن أروع نماذج القرون الثلاثة الأخيرة، وإن كان في مذكراتي وذاكرتي الكثير من الأحداث التي أحالت وقتي وجهدي وفكري متج بكليتها نحو هذه القضية التي لا زالت حتى الآن أمل المسلمين المرتقب.

إن قضية أفغانستان هي قصة الإسلام الجريح في كل مكان، والذى تكالبت عليه الأمم من كل حدب وصوب في كل زم وأوان.

**(كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون)** (الذاريات:٥٢-٥٣)

إنها نفس المشاهد والأحداث، وإن كان أبطال القصة وشخصياتها متعددين، وليس هذا عجيباً، فهو الناموس الإلهي في الكو وهو قانون التدافع الذى يحكم الحياة والأحياء.

**(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين).** (البقرة:٢٥١)

إنها نبوءة المصطفى ﷺ من تداعي الأمم علينا، وقذف الوهن في قلوب المسلمين -حب الدنيا وكراهية الموت-، ونزع المهابة من قلوب أعدائنا -اللهم إلا الطائفة التي تبقى على الحق ظاهرة حتى يأتي أمر الله-.

فقضية أفغانستان هي نفس قضية فلسطين والفلبين وسوريا ولبنان وتشاد ومصر وفي كل مكان، قدم أهله قرابين رخيه لشهوات السادة، سائغاً لأهواء القادة.

إن الجراح تنكأ الجراح والشجى يبعث الشجى، وقضايا الجهاد حلقات متصله تبعث في النفوس الأمل وتحيي في الأعم الإصرار والعزم على مواصلة الطريق، مهما جلت التضحيات وبهظت التكاليف.

والكلام عن قضية أفغانستان لا يغطي على قضية فلسطين، بل يعطي لأبناء فلسطين مثلاً رائعاً على أن كل شيء -بإذن الل سهل إذا قامت الصلة مع الله، واتجهت أبصارنا إلى استمداد العون منه.

**(وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً)** (فاطر:٤٤).

وما أصدق كلام تميم بن نويرة فينا وفي قضايانا إذ يقول وهو يندب أخاه مالك بن نويرة:

*قال أتبكـي كل قـبر رأيتــه*     *لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك*

*فقلت له إن الشجى يبعث الشجى*     *فدعني فهــذا كله قبــــر مالك*

فالكلام عن قضية أفغانستان هو كلام عن قضية فلسطين، والجهاد فرض عين فيهما جميعاً، والكلام عن الجهاد في أفغانست يذكر أبناء فلسطين والمنطقة كلها بتقصيرهم تجاه الجهاد في فلسطين.

والمسلم لا ينبغي له أن يستسلم ولا ييأس.

**(إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)** (يوسف:٧٨)

بل يتحول من موقع إلى موقع، وينتقل من خندق إلى خندق، حتى تبقى نفسه حية، وقلبه ينبض بحب الجهاد والاستشهاد. ف كانت الدنيا قد تكالبت علينا ونسينا نصرة الله في الجولة الأولى في فلسطين، فلا مانع أن ننتقل لنعد لجولة ثانية، وأسوتنا في هذا هو رسول الله ﷺ، حتى إذا أحكمت مكة قبضتها حول خناق الدعوة الإسلامية، وضاقت أرضها بالدعوة والدعاة، بدأ يبحث عن قا أخرى تكون قاعدة انطلاق صلبة لدعوته، فأرسل صحبه إلى الحبشة. ثم مضى بنفسه إلى الطائف يعرض نفسه على أهلها، ح

كانت المدينة المنورة -طيبة- هي الحصن الحصينة التي أوته وآزرته، فبنى فيها أمته وربى جيل الصفوة الكرام، وعاد بهذا الجيش الرباني وفتح مكة بعد ثمانية أعوام فقط، وطهر الكعبة من الأصنام وإلى يوم الدين.

وإن الجهاد في أفغانستان يجعل المجاهدين الأفغان أنفسهم يذكرون فلسطين دائماً، وكم من مجاهد سألته ماذا وراء الجهاد في أفغانستان وماذا بعد نصركم فيها -إن شاء الله-، فمعظمهم يجيبك: لا بد من السير إلى قبلتنا الأولى بيت المقدس، ولا غرو في هذا فقائدهم سياف الذي يُشهد العالم بين الحين والآخر أن المجاهدين الأفغان سيكلفون بعد إقامة المجتمع الإسلامي في أفغانستان إلى بيت المقدس، سيتوجهون -إن شاء الله-.

# مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

من حول هضبة (بامير) في أواسط آسيا وعلى سفوحها يخوض شعب عريق في دينه وأرومته ونخوته في هذه الأيام أشرس المعارك وأشدها ضراوة ضد القوى الحمراء المتوحشة.

هذه الهضبة التي يطلق عليها أهالي أواسط آسيا (سقف العالم) لعلوها حيث تصل في بعض قممها في أفغانستان إلى ارتفاع (٦٠٥٤) متراً، هناك وفي شعاب جبال هندوكوش وشعاب جبال سليمان، وفي بقعة شاسعة تصل إلى (٦٥٠) ألف كيلو متر مربع، تشكل أرض الشعب الأفغاني المسلم، التي رواها بدمه الزكي الطاهر، ودفع حتى الآن قرابة مليون شهيد، ولا زال يقدم المزيد من الجماجم والدماء والأرواح والشهداء والأعضاء والأشلاء أمام أعتى قوى العالم التي تملك بين يديها قوى حلف وارسو.

ليس عجيباً أن نرى هذا الشعب يقدم هذه التضحيات، فهي (شنشنة نعرفها من أخزم) كما كان عمر يقول لابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، وهذا مثال يضرب للولد الذي يشبه آباءه في صفاتهم، كالعلم أو الكرم أو الجرأة.

فهي بلاد أبي حنيفة والبيهقي والبلخي والهروي وابن حبان البستي، وعلى حدودها بلد الترمذي والنسائي والبخاري، وهي بلاد (قطز) قاهر التتار (ومحمود الغزنوي) فاتح الهند، وهي بلاد الفخر الرازي، وابن قتيبة، وإمام الحرمين (الجويني) والبيروني والبدخشي والفارابي وابن سيناء والجوزجاني والولواليجي، ولهذا الشعب ميزات كثيرة أهمها:

١- انه شعب مسلم : فالإسلام دين (٩٩٪) من السكان، ومعظمهم من أهل السنة والجماعة، وبقي التشريع الإسلامي هو المصدر الوحيد للتشريع منذ أن فتحها عاصم بن عمرو التميمي زمن عمر رضي الله عنهم، حتى انقلاب محمد داوود سنة (١٩٧٣م).

ولذا فالدين هو المحرك الأول لهذا الشعب وبقيمه يزن المجتمع، وهو ميزان الارتفاع الشخصي في هذا البلد.

**{إن أكرمكم عند الله أتقاكم}** (الحجرات:١٣).

وهو شعب عجيب بالتفافه حول علمائه، والعلماء هم القادة الوحيدون في ميدان القتال، وهم أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة.

ولذا فليس غريباً أن نجد هذا الشعب المتدين يخلع ملكين متتاليين من ملوكه.

**أولهما:** الملك حبيب الله بن عبد الرحمن (١٩١٩م) ثار عليه الشعب لشعوره بارتباطه مع الإنجليز، ولم تهدأ ثورة الشعب حتى أطاح بالملك وقتله.

**ثانيهما:** الملك أمان الله خان الذي ثار عليه الشعب سنة (١٩٢٤م) واستمرت الثورة حتى سنة (١٩٢٨م) حيث ثار عليه الشعب لظهور نسائه سافرات، ومحاولته تغريب البلد، وأطاح به كما أطاح بسلفه.

وأفغانستان بلد العلم منذ أقدم الأزمنة لقربها من بخاري، وفيها (بلخ) مزار شريف، التي وجد فيها جنكيز خان عند مهاجمتها ألف مدرسة دينية، وكان أهل أفغانستان طلاباً وأساتذة في بخاري.

**٢- أنها بلد العلوم الإسلامية:** فمعظم علماء أواسط وشرق أسيا منها .

٣- إن (٦٠٪) من الشعب الأفغاني من عرق (البشتون): وهو خليط من العرق التركي والإيراني، ويطلق عليه البعض (الباتان)، وهو عرق يمتاز بطول قامته وبشرته السمراء وشعره الأسود المموج، وهذا شعب صلب المراس محارب بطبيعته، يأنف الذ ولا يستطيع الإقامة على الضيم، فلقد قهر الإسكندر المكدوني، وأذل بريطانيا، فقد حاولت كثيراً أن تغرس راياتها فوق هضباته فلا تستطع، إذ تعرف بريطانيا كيف خسرت جيشاً بكامله سنة (١٩٤٢م) عداده اثنا عشر ألفاً، لم ينج منه سوى واحد هو الذي كتب ع الملحمة التاريخية، واسمه الدكتور برايدون (Pridon)، رغم أن بريطانيا استعمرت (الهند وباكستان) من (١٧٥٧-١٩٤٦م) أي قرنين كاملين، وقبلها قرنان كاملان باسم شركة الهند الشرقية.

٤- أنه شعب عزيز: لم يذله الاستعمار ولم تروضه الأيادي الغربية -ذات الوجوه الحمر والعيون الزرقاء-، ولم تحول الأسو فيه إلى القرود باسم التقدم والعلم وبريق الشهادات الخادع ومناهج التطوير الخلاب، يقول الأستاذ سياف: إن عروش الأرض كلها ا أعدلها بلحظة واحدة من لحظات الجهاد.

حدثني القاضي محمد قال: لقد استشهد أمامي ألف شهيد من بينهم ابني وأخي، كل هذا لم ينزل عبرة من مقلتي، ولم يؤث فيَّ مثل مقابلتي لموظف في إحدى سفارات دول البترول يخاطبني وكأنني متسول في الشارع.

٥- ليس في أفغانستان كلها كنيسة واحدة ولا مبشر واحد.

٦- أنه شعب فقير لم يتلف الترف كيانه: ولم تنخر الرفاهية في عظامه، ولم يَهُد التنعم صلابته ولا رجولته. وهو يتحمل المشاق وظروف التقلبات وقساوة العيش، إذ يكفيه أن يجد الخبز الجاف فقط، ويعيش عليه المجاهدون لعدة أشهر.

٧- أنه شعب صاحب نخوة: فهو على فقره جواد كريم، ذو نخوة ووفاء، وبهذه المناسبة يروون قصة البدوي الذي أوى إلى خيمته التي يسكن فيها غزال جريح، جرحه الملك الصالح محمود الغزنوي، وتابعه حتى دخل الخيمة، فأراد الدخول لأخذه فرفض بنفسه البدوي أن يسمح له أن يأخذه وقال: هذا آوى إلى بيتي، فعرّفه بنفسه أنه الملك، ومع ذلك أصرَّ البدوي على عدم أخذ الغزال، لأن اعتبره مستجيراً وملتجئاً وضيفاً، فلا بد من الحماية، واحترم الملك نخوة البدوي وعاد.

بهذه الصفات العريقة والمميزات الفذة دخل هذا الشعب المسلم معركته.

إن السبب الأول والحقيقي لدخول القوات الروسية أفغانستان هو الخوف من التيار الإسلامي الذي أصبح قوة تخشى روسيا مغبة عاقبتها، وتفزع من امتدادها إلى المناطق الإسلامية التي ترزح تحت حكمها منذ نيف وستين عاماً، تسحقها بآلات التعذيب، وتطحنها بمطاحن تعليب اللحوم في سمرقند وبخارى وتركستان الغربية وأزبكستان، حيث يعد المسلمون -وراء نهر جيحون أو (أمو) الذي عرف في التاريخ الإسلامي (بالنهر)- أكثر من ستين مليوناً، وهذا النهر هو الفاصل بين المسلمين في الاتحاد السوفياتي والمسلمين في أفغانستان.

كما أن هنالك مطامع اقتصادية لروسيا فيها: أنها تريد أن تصل إلى المياه الدافئة في بحر العرب، من خلال اختراق اقليم بلوشستان، (بين إيران وباكستان) لأن معظم موانئها على بحر البلطيق تتجمد أثناء الشتاء، فهي تريد أن تصل قرب (جوادر) الباكستانية على بحر العرب، وهناك تقف على فم مضيق هرمز، الذي يمر عبره معظم البترول العربي الذي يمثل أكبر مصدر للنفط في العالم، وصدق الله العظيم:

(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) (فاطر:٤٣)

(ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (النمل:٥٠-٥٣)

فهل تكون أفغانستان هي الخطوة الأولى في سقوط الإمبراطورية الروسية -كما يقول شاليزي-، إنه لحلم عزيز وما ذلك على الله ببعيد.

(إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً) (المعارج:٦-٧)

هذا الشعب الذي تحدى العالم كله، رغم فقره وقلة ذات يده، وضحالة تطوره الاقتصادي والتكنولوجي، وضآلة صادراته

وتجارته الخارجية، إنه يناطح السماء بعزته، ولا يعتز إلا بربه ودينه **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)**.

وأسوق هنا قصة واحدة أفغانية تذكرنا بعزة السلف وترفعهم عن متاع الدنيا، واستعلائهم على قوى الأرض جميعاً -والقصص كثيرة جداً ولكنها كمثال-، إنها قصة (القائد نجم الدين) في أنجمان -هي مقاطعة واخان الإصبع البارز من الخارطة الأفغانية يلتقي مع الصين وروسيا وباكستان، وتعتبر هذه المنطقة الأفغانية واقعياً وسياسياً وعسكرياً داخلة في أراضي الجمهوريات الإسلامية الواقعة تحت حكم الإتحاد السوفياتي، وينشيء الروس فيها قواعد ذرية، وفيها الصواريخ عابرة القارات-

المهم أن هذا القائد نجم الدين عنده مائة وخمسون مجاهداً فقط، وقد حرم الروس من السير على الطرق العامة، والدبابات الروسية لا تجرؤ على الحركة في الطريق المجاور لهذا القائد، ولذا هجم الروس عليه بقوات كبيرة، ونصره الله وأسر خمسة من ضباط الروس الكبار، فأرسل إليه الروس رسالة: نعطيك ما تطلب وتفلت لنا الخمسة، فرد عليهم بكلمة واحدة: لسنا تجاراً.

ثم أرسلوا إليه رسالة ثانية: إن لم تطلقهم سنحرق المنطقة كلها ونقتل الشيوخ والأطفال، فرد عليهم: أيها الروس الكلاب: إنكم لم ترقبوا فينا ذمة ولا عهداً، ثم أرسل الروس رسالة ثالثة له موقعة بدمائهم وكتبوا بالدم: لنثأرن للخمسة إن مسستهم بسوء، فقال نجم الدين: أتحداكم، وأمر بقتل الخمسة، فحزنت روسيا عليهم حزناً شديداً، حتى أقامت لأحدهم تمثالاً تؤدى له التحية من قبل الجند الحمر.

إن الشعب الأفغاني قد خاض خلال هذه السنوات الثمانية حرباً ما شهدها التاريخ الإسلامي عبر القرون الثلاثة الأخيرة، وأكثر ما يحزنني أن هذه المعارك الإسلامية التي سطرت بالدماء والأشلاء قد ضاعت، ولو وجدت من يتابعها ويؤرخ لها لكانت أسفاراً ضخمة من نور هداية للأجيال عبر القرون القادمة.

والبشائر والكرامات التي أكتب عنها كثيرة جداً، وقد كتبتها عبر لقاءاتي مع هؤلاء المجاهدين الذين تعلقت بهم روحي، وأول ما لفت نظري إليها محاضرة سمعتها من أخ أفغاني هو محمد ياسر -أحد مساعدي سياف- في الحج، فأثارت انتباهي، وأحببت أن أتابع القصص بنفسي، وما كنت أقبل القصة إلا ممن شهدها أو رآها، ولم يخرج عن هذا المنهاج إلا قصتان أو ثلاث، ولذا كتبتها بلفظ حدثني.

## رأي العلماء:

وأول من كتبت إليه عن هذا الموضوع هو فضيلة أستاذنا وشيخنا الكبير العلامة عبد العزيز بن باز، لأرى رأيه فيها، فشرح صدري عندما سمعت جوابه: بشرى خير تبشر بنصرهم إن شاء الله.

وسألت كذلك أخانا الكبير الأستاذ الدكتور عمر الأشقر: فقال أهم شيء هو صحة الرواية، فإن كان الرواة صادقين فيجب أن نعلنها سواء وافقت عقول الناس أم لم توافق.

ولقد اتخذ العلمانيون والشيوعيون والحاقدون هذه القصص مادة للسخرية بالجهاد، واللمز بالمجاهدين، والطعن بالكتاب -لأنهم يكرهون الإسلام- فيريدون منفذاً للطعن والغمز والدّس، وقد صدق الله فيهم **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)**.

(آل عمران: ١١٨)

وإني أذكر الإخوة الذين يعلمون ويستحيون من ذكر هذه القصص، أذكرهم بحادثة الإسراء التي أعلنها رب العزة على العالم، ولم يكن في الأرض من يؤمن بهذه القصة -سوى أفراد يقلّون عن مائة شخص في الأرض كلها-، واتخذها سدنة الكفر حديثاً دسماً للتشكيك بصدق النبي ﷺ.

وبعد... فهذا جهد بسيط اجتهدت أن أكتبه، أرجو الله أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة وأن يغفر لنا أخطاءنا وخطايانا.

**(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين)**. (البقرة:٢٨٦)

# ردود الفعل تجاه الطبعة الأولى

الحمد لله، فلقد أقبل الناس على قراءة الطبعة الأولى بشغف عجيب، إذ تلقيت مكالمات هاتفية من أوروبا وأمريكا ومن البلاد العربية يستأذنون في طباعة الكتاب، وجاءتني رسائل من أماكن شتى من العالم يطلبون الكتاب، ولا غرو في هذا، إذ أن كتاباً يتكلم عن أخطر قضية إسلامية في الأرض الآن، بل أخطر قضية تشغل ذهن العالم كله لأنها حية يحسب لها المسلم والكافر كل حساب فالمسلم يراوده الأمل أن يكون هذا الجهاد بداية لقفزة أوسع، وانطلاقة لمجتمع إسلامي، ونواة لتجمع المسلمين على الجهاد، بالإضافة إلى تبديده اليأس الذي ران على قلوب كثير من المسلمين بعد الهزائم التي مُني بها المسلمون في القرنين الأخيرين.

وأما الكافر فإنه عاد يراجع حسابه تجاه الإسلام وأهله، إذ ظن الغرب أنه قد سحق الإسلام نهائياً ولن تقوم له قائمة، فأدخل الجهاد الأفغاني الإسلام في حساب الدول الكبرى، وأصبح الغرب والشرق لا يستطيعون أن يكابرو ويغمضوا أعينهم عن مارد جبار اسمه (الإسلام) باتوا يخافون أن ينطلق مرة أخرى من القمقم، لقد عادوا يراجعون كتابات لورنس براون الإنجليزي، الذي كتب لهم لقد هددنا بالصهيونية فوجدناهم أصدقاء لنا، وهددنا بالبلشفية فوجدناهم حلفاء لنا في الحرب، وهددنا بالجنس الأصفر إلا أن هنالك دولاً ديمقراطية غيرنا تقاومهم، إن عدونا الوحيد هو الإسلام، هذا الجدار الذي وقف في وجه الاستعمار الأوروبي طيلة ثلاثة قرون.

وكتب ريتشارد ميتشل الأمريكي كتابه (أثر التدين في الحركات السياسية في العالم الإسلامي)*، وكتب إدوارد موريتمر كتابه قبل سنة (العقيدة والقوة).

ولقد أشار بعض الإخوة الأحبة إلى أمور في الكتاب منها:

## أولاً: مؤسس الحركة الإسلامية الأفغانية:

فلقد عاتبني بعض الأخوة الأحبة -وممن لهم مكانة خاصة في قلبي- قائلين: إن الكتاب أثار حساسية بعض الإخوة الذين يعتبرون أن مؤسس الحركة هو عبدالرحيم نيازي وليس البروفيسور غلام محمد نيازي، فحزنت في نفسي كثيراً لوقوف هؤلاء الإخوة الأحبة -وهم يعلمون أني أكن لهم المحبة في أعماقي- عند قضية تاريخية لا تقدم قليلاً ولا كثيراً في واقع الجهاد الأفغاني، إذ كل ما أردت أن أبينه للناس أن الحركة الإسلامية هي باعثة الجهاد الإسلامي، وهي التي فجرته، وهي النواة التي كانت -بإذن الله- طليعة هذا العمل الضخم المبارك، وسواء كان عبد الرحيم نيازي أو غلام محمد نيازي فالإثنان عند رب العالمين، وكل أفضى إلى ما قدم.

**(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)**

(الأنبياء: ٤٧)

ثم قلت: كيف أتجاهل روايات إخوة ثقات يقسمون بالله أن البروفسور غلام محمد نيازي كان يدير الحركة الإسلامية وعبد الرحيم نيازي في المدرسة الإعدادية.

وقبل كل شيء، فأنا أحاسب عند رب العالمين عما اقتنعت به، فلا يمكنني أن أكتب شيئاً إلا ما اطمأنت إليه نفسي، فإن كنت مخطئاً فأمل من الله أن يغفر لي بحسن قصدي، وإن كنت مصيباً فالحمد لله على توفيقه وإنعامه وتأييده وإلهامه.

وعبد الرحيم نيازي أصغر من غلام نيازي، فعبد الرحيم كان طالباً في كلية الشريعة، بينما كان غلام محمد نيازي عميداً لها والخلاف يدور حول البروفسور غلام محمد نيازي أكبرهما سناً هل بدأ الحركة الإسلامية؟ فقسم من الأحبة قالوا هو بدأها، وقسم آخر قالوا لم يبدأها، وفي القواعد الأصولية المتفق عليها (الإثبات مقدم على النفي).

والخلاف في وجهة النظر لا يؤثر على القلوب الصادقة التي تبتغي وجه الله، وخلاف الرأي لا يفسد للود قضية. وخلاصة الرأي أن عبد الرحيم نيازي وأمثاله من الطلاب كانوا في المواجهة لأنهم يتحمسون، والمسؤلون والموظفون كانوا من وراء الستار، وهذا شأن الحركات كلها.

حدثني المهندس أحمد شاه -رئيس اللجنة المالية في الاتحاد وهو رجل ثقة باتفاق الجميع قال: كنت بجانب عبد الرحيم نيازي في اللحظات الأخيرة من حياته- في مستشفى في نيودلهي، فكان عبد الرحيم نيازي أكثر ما يدعو للبروفسور غلام محمد نيازي، ثم قال لي: يا أخ أحمد، وصيتي لشباب الحركة الإسلامية أن يعاملوا غلام محمد نيازي -كوالد-، لأنه لو لم يكن هذا الرجل لما كانت

هناك حركة إسلامية أبداً في أفغانستان.

**والقضية الثانية التي ذكرني بها الإخوة:** أن الكتاب يعطي صورة أن الشعب الأفغاني شعب مثالي لا نظير له في عالم الواقع، فقلت: أما أنه لا نظير له في الأرض كلها فهذه حقيقة -لمن أنصف وعايش هذا الشعب عن كثب-، وأما المثالية فليس لبشر أو لشعب أن يدرك الكمال، فهذا الشعب فيه الصالح وفيه من دون ذلك، وفيه نقائص البشر وضعفهم، فمنهم المبتدع، ومنهم الكاذب والجاسوس والسارق والمدخن والمتعاطي بالحشيش والنسوار (سعوط الدخان)، وتراقي وحفيظ الله أمين والشيوعيون، ولكن الغالبية العظمى للشعب أنه شعب صادق عزيز شجاع أبي، سألت عدة قادة للجبهات منهم الحاج محمد عمر (بغمان) عنده ثمانية آلاف مجاهد، ومحمد جل ناصر عنده (٣٢٠٠) مجاهد (جكردرا)، ومحمد خالد فاروقي عنده (خمسة عشر ألفاً)، ومولوي حليم عنده (أحد عشر ألف مجاهد)، فالكل يشهد أنه ليس عنده تارك صلاة واحد، وأكثر من تسعين بالمائة منهم يشهدون الجماعة، وقسم منهم يقوم الليل، وقسم منهم يصوم تطوعاً، ومعظم من يستطيع قراءة القرآن يقرأ القرآن يومياً، وبعض الجبهات لا يفتح المذياع مطلقاً على أغنية، فأي شعب في الأرض فيه من الخير ما في الشعب الأفغاني.

**والنقطة الثالثة:** أن قضايا الكرامات تؤدي إلى التواكل، فهذا قول مردود بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

أما الكتاب فيقول الله عز وجل:

**{إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم}** (الأنفال:٩-١٠)

فرب العزة يبين لنا أن إنزال الملائكة كان لغرضين رئيسيين:

أ- بشرى للمؤمنين وغرس الأمل في أعماقهم بالنصر.

ب- إنزال السكينة والطمأنينة على قلوب المؤمنين وتثبيت أقدامهم. أما النعاس فهو لإلقاء الراحة على نفوسهم وبث الأمن في قلوبهم وتثبيت أقدامهم.

**{إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام}** (الأنفال:١١).

كم من المجاهدين الأفغان حدثني أنه نام تحت قصف المدفعية وقذائف الطائرات، فقام بعزم جديد وهمة عالية، وتبدد الحزن عن قلبه والخوف عن نفسه!!.

فالكرامات يربط الله بها على القلوب، وتأمل في **(وليربط على قلوبكم)** كأن القلوب كانت كالحمل الثقيل فوق الجمل أو الحيوان بدون ربط ولا شد، ثم جاءت الكرامات فربطتها وثبتتها ومنعت ارتجافها وزعزتها.

أما في السنة: فقال ﷺ لأبي بكر -وهما في العريش- يوم بدر وقد رأى جبريل: **(أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثنايا النقع)**[1].

أما من أقوال الصحابة فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه. كنا نعد الآيات بركة.

**(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون)**. (الجاثية:٦)

ومن أقوال الفقهاء قول الشاطبي في الموافقات[2] تفيد الكرامات والخوارق لأصحابها يقيناً وعلماً بالله تعالى وقوة فيما هم عليه.

هذه هي الأدلة، وهو شأن السلف من أئمتنا، أن لهذه الكرامات أثراً كبيراً في حياتهم، ولقد أراد رب العزة أن ينبههم إليها، فأنزلها قرآناً يتلى آناء الليل وأطراف النهار، فهل الحديث عن الكرامات التي منّ الله بها على عباده وسطرت في كتابه الخالد كانت تؤدي إلى تواكلهم وقصورهم، أم كانت دافعاً قوياً لهم على مواصلة الطريق على جادة هذا الدين؟! إني لأعلم أن كثيراً من الأفغانيين عندما يستشهد أبناؤهم لا تهدأ نفوسهم ولا ترتاح قلوبهم إلا بعد أن يروا كرامة عن أبنائهم، أو يسمعوا عنه ممن يعيش معه في

---

[1] زاد المعاد (٢-٨٨٢)

[2] -٣ (٤-٨٥):

الميدان.

وإني لأعلم كذلك أن هذه الكرامات (وهي قد بلغت مبلغ التواتر المعنوي برواياتي) تفعل فعلاً عجيباً في إثارة حماس المجاهد وتعطيهم دفعاً قوياً على الطريق، إذ أنهم يحسون أن الله معهم، وأن يد الله هي التي تدير المعركة.

ولقد حدثني بعض المجاهدين أننا عندما نرى الطيور مع الطائرات نستشعر بمعية الله معنا.

وحدثني أحدهم قال: إن الأطفال يعرفون أن الطائرات ستقصف أم لا، فإذا مرت بدون مصاحبة الطيور يشعرون أن الطائ لن تضرب، فإذا جاءت الطيور بصحبتها يشعرون أن الطائرات جاءت تقصف، وإنما الطيور ترافقها للدفاع عن المجاهدين، وعن يختبئ الأطفال.

**وقضية أخرى لا بد من التنبيه إليها: وهو أن** الكرامات لا تنزل على القاعدين، إنما تتنزل الكرامة في أحرج أوقات الضيق أن تأخذ النفس أهبتها، وتعد عدتها، وتستنفذ كل إمكانياتها، وتبذل كل طاقاتها، هنا تتدخل إرادة الله لإنفاذ وعده وإتمام قدره.

**(ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين )** (يونس:١٠٣)

**(فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين، فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعص البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم).** (الشعراء:٦١-٦٣)

## الجهاد قائم على الجهد البشري:

إن حياة الجهاد قائمة على الجهد البشري، من عرق ودم وتعب وسهر وعذاب وآلام، إنها قائمة على أعصاب البشر التي تحـ لتنير خط الجهاد، وعلى أحزان ومخاوف، إضافة إلى دماء الأبرياء وأرواح الشهداء وتناثر الأشلاء، كل هذه هي وقود المعركة و شجرتها وحياة عروقها.

**(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)** (آل عمران:١٤٢)

وليس الجهاد قائماً على الكرامات، ولكن الكرامة تأتي في وقت الشدة والضيق، فهذا المجاهد قد أمضى خمس سنوات أو أ أو أقل وهو يصطلي بنار المعركة، وأحياناً تمر عليهم الأشهر المتتالية وهم يقصفون كل يوم، وأحياناً يقصفون في اليوم ثلاث مر وبقذائف (BM12, BM13) تقذف في الضغطة الواحدة أحياناً اثنين وخمسين صاروخاً، وأحياناً بقذائف طائرات يصل وز نصف طن.

حدثني الرائد عبد الحميد: لقد قست حفرة فتحتها قذيفة فكان عمقها ثمانية أمتار ومحيطها (٦٤) متراً.

هذا المجاهد الذي يعيش هذه الحياة قد يرى خلال هذه المدة الطويلة -عبر المحنة القاسية المريرة- فرجاً من الله ذات مرة، حـ انقطعت الأسباب البشرية والوسائل الدنيوية، وأنا كنت أجمع هذه الروايات من أفواه المجاهدين أنفسهم، ولا أقبل رواية إلا مـ حصلت معه أو رآها بعينه، وكنت أتتبع هذه الروايات -وقد بلغت عندي حد التواتر-، وكثيراً ما كنت أستحلف المجاهد على القـ فقصص الشهداء وعجائبهم، واشتراك الملائكة أو قوى غير منظورة، وعدم حرق الثياب -أحياناً- من الرصاص، وعدم إنتاج المفـ المتوقع من القذائف (هذه متواترة تواتراً معنوياً).

يقول الرائد (عبد الحميد): لو أنتجت هذه القذائف التي تلقى على المجاهدين في أفغانستان مفعولها لما أمكن للمجاهدين يواصلوا جهادهم أسبوعاً واحداً.

ويقول مولوي (رحيم): ما رأيت الطائرات إلا رأيت تحتها الطيور، فأقول للمجاهدين أبشروا جاء نصر الله.

**والقضية الرابعة:** إن نشر هذه القصص يؤدي إلى انتشار البدع والخرافات، فأقول: لا شك أن بعض المخرفين يتاجر ويجعله قاعدة لتفكيره ومحوراً لآرائه، ولكن الصحابة رضوان الله عليهم وقد ظلوا حتى نهاية حياتهم وهم يتكلمون عن ملائكة بدر، يكن في عقيدتهم خرافة ولا انحراف، ونقل المؤرخين المسلمين بل المحدثين منهم أمثال ابن كثير في البداية والنهاية وابن الأثير وغير للكرامات، وما من كتاب في الحديث الشريف إلا وأفرد فيه كتاب لفضائل الصحابة وكراماتهم ومزاياهم، فهل أثر هذا في عقـ

الأجيال؟ وهل نشر البدع بين الأمة الإسلامية؟ فنحن متبعون لهؤلاء السلف ولسنا مبتدعين في هذا الميدان.

**القضية الخامسة:** قال بعضهم إن نشر هذه القصص يثير سخرية أعداء الإسلام، فأقول: إن أعداء الإسلام لا يؤمنون بالله ابتداء، ولا بدينه كشريعة للحياة ومنهجاً للتعامل. فهل نريد أن نقنعهم عن طريق إخفاء هذه القصص؟ إن عالم الغيب كله ليس له حساب في تفكير الكفار من الغربيين والشرقيين، والمسلم عقيدته معظمها قائمة على الإيمان بعالم الغيب (فالإيمان بالله، وملائكته، وبالوحي، وبالبعث وبالحشر، وبالنشر، وعذاب القبر، والجنة والنار، والجن...) هذه كلها لا وزن لها في أذهان هؤلاء الناس، فهل نتخلى عن هذا كله، أم نفلسفه فلسفة مادية منطقية من أجل إرضائهم عنا؟!.

**القضية السادسة:** قال بعضهم: نحن لا نريد أن نخدع بالثورة الأفغانية كما خدعنا بالثورة الإيرانية، فأقول: إن الثورة الأفغانية جهاد إسلامي يقوم به شعب مسلم صادق، ويقود الجهاد أناس عقيدتهم واضحة لا يكرهون الصحابة ولا ينكرون الأحاديث، وهذا الجهاد يقوده أناس نحسبهم صادقين، خاصة أمير المجاهدين (عبد رب الرسول سياف) وفرض علينا أن نساعدهم وأن نقف بجانبهم، فإن غيروا أو بدلوا فإننا لا نخسر، وقد قمنا بأداء الفريضة وتقديم الواجب علينا، والقلوب بيد رب العالمين يقلبها كيف يشاء.

## مخاوف الطريق:

إن الجهاد الأفغاني رغم ما حققه في عالم الواقع من غرائب وأعاجيب تفوق الخيال، إلا أن طريقه محفوفة بالمخاطر، وأهم ما يهدده الآن رغم هذه الانتصارات الساحقة قضايا منها:

**١ ـ التكالب العالمي لحل القضية سلمياً:**

إذ أن الغرب لا يرضى أبداً أن تقوم دولة إسلامية إثر هذا الجهاد المشرف، وإن بقاء روسيا قرناً من الزمان أهون عند أمريكا والغرب من قيام دولة إسلامية لمدة ستة، ولذا فقد اتفقت أمريكا مع روسيا على الانسحاب، ولكن العائق هو: من البديل؟ إن البديل الذي اتفقت عليه الدول الكبرى هو الملك محمد ظاهر شاه، ولكن هنالك عوائق كثيرة الآن أمام رجوع الملك، وعلى رأسها معارضة سياف وحكمتيار ومجلس الشورى للاتحاد (٦٠ عضواً) لهذا معارضة شديدة لا تقبل المجادلة ولا النقاش، وهما يقودان قوة لا يستهان بها، ولذا فإن أعداء الله يمكن أن يفكروا بأية وسيلة يستطيعونها الآن، وإن كان الأمر الآن خارجاً عن أيديهم، إذ أن أفغانستان حتى الآن في يد المجاهدين، و (٩٠٪) من أرضها يسيطرون عليها، ولكن أعداء الله يتربصون بالصادقين ريب المنون، ريثما يمكنهم تربية قائد جديد على أعينهم، أو يعيدوا الملك الذي يعيش على حافة قبره.

وهنالك حلول مطروحة من روسيا أن تأتي قوات للفصل بين روسيا والمجاهدين، وتقترح روسيا دولة تدور في فلكها لتقدم قوات الفصل، وسوريا على رأس الدول المرشحة لتقوم بهذه المهمة.

ولقد استفتت لجنة موثوقة من (مجلس الشورى للإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان) حول قضايا منها: رجوع الملك، ورأيت ورقات الاستفتاء فلم أجد واحداً موافقاً على رجوع الملك.

وأما الملك فإنه لا زال يحلم بالعودة إلى أفغانستان، ولا زال وزراؤه القابعون في ألمانيا يتحركون بنشاط عجيب، علّهم يرون الحياة تدب في العظام الرميمة، ولا زال صهره (همايون) يتحرك بين أوروبا وباكستان وهو يضع دستوراً للدولة القادمة التي رآها في منامه.

ولكن الذي يعطي الأمر جديته أن الاتحاد الثلاثي (جيلاني، مجددي، محمد نبي) قد بايعوا الملك، وظهرت صورتهم على التلفاز الباكستاني.

لقد عاتب بعض الطيبين محمد نبي على صلته بالملك وبيعته له، فقال محمد نبي: لقد رأينا أن الدول الغربيه وعلى رأسهم أمريكا مجمعة على الملك، فقلنا نبادر نحن بأنفسنا إلى هذا، فقمنا بمبايعته، ثم ذهبنا إلى الخارجية الفرنسية ففرحت كثيراً، ثم إلى الخارجية البريطانية فشرحنا صدورهم، ثم إلى الخارجية الأمريكية فسروا سروراً عظيماً!!.

وهنالك محاولات لتخطي قادة الجهاد الصادقين لاستفتاء مشيخة القبائل، والناس الذين في المخيمات، محاولين إبراز رغبات هؤلاء الذين يشترون (بثمن العنز) حتى تبدو أهواؤهم وشهواتهم أنها التعبير الصادق الحقيقي للشعب الأفغاني الطيب.

وهناك الأهواء والشهوات التي تتطاحن في بيشاور على الزعامة، هؤلاء الذين أسميهم (تجار الدماء)، وصدق رسول الله فيهم إذ يقول في الحديث الذي يرويه مسلم عن سعد رضي الله عنه: (سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)[1].

لقد بايع بعض هؤلاء في داخل الكعبة المشرفة على الحفاظ على الاتحاد، وظلوا في داخل الكعبة حوالي ساعة في م روحاني شفافي مشرق، وارتفع البكاء، وعلا النشيج، وبدأ الحراس وحملة المفاتيح يبكون، ثم انتقل البكاء إلى الطائفين حول ا العتيق، ولعل الناس لم يشهدوا في حياتهم مثل هذا المنظر، وغاب الناس ونسوا أنفسهم، وسقط محمد مير لفرط البكاء.

ثم شهدت بيعة سياف في مجلس الشورى بعد انتخاب مشرف نال فيه اثنين وأربعين صوتاً من سبعة وخمسين صوتاً أع مجلس الشورى الحاضرين، وكان أول المسرعين إلى البيعة رجل ممن بايع في داخل الكعبة، ثم ماذا؟ لم يف الرجل ببيعته شد وهو الآن مسلط لسانه وسيفه على الاتحاد وعلى رئيسه، ويتصل بالجرائد والمجلات والإذاعات التي تناصب الإسلام العداء على ن الأشهاد، ويصرح كل يوم تصريحاً جديداً باتهام جديد لرئيس الاتحاد من سرقة الأموال واستغلال الاتحاد وقتل الجهاد.. وي شقيق مساعده واسمه (عبد الحق) إلى لندن ليبث من إذاعة الكفر كل ليلة من (BBC) اتهامات ضد الاتحاد ورئيس الإتحاد.

## ومن الأخطار التي تهدد الجهاد:

السياسة الجديدة التي تتبعها روسيا -خاصة بعد مجيء (شيرنينكو)- وهي المذابح الجماعية والإبادة الكاملة للقرى تدخلها الدبابات الروسية بأعداد ضخمة، قد تصل الألف دبابة وناقلة ومصفحة.

ولقد هجمت روسيا في هذا الشتاء بقوات هائلة على المناطق التالية: كوهي ستان، سمنغان، بلخ، قندهار، غزني، جكر أستالف، اشكمش، فلول، خان آباد، كوهي بست، ميدان، أورغون، أوزبين، تكاب، نجراب، هرات، بادغيس.

ولكنها ارتدت -في كثير من المعارك- على أدبارها خاسرة، ومنيت بخسائر فادحة، ومع ذلك فقد دخلت بعض القرى فأة المجازر الجماعة، ولقد أدخلت روسيا الآن قوات جديدة، وعلى أغلب الظن يصبح عددهم في أفغانستان (٢٠٠-٢٥٠) ألفاً.

## الآمال العريضة:

ومقابل هذه المخاوف هنالك العوامل الكثيرة التي تبعث الأمل في أعماق النفوس، وعلى رأسها:

١- طبيعة الشعب الأفغاني الفريدة، ومراسه الصعب، وعزته وحبه للجهاد، يقول لي (عمر حنيف): نحن شعب جهادنا ضم لنا كالماء بالنسبة للسمك.

ويحدثني الدكتور (عبد القدير): لقد شهدت محاورة حادة وشجاراً عنيفاً بين مجاهد وبين الطبيب الذي قطع رجل ذلك المج بسبب تجمدها بالثلج، إن المجاهد يقول للطبيب: أرجعها كما كانت، لأنك حرمتني بعد اليوم أن أجاهد في أفغانستان، ثم ينقل لي طبيب آخر قصة مثيلة وفي نفس اليوم.

ولا أنسى ذلك الشيخ الذي طعن في السن وهو يقول (إن السكن في بيشاور إثم).

٢- الانتصارات الواقعية وأرقام الفتوح الربانية على الشعب الصابر التي ترتفع يوماً بعد يوم، ويقول المراقبون: الانتصارات وأشد المعارك ضراوة قد سجلت رقماً قياسياً سنة (١٩٨٣م) وزادت (١٩٨٤م) كثيراً.

٣- وهناك التأييدات الإلهية والبراهين الربانية التي رويت منها الكثير مما سمعته من أفواه الثقات حدثني الشيخ جلال ا حقاني (منذ سبعة أشهر تقريباً، من شوال سنة (١٤٠٣هـ) إلى جمادى الأولى سنة (١٤٠٤هـ) والطائرات تقصفنا كل يوم مرتين خمس مرات، ووالله ما استشهد من جبهتي ولا جبهة مولوي أرسلان واحد من المجاهدين، وذلك لأننا ندعو الله قائلين: (اللهم إنا نث إليك قوتنا وقلة حيلتنا تجاه الطائرات) فيحمينا الله.

يقول مولوي (حليم) قائد ميدان: ما هجمت الطائرات علينا مرة إلا ورأيت الطيور تحتها، فأقول للمجاهدين جاء نصر الله، توقف ذات مرة مضاد الطائرات (ZK 1) فدعوت الله فساق الله علينا الغمام تغطينا من الطائرات، ويقول: لقد هجمت علينا ستمائة د وناقلة، وكنا مجموعة من المجاهدين ليس معنا سوى (١٤) بندقية مع العصي والسيوف وهزمهم الله.

---

[1] رواه مسلم وأحمد. صحيح الجامع الصغير للألباني (٣٥٨٧)

٤- وهناك الهلع الروسي الذي يعيشه الجنود، إن الهول المذهل المزلزل يقطع نياط قلوبهم، وإن الخوف المروع، والفزع الرهيب يمزق كيانهم، يحدثني شاب عربي اسمه أبو عبيدة فيقول: لقد كنا نأتيهم في خنادقهم، فنجدهم يبكون مرتجفين وبجانبهم سلاحهم مليء بالرصاص فنقودهم إلى الأسر.

كم من الأعداد فروا عندما سمعوا كلمة (الله أكبر)، يحدثني (محمد داوود غيرت) قائد في وردك قائلاً: أحاطت بنا الدبابات من كل جانب، وغطت سماءنا الطائرات، وكنا مجموعة كبيرة، وأعداد العدو أكثر من عشرة آلاف مع مئات الدبابات، ففر معظمنا وبقيت بين عشرين مجاهداً صممنا على الموت، فاستشهد منا أحد عشر وبقينا تسعة مثخنين بجراحنا بعد جوع يومين في رمضان، وتقدمت إلينا الدبابات لتمسكنا أحياء، فصرخنا بصوت واحد: الله أكبر، فكأن مدينة بكاملها تكبر، وهزمت الدبابات من صيحة ( الله اكبر)!!.

٥- وكذلك الطبيعة التي حباها الله لأفغانستان التي تساعد على الجهاد، من وعورة مسالكها، وصعوبة تسلقها، ومشقة ارتيادها.

٦- ومن العوامل التي هيأها الله للجهاد الحدود المفتوحة حول أفغانستان، إذ حولها من جهة باكستان مناطق القبائل الحرة التي لا تخضع لدولة، وطول الحدود يمتد إلى (٢٢٥٢ كم)، ومع إيران ما يزيد على (ألف كم).

٧- إن قبضة المجاهدين محكمة على كثير من المناطق التي تقع تحت أيديهم، فهم ينشئون المدارس والمحاكم الشرعية التي تفصل في الدماء والأموال والأنفس، ففي منطقة ميدان ثمانية آلاف طالب في المدارس التي يشرف عليها المجاهدون، وكذلك في كل منطقة تجد المدارس والمحاكم، بل إن روسيا تعترف في الداخل بالمجاهدين، لقد حدثني أربعة من علماء قندهار (سراج الدين، ومحمد غريب، وعبد العلي، وعبيد الله) قالوا: إن روسيا ترسل شحنات الأغذية مع سائقي السيارات العامة، فيلقاه المجاهدون فيأخذون الشحنة، ويعطيه القائد إيصالاً بأخذها، فيضطر الروس لدفع أجرة السيارة للسائق بعد التأكد من رؤية الإيصال.

هذه بعض الجوانب السلبية والإيجابية في الجهاد الأفغاني، والأقدار بيد الله يجريها بمشيئته، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله.

**{ولله غيب السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون}** (هود:١٢٣)

فهل تتحق آمال المسلمين في انتصار الجهاد الأفغاني وإقامة المجتمع المسلم، إنه غيب مستور في يد العزيز الغفور.

لقد بقيت موسكو تحت سيطرة التتار المسلمين من (٦٤٥-٨٨٥هـ)، والروس كما وصفهم المسعودي وابن بطوطة (أمة همجية، شقر الشعور زرق العيون، قباح الوجوه، أهل غدر)، ثم احتل الروس مناطق تركستان بالتتابع ابتداءاً من (إيفان الرابع الرهيب) سنة (٩٦٠هـ) (١٥٥٢م) وسقطت تركستان كلها (٤ مليون كم مربع)، ثم سقطت سيبيريا الغربية على يد إفان وبمساعدة البابا، واستمرت معاملة المسلمين بالإبادة والقهر وهدم المساجد منذ عهد إيفان الرابع، وفي أسرة (رومانوف) التي حكمت من سنة (١٦١٣-١٩١٧م)، ثم ازدادت الوحشية بعد الثورة الحمراء حتى يومنا هذا، وما يجري في أفغانستان الآن صورة عن هذا الماضي الوحشي الرهيب، وصادرت حكومة القياصرة خلال القرنين السابقين لثورة الشيوعية أكثر من مائة مليون فدان[1].

فهل يدور الزمان دورته، ويستدير مرة أخرى كهيئته يوم أن كانت موسكو تدفع الجزيرة للمسلمين، إنهم يرونه بعيداً وما ذلك على الله بعزيز.

إن الشيوعيين قد قسموا تركستان الغربية إلى خمس جمهوريات

١- قازاقستان.

٢- تركمانستان.

٣- طاجكستان.

٤- أوزبكستان.

٥- قرغيزيا.

وثلاثة منها ملاصقة لأفغانستان بالحدود (طاجكستان، أوزبكستان، تركمانستان) واثنتان قريبتان جداً.

ولذا فالروس يخشون أن تدب روح الجهاد في نفوس أبناء ذراري المسلمين في هذه المناطق، وقد سمعت أن بعض أبناء هذه المناطق في بداية الغزو الروسي لأفغانستان قد بدلوا المصاحف بأسلحتهم للأفغانيين.

---

١- أنظر المسلمون في الإتحاد السوفياتي للدكتور محمد علي البار (١٠-١٢) نقلاً عن كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي [illegible]

## ملاحظات حول الكرامات والمعجزات:

١- الكرامة والمعجزة كل خارق للعادة.

٢- قد يحصل خرق العادة على يد النبي ﷺ ، وعلى يد الأولياء الصالحين، وقد يحصل على يد الكافر والفاجر.

فإذا حصل على يد النبي والولي فهو معجزة وكرامة، وإن حصل على يد الفاجر والكافر فهو من عمل الشيطان وأحواله

يقول ابن تيمية: إني لأعرف من يكلمه النبات ويحدثه الطير -وهو من الفجار-، وهنا يكون الشيطان قد دخل فيها وتكلم ليلب على الناس دينهم[1].

٣- كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، قال النووي في شرحة لحديث جريج الراهب: إثبات كرام الأولياء خلاف للمعتزلة، ومنها: أن كرامات الأولياء تقع باختيارهم وطلبهم، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا المتكلمين علماء العقي ومنهم من قال: إن كرامات الأولياء لا تقع باختيارهم وطلبهم، وفيه أن الكرامات قد تقع بخوارق العادات على جميع أنواعها، وم بعضهم وادعي أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه، وهذا غلط من قائله وإنكار للحس، بل الصواب: جريانها بقلب الأعيان وإحض الشيء من العدم ونحوه[2].

٤- إن الكرامة لا تدل أن صاحبها خير من الآخرين، بل قد تنقص الكرامة منزلة صاحبها عند الله بسبب الشهرة، وقد يد. في النفس شيء من الإعجاب، ولذا كان كثير من الصالحين يستغفر عند ظهور الكرامة على يديه كما يستغفر من الذنب[3]

٥- إن الكرامة يجعلها الله مخرجاً لأوليائه من شدتهم[4] أو برهاناً على صدق دين الله أمام أعدائه.

٦- أن أولياء الله هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) سواء ظهر على أيديهم الكشف والأحوال والكرامات أم لم تظهر.

٧- إن للدين علماً وعملاً هو الميزان الذي يفرق أولياء الرحمن من أولياء الشيطان، فمن اتبع الكتاب والسنة فالخارق على يد كرامة، ومن عصى الله ورسوله فخوارقه شيطانية.

قال أبو يزيد البسطامي[5]: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوا والنواهي.

قال يونس بن عبد الأعلى[6]: قلت للشافعي: أتدري ما يقول صاحبنا الليث بن سعد؟ لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ا تغتر به، فقال الشافعي: لقد قصّر الليث، لو رأيت صاحب هوى يطير في الهواء فلا تغتر به.

قال الجنيد[7]: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لم يصح له أن يتكلم في علمنا هذا.

لقد كثرت الكرامات في العصور المتأخرة عنها في عهد الصحابة، وذلك لأن الكرامات لتثبيت الناس في إيمانهم ووصلهم بربه ولكن ما للمتأخرين كرامة إلا وللمتقدمين خير منها.

سئل الإمام أحمد: ما بال الصحابة لم ينقل عنهم من الكرامات ما نقل عما بعدهم؟ فقال: لقوة إيمانهم[8].

وخوارق العادات إنما تكون لأمة محمد ﷺ المتبعين له باطناً وظاهراً، لحجة أو حاجة، فما لحجة لإقامة دين الله، والحاجة لما بد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله.

ولذا لما كان الصحابة رضوان الله عليهم مستغنين في علمهم بدينهم وعملهم به عن الآيات بما رأوه من حال الرسول ﷺ ونال من العلم، صار كل من كان عنهم أبعد -مع صحة طريقته- يحتاج إلى ما عندهم في علم دينه وعمله، فيظهر مع الأفراد في أوقا الفترات (بعد الناس عن دينهم) ما لا يظهر لهم ولا لغيرهم من حال ظهور النبوة والدعوة[9].

ولذا فإذا قلنا إن الكرامات التي تنزلت على الأفغانيين في جهادهم أكثر من الآيات والكرامات التي تنزلت على الصحا والتابعين، فإن هذا متفق تماماً مع ما يقوله سلفنا الصالح رضوان الله عليهم.

٩- تظهر الكرامات على أيدي العُبّاد أكثر من العلماء، وقد سئل النووي عن ذلك فقال: لعزة الإخلاص في العلم دون العبادة[10]

---

١- مجموع الفتاوى (١١-٣٠٠). ٢- شرح النووي على مسلم (١٦-١٠٨) ٣- مجموع الفتاوى (١١-٣٠٠) ٤- النووي/ مسلم (١٦-١٠٨)

٥،٦- مجموع الفتاوى (١١/٤٦٦-٤٦٧). ٧- مجموع الفتاوى (١١-٥٨٥)

٨- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار لابن البديع (١-١٨٥) ٩- مجموع الفتاوى (١١-٣٣٥) ١٠- حدائق الأنوار (١-١٨٦)

١٠- لا فرق بين الكرامة والمعجزة سوى اقتران المعجزة بدعوى النبوة، وكل كرامة لولي معجزة لنبيه لدلالة صدق التابع على صدق المتبوع.

١١- يستحيل أن يظهر الخارق مع دعوى النبوة على يد الكاذب، ولكن قد تتلبس الكرامة بالسحر. فإنه أيضاً أمر خارق للعادة، وإنما الفرق بين الكرامة والسحر باتباع الولي الرسول ﷺ ومخالفة الساحر له. فالكرامة التي لا يتطرق إليه تلبيس ولا شك هي الاستقامة.

# كرامات الأولياء معجزة للنبي ﷺ

أولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ ، فيفعلون ما أمر به، وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين، وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة في الدين، أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك[1].

وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ ، مثل انشقاق القمر[2] وتسبيح الحصى في كفه[3]، وحنين الجذع إليه[4]، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس[5]، وإخباره بما كان وما يكون[6]، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة، كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص، في حديث أم سليم المشهور[7]، وروى العسكر في غزوة خيبر[8] من مزادة ماء ولم تنقص، ملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص، وهم نحو ثلاثين ألفاً، ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعدده حتى كفى الناس الذين كانوا معه كما كانوا في غزوة الحديبية بنحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة[9] ورده لعين أبي قتادة حين سالت على خده فرجعت أحسن عينيه[10]، ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فوقع وانكسرت رجله فمسحها فبرأت[11] ، وأطعم من مائة وثلاثين رجلاً كلاً منهم حزّ قطعة، وجعل منها قطعتين شواء فأكلوا منها جميعهم ثم فضل فضلة[12] وقضى دين عبد الله أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقاً[13] ، وكرامات الصحابة والتابعين وبعدهم سائر الصالحين كثيرة جداً مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي ملائكة نزلت لقراءته[14] ، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة، أو سبح ما فيها.

وقصة الصديق في الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا أسفلها أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته، فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا.

وخبيب بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكة (شرفها الله تعالى) وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة[15].

وعامر بن فهيرة قتل شهيداً، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما كان قتل رفع، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع.

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حساً على رأسها، فرفعته فإذا دلو معلق، فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها.

وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول (وفي رواية مولى) رسول الله ﷺ ، فمشى الأسد حتى أوصله مقصده.[16]

---

١- كتاب أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ٢- رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك

٣- رواه البزار والطبراني عن أبي ذر. ٤- رواه مسلم عن جابر ٥- في الصحيحين

٦- في الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: (لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنظر إليه)

٧- أخرج مسلم من حديث له عن عمر بن الخطاب: (فأخبرنا ما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا). ٨- في الصحيحين عن جابر ٩- في الصحيحين عن جابر

١٠- رواه الطبراني وأبو يعلى قال الهيثمي في (المجمع) وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم وفي إسناد أبي يعلى الحماني وهو ضعيف

١١- الذي في البخاري أن الذي كسر رجله فمسحها رسول الله ﷺ فبرأت هو عبد الله بن عتيك الذي بعثه رسول الله ص لقتل أبي رافع وأما محمد بن مسلم فقد قتل كعباً ولم تكسر رجله

١٢- في الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ١٣- أخرجه البخاري في باب إذا قضى دون حقه أو حلله

١٤- نزول الظلة والسرج كان عند قراءة سورة البقرة كما أخرجه البخاري عن أسيد. أما ما حدث له عند قراءة الكهف فقد ورد بلفظ (تغشته سحابة) وهو في الصحيحين

١٥- رواه البخاري عن أبي هريرة.

١٦- رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو كما قال

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه[١٧] ، وكان إذا اشتد الحرب على المسلمين في الجهاد يقولون: يا بر أقسم على ربك، فيقول: يا رب أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً.

وخالد بن الوليد حاصر حصناً منيعاً، فقالوا لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره.

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة[١٨]، ما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق.

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً أمّر عليهم رجلاً يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل الجبل، فقدم رسول الجيش فسأله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدواً فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية الجبل يا سارية الجبل، فأسند ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.[١٩]

ولما عذبت الزنيرة على الإسلام في الله فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها، قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعزى، قالت كلا والله، فرد الله عليها بصرها.[٢٠]

ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه. فقال: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في أرضها، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت.[٢١]

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين، وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضأوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم فأجيب، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات فلم يجدوه في اللحد، وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار، فإنه مشى ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله عز وجل فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال اتبعني، فتبعه فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها، وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال ما أسمع، قال أتشهد أن محمداً رسول الله قال: نعم، فأمر بنار فألقي فيها، فوجده قائماً يصلي فيها، وقد صارت عليه برداً وسلاماً.

وقدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله.

ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره، وخببت امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت، فدعا لها فرد الله عليها بصرها.[٢٢]

## معجزات للرسول ﷺ

# وكرامات للصحابة (رضوان الله عليهم)

### الآيات بركة:

أخرج البخاري عن ابن مسعود: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، ثم قال: لقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل.[١]

إن عامة الناس لا ينفع فيهم الآيات التي نزلت بالعذاب والتخويف، وخاصتهم (يعني الصحابة) كان ينفع فيهم الآيات المقتضية للبركة، وحاصله إن طريق الخواص مبني على غلبة المحبة والرجاء، وسبيل العوام مبني على كثرة الخوف والعناء.[٢]

**سراقة بن مالك:**

عن البراء بن عازب قال أبو بكر الصديق رضي الله عنهما: واتبعنا سراقة بن مالك فقلت: أتينا يا رسول الله ، فقال: لا تحزن إن

---

١٧- رواه الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال: [رب أشعث أغبر لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك].

١٨- روى الترمذي أن النبي ﷺ قال: [اللهم استجب لسعد إذا دعاك فكان لا يدعو إلا استجيب له]

١٩- رواه البيهقي في الدلائل قال ابن حجر في الإصابة إسناده حسن.

٢٠- أخرج القصة عثمان بن أبي شيبة في تاريخه كما في الإصابة

٢١- القصة أخرجها مسلم

٢٢- راجع كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (١٤٥)

١- المرقاة ١١-١٦٨ (البداية ج ٦ ص ٩٧).

٢- المرقاة ١١- ١٦٨

الله معنا.

فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها في جلد من الأرض، فقال إني أراكما دعوتما علي فادعوا لي. فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا. متفق عليه[٣]

عن أنس (يحدث عن يوم بدر) قال ﷺ: **{هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا}** قال فما حاد أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.[٤]

## الملائكة تنزل على المؤمنين:

عن ابن عباس قال ﷺ يوم بدر: **{هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب}**[٥].

عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل.[٦]

روى أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث العباس بعبد الله رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ في حاجة فوجد معه رجلاً فرجع ولم يكلمه، فقال: رأيته؟ قال: نعم، قال: **{ذاك جبريل، أما أنه لن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علماً}**[٧].

وأخرج البيهقي عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه قال: يا بني لو رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

في الصحيحين عن أنس: أن رجلاً كان يكتب للنبي ﷺ فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، فقال النبي ﷺ: **{إن الأرض لا تقبله}**، دفناه مراراً فلم تقبله الأرض.[٨]

## حنين النخلة:

وحنين الجذع -أي بكاء جذع النخل الذي كان يتكئ عليه النبي ﷺ أثناء خطبة الجمعة- فعندما بني المنبر ووقف ﷺ أول جمعة عليه بكى الجذع بكاء الطفل، ويقي يبكي حتى نزل النبي واحتضنه فسكت.[٩]

## دين والد جابر:

روى البخاري عن جابر: وتوفي أبي وعليه دين، فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا .. فقال النبي ﷺ اذهب بيدر كل تمر على ناحية . طاف ﷺ حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه ثم قال: **{أدع لي أصحابك}**، فما زال يكيل لهم حتى أدى لهم عن والدي أمانته وأنا أرضى أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة، فسلم الله البيادر كلها وحتى أني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنها لم تنقص تمرة واحدة.[١٠]

## عذق النخل يجيب الرسول ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما فدعاه (العذق) رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط على النبي ﷺ، ثم قال ارجع فعاد، فأسلم الأعرابي.[١١]

## مزود أبي هريرة:

*للناس هم ولي همان بينهم*      *هم الجراب وهم الشيخ عثمان.*

---

٣ مرقاة مشكاة (١١-١٦٢).   ٤- مسلم (مرقاة مشكاة (١١-١٦٤)   ٥ البخاري مرقاة-مشكاة (١١-١٦٦)

٦ متفق عليه، مرقاة (١١- ٦٧).   ٧- الهيثمي (٩-٢٧٦)

٨ البداية (٣-٢٨١)، وأخرجه الحاكم (٣-٩-٤٠٠) قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه، صححه الذهبي، مرقاة (١١-١٦٧)

٩ رواه البخاري عن جابر، المرقاة (١١-١٩٢) والحديث متواتر كما قال الكتاني صاحب كتاب (نظم المتناثر في الحديث المتواتر)

١٠ المرقاة- الكاة (١١-١٩٣)   ١١- الترمذي وصححه-مرقاة-مشكاة (١١ ٢٠٠)

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت يا رسول الله ﷺ أدع الله فيهن بالبركة، فضمهن ثم دعا لي ف بالبركة قال: **{خذهن فاجعلهن في مزودك كلما أردت أن تأخذ منها شيئاً فأدخل يدك فيه فخذها ولا تنثرهما نثراً}**.

قال أبو هريرة: فأكلت منه زمن النبي ﷺ وزمن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما قتل عثمان انتهب ما في وانتهب ما في المزود، ألا أخبركم كم أكلت منه؟ أكثر من مائتي وسق.[١٢]

## خطاب أهل القليب:

روى مسلم عن أنس قال حدثنا عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: **{يا فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله حقاً ف وجدت ما وعدني الله حقاً . فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها! فقال: ما أنتم بأسمع منهم غير أنه يستطيعون أن يردوا علي شيئاً}**.[١٣]

## دعاء مستجاب:

سعيد بن زيد بن عمرو بن النفيل، خاصمته أروى بنت أوس في أرض، قال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واق في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت.[١٤]

## النور:

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، أن أسيد بن حضير رضي الله عنهما: بينما هو جالس يقرأ في مربده إذ جالت فر فقرأ، ثم جالت أخرى فقرأ... قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى (ابنه) فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السـ عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال النبي ﷺ: {تلك ملائكة تسمع إليك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر عنهم}.[١٥]

أخرج البخاري عن أنس بن مالك كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي ﷺ ، فخرجا في ليلة مظلمة فإذا نور أيديهما، فلما افترقا صار مع كل منهما نور واحد حتى أتى أهله.[١٦]

## الرسول ﷺ يعطي أبا قتادة عرجوناً:

أعطى النبي ﷺ أبا قتادة بعد صلاة العشاء عرجوناً وقال: خذ هذا فسيضيء لك أمامك عشراً وخلفك عشراً.[١٧]

## انتفاض غرفات الأعداء بالتهليل والتكبير:

أخرج البيهقي عن الحاكم بأسانيد لا بأس بها، أن هشام بن العاص قال: عندما بعثت إلى ملك الروم... قلنا له لا إله إلا والله أكبر، فلما تكلمنا بها (والله يعلم) لقد انتفضت الغرفة.[١٨]

أخرج البخاري في التاريخ عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فتفرقنا في ليلة ظلماء دام فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها، وما ذلك منهم وما سقط منهم، وإن أصابعي لتنير.[١٩]

ملاحظة: كان حمزة بن عمرو رجلاً صواماً.

## كرامة لأبي بكر رضى الله عنه:

قال أبو بكر لعائشة في مرض موته: إنما هما أخوان وأختان، فتعجبت عائشة رضي الله عنها، لأن لها أخوان وأخت واحـ فأشار أبو بكر إلى حمل زوجته (بنت خارجة) فقال: أراها تحمل بنتاً، فكانت كذلك.

---

١٢- رواه الترمذي، مرقاة-مشكاة (١١- ٢١٧)، البداية (٦-١١٧)، أبو نعيم في الدلائل (١٥٥)، وأحمد والترمذي مختصراً.

١٣- المرقاة (١٩-٢٢٦). ١٤- متفق عليه، مرقاة-مشكاة (١١-٢٣٢). ١٥- حياة الصحابة (٣-٥٤٨)، الترغيب (٣-١٣).

١٦- جامع الأصول (٩-٤٢٧). ١٧- رواه أحمد والبزار، قال الهيثمي رجالهما رجال الصحيح (٢-١٦٧)

١٨- حياة الصحابة (٣-٥٦٦)، تفسير ابن كثير (٢-٢٥١)، وقال ابن كثير جيد الإسناد، ورجاله ثقات وأبو نعيم في الدلائل (ص٩).

١٩- رواه الطبراني والبيهقي كذا في البداية (٦-١٥٢)، قال الهيثمي (٩-٤١١)، رجال الطبراني ثقات، وقال ابن كثير في البداية (٨-٢١٣)، وروى البخاري في التاريخ بإسناد جيد.

قال ابن تيمية: وأما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم، فمثل قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، قال أبو بكر لعائشة: إنما هما أخواك وأختاك ذو بطن (بنت خارجة) أراها جارية[٢٠]. رواه مالك في الموطأ.

## أبو قرفاصة:

أسرت الروم إبنا لأبي قرفاصة -رضي الله عنه-، فكان أبو قرفاصة إذا حان وقت كل صلاة صعد سور عسقلان ونادى يا فلان الصلاة، فيسمعه وهو في بلد الروم[٢١].

## الطير وجنازة ابن عباس:

مات ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فشهدت جنازته طير لم يُرَ على خلقته، ودخل في نعشه ، فنظرنا وتأملناه هل يخرج فلم ير أنه خرج من نعشه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولا يدري من تلاها (**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية**)[٢٢].

## سواد بن قارب تبشره الجن بظهور النبي ﷺ:

وكذلك العباس بن مرداس السلمي بشرته الجن بالنبي ﷺ[٢٣].

## عمر يصرع الجن:

عن ابن مسعود أن عمر صارع الجن ثلاث مرات فصرعه عمر، فقال له الجن. هل تقرأ آية الكرسي؟ قال: نعم، قال إنك لن تقرأها في بيت إلا خرج الشيطان له خبج (ضراط) كخبج الحمار لا يدخله حتى يصبح[٢٤].

## البقرة تبشر بالنبي ﷺ:

أخرج أحمد عن مجاهد قال: حدثني شيخ أدرك الجاهلية ونحن في غزوة رودس يقال له ابن عيسى قال: كنت أسوق لنا بقرة فسمعت من جوفها يا آل ذرع! قول فصيح رجل نصيح أن لا إله إلا الله قال: فقدمنا مكة فوجدنا النبي ﷺ[٢٥].

## الكلام بعد الموت:

أخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري -من بني الحارث بن الخزرج- توفي زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، فسجي بثوب، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم ثم قال أحمد.. أحمد في الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق، صدق صدق عمر.. صدق صدق عثمان[٢٦].

قال سعد: ثم هلك رجل من بني خطمة، فسجي بثوبه، فسمع جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج (يعني زيد بن خارجة) صدق صدق[٢٧].

## شهداء أحد:

روى ابن سعد (٣-٥٦٣) عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه يحدث عن شهداء يوم أحد -حين أجرى معاوية العين- فاخرجناهم بعد أربعين سنة لينة أجسادهم تنثنى أطرافهم[٢٨].

وأخرج البيهقي عن جابر: فأصابت المسحاة (الفأس) قدم حمزة فانبعث دماً. (البداية ٤-٤٣).

وفي البخاري (فتح الباري ٣-٢١٤) كتاب الجنائز عن عطاء عن جابر رضي الله عنه: فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم

---

٢٠- الفتاوى (١١-٣١٨)، والموافقات للشاطبي (٤-٨٥)    ٢١- الهيثمي (٩-٣٩٦)، الطبراني رجاله ثقات    ٢٢- الحاكم (٣-٥٤٣)، والطبراني قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح.

٢٣- انظر البداية (٢-٣٤٢)، حياة الصحابة (٣-٥٧٩)، رواه البخاري، رواه الطبراني، قال الهيثمي (٩-٢٤٧)، وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي ضعفه الجمهور ووثقه سعيد بن منصور.

٢٤- رواه الطبراني بإسنادين، قال الهيثمي (٩-٧١) رجل الثانية رجال الصحيح

٢٥- قال الهيثمي رجاله ثقات (٨-٢٤٣)، حياة الصحابة (٣-٥٨٠)    ٢٦- بسنده صحيح البداية (٦-٢٩٣)

٢٧- حياة الصحابة (٣-١٤٩)، ،أخرجه الطبراني بإسناد قال الهيثمي رجال الصحيح (٨-٢٣)، وأخرجه أبو نعيم أنظر الإصابة (٢-٢٤)    ٢٨- السند صحيح (فتح الباري ٣-١٤٣).

وضعته منيه غير أذنه.

وفي الموطأ عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر السيل قبرهما -وكانا في قبر واحد-، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما. فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان بين أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة (فتح الباري ٣-٢١٦).

حدثني عبد الرحمن محمد شادي في بيت عبد الرحمن المدني عميد كلية الشريعة (لاهور) قال عبد الرحمن: هدم بيت قرب المسجد النبوي فأرادوا بناءه، فوجدت تحت الجدار رجلاً قد مضى عليه عهد طويل لم يتغير.

**نصوص عن عدم بلاء أجساد الأنبياء عليهم السلام:**

عن أوس بن أوس مرفوعاً: (أن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء)[٢٩].

## قبورهم كالمسك:

أخرج أبو نعيم في المعرفة عن محمد بن شرحبيل قال: اقتبض إنسان من تراب قبر سعد بن معاذ رضي الله عنه ففتحها فإذا هي مسك. قال النبي ﷺ سبحان الله. سبحان الله، حتى عرف ذلك في وجهه[٣٠].

## الدبر وحماية جثة عاصم بن أبي الأقلح:

أخرج الشيخان عن أبي هريرة (الإصابة ٢-٢٥٤): عاهد الله أن لا يمس مشركاً ولا يمسُّه مشرك، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته منهم، ولذلك كان يقال حمي الدبر (الدبر الدبابير أو الزنابير).[٣١]

## سفينة مولى رسول الله ﷺ:

أخرج الحاكم (٣-٦٠٦) قال سفينة: فأقبل الأسد يريدني. فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ. فطأطأ رأسه وأقبل فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق وهمهم. فظننت أنه يودعني[٣٢].

## الذئب يخبر بظهوره ﷺ:

روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قصة الذئب عندما قال للراعي: محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.[٣٣]

## تسخير البحار:

وقال أبو هريرة[٣٤]: لقد دعا العلاء الحضرمي فنزل المطر في الصحراء القاحلة. ودعا فمشينا فوق الماء، ومات ودفناه، وبعد قليل فتحنا عليه فلم نجده في قبره.

وكان دعاؤه (يا عليم.. يا حليم.. يا عظيم) فأجاز بهم الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة دمثة فوقها ماء، لا يغمر أخفاف الإبل ولا يصل إلى ركب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة فقطعه

## قطع دجلة:

أخرجه البيهقي (البداية ٦-١٥٥) وأبو نعيم في الدلائل (٢١٠) وابن جرير في تاريخه (٣-١٢٢) والبداية (٧-٦٤). فقد روى هؤلاء أن الجيش الإسلامي قد قطع نهر دجلة أثناء فيضانه فساروا على الماء فهرب الفرس وهم يقولون.. (ديوانه ها أمدند)! بمعنى جاء المجانين.

---

٢٩- أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي إسناده صحيح. مشكاة المصابيح (ج١ -١٣٠) باب الجمعة ٣٠- الكنز (٧-٤١)، وقال سنده صحيح

٣١- جامع الأصول (٨- ٢٥٦).

٣٢- قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي وأخرجه البزار والطبراني قال الهيثمي (٩-٣٦٧) رجالها ثقات

٣٣- هذا إسناد صحيح وقد صححه البيهقي ورواه الترمذي وقال حسن غريب صحيح. البداية (٦-١٤٣)

٣٤- أبو نعيم في الدلائل، الدلائل (ص ٢٠٨) قال أبو هريرة ربما بل أسفل أقدامنا أخرجه الطبراني. قال الهيثمي (٩-٣٧٦) وفيه إبراهيم بن معمر الهروي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقا

## الرزق من حيث لا يحتسب:

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية، فلما رأت امرأته قامت إلى الرحى فوضعتها إلى التنور فجرتها ثم قالت: اللهم ارزقنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً. فذكرت ذلك للنبي ﷺ قال: [أما أنه لو لم يرفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة][٣٥]

## سرية أبو عبيدة (سرية الخبط):

أخرج الشيخان (البداية ٤-٢٧٦)، مسلم (٢-٤١٨) عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة نتلقى عيراً لقريش، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة.. كنا نمصها (التمرة) ثم نشرب عليها الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط (ورق الشجر) ثم نبله بالماء فناكله. وألقى البحر لنا دابة تسمى العنبر، فأكلنا منها ثماني عشرة ليلة وأخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في عينه. ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه فدخل تحته أعظم جمل في الركب وعليه أعظم راكب فلم يطاطئ رأسه.

## إبراء الآلام:

عن حنظلة بن حذيم رضي الله عنهما قال: وفدت مع جدي حذيم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، إن لي بنين ذوي لحى وغيرهم وهذا أصغرهم، فادناني رسول الله ﷺ ومسح رأسي وقال: [بارك الله فيك].

قال الذيال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الشاة الوارم ضرعها فيقول: بسم الله على موضع كف رسول الله ﷺ فيمسحه فيذهب الورم[٣٦].

## خالد بن الوليد رضي الله عنه يشرب السم:

أخرج أبو يعلى والطبراني عن أبي سفر قال: نزل خالد بن الوليد رضي الله عنه الحيرة على أمير بني المرازبة، فقالوا له: احذر السم لا تسقيكه الأعاجم، فقال: آتوني به، فأتي به فأخذه بيده ثم اقتحمه (ابتلعه) قال بسم الله فلم يضره شيئاً.[٣٧]

## علي رضي الله عنه لا يهمه برد ولا حر:

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجة والبزار وابن جرير وصححه والطبراني في الأوسط وقال الهيثمي (٩-١٢٢) وإسناده حسن، والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال لي علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله له، ليس بفرار، فأرسل إلي فدعاني، فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئاً، فتفل في عيني وقال: [اللهم اكفه الحر والبرد]، فما آذاني حر ولا برد.[٣٨]

## ذهاب أثر الهرم:

أخرج أحمد عن زيد الأنصاري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : ادن مني، فمسح بيده على رأسي ثم قال: [اللهم جمله وأدم جماله] قيل: فبلغ بضعاً ومائة وما في لحيته بياض إلا نبذة يسيرة، ولقد كان منبسط الوجه لم ينقبض وجهه حتى مات.[٣٩]

## كرامة لخالد بن الوليد رضي الله عنه:

أخرج ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة قال: أتى خالد بن الوليد رضي الله عنه رجل معه زق خمر فقال: اللهم اجعله عسلاً؛ فسار عسلاً، وفي رواية له من هذا الوجه: مر رجل بخالد ومعه زق خمر، فقال: ما هذا؟ قال: خل، قال: اجعله الله خلاً، فنظروا

---

٣٥- قال الهيثمي (ج١٠-٢٥٦)، رواه البزار والطبراني ورجالهم رجال الصحيح والطبراني وهما ثقتان، حياة الصحابة (٣-٦٥١).

٣٦- قال الهيثمي (٩-٤٠٨) رواه والطبراني في الأوسط والكبير بنحوه وأحمد في حديث طويل ورجال أحمد ثـ ت.

٣٧- قال الهيثمي (٩-٣٥٠)، رواه الطبراني وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، وهو مرسل ورجاله ثقات إلا أن أبا السفر وأبا برده لم يسمعا من خالد، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (ص١٥٩) وذكره في (٦-١٤٤) ثم قال: رواه ابن سعد من وجهين.

٣٨- المنتخب (٥-٤٤)، حياة الصحابة (٢-٦٦٣)

٣٩- قال الهيثمي إسناده صحيح موصول كذا في البداية (٦-١٦٦)، الإصابة (١-٧٨).

فإذا هو خل وقد كان خمراً.[40]

## كرامة صحابية مجاهدة:

عن حميد -يعني ابن هلال- قال: كان رجل من الطفاوة طريقه علينا، فأتى على الحي فحدثهم، قال قدمت المدينة في عير فبعنا بياعتنا، ثم قلت لأنطلقن إلى هذا الرجل فلآتين من بعدي بخبره، قال فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يريني بيتاً، قال: إ امرأة كانت فيه فخرجت في سرية من المسلمين وتركت اثني عشر عنزاً لها وصيصتها كانت تنسج بها، قال ففقدت عنزاً من غنم وصيصتها فقالت: يا رب إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، فإني فقدت عنزاً من غنمي وصيصتي، وإني أنشدك عنز وصيصتي، قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر شده مناشدتها لربها تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ: **(فأصبحت عنزها ومثله وصيصتها ومثلها)** وهاتيك فأتها فاسألها إن شئت، قال: قلت بل أصدقك. رواه أحمد بإسناد جيد[41].

## كرامة لعثمان بن عفان رضي الله عنه:

وعند الحاكم (ج٣-١٠٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عثمان رضي الله عنه أصبح فحدث فقال: إني رأيت النبي ﷺ ف المنام الليلة فقال: يا عثمان افطر عندنا، فأصبح عثمان صائماً فقتل من يومه رضي الله عنه.[42]

## خـــاتـــمـــة:

عقيدة أهل السنة أن للأولياء كرامات.

*وأثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه*

ولكن الفرق بين كرامة الولي ومعجزة النبي ﷺ:

١- أن المعجزة للتحدي والكرامة ليست للتحدي. ٢- أن المعجزة تأتي عند الطلب و أما الكرامة فغالباً تأتي دون توقع. ٣- أ الأولياء يحبون إخفاء كراماتهم.

# بشائر وكرامات الجهاد في أفغانستان

هذه قصص حقيقية أغرب من الخيال، وواقع أشبه بالأساطير، سمعتها بأذني، وكتبتها بيدي من أفواه الذين حضروا م المجاهدين.

فهذه الكرامات سمعتها (فماً لأذن) من رجال ثقات لا زالوا في خضم المعركة، وهي كثيرة جداً، وتصل إلى حد التوا -تقريباً-، وقد سمعت الكثير منها، ولكن المجال يقصر عن سردها.. **(وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم)** (الأنفال: ١٠)، أ الرجال الذين رووا معظم القصص فإني أظن -والله أعلم- أن البخاري لو كان حياً لكانوا من أسانيده.

## الشهداء:

أصبح من المتواتر أن كثيراً من أجساد الشهداء لا تتغير ولا تتعفن، وقد نص فقهاء الحنفية والشافعية على هذا، جاء في نها المحتاج إلى شرح المنهاج الجزء الخامس في الصفحة (١٣١) للرملي الشافعي في شرح عبارة المنهاج في كتاب العارية: (إلا إذا أع أرضاً للدفن فلا يرجع حتى يندرس أثر المدفون) ، وعلم من تعبيره بالاندراس لزومها (العارية) في دفن النبي والشهيد لعدم بلائهما.

وكذلك نص ابن عابدين الحنفي في حاشيته كتاب الجهاد (ج٣-ص٢٢٨): أن جسد الشهيد حرام على الأرض أكله.

ولكنني لم أجد نصاً مرفوعاً إلى الرسول ﷺ يقطع بعدم بلاء جسد الشهيد.

وقد روى البيهقي بإسناد حسن أن العين عندما فاضت زمن معاوية رضي الله عنه سنة (٤٦هـ) قرب قبر حمزة -رضي الله عنه وجرفت التراب وجدوا جثة حمزة رضي الله عنه لم تتغير.

---

٤٠- كذا في الإصابة (ص٤١٤).

٤١- الفتح الرباني بترتيب أحمد الشيباني للبنا (ج ٢١).

٤٢- قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي صحيح، وأخرجه أبو يعلى والبزار ونحوه كما في المجمع (ج ٤-٢٣٢).

## الشهداء الأفغان:

حدثني (عمر حنيف) في بيت (نصر الله منصور) -قائد جبهة الإنقلاب الإسلامي-، و(عمر) هذا اسمه (قائندا محمد)، وهو قائد عسكري في منطقة (زرمت وأرجون) في محافظة (بكتيا) أفغانستان فقال:

١- لم أنظر (أر) شهيداً واحداً متغير الجسم أو منتن الرائحة.

٢- لم أر (أشاهد) شهيداً واحداً نهشته الكلاب رغم أن الكلاب تأكل الشيوعيين.

٣- لقد كشفت عن اثني عشر قبراً بنفسي بعد سنتين أو ثلاث ولم أجد واحداً متغير الرائحة.

٤- لقد رأيت شهداء بعد أكثر من سنة جروحهم حية تنزف دماً.

حدثني إمام قال: رأيت الشهيد (عبد المجيد محمد) بعد قتله بثلاثة أشهر كما هو ورائحته كالمسك.

حدثني (عبد المجيد حاجي): رأيت إمام مسجد قرية لايكي بعد استشهاده بسبعة أشهر كما هو إلا أنفه.

٥- حدثني الشيخ (مؤذن) -عضو مجلس الشورى للجهاد- مكث الشهيد (نصار أحمد) تحت التراب سبعة أشهر ولم يتغير.

٦- حدثني عبد (الجبار نيازي): رأيت أربعة شهداء بعد ثلاثة إلى أربعة أشهر، فأما ثلاثة منهم فهم كما هم وطالت لحاهم وأظافرهم، وأما الرابع فقد ظهر تلف في جزء من وجهه.

واستشهد أخي (عبد السلام) وبعد أسبوعين أخرجناه كما هو.

حدثني (أرسلان) استشهد معنا (عبد البصير) -طالب علم-، وفي الظلام جئت أبحث عنه مع مجاهد آخر اسمه (فتح الله)، فقال لي (فتح الله) إن الشهيد قريب لأني أشم رائحة طيبة، ثم بدأت أشم نفس الرائحة، فوصلنا الشهيد متتبعين رائحته، ولقد رأيت لون الدم في الظلام على النور الذي ينبعث من الجرح.

## الشهيد عمر يعقوب ورشاشه:

حدثني (عمر حنيف) فقال: كان أحد المجاهدين عاشقاً كبيراً للجهاد واسمه (عمر يعقوب)، ثم استشهد وجئنا إليه، وإذا به يحتضن رشاشه، فحاولنا أخذ الرشاش منه فلم نستطع، فوقفنا برهة ثم خاطبناه قائلين: يا (يعقوب) نحن إخوانك، فإذا به يفلت الرشاش لنا.

## سيد شاه فوق عباءة:

حدثني (عمر حنيف): كان أحد المجاهدين معنا حافظاً للقرآن واسمه (سيد شاه) عابداً متهجداً، وكان صاحب رؤيا صادقة (رؤاه تأتي كفلق الصبح)، وله كرامات كثيرة، ثم استشهد سيد شاه، ثم أتينا قبره بعد سنتين ونصف وكنت مع أخ آخر قائد الجبهة اسمه (نور الحق) فكشفنا قبر (سيد شاه)، فوجدته كما هو إلا أن لحيته طالت وقد دفنته بيدي، والأعجب من هذا أني وجدت فوقه عباءة سوداء حريرية لم أر مثلها أبداً في الأرض، ومسستها فإذا رائحتها أطيب من المسك والعنبر.

## دعاء المجاهدين:

حدثني (مولوي أرسلان) -وهو من أشهر المجاهدين في أفغانستان كلها ومن رعبه في قلوب الروس يعطون عنه محاضرات ويقولون أنه يأكل لحوم البشر- قال (أرسلان): كانت معنا قذيفة واحدة مع مضاد واحد للدبابات، فصلينا ودعونا الله أن تصيبهم هذه القذيفة، وكان مقابلنا مائتا دبابة وآلية، فضربنا القذيفة فإذا بها تصيب السيارة التي تحمل الذخيرة والمتفجرات، فانفجرت ودمرت (٨٥) دبابة وناقلة وآلية. وانهزم العدو وغنمنا كثيراً، ولقد قابلت بنفسي (باطور) الشاب الذي ضرب القذيفة.

## الطيور مع المجاهدين:

١- حدثني (أرسلان) قال: نحن نعرف أن الطائرات ستهاجمنا قبل وصولها وذلك عن طريق الطيور التي تأتي وتحوم فوق معسكرنا قبل وصول الطائرات، فعندما نراها تحوم نستعد لهجوم الطائرات.

٢- حدثني مولانا (جلال الدين حقاني) -وهو من أشهر المجاهدين الأفغان على الإطلاق- قال: لقد رأيت مرات كثيرة جـ الطيور تأتي تحت الطائرات تحمي المجاهدين من قذائف الطائرات.

٣- وحدثني (عبد الجبار نيازي) أنه رأى الطيور تحت الطائرات مرتين.

٤- وحدثني مولوي (أرسلان) أنه رأى الطيور كثيراً تدافع عنهم.

٥- وحدثني (قربان محمد) أنه رأى الطيور مرة وقصفتهم الطائرات بشدة -وكانوا ثلاثمائة- فلم يجرح أي واحد مع أنهم ف أرض سهلية.

وحدثني الحاج (محمد جل) -مجاهد في كنر-: رأيت الطيور مع الطائرات أكثر من عشر مرات، الطيور تسابق طائرات المي التي سرعتها تقريباً ثلاثة أضعاف سرعة الصوت.

## النيران من كل مكان:

حدثني (أرسلان): كنا في مكان اسمه (شاطوري) عددنا خمسة وعشرون مجاهداً، هاجمنا ألفان من العدو (الشيوعيين) ودارت بيننا معركة، وبعد أربع ساعات هزم الشيوعيون وقتل منهم (٧٠-٨٠) شيوعياً، وأسرنا (٢٦) شخصاً. قلنا للأسرى: لما هزمتم؟ فقالوا: كانت المدافع والرشاشات الأمريكية تقصفنا من الجهات الأربعة، قال (أرسلان): ولم يكن معنا لا رشاش ولا مدفع إن هي بنادق فردية وكنا في جهة واحدة.

وحدثني (أرسلان): هاجمتنا الدبابات وكان عددها حوالي (١٢٠) دبابة ومعهم هاون وسيارات كثيرة، ونفدت ذخيرتنا حت تأكدنا من الأسر، فلجأنا إلى الله بالدعاء، وبعد قليل وإذا بالقذائف والرشاشات تفتح على الشيوعيين من كل مكان، وهزم الشيوعيو ولم يكن في المنطقة أحد غيرنا، ثم قال: إنها الملائكة.

## الخيول:

حدثني (أرسلان) قال: في مكان اسمه (أرجون رقم ٢٣) هاجمنا الشيوعيين فقتلنا (٥٠٠) وأسرنا (٨٣) شخصاً، فقلنا لهم ، سبب هزيمتكم ولم تقتلوا منا سوى شهيد واحد؟ قال الأسرى: كنتم تركبون على الخيل، فعندما نطلق عليها تفر ولا تصاب، أقول والثابت بنص القر[آن] أن الملائكة نزلت في بدر.

**{إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربو منهم كل بنان}** (الأنفال:١٢)

وقد نص القرطبي في تفسيره عند آية: **{بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائك مسومين}** (آل عمران: ١٢٥).

قال: فكل عسكر صبر واحتسب تأتيهم الملائكة ويقاتلون معهم، لأن الله تعالى جعل أولئك الملائكة مجاهدين إلى يوم القيامة وقال الحسن: فهؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين إلى يوم القيامة [١]

روى مسلم في صحيحه (النووي-مسلم ج١٢ ص٨٥): (قال أبو زميل فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخ مستلقياً، فنظر إليه فإذا قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر (اسود) ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك الرسو ﷺ فقال: **(صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة)**

وحدثني (محمد ياسر) قال: إن الشيوعيين إذا دخلوا قرية بدباباتهم يسألون عن (إصطبلات خيول الإخوان المسلمين)، فيتعجب الناس، لأنهم لا يركبون خيولاً، ثم يفطنون أن هذه خيول الملائكة.

ملاحظة: يطلق الشيوعيون على المجاهدين شرار الإخوان.

---

١- القرطبي ج٤ ص١٩٤).

### الذخيرة لا تنفد:

حدثني (جلال الدين حقاني): أعطيت مجاهداً بضع رصاصات ونزل المعركة وأطلق رصاصاً كثيراً ولم تنقص الرصاصات وعاد بها.

### الدبابة تمر على بدنه فيبقى حياً:

١- حدثني (عبد الجبار نيازي) قال: مرت دبابة وأنا أرى على مجاهد اسمه (غلام محيي الدين) وبقي حياً.

٢- حدثني الحاج (محمد يوسف) -نائب أمير منطقة لوكر- قال: مرت دبابة على جسد المجاهد (بدر محمد جل) ولم يمت ولم يجرح.

أقول تعليقاً مني: ولا تدري هل جاء بين العجلات أم تحت العجلات؟.

### العقارب مع المجاهدين:

**(وما يعلم جنود ربك إلا هو)** (المدثر: ٣١)

حدثني (عبد الصمد ومحبوب الله): أقام الشيوعيون مخيماً في سهل مدينة (قندوز)، فهجمت عليهم العقارب ولدغتهم، فمات ستة وهرب الباقون.

### الأطفال في المعركة:

حدثني (عبد المنان) قال: استشهد المجاهد (أمير جان) وجاءت الدبابات بعد مدة إلى قريته، فخرج ابنه وعمره ثلاث سنوات بكبريت ليحرق الدبابة، فسأل القائد الروسي ماذا يريد هذا؟ فقالوا: يريد أن يحرق الدبابة!!.

### الأفاعي لا تلدغ المجاهدين:

حدثني (عمر حنيف) قال: لقد جاءت الأفاعي مراراً تبيت مع المجاهدين في فراشهم، ومنذ أربع سنوات لم تلدغ أفعى مجاهداً.

### النساء في المعركة:

حدثني (محمد ياسر) قال: جاءت الدبابات فحاصرت المجاهدين في المسجد، فخرجت فتاة ستزف بعد يومين فدعت: [يا رب إن أردت سوءاً بالمجاهدين فاجعلني فداء لهم] فاستشهدت الفتاة وبقي المجاهدون.

حدثني (مؤذن): استشهد منا (إنجير جل) -يعني زهر التين-، فخرجت أمه تلوح بالقماش فرحاً، وأخذ الناس يطلقون الرصاص ابتهاجاً باستشهاده.

### القذائف لا تنفجر:

١- حدثني (جلال الدين حقاني) فقال: كنا ثلاثين مجاهداً، فبدأت الطائرات تقذفنا، فكل القذائف حولنا انفجرت، وجاءت بيننا قذيفة وزنها حوالي (٤٥ كغم) فلم تنفجر، ولو انفجرت لقتلت معظمنا.

٢- حدثني (عبد المنان) فقال: كنا ثلاثة آلاف مجاهد في مركزنا، فجاءت الطائرات وألقت علينا ثلاثمائة قذيفة نابالم، فلم تنفجر ولا واحدة، ونقلناها جميعاً إلى (كويته) -بلد باكستاني فيه مجاهدون-.

### الرصاص لا يخترق أجسادهم:

١- حدثني (جلال الدين حقاني): لقد رأيت الكثيرين من المجاهدين معي يخرجون من المعركة وألبستهم مخرقة من الرصاص، ولكن لم يدخل جسدهم رصاصة واحدة.

٢- حدثني الشيخ (أحمد شريف) قال: خرج ابني من المعركة لباسه مخرق ولم يجرح جرحاً واحداً.

٣- حدثني سكرتير (نصر الله منصور) قال: اليوم (١/٤/١٩٨٢م) وصل مجاهد في رأسه عشر رصاصات، وفي ذراعه خمس عشر رصاصة ولم يمت.

٤- حدثني مولوي (بير محمد) قال: كنا في محافظة بكتيا إثنا عشر مجاهداً، وهاجمتنا قوة حوالي مائة وثماني طائرة وحاصرتنا في سهل، وبدأت تقصفنا، فخرجنا من المعركة وألبستنا مخرقة ولكننا لم نجرح، وقتلنا (١٦٠) من الشيوعيين، ودمر ثلاث دبابات، واستشهد منا اثنان.

٥- رأيت بعيني مكان رصاصة على حزام الرصاص الذي يلبسه (جلال الدين حقاني) على صدره ولم يجرح صدره.

٦- وحدثني (جلال الدين حقاني): أني وطئت على قنبلة فانفجرت تحت قدمي ولم تجرحني أبداً.

٧- وحدثني (أرسلان) قال: أصابتني مرتين قذيفة في قدمي ولم تجرحني.

## النور يصعد من جسد الشهيد:

١- حدثني المجاهد (عبد المنان محمد) -قائد في هلمند غرب قندهار- كنا -المجاهدين- ستمائة شخص، وعدد الكفار ست آلاف كلهم من الروس، ومعهم ستمائة دبابة و(٤٥) طائرة، فهاجمونا، استمرت المعركة (١٨) يوماً.

النتائج: استشهد (٣٣) مجاهداً، وخسائر العدو أربعمائة وخمسون قتلوا، وأسر (٣٦) أسيراً، ودمرنا ثلاثين دبابة، وأسقط طائرتين.

مضت هذه المدة والشهداء في الصيف ولم يتغير جسد واحد منهم ولم ينتن، ومن بين الشهداء واحد اسمه (عبد الغفور بن دين محمد) كان النور ينبعث منه كل ليلة يرتفع إلى السماء ويبقى لمدة ثلاث دقائق ثم ينزل، وقد رأى النور جميع المجاهدين.

٣- حدثني (عمر حنيف) فقال: في شهر شباط سنة (١٩٨٢م) كل ليلة بعد العشاء ينزل النور من السماء إلى ساحة دار (المجاهدين) ويدور في الساحة ساعة ثم يختفي.

## كل الخيام تصاب إلا خيمة السلاح:

حدثني (جلال الدين حقاني): منذ أربع سنوات والطيران يقصفنا . وقد يهدم جميع البيوت، أو يحرق جميع الخيام، وما أصيب مكان الذخيرة مرة واحدة.

**(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة)**: (البقرة:٢٤٩)

حدثني الشيخ (جلال الدين حقاني) عن معركتين فقط من معارك كثيرة جداً الأولى أيام تراقي والثانية في عام (١٩٨٢م).

**الأولى: مضاد الدبابات.**

حدثني (جلال الدين حقاني) قال: كانت أكبر مشكلة تواجهنا أيام تراقي الدبابات، ونحن لا نملك أي مضاد للدبابات (p2p7) فجمعنا دراهم قليلة وطفنا لنشتري مضاداً، وعبثاً لم نجد، وكان عددنا كما مر حوالي (٣٥٠) شخصاً، وفي أحد الأيام هاجمتنا قوات تراقي وعددها عدة آلاف من المدافع والرشاشات والدبابات، ودار بيننا معركة استمرت يومين ونصف، وهزم الجيش، وغنمنا (٥) مضاداً (p2p7)، مدافع، رشاشات، ثماني دبابات، (١٠٠٠) أسير وكل واحد معه كلاشنكوف.

**الثانية: معركة في عام (١٩٨٢م).**

قال (جلال الدين): كنا (٥٩) مجاهداً، فهاجمنا العدو بقوة (٢٢٠) دبابة وناقلة، وبقيت الطائرات تقصف طيلة المعركة، وعدد الشيوعيين (١٥٠٠)- وأعداد العدو تعرف عادة من أنباء العدو ، وكانت النتيجة تدمير (٤٥) دبابة، وقتل (١٥٠) شيوعياً، والجرحى مائة، وغنمنا رشاشاً مضاداً للطائرات، وثلاثة رشاشات جرينوف، وسبعة كلاشينات، وغنمنا مدفعاً (٦٦علم) و(٢٨٠) قذيفة مدفع و(٣٦) ألف من الرصاصات (الطلقات).

## معركة في شمالي كابل بعد دخول الروس:

حدثني الحاج (محمد جل): كان عدد المجاهدين (١٢٠)، والعدو عشرة آلاف روسي، الدبابات عددها ثمانمائة، والطائرات (٢٥).

النتائج: قتلنا (٤٥٠) روسياً و(١٣٠) من المليشيا، ودمرنا (١٥٠) دبابة، والغنائم أحدى عشرة سيارة مليئة بالذخيرة والألغام.

## معركة ثانية بعد شهر من الأولى (شمالي كابل):

حدثني (محمد جل) أن عدد المجاهدين خمسمائة وعدد العدو أكثر من عشرة آلاف مع دباباتهم.

النتائج: قتلنا ألفاً ومائتين من العدوويقيت المنطقة مدة شهر منتنة.

## (مياجل) وباقة الزهر:

حدثني (محمد ياسر) أحد مساعدي سياف (عديل مياجل): كان (مياجل) قائداً عاماً لمحافظة بغلان، ثم استشهد (مياجل) في ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ)، وقد كان (مياجل) من أبناء الحركة الإسلامية الأوائل، ومن القادة المعروفين، واستشهد (مياجل) فحزن عليه أبناء قبيلته (أحمد زاي) التي تعد مائة ألف.

ولقد كان (مياجل) رابع إخوته في الشهادة، ولقد حزنت على (مياجل) أسرته كثيراً، فبكوه بمرارة، فقام أخوه من الليل وتوضأ ودعا الله إن كان أخوه شهيداً أن يريه علامة، ثم نام ليقوم الليل، وإذا بشيء يسقط... فأناروا الكهرباء وإذا بباقة ورد (زهر) لا نظير لها، فيها سائل كالعسل يعبق رائحته في أرجاء الغرفة، فجمعوا العائلة وأروها الكرامة (باقة الزهر)، ثم قالوا: في الصباح نريها (محمد ياسر)، فوضعوها في المصحف، وفي الصباح لم يجدوا باقة الزهر في المصحف.

## النعاس:

يقول الله عز وجل: **(إذ يغشيكم النعاس أمنة منه)** (الأنفال: ١١)

جاء في مختصر ابن كثير للصابوني (ج٢ص٩٠) قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مراراً، يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه، ولقد نظرت إليهم يميدون وهم تحت الجحف (جمع جحفة) وهي الترس.

وقال الحافظ أبو يعلي عن علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح.

وقال عبد الله بن مسعود: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان.

## أرسلان يصيبه النعاس:

١- حدثني مولوي (أرسلان): أنه نام في أثناء المعركة في (شامي كو) مدة عشرة دقائق والقذائف من جميع الأنواع تلقى علينا.

٢- حدثني (عبدالرحمن): في معركة (دبكي) هاجمتنا الدبابات وكان عدد الدبابات والآليات (١٥٠-٢٠٠)، ولكثرة القذائف صار المجاهدون لا يسمعون لمدة يومين أو ثلاثة، ثم ألقي النوم علينا أثناء المعركة وقمنا مطمئنين، وضرب أحد المجاهدين دبابة فأحرقها، وسقطت قطعة محترقة على سيارة ذخيرة فانفجرت نتيجة لذلك سبعة سيارات، وغنمنا خمس سيارات.

٣- حدثني (عبدالله) حارس حكمتيار قال: ألقي النوم عليّ عدة مرات في أثناء المعارك، فكنت أعتبر هذا أمنة من الله ونعمة.

٤- حدثني (عبدالرشيد عبدالقادر) -بغمان-: شاهدت ثلاث مرات النعاس يصيب (يغشى) المجاهدين عند هجوم الروس، فينام المجاهدون (٢-٣) دقائق، فيقومون بعزم جديد وينتصرون على الروس.

## حفظ الله للمجاهدين:

**(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)** (آل عمران: ١٤٥)

﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾ (يوسف:٦٤)

١- أختر محمد الدبابة تمر عليه:

حدثني (محمد منجل) (غزني-شلجر) قال: رأيت بعيني الدبابة مرت على (أختر محمد) فلم يمت، وعندما رأوه حياً عادت ومرت عليه فلم يمت، ثم أخذوه مع اثنين من المجاهدين وأطلقوا على الثلاثة النار من الرشاش فلم يمت، واستشهد الإثنان وسقط الثلاثة على الأرض، وجاءوا ووارَوه بالتراب، وبعد أن ذهب الشيوعيون قام وعاد إلى المجاهدين، ولا زال حياً يجاهد.

٢- (نصر الله) تصيبه رصاصتان وتسقطان في جيبه:

حدثني (محمد منجل) حدثني (نصر الله) وكان مجاهداً في غزني، فأصابته رصاصتان ولم تجرحاه وسقطتا في جيبه، فأراهما للمجاهدين معه وشهد له المجاهدون.

٣- (حضرت شاه) تصيبه رصاصة دوشكا في عينه فلم تضره:

حدثني (أرسلان) قال: أصابت (حضرت شاه) رصاصة دوشكا في عينه ولم تؤذ عينه فاحمرت فقط.

٤- أربع عشرة قذيفة نابالم حول الدوشكا:

حدثني (محمد نعيم) قائد بغمان أن طائرة ألقت عليهم أربع عشرة قذيفة، انفجرت -ثلاث عشرة على مقربة منه- ولم تصب أحداً.

٥- الرصاص لا يخترق أجسادهم:

أنا (عبد الله عزام) رأيت بعيني قميص (خوجا محمد) محروقاً من شظايا قذيفة هاون فيه خمسة ثقوب ولم يجرح إلا جرحاً واحداً.

٦- حرقت الخيمة وفيها ثلاثة ولم يجرح واحد منهم:

حدثني (إبراهيم) شقيق (جلال الدين) أنه في يوم (١٩٨٣/٣/٨م) ضربت علينا المدفعية قذيفتين فأحرقت الخيمة في تسعة أماكن، وكان في الخيمة ثلاثة من الإخوة ولم يصب أحد منهم بأذى.

٧- أحرقت ثيابي وكنت مع عشرين شخصاً معظمهم أحرقت ثيابهم ولم يجرح منهم أي واحد:

حدثني (إبراهيم) قال: في العشرين من شعبان عام (١٤٠٢هـ) في معركة (بجي-خوست-بكتيا) ألقيت علينا قذائف فانكسر المنظار واحترق سروالي، وأنا (عبد الله عزام) رأيت سروال (إبراهيم) بنفسي محترقاً من الشظايا وما زال السروال عندي، ولم يجرح وأصيب معظم الموجودين، وقطع حزام الرصاص لبعضهم، واحترقت ثياب معظمهم، ولكن لم يجرح واحد منهم.

٨- سيارة إبراهيم تمر على لغم ولم ينفجر وانفجر بدبابة:

حدثني (إبراهيم) كنا ثلاثين رجلاً في زرمت، وكان العدو معه ثلاثمائة بين دبابة ومصفحة وناقلة، فهزم العدو وغنمنا مدفعاً وسيارة وثلاثمائة قذيفة وألغام وثلاثين ألفاً من الرصاص وستة كلاشنكوفات، فوضعنا الذخيرة في السيارة، وكان السائق اسمه (محمد رسول) وأنا بجانبه، ومرت السيارة على لغم ولم ينفجر، ومرت دبابة على نفس اللغم فانفجر بها.

٩- رأيت بعيني قذيفة (أر بي جي) خرقها الرصاص وهي في داخل المدفع ويحملها أحد المجاهدين ولم يجرح.

ورأيت المنظار وكان مع المجاهد (خليل) شقيق (جلال الدين حقاني) وقد تحطمت زجاجة المنظار ولم يجرح.

١٠- حدثني (فتح الله): أن الرصاصة حرقت جيب (زرغن شاه) وكسرت المرآة في جيبه وأحرقت الدفتر ولم يجرح.

١١- حدثني (فتح الله): أن طائرة ألقت قذيفة فاحترقت الخيمة ولم يصب أحد من المجاهدين بداخلها.

١٢- القذيفة تنفجر بين رجلي (عقل دين) وبجانب (عبد الرحمن) ولم يجرح واحد منهم، حدثني القائد عبد الرحمن هذه القصة

١٣- الألغام تنفجر تحت دبابة المجاهدين ولم تصب إلا العمائم:

دخل (فتح الله) بالدبابة مع (إبراهيم) لتحرير (حصن باري) فانفجرت الألغام وطارت العمائم ولم يجرح أحد.

١٤- حدثني (عبد الكريم) قال: رأيت الضابط السيد (عبد العلي) يخرج وثيابه محرقة بالرصاص ولم يجرح.

١٥- حدثني مولوي (يوردول) -قائد وردك- أن ثماني طائرات هاجمتني وأنا أمشي بين قريتين والمسافة عشرة كيلومتر ولم أجرح ، وكنت أرى ركاب الطائرات منها وكان معي سلاحي.

# كرامات الشهداء

## (أ) رائحة الشهداء:

أصبحت رائحة دم الشهداء معروفة لدى المجاهدين، وأصبحوا يشمونها على مسافة بعيدة.

يقول الله عز وجل:

**(ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون)** (يوسف-٩٤)

قال ابن كثير (**فصلت العير**) أي خرجت من مصر ويعقوب عليه السلام في فلسطين.

**١- حدثني (أرسلان) قال: عرفت مكان الشهيد (عبد البصير) في الليل المظلم من رائحته العطرة.**

**٢- رائحة الشهيد (ولي جان) على بعد (٢.٥) كم:** حدثني (إبراهيم) أخو (جلال الدين) قال: كنت راكباً سيارتي فشممت رائحة، فقلت لمن معي هذه رائحة شهيد، لأنه لدماء الشهداء رائحة زكية خاصة نعرفها، ولم نكن نعلم أنه في المنطقة شهيد، وإذا به شهيد.

**٣- (خيال محمد) يعرف مكان الشهيد من رائحة المكان:** شممت رائحة طيبة فقلت لصحبي (لعل عقل دين) استشهد في هذا المكان، فسألت فقالوا استشهد في هذا المكان.

**٤- العطر على إصبع أم الشهيد أكثر من ثلاثة أشهر:** حدثني (نصر الله منصور) قال: حدثني (حبيب الله) المسمى (ياقوت) قال: استشهد أخي وبعد ثلاثة شهور رأته أمي في المنام فقال: كل جروحي برأت إلا جرح في رأسي، فأصرت أمي أن تفتح القبر -وكان قبر أخي بجانب قبر آخر-، فظهرت حفرة ظهر من خلالها القبر الآخر، فرأينا أفعى فوق الميت، فقالت أمي لا تحفروا، فقلت: إن أخي، شهيد ولا يمكن أن نجد أفعى، وعندما وصلنا للجثة فاحت العطور وعبقت في أنوفنا حتى كدنا نتخدر لشدة الرائحة، ووجدنا جرحه الذي في رأسه ينزف دماً، فوضعت أمي إصبعها في دمه فتعطر إصبعها ولا زال إصبعها، رغم مرور ثلاثة أشهر معطراً -حتى الآن- يعبق شذى طيباً.

**٥- حدثني (محمد شيرين):** استشهد معنا أربعة مجاهدين في مكان اسمه بوت وردك، وبعد أربعة أشهر وجدنا لهم رائحة عطرية كالمسك تنبعث منهم.

**٦- وحدثني (محمد شيرين): رأيت (عبد الغياث) بعد استشهاده بثلاثة أيام يجلس القرفصاء، فظننته حياً، فاقتربت منه ومسسته فاستلقى على ظهره.**

## (ب) شهداء يرفضون تسليم أسلحتهم:

**١- الشهيد (مير آغا) في لوكر يرفض تسليم المسدس:** حدثني (زبير مير علم) أنه استشهد معهم (مير آغا)، وكان معه مسدس، فجاء المجاهدون لأخذ المسدس فرفض تسليمه، فعندما أوصلناه إلى بيته جاء والده (قاضي مير سلطان) وقال يا بني هذا المسدس ليس لك إنما هو للمجاهدين... فألقى المسدس.

**٢- الشهيد (سلطان محمد) في لوكر يرفض تسليم الكلاشنكوف:** حدثني (زبير مير علم) في شهر شباط (١٩٨٣م) استشهد معهم (سلطان محمد)، فاحتضن الكلاشن، وجاء الروس وحاولوا كثيراً فرفض أن يسلمهم إياه حتى قطعوا يده.

٣- حدثني (محمد شيرين) أن (محمد إسماعيل) و (غلام حضرت) رفضا تسليم السلاح بعد الشهادة.

(جـ) الشهداء يبتسمون:

١- حدثني (أرسلان): كان (عبد الجليل) طالب علم صالحاً، فأصابته قذيفة طائرة فاستشهد، وبعد صلاة الجنازة عليه (لأن الحنفية يصلون على الشهيد) وكان الوقت عصراً ثم أرسلوه إلى بيت أبيه وبقي حتى الصباح، والمجاهدون عنده وهو يفتح عينيه ويبتسم، فجاء المجاهدون إلى (أرسلان) وقالوا له أن (عبد الجليل) لم يمت فقال: لقد استشهد، قال المجاهدون لا يجوز دفنه حتى نتأكد من حياته، ولا بد من إعادة صلاة الجنازة عليه، قال (أرسلان): إنه استشهد بالأمس ولكن هذه كرامات الشهيد.

٢- **(حميد الله) يبتسم**: حدثني (محمد عمر) قائد عام بغمان قال: استشهد معنا (حميد الله) وعند دفنه وجدته يضحك، فظننت أني وهمت، فخرجت ومسحت عيني فوجدته كذلك.

٣- **حدثني (فتح الله) قائد كبير عند (حقاني)**: رأيت الشهيد (صحبت خان) بعد أربعة أيام من دفنه يبتسم وفتحنا عليه القبر قال (خير الله) لقد رأيته ينظر إلينا.

(د) الشهداء لا يتغيرون:

١- حدثني مولوي (عبد الكريم): رأيت حوالي (١٢٠٠) ألفاً ومائتي شهيد، ما رأيت واحداً متغيراً منهم، وما رأيت شهيداً واحداً أكلته الكلاب، بينما تأكل الشيوعيين.

٢- حدثني (فتح الله) قال: حدثني أحد المجاهدين عندي اسمه (حكيم) قال: أخرجنا الشهيد (تمير خان) بعد سبعة أشهر من قبره ولم يتغير، ودمه لا زال يسيل برائحة المسك.

٣- حدثني (جلال الدين) في (جدران-بكتيا): ما رأيت شهيداً أكلته الكلاب، ولقد رأيت شهيداً اسمه (جلاب) بقي (٢٥) يوماً -وحوله الشيوعيون- أكلت الكلاب كثيراً من الشيوعيين ولم تمس الشهيد.

(هـ) طفلة تمسك ثدي أمها الشهيدة وترفض تركه:

حدثني (يوردل) ومساعده (محمد كريم) قالا: استشهدت امرأة وطفلتها (اسم زوجها منجل)، فجاء الناس وحاولوا أن يفكوا الطفلة من أمها فأبت، وفي المذهب الحنفي لا يجوز دفن اثنين في قبر واحد إلا بضرورة، فأفتوا بدفنهما معاً.

دعاء المجاهدين ونصرة الله لهم:

١- **نفدت ذخيرتهم فانتصر الله لهم**: حدثني (يوردل) في منطقة (جغتو-وردك) قال: قامت معركة بيننا وبين الشيوعيين استمرت سبعة أيام نفدت ذخيرتنا في اليوم السابع، وفي تلك الليلة دارت معركة على الشيوعيين من ثلاثة جهات -دون أن ندري مصدر النيران-، فتعجب الكفار من نوع الذخيرة (الرصاص) الذي يطلق عليهم لأنهم لم يروا مثله من قبل، وقتل (٥٠٠) من الكفار منهم (٢٣) ضابطاً، وهرب الكفار ومعهم بعض الأسرى من المسلمين، فسألوهم من أين لكم هذا الرصاص؟ إننا (الروس) لم نر مثله.

٢- حدثني (سعيد الرحمن) -بغمان- قال: عطشنا كثيراً في جبل (وايجل) وأعيانا العطش، وعجزنا عن مواصلة المسير فسألنا الرعاة عن الماء فقالوا ليس في هذا الجبل ماء، فجلسنا ندعوا الله، وإذا بالماء على مقربة منا خارج من الصخر، فشربنا وكنا خمسة وأربعين مجاهداً.

٣- حدثني (خيال محمد) -صهر جلال الدين حقاني- قال: كنا (٦٠) شخصاً عشرين منا في مكان و(٤٠) في مكان آخر وجاءت القوات عددها حوالي (١٣٠٠) شخص ومعهم حوالي ثمانون آلية بين دبابة ومصفحة وناقلة، فقمت (خيال محمد) ودعوت الله وقلت **(وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)**، وحملت حفنة من الحصى وقرأت عليها (شاهت الوجوه) ثم رميتها نحو الدبابات، وبكيت بحرارة -وهذا بعد صلاة الظهر- فجاءت أول دبابة فسقطت من فوق الجسر بعد أن رماها المجاهدون بالرشاش، ثم رمى مجاهد آخر قنبلة صغيرة بجانب دبابة فانفجرت القنبلة، فظن الكفار أنه تحت الدبابة لغم، فابتعدت الدبابة قليلاً عن وسط الطريق فانحرفت لأن التراب تحتها لم يكن صلباً، وسدت الطريق أمام الدبابات الأخرى، فنزل الجنود من الآليات وسلموا أنفسهم.

الغنائم: دوشكا، سبع مدافع هاون، (١٩) هاون وسط، (١٢) (آر بي جي)، ألفان وستمائة كلاشن، (٧) مدافع (٨٢ ملم

(٢٦٠٠٠) رصاصة دوشكا، (٢٥) سيارة محملة، وأحرقنا الباقي وقذائف مدافع كثيرة.

٤- حدثني (عبد الرحمن) قائد معركة (باطور): جاءت كتيبة (٨٠٠-١٢٠٠) وكان معهم (٥٨) دبابة وسيارة، كنا ثلاثين رجلاً، استمرت المعركة ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث بقيت معنا خمس رصاصات رشاش (برن) ، وفي وقت صلاة الظهر قلنا فيما بيننا: إننا لا نستطيع توقف تقدم العدو، وبعد صلاة الظهر دعونا الله ثم قمنا إلى حصن، وصعدنا ورمينا السيارات فاشتعلت السيارات بما فيها، فهرب الجنود وسلموا أنفسهم إلى المجاهدين.

الغنائم: (٥) دبابات سليمة، مدافع كبيرة، (٣٠) سيارة سليمة، (١٦) صاروخ سام (٩كم)، كلاشنكوف كثير جداً.

## كرامات أخرى للمجاهدين:

**١- الماء يخرج في منطقة جرداء:** سكنت مجموعة من الأفغان في منطقة جرداء في باكستان، فخرج الماء في المنطقة وأصبحت منطقة خضراء، فطمع الباكستانيون وأخرج الأفغان، فجفت المياه مرة أخرى.

**٢- الضباب يغطي الجبل الذي فيه المجاهدون:** حدثني (جلال الدين حقاني) قال: كنا أيام تراقي لا نستطيع أن نوقد النار في الجبل الذي كانت فيه قاعدتنا، لأن الجواسيس إذا رأوا الدخان أخبروا الحكومة، فأرسل الله الضباب على الجبل معظم العام، فكان الدخان لا يُرى من الضباب.

**٣- لم يستشهد منا مجاهد ممن أهلوهم في الداخل:** حدثني (جلال الدين حقاني) قال: في أيام تراقي كانت الحكومة إذا استشهد مجاهد قتلت كل أقاربه، ومن نعم الله لم يستشهد منا مجاهد ممن أهلوهم في الداخل، بل كل الشهداء أهلهم مهاجرون.

## الطيور مع المجاهدين:

أصبح من المتواتر أن الطيور تأتي قبل الطائرات، فيعرف المجاهدون بقدوم الطائرات، وإذا جاءت الطائرات تكون الطيور تحت الطائرات تسابقها، مع العلم أن سرعة الطائرات ضعفي أو ثلاثة أضعاف سرعة الصوت.

ويجمع المجاهدون أنه إذا اشتركت الطيور تكون الخسائر قليلة أو معدومة.

وممن حدثني أنه رأى الطيور كثيراً جداً: (محمد كريم).... رأيتها أكثر من عشرين مرة، (جلال الدين حقاني)... رأيتها كثيراً جداً، (أرسلان)... رأيتها كثيراً جداً.

وممن رأى الطيور كثيراً (محمد شيرين) ومولوي (عبد الحميد) و(علم جل فضل محمد) و(جان محمد) و(خيار محمد) و(وزير باد شاه) و(سيد أحمد شاه) و(علي جان).

## الضباب يحمي المجاهدين:

حدثني (محمد ياسر) قال: كنت أرقب معركة أغارت فيها الطائرات على المجاهدين في منطقة مكشوفة، فدعونا الله للمجاهدين، وإذا بالغبار الأسود يغطي أرض المعركة ونجا المجاهدون.

وحدثني (عبد الكريم عبد الرحيم): اقتربت منا دبابتان وفتحت الرشاشات وأرادوا أسرنا أحياء، فدعونا الله ، فثار غبار أسود غطى المنطقة ونجونا بفضل الله.

## دبابات محطمة بلا مضادات:

أقسم لي القاضي (أبو الطاهر بادغيسي) قال: كنا ثلاثمائة مجاهد معنا حوالي (١٥) بندقية فقط، وهجمت علينا أربعون دبابة وخمس عشرة ناقلة جنود، فهزم الشيوعيون بعد أن تحطمت الناقلات والدبابات ونجت ناقلتان فقط.

وسئل الشيوعيون عن سبب التحطيم فقالوا: استعملت ضدنا مدافع ثقيلة، يقسم القاضي أني رأيتها محطمة ولم يكن معنا مدفع ولا رشاش أبداً.

# قضية الجهاد الأفغاني في سطور

١- لقد استلم الملك محمد ظاهر شاه الحكم سنة (١٩٣٣م) وكان في سنته التاسعة عشرة، وكان في بداية أمره محبوباً من الشعب ولا بأس به.

ثم زينت له أمريكا في بداية الخمسينات عمل ثورة ثقافية -أي ثورة على الإسلام-، فعقد الملك مؤتمراً شعبياً، وحمل حجاب امرأة مسلمة ووضعه تحت قدمه وقال: انتهى عهد الظلام إلى الأبد!!

٢- سلم الملك ابن عمه محمد داوود رئاسة الوزراء سنة (١٩٥٣م)، وجمع محمد داوود إلى رئاسة الوزراء وزارة الدفاع والخارجية، وداوود يميل إلى الشيوعية، وقد تربى في بيته كبار قادة الشيوعيين أمثال تراقي وحفيظ الله أمين وبابرك كارمل.

واستمر داوود في رئاسة الوزراء عشر سنوات متواصلة انحسر فيها التيار الإسلامي، ونما خلالها في هذا الفراغ تيار شيوعي أنفقت عليه روسيا ثلاثة ملايين روبل على شكل مشاريع وقروض للدولة.

٣- في سنة (١٩٥٩م) أصبح البروفيسور غلام محمد نيازي أستاذاً في كلية الشريعة في جامعة كابل، ثم عميداً لكلية الشريعة سنة (١٩٦٨م)، وهو خريج مصر، ومتأثر بالحركة الإسلامية، وقد فكر أن يربي جيلاً يبصره بخطورة الوضع، وليقف أمام الشيوعية الداهمة.

٤- من بين الذين اتصل بهم غلام محمد نيازي الطالب برهان الدين رباني وعبد رب الرسول سياف وكذلك بعض الأساتذة حوله، وأصبح برهان وسياف فيما بعد أستاذين في كلية الشريعة، ونما هذا التيار ببطء شديد حتى سنة (١٩٦٨م)، ففكر الأساتذة نقل العمل إلى ميدان الطلبة في الجامعة وتوسيع مجاله، وكان أول اجتماع بالطلبة في سرايا غزني سنة (١٩٦٨م) حضره أربعة عشر طالباً منهم (عبد الرحيم نيازي، رباني عطيش، مولوي حبيب الرحمن،....) وكان يدير الاجتماع سياف ورباني، ثم شكل الطلاب جمعية إسلامية باسم (جوانان مسلمان) أي الشباب المسلم عام (١٩٦٩م)، وعلى رأس هذه الجمعية من الطلاب عبد الرحيم نيازي، وكان حكمتيار من بين الطلاب المتحمسين للإسلام، ويقود المظاهرات، وصارت احتكاكات بين الشيوعيين والمسلمين، وقتل أحد الطلبة الشيوعيين، وسُجن حكمتيار على أثرها سنة ونصف، وكان هذا سنة (١٩٧٢م)، وبعدها غيَّر أبناء الحركة الإسلامية اسم الجمعية من (جوانان مسلمان) الشباب المسلم إلى اسم (الجمعية الإسلامية).

واختاروا برهان الدين رباني رئيساً للجمعية إبعاداً للبروفيسور غلام محمد نيازي عن الظهور على مسرح الأحداث حتى يبقى يدير الأمور من وراء ستار.

وكان سياف مساعداً لرباني، واختاروا حكمتيار مسؤولاً في القيادة -وكان في السجن آنذاك-، واختاروا المهندس حبيب الرحمن أميناً عاماً وحكمتيار مسؤولاً عن الجناح العسكري.

٥- وفي عام (١٩٧٣م) جرت انتخابات لإتحاد الطلبة في جامعة كابل، وفاز الإتحاد الإسلامي بمعظم المقاعد، وفزع الشيوعيون للنتيجة، وحملوها للسفير السوفياتي الذي علق عليها بقوله: إن مستقبل هذا البلد في يد الإخوان المسلمين.

٦- في تموز عام (١٩٧٣م) أطاحت روسيا بالملك وجاء محمد داوود ليضرب الحركة الإسلامية، وبعد نصف سنة من مجي محمد داوود خرج حكمتيار من السجن، وبدأ يتصل بضباط الحركة الإسلامية في الجيش، وكان مع الحركة الإسلامية قوة الدبابات وقوة الطيران، يقول حكمتيار: كانت قوتنا أكبر من القوة الموالية لداوود، ورتب حكمتيار عدة انقلابات ضد داوود ولم يكتب لها النجاح إذ كان أحد الضباط مندساً من قبل الدولة، ففرّ حكمتيار ورباني إلى بيشاور مع مجموعات من أبناء الحركة الإسلامية، واعتقل سياف وغلام محمد نيازي.

٧- عندما وصل شباب الحركة الإسلامية إلى بيشاور أعادوا تنظيم أنفسهم وكونوا مجلس شورى، وكان يرأسه رباني وتشاوروا فيما بينهم ماذا يصنعون لمقاومة حكم داوود.

وكان رأي رباني المقاومة السياسية والإعلامية وبعض الاغتيالات والتريث بالمقاومة العسكرية، وكان رأي حكمتيار المقاومة المسلحة، وفاز رأي حكمتيار، لأن جمهور الشباب متحمسون للجهاد.

٨- نزلت المجموعة الأولى من الشباب المسلم إلى أفغانستان واحتلت بنجشير، إلا أن الحكومة استعادتها، واعتقلت قسماً م

الشباب، واستشهد بعضهم، منهم الدكتور محمد عمر وسيف الدين ومولوي حبيب الرحمن.

٩- واجتمع مجلس الشورى في بيشاور ليقوم العملية، وحمّل رباني حكمتيار وزر دماء هؤلاء الإخوة، واقترح رباني مرة أخرى إيقاف القتال، وأصرّ حكمتيار على استمرار القتال، واجتمع مجلس الشورى عدة اجتماعات، واختار الشباب حكمتيار رئيساً، وغيروا اسم الجمعية الإسلامية إلى الحزب الإسلامي في اجتماع حضره جلال الدين حقاني ونصر الله منصور، وبعد فترة وجيزة اختير القاضي محمد أمين رئيساً للحزب الإسلامي، وبقي رئيساً مدة ثلاث سنوات، وكان رباني وحكمتيار تحت إمرة محمد أمين.

١٠- واصل حكمتيار مع الشباب عمليات الاغتيال ضد الحكومة، حتى اغتالوا (مير أكبر خيبر) أستاذ شيوعي كبير في كلية الشرطة-، فبدأت روسيا تعد للإطاحة بداوود، خاصة ولأن داوود لم يستطع القضاء على الحركة الإسلامية. ولأنه بدأ يفكر في التخلص من الشيوعيين الذي يطمعون في حكمه.

١١- استمر نظام داوود من تموز سنة (١٩٧٣م) حتى (٢٧) إبريل سنة (١٩٧٨م)، وقد قتل داوود إبان حكمه حوالي ستمائة شاب مسلم، على رأسهم حبيب الرحمن المهندس، ولم يكن هذا العدد كافياً في نظر روسيا التي ترى أنه لا بد من سحق مجموعات كبيرة من الناس حتى يثبت الحكم الشيوعي، ولذا رتبت روسيا مع الحزب الشيوعي -بشقيه العسكري والسياسي- انقلاباً ضد داوود، خاصة بعد أن رأت أن داوود لم يستطيع القضاء على الحركة الإسلامية، بل خطرها المسلح يستفحل ويشتد يوماً بعد يوم، وكذلك فإن بعض الدول في العالم الإسلامي حاولت أن تؤثر على داوود واكتشف داوود هذا الانقلاب المرتب، فسحق السياسيين الشيوعيين، وعفى عن الشيوعيين العسكريين، وكانت هذه هي الغلطة التي قتلت صاحبها، وكذلك انتقد موقف روسيا في الأوجادين (الصومال).

١٢- في إبريل سنة (١٩٧٨م) قام تراقي -مستشار داوود- بانقلاب عليه، وقتله مع أسرته جميعاً، وأبقى دمه على سجادة القصر ليرى الشعب دمه، وقتل في الأيام الأولى من حكمه خمسة عشر ألف مسلم، وأصدر تراقي عدة قوانين مخالفة للإسلام -خاصة فيما يتعلق بالمرأة-، وصادر بعض الممتلكات، وأمر بتوقيف البرامج الإسلامية في الإذاعة، وحذف المواد الدينية من المدارس والجامعات واستبدلها بالآراء الشيوعية والاشتراكية، وفرض على الفلاحين والعمال والنساء دورات تربوية في الثقافة الاشتراكية.

بعد هذه الإجراءات أصدر العلماء فتوى بتكفيره، ووجوب الجهاد لإسقاطه، ولفتوى العلماء وزن ثقيل في ميزان الشعب الأفغاني، ولها أعمق الأثر في إثارته وتحريكه، فهبت بعض القبائل على أثر الفتوى، وهجمت على هرات واحتلتها، ورفعت فوقها راية التوحيد، وتجمع أكثر من مائة ألف في مؤتمر شعبي في هرات احتفالاً بالنصر، وتصميماً على مواصلة الزحف على مؤسسات الدولة، وعندها وجه تراقي قواته الجوية والبرية، وسحقت بالصواريخ والمدفعية حوالي ثلاثين ألف مسلم -على أقل التقديرات- في يوم واحد، وكانت حادثة هرات مسماراً في نعش تراقي، إذ انفجرت المقاومة في أنحاء كثيرة في أفغانستان، وانضمت كتائب من الجيش للحزب الإسلامي -الذي كان وحده في أرض الميدان-، أمثال كتائب زابل وأسمار ونهرين، فأخذ تراقي يتصرف بصراعات جنونية، فكان يحرق القرى بكاملها، ويكفي مثالاً على هذا قرية (كرهالة) التي جُمع كل شبابها البالغين (١١١٦) شاباً وقتلهم جميعاً.

١٣- كانت المقاومة تزداد يوماً بعد يوم ضد تراقي، وهبت القبائل بفطرتها الإسلامية تتصدى لنظام تراقي. وهو لا يدع وسيلة بربرية أو وحشية إلا استعملها ضد الشعب، حتى وصل عدد الشهداء في زمانه حوالي مائتي ألف شهيد.

١٤- لقد كان حفيظ الله أمين أقوى رجل في حكومة تراقي. فلقد أشرف حفيظ الله أمين على التنظيم العسكري في الجيش منذ بداية السبعينات، وكان هو الذي رتب الانقلاب على داوود ونفذه الضباط الشيوعيون، وعلى رأسهم عبد القادر ومحمد أسلم وطنجار، وهو الذي أقصى بابرك كارمل من المكتب السياسي للحزب، وكان كارمل رئيس جناح برشم (الراية في الحزب الشيوعي)، وأرسل كارمل إلى براغ، وأخيراً استقال كارمل ولجأ إلى موسكو، وفي آذار سنة (١٩٧٩م) أصبح أمين رئيساً للوزراء، وفي أوائل أيلول سنة (١٩٧٩م) انعقد مؤتمر عدم الإنحياز في هافانا، ومر تراقي بموسكو، وطلب برجنيف من تراقي أخذ كارمل معه، فاعتذر بأن أمين لا يقبله، فطلب الروس قتل أمين، ودبروا مؤامرة لقتل أمين، فأخبره أحد الضباط المرافقين لتراقي وهو (داوود ثون)، وكان المخطط قتل حفيظ الله في المطار لدى استقباله لتراقي في المطار أثناء عودته، فوكل أمين لمدير الأمن العام (علي شاه بيمان) ضبط المطار أثناء الاستقبال، وجاء تراقي ونجا أمين، ثم اجتمع السفير الروسي وتراقي في كابل وأرسلوا وراء أمين ليقتلوه، وجاء أمين وأطلقوا عليه النار ونجا، وهنا اعتقل أمين تراقي في (١٥/٩/١٩٧٩م) وقتله

وقد طالبت القبائل حفيظ الله أمين أن يبين أسماء الذين قتلتهم العصابة الشيوعية الحمراء، فنشر فقط أسماء اثني عشر ألفاً،

وأنحى باللائمة على حكم تراقي، ووعد بإيقاف المجازر، وكان من بين القتلى الذين علقت أسماءهم اسم عبد رب الرسول سياف، وكـ رقم اسمه في القائمة السادس والثلاثين، إذ كانوا يظنون أن سيافاً كان من القتلى في مذبحة سجن (بل جرخي)، ولكن الله نـ بأعجوبة، إذ كان معزولاً عن إخوانه في سجن آخر، لأن له تأثيراً كبيراً عليهم، فكان يقوم بإمامتهم وتعليمهم، وفي ليلة تنفيذ الإعـ بـ (١١٧) شاباً من صفوة أبناء الحركة الإسلامية قامت معركة بين هؤلاء الصفوة وبين الشرطة الشيوعية، فسقط كل الشباب شهـ وجرح الشرطة الحاضرين ونقلوا إلى المستشفى، وعندما جاء المدقق رأى الجثث المتناثرة، فأمضى أنه نفذ حكم الإعدام بالجميع، بيـ كان سياف في سجن آخر، فبقي سياف حياً في عالم الواقع وميتاً على أوراق الدولة.

١٥- استمرت الحرب مشتعلة أيام حفيظ الله أمين الذي حكم ثلاثة أشهر فقط، فبدأت روسيا تستعد لاقتحام أفغانستـ وحشدت قواتها على الحدود استعداداً للدخول، وعلم أمين بنية روسيا للإطاحة به وحكم أفغانستان بجنودها الحمر مباشرة، فاتـ بباكستان ليقابل رئيسها قبل دخولهم بأسبوع، وهو يرى المقصلة تنتظره على يد من نصبه حاكماً على عرشه، إلا أن القدر لم يمـ واقتحمت أساطيل روسيا أرض أفغانستان حيث احتلتها في نصف يوم وقتلت أمين، ونصبت عميلاً جديداً اسمه بابرك كارمل، جا به من روسيا بعد يومين على طائرة هليكوبتر (GUN SHIP)، وأذاع بيانه الأول من محطة موسكو وتاشكند وكابل.

وكارمل هو زعيم الجناح الآخر للشيوعيين اسمه (برشم)، بينما كان تراقي وأمين من جناح (خلق).

١٦- كان دخول روسيا في (٢٧) ديسمبر عام (١٩٧٩م) وأعلنت أنها جاءت بدعوى من الحكومة الشرعية لمنع التد الباكستاني الإيراني في أفغانستان، ففتحت أبواب السجون ليخرج الشيوعيون من حزب برشم أتباع كارمل الذين سجنهم حفيظ أمين، وخرج الناس من السجون.

وكان من بين الخارجين عبد رب الرسول سياف الذي ظنوا أنه قد قتل منذ زمن، لقد كانت نجاة سياف آية من آيات الله ليـ الله به ما يشاء، من قيادته للجهاد، ونقله القضية الأفغانية إلى واقع دولي، يحسب لها الأعداء ألف حساب، حتى أن بابرك كارمل يـ في الأيام الأخيرة خمسة عشر مليون روبية أفغانية لمن يأتي بسياف حياً أو ميتاً.

كانت نجاته مصداقاً للآية الكريمة **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)**. (آل عمران: ١٤٥).

والحديث: **[واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجـ الصحف]**[1].

وبعد أيام علمت روسيا أن سيافاً لا يزال حياً، فاقتحمت بيته باثنتي عشرة دبابة، إلا أنه كان قد غادر بيته.

ولقد حقق الجهاد الأفغاني من الانتصارات ما أوصل الروس إلى الاعتقاد [أن الأفغانيين لا يموتون]، وأوصل الأفغانيين الاعتقاد [أن أسلحة روسيا لا تضرهم ولا تهزمهم]، ولقد سمعت من أفواه المجاهدين الكرامات والبشائر الكثيرة التي تشبه الأسماء يحسبها الإنسان ضرباً من الأوهام والخرافات والأحلام، لا يمكن أن تتحقق في عالم الواقع، ولكنها حقائق تُرى يومياً، ويـ يشهدها الذين يبصرون ممن يعيشون الجهاد، ويخطون التاريخ الإسلامي بدمائهم، ويبنون صرحه بجماجمهم.

١٧- لقد وجدت روسيا أن بقاءها في أفغانستان ضرب من المحال، وأن استقرارها أبعد من الخيال بعد أن دفعت الضر غالية من الرجال -بل أشباه الرجال ولا رجال-، ومن الطائرات والدبابات والمعدات والناقلات، ومما لا يصدقه المراقبون السياسـ ولا يمكن أن يتوقعوه لولا أنهم رأوه حقائق مجسدة فوق أرض أفغانستان، وكما علق أحد الصحفيين الكنديين (شوستز): [إنها حـ ولكني لا أستطيع تفسيرها]، إن روسيا تخسر يومياً أربعين إلى ستين مليون دولار.

١٨- بعد أن يئست روسيا من البقاء، وافقت مع أمريكا أن تبحث عن البديل بعد الانسحاب، فحاولت أمريكا أولاً أن ترجع لأن روسيا اشترطت أن لا يكون البديل (إسلامياً)، يجب أن يبعد سياف وحكمتيار عن الطريق، ولا مانع عند روسيا أن يكون الـ هو (الإسلام الأمريكي)، فليكن الملك هو البديل.

١٩- أرسلت أمريكا بعض رجالات الحكم الملكي ليفاوض الملك محمد ظاهر شاه الذي يقبع في إيطاليا، وكان من بين ا صبغة الله مجددي، فعقد الملك مؤتمراً صحفياً وقال: إن المجاهدين دعوني لاستلام أفغانستان، فرد سياف وكان آنذاك رئيساً للا

١- حديث صحيح رواه الترمذي وأحمد والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما

الأول -الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان- بأن أصدر منشوراً (نرحب بالملك لنقتله في المطار).

٢٠- أوكلت أمريكا إلى السادات قبل موته في شهر أكتوبر أو نوفمبر سنة (١٩٨٠م) بشراء الجهاد الأفغاني لحسابها، فأرسل وراء قادة الجهاد، فذهب بعض القادة، منهم مجددي وسيد أحمد جيلاني ومحمد نبي محمدي ويونس خالص وأرسل رباني مندوباً عنه، فوعدهم السادات بعمل حكومة لهم في المنفى ويمدهم بالسلاح والمال، بشرط أن يبعدوا سيافاً وحكمتيار عن طريق الجهاد، فرجعوا وأصدروا منشوراً ضد سياف قالوا فيه: (إن سياف خائن ومستبد وظالم)، ووقعه الأربعة جيلاني وخالص ومجددي ومحمد نبي، ونشرته لندن وأمريكا وموسكو، وتمزق الاتحاد الأفغاني للجهاد، ووصل التمزيق إلى الداخل، مما أدى إلى سفك دماء بعض المجاهدين بيد الآخرين.

ومن المعلوم أن يونس خالص كان إماماً في مسجد بارا (بيشاور)، ثم عرض عليه حكمتيار الجهاد فاعتذر أن أقاربه في داخل أفغانستان قد يقتلهم تراقي، وبعد محاولات قبلَ أن ينضم إلى حكمتيار (الحزب الإسلامي)، وقربه حكمتيار ورفع شأنه -بإذن الله-، وبعد فترة انشق يونس خالص عن الحزب الإسلامي وأخذ الاسم ومعه ثلاثون ألف مجاهد.

٢١- بقي المجاهدون ممزقين حتى عادوا وكونوا الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، وذلك بسعي بعض الصادقين من العالم الإسلامي، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ كمال السنانيري الذي مكث فترة متفرغاً في بيشاور، يحاول أن يرأب الصدع ويلم الشعث، ولعل هذا كان سبباً في قتله داخل سجون مصر!!

وكان هذا في نهاية عام (١٩٨١م)، وكان مجددي وجيلاني ومحمد نبي أول من وقعوا منشور الإتحاد.

وكان الاتحاد في البداية مكوناً من الجمعية الإسلامية (رباني)، والحزب الإسلامي (يونس خالص)، وجبهة الانقلاب الإسلامي (محمد نبي محمدي)، وجبهة نجاة ملي (صبغة الله مجددي)، أما جيلاني فلم يدخل بعد أن وقع دستور الاتحاد، ومن المعلوم أن جيلاني ومجددي ليس لهما أية قوة تذكر، ثم دخل حكمتيار بثقله العسكري، وحزبه يشكل قوة ضخمة، بالإضافة لانضباطه والتفافه حول قائده -حكمتيار-، وهو على جانب كبير من الالتزام الإسلامي والوضوح العقيدي ورؤية الهدف الذي لا لبس فيه ولا غموض (القتال لتكون كلمة الله هي العليا)، وبمجرد دخول حكمتيار الاتحاد ذهب مجددي إلى أمريكا، ومن أمريكا اتصل مجددي هاتفياً وأعلن انسحابه من الاتحاد.

وسافر محمد نبي إلى دول أوروبية منها ألمانيا، ثم أعلن انسحابه، لأن ألمانيا هي مستقر وزراء ظاهر شاه، انسحب الثلاثة بعد أن أقسموا على المصحف في مسجد الأشرفية في بيشاور أن يحافظوا على الإتحاد.

تجمع الثلاثة (نبي وجيلاني ومجددي) وكونوا اتحاداً آخر بنفس الاسم (الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان)، ولكن والحمد لله خرج عن كل واحد منهم قوة كبيرة والتزمت بالاتحاد الحقيقي.

انسحب محمد مير (عالم كبير) من جبهة مجددي وانضم إلى الاتحاد، وانسحب نصر الله منصور ورفيع الله مؤذن (وهما من علماء أفغانستان المعروفين) وانضما إلى الإتحاد الحقيقي، فأصبح يضم أحزاباً سبعة.

١- الشيخ سياف مع حزبه (الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان).

٢- حكمتيار (الحزب الإسلامي).

٣- برهان الدين رباني (الجمعية الإسلامية).

٤- يونس خالص (الحزب الإسلامي).

٥- نصر الله منصور (جبهة الإنقلاب الإسلامي).

٦-رفيع الله مؤذن (جبهة الإنقلاب الإسلامي).

٧-محمد مير (جبهة نجاة ملي) أي -الخلاص الوطني- انفصل عن مجددي.

٢٢- قام الاتحاد الحقيقي وترأسه سياف يساعده حكمتيار، وهذا الذي جعل الدوائر السياسية الغربية تهلع وترتجف، وانعكس الأثر على النائمين في المجال المغناطيسي الأمريكي، وهم دائماً يتحركون كإبرة البوصلة مع المغناطيس الامريكي، ليس لهم من الأمر

شيء، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

حاولت الدول الغربية أولاً أن تضعف الاتحاد بإنشاء اتحاد آخر بأعمدته الثلاثة (مجددي وجيلاني ومحمد نبي)، ولكن الاتحاد كشف واحترق لدى الشعوب الإسلامية العربية التي تتعاطف مع الجهاد الأفغاني ببعض الأموال.

بشـائر:

١- تم في يوم الأحد التاسع من شعبان سنة (١٤٠٣هـ) الموافق (١٩٨٣/٥/٢٢م) انتخاب الأستاذ سياف أميراً وقائداً ع للجهاد لمدة سنتين قابلة للتجديد وأعطيت له صلاحيات واسعة، من تغيير رؤساء اللجان والتعيين، وأعلن قادة المنظمات السبعة الاتحاد حل أحزابهم واستقالتهم عن قيادتها، وبايعوا جميعاً الشيخ سياف، وسيأتي القادة من داخل الجبهات تباعاً لمبايعته، و هذا فتحاً عظيماً في تاريخ الجهاد الأفغاني -إن شاء الله-، وأرجو الله أن يعين القادة على الوفاء بعهدهم وألا ينكثوا بيعتهم.

## دستور الإتحاد:

**المادة الأولى:**

الاسم: الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان.

**المادة الثانية:**

الهدف: هو إعلاء كلمة الله وتحرير أفغانستان من سيطرة الكفر والشيوعية، وقيام الحكم الإسلامي في أفغانستان، ومنع الف والفساد، ومنع النشاطات الغير إسلامية.

**المادة الثالثة:**

أساس هذا الحكم ينطلق من معنى الآية الكريمة: **{إن الحكم إلا لله}** (يوسف: ٤٠).

أي أن لله الحاكمية المطلقة في جميع الأمور.

والآن: الجهاد ماض، والانتصارات متوالية، وروسيا تتمنى أن تخرج من ورطتها التي قد تكون مسماراً كبيراً في نع الإمبراطورية الروسية كما يقول (شاليزي) منتج الأفلام في مدينة بيشاور: {إن أفغانستان ستكون الخطوة الأولى في سق الإمبراطورية الروسية، وليس هذا ببعيد، إذ كانت أفغانستان سبباً في بداية الأفول في الخط البياني للإمبراطورية البريطانية، و أعماق القرون الضاربة القدم، كانت أفغانستان هي الصخرة التي تحطمت عليها كبرياء الإسكندر المكدوني}!!

لقد وصل الروس إلى حد من الارتباك والاضطراب، مما لا تملك معه أعصابها، وتبدو تصرفاتها إزاء الجهاد والمجاهد مضحكة مبكية.

يقول (سافيك شوستز) الصحفي الكندي المشهور: بالنسبة للتكنولوجيا فالسوفيات لديهم كل شيء، ولكن مستواهم في تنظ الحرب صفر[١].

حدثني أبو عبيدة قال: دخلنا على الشيوعيين في أورغن (ORGON) واحتللنا ثلاث معسكرات بدبابة واحدة (من الغنائم)، بيذ كان عند الشيوعيين مائة وعشرون مدفعاً مضاداً (P7)، وستون مدفعاً مضاداً للدبابات، كنا نأخذ الشيوعي من داخل الخندق نج يبكي وبندقيته ملقاة بجانبه مليئة بالرصاص.

إن التكالب الآن على أشده بين الذئاب التي تتربص بأفغانستان بعد انسحاب الروس، وبعض المساكين داخلون في المصيد العالمية، وأصبحوا أو كادوا يصبحون دمى في اللعبة الدولية، وإذا قدر الله لآرائهم أن تنتصر، فإنهم سيضيعون ويضيعون بلدهم وثم جهادهم، إنهم العتبة الأولى التي سيطؤها الأمريكان للوصول إلى أهدافهم.

نحن بشر، والله هو الذي يعلم السر وأخفى، بيده القدر يجريه كيف يشاء، نحن كبشر نأمل بالله أملاً عظيماً ثم نأمل بانتصـ الجهاد الصادق، وندعو الله أن ينصر دينه ويعلي شريعته ويعز جنده.

---

١- يعني فشلهم الذريع وعجزهم العسكري أمام المجاهدين

لقد قرب حسم المعركة، -والله أعلم-، والذئاب تتربص لتتناوش الأسلاب، وكم من عين ترصد هذه التضحيات التي دنا جناها، فنرجو الله أن يجعل الثمار لغارسي الأشجار، ويحرمها اللصوص والأشرار.

إن الجهاد بحاجة ماسة للمساعدة بالمال من كل المسلمين في الأرض، وعلى المسلمين أن يستيقظوا قبل فوات الأوان.

**(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)** (العنكبوت ٦٩)

## ونحن الآن في سنة (١٩٨٤م):

١- عدد المجاهدين (٣٥٠-٤٠٠) ألف مسلح.

٢- عدد الروس حوالي (٢٥٠) ألفا.

٣- عدد السجناء من المدنيين والمجاهدين حوالي مائة ألف في أفغانستان، منهم ستون ألفاً في سجن (بولي چرخي) في كابل.

٤- عدد المهاجرين يزداد يوماً بعد يوم بسبب اتباع روسيا (سياسة الأرض المحروقة) فقد وصل عدد المهاجرين في باكستان ثلاثة ملايين، وفي إيران أكثر من مليون مهاجر، حالتهم بائسة أليمة ، وفقرهم شديد.

٥- هنالك محاولات جنونية من الدوائر الدبلوماسية الغربية والمتسلمة (المنسوبة للإسلام) لتمزيق الاتحاد بمحاولة تأثيرها على بعض القادة داخل الاتحاد، ولكن باءت بالفشل ولله الحمد والمنة.

لقد نشط الملك ظاهر شاه ووزراؤه المقيمون في ألمانيا في الفترة الأخيرة، ولقد أرسل الملك صهره (همايون) إلى بيشاور، ومكث فترة يعمل قانوناً لأفغانستان التي يحلم أن يعود إليها.

٦- لقد كانت خسائر روسيا في أشهر حزيران وتموز وآب سنة (١٩٨٤م) أكثر من خسائرها في السنوات الخمس منذ دخولها أفغانستان.

الصحف الغربية التي تصدر في أوروبا تصرح بأن الأحزاب الثمانية راضية أن يرجع الملك، ولكن المعارضين الوحيدين هما (سياف وحكمتيار)، إن الدوائر الغربية وعملاءها يريدون نفخ الروح في الملك الميت.

٧- بقدر السلبيات التي قد ينقبض منها الصدر في بيشاور، مثل النواحي الإيجابية الكثيرة في داخل أفغانستان، فنرى الانتصارات المتلاحقة، ونرى الائتلاف في كثير من الجبهات بين المجاهدين، مثل جبهات بكتيا وبكتيكا ترى المجاهدين صفاً واحداً.

حدثني أبو أسيد وأبو حفص (شابان عربيان) في المعركة: كنا عند قائد اسمه فيض محمد في بكتيا، جبهته ألفان وخمسمائة، كلهم يصلون جماعة، كلهم ملتحون (عدا واحد)، (ولم نسمع الموسيقى طيلة وجودنا).

٨- إن موقف ضياء الحق من الجهاد -حتى الآن- طيب ويسجل له، ولا ندري ماذا عن المستقبل.

٩- إن أمريكا تريد استمرار القتال، ولكنها لا تريد للجهاد النصر الآن، ريثما تبحث عن البديل، لأن القادة الآن ليسوا مرنين ولا متجاوبين معها، حتى إذا عثرت على رجلها المنشود، عندها تحاول أن تحسم المعركة إن استطاعت **(قل إن الأمر كله لله)** (آل عمران: ١٥٤)

وإليه يرجع الأمر كله، ولا يملك البشر لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

١٠- رغم الضيق الشديد الذي يواجهه المجاهدون، إلا أنهم في ذروة الأمل، حتى عاد الأطفال يقولون للطائرات المارة عبارة بالفارسية (قعة معت آست) أي كلام فارغ، اعملوا ما شئتم لن نترك لكم موطئ قدم.

فالنساء يشتركن أحياناً، وقصة (فاطمة نور بي بي) التي قتل الروس أهلها -من الرجال- في بيتها، فقتلت بعددهم من الروس.

## حكم القتال في أفغانستان وفلسطين:

إن قتال الكفار بالسنان والسلاح يختلف حكمه باختلاف حالة المسلمين.

**(أ) فهو فرض كفاية:**

إن كان الكفار في بلادهم ولا يحشدون لقتال المسلمين، فالقتال فرض كفاية، وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمسلمين لإرهاب أعداء الله ، وإرسال جيش في السنة -على الأقل- (**فعلى الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة أو مرتين، وعلى الرعية إعانته، فإن لم يبعث كان الإثم عليه**)[1].

**ومعنى فرض الكفاية:**

الذي إن لم يقم به من يكفي أثم الناس كلهم، وإن قام به من يكفي سقط عن سائر الناس، فالخطاب في ابتدائه يتناول الجميع -كفرض الأعيان-، ثم يختلفان أن فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس، وفرض الأعيان لا يسقط بفعل غيره (المغنى لابن قدامة: ٨/٣٤٥).

**(ب) فرض العين:**

ويصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم في حالات منها:

١- إذا دهم الكفار بلدة من بلدان المسلمين وهاجموها.

٢- إذا استنفر الإمام أشخاصاً يكون القتال فرض عين على هؤلاء الأشخاص، ويسمى (نفيراً خاصاً)، وإذا استنفر الناس جميعاً يسمى (نفيراً عاماً) ويصبح فرض عين على الأمة، ففي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال يوم الفتح: **(لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)**[2] فالحديث يدل على وجوب النفير عند الاستنفار.

٣- إذا التقى الصفان أو شرع في القتال[3].

٤- إذا أسر الكفار مسلماً أو مسلمة[4].

## حكم الجهاد في أفغانستان الآن:

لقد تبين أن الكفار إذا داهموا بلدة إسلامية عمرانها أو جبالها أو خرابها فإنه يتعين القتال على كل أهلها، فتخرج المرأة بغير إذن زوجها، والصبي بدون إذن والديه، والمدين دون إذن غريمه، والعبد دون إذن سيده، وقد اتفق العلماء الأربعة وفقهاء مذاهبهم على هذا[5].

وكذلك يصبح الجهاد فرض عين على كل بلدة قريبة المسافة، ولو لم يجد المسلم راحلة يركب عليها.

وقد نص على هذا معظم الفقهاء، من الحنفية والشافعية والحنابلة، هذا بالنسبة للجهاد بالنفس.

**جاء في فتح القدير لابن الهمام:**[6] [فإن هجموا على بلدة من بلاد المسلمين فيصير من فروض الأعيان على جميع أهل تلك البلدة النفير، وكذا من يقرب منهم، فإن لم يكن بأهلها كفاية، وكذا من يقرب، فإن لم يكن بمن يقرب كفاية أو تكاسلوا أو عصوا وهكذا إلى أن يجب على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً].

**وجاء في البحر الرائق لابن نجيم**[7]: [وفرض العين إن هاجم العدو فتخرج المرأة والعبد بلا إذن زوجها وسيده].

**وفي نهاية المحتاج للرملي**[8]: [فإن دخلوا بلدة لنا أو صار بيننا وبينهم دون مسافة القصر فيلزم أهلها الدفع حتى على من لا جهاد عليه من فقير وولد ومدين وعبد وامرأة].

---

١- حاشية ابن عابدين (ج٣ص٢٣٨).

٢- إعلاء السنن (١٢-٨) نقلاً عن البخاري (١-٣٦٦).

٣- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي (٨-٥٧)، الإنصاف للمرداوي (ج٤-١١٧)

٤- فتح القدير، الهداية لابن الهمام (٥-١٩١)، ونهاية المحتاج (٨-١٠٨)، والبحر الرائق (٥-٧٢)

٥- أنظر المصادر السالفة ابن عابدين (٣-٢٤٠)، نهاية المحتاج (٨-٥٨)، فتح القدي(٥-١٩١)، الإنصاف (٤-١١٧).

٦- فتح القدير لابن الهمام (ج٥ص١٩١).

٧- البحر الرائق (ج٥ص٧٢).

٨- نهاية المحتاج (٨-٥٩).

وفي الإنصاف للمرداوي[٩]: {إذا نزل الكفار على بلد المسلمين تعين على أهله النفير إليهم}.

وفي حاشية ابن عابدين[١٠]: {وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام فيصير فرض عين على من قرب منهم، فأما من وراءهم ببعد من العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم، فإن احتيج إليهم، بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو، أو لم يعجزوا عنها لكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم فرض عين كالصلاة والصوم، لا يسعهم تركه إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً، وعلى هذا التدريج}.

وهذه فتاوى فقهاء الإسلام إذا دهم العدو بلدة إسلامية بأن الجهاد يصبح فرض عين على أهل البلدة وعلى من يقربهم، ثم يتوسع على شكل دائرة حتى يعم فرض العين الأرض كلها.

## حكم الجهاد إذا أسر العدو أسيراً مسلماً:

اتفق العلماء جميعاً على أنه إذا أسر مسلم من قبل الكفار فإنه يجب على المسلمين جميعاً إنقاذه.

ففي فتح القدير[١١]: {أما إنقاذ الأسير فوجوبه على كل متجه من أهل الشرق والغرب ممن علم} ومثله في البحر الرائق[١٢].

وفي البزازية امرأة مسلمة سبيت في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها من الأسر.

وفي نهاية المحتاج[١٣]: {ولو أسروا مسلماً فالأصح وجوب النهوض إليهم وجوب عين لخلاصه إن توقعناه، ولو على ندور في الأوجه، كدخولهم دارنا، بل أولى إذ حرمة المسلم أعظم}.

## خلاصة حكم الجهاد في أفغانستان:

**١- فرض عين بالنفس والمال:** على أهل أفغانستان جميعاً وعلى من يقطنون قربهم.

**٢- فرض عين من جهة مدهم:** بالسلاح والطعام والمال وتسهيلات الحدود على المسلمين في الأرض جميعها وتأشيرات الدخول.

**٣- فرض عين بالنفس:** على باقي المسلمين من أصحاب الكفاءات التي يحتاجها الجهاد، كالدعاة والأئمة والمهندسين والأطباء والعسكريين والخطباء والمصورين والصحفيين والكتاب.

**٤- أما باقي المسلمين في الأرض:** فالجهاد فرض عين عليهم في بلادهم ليقيموا شرع الله ويطردوا الكفار، من لم يستطع أن يجاهد بالنفس في بلاده وسنحت له الفرصة بالقدوم إلى أفغانستان فتبقى فرضية العين قائمة في حقه، وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وهذا الحكم بعينه يطبق في فلسطين وغيرها من بلدان المسلمين التي اغتصبت فيها شريعة الله وأرض الله، مثل لبنان وكشمير وأرتيريا والفلبين.

ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم الفتح: **{لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا}**[١٤]. أي شرف الهجرة وثوابها انقطع بعد فتح مكة سنة (٨هـ) لأن المنطقة كلها أصبحت دار إسلام وأمان **(ولكن جهاد ونية)** دلالة على وجوبه عيناً وقت النفير.

# حتى لا نعض أصابع الندم

فهذا هو العام الثامن قد أذن بالانصرام منذ أن بدأت الصفوة الأولى من الشباب معركتهم الأولى ضد حكم داوود الشيوعي في أفغانستان.

وخلال هذه الفترة قدم الشعب الأفغاني من التضحيات في سبيل عقيدته ودينه ما يصلح للسائرين على طريق هذا الدين لعدة قرون قادمة، ولقد قدم لنا هذا الشعب البسيط المؤمن من خلال تجربته التي خاضها بدمه وأرواح أبنائه الكثير الكثير:

١- فلقد أثبت للدنيا بأسرها أن قوة العقيدة لا تقهر وأن عزيمة الإيمان لا تهزم.

٩- الإنصاف (٤-١١٧). ١٠- حاشية ابن عابدين (٣-٢٤٠) ١١-فتح القدير (٥-١٩١). ١٢- البحر الرائق (٥-٧٢)

١٣- نهاية المحتاج (٨-٥٨) ١٤- رواه البخاري (٧-١١٨)، أنظر إعلاء السنن (١٢-٩)

٢- لقد هز الأرض من تحت أقدام روسيا، وزلزل الأرض بها حتى باتت روسيا تشعر بضآلتها أمام هذا الشعب الفقير، و[ل]
وصل الأمر بجنود الروس أن يكتبوا للمسؤولين في روسيا أن الأفغانيين لا يموتون، فمن العبث محاولاتنا في أفغانستان.

٣- لقد ارتفعت معنويات هذا الشعب، فأصبحوا يظنون أن أسلحة الروس لا تضرهم ولا تهزمهم.

٤- لقد أدخلوا الإسلام في حلبة الصراع الدولي، فأصبح العالم يحسب له ألف حساب، حتى أنه قدم على التلفاز الأمريـ[كي] تصريحات لمراقب يتوقع بأن الإسلام سينتصر، وأنه سيدخل روسيا وتسقط روسيا، ثم يجتاح أوروبا، وبعدها تتحالف أمريكا وأور[وبا] وروسيا وتهزم الإسلام!!

٥- إن الفرصة الآن ذهبية وسانحة لإقامة دولة إسلامية في أفغانستان بعد انتصار المجاهدين الذين يعدون المليون، وهدف واحد لا يتلعثمون فيه (لتكون كلمة الله هي العليا ولإقامة حكم الله في الأرض). لقد سألت الكثيرين من الصبيان الجرحى -الذين هم [في] سن الثانية عشرة والحادية عشرة إلى الشيخ الكبير الذي يستلقي على سريره في المستشفى، والذي قد بلغ المائة وأربع سنوات [من] عمره- فإجابتهم واحدة واضحة في أذهانهم -دون لبس أو غموض- لهدف جهادهم.

ولكني أعود أقول وأكرر: إنها الفرصة الذهبية السانحة الآن في الأرض كلها لإقامة حكم الله في الأرض.

والذين لهم دراية بأمور الجهاد في العالم يعلمون جيداً صعوبة تجميع الناس على القتال، ويدركون أكثر من غيرهم كيف يربي الإنسان نظرياً على حب الجهاد والاستشهاد، حتى إذا اشتد الوطيس واحمر الحدق يتلفتون حولهم، فلا يجدون إلا القليل القليل [من] هؤلاء الذين تربوا منذ نعومة أظفارهم على هذه المعاني السامية الرفيعة، وقضية العدد الكبير مسألة صعبة في دنيا القتال، حتى الله عز وجل يقول عن صفوة الخلق بعد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

**(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون النا[س] كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب).** (النساء:٧٧)

**(يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون)** (الأنفال:٦)

فعالم النظريات غير عالم الواقع، ودنيا الكلام غير دنيا التطبيق، أين تجد الآن في العالم شعباً زاهد بطبيعته، محارباً بفطر[ته] متقشفاً وعزيزاً بسليقته كالشعب الأفغاني، قل لي بربك أين تجد مليوناً من الشباب الذي يتوقد حماساً يستعد للموت... يأكل الشـ[وق] للجهاد قلبه إلا في أفغانستان.

أين تجد جيشاً كاملاً من المتطوعين للقتال لا يأخذون روبية واحدة في الشهر، وأحسنهم حظاً من يجد لقمة العيش من قائده استطاع تقديمها.

أين تجد حدوداً تمتد أكثر من (٣٠٠٠ كم) مفتوحة على مصراعيها لمن أراد أن يدخل أو يخرج يحمل القذائف على كتفه حدود أفغانستان؟

أين تجد مناطق في العالم يباع فيها السلاح والذخيرة والقذائف ومضادات الدبابات وألغامها والرشاشات -بأنواعها- [كما] يباع الكوسى والباذنجان والبندورة في بلادنا إلا على حدود أفغانستان؟

إن الذين يبحثون عن مخرج عليهم أن يستيقظوا من سباتهم قبل فوات الأوان.

إن الفرصة لا زالت سانحة ، وإن شاء الله بقليل من الجهد يمكن كسب الوقت حتى لا يجني أعداؤنا ثمار هذه الدماء، ويأخ[ذوا] حصاد هذه التضحيات.

كنت أقرأ عن زهد عمر رضي الله عنه فكأنني أسمع ضرباً من الخيال، ولكني رأيت بيت الشيخ سياف الذي يسكنه طيناً وأرضـ[ه] ترابية ومضافته لاستقبال الضيوف خيمة ونفقته ريال ونصف.

كنت أحتار أن أجد تفسيراً في الجيوش الإسلامية التي كانت تجوب الأرض أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما -دون روا[تب] من الدولة-، فوجدت مليون أفغاني مجاهد لا يستلم الواحد منهم روبية واحدة.

كنت أسمع عن قصص السابقين في البذل والتضحية، فوجدت الأفغاني يبيع عنزه أو شاته ليشتري طلقة واحدة (كان [...]

الطلقة في بداية الجهاد ثلاثة دولارات) ويبيع ستمائة رأس من الغنم ليشتري سلاحه الفردي، لأن قطعة السلاح كان ثمنها ستمائة دينار كويتي في السوق السوداء.

لقد شعرت بصغر نفسي وقزامتها أمام سائق سيارة لأحد القادة وهو يعيش بستمائة روبية، منها أجرة بيته وطعام أسرته ودوائهم، (١٥) ديناراً كويتياً، بينما يملك هذا السائق ناقلتين كبيرتين قد سخرهما لخدمة المجاهدين ولأغراض الجهاد، وقد دُفعَ له ثمن إحدى السيارتين مليونين وثلاثمائة ألف روبية أفغانية فأبى أن يبيعها.

يحدثني شاب من شباب الدول البترولية متعجبين بأن الكلاب في باكستان تأكل الخبز، قالوا لي: إن الكلاب في بلادنا لا تأكل الخبز ولا الرز، لأنها اعتادت أن تأكل اللحم فقط، وإنك لتذهل إذا رأيت أكوام الرز واللحم التي تدفن مساء كل خميس في رمال الصحراء، فقلت لهم: إن البشر لا يجدون الخبز، وإن المجاهدين في أفغانستان أحياناً لا يجدون إلا ما تنبته الأرض، وما يجدونه على الأشجار في الجبال من ثمار، حتى بقيت فرقة -عدادها ثمانية آلاف مجاهد- شهرين كاملين تعيش على هذه الثمار، وعندما انتهت الثمار في المنطقة اضطروا لتركها.

ولكننا نضع أمام المسلمين الحقائق التالية:

**(ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة)**.(الأنفال:٤٢)

١- لا يوجد في ساحة الجهاد طبيب مسلم واحد إلا مجموعة من الأطباء حوالي العشرة من الأفغانيين -والجبهات حوالي ألف جبهة-، بينما تعج الساحة بمبعوثي التبشير وبعض المستشفيات المتنقلة من أمريكا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا والسويد.

٢- لا يوجد في ساحة القتال صحفي مسلم واحد، ولا مراسل إذاعي واحد من المسلمين، بينما تجد الكثيرين من الغربيين ومراسلي وكالات الأنباء.

٣- لا يوجد في أرض المعركة مصور مسلم واحد، ولم تقم محاولة واحدة جادة لعمل فيلم عن الجهاد الأفغاني -اللهم إلا شاب مسلم من بريطانيا وقد جرح أثناء عملية التصوير- يقول سياف: (يحدث يومياً مائة معركة أحياناً تذكرنا ببدر وبأحد لا تجد قلماً صادقاً يكتبها ولا فماً مخلصاً يبثها).

٤- إن كثيراً من المجاهدين يتناوبون الأحذية، فالذي يذهب إلى المعركة ينتعل حذاء، والذي يبقى في القاعدة يبقى حافياً.

٥- لقد مضى على أربعة آلاف مجاهد في معسكر ورسك قرابة ثلاثة أشهر من الشتاء لا يجد الواحد منهم بطانية ولا خيمة، حتى رآهم الشيخ ناصر الرشيد -المراقب المالي للهلال الأحمر السعودي- فاشترى لهم على حسابه الخاص -جزاه الله ألف خير- ألف خيمة مع البطانيات، ومضى معظم فصل الشتاء قرابة ألفين وخمسمائة من المجاهدين في معسكر أبي بكر الصديق بدون خيام وبدون غطاء ولو بطانية واحدة، حتى بادر الشيخ ناصر الرشيد واشتراها على حسابه الخاص.

٦- إن كثيراً من المجاهدين تتقطع أصابعهم من الثلج والجليد، لأن أحذيتهم سيئة وخفيفة ولا تقي المجاهد مغبة الثلج، لأن ثمن الحذاء يساوي مائة روبية باكستانية -على الأقل- وهم مليون مجاهد فيحتاج المجاهدون لأكثر من مائة مليون روبية لأحذيتهم فقط، وأن الحذاء لا يكفي سوى لغزوة واحدة.

٧- يحدثني (محمد صديق) قائد في منطقة كابل قائلاً: بأنه رأى امرأة تترك أحد أبنائها في الثلج لأنها لا تستطيع حمله، وليس معها أجرة دابة تركب أولادها عليها.

٨- لم يدخل ساحة القتال من غير الأفغانيين سوى النزر اليسير الذي لا يذكر، وأما الذين استمروا معهم من المسلمين في المعركة فهم دون أصابع اليدين، بينما نجد بجانب الشيوعيين من كوبا وألمانيا الشرقية ومن اليمن الجنوبية الشعبية والهند الكثيرين[١].

على المسلمين أن يستيقظوا قبل فوات الأوان، فروسيا الآن تريد أن تنسحب بطريقة تحفظ لها ماء وجهها أمام دول العالم، وبخاصة الدول التي تدور في الفلك الاشتراكي والمبهورة بالوطن الأم (روسيا)، فأوكلت إلى أمريكا البحث عن البديل المناسب لأنها لن ترضى أن يكون البديل هو الإسلام.

لقد وصل التسابق للاتصال بقادة المجاهدين من قبل الدوائر السياسية الغربية إلى حد الابتذال، حتى أن السفراء والقناصل

١- ما ذكره الشيخ من الملاحظات السابقة كان هذا في بداية الجهاد، ثم تغير كثير منها في السنوات الأخيرة من الجهاد.

الغربيين يصلون إلى أبواب قادة الجهاد في بيشاور فيردوهم الصادقون ويتلقاهم الساقطون.

إن الجهاد يمر الآن في مرحلة دقيقة جداً، فلم يبق في يد الروس إلا بعض مراكز المحافظات التي يعيشوا فيها كالفئران في المصيدة، حتى أنهم لم يعودوا يجرؤوا أن يسيروا بقوافل الدبابات على الطرقات، وأصبح تزويدهم بالطعام والدواء والسلاح بواسطة طائرات الهليوكوبتر.

هذه المراكز تحتاج إلى أسلحة ثقيلة لفتحها، وإلى ذخائر كثيرة لتحطيم شوكتها، وشراء الذخائر يحتاج إلى أموال.

هل يفطن المسلمون إلى مسؤوليتهم فيؤدوا النزر اليسير مما ينفقونه على شهواتهم وكمالياتهم.

إن الصيف المقبل ابتداء من هذا الشهر سيشهد معارك ساخنة على كل الجبهات -إن شاء الله-، وقد تكون المعركة الحاسمة بإذن الله قريبة **(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** (الحج:٤٠).

يقسم لي (محمد صديق چكري) قائد إحدى الجبهات في كابل -وهو خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة- أنه يحكم من أرض كابل نفسها (العاصمة) أكثر من بابرك كارمل، ويطبق عليها الإسلام، يا لله والله أكبر.

## وختاماً أقدم اقتراحات محددة:

١- أن تقيم كل جامعة ومعهد ومؤسسة علمية أسبوعاً باسم أسبوع نصرة الجهاد في أفغانستان، وجمع الأموال وإرسالها مع شخص أو مجموعة إلى بيشاور نفسها، وتسليمها لرئيس الاتحاد الشيخ سياف.

٢- أن تهتم الصحف الإسلامية بفتح باب خاص في كل عدد للجهاد الأفغاني.

٣- أن تخصص كل أسرة مسلمة مصروف يوم واحد في الشهر للجهاد الأفغاني.

٤- تنظيم رحلات علمية إلى بيشاور لرؤية الجهاد الأفغاني، حتى ترتفع الهمم وتحيا النفوس برؤية الأحياء.

٥- على الأطباء أن يخصصوا في السنة شهراً واحداً للحياة بين المجاهدين.

٦- على الصحف الإسلامية أن ترسل مراسلاً واحداً على الأقل إلى داخل الجبهات، وعلى الذين يتقنون فن الإعلام والتصوير السينمائي أن يأتوا ليعدوا أفلاماً عن الجهاد لا نظير له في عالم الواقع.

٧- على الدول الإسلامية[٢] أن تسمح بفتح مكاتب للمجاهدين الأفغان ليعرفوا بقضيتهم ويجمعوا التبرعات لجهادهم.

٨- من أراد أن يحول أي مبلغ فليحوله إلى بيت التمويل الكويتي، وليكتب على الشيك (الجهاد الأفغاني) ورقم الحسب (١٩٢٠) أو عن طريق بنك دبي الإسلامي برقم حساب (١٣٣٥).

إن المسألة يسيرة على من يسرها الله عليه، إنها دراهم معدودة، فيا دعاة الإسلام انتبهوا، ويا مسلمي العالم استيقظوا قبل فوات الأوان، وحتى لا نعض إصبع الندم ولات ساعة مندم **(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** (ق:٣٧).

ألا هل بلغت.... اللهم فاشهد.

# يا مسلمي العالم استيقظوا

وبعد... فلم يعد خافياً على المسلمين في الأرض الضربات المتلاحقة التي توجه إليهم في كل مكان، تسحق علماءهم، وتشتت جمعهم وتدوس قيمهم، فحيثما ظهرت للمسلمين قوة حركية أو عسكرية تحرك الكفر وتداعت المعسكرات المعادية للمسلمين تحذر وتنذر ثم توعد وتهدد، ثم ترغي وتزبد، ثم تسحق وتبدد.

وما حصل للحركة الإسلامية في البلدان العربية بالذات خير مثال لها، نقول وما نراه من حرب الفلسطينيين وملاحقتهم من ... إلى آخر حتى كانت النهاية المؤسفة الأليمة التي شهدتها أرض لبنان، ولا زالت بقية فصولها تقدم للنصارى جماجم وأشلاء ولحوم وأعضاء وأرواحاً ودماء، وحسبك صبرا وشاتيلا مثلاً.

---

٢- هذا على سبيل التجاوز وإلا فليس هناك دولة إسلامية بالمعنى الصحيح.

لقد آن للمسلمين أن يركزوا جهودهم بعد أن رأوا المذابح والمجازر تعمل فيهم، ولقد كانت ملحمة حماة -التي تعتبر من مآسي العصر- أوضح صورة تدل على أنه يستحيل اللقاء بين الإسلام والجاهلية فوق أي أرض **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** (البقرة:٢١٧).

لقد آن لنا أن نفكر في أرض تكون قاعدة صلبة تنطلق منها الدعوة، وحصناً حصيناً يأوي إليها الدعاة من جحيم الجاهلية المستعر، ألم يأن لنا أن نفكر في إيجاد دار للإسلام يتمثل فوق أرضها دين الله سلوكاً وأنظمة وأحكاماً.

إن هذه الدار الإسلامية، وهذا المجتمع المسلم ضروري ضرورة الماء والهواء، إذ ثبت عملياً أنه تستحيل الحياة الإسلامية إلا في ظلال هذا المجتمع المسلم، وأنا أرى أن أفغانستان أفضل أرض لهذه الدار بعد أن وصل الجهاد الأفغاني إلى مستوى أشبه بالأساطير، وأبعد من الخيال، فيما حققه في دنيا الواقع من انتصارات.

## فالجهاد الأفغاني الآن وصل إلى:

١- أنه تحرر أكثر من (٨٠٪) من أرض أفغانستان، وكما قال (شارلز دونيا) القائم بأعمال السفارة الأمريكية في كابل بعد أن أنهى أعماله عمل مقابلة صحفية مع (US NEWS AND WORLD REPORT) في تموز سنة (١٩٨٣م) إن الحكومة الأفغانية لا تقوم سوى بالأعمال الإدارية في كابل وقليل من المدن الأخرى، ويتضاءل وجودها في الريف، ولا أظن أن حكومة كابل تبقى حتى نهاية الخريف القادم.

ويضيف عن استقرار المقاومة الجهادية في بعض المناطق فيقول: لقد أنشأت المقاومة المدارس في بعض المناطق الواقعة تحت سيطرتها، كما أقامت نظاماً شاملاً للإدارة.

ويصف حال المجاهدين من حيث القوة قائلاً: لا يساورني أدنى شك في أن المقاومة تتحسن وتحسن تسليحها، فرجال المقاومة يستولون على كثير من السلاح من القوات الحكومية، والجيش الأفغاني كالغربال (المنخل)، فالنظام يصب الناس والسلاح من الجزء الأعلى ليتسربوا من أسفل إلى أيدي المقاومة، والمقاومة في داخل كابل على بعد خمس كيلو مترات من السفارة الأمريكية.

٢- يقول (شاليزي) -يصنع فيلماً عن الجهاد الأفغاني في بيشاور-: ستكون أفغانستان الخطوة الأولى لسقوط الإمبراطورية الروسية.

٣- ويقول ميتران (الحاكم الفرنسي): إن أفغانستان كالسرطان في جسد الاتحاد السوفياتي، كلما طال الزمن كلما أكل السرطان الجسم.

٤- إن خسائر روسيا يومياً في أفغانستان (٤٠-٦٠) مليون دولار.

٥- لقد شاهد بعض الشباب العرب خلال شهري رمضان وشوال عام (١٤٠٣هـ) المعارك في وسط كابل، فقال لي أحدهم معبراً عن شعوره (رأيت أن الله هو الذي يقاتل في أفغانستان).

ثم قال: لقد اشتركت في معركة قصفنا فيها معسكر (بخدر) في وسط كابل وكنا مائة وعشرين مجاهداً، هاجمتنا طائرات الهليوكوبتر، وصبت علينا وابلاً من الرصاص والقذائف، وأخذنا ننطق بالشهادتين، لأننا أيقنا أن الموت يدركنا لا محالة، وكانت نتيجة المعركة تدمير (٢) دبابات، وقتل (١٨) جندياً وضابطاً روسياً، وقتل (١٢) شيوعياً أفغانياً، وجرح عشرين منهم، ولم يجرح منا واحد.

٦- كانت نتائج المعارك التي جرت بين المجاهدين من جهة والشيوعيين من جهة أخرى -خلال سنة واحدة من تشرين الثاني (أكتوبر) عام (١٩٨١م) حتى (أكتوبر) عام (١٩٨٢م)- لصالح المجاهدين، وكانت نتائج الأرباح بالأرقام التالية:

غزا المجاهدون (٨٢٤) غزوة، كان قتلى المجاهدين (الشهداء) (١٨٥٦) شهيداً، وجرحى المجاهدين (٣٩١) جريحاً.

الدبابات المدمرة (٢٠٤٨) دبابة، السيارات المدمرة (١١٢٨) سيارة، الجرحى من الكفار (١٢٧٢)، الطائرات الساقطة (٦١) طائرة.

هجم الشيوعيون (١٤٩) مرة، قتلى الكفار (٢٣١٢٩)، الأسلحة المدمرة (٧٧٢) قطعة سلاح.

الغنائم: (٣٦٩٧) قطعة سلاح، (١٨) دبابة صالحة، (٥٨) سيارة صالحة، (٢٢٨٩) أسيراً أسلم منهم (٨٥) أسيراً، من تقرير

٧- عدد المجاهدين مليون مجاهد، وأما عدد الذين يحملون السلاح منهم (ومعظم السلاح من الغنائم) فقد بلغ (٣٥٠-٤٠٠) ألف، كما صرح سياف في هذا الشهر.

٨- إن حكومة كابل تتضرع إلى قادة الجبهات أن يوقفوا القصف -خاصة على كابل-، وعلى سبيل المثال:

٩- أرسل وزراء حكومة كابل رسالة إلى (محمد صديق چكري) يرجونه أن يوقف الحملات على وسط كابل ويدفعون له ما أراد من مال وغيره، فرد عليهم: (وأنا أعطيكم ما شئتم بشرط أن تنسلخوا من إلحادكم وشيوعيتكم وتدخلوا الإسلام).

وفي الشهر الماضي (شوال) عام (١٤٠٣هـ) أرسل مجلس الوزراء الأفغاني إلى الحاج (محمد عمر) قائد جبهة بغمان -ثمانية كيلو مترات من كابل- يقول فيها: (نناشدك الله أن نجتمع حقنا لدماء المسلمين)، يا لله!! الشيوعيون يناشدونه بالله، إنه الرعب والفزع.

فرد الحاج (محمد عمر): إن العهد الذي أعطيناه لأمير المجاهدين (سياف) أن لا نضع السلاح حتى تقوم الدولة الإسلامية، أما قبل الدولة الإسلامية فلا مفاوضات ولا لقاء.

وبعد هذا الجواب بيومين هجم الشيوعيون بأساطيلهم الجوية والبرية، ودارت معركة بينهم وبين المجاهدين، كانت نتيجتها:

تدمير أربعين دبابة، وإسقاط ثلاث طائرات، وقتل خمسمائة شيوعي، وسقط مقابل ذلك اثنان وعشرون شهيداً.

١٠- لقد قصف مطار كابل مرتين خلال شهري شعبان ورمضان سنة (١٤٠٣هـ)، وكانت نتيجة الهجوم الثاني تدمير (٤) طائرات، ودمرت كذلك ثلاث عمارات مساكن للضباط الروس، بل إن المجاهدين قاموا بقصف قصر بابرك كارمل نفسه في شوال سنة (١٤٠٢هـ)، ومقابل هذا الصمود المشرف ماذا تفعل روسيا؟ إنها تنتقم من سكان القرى والمدن من المدنيين، إنها تتبع سياسة الأرض المحروقة، لقد دمرت مدينة قندهار تسع مرات، إنها تحرق الزروع والأحياء وتهدم المنازل.

ولذا فهجرة الأفغانيين تزداد يوماً بعد يوم إلى باكستان، ولكن والحمد لله عدد المجاهدين يزداد يوماً بعد يوم.

وهنالك الأزمة الخانقة بالنسبة للمواد الغذائية في أفغانستان، مما جعل قادة الجهاد في بيشاور يفكرون في إرسال الطحين إلى المجاهدين، ولكن هل تعلم بأن أجرة الجمل الواحد الذي يحمل الطحين من بيشاور إلى كابل (٢٢٠ كم) تساوي ألفاً ومائتي ريال وهذا المبلغ يكفي للإنفاق على عشرين أسرة أفغانية مدة شهر كامل.

فهم يفتقدون كل متاع الدنيا وضرورياتها وحاجياتها، يفتقدون كل شيء، ويعوزهم كل شيء، إلا أنهم يملكون شيئاً واحداً هو أثمن من كل شيء وهو الإيمان بالله، والرضا بالقضاء، والصبر على البلاء.

والجهاد بحاجة إلى أصحاب الكفاءات والطاقة الفنية، إنهم بحاجة إلى الصحفي المسلم، والطبيب المسلم، والمهندس المسلم في الكهرباء والكيمياء والإلكترونيات، والعالم الذي يقيم بينهم فيعلمهم أمور دينهم، إذ أن طلائع الموجهين للبعث الإسلامي قد سقط معظمهم وقوداً لمعركة الإسلام من أجل رفع رايته.

يقول سياف: كان عدد الصفوة الأولى ممن يمسكون زمام التوجيه والتربية في العمل الإسلامي مائتين وسبعين مربياً لم يبق منهم سوى ثمانية.

سألني بعض الإخوة: هل الجهاد الأفغاني بحاجة إلى رجال؟ فأجبتهم إجابة قريبة من إجابة سياف: الجهاد الأفغاني بحاجة إلى المال والرجال بحاجة إلى الجهاد.

إن الذي فطر النفوس البشرية سبحانه جعلها تتأثر بالواقع والأفعال أكثر من الكلمات والأقوال، فجو التضحية ودفع ضريبة العزة هو أفضل جو تعيش فيه النفوس، وتتربى وتصقل الأرواح وتسمو، لذا فرؤية النماذج الحية أحسن بكثير من الحياة بين الكتب سنوات.

والذين يقضون إجازاتهم السنوية في أوروبا وتركيا وقبرص عليهم أن ينتبهوا أن (سياحة أمتي الجهاد)[1].

لقد ودعني أحد أساتذة الشريعة قائلاً: سأسافر إلى تركيا نزور عاصمة الخلافة!! فقلت: ولماذا لا تزور بيشاور وترى النا

١- حديث صحيح رواه أبو داود.

الذين يحاولون إعادة الخلافة؟ ولكن هيهات هيهات، إنهم لا يعيشون قضية الإسلام، ولا يحسون بالحرقة التي تؤرقهم على حال المسلمين، وكم يحز بالنفس والقلب أن ترى أهم قضية حية في الأرض مهملة في أذهان المسلمين -بل بعض الدعاة-، ومتروكة في زوايا النسيان.

سألت بعض الإخوة في باكستان، كم أستاذ شريعة من العالم العربي يصل بيشاور في زيارة للتدليل -ولو مرة واحدة- على الاهتمام بأمر المسلمين؟ فكان الجواب مما تنقبض منه النفس.

لقد خاطبت الأساتذة المؤتمرين في (المؤتمر العالمي الثاني للاقتصاد الإسلامي) -إسلام أباد- أوتريدون زيارة بيشاور؟ فاعتذر بعضهم بضيق الوقت، فقلت لهم: إني أعتبر أن رجوعكم من إسلام أباد دون زيارة بيشاور موبقة شرعية -أي من الكبائر-، لأن هذا يعني أنه لم يعد في قلوبكم ذرة من حرقة على أهم قضايا المسلمين في الأرض.

قال بعضهم: لقد رتبوا لنا زيارة إلى (سد تربيلا) فقلت: كان الأولى بهم أن يرتبوا لكم زيارة -ليس لسد من التراب والحجارة- ولكن زيارة (للسد البشري الأفغاني) الذي يقف أمام الدب الروسي والسرطان الأحمر، بحيث لو انهار هذا السد لوقعت عشرات الملايين تحت أقدام هذا الحيوان الأهوج الشرس، كيف يغيب عن أساتذة الشريعة وعلماء الاقتصاد الإسلامي قوله ﷺ: **[لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها]**[1]، كي تعلموا الجيل وترددوا عليهم: **[رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل]**[2]، وكما مضى معنا **[الجنة تحت ظلال السيوف]**[3].

إن زيارة واحدة لأرض الجهاد كفيلة بعون الله أن تحيل الإنسان إلى كتلة من حماس، فيذكر الشهادة والجهاد في نومه ويقظه، وفي الحديث: **[من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه]**[4].

فليتنبه أساتذة الجيل، وليحذروا مغبة القعود.

**(إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير)** (التوبة:٣٩).

ولينتظروا النكال في الدنيا قبل الآخرة **[من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة]**[5]

ليت شعري هل يستفيق المسلمون؟ وهل ينتبهون؟

**(أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)** (التوبة:١٢٦).

وليعلم ذوو الكفاءة والطاقة التي يحتاج إليها الجهاد أن الجهاد بالنفس في حقهم فرض عين، فإما المشاركة وإما العذاب، وعلى كل مسلم أن يدلي بدلوه في هذا الميدان وأن يشارك في الجهاد كل على قدر طاقته و **(لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها)**.

# فتوى للشيخ عبد العزيز بن باز

الحمد لله وحده والصلاة، والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيقول الله تبارك وتعالى:

**(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء)**.

(البقرة: ٢٦١)

ويقول رسول الله ﷺ: **[مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر]**، ويقول ﷺ: **[المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً]** وشبك بين أصابعه، ويقول ﷺ: **[من جهز غازياً فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا]**، فمساعدة المجاهدين والمهاجرين الأفغان من أفضل القربات ومن أعظم الأعمال الصالحات، من الزكاة وغيرها، ومن حكمة الزكاة في الإسلام والصدقات أن يشعر المسلم برابطة تجذبه نحو أخيه، لأنه يشعر بما يؤلمه، ويحس بما يقع عليه

---

١ متفق عليه ٢- رواه الترمذي وقال حسن صحيح ٣- متفق عليه

٤- رواه مسلم ٥- حديث صحيح رواه أبو داود وابن ماجة

من كوارث ومصائب، فيرق له قلبه، ويعطف عليه ليدفع مما آتاه الله بنفس راضية وقلب مطمئن بالإيمان.

والمجاهدون الأفغان والمهاجرون منهم -وفقهم الله- جميعاً يعانون مشكلات في حياتهم، فرغم أن عدوهم وعدو الدين الإسلامي يضربهم بقوته وأسلحته وبكل ما يستطيع، فإنهم بحمد الله صامدون ومصرون على مواصلة الجهاد في سبيل الله -كما تتحدث عنهم الأخبار والصحف- لم يضعفوا ولم تلن شكيمتهم، إلا أن مشكلتهم نتجت من الدمار الذي حل بديارهم، والتخريب الذي أحدثته أسلحة الروس وطائراتهم، والفاقة التي حلت بأهليهم، مما تسبب في هجرة جماعية إلى باكستان، فقد ذكرت الأنباء الأخيرة بأن عدد اللاجئين الأفغان قد وصل إلى ثلاثة ملايين، كلهم هربوا من ديارهم وأماكن رزقهم، وأصبحوا بدون مأوى ولا مصدر رزق إلا ما يسره الله ممن أفاء الله عليه بنعمة ليجود بما يستطيع.

وإنها لدعوة أوجهها لإخواننا المسلمين في كل مكان في هذا الشهر الكريم المبارك -الذي تضاعف فيه الحسنات، وتلغى فيه السيئات وتقال فيه العثرات وتفتح فيه أبواب الجنة- بأن يقدموا لإخوانهم الأفغان مما آتاهم الله من رزق ومال بالصدقات التي لا يراد بها إلا وجه الله، ومنها الزكاة التي فرضها الله في أموالهم حقاً لمن حددهم الله عز وجل في سورة التوبة -وهم ثمانية-، ويدخل إخواننا المجاهدون والمهاجرون الأفغان في ضمنهم.

والله تبارك وتعالى عندما فرض الحق في مال الغني لأخيه المسلم في آيات كثيرة من كتابه الكريم كقوله تعالى: **(والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)** (المعارج:٢٤-٢٥)

وقوله سبحانه: **(آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير).** (الحديد:٧)

فإنه يثيب المسلم على ما يقدم لإخوانه ثواباً أخروياً يجد جزاءه عنده في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، كما ويدفع عنه في الدنيا بعض المصائب التي لولا الله سبحانه ثم الصدقات والإحسان لحلت به أو بماله أو بولده، فدفع الله بلاءها بصدقته الطيبة وعمله الصالح.

يقول الرسول ﷺ: **[ما نقص مال من صدقة]**، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: **[إن الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار]** ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: **[اتقوا النار ولو بشق تمرة]**.

وإخوانكم الأفغان أيها المسلمون يقاسون آلام الجوع والغربة والحرب الضروس، فهم في أشد الحاجة إلى الكساء والطعام وفي حاجة إلى الدواء، كما أن المجاهدين منهم في أشد الضرورة إلى هذه الأشياء وإلى السلاح الذي يقاتلون به أعداء الله وأعداءهم، فجودوا عليهم أيها المسلمون مما أعطاكم الله ، وأعطفوا عليهم يبارك الله لكم، تأسوا برسول الله ﷺ في اهتمامه بمن في مثل حالة المهاجرين الأفغان الذين طردوا من ديارهم وبيوتهم، كما جاء في الحديث الصحيح عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ . فجاء قوم مجتابوا النمار أو العباء، متقلدوا السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام ، فصلى ثم خطب فقال:

**(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** (النساء:١)

والآية التي في الحشر: **(واتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد)** (الحشر:١٨)

تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت تعجز عنها بل عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ تهلل كأنه مذهبه، فقال رسول الله ﷺ: **[من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً]** رواه مسلم في صحيحه، ثم هذه النفقة تؤجرون عليها وتخلف عليكم كما قال سبحانه وتعالى:

**(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)** (سبأ:٣٩)

وقال النبي ﷺ: **[ يقول الله عز وجل يا ابن آدم أنفق ينفق عليك]**.

فنسأل الله عز وجل أن يضاعف أجركم، ويتقبل منكم ما تجودون، وأن يعين المجاهدين الأفغان ويثبت أقدامهم في جهادهم، وأن ينصرهم على عدو الإسلام وعدوهم، إنه سميع مجيب، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

## استخدام الأسلحة الكيماوية في أفغانستان[1]

في الخامس من هذا الشهر وصل نداء عاجل من بعض قيادات المجاهدين في وادي بنجشير يطلبون فيه تزويدهم بأقنعة واقية من الغازات السامة، مما يشير إلى استعمال واسع لهذه الأسلحة الكيماوية في هذا الإقليم.

وكانت هذه التقارير حسب مصادر المجاهدين الأفغان تشير إلى ذلك، ففي (٢٧) شباط -فبراير- نشرت وكالة الأنباء الأفغانية خبراً مفاده أن القوات السوفياتية استخدمت الغازات السامة في هجومها على المجاهدين، وقد استعملت الأسلحة الكيماوية لفك الحصار الذي فرضه المجاهدون على الطريق الرئيسي الذي يربط كابل العاصمة بجلال أباد، وكان المجاهدون يسيطرون على هذا الطريق الحيوي، ويعرقلون حركة القوات السوفياتية، وبعد فشل هذه القوات فك الحصار عن طريق القصف المدفعي وإرسال القوات المهاجمة، لجأت القوات الغازية إلى إرسال الطائرات العمودية لقصف مواقع المجاهدين.

واستناداً إلى شهود عيان في تلك المنطقة فإن القنابل كانت تتفجر ويخرج منها غاز أصفر (يعتقد أنه ذلك هو ما يسمى بالمطر الأصفر)، ونتيجة لذلك فقد عدد من المجاهدين المتواجدين في المنطقة قابليتهم على الإحساس، وعندما استعادوا وعيهم بعد عدة ساعات كان قسم منهم يعاني من الصمم، والآخر من آلام جلدية وتحرق في العين، وهي الأعراض الناجمة من تعرض الجسم للغازات الكيماوية.

واستناداً إلى مصادر المجاهدين فإن القوات السوفياتية قامت في (٢١) آذار -مارس- الماضي بجلب فرقة مدربة على الحرب الكيماوية والبيولوجية ضمن تشكيلات قواتها في أفغانستان.

وقد لاحظ المراقبون أن هناك أدلة متزايدة تشير إلى استخدام الاتحاد السوفياتي الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في أفغانستان، وهو تجاوز لبرتوكول جنيف الموقع في سنة (١٩٥٢م)، كما ذكرت مصادر الأنباء تقارير نشرت في (٣٠) ديسمبر عام (١٩٨١م) أن أحد الجنود السوفيات في أفغانستان قتل عند تعرضه إلى الغازات السامة، ربما نتيجة قيامه باختبار أنواع من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية المزمع استعمالها في أفغانستان -وقد حدث ذلك في مقاطعة بغمان-.

وكما ذكرت بعض المصادر فيما بعد أنه استناداً إلى معلومات مؤكدة فإن (٣٠٤٠) فرداً قتلوا في (٤٧) حادثة منفصلة بواسطة الأسلحة الكيماوية في أفغانستان بين منتصف سنة (١٩٧٩م) إلى منتصف سنة (١٩٨١م).

ويعتقد أن المجموع الكلي لضحايا الأسلحة الكيماوية في أفغانستان ولاوس وكمبوديا بلغ (١٠٥٢٧) شخصاً، كما استعمل الاتحاد السوفياتي أنواعاً عديدة من المواد الكيماوية القاتلة في أفغانستان، واستناداً إلى أقوال بعض العسكريين الأفغان الذين سلموا أنفسهم إلى قوات المجاهدين فإن السوفيات استعملوا نوعين خطيرين من الأسلحة الكيماوية، وهي (التابون والفوسجين أوكسايم) في أفغانستان، بالإضافة إلى الأنواع الاعتيادية من الأسلحة الكيماوية.

### هجوم واسع على وادي بنجشير:

وتأتي المحاولات السوفياتية هذه ضمن الخطط السوفياتية لاحتلال وادي بنجشير الذي تتمركز فيه قوات من المجاهدين الأفغان.

[1]- هذا البحث ليس من كلام الشيخ وإنما هو تقرير صحفي نقل عن بعض الجرائد وإنما أثبتناه لوجوده في الكتاب لأمانة النقل فقط

وفي العشرين من نيسان (إبريل) كانت هناك (٢٠٠) قاذفة قنابل سوفياتية من نوع (تي يو ١٦) تغادر المطارات السوفياتية في آسيا الوسطى إلى وادي بنجشير الضيق الخالي من السكان، واستمر القصف الجوي للقوات الإسلامية الأفغانية في الوادي لمدة ثلاثة أيام، ويعزو بعض المراقبين أن القصف السوفياتي المركز يعود إلى أن وادي بنجشير يشكل تهديداً مستمراً لخطوط التموين السوفياتية إلى الأراضي الأفغانية التي تقع على بعد (٨٠ كم) شمال مدينة كابل، وتعتبر الحملة السوفياتية الأخيرة ضد المجاهدين في وادي بنجشير من كبرى الحملات العسكرية السوفياتية في الوادي، حيث اشتركت في الهجوم قوات متنوعة سوفياتية وأفغانية شيوعية حكومية، وكانت القوات المهاجمة مكونة مما يقارب (٢٠) ألف جندي مسنودين بأعداد كبيرة من الدبابات والمدرعات تتراوح بين (٥٠٠-٨٠٠) دبابة مدرعة.

واستناداً إلى التقارير الواردة من البنتاغون فإن التقدم السوفياتي باتجاه الوادي كان يبدو بطيئاً بصورة واضحة، حيث لم تتمكن هذه القوات من التقدم سوى عشرة كيلو مترات في اليوم.

وكانت الخطة العسكرية للمجاهدين تتمثل في الانسحاب من الوادي واللجوء إلى قمم الجبال والكهوف لإغراء القوات المهاجمة بالدخول إلى الوادي، كي تتمكن قوات المجاهدين من ضربها بصورة مؤثرة.

وقد نفذت هذه الخطة في الحملة الأخيرة مثل ما حدث في الهجمات السوفياتية السابقة.

ويقال أن المجاهدين عند انسحابهم من وادي بنجشير قاموا بزرع الوادي بالألغام والمتفجرات الأخرى، كما قامت مجموعات أخرى بإلقاء الصخور من أعالي الجبال على القوات المهاجمة.

ويحاط وادي بنجشير بالجبال من جهة، وبالأنهار من جهة أخرى، مما يجعل تحرك السوفيات بطيئاً ومحفوفاً بالمخاطر، كما يجعل من السهل على المجاهدين مهاجمة القوات السوفياتية وإصابتها بأضرار بالغة دون خسائر تذكر، وفي الحملة الأخيرة استعمل السوفيات قواتهم المحمولة جواً للسيطرة على بعض النقاط الاستراتيجية في الوادي. إلا أن هذه الاستراتيجية لم تنجح كما كان السوفيات يأملون بسبب صمود المجاهدين في الوادي.

تقدر قوات المجاهدين المتمركزة في وادي بنجشير بين خمسة إلى عشرة آلاف مقاتل.

والمعروف أن زعيمهم أحمد شاه مسعود قد دخل في مفاوضات مثيرة للجدل مع الحكومة الأفغانية المدعومة بالقوات السوفياتية المحتلة في العام الماضي، واستمرت المحادثات التي تخللها إيقاف لإطلاق النار ما يقارب السنة، استفاد منها المجاهدون في تقوية مواقعهم والتوسع إلى مناطق خارج وادي بنجشير، ويظهر أن حكومة كارمل الشيوعية حاولت الاستفادة من الحملة السوفياتية الكبيرة على وادي بنجشير للتأثير على المجاهدين المنتشرين في كل أنحاء أفغانستان، ففي اليوم الأول للهجوم أعلنت إذاعة كابل أن الحملة حققت أغراضها وأن الوادي سقط في أيدي السوفييت، وتكررت الرواية التي مفادها أن قائد المجاهدين هناك إما أن يكون قد قتل أو ألقي القبض عليه، إلا أن ما توقعته السلطات كان معكوساً، فقد هبت جميع فصائل المجاهدين لتصعيد الجهاد ضد الروس في كل مكان.

## استخدام الأسلحة الكيماوية لم يتوقف:

والملفت للنظر أن القوات السوفياتية في أفغانستان كثيراً ما تلجأ لاستخدام أسلحة فتاكة ضد المجاهدين، وضرب سكان القرى والمدن بالأسلحة الكيماوية أو الجرثومية، ويقال أن السكان البسطاء يقللون من شر الغازات السامة بحرق الأخشاب أو إطارات السيارات حيث يتمكنون من التخلص من بعض رياح القتل التي ترميها عليهم الطائرات السوفياتية.

وقصة استعمال الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في أفغانستان ليست جديدة، فالتقارير المتعددة تشير إلى أن السوفيات استعملوا أنواعاً متعددة من المواد الكيماوية الخطرة، واستناداً إلى رواية أحد الأسرى الروس الذين وقعوا في أيدي المجاهدين فإن السوفيات استعملوا تسعة أنواع من الأسلحة الكيماوية.

هذا وإن خمسة خبراء في الأسلحة الكيماوية -على الأقل- كانوا ضمن كل وحدة من الجيش السوفياتي الذي أرسل مؤخراً إلى أفغانستان.

وتتمركز الوحدات الكيماوية السوفياتية في (بجرام وكابل وشندند) والقاعدة الجوية في (قندز)، ولم تعرف الأسباب التي دعت السوفيات اتخاذ هذه الاحتياطات الأمنية الكبيرة.

وقد قامت القوات المحتلة في الرابع والعشرين من مارس بإلقاء قنابل الغازات السامة في (بانجاواي) التابعة لمقاطعة (قندهار) مما أدى إلى إصابة أهالي (بانجاواي وشيبروان) بإصابات جلدية مع تقرح وآلام مبرحة في العيون، ويقال أن عمليات القصف الكيماوي في مقاطعة (قندهار) تتم بإشراف الخبراء السوفيات المتمركزين في قاعدة (شندند) الجوية.

كما تعرضت مقاطعة (بغلان) في السادس والعشرين من مارس لقصف بالقنابل الكيماوية ألقتها الطائرات السوفياتية مما أدى إلى إصابة الآلاف من الأفغانيين بأمراض الجلد والعيون، وقبلها كانت أجزاء من مدينة بغلان قد تعرضت للقنابل الكيماوية في الثامن والتاسع من آذار (مارس) الماضي.

وقد أكدت بعض التقارير الصادرة في (١٩) تشرين الثاني -نوفمبر- عام (١٩٨٢م) أن عمليات ضرب أفغانستان بالأسلحة الكيماوية استمرت حتى أكتوبر سنة (١٩٨٢م)، وأشارت إحدى التقارير الآنفة الذكر أن الخبراء الأمريكان استطاعوا الحصول على عينات (للمايكوتوكسين) الذي استعمل في معدات تستخدم في الحرب الكيماوية ضمن مخلفات قوات الاحتلال.

## الأمريكان والأسلحة البيولوجية:

ومن جانب آخر أعلنت مصادر مطلعة في بداية شباط -فبراير- سنة (١٩٨٢م) أن العلماء الأمريكان الذين كانوا يعملون في باكستان عكفوا على إنتاج أنواع خاصة من البعوض المسبب للملاريا لنشر الفيروسات التي تسبب أمراضاً جلدية وبائية داخل أفغانستان وفي أوساط اللاجئين في باكستان، ومع أن السلطات الباكستانية أنكرت هذه المزاعم إلا أنها بادرت بطرد أحد العلماء الأمريكيين الذين يعملون في مختبر أبحاث الملاريا الذي تموله أمريكا في باكستان.

ومهما كانت حقيقة الأمر فإن الضغط العسكري والسياسي على المجاهدين يزداد يوماً بعد يوم، خاصة وأن القضية الأفغانية أصبحت قضية للمساومة بين القوتين الكبيرتين، غير أن المجاهدين الأفغان يستطيعون الخروج بقضيتهم عن دائرة نفوذ هاتين الدولتين وتوجيه الضربات المتلاحقة للقوات السوفياتية المحتلة، إذا اتبعوا سياسة الاستقلال الكامل والاعتماد على النفس والتضحية.

# جدول يبين خسائر العدو الروسي من تشرين الثاني (١٩٨١-١٩٨٢م)

| الرقم | المحافظة | حملات (معارك) المجاهدون | حملات (معارك) الحكومة | خسائر العدو المادية والنفسية: قتلى العدو | جرحى العدو | الدبابات المدمرة | السيارات المدمرة | الطائرات المدمرة | الأسلحة المتنوعة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | مرة | مرة | جندياً | جندياً | | | | |
| ١ | كابل | ٢٠٨ | ٢٩ | ١٢٧٠٠ | ٣٢٤ | ٣٥٠ | ٢٠١ | ١٩ | ٣٠ |
| ٢ | ننجرهار | ٧١ | ٦ | ٦١٣ | ٤٢ | ٢٥ | ٢١ | ... | ٤٥٣ |
| ٣ | بكتيا | ٦٤ | ١٤ | ١٨٠٧ | ٣٠٨ | ١٠٠ | ٣٤ | ١٢ | ١ |
| ٤ | كونر | ٣٢ | ٣ | ٧٢٥ | ٣٥ | ٩٣ | ٢٧٤ | ... | ... |
| ٥ | قندهار | ٤٣ | ١١ | ١١٦٧ | ... | ٥٠ | ٤٨ | ١١ | ١٧ |
| ٦ | بدخشان | ١٢ | ٦ | ٤٥٤ | ٣٤ | ٩٠ | ٣٨ | ٤ | ٣١٩ |
| ٧ | كابيسا | ٢ | ٥ | ٥٠٠٠ | ... | ٥٩ | ١٦٩ | ... | ... |
| ٨ | هرات | ٣٦ | ٤ | ٢٨٨ | ... | ٨ | ١٢ | ... | ... |
| ٩ | لوكر | ٦٨ | ١٣ | ٨٤٥ | ٢٢ | ٨٦ | ٩١ | ١ | ... |
| ١٠ | قندوز | ٣٧ | ٦ | ٥٦٦ | ٤١ | ٦٢ | ٨٠ | ٢ | ... |
| ١١ | سمنجان | ٥ | ١ | ٨٠٤ | ... | ١٠ | ٣ | ... | ... |
| ١٢ | زابل | ٦ | ٢ | ٣٢٨ | ١٧ | ٢٨ | ٢ | ... | ... |
| ١٣ | لغمان | ٣٩ | ١ | ٨٥٨ | ١٥ | ٣٠ | ٣١ | ٢ | ... |
| ١٤ | فارياب | ١١ | ٣ | ٢٨٨ | ٣٤ | ١٠ | ١٢ | ٥ | ٥٤ |
| ١٥ | جوزجان | ٢٤ | ٤ | ٢٧٧ | ١٨١ | ٣٥ | ٢٥ | ... | ٢ |
| ١٦ | تخار | ١٥ | ٥ | ١٤٦ | ٢١ | ٤٠ | ٨ | ٢ | ١٠ |
| ١٧ | بروان | ١٦ | ٩ | ٢٨٤٥ | ... | ٣٠ | ... | ... | ... |
| ١٨ | وردك | ٥٧ | ٤ | ١٠٥٧ | ١٩٠ | ٩٠ | ٦٢ | ٣ | ٦ |
| ١٩ | هلمند | ٩ | ٣ | ٨٤٦ | ... | ٣٠ | ٧ | ... | ... |
| ٢٠ | غور | ١٤ | ٥ | ٢٣٩ | ٦ | ٢١ | ... | ... | ... |
| ٢١ | فراه | ٢ | ... | ٨٥ | ... | ١٥ | ١١ | ... | ١ |
| ٢٢ | بكتيكا | ١٢ | ٣ | ٥٢ | ٧ | ٩ | ٤ | ... | ٣ |
| ٢٣ | بادغيس | ٣ | ... | ٩٠ | ... | ٢ | ٢٩ | ... | ... |
| ٢٤ | باميان | ١٠ | ٦ | ٢٠٩ | ٣ | ٩ | ٢ | ... | ... |
| ٢٥ | بلخ | ٣٧ | ٦ | ٦٣٠ | ... | ٩٣ | ٣٤ | ... | ٢ |
| المجموع | | ٨٢٤ | ١٤٩ | ٣٣١٢٩ | ١٢٧١ | ٢٠٤٨ | ١١٢٨ | ٦١ | ٧٧٢ |

# إنتصارات المجاهدين والغنائم

| الرقم | المحافظة | الأسلحة المتنوعة | الدبابات | قنابل يدوية صندوقاً | السيارات | الأسرى | الجنود الذين أسلموا | الشهداء | الجرحى |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | كابل | ١٣٩ | ١ | ٣ | ١ | ٩ | ... | ١٧٨ | ٦٧ |
| ٢ | ننجرهار | ٤٥٤ | ٢ | ... | ٢ | ١١٠ | ... | ١٦٨ | ... |
| ٣ | بكتيا | ٣٣٥ | ٨ | ٦ | ... | ٩٠ | ... | ٧٩ | ١٣٠ |
| ٤ | كونر | ١٣ | ... | ... | ٢٨ | ١٠٦ | ٢٨ | ٣ | ... |
| ٥ | قندهار | ١٦٦ | ٢ | ٣ | ٦ | ٢٣ | ٣٠ | ٣٠٥ | ٣٥ |
| ٦ | بدخشان | ٢٨٥ | ... | ... | ٨ | ١١ | ... | ١٠ | ٢ |
| ٧ | كابيسا | ١٥٩ | ١ | ... | ... | ٤٠٤ | ... | ١٣ | ... |
| ٨ | هرات | ٤٣ | ٣ | ٢ | ٣ | ٢ | ٢ | ... | ... |
| ٩ | لوكر | ١٠ | ... | ... | ... | ١٩ | ... | ٤١٧ | ١٩ |
| ١٠ | قندوز | ١٧ | ... | ... | ١ | ٧ | ... | ٩ | ٥ |
| ١١ | سمنجان | ٥١ | ... | ... | ... | ... | ... | ٢ | ... |
| ١٢ | زابل | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٨١ | ... |
| ١٣ | لغمان | ١٣٩ | ... | ... | ... | ٥٧ | ... | ٧٩ | ١٧ |
| ١٤ | فارياب | ٧٧ | ... | ... | ... | ... | ... | ٦ | ١٠ |
| ١٥ | جوزجان | ٥٦ | ... | ... | ٤ | ٤٤ | ١٣ | ١٨ | ١١ |
| ١٦ | تخار | ٤ | ... | ١,٥ | ... | ... | ... | ١٦ | ٧٢ |
| ١٧ | پروان | ٣٤٩ | ... | ٦ | ... | ١٢٥٩ | ٦ | ٢٢٦ | ٦ |
| ١٨ | وردك | ٣١ | ... | ٤ | ... | ٢٧ | ... | ١٣ | ... |
| ١٩ | هلمند | ٢٠ | ... | ... | ٤ | ٨ | ... | ١١ | ... |
| ٢٠ | غور | ٢٣٢ | ... | ... | ... | ٣ | ... | ١٧٩ | ... |
| ٢١ | فراه | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٤ | ... |
| ٢٢ | پكتيكا | ... | ... | ... | ... | ٥٩ | ... | ١ | ... |
| ٢٣ | بادغيس | ١٢ | ... | ... | ... | ... | ٦ | ... | ... |
| ٢٤ | باميان | ٢٧ | ... | ... | ... | ... | ... | ٥ | ... |
| ٢٥ | بلخ | ٨٨ | ١ | ١ | ١ | ٤٦ | ... | ٣٤ | ٦ |
| | المجموع | ٢٦٩٧ | ١٨ | ٢٥,٥ | ٥٨ | ٢٢٨٩ | ٨٥ | ١٨٥٦ | ٣٩١ |

جدول إحصائية خسارة العدو الكافر من الأموال والعتاد

من أول شهر يناير (١١٩٨٣م) إلى نهاية شهر ديسمبر (١١٩٨٣م)

| الغنائم التي غنمها المجاهدون | | | | | | الخسارات المادية للعدو | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الرقم | المحافظة | الطائرات | الدبابات | وسائل نقل | أسلحة ثقيلة | الدبابات | وسائل النقل | أسلحة ثقيلة | أسلحة خفيفة |
| ١ | كابل | ٤٤ | ١١١ | ١٦٦ | ٢ | ... | ٤ | ٦ | ٦٥ |
| ٢ | ننجرهار | ٢٦ | ٨٣ | ٩٠ | ١٤ | ... | ١٣ | ١٢ | ٣٦٨ |
| ٣ | قندهار | ٥ | ١٣٩ | ٢٩٧ | ٢٠ | ٣ | ٤٥ | ٢٩ | ٧٧٨ |
| ٤ | بكتيا | ١٢ | ١١٠ | ١٦٣ | ٢٥ | ١٧ | ٩٨ | ٤٢ | ٨٣٣ |
| ٥ | تنلوز | ٦ | ١٠٠ | ٧٩ | ... | ... | ... | ٦ | ٢٥٣ |
| ٦ | بروان | ٣ | ١١٤ | ١٩٧ | ٢ | ٢ | ٩ | ١٥ | ٧٥ |
| ٧ | فارياب | ... | ١١ | ٩٣ | ١ | ... | ... | ٤ | ١٠٨ |
| ٩ | نيمروز | ١ | ٢٩ | ١٨ | ٦ | ... | ... | ... | ٤٧ |
| ١٠ | بادغيس | ... | ٢٠ | ٢٠ | ... | ... | ... | ... | ٣١ |
| ١١ | هلمند | ١ | ٦٣ | ٧٧ | ... | ... | ... | ... | ٣٧ |
| ١٢ | تخار | ٢ | ٦٣ | ٣٠ | ... | ١ | ٣ | ٨ | ١٦٨ |
| ١٣ | بكتيكا | ... | ٤٢ | ٦٧ | ١٤ | ١٥ | ٨٠ | ٤٣ | ٤٩٦ |
| ١٤ | زابل | ... | ٢٧ | ٢١ | ... | ... | ٦ | ١١ | ٣٩١ |
| ١٥ | بلخ | ٢٨ | ٤٧ | ٥٥ | ١٢ | ... | ١٢ | ٨ | ١٦٥ |
| ١٦ | لغمان | ... | ١٥ | ٢٤ | ... | ... | ... | ٧ | ١٢٨ |
| ١٧ | بغلان | ... | ٣٣ | ٥٣ | ... | ... | ١ | ... | ١٤٥ |
| ١٨ | وردك ميدان | ٨ | ٨ | ١٤٩ | ١٢ | ... | ٤ | ١٣ | ٢٧٤ |
| ١٩ | لوجر | ٢ | ٩٢ | ١١٠ | ... | ... | ٥ | ... | ٢٠ |
| ٢٠ | سمنجان | ١٥ | ٦٥ | ٢٨ | ... | ١ | ١٥ | ٥٣ | ١١١٢ |
| ٢١ | غور | ... | ١٠ | ٢٣ | ... | ... | ... | ... | ٣٠ |
| ٢٢ | جوزجان | ... | ٢٩ | ٣٦ | ٢ | ... | ١ | ٥ | ٧٤٨ |

*****************

# هذا الكتاب

البشائر والكرامات التي أكتب عنها كثيرة جداً، وقد كتبتها عبر لقاءاتي مع المجاهدين الذين تعلقت بهم روحي، وما كنت أق قصة إلا ممن شهدها أو رواها، ولم يخرج عن هذا إلا قصتان أو ثلاثة، ولذلك كتبتها بلفظ حدثني.

وأكثر ما يحزنني أن هذه المعارك قد ضاعت ولو وجدت من يتابعها ويؤرخ لها لكانت أسفاراً ضخمة من نور الهداية للأجيا القادمة.

إن الجهاد في أفغانستان يجعل المجاهدين الأفغان أنفسهم يذكرون فلسطين دائماً، وكم من مجاهد سألته: ماذا وراء الجه في أفغانستان؟ فمعظمهم يجيبك: لا بد من السير إلى قبلتنا الأولى -بيت المقدس-.

# اتحاف العباد بفضائل الجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

# إتحاف العباد بفضائل الجهاد

## فضل الشهادة:

١- رائحة دمه كالمسك: **{والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك}**[١].

سبحان الله ، لقد رأينا هذا من كثير من الشهداء، رائحة دمائهم كالمسك، مثل يحيى سنيور -جدة- وهشام الديلمي - اليمن -، عبد الواحد البغماني، وقد كانت في جيبي رسالة عليها نقاط من دم عبد الواحد، وبقيت شهرين ورائحتها كالمسك.

٢- أحب القطرات إلى الله: **{ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين أو أثرين، قطرة دمعة من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله}**[٢].

وكلمة الجهاد إذا أطلقت كما يقول ابن رشد:(وكلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

٣- الشهيد يحب أن يرجع إلى الدنيا: **{ما من عبد يموت له عند الله خير لا يسره أن يرجع إلى الدنيا، وإن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى}**. وفي لفظ: **{فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة}**[٣].

اختلف في سبب تسميته شهيداً، فقال الأزهري: لأن الله تعالى ورسوله ﷺ شهدا له بالجنة، وقال النضر بن شميل: الشهيد الحي فسموا بذلك لأنهم أحياء عند ربهم، وقيل لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيقبضون روحه، وقيل: لأنه ممن يشهد على الأمم، وقيل: لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله، وقيل: لأن دمه يشهد له يوم القيامة، وقيل: لأن روحه تشهد دار السلام وروح غيره لا تشهدها إلا يوم القيامة.

٤- حارثة في الفردوس الأعلى: **{قال ﷺ لأم حارثة بنت النعمان، وقد قتل ابنها معه يوم بدر فسألته: أين هو؟ قال: إنه في الفردوس الأعلى}**[٤].

وفي الحديث الآخر الذي رواه البخاري: **{إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة -أراه قال- وفوقه عرش الرحمن، ومنه من الفردوس الأعلى تفجر أنهار الجنة}**.

٥- أرواحهم في حواصل طيور خضر: **{إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنه لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا}**[٥].

قال القاضي: فيه أن الأرواح باقية لا تفنى، فينعم المحسن، ويعذب المسيء، وقد جاء به القرآن، والآثار، وهو مذهب أهل السنة، فأرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، وأما غيرهم فإنما يعرض مقعده بالغداة والعشي كما جاء في حديث ابن عمر، وكما قال في آل فرعون: **{النار يعرضون عليها غدوا وعشيا}**.

وقيل: بل المراد وجميع المؤمنين الذين يدخلون الجنة بغير حساب فيدخلون الجنة الآن بدليل عموم الأحاديث، وقيل بل أرواح المؤمنين على أفنية قبورهم، وقيل: إن المتنعم جزء من الجسد تبقى فيه الروح.

---

١- وأحمد، بحكم يجري ٢- حديث حسن رواه الترمذي، خشية خوف، أثر في سبيل الله، الأثر الذي من الجهاد لأن المتبادر من كلمة في سبيل الله هو الجهاد كما قال
٣- البخاري ومسلم. ٤- البخاري ٥- مسلم.

٦- خصال الشهيد: [**إن للشهيد عند الله خصالاً -سبع خصال-: أن يغفر له من أول دفعة دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه**][1].

٧- شهداء أحد: [**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله على رسوله هذه الآيات: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا)**][2].

## الشهداء أحياء:

وقد رأينا بعض الآيات البينات التي تدل حساً أن الشهداء أحياء.

حدثني عمر حنيف، قال: فتحت بيدي اثني عشر قبراً للشهداء، فما وجدت شهيداً واحداً تغير جسده، ورأيت بعضهم قد نبتت لحاهم، وطالت أظافرهم في القبور.

وقصة الدكتور بابرك الذي استشهد في الأورغون وجاءوا به إلى بابي (بيشاور) وعندما عاد أولاده من المدرسة ووقفوا عند رأسه بكي وسالت دموعه على وجهه.

٨ - الشهداء على بارق نهر: [**الشهداء على بارق -نهر بباب الجنة- في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا**][3].

يعني تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الوجع.

قال القرطبي في الجامع: لعل هؤلاء هم الشهداء الذين عليهم دين وكان معهم وفاء ولم يوفوه.

٩- الشهادة خير من المدن والقرى: [**لأن أقتل في سبيل الله أحب إليّ من أن يكون لي أهل المدر والوبر**][4].

١٠- الشهيد لا يحس بالألم: [**ما يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة**][5].

وفي رواية صحيحة: [**الشهيد لا يجد مسَّ القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها**][6].

رأينا هذا مع خالد الكردي من المدينة المنورة عندما انفجر اللغم به، طارت قدمه وانبقرت بطنه واندلقت أقتابه -أمعاؤه- وجرح جروحا بسيطة في ظهر يده، فجاء الدكتور صالح الليبي وبدأ يلم أقتابه ويعيدها إلى بطنه، ويبكي الدكتور صالح، فقال له خالد الكردي: لماذا تبكي يا دكتور هي جروح بسيطة في ظهر يدي، وبقي يحدثهم ساعتين ولقي الله، ولم يشعر أن قدمه قد قطعت، وبطنه مفتوحة).

١١- منازل الشهداء: [**أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه**][7].

١٢- القتلى ثلاثة: [**القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى قتل فذاك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى لقي العدو فقاتل حتى قتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء الخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى قتل فإن ذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق**][8].

---

١- حديث صحيح، أحمد والترمذي وابن حبان، يجار: يحمى وينقذ، خصال: صفات، والمراد هنا صفات طيبة أي فضائل.

٢- أحمد وأبو داود وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، نكل: نكص وجبن، قال: نام الظهيرة، والمقيل: مكان الإستراحة.

٣- أحمد وابن حبان، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، بارق: اسم نهر بباب الجنة، بكرة وعشيا: صباح مساء.

٤- أحمد، رجاله ثقات وسنده قوي، أهل المدر: المدن والقرى، المدرة: اللبنة، الوبر: أهل البوادي

٥- أحمد والترمذي والنسائي وسنده حسن

٦- القرصة: أن يقبض بإبهامه وسبابته على جزء من جسمه قبضا شديداً مؤلماً

٧- أحمد بسند صحيح (١١١٨) صحيح الجامع، يتلبطون: يتمرغون

٨- أحمد وسنده حسن وصححه ابن حبان، ممصمصة: مطهرة ومغسلة، فرق: خاف

فأين المجاهدون الذين يريدون غسل ذنوبهم بالسيوف؟

١٣- أي القتل أفضل: {أي القتل أفضل؟ قال: من أهريق دمه وعقر جواده في سبيل الله}[1].

١٤- سيد الشهداء: {سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله}[2].

وهذا يدل على منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام.. وإنكار المنكر والظلم في المجتمع واجب، ولو في وجه الحاكم المسلم، إذا كان ظالماً أو فاسقاً، أما الحاكم الكافر فلا يجوز السكوت عليه بحال، ولا يجوز ولايته، والخروج عليه فرض من قبل الأمة جميعا.

١٥- {إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمار الجنة}[3].

١٦- {ادفنوا القتلى في مصارعهم}[4].

وكم كلفت مخالفة هذه السنة من أرواح، فكان الأخ الأفغاني يستشهد ويصر المجاهدون على تخليص جثته من أرض المعركة فيقتل عدد منهم.

قالها رسول الله ﷺ في شهداء أحد: {قال جابر: بينما أنا في النظارة إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح (جمل) فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا، وجاء رجل ينادي: ألا إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت، فرجعنا فدفناهما في القتلى حيث قتلا. فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا (ظهر) فخرج طائفة (جزء) منه، قال: فأتيته فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شيء، قال: فواريته، فصارت سنة الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم}[5].

١٧- {خمس من قبض في شيء منهن فهو شهيد: المقتول في سبيل الله شهيد، والغريق في سبيل الله شهيد، والمبطون في سبيل الله شهيد، والمطعون في سبيل الله شهيد، والنفساء في سبيل الله شهيدة}[6].

١٨- {من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه}[7].

ولكن الصدق في طلب الشهادة هو إعداد العدة: {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة}.

أما أن تمر عشر سنوات على الجهاد في أفغانستان، والطريق آمنة، والحدود مفتوحة، ولا يصل بيشاور، فهذا نرجو الله أن يغفر له، إن كان يظن أنه صادق في طلب الشهادة، ألم تر إلى ذلك الأعرابي الذي قال لرسول الله ﷺ: {اتبعتك على أن أضرب ها هنا - حلقه - فأدخل الجنة فأصيب الأعرابي حيث أشار فقال ﷺ: صدق الله فصدقه}.

١٩- {من صرع عن دابته فهو شهيد}[8].

وفي حديث أم حرام بنت ملحان: {فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازياً أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوتهم قافلين فنزلوا الشام فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت}[9].

وهذا يدل أيضاً أن حكم الراجع من الغزو، حكم الذاهب إليه.

٢٠- {من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد}[10].

وهذا يسمى في الفقه: دفع الصائل، والصائل هو الذي يسطو بالقوة على الأعراض والنفوس والأموال.

وقد اتفق الفقهاء الأربعة على وجوب دفع الصائل على الأعراض، أما الصائل على النفس أو المال فيجب دفعه عند جمهو

---

١- أحمد وأبو داود، ورجاله ثقات، أهريق دمه: سال دمه ثم استعمل للقتله عقر: أصل العقر قطع قوائمه بالسيف، وهذا أفضل القتل: لأن المجاهد قد جاهد بنفسه وماله ولم يرجع من ذا بشيء.

٢- حديث حسن رواه الحاكم والضياء، جائر: ظالم.

٣- صحيح رواه الترمذي عن كعب بن مالك، وهو في صحيح الجامع برقم (١٥٥٥)، في طير خضر: أي في حواصل طير خضر، تعلق: تأكل.

٤- صحيح رواه الأربعة عن جابر، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٤٧)، مصارعهم: مقاتلهم. ٥- خرجه أحمد بسند صحيح.

٦- صحيح رواه النسائي عن عقبة بن نافع وهو في صحيح الجامع برقم (٣٢٤٩)، المبطون: من مات بداء البطن، المطعون: من مات بالطاعون، النفساء: التي تلد، وكلمة في سبيل الله: إ اطلقت فالمتبادر منها كما يقول ابن حجر في فتح الباري هو: الجهاد.

٧- صحيح رواه مسلم والأربعة عن سهل بن حنيف وهو في صحيح الجامع برقم (٦١٥٢

٨- صحيح الطبراني عن عقبة بن نافع وهو في صحيح الجامع برقم (٦٢١٢)، صرع: قتل. ٩- البخاري.

١٠- صحيح رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد عن سعيد بن زيد، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٣٢١).

العلماء، ويتفق مع الرأي الراجح في مذهبي مالك والشافعي، ولو أدى إلى قتل الصائل المسلم.

قال الجصاص: (لا نعلم خلافاً أن رجلاً لو شهر سيفاً على رجل ليقتله بغير حق أن على المسلمين قتله).

وقال ابن تيمية: فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.

وكم كلف جهل هذا الحكم الشرعي المسلمين من ضحايا، لأن المخبر كان يأخذ زوجته في منتصف الليل ولا يقتله خوفاً من سفك دم امرىء مسلم!!.

٢١- **(من قتل دون مظلمة فهو شهيد)**[١].

ويفسر الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: **(فلا تعطه مالك)** قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: **(قاتله)** قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: **(فأنت شهيد)** قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: **(هو في النار)**.

## تمني الشهادة:

٢٢- **(والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ماتخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل)**[٢].
وفي رواية: **(ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي)**[٣].

وفي الحديث الصحيح عن الشهيد أنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة.

وروى الحاكم بسند صحيح عن جابر: **(كان النبي ﷺ إذا ذكر أصحاب أحد قال: والله لوددت أني غودرت مع أصحابي بنحص الجبل)**[٤].

٢٣- **(غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها والمائد فيه كالمتشحط في دمه)**[٥].

٢٤- **(يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)**[٦].

قال القرطبي: (الدين الذي يحبس به صاحبه عن الجنة -والله أعلم- هو الذي قد ترك له وفاءً ولم يوص به، أو قدر على الأداء ولم يؤده، أو أدانه -استدانه- في سرف أو في سفه ومات ولم يوفه وأما من أدان في حق واجب لفاقة أو عسر ومات ولم يترك وفاءً فإن الله لا يحبسه عن الجنة إن شاء الله).

والشهيد الذي يحبس عن الجنة تكون روحه على نهر بباب الجنة يسمى (بارقاً) في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشيا -والله أعلم- كما قال القرطبي.

وهنا يرد سؤال: إذن أيهما أولى للمدين، أينفر في سبيل الله أم يعمل حتى يسد الدين ثم ينفر؟

وهنا نقول وبالله التوفيق: (إنه إذا وطيء شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين، وهنا يخرج المدين دون إذن دائنه والولد دون إذن والده) وهذا محل اتفاق بين سلف الأمة وخلفها.

وينظر المدين: فإن لم يكن معه سداد (قضاء) دينه فإنه ينفر ولا ينتظر قضاء الدين، وإن كان مع المدين وفاء دينه فإنه ينظر فإن كان يظن أن الدائن لو استوفى دينه فإنه يستعمل المال في الجهاد فالواجب أداء الدين له -وفاؤه- لتحصيل المصلحتين: الوفاء والجهاد.

هكذا أفتى ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (١٨٣/٤).

---

١- رواه النسائي والضياء عن سويد بن مقرن، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٣٢٣).
٢- رواه البخاري عن أبي هريرة
٢- السرية: قطعة من الجيش أقصاها أربعمائة، وجمعه سرايا، سموا بذلك لأنهم خيار العسكر وصفوتهم من الشيء، السري: النفيس، وقد صرح أبو هريرة أنه سمع الحديث عند قدومه إلى المدينة سنة (٧ هـ).
٤- أي بسفح الجبل.
٥- صحيح رواه الحاكم عن ابن عمرو، المائد: الذي يدور رأسه بسبب اضطراب السفينة، المتشحط: المذبوح الملطخ بدمه
٦- مسلم عن ابن عمرو.

وقال ابن تيمية: يجب على النساء الجهاد بأموالهن إن كان فيها فضل وكذلك في أموال الصغار إذا هجم العدو، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعا.

## شهيد لم يركع لله ركعة:

٢٥- عن أبي هريرة: [أن عمرو بن أقيش كان له ربا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد، فقال: أين بني عمي؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد، فلبس لأمته، وركب فرسه ثم توجه قِبَلهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني قد آمنت، فقاتل حتى جرح، فحمل إلى أهله جريحا، فجاءه سعد بن معاذ، فقال لأخته سليه: حمية لقومك أو غضبا لهم، أم غضباً لله؟ فقال: بل غضباً لله ورسوله، فمات فدخل الجنة. ما صلى لله صلاة][1].

٢٦- شهيد قتل بسلاح نفسه: عن سلمة بن الاكوع قال: [لما كان يوم خيبر قاتل أخي قتالاً شديداً فارتد عليه سيفه فقتله فقال أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، وشكوا فيه: رجل مات بسلاحه، فقال ﷺ: مات جاهداً مجاهداً، قال ابن شهاب: ثم سألت ابناً لسلمة بن الأكوع فحدثني عن أبيه بمثل ذلك، غير أنه قال: فقال رسول الله ﷺ: كذبوا، مات جاهداً مجاهداً فله أجره مرتين][2].

عن أبي سلام -وهو الحبشي- عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: [أغرنا على حي من جهينة، فطلب رجل من المسلمين رجلاً منهم، فضربه فأخطأه، وأصاب نفسه بالسيف، فقال رسول الله ﷺ: أخوكم يا معشر المسلمين، فابتدره الناس، فوجدوه قد مات، فلفه رسول الله ﷺ بثيابه ودمائه وصلى عليه ودفنه، فقالوا: يا رسول الله أشهيد هو؟ قال: نعم وأنا له شهيد][3].

٢٧- باب لا يقال فلان شهيد:

بوّب البخاري بهذا العنوان لحديث: [.. وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال ﷺ: أما أنه من أهل النار][4].

وفي نهاية الحديث انتحر هذا الرجل.

وقول البخاري: لا يقال لفلان شهيد، قال ابن حجر معقباً: أي على سبيل القطع بذلك، ومعنى قول البخاري وابن حجر: أننا لا نحكم لمن قتل في أرض المعركة أنه شهيد يدخل الجنة، لأن دخول الجنة أمر راجع إلى نية القتيل، وهو في علم الله عز وجل، إذ أن عقيدة أهل السنة والجماعة لا يحكم لأحد بجنة ولا بنار.

أما أن نسمي القتيل في المعركة شهيداً على سبيل إعطاء أحكام الشهيد ظاهراً وبناءً على الظن الغالب بأن لا نكفنه ولا نغسله ولا نصلي عليه، فهذا أمر قاله جمهور السلف والخلف.

قال ابن حجر: (ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدر وأحد وغيرهما شهداء، والمراد بذلك: الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب، والله أعلم).

بل لقد كان بعض المحدثين كابن كثير يطلق في البداية والنهاية على من مات في غير المعركة، فقال عن الفضل بن العباس في (٩٦/٤) البداية والنهاية: (استشهد بطاعون عمواس)، وقال عن الحارث بن هشام (٩٥/٤) (استشهد بالشام).

ويقول ابن كثير عن النعمان بن مقرن المزني (١٢٣/٤): (بعثه الفاروق أميراً على الجنود إلى نهاوند، ففتح الله على يديه فتحاً عظيماً، ومكن الله له في تلك البلاد، ومكنه من رقاب أولئك العباد، ومكن به للمسلمين هنالك إلى يوم التناد، ومنحه النصر في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأتاح له بعد ما أراه ما أحب شهادة عظيمة، وذلك غاية المراد، فكان ممن قال الله تعالى في حقه في كتابه المبين وهو صراطه المستقيم: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة..)).

## فضائل الهجرة:

١- إستمرار الهجرة إلى يوم القيامة: [إن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد][5] [لن تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار][6].

---

١- قال الحافظ في الإصابة: إسناده حسن رواه الجماعة عن ابن إسحاق.
٢- أخرجه البخاري ومسلم، وهو في مختصر سنن أبي داود برقم (٢٤٢٧).
٣- سكت عليه أبو داود والمنذري فهو حسن، وهو في المختصر برقم (٢٤٢٨).
٤- فتح الباري (٩٠/٦).
٥- حب-حم . صحيح وهو في صحيح الجامع برقم (١٩٨٧).
٦- حم-حب-ن. صحيح وهو في صحيح الجامع برقم(٥٠٩٦).

وهذا يدل على أن الهجرة مرتبطة بالجهاد، والحق أن الجهاد لا ينفصم عن الهجرة، والهجرة ماضية إلى يوم القيامة بسبب استمرار الجهاد إلى يوم القيامة.

٢- الأمر بالهجرة: {إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: **الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله**}[١].

قال العيني: (الهجرة في الشرع مفارقة دار الكفار إلى دار الإسلام خوف الفتنة وطلب إقامة الدين).

وقال ابن حجر: (وقد وقعت في الإسلام على وجهين:

١- الإنتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرة الحبشة.

٢- الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ في المدينة).

والرسول ﷺ رتب الأمور الضرورية التي لا بد منها للوصول إلى الجهاد، فهي درجات تبتديء بالجماعة، لأن الجهاد عبادة جماعية، فلابد من جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا إمارة بلا سمع وطاعة، ثم الهجرة وهي الخطوة الأساسية للجهاد، لأنها عنوان الصدق في الخلاص من عوائق الأرض، وتحطيم القيود، وأما الجهاد فهو ذروة سنام الإسلام.

٣- الشيطان يحارب الهجرة لأنها طريق الجنة: **{إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له في طريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول (الحبل) فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد؟ فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد، فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة}**[٢].

٤- تزداد حصته في الجنة بقدر بعده عن مولده: **{إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة}**[٣].

٥- الرسول ﷺ يكفل للمهاجر ببيوت في الجنة: **{أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة.. وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً، يموت حيث شاء أن يموت}**[٤].

٦- براءة الرسول ﷺ ممن يسكن مع المشركين: **{برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في ديارهم}**[٥].

لا يجوز السكن في أرض لا يستطيع المسلم أن يظهر فيها شعائر دينه كالصلاة والصوم والزكاة، وتجب الهجرة من كل أرض تجري فيها أحكام الكفر إلى بلد تجري فيها أحكام الإسلام، ويختار في آخر الزمان أقلها إثماً وأحوطها لسلامة العرض والدين والمال، ولا يجوز السكن تحت حكم عدو الدين بحيث يخاف المسلم على دينه وأهله وماله.

٧- **{من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله}**[٦].

قال ابن تيمية: المشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة، والمشاركة في الأمر الظاهر توجب مناسبة وائتلافاً، وإن بعد المكان والزمان، وهذا أمر محسوس فمرافقتهم ومساكنتهم ولو قليلاً سبب لاكتساب أخلاقهم، ولما كان مظنة الفساد خفي غير منضبط علق الحكم به (المساكنة) وأدير التحريم عليه، فمساكنتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، فيصير المساكن للكافر مثله، وأيضاً المشاركة في الظاهر تورث نوع محبة ومودة وموالاة في الباطن.

---

١- وهو في صحيح الجامع برقم (١٧٢٠).

٢- صحيح أحمد والنسائي وابن حبان عن سبرة، وهو في صحيح الجامع برقم (١٦٤٨)، تذر: تترك، وقصته دابته: رمت به فكسرت عنقه فمات.

٣- حديث حسن رواه ابن ماجة والنسائي عن ابن عمرو، وهو في صحيح الجامع برقم (١٦١٢)، أثره: أجله.

٤- صحيح الحاكم وابن حبان عن فضالة بن عبيد، وهو في صحيح الجامع برقم (١٤٧٨)، ربض الجنة: أدناها، زعيم: كفيل وضامن، لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهرباً: أي فعل كل وجوه البر، وترك كل الشر، يموت حيث شاء أن يموت: أي له الجنة حيثما مات

٥- حسن طب عن جرير، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٨١٥).

٦- حسن أبو داود عن سمرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٠٦٢).

٨- المهاجر له الجنة مهما كانت ميتته: {من فصل في سبيل الله فمات أو قتل أو وقصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو ه على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة}[١].

٩- شدة الهجرة: {ويحك إن أمر الهجرة لشديد، فهل لك من إبل تؤدي صدقتها فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك عملك شيئا}[٢].

قالها ﷺ لأعرابي عندما عرض الأعرابي على الرسول ﷺ أن يهاجر إلى المدينة فقال له هذا، ويبدو أنه ﷺ أدرك من الأعرابي أنه لا يستطيع الصبر على مشاق الهجرة إلى المدينة، وكثير من الأعراب بقوا في قبائلهم وأنعامهم ولكن لا يشتركون المسلمين في الغنائم.

١٠- {إن الله تعالى يقول: إن عبداً أصححت له جسمه، ووسعت له في معيشته تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إ لمحروم}[٣].

أي إن ترك الحج والعمرة أكثر من خمس سنوات علامة الحرمان من الله عز وجل، وصرف عن وجه عظيم من وجوه الخير.

وفي الحديث الصحيح: {واصلوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر وينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد}.

هذا الحرمان في ترك حج التطوع، فكيف حال تارك الجهاد المتعين، ليس لخمس سنوات فقط بل طيلة عمره؟!!

## حديث فضالة بن عبيد:

١١- روى ابن كثير في التفسير (٢٠١/٣) عن طريق عبد الرحمن بن شريح عن سلامان بن عامر: أن عبد الرحمن بن جح حدثه أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي، فجلس فضالة عند قبر المتوفي فقيل تركت الشهيد فلم تجلس عنده؟ فقال: (ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، إن الله تبارك وتعالى يقول:

{والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلاً يرضد وإن الله لعليم حليم} (الحج:٥٨-٥٩)

وكذلك روى هذا الحديث ابن المبارك في كتاب الجهاد فقرة (٦٩) ص(٩٢)، وكذلك رواه ابن أبي حاتم وروى ابن جرير بنحوه

١٢- {أفضل الهجرة أن تهجر ما كره ربك عز وجل}[٤].

وهذه من الهجرة المعنوية، أما الهجرة الشرعية في الاصطلاح فهي: مغادرة بلدك إلى بلد أخرى إرضاءً لله تعالى وفراراً بدينه وهذه الهجرة الشرعية لا تتم إلا بالتربية الطويلة التي تقتضي ترك المنكرات.

١٣- {أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشرك}[٥].

سبب الحديث قال جرير: {أتيت النبي ﷺ وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله ابسط يدك حتى أبايعك، واشترط علي فأنت أعا قال:...} الحديث.

ولذا فالبيعة في الإسلام متعددة، منها بيعة الإسلام نفسها -أي دخول الإسلام-، وبعدها هنالك بيعات على أمور معينة كبي الرضوان تحت الشجرة سنة (٦ هـ) أن لا يفر الصحابة، ومنها بيعة الإمام الأعظم -الخليفة-، ومنها مبايعة المسلمين بعضهم بعظ على وجوه من الخير والبر، كما كانوا يبايعون بعضهم بعضاً في المعارك على الموت يشجع بعضهم بعضاً.

١٤ – عن مجاشع رضي الله عنه قال: {أتيت النبي ﷺ أنا وأخي فقلت: بايعنا على الهجرة فقال: مضت الهجرة لأهلها، فقلن علام تبايعنا؟ قال: على الإسلام والجهاد}[٦].

---

١- أبو داود والحاكم عن أبي مالك الأشعري حسن، وهو في صحيح الجامع برقم/٦٢٨٩، وقصته: رمت به فكسرت عنقه، الحتف: الهلاك، فصل في سبيل الله: فارق أهله مهاجراً، ها، أفعى أو عقرب أو ذات سم، فإنه شهيد: حقيقة أو حكماً، وإن له الجنة: دخولا أوليا مع الشهداء والصالحين.

٢- متفق عليه، عن أبي سعيد، وهو في صحيح الجامع برقم(٧٠٠٧)، ويح: كلمة رحمة لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

٣- صحيح رواه ابن حبان وابن عدي عن أبي سعيد وهو في صحيح الجامع برقم (١٩٠٥)، يفد: يقدم.

٤- أخرجه أحمد -الصحيحة: (٥٥٣)، تهجر: تترك. ٥- أخرجه النسائي والبيهقي وأحمد (الصحيحة: ٦٣٦). ٦- رواه البخاري، علام: على ماذا تبايعنا.

## بيعة الجهاد مشروعة في الإسلام:

١٥- [قال رسول الله ﷺ يوم الفتح -فتح مكة-: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا][١].

والمعنى: لا هجرة واجبة من مكة إلى المدينة، لأن مكة صارت دار إسلام بالفتح لانتفاء علة الكفر الموجبة للهجرة، وهكذا في كل بلد كان عليه حكم الكفر ثم زال عنه، وإن الخير والأجر العظيم الذي كان يترتب على الهجرة من مكة إلى المدينة فقد انقطع بالفتح، ولكن يمكن تحصيله بالجهاد ونية الجهاد.

وإذا استنفرتم فانفروا: أي إذا كان ما يستدعي الخروج الواجب للجهاد فلابد من النفير، ومن هذه المسائل الأساسية التي تجعل الجهاد فرْض عين: دخول العدو الكافر أراضي المسلمين.

قال النووي: (وأما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فقال العلماء: إنها واجبة إلى قيام الساعة).

## اتفاق المنزلة مع اختلاف الميتة:

عن مالك بن هدم أنه قال: (سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما ترون في نفر ثلاثة أسلموا جميعاً، وهاجروا جميعاً، لم يحدثوا في الإسلام حدثاً، قتل أحدهم الطاعون، وقتل الآخر البطن، وقتل الآخر شهيداً؟ قالوا: الشهيد أفضلهم، فقال عمر: والذي نفسي بيده إنهم لرفقاء في الآخرة كما كانوا رفقاء في الدنيا)[٢].

## الإعداد والرمي:

١- عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[ستفتح عليكم أرضون، ويكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه][٣].**

**٢- [إن فقيما اللخمي قال لعقبة بن عامر: تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك، قال عقبة: لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه، قال الحارث: فقلت لابن شماسة: ما ذاك؟ قال: إنه قال: من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصا][٤].**

## أجر الرمي:

**٣- [أيما مسلم رمى بسهم في سبيل الله فبلغ مخطئاً أو مصيباً فله من الأجر كرقبة أعتقها من ولد اسماعيل، وأيما رجل شاب في سبيل الله فهو له نور][٥].**

**٤- [كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة][٦].**

أي هذه الأربعة من اللهو المشروع.

**٥- [ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه][٧].**

**٦- [مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبي ﷺ: ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً][٨].**

**٧- [اللهو في ثلاث: تأديب فرسك، ورميك بقوسك، وملاعبتك أهلك][٩].**

---

١- رواه مسلم. ٢- رواه سعيد بن منصور في سننه، الجزء الثاني برقم (٢٨٤٤). ٣- رواه مسلم.

٤- رواه مسلم. الغرض: الهدف يُرمى إليه، أعانه: أكابد وأتحمل مشاقه، فليس منا: أي ليس على طريقتنا أو ليس على سنتنا، ولا يعني هذا خروجه من الملة الإسلامية، أي أن تارك الرمي بعد تعلمه اثم، والذي لا يتعلمه أثم. ٥- حديث صحيح رواه الطبراني عن عمرو بن عبسه، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٧٣٦)، شاب: إبيْض شعره، في سبيل الله في الجهاد بسبب أهوال الحرب، بلغ: أي وصل أماكن العدو، وفي هذا إرباك للعدو.

٦- صحيح رواه النسائي عن جابر، وهو في صحيح الجامع برقم(٤٤١٠)، الغرضين: الهدفين.

٧- صحيح رواه أحمد ومسلم عن عقبة بن عامر (٩٧/٤) وهو في صحيح الجامع برقم (٣٦٠٧).

٨- رواه البخاري وأحمد (٤٣٩) ا الأحاديث الصحيحة، صححه الحاكم والذهبي /وهو في صحيح الجامع برقم (٩١١)، أسلم قبيلة أسلم، ينتضلون: يرمون للسبق والنضال، بني اسماعيل: ذكر ابن سعد بسنده قول النبي ﷺ: (العرب كلهم من ولد إسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام).

٩- صحيح رواه القرّاب عن أبي الدرداء، وهو في صحيح الجامع برقم(٥٢٧٤)

**٨- {من أحسن الرمي ثم تركه فقد ترك نعمة من النعم}[١].**

**٩- {عليكم بالرمي فإنه خير لعبكم}[٢].**

١٠- عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: **{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي}[٣].**

وهذا الحديث من دلائل النبوة، لأن الرمي بالسهم في عهد رسول الله ﷺ لم يكن الوسيلة الغالبة في المعارك، إذ أن معظم أنواع المعارك المستعملة السيف والرمح.

أما اليوم فالرمي هو الوسيلة الغالبة في الحروب الحديثة ابتداءً من طلقة المسدس والبندقية ومروراً بالمدفعية والهاون وانتهاءً بالصواريخ.

جهاد النساء:

١- **{عن عمر رضي الله عنه أنه قسم مروطا على نساء من نساء المدينة، فبقي مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين؛ أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك -يريدون أم كلثوم بنت علي-، فقال عمر: أم سليط أحق به، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ، قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد}[٤].**

جاء في المغني فقرة (٧٤٤٠): ولا يدخل مع المسلمين من النساء إلى أرض العدو إلا الطاعنة في السن لسقي الماء، ومعالجة الجرحى كما فعل النبي ﷺ.

قيل للأوزاعي: هل كانوا يغزون معهم بالنساء في الصوائف؟ قال: لا إلا الجواري.

٢- **{عن الربيّع بنت معوّذ رضي الله عنها قالت: كنا نغزو مع النبي ﷺ نسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة}[٥].**

والربيّع كانت صغيرة في السن بدليل الحديث الذي رواه الثلاثة أن عمها معاذ بن عفراء بعث معها بقناع (طبق) من رطب فوهبها النبي ﷺ حلية أهداها له صاحب البحرين، والإهداء من صاحب البحرين وغيره إنما كان بعد مكاتبة الملوك سنة (٧ هـ)، ومع ذلك فقد أرسلها عمها بطبق من رطب، وهذا يعني أنها كانت صغيرة لأنها لو كانت كبيرة لما أرسلها خاصة بعد نزول الحجاب سنة ( هـ).

فيه جواز مس المرأة غير المحرم للجرح للمداواة لأنه لا لذة فيه بل عذاب للامس والملموس.

إشتراك النساء في الجهاد أمر وارد في الشريعة، ولكن لابد من مراعاة الشروط الشرعية: كوجود المحرم، وعدم الإختلاط وأمن الفتنة، بأن لا تكون المرأة شابة ولا جميلة، وتغطية الوجه أمام الرجال أو عند الحاجة الضرورية التي لا يقوم بها الرجال.

وقد حصل اشتراك النساء في عهد رسول الله ﷺ، ولكن في حالات قليلة، ومن نساء كبيرات في السن اللهم إلا عائشة فهي حالة خاصة برسول الله ﷺ فيمكن للنساء أن يكن في الخطوط الخلفية يقمن بعمليات الطبخ والتمريض وغيرها من الأعمال النسائية وأما فتح الباب في هذه المسألة فهو مفسدة عظيمة.

روى البخاري:

٣- عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: **{صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر حيث أراد أن يهاجر إلى المدينة، قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطها به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئا أربط به إلا نطاقي، قال: فشقيه باثنين فاربطي بواحد السقاء وبالآخر السفرة، ففعلت ذلك فلذلك سميت ذات النطاقين}[٦].**

---

١- صحيح رواه القراب في الرمي عن يحيى بن سعيد مرسلا، وهو في صحيح الجامع برقم(٥٨٤٨).

٢- رواه البزار والطبراني في الأوسط (الصحيحة ٦٢٨).    ٣- رواه مسلم.

٤- رواه البخاري، المرط ثوب من كتان أوخز (حرير)، تزفر: تكثر من نقل القرب، وأصل الزفر الكثرة، أم سليط: من المبايعات شهدت خيبر وحنينا.

٥- رواه البخاري، الربيّع بنت معوذ بن عفراء، أبوها اشترك في قتل أبي جهل، الربيّع بضم الراء وتشديد الياء وكسرها، معوذ بتشديد الواو وكسرها.

٦- رواه البخاري، النطاق الحزام يشد به الوسط.

روى مسلم:

**٤- عن أنس بن مالك: [أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان، فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوما، فأطعمته ثم جلست تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: قلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: أناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر، ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة -يشك أيهما قال، قلت- فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله، كما قال في الأولى، قالت: فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين، فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت][١].**

أم حرام بنت ملحان: أخت أم سليم (أم أنس بن مالك)، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، وكانت أم سليم تحت أبي طلحة، فأم حرام خالة أنس.

قال النووي في شرح مسلم: أجمع العلماء على أن أم حرام وأم سليم من محارم الرسول ﷺ.

قال وهب: أم حرام إحدى خالات النبي ﷺ من الرضاعة.

قال أبو عمرو: ملوكاً على الأسرة: أي رأى الغزاة في البحر على الأسرة في الجنة ورؤيا الأنبياء وحي.

وقال محمد بن الحسن في السير (فقرة/٢٣٩): ولا ينبغي للشواب أن يخرجن أيضا في الصوائف ونحوها، فأما العجائز فلا بأس بأن يخرجن مع الصوائف لمداواة الجرحى، ولا يعجبني أن يباشرن القتال، لأن بالرجال غنية عن قتال النساء، فلا يشتغلن بذلك من غير ضرورة، وعند تحقق الضرورة بوقوع النفير عاما لا بأس للمرأة أن تقاتل بغير إذن وليها وزوجها.

روى مسلم:

**٥- [عن أم عطية رضي الله عنها قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى][٢].**

وقد بوّب البخاري باب: (هل يداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل؟): (ومن المعلوم أن النساء لا يضرب لهن بسهم، وإنما يرضخ لهن دون أن يكون لهن سهم محدود)، ومعنى يرضخ: يقسم لهن بشيء، كما كتب ابن عباس رضي الله عنهما إلى نجدة الحروري: (قد كن يحضرن الحرب مع رسول الله ﷺ فأما أن يضرب لهن بسهم فلا، وقد كان يرضخ لهن).

**٦- [أسماء بنت يزيد الأنصارية شهدت اليرموك مع الناس فقتلت سبعة من الروم بعمود فسطاط ظلتها][٣].**

**[أن عبدالله بن قرط الأزدي حدثه قال: غزوت الروم مع خالد بن الوليد، فرأيت نساء خالد بن الوليد ونساء أصحابه مشمرات يحملن الماء للمهاجرين يرتجزن][٤].**

قال ابن قدامة: (ويكره دخول النساء الشواب أرض العدو لأنهن لسن من أهل القتال، وقلما ينتفع بهن فيه لاستيلاء الخور والجبن عليهن، ولا يؤمن ظفر العدو بهن فيستحلون ما حرم الله منهن)[٥].

**ملاحظة هامة:**

نص الفقهاء على: (جواز اصطحاب القائد زوجته معه عند حاجته، ولا يرخص لسائر الجند)[٦].

- ونحن نرى والله أعلم: أن السبب كما لمسناه في أفغانستان أن غياب القائد عن الجبهة ليس كغياب المجاهد عنها.

٧- عن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعي قالت: [شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجنا، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس، شددنا علينا ثيابنا وأخذنا الهوادي ثم أتينا القتلى، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه، ومن كان من المشركين أجهزنا عليه، ومعنا الصبيان فنوليهم ذلك -تعني استلابهم- لئلا يكشفن عن عورات الرجال][٧].

---

١- رواه مسلم، ثبج البحر: وسط البحر ومتنه، صرعت: قتلت، تفلي رأسه: تفتش عن القمل، في زمن معاوية: أي أيام أن كان معاوية على إمارة البحر في عهد عثمان رضي الله عنه، وقد استشهدت في قبرص سنة (٢٨ هـ).

٢- أخرجه مسلم، وفي الحديث: جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة.

٣- رواه سعيد بن منصور في سننه ج(٢) برقم (٢٧٨٧).

٤- رواه سعيد بن منصور في سننه ج(٢) برقم (٢٧٨٨).

٥- المغني (٢١٥/٨). ٦- كشاف القناع (٦٣/٣). ٧- البداية والنهاية (المجلد ١٧/٤)

الرباط:

١- **{أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطاً في سبيل الله، ومن علم علماً أجري له عمله ما عمل به، ومـ تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت، ورجل ترك ولداً صالحا فهو يدعو له}**[1].

وهذا أجر عظيم ومنزلة رفيعة، أن يموت المرء وتبقى أعماله جارية عليه إلى يوم القيامة، فنرجو الله سبحانه ألا يحرمنا مـ الشهادة في سبيله، وأن تكون الخاتمة صادقة في أرض الرباط إنه سميع قريب مجيب.

وسمي الرباط رباطا لأنهم كانوا يربطون خيولهم بجانبهم انتظاراً لمعركة يكرون أو يدفعون بها على الثغور، فسمي المقام بالثغ رباطا وإن لم يكن فيه خيل.

٢- **(رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر، وغدي عليه برزقه، وريح من الجنة ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله)**[2].

قال ابن العربي: (والأمن من فتنة القبر فضيلة عظيمة لم تعط إلا الشهيد والمرابط)[3].

٣ - **{رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وقيَّ فتنة القبر ونما له عمله إلى يوم القيامة}**[4].

قال أحمد: (ليس يعدل الجهاد عندي والرباط شيء، والرباط دفع عن المسلمين وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغز فالرباط أصل الجهاد وفرعه، والجهاد أفضل منه للعناء والتعب والمشقة).

قال القرطبي في الجامع: (وأما سكان الثغور دائما بأهليهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك فهم وإن كانوا حماة فليس مرابطين).

قال ابن عطية، وقال ابن خويز منداد: (وللرباط حالتان: حالة يكون فيها الثغر مأمونا منيعاً يجوز سكناه بالأهل والولد، وإ كان غير مأمون جاز أن يرابط فيه بنفسه إذا كان من أهل القتال ولا ينقل إليه الأهل والولد).

٤- **{كل عمل منقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله ويجري عليه رزقه إلى يوم القيامة}**[5].

قال المناوي: (والرباط وأجره فيمن ذهب للثغر لحراسة المسلمين فيه مدة لا في سكانه أبدا وهم وإن كانوا حماة غير مرابطين)

قال ابن حجر: (وفيه نظر، لأن ذلك المكان قد يكون وطنه وينوي الإقامة فيه لدفع العدو).. وكلام ابن حجر: فيمن كان مستعد لدفع العدو بأن كان مدربا مستعداً وعنده السلاح الذي يدفع به لا من يعيش من أجل راتبه أو وظيفته أو تجارته أو زراعته.

٥- **{ما رُزق عبد خيرا له ولا أوسع من الصبر}**[6].

وقد أوردت حديث الصبر في الرباط لأن الرباط قائم على قاعدة كبيرة وهي الصبر.

والرباط: هو حبس النفس في الثغور حيث تخيف العدو ويخيفك انتظارا لمعركة، والجهاد -القتال- عموده الرباط، وأن المعار قليلة والرباط ممتد وطويل، والنفس مع طول الانتظار تمل وتسأم، خاصة حيث تقل الحركة ويقسو الجو ويخشن العيش، وقد وجدنا أ أعظم مشكلة تواجهنا في الجهاد هي أن الإخوة لا يصبرون على طول الرباط، فكان الإخوة المرابطون على الحدود لا يستمرون طو ولا يطيقون الصبر على الرباط فينزلون من الثغور إلى مدينة بيشاور، وبقاء المجاهد في المدينة يفسد نفسيته، ويقلل أجره، وقد يطا للسانه العنان فيحبط أجره، وقد يرجع مأزورا غير مأجور كما جاء في الحديث الصحيح: **{لم يرجع بالكفاف}**.

٦- **{من مات مرابطا في سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذي يعمل عليه وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعـ الله يوم القيامة آمنا من الفزع}**[7].

---

١- حديث حسن رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامة، وهو في صحيح الجامع برقم (٨٩٠)، الرباط: ملازمة الثغر، أي المكان الذي بيننا وبين الكفار

٢- صحيح رواه الطبراني عن أبي الدرداء، وهو في صحيح الجامع برقم(٣٤٧٣)، الفزع: الخوف والذعر والمعنى أمنوا من دخول النار، ريح من الجنة: أي تشم أرواحهم رائحة الجنة، وغ عليه برزقه: أي تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروْح والفرح.

٣- عارضة الأحوذي (٧/١٣٢)

٤- صحيح رواه الترمذي عن سلمان، وهو في صحيح الجامع برقم (٣٤٧٥)، نما: زاد وكثر.

٥- صحيح رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن الرياض، وهو في صحيح الجامع برقم/٤٤١٥، يُنمَّى: يُزاد له فيه.

٦- صحيح رواه الحاكم عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٥٥٠٢). ٧- صحيح رواه ابن ماجة عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٤٢٠)، الفتان: من الفتنة و عذاب القبر فالفاء بالفتح أو بالضم فإن كانت بالضم فهي جمع فاتن وهما الملكان الموكلان بالميت لامتحانه وفتنته

قال بن حبيب: (الرباط شعبة من الجهاد وبقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر).

وقال أبو عمرو: (شرع الجهاد لسفك دماء المشركين، وشرع الرباط لصون دماء المسلمين وصون دماء المسلمين أحب إلي). وهذا يدل على أنه مفضل على الجهاد.

**٧- {الإيمان الصبر والسماحة}[١].**

فالصبر: حبس النفس عن شهواتها، وإلجامها عن نزواتها، والكرم: تطهير النفس من أدران شُحها.

**٨- {إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤنة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء}[٢].**

وهذا الحديث هو الذي فسر لي صبر المجاهدين الأفغان هذه السنين العشر، والبلايا تطحن أعصابهم وتسحق عظامهم، ورحى الحرب دائرة لا تذر شيئاً أتت عليه إلا جعلته كالرميم، تحول كل بيت إلى مأتم وميتم، ومع ذلك فلم تلن لهم قناة ولم تهن لهم عزيمة، إنه إلقاء الصبر على القلوب المبتلاة.

**٩- {رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل}[٣].**

وأما الرواية الأخرى: **{من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها}[٤].**

قال ابن العربي: وخرّج الترمذي عن عثمان صحيحاً: **{رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل}** فجعل حسنة الجهاد بألف[٥].

## البيعة في الحرب:

**١- {عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله، فقيل له: على أي شيء بايعهم؟ على الموت؟ قال: لا، بايعهم على الصبر}[٦].**

البيعة في الحرب سنة نقلت عن المصطفى ﷺ لتثبيت القلوب وتذكيرها بعهد قطعته على أنفسها قبل المعركة.

الشجرة التي بايعنا تحتها: الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان عام (٦هـ)، وفي العام المقبل سنة (٧هـ) لم يعرف اثنان منا مكان الشجرة، وهذه رحمة من الله حتى لا تصبح الشجرة شيئاً مقدساً، ثم تنتشر البدع والخرافات من خلال وجودها وحتى لا يأتي الناس للتبرك بها، وحديث جابر في مسلم: **{بايعنا على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت}.**

والشجرة هي سمرة من أشجار الصحراء، وقد خفيت على الصحابة في العام الذي تلا الحديبية خوفا من الفتنة.

**٢- {عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: لما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له: إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت، فقال: لا أبايع على هذا أحدا بعد رسول الله ﷺ}[٧]..**

الحرة: معركة وقعت بالمدينة سنة (٦٣هـ)، وسميت الحرة لأن خيول (يزيد) اقتحمت الحرة (وهي أول مرة تقتحم فيها الخيول حجارة الحرة) لأن الحرة منطقة حجارة سوداء تحيط بالمدينة من شرقها بحرة (واقم) ومن غربها بحرة (الوبرة) ولذا يقال ما بين حرتيها أو لابتيها، ويعنون بها هاتين الحرتين، وعندما استباح جيش «يزيد» المدينة قام الصحابي عبدالله بن حنظلة يبايع الناس على الموت لمقاتلة يزيد بعد خلع بيعته.

**٣- {عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل شجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا تبايع؟ قال: قلت: قد بايعت يارسول الله، قال: وأيضا، فبايعته الثانية، فقيل له: على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال: على الموت}[٨].**

لقد كان ﷺ يختار بعض أصحابه الذين يعدهم للمهمات في المستقبل ثم يأخذ عليهم عهوداً خاصة يتميزون بها عن بقية

---

١- أخرجه أحمد. (الصحيحة ٥٥٤)، السماحة. الكرم، الصبر: هو الحبس، أي حبس القلب عن التسخط وحبس اللسان عن التشكي وحبس الجوارح (الأعضاء) عن التشويش بلطم الخدود وشق الجيوب، ومعنى الحديث -والله أعلم-: أن معظم خصال الإيمان وشعبه تتحقق عن طريق الصبر والكرم، ومعظم العبادات تحتاج إلى صبر أو مال لأدائها.

٢- أخرجه ابن شاهين في الترغيب والترهيب (الصحيحة /١٦٦٤)، المؤنة. المشقة.

٣- حسنه الترمذي والأرناؤوط عن عثمان، ولم يحسنه الشيخ الألباني، وهذا الحديث الوحيد الذي في هذا الكتاب لم يحسنه الألباني ولم يصححه.

٤- ابن ماجة، صححه السيوطي في الجامع الصغير عن عثمان. ٥- عارضة الأحوذي (١٢٢/٧). ٦- رواه البخاري. ٧- رواه البخاري. ٨- رواه البخاري، حف. قلّ.

الصحابة، كما أخذ على ثوبان وعلى أبي بكر وفئة من الصحابة (أن لا يسألوا الناس شيئاً) فكان أحدهم يسقط سوطه من يده ف يطلب من أحد مناولته إياه.

والبيعة دائما على البر والتقوى، لأنه عهد على التعاون على البر والتقوى ولا يجوز البيعة على الإثم والعدوان، كمن يتعاهدو عهدا خاصا ثم يطلب من المبايع بعد فترة أن يعمل أعمالا لا يرضاها الله، ولا تقرها الشريعة كمقاطعة فلان، والتجسس على فلان وتتبع عورات الآخرين.

ويجوز للمسلم أن يعطي عدة بيعات لعدة أشخاص، فيعطي الشيخ بيعة أن يجاهد معه، والآخر بيعة أن يتلقى العلم على يد، يتربى على يديه، ولا معارضة بين هذه البيعات، ولا يجوز لأحد أن يفرض طاعته في كل شيء على من عاهد على شيء، ولا يجو لأحد أن يحتج ببيعته ليمنع المبايع من عمل برٍ نص عليه الكتاب والسنة كالجهاد في سبيل الله مثلاً، لأن البيعة عندئذ تنقلب إلى بيع على الإثم{وإنما الطاعة بالمعروف} {ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق}[1].

البيعة:

**٤- {عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة، وقال: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت}.**

٥- عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: **{كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله عز وجل:** {يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين...} **إلى آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحنة}**[2].

# القتال بين المسلمين

## خطبة الوداع:

١- عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ خطب الناس بمنى في حجة الوداع فقال: **{أتدرون أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، ثم قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: نعم، قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال أليس بالبلد؟** يعني الحرام، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: فإن دماءكم وأعراضكم وأبشاركم حرام كحرمة يومكم هذا، **في شهركم هذا ألا هل بلغت، قلنا: نعم، قال: اشهد، ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ يبلغ من هو أوعى له، فكان كذلك، وقال: ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض}**[3].

**٢- {المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده، من أحدث حدثا فعلى نفسه، ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين}**[4].

٣- روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: **{إن من ورطات الأمور التي لا مخرج منها لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله}.**

٤- روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **{أول ما يقضى بين الناس في الدماء، يعني يوم القيامة}.**

## الانتحار أو قتل الرجل نفسه:

٥- روى الشيخان عن ثابت بن قيس عن النبي ﷺ: **{من حلف بملة سوى الإسلام كاذباً فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله، ولعن المؤمن كقتله}.**

---

١- حديثان صحيحان. ٢- رواه مسلم. ٣- رواه البخاري ومسلم.

4- أخرجه أبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٢/ ٢٤٠)، والطحاوي والبيهقي (٨/ ٢٩)، وأحمد (١/ ١٢٢) من طريق قتادة عن الحسن عنه {أي عن } قلت: ورجاله ثقات رجال الشيخين.

البادي، بالقتل:

٦- عن ابن مسعود قال ﷺ: [ما من نفس تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه سن القتل أولاً][1].

٧- [الإيمان قيْد الفتك، لا يفتك مؤمن][2].

٨- [إن الملائكة لتلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأمه][3].

وفي صحيح مسلم عن جابر: [أن رسول الله ﷺ أمر رجلا كان يتصدق بالنبل في المسجد أن لا يمر بها إلا وهو آخذ بنصولها][4].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: [إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصلها أو قال فليقبض بكفه أن تصيب أحدا من المسلمين][5].

٩- [إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهم صاحبه فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه][6].

وهذا دليل صحيح على أن المرء مؤاخذ بنيته، وأن العازم على المعصية يأثم إن كان حريصاً: أي جازماً مصمماً عليه فلم يقدر عليه فكان كالقاتل لأنه في الباطن قاتل، فكل منهما ظالم معتد ولا يلزم من كونهما في النار أنهما في مرتبة واحدة، فالقاتل يعذب على القتال والقتل، والمقتول يعذب على القتال فقط.

١٠- [إذا أشار الرجل على أخيه بالسلاح فهما على جرف جهنم فإذا قتله وقع فيه جميعاً][7].

وهذا من أدب النبوة أن المزاح لا يجوز بما فيه خطر على النفس أو المال، والمزاح بالسلاح كم ضيع من الأرواح؟.

وهذا دليل أن من نوى معصية وأصر عليها أثم، أما القاتل فإنه يدخل جهنم بقتله، أما المقتول فلقصده قتل أخيه.

١١- [أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة][8].

وظاهر الحديث يتفق مع رأي ابن عباس رضي الله عنهما القائل: بأن القاتل خالد في جهنم، وهذا يتفق مع ظاهر الآية (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها).

ومذهب أهل السنة والجماعة: أن القاتل لا يكفر ولا يخلد في النار، وإن مات مصراً وأن له توبة، والقتل ظلماً أكبر الكبائر بعد الكفر، وبالقود (القصاص) أو العفو لا تبقى مطالبة أخروية، ومن أطلق بقاءها أراد بقاء حق الله تعالى، إذ لا يسقط إلا بتوبة صحيحة، والتمكين من القصاص لا يؤثر إلا إن صحبه ندم من حيث الفعل وعزم أن لا يعود.

وسبب الحديث: أن النبي ﷺ بعث سرية فأغاروا على قوم، فشذ رجل منهم فاتبعه رجل من السرية شاهراً سيفه، فقال: إني مسلم، فقتله فبلغ النبي ﷺ فذكر الحديث.

١٢- [قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا][9].

قال ابن العربي: ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق، فكيف بقتل الآدمي؟ فكيف بالمسلم؟ فكيف بالصالح؟

وثبت عن ابن عمر أنه قال لمن قتل عاملاً بغير حق: تزوّد من الماء البارد فإنك لا تدخل الجنة، والجمهور على: أن القاتل أمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.

١٣- [لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم][10].

---

١- رواه البخاري ومسلم. ٢ - صحيح، رواه أحمد عن الزبير ورواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٧٩٩)، الفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غافل فيقتله، والمعنى أن الإيمان يمنع الفتك كما يمنع القيد في التصرف.

ملاحظة في صحيح الجامع: [الإيمان قيد الفتك]، بالتخفيف ج٢/٤١٧، وفي النهاية في غريب الحديث والأثر [الإيمان قيد الفتك] بالتشديد (ج٣/٤٠٩)

٣- صحيح رواه أحمد عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (١٩٥٢). ٤- مختصر أبي داود (٢٤٧٤) ٥- مختصر أبي داود (٢٤٧٥).

٦- متفق عليه عن أبي بكرة، وهو في صحيح الجامع برقم(٣٨٠).

٧- صحيح رواه النسائي وأبو داود الطيالسي عن أبي بكرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٣٢٥)، الجرف شق الوادي إذا حفر الماء أسفله والمقصود طرف جهنم وحدها

٨- صحيح رواه الطبراني والضياء في المختارة عن أنس، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٣)، ومعنى أبى لم يُرد

٩- صحيح رواه النسائي والضياء عن بريدة، وهو في صحيح الجامع برقم (٤٢٢٧)، زوال الدنيا: إنمحاؤها واندثارها.

١٠- صحيح رواه الترمذي والنسائي عن ابن عمرو، وهو في صحيح الجامع برقم (٤٩٥٢)، زوال الدنيا: إنمحاؤها واندثارها.

وذلك لأن الدنيا خلقت من أجل المؤمن، فمن حاول قتل من خلقت له الدنيا فقد حاول زوالها.

**١٤- {من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه}[1].**

**١٥- {من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره، ومن مات وعليه دين فليس بالدينار والدرهم، ولكن بالحسنات والسيئات، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج}[2].**

**١٦- {من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا}[3].**

قال ابن العربي: حمل السلاح لا يخلو أن يكون باسم حرابة أو تأويل أو ديانة، فإن كان لحرابة فنصه في الكتاب:

{إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله..} (المائدة: ٣٣)

أو منازعة في ولاية فهم البغاة بشرطه.

أو لديانة فإن كانت بدعة فإن كفرناه بها فمرتد، وإلا فهو كالمحارب في القتل والقتال.

فليس منا: إن استحل ذلك، فإن لم يستحل فالمرء ليس متخلقا بأخلاقنا، ولا عاملاً بطرائقنا، أطلقه مع احتمال إرادة ليس على ملتنا مبالغة في الزجر.

**١٧- {من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشا من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه}[4].**

واعلم أن كل تنظيم من التنظيمات الإسلامية إنما هو جماعة من المسلمين وليس جماعة المسلمين.

**١٨- {من سل علينا السيف فليس منا}[5]**

**١٩- {كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً}[6].**

سبب الحديث:

كنا في غزوة القسطنطينية بـ (ذلقية)، فأقبل رجل من أهل فلسطين من أشرافهم وخيارهم، يعرفون ذلك له، يقال له (هانيء بن كلثوم بن شريك الكناني) فسلم على عبدالله بن أبي زكريا قال: سمعت أم الدرداء تقول: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره، ذلقية: بلدة من بلدان الروم.

**{من قتل مؤمناً متعمداً}** لمن استحل ذلك، وإلا فهو تهويل وتغليظ، قال الذهبي في الكبائر: وأعظم من ذلك أن تمسك مؤمنا لمن عجز عن قتله أو تشهد بالزور على جمع مؤمنين فتضرب أعناقهم بشهادتك الملعونة.

## تعطيل الحكم بالإسلام سبب القتال والخصام:

**٢٠- {يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم (قط) حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم}[7].**

هذا الحديث من دلائل النبوة، ويكفي لهذا أن نشير إلى مرض الإيدز الذي أصبح خطراً رهيباً ترتعد أمريكا وأوروبا لذكره.

١- صحيح رواه مسلم عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٥٩١٠)، لعنة الملائكة الدعاء إلى الله أن يطرد المرء من رحمته.

٢- صحيح رواه أحمد والطبراني عن ابن عمر، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٠٧٣)، ضادّ: خالف، ينزع: يرجع ويقلع، ردغة الخبال: هي عصارة أهل النار.

٣- صحيح رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٠٩٤).

٤- صحيح متفق عليه عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٦١٠٣)، الجماعة: هي جماعة المسلمين

٥- صحيح مسلم وأحمد عن سلمة بن الأكوع، وهو في صحيح الجامع برقم (٦١٧٥)، سلّ: سحب ورفع، ليس منا: حقيقة إن استحل ذلك، وإلا فمعناه ليس من العاملين على طريقتنا المتبعين لإرشادنا لدلالة الشقاق على النفاق.

٦- أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (الأحاديث الصحيحة ٥١١) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٥٢٤).

٧- رواه ابن ماجة وأبو نعيم في الحلية (الصحيحة ١٠٦)، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٩٧٨). الفاحشة: الزنى

## الترف سبب الخلاف:

٢١- {**سيصيب أمتي داء الأمم، فقالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟ قال: الأشر، والبطر، والتكاثر، والتشاحن في الدنيا، والتباغض، والتحاسد، حتى يكون البغي**}[1].

**٢٢- {لا يزال المؤمن معنقاً صالحاً ما لم يصب دماً حراماً، فإذا أصاب دما حراما بلح}[2].**

٢٣- {**يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: يا رب! هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟، فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: أي رب! إن هذا قتلني، فيقول الله: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه**}[3].

٢٤- {**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماً، فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش**}[4].

## قتل الجماعة بالواحد:

٢٥- {**روى سعيد بن المسيب عن عمر أنه قتل سبعة من أهل صنعاء قتلوا رجلاً، وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعا**}[5].

قال الباجي في المنتقى شرح موطأ مالك (١١٦/٧): فأما قتل الجماعة بالواحد يجتمعون في قتله فإنهم يقتلون به، وعليه جماعة العلماء، وبه قال عمر وعلي وابن عباس وغيرهم، وعليه فقهاء الأمصار، إلا ما يروى عن أهل الظاهر، والدليل على ما نقوله خبر عمر هذا وصارت قضية بذلك، ولم يعلم له مخالف، فثبت أنه إجماع، ودليلنا من جهة القياس أن هذا حد وجب للواحد على الواحد، فوجب للواحد على الجماعة كحد القذف (مسألة).

قال مالك في الموازية والمجموعة: يقتل الرجلان وأكثر بالرجل الحر، والنساء بالمرأة، والإماء والعبيد كذلك. قال ابن القاسم وأشهب: وإن اجتمع نفر على قتل امرأة أو صبي قتلوا به (فرع).

وهذا إذا اجتمع النفر على ضربة يضربونه حتى يموت تحت أيديهم، فقد قال مالك: يقتلون به، وقال ابن القاسم وابن الماجشون في النفر يجتمعون على ضرب رجل ثم ينكشفون عنه وقد مات: فإنهم يقتلون به.

**٢٦- {لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراما}[6].**

قال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت حتى لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول، وحاصله أنه فسره على رأي ابن عمر رضي الله عنهما في عدم قبول توبة القاتل[7].

وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: {**إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله**}.

## الاشتراك في القتل:

**٢٧- {لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عز وجل في النار}[8].**

وسبب الحديث أنه قتل قتيل في عهد الرسول ﷺ فصعد المنبر، فخطب فقال: {**ألا تعلمون من قتله؟ قالوا: اللهم لا، فقال: والذي نفسي بيده لو أن أهل السماء والأرض...**} الحديث[9].

---

١- أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي الصحيحة (٦٨٠).
الأشر: أشد البطر مع الإستكبار. البطر: الطغيان عند النعمة. التكاثر: التناسل والتوالد. التشاحن: العداوة. التباغض: المقت والكره من الناحيتين. التحاسد: تمني زوال النعمة عن الغير من الطرفين. البغي: الظلم والجور.

٢- حديث صحيح، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٥٧٠). المعنق: طويل العنق الذي له سوابق في الخير، بلح: أي أعيا وانقطع.

٣- صحيح رواه النسائي، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٨٨٥). يبوء: يرجع.

٤- صحيح رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٨٨٧). ناصيته: مقدمة رأسه. تشخب: تنزف بشدة. الأوداج: العروق التي في الرقبة. يدنيه: يقربه

٥- صحيح أخرجه مالك في الموطأ (٢٢٠١) من إرواء الغليل. ٦- صحيح رواه البخاري وأحمد، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٥٦٨). الفسحة: السعة

٧- فتح الباري (١٨٨/١٢). ٨- صحيح رواه الترمذي، وهو في صحيح الجامع برقم (٥٢٤٧) ٩- اشتركوا في دم مؤمن: أي في قتله ظلماً

## القتل يحرم القاتل من ثواب العبادات:

**٢٨- {من قتل مؤمنا فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً}[١].**

وفي رواية (فاغتبط) بالغين من الغبطة: أي الفرح والسرور لأن القاتل يفرح بقتل خصمه، فإذا كان المقتول مؤمناً وفرح بقتله يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً: أي، نافلة ولا فريضة، والقتل: أكبر الكبائر بعد الكفر.

## قتل عثمان رضي الله عنه:

٢٩- عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال: كنا مع عثمان رضي الله عنه في الدار وهو محصور، وكنا ندخل مدخلا نسمع كلام من في البلاط، فدخل عثمان رضي الله عنه ثم خرج متغير اللون، قيل: يا أمير المؤمنين ما شأنك؟ قال: إنهم ليتواعدونني بالقتل آ ولم استيقن ذلك منهم حتى كان اليوم، فقلنا له: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: وبم يقتلونني وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **يحل دم امريء مسلم إلا في ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس}،** فوالله ما زنيت في جاه ولا في إسلام قط، ولا أحببتُ بديني بدلاً منذ هداني الله، وما قتلت نفساً، علام يريد هؤلاء قتلي[٢]؟!

## قتل المعاهد:

٣٠- روى البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **{من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد مسيرة أربعين عاماً}[٣].**

إذا كان هذا حكم المعاهد الذمي الذي يقتل ظلماً، فكيف بقتل المسلم ظلماً؟! والمراد بالمعاهد من له عهد مع المسلمين سواء ك بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم.

## الجهاد وقتال الأعداء:

**١- {إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله}[٤].**

**٢- {إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر}[٥].**

وهذا يعني أن النية الصادقة مع العذر المقبول عند الله فيها أجر عظيم، والنية الصادقة تعني أنه لولا العذر لنفذ العمل المطلو ولذا ففي الحديث: **{إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمله مقيماً صحيحاً}.**

**٣- {إنتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجن ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل}[٦].**

**٤- {اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث}[٧].**

**٥- {إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله عليهم ذ لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم}[٨].**

---

١- رواه أبو داود والضياء عن عبادة بن الصامت (٦/٨٩١٤) وهو في صحيح الجامع برقم (٦٤٥٤).
اعتبط بقتله: قتله ظلماً بغير جناية ولا عن جريرة ولا عن قصاص، يقال: عبطت الناقة إذا نحرتها من غير داء بها.

٢- نقلاً عن السنن الكبرى للبيهقي (٨/١٩) وأخرجه الأربعة وأحمد وإسناده صحيح على شرط الشيخين. ٣- فتح الباري (١٢/٢٥٩).

٤- صحيح رواه أبو داود والحاكم والبيهقي عن أبي أمامة، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٠٨٩).

٥- صحيح رواه البخاري عن أنس، وهو في صحيح الجامع برقم (١٥٧١).

٦- صحيح متفق عليه عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (١٥٠٢ انتدب. وجاء في رواية (تكفل، تضمن): بمعنى أن الله تعالى بفضله وكرمه قد أوجب له الجنة وهذا موافق لقوله تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة} أدخله الجنة: عند موته (شهادته) لأن أرواح الشهداء في حواصل طيور في الجنة ويحتمل أن يكون المراد دخوله الجنة عند دخول السابقين والمقربين بلاحساب ولا عذاب ولا مؤا، كما جاء في الصحيح، وتكون الشهادة مكفرة لذنوبه.

٧- صحيح رواه الشافعي والبيهقي في المعرفة عن مكحول مرسلاً، وهو في صحيح الجامع برقم (١٠٢٦).

٨- صحيح رواه أحمد والطبراني عن ابن عمر، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٨٨).
ضن بخل. الدينار: للذهب، والدرهم: للفضة، العينة: أن تبيع شيئا دينا بثمن عال ثم تشتريه بثمن اقل نقدا (حيلة للربا)، تبعوا أذناب البقر: الإنشغال بالزراعة والإنتاج الحيو (٧٣٩/١)، حتى يراجعوا دينهم: أي كأن الذي يترك الجهاد يشبه الذي يخرج عن دينه، وترك الجهاد: إما ضنا (بخلا) بالمال أو من أجل التجارة التي يشوبها ربا أو لا يشوبها أو أجل الزراعة والمواشي، وكلمة ضن الناس بالدرهم والدينار: يفهم منها البخل بترك الوظيفة التي تعتبر مصدرا من مصادر المال.

**٦- [خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان فرسه خلف أعداء الله، يخيفهم ويخيفونه، أو رجل معتزل في بادية يؤدي حق الله الذي عليه][1].**

قال النووي: مذهب الشافعي وأكثر العلماء: أن الاختلاط أفضل (٤٠٤٢/٣) بشرط السلامة، وقال النووي أيضاً: فيه فضل العزلة في أيام الفتن إلا أن يكون له قوة على إزالة الفتن فيلزمه السعي في إزالتها عينا وكفاية.

وفي الحديث: **[المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم].**

والمجاهد: يحقق الجهتين، يحقق العزلة ويحقق عبادة الجهاد التي هي ذروة سنام الإسلام.

**٧- [تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع][2].**

قال ابن حجر في الفتح (٨٣/٦): (إن كان في الحراسة كان في الحراسة، أي: إن كان في الحراسة كان فيها أو: فهو في ثواب الحراسة، وقيل: هو للتعظيم أي كان في الحراسة فهو في أمر عظيم، والمراد منه لازمة أي فعليه أن يأتي بلوازمه، ويكون مشتغلاً بخويصة عمله).

وقال ابن الجوزي: أي أنه خامل الذكر لا يقصد السمو، فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها، وقوله: إن استأذن لم يؤذن له فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع. والساقة: مؤخرة الجيش.

**٨- [عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه][3].**

وهذا دليل أنه يستحب للمسلم أن يجاهد ولو وحده، ولو تيقن من القتل إن كان في ذلك مصلحة للمسلمين ورفع لمعنوياتهم أو نكاية بأعدائهم، وهذا دليل كذلك أنه يستحب للمسلم أن يقوم بعمليات انتحارية يتيقن فيها من الموت إن كان في ذلك مصلحة للإسلام، وقد ثبت أن بعض الصحابة قد انغمسوا في صفوف الكفار وكانوا وحدهم.

**٩- [غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني منكم رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه][4].**

وهذا دليل على أنه يجب التفرغ للجهاد، لأن النفس المرتبطة بالدنيا لا تبذل كل طاقتها ولا تعطي كل إنتاجها، وأما النبي فهو (يوشع بن نون) وأما القرية فهي أريحا قرب بيت المقدس.

**١٠- [غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها، والمائد فيه كالمتشحط في دمه][5].**

**١١- [غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها][6].**

**[خير مما طلعت عليه الشمس وغربت][7].**

---

١- صحيح رواه الحاكم عن ابن العباس والطبراني، عن أم مالك البهزية، وهو في صحيح الجامع برقم (٣٢٨٧).

٢- صحيح رواه البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٩٥٩).

٣- حسن رواه أبو داود عن ابن مسعود (٥٣٨٤/٤) وهو في صحيح الجامع برقم (٣٨٧٦).

٤- متفق عليه عن أبي هريرة وهو في صحيح الجامع برقم (٤٠٢٩).

والخلفات: جمع خلفة وهي الناقة الحامل. البضع: النكاح أو الفرج، وحبس الشمس: قيل إرجاعها، وقيل: إبطاء حركتها، إنك مأمورة: بالغروب، وأنا مأمور: بالصلاة أو القتال قبل الغروب. ٥- صحيح رواه الحاكم عن ابن عمرو (٥٧٦٢/٤) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٠٣٠).

أجاز: قطع، المائد فيه: الذي يدار رأسه (يصيبه الدوار ويجع الرأس وغثيان المعدة)، كالمتشحط في دمه: أي كالمذبوح المتلطخ بدمه يقال: شحط الجمل ذبحه

٦- متفق عليه (٥٧٥٨/٤) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٠٢٧).

٧- متفق عليه (٥٧٥٩/٤) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٠٢٨).

غدوة: الخروج في أول النهار (قبل الزوال)، روحة: الخروج في آخر النهار (بعد الزوال).

وآخر الحديث في البخاري: {ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها}.

قال ابن المهلب: خير من الدنيا أي ثواب هذا الزمن القليل في الجنة خير من زمن الدنيا كلها.

وكذا ورد في البخاري: {لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب}.

قاب القوس: طول القوس وهو ذراع (٤٦.٢سم): أي موضع سوط أحدكم في الجنة، فأخبر أن قصير الزمان وصغير المكان في الآخرة خير من طويل الزمان وكبير المكان في الدنيا، تصغيرا لها وتزهيدا بها وترغيبا في الجهاد.

قال القرطبي: أي الثواب الحاصل على مشية واحد في الجهاد، خير لصاحبه من الدنيا وما فيها لو جمعت له بحذافيرها.

١٢-{الغازي في سبيل الله عز وجل والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم}[١].

١٣-{الغزو غزوان: فأما من غزا ابتغاء وجه الله تعالى وأطاع الإمام وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد في الأرض فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرا ورياءً وسمعة وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف}[٢].

١٤-{قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة}[٣].

١٥-{كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة}[٤].

وعن راشد بن سعد -رضي الله عنه- عن رجل من الصحابة أن رجلا قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟فقال: {كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة}[٥].

**ومن أسماء السيف:**

المهند: نسبة إلى موطن صناعته بالهند.

واليماني: إلى اليمن.

والمشرفي: من مشارف من قرى حوران.

أما الرمح فهو سلاح يستعمل للطعن ويتألف من عود طوله (٢-٥.٣م) في رأسه حربة اسمها سنان.

**أما العود فهو نوعان:**

القنا: قصب مسدود من الداخل ينبت في الهند يقال للواحدة قناة، ولمفصالها أنابيب ولعقدها كعوب.

والنوع الثاني: من خشب الزان واسمها الذوابل.

١٦-{موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود}[٦].

١٧-{اطلبوا إجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول المطر}[٧].

١٨-{كان إذا غزا قال: اللهم أنت عضدي وأنت نصيري، بك أجول وبك أصول وبك أقاتل}[٨].

١٩-{كان يعجبه أن يلقى العدو عند زوال الشمس}[٩].

٢٠-{الغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها}[١٠].

٢١- {لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض}[١١].

---

١- صحيح رواه ابن ماجة وابن حبان عن ابن عمر (٥٧٨٧/٤) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٠٤٧).

٢- حسن رواه أبو دواد والنسائي والحاكم عن معاذ (٥٧٩٧/٤) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٠٥٠).

٣- صحيح رواه ابن عدي وابن عساكر عن أبي هريرة (٦١٦٥/٤) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٢٠٥)

٤- صحيح رواه النسائي عن رجل، وهو في صحيح الجامع برقم(٤٣٥٩). ٥- (٦٢٤٨/٥).

٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٦٨) رواه ابن حبان وابن عساكر، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٥١٢). ٧- (١٤٦٩) الصحيحة حسن رواه الشافعي.

٨- صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والضياء عن أنس (٦٧٥٠/٥) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٦٣٣).

٩- صحيح رواه الطبراني عن أبي أوفى (٧١٠٢/٥) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٨٦٣)

١٠- صحيح متفق عليه عن أنس (٧٢٨٦/٥) وهو في صحيح الجامع برقم (٤٩٩٢). ١١- صحيح رواه أحمد عن أبي هريرة (٧٣٠٣/٥) وهو في صحيح الجامع برقم (٥٠٢٩

٢٢- [للمائد أجر شهيد وللغريق أجر شهيدين][(١)].

٢٣- [لن يبرح الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة][(٢)].

٢٤- [ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار][(٣)].

٢٥- [مثل المجاهد في سبيل الله -والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع، وتوكل الله تعالى للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة][(٤)].

والله أعلم بمن يجاهد في سبيله: تنبيه على أهمية الإخلاص والصدق (٥/٨١٥٦).

قال ابن العربي: (والمعنى فيه أنه بما يدخل على قلب العدو من الهم الدائم والغيظ اللازم يكون عمله دائما وسائر الأعمال تدركها الفترات (الضعف والإنقطاع).

٢٦- [مثل المجاهد في سبيل الله -والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد][(٥)].

٢٧- [من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه، ورجل في غنيمة في رأس شعفة من هذا الشعف، أو بطن واد في هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير][(٦)].

٢٨- [عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام][(٧)].

**٢٩- عن سلمة بن نفير الكندي قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: [كذبوا، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة][(٨)].**

٣٠- [موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، وقرأ: (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)][(٩)].

وهذا في محل سوط، فما الظن بأعلى ما فيها وهو النظر إلى وجه الله الكريم الذي ينسي في لذته كل نعيم.

٣١- [من راح روحة في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكا يوم القيامة][(١٠)].

٣٢- [من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل في سبيل الله من نفسه صادقاً ثم مات أو قتل، فإن له أجر شهيد، ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك، ومن خرج به خرّاج في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء][(١١)].

٣٣- [أفضل الجهاد من عقر جواده، وأهريق دمه][(١٢)].

٣٤- [أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض][(١٣)].

٣٥- [كان يأخذ الوبرة من جنب البعير من المغنم فيقول: مالي فيه إلا مثل ما لأحدكم منه، إياكم والغلول فإن الغلول خزي

---

١- صحيح رواه الطبراني عن أم حرام (٥/٧٣٤٦) وهو في صحيح الجامع برقم (٥٠٦٣).

٢- صحيح رواه مسلم عن جابر بن سمرة (٥/٧٣٨٦) وهو في صحيح الجامع برقم (٥٠٩٦).

٣- صحيح رواه الأربعة عن مالك ابن عبدالله الخثعمي وهو في صحيح الجامع برقم (٥٤١٩).

٤- صحيح متفق عليه عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٥٧٢٦).

٥- صحيح رواه النسائي عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٥٧٢٦).

٦- صحيح رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٥٧٩١).

من خير معاش الناس: أي أفضل الناس عيشة وحياة رجل ممسك، متنه ظهره، هيعة: الصوت عند حضور العدو، فزعة: النهوض إلى العدو، يبتغي القتل والموت مظانه: أي يبحث عن الموت حيث يظنه موجوداً، غنيمة: مجموعة من الأغنام، شعفة: رأس الجبل.

٧- الأحاديث الصحيحة (١٩٣٤) النسائي وأحمد.

٨- رواه البزار والطبراني، قال الألباني في الصحيحة (١٩٣٥). هذا إسناد صحيح على شرط مسلم، أذال: أهان، أو وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها

٩- السلسلة الصحيحة (١٩٧٨) الترمذي والدارمي وأحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٦/٩١٢٣).

١٠- حسن رواه ابن ماجة والضياء عن أنس، وهو في صحيح الجامع برقم (٦١٢٦)، راح روحة في سبيل الله: أي في الجهاد لإعلاء كلمة الله والدين

١١- صحيح رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد (٦/٨٨٩٢) وهو في صحيح الجامع برقم (٦٢٩٢)، فواق ناقة: مقدار ما بين الحلبتين.

١٢- أخرجه أحمد (الصحيحة ٥٥٢).

١٣- أخرجه أحمد (الصحيحة ٥٥٥).

على صاحبه يوم القيامة، أدوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك، وجاهدوا في سبيل الله تعالى القريب والبعيد في الحضر والسفر الجهاد باب من أبواب الجنة، إنه لينجي الله تبارك وتعالى به من الهم والغم، وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا يأخذكم في لومة لائم}(1).

٣٦- {أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى باب ويستفتحون فيقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم؟ فيقولون: بأي شيء نحاسب وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى على ذلك؟ قال: فيستفتح لهم، فيقيلون فيها أربعين عاما قبل أن يدخلها الناس}(2).

ملاحظة:

كان لرسول الله ﷺ سيف اسمه العضب أهداه إليه سعد بن معاذ، وغنم يوم بدر سيف وهب بن منبه واسمه (ذو الفقار) وأهداه الحارث بن أبي شمر سيفاً كان على القلمس صنم لطيء واسم السيف (ذو السيفين)، وأخذ من بني قينقاع سيفا ا (القلعي)، وسيفا يدعى (بتارا) وآخر يدعى (الحتف).

وأما رمحه: فاسمه (المثنوي).

وأما قوسه فله ثلاثة: الروحاء والبيضاء والصفراء.

أما دروعه فهي: السغدية، وفضة، وذات الفضول.

أما مغفره (غطاء الرأس الحديدي) فاسمه: ذو السبوغ.

ترسه اسمه: الزلوق.

٣٧- {يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أوَ من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت}(3)

٣٨- {من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، فقالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة -أراه- فوق عرش الرحمن تفجر أنهار الجنة}(4).

٣٩- {لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تأتي الساعة وهم على ذلك}(5).

٤٠- {مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة، فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة}

٤١- {لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود}(7).

٤٢- {لا يجتمعان في النار، مسلم قتل كافرا ثم سدد وقارب، ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد}(8).

٤٣- {لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا ليستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة}(9).

١- أخرجه عبدالله بن أحمد (الصحيحة ٦٧٠). ٢- أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي (الصحيحة ٨٥٣).
٣- أخرجه أبو داود (الصحيحة ٩٥٨). ٤- أخرجه البخاري (الصحيحة ٩٢١). ٥- رواه مسلم عن عقبة بن عامر، وهو في صحيح الجامع برقم (٧١١٢).
٦- حديث حسن رواه الترمذي عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٣٥٦) ٧- رواه مسلم عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٣٠٤).
٨- صحيح رواه أحمد والنسائي والحاكم عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٤٩٦).
٩- حسن رواه أحمد وابن ماجة عن أبي عنبة الخولاني، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٥٦٩).

لأن مجاهد العدو متردد بين رجاء وخوف، وصاحب السلطان إذا أمره بمعروف تعرض للعذاب والموت أحيانا، فهو أفضل من جهة غلبة الخوف، ولأن ظلم السلطان يسري إلى جم غفير، فإذا كفه فقد أوصل النفع إلى خلق كثير، بخلاف قتل كافر.

والسلطان: من له سلاطة وقهر.

٤- **{إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه}[١].**

ومن الجهاد باللسان فتوى العلماء في وجوب الجهاد خاصة عندما تخالف هوى السلطان، فهنا تكون الفتوى شديدة على النفس، لأنها قد تكلف العالم وظيفته أو سجنه أو عنقه، ولذا لا يُستفتى في أمور الجهاد إلا الصادقون العاملون.

قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٤/١٨٥): والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا.

أي يشترط في الذي يفتي في أمور الجهاد: أن يكون قادرا على الاستنباط، مخلصا، وأن يعرف طبيعة المعركة وأحوال أهلها.

٥- **{جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم}[٢].**

إذا أطلق الجهاد فهو قتال الكفار بالسلاح حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.

بأموالكم: بتجهيز الغزاة، وأنفسكم: بالقتال بالسلاح، بألسنتكم: بهجو الكافرين والإغلاظ عليهم، ولا يعارض هذا مطلق النهي عن سب المشركين لئلا يسبوا المسلمين.

وجاء في الحاشية: بأن تخوفوهم وتوعدوهم بالقتل والأخذ والنهب وغير ذلك، وبأن تذلوهم وتذلوهن وتسبوهم إذا لم يؤد ذلك إلى سب الله تعالى، وبأن تدعوا عليهم بالخذلان والهزيمة، وللمسلمين بالنصر والغنيمة، وبأن تحرضوا الناس على الغزو ونحو ذلك.

والآن الجهاد باللسان: بأن تظهر الجهاد كذلك بأنصع صورة، وترد عنه الحملة الإعلامية مما نراه من الحملات المسعورة على الجهاد الأفغاني، وأن تقف دون تشويه الجهاد أو حرق شخصياته أو الإساءة إلى رموزه، وترد على المثبطين والمعوقين والمخذلين والمرجفين.

٦- **{سبق درهم مائة ألف درهم: رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها}[٣].**

سئل ابن تيمية: لو ضاق المال عن إطعام جياع والجهاد الذي يتضرر بتركه قدمنا الجهاد وإن مات الجياع كما في مسألة التترس (اعتصام الكافرين ببعض المسلمين عند القتال) وأولى، فإن هناك نقتلهم بفعلنا وهنا يموتون بفعل الله.

٧- **{قاتل دون مالك حتى تحوز مالك أو تقتل فتكون من شهداء الآخرة}[٤].**

٨- **{من أتي عند ماله فقوتل فقاتل فقتل فهو شهيد}[٥].**

قال ابن جرير: هذا أبين بيان وأوضح برهان على الإذن لمن أريد ماله ظلماً في قتال ظالمه، والحث عليه كائناً من كان، لأن مقام الشهادة عظيم، فقتال اللصوص والقطاع مطلوب، وتركه من ترك النهي عن المنكر، ولا منكر أعظم من قتل المؤمن وأخذ ماله ظلماً.

٩- **{مثل القائم على حدود الله والواقع فيها (وفي رواية: والراتع فيها -والمدهن فيها-) كمثل قوم استهموا على سفينة -في البحر- فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها، فكان الذي وفي رواية: الذين -في أسفلها إذا استقوا من الماء فمروا على من فوقهم- فتأذوا به. وفي رواية فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاه، فقال الذين في أعلاه: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا.. فقالوا: لو أخرقنا في نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا (وفي رواية: ولم نمر على أصحابنا فنؤذيهم) فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: مالك؟ قال: تأذيتم بي، ولا بد من الماء، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا}[٦].**

---

١- صحيح رواه أحمد والطبراني عن كعب بن مالك، وهو في صحيح الجامع برقم (١٩٣٠).

٢- صحيح رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم (٣/٢٥٧٨)، وهو في صحيح الجامع برقم (٣٠٨٥).

٣- حسن رواه النسائي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة (٤/٤٦٥٠)، وهو في صحيح الجامع برقم (٣٦٠٠).

٤- صحيح رواه أحمد عن الطبراني عن مخارق، وهو في صحيح الجامع برقم (٤١٦٩، تحوز تمنع

٥- صحيح رواه ابن ماجة عن ابن عمر، وهو في صحيح الجامع برقم (٥٨٢٤)

٦- رواه البخاري والترمذي والبيهقي وأحمد (الصحيحة (٦٩).

١٠- {لك بها سبعمائة ناقة مخطومة في الجنة}[١].

١١- {نعم الميتة أن يموت الرجل دون حقه}[٢].

فإنه يموت شهيداً كما مر في الأحاديث الماضية، وهذا شهيد الآخرة، أما نحن فنعامله معاملة الميت العادي نغسله ونـ ونصلي عليه أي كثواب الشهيد مع التفاوت بين الشهادتين والثوابين.

١٢- {إن من أمتي قوما يُعطون مثل أجور أولهم ينكرون المنكر}[٣].

أي إن الله يثيب جماعة من المسلمين تأتي متأخرة كما يعطي الصحابة الذين نصروا الإسلام وأسسوا مجتمعه.

المنكر: ما أنكره الشرع، ويندب الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه بشرط العلم بوجه المعروف والمنكر، وانتفاء المفسدة، و التأثير. والأمر بالمعروف: فرض كفاية فيسقط بقيام البعض.

## تعريف الرسول ﷺ الجهاد بأنه القتال:

**١٣- عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: أن يسلم قلبك، وأن يسلم المسلمون لسانك ويدك قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد المو قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة، وقال: ما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء، قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد، قال: وما الجها قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم، قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه، قال رسول الله ﷺ: ثم عملان أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما: حجة مبرورة أو عمرة**[٤].

## النية وأسباب النصر:

١- {إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم}[٥].

قال ابن العربي: من حكمة الله العظمى أنه أمر بالعدة للعدو وأخذه بالقوة، وأخبر أن النصر بعد ذلك يكون بالضعفاء، لـ الخلق فيما أمروا به من الاستعداد وقدر العبادة من النظر في العادة، وليرجعوا إلى الحقيقة، وأن النصر من عند الله يلقيه على الأضعف، فالاستعداد للعبادة والعلم بجهة النصر في الضعيف للتوحيد وأن الأمركله لله عادة وحقيقة يديرها كيف أخبر[٦].

٢- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **{هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم}**[٧].

وبداية الحديث في البخاري **عن مصعب بن سعد قال -أي سعد رضي الله عنه- أن له فضلاً على من دونه فقال النبي ﷺ {هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم}**[٨].

قال المهلب: إنما أراد ﷺ بهذا القول لسعد التواضع ونفي الكبر والزهو عن قلوب المؤمنين، وأخبر ﷺ أن بدعائهم ينصر ويرزقون، لأن عبادتهم ودعاءهم أشد إخلاصا وأكثر خشوعاً لخلو قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا وزينتها، وصفاء ضمائرهم بقطعهم عن الله تعالى، فجعلوا همهم واحداً، فزكت أعمالهم وأجيب دعاؤهم.

وقد حدثني محمد صديق چكري: أن الطائرات هجمت عليهم فاختبأوا إلا رجلاً كبيراً في السن اسمه محمد عمر، وأخذ يد فما أنهى دعاءه حتى سقطت طائرة ولم نطلق طلقة واحدة عليها.

ولقد حدثني الكثيرون من قادة الجهاد الصادقين -منهم أرسلان-: أن الذخيرة قد انتهت في أحيان كثيرة واقتربت الدبا لتمسكنا أحياءً ففزعنا إلى الله ودعونا، فدارت معركة شديدة على الدبابات وتحطم بعضها ولم نطلق طلقة واحدة عليها وهزمت.

---

١- أخرجه أبو نعيم في الحلية (الصحيحة ٦٣٤)، سبب الحديث:
جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه الناقة في سبيل الله، قال: (.. الحديث).

٢- أخرجه أحمد (الصحيحة ٦٩٧).

٣- أخرجه أحمد (الصحيحة ١٧٠٠).

٤- أخرجه أحمد في مسنده ورجاله رجال الصحيح كما ورد في كتاب المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للحافظ الدمياطي ٧٠٥ هـ - ص(٢٨٥).

٥- صحيح رواه النسائي عن سعد، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٣٨٤).

٦- عارضة الأحوذي-الترمذي (٧/١٩٤).

٧- رواه البخاري.

٨- عمدة القاري (١١/٤٢٨).

وحدثني خيال محمد -صهر جلال الدين حقاني- قال: كنا أربعين مجاهداً، وتقدمت نحونا ثمانون دبابة وآلية لتمسكنا أحياءً، ولم يكن معنا مضاد واحد للدبابات، فصلينا الظهر وبكينا ونحن نضرع إلى الله ألا يجعل للكافرين علينا سبيلاً، فتقدمت الدبابة الأولى فانقلبت ولا أدري كيف، ثم تقدمت الثانية فألقينا قريبا منها زجاجة مولوتوف، فابتعدت الدبابة من وسط الطريق وهي ترابية وضيقة فلم تحملها، وأصبحت الدبابة بالعرض، وسدت طريق القافلة، وإذا بالقافلة كلها تستسلم لنا.

٣- عن أبي أمامة رضي الله عنه: {**لقد فتح الفتوح قوم ما كانت حلية سيوفهم الذهب ولا الفضة، إنما كانت حليتهم العلابي والآنك والحديد**}[١].

٤- {**قال النبي ﷺ وهو في قبة: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يارسول الله فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**}. وفي رواية: {**وذلك يوم بدر**}[٢].

قال ابن اسحق حدثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدث: **أن سعد بن معاذ قال: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك الذي أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. ثم بنى لرسول ﷺ العريش فكان فيه**}[٣]

٥- **حدثنا أبو موسى الأشعري أن رجلاً أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: {من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله}**[٤].

## يقع القتال بسبب خمسة أشياء:

طلب المغنم، وإظهار الشجاعة، والرياء، والحمية، والغضب، وكل منها يتناول المدح والذم.

والمراد بكلمة الله: دعوة الله إلى الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد أنه لايكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط، بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سببا من الأسباب المذكورة أخل بذلك، ويحتمل أن لا يخل إذا حصل ذلك ضمنا لا أصلا ومقصودا، وبذلك صرح الطبري فقال: إن كان أصل الباعث هو الأول لا يضره ما عرض له بعد ذلك، وبذلك قال الجمهور، ويدل على صحة رأي الجمهور ما رواه أبو داود بإسناد حسن عن عبدالله بن **حوالة قال: {بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم فرجعنا ولم نغنم شيئاً، فقال: اللهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم}**[٥].

واشتمل طلب إعلاء كلمة الله على طلب رضاه، وطلب ثوابه، وطلب دحض أعدائه، وكلها متلازمة.

٦- عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **{إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمة فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فيها، قال: فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار}**[٦].

٧- **عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: {من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولم لم تصبه}**، وفي رواية **{بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه}**[٧].

---

١- رواه البخاري، العلابي: الجلود الخام التي ليست بمصبوغة، الآنك: الرصاص، العلابي جمع علباء وهو عصب العنق، كانت العرب تشد العصب على خلف سيوفها وهو رطب ثم يجف فيصير كالقيد.

٢- رواه البخاري. ٣- سيرة ابن هشام (١٩٢/٢). ٤- رواه مسلم ٥- سكت عليه أبو داود والمنذري مختصر أبي داود (٢٤٢٤)

٦- رواه مسلم ٧- رواه مسلم.

٨- [من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه][١].

ومعنى الحديثين: أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشه واستحباب نية الخير.

٩- عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فقال: إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معه حبسهم المرض]، وفي رواية: [إلا شركوكم الأجر][٢].

وفي الحديث: فضيلة النية في الخير، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته، وأنه ك أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنى كونه من الغزاة ونحوهم كثر ثوابه والله أعلم.

وفي الحديث دلالة أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل.

١٠- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: [أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر له؟ فقال رسول الله ﷺ: لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله ﷺ: لا شيء له، ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من الع إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه][٣].

وعن أبي هريرة: أن رجلا قال: [يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا، قال: لا له، فأعظم ذلك الناس، وقالوا للرجل: عد لرسول الله ﷺ فلعلك لم تفهمه، فقال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله، يبتغي عرضا من عرض الدنيا، قال: لا أجر له، فقالوا للرجل: عد لرسول الله ﷺ، فقال له الثالثة: لا أجر له][٤].

قال بن عابدين في حاشيته (٤/١٢٠): (وأما إذا كان معظم مقصوده الجهاد ويرغب معه في الغنيمة فهو داخل في قوله تعا (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) يعني التجارة في طريق الحج، فكما أنه لا يُحْرَم ثواب الحج فكذا الجهاد).

١- [من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق][٥].

أي أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق.

الخيل:

١- [إنه ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول: اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آ فاجعلني من أحب أهله وماله إليه][٦].

٢- [الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة، والمنفق على الخيل كالباسط كفه بالنفقة لا يقبضها][٧].

نواصي الخيل: نواصي جمع ناصية وهي الشعر المسترسل على الجبهة.

الخيل: اسم جمع لا مفرد له من لفظه، وسميت خيلا لاختيالها في المشي، والاختيال والخيلاء: التكبر.

قال السهيلي: أما خيل رسول الله ﷺ فأسماؤها:

سكيب: وهو من سكب الماء كأنه سيل.

والمرتجز: سمي ذلك لحسن صهيله.

واللحيف: كأنه يلف الأرض بجرية.

ويقال اللخيف: أنه ما سابق شيئاً إلا لزه: أي أثبته. وبلادح.

٣- [من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة][٨].

وفي هذا الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات، ومن غير المنقو من باب الأولى.

---

١- رواه مسلم. ٢- رواه مسلم، حبسهم. متفهم. ٣- رواه النسائي وسنده حسن. ٤- رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم ووافقه الذهبي

٥- رواه مسلم ٦- صحيح رواه أحمد والنسائي والحاكم، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٤١٠).

٧- صحيح رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع برقم (٣٣٤٤). ٨- البخاري رقم (٢٨٥٣).

وفيه أن المرء يُؤجر بنيته كما يؤجر العامل.

وفيه جواز ذكر الشيء المستقذر بلفظه للحاجة لذلك.

وروثه: المراد ثواب ذلك لا أن الأرواث نفسها توزن.

شبعه: ما يشبعه من الطعام .

٤- **{أفضل دينار ينفقه الرجل دينار أنفقه على عياله، ودينار أنفقه على أصحابه في سبيل الله ، ودينار أنفقه على دابته في سبيل الله}**(١).

ومعنى أنفقه على أصحابه في سبيل الله: أي حال كونهم مجاهدين.

٥- **{الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن: فالذي يرتبط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله في ميزانه، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها، فهي ستر من الفقر}**(٢).

بطنها: أي يلتمس ما في بطنها.

٦- **{الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم}**(٣).

قال ابن حزم في المحلى: الحديث مما رواه جمع كثير من الصحابة حتى قيل أنه متواتر.

قال الحافظ: وفي الحديث بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة، لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون.

٧- **{كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة}**(٤).

الغرضين: الهدفين، والغرض: الهدف يرمى إليه.

٨- **{ما من مسلم ينقي لفرسه شعيراً ثم يعلقه عليه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة}**(٥).

٩- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **{لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل}**(٦).

السبق: بفتح الباء ، هو ما يجعل للسابق على سبقه من جعل أو نوال، فأما السبق بسكون الباء فهو مصدر سبقت الرجل أسبقه سبقا، والرواية الصحيحة في هذا الحديث (السبق) مفتوحة الباء، يريدان الجعل والعطاء لا يستحق إلا في سباق الخيل والإبل وما في معناها، وفي النصل وهو الرمي، وذلك لأن هذه الأمور عدة في قتال العدو، وفي بذل الجعل عليها ترغيب في الجهاد، وتحريض عليه، ويدخل في معنى الخيل البغال والحمير، لأنها كلها ذوات حوافر، وقد يحتاج إلى سرعتها سيرها ونجائها، لأنها تحمل أثقال العساكر، وتكون معها في المغازي.

وأما السباق بالطير والزجل بالحمام، وما يدخل في معناه مما ليس من عدة الحرب، ولا من باب القوة على الجهاد فأخذ السبق عليه قمار محظور لا يجوز.

١٠- **{إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات}**(٧).

والاستنان: العَدْوُ، وقال الجوهري: هو أن يرفع يديه ويطرحهما معا، وفي لسان العرب: السن هو الرعي.

والطول: الحبل المشدود به.

١١- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **{الخيل لثلاثة، لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفتين كانت أرواثها وآثارها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات**

---

١- مسلم (٩٩٤). ٢- صحيح رواه أحمد عن ابن مسعود، وهو في صحيح الجامع برقم (٣٣٤٥). ٣- صحيح متفق عليه، وهو في صحيح الجامع برقم (٣٣٤٨).

٤- صحيح رواه النسائي عن جابر بن عبدالله وجابر بن عمير، وهو في صحيح الجامع برقم(٤٤١٠)

٥- صحيح رواه أحمد والبيهقي عن تميم، وهو في صحيح الجامع برقم (٥٥٦٤) ٦- أخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن ٧- صحيح رواه البخاري

له، وأما الرجل الذي عليه وزر فهو رجل ربطها فخراً ورياءً ونواء لأهل الإسلام فهي وزر على ذلك}[1].

١٢- {عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي قد أضمرت من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل ا لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر ممن سابق بها}[2].

الخيل المضمرة: يقال أضمرت وضمرت هو أن يقلل علفها مدة وتدخل بيتاً مغلقا وتجلل فيه لتعرق فيجف عرقها فيجف لحـ وتقوى على الجري.

قال سفيان بن عيينة: بين ثنية الوداع والحفياء خمسة أميال أو ستة، وقال موسى بن عقبة: ستة أو سبعة.

وأما ثنية الوداع فهي عند المدينة سميت بذلك لأن الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها.

١٣- عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل: أنه أخبرهم: أنه أتى النبي ﷺ فقال: {إني سئمت الخيل، وألقيت السلاح، ووضـ الحرب أوزارها، قلت: لا قتال، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على النا، يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، ألا إن عقد دار المؤمنين الشام، والخيل معة في نواصيها الخير إلى يوم القيامة}[3].

## المسابقة بين الخيل:

١٤- {عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي قد أضمرت من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخ التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق وكان ابن عمر ممن سابق بها}[4].

قال النووي: أجمع العلماء على جواز المسابقة بغير عوض بين جميع الخيل، فأما المسابقة بعوض فجائزة بالإجماع، ولا يشترط أن يكون العوض من غير المتسابقين، أو يكون بينهما ويكون معهما محلل وهو ثالث على فرس مكافيء لفرسيهما ولا يخر المحلل من عنده شيئا ليخرج العقد من صورة القمار.

١٥- عن سمرة بن جندب قال: {أما بعد فإن النبي ﷺ سمى خيلنا خيل الله إذا فزعنا، وكان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا فزعنا بالجماعة والصبر، والسكينة، وإذا قاتلنا}[5].

## العهود والرسل:

١- {لا إيمان لمن لا أمان له، ولا دين لمن لا عهد له}.

٢- {تقبلوا لي بست أتقبل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا أئتمن فلا يخن، غضـ أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم}.

٣- {أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما}[6].

أول الحديث عن نعيم بن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ كتاب مسيلمة للرسل: ما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كـ قال، قال: {أما والله..}.

٤- {إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرد، ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع}[7].

سبب الحديث:

قال أبو رافع: بعثتني قريشاً إلى رسول الله ﷺ، فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقي في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله إني واـ لا أرجع إليهم أبدا، فقال رسول الله ﷺ: {الحديث...}.

قال: فذهبت ثم أتيت رسول الله ﷺ: فأسلمت[8].

---

١- صحيح رواه البخاري. ٢- رواه مسلم. ٣- رواه أحمد والنسائي (١٩٣٥ في الصحيحة). ٤- رواه مسلم. ٥- سكت عنه أبو داود والمنذري فهو حسن.

٦- حديث حسن رواه أبو داود والحاكم عن نعيم بن مسعود، وهو في صحيح الجامع برقم(١٣٤١) ٧- أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وأحمد (الصحيحة ٧٠٢).

٨- البُرد، جمع بريد وهو الرسول، أخيس بالعهد، خاس بالعهد إذا نقضه، وخاس بوعده إذا أخلفه

٥- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **{من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً}**[١].

ولفظه في النسائي: **{من قتل قتيلا من أهل الذمة}**.

وفي رواية الترمذي: **{وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً}**.

وفي رواية صحيحة: **{من قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرّم الله عليه الجنة أن يشم ريحها}**.

وذلك لأن الذمي الذي يشتم الله عز وجل أو رسوله ﷺ أو يسب الإسلام ينقض عهده ويحل دمه من قبل الإمام.

٦- عن النبي ﷺ قال: **{لكل غادر لواء يوم القيامة، قال أحدهما: ينصب، وقال الآخر: يرى يوم القيامة يعرف به}**[٢].

## باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير نحوه:

٧- **{كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر، فنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية، فسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء، فرجع معاوية}**[٣]

ينبذ إليهم على سواء: أي قل لهم قد نبذت إليكم عهدكم وأنا مقاتلكم ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواء، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك، فيكون ذلك خيانة وغدراً.

وفي صحيح مسلم: **{لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم من أمير عامة}**.

وإنما كان الغدر في حق الإمام أعظم وأفحش منه في غيره لما في ذلك من المفسده، فإنهم إذا غدروا وعلم ذلك منهم ولم ينبذوا بالعهد لم يأمنهم العدو على عهد ولا صلح، فتشتد شوكته، ويعظم ضرره، ويكون ذلك منفرا عن الدخول في الدين، وموجبا لذم أئمة المسلمين، فأما إذا لم يكن للعدو عهد فينبغي أن يتحيل عليه بكل حيلة، وتدار عليه كل خديعة، وعليه يحمل قوله ﷺ: **{الحرب خدعة}**.

وقد اختلف العلماء هل يجاهد مع الإمام الغادر؟ على قولين: فذهب أكثرهم أنه لا يقاتل معه بخلاف الخائن والفاسق. وذهب بعضهم إلى الجهاد معه.

## الغلول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، فقال: **{ لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، على رقبته فرس له حمحمة، يقول يا رسول الله: أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، وعلى رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك}**[٤].

٢- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: **{كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة فمات، فقال رسول الله ﷺ: هو في النار، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها}**[٥].

٣- عن ابن عمر رضي الله عنه قال: **{كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب فنأكله ولا نرفعه}**[٦].

٤- **{عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ توفي يوم خيبر، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: صلوا على صاحبكم، فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: إن صاحبكم غلّ في سبيل الله، ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين}**[٧].

---

١- رواه البخاري، لم يرح: لم يجد لها ريحا، وفيه ثلاث لغات، يَرَح، يُرِح، يَرِح ٢- رواه البخاري ٣- أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه النسائي ٤- رواه البخاري ومسلم الغلول: السرقة من الغنيمة، ثغاء: صوت الشاة، رغاء: صوت البعير وذوات الحافر، حمحمة: صوت أنفاس الفرس عند تقديم العلف له وهو دون الصهيل، صامت: الذهب والفضة، رقاع تخفق: ما عليه من الحقوق مكتوب على رقاع، ألفين: أجدَن، تخفق: تتحرك

٥- رواه البخاري، كركرة: بفتح الكافين أو بكسرهما. ٦- رواه البخاري ٧- أخرجه مالك وابن ماجة بإسناد صحيح

الحراسة:

١- {حرم الله على عينين أن تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر}[١].

نصرة المجاهدين:

١- {ما من امرئ يخذل امرءاً مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته}[٢].

٢- {من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا}[٣].

٣- {من جهز غازياً في سبيل الله كان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجر الغازي شيئا}[٤].

٤- {أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله}[٥].

٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه: {إن لله تعالى عباداً يضن بهم عن القتل، ويطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسن أرزاقهم، ويحييهم في عافية، ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش، ويعطيهم منازل الشهداء}[٦].

قال عبد الله بن رواحة: {تطعموني السحت، والله لقد جئتكم من أحب الناس إليّ، ولأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم على أن لا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض}[٧].

{كان ينكح منه أيمنا، ويحذي منه عائلنا، ويقضي منه عن غارمنا}[٨].

---

١- حسن رواه الحاكم والبيهقي، وهو في صحيح الجامع برقم (٣١٣١).

٢- حسن، رواه أحمد وأبو داود والضياء عن جابر وأبي طلحة بن سهل، وهو في صحيح الجامع برقم (٥٥٦٦).

٣- صحيح، متفق عليه عن زيد بن خالد، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٠٦٩).

٤- صحيح رواه ابن ماجة عن زيد بن خالد، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٠٧٠).

٥- أخرجه الطبراني (الصحيحة ١٧٢٨).

٦- قال البيهقي: رواه الطبراني وفيه جعفر بن محمد الواسطي الوراق ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

٧- جامع الأصول (٢/٣٦).

٨- ابن عباس عن عمر في سهم أولي القربى.

ملاحظة. هذا الكتاب (اتحاف العباد) اتحاف القلوب المؤمنة الصابرة على مشاق الجهاد والتي تحملت من العذاب في هذا الطريق ما تنوء به الجبال الراسيات.

معالم لمن أراد أن يشمّر عن ساقيه وساعديه ليخوض غمار المعارك وساحات الوغى في سبيل رضى الرؤوف الرحيم.

شهد في حلوق عشاق الجنان وطلاب رضى الرحمن للفوز بأعلى وأسمى مكان في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

قبس من نور النبوة للفئة المؤمنة الثابتة على الحق إلى يوم الدين.

راجين ممن ينتفع بهذا الكتاب الدعاء للإمام الشهيد عبدالله عزام (الناشر)

# في الجهاد آداب وأحكام

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، و يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه بعض شذرات من أحكام الجهاد كتبتها بعد أن كاد يصبح نسياً منسياً، وأصبحت آيات الجهاد في سبيل الله ء الكثيرين من الناس تؤول بأنها الدعوة والكتابة عن الإسلام، وأصبح القتال ظاهرة مستغربة في حياة المسلمين، ونرجو الله عز وجل يتقبل محاولتنا لإعادة الجهاد إلى مكانه الطبيعي في أذهان المسلمين -على الأقل- وفي طريقة تفكيرهم، وإن كان الواقع العم للمسلمين بعيداً بعداً شاسعاً عن الجهاد الفعلي، وعن الحكم الشرعي الواقعي.

**وفي هذه العجالة:**

حاولنا أن نكتب بعض أحكام الجهاد وآدابه لعلنا نستفيد ونفيد، ونرجو الله أن يتقبل منا أعمالنا، وأن يجعلها خالصة لوج ونضرع إليه سبحانه أن يرزقنا حياة السعداء وخاتمة الشهداء، والحشر في زمرة المصطفى ﷺ إنه سميع قريب مجيب.

الفقير إلى الله تعا

الدكتور عبدالله عز

بسم الله الرحمن الرحيم

## الجهاد لغة واصطلاحاً:

الجهاد لغة: مأخوذ من جهد -يجهد- جهداً، فالمصدر الجهد بالضم أو الفتح، وهو الوسع أو الطاقة، وقيل: الجهد (بالضم) وهو الوسع والطاقة، والجهد (بالفتح) هو المشقة.

ويستعمل الجهد (بالفتح) بمعنى الغاية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي غاية ونهاية قسمهم.

فالجهد والجهاد في اللغة: بذل أقصى ما يستطيعه الإنسان من طاقة لنيل محبوب أو لدفع مكروه، أنظر لسان العرب والقاموس المحيط..

## الجهاد شرعاً واصطلاحاً:

اتفق الفقهاء الأربعة أن الجهاد هو القتال والعون فيه.

وإليك تعريفات الفقهاء الأربعة:

١- **الحنفية:** جاء في فتح القدير لابن الهمام (١٨٧/٥): (الجهاد: دعوة الكفار إلى الدين الحق وقتالهم إن لم يقبلوا)، وقال الكاساني في البدائع (٤٢٩٩/٩) بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس واللسان وغير ذلك.

٢- **المالكية:** قتال المسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله ، أو حضوره له، أو دخوله أرضه له[1] .

٣- **الشافعية:** قال الباجوري: (الجهاد أي: القتال في سبيل الله) الباجوري -ابن القاسم- (٢٦١/٢)، وقال ابن حجر-الفتح (٢/٦) (وشرعاً بذل الجهد في قتال الكفار).

٤- **الحنبلية:** (قتال الكفار)، أنظر مطالب أولي النهى (٤٩٧/٢) (الجهاد: القتال وبذل الوسع منه لإعلاء كلمة الله تعالى)[2]

## وخلاصة القول:

إن كلمة الجهاد إذا أطلقت فإنها تعني القتال، وكلمة (في سبيل الله) إذا أطلقت تعني الجهاد.

يقول ابن رشد في مقدماته (٣٦٩/١): (وجهاد السيف: قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

ويقول ابن حجر في فتح الباري (٢٩/٦): (والمتبادر من لفظ سبيل الله الجهاد).

# آداب القتال وأحكامه

لقد شرع القتال في الإسلام لنشر الدعوة الإسلامية، وإنقاذ البشرية من الكفر، ونقلهم من ظلمة الدنيا إلى نور الدنيا والآخرة.

ولذا فإن القتال في هذا الدين الحنيف لإزالة العقبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية أمام الدعوة الإسلامية، بل تستطيع أن تقول أن وظيفة الجهاد (القتال): هو تحطيم الحواجز التي تقف دون نشر هذا الدين في ربوع العالمين، فإن قبل الناس هذا الدين فلا حاجة لإشهار سيف، ولا إراقة دماء، ولا إتلاف منشآت وأموال، لأن هذا الدين جاء للإصلاح والإعمار لا للإتلاف والدمار.

والقتل والقتال ضرورة مفروضة على المسلمين لأنهم يحملون راية التوحيد، وهم مأمورون بنشرها فوق كل رابية وسهل، والضروة تقدر بقدرها.

---

١- (حاشية العدوي، الصعيدي (٢/٢)، والشرح الصغير -على أقرب المسالك- للدردير (٢٦٧/٢).

٢- أنظر عمدة الفقة ص(١٦٦)، ومنتهى الإرادات (٣٠٢/١).

فإذا لم نستطع تبليغ الدعوة إلا بقتال الأنظمة السياسية والسلطات القائمة قاتلناهم لأنهم يحولون بيننا وبين تبليغ الناس.

فإذا وقف أمامنا القوة السياسية وأصحاب الأموال وتجمعات القبائل اضطررنا لمواجهتهم بالسلاح حتى يستسلموا لهذا الد ويفتحوا الطريق بيننا وبين الشعوب التي أمرنا بإنقاذها.

**(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير)** (الأنفال: ٣٩)

فالقتال لإزالة الفتنة، وتحطيم الطغمة التي تعبد الناس لأنفسهم من دون الله، فإن استسلمت هذه الطغمة وألقت السلم فلا حا لإشهار السلاح ولا ضرورة لقتل الناس.

ولذا فإن الإسلام يحرص أولاً على إنقاذ الناس -حتى الطواغيت- من النار: من نار الجاهلية في الدنيا ومن جحيم الآخر ولذا قال ﷺ لعلي حينما سلم الراية يوم خيبر: **[فو الله لئن يهتدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم]** متفق عليه.

ومن هنا فالقتال في الإسلام ضرورة لإنقاذ الشعوب المستضعفة والقطعان المستعبدة للآلهة البشرية، فلا بد من إنزال هذ الآ البشرية إلى مقام العبودية وإنقاذ العبيد وتحريرهم، فإن أبت هذه الأرباب الآدمية أن تنزل من عليائها فلا بد من تحطيم كبريا وإعادتها إلى حجمها الطبيعي وإلى حدها الحقيقي الذي تخطته ظلما وعدوانا على بحور الدماء وجماجم الأبرياء وأشلاء الشهداء.

ومن هنا فإن الإسلام يعلن مبادئ كبرى، ويخط خطوطاً واضحة تعتبر قواعد عامة في الجهاد، وأهمها: أن القتال لنشر الد الإسلامية، فمن لم يقف في طريقها فلا يجوز قتاله، ولذا:

١- لا بد من عرض الدعوة على الناس قبل قتالهم، ولا يجوز قتالهم قبل تبليغهم الدعوة.

٢- لا يجوز قتل الذين لا يقاتلون « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » وقاتل (فاعل): صيغة مشاركة، أي: يجب أن يكون الذي يقا المسلمون مقاتلاً، ولا يجوز قتال الذين ليس لهم شوكة ولا بأس ولا تخشى منهم الفتنة كالأطفال، والنساء، والمقعدين، والذمّي والرهبان، والمنعزلين عن الناس.

٣- لا يجوز إتلاف الأموال ولا قطع الشجر ولا حرق البيوت إلا بقدر الضرورة لإزالة الحواجز أمام الدعوة.

٤- لا يجوز بعد القتال تمثيل (مثلة) ولا تشويه للموتى.

٥- لا يجوز بعد الاستسلام والذمة والعهد قتال ولا غدر ما وفوا بذمتهم وعهدهم.

**(إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يح المتقين)** (التوبة: ١٦٠)

**[لكل غادر لواء يوم القيامة]** حديث صحيح.

والآن نشرع في تفصيل هذه المبادئ العامة:

## عرض الدعوة

اختلف العلماء في إنذار الناس قبل قتالهم على ثلاث مذاهب:

**أولاً: المذهب الأول.**

يجب إنذارهم سواء بلغتهم الدعوة من قبل أو لم تبلغهم ( وإلى هذا ذهب الإمام مالك).

**ثانياً:** لا يجب مطلقاً سواء بلغتهم أو لم تبلغهم ولكن تستحب.

**أولاً:** دليل الإمام مالك بوجوب الإنذار لمن بلغته أو لم تبلغه هو حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **[ما قاتل رسول الله ﷺ قو قط إلا دعاهم]**[1].

قال الخطاب: قال مالك: ( لا يقاتل المشركون حتى يدعوا)[2].

(١) راه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح، وحديث سليمان بن بريدة -نيل الأوطار (٧/٢٣٠)-

٢- مواهب الجليل للحطاب (٣/٣٥٠).

ويبدو أن الإمام أبا يوسف مع هذا الرأي، قال أبو يوسف في الخراج (٢٠٧): (لم يقاتل رسول الله ﷺ قوماً قط فيما بلغنا حتى يدعوهم إلى الله ورسوله).

حديث سليمان بن بريدة –نيل الأوطار (٧/٢٣٠)–: عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرا على جيش أو سرية توصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: **[أغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدة، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا عنها فخبرهم أنهم يكونون كعرب المسلمين، تجري عليهم الذي تجري على المسلمين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة شيء إلا أن تجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم]**[1] .

## ثالثاً: مذهب الجمهور.

يجب إنذارهم إذا لم تبلغهم ولا يجب إذا بلغتهم.

قال الشافعي: قال الرملي في نهاية المحتاج (٨/٦٤): (ومن علمنا عدم بلوغه الدعوة لا نقاتله حتى يعرض عليه الإسلام حتماً –وإن ادعى بعضهم استجابة–، وإلا أثم وضمن كما مر في الديات، أما من بلغته فله قتله).

قال الحنفية: قال السرخسي شرح السير (١/٧٧): فإن بلغتهم الدعوة فإن شاء المسلمون دعوهم دعاء مستقلاً على سبيل الإعذار والإنذار، وإن شاؤوا قاتلوهم بغير دعوة لعلمهم بما يطلب منهم، وربما يكون في تقديم الدعاء ضرر بالمسلمين، فلا بأس أن يقاتلوا بغير دعوة)، وأفضل دليل يشهد للمذهب الثاني هو الحديث الذي في الصحيحين عن ابن عوف قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال، فكتب إليّ: إنما كان ذلك في أول الإسلام، **[وقد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقي على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث، حدثني به عبدالله بن عمر وكان في ذلك الجيش]**.[2]

إذن مدار الخلاف هو التعارض بين حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **(ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً قط إلا دعاهم)**[3]. فقد أخذ مالك بحديث ابن عباس رضي الله عنهما لأنه قول، والقول مقدم على الفعل.

وأخذ الفريق الثاني: (الذين يرون عدم وجوب الإنذار سواء وصلت الدعوة أم لا) بحديث نافع، واعتبار فعله ﷺ بغزوة بني المصطلق ناسخا لحديث ابن عباس.

وأما الجمهور: فقد أخذوا بالجمع بين الحديثين، وفي كلام نافع ما يشير إلى الجمع، إنما كان ذلك في أول الإسلام أي: عندما لم تكن الدعوة قد بلغت الناس، فعندما بلغت الدعوة الناس لم تبق حاجة للإنذار قبل القتال.

والجمع بين الحديثين أولى: لأن الجمع مقدم على النسخ والترجيح، وكذلك حديث ابن عباس عام، وحديث نافع خاص، والخاص مقدم على العام.

ومن هذا الحديث فهم الإمام أحمد رأيه، قال أحمد في المغني (٨/٣٦١): (إن الدعوة قد بلغت وانتشرت، ولكن إن جاز أن يكون قوم خلف الروم والترك على هذه الصفة أي: عدم بلوغهم الدعوة لم يجز قتالهم قبل الدعوة، كذلك كان رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام، ولا أعرف اليوم أحدا يُدعى، فقد بلغت الدعوة كل أحد).

ورأي الجمهور الراجح الذي تدعمه الأدلة النقلية والعقلية.

روى البخاري عن البراء بن عازب: **[بعث رسول الله ﷺ رهطا من الأنصار إلى أبي رافع، فدخل عبد الله بن عتيك بيته فقتله وهو نائم]** رواه البخاري، والشاهد: أن عبد الله بن عتيك قتل أبا رافع (عبد الله بن أبي الحقيق) وهو نائم دون إنذار.

---

١- رواه مسلم وأحمد وصححه الترمذي.     ٢- متفق عليه –نيل الأوطار (٧/٢٣٢)–     ٣-حديث صحيح رواه أحمد وحديث نافع السالف الذكر

# قتل النساء والولدان والشيوخ

قد بينا من قبل أن الإسلام لا يقتل إلا المقاتلة، أو الذين يعدون المشركين وأعداء الإسلام بمال أو برأي، لأن الآية: (وقاتلوا سبيل الله الذين يقاتلونكم....) (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله...).

والمقاتلة: مفاعلة في المشاركة من الجانبين، فمن قتل أو اشترك بوسيلة ما في القتال فإنه يقتل ويقاتل، وإلا فلا حاجة إلى قتـ

ولذا فلا حاجة لقتل النساء لضعفهن إلا إذا قاتلن، ولا لقتل الأطفال، ولا الرهبان عن قصد، إلا إذا اختلطوا بالمشركين، نستطع أن نضرب المشركين المقاتلين منفردين، فهنا نضرب المشركين ولا نقصد الضعفة.

إن التنكيل بالذرية والضعفة يورث الأحقاد لأجيال كثيرة، ويسطره التاريخ بمداد الدموع والدماء لتتناقله الأجيال جيلا جيل، وهذا الذي لا يريده الإسلام.

إن الإسلام يريد أن يحبب الناس به، ويريد أن يحبب الله ورسوله ودينه إلى الناس، ولكن الإسلام في نفس الوقت لا يربّت شهوات الناس، ولا يغير منهاجه إرضاءً لأهوائهم: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) (المؤمنون:٧١).

وقد اختلفت آراء العلماء في هذه القضية على مذاهب:

**المذهب الأول:** لا يجوز قتل النساء والولدان بأي حال: (وهو مذهب مالك والأوزاعي) حتى لو تترس الكفار بأطفالهم ونسائهم يجوز رميهم، ولو تحصنوا في حصن ومعهم ذريتهم لا يجوز رميهم بالمنجنيق وغيره.

**المذهب الثاني:** لا يقصد الضعفة بالقتل إلا إذا قاتلوا أو اختلطوا بالمقاتلين بحيث لا نستطيع مقاتلة بدون قتلهم، وهذا الشافعية والحنفية.

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية (٤١): (ولا يجوز قتل النساء والولدان في حرب ولا في غيرها مالم يقاتلوا، لنهي ا ﷺ عن قتلهم).

قال السرخسي في المبسوط (٣١/١٠): ولا يمتنع تحريق حصونهم بكون النساء والولدان فيها، وكذلك لا يمنع تحريق حصو بكون الأسير المسلم فيها، ولكن يقصدون المشركين.

ويجوز قتل الشيخ الكبير إن كان ذا رأي، كما أقر رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري على قتل (دريد بن الصمة) وقد تـ المائة، والحديث في الصحيحين.

ولا يقتل الأعمى ولا المقعد ولا المعتوه من الأسارى لأنه إنما يقتل من يقاتل (والمقاتلة من الجانبين)، ولا بأس بإرسال الماء مدينة أهل الحرب وحرقهم بالنار ورميهم بالمنجنيق، وإن كان فيهم أطفال أو ناس من المسلمين...، ويحل رميهم وإن تترسوا بأط المسلمين، وقد بين رسول الله ﷺ العلة في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود، وإن كان فيه مقال بسبب المرقع بن صفي أن رسول ﷺ مر على امرأة مقتولة فقال: [ما كانت هذه لتقاتل] إذن العلة في القتل والمقاتلة، فمن كان من أهل القتال قتل وقوتل.

ومدار خلاف الأئمة حول الأحاديث المتعارضة ظاهراً:

فمالك: أخذ بعموم النص، نص ابن عمر رضي الله عنهما -قال: (وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي ﷺ فنهى ر الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان) [1].

أما الشافعية: فيستدل لهم بأن هذا النص عام وله مخصص من حديث الصعب بن جثامة أن رسول الله ﷺ سئل عن أهل ا من المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم وذراريهم، قال: [هم منهم] رواه الجماعة إلا النسائي، زاد أبو داود، وقال الزهري: ثم رسول الله ﷺ عن قتل النساء والولدان.

إن هذا وإن كان يستدل به من تمسك بالنهي عن قتل النساء والولدان مهما كان الأمر، ويرى قول الزهري ناسخاً، إلا أنه يـ للشافعية والحنفية الحديث الذي رواه الترمذي مرسلاً (نصب رسول الله ﷺ المنجنيق على أهل الطائف).

١- رواه الجماعة إلا النسائي -نيل الأوطار (٢٤٦/٧)-.

والحديث الذي رواه سلمة بن الأكوع: [**بيتنا هوازن مع أبي بكر الصديق وكان أمره علينا رسول الله ﷺ**] [1].

والبيات: هو الاغارة في الليل، وغزو الطائف وهوازن كان في أواخر حياة النبي ﷺ.

أما منع الجيش المسلم من قتال المشركين إذا اختلطوا بأطفالهم على أية حال فهذا يعني وقف القتال ضدهم، وفي هذا خطر على المسمين وإضرار بمصالح المجتمع المسلم، خاصة الأيام التي أصبح القتال فيها قذائف بعيدة المدى من المدفعية والطائرات والدبابات، وهذا يعني منع استعمال هذه جميعها وإيقافه.

فإذا كان الفقهاء باتفاق أباحوا قتل المسلمين حالة تترس الكفار بهم، فكيف لا يبيحون حرب الكفار إذا كان معهم أطفالهم ونساؤهم؟!

هل حرمة دماء نساء المشركين وأطفالهم أشد حرمة من دماء المسلمين؟

ثم إن المنع من قتل النساء اليوم إن كانت المرأة لا تشترك في الحرب، ولا تدخل في الجيوش، ولا تعتنق مبادئ كالشيوعية وغيرها تقاتل دونها وتموت في سبيلها... أما الآن فقد تغير الوضع، وأصبحت المرأة لا تفترق -في هذه الناحية- كثيراً عن الرجل.

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٣٧/٢٨): إن الأمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يقتلوا فإنه يجوز أن يرميهم ونقصد الكفار، ولو لم تخف على المسلمين جاز رمي أولئك المسلمين أيضاً في أحد قولي العلماء.

قال ابن العربي في أحكام القرآن (١٠٤/١): لا تُقتل النساء إلا أن يقاتلن، لنهي النبي ﷺ عن قتلهن، وهذا ما لم يقاتلن، فإن قاتلن قتلن.

وقد فرق الشافعية بين قتل الأطفال والنساء وبين قتل الرهبان والشيوخ والعمي، فقد حرموا قصد قتل النساء والولدان إلا للضرورة، فقال الرملي (٦٤/٨): وتحريم قتل صبي ومجنون وامرأة -ولو لم يكن لها كتاب- وخنثى مشكل ومن به رمق، ما لم يقاتلوا أو يسبوا الله أو أحد رسله ﷺ.

أما بالنسبة للراهب والشيخ: فقال الرملي (٦٤/٨): ويحل قتل راهب وأجير وشيخ وأعمى ومن لا قتال منهم ولا رأي في الأظهر لعموم قوله تعالى: (...اقتلوا المشركين...)، والثاني لا يحل قتلهم.

## قتل الراهب

أما الراهب فمدار القتل وعدمه على الخلطة مع الناس، فإن خالط الناس قتل.. وإن كان معتزلاً لعبادته يترك.

وقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: [**اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع**] [2]

جاء في المبسوط للسرخسي (١٢٧/١٠) قال أبو يوسف ومحمد ورواية السير الكبير عن أبي حنيفة: لا يقتلون.

قال أبو يوسف: (سألت أبا حنيفة عن أصحاب الصوامع والرهبان فرأى قتلهم حسناً، وقال: هؤلاء أئمة الكفر، والجمع بين روايتي أبي حنفية... الخلطة مع الناس، فمن اختلط يقتل، ومن لا يختلط لا يقتل.

## قتل شيوخ المشركين والمرضى والعمي والزمنى

اختلف في قتل المشركين على رأيين:

١- فمنهم من ألحق الشيوخ بالأطفال والنساء كالحنفية ومالك، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود عن أنس مرفوعاً: [**لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً**]. والحديث فيه خالد بن الفزر وليس بذاك.

وقد قال الفقهاء أن مناط (علة) عدم قتلهم هي نفسها الموجودة في الأطفال، إذ ليس لهم نفع للمشركين ولا ضرر على المسلمين.

قال ابن نجيم في البحر (٨٤/٥): (ولا تقتل امرأة ولا غير مكلف، وشيخ فان وأعمى، ومقعد إلا أن يكون أحدهم ذا رأي في

---

١- رواه أحمد وأبو داود وسكت عليه المنذري.

٢- رواه أبو داود وفيه إبراهيم بن إسماعيل وهو ضعيف وثقه أحمد

الحرب).

٢ـ ومنهم كالشافعية -على الأصح- من أباح قتلهم، ويستدل بحديث في الصحيحين: [بأن أبا عامر الأشعري قتل در الصمة وقد نيف على المائة عام...].

ويستدل لهم كذلك بحديث عند أحمد والترمذي وصححه عن سمرة: [اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم][1] .

وقد علل أحمد بن حنبل أمره ﷺ بقتل الشيوخ أن لا يكاد يسلم، أما الصغير فهو الأقرب إلى الإسلام.

ويضاف إلى هذا أن الشيوخ غالباً لهم رأي ومكيدة في الحرب، فدريد بن الصمة قد نصح مالك بن عوف أن لا يأخذ ا والنساء فرفض، فقال بعد الهزيمة:

| | |
|---|---|
| *أمرتهم أمري بمنعرج اللوى* | *فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد* |
| *فلما عصوني كنت منهم وقد أرى* | *غوايتهم وأنني غير مهتد* |
| *وهل أنا إلا من غزية إن غوت* | *غويت وإن ترشد غزية أرشد* |

ومما استدل به هؤلاء الفريق عموم قوله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فكلمة المشركين عام لدخول الاستغرافية -الشمولية- على الجمع، فلا بد لتخصيص الشيوخ من نص ولا يوجد نص صحيح.

قال ابن المنذر: (لا أعرف حجة في ترك قتل الشيوخ يستثنى بها من عموم قوله تعالى: (فاقتلوا المشركين)، ولأنه كافر ! في حياته فيقتل كالشاب.

وخلاصة الأمر والذي نرجحه والله أعلم:

أن من كان به فائدة للمشركين أو غيره فإنه يقتل -شيخاً كان أو راهباً أو مقعداً-.

وأما الشيخ الهرم -الخرف- والراهب المعتزل والمريض الذي يعاني من آلامه، وهم الذين ليس لهم نفع للكفر، ولا ضرر المسلمين، فالأولى تركهم للنصوص الواردة (وإن كان فيها ضعف وظلم لأن القياس يدعمها بجانب عدم النفع والضرر)[2] ..

وقد أوصى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان قائلا له: (ولا تقتلن امرأة ولا صبية ولا كبيراً هرماً)، أخرجه مالك في الموطأ.. الموطأ بشرح الزرقاني (٣/٢٩٠) ولكن الحديث مرسل.

وفي المبسوط للسرخسي (١٠/١٢٧): قال أبو يوسف: سألت أبا حنيفة عن قتل النساء والصبيان والشيخ الكبير الذي لا القتال والذين بهم زمانة لايطيقون القتال، فنهى عن ذلك وكرهه.

## قتل النساء الشيوعيات في أفغانستان

أما النساء الشيوعيات في أفغانستان فيجب قتلهن سواء اشتركن في الحرب أو في الرأي أم لم يشتركن، وسواء انفرد اختلطن، وسواء كانت واحدة أو مجموعة، لأنهن ذوات عقائد يكافحن ضد الإسلام، ويؤذين الإسلام والمسلمين، وقد ثبت أن رسو ﷺ قال عن امرأتين كانتا لبني عبد المطلب، وكن يؤذين الرسول ﷺ وأهله والإسلام بالكلام، فقال فيهما وفي مجموعة من الر [أقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة...].

## قطع الأشجار وقتل الحيوانات

أولاً: اتفق جمهور الفقهاء الأربعة أن كل ما فيه مصلحة للمسلمين أو مضرة بالكافرين أثناء المعركة أو الإعداد لها يجوز سواء كان هذا الفعل قتل إنسان أو حيوان، أو قطع شجر، أو تدمير بناء، لأن المقصود بالمعركة ابتداء وانتهاء إزالة الفتنة ونشر ا وإعلاء دين الله، فإذا أباح الإسلام قتل البشر الذين يقفون أمام الدعوة فمن باب أولى يجوز إتلاف أموالهم إن كان فيها إضرار ب إجبار لهم على الخضوع لهذا الدين.

١- رواه النسائي. ٢- أنظر نيل الأوطار ٧/٢٤٨.

وفي النصوص شاهد لما ذهب إليه الفقهاء الأربعة:

١ـ ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قطع نخل بني النضير وحرقه فيها.

يقول حسان:

*وهان على سراة بني لؤي* *حريق بالبويرة مستطير*

وفي ذلك نزلت: (**ما قطعتم من لينة أو تركتموها...**) السراة: جمع سري وهو الرئيس.

لؤي: أحد أجداد النبي ﷺ، أراد حسان تعيير مشركي قريش بما وقع في حلفائهم من بني النضير.

البويرة: جهة قبالة مسجد قباء، لينة: نخلة لينة الثمر، أو النخلة الكريمة ما لم تكن برنيه أو عجوة، لأنهم كانوا يقتاتون العجوة والبرني دون اللينة، وقيل (الدقل من النخل).

قال السهيلي: في تخصيص اللينة بالذكر إيماء إلى أن الذي يجوز قطعه من شجر العدو هو ما لايكون معدا للاقتيات، وكذا ترجم البخاري في التفسير: (ما قطعتم من لينة) فقال: نخلة ما لم تكن برنية أو عجوة) نيل الأوطار (٢٥١/٧). وهذا استنباط لطيف دقيق، لأنه لا بد أن يبقى للإنسان -مشركاً أو كتابياً- ما يقتات به، لا أن يفعل المسلمون كما فعل ستالين بالمسلمين من أهل القرم وقفقاسيا وتركستان الذي أحرق محاصيلهم وتركهم يموتون جوعاً.

لقد حدثني أهالي قفقاسيا أن آباءهم أكلوا أبناءهم وأمهاتهم الذين ماتوا قبلهم، فكان كل واحد ينتظر موت الآخر حتى يأكله قبل أن يموت، أو كما تفعل روسيا الآن بأفغانستان، ويكفيك أمثلة واضحة هرات، بادغيس، وقندهار ومجاعاتها.

٢ـ ومما استدل به الفقهاء الأربعة حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ على قرية يقال لها ابنى، فقال: (**ائتها صباحاً ثم حرق**) رواه أبو داود وسكت عليه المنذري وفيه صالح بن الأخضر قال البخاري: هو لين واعتبره أحمد.(أبني: بلد في فلسطين.)

**١ـ رأي المالكية:**

قال ابن العربي بعد أن ذكر أن رسول الله ﷺ أحرق نخل بني النضير (ولكنه قطع وحرق ذلك نكاية لهم ووهنا فيهم حتى يخرجوا عنها، فإتلاف بعض المال لصلاح باقيه مصلحة جائزة شرعاً مقصودة عقلا)أحكام القرآن لابن العربي.

**٢ـ رأي الحنفية:**

قال السرخسي (٣١/١٠): ولا بأس بأن يحرقوا حصونهم ويغرقوها بالماء، ويخربوا البنيان، ويقطعوا الأشجار لأن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير.

وقال الكاساني في البدائع (٣٠٦/٩): (ولا بأس بقطع أشجارهم المثمرة وغير المثمرة وإفساد زروعهم، ولا بأس بإحراق حصونهم بالنار، وإغراقها بالماء وتخريبها وهدمها عليهم، ونصب المنجنيق عليهم... لأن كل ذلك من باب القتال، لما فيه من قهر العدو وكبتهم وغيظهم، ولأن حرمة الأموال لحرمة أربابها، ولا حرمة لأنفسهم حتى يقتلوا، فكيف بأموالهم؟).

وانظر هذا الفهم الدقيق واستنباط هذه القاعدة العظيمة بأن حرمة الأموال لحرمة أربابها، فإذا أهدرت حرمة رب المال فمن باب أولى إهدار حرمة أمواله.

**٣ـ رأي الشافعية:**

قال الرملي (٦٧٠/٨): (يجوز إتلاف بنائهم وشجرهم لحاجة القتال والظفر بهم، لاتباع ذلك في نخل بني النضير النازل فيه أول الحشر بما زعموه فساداً).

**٤ـ أما الحنابلة:**

جاء في المغني (٤٥٢/٨): (ولا يقطع شجرهم، ولا يحرق زرعهم إلا أن كانوا يفعلون ذلك في بلادنا فيفعل ذلك بهم لينتهوا).

وجملته أن الشجر والزرع ينقسم ثلاثة أقسام:

أحدهم: ما تدعو الحاجة إلى إتلافه كالذي يقرب من حصونهم، ويمنع من قتالهم، أو يستترون به من المسلمين، أو يحتاج إلى قطعه لتوسعة طريق، أو تمكن من قتل، أو سد شق، أو إصلاح طرق، أو ستارة منجنيق أو غيره، أو يكونون يفعلون ذلك بنا فيفعل بهم ذلك لينتهوا، فهذا يجوز بغير خلاف نعلمه.

الثاني: ما يتضرر المسلمون بقطعه لكونهم ينتفعون ببقائه لعلو منهم، أو يستظلون به، أو يأكلون من ثمره، أو تكون العادة لم تجر بذلك بيننا وبين عدونا، فإذا فعلناه بهم فعلوه بنا، فهذا يحرم لما فيه من الإضرار بالمسلمين.

الثالث: ما عدا هذين القسمين مما لا ضرر فيه للمسلمين ولا نفع سوى غيظ الكفار والإضرار بهم ففيه روايتان.

أحدهما: لا يجوز.. لحديث أبي بكر ووصيته، وقد روي نحو ذلك مرفوعا إلى النبي ﷺ، ولأن فيه إتلافاً محضاً، فلم يجز كعقر الحيوان، بهذا قال الأوزاعي والليث وأبو ثور.

والرواية الثانية: يجوز.. بهذا قال مالك والشافعي وإسحاق وابن المنذر.

قال إسحق: التحريق سنة إذا كان أنكى في العدو لقول الله تعالى: (**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين**).

وروى ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع وهو البويرة، فانزل الله تعالى: (**ما قطعتمْ من لينة**)، (متفق عليه)، ولها يقول حسان:

*وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير*

ويرى مجموعة من الفقهاء كراهية قطع الشجر المثمر مثل الأوزاعي وأبي ثور، واستدلوا بعموميات لا تقف أمام نصوص الجمهور، منها:

أ. قوله تعالى في سورة البقرة: (**وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**).

ب. وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان: عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر بعث جيوشاً إلى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان.... فقال: إني موصيك بعشر خلال: (**لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيراً هرما، ولا تقطع شجراً مثمراً ولا تخرب عامراً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكله ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه ولا تغلل ولا تجبن**)[1] . الخبنة: ما تحمله في حضنك، وفي الحديث: (ولا يتخذ خبنة) -أ. هـ المختار-.

وهذا الأثر مرسل، إذ أن يحيى لم يدرك أبا بكر، ولو كان متصلاً صحيحاً فإنه لا يقف أمام فعل رسول الله ﷺ بأنه أحرق نخل بني النضير كما مر في الصحيحين، لأنه إذا تعارض كلام الصحابي مع الحديث المرفوع يقدم الحديث المرفوع.

وأما الآية الكريمة فهي تتكلم عن الإفساد في الأرض، ومن يستطيع الإدعاء أن قطع الجيش المسلم للشجر المثمر إفساد في الأرض، فإذن ماذا نسمي قتل الجيش الإسلامي للأطفال والنساء والشيوخ عند الحاجة؟!

إن الجهاد ذاته إتلاف لنفوس صفوة البشر وخيار الناس من المؤمنين والمسلمين للحفاظ على الدين، لأنه إذا تعارض حفظ الدين وحفظ النفس، فحفظ الدين أولى... ولذا يقتل المرتد.

ولذا فالجهاد نفسه تعزير بالنفس، ألا ترى أن الغلام قتل نفسه من أجل نشر الدين؟

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٥٠): (إن الغلام أمر بقتل نفسه من أجل مصلحة ظهور الدين، ولهذا جوز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين).

جاء في أحكام الجصاص (١/ ١٢٦٢): قال محمد بن الحسن في السير الكبير: (لو أن رجلا حمل على ألف رجل وحده لم أر بذلك بأسا إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية، وإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه مما يرهب العدو فلا بأس بذلك، لان هذا أفضل النكاية وفيه منفعة للمسلمين).

قال الجصاص: (فأما إذا كان في تلف نفسه منفعة عائدة على الدين فهذا مقام شريف مدح الله به أصحاب النبي ﷺ فقال:

---

١- رواه مالك في الموطأ -نيل الأوطار (٧/ ٢١٩)

{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة}.

أما الآية: {وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها..} فقد نزلت في الأخنس بن شريق عندما جاء إلى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه، ثم عندما خرج أحرق الزروع وعقر المواشي، فاستعمال هذه الآية مع الجيش المسلم -إذا اضطر لقطع الأشجار- ليس له أدنى مناسبة بالموضوع.

نعود فنقول: كل ما كان في مصلحة الجهاد من نفع للمسلمين أو إضرار للكافرين فهذا يفعل لأن مصلحة الجهاد مقدمة على كل شيء.

وتقدير المصلحة يرجع إلى رأي القائد العسكري في أرض المعركة، فإن كان في قتل الكفار، وإتلاف أموالهم، وقطع أشجارهم مصلحة فهذا لا بأس من فعله، بل لا بد من فعله لإعلاء كلمة الله. والقائد عادة يقدر إن كانت هذه الأموال بعد المعركة ستؤول إلى أيدي المسلمين بأن يكون غنائم أو ترجع إليهم فيئا فلا يمكن للقائد أن يتلفها لأنه يضيع مصالح المجاهدين، وفيه إتلاف للأموال بلا فائدة، وهو محرم سواء في السلم أو في الحرب.

أما إذا كان يظن أن العدو سيظفر بالمسلمين أو يغلبهم فإن القائد العسكري قد يتلف الأموال والسلاح والذخائر التي بين يديه مما لا يستطيع حمله معه إلى قواعد المسلمين.

## حكم الحيوانات

إن بعض الفقهاء نصوا على أن الحيوانات المؤذية والنجسة كالكلاب تقتل في السلم والحرب... أما غير المحترم ككلب عقور، فيجوز بل يندب إتلافه مطلقاً.. أما الحيوانات غير المأكولة مما يستفاد منه في الحرب كالبغال والحمير والخيول، فإن استطعنا أن نأخذها، فلا نقتلها، وإن لم نستطع فقتلها من توهين قوى الكفار وتخضيداً لشوكتهم فنقتلها، أما الحيوانات المأكولة، فإن استطعنا أن نذبحها ونأكلها فهو أولى وأفضل، ولا يجوز قتلها، وإلا فحكمها كغير المأكولة.

قال الشافعية: الرملي (٦٧/٨): (ويحرم إتلاف الحيوان المحترم بغير ذبح، ويجوز أكله حفظاً لحرمة روحه، ومن ذلك امتنع على مالكه تركه بلا مؤونة وسقي بخلاف الشجر، والمقاتلين عليه فيجوز لنا إتلافه لدفعهم أو الظفر بهم قياساً على ما مر في ذراريهم.. بل أولى، أو غنمناه وخفنا رجوعه إليهم وضرره فيجوز إتلافه أيضاً دفعاً لهذا المفسدة، أما إذا خفنا رجوعه فقط فلا يجوز إتلافه.. بل يذبح للأكل) الرملي (٦٧/٨).

أما ابن حزم: فقد حرم عقر أي حيوان مأكول إلا ذبحاً للأكل، فقال في المحلى (٤٦٩/٧): (ولا يحل عقر شيء من حيواناتهم لا إبل ولا بقر ولا غنم ولا خيل ولا دجاج ولا غير ذلك إلا للأكل فقط حاشا الخنازير والخيل في حالة المقاتلة فقط).

## استعمال المدفعية والطائرات والهاون والصواريخ للقصف

قد أشرنا أن القتال في الإسلام لإزالة العقبات أمام دعوته ولتحطيم الأنظمة السياسية التي تحول دون وصول الإسلام إلى الشعوب، فإذا استطعنا أن نوصلها دون قتل أو قتال فهذا الذي يتمناه المسلم أن يهدي الله على يديه واحداً (وهو خير له من حمر النعم)، فإن لم نستطع فدفع الحواجز بكل الطرق الممكنة بلا إزهاق لأرواح الضعفة ولا إتلاف لأموال.

فإن لم نستطع الوصول إلى الطواغيت المتألهة في الأرض إلا بقتل الذرية وقطع الأشجار وتدمير المنشآت، فلا بأس، لأن هذه اضطررنا إليها اضطراراً ولم تكن مقصوداً لنا ولا هدفاً.

وقد مر معنا حديث الصعب بن جثامة أن رسول الله ﷺ سئل عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم وذراريهم؟فقال: (هم منهم) [1].

قال الزهري: (ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان) فإن الزهري يعتبر قتل النساء والأولاد إذا لم يكن مقصوداً يحرم، وكذلك لأنه منسوخ، وقد تعرضنا للرد عليه بالحديث المرسل الذي أخرجه الترمذي أن الرسول الله ﷺ: (نصب المنجنيق على أهل

---

١- رواه الجماعة إلا النسائي ورواه أبو داود.

الطائف) ورجاله ثقات.أنظر سبل السلام (١٣٥٢/٤).

وبالحديث الآخر عن سلمة بن الأكوع (بيتنا هوازن مع أبي بكر الصديق وكان أمره علينا رسول الله ﷺ) رواه أبو داود وسكت عليه المنذري. وغزو الطائف وهوازن في أواخر أيام الرسول ﷺ.

قال الترمذي: قد رخص قوم من أهل العلم في الغارة بالليل، وأن يبيتوا، وكرهه بعضهم، قال أحمد وإسحاق: لا بأس أن يبيت العدو ليلاً.

قال الصنعاني عند حديث نصب المنجنيق: (في الحديث دليل على أنه يجوز قتل الكفار إذا تحصنوا بالمنجنيق) ويقاس عليه غيره من المدافع المعدة فيما جاء في الغزو لصديق حسن (١٣٧).

# البغاة وقطاع الطرق

كثير من قوافل المجاهدين تتعرض لهجمات بعض الشطار والذعار الذين يخيفون الطريق بسلاحهم، هؤلاء يتشهدون بالشهادتين، وقد يصلون ويصومون، فما الحكم الشرعي لهؤلاء الناس؟

وقبل أن نشرع في بيان الحكم الشرعي لا بد من إيضاح المصطلحات:

فالبغاة: هم الخارجون عن طاعة الإمام الحق، والخارجون على أربعة أصناف:

١- الخارجون بلا تأويل -مستند شرعي- بظنهم، سواء كان لهم منعة أو ليس لهم منعة -قوة وشوكة- يأخذون أموال الناس، ويقتلونهم، ويخيفون الطريق، وهم قطاع الطرق.

فإذا غاب الإمام وقطع قوم طريق المسلمين فهم قطاع طرق بالمصطلح الشرعي، ويطبق عليهم حكم قطاع الطريق.

٢- صنف لهم تأويل -مستند شرعي- ولكنه بظنهم الخاطئ وليس لهم منعة فهؤلاء كذلك قطاع طرق.

٣- صنف خرجوا على الإمام بتأويل ومنعة، ويرون أن الإمام كافر لا بد من قتاله، ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم، ويسبون نساءهم، وهؤلاء هم الخوارج، وهؤلاء ليسوا كفاراً عند جمهور الفقهاء، وقال بعض أهل الحديث أنهم كفار مرتدون.

ولكن قال ابن المنذر: لا أعلم أحداً وافق أهل الحديث على تكفيرهم.

وقد سئل علي بن أبي طالب عنهم أهم كفار؟ فقال: هم من الكفر فروا. قالوا: أمنافقون هم؟ فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، ثم قال: هم إخواننا بغوا علينا.

وقال علي للخوارج: (لن نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولن نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولن نقاتلكم حتى تقاتلون).

وحكم الخوارج حكم البغاة، يرسل إليهم من يناقشهم، ويزيل شبهتهم، ولا يبدأون بالقتال حتى يقاتلوا المسلمين، ثم يقاتلون، فإن كانت لهم فئة يتحازون إليها يجهز على جريحهم، ويتبع موليهم -هاربهم-، وإن لم تكن لهم فئة لم يجهز على جريحهم ولم يتبع موليهم.. وهذا رأي الحنفية.

أما الشافعية والحنبلية والمالكية فقالوا: لا يجهز على جريحهم، ولا يتبع هاربهم في الحالين. الإفصاح (٢٣١/٢) وفتح القدير (٣٣٧/٥).

وقد روى ابن أبي شيبه عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل: (لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ومن ألقى سلاحه فهو آمن).

وأما ما أتلفوه من أموال أهل العدل: فلا يضمنوها عند المالكية والحنفية ورواية عن أحمد.

وقال الشافعي في القديم ورواية عن أحمد: يضمنون.

وروى ابن أبي شيبه أن عليا لما هزم طلحة أمر مناديه فنادى: (أن لا يقتل مقبل ولا مدبر، (يعني بعد الهزيمة) ولا يفتح باب، ولا يستحل فرج ولا مال.

وروى عبد الرزاق نحوه وزاد... وكان علي رضي الله عنه لا يأخذ مال المقتول ويقول: من اعترف شيئاً فليأخذه). فتح القدير لابن الهمام (٥/٣٣٧).

وأما أسيرهم فهو راجع للإمام.. إن شاء قتله وإن شاء حبسه أيهما خير، لكسر شوكتهم.

٤- الصنف الرابع: قوم مسلمون خرجوا على إمام العدل ولم يستبيحوا ما استباحه الخوارج من دماء المسلمين والذراري وهؤلاء هم البغاة.

# حكم قطاع الطريق أو المحاربين

قطع الطريق: هو البروز لأخذ مال أو لقتل أو إرهاب مكابرة اعتمادا على الشوكة - القوة مع البعد عن الغوث-.

وقاطع الطريق: مسلم أو ذمي مكلف له شوكة تعرض للنفس أو البضع أو المال مجاهرا. نهاية المحتاج للرملي (٥/٣).

والبعيد عن الغوث إما للبعد عن العمران أو السلطان أو من ضعف أهل العمران والسطان.

فإشهار السلاح وقطع السبيل خارج المصر وداخله سواء، وهذا رأي مالك والشافعي والصاحبين -أبي يوسف ومحمد- وجمهور الحنابلة.

وقال أبو حنيفة وبعض الحنبلية: (لا يكون قطع الطريق إلا خارج المصر -أي البلد-)[١]

وروي عن مالك أنهم إذا كانوا على ثلاثة أميال من القرية فمحاربون، وإن كانوا أقل من ذلك فلا.. إذ يمكن أن يلحق بالمعتدى عليه الغوث.

ورأي الشافعية ومالك والصاحبين أرجح والله أعلم ، لأن الإخافة هي الإخافة سواء كانت في المصر أو خارجه.. بل هي في المصر أشد وأنكى، لأنه لا يخيف في المصر إلا إذا كانت شوكته أشد. والإخافة في المصر أعظم ضرراً وأكثر خوفاً، ولأن الآية لم تفصل.

## شروط قطع الطريق:

١- أن يكون ذلك بعيداً عن الغوث سواء في القرى أو خارجها وهذا رأي جمهور الفقهاء.[٢]

٢- أن يكون معهم سلاح، فإن كان معهم عصي وحجارة فهو قاطع طريق عند جمهور الفقهاء من الحنبلية والشافعية.

وقال أبو يوسف: يعتبر استعمال الحجارة والخشب في الليل قطع طريق.. أما في النهار فلا بد من السلاح.

وقال أبو حنيفة: لا يعتبر قاطعا للطريق إلا بالسلاح. فتح القدير (٥/١٨٥)، والفتوى في المذهب على قول أبي يوسف.

٣- أن يكونوا مجاهرين ويأخذون المال قهراً، أما إذا أخذوه سراً أو خفية فهي سرقة وليست حرابة -قطع الطريق-.

## حكم قطاع الطريق:

الأصل فيه الآية: **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)** (المائدة: ٣٣-٣٤)

وهذه الآية نزلت في قطاع الطرق على قول ابن عباس رضي الله عنهما، وبه يقول مالك والشافعي وأبو ثور والحنفية.

وسمي قاطع الطريق محاربا لله ورسوله، لأن المسافر يعتمد على الله تعالى، فالذي يزيل أمنه محارب لمن اعتمد عليه في تحصيل الأمن.

---

١- نيل الأوطار (٧/٣٣٦) وفتح القدير (٥/١٧٧).

٢- المغني مع الشرح الكبير (١٠/٣٢٧)، نيل الأوطار (٧/٣٢٧)، بداية المجتهد (٢/٤١٠).

وأما محاربته لرسوله فإما باعتبار عصيان أمره باعتبار أن الرسول الله ﷺ هو الحافظ لطريق المسلمين والخلفاء والملوك به نوابه، فمن أخاف الطريق فقد حارب الله ورسوله.

## كيف تطبق العقوبات

اختلف العلماء هل هذه العقوبات على التخيير؟ -أي راجعة للإمام- أم مرتبة حسب الجرائم التي يرتكبها المحارب على رأيين

١ـ قال الجمهور (وهم الحنفية والشافعية والحنبلية): العقوبات حسب الجنايات.

٢ـ قال مالك: الإمام بالخيار .

واعتمد الجمهور -الشافعية والحنبلية والحنفية- على قول ابن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه الشافعي في مسنده عن عباس رضي الله عنهما في قطاع الطريق (إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، و أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً، نفوا من الأرض)[1]..

أو في الآية للتنويع وليس للتخيير، لأن عرف القرآن الكريم فيما أريد التخيير البداءة بالأخف ككفارة اليمين، وما أريد الترتيب بدىء بالأغلظ ككفارة الظهار والقتل[2].

جاء في المغني (٢٠٤/١٠): (فمن قتل منهم وأخذ المال قتل -وإن عفا صاحب المال- وصلب حتى يشتهر ودفع إلى أهله و قتل منهم ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب، وإن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى في مقام واحد ثم حسمتا وخلي)

روينا نحو هذا عن ابن عباس وبه قال قتادة ومجلز وحماد والليث والشافعي وإسحق.

وقال ابن رشد القرطبي في بداية المجتهد (٣٤١/٢)، قال مالك: إذا قتل فلا بد من قتله وليس للإمام تخيير في قطعه ولا نفيه، وإنما التخيير في قتله أو صلبه، وأما إذا أخاف السبيل فقط فالإمام مخير في قتله أو صلبه أو قطعه أو نفيه.

ومعنى التخيير عنده: أن الأمر راجع في ذلك إلى اجتهاد الإمام، فإن كان المحارب ممن له الرأي والتدبير فوجه الاجتهاد ؛ أو صلبه لأن القطع لا يرفع ضرره، وإن كان لا رأي له وإنما هو ذو قوة و بأس قطعه من خلاف، وإن كان ليس فيه شيء من ها الصفتين أخذ بأيسر ذلك فيه وهو الضرب والنفي) وهو قول عطاء وسعيد بن المسيب ومجاهد والحسن والضحاك والنخعي وأبو ث وداود [3].

**ملاحظة:** القتل في الآية حد الحرابة -قطع الطريق من قبل مجموعة من الحرامية أو الأعراب أو القبائل- ومعنى حد أنه ي على الإمام تنفيذه، ولا يجوز العفو عنه بحال ولو عفى أولياء المقتول، وهذا إجماع كما ذكره ابن المنذر.. السياسة الشرعية (٧٨).

### الصلب:

إذا قتل محارب وأخذ المال فإنه يصلب ويقتل، واختلف العلماء في وقت الصلب أهو قبل القتل أو بعده.

١ـ قال الشافعية والحنبلية: الصلب بعد القتل.

جاء في نهاية المحتاج (٦/٨): (وإن قتل قتلا يوجب القود وأخذ مالا يقطع به في السرقة قتل بلا قطع ثم غسل وكفن وص عليه ثم صلب مكفناً معترضاً على نحو خشبة، ولا يقدم الصلب على القتل لكونه زيادة تعذيب).

ومدة الصلب ثلاثة أيام بلياليها في قول الشافعية ويصلب حياً قليلاً ثم ينزل فيقتل.

٢ـ قال الحنفية وابن القاسم وابن الماجشون من المالكية: يصلب حياً ثم يقتل لأن الصلب عقوبة ولا عقوبة للميت وبه ا الأوزاعي والليث ومالك.

### مدة الصلب:

١ـ قال الشافعية والحنفية: ثلاثة أيام، وأما أبو يوسف من الحنفية فقال: يترك على خشبة حتى يتقطع فيسقط فيعتبر به غير

١- رواه الشافعي في مسنده نيل الأوطار (٣٣٢/٧) والسياسة الشرعية لابن تيمية (٧٨). ٢- المغني (٣٠٦/١٠) ونهاية المحتاج (٥/٨) ٣- فتح القدير (١٧٨/٥)

جاء في فتح القدير (١٠٨/٥): (ويصلب حياً ويبعج بطنه برمح إلى أن يموت ولا يصلب أكثر من ثلاثة أيام)

٢ ـ قال الحنبلية: (يصلب قدر ما يطلق عليه اسم الصلب لأن التوقيت بغير توقيف، أي: لا دليل عليه.

## معنى النفي:

قال الحنفية: النفي هو السجن.

قال مالك: ينفى من البلد إلى بلد آخر، ويسجن في البلد الثانية.

قال الحنبلية: نفيهم أن يشردوا فلا يتركون يأوون في بلد.

قال أبو الزناد: كان منفى الناس إلى باضع من أرض الحبشة وذلك أقصى تهامة من اليمن[1].

واستدل الحنفية بأن الحبس نفي ببيتين من الشعر لصالح بن عبد القدوس:

*خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى*

*إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة ... عجبناً وقلنا جاء هذا من الدنيا*

## اشتراط النصاب في المال المأخوذ:

اشترط الفقهاء الأربعة كون المال المأخوذ من قبل جماعة الحرامية يبلغ النصاب، والنصاب ربع دينار فصاعداً عند الجمهور -الشافعية والمالكية والحنبلية-، وقد جاء في هذا أحاديث صحيحة كثيرة.

والجمهور يشترطون كون المأخوذ يبلغ النصاب، سواء كان نصيب كل قاطع نصاباً أو أقل... وهذا رأي الجمهور.

وقال الحنفية: لا بد أن يكون نصيب كل حرامي يبلغ النصاب، ومقدار النصاب الذي قطع به يد السارق عندهم عشرة دراهم فصاعدا.

## حكم الرد ء (المعين):

إذا باشر أحد السراق القتل بنفسه والبقية له أعوان ورده، فهل يطبق حد الحرابة على الأعوان؟

١ـ قال الشافعية: لا يطبق.. بل يعزرون بحبس وتغريب.

جاء في نهاية المحتاج (٧/٨): (ومن أعانهم وكثر جمعهم مقصراً على ذلك عزر بحبس وتغريب وغيرهما كبقية المعاصي).

٢ـ قال الجمهور وهم الحنفية والمالكية والحنبلية: الجميع يقتلون ولو كانوا مائة، لأن الردء والمباشر سواء، وهذا هو المأثور عن الخلفاء الراشدين، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل ربيئة المحاربين. والربيئة: هو الناظر الذي يجلس على مكان عال ينظر منه لهم من يجيء[2].

وهذا هو الرأي الذي تستريح له النفس، لأن قوة القاتل بسبب العون الذي وراءه.

## حكم اشتراك المرأة في الحرابة:

قال الجمهور: إذا اشتركت المرأة في الحرابة يطبق عليها حد الحرابة قياساً على السرقة، فكما أن المرأة إذا سرقت تقطع فإذا حاربت تحد.

وقال الحنفية: لا تحد المرأة في الحرابة.

## حكم اشتراك الأطفال والمجانين:

قال أبو حنيفة: إذا اشترك بعض هؤلاء في الحرابة يسقط الحد عن الجميع.

جاء في فتح القدير (١٨٣/٥): وإن كان من القطاع صبي أو مجنون أو ذو رحم محرم من المقطوع عليه سقط الحد عن الباقين،

١- المغني (٢١٤/١٠) وبداية المجتهد (٤٤٢/٢) ونيل الأوطار (٣٣٦/٧) وفتح القدير (١٧٩/٥)

٢- السياسة الشرعية (٧٩)، وفتح القدير (٨١/٥)

والمذكور في الصبي والمجنون قول أبي حنيفة وزفر.

وعن أبي يوسف: لو باشر العقلاء يحد الباقون لأن المباشر أصل والردء تابع.

وقال جمهور أهل العلم: إن كان فيهم صبي أو مجنون أو ذو رحم لم يسقط الحد عن غيره، لأن الصبي والمجنون لا يحدان، وإ باشرا القتل وأخذ المال لأنهما ليسا من أهل الحدود، وعليها ضمان ما أخذا من المال في أموالها، ودية قتلهما على عاقلتهما[1].

## توبة المحاربين قبل القدرة عليهم:

يقول الله عز وجل: {إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم}، وتوبة المحاربين تكون بوجهين:

أحدهما: أن يتركوا ما هم عليه وإن لم يأتوا الإمام.

والثانية: أن يتركوا سلاحهم ويأتوا طائعين.

فإذا تاب المحارب أو الحرامي يسقط عنه حد الحرابة.

وهل تسقط التوبة حقوقاً أخرى؟

هنالك أربعة أقوال:

١ـ قول مالك: التوبة تسقط حد الحرابة فقط، ويؤخذ بما سوى ذلك من حقوق الله كالزنا والشرب وحقوق الآدميين كحق القذف

٢ـ يسقط عنه حد الحرابة وجميع حقوق الله من الزنى والشراب.

أما حقوق الآدميين من الأموال والدماء فلا تسقط إلا أن يعفو أولياء المقتول، وهذا قول القاضي من الحنبلية[2].

٣ـ التوبة ترفع جميع حقوق الله ويؤخذ بالدماء، والأموال بما وجد بعينه في أيديهم.

٤ـ التوبة تسقط جميع حقوق الله والآدميين، إلا ما كان من الأموال موجودا بأيديهم[3].

والنفس تميل إلى رأي الإمام مالك الأول، وعليه فإذا قتل المحارب رجلاً ثم تاب فإنه يقتص منه بعد التوبة إلا إذا عفا أولي المقتول.

وإن كانت الأموال قد تلفت بالأكل وغيره عندهم أو عند السارق، فقيل: يضمنونها لأربابها كما يضمن سائر الغارمين، وهو قو الشافعي وأحمد رضي الله عنهما، وتبقى مع الإعسار في ذمتهم إلى ميسرة.

وقيل: لا يجتمع الغرم والقطع، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.

وقيل: يضمنونها مع اليسار فقط دون الإعسار، وهو قول مالك رحمه الله[4].

## زعيم القبيلة الذي يدعم القطاع:

إذا كان هنالك وزير أو زعيم قبيله أو عمدة قوية يدعم القطاع ويقاسمهم الأموال فهذا أعظم جرماً من زعيم عصابة الحرامي وحكمه حكم الردء والعون، وإن قتلوا قتل هو على قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأكثر أهل العلم[5].

## أخذ الضريبة من المارين:

هنالك بعض القرى، خاصة قرى الشيعة في باميان[6] يأخذون الضريبة على الدواب ونسبة من السلاح من المجاهدين المارير فإن هم منعوا الطريق،: فهم قطاع طرق، وحكمهم حكم قطاع الطريق.

وإن أخذوا نسبة من المال وسمحوا للمجاهدين بالمرور: فهؤلاء ليسوا قطاع طرق وإنما هو مكاسون عليهم عقوبة المكاسين.

وقد اختلف الفقهاء في جواز قتلهم، ولكنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، حتى قال رسول الله ﷺ في الغامدية -التي زن رجمت-: [لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له].

١- المغني (٣٠٩/١٠). ٢- المغني (٣١٥/١٠). ٣- بداية المجتهد (٣٤٣/٢) ٤- السياسة الشرعية(٨٩)
٥- السياسة الشرعية(٩٠). ٦- ولاية في أفغانستان.

أي: أن المكس أشد من زنا المحصن.

ويجوز للمجاهدين عدم إعطائهم أي مال وقتالهم بإجماع المسلمين.

فإذ قتل المجاهدون، فهم شهداء، وإن قتل المكاسون فهم في النار وفي حديث صحيح: **{من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون حرمته فهو شهيد}.**

# خروج المرجف والمخذل للجهاد

يجب على الأمير أن يمنع المخذل والمرجف من مصاحبة الجيش.

**والمخذل:** هو الذي يثبط الناس عن الغزو، ويزهدهم في الخروج للقتال.. كأن يحتج بكثرة الثلوج أو الأمطار، أو بالخوف على المسلمين من ضرب أعدائهم واحتلال بلادهم.

**أما المرجف:** فهو الذي ينشر عيوب الجيش المسلم، ويحاول أن يقلل من شأنهم، وينشر أخبار هزائمهم، ويضخم من شأن العدو وقوته.

والدليل على عدم السماح له قول الله عز وجل:

**(فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا)** (التوبة: ٨٣)

قال القرطبي في تفسيره (٢١٨/٨): وهذا يدل على أن اصطحاب المخذل -المرجف- في الغزوات لا يجوز.

ويقول الله عز وجل: **(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)** (التوبة: ٤٦).

قيل: معناه لأوقعوا بينكم الاختلاف. وقيل: لأسرعوا في تفريق جمعكم.

وإن خرج معه أحد هؤلاء لم يسهم له من الغنيمة كالمجاهدين ولا يرضخ له (أخذ شيء من الغنيمة بدون قسمة وإعطاؤه له) وإن أظهر بطولة في المعركة، لأن ضرره على المسلمين أشد من ضرره على الكافرين. وهذا مذهب أحمد والشافعي[١].

جاء في نهاية المحتاج للرملي الشافعي (٦٠/٨): (ويسن للإمام أو نائبه منع المخذل والمرجف من الخروج وحضور الصف وإخراجه منه ما لم يحس فتنته.. بل يتجه وجوب ذلك عليه حيث غلب على ظنه حصول ذلك منه وإن بقاءه مضر بغيره).

وجاء في الإنصاف للبهوتي الحنبلي (١٤٢/٤): (يلزم الإمام منع المخذل والمرجف ومن يكاتب بأخبار المسلمين ومن يرمي بينهم بالفتن ومن هو معروف بالنفاق والزندقة).

# حكم الأسرى

يختلف حكم الأسير باختلاف الجنس والعمر والدين، والأسرى عادة على ثلاثة أصناف:

**أولاً:** النساء والأطفال: هؤلاء لا يجوز قتلهم أثناء الحرب إذا كانوا منفردين غير مقاتلين، وكذلك بعد الأسر لا يجوز قتلهم، ويصبحون رقيقاً بمجرد الأسر[٢].

**ثانياً:** الرجال من أهل المجوس والكتاب: وهؤلاء اختلف آراء الفقهاء فيهم، وإليك التفصيل -إن شاء الله-:

قال بعض العلماء -كالحسن ومجاهد-: لا يجوز قتل الأسير، وحكى محمد بن الحسن التميمي أنه إجماع الصحابة[٣].

أما الفقهاء الأربعة: فقد اتفقوا أن الإمام مخير في الأسرى بين القتل والاسترقاق. أما المن بدون مال فقد منعه الحنفية وأجازه الشافعية والحنبلية.-

---

١- المغني (١٢٠/١٠) (٣٧٢/١٠).

٢- المغني مع الشرح الكبير (١٥٠/١٠).

٣- بداية المجتهد (٢٧٦/١).

أما الإمام مالك فقد اختلفت عنه الرواية في المن بدون مال بالجواز وعدمه[1].

أما الفداء بالمال: فقد أجازة المالكية والشافعية والحنبلية، وأما الحنفية فقد منعوه.

جاء في المبسوط للسرخسي: (سألته عن الأسير يقتل أو يفادى قال: يقتل أو يجعل فيئا).

وقال الشافعي: يفدى بالمال العظيم.

وقال محمد: يفدى إن كان المسلمون بحاجة إلى مال.

واستشهد أبو حنيفة بقول أبي بكر: لا تفادوه، وإن أعطيتم به مدين من ذهب.

ولأن تخلية المشرك ليعود حرباً على المسلمين معصية، وارتكاب المعصية لمنفعة المال لا يجوز وهو: ترك واجب... وقتل المشرك فرض، ولو أعطونا مالاً لترك الصلاة لا يجوز لنا مع الحاجة إلى المال.

ولا يجوز تقوية المشركين بالسلاح، فكذلك لا تجوز تقويتهم بالرجال، والذي يدل على جواز المن والفداء قوله عز وجل:

**(فإما مناً بعد وإما فداء)** (محمد: ٤)

فنص على جواز المن بدون مال والفداء بالمال.

أما الحنفية: فيرون أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى:

**(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)** (التوبة: ٥)

لأنها نزلت بعدها، لأن سورة التوبة نزلت بعد سورة محمد ﷺ، ولكن لا دليل على النسخ، وفعل رسول الله ﷺ يدل على أنه منّ وفادى وبادل الأسرى وقتل واسترق.

أما بالنسبة للمنّ ففي صحيح مسلم عن أنس أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبي ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم، فأخذهم صلى الله عليه وآله وسلم سلماً فأعتقهم، فأنزل الله عز وجل:

**(وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة)** (الفتح: ٢٤)[2]

وعن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له)[3].

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ منّ على ثمامة بن أثال من بني حنيفة وهو سيد أهل اليمامة. نيل الأوطار (١٤٠/٨).

أما الدليل على جواز الفدية حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة. رواه أبو داود وسكت عليه هو والمنذري والحافظ في التلخيص ورجاله ثقات[4]..

وأما الدليل على مبادلة الأسرى:

فقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فادى بالرجل الذي من بني عقيل -صاحب العضباء- برجلين من المسلمين.

(العضباء اسم ناقة الأعرابي التي أصبحت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[5].

ولقد ورد عن أبي حنيفة روايتان أظهرهما عدم الجواز، وأما الصاحبان فقد أجازا مبادلة الأسرى، المبسوط (١٢٩/١٠).

ولقد قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجال بني قريظة وهم بين الستمائة والسبعمائة.

وقتل يوم بدر النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط -[6] وهذا دليل على جواز قتل الأسرى.

**الرأي الراجح في الأسرى:**

لا شك أن الرأي الراجح في الأسرى هو رأي الجمهور: وهو أن الإمام مخير في الأسرى بما فيه مصلحة المسلمين بين القتل والاسترقاق والمن والفداء بمسلم أو مال.

---

١- نيل الأوطار (١٤٥/٨) عن معاني الصحاح ٢٨١/٢ المغني (٢٠٠/١٠) ٢- نيل الأوطار (١٤٠/٨). ٣ - رواه البخاري نيل الأوطار (١٤٠/٨).

٤- نيل الأوطار (١٤٦/٨). ٥- نيل الأوطار (١٤٦/٨)، والمغني (٤٠١/١٠) ٦- المغني (٤٠١/١٠)-

٢ـ أما الحنفية: فيجيزون استرقاق عبدة الأوثان من العجم، أما العرب فلا يجيزون استرقاقهم، وذلك أن الحنفية يقبلون الجزية من عبدة الأوثان.

ولذا: فعند الشافعية الإمام مخير بين القتل والمنّ والفداء.

أما الحنفية فيقولون أن الإمام مخير بين القتل والإسترقاق[١].

أما استرقاق أسرى العرب فيجوز بالدليل، لأن جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار كانت من سبايا بني المصطلق، فوقعت لثابت بن قيس، فقضى رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، فارسلوا ما بأيديهم.

قالت عائشة: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، رواه أحمد واحتج به في رواية محمد بن الحكم وقال: لا أذهب إلى قول عمر (.. ليس على عربي ملك) قد سبى النبي ﷺ العربي في غير حديث، وأبو بكر وعلي حين سبى بني ناجية[٢].

وكذلك كان عند عائشة سبية من بني تميم فقال النبي ﷺ: **(أعتقيها)**[٣]

وكذلك قال ﷺ لوفد هوازن: **(فاختاروا أحدى الطائفتين إما السبي وإما المال)**[٤].

وقد افتتح الصحابة أرض الشام وهم عرب، وكذلك أطراف بلاد العرب ولم يفتشوا العربي من العجمي والكتابي من الأمي (العربي) بل سووا بينهم.. لم يرو عن أحد خلاف ذلك[٥].

## ملاحظات حول الأسرى:

١ـ من أسر أسيرا فلا يجوز له أن يتصرف به، إنما أمره إلى الأمير، والأمير في الجهاد الأفغاني هو أمير الحزب أو التنظيم.

ولا يجوز لمن أسر أسيراً أن يقتله إلا إذا امتنع من السير معه، أو كان جريحاً لا يستطيع السير.

٢ـ جرحى الحرب من الكفار: يجوز قتلهم وإنهاؤهم.

٣ـ الطفل المأسور –السبي– يكون على ثلاثة أقسام:

أن يسبى منفرداً عن أبويه فيصير مسلماً بالإجماع، لأن الدين إنما يثبت له تبعاً، وقد انقطعت تبعيته لأبويه لانقطاعه عنهما وإخراجه عن دارهما ومسيره إلى دار الإسلام تبعاً لسابيه المسلم، فكان تبعاً له في دينه.

أن يسبى مع أحد أبويه فيحكم بإسلامه أيضاً، وبه قال الأوزاعي وقال أبو الخطاب: يتبع أباه.

وقال القاضي: فيه روايتان (أشهرها) أن يحكم بإسلامه، (والثانية) أن يتبع أباه.

وقال أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله: يكون تابعا لأبيه في الكفر لأنه لم ينفرد عن أحد، فلم يحكم بإسلامه كما لو سبي معهما.

وقال مالك: (إن سبي مع أبيه تبعه لأن الولد يتبع أباه كما يتبعه في النسب، وإن سبي مع أمه فهو مسلم لأنه لا يتبعها في النسب فكذلك في الدين)[٦].

٤ـ المرأة الشيوعية: تقتل لأنها مرتدة.

ففي الصحيح: **(من بدل دينه فاقتلوه)**.

وكذلك تقتل لأنها تشارك في الحرب وفي الرأي وفي تهييج الكفار ضد المسلمين.

٥ـ لا يجوز تشويه الأسير ولا قطع أذنية، ولا قلع عينيه، لأن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة، ولا يجوز قطع رأسه ولا قدميه.

---

١- المغني (١٠/٤٠٠).

٢- نيل الأوطار (٨/١٥٠).

٣- متفق عليه.

٤- رواية البخاري وأحمد.

٥- نيل الأوطار (٨/١٥٣).

٦- الشرح الكبير مع المغني (١٠/٤١١).

# حكم العين (الجاسوس)

يختلف حكم الجاسوس باختلاف دينه وحاله، فالجاسوس الكافر غير الذمي المعاهد وغير المسلم.

والجاسوس: هو الذي يطلع على أسرار الناس وعيوبهم وينقلها.

والمقصود بالجاسوس هنا: هو الذي ينقل أسرار المسلمين إلى أعدائهم.

أما الجاسوس الكافر فيقتل عند جمهور الفقهاء.

والدليل في هذا الحديث الذي في الصحيحين عن إياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه قال: أتى النبي ﷺ عين من المشركين و في سفر، فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انفتل، فقال النبي ﷺ : (**أطلبوه واقتلوه، فقتله، فنفله سلبه**) [1]

وفي رواية مسلم قال ﷺ: (**من قتل الرجل؟، قالوا: ابن الأكوع، قال: له سلبه أجمع**)[2].

قال النووي: (فيه قتل الجاسوس الحربي الكافر وهو باتفاق.. وأما المعاهد الذمي، فقال مالك والأوزاعي: ينتقض عهده بذا وعند الشافعي خلاف في ذلك.. أما لو شرط عليه ذلك في عهده فينتقض اتفاقا).

**أما الذمي**: فإن تجسس على المسلمين فقد اختلف الفقهاء في اعتبار تجسسه نقضا لعهده فيقتل أو يكون فيئا للمسلمين أم ؟

فقال الحنفية: لا يكون هذا نقضاً إلا أن ينص عليه في عقد الذمة أو عهد الأمان.

جاء في شرح السير الكبير (٥/٢٠٤٠): (قال محمد بن الحسن: وكذلك لو فعل هذا -التجسس- ذمي فإنه يوجع عق ويستودع السجن، ولا يكون هذا نقضا منه للعهد، وكذلك لو فعله مستأمن فينا إلا أنه يوجع عقوبة في جميع ذلك).

فإن كان حيث طلب الأمان قال له المسلمون: قد أمناك إن لم تكن عينا فتجاهل المسألة، فلا بأس بقتله، وإن رأى الإمام ..سـ حتى يعتبر به غيره فلا بأس بذلك، وإن رأى أن يجعل فيئا فلا بأس به أيضا كغيره من الأسرى... إلا أن الأولى أن يقتله هنا ليعـ غيره، فإن كان مكان الرجل امرأة فلا بأس بقتلها أيضا إلا أنه يكره.

والشيخ العاقل الذي لا قتال عنده بمنزلة المرأة أيضا، أما الصبي فلا يجعل فيئا ولا يقتل.

أما الجاسوس الذي ظاهره الإسلام فاختلفت آراء الفقهاء فيه.

قال الحنفية والشافعية والحنبلية: لا يقتل بل يعزر.

وقال مالك وابن القاسم وأشهب من المالكية: يجتهد في ذلك الإمام.

وقال عبد الله بن الماجشون من المالكية: إذا كانت تلك عادته، قتل لأنه جاسوس، وقد قال مالك بقتل الجاسوس وهو صـ لإحرازه بالمسلمين وسعيه بالفساد في الأرض. تفسير القرطبي (١٨/٥٢)، وقال الأوزاعي: عاقبه الإمام عقوبة منكلة وغربه الآفاق[3].

جاء في السير الكبير: (قال محمد بن الحسن:إذا وجد المسلمون رجلا -ممن يدعي الإسلام- عيناً للمشركين على المسلـ يكتب إليهم بعوراتهم، فأقر بذلك طوعا فإنه لا يقتل، ولكن الإمام يوجعه عقوبة).

والأصل في هذا الباب حديث حاطب بن أبي بلتعة البدري الذي كتب إلى كفار مكة يخبرهم بأن الرسول ﷺ يريد غزوهم، ف رسول الله ﷺ: (ما هذا يا حاطب؟ فقال: لا تعجل علي، إني امرؤ ملصق في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان معك من المهاجرين قرابات يحمون بها أقربائهم ولم يكن لي بمكة قرابة، فأحببت إذا فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا، والله ما فعلته شكا في ديني ولا ر في الكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: **إنه قد صدق**. فقال عمر: يا رسول الله دعني أجز عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: [**إنه قد شهد بد وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عد وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)**)[4].

جاء في شرح السنة (١٠/٧٤). قال الإمام: في حديث حاطب دليل على حكم التأول استبا ة المحظور خلاف حكم الـ

---

١- هذه رواية البخاري. ٢- فتح الباري (٦/١٦٨) باب الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير إسلام. ٣- شرح السنة للبغوي (١٠/٧١). ٤- حديث متفق عليه.

لاستحلاله من غير تأويل، وأن من تعاطى شيئا من المحظور ثم ادعى له تأويلا محتملاً لا يقتل منه.

وأن من تجسس لكفار ثم ادعى تأويلاً وجهالة يتجافى عنه.

وقد استدل الجمهور بالآية: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) فقد سمى الله حاطب بن أبي بلتعة مؤمناً... والمؤمن لا يجوز قتله ولا سفك دمه.

وقد مال ابن القيم إلى رأي الإمام مالك، ونحن نرى رأي الإمام مالك رحمه الله.

قال ابن القيم في زاد المعاد (١١٤/٣) ثبت عنه أنه قتل جاسوساً، واستأذن عمر في قتل حاطب فقال: **(وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)**.

فاستدل به أيضاً من يرى قتله كمالك وبعض أصحاب أحمد وغيرهم -رحمهم الله-، قالوا لأنه علل بعلة مانعة منه قتله لم يعلل بالأخص من أهل بدر، لأن الحكم إذا علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير، وهذا أقوى والله تعالى أعلم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# الغلول من الغنيمة

**الغلول:** هو السرقة من الغنيمة قبل قسمتها.

قال ابن قتيبة: سمي بذلك لأن آخذه يغله في متاعه أي يخفيه فيه.

## حكم الغلول:

نقل النووي الإجماع على أنه من الكبائر.

وقليله وكثيره حرام.

وقال ابن المنذر: أجمعوا على أن على الغال أن يعيد ما غل قبل القسمة.

وأما بعدها: فقال الثوري والأوزاعي والليث ومالك: يدفع إلى الإمام خمسه ويتصدق بالباقي.

وأما الشافعي فيقول: إن كان ملكه فليس عليه أن يتصدق به، وإن لم يملك فليس له أن يتصدق بمال غيره.

ثم قال الشافعي: والواجب أن يدفع إلى الإمام كالأموال الضائعة.

## الترهيب من الغلول:

وردت أحاديث تقطع نياط القلوب وتفزع المرء المسلم أن يفرط في أموال الجهاد أو يتهاون فيها، ومن الأحاديث في الغلول:

١ـ روى البخاري -فتح الباري (١٨٧/٦)- عن عبد الله بن عمر قال: **(كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة فمات، فقال رسول الله ﷺ: هو في النار، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها)**.

والثقل -بفتحتين- هو العيال والمتاع، وكان كركرة هذا عبداً نوبياً أسود أهداه إليه هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة.

٢ـ وفي الصحيحين عن أبي هريرة واللفظ للبخاري -كما في زاد المسلم (٢٠٥/١)-: **(خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة، إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له** (مدعم) فوجهه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحط رحلا لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر (لا يدري من رماه) فقتله، فقال الناس: هنيئا له الجنة، فقال النبي ﷺ **(كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم تشتعل عليه ناراً)** فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ، فقال: **(شراك من نار أو شراكان من نار)**.

والشراك: هو رباط الحذاء.

والأوصال تضطرب إذا قرأت مثل هذا الحديث، وتقض النفس عن مضجعها، فهذا الغلام شهيد إلا أنه غل شملة (عماء فدخل النار ليعذب على مصيبته أو هو في النار إلى أن يعفو الله عنه.

إذا كان الذي يغل (يسرق) من غنائم المجاهدين قبل القسمة تشتعل عليه الشملة ناراً، فكيف الذي يأكل أموال الجهاد اا جمعت بالدرهم والدرهمين لليتامى والأرامل والأزواج المجاهدين اللاتي لا يجدن ما يقمن به أودهن وتعوزهم لقمة العيش؟

وماذ تكون عقوبة الذي يبذر أموال الجهاد هنا وهناك دون أن يرعى حق الله فيها؟

بل لا يوصل إلى المجاهدين من أموالهم وتعطى لمن يتقنون التمسح بالأبواب والتردد على الأعتاب.

نرجو الله أن يعافينا وأن يحمينا من التهاون بأموال المجاهدين وأن يغفر لنا.

**﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾** (البقرة: ٢٨٦)

روى البخاري -فتح الباري (١٨٤/٦)- عن أبي هريرة: (أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ بالفارسية: كخ كخ.. أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة؟؟)، كخ: كلمة زجر للصبي عما يريد فعله.

لقد أخرج رسول الله ﷺ حبة التمر من داخل فم حفيده الحسن لأنها من الصدقة.

## الغال يفضح على رؤوس الأشهاد يوم القيامة:

فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قام فينا رسول الله ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال: «لا ألف أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة: يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير رغاء).

حمحمة: صوت الفرس عند الطعام، وهو دون الصهيل.

## أكل الطعام من الغنائم ليس غلولاً:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب فنأكله ولا نرفع)[1].

والحديث له حكم الرفع للتصريح بكونه في زمن الرسول الله ﷺ، ومعنى لا ترفعه: أي لا ندخره، أولا نستأذن به الرسول ﷺ.

قال الحسن: (كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا افتتحوا المدينة أو الحصن أكلوا من السويق والدقيق والسمن والعسل...)[2] و بلغني أن بعض المجاهدين الأفغان يرفض الأكل من طعام الغنيمة حتى يدفع ثمنه ومنهم قائد نازيان (سارنور).

وقد اتفق الفقهاء الأربعة على جواز الأكل من طعام الغنائم قبل القسمة.

قال ابن حجر في فتح الباري (٢٥٥/٦): (والجمهور على جواز أخذ الغانمين من القوت وما يصلح به وكل طعام يعتاد أ عموماً، وكذلك علف الدواب سواء كان قبل القسمة أو بعدها بإذن الإمام وبغير إذنه.

والجمهور على جواز الأخذ ولو لم تكن الضرورة ناجزة، واتفقوا على جواز ركوب دوابهم ولبس ثيابهم واستعمال سلاحهم و ذلك بعد انقضاء الحرب.

## لا يشترط استئذان الأمير في أكل الطعام من الغنائم:

قال عياض: أجمع العلماء على جواز أكل طعام الحربيين مادام المسلمون في دار الحرب على قدر حاجتهم، ولم يشترط أحد ، العلماء استئذان الإمام إلا الزهري. وجمهور الفقهاء على أنه لا يجوز أخذ الطعام إلى دار الإسلام بل يجب رده، ولا يجوز بيع شم منه في دار الحرب[3].

ركوب الدواب ولبس الثياب واستعمال السلاح جائز بدون إذن، ويجوز ركوب الدواب عند الحاجة، واستعمال الثياب قبل القسم

---

١- رواه البخاري-فتح الباري (٢٥٦/٦)-. ٢- القرطبي (٢٥٨/٤).

٣- بذل المجهود (٢٦٨/١٢).

بدون استئذان، وشرطه الأوزاعي[١].

واشتراط الحاجة استنباط من الحديث عن رويفع بن ثابت مرفوعاً: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يأخذ دابة من المغنم فيركبها حتى إذا أعجفها ردها إلى المغانم، وذكر في الثوب مثل ذلك)[٢].

وقد حمل أبو داود الحديث على عدم الحاجة.. أما مع الحاجة فلا بأس ولا حرج.

قال في الهداية: (لا بأس بأن يعلف العسكر في دار الحرب ويأكلوا مما وجدوه من طعام، لقوله عليه السلام في طعام خيبر: «كلوها واعلفوها ولا تحملوها»)، ويستعملوا الحطب، ويدهنوا بالدهن، ويقاتلوا بمايجدون من السلاح، كل ذلك بلا قسمة إذا احتاج إليه.

ولا يجوز أن يبيعوا من ذلك شيئاً، ولا يتمولونه.. وأما الثياب والمتاع فيكره الانتفاع بها قبل القسمة من غير حاجة)[٣].

## عدم جواز الإستئثار بالطعام وحرمان الآخرين:

لا يجوز لبعض المجاهدين نهب الطعام وحرمان الآخرين، فقد روى أبو داود بإسناده عن أبي لبيد قال: (كنا مع عبدالرحمن بن سمرة بكابل، فأصاب الناس غنيمة فانتهبوها، فقام خطيبا فقال: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النهب، فردوا ما أخذوا، فقسمه بينهم)[٤].

## ذبح الأنعام للأكل جائز في دار الحرب عند الأئمة الأربعة:

اتفق الفقهاء الأربعة على جواز ذبح البهائم في دار الحرب كالطعام والعلف، ولكن الشافعي قيده بالحاجة.

وأما الحنفية: فاختلفت الرواية عن محمد بن الحسن، فاشترط (في السير الصغير) الحاجة إلى التناول قياساً، ولم يشترطها (في السير الكبير) استحساناً.. وهو قول الثلاثة -أبي حنيفة، والصاحبين-، ولذا يجوز للغني والفقير أن يتناول من الطعام واللحم والخبز والعسل والسكر والفاكهة اليابسة والرطبة والبصل والشعير والزيت والدهن، ولكن لا يجوز للتاجر ولا للأجير الذي دخل لخدمة المجاهدين بأجر، ولو أخذ أو أكل للأجر أثم ولكن لا ضمان عليه.

## استعمال السلاح والخيل والدواء تشترط فيه الحاجة:

نص ابن الهمام الحنفي بأن السلاح والخيل والدواء تشترط فيه الحاجة: بأن انكسر سلاحه أو مات فرسه، أما إذا أراد أن يوفر سلاحه وفرسه باستعمال ذلك فلا يجوز، ولو فعل أثم ولا ضمان عليه.

## الفاضل من الطعام حتى دخول دار الإسلام:

اختلف الفقهاء الأربعة في وجوب رد الطعام الباقي معهم من الغنائم عند دخول دار الإسلام فقالوا: لا بد من رد الكثير.

أما القليل: فقال مالك: لا يرده... وهو رواية عن أحمد وقول للشافعي.

وقالت الحنفية: يرده، وهو رواية عن أحمد، وقول للشافعي لحديث: **(أدوا الخيط والمخيط)**.

## هدايا الأمراء غلول:

ومن الغلول هدايا الأمراء والحكام والعمال (الموظفين)، ففي الحديث: **(هدايا العمال غلول)**[٥].

وحكمه في الفضيحة في الآخرة حكم الغال من الغنيمة، وقد ورد فيه حديث ابن اللتبية الذي رواه مسلم وفيه: **[... لا يأتي أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان بعيرا فله رغاء، وإن كانت بقرة فلها خوار، أو شاة تيعر]**.

## حبس الكتب عن أصحابها من الغلول:

قال الزهري: إياك وغلول الكتب، فقيل له: وما غلول الكتب؟، قال: حبسها عن أصحابها[٦].

---

١- بذل المجهود (٢٨٦/١٢) وفتح الباري (٢٦٥/٦).
٢- رواه أبو داود والطحاوي بإسناد حسن-فتح الباري (٢٥٦/٦)-.
٣- بذل المجهود (٢٦٧/١٢).
٤- بذل المجهود (٢٦٩/١٢).
٥- حديث حسن رواه أحمد والبيهقي.
٦- تفسير القرطبي (٢٦٢/٤)

# الشهيد وأحكامه

## سبب تسمية الشهيد:

اختلف في سبب تسميته شهيدا، فقال الأزهري: لأن الله تعالى ورسوله ﷺ شهدا له بالجنة.

وقال النضر بن شميل: الشهيد الحي.. فسمو بذلك لأنهم أحياء عند ربهم.

وقيل: لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيقبضون روحه.

وقيل: لأنه ممن يشهد على الأمم. -حكى هذه الأقوال الأزهري-.

وقيل: لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله.

وقيل: لأن له شاهداً بقتله وهو دمه لأنه يبعث وجرحه يتفجر دماً.

وقيل: لأن روحه تشهد دار السلام وروح غيره لا تشهدها إلا يوم القيامة[1].

## تعريف الشهيد:

**١ـ عند الشافعية:**

جاء في المجموع شرح المهذب (٢٦١/١): (الشهيد الذي لا يغسل ولا يصلى عليه: هو الذي مات بسبب قتال الكفار حال ق القتال سواء قتله كافر، أو أصابه سلاح مسلم خطأ، أو عاد إليه سلاح نفسه، أو سقط عن فرسه، أو رمحته دابته فمات، أو وط دواب المسلمين او غيرهم، أو أصابه سهم لا يعرف هل رمى به مسلم أو كافر، أو وجد قتيلا عند انكشاف الحرب ولم يعرف سبب مو وسواء كان عليه أثر دم أم لا، وسواء مات في الحال أم بقي زمنا ثم مات بذلك السبب قبل انقضاء الحرب، وسواء أكل وشرب ووصه أم لم يفعل شيئا من ذلك، وهذا كله متفق عليه عندنا.. نص عليه الشافعي).

**٢ـ الشهيد عند الحنفية:**

جاء في حاشية ابن عابدين (٢٤٧/٢): (الشهيد: هو كل مكلف مسلم طاهر قتل ظلما بجارحة ولم يجب بنفس القتل مال ، يرتث).

واشترط الكاساني في البدائع ستة شروط لعدم الغسل للشهادة: العقل، والبلوغ، والقتل ظلما بجارحة، ولم يجب بنفس عوض مال، والطهارة من الحدث الأكبر، وعدم الارتثاث.

## شروط الشهادة:

١ـ أن يكون القتال في سبيل الله **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**[2].

وهذا نص ضابط، فكل من كان قصده نصرة الإسلام ثم قتل فهو شهيد وإلا فلا.

٢ـ الصبر: **(إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، كفر الله خطاياك إلا الدين)**. [3].

والصابر: هو المقبل على العدو لصبورته وقلبه، ولا يضره مع ذلك أن يجد ألماً في قلبه وكراهية للموت وفراق الأهل.

والصبر على العبادة فعلها بشروطها، والصبر على الجهاد فعله بشروطه.

٣ـ الإقبال وليس الإدبار.

٤ـ عدم الغلول: **(ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)** حاملا غله على ظهره.

والغلول: هو السرقة من الغنائم قبل القسمة.

وفي صحيح البخاري (فتح الباري (١٨٧/٦)): عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال

---

١- المجموع للنووي (٢٧٧/١).    ٢- متفق عليه.    ٣- رواه مسلم.

كركرة فمات، فقال النبي ﷺ: (هو في النار) فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غلها.

الثقل (بفتحتين): العيال والمتاع.

وفي حديث خيبر المشهور قول النبي ﷺ -يعني خادمه الذي يسمى مدعماً، وكان قد قتل في وادي القرى-: **(إن الشملة التي أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا)**.

والحق أن الشرط الأول يغني عنها جميعا، والشروط الأخرى توضيحية للبيان، أما الغلول فإنه ينقص الأجر ولا يبطل الشهادة.

وقليل الغلول وكثيره حرام.

## أثر الدين في الشهادة وتكفير الخطايا:

الدين لا يؤثر في الشهادة، ولكن تكفير الخطايا كلها قد يؤثر فيه الدين.

قال النووي في شرح مسلم: (إلا الدين).. فيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين، وإنما تكفر حقوق الله تعالى.

وكذلك قال ابن عبد البر: وقد ذكر القرطبي شرطا في الدين المانع من مغفرة الذنوب وهو: (إذا امتنع عن أداء الحقوق مع تمكنه).. أما إذا لم يستطع قضاء الدين مع محاولته فالمرجو من كرم الله تعالى -إذا صدق في قصده وصحت نيته- أن يرضي الله تعالى خصومه عنه بما شاء حتى يدخل الجنة.

هكذا حقوق الآدميين.. أما حقوق الله تعالى فالظاهر أنها تغفر كلها بالشهادة.

وفي النوادر أن التشديدات التي وردت في الدين كلها منسوخة إلا من أدان في سرف أو فساد.

وذكر نحو ذلك عن ابن شهاب وهذا رأي المالكية.

## غسل الشهيد:

اتفق الأئمة الأربعة على أن الشهيد لا يغسل، وهذا قول عامة أهل العلم، ولم يخالف في هذا الحكم إلا الحسن وسعيد بن المسيب وابن سريج الشافعي.

فقالوا بغسل الشهيد، واحتجوا بأنه: ما مات ميت إلا جنبا والجنب يجب تغسيله.

واحتج الجمهور بحديث جابر: **(أن رسول الله ﷺ أمر بشهداء أحد بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم)**[1]

ولأحمد أن النبي ﷺ قال في قتلى أحد: **(لا تغسلوهم فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكاً يوم القيامة، ولم يصل عليهم)**[2].

ورأي الجمهور أرجح للأدلة الصحيحة التي تكاد تصل إلى حد التواتر.

## غسل الشهيد الجنب والشهيد الحائض:

قال جمهور الفقهاء: لا يغسل الشهيد الجنب، وهذا رأي الشافعي ومالك وأحمد والصاحبان أبو يوسف ومحمد والحنبلية.

وقال أبو حنيفة وابن أبي سريج وابن أبي هريرة من الشافعية: يغسل... واستدل بحديث أن حنظلة ابن أبي عامر الراهب قد استشهد جنباً يوم أحد فغسلته الملائكة، رواه الطبراني بإسناد جيد، نيل الأوطار (٢٩/٤) وكذلك رواه البيهقي بإسناد جيد من رواية عبد الله بن الزبير متصلاً.

جاء في حاشية ابن عابدين (٢٤٩/٢): (غسل الجنب: يغسل عنده خلافا للصاحبين، وأما الحائض إذا انقطع الحيض أو النفاس تغسل عنده خلافاً للصاحبين).

ورأي الجمهور هو الأصح لأنه لو وجب غسله لغسله رسول الله ﷺ.

وغسل الملائكة كرامة، ولا يسد عن غسل البشر له لو وجب، وحكم المرأة الحائض الشهيد كالجنب[3].

أما المالكية فجاء في حاشية الدسوقي (٤٢٦/١): الجنب والحائض لا يغسلان.. قال أشهب: لا يغسل الشهيد ولا يصلى عليه،

---

١- رواه البخاري والنسائي وابن ماجة والترمذي وصححه. ٢- نيل الأوطار (٢٨/٤). ٣- المغني (٤٠٢/٢)

وإن كان جنباً.. وبه قال أصبغ وابن الماجشون خلافاً لسحنون.

قال النووي في المجموع (٢٦٣/١): لو استشهد جنب فوجهان: (أصحهما) باتفاق المصنفين يحرم غسله، وبه قال جمهو أصحابنا المتقدمين لأنها طهارة حدث فلم يجز كغسل الميت، (والثاني) وبه قال ابن سريج وابن أبي هريرة يجب غسله بسبب شها الجنابة.

أما الحائض والجنب فقد أشار القاضي أبو الطيب والشيخ نصر المقدسي إلى الجزم بأنها لا تغسل بالاتفاق.

وعلة عدم غسل الشهيد أن الغسل يزيل الدم وهو أثر العبادة المستحسنة شرعاً.

وقد جاء في البخاري: **(والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله** –والله أعلم من يكلم في سبيله– **إلا جاء يوم القيامة واللو لون الدم والريح ريح المسك)**.

الكافر إذا أسلم دون غسل ثم استشهد.

لا يغسل، لأن أصيرم بني عبد الأشهل أسلم يوم أحد ثم قتل ولم يغسل.. وهو حديث صحيح[1].

## الصلاة على الشهيد:

اختلف العلماء في الصلاة على الشهيد على رأيين: الأول –وهو رأي الجمهور–: إنه لا يصلى عليه، وهو قول مالك والشافع وجمهور الحنبلية وإسحاق ورواية عن أحمد.

الثاني: وهو راي الحنفية والثوري ورواية عن أحمد أنه يصلى عليه، وهو رأي الحسن البصري وسعيد بن المسيب.

وقد استدل الجمهور بحديث البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ف الثوب الواحد ثم يقول: أيهما أكثر أخذا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يصل عليه رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة.

وعن أنس رضي الله عنه أن شهداء أحد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم[2].

**وأما الحنفية:**

١ـ فقد استدلوا على رأيهم بحديث عن أبي مالك الغفاري عند أبي داود ولفظه: أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد عشرة عشرة، في كل عشرة حمزة، حتى صلى عليه سبعين مرة. والحديث مرسل ولا يقف أمام حديث البخاري أنه لم يصل عليهم.

قال الشافعي رحمه الله: (وشهداء أحد اثنان وسبعون شهيداً، فإذا صلى عليهم عشرة عشرة فالصواب أن لا يكون أكثر ، سبع صلوات أو ثمان على أنه صلى على كل تسعة مع حمزة صلاة، فهذه سبع، فمن أين جاءت سبعون صلاة؟ وإن عنى أنه ك سبعين تكبيرة فنحن وهم بقول التكبير أربع فهي ست وثلاثون تكبيرة.

قال الشافعي رحمه الله: ينبغي لمن يروي هذا الحديث أن يستحي على نفسه، وما كان ينبغي له أن يعارض به الأحاديث، ف جاءت من وجوه متواترة أن النبي ﷺ لم يصل عليهم.

٢ـ استدل الحنفية بحديث أبي سلام عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال أغرنا على حي من جهينة، فطلب رجل من المسلم رجلاً منهم فضربه فأخطأه وأصاب نفسه، فقال رسول الله ﷺ: أخوكم يا معشر المسلمين! فابتدره الناس فوجدوه قد مات، فلفه رسو الله ﷺ بثيابه ودمائه وصلى عليه ودفنه، فقالوا: يا رسول الله! أشهيد هو؟ قال: نعم وأنا له شهيد[3].

ولكنا نقول إن هذا الحديث لا تقوم به حجة كذلك، ولا يقف أمام أدلة الجمهور، لأن في إسناده سلام بن أبي سلام وهو مجهو

٣ـ واستدل الحنفية بحديث عقبة بن عامر في البخاري ومسلم وغيرهما أنه ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلا على ميت كالمودع للأحياء والأموات[4].

قال الطحاوي: إن معنى صلاته عليهم لا يخلو من ثلاثة معان:

---

١ـ المغني (٤٠٢/٢).

٢ـ رواه أبو داود بإسناد حسن أو صحيح . المجموع (٢٦٥/١)، و٤٠٠، أحمد والترمذي . نيل الأوطار (٤٢/٤)

٣ـ رواه أبو داود وسكت عليه هو والترمذي.. نيل الأوطار (٣٠/٤)

٤ـ والحديث صحيح نيل الأوطار (٤٣/٤).

١ـ إما أن يكون ناسخا لما تقدم من ترك الصلاة عليهم.

٢ـ أو يكون من سنتهم أن لا يصلى عليهم إلا بعد هذه المدة.

٣ـ أو تكون الصلاة عليهم جائزة بخلاف غيرها فانها واجبة.

فإذا ثبتت الصلاة عليهم بعد الدفن كانت قبل الدفن أولى(١).

ويرد الجمهور على الطحاوي بأن دعوى النسخ غير ثابتة.. أما تأخير الصلاة على الميت بعد ثمان سنوات فهذا بعيد ومردود فلا بد من حمل معنى الصلاة على الدعاء، والصلاة على القبر مخالفة لأصول الحنفية لأنهم لا يصلون على القبر بعد ثلاثة أيام، ولا يصلى على القبر -إذا صلى عليه- بعد الدفن. وهم يقولون بأنه صلى على شهداء أحد قبل الدفن.. ولأن الحنفية لا يقبلون خبر الواحد فيما تعم به البلوى، فلم يقبلون هذا الخبر؟ قال محمد بن الحسن: (الشهيد إذا قتل في المعركة لم يغسل ويصلى عليه في قول أهل العراق وأهل الشام -به نأخذ-، وفي قول أهل المدينة لا يصلى عليه وممن قال ذلك مالك بن أنس).

ويرد محمد بن الحسن على حديث جابر الذي في البخاري والذي استدل به الجمهور فقال: (وكان جابر رضي الله عنه يومئذ قتل أبوه وخاله فكان مشغولاً بهما لم يشهد صلاة الرسول ﷺ على الشهداء على ما روي أنه حملهما إلى المدينة فنادى رسول الله ﷺ أن ادفنوا القتلى في مضاجعهم -مصارعهم-(٢).

ويرد الجمهور: إذا كان جابر مشغولا بأبيه وخاله فكيف لا يعلم حال الصلاة عليهما أو تركهما؟ وإذا رد الحنفية على حديث جابر الصحيح فكيف يردون على حديث أنس رضي الله عنه؟

وقال الحنفية إن حديث جابر لا يحتج به لأنه نفي، وأحاديثنا في الصلاة على شهداء أحد إثبات، والقاعدة: (إذا تعارض النفي مع الإثبات فالإثبات مقدم).

ورد الجمهور على الحنفية بأن شهادة النفي إنما ترد إذا لم يحط بها علم الشاهد ولم تكن محصورة، أما ما أحاط به علمه وكان محصوراً فيقبل بالاتفاق، وهذه قصة معينة أحاط بها جابر وغيره علماً.

وأما رواية الإثبات فضعيفة، فوجودها كالعدم -إلا حديث عقبة- وقد أجبنا عنه(٣).

ومما يرد على الحنفية أن أحاديث الصلاة على الشهيد موافقة للبراءة الأصلية.. وأما أحاديث عدم الصلاة على الشهيد فهي ناقلة عن البراءة الأصلية.

والقاعدة الأصولية: (إذا تعارض الحديث الموافق للبراءة الأصلية مع الحديث الناقل عن البراءة الأصلية يقدم الناقل ويرجح).

هذا إذا كانت الأحاديث في نفس الدرجة من الصحة، فكيف إذا كانت أحاديث الصلاة على الشهيد كلها ضعيفة كما قال الشوكاني في نيل الأوطار (٤٢/٤).

(وقد رويت الصلاة عليهم بأسانيد لا تثبت)، والحق الذي لا محيد عنه أن رأي الجمهور أصح وأرجح وأقوى بأدلة عقلية ونقلية واضحة وضوح الشمس.

ولذا فلا يصلى على الشهيد لأنه حي، والحي لا يصلى عليه.

ولأن الشهادة منزلة رفيعة، وصلاة الجنازة شفاعة، والشهيد قد غفر ذنبه، فإن السيف محاء الخطايا.. بل الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته. ثم الشهيد لم يغسل فكيف يصلى عليه؟

## هل يقال لفلان شهيد:

عندما نقول أن فلانا شهيد: أي نعامله معاملة الشهداء في الدنيا من حيث ترك الغسل والصلاة عليه، ولكننا لا نشهد لأحد بجنة ولا بنار، لأن القلوب بيد الله وله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله.

وهذا الذي درج عليه المؤلفون من أهل السير والمغازي والمعارك الإسلامية، فيقولون: شهداء أحد وحنين واليرموك والقادسية.

---

١- نيل الأوطار (٤١/٤)    ٢- شرح السير الكبير (٢٢١/١).    ٣- المجموع (٢٦٠/١)

وكذلك كتب الرجال تجد فيها: استشهد في اليمامة.. قتل في القادسية شهيداً... وهكذا. وقد سئل الشيخ ابن تيمية رحمه ا تعالى في جواز أن يقال أن فلاناً شهيد، فأجاب: (فمن ثبت ولايته بالنص وأنه من أهل السنة وأنه من أهل الجنة كالعشرة وغيره فعامة أهل السنة يشهدون له بما شهد له به النص.

وأما من شاع له لسان صدق في الأمة بحيث اتفقت الأمة على الثناء عليه فهل يشهد له بذلك؟ هذا فيه نزاع بين أهل السـ والأشبه أن يشهد له بذلك) [1].

## أقسام الشهيد:

شهيد الدنيا والآخرة: وهو المسلم الذي قتل في المعركة مع الكفار، وهو يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

ومعنى شهيد الدنيا: الذي يعامل من قبل الناس معاملة الشهيد.. أي لا يغسل ولا يكفن.

ومعنى شهيد الآخرة: الذي يأخذ أجر الشهادة ومنزلتها عند الله.

شهيد الدنيا: المسلم الذي يقاتل في المعركة مع الكفار ولكنه يقاتل حمية أو رياء.

شهيد الآخرة: الذي يأخذ أجر الشهادة ولا يعامل معاملة الشهيد، فيغسل ويكفن ويصلى عليه.. مثل الميت في الطريق والهجر والجهاد، ومثل المبطون والمصاب بالطاعون والغريق.

وفي صحيح البخاري: قال ﷺ: (الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله).

## تعداد الشهداء:

لقد كتب السيوطي رسالة سماها (أبواب السعادة في أسباب الشهادة) وأوصل فيها عدد الشهداء إلى ثلاثين نوعاً، وقد نظ الأجهوري المالكي عدد الشهداء شعراً في منظومة وشرحها.

## ومن أنواع الشهداء:

(الغريق، الحريق، الغريب، المهدوم عليه، المبطون، المطعون، النفساء، الميت ليلة الجمعة، صاحب ذات الجنب، من مات بطلد العلم أو بذات الجنب -قروح في الجنب-، أو بالجمع (المرأة الحامل)، السل، الصرع، الحمى، من مات دون ماله أو دمه، من عشز نعف فكتم فمات، بالشرق، افتراس السبع، حبس السلطان، بالضرب، مات متوارياً، أو لدغته هامة، المؤذن المحتسب، التاجر الصدوق المائد في البحر (يصيبه غثيان أو قيء)، أو ماتت صابرة على الغيرة، من صلى الضحى وصام -ثلاثة أيام كل شهر- ولم يترك الو سفراً ولا حضراً، المتمسك بسنته، من قال في مرضه أربعين مرة (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، أو مات مرابطاً، م قرأ كل ليلة سورة يس، من صرع عن دابة فمات، من طلب الشهادة صادقاً، من مات يوم الجمعة، من جلب طعاماً إلى مصر م الأمصار، من اغتسل بالثلوج فمات).

جاء في أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك... (٢٦٧/٤) (ذكر الحافظ في (٢٧) منها أن طريقها جيدة): فكل من كثر أسباب شهادته زيد له في فتح أبواب سعادته [2].

## قاتل نفسه خطأ في المعركة:

اختلف الفقهاء في من قتل نفسه خطأ في المعركة.. أيعامل معاملة الشهيد؟

فذهب المالكية والشافعية والحنبلية إلى أنه يعامل معاملة الشهيد.

وذهبت الحنفية إلى أنه لا يعامل معاملة الشهيد، والحق مع الجمهور لأن الدليل معهم، فقد روى مسلم والنسائي وأبو داود عـ سلمة بن الأكوع قال: (لما كان يوم خيبر قاتل أخي قتالاً شديداً فارتد عليه سيفه فقتله، فقال أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك وشكو فيه: رجل مات في سلاحه.

---

١- مجموع الفتاوى (٦٥/١١).

٢- حاشية ابن عابدين (٢٥٢/٢).

فقلت يا رسول الله: إن ناساً ليهابون الصلاة عليه (الترحم عليه والدعاء له).

فقال رسول الله ﷺ: **(كذبوا، مات جاهداً مجاهداً فله أجره مرتين وأشار بإصبعه)**[1] .

وإليك نصوص المذاهب الأربعة:

**١ـ الحنفية:**

يغسل (ومن قصد العدو فأصاب نفسه يغسل)[2].

**٢ـ المالكية:**

لا يغسل (ولا يغسل شهيد معترك ولو قتل ببلد الإسلام بأن غزى الحربيون المسلمين أو لم يقاتل بأن كان غافلاً أو نائما أو قتله مسلم يظنه كافرا، أو داسته الخيل أو رجع عليه سيفه أو سهمه أو تردى في بئر أو سقط من شاهق في حال القتال) [3] .

**٣ـ الشافعية:**

(الشهيد الذي لا يغسل ولا يصلى عليه: من مات بسبب قتال الكفار حال قيام القتال، سواء قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم خطأ أو عاد إليه سلاح نفسه أو سقط عن فرسه أو رمته دابة فمات أو وطئته دواب المسلمين أو أصابه سهم لا يعرف هل رمي به مسلم أو كافر)[4].

**٤ـ الحنابلة:**

(فإن كان الشهيد عاد عليه سلاحه فقتله فهو كالمقتول بيد العدو)(المغني ٢/٤٠٤)، وقال القاضي: يغسل ويصلى عليه لأنه قتل بغير يد المشركين.

## من قتله قطاع الطريق أو البغاة:

يرى الحنفية والحنبلية أن المقتول بيد البغاة وقطاع الطريق شهيد يعامل معاملة الشهداء بخلاف الشافعية.

والدليل مع الحنفية: فقد روى الإمام أحمد بسند جيد عن إبراهيم بن عبد الله بن فروخ عن أبيه قال: (شهدت عثمان بن عفان رضي الله عنه في ثيابه ولم يغسل)[5].

أما الشافعي: فقد قال: أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن عمر غسل وكفن وصلي عليه.

وقال الشافعي في الأم (١/٢٥٠): إن رؤساء المسلمين غسلوا عمر وصلوا عليه وهو شهيد ولكنه إنما صار إلى الشهادة في غير حرب.

وقال الشافعي في الأم: من أكله سبع أو قتله أهل البغي أو اللصوص، أو لم يعلم من قتله غسل وصلي عليه.

ورأي الحنفية أرجح لأن عمر قد ارتث فقد مكث بعد طعنه فترة حتى مات.

جاء في حاشية ابن عابدين (٢/٢٤٨): (وكذا يكون شهيدا لو قتله باغ أو حربي أو قاطع طريق ولو تسببا أو بغير آلة جارحة فإن مقتولهم شهيد بأي آلة قتلوه، وكذا من قتله اللصوص ليلاً).

وذكر في البحر أنه زاد في المحيط سببا رابعاً: وهو من قتل مدافعاً ولو عن ذمي فهو شهيد بأي آلة قتل.

وجاء في المبسوط لمحمد بن الحسن: قلت أرأيت رجلا قطع عليه الطريق فقتل دون ماله؟ قال: يصنع بهم ما يصنع بالشهيد.

أما الشافعية: فلا يعتبرونه شهيداً كما مر، قال الشافعي في الأم (١/٣٠٦): (من أكله سبع أو قتله بغي أو لصوص أو لم يعلم من قتله غسل وصلي عليه).

وجاء في المجموع ٥/٣٦١ (إن قتل أهل البغي عادلا، أو قتله قطاع الطريق، أو قتله اللصوص مقولان مشهوران: (أصحهما يغسل ويصلى عليه.. لأن عمر وعثمان وعلي غسلوا وصلى عليهم بالاتفاق).

---

١- النووي على مسلم (١٢/١٧١). ٢- حاشية ابن عابدين (٢/٢٥٢). ٣- حاشية الدسوقي ١/٤٢٦. ٤- المجموع (٥/٢٦١). ٥- الفتح الرباني (٧/١٥٩).

قلت: أما عثمان فقد ثبت أنه لم يغسل... وأما عمر فقد غسل لأن موته تأخر بعد الطعن فهو مرتث.

**أما الحنبلية:** جاء في المغني (٦/٢٠٤): (ومن قتل من أهل العدل في المعركة فحكمه في الغسل والصلاة حكم من قتل معركة المشركين، لأن علياً رضي الله عنه لم يغسل من قتل معه، وعمر أوصى أن لا يغسل، وقال: إدفنوني في ثيابي فإني مخاصم).

قال أحمد: قد أوصى أصحاب الجمل أنا مستشهدون غداً فلا تنزعوا عنا ثوباً ولا تغسلوا دماً).

من وجد في المصر مقتولاً: يغسل من وجد قتيلاً.

## ما ينزع عن الشهيد:

اتفق الفقهاء أن آلة الحرب كالسلاح والدرع والبيضة تنزع عن الشهيد عند الدفن.

واختلفوا بالنسبة للخف والقلنسوة والجبة المحشوة.

فقال الحنفية والشافعية: تنزع عنه، وقال المالكية: تدفن معه.

ويبدو أن كلام الحنفية والشافعية أقرب إلى روح الشرع إذ أن ما يدفن يتلف، والإتلاف في الشرع ممنوع.

جاء في حاشية ابن عابدين (٢/٢٥٠): (ينزع عنه ما لا يصلح أن يكون كفنا كالفرو والحشو والخف والقلنسوة والسلاح).

وجاء في الأم للشافعي (١/٣٠٥): (وتنزع عنهم خفاف وفراء، ويكفنون في الثياب التي قتلوا فيها إلا فراء أو حشوا ولبدا ومثله في المجموع (١/٢٦٢).

جاء في حاشية الدسوقي المالكي (١/٤٢٦): (ويدفن بالخف والقلنسوة والمنطقة لا بآلة الحرب).

## المرتث:

من ارتث -بالمجهول- أي أصبح جرحه رثاً أي قديماً، يقال ثوب رث أصبح خلقاً قديماً.

والمرتث من حمل رثيثاً (جريحاً) من المعركة وبه رمق.

واتفق الفقهاء أن الجريح المرتث لا يعامل معاملة الشهيد كما فعل رسول الله ﷺ بسعد بن معاذ، وقد غسله وصلى عليه، وكما فعل الصحابة بعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

## فمن هو المرتث؟

يكاد الفقهاء يتفقون أن المرتث: من حمل من أرض المعركة جريحاً وفعل فعل الأحياء كالأكل، أو كتابه الوصية، أو مضى عليه وقت صلاة وهو يعقل، ويقدر على أدائها. أما إذا فعل هذا والمعركة مستمرة وهو في أرض المعركة فإنه ليس مرتثاً.

أما منفوذ المقاتل (بأن كان جرحه عميقا قاتلا ولا يرجى برؤه) فإنه يعامل كالشهيد ولو أكل وأوصى.

وكذلك الذي ينقل مغموراً (مغمى عليه) بأن يعامل معاملة الشهيد ولو بقي أياماً.

إذاً شروط المرتث:

١- أن ينقل من أرض المعركة جريحاً.

٢- أن يفعل فعل الأحياء كالأكل أو البيع أو كتابة الوصية.

٣- أن لا يكون جرحه قاتلاً.

٤- أن لا يكون مغموراً (مغمي عليه).

وما لم تجتمع هذه الشروط الأربعة فإنه يعامل كالشهيد.

أ- قال ابن عابدين الحنفي في الحاشية (٢/٢٥٢): المرتث من ارتث (بالمجهول) بأن أكل أو شرب أو نام أو تداوى ولو قليلا، أو آوى خيمة، أو مضى عليه وقت صلاة وهو يعقل ويقدر على أدائها، أو نقل من المعركة وهو يعقل سواء وصل حياً أو مات على الأيدي.

وكذا لو قام من مكانه إلى آخر لا لخوف وطء الخيل، أو أوصى بأمور الدنيا، وإن أوصى بأمور الآخرة لا يصير مرتثاً عند محمد وهو الأصح، لأنه من أحكام الأموات، أو باع أو اشترى أو تكلم بكلام كثير وإلا فلا، وهذا كله إذا كان بعد انقضاء الحرب، ولو فيها -أي في الحرب- لا يصير مرتثاً بشيء مما ذكر.

ب- قال المالكية في حاشية الدسوقي الشرح (٤٢٦/١): وإن رفع حياً من أرض المعركة إلا المغمور -الذي لم يأكل ولم يشرب ولم يتكلم إلى أن مات-.

## منفوذ المقاتل:

قال الدردير في الشرح الكبير: (المعتمد أن منفوذ المقاتل لا يغسل ولو رفع غير مغمور).

وهذا رأي سحنون وابن عبد البر في الكافي وصاحب المعونة.

جـ- قال الشافعية في المجموع للنووي (٢٦١/١): من جرح في الحرب ومات قبل انقضائها فهو شهيد، سواء مات في الحال أو بقي زمناً، وسواء أكل أو شرب أو وصى أو لم يفعل شيئاً من ذلك، أما إذا جرح ثم مات بعد الحرب فهو مرتث.

## المرأة والطفل الشهيد:

يرى جمهور الفقهاء أن المرأة أو الطفل اللذان يقتلان في المعركة يعاملان معاملة الشهيد بخلاف أبي حنيفة.

قال الشافعي في الأم (٣٠٥/١): وإن قتل صغيراً أو امرأة في معركة، صنع بهما ما يصنع بالشهداء ولم يغسلا ولم يصل عليهما.

جاء في المجموع (٢٦٦/٥): (الصبي إذا استشهد) مذهب الشافعي لا يغسل ولا يصلى عليه، وبه قال الجمهور، وحكاه العبدري عن أكثر الفقهاء، منهم مالك وأبو يوسف ومحمد وأحمد، وقال أبو حنيفة: يغسل ويصلى عليه.

## انكشاف الحرب عن قتيل مسلم:

اتفق الفقهاء الأربعة أننا إذا وجدنا مسلماً مقتولاً بعد المعركة وبه أثر يعامل معاملة الشهيد بعدم غسله، أما إذا لم نجد به فذهب الشافعية والمالكية إلى أنه يعامل معاملة الشهيد، وذهب الحنفية والحنبلية إلى أنه لا يعامل معاملة الشهيد.

جاء في المجموع للنووي الشافعي (٢٦٧/٥): إذا انكشفت الحرب عن قتيل مسلم لم يغسل ولم يصل عليه عندنا، سواء كان به أثر أم لا، وبه قال مالك، وقال أبو حنيفة وأحمد: إن لم يكن به أثر غسل وصلى عليه.

## نقل الميت:

الميت إما شهيد وإما غير شهيد.

أما الشهيد: فقد كره الفقهاء الأربعة نقله قبل دفنه.

أما بعد الدفن فإن معظمهم قال بحرمة النقل، إلا في حالات الضرورة كما نقل شهداء أحد عندما فاضت العين في زمان معاوية سنة ٤٦هـ.

جاء في المغني (٣٨٩/٢):يستحب دفن الشهيد حيث قتل، قال أحمد: أما القتلى فعلى حديث جابر أن النبي ﷺ قال (ادفنوا القتلى في مصارعهم).

وقال علي القاري الحنفي: فإن كان يترتب على نقل الميت فائدة فلا كراهة، إلا ما نص عليه من شهداء أحد أو من في معناهم من مطلق الشهداء.

جاء في زاد المعاد (٢١٤/٣): (إن السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم ولا ينقلوا إلى مكان آخر، فإن قوماً من الصحابة نقلوا قتلاهم إلى المدينة فنادى منادي رسول الله ﷺ بالأمر برد القتلى إلى مصارعهم).

قال جابر: بينما أنا في النظارة إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة لندفنهما في مقابرنا،

وجاء رجل ينادي ألا إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت، فرجعنا فدفناهما في الة حيث قتلا.

فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذا جاءني رجل فقال: يا جابر والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طا منه، قال: فأتيته فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شيء.

قال: فواريته، فصارت سنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم[1].

**أما الميت العادي: قبل الدفن:** فقد أجاز الفقهاء الثلاثة نقله -المالكية والحنفية والحنبلية-.

جاء في الدر المختار للحصكفي الحنفي: لا بأس بنقله قبل دفنه.

وفي الشرح الكبير للمالكية: جاز نقل الميت قبل الدفن وكذا بعده، ولم ير أحد بأسا أن يحول الميت من قبره إلى غيره.

واحتج هذا الفريق بما رواه مالك أن غير واحد ممن يوثق به أن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد توفيا بالعقيق وحملا إ المدينة ودفنا بها[2].

أما الشافعية ففي المذهب قولان: الكراهة.. وقال الدارمي والبغوي وغيرهما يحرم نقل الميت.

قال النووي:وهذا هو الأصح (قالت عائشة عندما زارت قبر أخيها عبد الرحمن وكان قد مات في الجيش -قريباً من مكة-: حضرتك ما دفنت إلا حيث مت، ولو شهدتك ما زرتك).. رواه الترمذي، ورجاله رجال الصحيحين[3].

**أما نقل الميت بعد الدفن:** فمنعه الحنفية والشافعية، وأجاز المالكية والحنبلية.

جاء في فتح القدير للكمال بن الهمام الحنفي: (في امرأة دفن ابنها وهي غائبة في غير بلدها فلم تصبر وأرادت نقله، يسعها).

وفي الدر المختار للحصكفي الحنفي: (لا بأس بنقله قبل دفنه، وأما نقله بعد دفنه فلا مطلقاً).

وقد ذكرنا أن المالكية والحنابلة أجازوا نقله لمصلحة، جاء في حاشية الدسوقي المالكي (٤٢١/١): (وجاز نقل الميت قبل الدة وكذا بعده من مكان إلى آخر، بشرط أن لا ينفجر حال نقله وأن لا تنتهك حرمته وأن يكون لمصلحة، كأن يخاف عليه أن يأكله البحر ترجى بركة الموضع المنقول إليه، أو ليدفن بين أهله، أو لأجل قرب الزيارة).

وجاء في المغني لابن قدامة الحنبلي: (ويستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم، وكذلك ا البقاع الشريفة، ثم روى حديث الشيخين عن موسى عليه السلام أنه سأل الله تعالى أن يدنيه إلى الأرض المقدسة رمية حجر)[4].

## البناء على القبر

اتفق الفقهاء الأربعة على أن بناء القبر إن كان للزينة والشهرة فيحرم.. وإن كان للإحكام -لمنعه من الإندثار- فيكره.

**١ـ رأي الحنفية:**

جاء في الطحطاوي على قول صاحب الدر المختار (٦١٠/١)، وفي الشرنبلالية عن البرهان: (يحرم البناء عليه للزينة، ويك للإحكام بعد الدفن).

وفي كتاب الآثار صفحة (٤٢): (ونكره أن يجصص أو يطين أو يجعل عنده مسجداً أو علماً أو يكتب عليه إلى أن قال.. وه قول أبي حنيفة).

وفي المبسوط لمحمد بن الحسن (٤٢٢/١): (قلت: أرأيت القبر هل تكره أن يجصص؟ قال: نعم، لما روى أن النبي ﷺ نهى ع تجصيص القبور وتربيعها، لأن التجصيص في الأبنية إما للزينة أو لإحكام البناء)[5].

---

١- أخرجه أحمد في المسند (٣٠٨/٣، ٣٩٨) من حديث جابر وسنده صحيح، وأخرجه مختصراً النسائي (٧٩/٤)، وابن ماجة (١٥١٦)، وأبو داود (٣١٦٥)، والترمذي (١٧١٧)، وقال حس صحيح، وصححه ابن حبان (١٩٦).

٢- أنظر أوجز المسالك على موطأ مالك للكاندهلوي (٢٥٢/٤).

٣- أنظر إعلاء السنن (٢٧٧/٧).

٤- أنظر إعلاء السنن (٢٦٨/٨).

٥- انتهى ما قاله السرخسي في المبسوط (٦٢/٢).

**٢ـ المالكية:**

جاء في حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/٤٢٥): (وكره تطيين قبر أو تبييضه وبناء عليه كقبة أو بيت أو مدرسة إن كان ذلك بأرض مملوكة له، أو لغيره، بإذن أو موات لغير مباهاة ومن غير أن تصير مأوى للفساق، وإن بوهي به أو كان مأوى للفساق أو في المقبرة أو في ملك غيره حرم.

ووضع حجر أو خشبة لتمييز القبر جائز من غير نقش لاسمه أو تاريخ موته وإلا كره وإن بوهي به حرم.

وظاهره أن النقش مكروه ولو قرآناً، وينبغي الحرمة لأنه يؤدي إلى امتهانه.

**٣ـ الشافعية:**

جاء في المجموع للنووي (٥/٣١٦): (واتفقت نصوص الشافعية والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح أو غيره لعموم الأحاديث: {**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**}[١].

**٤ـ الحنابلة:**

جاء في المغني (٢/٣٨٧): (ويكره البناء على القبر وتجصيصه والكتابة عليه، لما روى مسلم في صحيحه قال: **نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يقعد عليه**. -زاد الترمذي-.. **وأن يكتب عليه**. وقال حسن صحيح)[٢] .

هدم القبور:

ينبغي على ولاة الأمور أن يهدموا القبور المرتفعة، وأن يمنعوا نصب الرايات عليها أو الكتابة.

فقد روى الجماعة إلا البخاري عن أبي الهياج الأزدي عن علي (قال: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته)[٣].

قال الشافعي في الأم (١/٣٦١): (وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها من القبور فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك).

خلاصة القول:

يحرم البناء على القبر أو بناء مسجد عليه أو كتابة الاسم عليه إن كان ذلك للشهرة عند المذاهب الأربعة، وكذلك رفع الأعلام والرايات على القبور يحرم إن كان للشهرة.. خاصة قبور الشهداء حفظا لثوابهم وتطبيقا للسنة في قبورهم.

******************

# هذا الكتاب

هذه بعض شذرات من أحكام الجهاد كتبتها بعد أن كاد يصبح نسياً منسياً، وأصبحت آيات الجهاد في سبيل الله عند الكثيرين من الناس تؤول بأنها الدعوة والكتابة عن الإسلام، وأصبح القتال ظاهرة مستغربة في حياة المسلمين، ونرجو الله عز وجل أن يتقبل محاولتنا لإعادة الجهاد إلى مكانه الطبيعي في أذهان المسلمين على الأقل وفي طريقة تفكيرهم، وإن كان الواقع العملي للمسلمين بعيداً بعداً شاسعاً عن الجهاد الفعلي وعن الحكم الشرعي الواقعي.

القتل والقتال ضرورة مفروضة على المسلمين لأنهم يحملون راية التوحيد، وهم مأمورون بنشرها فوق كل رابية وسهل، والضرورة تقدر بقدرها.

القتال في الإسلام ضرورة لإنقاذ الشعوب المستضعفة والقطعان المستعبدة للآلهة البشرية، فلابد من إنزال هذه الآلهة البشرية إلى مقام العبودية وإنقاذ العبيد وتحريرهم، فإن أبت هذه الأرباب الآدمية أن تزول من عليائها فلابد من تحطيم كبريائها وإعادتها إلى حجمها الطبيعي وإلى حدها الحقيقي الذي تخطته ظلماً وعدواناً على بحور الدماء وجماجم الأبرياء وأشلاء الشهداء.

---

١- متفق عليه. ٢- انظر نيل الأوطار (٤/٢٨٧). ٣- نيل الأوطار (٤/١٢٠).

# جريمة

## قتل النفس المسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلاهادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد خلق الله عز وجل آدم بيديه، وكرمه على المخلوقات.

**(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** (الإسراء:٧٠)

وسخر له ما في السموات وما في الأرض.

**(وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** (الجاثية:١٣)

وأسجد له الملائكة، وأرسل له الأنبياء والرسل، وأنزل الوحي والكتب من أجله، وحفظ له الضرورات الخمس (الدين والنفس والعرض (النسل) والعقل والمال).

فمن أجل حفظ الدين: شرع الله الجهاد، وشرع قتل المرتد.

ومن أجل حفظ النفس: شرع القصاص، وحرم الانتحار.

ومن أجل حفظ العرض والنسل: حرم الزنا وجفف موارده، وشرع الزواج، وشرع حد الرجم والجلد.

ومن أجل حفظ العقل: حرم الخمور والمخدرات والحشيش والأفيون وشرع حد السكران.

ومن أجل حفظ المال: حرم السرقة، وبيع الغرر، والربا، والغش، والاحتكار، وشرع حد السرقة.

ولذا فإن هذا الإنسان كريم وثقيل في ميزان الله عز وجل إذا اتبع منهاجه، وسلك الطريق القويم الذي بينه الله عز وجل له.

هذا وإن هذا الجهاد المبارك قد أقض مضاجع الظالمين، لأنه نذير بزوال عروشهم، وإقامة حكم الله تعالى في الأرض، فلذلك هبت جموع الكافرين والظالمين ليحولوا دون ذلك، فسلكوا ما استطاعوا من سبل المكر والكيد والخديعة، وقد كان من أشد هذه السبل إيجاد التفرقة بين المجاهدين، وبذر بذورالخلاف بينهم، وإذكاء شرره، حتى وصل الحال إلى حدوث قتال بين المجاهدين في مناطق متعددة في أفغانستان، لذا رأينا لزاماً علينا التنبيه إلى خطر الأمر على المجاهدين من الناحية الشرعية. فجاءت هذه الكراسة مبينة لعظم الذنب في قتل المسلم، عسى أن تكون فيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وإننا إذ نقدم هذا التحذير فإننا ننبه إلى أن ما جاء في هذه الرسالة نقصد به المجاهدين المسلمين وما يجري بينهم، أما الذين يدّعون أنهم مسلمون ولكنهم يُقاتلون في صف الدولة الملحدة فإن هذا الكلام لا يشملهم، لأنهم بغاة صائلون يريدون تغيير دين الأفغان من الإسلام إلى الإلحاد والكفر، وهم يساعدون الدولة في ذلك، ولو كانوا مكرهين على القتال معها، فهؤلاء يجوز قتلهم وإن نطقوا بالشهادتين، وذلك لأننا لا نقاتلهم لكي يدخلوا الإسلام، بل نقاتلهم لكي نسقط الدولة الملحدة الكافرة، وهم يدافعون عنها (باختيارهم أو بالإكراه)، ولذلك فهم يحولون دون قيام دولة الإسلام، ومن كانت هذه حاله فلن يكون بأحسن من المسلمين الذين يتترس بهم الكفار، والذين أباح الفقهاء بالاتفاق قتلهم إذا لم يمكن الوصول إلى الكفار إلا بذلك، فكيف بهؤلاء المحاربين لله ولدين الإسلام؟

والله الهادي سواء السبيل

# تحريم قتل النفس

شدد هذا الدين في صيانة هذا الإنسان، وحفظ دمه من أن يهرق بدون حق، فقال عز من قائل:

**(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أ فكأنما أحيا الناس جميعاً** (المائدة:٣٢)

قال ابن العربي في أحكامه: (إنه بمنزلة من قتل الناس جميعاً عند المقتول، إما لأنه نفسه فلا يعنيه بقاء الخلق بعده، وإم مأثور ومخلد كأنه قتل الناس جميعاً على أحد القولين، واختاره مجاهد وإليه أشار الطبري، وقال بعض المتأخرين: إن معناه: يقتل قتل كما لو قتل الخلق أجمعين، ومن أحياها بالعفو فكأنما أحيا الناس أجمعين)[١].

والحق إن القاتل قد اعتدى على حق الحياة الذي هو حق للناس أجمعين، فمن قتل واحداً فكأنما قتل الناس جميعاً، ولذا في الصحيحين: ما من نفس تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها، لأنه أول من سن (القتل).

وقال الألوسي في روح المعاني: (وفائدة التشبيه الترهيب والردع عن قتل نفس واحدة بتصويره بصورة قتل جميع ال والترغيب والتحضيض على إحيائها بتصويره بصورة إحياء جميع الناس)[٢].

ويقول الله عز وجل:

**(ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما)** (النساء:٩٣)

## سبب نزول الآية:

جاء في تفسير الطبري (٥/ ٢١٧): (عن عكرمة أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابة، فأعطاه النبي ﷺ فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله، قال ابن جريج وغيره: ضرب النبي ﷺ ديته على بني النجار، ثم بعث مقيساً وبعث معه رجلاً بني فهر في حاجة للنبي ﷺ، فاحتمل مقيس الفهري وكان أيداً (قوياً) فضرب به الأرض، ورضخ رأسه بين حجرين ثم ألقى يتغنى

*قتلت به فهراً وحملت عقله　　　سراة بني النجار أرباب فارع*

فقال النبي ﷺ: (أظنه قد أحدث حدثاً، أما والله لئن كان فعل لا أؤمنه في حلّ ولا حرم ولا سلم ولا حرب) فقتل يوم فتح مكة

## ابن عباس وبعض الصحابة رضي الله عنهم يقولون: ليس لقاتل توبة.

ولقد بلغت جريمة القتل من الفحش والنكارة ما لم تبلغه جريمة أخرى بعد الإشراك بالله، حتى ذهب عدد من أصحاب رسول ﷺ إلى أن القاتل لا تقبل له توبة، وأنه لن يدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

فقد روى ابن جرير بإسناده عن يحيى الجابري عن سالم عن أبي الجعد قال: (كنا عند ابن عباس بعدما كف بصره، فأتاه ر فناداه يا عبدالله ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال جزاؤه جهنم خالداً فيها..... إلى آخر الآية).

قال: أفرأيت إن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمه وأنّى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده لقد سم نبيكم ﷺ يقول: **(ثكلته أمه قاتل المؤمن متعمداً جاء يوم القيامة آخذه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن وجل يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني، وأيم الذي نفس عبدالله بيده لقد أنزلت هذه الآية نسختها من آية حتى قبض نبيكم ﷺ وما نزل بعدها من برهان)** [٣].

وأخرج الألوسي في تفسيره عن سعيد بن (عينا)[٤] قال: كنت جالساً بجنب أبي هريرة إذ أتاه رجل فسأله عن قاتل المؤمن له من توبة؟ فقال: لا والذي لا إله إلا هو لا يدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط[٥].

## من توبة القاتل أن يسلم نفسه لأولياء القتيل:

ونظراً لبشاعة هذه الجريمة وشدة تعلقها بحقوق العباد فإن ذمة القاتل لا تبرأ إلا بتسليم نفسه لأولياء القتيل ليروا فيه رأ

---

١- (٢/ ٥٩١).　٢- (٥/ ١١٨).　٣- وقد روى الحديث الإمام أحمد.　٤- كذا الأصل ولعلها سعيد بن المسيب.　٥- (روح المعاني (٥/ ١١٦)).

من القصاص أو العفو أو الصلح على الدية، فإن فعل ذلك كان غير مؤاخذ في الآخرة، ولم ينفذ عليه الوعيد الوارد في النصوص إجماعاً، وإلا كان مؤاخذاً.

قال ابن عابدين في حاشيته -قال في تبيين المحارم-: [واعلم أن توبة القاتل لا تكون بالاستغفار والندامة فقط، بل يتوقف على إرضاء أولياء المقتول، فإن كان القتل عمداً لا بد أن يمكنهم من القصاص منه، فإن شاءوا قتلوه، وإن شاءوا عفوا عنه مجاناً، فإن عفوا عنه كفته التوبة][1].

## جزاء قاتل العمد في الدنيا:

اتفق الفقهاء أن القاتل عمداً يسلم لأولياء المقتول، ثم هم يخيرون بين أن يقتلوا أو يعفوا أو يأخذوا دية مغلظة أثلاثاً: [ثلاثون حقة، وثلاثون جذعة وأربعون خلفة) والحقة إذا أتمت الناقة الثالثة ودخلت في الرابعة، والجذعة التي أتمت الرابعة ودخلت في الخامسة، والخلفة التي دخلت في العاشرة.

والدية في قتل العمد من مال القاتل وليست من مال عاقلته (عشيرته) بالإجماع، أما في دية الخطأ فهي من مال عاقلته بالإجماع، أما دية شبه العمد فقد اختلف فيها الفقهاء.

فقال بعضهم: هي من ماله، وهذا رأي ابن أبي ليلى وابن شبرمة وقتادة.

وقال الجمهور: الدية على العاقلة، وبه قال الشعبي والنخعي والشافعي وأحمد وأصحاب الرأي والثوري وإسحاق[2].

## رأي العلماء في كفارة قتل العمد:

يرى الشافعي ومالك: أن على قاتل العمد الكفارة كما في الخطأ، والكفارة: هي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، قال الشافعي: إذا وجبت الكفارة في الخطأ فلإن تجب في العمد أولى.

ويستدل الشافعي بحديث واثلة بن الأسقع قال: أتى النبي ﷺ نفر من بني سليم فقالوا: إن صاحباً لنا قد أوجب (استحق النار بالقتل) قال: فليعتق رقبة يفدي الله بكل عضو منها عضواً منه من النار.

ويرى الشافعي أن القرآن لم يذكر كفارة في قتل العمد لأنها مفهومة بدلالة النص (من باب أولى).

وقد قال بعضهم: حتى لو نفذ القصاص فتجب الكفارة في ماله.

ومن قتل نفسه فعليه الكفارة في ماله[3].

وقال الجمهور: لا كفارة في قتل العمد، وهذا رأي أبي حنيفة وأحمد، وذلك لأن الكفارات عبادات، ولا قياس في العبادات، لأن الكفارة وردت في قتل الخطأ فقط، ولم ترد في قتل العمد.

## الكفارة إذا قتلت الجماعة رجلاً خطأ:

اتفق الأئمة الأربعة على أن الجماعة إذا قتلت شخصاً خطأ فعلى كل واحد منهم عتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، ولا يؤذن بالفطر أثناء الشهرين إلا في حالة الحيض والنفاس والمرض، ففي هذه الحالات لا يقطع التتابع، لكن أباحنيفة قال: المرض يقطع التتابع ويعيد من الأول ويستأنف من البداية، أما السفر فإنه يقطع التتابع، ولا يجوز الإفطار فيه، فإن أفطر يستأنف من الأول[4].

## أنواع القتل الثلاثة:

**القتل ثلاثة أنواع:**

أولاً: القتل العمد.

ثانياً: القتل شبه العمد.

ثالثاً: القتل الخطأ.

١- حاشية ابن عابدين (٦/٥٤٩)
٢- (القرطبي ٥/٣٢١).
٣- (القرطبي ٥/٣٣١).
٤- القرطبي (ج٥/٣٢٨)، زاد المسير لابن الجوزي (ج٢/٩٣).

١- القتل العمد: ضرب إنسان بقصد قتله سواء كان بحجر أو حديدة أو عصا.

٢- شبه العمد: يكون الضرب فيه مقصوداً والقتل غير مقصود، باستعمال آلة لا تقتل عادة كالعصا الصغيرة، أو الـ الصغير.

٣- القتل الخطأ: ويكون فيه قصد الضرب والقتل منفياً.

## جزاء أنواع القتل الثلاثة:

**أولاً: جزاء قتل العمد.**

وقد تعرضنا إليه سابقاً.

**ثانياً: جزاء قتل شبه العمد.**

يسقط القود وتغلظ الدية، ففي سنن أبي داود من حديث عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: {**ألا إن دية الخطأ شبه العمد كان بالسوط والعصا مائة من الإبل منها أربعون في بطونها أولادها**}.

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال: {**اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنـ فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو أمة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها**}.

وهذا يقتضي أن قتل شبه العمد حكمه كالخطأ المحض في وجوب الدية على العاقلة.

**ثالثاً: جزاء القتل الخطأ.**

١- وجوب الدية أخماساً كما روى أحمد وأصحاب السنن عن ابن مسعود قال: {**قضى رسول الله ﷺ في دية الخطأ عشرين بـ مخاض، وعشرين بني مخاض ذكوراً، وعشرين بنت لبون، وعشرين جذعة، وعشرين حقة**} وقد اتفق الفقهاء على أن الديّة على العا في قتل الخطأ إجماعاً.

٢- وجوب الكفارة: والكفارة عتق رقبة مؤمنة، والإيمان شرط، ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، فمن لم يجد رقبة فصيام شهر متتابعين.

## قتل الجماعة بالواحد:

روى سعيد بن المسيب عن عمر أنه قتل سبعة من أهل صنعاء قتلوا رجلاً، وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعاً.

قال الباجي في المنتقى شرح الموطأ لمالك (١١٦/٧): فأما قتل الجماعة بالواحد يجتمعون في قتله فإنهم يقتلون به، وعليه جما من العلماء، وبه قال عمر وعلي وابن عباس وغيرهم، وعليه فقهاء الأمصار، ولم نعرف مخالفاً لعمر، فثبت أنه إجماع.

وقال الكاساني في بدائع الصنائع: {لو قتل جماعة واحداً يقتلون به قصاصاً، ثم فسر ذلك فقال: وأحق ما يجعل فيه القصاد إذا قتل الجماعة الواحد، لأن القتل لا يوجد عادة إلا على سبيل التعاون والاجتماع، فلو لم يجعل فيه القصاص لانسد باب القصاص إذ كل من رام قتل غيره استعان بغيره لضمه إلى نفسه ليبطل القصاص عن نفسه، وفيه تفويت ما شرع له القصاص وهو الحياة}[١]

## إيواء القاتل:

كثيراً ما يقتل رجل آخر، وبعد القتل يأوي القاتل إلى حزب من الأحزاب فيحميه من القصاص، ويصبح هذا القاتل مصدر شـ للمنطقة التي هرب منها، فيؤوي إليه مجموعة من اللصوص والقتلة تحت حماية الحزب المجير له، ويجمع الأموال والسلاح للهجوم عـ قائد المنطقة التي هرب منها.

ومن المعلوم أن إيواء المجرم حرام يستحق صاحبه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ففي الحديث الصحيح: {**المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر**

---

١- (٢٣٨/٧).

ولا ذو عهد في عهده، من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين}.

فقد سوى رسول الله ﷺ بين المحدث ومن آواه في استحقاق اللعنة، فالقاتل ومن آواه سواء في حلول اللعنة عليهما.

ولقد كان العرب في الجاهلية يقتل القاتل منهم رجلاً ثم يأوي إلى قبيلة أخرى تحميه أو يأوي إلى الحرم حتى ينجو من القتل، فقال ﷺ: {إن الحرم لا يؤوي محدثاً}.

وإذا كانت الشريعة قد جعلت من سعى بشفاعته لإيقاف حد من حدود الله مضاداً يعارض الله في أمره، فكيف بمن سعى بجاهه وقوته وعناده الحيلولة دون إقامة حكم الله على القاتل، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد عن ابن عمر مرفوعاً: {من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في حكمه}.

## القصاص للقاتل:

إذا قتل شخص من قبيله شخصاً من قبيلة أخرى فلا يجوز للقبيلة الثانية أن تقتل سوى القاتل، ولو كان والده أو أخاه أو ابنه، ومثل هذا فيما لو قتل رجل من حزب شخصاً من حزب آخر، فلا يجوز قتل أي شخص من حزب القاتل سوى القاتل، لأن هذا يجر إلى مفاسد لا نهاية لها، ولو قتل شخص من حزب المقتول رجلاً من حزب القاتل فإن عليه القود (القصاص).

## السكران الذي يقتل عمداً:

ويقتص من السكران لشرب محرم باتفاق المذاهب الأربعة، لأن السكر لا ينافي الخطاب الشرعي -أي التكليف-، فتلزمه كل أحكام الشرع.

والقصاص من السكران واجب لأنه حق آدمي، وقياساً على إيجاب حد الشرب عليه، وسداً للذرائع أمام المفسدين الجناة، فلو لم يقتص منه لشرب ما يسكره ثم يقتل ويزني ويسرق وهو بمأمن من العقوبة والمأثم، ويصير عصيانه سبباً لسقوط عقوبة الدنيا والآخرة (انظر الفقة الإسلامي وأدلته)[1].

## الانتحار:

الانتحار حرام، لأن النفس ليست ملكاً لصاحبها، بل هي لله عز وجل. فلا يجوز له أن يتصرف بنفسه إلا حسب مرضاة الله، والمنتحر يستحق النار، فقد روى الشيخان عن ثابت بن قيس عن النبي ﷺ: {من حلف بملة سوى الإسلام كاذباً فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله، ولعن المؤمن كقتله}.

وليس من قبيل الانتحار: تضحية الإنسان بنفسه خدمة للإسلام، ورفعاً لمعنويات المسلمين، أو إنكاءً بأعداء الله عز وجل، فقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في تفسير سورة البروج قصة الغلام الذي عجز الملك عن قتله، فدله الغلام على طريقة القتل، وقال له خذ سهماً بعد أن تجمع الناس وتصلبني وقل: (باسم رب الغلام أقتل هذا الغلام) فقتله، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فهذا وأمثاله ممن نظن أن الله تعالى قال فيهم (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله).

وقد نص على هذا شيخ الإسلام ومحمد بن الحسن والجصاص والسرخسي: بأن المسلم يجوز له أن يهجم على ألف من الكفار وإن تيقن فوات نفسه وقتلها إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين، أو نكاية بالكافرين، أو كان بالمسلمين ضعف وتخاذل، فأراد أن يقوي هممهم ويشحذ عزائمهم، ومن هذا القبيل قصة البراء ابن مالك عندما طلب من الصحابة أن يضعوه على لوح، ويرفعوه على رؤوس الرماح، ويلقوه في حديقة الموت على جند مسيلمة الكذاب يوم اليمامة.

ولقد سئلت عن نساء ألقين بأنفسهن في نهر كونر كنّ قد خشين على أعراضهن من الروس الذين صاروا يعتدون على الأعراض فقلت: هذه شهادة إن شاء الله، لأن العلماء أجمعوا على أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر إذا خشيت على عرضها، وكذلك الغلام الأمرد.

---

1- (ج ٦/ ٢٦٥) د. وهبة الزحيلي.

## الأحاديث التي ترهب من قتل المسلم وسد الذرائع إليه:

وردت أحاديث كثيرة تهتز لها النفس من أعماقها، وترتعد لها الفرائص، تحذر من قتل المسلم، وتهول من مغبة الإشارة بال... ولو مازحاً نحو أخيه المسلم.

أخرج ابن عدي والبيهقي عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: **[من أعان على دم امرئ مسلم لينظر كلمة كتبت بين عينيه ... القيامة" آيس من رحمة الله تعالى].**

وأخرجا عن البراء بن عازب أن النبيﷺ قال: **[لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله من قتل مؤمن، ولو أن أهل سماواته و أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله تعالى النار].**

وفي رواية الأصبهاني عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال: **[لو أن الثقلين اجتمعوا على قتل مؤمن لأكبهم الله ت... على مناخرهم في النار، وأن الله تعالى حرم الجنة على القاتل والآمر].**

## حرمة الإشارة بالسلاح:

ورد في الحديث الصحيح الذي رواه النسائي وأبو دواد والطيالسي عن أبي بكرة رضي الله عنه قال ﷺ: **[إذا أشار الرجل ... أخيه بالسلاح فهما على جرف جهنم، فإذا قتله وقعا فيها جميعاً]**[1].

الحديث الثاني: [لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة النار][2].

## لعنة الملائكة لمن يمزح بالسلاح:

**[إن الملائكة تلعن أحدكم إذا أشار بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه]**[3]

ولقد سبب التفريط بالأخذ بهذه الأحاديث كثيراً من المشاكل، وأودى بكثير من الأرواح، وكثيراً ما يظن المرء أن سلاحه ليس رصاص فيشير إلى أخيه ويضغط على الزناد فيقتل أخاه فيندم ولات ساعة مندم، ولقد قتل أحدهم أمه بهذه الطريقة.

ولذا يجب أخذ الاحتياط في حمل السلاح، فلا يضع رصاصة في بيت النار، ولا يفك الأمان في البيت، ولايضع السلاح متناول الأطفال الصغار.

فقد روى الشيخان عن النبي ﷺ قال: **[إذا مرّ أحدكم في مسجدنا وسوقنا بنبل فليمسك على نصالها لا يصيب أحداً ... المسلمين بأذى].**

## القتال من أجل القائد أو الحزب أو العشيرة:

كثيراً ما يحصل القتال بين القبائل أو الأحزاب إرضاءً للزعيم، فيرتكب المرء أكبر الكبائر إرضاءً لزعيمه وإغضاباً لربه، ويس... الحرب بين القبائل عادة دعايات مغرضة تشوه القبيلة الأخرى أو الحزب الآخر، وتزداد البغضاء في قلوب أفراد العشيرة يوماً بعد ... حتى يبرر كل واحد لنفسه قتال القبيلة الأخرى، وتجد أن هذا القتال في معظمه قتال جاهلي إحياءً للنعرة القبلية والعصبية الجاه... كما قال دريد بن الصمة:

*وما أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد*

وكانت الكلمة الجاهلية (أنصر أخاك ظالماً أومظلوماً) دستوراً في التعامل بين القبائل، ولذا شهدت الجزيرة حروباً طاح... لأسباب تافهة كحرب داحس والغبراء (التي سببها سباق بين فرسين) قال فيها زهير لهرم بن سنان وصاحبه اللذين أصلحا ... القبيلتين:

*تداركتما عبساً وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم*

*لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا*

---

١- الجرف: الحافة. ٢- رواه البخاري ومسلم. ٣- رواه مسلم.

وكذلك حرب البسوس (بسبب ناقة العجوز البسوس) بين بكر وتغلب بعد أن قتل جساس كليباً شقيق الزير المهلهل، وقد كتب العرب في هذا قصصاً وملاحم كثيرة، وكذلك قتل عمرو بن كلثوم لعمرو بن هند وهكذا دواليك.

وقد تدور الحرب بين القبيلتين على قطعة أرض صغيرة فيقتل بها مئات الرجال، مع أن الدنيا كلها لا تساوي دم امرئ مسلم.

ففي الصحيح: **{لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم}**[1].

## حرمة الدعاية المضادة والخصومة الباطلة لأنها توجب النار:

روى الإمام أحمد والطبراني في الحديث الصحيح عن ابن عمر قال: قال ﷺ: **{... ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج}**.

ومعنى ينزع: يرجع ويقلع، وأما ردغة الخبال: عصارة أهل النار من القيح والصديد.

## السؤال الرهيب يوم القيامة:

روى النسائي في الحديث الصحيح: **{يجئ الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول أي ربي إن هذا قتلني، فيقول الله لم قتلته؟ فيقول لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه}**.

ولذا فإنه يدخل جهنم ليكون فلان هو القائد لسنة أو سنوات، وعلى بقعة صغيرة من الأرض، فما أتفه هذا السبب الذي لا ينقضي منه العجب، وهذا القاتل كما قال ابن المبارك: من سفلة السفلة (سئل ابن المبارك من الملوك؟ قال: الزهاد، فقيل له: من السفلة؟ قال: الذين يأكلون بدينهم، فقيل له: من سفلة السفلة؟ فقال: الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم).

## الفرح بقتل المسلم:

وبعض هؤلاء الذين يدخلون المعارك ضد المسلمين قد يرجعون من المعركة وهم يفاخرون إنني قتلت بالرشاش هذا اليوم اثنين أو ثلاثة من القبيلة الأخرى أو من الحزب الآخر، بل يعيرون الذين لا يشتركون في الحروب ضد المسلمين ويتهمونه بالخور والجبن، ويعدون قتل المسلمين شجاعة وغيرة.

**فليسمع هؤلاء أحاديث رسول الله ﷺ:**

١- روى أبو داود والضياء في المختارة عن عبادة بن الصامت قال: قال ﷺ: **{من قتل مؤمناً فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً}**. ومعنى اغتبط: فرح، ومعنى لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً: أي لايقبل منه نافلة ولا فريضة.

٢- روى الترمذي في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: **{لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عز وجل في النار}**.

## القتال عصبية للحزب أو للقبيلة:

روى الشيخان (البخاري ومسلم) عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: **{من قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبية أو يدعو لعصبية، أو ينصر عصبية فقتل، فقتلته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولايتحاشا من مؤمن، ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه}**.

وقد نهى رسول الله ﷺ كثيراً عن العصبية القبلية وقال: **{دعوها فإنها منتنة}**. وقال: **{ولينتهين أقوام يفخرون بآبائهم الذين هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه}**. الجعل: كالخنفساء، يدهده: يدفع، الخرء: البراز.

## الأحاديث التي ترهب من قتل المسلم:

إن المسلم ثقيل في ميزان الله -عز وجل-، وحرمة دمه عظيمة، ولذا فأول شيء يحكم فيه يوم القيامة هو الدماء، ففي الحديث

١- رواه الترمذي والنسائي.

الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنهما:

١- {أول ما يقضى بين الناس في الدماء} -يعني يوم القيام-.

٢- وفي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صا فالقاتل والمقتول في النار، قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه} وهذا دليل صحيح أن المرء مؤاخذ بنيته إذا بلغت حد العزم، وأن العازم على المعصية يأثم.

ومعنى كان حريصاً: أي جازماً مصمماً عليه فلم يقدر عليه فكان كالقاتل، لأنه في الباطن قاتل، فكل منهما ظالم معتد، ولا ، من كونهما في النار أنهما في مرتبة واحدة، فالقاتل يعذب على القتال والقتل، والمقتول يعذب على القتال فقط.

٣- روى النسائي والضياء في المختارة عن بريدة عن النبي ﷺ: {قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا} زوال الد انمحاؤها واندثارها، قال ابن العربي: ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق، فكيف بقتل الآدمي، فكيف بالمسلم؟

٤- وثبت عن ابن عمر أنه قال لمن قتل عاملاً بغير حق تزود من الماء البارد فإنك لا تدخل الجنة.

٥- وقد روى البخاري عن ابن عمر: {إن من ورطات الأمور التي لا مخرج منها لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله

٦- و روى الطبراني والضياء عن أنس عن النبي ﷺ: {أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة}.

٧- وقد روى أبو داود وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن النبي ﷺ : {كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من م مشركاً أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً}. (سبب الحديث: كنا في غزوة القسطنطينية بـ (زلقيه)، فأقبل رجل من أهل فلسطين أشرافهم وخيارهم يعرفون ذلك له، يقال له هانئ بن كلثوم بن شريك الكناني، فسلم على عبدالله بن أبي زكريا، قال: سمعت أم الدر تقول: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {فذكره} ذلقيه: بلدة من بلدان الروم.

من قتل مؤمناً متعمداً: لمن استحل ذلك، وإلا فهو تهويل وتغليظ، قال الذهبي في الكبائر: وأعظم من ذلك أن تمسك مؤمناً عجز عن قتله، أو تشهد بالزور على جمع مؤمنين فتضرب أعناقهم بشهادتك الملعونة.

وفي الحديث الصحيح: {لا يزال المؤمن معنقاً صالحاً ما لم يصب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بلح}(١).

## تعطيل الحكم بالإسلام سبب القتال والخصام:

ففي الحديث: {يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعل بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وش المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وع رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جع الله بأسهم بينهم}(٢).

هذا الحديث من دلائل النبوة، ويكفي لهذا أن نشير إلى مرض (الإيدز) الذي أصبح خطراً رهيباً ترتعد أمريكا و أوربا لذكره.

## الترف سبب الخلاف:

ففي الحديث: {سيصيب أمتي داء الأمم، فقالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر والتشاحن في الدن والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي}(٣).

## حرمة المسلم كحرمة البلد الحرام (مكة):

لقد عظم رسول الله ﷺ من حرمة انتهاك حرمة المسلم خاصة دمه، ولم يفرق رسول الله ﷺ بين الذي ينتهك حرمة المسج

---

١- رواه البيهقي، المعنق: طويل العنق الذي له سوابق في الخير، بلح: أي أعيا وانقطع. ٢- رواه ابن ماجه وأبو نعيم في الحلية (الأحاديث الصحيحة ١٠٦)، الفاحشة: الزنا.

٣- أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، الأشر: أشد البطر مع الإستكبار، البطر: الطغيان عند النعمة، التكاثر: التناسل والتزايد والتفاخر به، التشاحن: العداوة، التباغض: الحقد والك من الناحيتين، التحاسد: تمني زوال النعمة عن الغير من الطرفين، البغي: الظلم والجور

الحرام وبين الذي ينتهك حرمة المسلم، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي بكرة أن النبي ﷺ خطب الناس بمنى فقال: {**أتدرون أي يوم هذا؟ قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، ثم قال: أليس يوم النحر؟؟ قلنا بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: أليس بالبلد؟ -يعني الحرام- قلنا بلى يا رسول الله، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا -في بلدكم هذا- ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ يبلغ من هو أرعى له، فكان كذلك، وقال: ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**}.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# مباحث في الصلاة

إلا: أداة حصر وقصر، لأنها سبقت بنفي.

الخمار: غطاء الرأس والعنق، من خمر: يخمر (من باب نصر) أي غطى يغطي، ومصدره: خمر، ولذا يقال : خمر شهادته أي كتمها، وفلان أخمر عليّ ظنه: أي خبأه وستره.

وجمع خمار: خُمُر (بضمتين -وليضربن بخمرهن) وخُمْر (ضم فسكون) وأخمرة.

**ظاهر معنى الحديث:** يدل على أن من صلت صلاة بلاخمار يستر شعرها وعنقها فصلاتها باطلة، ولقد كانت المرأة في الجاهلية تلبس خمارها دون أن تغطي عنقها وذلك ليبدو عقدها للناظرين، فنزلت الآية **(وليضربن بخمرهن على جيوبهن)** والجيب هو النحر والصدر.

وقد روى ابن كثير في تفسير هذه الآية من سورة النور: قال البخاري في روايته عن عائشة رضي الله عنها: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما نزلت الآية شققن مروطهن فاختمرن بها)، وروي عنها : إني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن)... فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كان على رؤوسهن الغربان)[1] .

## حد عورة المرأة:

اتفق العلماء على أن ستر العورة فرض بإطلاق، واختلفوا هل هو شرط من شروط صحة الصلاة أم لا؟ وكذلك اختلفوا في حد عورة المرأة.

وظاهر مذهب مالك أنها من سنن الصلاة، ولذا يقول: من صلت بلا خمار تعيد في الوقت. أما الشافعي وأبوحنيفة فقالا ستر العورة شرط صحه الصلاة، ومن تركتْهُ فصلاتها باطلة وواجب إعادتها مطلقاً.

واختلف العلماء في حد العورة للمرأة إلى آراء عديدة.-

١- **الأول:** جميع بدنها عدا الوجه والكفين وهو قول الجمهور من المالكية والشافعية والظاهرية.

٢- **الثاني:** جميع بدنها عدا الوجه والكفين والقدمين: وهو قول أبي حنيفة والثوري وابن عباس.

٣- **الثالث:** جميع بدنها عدا الوجه: أحمد بن حنبل وداود الظاهري.

٤- **الرابع:** جميع بدنها عورة: وإليه ذهب بعض أصحاب الشافعي والمودودي وابن خويزمنداد.

٥- **الخامس:** وعن أبي يوسف أن الذراعين ليسا بعورة

## أدلة الفريق الأول: (المرأة عورة عدا الوجه والكفين).

١- الآية **(ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)**: قالوا: ما ظهر منها: الوجه والكفان، وهذا تفسير عطاء والأوزاعي وقول لسعيد بن جبير (إلا ما ظهر منها: الوجه والكفان والثياب).

٢- ما رواه البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ أردف الفضل بن عباس يوم النحر خلفه، وفيه قصة المرأة الوضيئة الخثعمية، فطفق الفضل ينظر إليها، فأخذ النبي ﷺ بذقن الفضل فحول وجهه عن النظر إليها فلو كان الوجه عورة لأمرها بتغطيته

٣- حديث قصة ابن عباس (فأخذت أنظر إلى أيديهن) .

٤- حديث أسماء (إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى منها إلا هذا، وأشار إلى الوجه والكفين).

٥- حديث عائشة (لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار) والخمار غطاء الرأس والعنق دون الوجه.

٦- حديث أم سلمة (أتصلي المرأة في درع وخمار بغير إزار؟ قال إذا كان الدرع سابغاً لقدميها) يدل الحديث السادس أن القدمين عورة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم .

وهذه الأدلة استدل بها أصحاب الرأي الثاني والثالث: إلا أن الحنفية استدلوا على إباحة كشف القدمين حتى موضع الخ بسبب الحرج الذي يلحق النساء الفقيرات، وإلا سترها أصعب من ستر الكفين (أي بدليل عقلي).

أما الذين قالوا بأن المرأة عورة كلها فاستدلوا:

بالأحاديث المانعة للنظر: فاستدلوا بحديث الخثعمية، والحديث (**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست الآخرة**). والحديث عن نظر الفجأة (**اصرف بصرك**)، وبالآية (**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب**).

ولكن أجاب الجمهور عن هذه الأحاديث :

فعند حديث الخثعمية قالوا: هو خشية الفتنة: بدليل اعتراض العباس: فلو لم يكن يفهم العباس أن النظر جائز عند أمن ا لما قال للرسول ﷺ (لويت عنق ابن عمك)، فكان جوابه ﷺ (**رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما الفتنة**).

وأحاديث النهي عن النظر: عند عدم الحاجة، وقد أبيح النظر في حالات منها: التطبيب، والقضاء، والشهادة، والخطبة.

أما الآية: فهي خاصة بأمهات المؤمنين بأزواج النبي ﷺ .

# أما حد عورة الأمة

فقد قال الجمهور من الشافعية والحنفية: بأن عورتها كعورة الرجل من السرة إلى الركبة وقد سوّى مالك بين عورة الحرة وا عدا شعرها.

# حد عورة الرجل

اتفق الجميع على أن السوأتين عورة

واختلف في السرة والركبة والفخذ

أما السرة: فقد حكى المهدي الإجماع على أنها ليست عورة، مع أن الشافعي قال هي عورة. واستدل الجمهور بتقبيل ـريرة سرة الحسن بن علي رضي الله عنهما.

أما الشافعي فقال بالحديث (عورة الرجل ما بين السرة والركبة ) والمحدود داخل في الحد.

**أما الركبة:**

١- قال الشافعي: ليست الركبة عورة، وله أحاديث تسنده منها (فجاء ﷺ مسرعاً قد حفزه النفس قد حسر عن ركبتيه)، و ـ أبو الدرداء وهو جالس في حضرته ﷺ أبا بكر مقبلاً آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه.

٢- قال أبو حنيفة وعطاء: إن الركبة عورة: واستدلوا بحديث أبي موسى فكشف ﷺ عن ركبتيه فلما دخل عثمان غطاها.

**أما الفخذ:**

١- قال الشافعي وأبو حنيفة: الفخذ عورة، وبه قال النووي فقال (ذهب أكثر العلماء أن الفخذ عورة).

٢- عن أحمد ومالك في رواية: العورة القبل والدبر فقط، وبه قال أهل الظاهر وابن جرير الاصطخري الشافعي في رواية، ابن حزم.

أما أدلة الشافعي القائل بأن الفخذ عورة:

١- قوله ﷺ لمعمر (**يا معمر غط فخذيك فإن الفخذين عورة**) رواه أحمد والحاكم، ومثله قوله ﷺ لجرهد الأسلمي (**غ لك فإن الفخذ عورة**) رواه مالك وأحمد والترمذي.

أما أدله القائلين بأنها ليست عورة:-

١- الحديث الذي رواه أحمد عن عائشة: بدخول أبي بكر وعمر عليه ﷺ وفخذه مكشوفة فلم يغطها حتى دخل عثمان.

٢- رأى أنس فخذه ﷺ يوم خيبر وكذا رأى فخذ قيس بن الشماس.

٣- ضرب ﷺ على فخذ أبي ذر. فلو كانت عورة ما ضربها ﷺ ولو كانت من فوق الثياب.

**أما صلاة الرجل في الثوب الواحد:**

فجائزة باتفاق إلا ما روي عن عبدالله بن مسعود بأنه يكرهها، ويستدل الجمهور بالحديث (أولكلكم ثوبان)، وبالحديث **(عن سلمة بن الأكوع قال: قلت يا رسول الله إني أكون في الصيد وليس علي إلا قميص واحد، قال: فزره وإن لم تجد إلا شوكة)**(١).

وصلى رسول الله ﷺ في ثوب قد خالف بين طرفيه في بيت أم سلمة / رواه مسلم، وأفضل هيئة يلبس فيها الثوب الواحد هي: المتوشح أو المشتمل أو المخالف بين طرفيه وهي بمعنى واحد: أن يأخذ طرف الثوب الذي ألقاه على منكبه الأيمن من تحت يده اليسرى ويأخذ طرفه الذي ألقاه على الأيسر من تحت يده اليمنى ثم يعقدهما على صدره.

# استقبال القبلة

الحديث الثامن: عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت به) متفق عليه وأخرجه البخاري عن ابن عمر بلفظ (كان يسبح على ظهر راحلته، زاد البخاري (يومىء برأسه)، زاد ابن خزيمة (ولكنه يخفض السجدتين من الركعة، ولم يكن يصنعه في المكتوبه)، جاء في فتح الباري: كان هذا في غزوة أنمار وكانت شرق المدينة.

**المفردات:** الراحلة: كل بعير نجيب، وزيادة الهاء في آخرها للمبالغة (وهي للذكر والأنثى، وسميت راحلة لأنها ذات رحل، يقال: أرحلها صاحبها: راضها حتى صارت راحلة، وهي التي يختارها صاحبها لقوتها على الحمل والسفر) وفي هذا معنى الحديث **(تجدون الناس بعدي كإبل مائة ليس فيها راحلة)** أي لا تجدون في كل مائة رجل رجلاً يستطيع أن يحمل هذا الدين بحقه.

**ظاهر معنى الحديث:** يدل على أنه تجوز صلاة النافلة على الناقة ولو لغير القبلة.

ولا يشترط أن تكون الدابة هي الناقة، لأن عرقها ولحمها طاهر، وكذلك سؤرها وإنما تجوز على الحمار وغيره من الدواب، فقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ صلى على حماره وهو متوجه إلى خيبر.

وثبت في صحيح البخاري أن ابن عمر كان يصلي على راحلته ويوتر عليها، وكذلك صلى أنس رضي الله عنه على حمار عند قدومه الشام واستقبله الناس في عين التمر.

## حكم استقبال القبلة:

استقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة بشرطين (القدرة والأمن) فمن كان مشاهداً للكعبة فعليه استقبال عينها، وفي المدينة يستقبل المحراب النبوي لأنه بوحي، وإن كان غائبا يجتهد في تحري القبلة، فإن أخطأ فليس عليه إعادة الصلاة إلا عند الشافعي، مع أن مالكاً استحب له الإعادة في الوقت. أما معظم الفقهاء، ومنهم الحنفية والشعبي والكوفيون فقالوا: لا إعادة عليه، واحتجوا بحديث في الباب (الحديث السادس): عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأشكلت علينا القبلة فصلينا، فلما طلعت الشمس إذا نحن صلينا لغير القبلة، فنزلت: (فأينما تولوا فثم وجه الله) رواه أبو داود وضعفه.

وحديث الطبراني عن معاذ رضي الله عنه قريب منه (قد رفعت صلاتكم بحقها).

أما الشافعي: فقاس ميقات المكان (القبلة) على ميقات الزمان (الوقت)، إذ اتفق الجمهور أن من صلى قبل الوقت أعاد إلا عند ابن عباس.

**أما حد القبلة:** فهي الجهة كلها (ما بين المشرق والمغرب قبلة) (٢)

## الأحكام التي تستفاد من الحديث:

**١- تجوز الصلاة في مكان فيه نجاسة إن لم يباشرها.**

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي. (٢) حديث رواه أبو داود وقال حسن صحيح

٢- تجوز النافلة على الدابة: بدليل فعله ﷺ، وعمل ابن عمر، وعمل أنس رضي الله عنهم، ولكن اختلف في بعض الأحكا تتفرع عنه مثل:

صلاة الماشي: منعها مالك وابن حنبل وأبو حنيفة وأهل الظاهر، وأجازها جماعة منهم الشافعي والأوزاعي قياسا على ال تيسيراً، إلا أنهم اشترطوا: الاستقبال في الركوع والسجود وإتمامها، والجلوس في الاعتدال بين السجدتين، ويمكنه المشي حالة ا والتشهد. واختلف في المشي حال الاعتدال من الركوع على رأيين.

صلاة الفريضة على الدابة: قال ابن بطال (أجمع العلماء أنه لا يجوز لأحد أن يصلي الفريضة على الدابة من غير عذر).

وأما في حالة الضرورة فأجازها بعض العلماء كأحمد وإسحق مستدلين بالحديث الذي رواه النسائي وأبو داود (أنه ﷺ إلى مضيق هو وأصحابه والسماء من فوقهم، والبلة أسفل منهم، فحضرت الصلاة، فأمر المؤذن فأذن وأقام، ثم تقدم رسول الله على راحلته فصلى بهم يومىء إيماء، فيجعل السجود أخفض من الركوع) قال الترمذي: حديث غريب تفرد به عمرو بن الرياح، ذلك عن أنس في فعله، من خاف من سبع فصلى على الدابة فتبين خطأ ظنه أعاد في الوقت، وقال بعضهم: تجوز الفريضة الراحلة: إذا كان مستقبل القبلة في هودج، أما إذا كانت واقفة فتجوز صلاة الفريضة عند الشافعي أما إذا كان في ركب و فوات الفرض وفوات الركب فيصلي على الدابة ويعيد عند الشافعي .

قال النووي (الإجماع على عدم صحة الفريضة على الدابة، قال: فلو أمكنه استقبال القبلة والقيام والركوع والسجود على واقفة عليها هودج أو نحوه جازت الفريضة على الصحيح من مذهبنا. فإن كانت سائرة لم تصح على الصحيح المنصوص للشا وقيل تصح كالسفينة، ولو كان في ركب وخشي التأخر عنهم إذا نزل فيصلي على الدابة الفرض ويعيد).

الصلاة في السفينة: تجوز الفريضة بها ولو سائرة إجماعاً، وكذلك تجوز على السرير والأرجوحة المثبتة بالخشب.

الصلاة في السيارة والقطار: جاء في فتح العلام (حكمها عند الشافعية حكم السفينة، وعند الحنفية حكم الراحلة).

كيفية الصلاة: أما الركوع فإيماء، وأما السجود فعلى ظهر الدابة، فإن لم يستطع فإيماء، هذا قول الجمهور، أما مالك ف لأن السجود إيماء دائماً .

استقبال القبلة عند ابتداء الصلاة: استحبه أحمد وأبو ثور لحديث أنس في هذا الباب.

نوع السفر الذي يصلى فيه على الراحلة: اختلف فيه.

١- قال مالك والإمام يحيى : الصلاة على الراحلة خاص بسفر القصر، وقال الطبري (لا أعلم أحداً وافقه على ذلك).

٢- قال الجمهور الصلاة على الراحلة جائزة في كل سفر.

قال أبو يوسف والاصطخري من الشافعية: تجوز الصلاة على الدابة في الحضر.

نقل ابن حزم عن النخعي (كانوا يصلون في رحالهم ودوابهم حيث توجهت بهم).

ثم قال ابن حزم (هذه حكاية عن الصحابة والتابعين عموماً في الحضر والسفر).

الوتر على الدابة:

١- لا يجوز عند الكوفيين بدليل رواية مجاهد عن ابن عمر أنه رآه نزل عن الدابة فأوتر.

٢- الجمهور يجوز بدليل أن سعيد بن يسار كان يسير مع ابن عمر لطريق مكة، فنزل سعيد فأوتر، فقال له ابن عمر (أليس الله ﷺ أسوة حسنة فإن رسول الله ﷺ كان يوتر على البعير)

والحق أن ابن عمر صلى الوتر في السفر على الحالتين: على الدابة و على الأرض وهو أفضل.

الصلاة على ظهر الكعبة وداخلها :

١- الحنابلة: لا يصح الفرض فيها ولا فوقها، أما النفل فيصح في الاثنين.

٢- المالكية: الفرض داخلها يصح مع الكراهة الشديدة ويستحب إعادته، النفل يندب داخلها، السنة المؤكدة تكره.

٣- الشافعية: الفرض والنفل فيها صحيحان، أما فوقها فيصح بحائط منها ٣/٢ ذراع .

٤- الحنفية: تصح الصلاة فيها وفوقها مطلقاً، وتكره فوقها.

## طهارة المكان:

(عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى أن يصلى في سبع: المزبلة، والمجزرة، والمقبرة، وقارعة الطريق، والحمام، ومعاطن الابل، وفوق ظهر بيت الله تعالى) رواه الترمذي وضعفه وقال: حديث ابن عمر ليس بذاك القوي) وفيه زيد بن جبيرة قال البخاري أنه متروك. وصحح الحديث ابن السكن وإمام الحرمين (الجويني)[1].

**المزبلة:** هي مجتمع إلقاء الزبل (بفتح الميم وضمها) المجزرة: محل جزر الأنعام (ذبحها) : المسلخ.

**المقبرة:** الجبانه (محل دفن الموتى).

والألفاظ الثلاثة على وزن (مفعلة بفتح الميم وسكون الفاء وفتح العين) وهي مصدر ميمي، وإضافة التاء إليها زيادة شاذة. ويمكن أن تأتي كل منها اسم مكان واسم زمان.

فنقول (مقبرة القوم لابد منه، مقبرة القوم غداً، مقبرة القوم شرق المدينة) ففي الأولى مصدر ميمي وفي الثانية اسم زمان، وفي الثالثة اسم مكان.

**قارعة الطريق:** ما تقرعه الأقدام بالمرور (أي السبيل) قيل أعلى الطريق وقيل صدره أو ما برز منه.

**معاطن الابل:** مبارك الإبل حول الماء.

**فوق ظهر بيت الله تعالى:** فوق الكعبة

**سند الحديث:** عن زيد بن جُبَيرة عن داود بن حصين عن نافع عن ابن عمر.

زيد بن جبيرة (بضم الجبيرة) قال البخاري وابن معين: زيد متروك، وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الحافظ: ضعيف جداً.

١ ، ٢) **أما بالنسبة للمزبلة والمجزرة:** فلكونها محل النجاسة فلا تجوز الصلاة فيها مباشرة، واختلف في الصلاة عليها بحائل.

وقيل المجزرة كونها مأوى للشياطين.

٣- **المقبرة:** نهى رسول الله ﷺ عن بناء القبور وبناء المساجد عليها ففي الحديث: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، وذلك خوفاً من تعظيمها وانقلابها إلى عبادة أصنام، ولذا بنى الصحابة حوله ﷺ حيطانا مستديرة ثم ثلاثة حيطان، قال أحمد: تحرم الصلاة فيها وهو قول الظاهرية والهادوية وابن حزم إذ قال (نهى عنه خمسة من الصحابة وبعض التابعين ولا نعلم لهم مخالفاً) وقال الثوري والأوزاعي وأبو حنيفة والرافعي من الشافعية تكره.

أما الشافعي فقال: إذا كانت نجسة لا يجوز، وإن صلى في مكان طاهر فيها جاز.

قال مالك: يجوز الصلاة في المقبرة بلا كراهة، وأحاديث الباب ترد عليه، وأحاديث النهي المتواترة كما قال ذلك الإمام لا تقصر عن الدلالة على التحريم.

*فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران*

*حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان*

هذان البيتان قالهما ابن القيم في قبر الرسول ﷺ.

ولذا في الحديث **(لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج).**

٤- **أما قارعة الطريق:** لأنها تشغل الخاطر فيذهب الخشوع، وقيل لأنها مظنة النجاسة، وقيل لأنها تشغل المار. وعلى كل حال فقد قال أبوطالب من الهادوية لا تصح الصلاة فيها ولو واسعة. أما المؤيد والمنصور من الهادوية: فقالا: لا تكره في الواسعة إذ لا

---

(١) [illegible] ١٣٦/١١ [illegible]

ضرر.

٥- **أما ظهر الكعبة:** فلانه إذا لم يكن بين يديه سترة فلأنه يكون مصلياً على البيت لا إلى البيت. وقال الشافعي : تصح صلاة شرط أن يستقبل من بنائها قدر ثلثي ذراع (والذراع الشرعي = ٤٦,٢ سم).

وعند أبي حنيفة: لا يشترط اشتراط الشافعي من السترة، وكذا قال ابن شريح لأنه كمن استقبل ساحة الكعبة.

٦- **أما الحمام:** فتكره الصلاة فيه عند الجمهور، أما أحمد فقال: لا تصح ولو على سطحه وذلك خوفاً من النجاسة. وقال بقو حمد الظاهرية وأبوثور، وقيل أنه مأوى الشيطان.

وقد نقل ابن حزم عن ابن عباس منع الصلاة فيه وقال لا نعلم له مخالفاً من الصحابة.

٧- **معاطن الابل:** جمع مَعطِن (بفتح الميم وكسر الطاء)، وروي (أعطان: جمع عَطَنَ: بفتحتين) وحرم أحمد الصلاة فيها وقا ن صلى في عطن إبل أعاد أبداً) وإليه ذهب ابن حزم، وسئل مالك فقال: لا يصلى في العطن، قيل: فإن بسط ثوباً : قال: لا.

أما الجمهور فقالوا: تكره الصلاة مع عدم النجاسة، وإن وجدت فمحرمة، وهذا مردود لأنه لا فرق بين روث الغنم والابل، مع أ حديث يقول (صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الابل).

وعلل أصحاب الشافعي ومالك النهى بسبب نفور الإبل فيتشوش الخاطر وفيه نص.

**الصلاة داخل الكعبة:**

١- أجازها بعضهم مستدلين بأنه ﷺ دخل الكعبة مع أسامة وبلال وعثمان بن طلحة فصلى فيها.

٢- منعها بعضهم مستدلين بحديث ابن عباس بأنه ﷺ دخل البيت فدعا فيه، فلما خرج صلى ركعتين قبل الكعبة وقال هذ لة

٣- منعها بعضهم في الفرض وأجازها في النفل.

**فائدة:** ومن الأماكن المنهي عنها للصلاة: المرحاض، الكنيسة، التماثيل، الأرض المغصوبه، مسجد الضرار، الصلاة إلى التنور الوادي، الصلاة إلى النائم والمحدث والمتحدث والفاسق والسراج والحائض.

## شروط الصلاة

# الطهارة

# الصـــــلاة بالحـــــذاء

(إذا وطيء أحدكم الأذى بخفيه فطهورهما التراب)[1].

وأخرجه ابن السكن والحاكم والبيهقي من طريق أبي هريرة وسنده ضعيف. إلا أن الأسانيد الضعيفة يشد بعضها بعضاً.

**المعنى العام:** أن النعل إذا تنجست فيطهرها المسح بالتراب.

**حكم الصلاة في الحذاء:**

١- قال بعضهم يستحب: فقد روي عن عمر كراهة خلعه وكذا ابن مسعود، حتى أن أباعمر الشيباني كان يضرب الناس إ نعالهم. وكذا روي عن إبراهيم النخعي والهادوية.

وممن كان يصلي في الحذاء من الصحابة (عمر وعثمان وأنس وابن مسعود).

وممن كان يصلي فيهما من التابعين (سعيد بن المسيب، والقاسم، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبدالله، وعطاء بن يسار، وعط رباح، وطاوس، وشريح، ومجاهد، والنخعي،... وغيرهم).

هؤلاء يستدلون بالحديث (صلوا في نعالكم) من أجل مخالفة اليهود، وبه قال العيني والعزيزي.

---

١/ج١ سبل السلام . أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان.

٢- قال ابن دقيق العيد (رخصة) وليس مستحبا.

قال بعضهم مباح: واستدلوا بالحديث الذي رواه أبوداود أنه ﷺ صلى حافياً ومنتعلاً، وبالحديث **(من شاء أن يصلي في نعليه فليصل ومن شاء أن يخلع فليخلع)**.

٣- قال بعضهم: ان ابن عمر وأبا موسى الأشعري كان لا يصليان منتعلين/ قصة هداج في تونس.

**تطهير الحذاء:**

١- عند الشافعي: لا يطهرها إلا الماء.

٢- أبوحنيفة: الرطبة بالماء والجافة بالدلك.

٣- مالك: أولاً: الرطبة بالماء والجافة بالدلك، ثم رجع واكتفى بالدلك في الحالتين، وقاله ابن حبيب المالكي، ويسنده حديث أم سلمة:( يطهره ما بعده) (وامرأة من بني عبد الأشهل: فهذه بهذه) (وقصة سيدنا علي).

**حكم الحافي إذا وطىء الأذى:**

١- قال الباجي: حكم الرجل كالنعل .

٢- الأوزاعي والثوري: الدلك مطلقاً.

٣- اللخمي المالكي : الغسل، وأبو يوسف

طول نعله ﷺ يساوي شبراً وإصبعين (حوالي ٢٨ سم أي حوالي رقم ٤٠) وعرضها مما يلي الكعبين سبعة أصابع.

## الكلام في الصلاة

(عن زيد بن أرقم قال: إن كنا لنتكلم في الصلاة في عهد رسول الله ﷺ يكلم أحدنا صاحبه بحاجته، حتى نزلت «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين» فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام)(١) .

**ظاهر الحديث:** يدل على منع الكلام بعد أن كان مباحاً في الصلاة، فلقد روى البخاري عن ابن مسعود (كنا نسلم على النبي ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال (إن في الصلاة لشغلاً).

وزيد بن أرقم أنصاري، فالراجح أن نسخ الكلام مدني بسبب أن الآية مدنية، وهناك رواية عن معاذ بن جبل وهو من الأنصار فلذا تكون عودة ابن مسعود من الحبشة هي الثانية من الحبشة إلى المدينة قبل واقعة بدر. بخلاف ما روي عن ابن حبان أنه قال: كان ذلك في مكه قبل الهجرة بثلاث سنين، والرواية التي عن معاذ تؤيد أن النسخ مدني: عن أبي أمامة قال (كان الرجل إذا دخل المسجد فوجدهم يصلون سأل الذي إلى جنبه فيخبره بما فاته، فيقضي ثم يدخل معهم، حتى جاء معاذ يوماً...) وأبو أمامة ومعاذ أنصاريان.

**حكم الكلام في الصلاة:** قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم أن من تكلم في صلاته عامداً وهو لا يريد إصلاح صلاته أن صلاته فاسدة.

أما كلام الساهي والناسي: حكى الترمذي عن أكثر أهل العلم أنهم سووا بين كلام الناسي والعامد والجاهل. وإليه ذهب الثوري وابن المبارك والنخعي وأبو حنيفة وأستاذه حماد بن أبي سليمان والهادوية.

وفرق قوم بين كلام الناسي والعامد، منهم (العبادلة الأربعة إلا ابن عمرو) (العبادلة الأربعة هم : عبدالله بن مسعود، عبدالله بن عباس، عبدالله بن عمرو بن العاص، عبدالله بن عمر) ومن التابعين: عطاء والحسن وعروة بن الزبير.

وقال بالرأي الثاني: مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور وابن المنذر وأكثر أهل الشام والحجاز. وحكاه النووي عن الجمهور.

واحتج الفريق الأول بعموم الأدلة. واحتج الفريق الثاني بحديث ذي اليدين أن رسول الله ﷺ لم يأمره بإعادة الصلاة.

وأما من تكلم جاهلاً فلا تبطل صلاته عند بعض القوم، واستدلوا بحديثين (معاوية بن الحكم السلمي عندما شمّت العاطس في الصلاة فقال له ﷺ **( إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)**(٢).

والحديث الثاني استدلوا بقصة الأعرابي **(اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً )**.

---

(١) ١١١/١٦/ ج ١ سبل السلام، متفق عليه واللفظ لمسلم .

(٢) رواه مسلم

ومن أشباه الكلام:

**١- التنحنح** : اختلف الفقهاء فيه

أ- قال بعضهم هو غير مفسد للصلاة، وإليه ذهب الإمام يحيى والشافعي وأبو يوسف، واستدلوا بحديث الباب أن رسول الله ﷺ كان يتنحنح لعلي. وإليه ذهب المالكية.

ب- قال بعضهم مفسد، وإليه ذهب أبوحنيفة ومحمد والهادوية.

ج- قال بعضهم إذا كان لإصلاح الصلاة فهو غير مفسد: وإليه ذهب المنصور بالله .

**٢- النفخ في الصلاة:** كرهه ابن مسعود وابن عباس، وقال ابن عباس (النفخ في الصلاة كلام)، وكرهه النخعي والشعبي وابن سيرين وعطاء. وروي عن الأئمة الأربعة.

وقال بعضهم لا يفسد النفخ الصلاة مستدلين أنه ﷺ نفخ في صلاة الكسوف.

**٣- البكاء في الصلاة:** لا يفسد الصلاة (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً)، وحديث الباب عن عبدالله بن شخير (رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء) (١).

وان عمر قرأ سورة يوسف وهو إمام فعندما وصل إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فسمع نشيجه، وقول عائشة ( إن أبابكر رضي الله عنه رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء).

**٤- الفتح على الإمام:** (التسبيح للرجال والتصفيق للنساء) حديث في الباب، لكن قال الإمام مالك: المشروع بالنسبة للجهتين (رجال ونساء) التسبيح، وقال أبوحنيفة: تفسد صلاة المرأة إذا صفقت.

وقال بعض الشافعية كالرافعي والسبكي : إن التسبيح والتصفيق : سنة (مندوب).

إذا فتح على الامام من غير المأمومين ورد عليه الإمام بطلت صلاته، وإذا فتح المصلي على غير إمامه بطلت صلاة المصلي، أما ... فتكره عنده ولا تبطل .

أما فتح المأموم على إمامه فتكره إلا إذا استفتح الامام (بأن تردد في القراءة عند المالكية أو سكت عند الشافعية).

أما الفتح على الإمام في الفاتحة فواجب.

## التسبيح في الصلاة

١- إذا سبح للفتح على الإمام أو لإعلام الغير أنه في الصلاة (لحجزه عن المرور أمامه) لا تبطل الصلاة.

٢- أما التسبيح والتهليل والذكر بغير الوارد في الصلاة أو التكلم بآية من القرآن لإعلام الغير غرضاً من الأغراض كأن يقول ... جاً على صياح ابنه (اخسئوا فيها ولا تكلمون)، أو يقول لابنه يحيى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة)، أو يقول عند سماع المصيبة (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإن صلاته تبطل إلا إذا قصد مجرد التلاوة أو الذكر هذا عند الحنفية والشافعية. بخلاف المالكية والحنابلة ... لا يبطل.

**تشميت العاطس:** يبطل الصلاة بكاف الخطاب (يرحمك الله) أما يرحمه الله فلا تبطل عند الثلاثة، وقال الحنفية: تبطل الصلاة ... تين بدليل حديث معاوية بن الحكم السلمي (إذ شمت العاطس فرماني القوم بأبصارهم).

**الأنين والتأوه والتأفف والبكاء:** إذا اشتملت على حروف مسموعة فإنها تبطل الصلاة إلا إذا كانت ناشئة عن خشية الله أو من ...

... يبطل الصلاة: التثاؤب والعطاس والسعال والجشاء.

**... الناسي في الصلاة:** إن تكلم ناسياً كلاماً قليلاً (٦كلمات) لا تبطل الصلاة: هذا قول الشافعية.

---

(١) ...

# الدعاء في الصلاة

١- قال الحنفية: تبطل الصلاة بالدعاء بما يشبه كلام الناس (أي ليس قرآناً ولا سنة ولا يستحيل طلبه من الناس) مثل اللهم أعطني تقدير جيد جداً هذا العام.

قال المالكية: يدعو بما شاء.

قال الشافعية: الدعاء الذي يبطل الصلاة هو المحرم والمستحيل والمعلق.

قال الحنابلة: الدعاء الذي يبطل الصلاة هو الدعاء بحوائج الدنيا وملاذها: اللهم ارزقني سيارة مرسيدس.

# الحركات في الصلاة

(عن أبي قتادة قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها ) (١).

ولمسلم زيادة (وهو يؤم الناس في المسجد).

أبوقتادة: اسمه الحارث أو النعمان ودعا له ﷺ (اللهم بارك في شعره وبشره وقال له: افلح وجهك) روى ١٧٠ حديثاً.

زينب بنت الرسول ﷺ ، وابنتها أمامة، وأبوها أبوالعاص بن الربيع، وقد بقي مشركاً حتى بعد الهجرة، وبعد غزوة بدر وقعت له تجارة في أيدي المسلمين، وكانت زينب رضي الله عنها قد هاجرت وتركته في مكة، فجاءت لتفك أسره ففكه ﷺ ، ثم أسلم أبو العاص، واسمه مقسم أو مهشم، وأمامة هذه: تزوجها علي رضي الله عنه بعد موت خالتها الزهراء.

قال القرطبي: اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث لأن فيه عمل كثير. فروى ابن القاسم عن مالك أنه كان في النافلة . وقال الباجي: إن وجد من يكفيه أمرها جاز في النافلة دون الفريضة وإن لم يجد جاز فيهما. وقد قال القاضي عياض: أن ذلك من خصائصه، وهو مردود، وقال النووي. ثياب الأطفال محمولة على الطهارة.

وقال ابن دقيق العيد: حكايات الأحوال لا عموم لها.

## أحكام الحديث:

١- **ثياب الأطفال محمولة على الطهارة** بدليل حديث أبي هريرة (فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ﷺ ...) رواه أحمد .

**٢- جواز إدخال الأطفال المسجد.**

**٣- جواز حمل الأطفال في الصلاة:** عند الشافعي وأبي حنيفة وأحمد، أما مالك فقال: إن الحديث منسوخ كما روى القرطبي عن عبدالله بن يوسف عن مالك أنه منسوخ، ويستدل عليه بمخالفة عمل أهل المدينة له.

**٤- جواز العمل اليسير في الصلاة:** كحك البشرة عند المالكية.

وأما العمل الكثير فقد ضرب صاحب البدائع من الحنفية أمثلة منها: ما احتاج فيه إلى استعمال اليدين كحمل الطفل من قبل أمه وإرضاعه. إذا رمى قوساً وفيه تفسد الصلاة.

**أما عند الشافعية فالكثير** : ٣ خطوات متتابعة.

**أما دخول الصبي المسجد:** فيكره عند الحنفية والحنبلية، ويجوز عند المالكية والشافعية.

**الاشارة في الصلاة:** تكره الاشارة باليد أو الحاجب أو بالعين إلا إذا كانت لحاجة كرد السلام فلا تكره، وقال الحنفية: تكره الإشارة مطلقاً ولو كانت لرد السلام إلا لدفع المار.

وقال المالكية: الإشارة لرد السلام واجبة، أما الابتداء بها فهو جائز، وتكره للرد على المشمت.

أما دليل الذين أجازوا الإشارة فحديث البخاري عن أسماء (دخلت على عائشة وهي تصلي قائمة والناس قيام، فقالت ما شأن الناس: فأشارت برأسها إلى السماء، فقلت آية؟ فأشارت برأسها ، أي نعم.

---

(١) ١٤١/١٢/ ج ١ سبل السلام . متفق عليه.

وحديث عائشة في البخاري (صلى رسول الله ﷺ في بيته وهو شاك جالساً وصلى وراءه قوم قياماً، فأشار إليهم أن اجلسو فلما انصرف قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا).

وأخرج مسلم عن جابر (أن رسول الله ﷺ بعثه لحاجة، قال ثم أدركته وهو يصلي، فسلمت عليه فأشار إليّ)، وكذلك في قصـ سلام الأنصار على النبي ﷺ في قباء وهو يصلي، عن ابن عمر (قلت لبلال كيف رأيت رسول الله ﷺ يرد عليهم... قال: يقول هكذ ويبسط كفه).

وحديث البخاري: أن ابن عباس أرسل إلى عائشة (كريباً) يسألها عن الركعتين بعد العصر، فقالت عائشة: سل أم سلمة. .فيه (فأشار بيده فاستأخرت عنه).

# الاستعانة باليد

قال ابن عباس: يستعين الرجل في صلاته من جسده بما شاء، ووضع أبو إسحق السبيعي قلنسوته في الصلاة ورفعها.

كان علي رضي الله عنه إذا صلى ضرب بيده اليمنى على اليسرى إلا أن يحك جلداً أو يصلح ثوباً، وهذا الآثار الثلاثة رواه بخاري.

وروى البخاري عن ابن عباس عندما نام عند خالته ميمونة... وفيه (فوضع ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلو ه).

**مسح الحصى في الصلاة:** سأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن مسح الحصى فقال (**إن كنت فاعلاً فواحدة**) (١).

وحكى النووي في شرح مسلم اتفاق العلماء على كراهة مسح الحصى. وكرهه عمر بن الخطاب وجابر، ومن التابعين مسروق خعي والحسن البصري.

**قتل الحشرات والزواحف في الصلاة:** يجوز بلا كراهة في الصلاة عند جمهور العلماء، واستدلوا بالحديث الذي رواه الخمسة عـ هريرة (أنه ﷺ أمر بقتل الأسودين في الصلاة: الحية والعقرب)، وكذلك هم علي وابن عمر بقتلها أو قتلها.

وكرهه النخعي مستدلاً بحديث (**اسكنوا في الصلاة**) (٢).

**المشي في الصلاة:**(فتح ﷺ الباب لعائشة وهو يصلي، والباب نحو القبلة)(٣).

والحديث الثاني: في صلاة الكسوف: تقدم ﷺ عند ما رأى الجنة، وتأخر عند ما رأى النار، وكذلك تأخر الصحابي أبو برز ـمي مع فرسه، ويجوز بسط الثوب، لأن الصحابة كانوا يفعلون ذلك في الحر.

ويجوز أن يغمز رجل النائم لفعله ﷺ مع عائشة.

ويجوز للمصلي أن يتأخر من مكانه ويتقدم: كما فعل ﷺ من الصلاة على المنبر، ثم يسجد على الأرض، ويعود إلى المنبر، وكـ بكر يوم الاثنين في اليوم الذي توفي فيه ﷺ، إذ تأخر عن مكان الإمام عندما أطل ﷺ، ثم عاد إلى مكانه.

لكن قال الشافعية أن ثلاث خطوات متتابعة تفسد الصلاة.

# مكروهات الصلاة

١- منها **العبث القليل:** بيده أو ثوبه أو لحيته أو نحو ذلك بدون حاجة. أما إذا كان لحاجة كإزالة العرق عن وجهه أو الترا فلا يكره.

٢- **فرقعة الأصابع:** لحديث ابن ماجه (**لا تفقع أصابعك وأنت في الصلاة**) مكروه.

٣- **تشبيك الأصابع:** مكروه لحديث الترمذي وابن ماجة (رأى رجلاً قد شبك أصابعه في الصلاة ففرج ﷺ بينها).

٤- **وضع اليد على الخاصرة:** مكروه.

- **الالتفات:** فعند الحنفية: المكروه هو الالتفات بالعنق، أما بالعين فمباح، أما بالصدر لقدر ركن فمبطل. وهذا هو رأي

ـمد. (٢) رواه أبوداود. (٣) رواه الخمسة إلا ابن ماجة.

الشافعية، إلا أنهم لم يشترطوا -قدر ركن كامل-.

أما المالكية: فالالتفات مكروه ولو بجميع جسده ما دامت رجلاه إلى القبلة وإلا بطلت صلاته. وهذا رأي الحنبلية.

# باب سترة المصلي(١)

جمع المصنف في هذا الباب تسعة أحاديث وهي تدور حول موضوع السترة ولكن في الأمور التالية:

**١- إثم المار:** الحديث الأول.

**٢- حد السترة ونوعها:** الثاني والثالث.

**٣- ما يقطع الصلاة:** الرابع والخامس والسادس.

**٤- وجوب استتار المصلي ودرء المار:** السابع والثامن والتاسع.

(السترة ما يُستتر به المصلي عن غيره من المارة ونحوهم)(٢).

**(عن أبي جهيم قال : قال رسول الله ﷺ: لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه)**(٣) .

**سند الحديث:** حدثنا عبدالله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيدالله عن بسر بن سعيد أن زيداً بن خالد أرسله إلى أبي جهيم يسأله: ماذا سمع من رسول الله ﷺ في المار بين يدي المصلي، فقال أبوجهيم: قال رسول الله ﷺ (لو يعلم المار ...) قال أبوالنضر: لا أدري أقال أربعين يوماً أو شهراً أو سنة.

(من الإثم) تفرد بهذه الزيادة الكشميهني ولم ترد عن غيره. ويحتمل أنها حاشية على أصل البخاري فظنها الكشميهني أصلاً، لأنه لم يكن من أهل العلم ولا من الحفاظ بل كان راوية.

**شرح الحديث:** قال الكرماني: جواب لو ليس هو المذكور بل التقدير **(لو يعلم المار لوقف أربعين ولو وقف أربعين لكان خيراً له).**

وخيراً : خبر كان .

بين يديه: أمامه.

أربعين : شك الراوي في مميزها، لكن ورد في مسند البزار (أربعين خريفاً)، خيراً: خبر كان وفي رواية (خير بالرفع وهي للترمذي) وأعربها ابن العربي اسم كان، وجاز الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة، ويحتمل أن يكون اسمها ضمير الشأن والجملة خبرها.

الأربعين: قال الكرماني لأنها كمال أطوار الإنسان: النطفة والمضغة والأشد ولأن الأربعة أصل الأعداد)، والمقصود بالأربعين المبالغة في تعظيم الأمر لا خصوص عدد معين.

**أحكام الحديث:**

١- استنبط ابن بطال من قوله (لو يعلم) أن الإثم يختص بمن يعلم بالنهي وارتكبه.

٢- الوعيد يختص بمن مر لا بمن وقف عامداً أو قصد أو رقد.

٣- ظاهره عموم النهي في كل فصل، وخصه بعض المالكية بالإمام والمنفرد (لأن سترة الإمام سترة لمأمومه).

قال النووي: (فيه دليل على تحريم المرور)، قال ابن حجر: (ومقتضى ذلك أن يعد من الكبائر).

٤- وذكر ابن دقيق العيد عن بعض فقهاء المالكية عن أحوال المار والمصلي:

أ- يأثم المار دون المصلي: وهي أن يصلي المصلي إلى سترة في غير مشرع وللمار مندوحة.

ب- يأثم المصلي دون المار: وهي أن يصلي المصلي بدون سترة في مشرع ولا يجد المار مندوحة.

ج - يأثمان جميعاً : وهي أن يصلي المصلي بدون سترة في مشرع ويجد المار مندوحة .

---

(١) ١/١٤٢/ج١ سبل السلام. (٢) ١/١٤٢ ج١ سبل السلام سترة المصلي (٣) متفق عليه واللفظ للبخاري.

د- لا يأثمان جميعاً: وهي أن يصلي المصلي إلى سترة ولا يجد المار مندوحة.

وقد قال ابن مسعود: المرور بين يدي المصلي يقطع نصف صلاته. مع أن الشافعية قالوا: المرور دون السترة حرام. أما إ تركت فهو خلاف الأولى للمار.

## حد السترة ونوعها

**١- الصلاة إلى الحربة:** (عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي إليه لناس وراءه، وكان يفعل ذلك في السفر، فمن ثم اتخذها الأمراء)[١].

والحربة هنا هي حربة اغتنمها الزبير بن العوام يوم أحد، وقيل حربة أهداها إليه النجاشي.

**٢- الصلاة إلى العنزة:** رواه البخاري (وكذلك حديث أبي جحيفة عن أبيه أنه ﷺ صلى بالبطحاء -وبين يديه عَنَزَة-، الظهر لعتين والعصر ركعتين تمر بين يديه المرأة والحمار) والعنزة الحربة الصغيرة.

**٣- الصلاة إلى الأسطوانة:** (قال عمر: المصلون أحق بالسواري من المتحدثين، ورأى عمر رجلاً يصلي بين أسطوانتين فأدنا سارية فقال: صل إليها)[٢].

حدثنا المكي بن إبراهيم قال: حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال: (كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند مصحف، فقلت يا أبا مسلم: أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال: فإني رأيت النبي ﷺ ليتحرى الصلاة عندها)[٣].

وعن أنس ( رأيت كبار الصحابة يبتدرون السواري عند المغرب )[٤].

**٤- الصلاة إلى العصا والخط: (عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئاً، فإن لم يجد صب عصاً، فإن لم يكن معه عصا فليخط خطاً ولا يضره ما مر بين يديه)[٥].**

أما الخط الذي يخطه المصلي فاختار أحمد أن يكون هلالاً كالمحراب، وقال النووي في التهذيب: إلى القبلة: أي من الشرق إلى ب) مستقيماً.

ولم ير مالك ولا عامة الفقهاء الخط، وقالوا الحديث ضعيف، وقال ابن الصلاح مضطرب، وأما أصحاب الشافعي فاستحبوا

**٥- مكان السترة والصلاة إلى الشجرة:** (عن المقداد بن الأسود أنه قال: ما رأيت رسول ﷺ صلى إلى عود ولا عمود ولا ة إلا جعله على حاجبه الأيسر أو الأيمن ولا يصمد له صمداً)[٦].

**لسترة:**

١- حديث عائشة (كمؤخرة الرحل)[٧] العود الذي في آخر الرحل وهي قدر عظم الذراع = ثلثي ذراع.

٢- حديث سهل بن سعد (كان بين مصلى رسول الله ﷺ وبين الجدار ممر شاة)[٨].

ممر الشاة: قال ابن الصلاح ثلاثة أذرع، قال ابن رسلان: ثلث ذراع أقرب.

- وفي حديث بلال (أن النبي ﷺ دخل الكعبة فصلى وبينه وبين الجدار نحو من ثلاثة أذرع )[٩].

روى البخاري عن ابن عمر أنه كان يصلي في هذا المكان.

الجمع بين هذه الأحاديث: قال الداودي : أقله ممر شاة وأكثره ثلاثة أذرع.

ال ابن رسلان: ممر شاة عند القيام، وثلاثة أذرع في حالة السجود والركوع.

ال الشوكاني : الظاهر أن الأمر العكس: أي ممرالشاة عند السجود.

## ما يقطع الصلاة (١٠)

رض إليها سبل السلام في الحديث الثالث والرابع والخامس في باب سترة المصلي، ففي الحديث المرفوع في الباب عن أبي

---

ري. (٣، ٤) البخاري. (٥) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة (٦) رواه أحمد وأبو داود

م (٨) متفق عليه. (٩) أحمد والنسائي (١٠) ١٤٣/٤ ج١ سبل السلام

ذر ﷺ(يقطع صلاة المرء المسلم إذا لم يكن بين يديه مثل مؤخرة الرحل: المرأة والحمار والكلب الأسود...) أخرجه مسلم، وفي بعض الروايات قيدوا المرأة بالحائض. وحديث آخر رواه أبو داود عن ابن عباس زاد فيه: الخنزير والمجوسي: مع أن أبا داود قال: إن ذكر الخنزير والمجوسي فيه نكارة.

وأحاديث الباب تدل على أن الكلب والحمار والمرأة تقطع الصلاة، والمراد بقطع الصلاة إبطالها، وقد ذهب إلى هذا جماعة من الصحابة منهم: أبوهريرة وأنس وابن عباس وابن عمر وأبوذر.

وحكاه ابن حزم عن أحمد بن حنبل. وحكى عنه الترمذي أنه يخصص بالكلب الأسود ويتوقف في الحمار والمرأة.

وذهب مالك والشافعي وحكاه النووي عن جمهور من السلف والخلف ورواه المهدي عن العترة أنه لا يبطل الصلاة مرور شيء.

قال النوي: وتأولوا هذا الحديث بأن القطع نقص الصلاة لشغل القلب بهذه الأشياء وليس المراد إبطالها. ومنهم من يدعي النسخ بحديث أبي داود (لا يقطع الصلاة شيء وادرؤا ما استطعتم)، وقال وهذا غير مرضي، لأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا تعذر الجمع بين الأحاديث وتأويلها خاصة مع الجهل بالتاريخ.

ونحن نميل برأينا مع الجمهور لأسباب:

١- **فالكلب:** يبطله حديث أبي داود المتقدم (لا يقطع الصلاة شيء...)

٢- **وأما المرأة: فلا تقطع الصلاة:** لأحاديث منها: حديث أم سلمة الذي رواه أحمد وابن ماجة (إن النبي ﷺ كان يصلي في حجرتها فمربين يديه عبدالله أو عمر، فقال بيده هكذا فرجع، فمرت ابنة أم سلمة فقال بيده هكذا فمضت، فلما صلى رسول الله ﷺ قال: من أغلب).

عبدالله أو عمر بن أبي سلمة، وابنتها زينب ومعنى أغلب : لا ينتهين لجهلهن . وكذلك حديث (يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب...).

وحديث ميمونة المتفق عليه (أنها تكون حائضا... إذا سجد أصابني بعض ثوبه)، وحديث عائشة المتفق عليه (كان رسول الله ﷺ يصلي صلاته من الليل وأنا معترضة بينه وبين القبلة اعتراض الجنازة، فإذا أراد أن يوتر أيقظني فاوترت). وحديث البخاري عن عائشة (ذكر عندها ما يقطع الصلاة: الكلب والحمار والمرأة، فقالت عائشة: لقد جعلتمونا كلابا لقد رأيت رسول الله ﷺ...)

٣- **أما الحمار:** فلا يقطع الصلاة لحديث ابن عباس قال: أقبلت راكباً على أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار، فمررت بين يدي بعض الصف فنزلت وأرسلت الأتان ترتع، فدخلت في الصف فلم ينكر ذلك عليّ أحد) متفق عليه.

وهذا الحديث الأخير يدل على أن (سترة الامام سترة لمأمومه) روى الطبراني في الأوسط عن أنس (سترة الإمام سترة لمن خلفه ) وهو حديث موقوف على ابن عمر تفرد به سويد عن عاصم، ولكن اختلفوا هل الإمام نفسه سترة لمأمومه أم سترته هي سترة مأمومه.

**ملاحظة:** قال بعض الفقهاء لا بأس بالمرور بين يدي المصلي في الطواف حول الكعبة لحديث ابن ماجة والنسائي (... وليس بينه وبين الطواف أحد)، مع أن البخاري لم يفرق بين مكة وغيرها في مشروعية السترة ، مع أن بعض الحنبلية قالوا لا سترة في مكة كلها، وقال بعضهم لا سترة عند الكعبة، روى البخاري (أن ابن عمر رد بين يديه في التشهد وفي الكعبة) والمار هو عمرو بن دينار.

**درء المار:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان)(١).

والحديث يدل بظاهره أن من ليس له سترة ليس له دفع المار، أما الذي له سترة فيدفعه، قال القرطبي: بالإشارة ولطيف المنع، وأجمعوا على أنه ليس له أن يقاتله بالسلاح . وقال بعضهم يقاتله، فإن قتله فلا قود عليه (قصاص)، ولكن اختلفوا في الدية.

ويؤيد هذا الحديث حديث البخاري (عن أبي صالح السمان: رأيت أبا سعيد الخدري في يوم جمعة يصلي إلى شيء يستره من

---

(١) متفق عليه ، حديث ٧/ ١٤٥ ج ١ سبل السلام

ناس، فأراد شاب من بني أبي معيط أن يجتاز بين يديه، فدفعه أبو سعيد في صدره، فنظر الشاب فلم يجد مساغاً إلا بين يديه، فعاد جتاز فدفعه أبو سعيد أشد من الأول...).

فدفع المار مشروع عند الشافعية، فقد قال النووي: هو مندوب عند أصحابنا. إلا أن إمام الحرمين قال: لا يدفعه. وقد نقل بيهقي عن الشافعي أن المراد بالمقاتلة الدفع الأشد، بدليل إحدى الروايات (فليجعل يده في صدره وليدفع)، وقال ابن بطال: في حديث جواز إطلاق الشيطان على من يفتن في الدين.

ولكن هل الدفع لخلل يقع في صلاة المصلي أم لدفع الإثم عن المار؟ الظاهر الثاني، وقال بعضهم الأول أظهر، لأن إقبال المصلي ، صلاته أولى من اشتغاله برفع الإثم عن غيره، وقد روى عن ابن مسعود: (أن المرور بين يدي المصلي يقطع نصف صلاته)[1].

وروى أبو نعيم عن عمر (لو يعلم المصلي ما ينقص من صلاته بالمرور بين يديه ما صلى إلا إلى سترة تستره عن الناس).

**تفصيل المذاهب الأربعة في حد السترة (مقدارها)**

١- الحنفية: قالوا: إن كان يصلي في مسجد كبير أو في الصحراء فيحرم المرور بين يديه من موضع قدمه إلى موضع سجوده، كان يصلي في مسجد صغير فإنه يحرم المرور من موضع قدمه إلى حائط القبلة وقدر (٤٠ ذراعاً).

٢- المالكية: إن صلى لسترة حرم المرور دونها، وإلا فيحرم إلى مكان السجود.

٣- الشافعية: ثلاثة أذرع على الأقل.

٤- الحنبلية: إن صلى لسترة حرم المرور دونها أو بدونها فثلاثة أذرع.

## م اتخاذ السترة:

تسن للإمام والمنفرد إن خشيا مرور أحد بين يديهما. مع أن الشافعية والحنبلية قالا تندب وإن لم يخش المرور.

**الاستتار بالآدمي:** يصح الاستتار بظهر الآدمي غير الكافر والمرأة الأجنبية. مع أن الشافعية منعوه إلا أن الحنبلية قالوا: يصح ه ويوجهه.

**السترة:** وأن يكون مستوياً مستقيماً، وأن يقرب منه قدر ثلاثة أذرع من ابتداء قدميه، فإن وجد ما يصلح أن يكون سترة ولكن غرزه في الأرض لصلابتها وضعه بين يديه عرضاً وهو أولى من وضعه طولاً، فإن لم يجد شيئاً أصلاً خط خطاً بالأرض ل.

أما المالكية فقالوا: يكون بين المصلي وسترته قدر مرور الهرة أو الشاة زائداً على محل ركوعه وسجوده. ولا يكفي وضع الساتر لأرض لا طولاً ولا عرضاً، بل لابد من وضعه منصوباً كما تقدم، كما قالوا لا يصح السترة إلا بشيء مرتفع في غلظ الرمح وطول كما تقدم، و يشترط أن يكون ثابتاً فلا يصح بخط ولا بصبي.

# باب صفة الصلاة[2]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ١- **إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء.**

١- **ثم استقبل القبلة فكبر[3]:** ثم يقول (الله أكبر)

**نية التكبير:** عن أبي حميد الساعدي قال: (رأيت رسول الله ﷺ إذا كبر جعل يديه حذو منكبيه..)[4].

٢- **ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن :** (وفي رواية النسائي وأبي داود: فإن كان معك قرآن فاقرأ، وإلا فاحمد الله وكبر

لأبي داود عن محمد بن عمرو: (ثم اقرأ بأم الكتاب أو بما شاء الله). ولابن حبان (ثم بما شئت) وترجم له ابن حبان: باب صلي فاتحة الكتاب في كل ركعة.

---
ن أبي شيبة. (٢) ١٥٩/١ ج١ سبل السلام. (٣) رواية الطبراني. (٤) البخاري.

**٤- ثم اركع حتى تطمئن راكعاً**: رواية أحمد: فإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك، وامدد ظهرك ومكن ركوعك (ثم تكبر وتركع حتى تطمئن مفاصلك وتسترخي) رواية (ثم هصر ظهره) (غير مقنع رأسه ولا مصوبه) (وفرج بين أصابعه).

**٥- ثم ارفع حتى تعتدل قائماً**: وفي رواية (حتى تطمئن قائما).

رواية أبي داود (فقال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ورفع يديه)، وزيادة لعبدالحميد (حتى يحاذي بهما منكبيه معتدلاً) ولعبد الحميد (حتى يعود كل فقار مكانه).

**٦- ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً**: رواية النسائي عن إسحق بن أبي طلحة (ثم يكبر ويسجد حتى يمكن وجهه وجبهته حتى تطمئن مفاصله وتسترخي).

(غير مفترش ذراعيه)[١] (ولا قابضهما)[٢] (واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة)[٣].

**٧- ثم ارفع حتى تطمئن جالسا**: (ثم يكبر فيرفع رأسه حتى يستوي قاعداً على مقعدته، ويقيم صلبه)[٤] (فإذا رفعت رأسك فاجلس على فخذك اليسرى) رواية.

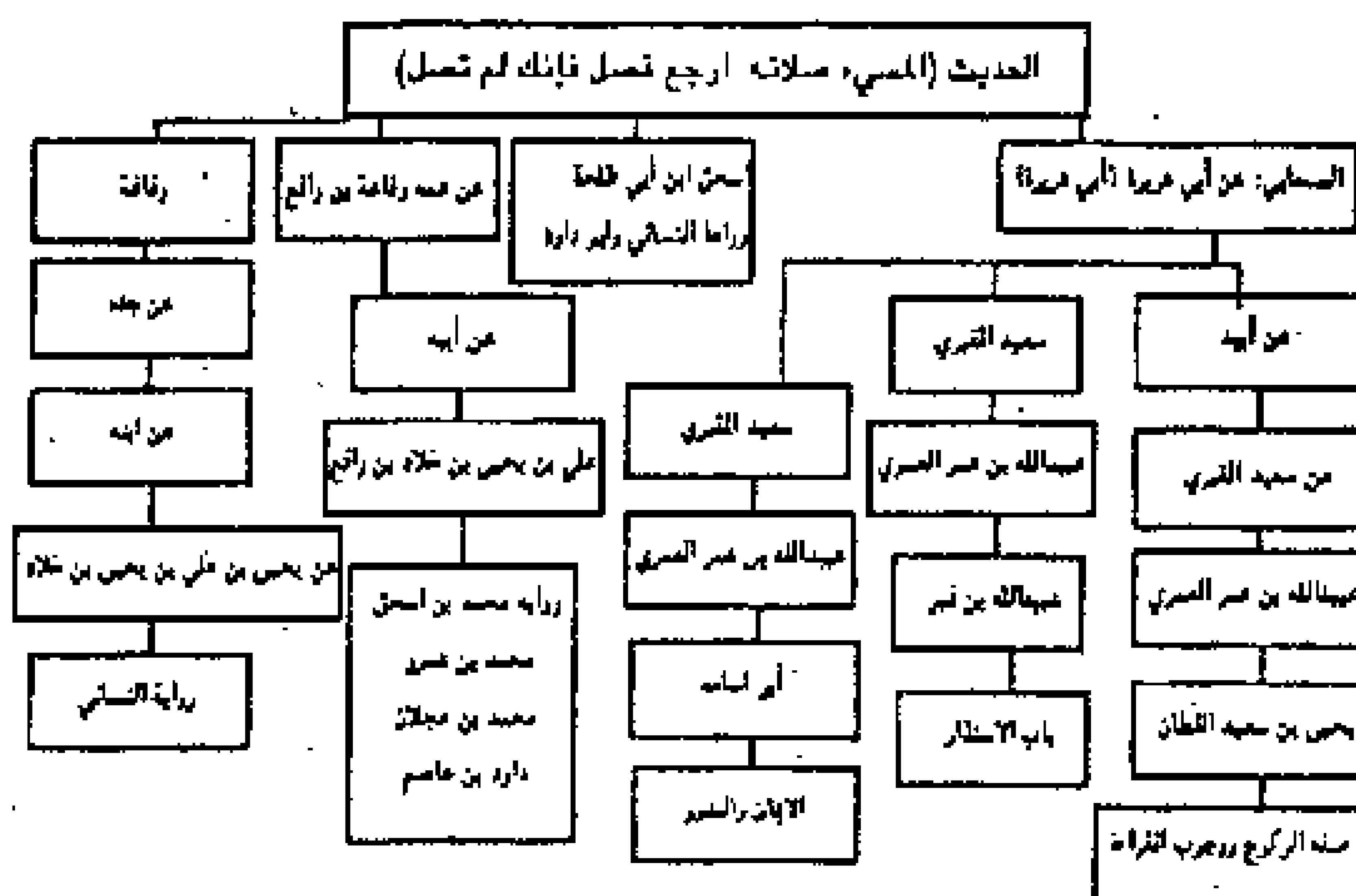
**٨- ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً.**

**٩- ثم افعل ذلك في صلاتك كلها.**

١٠- **(وإذا جلس في الركعتين**: جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى) (وإذا جلس في الركعة الأخيرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته)[٥].

والحديث يدل على وجوب كل ما ذكر، بدليل إحدى الروايات (لن تتم الصلاة إلا بما ذكر فيه) وأما الاستدلال بأن كل ما لم يذكر ليس بواجب: لأنه مقام تعليم الواجبات في الصلاة، فلو ترك بعضها لكان تأخيراً للبيان عن وقت الحاجة وهو لا يجوز بالإجماع، أما النية فمحلها القلب، وقد تستفاد من (إذا قمت).

وأما التشهد الأخير: فمختلف في وجوبه، وكذا الصلاة والسلام عليه ﷺ.




## باب صفة الصلاة[٦]

**(حدثني مسدد قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال: حدثنا سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فرد النبي ﷺ عليه السلام فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل، فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل، ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني، قال: إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها)**[٧].

عبيد الله ابن عمر العمري، يحيى بن سعيد القطان روايته عن عبيد الله عن سعيد المقبُري (عن أبيه) تفرد بها يحيى، أما يحيى

(١) ابن حبان (٢، ٣) البخاري (٤) رواية النسائي (٥) رواه البخاري (٦) ١/ ١٥٩ جـ ١ سبل السلام (٧) رواه السبعة واللفظ للبخاري

فهو حافظ، ولذا فهي زيادة ثقة، وأما الرواية الاخرى، فعن سعيد المَقْبُري عن أبي هريرة بدون أبيه، ولقد ثبت سماع سعيد من أبي هريرة، وقد أخرج الشيخان الطريقين.

فأخرج البخاري طريق يحيى هنا وفي وجوب القراءة.

(وطريق عبيدالله بن نمير في الاستئذان، وطريق أبي أسامه في الإيمان والنذور). هاتان الروايتان ليس فيهما عن أبيه وهي عن عبيدالله.

والطرق الثلاث التي رواها البخاري عن عبيدالله بن عمر العمري، وأخرجه مسلم عن الثلاث، وللحديث طريق أخرى عن غير أبي هريرة، وإنما هي من إسحاق بن أبي طلحة رواها النسائي وأبو داود.

ومحمد بن إسحاق ومحمد بن عمرو ومحمد بن عجلان وداود بن قيس كلهم عن (علي بن يحيى بن خلاد بن رافع الزرقي عن أبيه عن عمه رفاعة بن رافع.

ورواه النسائي عن يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن جده عن رفاعة.

الرجل الذي دخل المسجد (خلاد بن رافع) الزُرَقي بينه ابن أبي شيبة عن عباد بن العوام عن محمد بن عمرو عن علي بن يحيى رفاعة (أن خلاداً دخل المسجد)، أما صلاته فهي ركعتان: رواية داود بن قيس (قوله فصلى ركعتين) قال ابن حجر والأقرب أنها ة المسجد.

قال ابن المنير: إن الموعظة في وقت الحاجة أهم من رد السلام (وذلك لأن صاحب العمدة حذف فرد النبي ﷺ) ولعل ابن المنير عن نسخته.

قوله (ارجع فصل)، في رواية ابن عجلان (أعد صلاتك) : قال عياض: فيه أن أفعال الجاهل في العبادة على غير علم لا تجزيء. هر أن النفي نفي الإجزاء، ومن قال بأن النفي: نفي الكمال: تمسك بأنه ﷺ لم يأمره بإعادة الصلاة بعد التعليم، كذا قال بعض ية ومنهم المهلب.

فعلمني: في رواية يحيى بن علي (فقال الرجل: فأرني وعلمني فإنما أنا بشر أصيب وأخطىء، فقال: أجل).

١- **رواية ابن النمير عند البخاري** (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر) ورواية النسائي عن إسحق بن لحة (إنها لم تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء ...)، وفي رواية يحيى بن علي (فتوضأ كما أمرك الله، ثم تشهد وأقم)

وفي رواية النسائي وعن إسحق (ثم يكبر الله ويحمده ويمجده).

**٢- ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن.**

رواية يحيى بن علي (فإن كان معك قرآن فاقرأ، وإلا فاحمد الله وكبره وهلله).

رواية أبي داود عن محمد بن عمر (ثم اقرأ بأم القرآن أو بما شاء الله).

رواية أحمد وابن حبان (ثم اقرأ بأم القرآن ثم اقرأ بما شئت).

رجم له ابن حبان بباب فرض المصلي قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة.

**٣- ثم اركع حتى تطمئن راكعاً.**

واية أحمد (فإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك، وأمدد ظهرك، وتمكن لركوعك).

اية إسحق (ثم يكبر فيركع حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ...) وفي رواية البخاري عن أبي حميد الساعدي (ثم هصر

**- ثم ارفع حتى تعتدل قائما:**

اية ابن النمير عند ابن ماجة (حتى تطمئن قائما)، وثبت ذكر الطمأنينة على شرط الشيخين و رواية أحمد (فاقم صلبك حتى لام إلى مفاصلها).

، إمام الحرمين: في القلب من إيجاب الطمأنينة شيء.

**٥- ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً.**

رواية اسحق بن أبي طلحه: (ثم يكبر فيسجد حتى يمكن وجهه أو جبهته حتى تطمئن مفاصله وتسترخي).

**٦- ثم ارفع حتى تطمئن جالساً:** رواية إسحاق (ثم يكبر فيرفع حتى يستوي قاعداً على مقعدته ويقيم صلبه).

رواية محمد بن عمرو (فإذا رفعت رأسك فاجلس على فخذك اليسرى).

**ملاحظـــــــة:**

في رواية ابن النمير بعدالسجدة الثانية (ثم ارفع حتى تطمئن جالساً)، و استدل بعضهم بها على وجوب جلسة الاستراحة. وأشار البخاري إلى وهم ابن النمير بأن أبا أسامة قال في الأخير (حتى تستوي قائما).

**ملاحظـــــــة:**

من الأحاديث التي تصف صلاة النبي ﷺ البخاري (أن مالك بن الحويرث قال لأصحابه : ألا أنبئكم صلاة رسول الله ﷺ) وكذلك حديث أبي حميد الساعدي في البخاري.

# أحكام حديث المسيء صلاته

١- *الجاهل في العبادات أفعاله لا تجزئ* : قاله عياض.

٢-قال ابن المنير: رد السلام ليس أولى من النصيحة في محلها.

٣- النفي هنا نفي الإجزاء وليس نفي الكمال بدليل (ارجع فصل).

٤- وجوب الطمانينة في أركان الصلاة عند الجمهور، مع أن الحنفية قالوا: الطمانينة سنة، وهو المشهور عنهم، إلا أن كلام الطحاوي يوحي بالوجوب، فقال (سبحان ربي العظيم في الركوع ثلاثاً وذلك أدناه، والسجود لا يجزئ أدنى منه) ثم قال الطحاوي وخالفهم آخرون فقالوا:-

(إذا استوى راكعاً واطمأن ساجداً أجزأ، وهذا قول أبي حنيفة والصاحبين).

٥- وجوب ما ذكر وعدم وجوب ما لم يذكر : أما الوجوب ففي رواية النسائي (إنها لم تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء....) ولأنه ﷺ علم المسيء صلاته ما أساء وما لم يسئ ، ولأنه مقام تعليم الواجبات، فلو ترك شيئا لأخر البيان عن وقت الحاجة وهو محال عليه ﷺ.

قال ابن حجر: ومما لم يذكر من الواجبات المتفق عليها: النية، والجلوس الأخير، وكذلك مما لم يذكر من الواجبات المختلف فيها: التشهد الأخير، والصلاة على النبي ﷺ ، والسلام في آخر الصلاة.

قال النووي: لعله محمول أن ذلك كان معلوماً عند المسيء صلاته.

٦- قال النووي (وفيه دليل أن التعوذ ودعاء الاستفتاح ورفع اليدين عند التكبير وعند الانتقال بين الأركان وهيئة الجلوس وتسبيحات الركوع والسجود ووضع اليد على الفخذ ... الخ ليس من واجبات الصلاة).

٧- تعيين لفظ التكبير، ولا تجوز بلفظ يدل على التعظيم غيره.

# رفع اليدين عند التكبير في الصلاة[١]

روى البخاري عن ابن عمر (أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة، وإذا كبر للركوع، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضاً، وقال سمع الله لمن حمده : ربنا ولك الحمد، وكان لا يفعل ذلك في السجود).

قال النووي: أجمعت الأمة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام، وأجمعوا على عدم وجوبه إلا ما نقل عن داود وأحمد بن سيار الشافعي والأوزاعي والحميدي شيخ البخاري.

---

(١) ص ٢٦٠ الفتح ج ٢.

وقال ابن المنذر: لم يختلفوا أنه ﷺ كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة .

قال الحافظ ابن حجر: أنه روى رفع اليدين في أول الصلاة خمسون صحابيا منهم العشرة المشهود لهم بالجنة.

قال الحاكم: لا نعلم سنة اتفق على روايتها الخلفاء الأربعة ثم العشرة المشهود لهم بالجنة غير هذه السنة أول الصلاة.

قال البخاري: ولم يستثن الحسن أحداً من الصحابة (في رفع اليدين).

وقال ابن عبد البر: كل من روي عنه ترك الرفع روي عنه فعله إلا ابن مسعود. وقال: ولم يرو عن مالك ترك الرفع إلا ابن اسم. وقد روى ٢٢ صحابياً الرفع في المواطن الباقية.

أما الحنفية: فعولوا على رواية مجاهد أنه صلى خلف ابن عمر فلم يفعل ذلك. وكذلك صلاة ابن مسعود.

قال ابن المديني: حق على المسلمين أن يرفعوا أيديهم عند الركوع وعند الرفع منه. إلا أن بعض الحنفية قالوا: يبطل الصلاة، ، بعض المغاربة: هو بدعة .

قال البخاري (من زعم أنه بدعة فقد طعن في الصحابة. فإنه لم يثبت عن أحد منهم تركه).

## ـة الرفع:

ورد فيها روايات كثيرة منها (حذو منكبيه)، ورواية (حتى حاذتا أذنيه) .

والمختار الذي عليه الجماهير: أنه يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تحاذي أطراف أصابعه على أذنيه، وإبهاماه شحمتي أذنيه، ـاه منكبيه، وبهذا جمع الشافعي بين روايات الأحاديث فاستحسن الناس ذلك منه.

## الرفع:

جاء في المنهاج وشرحه النجم الوهاج:

١- رفع اليدين مع ابتداء التكبير ولا استصحاب في الانتهاء: وهو الأصح لما رواه الشيخان عن ابن عمر.

٢-الرفع قبل التكبير ثم يكبر: وصححه صاحب الهداية.

٣- يرفع مع ابتداء التكبير وينتهي بانتهائه: وصححه المصنف ابن حجر ونسبه إلى الجمهور، وصححه النووي، ورجحه المالكية.

قال الربيع قلت للشافعي: ما معنى رفع اليدين؟ قال : تعظيم الله واتباع سنة نبيه. عن ابن عمر: رفع اليدين زينة الصلاة، عن ـن عامر قال: بكل رفع عشر حسنات لكل إصبع حسنة.

# صفة الصلاة

## أحكام حديث المسيء صلاته

ـظ الحديث في البخاري:

- (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر). رواه الطبراني بلفظ (ثم يقول الله أكبر) (مفتاح الصلاة ـحريمها التكبير)(١).

- (ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن) رواية ابن حبان (ثم اقرأ بأم القرآن ثم بما شئت) وحديث الجماعة عن عبادة بن (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب).

، الحنفية : (من صلى خلف امام فقراءة الإمام له قراءة) . ضعيف عند الحفاظ، لكن الحنفية نقلوا منع القراءة عن ٨٠ ـنهم العبادلة. وقال المالكية تسقط الفاتحة عن المأموم في الجهرية (وإذا قرأ فأنصتوا) مسلم، وهو عمل أهل المدينة.

الشافعية والبخاري فأوجبوها على المأموم ولحديث الترمذي و ابن حبان عن عبادة (أن النبي ﷺ ثقلت عليه القراءة في ا فرغ قال لعلكم تقرأون خلف إمامكم؟ قلنا نعم، قال: فلا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها).

---

ـة إلا النسائي.

**أما من عجز عن الفاتحة:** يقرأ آيات من أي سورة، وإلا فيقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم). لحديث أبي داود والترمذي في المسيء صلاته (إن كان معك قرآن فاقرأ وإلا فاحمده وكبره وهلله ثم اركع).

٣- ثم اركع حتى تطمئن راكعاً في رواية أحمد (فإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك وامدد ظهرك وتمكن لركوعك) رواية (ثم يكبر فيركع حتى تطمئن مفاصله و تسترخي).

ورواية البخاري عن أبي حميد الساعدي (ثم هصر ظهره) .. (اركعوا واسجدوا).

٤- ثم ارفع حتى تعتدل قائماً (لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود)[1] .

وورد حديث أبي مالك الأشعري في صلاة الظهر: (يا معشر الأشعريين اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم أعلمكم صلاة النبي ﷺ ... ثم أقام الصلاة فتقدم فرفع يديه فكبر فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة يسرها . ثم كبر فركع فقال سبحان الله وبحمده ثلاث مرات، ثم قال سمع الله لمن حمده واستوى قائما، ثم كبر وخر ساجداً، ثم كبر فرفع رأسه، ثم كبر فسجد، ثم كبر فانتهض قائما...)[2].

تكبيرة الاحرام ركن عند الجمهور، وشرط عند الحنفية، وسنة عند الزهري، ولم ينقل عن غيره، أما التلفظ بالنية فكفى قول ابن القيم أنه لم يرد عن الصحابة ولا استحسنه التابعون ولا قال به أحد من الأربعة.

قراءة الفاتحة واجب عند الحنفية وليست شرط صحة. أما البسملة ففيها مذاهب:-

١-هي آية من الفاتحة و من كل سورة، ولذا قراءتها واجبة وحكمها حكم الفاتحة سراً و جهراً، ودليلهم أن أبا هريرة صلى فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم بأم القرآن وقال: (والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ ) [3].

٢- أنها آية مستقله أنزلت للتيمن والفصل بين السور فقراءتها جائزة بل مستحبة، ولا يسن الجهر بها لحديث أنس (صليت خلف رسول الله ﷺ وخلف أبي بكر وعمر وعثمان وكانوا لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم)[4].

٣- أنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها، وقراءتها مكروهة سراً وجهراً وهذا المذهب ليس بالقوي.

أما الزيادة على الفاتحة فليس بفرض، بدليل حديث البخاري قال أبو هريرة: (... وإن لم تزد على أم القرآن أجزأت، وإن زدت فهو خير).

والطمأنينة لابد منها في الركوع (واجبة)، إلا أن الحنفية قالوا سنة ( ... ووتر يديه فتجافى عن جنبية)، (وفرج بين أصابعه ثم هصر ظهره غير مقنع رأسه ولا صافح نجده).

الطمأنينة في الاعتدال من الركوع وبين السجدتين: واجب عند الشافعي وأحمد وإسحق وداود.

وقال أبو حنيفة وروي عن مالك: إن الطمأنينة في الموضعين غير واجبة.

**٣- القيام:**

هو ثالث الفرائض بعد تكبيرة الإحرام والنية. بدليل الآية (وقوموا لله قانتين)، ولحديث البخاري قوله ﷺ لعمران بن الحصين رضي الله عنه (صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب) وهو فرض في الفريضة حال القدرة.

أما القيام في النفل فهو سنة وليس فرضاً، بدليل حديث ابن عمر: حدثت أن رسول الله ﷺ قال (**صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة**) [5].

ويستحب التفريج بين القدمين.

**٤- القراءة:**

وقد مر ذكر فرضية الفاتحة عند الجمهور دون الحنفية الذين قالوا بأنها واجب، وذلك راجع إلى أنهم يقولون (الزيادة على النص نسخ) والسنة لا تنسخ القرآن، فالآية تقول (فاقرأوا ما تيسر منه)، والحديث حدد قراءة الفاتحة. ولكنهم قالوا بوجوبها لثبوت

---

(١) رواه الخمسة (٢) رواه أحمد والحاكم.
(٣، ٤) النسائي وابن حبان (٥) متفق عليه

حديث عندهم. وقال الحنفية: بأن فرضية القراءة هي في الركعتين الأوليين في الفرض، ولو نسي فيهما القراءة جاز أن يقرأ في الأخريين ويسجد للسهو لأنه ترك الواجب وهو القراءة في الأوليين، وإن لم يسجد أعاد الصلاة. وكذا إذا ترك الواجب عامداً.

أما في النوافل فقراءة الفاتحة واجب في جميع الركعات وكذا الوتر. وقدر القراءة المفروضة عند الحنفية ثلاث آيات قصار أو ، طويلة.

أما البسملة فقد مر الخلاف فيها.

وأما قراءة المأموم: فقد مر أن الشافعية يفترضون الفاتحة في كل ركعة سرية أو جهرية.

وأما الحنفية: فهي مكروهة تحريماً.

وأما المالكية: فهي مندوبة في السرية مكروهة في الجهرية.

وأما الحنبلية: فهي مكروهة حال القراءة. وتستحب في السرية وفي سكتات الامام في الجهرية.

ومن عجز عن قراءة الفاتحة بالعربية فلا يجوز له أن يقرأها مترجمة بلغة أخرى إلا عند الحنفية فتصح الصلاة بالأعجمية عند ز

**الركن الخامس الركوع:** ثم اركع حتى تطمئن راكعاً.

٥- الركوع: بدليل الآية (اركعوا واسجدوا)، والقدر المجزئ من الركوع عند الثلاثة أن تنال راحتاه ركبتيه.

أما عند الحنفية فيجزئه انحناء يكون إلى حال الركوع أقرب.

أما كمال الركوع فانحناء الصلب حتى يستوي الرأس بالعجز، بدليل رواية أحمد (فإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك، ظهرك وتمكن لركوعك) وفي رواية (ثم يكبر فيركع حتى تطمئن مفاصلة وتسترخي)

ويكره التطبيق في حالة الركوع بدليل حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص (صليت إلى جنب أبي فطبقت بين كفيّ ثم ما بين فخذي، فنهاني أبي وقال:كنا نفعله فنهينا عنه وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب)[1]. وقد قالت عائشة (التطبيق صنع ، وقال الترمذي: (التطبيق منسوخ عند أهل العلم لا خلاف بين العلماء في ذلك إلا ما روي عن ابن مسعود وأصحابه أنهم كانوا ) ولعل ابن مسعود لم يبلغه النسخ.

روى أحمد الحديث المرفوع (**وأسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، قالوا: يا رسول الله وكيف يسرق من صلاته؟ قال: لا عها و لا سجودها).**

الطمأنينة ركن عند الجمهور وخالف فيها الحنفية.

- **الركن السادس:** الرفع من الركوع: (ثم ارفع حتى تعتدل قائما).

رواية ابن ماجة عن ابن النمير (ثم ارفع حتى تطمئن قائما) وثبت ذكر الطمأنينة على شرط الشيخين، مع أن إمام الحرمين لنفس من إيجاب الطمأنينة شيء.

لطمأنينة واجب عند الشافعي وأحمد وإسحق وداود.

أن أبا حنيفة ومالك -في رواية عنه- أن الطمأنينة في حال الرفع من الركوع وبين السجدتين غير واجبة.

يد رأي الشافعية في طمأنينة الاعتدال قول أبي حميد الساعدي في صفة صلاة النبي ﷺ (وإذا رفع رأسه استوى قائماً كل فقار إلى مكانه)[٢] (فاقم صلبك حتى ترجع العظام إلى مفاصلها)[٣] .

**السجود :** (ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً)[٤].

سجدة الأولى والجلسة بين السجدتين والسجدة الثانية فروض كلها مع الطمأنينة في كل منها فرض . سواء ذلك في صلاة

---

(٣) البخاري ومسلم.

(٤) البخاري في المسيء صلاته.

الفرض أو النفل.

**أما حد الطمأنينة:** المكث زمنا ما بعد استقرار الأعضاء قدّر العلماء أدناها بمقدار تسبيحة.

والحديث المتفق عليه يبين كيفية السجود (أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة -وأشار بيده إلى أنفه- واليدين والركبتين وأطراف القدمين).

فالمفروض عند المالكية السجود على أقل جزء من الجبهة، فلو سجد على أحد الجبينين لم يكفه، ولو ترك الأنف يعيد في الوقت، أما السجود على اليدين والركبتين وأطراف القدمين فسنة. أما الحنفية فقالوا: الفرض أن يسجد على جزء -ولو قليلاً- من الجبهة، أما السجود على أكثر الجبهة فهو: واجب عندهم. والسنة عندهم كما في الحديث.

أما الشافعية والحنبلية فالفرض عندهم أن يضع بعض كل عضو من السبعة، وعند الحنبلية يشترطون وضع الأنف، وعند الشافعية يشترطون وضع باطن الكفين وباطن أصابع القدمين.

ويشترط لصحة السجود أن يكون على شيء يابس تستقر جبهته عليه كالبساط، ولا يصح على التبن والقطن المندوف الذي لا تستقر عليه الجبهة، ولا يجوز أن يسجد على كفه -إلا عند الحنفية فمكروه-.

**٨- الرفع من السجود :**

(ثم ارفع حتى تطمئن جالساً) وفي حديث البخاري عن مالك بن الحويرث (ثم رفع رأسه فقام هنيهة ثم سجد)، رواية إسحق بن أبي طلحة (ثم يكبر فيرفع حتى يستوي قاعداً على مقعدته ويقيم صلبه)، محمد بن عمرو (فإذا رفعت رأسك فاجلس على فخذك اليسرى).

ولقد قال الحنفية بأن الرفع من السجود قدره المفروض أن يكون إلى القعود أقرب، وما زاد على ذلك فهو سنة.

وأما المالكية فقالوا بأن الاعتدال في الجلوس بين السجدتين ركن مستقل.

**٩- السجدة الثانية .**

**١٠- القعود الأخير والتشهد.**

إن رواية البخاري في حديث المسيء صلاته لم تتعرض للقعود الأخير والتشهد. ولكن جاء في إحدى روايات المسيء صلاته (فإذا رفعت رأسك من آخر سجدة وقعدت قدر التشهد فقد تمت صلاتك)، ونفس الكلام قاله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص. ولكن رواية البخاري في المسيء صلاته خلت من ذكره، ولذا قال ابن حجر: (ومن الواجبات المتفق عليها والتي لم يتعرض إليها الحديث: النية والقعود الأخير).

والقعود المفروض عند الحنفية: بقدر قراءة التشهد.

أما عند المالكية: فبقدر السلام المفروض فرض، وبقدر التشهد سنة، وبقدر الصلاة على النبي ﷺ والدعاء: مندوب.

أما الشافعية: فالجلوس الأخير بقدر التشهد والصلاة على النبي ﷺ والتسليمة الأولى: فرض.

أما الحنبلية: فبقدر التشهد والتسليمتين.

**أما هيئة الجلوس الأخير:**

فقد جاء في البخاري عن مالك بن الحويرث (وإذا جلس في الركعة الآخرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته) ورواية ابن حبان (وقعد متوركا على شقه الأيسر).

ولذا فالمالكية: يتوركون في التشهد الأول والأخير.

والحنفية : لا يتوركون في الإثنين.

والشافعية: يتوركون في التشهد الأخير في الصلاة كلها

والحنبلية: يتوركون في التشهد الأخير في الصلاة كلها عدا الفجر.

١١- التشهد الأخير [١]:

وهو فرض عند الشافعية والحنبلية، وقال الحنفية هو واجب، وقال المالكية هو سنة، ويمكن الاستدلال لفرضيته بحديث ابن (كنا لا ندري ما نقول قبل أن يفرض علينا التشهد) رواه الدارقطني عن علقمة عن ابن مسعود بإسناد صحيح. حتى أن أحمد ب أوجب التشهد الأول.

**صيغة التشهد:**

روي التشهد عن ثلاثة من الصحابة:

- **تشهد ابن مسعود:** وهو أصحها، قال البزار: وروي من نيف و عشرين طريقاً، وقال (لا أعلم في التشهد أثبت منه ولا أصح ولا أشهر رجالاً) ومن رجحانه أنه متفق عليه. ولم يختلف الرواة الثقاة في ألفاظه بخلاف غيره. ولُقنه تلقينا: روى الطحاوي عن سود (أخذت التشهد من في رسول الله ﷺ ولقنيه كلمة كلمة) وفي رواية (وكفي بين كفيه)، وفي رواية (كان رسول الله ﷺ تشهد كما يعلمنا السورة من القرآن).

ظ تشهد ابن مسعود (التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) رواه الجماعة وقال مسلم: أجمع الناس على تشهد ابن وقد أخذ به الحنفية والحنبلية.

- **تشهد ابن عباس:** (التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله...) مسلم والشافعي.

ب الشافعي: وقد سئل عن اختياره تشهد ابن عباس: لما رأيته واسعاً، وسمعته عن ابن عباس صحيحاً، وكان عندي أجمع أ من غيره أخذت به غير معنف لمن يأخذ بغيره مما صح.

- **تشهد عمر بن الخطاب :** اختاره مالك ورواه في الموطأ (التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات والصلوات لله....).

- السلام:

طليلها التسليم[٢] وهي فرض عند الجمهور بتسليمة واحدة، ويفترض أحمد بن حنبل التسليمتين. وهو واجب عند الحنفية. نذر :أجمع العلماء على أن صلاة من اقتصر على تسليمة واحدة جائزة، ويشترط الجمهور لفظ (السلام عليكم).

ترتيب **الأركان** حسب ما ورد في الحديث.

## سنن الصلاة

**رفع اليدين :** وقد مر شرحه.

**وضع اليمين على الشمال:** يندب وضع اليد اليمنى على اليسرى، وقد ورد في ذلك عشرون حديثاً عن ١٨ صحابياً وتابعين).

ن سعد (كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى) البخاري.

جابر (مر ﷺ برجل -وهو ابن مسعود في إحدى الروايات- وهو يصلي وقد وضع يده اليسرى على اليمنى، فانتزعها على اليسرى)[٣] . وقال ابن عبدالبر: لم يأت فيه عن النبي ﷺ خلاف، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين. وذكره مالك ال: لم يزل مالك يقبض حتى لقي الله عز وجل. ولم يورد الإرسال عن مالك إلا ابن القاسم.

الحنفية والحنبلية يضع اليدين تحت السرة وعند المالكية والشافعية فوق السرة.

**عاء الاستفتاح:** وهناك صيغ كثيرة للدعاء:

عاء الوارد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ **(اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني**

---

فقه السنة ٢٤٢) الأربعة (١١٧)

سائي.

من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد)[1].

٢- الدعاء المروي عن علي عن رسول الله ﷺ: (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين...) أحمد ومسلم وبه يأخذ الشافعي.

٣- الحديث المروي عن عمر وهو موقوف عليه ولكن كان يعلمه الناس في المسجد (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك). وبه يأخذ أحمد والحنفية، وكرهه المالكية.

٤- الاستعاذة:

يندب للمصلي الاستعاذة، وقال ابن المنذر: جاء عن النبي ﷺ أنه كان يقول قبل القراءة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقال في المغني: ويسر الاستعاذة ولا يجهر بها لا أعلم فيه خلافاً.

لكن الشافعي أجاز الجهر بها في الجهرية مستدلاً بحديث ضعيف لأبي هريرة، ولا تشرع الاستعاذة إلا في الركعة الأولى لحديث أبي هريرة (كان رسول الله ﷺ إذا نهض في الركعة الثانية افتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يسكت) مسلم، وقال الشوكاني: هو الأحوط.

٥- التأمين:

ويسن لكل مصل، وقد ثبت التأمين عن رسول الله ﷺ في البخاري، وقال عطاء: أدركت مائتين من الصحابة في هذا المسجد إذا قال الامام ولا الضالين سمعت لهم رجة أمين.

وفي الحديث عن عائشة أن النبي ﷺ قال (ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين خلف الامام)[2].

وفي البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (إذا قال الإمام:غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين، فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)، ومعنى أمين :اللهم استجب، ويجهر بالتأمين في الجهرية إلا عند الحنفية.

٦- القراءة بعد الفاتحة:

عن أبي قتادة (كان رسول الله ﷺ يصلي بنا فيقرأ في الظهر والعصر في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورتين، ويسمعنا الآية أحياناً، ويطول الركعة الأولى، ويقرأ في الأخريين بفاتحة الكتاب)[3].

وقال ابن القيم (وكانت قراءة الفجر ٦٠-١٠٠ أية، وصلاها بـ (ق) وبالروم، وكان يقرأ يوم الجمعة في الأولى بالسجدة وبالثانية الإنسان).

وكان يطيل الظهر أحيانا حتى يروي مسلم عن أبي سعيد: كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب إلى البقيع فيقضي حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ ويدرك النبي ﷺ في الركعة الأولى. وفي رواية مسلم (كان الصحابة يحزرون قيامه في الأوليين بقدر ألم السجدة).

وأما صلاة العصر فعلى النصف من صلاة الظهر في رواية مسلم.

أما صلاة المغرب فكان هديه ﷺ خلاف عمل الناس اليوم. فقد صلاها بالأعراف في الركعتين، ومرة بالطور ومرة بالمرسلات، وأما المداومة على قصار المفصل دائماً فهو فعل مروان بن الحكم وأنكر عليه زيد بن ثابت.

أما العشاء الآخرة فوقت ﷺ لمعاذ فيها سور الشمس، الأعلى، الليل، بعد أن قرأ لقومه البقرة.

أما القراءة في الجمعة فكانت (في الأولى الجمعة وفي الثانية المنافقون) أو (الأعلى والغاشية).

أما القراءة في العيدين فتارة (ق واقتربت) وتارة (الأعلى والغاشية)، وهذا هو الهدي الذي استمر عليه إلى أن لقي الله عز وجل لم ينسخه شيء، ولهذا أخذ به خلفاؤه الراشدون من بعده. فقرأ أبوبكر رضي الله عنه في الفجر سورة البقرة حتى سلم منها قريباً من طلوع الشمس، فقالوا يا خليفة رسول الله كادت الشمس تطلع. فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين.

---

(١) رواه الستة إلا الترمذي

(٢) رواه أحمد وابن ماجة.

(٣) متفق عليه

وكان عمر رضي الله عنه يقرأ فيها بـ(يوسف والنحل) و(هود والإسراء) ونحوها من السور، ولو كان تطويله ﷺ منسوخ يخف على خلفائه الراشدين ويطلع عليه النقادون... والذي فعله ﷺ هو التخفيف الذي أمر به (أيكم أم بالناس فليخفف) انتهى ابن القيم.

والسنة أن يجهر المصلي في الركعتين الأوليين في الصبح والمغرب والعشاء وكذا في العيدين والجمعة والكسوف والاستسقاء

أما النوافل: فالنهاري لا جهر فيها والليلية يخير فيها بين الجهر والاسرار.

**٧- تكبيرات الانتقال:**

فعن ابن مسعود قال : (رأيت رسول الله ﷺ رفع في كل خفض ورفع وقيام وقعود)[١] .

أما في الرفع من الركوع فيقول: سمع الله لمن حمده.

وعن عكرمة قال: قلت لابن عباس (صليت الظهر بالبطحاء خلف شيخ أحمق فكبر اثنتين وعشرين تكبيرة. يكبر إذا سجد رفع رأسه، فقال ابن عباس: تلك صلاة أبي القاسم ﷺ)[٢].

**٨- هيئة الركوع:**

السنة تسوية الرأس بالعجز، ويبسط ظهره، ويضع اليدين على الركبتين، فعن عقبة بن عامر (أنه ركع فجافى يديه، ووضع على ركبتيه، وفرّج بين أصابعه، وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصلي)[٣].

وعن علي رضي الله عنه (كان ﷺ إذا ركع لو وضع قدح من ماء على ظهره لم يهرق)[٤] ، والتطبيق منسوخ إلا عند مسعود.

**٩- الذكر في الركوع :**

عن عقبة بن عامر (لما نزلت «فسبح باسم ربك العظيم» قال لنا النبي ﷺ اجعلوها في ركوعكم)[٥] ، وأما إضافة وبحمده ن طرق ضعيفة تعضد بعضها.

**١٠- الذكر في الرفع من الركوع:**

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول (سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركوع ثم يقول وهو قائم: ربنا حمد)[٦].

وقال رجل وراء رسول الله ﷺ (ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه). .. فقال ﷺ (لقد رأيت بضعة وثلاثين دونها أيهم يكتبها أولاً)[٧].

وفي حديث مسلم الصحيح (سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما وملء ما شئت من ش .) وبه أخذ الحنبلية.

**١١- هيئة الهوي إلى السجود:** يستحب الجمهور وضع الركبتين قبل اليدين. وقال ابن القيم: وكان ﷺ يضع ركبتيه قبل يد

وذهب مالك والأوزاعي وابن حزم إلى استحباب وضع اليدين قبل الركبتين، وبه قال الحنفية.

وعند القيام من الركعة الأولى إلى الثانية: فهو على الخلاف من السجود.

**١٢-هيئة السجود:**

يستحب أن يراعي في سجوده ما يلي:

١- تمكين أنفه وجبهته ويديه من الأرض مع مجافاتهما عن جنبيه.

٢- وضع الكفين حذو الأذنين أو حذو المنكبين.

---

مد والنسائي. (٢)رواه أحمد والبخاري.

مد وأبو داود والنسائي. (٤) أحمد.

مد وابو داود (٦) متفق عليه.

مد والبخاري.

٣-أن يبسط أصابعه مضمومة (كان ﷺ إذا ركع فرّج بين أصابعه وإذا سجد ضم أصابعه)(١).

٤- أن يستقبل بأطراف أصابعه القبلة (اليدين والرجلين).

**١٣- مقدار السجود وأذكاره:**

الحديث (اجعلوها في سجودكم) أحمد وأبو داود وذلك عند نزول (سبح اسم ربك الأعلى)، وحديث ابن مسعود (إذا ركع أحدكم فليقل ثلاث مرات سبحان ربي العظيم) الأربعة إلا النسائي، وقال أبو داود فيه إرسال، ولذا ينبغي أن لا يقل التسبيح في الركوع والسجود عن ثلاث تسبيحات، قال الترمذي والعمل على هذا عند أهل العلم.

وأقل ما يجزئ تسبيحة واحدة وهو فرض الطمأنينة.

أما كمال التسبيح فقدره العلماء ١٠ تسبيحات، وقد قدروا لعمر بن عبدالعزيز عشر تسبيحات، وهو الذي شهد له أنس قال (ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الغلام، فحزرنا له في الركوع عشر تسبيحات، وفي السجود عشر تسبيحات)(٢).

ويستحب له الدعاء في السجود (أقرب ما يكون أحدكم من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء) ،( وكان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده -سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي)(٣).

**١٤- صفة الجلوس بين السجدتين :**

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ (كان يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى).

واستحب بعضهم الإقعاء (أن يفرش قدميه ويجلس على عقبيه)، وقد سأل طاووس ابن عباس عنه فقال: هي السنة، قال: إنا لنراه جفاء بالرجل، فقال: هي سنة نبيك ﷺ )(٤) ، وقال طاووس (رأيت العبادلة الأربعة يقعون)(٥) وقد نص الشافعي على استحبابه.

أما الإقعاء -بمعنى وضع الاليتين على الأرض ونصب الفخذين- فمكروه باتفاق العلماء، فعن أبي هريرة قال (نهاني ﷺ عن ثلاث: عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب)(٦).

**١٥- الدعاء بين السجدتين:**

ورد حديثان (رب اغفرلي رب اغفرلي)(٧).

أو حديث (اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني)(٨) يدعو بأحد الحديثين السابقين.

**١٦- جلسة الاستراحة:** جلسة خفيفة يجلسها المصلي بعد الفراغ من السجدة الثانية من الركعة الأولى قبل النهوض إلى الثانية، وبعد الفراغ من السجدة الثانية من الركعة الثالثة قبل النهوض إلى الرابعة.

وقال بها الشافعي في قول، وفيها روايتان عن أحمد، ولم تذكر هذه الجلسة إلا في حديث أبي حميد وحديث مالك بن الحويرث، ويبدو أنه ﷺ لم يداوم عليها، والجمهور لا يأخذون بها.

**١٧- صفة الجلوس للتشهد:**

عن ابن عمر رضي الله عنهما (أن النبي ﷺ كان إذا قعد للتشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى واليمنى على اليمنى وعقد ثلاثاً وخمسين وأشار باصبعه السبابة)(٩).

ويشير باصبعه الأيمن فقط (أحّد يا سعد)، (ولا يجاوز بصره إشارته) كما جاء في حديث مسلم.

والإشارة بالإصبع مرة واحدة عند الشافعية والحنفية عند قوله (أشهد أن لا إله إلا الله)، وعند المالكية يحركها يميناً وشمالاً حتى يفرغ من الصلاة، والحنبلية يحركها كلما ذكر اسم الجلالة، و أن يفترش في التشهد الأول ويتورك في الأخير عند الحنبلية، ويتورك عند المالكية بالتشهدين، ويفترش في التشهدين عند الحنفية، ويتورك في التشهد الأخير مطلقاً عند الشافعية ويفترش في الأول.

**١٨- التشهد الأول:**

يرى جمهور العلماء أن التشهد الأول سنة بدليل الحديث الذي رواه الجماعة أنه نسيه ﷺ فسجد سجدتين، وممن قال بوجوبه

---

(١) الحاكم. (٢) أحمد وأبو داود والنسائي. (٣) حديث عائشة/ متفق عليه.
(٤)مسلم . (٥) البيهقي. (٦) أحمد.
(٧) النسائي (٨) الأربعة إلا النسائي . (٩) مسلم.

أحمد في المشهور، وقول للشافعي، ويستحب التخفيف في الحديث الذي رواه الخمسة عن ابن مسعود (كان النبي ﷺ إذا جلس ف الركعتين الأوليين كأنه على الرَّضف) ولا يستحب أن يزيد على التشهد شيئا، فقد قال ابن القيم لم ينقل أنه ﷺ (صلى عليه وعلى آل في التشهد الأول.

**١٩- الصلاة على النبي في التشهد الأخير:** قال بوجوبه الشافعي وأحمد. وذهب الجمهور إلى عدم الوجوب ومنهم مالك وأ حنيفة. وقال الطبري والطحاوي: أجمع المتقدمون والمتأخرون على عدم وجوبه، وقال بعضهم: لم يقل بالوجوب إلا الشافعي.

ودليل الجمهور أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً دعا في صلاته ولم يصل على النبي ﷺ فقال: عجل هذا)[1] ، ولم يأمره بإعاد لصلاة، وقال الشوكاني: لم يثبت عندي ما يدل للقائلين بالوجوب.

من المستحب الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام لحديث مسلم (ثم ليختر من المسألة ما يشاء).

**الدعاء بعد السلام:**

١- (استغفر الله -ثلاثاً) حديث رواه الجماعة إلا البخاري، وفيه كذلك (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلا لإكرام).

٢- عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحم و على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد)[2] .

٣-عن عقبة بن عامر (أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة)[3] .

٤- عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال **(من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت)**[4] ، ورواه براني: (كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى).

٥- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال **(من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبَّر الله ثلاثا ثين، تلك تسع وتسعون، ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ا ا، وإن كانت مثل زبد البحر)**[5] .

## حظات حول الصلاة:

**١- حكم الصلاة:** الصلاة ركن من أركان الاسلام، وهي عمود الدين، وهي آخر ما وصى به رسول الله ﷺ ، إذ قال وهو يلفظ ه الأخيرة (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم) وقد روى الطبراني حديثا مرفوعاً عن عبدالله بن قرط **(أول ما يحاسب عليه العبا لقيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله).**

والأحاديث المصرحة بكفر تارك الصلاة كثيرة، منها حديث رواه أحمد ومسلم عن جابر مرفوعاً **(بين الرجل والكفر ترك ة).**

وحديث آخر رواه الخمسة عن بريدة مرفوعاً **(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)**، وروى الترمذي والحاك ه على شرط الشيخين عن عبدالله بن شقيق العقيلي (كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير )، وقال ابن حزم (وقد جاء عن عمر وعبدالرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة من ترك صلا احدة متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد) ولا نعلم لهؤلاء الصحابة مخالفاً.

الآيات والأحاديث توجب قتل تارك الصلاة وبهذا قال الأئمة الأربعة، إلا أن أبا حنيفة يوجب سجنه في رأي آخر له.

**(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلا كاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم)**. التوبة: ٥

ن ابن عمر أن النبي ﷺ قال **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلا**

---

أبوداود. (٢) متفق عليه. (٣) أحمد وأبو داود

ي والطبراني. (٥) الشيخان وأحمد.

ويؤتوا الزكاة. فإن فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل)[1].

**٢- من مكروهات الصلاة:** جمعها بعضهم بأبيات شعرية:

| | |
|---|---|
| *إذا نحن قمنا في الصلاة فإننا* | *نهينا عن الإتيان فيها بستـــة* |
| *بروك بعير والتفـــات كثعلـــب* | *ونقر غراب في سجود الفريضة* |
| *وإقعاء كلب أو كبسط ذراعـــه* | *وأذناب خيل عند فعل التحيـــة* |
| *وزدنا كتدبيح الحمــــار بمـده* | *لعنق وتصويب لرأس بركعــــة* |

**أما بروك البعير:** فهو في كيفية الهوى إلى السجود، والأرجح هو وضع الركبتين قبل اليدين، فلقد ذكرنا من قبل أن الفقهاء اختلفوا في هذه الكيفية:

١- فقد قال مالك والأوزاعي: بأنه يضع يديه قبل ركبتيه، واستدلوا بحديث أبي هريرة الذي رواه الثلاثة من أصحاب السنن (إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه) إلا أن البخاري قال: محمد بن عبد الله الحسن -أحد الرواة- لا يتابع عليه، وقال لا أدري سمع من أبي الزناد أم لا؟

ويشهد لهذا الفريق عمل ابن عمر -بوضع اليدين قبل الركبتين-، وكذا قول سعد بن أبي وقاص (كنا نؤمر بوضع اليدين قبل الركبتين). وقال الأوزاعي: أدركنا الناس يضعون أيديهم قبل ركبهم، وقال ابن أبي داود: هو قول أصحاب الحديث.

٢- وقال الشافعية والحنفية ورواية عن مالك: بوضع الركبتين قبل اليدين.

ودليلهم حديث وائل بن حجر (رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه) [2]. قال النووي: الشافعية يرجحون حديث وائل لأن حديث أبي هريرة به اضطراب إذ روي عنه الأمران.

قال ابن القيم: إن في حديث أبي هريرة قلباً من الرواي حيث قال (وليضع يديه قبل ركبتيه) وإن أصله (وليضع ركبتيه قبل يديه)، قال: ويدل عليه أول الحديث (فلا يبرك كما يبرك البعير) فإن المعروف من بروك البعير هو تقديم اليدين على الرجلين وقد ثبت عن النبي ﷺ الأمر بمخالفة سائر الحيوانات في هيئات الصلاة، فنهي عن التفات كالتفات الثعلب، وعن افتراش كافتراش السبع، وإقعاء كإقعاء الكلب، ونقر كنقر الغراب، ورفع الأيدي كأذناب خيل شمس (أي حال السلام).

وقيل: كان وضع اليدين قبل الركبتين ثم أمروا بوضع الركبتين قبل اليدين. ويشعر بذلك حديث سعد بن أبي وقاص (كنا نؤمر...).

أما رفع الأيدي فهو فعل الصحابة رضوان الله عليهم في رد سلامه ﷺ ، فنهاهم عن ذلك في الصلاة وقال (مالي أراكم ... كأذناب خيل شمس).

**أما الافتراش:** فهو افتراش الذراعين على الأرض أثناء السجود، أما تدبيح الحمار: فهو خفض الرأس أثناء الركوع بحيث يكون أخفض من الظهر، ففي صفة صلاته ﷺ (غير مقنع رأسه).

## سجود السهو

إن الانسان من طبيعته النسيان، وما سميَ الإنسان إلا لنسيه، والصلاة كعبادة تتضمن أفعالاً وأقوالاً قد ينسى الإنسان فيها ويسهو، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد سها في خمسة مواضع:

١- **قام من اثنتين ونسي التشهد الأول:** كما في حديث ابن بحينة الذي أخرجه السبعة، وسجد للسهو قبل السلام.

٢- **سلم عن ركعتين في الرباعية:** كما في حديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين وهو متفق عليه، وسجد للسهو بعد السلام.

٣- **سلم عن ثلاث ركعات في الرباعية:** كما في حديث عمران بن الحصين ولم ينقل موضع السجود.

٤- **سلم عن خمس ركعات في الرباعية:** كما في حديث ابن مسعود وهو متفق عليه. وسجد للسهو بعد السلام.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه الأربعة وروى الحاكم مثله عن أنس على شرط الشيخين. وهو مروي عن عمر وعن ابن مسعود وبه قال أحمد وإسحق.

٥- **الشك في الصلاة:** كما في عدد الركعات في حديث أبي سعيد الخدري وهو لمسلم ويسجد للسهو قبل السلام .

وكذلك روي عنه ﷺ أنه قال (**إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني**)[١].

عن عبد الله بن بُحينة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى بهم الظهر فقام في الركعتين الأوليين ولم يجلس، فقام الناس معه حتى إذا قضى الصلاة وانتظر الناس تسليمه كبر وهو جالس وسجد سجدتين قبل أن يسلم ثم سلم)[٢].

ففي الحديث دلالة أن سجود السهو يجبر ترك التشهد الأول، وأن سجود السهو يُفتتح بالتكبير، وإن مقدار سجود السهو سجدتان، وإن موضع سجود السهو هنا قبل السلام، ويختتم السجود بالسلام.

ولكن الفقهاء اختلفوا في سجود السهو في مواضع منها:

## ١- حكم سجود السهو:

قال الشافعي بأنه سنة، ويمكن أن يستدل لهذا القول بأن سجود السهو لا يجبر إلا السنن، أما الفرائض والأركان فلا يجبره هو ليس بفرض، وكذلك فيما لو ترك الساهي سجود السهو سهواً أو عمداً جازت صلاته.

وقال أبو حنيفة: بأنه فرض، ولكن من شروط صحة الصلاة.

وقال مالك: سجود السهو للنقصان واجب وفي الزيادة مندوب.

## - مواضع سجود السهو:

اختلفوا في مواضع سجود السهو على خمسة أقوال:

فذهبت الشافعية: موضعه قبل السلام أبداً.

قالت الحنفية: موضعه بعد السلام أبداً.

قال مالك: إن كان السجود لنقصان فقبل السلام وإن كان السجود لزيادة فبعد السلام .

قال الظاهرية: لا سجود للسهو إلا في المواضع التي سجد فيها ﷺ

فالشافعية: رجحوا حديث بن بُحينة وحديث أبي سعيد الخدري في الشك وهما صحيحان.

أما الحنفية: فرجحوا حديث ذي اليدين وحديث ابن مسعود. وقالوا بأن حديث ابن بُحينة معارض بحديث المغيرة بن شعبة بأ سي التشهد الأول وسجد بعد السلام. رواه الترمذي وأحمد.

أما مالك فجمع بين الأحاديث. وأما أحمد فذهب مذهب الجمع والترجيح، وقال بعض الفقهاء: يخير في السجود قبل السلا قال الحافظ أبوبكر البيهقي (روينا عن النبي ﷺ أنه سجد للسهو قبل السلام، وأنه أمر بذلك، وروينا أنه سجد بعد السلام وأم لاهما صحيح.. ثم قال: الأشبه بالصواب جواز الأمرين جميعاً، وهو مذهب كثير من أصحابنا).

أمّا ابن شهاب الزهري فنحا منحى السجود قبل السلام فقال: سجد ﷺ قبل السلام وبعده، وكان آخر الأمرين أنه سجد قبل

أما الشوكاني: فالتزم المواضع التي سجد فيها ﷺ بنصها ثم سوى ذلك فهو مخير.

## سباب سجود السهو:

سجد للسهو في حالات ثلاث:

١- **في حالة النقصان:** ويكون السجود عن نقصان سنن الصلاة دون الفرائض والرغائب.

- **في حالة الزيادة:** ويكون السجود عن زيادة السنن أو الفرائض جميعاً.

- **عند الشك:** اختلف الفقهاء فيمن شك في صلاته في عدد الركعات مثلاً.

---

(٢) أخرجه السبعة واللفظ للبخاري، الحديث ٢٠٢/١ جـ ١ سبل السلام

# باب صلاة الجماعة والإمامة

جاء الإسلام يبني نظامه الاجتماعي على أمتن الأسس، وما عرف التاريخ عبر عصوره ولا على مر دهوره جماعة مرتبطة بمثل الرباط الذي جمعها فيه الإسلام.

فلقد أقام قواعده -من مساواة ومحبة وإخاء وتعاون-، ووضع إزاء هذه القواعد المؤيدات التشريعية، والوسائل العملية التي تكفل تنفيذ هذه القواعد وتحويلها من نظريات مسطرة إلى واقع محسوس وحاضر ملموس.

فمثلاً يضع الإسلام قاعدة المساواة يفرض مقابلها الحج بلباس الإحرام الواحد، ويفترض الوقوف في مكان واحد -عرفة-، في زمن واحد -يوم عرفة- ويسنّ الدعاء الواحد -لبيك اللهم لبيك-، ويوجب الإفاضة إلى المزدلفة في وقت واحد، والمبيت بها وبمنى في أيام معدودات... إلى آخر المناسك كلها تدور حول الوحدة الواحدة، وحدة الألوهية، ووحدة الأسرة الإنسانية، ووحدة البيت الواحد -بيت الله العتيق-.

وكذلك يضع نظام الزكاة من قواعد التكافل الاجتماعي، والتآخي البشري، ويضع كذلك نظام الصلاة ليربط الأرض بالسماء، واستمراراً منه في بناء الوحدة المكينة، والآصرة المتينة بين المؤمنين في شتى أصقاع الأرض. بحيث تتجه الأفئدة والأجسام في خمسة أوقات في اليوم والليلة نحو البيت العتيق. ويواصل الإسلام بناء الأخوة والوحدة والمساواة واقعاً فعلياً على الأرض، وليس رؤى مجردة تطل أحلاماً من أفق السماء في عالم المثال المجرد، وليست أحلام فلاسفة تلقى إلى الناس من بروج عاجية تبقى أفكاراً، فمثلاً يضع أفلاطون فكرة -المدينة الفاضلة-، ولكنه على الواقع لم يستطع أن يبني أسرة واحدة فاضلة، بينما الإسلام يبني المدن الفاضلة وليس مدينة واحدة، فالمدينة المنورة مثلاً -على ساكنها أفضل الصلاة وأطيب السلام- يمكث فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على عهد أبي بكر رضي الله عنه سنة كاملة لا ترفع إليه قضية نزاع واحدة.

وكل تكاليف الإسلام لو تفحصناها لوجدناها تدور حول قاعدة واحدة -مصلحة العباد في المعاش والمعاد- (إصلاح البشر في الدارين).

ومن هذه التكاليف (صلاة الجماعة) التي رأينا رسول الله ﷺ يحرص عليها، بحيث لا تفوته صلاة جماعة واحدة منذ أن وطئت قدماه أرض طيبة، وإني لألمح من خلال التعليمات النبوية الشريفة، والتوجيهات نحو صلاة الجماعة، ألمح حرصه الشديد على بناء الجماعة الناشئة بأوثق الوشائج، وأقوى الأواصر. فهو إذ يأتيه مؤذنه ابن أم مكتوم الأعمى يستأذنه في أن يرخص له بترك الجماعة فيقول له (أتسمع الإقامة؟ قال نعم، قال فأجب) مسلم، ولفظ ابن حبان (أتسمع الأذان؟ قال نعم ، قال فأتها ولو حبواً)، فلابد ونحن نستمع هذا الفيض النبوي والهدي الكريم، أن نستخلص مدى حرص الإسلام على الجماعة، وأن الذئب ليأكل من الغنم القاصية.

ولقد فهم الصحابة هذا التوجيه، وتمسكوا بهذا التنظيم، حتى أننا لنسمع ابن مسعود يقول (من سره أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المختلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنا إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)[1].

ونظرة واحدة إلى المجتمع الذي نعيش فيه نرى مقدار البون الشاسع، والنأي الواسع بينه وبين الأجيال المسلمة السالفة، بل نرى مقدار التنكر الشنيع والعداء الشديد للمبادىء التي صنعت منهم أمة لأول مرة في التاريخ، وصدق الله إذ يقول: **(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً)**، فهذه الأجيال المعدودة على سيدنا محمد ﷺ ، بل أن بعضهم ليحمل اسم النبي الكريم ﷺ وأسماء الصحابة كعبدالله وعمر وعثمان وعلي، ولكنهم يحملون أدمغة غربية، وعقولاً لا تمت إلى الأرض التي بها يعيشون بأي صلة، سواء في اللباس أو التقاليد أو الأخلاق -إن كان هناك لديهم أثر منها-، أو يحملون أية بقية من مثل.

والآن لنشرع في دراسة أحكام الجماعة والإمامة.

**(عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم ، والذي نفسي بيده لو يعلم**

---

(١) رواه مسلم.

أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء)[1].

**المفردات:**

أخالف: أعرج، أي آتي إلى من غاب عني، عرقاً: العظم إذا كان عليه لحم .

مرماتين: مثنى مرماة: وهي ما بين ضلع الشاة من اللحم.

وظاهر الحديث يبين أن حكم الجماعة واجب عيناً وليس واجب كفاية، لأن الجماعة قد قام بها غيرهم فلا يستحقون العقوبة، و عقوبة إلا على ترك واجب أو فعل محرم، وإلى هذا ذهب أحمد فقال: هي فرض عين، وتابع أحمد كثير. بل قد قال داود: هي شرط في صحة الصلاة (وذلك لأن داود يرى أن كل واجب في الصلاة هو شرط فيها)، لكن أحمد بن حنبل قال هي فرض عين، ولكنها غير شرط، واستدل هؤلاء بالحديث إذ أن هم الرسول ﷺ بحرق البيوت عليهم لا يكون إلا بترك واجب، وقال أبو حنيفة وجماعة هي سنة مؤكدة وهو رأي الجمهور. وقال كثير من الشافعية والمالكية: أنها فرض كفاية.

**والنفس تميل إلى رأي الجمهور وهو:** أن صلاة الجماعة سنة مؤكدة.

لأن ظاهر الحديث أنه خرج مخرج الزجر لا الحقيقة، بدليل أنه ﷺ لم يحرق عليهم بيوتهم، وأما حديث ابن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه، حديث عتبان بن مالك الأعمى (قال لرسول الله ﷺ أنه تكون الظلمة والمطر والسيل وأنا رجل ضرير البصر، فصل يا رسول الله في بيتي مكاناً اتخذه مصلى، فجاءه ﷺ فقال: أين تحب أن أصلي، فأشار له إلى مكان من البيت فصلى فيه رسول الله ﷺ)[2]

وبدليل قوله ﷺ **(صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)**[3]. فالفرد اشترك مع الجماعة في الفضيلة إلا أن الجماعة أفضل منه بكذا.

**النساء والجماعة:**

إلا أن الحكم السابق لا يعم النساء، مع الترخيص للنساء بحضور الجماعة. فحديث ابن عمر المرفوع (لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد وبيوتهن خير لهن). وحديث أبي هريرة المرفوع (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات)[4]، ومعنى تفلات: غير متطيبات. فصلاة المرأة في البيت أفضل، مع جواز حضور الجماعة للحديثين السابقين.

ولحديث أم حميد الساعدية أنها قالت : يا رسول الله إني أحب الصلاة معك فقال ﷺ **(قد علمت، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجد الجماعة)**[5] .

**إمامة الرجل للنساء:** روى أبو يعلى والطبراني في الأوسط بسند حسن أن أبي بن كعب جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عملت الليلة عملاً، قال: ما هو قال: نسوة معي في الدار قلن إنك تقرأ ولا نقرأ فصل بنا، فصليت ثمانياً والوتر، فسكت النبي ﷺ. قال فكان سكوته رضا).

**إمامة المرأة:** ذكرنا أنه يجوز للمرأة حضور الجماعة. وأنه يحق للرجل إمامة النساء. وإذا حضرت النساء الجماعة فالخير أن يتأخرن عن الرجال وعن رؤيتهم وسماع كلامهم، ففي الحديث الصحيح عند مسلم (عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها).

**ويجوز للمرأة أن تؤم النساء:** فإذا أمت امرأة النساء فصفوفهن كالرجال أفضلها أولها، ولقد ورد أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تؤم النساء وتقف معهن في الصف. وكانت أم سلمة تفعله.

عن أم ورقة بنت نوفل الأنصارية وكانت قد جمعت القرآن (أن النبي ﷺ **أمرها أن تؤم أهل دارها**)[6].

والحديث دليل على صحة إمامة المرأة أهل دارها وإن كان فيهم الرجل. فإنه كان لها مؤذن وكان شيخاً. وهذا رأي بعض العلماء إلا أن الجمهور خالف في جواز إمامة المرأة الرجال لحديث جابر ( **لا تؤمن امرأة رجلاً**)[7] .

---

(1) ... ١٨/٣ جـ ٢ سبل السلام متفق عليه واللفظ للبخاري. (٢) رواه مالك في الموطأ . (٣) متفق عليه.
(٤) ... أبو داود (٥) أحمد والطبراني (٦) رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة
(٧) ... ابن ماجة.

وأجاز إمامتها أبو ثور والمزني ، وأجاز الطبري إمامتها في التراويح إذ فقد الحافظ للقرآن وإسناده واه.

موقف المرأة إذا صلت مع زوجها أو أخيها: يكون موقفها دائماً خلف الرجل ولو وحدها.

عن أنس رضي الله عنه قال: (صلى رسول الله ﷺ فقمت ويتيم خلفه وأم سليم خلفنا)[1].

وأم سليم هذه أم أنس ابن مالك، وقد شهدت غزوة حنين، وكذلك صفوف النساء دائما خلف صفوف الرجال والأولاد.

**موقف المأموم من الإمام:** يقف الرجل عن يمين الإمام، لحديث ابن عباس المتفق عليه أنه (وقف عن يسار رسول الله ﷺ ، فأخذ برأسه وجعله عن يمينه).

ويستحب أن يقف مساوياً له على جنبه ويستحب الشافعية التأخر عنه قليلاً. واستدل الجمهور بما أخرجه جريج، قلنا لعطاء: الرجل يصلي مع الرجل أن يكون منه؟ قال إلى شقه.

قلت: أيحاذيه حتى يصف معه، ألا يفوت أحدهما الآخر قال: نعم. قلت: بحيث أن لا يبعد حتى يكون بينهما فرجه؟ قال: نعم.

ومثله في الموطأ عن عمر من حديث ابن مسعود (أنه صف معه فقربه حتى جعله حذاءه عن يمينه).

أما الاثنان فصاعداً فالمستحب أن يكون خلف الامام: (لأن جابراً رضي الله عنه كان يصلي على يمين رسول الله ﷺ ، فجاء جابر بن صخر فقام عن يساره ﷺ ، فأخذ بأيديهما فدفعهما حتى أقامهما خلفه)[2].

والأفضل أن يكون الإمام مقابل منتصف الصف (وسطوا الإمام وسدوا الخلل) أبو داود وسكت عنه من حديث أبي هريره.

والأفضل أن يكون خلف الإمام للحديث المرفوع عن أبي بردة (إن استطعت أن تكون خلف الإمام وإلا فعن يمينه)[3].

وأفضل الصفوف هو الأول ثم الثاني فالثالث: لحديث النعمان بن بشير (سمعت رسول الله ﷺ استغفر للصف الأول ثلاثاً، وللثاني مرتين، وللثالث مرة)[4].

### صلاة المنفرد خلف الصف:

تجوز صلاته مع الكراهة عند الجمهور لحديث أبي بكرة: أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال (زادك الله حرصا ولا تعد)[5] .

وقال أحمد: صلاته باطلة، لحديث وابصة بن معبد (أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة)[6] وزاد الطبراني (ألا دخلت معهم أو اجتررت رجلاً).

### أحق الناس بالإمامة:

عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم (وفي رواية سناً)، ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه)[7] .

أما الأقرأ لكتاب الله فيقدم عند أبي حنيفة وأحمد على الأفقه، ويؤيد هذا الرأي حديث عمرو بن سلمة قال: قال أبي: جئتكم من عند النبي ﷺ حقاً، قال: إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآناً. فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآناً فقدموني وأنا ابن ست أو سبع سنين)[8] زاد أبو داود (قال عمرو: فما شهدت مشهدا في جرم (اسم قبيلة) إلاكنت إمامهم). وهذا الحديث يدل على أن الإمام هو أكثرهم قرآناً (أكثرهم حفظاً للقرآن واستظهاراً له). ويدل كذلك عى صحة إمامة الصبي المميز بلا كراهة: عند الشافعي، وقال مالك تصح مع الكراهة، وعن أبي حنيفة وأحمد روايتان، والمشهور عنهما الإجزاء في النوافل دون الفرائض.

وأما رواية (سناً) فيدعمها حديث مالك بن الحويرث (ليؤمكم أكبركم). ومن الذين يستحقون التقديم قريش لحديث (قدموا قريشاً).

**ملاحظات حول الإمامة:** تصح إمامة الصبي المميز: لحديث عمرو بن سلمة السابق. وتصح إمامة الأعمى (لأن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين يؤم الناس)[9] وقد استخلف ثلاث عشرة مرة.

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري. (٢) من حديث مسلم.
(٣) الطبراني. (٤) رواه أحمد والبزار.
(٥) البخاري (٦) الخمسة إلا النسائي.
(٧) رواه مسلم. (٨) رواه البخاري (٩) الطبراني

وتصح إمامة القائم بالقاعد، والقاعد بالقائم، لأنه ﷺ صلى خلف أبي بكر في مرضه الذي مات فيه قاعداً. وصلى في ب جالساً وهو مريض وصلى وراءه قوم قياماً فأشار إليهم أن أجلسوا.

وتصح إمامة المفترض بالمتنفل، والمتنفل بالمفترض (لأن معاذ بن جبل كان يؤم قومه بالعشاء الآخرة بعد أن يصليها مع النـ ﷺ) أما المفترض بالمتنفل لقوله ﷺ للرجلين الذين تأخرا عن الجماعة في مسجد الخيف بمنى **(إذا صليتما في رحالكما ثم أدركتـ الإمام ولم يصل فصليا معه فإنها لكما نافلة)**(١)، وحديث محجن بن الأدرع (ألا رجل يتصدق على هذا).

وتصح إمامة المتوضئ بالمتيمم، والمتيمم بالمتوضئ؛ لأن عمرو بن العاص فعلها وأقره ﷺ ، وتصح إمامة المسافر بالمقيم والمقـ بالمسافر.

وتصح إمامة القاصر بالمتم، بينما لا يجوز إمامة المتم بالقاصر، وإذا صلى المسافر وراء المقيم صلى أربعاً: لأن ابن عباس سـ عن هذا فقال: (تلك السنة) وتكره إمامة الفاسق: فقد روى البخاري في التاريخ عن عبدالكريم قال (أدركت عشرة من أصحاب رسو له ﷺ يصلون خلف أئمة الجور)، وقد صلى ابن عمر خلف الحجاج، وأبو سعيد الخدري خلف مروان، وابن مسعود خلف الوليد ، قبة وكان يشرب الخمر وجلده عثمان، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد وكان متهما بالإلحاد والزندقة.

والأصل الذي ذهب إليه العلماء (كل من صحت صلاته لنفسه صحت صلاته لغيره).

**إقتداء المأموم بالإمام وبينهما حائل:**

يجوز اقتداء المأموم بالإمام وبينهما حائل إذا علم انتقالاته برؤية أو سماع، قال البخاري: قال الحسن: لا بأس أن تصلي وبينـ نه نهر.

وقال أبو مجلز : يأتم بالإمام وإن كان بينهما طريق أو جدار إذا سمع تكبيرة الإحرام، وقد صلى ﷺ داخل الحجرة والنا مون به خارجها.

**التبليغ خلف الامام:** جائز، ولكن إذا سمع المأمومون الإمام فإنه يكره.

**الاستخلاف:** إذا تذكر الإمام في الصلاة أنه على غير طهارة يخرج رأساً ويستخلف غيره، وكذا إذا حدث حادث للإمام، (فقد يوم طعن عبدالرحمن بن عوف ليؤم الناس)(٢) .

قال أحمد (إن استخلف الإمام فقد استخلف عمر وعلي، وإن صلوا وحداناً فقد حدثت يوم طعن معاوية).

وصح عن عمر أنه صلى بالناس وهو جنب ولم يعلم فأعاد ولم يعيدوا.

**أعذار التخلف عن الجماعة:**

١- **البرد والمطر:** فعن ابن عمر عن النبي ﷺ **(أنه كان يأمر المنادي فينادي بالصلاة، ينادي صلوا في رحالكم في الليلة البارد ـة في السفر)**(٣).

وحديث مسلم المرفوع في سفرة ماطرة (ليصل من شاء منكم في رحله)، وعن ابن عباس أنه قال لمؤذنه في يوم مطير (لا تقـ لى الصلاة: وقل صلوا في بيوتكم).

**ويقاس على البرد:** الحر الشديد، والظلمة، والخوف من الظالم.

قال ابن بطال: (أجمع العلماء على أن التخلف عن الجماعة في شدة المطر والظلمة والريح وما أشبه ذلك مباح).

٢- (لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافع الأخبثين)(٤).

٣- عن أبي الدرداء (من فقه الرجل إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ)(٥).

**صلاة المسافر والمريض:**

*إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم*) وإن هذا الدين هو دين البشرية جمعاء مادام على الأرض بشر، ومادب على الغبراء مـ

ـلاثة.　　(٢) البخاري　　(٣) الشيخان.

ـرفوع رواه مسلم عن عائشة .　　(٥) البخاري.

دابة (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً**) (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**).

ولقد علم -جلت حكمته- فطرة الإنسان فوضع لها من الشرائع ما يتفق معها وما يتسق مع تكوينها (**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) فإن الحالة الطبيعية للفطرة الإنسانية هي الموافقة للقرآن، وهذا شيء طبيعي، ونتيجة منطقية، لأن الفطرة والقرآن صدرا من مصنع واحد، وهما متفقان أساساً، متحدان باتحاد المصدر واتحاد الهدف، فلقد نزلا إلى هذه الأرض لإعمارها والقيام بوظيفة الخلافة في الأرض (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**)، فوظيفة القرآن والإنسان هي القيام بالقسط -أي استقامة الحياة-، ومن القواعد الثابتة في هذا الدين والسنن التي لا تتغير فيه هي اليسر ورفع الحرج، فهذا الدين يرافق هذه الفطرة في مساربها وأزماتها، وفي ضيقها وسعتها، ويسايرها حالاً مشكلاتها على جميع حالاتها، و (**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**).

وهذه القاعدة الأساسية في طبيعة هذا الدين (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**)، (**ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج**) نجدها منبثة في كل تكاليف الشريعة، حتى أن رسول الله ﷺ كان يعلمنا هذا عملياً بادئاً بنفسه، فما خير ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسر هما ما لم يكن إثماً.

ونلمس هذا اليسر ابتداء من الواجبات والفرائض إلى السنن، فنجده يقول (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**)، وكذا الصيام (**فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر**). ونجده يبيح الحج عن الغير في حالة عدم استطاعة هذا الغير، ثم يجيز الإنابة في رمي الجمار عن النساء لازدحام الناس وصعوبة الوصول إلى الجمرات، ثم في إسقاط قضاء الصلاة عن الحائض، والموازنة بين احتياجات الجسد والأهل والدين الخ...

وانطلاقاً من هذه القاعدة يقول ﷺ (**إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**)، و في رواية: (كما يحب أن تؤتى عزائمه)(١).

ومن التيسير الملموس بالنسبة للبشرية: قصر الصلاة في السفر، وكذا جمع الصلاة في السفر، وكذلك إباحة القعود أو الاضطجاع للمريض حالة الصلاة، حتى أن بعض الأئمة كأحمد أباح الجمع لذوي الأعذار كالمستحاضة ولمن به سلسل بول وانفلات ريح الخ...

# صلاة المسافر (قصر الصلاة)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما فرضت الصلاة ركعتين، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر)(٢).

وللبخاري عن عائشة (ثم هاجر ففرضت أربعاً، وأقرت صلاة السفر على الأول)، زاد أحمد (إلا المغرب فإنها وتر النهار، وإلا الصبح فإنها تطول فيها القراءة).

وقد اختلف العلماء في قصر الصلاة للمسافر:

١- فقال الحنفية: القصر واجب، لأن قولها فرضت يدل على أن مقدار الفرض ركعتين، وكذلك لقول ابن عمر (صلاة المسافر ركعتان نزلتا من السماء، فإن شئتم فردوهما)، ثم لمواظبته ﷺ على القصر، قال ابن القيم (كان ﷺ يقصر الصلاة الرباعية فيصليها ركعتين من حين خروجه من المدينة حتى يرجع، ولم يثبت أنه أتم الرباعية في السفر البتة)، وهو قول ابن تيمية كذلك.

أما قول السيدة عائشة (كان رسول الله ﷺ يقصر في السفر ويتم ويصوم ويفطر) رواه الدار قطني ورواته ثقات إلا أنه معلول، فقد قال ابن القيم بعد روايته للحديث، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: وهذا كذب على رسول الله ﷺ، فإنه ثبت عنه أنه لم يتم رباعية في سفر ولم يصم فيه فرضاً).

ولذا يرى الحنفية أن من صلىّ الفرض الرباعي في السفر أربعاً فإن قعد في الثانية بعد التشهد صحت صلاته مع الكراهة لتأخير السلام، وما زاد على الركعتين نفل، وإن لم يقعد في الركعة الثانية لا يصح فرضه.

وقال الحنفية: القصر عزيمة والإتمام رخصة. فالرخصة خلاف الأصل، وهي استثناء من القاعدة (فالأصل في صلاة المسافر

(١) رواه أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان (٢) متفق عليه. ١/٣٧ جـ ٢ سبل السلام

ـركعتان وهو العزيمة، وإذا أتم فقد خالف الأصل).

٢- وقالت المالكية: القصر سنة مؤكدة آكد من صلاة الجماعة، فإذا لم يجد المسافر مسافراً يقتدي به صلى منفرداً، ويكر قتدائه بالمقيم.

٣- وقال الشافعية والحنبلية: القصر جائز وهو أفضل من الإتمام.

ولذا تتفق المذاهب الأربعة أن القصر أفضل من الإتمام في السفر.

# مسافة القصر

( عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو فراسخ صلى ركعتين)(١).

المراد: إذا قصد سفر هذه المسافة، لا أنه إذا خرج هذه المسافة في سفر طويل.

والفرسخ يساوي ٥٥٤١ متراً، والميل= ١٧٤٨م.

وقد اختلف الأئمة في مسافة القصر على عشرين قولاً حكاها ابن المنذر.

١- فقالت الظاهرية استدلالاً بهذا الحديث أقله ثلاثة أميال، ورد هذا بأن شك الراوي هل أميال أو فراسخ يمنع الأخذ به، لا ند هذا القول حديث أبي سعيد (لأنه كان ﷺ إذا سافر فرسخاً يقصر الصلاة) والفرسخ يساوي ثلاثة أميال.

٢- وقال ابن حزم: أقل مسافة القصر ميل واحد، مستدلاً بحديث موقوف على ابن عمر (إذا خرجت ميلاً قصرت الصلاة)(٢) ل ابن حزم: أما أقل من ميل فلا يصح القصر فيه لأنه ﷺ خرج إلى البقيع لدفن الموتى، وخرج إلى الفضاء لقضاء الحاجة و سر.

٣- قالت الحنفية: المسافة ٢٤ فرسخاً، لما أخرجه البخاري عن ابن عمر مرفوعاً (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر افر فوق ثلاثة أيام إلا مع محرم) قالوا وسير الإبل في كل يوم ثمانية فراسخ.

٤- وقال الشافعي: المسافة ٤ برد، لحديث ابن عباس المرفوع (لا تقصروا الصلاة في أقل من أربعة برد). وروى البخاري ، ث ابن عباس تعليقاً بصيغة الجزم (إنه سئل أتقصر الصلاة من مكة إلى عرفة؟ قال: لا، ولكن إلى عسفان وإلى جدة وإ نف)، وهذه الأمكنة بين كل واحد منها وبين مكة أربعة برد فما فوقها).

قال ابن القيم في زاد المعاد (ولم يحد ﷺ لأمته مسافة محدودة للقصر والفطر، بل أطلق لهم ذلك مطلق السفر والضرب ا ض كما أطلق لهم التيمم في كل سفر.

وأما ما روي عنه من التحديد باليوم واليومين والثلاثة فلم يصح منها شيء البتة والله أعلم، وجواز القصر والجمع في طو ر وقصيره مذهب كثير من السلف).

وقال أبو القاسم الخرقي في المغني: قال المصنف : ولا أرى لما صار إليه الأئمة من حجة، لأن أقوال الصحابة متعارضة مخت حجة فيها مع الاختلاف. وإذا لم تثبت أقوالهم امتنع المصير إلى التقدير الذي ذكروه لوجهين:

١-أحدهما أنه مخالف لسنة النبي ﷺ التي رويناها ولظاهر القرآن، لأن ظاهره إباحة القصر لمن ضرب في الأرض (وإ تم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة).

٢- والثاني: أن التقدير بابه التوقيف (يعتمد على النصوص النبوية أو القرآنية) فلا يجوز المصير إليه بمجرد الرأي، والحجة اح القصر لكل مسافر.

ونحن نميل إلى رأي الشافعي، خاصة إذا ثبت حديث ابن عباس حسماً للفوضى الدينية وسداً لذريعة التهاون.

# صلاة النافلة في السفر

ذهب الجمهور إلى عدم كراهة النفل لمن يقصر في السفر، لا فرق بين السنن الراتبة وغيرها، فعند البخاري ومسلم أن النـ تسل في بيت أم هانيء يوم فتح مكة وصلى ثماني ركعات.

---

٢ جـ ٢ سبل السلام رواه مسلم. (٢) رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح

وعن ابن عمر أنه ﷺ كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ برأسه وقال الحسن:كان أصحاب رسول الله ﷺ يسافرون فيتطوعون قبل المكتوبة وبعدها.

ويرى ابن عمر وغيره أنه لا يشرع التطوع مع الفريضة لا قبلها ولا بعدها إلا من جوف الليل (وإلا سنة الفجر وصلاة الوتر فما تركها في سفر ولا حضر). وقد رأى ابن عمر قوماً يسبحون بعد الصلاة فقال: لو كنت مسبحاً لأتممت صلاتي، يا ابن أخي صحبت رسول الله ﷺ فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله تعالى، وصحبت أبابكر فلم يزد على ركعتين، وذكر عمر وعثمان قال (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)(١).

وجمع ابن قدامة بين قول الحسن وابن عمر: بأن حديث الحسن يدل على أنه لا بأس بفعلها، وأن حديث ابن عمر يدل على أنه لا بأس بتركها.

## بداية القصر:

يبدأ القصر منذ مفارقة الحضر، قال ابن المنذر: ولا أعلم أنه ﷺ قصر في سفر من أسفاره إلا بعد مفارقته المدينة (وقال أنس: صليت الظهر مع النبي ﷺ في المدينة أربعاً، وبذي الحليفة ركعتين)(٢).

## متى يتم المسافر:

عن ابن عباس (أقام ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يقصر) البخاري وفي روايات أبي داود (١٧، ١٨)، وعن جابر (أقام ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة)(٣).

وقد اختلف الفقهاء في المدة التي يتم فيها المسافر صلاته إذا نوى الإقامة، قالت الهادوية وابن عباس : أقلها عشرة، وقالت الحنفية: ١٥ يوماً، مستدلين بقول لابن عمر، وذهبت المالكية والشافعية أن أقلها أربعة أيام، وهو مروي عن عثمان غير الدخول والخروج.

وهذا كله في من دخل البلد عازماً على الإقامة.

**أما المتردد:** فقالت الهادوية: يقصر شهراً. وقالت الشافعية والحنفية والجمهور: يقصر أبداً، إذ الأصل السفر. فقد أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين، وقد حال الثلج بينه وبين الدخول . وأقام أنس في الشام سنتين يصلي صلاة المسافر، وقال أنس: أقام أصحاب النبي ﷺ برامهرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة، وقال الحسن : أقمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر الصلاة ولا يجمع.

قال أصحاب أحمد بن حنبل (لو أقام لجهاد عدو أو حبس سلطان أو مرض قصر سواء غلب على ظنه انقضاء الحاجة في مدة يسيرة أو طويلة).

وقال ابن المنذر في أشرافه (أجمع أهل العلم أن للمسافر أن يقصر ما لم يُجمع إقامة وإن أتى عليه سنون).

# الجمع بين الصلاتين للمسافر

(كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل في سفره قبل أن تزيغ الشمس أخّر الظهر إلى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما، فإن زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب)(٤).

ومعنى تزيغ الشمس أن تميل، ويعني وقت دخول الظهر.

وقد أثبت الحديث جمع التأخير فقط، ولذا فالأوزاعي يقول : لا يجوز إلا جمع التأخير دون جمع التقديم عملاً بهذا الحديث، وهو مروي عن مالك وأحمد بن حنبل. واختاره محمد بن حزم.

وقال الصنعاني: إن جمع التقديم في ثبوت روايته مقال إلا رواية المستخرج على صحيح مسلم فإنه لا مقال فيها. واعلم أن جمع التقديم فيه خطر عظيم، وهو كمن صلى قبل الوقت . ولا دلالة عليه من منطوق ولا مفهوم ولا عموم ولا خصوص، وروي عن مالك

(١) رواه البخاري (٢) رواه الجماعة . (٣) ٤٠/٦ جـ ٢ سبل السلام (٤) ٤١/٩ جـ ٢ سبل السلام . متفق عليه.

والشافعي وأحمد جواز الجمع للمسافر تقديماً وتأخيراً إلا أن مالك يكره الجمع، وأما الشافعي فيقول: ترك الجمع أفضل.

وقد استدلوا على جواز جمع التأخير بالحديث المتقدم.

أما جمع التقديم فقد استدلوا عليه بحديث معاذ (كان رسول الله ﷺ إذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين الظهر والعصر، وإذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخرّ الظهر حتى ينزل للعصر، وفي المغرب مثل ذلك....)[1].

قال ابن القيم (لم يكن ﷺ يجمع راتبا في سفره كما يفعله كثير من الناس، ولا يجمع حال نزوله أيضا، وإنما كان يجمع إذ جد به السير، وإذا سار عقب الصلاة كما في أحاديث تبوك، أما جمعه وهو نازل غير مسافر فلم ينقل ذلك عنه إلا بعرفة ومزدلفة لاجل اتصال الوقوف كما قال الشافعي شيخنا، وجعله أبو حنيفه من تمام النسك وأنه سببه. وقال مالك وأحمد والشافعي : إن سبب الجمع بعرفة ومزدلفة السفر).

ولكن ردوا على ابن القيم بحديث رواه مالك في الموطأ عن معاذ (أن النبي ﷺ أخر الصلاة في غزوة تبوك يوماً، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً)، قال الشافعي: قوله ثم دخل ثم خرج لا يكون إلا وهو نازل.

وأما الحنفية فقالوا: لا يجوز الجمع في سفر ولا حضر إلا بين الظهر والعصر في عرفة جمع تقديم، وبين المغرب والعشاء جمع تأخير في المزدلفة . واستدلوا بقول ابن مسعود (والذي لا إله إلا هو ما جمع ﷺ بين صلاتين قط إلا بين الظهر والعصر في عرفة وبين المغرب والعشاء في المزدلفة). وأما الجمع الوارد في الأحاديث فتأولوا بأنه جمع صوري.

## ...مع في الحضر بسبب المطر:

روى الأثرم في سننه عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف أنه قال: من السنة إذا كان يوم مطير أن يجمع بين المغرب والعشاء. وروى البخاري أن النبي ﷺ جمع بين المغرب والعشاء في ليلة مطيرة .

واختلفت آراء الفقهاء في الجمع بسبب المطر:

أما الحنفية: فقد ذكرنا سابقاً أنه لا يبيحونه لا في سفر ولا مطر. جاء في كتاب سبل السلام (وأما الجمع في الحضر فقال الشارح بعد ذكر أدلة القائلين بجوازه فيه: أنه ذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يجوز الجمع في الحضر لما تقدم من أحاديث التوقيت، ولما من محافظة النبي ﷺ على أوقاتها، حتى قال ابن مسعود (ما رأيت النبي ﷺ صلى صلاة لغير وقتها إلا صلاتين جمع بين المغرب والعشاء بجمع، وصلى الفجر يومئذ قبل ميقاتها) أي ميقات صلاته لها عادة، أي بكر بها، بجمع أي بالمزدلفة، وذلك ليلة النحر المذاهب الأخرى .

فالشافعية: يجوزون الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء جمع تقديم فقط، بشرط وجود المطر عند الإحرام بالأولى والفراغ منها وافتتاح الثانية.

وعند مالك: يجوز جمع التقديم في المسجد بين المغرب والعشاء لمطر واقع أو متوقع والطين مع الظلمة. وكره الجمع بين الظهر والعصر للمطر.

وعند أحمد: يجوز الجمع بين المغرب والعشاء فقط تقديماً وتأخيراً بسبب: الثلج والجليد والوحل والبرد الشديد والمطر الذي يبل وهذه الرخصة تختص بمن يصلي جماعة في مسجد يقصد من بعيد يتأذى بالمطر في طريقه، فأما من هو بالمسجد أو يصلي جماعة أو يمشي إلى المسجد مستتراً بشيء أو كان المسجد في باب الدار فإنه لا يجوز له الجمع.

## ...بسبب المرض أو العذر:

أباح مالك للمريض الجمع إذا كان يخشى على نفسه الإغماء. وكذلك أباحه أحمد وبعض الشافعية تقديماً كان الجمع أو تأخيراً لأن المشقة في المرض أشد من المطر.

وتوسع الحنبلية فاجازوا الجمع تقديماً وتأخيراً لأصحاب الأعذار، وللخائف، مثل المستحاضة أو من به سلس بول أو انفلات ريح، والعاجز عن الطهارة، ولمن خاف على نفسه أو ماله أو عرضه، ولمن خاف ضرراً يلحقه في معيشته بترك الجمع.

---

(1) ...داود والترمذي وقال حديث حسن.

## الجمع في الحضر لغير حاجة:

روى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ (جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر)، قيل لابن عباس ماذا أراد بذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أمته.

إلا أن الجمهور لم يأخذوا بهذا الحديث لأسباب، منها:

١- لم يعين النص أنه جمع تقديم أو تأخير، وتعيين واحد منها تحكم، فوجب العدول إلى ما هو واجب من البقاء على العموم في حديث الأوقات للمعذور وغيره (أي أن المعذور وغيره عليه أن يصلي الصلاة في وقتها)، وأما المسافر فثبت فيه أحاديث خصصت عموم الأوقات.

٢- لو قلنا نقيس صاحب العذر والمشقة كالخباز والموظف على المسافر بجامع المشقة فإننا نقول لا يجوز القياس لأسباب:

أ- أن القياس يعتمد على العلة، وعلة الجمع هي السفر وهي غير متوفره لدى الخباز أو الحصّاد في الحضر.

ب- أن القياس لا يجوز في العبادات، لأن القياس فيها ضعيف، والعبادات أساسها النقل لا العقل (أي النصوص دون القياس).

جـ- أن المشقة عامل غير محدد (سبب لا يمكن أن يضبط)، فلو فتحنا الباب لأصحاب الأعذار والمشقات لجمع كل من يلحقه مشقة ولو كانت تافهة.

٣- أن ما يروى من الآثار عن الصحابة والتابعين غير حجة، إذ للاجتهاد في ذلك مسرح.

٤- أول بعضهم حديث ابن عباس هذا بالجمع الصوري، واستحسنه القرطبي، ورجحه وجزم به الطحاوي، وقواه ابن سيد الناس، لما أخرجه الشيخان عن عمرو بن دينار راوي الحديث عن أبي الشعثاء قال: (قلت يا أبا الشعثاء أظنه أخر الظهر وعجل العصر، وأخر المغرب وعجل العشاء قال: وأنا أظنه) قال ابن سيد الناس وراوي الحديث أدرى بالمراد منه من غيره، وإن لم يجزم أبو الشعثاء بذلك).

ويتعين هذا التأويل فإنه صرح به النسائي في أصل حديث ابن عباس ولفظه (صليت مع رسول الله ﷺ بالمدينة ثمانياً جمعاً وسبعاً جمعاً: أخر الظهر وعجل العصر وأخر المغرب وعجل العشاء).

قال صاحب سبل السلام (الصنعاني): والعجب كيف ضعف النووي هذا التأويل وغفل عن متن الحديث المروي، والمطلق في رواية يحمل على المقيد إذا كان في قصة واحدة كما في هذا.

# صلاة المريض

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب)(١).

وزاد النسائي: (فإن لم تستطع فمستلق، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها).

وقد رواه الدار قطني من حديث علي: (فإن لم تستطع أن تسجد أوم، واجعل سجودك أخفض من ركوعك، فإن لم يستطع أن يصلي قاعداً صلى على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، فإن لم يستطع أن يصلي على جنبه الأيمن صلى مستلقياً، رجلاه مما يلي القبلة) وفي إسناده ضعف وفيه متروك: أي أحد رواته متروك الحديث . وقال ابن حجر لم يقع في الحديث ذكر الإيماء، وإنما الذي أورده الرافعي.

وأما عمران بن الحصين هذا فقد قال له الصحابة عند ما عادوه في مرضه: إنا لنبتئس لما فيك. قال: لاتبتئسوا، كل هذا بذنب وما عفا الله عنه أكثر. وكأنه يفسر الآية بواقع عملي بنفسه **(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)**.

وهذا الحديث: يدل على أنه لا يصلي الفريضة قاعداً إلا لعذر، ولكن اختلفوا متى يترك القيام: أعند عدم الاستطاعة؟ كما في لفظ البخاري : (فإن لم تستطع فقاعداً). أم عند المشقة كما هو مذهب مالك ويسنده لفظ الطبراني (فإن نالته مشقة فجالساً، فإن نالته

(١) ١٢/٤٤ جـ٢ سبل السلام رواه البخاري.

مشقة فنائماً)، ومن المشقة صلاة من يخاف دوران رأسه إن صلى قائما في السفينة، أو يخاف الغرق أبيح له القعود.

وأما هيئة القعود فإطلاق لفظ الحديث (فقاعداً) يدل أنه يجوز على أي هيئة جلس، جاء في فتح الباري لابن حجر: اختلف ة الأفضل، فعند الأئمة الثلاثة التربع، وقيل مفترشاً، وقيل متوركا وفي كل منها أحاديث.

وأما الجنب فهو كهيئة وضع الميت في القبر (الرأس إلى الغرب والوجه إلى القبلة) هذا في بلادنا، والمهم في أي بلدان يت وجهه نحو القبلة.

وبعد تعذر الصلاة على الجنب لا يجب عليه شيء عند الجمهور، ولكن الشافعي قال: يجب الإيماء بالعينين والحاجبين، وقال زف حتى لو لم يستطع بالعينين فبالقلب.

وفي الآية **(فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)**. النساء: ١٠٣

وقال ابن المنذر (إن لم يستطع جالساً فعلى جنبه، فإن لم يستطع على جنبه صلى مستلقياً ورجلاه إلى القبلة على قدر طاقته)

وقد يسأل سائل: كيف يتوضأ من لم يستطع القيام؟ الجواب: أن غيره يساعده في الوضوء أو يوضئه. فإن تعذر الوضـ لتيمم، وإن كانت النجاسة قلما تفارق ثيابه أو بدنه إلا أن كل هذا مبني على الاستطاعة، فإن استطاع أن يتحاشى النجاسة فبـ عمت، وإلا فيصلي مهما كانت النجاسة .

**ملاحظـــــــــة:**

إذا لم يستطع المريض في السجود أن يصل بجبهته إلى الأرض فلا يضع حاجزاً كوسادة للسجود عليه، وإنما يجعل سجو فض من ركوعه، ففي الحديث عن جابر (أن النبي ﷺ قال لمريض صلى على وسادة فرمى بها وقال صل على الأرض إن استطعـ فأوم إيماء واجعل سجودك أخفض من ركوعك)[1].

*******************

البيهقي بسند قوي.

هذا الكتاب (مباحث في الصلاة) كان مادة دراسية يدرسها الإما الشهيد عبدالله عزام -رحمه الله- في الجامعة في بداية الثمانينات.

ق الاهتمام بتجميع كل ما يتعلق بالإمام الشهيد لقد حرص مركز الشهيد عزام الإعلامي على متابعة هذا الأمر والتركيز عليه تمهيداً لتسهيل مهمة كل من أراد أن يعمل درا ة عن هذا الرمز ومدى العقلية التي كان يتميز بها سواء كان في مجال الفقه وأصوله أو السياسة أو ما يتعلق بأمور هذا الدين وخاصة الجهاد في سبيل الله.

ولى عز وجل أن يوفقنا لاتمام هذا العمل وأن يسدد خطانا لما فيه خير الدنيا والآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (الناشر)

# الذبائح واللحوم المستوردة

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه الرسالة كنت قد كتبتها قبل سنوات عند بداية ترددي على الغرب من خلال مؤتمرات الطلبة خاصة أمريكا التي كانت رابطة الشباب المسلم العربي قصب السبق فيها إلى هذه السنّة الحميدة، وهي إقامة مؤتمر سنوي في العطلة السنوية التي يتفق فيها الغرب (عيد الميلاد: الكريسمس) الذي يكون في نهاية السنة الميلادية، ثم تبعت منظمة (Muslem Arab Youth Association MAY) كثير من المنظمات الإسلامية، وقد كانت رابطة الشباب المسلمين في أمريكا قد انبثقت من اتحاد الطلبة المسلمين (MSA) الذي بدأ بثلاثة عشر طالباً في شيكاغو (أيوا).

ولقد أهمتني هذه القضية في أسفاري، وتعبت في قضية التحرّي، وإن أنس من الأشياء فلا أنسى رحلة إلى إسبانيا وأنا أشق طريقي نحو غرناطة وقرطبة، ولم تكن الصحوة الإسلامية هناك قد كونت نواة طيبة بعد، بحيث تتفرد هذه النواة بحوانيت إسلامية خاصة للأطعمة واللحوم المباحة، فكنت آكل في معظم رحلتي الفستق الذي حمّص.

ولقد دققت في المسألة وحقّ لي أن أمحص كثيراً؛ لأن الغرب له نظامه الحياتي الخاص: فالميتة والخنزير ليست داخله في قائمة المحرمات في حياته اليومية، بل الخنزير وشحمه يدخلان في كثير من الصناعات والحلويات، وأصبحت حياة المسلم في الغرب جحيماً لا يطاق، فالمغريات من كل جانب، والمحرمات في معظم الأطعمة، حتى الخبز تجد أن أكثر من نصفه في بعض الأقطار مدهون بشحوم الخنزير.

ثم انتقلت المأساة إلى معظم أقطار المسلمين، وصارت الدول والشعوب الإسلامية تستورد اللحوم من الأقطار الشيوعية والغربية، ولا ترعى فيها حرمة ولا حلاً، وعندما تتعالى الصيحات من هنا أو هناك ممن يتحرجون من أكل اللحوم المستوردة يختم عليها بختم (مذبوح على الطريقة الإسلامية)، فإذا استجابت الدولة لبعض الصرخات فإنها ترسل وفداً من وزارة التموين ليشرف على الذبح، وقد توكل سفارتها في البلد المصدر للحوم بأن يراقب الذبح، والمسألة غالباً لا تتعدى ذر الرماد في العيون، إذ أن هذه القضية لا تهم أعضاء السلك الدبلوماسي الذين يعملون في سفارات البلدان الإسلامية في العالم الغربي أو الشرقي، وهم غالباً لا يهتمون كثيراً بهذه القضايا ولا يهتمون بها فضلاً عن أن يصرفوا أوقاتهم كلها في المسالخ يسمون على الذبائح ويكبرون عليها كلما ذبحوا ذبيحة سموا وكبروا.

وزاد الطين بلة أن وزارات التموين في العالم الإسلامي كذلك لا تأبه بهذه القضايا، وتعتبرها من قبيل التزمت والانغلاق والتعصب لدى بعض المتدينين لضيق أفقهم وتطرفهم.

وليت شعري ماذا تقول إذا علمت أن وزارة التموين في بعض البلدان الإسلامية (وزارة التحليل والتحريم في المطعومات) ا... يها غالباً إلا النصارى الذين يرفضون الاستيراد من تركيا المسلمة، ويأبون إلا أن يستوردوا اللحوم من الدول الشرقية مثلاً ... وغيرها، رغم أن اللحم التركي أنظف وأرخص غالباً.

...وي:

ولقد تصدى بعض الأفاضل من المتفقهين والعلماء ممن يتصدرون للفتوى في البلدان الإسلامية، فأفتوا بحل اللحوم المستوردة ...ى القاعدة القائلة: (الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل التحريم)، ولكن فات هؤلاء العلماء الأفاضل ذكر الاستثناء وهو ... في الأشياء الإباحة إلا في اللحوم والفروج).

وقد نص على هذه القاعدة فقهاء المذاهب الأربعة وجمهور المحدثين، وقد لخصها قول النووي (الأصل في الحيوان التحريم حتى ...كاة مبيحة)، أو كما عبّر عنها الخطابي (البهيمة أصلها على التحريم حتى تتيقن وقوع الذكاة، فهي لا تستباح بالأمر المشكوك)

---

(١) هذه المقدمة قبل استشهاد الإمام الشهيد بأشهر.

## الفقه لجيل الصحوة:

ونحن إذ نكتب مثل هذه المقالات الفقهية إنما نعني بها أبناء الصحوة الإسلامية ممن التزموا الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، وأخذوا على أنفسهم تطبيق الحلال والحرام في حياتهم الخاصة والعامة في كل صغيرة وكبيرة.

فكل ما نكتبه في مجال الفقه إنما يراد به الفئة المؤمنة التي عزمت على السير في الطريق إلى الله، فهؤلاء لا بد لهم من حلول للمشاكل التي تعترض طريقهم وعلى ضوء الكتاب والسنة، وهذا فقه عملي حركي جاد وليس افتراضاً لمشاكل تعرض للخيال، أو يتمحلها التفكير ويتصنعها.

أما الفقه النظري الذي لا صلة له بعالم الواقع فقد كان السلف يكرهون السؤال عما لا يقع وعلى رأسهم عمر وابنه، ومعاذ رضي الله عنهم، وقد كانوا إذا سئلوا عن مسألة يقولون: أوقعت؟ فإن قيل: لا، قالوا إن لنا في الواقع شغلاً، وكانوا يريدون: لا تسأل عما لم يقع، ومن هذا الباب أن تطوي الحياة وأن تدرس عن فقه ليس له مجتمع الآن يطبقه ويتحاكم إليه.

يجب أن تدرس الفقه والأصول لنقدم حلولاً لمشاكل الشباب المسلم الذي يعاني منها، فهذا الفقه ضروري للجيل المقبل على الله: فقه العمل والحركة لا فقه الأوراق والتخيلات والنظريات

إن تقديم حلول للشباب المسلم ضرورة ملحة لهم، كيف يواجهون مشاكل الربا ويحلونها، ويطمئنون وهم يعملون في الدوائر بوظائف، ويحيك في صدورهم من مزاولتها شيء، ويخشون أن يلحقهم بعض الإثم منها، لا بد أن يزاول الشاب المسلم عمله دون أن يتلجج في صدره حرج، ودون أن يتلعثم في شغله وطريقه.

كل هذا مع تذكر الحقيقة الكبرى، أنه لا يمكن أن يتخلص الجيل من الحرج، ولا أن يجد طعم الراحة وبرد الطمأنينة والاستقرار دون أن يظله مجتمع مسلم، ترفرف فوق رأسه راية الإسلام، وتمده الشريعة بثمارها جنية دانية.

الطريق إلى المجتمع الإسلامي: واحد لا يتغير، وهو نفس الطريق، الذي سلكه الرسول ﷺ لإقامة المجتمع الإسلامي، وهو: قيام دعوة جادة إلى الله -عز وجل- تلتزم العقيدة الصحيحة منذ بداية الطريق تتضح في قلوبها ونفوسها عقيدة التوحيد (توحيد الربوبية والألوهيه والأسماء والصفات) ثم ينضم إليها الصفوة من أبناء المجتمع، ثم تقوم معركة باردة -بالكلام والتشويه والسخرية-، وبعد لأي -وقت- تقوم معركة ساخنة بالسلاح تكون الدعوة -الحركة الإسلامية- صاعقها وفتيلها، ويمتد القتال طويلاً، وينضم الشعب تدريجياً، وعلى طريق الجهاد( القتال) الطويل مع المعاناة المريرة والغصص الأليمة يكلّ البعض عن السير، فينسل لواذاً أو يستأذن بحياء وأدب معتذراً ببعض مشاكل الحياة، فيغادر ساحة الجهاد ليجد طريقاً أجدى وأسلوباً أنفع لمصلحة هذا الدين فوق بقعة أخرى يستعمل فيها اللسان بدل السنان، ويحاول أن يحل المشاكل العائلية التي أرهقت أهله وهو فوق أرض النار والفخار. فينتقل إلى بقعة اخرى من الأرض يعيش فيها ممزقاً بين عذاب الضمير الذي يهتف من الأعماق ليرده إلى أرض الجهاد وبين واقع ثقيل وقيود متينه تشده إلى الأرض، فيبقى حائراً شبه مشلول في حياته وحركته.

ويثبت قسم على لأواء الطريق وجمر المسيرة حتى يفتح الله وينزل نصره، وهذه الفئة هي التي يجعلها الله ستاراً لقدره وأداة لتنفيذ مشيئته.

السفر: ولقد كانت قضية حل الأطعمة ولا زالت مشكلة تواجهني في أسفاري الطويلة، إذ أنني لا زلت أحمل زادي الحلال الذي يصنع في البيت لطول الطريق في الذهاب، وأطلب من الأخ الذي أنزل عليه في أمريكا أن يعد طعاماً لطريقي في الإياب.

وإنني أتحرج كثيراً أن آكل من طعام أية شركة طيران أبداً -عربية أو إسلامية أو غربية-، اللهم إلا الشركة الباكستانية، لأني أعلم أن باكستان لا تستورد اللحوم، ولذا فإني آكل في شركة (P.I.A) منذ أن تغادر باكستان حتى نحط في محطة أخرى، لأني أعلم أنها ترتب وجبتها في الغرب من المدن الغربية.

وقد أطلب أحياناً طعاماً بحرياً -السمك وغيره (Sea Foud)، أو وجبة تسمى(Kosher Meal) وجبة يهودية، اللهم عافنا من أهل الشرك والضلال، وذلك لأني أعلم أن اليهود لا يأكلون الميتة ولا الخنزير، ويذهب الحاخام بنفسه ليشرف على الذبح في المسالخ، وذبحهم كالطريقة الإسلامية تماماً.

وقد أطلب وجبة إسلامية (Islamic Meal) لأن الطلبة المسلمين في أمريكا طلبوا من بعض الشركات هذه الوجبة في السفر.

نتيجة:

والذي أريد أن أخلص إليه أن يتيقن الجيل المسلم أنه لا بد من راية إسلامية ومجتمع إسلامي حتى تعم السعادة أبناء هذ جتمع، وتلف الطمأنينة أجياله، ويعم الرخاء والرغد أرجاءه وجنباته.

ولا بد من العمل الجاد لإقامة هذا المجتمع مهما جلت التضحيات وغلت الأثمان (ومن يخطب الحسناء لا يغله المهر)، وإن الدني ن فيها لتبدو صغيرة تافهة إذا قدمت كلها ثمناً لقيام المجتمع المسلم، لأن لحظة رضى من الرحمن، وتطبيق شرع الله ولو لأيام خير الدنيا وما فيها.

(**قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا**) (النساء:٧٧).

هذه كلمة قدمتها بين يدي هذا البحث المتواضع الذي أرجو الله ان ينفعني به، وأن يجعل ثوابه في ميزاننا خالصاً يوم القيامة

## قاعدة الكبرى:

وقد ركزت كثيراً على قضية أصولية لأن مدار البحث يدور عليها، وهي التي لخصها قول النووي: (الأصل في الحيوان التحري ى تتحقق ذكاة مبيحة).

أو كما عبر عنها الخطابي: (البهيمة أصلها على التحريم حتى تتيقن وقوع الذكاة، فهي لا تستباح بالأمر المشكوك)، وهذا قوا هور الفقهاء والمحدثين.

وقد وجدت أن جميع الفقهاء يشيرون إلى هذه القاعدة تلميحاً أو تصريحاً، وسأفصل هذا وأورد النصوص التي وجدته طرة في أمهات الكتب الفقهية، وسأثبت صفحاتها وأبوابها -إن شاء الله-.

وسأمر بإذن الله مروراً سريعاً على بعض القضايا التي تختص بالذكاة كالتسمية، وآلة الذبح، الذكاة الاضطرارية، والمذك ابح) ، وطريقة الذكاة.

وأمل من الله أن يجعل الإخلاص والحق هدفنا ومبتغانا، وأن يرزقنا الصواب والإخلاص لأن الله عز وجل لا يقبل عملاً إ صاً صواباً (خالصاً من الرياء والشرك، وصواباً مستقيماً موافقاً للكتاب والسنة)، هذان الركنان الأساسيان في كل عمل لاص والصواب، مع ابتهالي إلى الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يفتح علي ح العارفين، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا إنه سميع قريب مجيب: (**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنا ة إنك أنت الوهاب**) (**ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً**).

العبد الفقير إليه تعالى

عبدالله عزام

# الذبائح واللحوم المستورده

التمهيد:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، وبعد:

فهذا موضوع طالما أشغلت فيه فكري، وجلت فيه نظري، إذ أنه يواجهني كضرورة حياتية أثناء حلي وترحالي، ففي سفري إلى البلاد الغربية -وأثناء تقديم وجبات الطائرات والمطاعم الغربية الأوروبية والأمريكية- كنت أجد العنت والحرج الشديد في تحري الحلال، واستساغة اللقمة الطيبة، حتى لا ينبت بعض لحمي من حرام -فكل لحم نبت من حرام أو سحت فالنار أولى به-، وكذلك تواجه هذه المشكلة كل مسلم في أسواقه، حيث الطيور التي تشوى في الأسواق أمام ناظريه، وكذلك البقالات والمطاعم التي تبيع اللحوم المستوردة.

ولقد رجعت إلى النصوص في الكتاب والسنة وإلى شروح كتب السنة والكتب الفقهيه لعلي أستقر في المسألة على قرار.

والآن أدلي بدلوي، فإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، وإن كان حقاً وصواباً فمن الله تعالى، وأرجو الله عز وجل أن يأجرني فيما أكتب، ويغفر لي زلاتي إن أخطأت أو جهلت.

لقد كان الدافع المباشر لكتابة هذا الموضوع مقال كتبه فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود -رئيس المحاكم الشرعية في قطر- وكنت قد اطلعت من قبل على كتابه (فصل الخطاب في حل ذبائح أهل الكتاب)، واطلعت على الرد عليه الذي كتبه فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد جزاه الله خيراً (رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية) ولقد أجاد كثيراً، وإذا تتبعنا الموضوع بتفصيلاته وأدلته وأقوال الفقهاء فيه فإن الأمر يطول بنا، ولذا فسأحاول جهدي أن أختصر اختصاراً غير مخل، مع بيان الحكم الشرعي، وألا أورد إلا الحديث الصحيح، ثم أورد له شواهد قد تنزل عن مرتبة الصحة أو الحسن.

ولا بدّ أن نستدل بأقوال المحدثين والمفسرين والفقهاء لبيان معنى النص الشرعي، ولاستنباط الحكم الذي قرروه في المسألة.

وسأتعرض في هذا الموضوع -إن شاء الله- إلى القضايا التالية:

١- الذكاة الشرعية (الذبح على الطريقة الإسلامية).

٢- السؤال عند الاشتباه والجهل والشك.

٣- الأصل الذي يرجع إليه عند الشبهة والشك.

٤- الذبائح التي تذبح وبجانبها مسجل يردد (بسم الله والله أكبر).

٥- الذبح من القفا.

٦- الشهادات التي ترفق مع الذبائح المستوردة.

٧- واقع المسالخ، ومصانع اللحوم الغربية.

المؤلف

# معنى الذكاة لغة وشرعاً

## أ- أصل الذكاء في اللغة:

تمام الشيء وكماله، ومن ذلك الذكاء في السن والفهم تمامها.

ورجل ذكيٌّ: أي سريع الفهم تام القبول.

وذكيت النار: أتممت وقودها، ويقال للشمس ذكاء.

وفعل الذكاة: ذكا يذكو ذكواً وذكاً وذكاءً (بالقصر والمد): أتم.

ويقال فرس مُذك: إذا أستتم قروحه بأن أستتم الخامسة وسقطت سنه التي تلي الرباعية وذلك تمام قوته.

والتذكية: الذبح، والذكّي من النعم: أي الذبيح.

إلا ما ذكيتم: إلا ما ذبحتموه على التمام.

والذكاة في الحيوانات مأخوذة من التطييب والتطهير، لأن الذكاة في الحيوانات تطهر اللحم وتطيب الأكل، لأنها تفصل عنه النجس المسفوح.

يقال: مسك ذكي، وذاك وذكيّة: أي ساطع ريحه الطيب.

يقال: رائحته ذكية: أي طيبة نافذة.

قال قيس بن الخطيم:

*كأن القرنفل والزنجبيل ... وذاكي العبير بجلبابها*

وفي حديث محمد بن علي: ذكاة الأرض يبسها، يريد طهارتها من النجاسة: جعل يبسها من النجاسة الرطبة في التنزلة تذكية الشاة في الإحلال، لأن الذبح يطهرها ويحل أكلها[1].

وقال الماوردي: الذكاة في اللغة التطييب من قولهم رائحة ذكية: أي رائحة طيبة، فسمي بها الذبح لتطييب أكله بالإباحة[2].

## ب- الذكاة شرعاً:

تطلق على الذبح والنحر جميعاً[3]، والذبح: قطع الأوداج، وهو ذبح بين اللبة واللحيين (واللبة: موضع القلادة من الصدر وهي الوهدة التي بين أصل العنق والصدر وتستعمل النحر في الإبل والذبح في الغنم والبقر.

فالذكاة في الشرع: هو الذبح بطريق مخصوص، أو قطع مخصوص، وهو نوعان:

١- اختياري: في الحيوان الذي نقدر عليه: ذكاته في لبته وحلقه.

٢- اضطراري: في الحيوان الذي لا نقدر عليه، وهو :

أ- الصيد.

ب- الحيوان الناد (الهارب)، والمتردي في بئر: فهذا ذكاته حيث قدر عليه.

وكمال الذبح (الذكاة) في قطع أربعة أشياء: قطع الحلقوم والمريء والودجين، واختلف في المجزىء منها، فمنهم من قال: ثلاثة، ومنهم من قال: اثنان (المريء والبلعوم)، كالشافعية[4].

## الذكاة:

ركن الذكاة هو الحيوان المأكول اللحم، فيجب أن يكون حيواناً مأكولاً أي مما أحله الله، لأن الذكاة لا تعمل في الحيوان المحرم لحمه، ففي الصحيحين قوله ﷺ في الحمر: (أكفئوها فإنها رجس)[5].

---

١- لسان العرب (١٨/٢١٢) والقاموس المحيط (٤/٣٣٠)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/١٦٤)، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص(٤٠٠)، وانظر تفسير الـ ... ٥٢).

٢- أنظر النهاية في غريب الحديث (٢/١٦٤) وتحفة الفقهاء للسمرقندي (٣/٩٢)، وحاشية الشرنبلالي - الدرر- الغرر (٢/٢٣٤) كفاية الأخيار للحصيني (٢/٤٢٣).

٤- أنظر الدرر شرح الغرر (١/٢٤٥) وكفاية الأخيار للحصني (٢/٤٢٣).

٥- أنظر إرواء الغليل للألباني (٨/٣٧

ففي الصحيحين عن سلمة بن الأكوع أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأصحابه: (...**علام أوقدتم هذه النيران؟ قالوا: على لحوم الحمر الإنسية، قال: أهريقوا ما فيها واكسروا قدورها، فقام رجل من القوم فقال: نهريق ما فيها ونغسلها، قال النبي ﷺ: أو ذا**)[١]. قال ابن القيم معقباً على الحديث[٢]: وهو صريح في أن (ما لا يؤكل لحمه لا يطهر بالذكاة، وأنها لا تعمل فيه شيئاً).

وقال صاحب الدرر[٣]: (الذكاة تحل المأكول وتطهر غير نجس العين -لأن نجس العين كالكلب لا يطهر أبداً)، والأصل في جنس الحيوان الحل ما لم يرد دليل التحريم، أما لحم البري فحرام حتى يذكى لقوله تعالى:

(**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً**) (البقرة:٢٩).

وقوله تعالى:

(**يسألونك ماذا أحل لهم؟ قل أحل لكم الطيبات**) (المائدة:٥).

وقوله تعالى:

(**....أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم**) (المائدة:١).

وفي الآية:

(**قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به**) (الأنعام:١٤٥).

وكذلك:

(**...وقد فصّل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه**) (الأنعام:١١٩).

فالمحرمات هي المفصلة، وأما المباحات فهي كثيرة غير محصورة.

**فالأصل**: كل طيب حلال، وكل خبيث حرام.

(**الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**) (الأعراف:١٥٧).

**الميزان**: وميزان معرفة الطيب من الخبيث ذوق العرب أثناء نزول الرسالة، فكل حيوان استطابته العرب فهو حلال إلا ما ورد الشرع بتحريمه[٤]، ويعتبر ذوق أهل الحجاز خاصة، وما وجد في أمصار المسلمين مما لا يعرفه أهل الحجاز رد الى أقرب ما يشبهه في الحجاز، فإن لم يشبه شيئاً منها فهو مباح.

أقسام الحيوانات، وعلى هذا فاعلم أن الحيوانات قسمان:

**أ- البحرية: وهي نوعان:**

١- فما كان منه على صورة السمك ولا يعيش خارج الماء فهو حلال باتفاق الفقهاء، إذ أجمع الفقهاء على إباحة السمك، إلا أن الحنفية خالفوا في السمك الطافي فإنهم يكرهونه[٥].

٢- ما ليس على صورة السمك: فالأصح عند الشافعيه[٦] أن كل ميتات البحر حلال غير الضفدع سواء ما مات بسبب وغيره، وبه قال مالك وأحمد[٧]، ولكن مالكاً كره خنزير البحر[٨]، وأما الشافعي فقد قال: يؤكل خنزير البحر وفأر الماء، وقال النووي: الأصح أن السمك يقع على جميعها، والراجح أنها لا تحتاج إلى ذكاة[٩]، واحتجوا بالآية:

(**أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة**) (المائدة:٩٦).

---

١- أنظر تهذيب ابن القيم مع معالم السنن على مختصر أبي داود للمنذري (٥/٣٢١). ٢- درر الحكام شرح غرر الأحكام (٢/٢٤٤).
٣- أنظر تهذيب ابن القيم مع مختصر أبي داود (٥/٣٢١) وأحكام الاحكام لابن دقيق العيد (٢/٣٠٤)
٤- أنظر كفاية الأخيار للحصني (٢/٤٣٦)، وانظر معجم الفقه الحنبلي (٢/٦٤٥)، وانظر المغني لابن قدامه مع الشرح الكبير (١١/٦٥)، والمغني (٨/٥٨٥)، وانظر حاشية ابن عابدين (٦/٣٠٥).
٥- تحفة الفقهاء (٣/٨٨)، وبدائع الصنائع (٦/١٧٥). ٦- المجموع (٩/٢٧)، وكفاية الأخيار (٢/٤٤٥). ٧- منار السبيل (٢/٤١٥).
٨- بداية المجتهد (١/٤٥٦). ٩- كفاية الأخيار (٢/٤٤٥)

قال ابن عباس وغيره: صيده ما صدتموه، وطعامه ما قذف لكم، وفي الحديث الصحيح عن البحر: {**هو الطهور ماؤه ميتته**}[1] صححه الترمذي والبخاري، وفي الصحيحين[2] عن جابر وهو يتحدث عن سرية الخبط: (...ثم إن البحر ألقى إلينا يقال لها العنبر فأكلنا منه نصف شهر حتى صلحت أجسامنا)، وفي زيادة صحيحة عند البيهقي أن النبي ﷺ قال لهم: {**أمعكم شيء**}.

ويحرم من حيوانات البحر الضفدع باتفاق الشافعية والحنبلية، وأما الحنفية فإنهم يحرمون كل ما في البحر عدا السمك.

وكذلك يحرم من حيوانات البحر التمساح لأنه من سباع البحر ويتقوى بنابه ويفترس، وفي الحديث الصحيح عند مسلم عن هريرة مرفوعاً: {كل ذي ناب حرام}[3]، وهذا الراجح عند الشافعية والحنبلية[4].

وكل حيوانات البحر لا تحتاج الى تزكية على الصحيح الراجح، لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: (كل دابة تموت في البحر فقد ذكاها الله تعالى لكم)[5]، وقد روى الأمام أحمد بإسناده عن شريح رجل أدرك النبي ﷺ قال: {**كل شيء في البحر مذبوح**}[6]، ويستدل كذلك بالحديث الصحيح {**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**}.

**ب- أما الحيوان البري: فهو نوعان:**

**١- ما ليس له دم سائل.**

**٢- ما له دم سائل.**

١- أما الذي ليس له دم سائل: فكلها حرام عدا الجراد، فالذباب والنمل والنحل والخنافس والزنبور وسائر هوام الأرض كالعقرب وذلك لانها كلها من الخبائث، وقد قال الله تعالى: (**ويحرم عليهم الخبائث**) ومنها القراد والقمل والديدان جميعها.

وفي الحديث نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع من الدواب (النملة والنحلة والهدهد والصرد) ولذا فإنها لا تؤكل.

وأما بعض الحشرات الذي يفقس في داخل الثمر دوداً كالتين والتمر والمشمش والدود الذي في الجبنة فإنه لا يحرم يرجع أكله الى الطبع والنفس.

وأما حل الجراد فثبت في الحديث عن ابن عمر: (أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال)[7].

**٢- أما الذي له دم سائل فهو ضربان:**

**أ- المستأنس.**

**ب- المستوحش.**

**أ- فالمستأنس: يحل منه بهيمة الأنعام.**

**(أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم)** (المائدة)

ويحل أكل الفرس لحديث جابر: {أن النبي ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل}[8]، وهذا رأي جمهور الفقهاء، وخالف أبو حنيفة فحرم الخيل[9]، وأحلها صاحباه أبو يوسف ومحمد.

وأما المستأنس من الطيور فيحل بإجماع الأمة، ففي الصحيحين عن أبي موسى: {رأيت النبي ﷺ يأكل الدجاج}[10]. والطيور المستأنسة الأصل فيها الحل، ولم يرد فيها نهي.

أما الجلالة من الأنعام: (التي تأكل القاذورات والعذرة) والدجاجة المخلاة التي تأكل النجاسة فإنها تكره كراهية تنزيه

---

١- ...رواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل (١/٤٢، ٩/١٤٩) وصحح الحديث ابن خزيمة وابن حبان، أنظر الإجابة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة ص(٢٢٩).

٢- ...ظر المجموع للنووي (٩/٢٧). ٣- رواه مسلم، انظر إرواء الغليل (٨/١٣٩).

٤- ...ظر المجموع (٩/٢٧)، والمغني لابن قدامه (٨/٦٠٧)، وكفاية الأخيار (٢/٤٤٥).

٥- ...ظر المغني (٨/٦٠٦)، وكفاية الأخيار (٢/٤٤٥) قال ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/١٦٠) أخرجه البيهقي.

٦- ...ه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وإسناده صحيح على شرط الشيخين أنظر إرواء الغليل (٨/١٤٢).

٧- ...ه ابن ماجه والحاكم والبيهقي ورمز له السيوطي بالصحة الجامع الصغير (١/١٣).

٨- ...تفق عليه انظر ارواء الغليل للألباني (٨/١٣٧)، وقال انظر البخاري (٤/١٦)، ومسلم (٦/٦٦)، وانظر كفاية الأخيار (٢/٢٣٧). ٩- انظر تحفة الفقهاء للسمرقندي (٣/...)

١٠- ...نار السبيل (٢/٤١٥) وإرواء الغليل (٨/١٤٨).

تغير طعم لحمها، ولا يحرم سواء لحمها ولبنها وبيضها، وبه قال الحسن البصري ومالك وداود والحنفية، وكذا لا يحرم ما سقي من الثمار والزروع ماءً نجساً[١].

واستحب هؤلاء الفقهاء حبس الدجاجة أو الحيوان أياماً قبل ذبحه ليزكوا لحمه.

وأما الحنبلية: فإنهم يرون أن الحيوان الذي تخالط النجاسه[٢] طعامها فإن كانت النجاسة قليلة جداً فهو معفو عنها، وإن زادت النجاسة: يكره اللحم، فإن كان أكثر طعامها من النجاسة فإنها تحرم ويحرم لبنها، وفي بيضها روايتان استدلالا بحديث ابن عمر: (نهى النبي ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها)[٣] وهو صحيح.

والراجح في هذه المسألة رأي الجمهور أنه إذا ظهر النتن في اللحم فهي كراهية تنزيه، وإلا فلا كراهية فيها، ويدخل في الحكم الدجاج والبقر الذي يدخل في خلطته الدم والنجس.

وأما الحمر الأهلية فهي حرام للأحاديث الكثيرة في الصحيحين، منها حديث ابن عمر في الصحيحين: **(نهى النبي ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية)** وزاد مسلم (يوم خيبر )[٤].

وأما البغال فهي حرام لأنها متولدة بين مأكول وهو الخيل وبين حرام اللحم وهو الحمير، وإذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام الحلال.

ب- أما الحيوانات المستوحشة: فيحرم كل ذي ناب من السبع، وكل ذي مخلب من الطير، ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: **(نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السبع وكل ذي مخلب من الطير)**[٥] فيحرم النسر والصقر والبازي والحدأة، ويحرم الكلب والقط لأنها من السباع، وفي صحيح مسلم: **(إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه وليغسله سبعاً)**[٦]، وأما القط فهو سبع، ففي صحيح مسلم عن أبي الزبير: (سألت جابراً عن ثمن الكلب والسنور، فقال: زجر النبي ﷺ عن ذلك)، وفي الصحيحين: (خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرام (الحية والفارة والغراب والكلب والحدأة)[٧] فهذه كلها محرمة.

أما الأرنب البري وغير البري فهو حلال، ففي الصحيحين: (أن أبا طلحة ذبح أرنباً وبعث بوركها أو فخذها إلى النبي ﷺ فقبله)[٨].

أما الضبع والثعلب فأباحها الشافعية، واستدلوا بحديث جابر أنه سئل عن الضبع أصيد هو؟ قال: نعم، قيل أيؤكل؟ قال: نعم، قيل: أسمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم)[٩] رواه الشافعي والترمذي والبيهقي وصححه البخاري والترمذي وابن حبان، وقال بحرمة الضبع والثعلب الحنفية والحنبلية[١٠].

ويحرم الدب والنمس وابن آوى والقرد، ويحرم ما يأكل الجيف كالنسر والرخم واللقلق والغراب والخنافس، وتحرم الحية لأن لها ناباً من السباع، وأما الضب فهو حلال لأن خالد بن الوليد رضي الله عنه أكله على مائدة رسول الله ﷺ[١١]، وقد وقفت طويلاً عند هذه القضية لضرورة الاطلاع على الحرام والحلال من الحيوانات، وخلاصة هذه المسألة على الراجح:

١- أن الحيوانات البحرية كلها مباحة ولا حاجة إلى تذكية أي منها.

٢- أن الحيوانات البرية المحرمة لا تعمل فيها الذكاة ولا تطهر لحمها ولا جلدها.

٣- أن الحيوانات المقدور عليها لا بد فيها من الذكاة بين اللبة والحلق.

٤- أن الحيوانات البرية المباحة والحيوانات المستأنسه الشاردة لا بد من رميها بسهم أو رصاصة بحيث يسيل دمها من أي جزء من أجزاء جسمها، لأنه جاء في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال ﷺ: **(ما أصاب بحده فكله، ما أصاب بعرضه فهو وقيذ)**[١٢]، والوقيذ الميت بسبب الضرب بثقل كخشبة أو حديدة دون جرح وإسالة دم.

وفي رواية عن عدي في الصحيحين مرفوعاً (إذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصاب بعرضه فلا تأكله)[١٣] ، والمعراض:

---

١- انظر المجموع للنوي (٧٤/٩)، وتحفة الفقهاء (١/٣). ٢- المغني لابن قدامه (٥٩٤/٨). ٣- أخرج الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي وقد صححه الألباني لشواهده وطرقه أنظر إرواء الغليل (١٤٩/٨)، قال ابن حجر في التلخيص (١٥٦/٤) اسناده قوي بعد أن أورد مجموع طرقه

٤- تهذيب ابن القيم على مختصر أبي داود (٣٢١/٥)، وأحكام (٣٠٠٤/٢). ٥- رواه الجماعة إلا البخاري فقد أخرجه مسلم (٦٠/٦)، وأبو داود وأحمد البيهقي، أنظر إرواء الغليل (١٤١/٨). ٦ تلخيص الحبير (٣٩/١). ٧- تلخيص الحبير (١٥٣/٤).

٨- متفق عليه في البخاري (١٨/٤)، ومسلم (٧١/٦)، وأصحاب السنن الاربعة، أنظر إرواء الغليل (١٤٦/٨)، وتلخيص الحبير (١٥٢/٤). ٩- تلخيص الحبير (١٥٢/٤). ١٠- تحفة الفقهاء للسمرقندي (٩٠/٣)، وحاشية ابن عابدين (٣٠٤/٦)، ومنار السبيل (٤١١/٣).

١١- إرواء الغليل (١٤٧/٨) والحديث في الصحيحين. ١٢- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم للشنقيطي (٢٠٧/٢)، وتلخيص الحبير (١٣٥/٢).

١٣- أحكام الأحكام شرح عدة الأحكام لابن دقيق العيد(٣٠٩/٢).

عصا رأسها محدد ، فإن أصاب بحده آكل لأنه كالسهم، وإن أصاب بعرضه لم يؤكل وذلك لأنه كالحجر.

وقد قدمت بهذه المقدمة للضرورة قبل أن نبدأ بشرح الذكاة وأركانها.

# الذكاة الشرعية

الذكاة لغة: إما الإتمام، ومنه معنى الآية (إلا ما ذكيتم) أي إلا ما ذبحتموه على التمام.

وإما التطيب والتطهير، ومنه الأثر عن محمد بن الحنفية:((ذكاة الأرض يبسها))[1] أي طهارتها) لأن الذكاة تطهر الذبيح وتطيبها.

والذكاة شرعاً: الذبح بشروط، وتفتقر الذكاة إلى خمسة أشياء هي[2]:

١- الذابح: فيعتبر له شرطان:

أ- دينه: وهو كونه مسلماً أو كتابياً.

ب- عقله: فلا تحل ذبيحة المجنون أو السكران أو الصبي غير المميز.

٢- الآلة: ولها شرطان:

أ- أن تكون محددة.

ب- أن لا تكون سناً ولا ظفراً.

٣- محل الذبح: ويكون في الحلق واللّبة (وهي الوهدة التي بين أصل العنق والصدر).

٤- الذكر: وهو التسمية (بسم الله، والله أكبر).

٥- الفعل: ويشترط قطع الحلقوم والمريء والودجين -العرقين- اللذين بجانب العنق، أو معظم هذه الأعضاء.

وأهم ما يعنينا من هذه الشروط في قضية اللحوم المستوردة: الذابح وطريقة الذبح.

وأما التسمية فهي ليست مشكلة في هذا الأمر، إذ أن ذبيحة المسلم لا نسأل عن التسمية عليها، وذبيحة الكتابي نأكلها وإن تر سمية عليها.

قال الإمام النووي[3]: (ذبيحة أهل الكتاب حلال سواء ذكروا اسم الله تعالى عليها أم لم يذكروا، لظاهر القرآن العزيز، وه بنا ومذهب الجمهور) ، وقال الزهري (لا بأس بذبيحة نصارى العرب، وإن سمعته يسمي لغير الله فلا تأكل، وإن لم تسمعه ف وعلم كفرهم )، ويذكر عن علي نحوه، ولنرجع إلى الشرطين الأساسين في قضية الذبائح:

## ح ومحل الذبح:

١- الذابح: يشترط أن يكون الذابح مسلماً عاقلاً، أو كتابياً عاقلاً.

واشتراط العقل: حتى يقصد الذبح، لأن الذبح عبادة، فلا بد لها من نية (وهذا مذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكي لية)[4] ، فلا تجوز ذبيحة السكران والولد غير المميز ولا المجنون.

وعلى هذا: فلا تجوز ذبيحة المشرك ولا الكافر ولا المرتد ولا الوثني ولا الشيوعي ولا الدرزي، ولا النصيري، ولا القادياني و ، ولا المجوس، ولا الهندوسي، ولا البوذي.

والدليل على اشتراط كونه مسلماً أو كتابيا قوله تعالى:

**(اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)** (المائدة:٥).

والمقصود من طعام الذين أوتوا الكتاب هو ذبائحهم: قاله ابن عباس وأبو أمامة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحس

سان العرب طبعة بولاق (٣١١/١٨)، وأساس البلاغة للزمخشري (٢٠٦/١) طبعة دار صادر، وتاج العروس للزبيدي (١٣٧/١٠) طبعة مكتبة الحياة

لابن قدامه (٤٢/١١)، ومعجم الفقه الحنبلي (٢٠٥/١)

مجموع شرح المهذب مطبوع مع الشرح الكبير للرافعي (٧٨/٩).

٤- أنظر حكم اللحوم المستوردة للدكتور أبو فارس ص(٣٢)

ومن النصوص:

١- عن أبي أمامة مرفوعاً: (**كل ما فرى الأوداج ما لم يكن قرض سن أو حز ظفر**) وهذا الحديث صحيح رواه الد... والبيهقي[1]. ومعنى فرى: قطع، والأوداج باتفاق المعاجم اللغوية العروق التي تكتنف العنق.

جاء في الصحاح للجوهري[2] الودج: عرق في العنق وهما ودجان، وفي لسان العرب[3] أوداج: عروق تكتنف الحلقوم الأوداج: ما أحاط بالحلق من عروق.. وفي الحديث كل ما أفرى الأوداج. وفي القاموس[4]: الودج: عرق في العنق.

ومن هنا تعلم أن الرسول ﷺ حدد محل الذبح.

٢- لهذا الحديث شاهد من رواية الدارقطني وغيره عن: أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ بديل بن... الخزاعي على جمل أورق يصيح في فجاج منى: ألا أن الذكاة في الحلق واللبة)[5].

٣- وفي صحيح البخاري بإسناده عن أنس (**نهى النبي ﷺ أن تصبر البهائم**)[6].

ومعنى صبر البهائم: حبسها لترمى حتى تموت.

وقد فهم الصحابة هذا الحكم من الرسول ﷺ وتوارثه المسلمون خلفاً عن سلف، ومن الآثار الصحيحة عن الصحابة:

١- ساق البيهقي بسنده الصحيح عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: (الذكاة في واللبة)[7]، قال ابن حجر هذا اسناد صحيح، ورواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم عن ابن عباس، ورواه عبد الرزاق، ولذا بوب ال... عند هذا الحديث بابا فقال: (الذكاة في المقدور عليه ما بين اللبة والحلق).

لأن الحيوان قسمان:

أ- مقدور عليه: وهو الإنسي، وجريح الصيد الذي لحقه الصائد وفيه حياة، فلا بد من ذبحه في اللبة والحلق، وهذه ... (الذكاة الاختيارية).

ب- غير المقدور عليه: وهو المتوحش والإنسي الذي هرب واستوحش، والحيوان المتردي في بئر، فهذا يجوز أكله في أي أصابه السهم أو النصل، وهذه تسمى (الذكاة الاضطرارية).

ففي صحيح البخاري عن رافع بن خديج: [.... وأصبنا نهب إبل وغنم فند(هرب) منها بعير، فرماه رجل بسهم فحبسه، رسول الله ﷺ: إن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش، فإذا غلبكم منها شيء فافعلوه به هكذا][8].

والأوابد: جمع أبدة وهي المتوحشة.

وقد بوب البخاري للحديث السابق بعنوان[9] (باب ما ند من البهائم فهو بمنزلة الوحش، وأجازه ابن مسعود، وقال ابن ع... ما أعجزك من البهائم مما في يديك فهو كالصيد، وفي بعير تردى في بئر من حيث قدرت عليه فذكه، ورأى ذلك علي وابن وعائشه).

٢- وفي الأثر الصحيح[10]: (أن الفرافصة قال لعمر رضي الله عنه: إنكم تأكلون طعاماً لا نأكله، فقال: وما ذاك يا أبا حـ... فقال: تعجلون الأنفس قبل أن تزهق، فأمر رضي الله عنه منادياً ينادي: أن الذكاة في الحلق واللبة لمن قدر، ولا تعجلوا الأنفس تزهق).

٣- روى سعيد في سننه بسند جيد ومالك في الموطأ عن ابن عباس: (إذا أهريق الدم وقطع الأوداج فكل).

٤- وعن عطاء (لا ذبح ولا نحر إلا في المذبح والنحر)[11].

---

١- أنظر صحيح الجامع الصغير للألباني (٤٣٧٢) ج(١٦٧/٤)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٠٢٩).

٢- الصحاح للجوهري (٣٤٧/١)ط دار العلم للملايين وكذلك الصحاح في اللغة، والعلوم (ج٢/٦٧٤)، ط دار الحضارة العربية.

٣- لسان العرب (٢١٤/١٨) مصورة عن بولاق. ٤- القاموس المحيط (٢١٠/١).

٥- رسالة حكم اللحوم المستوردة لابن حميد ص(٩). ٦- فتح الباري (٦٤٢/٩).

٧- أنظر السنن الكبرى للبيهقي (٢٧٨/٩)، وفتح الباري البخاري (٦٤٠/٩)، ومصنف عبد الرزاق (٤٩٥/٤).

٨- أنظر فتح الباري (٦٤٠/٩-٦٣٣/٩). ٩- أنظر فتح الباري ٦٣٨/٩

١٠- قال النووي: وأما الأثر عن عمر فصحيح صححه ابن المنذر وذكره البخاري في صحيحه عن ابن عمر. أنظر المجموع للنووي (٧٤/٩).

ولقد سمّى رسول الله ﷺ الذبيحة التي لا تقطع منها الأوداج ذبيحة الشيطان، فقد روى أبو داود والبيهقي[١] بإسناده عن ا عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعاً: (**لا تأكلوا الشريطة فإنها ذبيحة الشيطان**).

والشريطة التي تذبح فيقطع الجلد ولا تفرى الأوداج ثم تترك، وتكاد الأمة تجمع أن محل الذبح هو اللبة والحلق.

قال ابن قدامة: (وأما المحل أي محل الذبح فالحلق واللبة، ولا يجوز الذبح إلا في هذا المحل بالإجماع)[٢].

وأما الأشياء التي تقطع فهي: الحلقوم والمريء والودجان (عرقان غليظان عريضان عن يمين ثغرة النحر ويسارها) وهذا الأكمل.

ولكن اختلف الفقهاء فيما يشترط قطعة منها[٣] قال الليث وداود يشترط قطع الجميع، واختاره ابن المنذر.

قال أبو حنيفة: اذا قطع ثلاثة من الأربعة جاز.

قال مالك: يشترط قطع الحلقوم والودجين ولا يشترط المريء.

وكان الشافعي يقول: يشترط قطع الحلقوم والمريء ويستحب قطع الودجين.

وعند الحنبلية: يشترط قطع الحلقوم والمريء ويستحب قطع الودجين، ورواية أخرى عن أحمد يشترط قطع الأربعة.

وعلة اشتراط هذا المحل[٤] لأنه مجمع العروق، فتنفسخ بالذبح فيه الدماء السيالة، ويسرع زهوق الروح، فيكون أطيب الل أخف على الحيوان.

وعلى هذا: فالذبح في الحلق حددته النصوص الواردة عن الرسول ﷺ وعن الصحابة، فمن ذبح في غير هذا المحل بالنس حيوانات الأنسية فذبيحته ميتة لا تحل، سواء كان الذابح مسلماً أو كتابياً، فمن قتل حيواناً بالصعق الكهربائي أو التدويخ تغريق في الماء الحار أو بالوقذ (الضرب على الرأس) فذبيحته ميتة لا تحل.

ومن هنا تبدو غرابة الرواية المنقولة عن ابن العربي، قال: (وسئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها هل يجوز ل معه منها، فقلت: نعم، كلوا منها فإنها طعام أحبارهم ورهبانهم، وإن لم تكن هذه ذكاة عندنا، ولكن الله سبحانه أباح لنا طعام لقاً، وليس كل ما يحرم في ذكاتنا يحرم أكله في ذكاتهم)[٥].

هذا الكلام شاذ ومردود من ناحيتين:

أولاهما: لأنه يصطدم مع كلام آخر لابن العربي نفسه، فقد نقل عنه قوله (فإن قيل: فإن أكلوه على غير وجه الذكاة كالخ لم الرأس، فالجواب أن هذا ميتة، وهي حرام بالنص، فإن أكلوها فلا نأكلها نحن كالخنزير فإنه حلال لهم ومن طعامهم وهو حر ا)[٦].

ثانيهما: اصطدم هذا القول مع نص الكتاب والسنة واتفاق جمهور العلماء.

أما الكتاب فيقول الله عز وجل: (**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمترد يحة**) هذه الآية خصصت عموم الآية الأخرى: (**...وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم...**).

قال الشيخ محمد الخضر حسين[٧]: الآية الأولى مخصصة للثانية، ولا نعلم للأولى مخصصاً، والعام الذي لم يدخله التخصيص في الدلالة مما دخله التخصيص.

وأما الأحاديث فلقد أوردت بعضها مع أقوال السلف التي حددت محل الذبح وطريقته.

وأما فتوى محمد رشيد رضا وأستاذه محمد عبده التي يقول فيها: (وإني لا أعتقد أن النبي ﷺ لو اطلع على طريقة التذ على الحيوان ولا حزر فيها كالتذكية الكهربائية (يعني الصعق بالكهرباء) إن صح هذا الوصف فيها لفضلها على الذبح.

---

ن الكبرى للبيهقي (٢٧٨/٩)، وفي السند عمرو بن عبد الله: صدوق فيه لين، أنظر تقريب التهذيب ص(٢٦٠) ط الهند.

المغني لابن قدامه (٤٤/١١).

المغني لابن قدامه مع الشرح الكبير (٤٤/١١)، والمجموع للنوي (٨٠/٩)، وفتح الباري (٦٤١/٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٠٠/٣).

لابن قدامه (٤٤/١١).

الخطاب في إباحة ذبائح أهل الكتاب لابن محمود (٩).

اللحوم المستوردة لابن حميد ص(٢٧).

الاعتصام العدد السنة (٤٤) محرم سنة (١٤٠١) ديسمبر سنة (١٩٨٠م).

أقول: هذه الفتوى لا ينقضي منها العجب، لأنه تقول على رسول الله ﷺ ويلفظ أعتقد، ولو قال إني لا أظن لكان الأمر أخف، وإن كان الأمر في الحالتين كبير جداً لأنه تقديم بين يدي الله ورسوله. **(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)** (الحجرات: ١) والصعق الكهربائي لا ينهر الدم النجس و من أجل إراقته شرعت التذكية، وهناك نصوص كثيرة في الصحيحين تشترط إنهار الدم، ففي صحيح البخاري قال ﷺ: **[ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن والظفر]**[1].

فالصعق بالكهرباء للحيوان يجعله ميتة ، وكذلك الرصاصة إن قتلته فهو ميتة، وكذلك فإنا على ضوء ما تقدم نرى ضعف استدلال الشيخ ابن محمود بالآية: **(إلا ما ذكيتم)** على جواز الذبح بأية طريقة، فقد جاء في مقاله في مجلة الامة وفي كتابه (فصل الخطاب) ما يلي فقوله تعالى: **(إلا ما ذكيتم)** خطاب للبشر جميعاً على حسب عرفهم وعاداتهم في تذكيتهم لذبائحهم، إذ ليس عندنا ما يدل على قصر التذكية وحصرها في الحلقوم والمريء)[2].

إذ أن الآية تخاطب المؤمنين، فهي الآية الثالثة من سورة المائدة: تبدأ الأولى والثانية منها بقوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا...)** فإذا دخل أي انسان في الأرض ضمن هذا الدين فلا بد من اتباع الرسول ﷺ في الصلاة والصيام والزكاة.

وبناء على ما تقدم فتعتبر أية ذبيحة لم تذبح بالطريقة الشرعية (في الحلق واللبة) بحيث ينهر دمها: أقول تعتبر ميتة.

فالمصعوقة بالكهرباء: ميتة.

والموقوذة (المضروبة): ميتة.

والمقتولة بالرصاص: ميتة.

والطيور المقتولة بالتدويخ والتغريق في المحاليل الحارة: ميتة، وفتل عنق الطير يجعله ميتة.

واستعمال قضيب الحديد يدخل في النخاع الشوكي يجعل الحيوان والطير: ميتة.

ومن المعلوم أن هذه الطرق كلها موجودة ومتفرقة في أرجاء أوروبا وأمريكا الجنوبية والدول الشيوعية، وذلك لأن الدول الكاثوليكية السكان (النصارى الكاثوليك) يبيحون أكل الميتة (المقتولة بهذه الطرق)، وبعض الدول تعتبر الطريقة الإسلامية للذبح تعذيباً للحيوان، ولذا فإنهم يعترضون على الذكاة الشرعية، وخاصة من قبل جمعيات الرفق بالحيوان في بعض الدول الأوربية.

## الفصل الثالث

# السؤال عن الذبيحة عند الشك والجهل

ذكرنا في الفصل الأول أنه لا يجوز ذبيحة غير المسلم والكتابي الذي يؤمن بكتابه، والآن نتعرض لمسألة السؤال عن الذبيحة، قال بعض العلماء المعاصرين ومنهم ابن محمود لا يجب السؤال عن الذبيحة ولا عن مصدرها، وحجتهم في رأيهم هذا حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري بإسناده عن[3] عائشة رضي الله عنها: أن قوماً قالوا للنبي ﷺ (إن قوماً يأتوننا بلحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال: سموا عليه أنتم وكلوا، قالت: وكانوا حديثي عهد بكفر).

فهذا الحديث ليس في محل الخلاف لأنه يتكلم عن ذبائح المسلمين، وذبيحة المسلم حلال، وليس علينا أن نستفسر عن التسمية عليها.

ولذا فقد بوب البيهقي[4] في سننه عند هذا الحديث (باب من ترك التسمية وهو ممن تحل ذكاته)[5] قال ابن عبد البر في التمهيد فيه (أن ما ذبحه المسلم ولم يعرف هل سمّي الله عليه أم لا أنه لا بأس بأكله، وهو محمول على أنه قد سمّى، والمؤمن لا يظن به إلا الخير، وذبيحته وصيده محمول على السلامة).

فحديث عائشة رضي الله عنها يتكلم عن قوم من الأعراب المسلمين حديثاً، بل أخذ منه الشافعية أن التسمية ليست شرطاً للإباحة كما قال البغوي في شرح السنة[6].

ولكن الخلاف حول الذبائح التي تعرض في أسواق المسلمين لا نعرف أذبحها شيوعي أم بوذي أم هندوسي أم ملحد، ولا ندري

---

١- فتح الباري (٩/٦٢١).

٢- مجلة الأمة العدد السابع السنة الأولى رجب (١٤٠١هـ) أيار (١٩٨١م).

٣- أنظر فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر (١٢/٥٤)، وانظر عمدة القاري للعيني(٢١/١١٨)

٤- السنن الكبرى للبيهقي (٩/٢٣٩).

٥- أنظر الجوهر النقي على السنن الكبرى لابن التركماني (٩/٢٣٩).

٦- شرح السنة للبغوي (١١/١٦١)

كيفية ذبحها، أنأكلها اعتماداً على حديث عائشة في أعراب المسلمين الذين كانوا يعيشون في بادية المدينة أم نسأل عنها قبل أكلها؟

فالموضوع المطروح هو (السؤال عن الذبائح المستوردة ولا نعلم ذابحها ولا طريقة ذبحها).

الجواب: يجب السؤال، لأن هذا هو حال الصحابة والسلف، وعملاً بالنصوص التي تحرم ذبائح المشركين والمجوس.

وإليك بعض النصوص:

١- قال الهيثمي في مجمع الزوائد:[1] (عن أبي سعيد الخدري قال: كان أناس من الأعراب يأتوننا بلحم ، وكان في أنفسنا ، شيء، فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **اجهدوا أيمانهم أنهم ذبحوها ثم اذكروا اسم الله وكلوا**) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات

٢- روى عبد الرزاق في مصنفه عن قيس بن السكن قال: قال ابن مسعود: إنكم نزلتم أرضاً لا يقصب (يذبح) بها المسلمو إنما هم النبط أو قال النبيط وفارس، فإذا اشتريتم لحماً فسلوا، فإن كان ذبيحة يهودي أو نصراني فكلوا فإن طعامهم حل لكم).

رجاله رجال الشيخين عدا قيس بن السكن فهو من رجال مسلم، قال ابن حجر عنه[2]: ثقة.

وكان الصحابة يسألون عن الجبن المطروح في السوق خوفاً من أن يكون جبناً مصنوعاً بأنفحة ذبيحة المجوسي -مع اختلا ي نجاسة أو طهارة أنفحة الميتة- والأنفحة نسبة قليلة جداً لا تتعدى واحداً في العشرة آلاف[3].

قال البيهقي: وقد كان بعض العلماء يسأل عن الجبن تغليباً للطهارة، وروينا ذلك عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما.

وكان بعضهم يسأل عنه احتياطاً، ورويناه عن أبي مسعود الأنصاري قال: لأن أخرَّ من هذا القصر أحب اليَّ من أن آكل ج أسأل عنه.

وعن الحسن البصري: كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عن الجبن ولا يسألوا عن السمن.

فالسؤال عن الذبيحة عند الشك أو الجهل واجب، وخاصة إذا عم البلاء، والناس يشترون اللحوم المستوردة من السوق د ج ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفي هذه الحالة تسأل الناس إذا دعيت إلى موائدهم هل اشتروا من الذبائح المستوردة أم من المذبو بلاد المسلمين.

فعلى المسلم أن يسأل محلات البيع عن نوع اللحم الذي يشتريه حتى يستبرىء لدينه وعرضه، ويعلم ماذا يدخل فمه من حـ حرام، وبعد السؤال إذا زال الشك وتحقق حل اللحم اشترى وأكل، وإن بقي الشك قائماً فماذا يصنع؟

لا بد من ترك الشراء لأن اللحوم لا تباح عند الشك.

ومن هذا المنطلق يمكن الرد على فضيلة الشيخ ابن محمود الذي لا يرى السؤال عن الذبيحة انطلاقاً من:

١- الأصل في الأشياء الإباحة.

٢- واعتماداً على حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم (سموا أنتم وكلوا).

٣- واستشهاداً بحديث رواه الدارقطني: (إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت ، رحمة لكم من غير نسيان فلا تسألوا تبحثوا عنها).

أما الأصل الأول: الأصل في الأشياء الإباحة فهذه قاعدة مقررة بين العلماء، ولكن لها استثناء عند العلماء وهو: (إلا اللـ ساع -أي الفروج-).

(فالأصل في الأشياء الإباحة إلا اللحوم والأبضاع فالأصل فيها الحرمة)، فاللحوم لا تحل إلا بالتذكية، والأبضاع لا تحل ، وسأفصل هذا -إن شاء الله-، وهذه القاعدة تكاد تكون محل اتفاق بين العلماء.

وأما الحديث: (وسكت عن أشياء...) فهو تفسير للآية (**لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**)، والحديث يفسره حديث آ ه الآية (أعظم المسلمين جُرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته).

هذا أثناء فترة التنزيل والنبي ﷺ حي، أما الآن وقد أكمل الدين وانقطع الوحي فلا بد من السؤال (**فاسألوا أهل الذكر إن كنـ ون**).

---

الزوائد للهيثمي (٤/٣٦)، ومعنى اجهدوا أيمانهم: أي حلفوهم الإيمان. ٢- تقريب التهذيب لابن حجر (٢/١٢٩).
ع للنووي (٩/٥٩).

الأصل الذي يرجع إليه عند الشك:

لا بد عند الشك أن نرجع إلى الأصل الذي يمثل اليقين، فإذا طرأ على الأصل شك فلا عبرة به، وذلك للقواعد التالية:

١- اليقين لا يزول بالشك.

٢- الأصل في الأمور الطارئة العدم.

فما هو الأصل في لحوم الحيوانات قبل الذبح؟

الأصل في جنس الحيوان الإباحة حتى يرد دليل التحريم، والأصل في لحم الحيوان المأكول الحرمة حتى نتحقق من الذكاة المبيحة، فإذا طرأ الشك رجعنا إلى الأصل.

هذه قاعدة مهمة جداً يغفل عنها كثير ممن يكتبون عن الذبائح، فيطلقون العبارة (والأصل في الأشياء الإباحة)، واليقين لا يزول بالشك، فما دام الأصل الإباحة فاللحوم المشكوك فيها مباحة.

هذه القاعدة التي قررها جميع الفقهاء، إما بعبارة النص أو بإشارة النص وهي (الأصل في الحيوان التحريم حتى تتحقق ذكاة مبيحة)[١]، وقد قال النووي: إن هذه القاعدة محل اتفاق بين العلماء ولا خلاف فيها، فقد عقب على حديث عدي بن حاتم الآتي ذكره -إن شاء الله- فقال[٢] (فيه بيان قاعدة مهمة وهي أنه إذا حصل الشك في الذكاة المبيحة للحيوان لم يحل، لأن الأصل تحريمه، وهذا لا خلاف فيه).

وقد تتبعت هذه القاعدة فوجدت أنها محل اتفاق بين الفقهاء والمفسرين والمحدثين، ثم قلت لا حاجة حتى للنص عليها لأنها بديهية، إذ أن لحم الحيوان لا يحل أكله قبل أن يذكى، فلو قطعت إلية خروف حي فهي ميتة، وهذه القاعدة تدعمها الأدلة التالية:

١- القرآن الكريم.

٢- السنة الشريفة.

٣- اللغة العربية.

٤- آراء جمهور السلف والخلف.

١- القرآن الكريم: يقول الله عز وجل: **(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم)** وسواء كان الاستثناء متصلاً (أي الاستثناء من المحرمات) فيكون المعنى: حرمت عليكم المنخنقة والنطيحة...إلا ما أدركتم فيه حياة مستقرة (ليست على شرف الزوال) فذكيتموه (ذبحتموه)، وهذا قول ابن عباس وعلي رضي الله عنهما.

أو كان الاستثناء منقطعاً (أي الاستثناء من التحريم) فيكون المعنى: حرم عليكم الميتة والدم.... سائر ما ذكر، لكن ما ذكيتم مما أحله الله تعالى بالتذكية فإنه حلال لكم، وروي ذلك عن مالك وجماعة من أهل المدينة واختاره الجبائي[٣].

وفي الحالتين تفيد أن الأصل التحريم قبل الذكاة الشرعية، قال صاحب البدائع[٤]: (استثنى سبحانه الذكي من المحرم، والاستثناء من التحريم إباحة، لأن الحرمة في الحيوان لا تزول إلا بالذبح).

٢- السنة النبوية: روى الحاكم في المستدرك بالسند الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: سئل رسول الله ﷺ عن جباب أسنمة الإبل وإليات الغنم فقال: **(ما قطع من حي فهو ميت)**[٥].

وقد روى البيهقي في السنن عن أبي واقد الليثي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة والناس يجبون أسنمة الإبل ويقطعون إليات الغنم فقال النبي: ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة[٦] حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

هذا من أوضح النصوص التي تدل دلالة قطعية أن لحم الحيوان قبل الذبح (الذكاة) نجس وميتة، ولا يحل اللحم إلا بالذبح.

---

١- انظر المجموع للنووي (٦٥/٩). ٢- شرح النووي مسلم (٧٨/١٣)، وانظر بلوغ الأماني من الفتح الرباني (٢٤٤/١٧)

٣- انظر تفسير الألوسي (٥٧/٦)، وتفسير المنار (١١٦/٦). ٤- قال الحاكم في المستدرك (٢٣٩/٤) صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

٥- بدائع الصنائع (٢٧٦٥/٦). ٦- رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، ورواه ابن ماجه عن ابن عمر ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٤٥/٩)،

[illegible] (٣٢/٤) [illegible] (٢٠/٢)، ومصنف عبد الرزاق (٤٧٤/٤)، وبلوغ الأماني بشرح الفتح الرباني (١٥٥/١٧)، وانظر صحيح الجامع الصغير

وعليه فالأصل في البهيمة التحريم.

٢- حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: وهذا الحديث في الصحيح، روى البخاري بإسناده عن عدي بن حاتم رضي الله ؛ عن النبي ﷺ قال: **{إذا أرسلت كلبك وسميت فأمسك وقتل فكل، وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه، وإذا خالط كلاباً لم يذ اسم الله عليها فأمسكن فقتلن فلا تأكل فإنك لا تدري أيها قتل، وإن رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهم فكل، وإن وقع في الماء فلا تأكل }**[1].

وفي رواية مسلم[2]: **(فإنك لا تدري الماء قتله أو سهمك)** فالرسول ﷺ بهذا الحديث بين أنه في حالة التباس الأمر واختلا يرجع إلى الأصل وهو الحرمة.

فإذا اختلط الأمر والتبس علينا القاتل أهو الكلب المسمى عليه أو الآخر يرجح جانب الحرمة ويحرم الصيد.

وإذا التبس الأمر علينا من القاتل السهم أو الماء يرجح جانب الحرمة، قال النووي[3] (إذا وجد الصيد غريقاً في الماء حر الاتفاق).

وقد ساق البيهقي[4] بإسناده الصحيح عن مسروق قال: قال عبدالله بن مسعود: {إذا رمى أحدكم صيداً فتردى من جبل فما ذ تأكلوا، فإني أخاف أن يكون التردي قتله، أو وقع في ماء فمات فلا تأكله فإني أخاف أن يكون الماء قتله}.

وحديث ابن مسعود الموقوف يشبه حديث عدي بن حاتم المرفوع، ومن هذين الحديثين استنبط العلماء ثلاثة قواعد أصوا مة وهي متقاربة في معناها:

١- البهيمة أصلها على التحريم حتى يتيقن من وقوع الذكاة[5]، فلا تستباح بالأمر المشكوك فيه ولا يحمل الأمر على حسـ ن.

٢- الأصل في الميتة التحريم، فإذا شككنا في السبب المبيح رجعنا إلى الأصل[6].

٣- اذا اجتمع سبب الحظر والإباحة كان الحكم للحظر[7] (التحريم).

٣- أقوال السلف أن العضو المبان (الساقط) من الصيد ميتة، ومما يؤيد القاعدة الكبرى في اللحوم وهي **(الأصل في البهيمة يم حتى نتحقق من ذكاة مبيحة)** أقوال السلف في السهم يسقط عضواً من الطير أو الصيد.

عن قتادة[8]: {إن ضربت الصيد فسقط منه عضو ثم عدا فلا تأكل الذي سقط وكل سائره}.

وعن عطاء[9]: {إن رميت طائراً بحجر فقطعت منه عضواً وأدركته حياً فإن العضو منه ميتة}، وعلى هذا اتفق جمهور العلماء.

قال البخاري[10] وقال الحسن وإبراهيم: إذا ضرب صيداً فبان منه يد أو رجل لا تأكل الذي بان وكل سائره.

وقال البخاري[11]: قال الأعمش عن زيد: استعصى على رجل من آل عبد الله حمار فأمرهم أن يضربوه حيث يتيسر، وقال: دعـ ـه منه وكلوا، وبهذا أفتى جمهور الفقهاء أمثال ابن عابدين وقاضنجان وابن جزيء[12].

٤- اللغة العربية: إن المعنى اللغوي للذكاة يبين أن أصل الذبيحة حرام ونجس، فمن معنى الذكاة: التطهير والتطييب، ومنه الأثر ـد بن علي (بن الحنفية ) ذكاة الأرض يبسها (أي طهارتها)، ومنه مسك ذكي أذفر: أي ساطع ريحه، قال قيس بن الحطيم[13]

*كأن القرنفل والزنجبيل وذاكي العبير بجلبابها*

ال الشرنبلالي[14]: فالذكاة إزالة الخبث فإنها شرطت لتطييب اللحم فإنها نضع لتمييز الطاهر من النجس.

ـ حدد رسول الله ﷺ في لفظ الحديث أن معنى الذكاة هو الطهار، ففي عدة روايات: **{دباغ الأديم ذكاته} {دباغها طهورها}**

---

ـسلم (١٥٣١/٣) ط دار الإفتاء كتاب الصيد رقمه (٣٤) ورقم الحديث (١٩٢٩) ٢- صحيح البخاري (٦/ ٢٢٠) ط استنبول وفتح الباري (٩/ ٦١٠).

ـنووي مسلم (٧٩/١٣)، وفتح الباري البخاري (٦١١/٩).

ـكبرى للبيهقي (٢٤٨/٩) وفيه الأعمش وإن كان مدلساً إلا أنه ممن احتمل الائمة تدليسهم كما قال ابن حجر، وانظر كذلك أحكام الجصاص (٢٩٨/٣).

ـلن للخطابي مع مختصر أبي داؤد (١٢٢/٤). ٦- فتح الباري البخاري (١٢/ ٢٠، ٥١٩/٩)، والاحكام لابن دقيق العيد (٢٠٨/٢)، ونيل الأوطار للشوكاني (١٤٩/٨).

ـجصاص (٢٩٨/٣)، بذل المجهود أبي داود (٦٨/١٣). ٨- انظر مصنف عبد الرزاق (٤٦٣/٤). ٩- انظر مصنف عبد الرزاق (٤٦٣/٤).

ـي -البخاري- (٢٣/١٢). ١١- فتح الباري -البخاري- لابن حجر (٢٣/١٢).

ـشية ابن عابدين (٤٧٣/٦)، وفتاوي قاضنجان (٣٦١/٣)، وقوانين ابن جزيء ص(١١٩)

ـس البلاغة للزمخشري (٢٠٦/١)، وتاج العروس شرح القاموس (١٣٧/١٠)، ولسان العرب (٢١٤/١٨)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٤/٢).

ـشرنبلالي، الدرر -الغرر- (١٦٤/٢).

وفي لفظ [ذكاتها دباغها] رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي وابن حبان.

فهنالك ألفاظ: دباغها طهورها، ذكاتها دباغها، ولذا معنى ذكاتها طهورها بنص اللفظ النبوي الشريف. انظر تلخيص الحبير ٤٩/١.

## إتفاق العلماء على قاعدة

# (الأصل تحريم الحيوان)

إن الفيض الدافق من نصوص المفسرين والمحدثين وفقهاء المذاهب الأربعة والزيدية وغيرهم يؤكد في تقرير هذه القاعدة:(الأصل في البهيمة التحريم حتى تتحقق من ذكاة مبيحة)، ولدي عشرات النصوص في المذاهب الأربعة، وأكتفي بنص واحد من كل مذهب:

### عند الحنفية (١):

جاء في الدرر (الغرر): (الذكاة تحل المأكول وتطهر غير نجس العين)، وفي بدائع الصنائع: (الحرمة في الحيوان المأكول لمكان الدم المسفوح وأنه لا يزول إلا بالذبح والنحر)، وفي الهداية: (الذكاة: شرط حل الذبيحة: قال ابن الهمام، وكما يثبت به الحل يثبت الطهارة) وفي حاشية ابن عابدين: (وحرم حيوان من شانه الذبح ما لم يذك). وانظر قول ابن التركماني، والسهارنفوري، والجصاص، في مثل هذا النص.

### ٢- عند المالكية[٢]:

قال ابن العربي: (قال علماؤنا: الأصل في الحيوان التحريم، لا يحل إلا بالذكاة والصيد، فإذا ورد الشك في الصائد والذابح بقي على أصل التحريم).

وانظر أقوال: الدردير، ابن رشد، القرطبي، في تقرير هذه القاعدة.

### ٣- الشافعية[٣]:

قال النووي: (الأصل في الحيوان التحريم حتى تتحقق ذكاة مبيحة)، ومثله أقوال: الخطابي، ابن حجر العسقلاني، السيوطي، والخطيب الشربيني.

### ٤- أقوال الحنبلية:

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم[٤]: (وما أصله الحظر (الحرمه) كالأبضاع ولحوم الحيوان فلا تحل إلا بيقين حله من التذكية والعقد).

ويقول ابن قدامة عن الذبائح[٥]: (... الأصل الحظر، والحل موقوف على شرط وهو: تذكية من هو من أهل الذكاة)، وبهذا قال ابن تيمية[٦] في أماكن كثيرة من الفتاوى: (... لا تحل الفروج والذبائح بالشبهات).

ونص عليه ابن مفلح [٧] في الفروع، ومنصور البهوتي[٨] في كشاف القناع. وقال ابن حميد[٩] في رسالة اللحوم المستوردة: ونص عليه ابن القيم.

### ٥- الزيدية:

---

١- أنظر الدرر(الغرر) (٢٤٤/٢)، وبدائع الصنائع للكاشاني (٢٧٦٥/٦)، فتح القدير لابن الهمام (٤٠٦/٨ وحاشية ابن عابدين (٢٩٤/٦)، والجوهر النقي -السنن الكبرى لابن التركماني- (٢٤٠/٩)، وبذل المجهود في حل أبي داود للهارنفوري (٦٨/١٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٩٨/٣).

٢- أحكام القرآن لابن العربي (٥٤٦/٢)، ابن رشد في بداية المجتهد (٤٢٦/١)، حاشية الدسوقي -الدردير متن خليل- (١٠٨/٢) وتفسير القرطبي (٧٠/٦).

٣- المجموع شرح المهذب (٦٥/٩) للنووي، معالم السنن مع مختصر أبي داود للخطابي (١٢٢/٤)، والأشباه والنظائر للسيوطي ص(٧٣)، فتح الباري لابن حجر (٥١٩/٩)

٤- حكم اللحوم المستوردة للشيخ ابن حميد -رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية- ص(٥٦) ٥- أنظر المغني لابن قدامة (٥٧١/٨)، والمغني (٥٥٠/٨، ٥٧٣/٨)

٦- الفتاوى لابن تيمية (١٩٠/٣٢، ٢١ /٩٨، ١٠٠/٢١). ٧- الفروع لابن مفلح (٦٥٦/٢)

جاء في البحر الزخار[1] لأحمد المرتضي: (فإن أمسكه كلبان لمسلم وكافر حرم أيضاً تغليباً للحظر، إذ هو الأصل في الحيوا فلا ينتقل عنه بالشك).

بعد هذا النقل عن المذاهب المعتبرة في الفقه الإسلامي يتضح بيقين أن القاعدة: (أن الأصل في البهيمة التحريم حتى تتحقق الذكاة المبيحة) محل اتفاق بين العلماء، وقد رتب الفقهاء على هذه القاعدة فروعاً تطبيقية أهمها:

## ختلاط الذبيحة المذكاة مع الميتة يحرم الجميع:

اختلاط الذبائح (الحلال مع الحرام) يحرمها جميعاً. بناء على النصوص والقاعدة المقررة بين الفقهاء ( أن الأصل فـــ حيوان المأكول الحرمة حتى تتحقق الذكاة) فقد نص العلماء أنه لا تؤكل الذبائح عند اختلاطها.

قال الخطيب الشربيني[2]: (إذا كان في البلد مجوس ومسلمون وجهل ذابح الحيوان هل هو مسلم أو مجوسي؟ لم يحل أكا لك في الذبح المبيح، والأصل عدمه، نعم: إن كان المسلمون أغلب كما في بلاد الإسلام فينبغي أن يحل، وفي معنى المجوس كل م تحل ذبيحته ).

وقال النووي في المجموع (٧٩/٩): (لو وجدنا شاة مذبوحة ولم ندر من ذبحها فإن كان في بلد فيه من لا يحل ذكاته كالمجوس تحل سواء تمحضوا أو كانوا مختلطين بالمسلمين للشك في الذكاة المبيحة، والأصل التحريم وإن لم يكن فيهم أحد منهم حلت).

وجاء في حاشية ابن عابدين[3]:(وجد شاة مذبوحة في بستانه هل يحل أكلها أم لا؟ قال الشيرنبلالي: لا يحل لوقوع الشك فـ لذابح ممن تحل ذكاته أم لا، قال ابن عابدين: الأولى أن يقال:إن كان الموضع مما يسكنه أو يسلك فيه مجوسي لا يؤكل وإلا أكل)

## ك في الذابح أو طريقة الذبح يحرم الذبيحة:

إذا شككنا في الذابح أو في طريقة الذبح تحرم الذبيحة كما هو الحال في الدول الغربية (الشيوعية والنصرانية).

فالدول الشيوعية تحرم ذبائحها لأسباب:

١- فيها نسبة من الجيل الملحد الذي ربته الشيوعية، وهؤلاء مختلطون بالناس الذين هم في الأصل نصارى -غالباً- ، وا من الذابح، وغير الشيوعي تجده على الغالب لا يؤمن بدين.

٢- هنالك طرق للذبح تصطدم مع الطريقة الإسلامية كالخنق للطيور بالماء مثلا، وهذه الطريقة مختلطة مع الطرق التي توافـ ة الشرعية للذبح.

٣- إنهم يعلنون جهاراً محاربة الأديان، فلا يسمحون في بعض الدول كبلغاريا مثلاً أن يسمي المسلمون أبناءهم أسما ، ولا يسمحون بدخولهم المدارس إلا إذا تسموا باسماء الكفار، بل لا يسجلونهم في بطاقات الولادة إن كان الاسم إسلامياً ب أولى أن لا يسمح للمسلمين أن يذبحوا على الطريقة الإسلامية.

الشك حاصل سواء في طريقة الذبح أو في الذابح وهذا يحرم الذبائح.

ما الدول النصرانية الغربية فتحرم ذبائحها لأسباب:

- وجود نسبة غير قليلة (لا تقل عن الثلث) لا تؤمن بدين مطلقاً، فهؤلاء لا تحل ذبائحهم ، وهم مختلطون بغيرهم، فالوجود ، والملحد هؤلاء وإن كانوا من نسل النصارى فهم كفار (وليسوا كتابيين)، لأنه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[4]: (إنم ـح اليهود والنصارى لأنهم آمنوا بالتوراة والإنجيل)، ونسبة الملحدين أو اللادينين نسبة ترتفع في بعض البلدان إلى النصـ ـ كان ربع السكان[5] لا دينيين واختلطت ذبائحهم مع باقي الذبائح لحرم الجميع.

- وجود طرق غير شرعية في الذبح خاصة في الطيور، فلقد ثبت أن قسماً غير قليل من المصانع يخنقها بالتدويخ الكهربائـ بالماء الحار لإماتتها، ولقد شاهدت في أوروبا الطيور معروضه للبيع وهي ميتة برأسها ورقبتها، وقرب أخوان وفتشا عن أثـ

---

خار (٢٩٦/٥). ٢- أنظر فقه السنة (٢٩٠/٢). ٣- حاشية ابن عابدين (١٧٦/٦).

ند (٣٦/٤) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه اسماعيل بن عمر البجلي، وثقة ابن حبان وغيره.

ند (٣٦/٤) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه اسماعيل بن عمر البجلي، وثقة ابن حبان وغيره. ٥- لقد اخترت نسبة الربع لأن من ا ؤلاء جعلوا الربع حداً للقليـ والكثير.

للذبح في رأسها ورقبتها فلم يجدا أثراً.

وهناك طريقة القتل بقطع الحبل الشوكي (النخاع الشوكي)، أما الغنم فيستعملون لقتله قضيباً من الحديد لقطع الحبل الشوكي فيموت، ويستعملون الرصاصة للثيران، فيضربون الثور برصاصة في رأسه ويذبحونه فوراً بعدها، إن الثور في الغالب لا يموت، ولكنهم إن تأخروا عن ذبحه فإنه يموت، والرصاصة لتدويخ الثور وتقليل مقاومته أثناء الذبح.

وهناك طريقة الوقذ (ضربها على رأسها بمرزبة حديد) تقتلها رأساً.

وعلى كل حال فلو كان تسعة أعشار طرق الذبح شرعية وعشرها غير شرعي تحرم جميع الذبائح عند اختلاطها.

٣- إن الكنيسة الكاثوليكية -اليوم- تبيح المنخنقة والموقوذة.

قال صالح علي العود المقيم في فرنسا[1]: (...سألت الأب هوبوز عن الطرائق المتبعة لإزهاق روح الحيوان في مسالخ باريس وأوربا، فقال هوبوز: أنت تعلم أن هذه المسالخ ملك الدولة، والدولة لا تلتزم بشرع، وسألته عن نصوص تحريم الميتة والدم، فقال موجودة في العهد القديم والجديد، ولكن الكنيسة ألغت العمل بها).

٤- القصاب السكران لا تجوز ذبيحته، وقسم منهم يسكر. (أحكام الذكاة في الإسلام وذبائح أهل الكتاب والأوربيين حديثاً لصالح علي العود التونسي- ص(١١).

٥- بناء على القاعدة: (أن الظن المستفاد من الغالب راجح على الظن المستفاد من الأصل)[2] ، فالأصل أنهم أهل كتاب، والغالب يخالف ذلك، فالإسلام عندما أباح ذبائح النصارى فقد أباحها لأنهم يذبحون كالمسلمين، ويعتقدون بعيسى وبدينهم، واشترط أن لا نسمع منهم الإهلال لغير الله.

وليس الأمر كاليوم: فطريقة الذبح لا توافق الذكاة الإسلامية أحياناً، وقسم غير قليل لا يؤمن بدين، فلقد ظلت مجلتان في شيكاغو تتحاوران حول المسيح -عليه الصلاة والسلام- ستة أشهر فيما إذا كان شخصية حقيقية أو أسطورة خرافية.

أما اليهود -لعنهم الله- فلا زالوا يحافظون على الذبح حسب تقاليد دينهم، فيذهب الحاخام أو رجل دين إلى المزرعة ويذبح أعداداً كثيرة في يوم واحد، وإذا علبت بعضها يكتبون عليها (K) أي (Kosher) (يهودي)، وإذا سافروا بشركات الطيران فيشترطون على الشركة أن تحضر لهم طعاماً يوافق الشريعة اليهودية من ناحية الذبح وخلوه من الخنزير، فتكتب الشركة بجانب اسمه (K.Meal) (وجبة يهودية)، وحبذا لو غارت الدول الإسلامية على دينها فاشترطت الوجبة الإسلامية، فذبائح اليهود حلال في الشريعة الإسلامية حتى اليوم.

## واقع المسالخ الغربية

المسالخ عديدة وطرقها في الذبح متنوعة، منها الموافق للشرع، ومنها المخالف، ومن هذه الطرق:

١- تحذف جبهة الحيوان بحديدة قدر الإنملة من مسدس فيموت، ويتم سلخه دون إعمال سكين ولا ذبح ولا نحر، كما شاهد هذا صالح عود التونسي بنفسه في مسلخين بضواحي باريس.

٢- وقال صالح: أما الدجاج فيصعقونه بالتيار الكهربائي بمسه في أعلى لسانه فتزهق روحه، ثم يمر على آلة فتنتف ريشه.

٣- نشرت مجلة المجتمع العدد (٤٢١) شهر ذي الحجة (١٣٩٨هـ) شهر نوفمبر سنة (١٩٧٨م) الدراسة القيمة التي قام بها عبد الله بن علي الغصينة في القصيم- بريدة، مع صورة مصنع الدجاج الذي يذبح ويصدر، فقال:

أ- تحضر السيارة الدجاج من الحظائر، وربما مات بعضه على الطريق.

ب- تعلق الدجاج بأرجلها، ثم يحيط بها حزام متحرك فوق الرأس فتذبح بطريقة آلية، حيث تمر بجهاز كتب تحته (الذبح بطريقة التدويخ)، ثم وهو بيت القصيد: مغطس ضخم كتب عليه (جهاز محرق جداً) يعمل بالبخار أو الماء، فتغطس به الدجاجة المسكينة لتفقد آخر رمق من الحياة (كل هذا من كاتالوج المصنع).

٤- نشرت مجلة المجتمع عدد (٤١٤) ذي القعدة سنة (١٣٩٨هـ) اكتوبر سنة (١٩٧٨م) نداء من جمعية الشباب المسلم في

الدينمارك قالوا فيه: إن كثيراً من طرق الذبح ليست شرعية.

٥- أصدر المجلس الأعلى العالمي للمساجد[1] بمكة المكرمة في دورته الرابعة توصية بمنع استيراد اللحوم المذبوحة مر الخارج.

٦- الشيخ عبد العزيز البناني[2] مبعوث رابطة العالم الإسلامي إلى البرازيل وجد أن الذبح بطريقة الوقذ: ضربها بمرازر (أثقال) من حديد على رأسها فتموت لساعتها ويتدلى لسانها.

٧- الدكتور محمود الطباع مع إخوانه المسلمين زاروا مسالخ هانوفر- ألمانيا فرأوا أن الأبقار تموت بالإطلاق على رأسها مر مسدسات.

٨- حدثني فضيلة الشيخ عمر الأشقر فقال: لقد رأيت بعيني طيوراً معدة للأكل، فنظرت فيها فإذا هي برأسها ورقبتها كم ي ليس فيها أثر حز أبداً ولا ذبح.

وقال الشيخ عمر: لقد جاء إلى الكويت كرتون دجاج مكتوب عليه مذبوح على الطريقة الإسلامية، ففتح فإذا بالدجاج برؤوسر قابه دون ذبح.

وقال الشيخ عمر: لقد خطبنا وتكلمنا عن هذه المسألة وفي مجلة المجتمع، فقامت بلدية الكويت بتشكيل لجنة للطواف علم مالخ الغربية، فذهبت اللجنة وبعد عودتها قالت: لقد وجدنا بعد طوافنا على الكثير من المسالخ الغربية أن الذبح بالطريقة الشرعيـ سلامية) لا تتعدى نسبة عن (٣٠٪)، أي أن النسبة الشرعية أقل من الثلث، ونشر هذا في الصحف الكويتية، أبعد هذا يجوز أكا م الحيوانات والطيور المذبوحة في الغرب؟!!.

## الشهادات بالذبح على الطريقة الإسلامية

١- يرافق صفقة اللحوم عادة شهادات موقعة من أحد المراكز الإسلامية في الدولة المصدرة، وهذه الشهادات في معظمها ؟ بها، لأنها تشترى شراء في بعض الأحيان، وتعطى من مراكز قاديانية (باسم الإسلام) في أحيان أخرى، مثل شركة (الحلا دق) التي يملكها القادياني (حلال صادق) في استراليا، وتصدر إلى الدول الإسلامية.

٢- حدثني الدكتور البيطري محمد خالد، وهو ثقة صادق كما نحسبه ولا نزكيه على الله، أنه كان يشرف على مسلخ طرابلسر ليبيا، فأرسلوا مشرفاً على الذبح في رومانيا، فذهب المشرف المبعوث من ليبيا وعاد بعد فترة وجيزة وبقيت شحنات اللحو ردة لفترة طويلة تأتي باسمه موقعاً على شهادات أنه مذبوحاً على الطريقة الإسلامية، فسألته عن الأمر فقال: لقد وقعت علم وراق قبل أن أعود، وتابع المشرف فقال: وقضية الإشراف مهزلة، فلقد أشرفت في اليوم الأول على ذبح عدة ذبائح، فنظرت فإذ مائة ذبيحة قد علقت دون إشراف مني، فتركت المسلخ ووقعت على أوراق كثيرة.

٣- أما الشهادات التي ترافق اللحوم موقعة بخاتم مفتي الدولة المصدرة فإنها غير موثوقة غالباً، لأن المسألة اقتصادية ماد معبود الدول الغربية والشيوعية على وجه خاص فلا يستطيع المفتي أن يخالف الدولة -هذا إن كان صادقاً-، ولكنك تجد م قد ذابوا في حمأة الحزب الشيوعي، وأصبحوا أبواقاً لسكرتير الحزب واللجان المركزية، ولو كانت الشهادة من مفتي في لدول الإسلامية الثورية ما صدقه الناس، فكيف بالشهادة من مفتي في بلد شيوعي يحارب الإسلام بالحديد والنار؟ وينقل لذ المسلم أن بعض المفتين أعضاء في الحزب الشيوعي ومنظماته الثورية.

**من أجل أخذ صورة عن فتاواهم:**

توا في الاتحاد السوفياتي أنه يكفي صيام ثلاثة أيام من رمضان، والحسنة بعشرة أمثالها فهذه ثلاثون يوماً.

د قام وفد إفتاء من دولة شيوعية -تصدر اللحوم- إلى العالم الإسلامي بزيارة إلى الأردن، وقبل مغادرته الفندق طالب الفندق بناراً ثمناً لأنواع الخمور، فاضطرت الوزارة التي استضافتهم أن تدفع الثمن تحت اسم خدمات ومرطبات، وهذا المفتي الذي

---

[1] تصام عدد (١) سنة (٤٤) محرم سنة (١٤٠١هـ) ديسمبر (١٩٨٠م)، صحيفة أخبار العالم الإسلامي عدد ٦٢١ سنة ١٦، مجلة الدعوة السعودية عدد (٦٧٦)

[2] العدد السابق نقلاً عن مجلة النهضة الإسلامية عدد (١١٧).

ينفق مع وفده (٨٠) ديناراً على الخمر هو الذي يوقع الشهادات.

### المغلفات المعنوية (مذبوح على الطريقة الإسلامية):

يكتب على المغلفات مذبوح على الطريقة الإسلامية، فهذه المطبوعات تطبع من قبل شركات استيراد اللحوم في الدول الإسلامية وترسل إلى المسلخ، أو تصنع أختام وترسل إلى الشركة، ولقد وصل شحنة أسماك مكتوب عليها مذبوح على الطريقة الإسلامية.

وفي عمان اكتشفت أمانة العاصمة قبل سنوات عند شركة ملصقات كثيرة مكتوب عليها مذبوح على الطريقة الإسلامية حتى تلصقها على علب اللحم فور وصولها.

ولقد جاء إلى وزارة الأوقاف الأردنية وأنا فيها علبة لحم مكتوب عليها مذبوح على الطريقة الإسلامية، لحم بقر صافي ١٠٠٪ وفي الجهة المقابلة باللغة الألمانية أنها تحتوي نسبة من شحم الخنزير.

وبناء على ما تقدم تحرم الذبائح المستوردة من الغرب (الشيوعي والرأسمالي)، هذا هو الأصل -والله أعلم- فلينتبه المسلمون لدينهم، وليعلموا ماذا يأكلون؟ وفي الحديث الصحيح: **[من يكفل لي ما بين لحييه** -(فمه ولسانه) بالطعام والكلام- **وما بين رجليه أكفل له الجنة]**.

## حل المشكلة

١- بالنسبة للمسلمين في البلدان الإسلامية: يجب على الدول الإسلامية المستوردة للحوم:

إما: أن تشتري مسالخ في أوروبا وتوظف بها من المسلمين القاطنين في تلك البلد، فهناك جاليات إسلامية باكستانية ويمنية كبيرة في بريطانيا مثلاً، وجاليات تونسية وجزائرية ومغربية في فرنسا.

أو: تستورد حيوانات حية وتذبح في بلادها -وهذا مكلف-.

أو: تستورد من بلدان إسلامية مثل تركيا والسودان وتعطيها قروضاً لبناء مصانع آلية حديثة تذبح على الطريقة الإسلامية.

٢- بالنسبة للطلاب المسلين في الغرب: لا بد أن يذبحوا أو يتأكدوا من الذبح، وذلك:

إما: بالاشتراك الجماعي في ذبيحة يذبحونها ويخزنون اللحم.

أو: بالشراء من اللحم الحلال لانه أطيب وإن كان أعلى ثمناً يذبحه المسلمون هناك كالباكستانيين.

أما الطيور فأمر شرائها وذبحها -والله أعلم- أسهل.

**مسألة:** ذبح الأنعام من القفا وليس من الأمام في الرقبة، هناك بعض المسالخ وفي الدول الإسلامية تنزل شفراتها على رقبة الحيوان من الخلف.

وهذا جائز عند جماهير العلماء، وحكاه ابن المنذر[١] عن الشعبي والثوري والشافعي وأبي حنيفة واسحق وأبي ثور ومحمد، وذلك لأن السكين تقطع الحلقوم والمريء والأوداج قبل موت الحيوان، وخالف المالكية[٢] فحرموا الذبح من القفا.

قال البخاري[٣]: قال ابن عمر وابن عباس وأنس: إذا قطع الرأس فلا بأس (ولم يحددوا من أي جهة كان).

## مسألة الذبح بجانب مسجل يردد (بسم الله)

لا يجوز، لأنه كالصلاة وراء الراديو، ولأن الذبح عبادة، فلا بد لها من متعبد عاقل، هذا أقصى ما قدرت عليه، فإن كان صواباً أرجو الله أن ينفعني به والمسلمين، وأن يلهمنا العمل، ويحبب إلينا طاعته وعبادته، وإن كان خطأ فأرجو الله أن يعفو عني، وحسبي أني اجتهدت صادقاً وطمعت أن ينفع الله به المسلمين، ونرجو الله إن كان هذا الكلام خطأ أن يصرف عنه القلوب ويحبب إليها الصواب والحق، ويلهمها الرشد والفلاح، ورحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي وبين خطئي وأوصل الحق للمسلمين، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا

وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين(١).

الفقير إليه تعالى

عبدالله عزام

مكة في (٢٩) رمضان سنة (١٤٠١هـ - ١٩٨١/٧/٣٠م)

---

الكتاب (الذبائح واللحوم المستوردة) حل معضلة طالما أقلقت الجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا، وطالما أشكلت على المسلمين في البلاد الإسلامية التي أصبحت دولهم تعـ
ـاداً أساسياً على اللحوم المستوردة.

على العلماء الأفاضل الذين أخذوا النصوص على ظواهرها فأفتوا بحل اللحوم المستوردة عموماً مستدلين بقوله تعالى: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) كما استدلوا بقـ
ـدة الأصولية: "الأصل في الأشياء الإباحة".

ذلك بالأدلة النقلية من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوال الأصوليين والمفسرين والمحدثين وبالأدلة العقلية والشواهد الظاهرة.

في هذا الكتاب مخطوطاً أكثر من أحد عشر عاماً لظروف كثيرة، منها: فقدانه لفترة من الزمن، بعد ذلك كتب له الشيخ مقدمة وأمر بطبعه قبل استشهاده بشهر، واليوم نخـ
ـل كتراث وفتوى مهمة في حياة الجيل (الناشر).

# انحلال الزواج

# في الفقه والقانون[1]

(١) رسالة لنيل إجازة الليسانس في الشريعة الإسلامية من جامعة دمشق سنة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦-١٩٦٧م . بإشراف: الدكتور عبد الرحمن الصابوني

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

❊ [ ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ]

❊ [اللهم افتح علينا فتوح العارفين]

❊ [اللهم اشرح صدورنا بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحينا بمعرفتك، وأمتنا على الشهادة في سبيلك]

❊ [اللهم افتح علينا فتوح العارفين، واجعلنا من العالمين العاملين بكتابك]

❊ [يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين]

# الإهداء

لى الروح الطاهرة.

لى النفس المؤمنة.

لى الجسد الطيب.

لى من أشعل جذوة الإيمان في فؤادي.

ى من أجج شعلة النور في نفسي.

ى من حمل مشعل النور ليضيء أمامي الجادة القويمة.

ى المصحف الذي تمثل حياً في عالم الواقع.

ى من علمني الزهد في الدنيا فخلص روحي من لوثة الطين ولطخة الدم ونعرة الجنس وقيود المادة.

ى من خلصني من حمأة الجاهلية وهوة البهيمية.

ى عالم النور والانطلاق.

ى الجوهرة التي ثوت تحت رمال الصحراء إلى يوم الدين.

ى من أيقظ في ضميري وأحيا في نفسي أن روابط العقيدة فوق المصالح القريبة، وأن وشائج الإيمان أسمى من الأعراض

، وأن صلات الأخوة أزكى وأطهر وأقوى وأمتن.

الأخ المرحوم شفيق أسعد عبد الهادي طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه.

عبد الله يوسف مصطفى عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه إمام المتقين، أنزل عليه النور المبين، نزل به الروح الأمين ليكون بشيراً ونذيراً للناس أجمعين، والرضوان على صحابة محمد ﷺ وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ونبتهل إليه تعالى أن يجعلنا من عباده المخلصين ومن الطائفة الذين لا يزالون ظاهرين إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه الرسالة التي نقدمها لنيل إجازة الليسانس في الشريعة بإشراف الدكتور الفاضل عبد الرحمن الصابوني قد استقينا الآراء الفقهية فيها من كتب المحدثين العظام، وتوخينا أن نضمن الرسالة جميع ما عثرنا عليه في كل مسأله من آراء وأقوال الصحابه والتابعين وفقه الأئمة الأربعة، بالإضافه إلى آراء جميع المذاهب الاسلاميه والأقوال الراجحه والمشهورة والاختلافات في كل مذهب، مع ذكر المفتى به في كل منها. وقد دعمنا كل رأي من الآراء بحججه ودلائله.

**أما القانون:** فقد تعرضت بصورة رئيسية إلى القوانين المعمول بها الآن في الأردن وهو قانون العائلة (الأردني) رقم ٩٢ الصادر سنة ١٩٥١م، والمرجع الأول بعد قانون العائلة (الأردني) في المحاكم الشرعية هو [شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية لمحمد زيد الأبياني بك].

ثم قانون الأحوال الشخصيه السوري الذي وضعته اللجنه التي ألفت في ١٩٥١/١٢/٢٦م المؤلفة من محمد صبيحي الصباغ ومصطفى الزرقاء ومحمد علي الطنطاوي. وقد نشر هذا القانون بتاريخ ١٩٥٣/٩/١٧ وتعرضت كذلك إلى القانونين المعمول بهما الآن في مصر وهما القانون رقم ٢٥ الصادر سنه ١٩٢٠م والقانون رقم ٢٥ الصادر سنه ١٩٢٩م، وتعرضت استثنائياً إلى المعمول به في المحاكم السودانيه.

والله ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

# الباب الأول

به ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** عرض تاريخي.

**الفصل الثاني:** موقف الإسلام.

**الفصل الثالث:** الطلاق والفسخ وأحكامهما.

## الفصل الأول

## عرض تاريخي- المرأة والطلاق في الشرائع

مسألتان من مسائل التمدن البشري وأعظمها خطورة، يتوقف على حلهما السليم المتزن- في الإنسانيه وسعادتها:

أما الأولى فهي صلة الرجل بالمرأة وحقوق كل منهما وواجباته.

وأما الثانية فهي علاقه الفرد بالجماعة.

وموضوعنا اليوم هو ما يتصل بالرجل والمرأة:

أما بالنسبة للمرأة فقد رفع الإسلام من شأنها، وسما بمكانتها إلى المنزلة اللائقة بها، وأحلها القمة السامقة التي لم تكن من قبل حتى في خيالها.

لقد سبق الإسلام حضارات كثيرة منها:

١- **اليونان:** فلقد كان اليونان يعتبر المرأة منبع الآلام، ولا تخفى علينا الأساطير التي اتخذت امرأة خياليه تدعى (باندورا) هي الآلام، وكيف أن اليونان بعد فساد أخلاقهم وانحلالهم جرفهم تيار الغرائز البهيمية، والأهواء الجامحه، فتبوأت العاهرات ات قمة المجد، وانتشر نماذج الفن العاري، وارتطموا في حمأة الرذائل حتى أصبحوا لا يرون غضاضة بأن يخادن الرجل نا بغير عقد. وانتشرت فيهم عبادة(افروديت) التي خادنت ثلاثة آلهة مع كونها زوجة إله خاص، ومن بطنها تولد (كيوبيد) إله لقد بلغت بهم سوره البهيمية وشهوة الحيوان إلى أن بنوا لرجلين هما{ هرموديس وارستو جسيتن} اللذين جمع بينهما الحب رمة قوم لوط التي تأباها الفطرة البشرية، ولذا فإننا نستطيع الحكم بأنه لم يكن هناك كبير احترام للعقد الشرعي، وكذا فلا لاق بعد ذلك}. (١)

- **الرومان:** كان الاب عندهم أول أمرهم رب الأسرة، ولكنه متسلط حتى أنه يجوز له قتل زوجته، ولقد كانوا في أول أمرهم لى العفاف بإجلال، ثم أخذت نظرتهم تتبدل من حيث الأسرة وعقد الزواج والطلاق، فلم يبق لعقد الزواج معنى سوى أنه عقد حصر بقاؤه برضى المتعاقدين، وأصبحوا لا يهتمون بتبعات العلاقة الزوجية، ومنحت المرأة حقوق الإرث والملك، بل أصبحت بقرضن الأزواج بالربا الفاحش.

سهلوا من أمر الطلاق، فهذا سنيكا الفيلسوف الروماني الشهير{ ٤ ق . م-٦٥م} يشكو كثرة الطلاق فيقول:

نه لم يعد الطلاق اليوم شيئاً يندم عليه أو يستحيا منه في بلاد الرومان، ولقد بلغ بالنساء أن يعددن أعمارهن بأعداد ٢).

ذكر مارشل امرأة تزوجت عشرة رجال.

جوونيل فذكر أن امرأة تقلبت في أحضان ثمانية أزواج في خمس سنوات، وأعجب من ذلك ما ذكره القديس جروم {امرأة المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها وكانت هي الحادية والعشرين من أزواجه}.

---

أبو الأعلى المودودي ص١٥.    (٢) الحجاب: أبو الأعلى المودودي ص ٢٢

وأخيراً بلغ بهم الحد إلى اعتبار الفحشاء شيئاً عادياً، فهذا [كاتو: الذي أسندت إليه الحسبة الخلقيه يجهر بجواز الزنا للشباب، أما شيشرون: فيرى عدم تقييد الشباب بأغلال الأخلاق حتى أن ابكتيتس - من فلاسفة الرواقيين- يقول : تجنبوا عشرة النساء قبل الزواج ما استطعتم، ولكن لا ينبغي أن تلوموا أحداً إذا لم يتمكن من كبح شهوته. وأخيراً ازداد التبرج المقوت والعري المشين، حتى أن مسرحية فلورا: سباق النساء العاريات](١) راجت وانتشرت.

أما الديانه الموسويه (اليهوديه) فلقد حسنت من حالة الزوجة، ولكنها أباحت الطلاق وقد سعت في إباحته، [فيجبر الرجل شرعاً أن يطلق امرأته أن ثبتت عليها جريمة الفسق، حتى ولو غفر لها هو تلك الجريمة النكراء، وكان القانون يجبره أيضاً على أن يطلق امرأته إن لبثت معه عشر سنين ولم تأته بذرية](٢) .

المسيحية:

ثم جاءت المسيحية فأرادت أن تنقذ الناس ببلسم شاف وعلاج ناجع، ولقد أدت المسيحية خدمات جلى في وقف تيار المجون والانهيار الخلقي. إلا أن الفكرة التي كان يحملها الآباء المسيحيون عن علاقة الرجل بالمرأة جاوزت حد التطرف، وكانت حرباً على الفطرة البشرية، من جانب آخر فالمرأة عندهم هي ينبوع الأحزان وأصل الآلام والفجور.

يقول ترتوليان[ أنها مدخل الشيطان إلى النفس، وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة، ناقضة لقانون الله، مشوهة لصورة الله -أي الرجل-](٣) ، أما سوستام وهو من أقطاب المسيحية[هي شر لابد منه، ووسوسة جبلية، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتانه، ورزء مطلي مموه](٤) ، وكان من سلطة المسيحية وتأثيرها أن أصبحت المرأة تحت هيمنة الرجل وقبضته اقتصادياً، وأما حقوقها في الإرث والملكية فهي محدودة، وكل ما عندها لزوجها ولو من كسب يدها.

كذلك لا يباح الطلاق والخلع مهما بلغ البغض والكره والتنافر والشقاق، وأقصى ما يمكن فعله في بعض الحالات الشاذة أن يسمح بالفراق بينهما على شرط عدم تجديد حياة زوجية لكل منهما.

ولذا فإننا نرى بأن المسيحية قد خالفت الديانة الموسوية وحرمت الطلاق، جاء في إنجيل متى ص ٢١، ٢٢ (قد قيل من طلق امرأته فليدفع إليها كتاب طلاق، أما أنا فأقول لكم من طلق امرأته إلا لعلة زنا فقد جعلها زانية، ومن تزوج مطلقة فقد زنا)(٥).

وفي إنجيل مرقس ص ١٠، ١١، ١٢ { من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإذا طلقت المرأة زوجها وتزوجت بآخر ارتكبت بذلك جريمة الزنا} (ما جمعه الله لا يصح أن يفرقه الإنسان) (٦).

واختلفت المذاهب المسيحية في تحريم الطلاق، فرغم أن الإنجيل يحله لجريمة الزنا فإن المذهب الكاثوليكي يحرمه بتاتا:

أ-المذهب الكاثوليكي[لا طلاق البته في شريعة المسيح، ويؤولون الزنا المبيح للطلاق أنه عقد فاسخ في ذاته، فليس له من شرعية العقد وصحته إلا الظواهر](٧).

ب -أما أتباع المذهب البروتستانتي فيجيزون الطلاق في أحوال معينة منها زنا الزوجة وخيانتها لزوجها، ولكن يحرمون على المطلق والمطلقه أن ينعما بحياة جديدة في ظل الزواج.

ج-أما المذهب الأرثوذكسي فقد أجازت مجامعه المليه الطلاق في مصر إذا زنت الزوجة كما في الإنجيل، وأضافوا أسباباً أخرى منها العقم ثلاث سنوات، وكذلك في حالة المرض المعدي، والخصام الطويل، ولكن المحافظين منهم أنكروا هذا الاتجاه وقالوا بأنه تغيير في شريعة المسيح) (٨).

وفي جميع المذاهب المسيحية لا يسمح لرجال الكنيسة أن يتزوجوا.

ولذا فإننا نرى أن الزوجين في المسيحية إذا وقع الخلاف بينهما يكونان بين أمرين لا ثالث لهما: إما أن يعيشا عيش الرهبان محطمين غريزتهم الجنسية وفطرتهم الطبيعية إلى الأبد، أو أن يتعاطيا كؤوس الفحشاء والفجور.

---

(١) الحجاب- ابو الأعلى المودودي ص ٢٢، ٢٣. (٢) الحلال والحرام في الإسلام- يوسف القرضاوي ص ٢٠٩ نقلاً عن كتاب الإسلام دين عام خالد للمرحوم فريد وجدي ص ١٧٦.
(٣) الحجاب أبوالأعلى المودودي ص ٢٦. (٤) المصدر السابق ص ٢٦.
(٥) الحلال والحرام في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٢٠٩ نقلاً عن إنجيل متى ومرقس (٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) المصدر السابق نفسه

## ما أوروبا الجديدة:

فلا يخفى علينا الدرك الذي انتكست فيه، والحمأة التي ارتكست فيها، والحضيض الذي استقرت فيه، والمستنقع الآسن الذي خبط فيه، خاصة بعد الثورة الفرنسية حيث عملوا حسب دعواهم إلى:

١-مساواة الرجل بالمرأة.

٢-استقلال النساء في معاشهن .

٣-الاختلاط المطلق.

ونتيجة لهذه النداءات تقوضت أركان الأسرة، وتهدمت جدرانها، فوهنت العلاقة الزوجية، واستغنى الرجل والمرأة كل عن الآخر، عواطف الحب والغرام المنبعثة من الشهوة البهيمية فلا تلبث سورتها أن تخف، وأوارها أن ينطفئ ونارها أن تخمد.

وانطفاء جذوة الحب كفيل بتحطيم هذا العش الزوجي، وأواصر الزوجية عندهم تؤول إلى فراق أو طلاق، وهذه الحالة الراهنة السبب في شيوع المفاسد، من منع الحمل، وإسقاط الأجنة، وقتل المواليد، وانخفاض نسبة المواليد، وكثرة أولاد الحرام، وانتشار عشة والخلاعة، وازدياد الأمراض الجنسية السارية الفتاكة.

**والصور التالية والأرقام الآتية تبين صحة هذا:**

[يقول بيولو محامي فرنسا العام: إن عدد النساء الفرنسيات اللواتي كن يحترفن البغاء قبل الحرب الأولى نصف مليون](١)، محافظ بلدية في شرقي فرنسا اضطر للتدخل سنة ١٩١٢م لإنقاذ فتاة فرغت من سبعة وأربعين واردا في يومها، وكان عدد منهم الباب](٢).

[وأن فرنسا اضطرت في السنتين الأوليين من سني الحرب العالمية الأولى إلى إعفاء خمسة وسبعين ألفاً من الجندية بسبب تهم بمرض الزهري الخطر، يقول الدكتور ليريد: (طبيب فرنسي نطاسي) أنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالزهري)، وإن في الألف فقط في فرنسا يتزوجون](٣).

ولهذا كله ضعفت رابطة النكاح وبلغت من الوهن أن ينبت أصلها لأدنى مناسبة، وربما لم تزد مدة الرابطة بضع ساعات كما ن رجل فرنسي فاضل؛ تقلد الوزارة مرات أنه طلق امرأته بعد خمس ساعات من عقد الزواج، وربما كان من أسباب الطلاق تافهه تضحك الثاكل، كاشمئزاز أحد الزوجين من غطيط نوم الآخر، أو أن أحدهما لا يحب كلب الآخر.

وقد فسخت محكمة سين مائتين وأربعة وتسعين عقداً في يوم واحد، ووقع في سنة ١٨٨٤م التي قرر فيها قانون الطلاق الجديد طلاق، وبلغ هذا العدد سنة ١٩٠٠ سبعة آلاف طلاق و ١٦ ألف طلاق سنه ١٩٠٣، و ٢١ ألف طلاق سنة ١٩٣١] (٤).

هذا في فرنسا معقل الحضارة الأوروبية المزعومه، أما بالنسبة للبلدان الأوروبية الأخرى فقد نشرت مجلة حضارة الإسلام لدكتور المرحوم مصطفى السباعي في كتابه المرأة بين الفقه والقانون ما يلي:

ـل الإحصاءات في السويد على أنه بين كل ٧ زيجات تنتهي واحده بالطلاق، وفي النرويج تنتهي كل ست زيجات بطلاق واحدة. يس نادراً أن تجد شابات في الثلاثين في الدانيمارك قد طلقن مرتين أو ثلاث مرات. أما في سويسرا فتنتهي كل ٣ زيجات حدة] (٥).

## أمريكا

ولد سنة ١٩٥٩م ٢٢١ ألف طفل غير شرعي، أي بنسبة ٥٢. من نسبة الأطفال، وفي إنجلترا ولد ( ٧٠ ألف طفل حرام سنة ).

ء في كتاب (السلام العالمي في الإسلام) للكاتب الإسلامي الكبير العملاق الشهيد سيد قطب ما يلي

---

المودودي- ص ٩٩ مستقى من كتاب العالم الاجتماعي الفرنسي الشهير (بول بيرو) المسمى Towards Moral Bankruptcy

للكاتب الإسلامي العظيم- أبو الأعلى المودودي ص ١٠١ مستقى من كتاب العالم الفرنسي (بول بيرو) Towards Moral Bankruptcy

المودودي- ص ١١٣ (٤) الحجاب- المودودي-ص ١١٧-ص ١١٨.

لفقه والقانون- الدكتور المرحوم مصطفى السباعي ص ٢٤١ نقلاً عن مجلة حضارة الإسلام المجلد الثاني سنة ١٣٨١هـ ص ٢٦٥ (٦) المصدر السابق

وهذر فارغ يكذبه الواقع ما تلهج به ألسنة الببغوات هنا وألسنة الشاردين هناك من أن الاختلاط يهذب المشاعر، ويصرف الطاقات المكبوتة، والاختيار القائم على التجربة كفيل بالبقاء والاستمرار، أقول هذر يهدمه الواقع، واقع الانحرافات الدائمة، والتحولات المستمرة في العواطف، وتحطيم البيوت بالطلاق، وانتشار الخيانات الزوجية، واسألوا نسبة الحبالى من بنات المدارس الثانوية في أمريكا وقد بلغت في إحداها ٤٨٪. أما نسبة الطلاق نتيجه الاختلاط بالإحصاءات كما يلي في أمريكا:

| السنه | نسبة الطلاق | السنة | نسبة الطلاق |
|---|---|---|---|
| ١٨٩٠ | ٪٦ | ١٩٤٠ | ٪٣٠ |
| ١٩٠٠ | ٪١٠ | ١٩٤٦ | ٪٣٠ |
| ١٩١٠ | ٪١٠ | ١٩٤٨ | ٪٤٠ |
| ١٩٢٠ | ٪١٤ | ١٩٣٠ | ٪١٤ |

انتهى كلام الكاتب الكبير الشهيد سيد قطب (١).

أما وأد النسل وإسقاط الأحمال ففي فرنسا مثلاً يقدر العلماء بانه يمنع سنوياً (٦٠٠ ألف من منع الحمل، ويسقط ٤٠٠ ألف حمل).

وأما قصص النساء اللاتي يتخلصن من أولادهن بالقتل فهي تفوق الحصر، وفي بعض السنين في فرنسا تزيد الوفيات على المواليد، أضف إلى هذا أن عدد سكان فرنسا أقل من الجاليات فيها، ففيها ٣٠ مليون من الجاليات الأجنبيه مقابل ١٢ مليونا من سكان البلاد الأصليين.

{ وتدل الإحصائيات كذلك أن ٩٠٪ من سكان أمريكا مصابون بالأمراض السرية الفتاكة، ويعلم من دائرة المعارف البريطانية أنه يعالج في المستشفيات الرسمية في أمريكا مائتا ألف مريض بمرض الزهري، ومائة وستون ألفا مصابون بالسيلان، واختص لهذه الأمراض ستمائة وواحد وخمسون مستشفى} (٢).

{هذا ويموت في أمريكا سنويا ما بين (٣٠-٤٠) ألف طفل بسبب مرض الزهري الموروث، وأن عدد الوفيات التي تحدث بسبب الزهري تربو على عدد الوفيات بسبب جميع الأمراض (عدا السل).

وأما السيلان فحوالي ٦٠٪ من الشباب مصابون به، و٧٥٪ من النساء مصابات بالسيلان}(٢).

إن ٩٥٪ من العلاقات الجنسية الحاصلة اليوم يحولون بينها وبين نتائجها وأما الخمسة الباقيه من المائة التي تنتج الحمل فتعالج بالإسقاط والقتل.

يقول القاضي لندس الأمريكي «يسقط في أمريكا حوالي مليون ونصف حمل سنوياً، ويقتل آلاف الأطفال فور ولادتهم».

## الباب الأول - الفصل الثاني

# موقف الإسلام من الأسرة والطلاق

أطل نور الإسلام على العالم والمرأة تعد في معظم الشرائع سقطا من المتاع، مهضومة الحقوق، لا إرث لها، ولا حق لها في اختيار زوج، ولا رأي لها في الأسرة، حتى أن بعض الشرائع كانت تعدها مخلوقة بدون روح. فكان لابد لدين الفطرة من أن يصلح ما بين الإنسان وبين نفسه التي بين جنبيه بعقيدة موفقة بين الدين والدنيا{وكانت سنته في الزواج كفاء خطته في جوانب الهداية البشرية الفطرية، لتحرير البشر من الذعر والخزي وعقدة الإثم الشوهاء التي كبلته، استجابة للحياة في طلاقه وبراءة من التأثم، وتقديس لدوافعها وورود طلق لينابيعها، مع الحفاظ عليها من أكدار البهيمية المسفة، بذلك يسعد المرء من بني الإنسان، وتترقرق بين جنبيه نضارة الحياة وأفراح العيش، ولا يجد حرجاً بين ربه ونفسه، وربه قد خلقه على تلك الفطرة، ولو شاء لجعله ملكاً لا بدن له ولا شهوة}(٤).

(١) السلام العالمي في الإسلام - للكاتب الكبير سيد قطب ص ٧٥. (٢) الحجاب- المودودي- ص ١٢٢- نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية.

ولذا نرى بأن سيد البشريه ﷺ {يقرر بأن الزواج نصف الدين}، وأي تعبير أقرب إلى فطرة الحياة من هذا التعبير الرقيق ليف اللبق {هن لباس لكم وأنتم لباس لهن}.

وما يكون لهذا العقد من حرمة {وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً}.

حتى أن الكراهة أمر لا يجوّز البدار إلى فصم عرى هذا الميثاق المقدس، وإلى حل وشائج هذه الصلة التي باركتها عناية ماء إن الأساس في ذلك العقد أنه [لا ضرر ولا ضرار] {فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان}.

إن هذه لقمة سامقة ترنو إليها البشرية التي تقف على حافة الهاوية بسبب إفلاسها في عالم القيم، وإن الناس في هذا العصر بط يظنون بأن هذه المبادئ المثالية تدركها الأشواق، وتقصر دونها الأفعال.{ وإنها لمنارة سامية تتطلع إليها الأبصار في الخلق يم الذي يترفع في سمت الفروسية عن الافتئات اللئيم والجور الذميم }(١) .

والزواج: أعمق وأقوى وأدوم رابطة تصل بين اثنين من بني الإنسان، وتشمل أوسع الاستجابات التي تبادلها فردان، فلابد إذن توحد القلوب والتقائها في عقدة لا تحل.

وأما الأسرة: فلها في الإسلام شأن كبير، {فهي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الأفراخ الناشئة ورعايتها وتنمية جسدها بها وعقلها} (٢).

وفي ظله تلتقي مشاعر الحب والرحمة والتكافل، ولذا فالقرآن يتوجه إلى القلب الإنساني يلمس فيه منابت الرحمة وينابيع فة، ويصله بالله في كل خطوة وفي كل اتجاه، ويرفع بهذه الصلة وبتلك اللمسات شعور الإنسان بتلك العلاقة القائمة بين ين، يرفعها من أن تكون شهوة جسد تنقضي في لحظة، إلا أن تكون وظيفة انسانية ذات أهداف أعلى من تلك اللحظة وأخلد، ـ تتعلق بحياة المجتمع وبقاء البشريه، كما تتعلق بإرادة الخالق وعبادته.

يقول الأستاذ الكبير الشهيد سيد قطب في ظلال القرآن («وفي الدستور الإلهي نستطيع أن نلمح العناية بتوطيد أركان البيت عائم وطيدة ثابتة، كما نلمح في الوقت ذاته التيسير الحكيم على الرجل والمرأة، إذا لم يقدر لتلك العلاقة النجاح، وإذا لم تستمتع خلية الأولى بالاستقرار، فالله الخبير البصير بالإنسان لم يرد أن يجعل هذه الرابطة بين الجنسين قيداً وسجناً لا سبيل إلى منه، مهما اختنقت فيه الأنفاس، ونبت فيه الشوك، وغشاه الظلام، لقد أرادها مثابة وسكنا، فإن لم تتحقق هذه الغاية فأولى ن يتفرقا وأن يحاولاها مرة أخرى، وذلك مع إيجاد الضمانات التشريعية والشعورية كي لا يضار زوج ولا زوجة ولا رضيع ولا ٣)

{هذا بعد استنفاذ جميع الوسائل الممكنة لرد الصفاء إلى هذا المخدع الزوجي الهانئ، والطمأنينة إلى العش الجميل كما كان حين المستطاع}.(٤)

ونحن نسمع بين حين وآخر كلمات فارغة تخرج من قلوب خاوية .. الإيمان، ومن نفوس مهزومة روحياً تحت ضغط الواقع ، وبسبب الهجوم الإستشراقي الماكر، تطالب بمنع الطلاق، يبررون أقوالهم بحجج داحضة، وأقوال ساقطة، وذلك حماية أر في هذا المحضن الهادئ، وبقاء السكينة مخيمة فوق هذا العش الوادع. يقولون : امرأة تكون هانئة في بيتها بين أفراخها تفاجأ بالطلاق نتيجة نلتة عابرة، أو صدفة شاردة، أو كلمة تخرج من فم الزوج عن هزل أو جد، إما بسبب أن الزوج سئ لراكدة، أو مل هذا الوجه الذي يقابله صباح مساء، أو لأن زوجته خالفته في مسائل تافهة يخجل المرء أن يذكرها، ثم تنطلق ت: أما من سبيل لتحطيم هذا السلاح الخطر على المرأة والأسرة والمجتمع، يرد على هؤلاء جميعاً الأستاذ محمد قطب في بهات حول الإسلام {«لا شك في وجود هذه المآسي، ولكن ما السبيل؟ هل نلغي الطلاق ؟ وكيف نصنع بالمآسي الأخرى التي تحريم الطلاق؟ تلك المآسي التي تعرفها جيداً الدول الكاثوليكية التي لم تأخذ بمبدأ الإباحة، وهل يصير البيت بيتاً واحداً كره الآخر ولا يطيق عشرته ومع ذلك فالقيد مؤبد والخلاص مستحيل؛ أو ليس هذا يؤدي إلى الجريمة يتخذ الزوج عشيقه يلبي ع الجنس والزوجة المنبوذة تسلك نفس السبيل؟ وكيف بالأطفال الذين ينشأون في هذا الجو الكابي الملبد بالغيوم؟ وما أكثر والمنحرفات الذين جاء انحرافهم في حياتهم من أبوين متخاصمين لا ينتهي لهما خصام»}.(٥)

. الفقه والقانون – المرحوم الدكتور مصطفى السباعي ص ٢٣٨ نقلاً عن كتاب الدكتور نظمي لوقا محمد الرسالة والرسول ص ٧٥
القرآن- المرحوم سيد قطب- الجزء الثاني ص ١٧٨.　(٣) في ظلال القرآن- الكاتب الكبير سيد قطب – الجزء الثاني ص ١٨٤الطبعة الثالثة-مزيدة ومنقحة.
لسابق.　(٥) شبهات حول الإسلام -الكاتب محمد قطب ص ١٢٠

يقول ابن سينا في كتابه الشفاء (نقلاً عن كتاب فقه السنة لسيد سابق) {ينبغي أن يكون إلى الفرقة سبيل ما، وألا يسد ذلك من كل وجه، لأن حسم أسباب التوصل إلى الفرقة بالكلية يقتضي وجوهاً من الضرر والخلل} [1].

ويقول الأستاذ محمد أبو زهرة في كتابه الأحوال الشخصية ص ٢٩٩{«ولكن قد تتنافر القلوب وتستحكم النفرة بحيث لا يمكن أن تعود المودة، وفي هذه الحال لابد من اختيار أمر من الأمور الثلاثة.

١ -البقاء مع النفرة فيعيشان مع الضغينة والنفرة بينهما، وهذه حال لا يمكن اختيارها، وإن أختيرت لا يمكن بقاؤها .

٢ - الفراق الجسدي مع بقاء الزوجية معلقة، فتصبح الزوجة لا هي مطلقة ولا هي مسرحة، فتبقى كالمعلقة

٣ -الطلاق برفع قيد الزواج، وقد أصبح غلاً ونقمة، وهو في أصله نعمة. ولا شك أن المنطق السليم يوجب سلوك هذا السبيل»} [2]

ولذا فإن علينا الاستسلام لهذا الحكم الرباني الذي تنزل من لدن حكيم عليم بهذه الفطرة البشرية والطبيعة الإنسانية.

يقول بنتام في أصول الشرائع:

{« إن الزواج الأبدي هو الأليق بالإنسان، والملائم لحاجته، والأوفق لأحوال الأسرة والأولى بالأخذ لحفظ النوع الإنساني، ولكن إن اشترطت المرأة على الرجل ألا تنفصل ولو حلت قلوبهما الكراهة محل الحب لكان ذلك أمراً منكراً لا يصدقه أحد من الناس، على أن هذا الشرط موجود دون أن تطلبه المرأة، إذ القانون يحكم به فيتدخل بين المتعاقدين حال التعاقد ويقول لهما أنتما تقترنان لتكونا سعداء، فلتعلما أنكما تدخلان سجناً سيحكم غلق بابه، ولن أسمح بخروجكما وإن تقاتلتما بسلاح العداوة والبغضاء. إن أقبح الأمور وأفظعها عدم انحلال ذلك الاتفاق.

ولو كان الموت وحده مخلصاً من الزواج لتنوعت صنوف القتل واتسعت مذاهبه » [3]

# نظام الطلاق في الإسلام

## والسبل التي سلكها الإسلام في حل الخلاف العائلي

إن الإسلام دين واقعي مثالي، فهو لا يجعل الواقع أساس تشريعه، ولا يهمل المثل العليا لضرورات الواقع، ولكنه يهدف إلى تحقيق المثل العليا مع معالجة الواقع بروح تتسم باليسر وتحقيق المصالح، ولقد قدمنا بأن الإسلام يحتم في الزواج أن يكون للتأبيد ولا يجيز تحديده بمدة معينة، ولكن الواقع الإنساني عبر التاريخ القديم والحديث يثبت أن الحياة الزوجية المؤبدة تصبح في كثير من الأحيان مستحيلة التحقيق، بسبب ما ينشأ بين الزوجين من خلافات وخصومات، تصبح الحياة بسببها جحيماً لا يطاق، وسعيراً لا يحتمل.

ونورد فيما يلي الخطوات التي اتخذها هذا الدين، والاحتياطات التشريعية التي جعلها ضماناً للبنة الأساسية في المجتمع، وحفظاً لحجر الأساس في الحياة المتزنة القويمة.

١ - دعا الإسلام الزوجين إلى أن يشعر كل منهما بمسؤوليته قبل الآخر.

جاء في صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ{**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ... والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**}.

وجاء في خطبة حجة الوداع {**فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف**} [4]

٢ - فإذا بدأ الخلاف بينهما أوصاهما بأن يتحمل كل أخلاق الآخر. فالعقول تختلف، والنفوس والطبائع كذلك. قال تعالى {**وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**}. فالمودة يجب أن تهيمن، والإخلاص يجب أن يسيطر، والرحمة والمشاعر الطيبة يجب أن تتحكم [5]

(١) فقه السنة-سيد سابق- الجزء الثامن ص ١٢. (٢) الأحوال الشخصية -محمد أبو زهرة ص ٢٩٩ (٣) المصدر السابق

(٤) بتصرف عن كتاب المرأة بين الفقه والقانون- مصطفى السباعي- ص ١٢٣ وشرح قانون الأحوال الشخصية مصطفى السباعي ص ٢٣١.

٣-فإذا إشتد الخلاف بينهما بحيث يخشى من الشقاق والفراق، ويخاف إضاعة حدود الله بإهمال الحقوق والواجبات لكل تجاه الآخر، فهنا يوجب الإسلام تشكيل محكمة عائلية تختار الزوجة عضوا نائبا عنها، ويختار الزوج كذلك، وهذه المحكمة قد في إعادة جو الصفاء والوئام إلى العش الزوجي الهادئ، وهذا الحل أهدأ وأنجع، خوفاً من تسرب الإسرار إلى المحاكم أو إلى ع (١).

٤- فإذا لم يجد التحكيم نفعاً، وأصر كل من الزوجين على موقفه، أجاز الإسلام أن يقع الطلاق بين الزوجين لمرة واحدة، تعتد زوجة في بيت الزوجية لمدة ٣ حيضات، ولا يعاشرها الزوج معاشرة الأزواج.

والحكمة من هذه العدة هي ترك الفرصة الكافية لإعادة الصفاء والوئام بعد أن تهدأ الأعصاب، ومع أن الإسلام قد أباح الطلاق ر منه، ويكره من الاقتراب إليه. فقد روي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ {أبغض الحلال إلى الله الطلاق} رواه أبو داود اجة وصححه الحاكم .

في حديث آخر {أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة} أخرجه أحمد والترمذي وقال حسن.

هذه الطلقة رجعية، إذ يجوز للزوج أن يعيدها إلى حظيرة الأسرة من غير عقد أو مهر أو شهود بل يكفي أن يتعاشرا معاشرة لتعود الحياة الزوجية إلى مجراها، حتى أنه يكفي الرجعة بالقول عند الإمام الشافعي. يقول عملاق الفكر الإسلامي في القرن ن الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن «أنه لابد من فترة معقولة يختبر فيها الزوجان عواطفهما بعد الفرقة، فقد يكون في رمق من ود يستعاد، وعواطف تستجاش، وقد يكون الطلاق إنما وقع نتيجة نزوة أو غلطة أو كبرياء، فإذا سكن الغضب، لنفس استصغرت تلك الأسباب التي دفعت إلى الفراق وعاودها الحنان إلى استئناف الحياة، والطلاق أبغض الحلال إلى الله، ة بتر لا يلجأ إليها إلا حين يخيب كل علاج» (٢).

-إذا انتهت العدة ولم يراجعها الرجل طلقت المرأة طلقة بائنة لا يجوز للرجل الرجوع إليها إلا بمهر جديد وعقد جديد، ويكون ن باقي الرجال، لأن انقضاء العدة دون مراجعة دليل ظاهر على إصرار الزوج على الفراق، وبرهان جلي على أنه لا يزال ي موقفه، غير نادم عما سلف منه.

- إذا عادا إلى الحياة الزوجية سواء خلال العدة أو بعدها ثم تكرر الخلاف نعيد ذات الخطوات السابقة، من إيصائهما ماملة، وتحمل هفوات الآخر، ثم التحكيم العائلي، ثم الطلقة الثانية، ولها نفس أحكام الطلقة الأولى.

- فإذا عاد الزوج إلى زوجته بعد الطلقة الثانية وعاد الخلاف عدنا إلى اتخاذ نفس الخطوات السالفة، فإذا لم ينفع كل ذلك ; أن يوقع طلقته الثالثة والأخيرة، وتصبح بائنة منه بينونة كبرى، فلا يجوز الرجوع للحياة الزوجية إلا بعد أن يجرب كل ة زوجية جديدة، يسبر غورها، ويجربها بدراية، فإن وقوع الطلقة الثالثة دليل على فساد أصيل في حياة ذينك الزوجين، هذا زوج جاداً عامداً في الطلاق، أما إذا كانت تلك الطلقات عبثاً وتسرعاً ورعونة فالأمر يستوجب وضع حد للعبث بهذا الحق يكون صمام أمن، وعلاجاً اضطرارياً لاخيار فيه، ويجب أن تنتهي هذه الحياة التي لا تجد من الزوج احتراماً واحتراساً.

، العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب {" الحكمة في إثبات الرجعة أن الإنسان مادام مع صاحبه لا يدري يه مفارقته، فإذا فارقه فعند ذلك يظهر، فلو جعل الله الطلقة الواحدة مانعة من الرجوع لعظمت المشقة على الإنسان، ثم لما لتجربة لا يحصل بالمرة الواحدة فلا جرم أن الله تعالى أثبت المراجعة بعد الفرقة مرتين"} (٣)

ن المفكر العملاق الشهيد سيد قطب:

ب قائل يقول وما ذنب امرأة تهدر حياتها بسبب كلمة تخرج من فم رجل عابث، إن الإسلام يحترم العلاقة الزوجية إلى حد ا فالإسلام يحرمه زوجته التي عبث بحرمة علاقتها المقدسة به، وأن نحرمها في الطلقة الثالثة عليه وقد خسر صداقها وخسر عشرتها فوق ذلك"}. (٤)

السبيل التي سلكها الإسلام، والصراط السوي الذي سار عليه لهو الطريق الحقة الجادة القويمة التي توافق الفطرة

سابقاً. (٢) في ظلال القرآن – الجزء الثاني ص ١٩٥ الكاتب الكبير سيد قطب

- الفخر الرازي- المجلد الأول ص... آية {والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء}

ن- الكاتب الكبير سيد قطب- الجزء الثاني ص ٢٠١ - الطبعة الثالثة

ج-رأي المالكية:

الفرقة عندهم تكون طلاقاً إذا كانت فرقة من نكاح صحيح شرعاً بناءً على سبب لا يستوجب حرمة مؤبدة بين الزوجين، سواء كانت من قبل الزوج أو نائبه.

فالطلاق عندهم يكون في الحالات التالية:

١- الطلاق بصريح القول أو بالكناية.

٢- مخالعة الزوج زوجته.

٣- الفرقة بسبب الإيلاء (رجعي) .

٤- الفرقة بسبب العيب في أحد الزوجين، ويكون طلاقاً بائنا.

٥- الفرقة بسبب الإعسار في دفع الصداق، وهي طلاق بائن، إلا أنه ورد في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للشيخ عبد الرحمن الجزيري (الفرقة بسبب الإعسار عن دفع الصداق أو دفع النفقة، فإن الحاكم يطلق عليه طلقة واحدة رجعية إن أبى تطليقها).(١)

٦- الفرقة بسبب ردة أحد الزوجين- طلاق بائن-، ويرى ابن الماجشون من المالكية أنها فسخ ، وإلى ذلك مال المخزومي.

٧-التفريق بسبب عدم الكفاءة-طلاق بائن-.

٨- التفريق بسبب غيبة تضر بالزوجة، وهذا قول ابن عقيل الحنبلي.

٩- التفريق بسبب الإعسار - طلاق رجعي.

١٠- التفريق بسبب المضارة - طلاق بائن .

١١- كل نكاح مختلف في صحته: كنكاح الشغار، والسر فهو رجعي.

أما الفسخ عندهم فيكون في الحالات التالية:

١-العقد الفاسد المجمع على فساده كنكاح المتعة.

٢- الفرقة بسبب الرضاع.

٣- الفرقة بسبب اللعان فإنها توجب تأبيد التحريم.

٤- طروء مفسد على النكاح يوجب حرمة مؤبدة.

٥- الفرقة بسبب فساد العقد ابتداء.

٦- الفرقة بسبب إباء أحد الزوجين الإسلام.

٧- إذا أسلم أحد الزوجين الكافرين.

يقول ابن رشد القرطبي في بداية المجتهد(ضابط التفرقة بين الطلاق والفسخ هو أن السبب الموجب للفرقة إذا كان غير راجع إلى الزوجين بل يرجع إلى أن الشارع قد حرم عليهما بقاء المعاشرة حتى لو أراداها لم يقرا على ذلك ولم يصح منهما فإن الفرقة المرتبة عليه تعتبر فسخاً )(٢) .

## موقف القانون من أنواع الطلاق والفسخ

موقف القانون من أنواع الطلاق والفسخ: إن قوانين الأحوال الشخصية في مصر المعمول بها الآن أخذت من مذهب الحنفية في أنواع الطلاق والفسخ، وكذلك قانون الأحوال السوري. وقانون العائلة الأردني .

إلا أن هذه القوانين خالفت المذهب الحنفي في الحالات التالية التي أخذتها من مذهب مالك:

١: التفريق لعدم الإنفاق على الزوجة، فاعتبره القانون طلاقاً رجعياً في المادة ٩٩ من القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠ المصري،

وفي المادة (١٠٠) من قانون العائلة الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١ ، وفي المادة (١١١) من قانون الأحوال الشخصية السوري.

٢- الفرقة بسبب العيب في الزوج ، طلاق بائن في القانون المصري في المادة (١٠) من القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠ القانون السوري كذلك في المادة ١٠٨ .

٣- الفرقة لغيبة الزوج طلاق بائن في القانون المصري رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ في المادة (١٢)، وكذلك طلاق بائن في السجن في المادة (١٤) منه، وكذلك القانون الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١ في المادتين (١٢- ١٤) فاعتبر الفرقة بسبب ال والسجن طلاقا بائنا.

أما القانون السوري فاعتبر الفرقة في هذه الحالة طلاقاً رجعياً في المادة(١٠٩).

٤- الفرقة بسبب الشقاق وسوء العشرة، فهي طلاق بائن، في القوانين الثلاثة. الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١ المادة (٩٧) ( وكذلك في القانونين المصري والقانون السوري المادة (١١٢).

## ما يتوقف على القضاء من هذه الفرق

**أ-الطلاق:**

١- فرقة اللعان عند الطرفين (أبي حنيفة ومحمد).

٢- الفرقة بسبب عيب في الزوج.

٣- التفريق بسبب إباء الزوج الإسلام عند الطرفين.

**ب- ما يتوقف على القضاء من الفسخ:**

١- فرقة خيار البلوغ.

٢- الفرقة بسبب عدم كفاءة الزوج .

٣- الفرقة بسبب الغبن في المهر: أي إذا نقص المهر عن مهر المثل أو المهر المسمى.

٤- التفريق بسبب إباء الزوجة الإسلام .

٥- التفريق بسبب إباء الزوج الإسلام عند أبي يوسف [٢].

## ما لا يتوقف على القضاء من هذه الفرق

إن عدم توقفها على القضاء يعني أن الفرقة تتم بمجرد تحقق أسبابها:

**أ- في حالة الطلاق:**

١- تطليق الزوج زوجته.

٢- خلعه إياها .

٣- الفرقة بسبب الإيلاء .

٤- ردة الزوج عند محمد بن الحسن.

**ب- فرق الفسخ التي لا تتوقف على القضاء:**

١- الفرق بسبب فساد العقد.

٢- الفرق بسبب يستوجب حرمة المصاهرة.

٣-الفرق بسبب ردة الزوجة.

٤-الفرق بسبب ردة الزوج عند أبي حنيفة وأبي يوسف [٣].

---

ر في: ١- قانون الأحوال الشخصية وشرحه- المرحوم مصطفى السباعي ٢- قانون العائلة الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١. ٣- القانونان المصريان رقم ٢٥ ، رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠ من كتابي: أ-محاضرات في فرق الزواج -علي الخفيف . ب- فقه السنة -سيد سابق.
اضرات في فرق الزواج -علي الخفيف- الطلاق والفسخ.

## الباب الثاني

# «الطـــــــــــلاق»

وفيه سبعة فصول:

١- **الفصل الأول:** معنى الطلاق وصفته وحكمه.

٢- **الفصل الثاني:** الطلاق البدعي والسني.

٣- **الفصل الثالث:** من يقع منه الطلاق.

٤- **الفصل الرابع:** طلاق غير الزوج.

٥- **الفصل الخامس:** من يقع عليها الطلاق.

٦- **الفصل السادس:** صيغة الطلاق.

٧- **الفصل السابع:** أنواع الطلاق (الرجعي والبائن).

## الفصل الأول

# الطـــــــلاق

**المعنى اللغوي للطلاق:**

طلق الرجل امرأته تطليقاً فهو مطلق ، فإن كثر تطليقه للنساء قيل مطليق ومطلاق، والاسم الطلاق، وطلقت هي تطلق من باب قتل، وفي لغة من باب قرب فهي طالق بغير هاء.

وهو مشتق من الإطلاق وهو الإرسال والترك، يقال فلان طلق اليدين بالخير: أي كثير البذل والإرسال لهما بذلك.

قال الفارابي: نعجة طالق بغير هاء اذا كانت مخلاة ترعى في المرعى وحدها، فالتركيب يدل على الحل والانحلال، يقال أطلقت الأسير: إذا حللت إساره وخليت عنه فانطلق: أي ذهب في سبيله، ومن هنا قيل أطلقت القول: إذا أرسلته من غير قيد ولا شرط، وأطلقت البينة إذا شهدت من غير تقييد، ناقة طالق مرسلة ترعى حيث تشاء.

يقال: طلق البلاد: أي تركها وفارقها. (١)

قال الأزهري: وكلهم يقول : طالق بغير هاء، وأما قول الأعشى:

أيا جارتا بيني فإنك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقة

فقال الليث: أراد طالقة غدا، وإنما اجترأ عليه لأنه يقال: طلقت فحمل النعت على الفعل.

وقال ابن فارس: امرأة طالق طلقها زوجها، وطالقة غداً فصرح بالفرق لأن الصفة غير واقعة.

وقال ابن الأنباري: إذا كان النعت منفرداً به الأنثى دون الذكر لم تدخله الهاء نحو طالق، طامث، حائض، لأنه لا يحتاج إلى فارق لانفراد الأنثى به. (٢)

وقال الجوهري: يقال طالق وطالقة، وأنشد بيت الأعشى( أيا جارتا بيني فإنك طالقة) وأجيب عنه بجوابين:

١-أحدهما ما تقدم .

٢- الجواب الثاني: إن الهاء لضرورة التصريح على أنه معارض بما رواه ابن الأنباري عن الأصمعي قال: أنشدني أعرابي من شق اليمامة البيت(فإنك طالق) من غير تصريح فتسقط الحجة به.

قال البصريون: إنما حذفت العلامة لأنه أريد النسب، والمعنى امرأة ذات طلاق، أي هي موصوفة بذلك حقيقة، ولم يجروه على

(١) [illegible]

الفعل،

ويحكي عن سيبويه: إن هذه نعوت مذكرة وصف بها الإناث كما يوصف المذكر بالصفة المؤنثة نحو علاّمة ونسّابة وهو سماع

قال إمام الحرمين: (هو لفظ جاهلي جاء الإسلام بتقريره) (١).

قال الأخفش: ولا يقال طلقت.

[قال الإمام مالك:

*العلـــم صيد والكتابة قيده* *قيد فيورك بالحبال الواثقة*

*فمن الحماقة أن تصيد غزالة* *وتفكها بين الخلائق طالقة (٢)*

# تعريف الطلاق الشرعي

١- عند الحنفية: جاء في الدر المختار وشرحه رد المحتار (حاشية ابن عابدين): «هو لغة رفع القيد، لكن جعلوه في الم للاقاً وفي غيرها إطلاقاً»، أما معناه الشرعي فهو رفع قيد النكاح في الحال (البائن) أو المآل (الرجعي بلفظ مخصوص).(٣) و التعريف قد ورد أيضاً في البحر الرائق والفتاوى الهندية.(٤)

٢- عند الشافعية: حل عقدة الزوجية من جانب الزوج أو ممن قام مقامه، جاء في حاشية الشرقاوي على التحرير لزّ لأنصاري " هو لغة حل القيد، وشرعاً حل عقدة النكاح بلفظ طلاق ونحوه" (٥) .

وجاء في كتاب نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشهاب الدين الرملي وبهامشه حاشية الشبرمالي ما يلي: " هو لغة حل الق ىرعاً حل قيد النكاح باللفظ الآتي" (٦) وقالوا { هو لغة حل القيد وشرعاً اسم لحل قيد النكاح} (٧) .

٣-عند المالكية: حل عقدة النكاح:

جاء في الشرح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي عليه «الطلاق لغة الإرسال وإزالة القيد كيف كان، وشرعاً إزالة عصمة الزو مريح لفظ أو كناية ظاهرة أو بلفظ جامع فيه». (٨)

٤- عند جمهور الحنبلية «حل رباط الزوجية الصحيحة من جانب الزوج أو ممن قام مقامه في الحال أوالمآل». (٩)

# صفة الطلاق وحكمه (١٠)

كل أمر شرعي يعتريه حكم من الأحكام أو يوصف بصفة من الصفات كأن يوصف بالحرمة أو الكراهية...الخ.

والطلاق أمر شرعي تعتريه أحكام عديدة تختلف حسب المواطن والأشخاص، والأصل في الطلاق أن يوصف بالكراهة، ف ني ذاته مكروه لقوله ﷺ « **أبغض الحلال إلى الله الطلاق**». وقال المالكية: إن الأصل في الطلاق أن يكون خلاف الأولى، فلم يه ولكنه قريب من المكروه.

وقال الحنفية: في وصف الطلاق رأيان:

---

ب السلام -أول كتاب الطلاق.

ء الثاني من حاشية إبراهيم البيجوري على شرح إبن القاسم الغزي على متن أبي شجاع ص ١٤٢ - فقه شافعي

لمحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار المعروف بحاشية ابن عابدين أول باب الطلاق

وى الهندية- أول باب الطلاق.

ية الشرقاوي على التحرير لزكريا الانصاري- أول باب الطلاق .

ء المنهاج ونهاية المحتاج عليه لشهاب الدين الرملي وبهامشه حاشية الشبر مالي

ة البيجوري على شرح ابن القاسم الغزي على متن أبي شجاع ص ١٤٢.

ح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي عليه- أول باب الطلاق.

على المذاهب الاربعة-عبد الرحمن الجزيري -قسم الأحوال الشخصية.

ف عن الكتب التالية: أ- الأحوال الشخصية على المذاهب الاربعة-عبد الرحمن الجزيري ص ٢٩٦ ب- محاضرات في فرق الزواج- الشيخ علي الخفيف جـ- فقه ال سابق- الجزء الثامن ص ٨، ٩.

أحدهما: أنه جائز بحسب أصله، وهذا الرأي ضعيف.

ثانيهما: وهو الصحيح الذي عليه المحققون أن الأصل فيه الحظر وهو التحريم.

**والأحكام التي تنطبق على الطلاق هي:**

١- الوجوب: فهو واجب إذا كان هناك سبب موجب كعنة الزوج، والشقاق والضرار، أو عجز الزوج عن الإنفاق.

٢- الندب: فهو مندوب عند التباغض، أو إذا كانت الزوجة غير عفيفة أو فاسدة الأخلاق

٣- الحرمة: فهو حرام في حالة الطلاق البدعي كطلاق الحيض، أو إذا ترتب على الطلاق فسادها أو الزنا بها وبغيرها.

٤- الكراهية: ويكون مكروها إذا لم يوجد ما يبرره، كما إذا وقع بدون سبب مع استقامة الحال. وروي عن أحمد أنه في هذه الحال يكون حراماً.

٥- الجواز: نفاه النووي، وصوره غيره بما إذا كان لا يريدها ولا تطيب نفسه ان يتحمل مؤنتها من غير حصول غرض الاستمتاع.

ولذا فإن الطلاق لا تعتريه الإباحة إلا عند بعض الفقهاء الذين يلحقون به حكم الإباحة، وأدلة جمهور الفقهاء الذين لا يقولون بالإباحة ما يلي:

١- قال تعالى «**فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**».

٢- روى أبو داود وابن ماجة عن ابن عمر عن الرسول ﷺ (**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**).

٣- وما روي عن محارب بن دثار عن الرسول الله ﷺ (**ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق**).

## الفصل الثاني

# {الطلاق البدعي والطلاق السني}

ينقسم الطلاق إلى بدعي وسني، فأما الطلاق السني : (نسبة إلى السنة) فهو ما كان في زمن معين، وكان بعدد معين، أما الطلاق البدعي: فهو ما ليس كذلك، كأن يطلقها وهي حائض، أو ثلاثا بكلمة واحدة[والمراد بالسني فيه الجائز، والبدعي الحرام] (١)

قال ابن عباس ونقله ابن القيم في زاد المعاد [" الطلاق على أربعة أوجه: وجهان حلالان ووجهان حرامان، أما الحلال فأن يطلق طاهراً من غير جماع، أو يطلقها حاملاً مستبينا حملها، والحرام أن يطلقها وهي حائض أو في طهر جامعها فيه، هذا في طلاق المدخول بها، أما غير المدخول بها فيجوز طلاقها حائضا وطاهراً "] (٢).

وقداختلف الفقهاء اختلافاً كبيراً:

١- **قال الحنفية**: ينقسم الطلاق من حيث ما يعرض للمرأة من الأذى إلى قسمين: سني وبدعي، ثم أن السني ينقسم إلى قسمين: حسن وأحسن، فأما الحسن فهو أن يطلقها طلقة واحدة رجعية في طهر لم يجامعها فيه، وكذا لم يجامعها في حالة الحيض الذي قبله، وإن أراد أن يطلقها ثانية انتظر حتى تحيض الحيضة الأولى من عدتها وتطهر منها، ثم يطلقها واحدة رجعية أخرى، وإن أراد أن يطلقها ثالثة فإنه ينتظر حتى تحيض الحيضة الثانية وتطهر منها، ثم يطلقها طلقة ثالثة، أما الطلاق الأحسن فهو كالحسن تماماً إلا أنه لا يطلقها طلقة ثانية في عدتها. وخالفت الشافعية في الحسن والأحسن.

**قال الشافعية**: ليس في العدد سنة ولا بدعة، ولكن الأولى له أن يفرق الطلقات على الطهر وعدد الأشهر، وليس في الطلاق حسن وأحسن. والحاصل عند الحنفية أن المرأة إذا كان غير مدخول بها فطلاقها السني الحسن أن يطلقها طلقة واحدة سواء كانت حائضاً

(١) حاشية البيجوري على شرح بن قاسم الغزي على متن أبي شجاع ص ١٤٧ (فقه شافعي).

(٢) زاد المعاد- للعلامة بن القيم- الجزء الرابع ص ٤٣.

•وهذا البحث مستقى بتصرف من الكتب التالية:

أ-مقارنة المذاهب في الفقه- للأستاذين محمود شلتوت ومحمد علي السايس ص ٨١- ٨٩ ونقلاً عن كتاب (زاد المعاد- للعلامة ابن قيم الجوزية- الجزء الرابع ص ٤٣-٥١ ب- الفقه على المذاهب الأربعة-عبد الرحمن الجزيري- قسم الأحوال الشخصية ص ٢٩٦-٣١٠ جـ-فتاوى الشيخ الرحيم-محمود شلتوت ص ٣٠٦-٣١٢ د-سبل السلام- الجزء الثالث ص [illegible] (الطلاق مرتان)-الجزء الرابع. هـ- تفسير ابن كثير

أم لا، أما إذا كان مدخولا بها فطلاقها السني الحسن أن يلاحظ الوقت والعدد، ويستثنى من الطلاق في الحيض ما يلي:

١-الخلع .

٢-طلاق القاضي بسبب العنة.

٣-أن تبلغ وهي حائض فإن لها أن تختار نفسها .

٤-أن يخيرها زوجها وهي حائض.

٥-إذا قال لها طلقي نفسك ثلاثا إن شئت فطلقت نفسها ثلاثا.

فهذه الصور من الطلاق لا تدخلها الحرمة وإن طلق في وقت الحيض.

٢- قال المالكية: ينقسم الطلاق إلى بدعي وسني، والبدعي ينقسم إلى قسمين: حرام ومكروه، فالبدعي الحرام يتحقق في المرأ لمدخول بها بشروط ثلاثة:

١-أن يطلقها وهي حائض أو نفساء.

٢-أن يطلقها ثلاثا في آن واحد، أما إن طلق ثلاثاً وهي حائض فقد أثم مرتين.

٣-أن يطلقها بعض طلقة.

ما الطلاق المكروه فإنه يتحقق بشرطين:

١-أن يطلقها في طهر جامعها فيه.

٢- أن يطلق طلقتين في آن واحد .

ا الطلاق السني عندهم فهو:

(أن يطلق زوجته طلقة كاملة واحدة بحيث لا يطلقها غيرها في العدة في طهر لم يجامعها فيه).

٣-الشافعية: قالوا ينقسم الطلاق إلى ثلاثة أقسام:

١-السني

٢-البدعي

٣-ما ليس بسني ولا بدعي

فالسني يتحقق بقيود :

١-أن تكون من ذوات القروء لحساب العدة بالأ .

٢-أن يكون طلاقها في طهر.

٣-أن يكون الطلاق في طهر لم يمس فيه.

الطلاق البدعي:

ما لم تتوافر فيه قيود السني.

ج: الطلاق الذي لا يوصف بالبدعة أوالسنة فهو: طلاق غير المدخول بها، الصغيرة، الآيسة، الحامل.

ولا يخفى أن الأقسام الثلاثة(السني والبدعي وما ليس بسني ولا بدعي) تعتبر بها الأحكام الخمسة( الوجوب، الحر مية، الندب، الجواز).

تثنى من الطلاق البدعي ما يلي:

أ-الخلع.

ب-طلاق الإيلاء.

ج-طلاق الحكمين، فلا ينتظر في هذه الحالات الوقت.

٤- الحنابلة: الطلاق عندهم ثلاثة أقسام:

أ-السني: أن يطلق زوجته المدخول بها إذا كانت غير حامل وكانت من ذوات الحيض طلقة واحدة رجعية في طهر لم يجامعها فيه إذا لم يكن قد طلقها في حيض قبل هذا الطهر ثم راجعها.

ب- البدعي الحرام: وهو بخلاف السني.

ج-ما ليس بسني ولا بدعي: وهو طلاق الصغيرة والآيسه والحبلى (الحامل).

مواضع الاتفاق بين المذاهب

## في الطلاق البدعي والسني

١- إن طلاق المرأة المدخول بها في طهر لم يمسها فيه طلقة واحدة لم يتبعها بأخرى سني.

٢-إن طلاق المرأة المدخول بها في طهر مسها فيه أو في حيض أو نفاس، بدعي.

٣- إن طلاق المرأة غير المدخول بها ليس سنياً ولا بدعياً من جهة الوقت إلا ما يروى عن زفر من أن طلاقها حالة الحيض بدعي كالمدخول بها. ودليل الحالة الأولى والثانية الحديث المتفق عليه لابن عمر{ مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء}.

مواطن الاختلاف بين المذاهب

## في السني والبدعي

يمكن حصر الاختلاف بين المذاهب في أربعة أوجه:

١-من جهة العدد.

٢-إتباع الطلاق بآخر في العدة.

٣-طلاق الآيسة والصغيرة.

٤-طلاق الحامل.

## سنية الطلاق وبدعيته من جهة العدد

١-قال الشافعي: ليس في الجمع بدعة ولا في التفريق سنة، والمدخول بها وغيرها سواء. [بل نقل ابن رشد القرطبي عن الشافعي أن المطلق ثلاثاً بلفظ واحد مطلق للسنة] (١).

٢-قال الحنفية والمالكية: إن إيقاع الثلاث والثنتين دفعة واحدة أو متفرقة في طهر واحد بدعي يستوي في ذلك المدخول بها وغيرها، ونقل فخر الدين الرازي في تفسيره {. وزعم أبو زيد الدبوسي أن هذا قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وعبداله بن عمر وعمران بن الحصين وأبو موسى الأشعري وأبو الدرداء وحذيفة بن اليمان} (٢).

٣- أما الحنابلة:

أ- في المدخول بها: لهم رأيان:

الرأي الأول: في الثلاث دفعة واحدة، اختلف فقهاؤهم، فمنهم من قال إنه بدعي واختارها أبو بكر وأبو حفص. ومنهم من قال أنه غير بدعي واختارها الخرقي.

وأما قولهم في الثنتان دفعة واحدة أو متفرقة في طهر: فهو سني.

ب- أما غير المدخول بها: فلا سنة ولا بدعة في طلاقها وقتا ولا عدداً.

# أدلـــــة الأئــــمـــة

**أ- أدلة الشافعية:**

١-إطلاق النصوص القرآنية ولم يقيدها بعدد مخصوص مثل: ( **لا جناح عليكم إن طلقتم النساء**)، ( **يا أيها النبي إذا طلقتم النساء**)، ولكن رد هذا الاحتجاج بأنها مقيدة بآية (**الطلاق مرتان**).

٢- روي عن سهل بن سعد: قال لما لاعن أخو بني العجلان امرأته قال: يا رسول الله ﷺ «كذبت عليها ان أمسكتها، فطلقها ثلاثاً ولم ينكر الرسول ﷺ . » وقد رد هذا بأن الفراق وقع باللعان وليس بالطلاق.

٣-ما جاء في بعض روايات حديثة فاطمة بنت قيس [ طلقني زوجي ثلاثاً، فلم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى، ولم ينكر عليه أيضاً] ونوقش هذا الدليل بأن هناك رواية « أنه أرسل إليها بتطليقة كانت قد بقيت لها من طلاقها».

٤- طلق عبد الرحمن بن عوف زوجته تماضر ثلاثاً في مرضه، وطلق الحسن بن علي زوجته شهباء حينما هنأته بالخلافة بعد استشهاد أبيه. وأجيب عن هذه الحجة بأن الرسول ﷺ لم يكن حيا حتى ينكره .

٥- لو طلق نساءه الأربع بكلمة واحدة كان سنياً اتفاقاً، فكذا إذا جمع الثلاث.

يقول العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره عند آية (**الطلاق مرتان**) من سورة البقرة: «فما حكم هذا الكلام؟ هل هو للابتداء أو متعلق بما قبله؟ اختلف الفقهاء، قال بعضهم (ومنهم الشافعي) أن الطلاق هنا متعلق بما قبله من الآيات التي تبحث في الطلاق الرجعي فيكون المعنى «الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة» ، لأن-ال - هنا للمعهود وليس للاستغراق، أي -الطلاق المعهود الرجعي السابق مرتان-، **ثم يرجح العلامة الرازي هذا القول فيقول: وهذا أولى من وجوه:**

١-قوله تعالى في الآية التي تسبقها (**وبعولتهن أحق بردهن**).

٢-إذا جعلنا -ال -بمعنى كل للاستغراق يكون المعنى خطأ فكيف يكون كل الطلاق مرتان؟!

٣- إن سبب نزول الآية يؤيد هذا الرأي وهو أن الرجل في الجاهلية كان يطلق، حتى إذا قاربت عدتها أن تنتهي راجعها، وهكذا لكي يضار المرأة، فنزلت الآية]. (١)

**قال ابن جرير أبو جعفر الطبري في تفسيره:**

(فتأويل الآية على رأي هؤلاء: عدد الطلاق الذي لكم أيها الناس فيه على أزواجكم الرجعة-إذا كان مدخولاً بها- تطليقتان، والذي هو أولى بظاهر التنزيل ما قاله عروة وقتادة ومن قال مثل قولهما من أن الآية إنما هي دليل على عدد الطلاق الذي يكون التحريم وبطول الرجعة فيه والذي يكون فيه الرجعة منه). (٢)

## الحنفية والمالكية:

إستدلوا-أ: بالكتاب. ب:بالسنة ج: بالمعقول.

**أ-أدلة الكتاب: قال تعالى (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .. إلى قوله (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره).**

قال الكمال بن الهمّام « دلت الآية على الا طلاق مشروع إلا كما جاء فيها، اذ ليس وراء الجنس شيء، وهذا من طريق الحصر فلا طلاق مشروع ثلاثاً بكلمة واحدة» .

---

(١) مفاتيح الغيب – الفخر الرازي – المجلد الأول آية (الطلاق مرتان) ص ٧٨٩

(٢) ابن جرير (أبو جعفرالطبري)– الجزء الرابع آية (الطلاق مرتان).

**يقول الفخر الرازي في تفسير الآية نفسها:** «ومنهم من قال أن هذا القول للابتداء ومعناه: الطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة دون الجمع والإرسال، وحجتهم أن -ال-هنا للاستغراق بمعنى (كل الطلاق) وليس للمعهود، وهذا الابتداء خبر بمعنى الأمر، أي طلقوا مرتين مرتين (دفعتين)، وقد اختلف القائلون بهذا إلى قسمين: القسم الأول: أنه لو طلقها اثنتين أو ثلاثا بلفظ واحدة لا يقع إلا الواحدة، يقول الرازي: وهذا هو الأقيس واختيار كثير من علماء الدين.

**القسم الثاني:** يقول يقع العدد وإن كان محرماً وهو قول أبي حنيفة.»[1]

**ب- أدلة السنة:** ١- جاء في حديث عبادة بن الصامت حيث قال **«بانت بثلاث في معصية الله»**.

٢- روي عن ابن عباس أنه قال الذي طلق ثلاثا **«عصيت ربك وفارقت امرأتك»**.

٣- روى النسائي عن محمود بن لبيد قال (**أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاثا جميعاً فقام غضبان، فقال أيلعب بكتاب الله عز وجل وأنا بين أظهركم، حتى قام رجل فقال يا رسول الله ﷺ ألا أقتله**).

**ج-المعقول:** قالوا: الأصل في الطلاق الحظر لما فيه من قطع المصالح الدينية والدنيوية وكفران نعمة النكاح ولا يخرج عن هذا الأصل إلا عند الحاجة، وما شرع لحاجة يقدر بقدرها، ويكفي في رفع الحاجة الواحدة والتفريق على الأطهار.

## إتباع الطلاق بآخر في العدة

إختلف الفقها في إتباع الطلاق لآخر أثناء العدة.

أ-قال المالكية والحنابلة: يكون بدعياً .

ب- قال الحنفية: يكون سنياً إذا وزعت الطلقات على الأطهار.

استدل الأولون (المالكية والحنابلة) بما يلي:

١-الأصل في الطلاق الحظر، وإن الإباحة للحاجة فهي تندفع بالواحدة(الضرورة تقدر بقدرها)، وأجاب الحنفية عن هذا القول بأن الحاجة لا تندفع بالواحدة .

أما الحنفية فاستدلوا بما يلي:

١-قوله ﷺ في حادثة ابن عمر عند ما طلق امرأته وهي حائض وقد أراد أن يتبع الطلقة التي أوقعها في الحيض بطلقتين أخريين عند القرأين: {**يا ابن عمر ما هكذا أمرك الله، قد أخطأت السنة. السنة أن تستقبل الطهر فتطلق لكل قرء؛ فأمرني فراجعتها فقال: إذا هي طهرت نطلق عند ذلك أو أمسك**}.

٢- ويستدل لرأي الحنفية بما روي عن عبد الله بن مسعود في قوله عز وجل {**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**} قال: يطلقها بعد ما تطهر من قبل جماع، ثم يدعها حتى تطهر مرة أخرى، ثم يطلقها إن شاء، ثم إن أراد أن يراجعها راجعها، ثم إن شاء طلقها وإلا تركها حتى تتم ثلاث (حيض) وتبين منه به}.

## طلاق الآيسه والصغيرة

أ-قال الحنفية: يكون سنياً وبدعياً من حيث الوقت.

١-السني فيهما: أن يطلق واحدة أو أكثر بشرط أن يفصل بين كل تطليقتين بشهر.

٢- البدعي فيهما: أن يجمع بين الطلقات أو طلقتين في مدة شهر.

ب- قال الأئمة الثلاثة (الشافعية والحنبلية والمالكية): لا سنة ولا بدعة في طلاقهما من حيث الوقت.

# طلاق الحامل

١-قال من الحنفية (أبو حنيفة وأبو يوسف): هي كالآيسة والصغيرة يكون طلاقها سنياً بواحدة أو بثلاث في ثلاثة أشهر.

٢- قال محمد وزفر: لا يكون سنياً إلا بواحدة.

٣- قال الأئمة الثلاثة(الشافعية، المالكية، الحنبلية): لا يوصف طلاقها بسنة ولا بدعة.[1]

## الخلاصة في الطلاق البدعي والسني:

١-عند الحنفية: يرون أن الطلاق يكون سنياً وبدعياً من حيث الوقت والعدد في المدخول بها، ومن حيث العدد في غير المدخ بها، أما من حيث الوقت فليس في طلاقها سنة ولا بدعة.

٢-عند الشافعية: لا سنة ولا بدعة في العدد مطلقاً. أما من حيث الوقت فيرون أن طلاق الصغيرة والآيسة والحامل وغ دخول بها والمختلعة وطلاق الحكمين، والحاكم على المولى بطلبها، وطلاق المتحيرة (ليس سنياً ولا بدعياً ). أما ما عدا ذلك فإما سـ ما بدعي.

٣- عند الحنابلة: يرون أن طلاق الآيسة والصغيرة وغير المدخول بها والحامل لا يكون سنياً ولا بدعياً في وقت ولا عدد، وما ع ـ يكون سنياً وبدعياً من حيث الوقت والعدد.

٤- أما المالكية: يرون أن طلاق الصغيرة والآيسة والحامل وغير المدخول بها لا يوصف بسنية ولا بدعية من حيث الوقت أما ـ ث العدد فيكون سنياً وبدعياً.

# وقوع الطلاق البدعي

مما تقدم عرفنا بأن الطلاق البدعي يرجع إلى عاملين:

١- الوقت: الطلاق في الحيض والطهر الذي مس فيه.

٢- العدد: الجمع بين الطلقات، قال ابن القيم في زاد المعاد[ أجمع المسلمون على وقوع الطلاق الذي أذن الله فيه وأباحه إ مكلفا مختارا عالما بمدلول اللفظ قاصدا له، واختلفوا في وقوع المحرم من ذلك].

# وقوع الطلاق في الحيض أو في طهر مس فيه

البحث في هذا البحث نقسمه إلى أربعة أقسام:

١- هل يقع هذا الطلاق أم لا؟

٢- هل يجبر الزوج على الرجعة أم يؤمر فقط؟

٣- متى يوقع الزوج الطلاق بعد الإجبار أو الندب؟

٤-متى يقع الإجبار؟

## يقع هذا الطلاق أم لا؟

ختلف العلماء في هذه المسألة:

: القائلون بالوقوع: هم الأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء، وقد أفتى بوقوعه عثمان وزيد بن ثابت، وهو مذهب الزيدية وأك

ل الصنعاني صاحب بلوغ المرام في شرح سبل السلام «وقد كنا نفتي بعدم الوقوع، وكتبنا فيه رسالة اسمها (الدليل الشرعي ؛

الغيب، الفخر الرازي المجلد الأول ص ٧٨٩ آية (الطلاق مرتان ..)

عدم وقوع الطلاق البدعي) وتوقفنا مدة ثم رأينا وقوعه» (١).

٢- القائلون بعدم الوقوع: وبه قال: الباقر والصادق والناصر من الشيعة الإمامية، وابن علية من المعتزلة، وارتضاه ودافع عنه من الحنابلة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وطاووس والخوارج والروافض. ونصر هذا القول ابن حزم.

قال ابن رشد صاحب بداية المجتهد« ومدار الاختلاف هل الشروط التي اشترطها الشرع في الطلاق السني شروط صحة وإجزاء أم شروط كمال وإتمام؟ فمن قال بأنهاشروط إجزاء قال بعدم وقوع الطلاق، ومن قال بأنها شروط كمال وإتمام قال بالوقوع»(٢).

## «الأدلة»

**أ- أدلة الجمهور:**

١- الكتاب: قال تعالى [ **الطلاق مرتان**] وقال [**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره**] فهذه الآيات مطلقة وحكم الطلاق يقع ويترتب دون تقيد بوقت.

٢- السنة: أ- قصة عبد الله بن عمر حيث قال ﷺ في حديث رواه الجماعة «**مره فليراجعها**». فالأمر بالمراجعة يفهم منه أنه حدث طلاق ولا رجعة إلا بعد طلاق.

ب-رواية الشيخين «وكان عبد الله طلق تطليقة فحسبت من طلاقها»

ج- قول ابن عمر لما قيل له أيحتسب بتلك التطليقة [ أرأيت إن عجز واستحمق] أي هل يكون حمقه وعجزه عذراً له فيسقط به الطلاق.

[وقد صرح الإمام الكبير (محمد بن ابراهيم الوزير) بأنه قد اتفق الرواة على عدم رفع الوقوع في الرواية إليه ﷺ وقد ساق السيد محمد ستة عشر حجة على عدم وقوع الطلاق البدعي.] (٣)

د: جاء في رواية أحمد والنسائي ومسلم[ وكان ابن عمر إذا سئل عن الطلاق في الحيض قال لأحدهم أما إن طلقت إمرأتك مرة أو مرتين فإن رسول الله ﷺ أمرني بهذا، وإن كنت طلقت ثلاثاً فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك، وعصيت الله عز وجل فيما أمرك به من طلاق امرأتك].

هـ: عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «**من طلق في بدعة ألزمناه بدعته**»، ورد هذا الحديث بأنه من رواية إسماعيل بن أمية الكذاب.

٣- **المعقول:** إنه طلاق صادر من أهله في محله فيقع، والطلاق ليس عبادة ولا قربة حتى يشترط لوقوعه موافقة الأمر.

## أدلة القائلين بعدم الوقوع

١- **من الكتاب:** قال تعالى «**فطلقوهن لعدتهن**» واللام للتوقيت أي في عدتهن فلا يقع إلا ما كان مشروعاً.

٢- **السنة:** أ-قال رسول الله ﷺ «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» أي مردود عليه وهو غير صحيح، ولكن عورض هذا الاستدلال بأن معنى رد هنا عدم القبول ولا يلزم منه عدم الصحة.

ب-روى أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي الزبير في قصة عبد الله بن عمر «**فردها عليَّ ولم يرها شيئاً**».

وعورض هذا بنقد رواية أبي الزبير، قال بن عبدالبر: منكر، وقال الخطابي: لم يرو أبو الزبير حديثاً أنكر من هذا الحديث.

ج-أخرج سعيد بن منصور عن طريق عبدالله بن مالك عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فقال رسول الله ﷺ «**ليس ذلك بشيء**».

د- ما روي عن ابن عمر عن طريق محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع أنه قال (في الرجل يطلق امرأته وهي حائض) لايعتد بذلك. رواه ابن حزم في المحلى وقال إسناده صحيح.

هـ-روي أن عبد الله بن مسعود كان يقول «من أتى الأمر على وجهه فقد بين الله له، وإلا فوالله ما لنا طاقة بكل ما تحدثون».

٣- **المعقول:** لا خلاف أن الشارع نهى عن الطلاق ولم يأذن للزوج فيه، فلا يكون مالكا له ولا يصح ولا ينفذ لأسباب:

أ-النهي يقتضي فساد المنهي عنه.

ب- لو وكل رجلاً أن يطلق امرأته طلاقاً جائزا فطلقها طلاقاً حراماً لم يقع، فكيف يكون إذن المخلوق معتبراً دون إذن الشار

ج-إن الإنسان يتصرف بالإذن، فما لم يأذن به الله ورسوله لا يكون محلاً للتصرف البتة.

د-أن النهي حجر من الشارع، فلو قلنا بالوقوع لم يكن لحجر الشارع معنى.

هـ- أن النكاح ثابت بيقين، ولا يزول اليقين إلا بيقين مثله من كتاب أو سنة أو إجماع.

وقد أيد السيد محمد بن ابراهيم الوزير هذا الرأي وأورد ستة عشر حجة في تأييده لخصها الصنعاني في بلوغ المرام ؛ بسالة اسمها «الدليل الشرعي في عدم وقوع الطلاق البدعي» (١).

ويرجح ابن القيم هذا الرأي فيقول:

« ١-قال المانعون لوقوع الطلاق المحرم لا يزول النكاح المتيقن إلا بيقين مثله من كتاب أو سنة أو إجماع، فإن وجدتم واحداً ، ثلاثة رفعنا النكاح وإلا فلا.

٢-قالوا: إنما يقع من الطلاق ما ملكه الله تعالى للمطلق، فلا تقع الطلقة الرابعة، ولا طلاق الفضولي، ومن المعلوم أن الله تعا يملكه الطلاق المحرم ولا أذن فيه.

٣-وقالوا إن النكاح المنهي عنه لا يصح، فكيف يصح الطلاق المنهي عنه»(٢)

وقال أيضاً ابن قيم الجوزية في زاد المعاد(قال المانعون من الوقوع الكلام معكم في ثلاث مقامات بها يستبين الحق في المسأ ام الأول بطلاق ما زعمتم من الإجماع وأنه لا سبيل لكم إلى إثباته البتة، بل العلم بانتفائه معلوم، المقام الثاني: إن فتوى الجمهو يعه لا يدل على صحته، الثالث: إن الطلاق المحرم لا يدخل تحت نصوص الطلاق المطلقة التي رتب الشارع عليها أحكام الطلا ثبت لنا هذه المقامات الثلاث كنا أسعد بالصواب منكم في المسألة» (٣).

يقول محمد بن حزم في ترجيحه لهذا الرأي {«والعجب من جرأة من أدعى الإجماع على خلاف هذا وهو لا يجد فيما يواف في إمضاء الطلاق في الحيض أو في طهر جامعها فيه كلمة من أحد من الصحابة غير رواية عن ابن عمر قد عارضها ما ه ن منها عن ابن عمر وروايتين عن عثمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهما: إحداها رويناها عن طريق ابن وهب عن ابن سمعان ع أخبره أن عثمان بن عفان كان يقضي في المرأة التي يطلقها زوجها وهي حائض أنها لا تعتد بحيضتها تلك وتعتد بعدها بثلا قلت: وابن سمعان هو عبد الله بن زياد بن سمعان الكذاب قد رواه عن مجهول لايعرف.

قال أبو محمد: والأخرى عن طريق عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن قيس بن سعد عن رجل سماه عن زيد بن ثابت أنه قا طلق امرأته وهي حائض يلزمه الطلاق وتعتد بثلاث حيض سوى تلك الحيضة.

وقال أبو محمد: بل نحن أسعد بدعوى الإجماع هنا، ولو استجزنا ما يستجيزون ونعوذ بالله من ذلك، وذلك أنه لا خلاف بي ن أهل العلم قاطبة ومن جملتهم جميع المخالفين لنا في الطلاق في الحيض أو في طهر جامعها فيه بدعة، فإذا كان لاشك ف كم عندهم فكيف يستجيزون الحكم بتجويز البدعة التي يقرون أنها بدعة وضلالة» (٤).

## هل يجبر الزوج على الرجعة أم يؤمر فقط ويندب

ن الذين قالوا بنفاذ الطلاق في الحيض قالوا يؤمر بالرجعة، وانقسموا إلى رأيين:

-**الرأي الأول:** ان الرجعة واجب والزوج يجبر على ذلك، وبه قال مالك وأصحابه، وهو رواية عن أحمد، وصحح صاحب الهداي ني) وجوبها، وهو قول داود. ودليلهم الأمر بها: قالوا: فإذا امتنع عنها أدبه الحاكم، فإذا أصر على الامتناع ارتجع الحاك

سلام- الصنعاني- ص ١٧١. (٢) زاد المعاد-ابن القيم-ص ٤٤.

د -ابن قيم الجوزية-الجزء الرابع-ص ٤٤. (٤) زاد المعاد-ابن قيم الجوزية-الجزء الرابع- ص ٤٤

قال بن رشدالقرطبي في بداية المجتهد« من قال بوقوع الطلاق وجبره على الرجعة فقد تناقض، فتدبر ذلك» (١).

**ب-قال آخرون:** يندب إليه الرجعة ولا يجبر، وبه قال: الشافعي وأبو حنيفة وأحمد والثوري، واستدلوا بأن النكاح لا يجب، فاستدامته كذلك، فكان القياس قرينة على الندب.

## متى يقع الإجبار

١-قال مالك وأكثر أصحابه مثل ابن القاسم وغيره: يجبر ما لم تنقض عدتها.

٢- قال الشهيد من أصحاب مالك: لا يجبر إلا في الحيضة الأولى.

## متى يوقع الطلاق بعد الإجبار أو الندب

١-قال مالك والشافعي: يمسكها حتى تطهر من تلك الحيضة، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها، واستدلوا بنص الحديث عن ابن عمر {**مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهرثم تحيض ثم تطهر**}. وقال مالك: إن من شرط الرجعة وجود زمان يصح فيه الوطء، وعلى هذا التعليل يكون من شروط طلاق السنة أن يطلقها في طهر لم يطلق في الحيضة التي قبله، وهذا ذكره عبدالوهاب عن مالك.

٢- قال أبو حنيفة والكوفيون: يمسكها حتى تطهر من تلك الحيضة، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك. واختلفوا كذلك في معنى الطهر. أهو انقطاع الدم؟ أم هو الغسل؟ وعن أحمد روايتان، الراجح منهما أنه الغسل لرواية النسائي {فإذا اغتسلت من حيضتها الأخرى فلا يمسها، وإن شاء يطلقها وإن شاء أن يمسكها أمسكها}. (٢)

إيقاع الثلاث طلقات بكلمة واحدة في وقت واحد: (٣)

قد ذكرنا سابقاً أن الفقهاء اختلفوا في بدعية الجمع في عدد الطلقات، وكيف أن الشافعي قد قال: ليس في الجمع بدعة ولا في التفريق سنة. والآن لننظر في آرائهم في وقوع الطلقات المجتمعة، وقد اختلف الفقهاء في هذا إلى أربعة آراء هي:

١-**الرأي الأول لايقع بالجمع شيء:** لأنه طلاق بدعة: ونقل ذلك عن بعض التابعين وعن ابن علية وهشام بن الحكم، وبه قال أبو عبيدة وبعض أهل الظاهر، وحكي للإمام أحمد فأنكره، وهو قول الرافضة.

٢-**الرأي الثاني تقع الطلقات الثلاث:** وإليه ذهب عمر وابن عباس وعائشة ورواية عن علي، وبه قال الأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف والصحابة والتابعين.

٣-**الرأي الثالث تقع طلقة واحدة رجعية:** وممن هؤلاء الزيدية من الشيعة، وهو مروي عن علي وابن عباس، وذهب إليه الهادي والقاسم الصادق والباقر، ونصره ابن تيمية وكذلك الشوكاني وصديق حسن. وأفتى بعض أصحاب مالك به، حكاه التلمساني قولاً لبعض المالكية في شرح تفريع بن الجلاب، وأفتى به بعض الحنفية، حكاه أبو بكر الرازي عن محمد بن مقاتل، وأفتى به بعض أصحاب أحمد ،حكاه ابن تيمية عنه ، قال: وكان الجد يفتي به أحياناً، وجاء في نيل الأوطار: أن ابن مغيث نقله في كتاب الوثائق عن محمد بن وضاح، ونقل الغنوي ذلك عن جماعة من مشايخ قرطبة كمحمد بن بقي ومحمد بن عبد السلام، وحكاه أيضاً عن علي وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف والزبير، ونقله بن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاووس وعمرو بن دينار، كما حكاه صاحب البحر عن أبي موسى ورواية عن علي وابن عباس.

٤-**الرأي الرابع فيفرق بين المدخول بها وغيرها:** فتقع الثلاث على المدخول بها، وتقع على غير المدخول بها واحدة. وهو مروي عن ابن عباس وإسحق بن راهويه فيما حكاه عنه محمد بن نصر المرزوي.

---

(١) بداية المجتهد-ابن رشد القرطبي- الجزء الثاني ص ٦٥. (٢) بداية المجتهد ص ٦٦ (٣) بتصرف بسيط من الكتب التالية
أ-مقارنة المذاهب في الفقه- شلتوت والسايس- ص ٨١-٨٥. ب-زاد المعاد- ابن القيم- الجزء الرابع- ص ٤١-٦٥.
جـ- سبل السلام ... ص ١٦٩-١٧٤ د- نيل الأوطار - الشوكاني - الجزء السادس - ص ٢٤٥.

# أدلة كل رأي من الآراء الأربعة السابقة

**أ-دليل الرأي الأول القائل بعدم وقوع شيء**: أنه لا طلاق بدعي محرم، وكل بدعي مردود، وقد قال ﷺ **«من عمل عملاً ليـ عليه أمرنا فهو رد»**.

**ب- أدلة الجمهور القائلين بوقوع الثلاث:**

١-آيات الكتاب مطلقة لم تفرق بين إيقاع الواحدة وغيرها، فالآيات بيّنت أن الزوج يملك على زوجته ثلاث طلقات، ولم يفصّـ يما إذا كانت دفعة واحدة أو متفرقة، ولم يفرق بين الحالتين في الحكم.

٢-السنة:

أ- ورد في الصحيحين أن عويمر العجلاني طلق امرأته ثلاثاً بحضرته ﷺ ولم ينكر عليه. وقال عويمر«كذبت عليها يا رسول الـ ن أمسكتها، فطلقها ثلاثاً» وفي رواية لأحمد: هي الطلاق هي الطلاق هي الطلاق.

وناقش ابن القيم وغيره القائلون بوقوع واحدة هذا الاحتجاج بأن الفراق وقع باللعان وليس بالطلاق.

ب-في الحديث المتفق عليه من حديث فاطمة بنت قيس أن زوجها طلقها ثلاثاً، وإن رسول الله ﷺ لما أخبر بذلك قال **«ليس لـ قة وعليها العدة»**.

وأجيب عن هذا الدليل بأنه ليس في الحديث تصريح بأنه أوقع الثلاث في مجلس واحد. وكذلك الصحيح في حديث فاطمة كـ ر ابن قيم الجوزية «أن زوجها أرسل إليها بتطليقة كانت بقيت لها من طلاقها، وفي رواية أنه طلقها آخر ثلاث تطليقات» وهو سـ حيح متصل مثل الشمس، فكيف ساغ لكم تركه إلى مجمل.

ج-حديث ابن عمر قال [**سئل الرسول ﷺ عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا ويتزوجها آخر ويغلق الباب ويرخي الستر ثم يطلقها لـ يدخل بها، هل تحل للأول ، قال لا حتى تذوق العسيلة**]، قالوا: فلولا أن الثلاث تقع ما توقف حلها للأول على ذوق العسيلة. ولكـ ب عن هذا الدليل بأنه لم يذكر الثلاث جملة.

د-حديث عبادة بن الصامت قال: طلق جدي امرأة له ألف تطليقة، فانطلق إلى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فقال له رسول الـ أما اتقى الله جدك: أما ثلاث فله، وأما تسعمائة وسبع وتسعون فعدوان وظلم، إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له.

[لكن المخالفين كابن تيمية والشوكاني قالوا: إن في رواة حديث عبادة ضعيفاً هو (يحيى بن العلاء) عن هالك هو (عبيدالله بـ د ) عن مجهول (إبراهيم بن عبيدالله)، فكيف برواية ضعيف عن هالك عن مجهول. وكذلك فإن والد عبادة لم يدرك الإسلام فكيـ ،، وهذا محال بلاشك] (١) .

هـ- ما جاء في حديث ركانة بن يزيد أنه طلق امرأته البتة، وإن النبي ﷺ استحلفه أنه ما أراد إلا واحدة، فاستحلافه عـ ة الواحد دليل على أنه لو أراد الثلاث وقعن، وإذا كانت الثلاث تقع بالنية في الكناية فأولى أن تقع بصريح الطلاق.

إلا أنه أجيب عن هذا من قبل المعارضين بأن حديث ابن عباس هذا عن أبي ركانه أنه من طريق محمد بن إسحق (في روا م أحمد)، والكلام في ابن إسحق معروف، والذي رجحه أبو داود في تطليق ركانه أنه طلقها البتة، ومعنى الارتجاع فيها تجد عليها عند من يراها بائنة. وكذلك روي هذا الحديث برواية أخرى [**فقال النبي ﷺ راجع امرأتك، فقال إني طلقتها ثلاثاً، قال: ، راجعها**]. وفي رواية أخرى قال النبي ﷺ **«فإنها واحدة»**.

وإن حديث ركانه هذا قال فيه الترمذي: سألت عنه البخاري فقال: فيه اضطراب، وفي إسناده الزبيري بن سعيد الهاشمي و غير واحد، وقيل متروك، وهو مع ضعفه واضطرابه معارض بما هو أصح إسناداً وأوضح متنا وهو حديث ابن عباس.

و-ماجاء في روايات حديث ابن عمر أنه قال: فقلت يا رسول الله ﷺ لو كنت طلقتها ثلاثاً أكان لي أن أراجعها، فقال رسول ا **، كانت تبين وتكون معصية»**.

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن هذه الزيادة جاءت في رواية شعيب بن زريق، ولو صحت فسبيلها ما سبق في حديث فاطمة بـ

---

(١) الأوطار- الشوكاني- الجزء السادس ص ٢٤٦.

ز-حديث رواه محمود بن لبيد وفيه أن رسول الله ﷺ أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم قال **«أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم»**، قالوا فلولا أن الثلاث يقعن لما كان للغضب محل.

وأجاب بن القيم وأتباعه عن هذا بأنه لا يدل على الوقوع بل على البدعة والحرمة .

ك- روى أبو داود عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال أنه طلق امرأته ثلاثاً، قال: فسكت حتى ظننت أنه رادها إليه، ثم قال:ينطلق أحدكم فيركب الحموقة ثم يقول يا ابن عباس يا ابن عباس، وإن الله قال: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، وإنك لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجاً. عصيت ربك فبانت منك امرأتك.

ل- وفي موطأ مالك بلغه أن رجلاً قال لعبدالله بن عباس: إني طلقت امرأتي مائة تطليقة، فماذا ترى علي قال: طلقت منك ثلاثا، وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هزوا.

وكذلك جاء في الموطأ: أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود فقال: إني طلقت امرأتي ثماني تطليقات، فقال: ما قيل لك، قال: قيل لي بانت منك، فقال: صدقوا هو مثل ما يقولون.

(قال الكمال بن الهمام «وظاهره الإجماع على هذا الجواب») (١) .

**٣- الإجماع:** فقد ثبت النقل عن أكثر المجتهدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الثلاث يقعن مجتمعة، ولم ينكر عليهم منكر، وقد خاطب عمر الناس جميعاً بإمضاء الثلاث على من حلف بها ولم ينكر عليه أحد.

قال الطحاوي في شرح معاني الآثار: «فكان ذلك أكبر حجة في نسخ ما تقدم من ذلك، لأنه لما كان نقل أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً نقلاً تجب به الحجة، كان كذلك إجماعهم على القول إجماعاً تجب به الحجة»، وقد كانت كثيرمن الأشياء على عهد رسول الله ﷺ على معاني، فجعلها الصحابة على معاني أخرى لما رأوا أن ما فيها قد خفي على من بعدهم كتحريم بيع الأمهات، وتدوين الدواوين، وحد شارب الخمر.

ولعل معترض يقول: إن نكاح المرأة في العدة حرام (فلا يجوز العقد عليها في عدتها من رجل غيره)، فالنكاح في العدة حرام ولا يعتبر، ويكون قياساً عليه عدم وقوع الطلاق البدعي لأنه حرام.

**ويجاب عن هذا الاعتراض بجوابين:**

١-إن العقود لا يجوز الدخول فيها إلا من حيث أمر الشرع، أما الخروج منها فيجوز بطرق أخرى، كالصلاة لا يجوز الدخول فيها إلا بالتكبير، أما الخروج منها فيكون بالتسليم، وقد يكون بالكلام والضحك والأكل مع الكراهية والتحريم.

٢-إن الأصل في الإبضاع التحريم وليس الإباحة حفظاً للأعراض والأنساب.

وقد أعجب الكمال بن الهمام بهذه الأدلة التي أوردها الجمهور في وقوع الثلاث وقال«فماذا بعد الحق إلا الضلال، وعن هذا قلنا لو حكم حاكم بأن الثلاث بفم واحد واحدة لم ينفذ حكمه لأنه لا يسوغ الاجتهاد فيه فهو خلاف لا اختلاف».

**ج- أدلة المفصلين بين المدخول بها وغير المدخول بها:**

١-روى أبو داود عن ابن عباس قوله «أما علمت أن الرجل كان إذا طلق امرأته ثلاثا قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر» وأجيب عن هذا بأن التنصيص على غير المدخول بها لا ينافي الرواية الأخرى المطلقة.

٢-إن المطلق لما قال لغير المدخول بها طالق بانت الزوجة فصادفها قوله ثلاثاً وهي أجنبية بدون عدة.

ولكن هذا مردود بأن الكلام متصل وغير منفصل، فلا يصح جعله كلمتين، ولهذا قالوا: لو ماتت المرأة بعد قوله طالق قبل النطق لا يقع شيء، لأن الكل كلام واحد في الحكم، فلا يصح ما ذكروا من القياس. وكذلك روى محمد بن إياس أن (ابن عباس وأبا هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص أن البكر التي يطلقها زوجها قبل الدخول ثلاثاً لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره) (٢) .

**د-أدلة القائلين بوقوع الواحدة الرجعية:**

١- الكتاب: قال تعالى **«الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»**.

---

(١) مقارنة المذاهب في الفقه-شلتوت والسايس ص٨٢.

دلت الآية أن الطلاق المشروع بعد الدخول نوعان: الطلاق الذي لا يملك الرجل فيه الرجعة، وهو ما دل عليه قوله «فإن طلقها ف تحل له من بعد»، والطلاق الذي يملك الرجل فيه الرجعة، وهو ما يسبق هذه الطلقة.

[جاء في كتاب تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي السايس في تفسير هذه الآية«ولا يفهم من قوله ﷺ **من سبح دبر ك صلاة ثلاثا وثلاثين من أن يقولها مصحوبة بالعدد، ولا يكون ممتثلاً إلا بترديد التسبيح ثلاثا وثلاثين»** [1] ، ولا يفهم العرب من ك مرتين ونحوها إلا الحصول متعاقباً دفعة بعد دفعة، وكذلك قوله تعالى في اللعان«**فشهادة أحدهم أربع شهادات**» يراد منها أرب شهادات ينطق بها، وكذالك قوله ﷺ «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**» أي مرتين منفصلتين، وإن الأمور العملية كالطلاق لا تتكر تكرر القول المعبر عنها حتى ولا تتكرر القولية باتصال العدد بها كالتسبيح.

٢- **السنة**: ما رواه ابن عباس عن ركانه أنه طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً، فسأله النبي ﷺ **كيف طلقتها؟ فقال ثلاثا في مجلس واحد، فقال له: إنما تلك راحدة فارجعها**» أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وأخرجه أيضاً أب لى وصححه.

وأجاب الجمهور عن هذا الاستدال بانه في رواية أحمد محمد بن إسحق والكلام فيه معروف. إلا أن الصنعاني كتب رسا سماها «ثمرات النظر في علم أهل الأثر»، وأخرى اسمها«إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» حقق فيهما عدم صحة القدح في رواي حمد بن إسحق.

**وكذلك أجاب الجمهور عن هذا الحديث بأجوبة عديدة:** [2] .

[أ- إن محمد بن إسحق وشيخه مختلف فيهما، وأجيب بانهم احتجوا في عدة أحكام من أحاديث من رواية ابن اسحق: كر ب إلى زوجها أبي العاص بن الربيع بالنكاح الأول.

ب-معارضته بفتوى ابن عباس بوقوع الثلاث كما في رواية مجاهد وغيره، وأجيب بأن الاعتبار برواية الراوي لا برأيه.

ج-رجح أبوداود أن ركانه طلق امرأته البتة.

د-أنه مذهب شاذ فلا يعمل به- كما قال قوم.

هـ-قال بعضهم: أن رواية طاوس هذه شاذة، وقال ابن العربي: هذا حديث مختلف في صحته، فكيف يقدم على الإجماع.

و-إدعى بعضهم أن هذا الحديث منسوخ : نقل البيهقي عن الشافعي أنه قال: يشبه أن يكون أن ابن عباس علم شيئاً نسخ وقد أنكر المازري النسخ.

وقال بعضهم: أن الحديث ورد في صورة خاصة، فقال ابن شريح وغيره: يشبه أن يكون ورد في تكرير اللفظ، كأن يقول: أنت أنت طالق.

ز-دعوى الاضطراب: قال القرطبي: وقع فيه مع الاختلاف على ابن عباس الاضطراب في لفظه.

ك-تأويل قوله واحدة: وهو أن معنى قوله: أن الثلاث واحدة: أن الناس زمن النبي ﷺ كانوا يطلقون واحدة، ورجح هذا التأويل ربي ونسبه إلى أبي زرعة الرازي.

ـ-دعوى وقفه على ابن عباس، وأجيب عنه بأن الوقف على الصحابي في حكم المرفوع] [3] .

- الحديث الثاني: ما رواه طاوس عن ابن عباس: كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة لخطاب واحدة، فقال عمر:( **إن الناس قد استعجلوا في أمر كان لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم** ). رواه سلم.

وي كذلك عن ابن عباس أنه جعل كذلك طلقتك ثلاثا كمن قرأ الفاتحة ثم قال بعد قراءتها ثلاثا، فإن كان صادقاً أنه قرأها لملاق صحيح، وإلا فهو لغو من القول.

-استدلوا بالمعقول: إن جمع الثلاث بدعة محرمة، والبدعة مردودة بالنص، فيجب أن يرد إلى المشروع، قال ابن اسحق: خالف

ت الأحكام - محمد علي السايس- الجزء الأول ص ١٤١.

٢- أ- سبل السلام للصنعاني ص ١٧٤ الجز الثالث ب-نيل الأوطار للشوكاني -الجزء ٢٤٠ ج-فتح الباري بشرح البخاري- ابن حجر العسقلاني.

رجاالشوكاني الجزء السادس ص ٢٤٦ و سبل السلام للصنعاني الجزء الثالث ص ١٧٤ وفتح الباري بشرح البخاري- ابن حجر العسقلاني

السنة فيرد إلى السنة.

وقد وقف علماء الأزهر في هذا العصر كما وقف من قبل ابن تيمية وابن القيم إلى جانب هذا الرأي وأيدوا هذا القول. وقالوا بأنها خير وسيلة لصيانة الشرع من لعبة التحليل المزرية المشينة التي هي وصمة عار، وكذلك لحفظ كيان الأسرة من التفكك والانحلال، وحماية الأبناء من الضياع، والقاعدة المحكمة أن يتبع أخف الضررين.

يقول المرحوم الشيخ محمود شلتوت «والذي نراه في المسألة هو الرأي الذي اختاره قانون المحاكم الشرعية رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ وهو أن الطلاق المقترن بعدد لا يقع به إلا طلقة واحدة رجعية» (١).

## موقف القانون (٢)

لقد اتخذت القوانين الثلاثة (المصري، السوري، الأردني) موقفاً موحداً، إذ أخذت بالرأي الأخير القائل بوقوع واحدة رجعية أخذا من رأي ابن تيمية وابن القيم والعلماء المحدثين. وكذلك: فالقوانين الثلاث لم تتعرض بالنفي أو الإثبات إلى الطلاق في الحيض والنفاس أو في الطهر الذي مس فيه.

أ-نص القانون المصري رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ في المادة الثالثة «الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة».

ب-نص قانون العائلة الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١ في المادتين: المادة (٦٩): يملك الرجل على زوجته ثلاث طلقات.

المادة (٧٢): الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة.

ج- أما قانون الأحوال الشخصية السوري الصادر سنة ١٩٥٣ فقد تعرض في مادتيه (٩١، ٩٢) بنفس ما نص عليه القانون الأردني في مادتيه(٦٩، ٧٢).

أما القانون التونسي فلم يتعرض له مطلقاً.

# الباب الثاني

## الفصل الثالث

## من يقع منه الطلاق

إتفق الفقهاء على أن الطلاق بيد الرجل، ويقع طلاق الرجل إذا كان عاقلاً بالغاً مختاراً. وذلك لما روي عن ابن عباس أنه قال **«جاء رجل إلى النبي(ﷺ) فقال يا رسول الله: إن سيدي زوجني أمته وهو يريد أن يفرق بيني وبينها، فصعد رسول الله (ﷺ) المنبر فقال: «ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ثم يريد أن يفرق بينهما، إنما الطلاق لمن أخذ بالساق»**(٣).

وعلى هذا فلا يقع طلاق المرأة ولا طلاق المجنون أو الصغير أو المكره على رأي الجمهور.

### وسنتعرض في هذا البحث إلى النقاط التالية:

الحكمة من جعل الطلاق بيد الرجل، طلاق السكران، طلاق المكره، طلاق الصغير، طلاق المخطئ والغضبان، طلاق الهازل، طلاق المجنون، طلاق غير الزوج، الرسالة في الطلاق والتفويض فيه، التوكيل بالطلاق، التفويض في الطلاق، طلاق المريض مرض الموت.

## طلاق السكران (٤)

السكر: حالة سرور تغلب على العقل فيهذي صاحبه في كلامه ويختلط جده بهزله، ولكن الإمام أبا حنيفة يشترط لحد السكر

---

(١) فتاوى الشيخ محمود شلتوت- رحمه الله ص ٣٠٥. (٢)مصادر القانون ١-فقه السنة- سيد سابق- الجزء الثامن ص ٨٠

٢ -قانون العائلة الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١ ٣-شرح قانون الأحوال الشخصية السوري- الدكتور المرحوم مصطفى السباعي

(٣) رواه ابن ماجه في سننه والدار قطني والطبراني

(٤) [illegible] الكتب التالية ١-الفقه على المذاهب الأربعة [illegible] الأحوال الشخصية ص ٢٨٠ ٢-[illegible] الجزء الرابع ص [illegible] ٣-الفن

أن لا يفرق السكران بين السماء والأرض . ولا فائدة في الاختلاف في حد السكر في وقوع الطلاق لأنه إن كان صاحياً فقد وقع طلا وإن كان سكرانا فقد وقع طلاقه زجراً. إلا أن حد السكر يعتبر عند إقامة الحد.

**وقد اختلف الفقهاء في وقوع طلاق السكران:**

١-قال الجمهور: يقع لأنه أدخل الفساد إلى عقله بمنكر وبصنع يده، وقال بوقوعه: سعيد بن المسيب والحسن البصر إبراهيم النخعي والزهري والشعبي والأوزاعي والثوري.

وقال أيضاً بوقوعه: مالك وأبو حنيفة، وعن الشافعي قولان المصحح فيهما وقوعه، والخلاف عند الحنابلة.

وقد حكي القول بالوقوع في البحر: عن علي وابن عباس وابن عمر ومجاهد والضحاك وسليمان بن يسار وزيد بن علي والمؤ لله والهادي.

٢-لا يقع: وبه قال: المزني من أصحاب الشافعية، والليث، وبعض الحنفية تشبيها له بالمجنون. والظاهرية.

قال الليث: كل ما جاء في منطق السكران فموضوع عنه ولا يلزم عليه الطلاق ولا العتاق ولا النكاح ولا البيع ولا حد في قذف ا ما جنته جوارحه فلازم له فيحد في القتل والزنا .

ثبت عن عثمان أنه قال: السكران معتوه بسكره.

زعم أهل العلم: أنه لا مخالف لعثمان في ذلك من الصحابة، قال بعضهم: إن كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه، فالسكرا وه، وقال به: يحيى بن سعيد وحميد بن عبدالرحمن وعبدالله بن الحسن.

وقال بعدم الوقوع أيضاً داود وأبو ثور وإسحق وجماعة من التابعين، واختاره الكرخي والطحاوي وإليه ذهب البتي، وروي ع عباس وأبي الشعثاء وعطاء وطاوس وعكرمة والقاسم بن محمد وعمر بن عبدالعزيز وربيعة الرأي والليث وإسحق.

وهو قول بعض الزيدية كالناصر وأبي علي وأحمد بن يحيى وأبي طالب وهو أحد قولي الشافعي وقول لمالك وروي عن أحـ يعة الإمامية.

وأما سبب السكر عند الحنفية فهو يتنوع:

١-إذا تناول شيئا مباحاً: كالخل وعصير القصب واللبن فسكرمنها وطلق فإن طلاقه لا يقع اتفاقاً.

٢- تناول شيء يسكر كثيره لا قليله: كالأشربة من الحبوب والعسل والفواكه، وفيها خلاف، فعند محمد: يقع، و به في المذهب، أما عند الإمام وأبي يوسف: لا يقع .

٣-أن يسكر من الخمر المحرم بالإتفاق: فإن سكر وطلق فطلاقه لا يقع، ويلحق بالخمر الأفيون والحشيش والمخدر فين والكوكايين. أما البنج فإن أشار به طبيب للتداوي تكون في حكم المباح ولا يقع طلاق من تأثر بسببها، أما دون إشا ، فيقع الطلاق.

جاء في الفن الثاني من الأشباه والنظائر{ "عن أبي بكر بن أحمد أنه قال: ينفذ من السكران كل ما ينفذ مع الهزل، ولا يبد .. فلا ينفذ منه البيع والشراء، وظاهر أيضاً سواء كان طائعا في الشرب أو مكرها، وهو قول في وقوع الطلاق إذا سكر بالشر . والصحيح أنه لا يقع كما لا تجب عليه الحد.

وظاهر كلامه أيضاً أن تصرفات من سكر بالبنج نافذة لأنه داخل تحت عموم السكران، وليس كذلك على ما صححه ، فيقيد كلامه من غير البنج. وفي تصحيح القدوري للعلامة قاسم نقلاً عن الجواهر: وفي هذا الزمان إذا سكر من البنج ؛ جراً وعليه الفتوى.

في النهاية: الفتوى على أنه يحد شاربه لفشو هذا الفعل في هذا الزمان. وفي البزازية أن شارب البنج إن كان يعلم حين شـ ـو فطلق يقع، وإن لم يعلم لا يقع. قال قاضي خان: والصحيح أنه لا يقع على كل حال، ولو من الأشربه من الحبوب والعـ لمختار في زماننا لزوم الحد، لأن الفساق يجتمعون عليه، وكذا المختار:وقوع الطلاق، لأن الحد محتال لدرئه، والطلاق يحـ وجب ما يحتال لأن يقع ما يحتاط له أولى" } (١)

---

ثاني من حاشية الإشباه والنظائر- خط يد وغير مرقم.

أما المالكية فقالوا( "السكر الذي يترتب عليه وقوع الطلاق هو الهذيان والاختلاط، أما من لم يفرق بين السماء والأرض فهو كالمجنون: لا يقع طلاقه"). ويشترط عند الجميع علم الشارب بأن الشراب يسكر.

## الأدلـــــــــــة

أ-أدلة القائلين بوقوع طلاق السكران:

١- قال تعالى (**لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**) فنهيهم هذا يقتضى عدم زوال التكليف، وكل مكلف يصح منه الطلاق وغيره من العقود والإنشاءات.

وأجاب القائلون بعدم الوقوع عن هذا فقالوا: بأن النهي هو عن أصل السكر الذي يلزم منه قربان الصلاة كذلك، وقيل أنه نهي للمثل الذي لا يعقل الخطاب. وكذلك قوله (**حتى تعلموا ما تقولون**) دليل على أن السكران يقول ما لا يعلم، ومن كان كذلك فكيف يكون مكلفاً وهو غير فاهم، ومن المقرر في الأصول: أن الفهم شرط التكليف، قال ابن القيم« انعقد الإجماع على أن شرط التكليف العقل، ومن لا يعقل ما يقول فليس بمكلف» [١].

٢-أن السكران عاص بفعله، فلا يزول عنه الخطاب بالسكر ولا بالإثم لأنه يؤمر بقضاء الصلوات.

(وأجاب الطحاوي عن هذا [القائل بعدم الوقوع] : لا تختلف أحكام فاقد العقل بين أن يكون ذهاب عقله بسبب من جهته أو جهة غيره، إذ لا فرق بين عجز عن الصلاة بسبب من جهته أو جهة غيره كان كسرت رجله). [٢].

٣-ربط الأحكام بأسبابها أصل من الأصول المأنوسه في الشريعة.

وأجيب عنه بالاستفسار عن سبب الطلاق: هل هو إيقاع لفظه مطلقاً، إن قلتم نعم لزمكم أن يقع من المجنون والنائم والسكران غير العاصي بفعله، وإن قلتم أنه إيقاع لفظ من العاقل الذي يفهم ما يقول، فالسكران غير عاقل ولا فاهم لما يقول) . [٣]

٤-ورد أن الصحابة رضوان الله عليهم جعلوا طلاق السكران كالصاحي.

وأجاب أبو محمد بن حزم فقال: خبر مكذوب(أي خبر: من سكر هذى، ومن هذى افترى، وحد المفتري ثمانون). [٤]

٥-إن السكران جان فيؤخذ بجنايته. قال عثمان التيمي«لا يلزمه عقد ولا بيع ولا حد إلا حد الخمر فقط»، وروي إيقاعه عن عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان، وأجيب بأن ذلك محل خلاف بين الصحابة.

٦-إن عدم إيقاع طلاق السكران مخالف للمقاصد الشرعية.

٧-جاء في الحديث الشريف «**ألا قيلو له في الطلاق**».

٨-ورد في الحديث عن ابن عباس «**كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه**»، إلا أن المعارضين لم يأخذوا بهذا الحديث لأنه فيه الحجاج بن أرطاه والكلام فيه معروف.

ب- أدلة القائلين بعدم الوقوع :

١- ورد في صحيح البخاري **إن حمزة سكر فدخل عليه النبي (ﷺ) هو وعلي وهو سكران، «فقال حمزة: وهل انتم إلا عبيد لأبي»** ولم يلزمه رسول الله(ﷺ) حكمها لأنها كلمة كفر لو كان صاحياً، قال ذلك ابن القيم.

ولكن أجيب عن هذا الاستدلال بأن الخمر كانت أنذاك مباحة. حكى الحافظ في الفتح عن ابن بطّال أنه قال« الأصل في السكران العقل، والسكر شيء طرأ على عقله، فمهما وقع منه من كلام مفهوم فهو محمول على الأصل حتى يثبت فقدان عقله».

٢-يقول بن عباس: طلاق السكران والمستكره ليس بجائز.

٣-قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ليس لمجنون ولا لسكران طلاق» علقه البخاري. وقال عطاء «طلاق السكران لا يجوز» وقال طاووس أيضاً «طلاق السكران لا يجوز» ومثله قال القاسم بن محمد.

٤- صح عن عمر بن عبدالعزيز أنه أتي بسكران قد طلق امرأته، فاستحلفه بالله لقد طلقها وهو لا يعقل فحلف، فرد عليه

امرأته وحده بحد السكر.

وقد استقر مذهب أحمد على هذا الرأي. روى الميموني عن أحمد (وقد كنت أقول أن طلاق السكران يجوز حتى تبينته، فقل على أنه لا يجوز طلاقه، لأنه لو أقر لم يلزمه ولو باع لم يجز بيعه». قال أبو بكر بن عبدالعزيز: وبهذا أقول، وهذا مذهب أهل الظاه كلهم.

ونختم طلاق السكران بكلمة للشوكاني في نيل الأوطار «والحاصل أن السكران الذي لا يعقل لا حكم لطلاقه لعدم المناط الذ ندور الأحكام، وقد عين الشارع عقوبته، فليس لنا أن نجاوزها برأينا ونقول: يقع طلاقه عقوبة له فيجمع بين غرمين، لا يقال أن الط لطلاق ليست من الأحكام التكليفية، بل من الأحكام الوضعية، وأحكام الوضع لا يشترط فيها التكليف. لأنا نقول: إن الأحكا لوضعية تقيد بالشروط كما تقيد الأحكام التكليفية، وأيضا السبب الوضعي هو طلاق العاقل لا مطلق الطلاق بالاتفاق وإلا لزم وقو لاق المجنون» (١).

# موقف القانون

إن القانون في معظم البلاد العربية قد أخذ بالرأي الأخير الذي يقول بعدم وقوع طلاق السكران. وهو ما استقر عليه مذهب حنابلة، والرأي الظاهر عند مالك والشافعي، وبه قالت الظاهرية والأئمة الذين تقدم ذكرهم، وخيراً ما صنع القانون تقليلاً للطلا ي زاد في المدة الأخيرة.

١-في القانون المصري رقم ٢٥ الصادر سنة ١٩٢٩ المادة (١) تنص: لا يقع طلاق السكران.

٢-في القانون السوري المعمول به الآن: المادة (٨٩): لا يقع طلاق السكران ولا المدهوش ولا المكره.

٣- في قانون العائلة الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١ «المادة (٦٨): طلاق السكران وطلاق المدهوش والطلاق الواقع بالإكراه غير بر».

٤-في السودان كذلك العمل منذ سنة ١٩٣٥ حيث صدر منشور بذلك.

# طـــلاق المـــكـره (٢)

إختلف الفقها في وقوع طلاق المكره:

١-فقال بعضهم يقع: وهو رأي الحنفية فقالوا: يقع طلاقه وعتقه دون بيعه، وكذلك يقع ظهاره ورجعته والعفو عن القصاص إكراه.

وهو مروي عن بعض التابعين والنخعي وسعيد بن المسيب وسفيان الثوري وعمر بن عبدالعزيز، قال الشعبي: «إن أكرهه لص وقع، وإن أكرهه السلطان فلا».

٢-وقال الجمهور لا يقع: وهم مالك والشافعي وأحمد وأبو داود وجماعة، وبه قال عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن وعطاء ومجاهد وطاووس وشريح والأوزاعي والحسن بن صالح. وحكي في البحر: أنه روي عن العترة والناصر والمؤيد بالله ومالك والشافعي.

إلا أن الفقهاء يشترطون شروطاً لعدم الوقوع ، يشترط الشافعي ما يلي:

١-أن يكون المهدد بالإكراه قادراً على التنفيذ، والخطر محدق بالمكره.

٢-أن يعجز المكره عن دفع الإكراه.

٣-أن يظن المكره أنه إن امتنع عن الطلاق يلحقه الأذى.

٤-أن لا يكون الإكراه بحق، كمن آلى ومضت أربعة أشهر وامتنع عن العودة يكرهه الحاكم على الطلاق ويكون ذلك بحق.

(١) نيل الأوطار- الشوكاني-باب طلاق المكره والسكران الجزء السادس ص ٢٥٢.

(٢) استمدت هذا البحث من المصادر التالية:

١-إعلام الموقعين-ابن القيم- الجزء الرابع ص ٣٨-٤٠. ٢-الفقه على المذاهب الأربعة-عبد الرحمن الجزيري- قسم الأحوال الشخصية ص ٢٨١. ٣-فتح الباري بشرح البخاري-باب الطلاق في الإغلاق والناسي. ٤-نيل الأوطار للشوكاني- باب طلاق المكره والسكران الجزء السادس ص ٢٥٠.

٥-أن لا يظهر من المكره أي نوع من الاختيار.

٦-أن لا ينوي الطلاق في قلبه.

أما الحنابلة فاشترطوا نفس الشروط سوى الشرط الأخير «وهو عدم النية في القلب».

وسبب الخلاف بين الحنفية والأئمة الباقين: هل المكره على الطلاق مختار أم لا؟ قال الحنفية: إنه مختار، لأنه لا يكره على اللفظ، وقال الأئمة الباقون أنه غير مختار، هذا مع اتفاقهم جميعاً على الحديث «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

ولكن الحنفية اشترطوا لوقوع الطلاق التلفظ به، فإذا أكرهه على كتابة الطلاق فكتبه لايقع الطلاق، وكذا إذا أكره على الإقرار بالطلاق فاقر فإنه لا يقع، ولو أقر بدون إكراه كاذباً أو هازلاً يقع قضاءً لا ديانة.

أما المالكية فقالوا: لا يقع بالإكراه طلاق إلا إذا كان الزوج ناوياً إيقاع الطلاق. أما إذا حلف بالطلاق لا يدخل داراً وحمله رجل وأدخله الدار رغماً فلا يلزمه الطلاق على المعتمد، ولكن بشروط خمسة:

١-أن تكون صيغة الحلف صيغة بر لا حنث: أي أن يحلف على أن لا يفعل، أما صيغة الحنث فهي أن يحلف على أن يفعل.

٢-أن لا يأمر غيره بإكراهه.

٣-أن لا يعلم عند الحلف أنه سيكره.

٤-أن لا تتضمن صيغة الحلف بعدم الفعل طوعاً ولا كرهاً.

٥-أن لا يفعل ما حلف عليه بعد زوال الإكراه.

## الأدلـــــة

**أ-أدلة الحنفية القائلين بالوقوع:**

١-روى الغار بن جبلة عن صفوان بن عمرو عن رجل من أصحاب رسول الله(ﷺ) أن رجلاً جلست امرأته على صدره وجعلت السكين على حلقه وقالت له طلقني أو لأذبحنك، فناشدها فأبت، فطلقها ثلاثاً، فذكر ذلك للنبي (ﷺ) فقال« **ألا قيلو له في الطلاق** ».

(قال ابن القيم: وهذا الحديث مردود من عدة وجوه، إذ أن فيه ثلاث علل:

١- ضعف صفوان بن عمرو.

٢- لين الغار بن جبلة.

٣- تدليس صفوان عمن روى عنه.

ومثل هذا الحديث لا نحتج به. وقال ابن حزم«هذا خبر في غاية السقوط) (١) .

٢-روى سعيد بن منصور حدثنا فرج بن فضاله حدثني عمرو بن شراحيل المعافري أن امرأة استلت سيفاً فوضعته على بطن زوجها وقالت: والله لأنفذنك أو لتطلقني ثلاثا، فرفع ذلك إلى عمر فأمضى طلاقها.

ويرد هذا الخبر أن عمل عمر على خلافه، ولا يعلم معاصرة المعافري لعمر بن الخطاب، وفرج بن فضاله فيه ضعف.

٣- روى عطاء بن عجلان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال «**كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمغلوب على عقله**». وهذا مردود لأنه من رواية عطا بن عجلان وضعفه مشهور وقد رمي بالكذب، قال ابن حزم: وهذا شر من الخبر السابق (خبر الغار بن جبلة) ) (٢) .

٤- قال علي بن أبي طالب: كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه. ولكن صح عنه أنه كان لا يجيز طلاق المكره.

ب- أدلة الجمهورالقائلين بعدم وقوع طلاق المكره:

١- روى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عائشة قالت قال رسول الله (ﷺ) «**ولا طلاق ولا عتاق في إغلاق**» فسّر علماء الغريب الإغلاق بأنه الإكراه، روي ذلك في التلخيص عن ابن قتيبة والخطابي وابن السيد وغيرهم .

٢-الحديث الثاني «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». أخرجه ابن ماجة وابن حبان والدار قطني والطبراني الحاكم وحسنه النووي.

{إلا أن عبدالله بن أحمد قال في العلل: سألت أبي عنه فأنكره جداً، وقال ابن أبي حاتم أنه سأل أباه عن أسانيده فقال: هذه حاديث منكرة كلها موضوعة، ونقل الخلال عن أحمد أنه قال: من زعم أن الخطأ والنسيان مرفوع فقد خالف كتاب الله وسنة رسول « (ﷺ) : فإن الله أوجب في قتل النفس الخطأ كفارة} (١) .

٣-عن وكيع عن ابن أبي ليلى عن الحكم عتيبة عن خيثمه بن عبد الرحمن قال: قالت امرأة سمني، فسماها الظبية، فقالت ما ت شيئاً، قال: هات ما أسميك به، قالت: سمني خلية طالقاً، قال: أنت خلية طالق. فأتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت إن جي طلقني، فجاء زوجها فقص عليه القصة، فأوجع عمر رضي الله عنه رأسها وقال لزوجها خذ بيدها وأوجع رأسها.

٤-«عن عمر أن رجلاً تدلى بحبل ليشتار عسلاً، فأتت امرأته فقالت لأقطعن الحبل أو تطلقني، فناشدها الله فأبت، فطلقها، فأتى ر فذكر له ذلك، فقال له ارجع إلى امرأتك فإن ذلك ليس بطلاق» (٢) .

٥- قال ثابت الأعرج: سألت عبدالله بن عمر وابن الزبير عن طلاق المكره فقالا جميعاً ليس بشيء.

## موقف القانون

اتخذت القوانين الثلاثة " الأردني والسوري والمصري" المعمول بها الآن نفس الموقف الذي اتخذته في طلاق السكران، إذ نصت عدم وقوع طلاق المكره أخذاً من آراء الأئمة الثلاثة " الشافعي ومالك وأحمد" خلافاً للحنفية، فقد نصت المادة (٨٩) من قانون وال الشخصية السوري على " لا يقع طلاق السكران ولا المدهوش ولا المكره".

أما المادة (٦٨) من قانون العائلة الأردني فقد نصت على " طلاق السكران وطلاق المدهوش والطلاق الواقع بالإكراه غير

وهذا يتفق مع روح التشريع الإسلامي ومع النصوص النقلية والأدلة العقلية التي يقتضيها منطق الإسلام والشريعة.

## طلاق الصغير (٣)

١:قال مالك في المشهور عنه: لا يقع طلاق الصغير، ولا يحتسب عليه طلاق حال الصغر مطلقاً ولو كبر حتى يبلغ.

وقال في مختصر ما ليس في المختصر«إنه يلزمه إذا ناهز الاحتلام».

٢:قال أحمد بن حنبل ورواية عن مالك (مر ذكرها): يلزمه إذا ناهز الاحتلام، فقد قال أحمد: إذا أطاق رمضان يقع طلاقه، أ قل الطلاق ويعلم أن زوجته تبين منه يقع طلاقه، واختاره أبوبكر الخرقي، وروي عن سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي ذه الرواية اقتصر صاحب كشاف القناع.

لكن روى أبو طالب عن أحمد: أنه لا يقع طلاقه حتى يحتلم، وهو قول النخعي والزهري وحماد والثوري وأبي عبيد، وروي مثل ن عبدالله بن عباس، واستدلوا بالحديث«رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون قل أو يفيق» رواه أحمد والأربعة إلا الترمذي وصححه الحاكم، ومن الشيعة الإمامية من ذهب إلى وقوع طلاقه.

وهناك رواية أخرى رواها أبو الحارث عن أحمد: أنه إنما يقع طلاق الصبي إذا جاوز العشر، أما دونها فلا يقع، وهو اختيا

٢: قال عطاء «إذا بلغ اثني عشر عاماً جاز طلاقه» ، وروي مثله عن عمر بن الخطاب.

## أما القانون

إنه منع الطلاق من قبل الصغير سواء المصري أو السوري أو الأردني.

ا القانون السوري الصادر سنة ١٩٥٣ فقد نص في المادة (٨١):

ـاكم- الصنعاني- الجزء الثالث ص ١٧٦.     (٢) نيل الأوطار- الشوكاني- الجزء السادس ص ٢٥٠     (٣) إستقي هذا البحث من المصادر التالية
ـار- محمد الشوكاني     ٢-محاضرات في فرق الزواج - علي الخفيف     ٣-شرح قانون الأحوال السوري -مصطفى السباعي

١-يكون الرجل متمتعاً بالأهلية الكاملة للطلاق في تمام الثامنة عشرة.

٢-يجوز للقاضي أن يأذن بالتطليق أو يجيز الطلاق الواقع من البالغ المتزوج قبل الثامنة عشرة إذا وجدت المصلحة في ذلك.

أما قانون العائلة الأردني: فلم يتعرض لطلاق الصغار اكتفاء منه بمنع زواجهم.

## طلاق المخطئ والغافل والغضبان والمدهوش (١)

المدهوش من يغلب على عقله شيء فيدخل الخلل في أقواله وأفعاله فيهذي كثيراً ويختلط جده بهزله بسبب صدمة عصبية عنيفة أصابته فأذهبت عقله، وحكم المدهوش، المعتوه سواء كان فاهماً لما تطلق به أم كان غير فاهم، وذلك لأن معرفته هذه غير معتبرة، إذ لا يصحبها إدراك ووزن سليمان وهذا ما رجحه ابن عابدين.

وكذلك الغضبان لا يقع طلاقه كما يقول ابن عابدين: إذا غلبه الهذيان غلبةً خارجة عن عادته، وذهب الحنابلة إلى وقوع طلاق الغضبان، وهو رأي لمالك.

واستدلوا بحديث عائشة قالت سمعت رسول الله (ﷺ) يقول«لا طلاق ولا عتاق في إغلاق» قيل الإغلاق الغضب كذا وقع في سنن أبي داود إذ قال: والغلاق أظنه الغضب، وكذا فسّره ابن الأعرابي وأحمد. ورده ابن السيد قائلاً «لو كان كذلك لم يقع على أحد طلاق، لأن أحداً لا يطلق حتى يغضب».

قال المطرزي: قولهم إياك والغلق أي الضجر والغضب، ولكن رده ابن فارس.

{قال أحمد: يعني الغضب، حكاه الخلال وأبو بكر في الشافي وزاد المسافر، قال أبو عباس المبرد: الغلق ضيق الصدر وقلة الصبر بحيث لا يجد له مخلصاً. قال شيخنا: ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون ومن زال عقله بسكر أو غضب} (٢) ، وكل من لا قصد له ولا معرفة له بما قال. ولا يقع طلاق من اختل عقله لكبر أو مرض، ومن لقن جملة لا يفهمها، والغضب كما قسمه ابن القيم على ثلاثة أقسام:

١- ما يزيل العقل ولا يشعر صاحبه بما قال، وهذا لا يقع طلاقه بلا نزاع.

٢- ما يكون في مباديه بحيث لا يمنع صاحبه من تصور ما يقول، فهذا يقع طلاقه بلا نزاع.

٣- أن يستحكم ويشتد ولا يزيل عقله بالكلية، ولكن يحول بينه وبين نيته بحيث يندم على ما فرط منه إذا زال، وهذا محل نظر وعدم الوقوع في هذه الحالة قوي متجه.

**أما القانون:** فقد تعرض إلى طلاق المدهوش فقط في نفس المواد التي تعرض بها لعدم إيقاع طلاق السكران والمكره وكذلك المدهوش.

## طلاق الهازل(٣)

طلاق الهازل واقع عندالجمهور، وهو المحفوظ عن الصحابة والتابعين مستدلين بالحديث الذي رواه الخمسة إلا النسائي عن أبي هريرة «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة» وقال الترمذي حسن غريب. وأخرجه الحاكم وصححه.

وبوقوع طلاق الهازل قال الحنفية والشافعية وأحمد وجمهور الزيدية والمشهور عن الإمام مالك.

وفي رواية عن الإمام مالك وأحمد: لا يقع كما في حاشية الدسوقي، وقال الباقر والصادق والناصر والشيعة الإمامية: لا يقع.

ويرجح بعض العلماء المحدثين كالأستاذ علي الخفيف في كتابه (محاضرات عن فرق الزواج) الأخذ بقول القائلين بعدم الوقوع.

---

(١) أ-الفقه على المذاهب الأربعة-عبد الرحمن الجزيري-الأحوال الشخصية ص ٢٨١ ب-فتح الباري بشرح البخاري ابن حجر العسقلاني-طلاق المخطئ. جـ-نيل الأوطار للشوكاني- طلاق المخطئ والغافل والغضبان الجزء السادس ص ٢٥٠.

(٢) زاد المعاد- ابن القيم-الجزء الرابع-ص ٤٢.

(٣) المصادر هي: ١-نيل الأوطار للشوكاني-الجزء السادس ص ٢٤٩. ٢-سبل السلام للصنعاني-الجزء الثالث ص ١٧٦. ٣-محاضرات في فرق الزواج-الشيخ علي الخفيف.

٤-الفقه على المذاهب الأربعة-عبد الرحمن الجزيري-الأحوال الشخصية ص ٢٨١.

ولكن العلامة ابن قيم الجوزية يرجح القول بوقوع طلاق الهازل فيقول: [والحديث «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق رجعة» فهذا يقضي أن يلزمه ما هزل به، فدل ذلك على أن كلام الهازل معتبر، وإن لم يعتبر كلام النائم والناسي وزائل العقل كره. والفرق بينهما أن الهازل قاصد للفظ غير مريد لحكمه، وذلك ليس إليه، فإنما إلى المكلف الأسباب، وإما ترتب مسبباتها كامها فهو إلى الشارع قصده المكلف أم لم يقصده، والعبرة بقصده السبب اختياراً في حال عقله وتكليفه، فإذا قصده رتب ارع عليه حكمه، جد به أو هزل] (١) .

وإني أرى أنه يجب القول بالوقوع لأنه لا مجال للاجتهاد في مورد النص، إذ أن الحديث واضح وصريح ولم يطعن فيه.

وأما القوانين فلم تتعرض لذكر طلاق الهازل نفياً ولا إثباتاً.

فيبقى العمل على مذهب أبي حنيفة القائل بوقوع طلاق الهازل.

## طلاق المجنون (٢)

لقد اشترط الفقهاء في المطلق أن يكون عاقلاً بالغاً. فلا يصح طلاق الصغير، ولا طلاق المجنون ولو كان جنونه متقطعا يأتيه ويزول عنه مرة أخرى، فإذا طلق حال جنونه لا يعتبرطلاقه ولا يحسب عليه بعد الإفاقه.

والمراد بالجنون زوال العقل بمرض، فيدخل فيه الإغماء، والحمى التي تذهب العقل وتسبب الهذيان، ومن زال عقله بسبب صداع أو مرض مخي، أما الذي لم يزل عقله ولكن يغطي ويستتر بسبب تناول مسكر من خمر وحشيش وأفيون وكوكايين ونحو ذلك من رات التي تغطي العقل فإن تناولها الشخص وهو عالم بأنها تزيل العقل ليسكر ويطرب فذهب عقله وطلق امرأته فإن طلاقه يقع أو تناولها لتوقف إزالة مرضه عليها فغاب عقله وطلق فإن طلاقه لا يقع.

وهذا باتفاق الفقهاء، وهو المروي عن الرسول (ﷺ) إذ قال «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق» رواه الخمسة إلا الترمذي وصححه الحاكم.

وكذلك الحديث الذي رواه ابن عباس «كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه»، وقال عثمان رضي الله عنه «ليس لمجنون ولا لمستكره» ، وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال«كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه».

وكذلك في الأصول: إن من شرط التكليف العقل، وإذا فقد العقل سقط التكليف. ولذا فطلاق المجنون لا يقع لفقدان المناط.

## الحكمة من جعل الطلاق بيد الرجل (٣)

إن الإسلام دين البشرية والإنسانية، جاء ليحرر الإنسان جنس الإنسان في الأرض كل الأرض، فهو إعلان عام لتحرير ، وهو لذلك دين الفطرة البشرية والطبيعة الإنسانية، وكيف لا وقد تنزل من لدن حكيم عليم بالإنسان، ولذا فهو يقدر المصالح الحقوق، ويضع الواجبات ويوزعها بدقة لا يتركها إلى الصدفة العابرة، أو الفلتة الشاردة أن تتدخل، وهو ينسق الأوامر تنظيماً دقيقاً لكي يسير هذا النظام البشري ويتفق مع ناموس الكون كله، فكل انحراف وإن قل، وكل شذوذ وإن صغر عن اصطدام مع الفطرة، وبالتالي اصطدام بناموس الكون الذي يدل بمجموعه أن وراءه قوة تحركه، وقوة تدبره، وناموساً ينسقه.

الإسلام يقدر بأن الرجل هو الذي يتكبد الخسائر بدفع الصداق، وقد تكون تكاليف الزواج باهظة قضى الرجل ردحاً طويلاً ، وأنفق في جمعها شطراً لا يستهان به من حياته، لقد جمعها بعرقه ودمه، وهو لا يقدم على الطلاق إلا بعد أن يستنفذ آخر كنانته من أجل الحفاظ على الرابطة الزوجية، ولا يختار الطلاق إلا كعلاج أخير للخلاص من جحيم الحياة الزوجية التي قضى ولها لإطفاء أوارها وتخفيف لظاها، والزوج لا يقدم على الطلاق إلا وهو يعلم أن الطلاق بتر، وآخر علاج الكي.

يلخص لنا المرحوم الدكتور مصطفى السباعي بقلمه السيال وفكره اللامع وبإشراقة روحه هذا الموضوع فيقول:«إن الاحتمالات

---

اد- ابن القيم-الجزء الرابع- ص ٣٨.

١-الفقه على المذاهب الاربعة-عبد الرحمن الجزيري- قسم الأحوال الشخصية ص ٢٨١. ٢-زاد المعاد-ابن القيم-الجزء الرابع ص ٣٨. ٢-نيل الأوطار الشوكاني. لباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

باختصار عن كتاب الدكتور المرحوم ذي الفكر اللامع مصطفى السباعي(المرأة بين الفقه والقانون) ص ١٢٧-١٣١.

العقلية في هذا الموضوع لا تخلو عن خمسة:

الأول: أن يجعل الطلاق بيد المرأة وحدها.

الثاني: أن يجعل الطلاق باتفاق الرجل والمرأة معاً.

الثالث: أن يجعل الطلاق عن طريق المحكمة.

الرابع: أن يجعل الطلاق بيد الرجل وحده.

الخامس: أن يجعل الطلاق بيد الرجل وتعطى المرأة فرصاً إذا أساء الرجل استعمال حقه.

فلنناقش كل احتمال منها على حدة:

الأول: لا سبيل لإعطاء المرأة وحدها حق الطلاق لأن فيه خسارة مالية للرجل، وزعزعة لكيان الأسرة، والمرأة لا تخسر مادياً بالطلاق.

يقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة{إن المرأة تحكمها العاطفة، وتلك ميزتها وفضيلتها، والعاطفة إذا سيطرت على الأمور الخطيرة قد تضر، والمرأة تغضب فتظن أن صفحة حياتها قد أصابتها كدرة لا بقاء معها، وإن البيت صار أضيق من كفة الحابل، فلو جعل الطلاق بيدها ما نظرت في عواقبه، أما الرجل فإنه يوازن بين ما أنفقه ومصير أولاده والمهر الذي دفعه وبين الحاجة الدافعة للطلاق، فمتى رجح أحدهما نفذها} (١).

والمرأة تربح بيتاً جديداً ومهراً جديداً وعريساً جديداً. فهي تطلق لأي ثورة جانحة أو غضب جامح، ولنتصور رجلاً اختلف مع زوجته، فإذا هي تطلقه وتطرده من البيت وهو صاحبه والمنفق عليه.

الثاني: وجعل الطلاق بيد الرجل والمرأة معاً أمر يكاد يكون من المستحيل اتفاقهما عليه، إن الإسلام لا يمنع أن يتفاهم الرجل والمرأة على الطلاق، ولكن لا يعلق صحته على إتفاقهما معاً، إذ ماذا يكون الحال فيما لو أصبحت حياة الرجل مع المرأة شقاء وسعيراً وأراد أن توافق امرأته على الطلاق فرفضت، وكيف نجبره على أن يعيش مع امرأة كرهها ثم أبت أن توافق على طلاقها منه. الثالث: وجعل الطلاق عن طريق المحكمة-كما هو عند الغربيين- قد ثبتت أضراره من جهة، وعدم جدواه من جهة أخرى، أما أضراره فما يقتضيه من فضح أسرار الزوجية أمام المحكمة والمحامين عن الطرفين، وقد تكون هذه الأسرار مخزية من الخير لأصحابها سترها، ولنتصور أن رجلاً أشتبه في سلوك زوجته طالباً طلاقها لهذا السبب، فكيف تكون الفضيحة في البلدة والصحف.

يقول الشيخ أبو زهرة { قد يقول قائل أن القاضي ناظر غير متحيز، ولأن العقد ثنائي فلا تبطله إرادة منفردة، ولكن هذا القول لا يستقيم إلا إذا كان أمر النفوس وخفايا القلوب يمكن أن تثبت بالدليل الظاهر، ثم إن القضاء إنما ينظر فيما هو حق أو ظلم ليقر الحق ويمنع الظلم، والمسألة في الحياة الزوجية ليست مسألة ظالم ومظلوم، وإنما هي صلاحيتها للبقاء بإمكان استمرار المودة، وإذا كان سبب الطلاق أمراً غير الحب والبغض فهل من المصلحة الاجتماعية أن تنشر فضائح ودخائل الأسر في دور القضاء وتسجل في سجلاته}(٢).

وأما عدم جدواه فإن المتتبع لحوادث الطلاق.. المحاكم في الغرب يتأكد أن تدخل المحكمة شكلي في الموضوع، فقل أن تقدمت امرأة أو رجل يطلب الطلاق إلى المحكمة ثم رفض و إن كثيراً من ممثلات السينما يعلن عن رغبتهن في الطلاق من أزواجهن والزواج من آخرين قبل أن يتقدمن إلى المحاكم، ثم ما تلبث المحاكم أن تجيبهن على طلبهن، وأبشع من ذلك أن المحاكم في بعض البلاد الغربية لا تحكم بالطلاق إلا إذا ثبت زنا الزوج أو الزوجة، وكثيراً ما يتواطآن فيما بينهما على الرمي بهذه التهمة ليفترقا، وقد يلفقان شهادات ووقائع مفتعله حتى تحكم المحكمة بالطلاق.

فأي الحالتين أليق بالكرامة وأحسن للإنسان أن يتم الطلاق بفضائح أم بدونها؟

الرابع: وجعل الطلاق بيد الرجل وحده هو الطبيعي المنسجم مع واجباته المالية نحو الزوجة والبيت، فمادام هو الذي يدفع المهر ونفقات العرس والزوجية كان من حقه أن ينهي الحياة الزوجية إذا رضي بتحمل الخساره المالية والمعنوية.

لذلك نجد أن إعطاء الرجل وحده حق الطلاق طبيعي ومنطقي ومنسجم مع قاعدة«الغرم بالغنم».

على أن هناك اعتراضات قد تنشأ وتلهج بها ألسنة الذين لا يعلمون منها:

١- إن الزوج قد يقدم على الطلاق بطراً أو نكاية بالمرأة لمجرد الاستمتاع بامرأة جديدة، وقد يسيء إلى أولاد الزوجة القدي ...سخاً لأمر زوجته الجديدة.

والجواب عنه على أنه لا يوجد نظام في العالم إلا وينشأ عند تطبيقه أضرار لبعض الأفراد، ومقياس صلاح النظام أو فسا ...و نفعه لأكبر قدر من الناس. وهو يعتمد على ضمائر الناس التي تطيعه بخشية من الرحمن ورهبة من الديان، ولذا فإننا نجد أ حوادث الطلاق في البيئات المتدينة قليلة.

وأما الاعتراضات الأخرى فهي أن بعض أحكام الطلاق كإيقاع الطلاق ثلاثاً بلفظة واحدة وإيقاع طلاق السكران وطلاق المكر ...ذه الأحكام تؤذي الزوجة وتجور عليها أحياناً وتجحف بحقوقها، ولكن هذا ليس راجعاً إلى طبيعة هذا الدين، ولكن يرجع إلى التق مذهب واحد كالمذهب الحنفي، ولكن القوانين المعمول بها الآن في البلاد العربية أخذت من المذاهب الأربعة وخففت من غلواء التزم التقيد بالمذهب الحنفي.

## الفصل الرابع

# طلاق غير الزوج (١)

مر معنا سابقاً أن الإسلام جعل الطلاق بيد الرجل، وقد قال (ﷺ) " إنما الطلاق لمن أخذ بالساق". أما بالنسبة للولي فهل ، يطلق على وليه:

قال الحنفية والشافعية والزيدية: لا يجوز للولي أن يطلق على وليه وإن كان له أن يزوجه. أما المالكية فقالوا: يحق لولي الص جنون والمعتوه أن يطلق عليهم إن كان له أن يزوجهم .

.أما القاضي فهل يحق له أن يطلق على الزوج:

أ-عند الحنفية: يحق للقاضي أن يطلق على الزوج في حالات منها: التفريق بين الزوجين بسبب الجب والخصاء والعنة، وز ...د بسبب الجنون والبرص والجذام إذا وجد مرض أو عيب من ذلك في الزوج. كما يطلق عليه أيضاً عندهم في اللعان.

ب-عند الشافعية والحنابلة: لا يحق للقاضي أن يطلق على الزوج إلا في حالة الإيلاء فقط عندما تمضي مدة الإي ...بعة أشهر)، فإن رفض أن يفيء إلى الزوجة ورفض الطلاق طلق عليه القاضي.

ج- عند المالكية: يحق للقاضي أي يطلق على الزوج في الحالات التالية:

١-بسبب العيب في أحدهما .

٢-عند عدم الكفاءة .

٣-بسبب غيبة الزوج .

٤-بسبب الإعسار في النفقة .

٥-في حالة التفريق للمضارة(الشقاق) .

٦-بسبب الإعسار في المهر.

وقالوا: يحق لولي الصبي والمجنون والمعتوه أن يطلق عليهم إن كان له أن يزوجهم .

د-عند الإمامية: للقاضي أن يطلق على المجنون والمعتوه إذا لم يكن لهما ولي.

موقف القانون: جرى العمل في سورية والأردن ومصر والسودان على ما ذهب إليه الحنفية من أنه ليس للولي أن يطلق ... عليه لأي سبب من الأسباب. وإنما يطلق القاضي على الزوج إذا وجد سبباً يقتضي ذلك وامتنع الزوج عن الطلاق.

أما القانون التونسي فجاء في الفصل (٣٠): لا يقع الطلاق إلا لدى المحكمة، ويطلق القاضي (الفصل ٣٢) على الزوج جميع وسائل الإصلاح.

---

(١) باختصار عن كتاب محاضرات في فرق الزواج-علي الخفيف.

## الرسالة في الطلاق والوكالة فيه[1]

قد تدعو الضرورة بأن يريد الزوج الغائب أن يطلق زوجته إذا كانت بعيدة عنه، فإن الزوجة تطلق بمجرد صدور العبارة من الزوج- هذا عند الجمهور- ولم يخالف في هذا إلا ابن حزم إذ قال: لا تطلق الزوجة حتى يبلغها الخبر، واحتج بقوله تعالى «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»، وطلاق الزوجة دون علمها ليس تسريحاً جميلاً.

## أما الوكالة بالطلاق

وكما يجوز التوكيل بالزواج يجوز التوكيل بالطلاق سواء كان التوكيل لشخص أجنبي أو للمرأة نفسها. وللوكيل بعد ذلك أن يطلق الزوجة سواء أضاف العبارة إلى الزوج أو إلى نفسه.

أما عند الهادي من الزيدية فلا تطلق الزوجة بعبارة الوكيل إلا إذا أضافها إلى الزوج، وقال المالكية: ليس للزوج أن يعزل وكيله إذا تعلق به حق الزوجة كأن يقول لها إذ تزوجت عليك فقد وكلتك بطلاق نفسك. وليس للوكيل مجاوزة حدود الوكالة والمجاوزة بتوقف على إجازة الزوج.

قال ابن حزم: لا يجوز الوكالة في الطلاق قياساً على الوكالة في الظهار والإيلاء واللعان فلا تجوز وكذا في الطلاق ... لكن أجاب الجمهور عن هذا بأن قالوا: وهذا قياس مع الفارق، إذ أن الظهار والإيلاء واللعان هي أيمان، ولا تجوز الوكالة في الأيمان.

أما الإمامية: فأجازوه للزوج الغائب وللزوج الحاضر على أصح الأقوال في مذهبهم ، أما توكيل الزوجة لطلاق نفسها فأجازه الجمهور منهم ومنعه فريق آخر منهم.

أما القانون: في نص القانون السوري في المادة (٨٨) للزوج أن يوكل غيره بالتطليق، وأن يفوض المرأة بتطليق نفسها ولكن قانون العائلة الأردني لم يتعرض إليه، ولذا يرجع إلى المذهب الحنفي (الأحوال الشخصية لمحمد زيد الأبياني المادة( ٢٢٢) «وكما يجوز للزوج أن يوقعه بنفسه يجوز له أن يوكل به غيره......».

## التفويض في الطلاق [2]

يقول الحنفية: إن التفويض تمليك لا توكيل، وله ثلاثة أحوال:

١-التخيير: كأن يقول الزوج لزوجته اختاري نفسك.

٢-الأمر باليد: كأن يقول الزوج لزوجته أمرك بيدك، الأمر بيدك.

٣-تعليق طلاق الزوجة على مشيئة غيره: كأن يقول لأحد: طلق زوجتي إن شئت.

وهم يفرقون في المعنى بين التمليك والتوكيل من عدة وجوه:

أ-المالك من يعمل برأي نفسه، والوكيل يعمل برأي موكله.

ب-المالك من يعمل لنفسه، والوكيل يعمل لحساب غيره.

ج-المالك من يعمل بمشيئة نفسه، والوكيل يعمل بمشيئة موكله.

وكذلك يفرقون في الحكم بين التمليك والتوكيل منه بخمسة أمور:

١-إن الزوج في التمليك لا يملك الرجوع عن تفويض الطلاق، بعكس الوكالة فإنه يحق للموكل أن يرجع عنها.

٢-أن الزوج في التمليك لا يملك عزل المفوض في الطلاق بعكس التوكيل.

٣-في حالة التمليك لا ينعزل (المفوّض) بجنون من فوضه، بعكس الوكيل الذي ينعزل بجنون من وكله.

---

(١) المصادر في هذا الموضوع هي: ١-محاضرات في فرق الزواج-علي الخفيف. ٢-شرح قانون الأحوال الشخصية السوري- الدكتور السباعي. ٣-شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية محمد زيد الابياني بك. مادة ٢٢٢.

٤-التمليك إذا كان مطلقاً تقيد بمجلسه والتوكيل لا يتقيد بمجلسه.

٥-التمليك لا يتقيد بعقل من فوض إليه، فيصح تمليك المجنون والصبي بعكس التوكيل.

والتفريق بين بين التفويض والتوكيل قال به أيضاً المالكية، وورد التفريق أيضاً عن بعض الصحابة مثل: عمر، وعثمان وعبد بن مسعود: من أن المخيرة يتقيد خيارها بالمجلس، فإذا قامت عنه بطل خيارها ولم يكن لها أن تطلق نفسها.

وورد عن ابن عمر وزيد بن ثابت : من أن الزوج إذا خير امرأة فجعل أمرها بيدها لم يملك أن يرجع.

وعلى هذا قال الحنفية:

١-إذا كان التفويض عاماً تقيد بالمجلس بالنسبة للحاضرة، وبمجلس العلم بالنسبة للغائبة.

٢-إذا كان التفويض مقيداً بزمن فإنه ينقضي بانقضائه، ويصح التفويض عندهم قبل عقد الزواج وعند إنشائه وبعد الد بالزوجة، على أن التفويض تعليق، وتعليق الطلاق قبل العقد جائز عندهم إذا كان التعليق على الزواج خلافاً لأكثر الأئمة.

ومذهب الزيدية قريب من مذهب الحنفية، أما القانون المصري رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ ، فقد اعتبر الطلاق في هذه الحالة رجـ وكذلك قانون العائلة الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١، وكذلك قانون الأحوال الشخصية السوري الصادر سنة ١٩٥٣ فهذه القوا ثلاثة لم تعتبر الطلاق بائناً إلا في حالات ثلاث (قبل الدخول، والمكمل للثلاث، ونظير عوض). وبهذا فالقانون قد خالف مذهب الحـ ذ جعلوا الواقع به تارة بائناً وتارة رجعياً.

أما المالكية فقالوا: إن اعطاء الزوج حق تطليق زوجته غيره يكون بأحد ثلاثة أمور (التوكيل، والتفويض، والتخيير).

والتوكيل عندهم: أن يوكل الزوج غيره في تطليق زوجته على أن يفعله نائباً عنه منفذاً لرغبته، والتمليك عندهم: تمليك الزوجة يرها حق تطليقها بواحدة أو بأكثر بدون تخيير فيه صراحة.

والتخيير عندهم: إعطاء الزوج زوجته فقط الحق في أن تبقى على عصمته أو تفارقه على وجه لا يكون معه سبيل له عليها، و يتحقق إلا إذا كان التخيير مطلقاً غير مقيد بواحدة أو باثنتين، وكانت الزوجة مدخولاً بها، ولكنهم جوزوا أن يقيد التخيير بواحد نتين.

وقد ذكر المالكية أن التفريق بين التمليك والتخيير أمر عرفي لا مدخل فيه للغة.

وفي حالتي التمليك والتخيير: لا يملك أن يرجع فيهما، ويتقيد كلاهما بالمجلس عند الإطلاق على ما اختاره ابن القاسم ور مالك.

أما الشافعية: فقالوا أن تمليك الطلاق لا يكون إلا بأن يفوض الزوج طلاق زوجته إليها: وعندئذ يتقيد طلاقها بالمجلس . رية، إذا كان مطلقاً غير مقيد بزمن، فإن كان مقيداً بزمن تقيد به، وجاز للزوج أن يرجع، ويجوز لها أن ترد ذلك، ويبطل بـ هما من المجلس.

أما جعل الزوج طلاق زوجته إلى غيرها فهو توكيل له حكم سائر التوكيلات.

أما الحنابلة: قالوا: إذا جعل الزوج تطليق زوجته إلى غيره فإما أن يجعله إلى زوجته أو أن يجعله غيرها.

١-إذا جعل التطليق لزوجته: فقد يكون بالتخيير: كأن يقول لها (اختاري نفسك)، وقد يكون بجعله بيدها بأن يقول ك بيدك]، أو يأمرها بأن تطلق نفسها بأن يقول لها (طلقي نفسك) .

ففي حالة الخيار: إذا كان مطلقاً تقيد بالمجلس، وهذا هو مذهب الحنفية والمالكية وبعض الشافعية ومذهب الزيدية، وإن وقت تقيد به.

وذلك لأن خيار التمليك كخيار القبول يجب على الفور، وهو منقول عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبدالله بن مسـ له بن عمر وجابر، ولم يعرف لهم مخالف، وبه قال: عطاء وجابر بن زيد ومجاهد والشعبي والنخعي والثوري والأوزاعي.

ويبطل خيارها بقيام الزوج أو بقيامها من المجلس، لأن له الرجوع، ولها الرد، أما عند الحنفية والمالكية فلا يبطل الخيار بـ ويبطل بقيام الزوجة من المجلس لأنه ليس له الرجوع أما الزوجة فلها حق الرد.

وذهب الزهري وقتادة وأبو عبيد وابن المنذر ومالك في رواية عنه: أنه لا يتقيد بالمجلس، ويكون لها التطليق على التراـ

مستدلين بقوله (ﷺ) لعائشة«إني ذاكر لك أمرا فلا عليك إلا تعجلي حتى تستأمري أبويك». وهذا صريح في عدم اقتصار الخيار على المجلس.

وبعد الاختيار فتختلف الأحكام فيما إذا اختارت المفارقة أو اختارت زوجها.

## فإذا إختارت المفارقة

١-قال أبو حنيفة وأصحابه: تقع بائنة لأن اللفظ كناية... وهذا مروي عن علي وكثير من الزيدية كالباقر والصادق.

٢-قال الشافعي وأحمد: ليس لها إلا أن تختار واحدة رجعية: وبه قال إسحق وأبو عبيد وأبو ثور وذلك منقول عن ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وزيد بن ثابت وسفيان الثوري وابن أبي ليلى وعمر وعائشة وروي عن جابر ولم يعرف لهم مخالف فكان إجماعاً.

٣-قال مالك: الواقع ثلاث إذا كانت مدخولاً بها.

٤-بانت بثلاث: وبه قال الحسن البصري والليث بن سعد ولم يشترطوا الدخول.

## أما إذا اختارت زوجها

فاختلفت الآراء.

١-لا يقع شيء : وروي عن أبي حنيفة والشافعي ومالك والزيدية، ونص على ذلك أحمد، وهو منقول عن عمر وعلي وزيد وعبدالله بن مسعود وعمر بن عبد العزيز وابن شبرمة وابن أبي ليلى وسفيان الثوري وابن المنذر.

٢- تقع واحدة رجعية: وهو منقول عن الحسن البصري وعن علي ورواه إسحق بن منصور عن أحمد قال «إن اختارت نفسها فثلاث، وإن اختارت زوجها فواحدة رجعية».

أما العمل فهو على الرواية الأولى عن أحمد وهو قول الجمهور، واستدلوا بقول عائشة«قد خيرنا رسول الله (ﷺ) فكان طلاقاً، ولذا كان له أن يرجع عنه وأن ترده إذ لم يقع به شيء».

وإن كان التفويض إليها بجعل أمر طلاقها بيدها كأن يقول لها: أمرك بيدك «لم يتقيد بالمجلس إن كان مطلقاً، وكان لها أن تطلق نفسها في المجلس وبعده ما لم يفسخ أو يطأ. روي ذلك عن علي، وبه قال الحكم وأبو ثور وابن المنذر، وخالف في ذلك أصحاب الرأي ومالك والشافعي على رواية عنه، فقصروا هذا النوع على المجلس كما تقدم لأنه في المعنى كالتخير .. واستند الرأي الأول عدم الاقتصار على المجلس :

١-إلى ما روي عن علي أنه سئل عن رجل جعل أمر امرأته بيدها فقال: هو لها حتى تنكل، ولم يعرف له في الصحابة مخالف فكان إجماعاً.

٢-أنه في الحقيقة توكيل فكان على التراخي، وإلى هذا الرأي ذهب عطاء ومجاهد والشعبي والنخعي والأوزاعي وإسحق، وخالف في ذلك: الزهري والثوري ومالك وأصحاب الرأي.

وذهب ابن حزم إلى أنه لا يترتب على هذا شيء سواء اختارت نفسها أو زوجها، وروي هذا عن عبدالله بن مسعود.

أما الشيعة الجعفرية: فذهب الجمهور منهم إلى جواز توكيل الزوجة أمر نفسها، أما التمليك فلا يجوز، ولذا فالوكالة لا تقيد بالمجلس، أما بعضهم فقالوا لايطلق إلا الزوج أو وكيله «إنما الطلاق لمن أخذ بالساق».

يقول الأستاذ الشيخ علي الخفيف «في كتاب فرق الزواج»: إن كل هذا يدور حول المعنى للآية«يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً» قال: والذي يبدو أن الآية ليست في تمليك الطلاق، وإن ما ورد عن أصحاب رسول الله (ﷺ) فيه خلاف واضطراب، ولا يتأتى وزن لهذه الآراء إلا بالرجوع إلى أصولها. ولم يرد إلينا شيء من تلك الأصول. ولعل أصلحها للناس يختلف باختلاف الزمن والبيئة، فتأخذ كل أمة بما ترى فيه مصلحتها، ولعل من المصلحة ألا يعطى

## موقف القانون[1]

لقد ذهبت القوانين الثلاثة (الأردني والمصري والسوري) إلى ما ذهب إليه الحنفية، إلا أنها خالفت الحنفية في اعتبار الواقع
ختيار المفارقة طلقة واحدة رجعية أخذاً من مذهب الشافعي.

فقانون العائلة الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١ في المادة (٧٤) وقانون الأحوال الشخصية السوري في المادة (٩٤) والقانون
سري رقم (٢٥) الصادر سنة ١٩٢٩ في المادة (٥) : تنص على ما يلي:

«كل طلاق يقع رجعياً إلا المكمل للثلاث، والطلاق قبل الدخول، والطلاق على مال ما نص على كونه بائنا في هذا القانون».

ولذا فالفرقة الواقعة بالتفويض طلاق رجعي أخذاً من المذهب الشافعي.

## طلاق الفرار (طلاق المريض مرض الموت) [2]

هو المرض الذي يقعد الرجل عن العمل خارج البيت، أو يقعد المرأة عن العمل داخله دون أن يستمر سنة بدون تغير، وقيل ما لا
صاحبه على الصلاة قائماً. إلا أن تقدم الطب اليوم يعين على معرفته، وإلى هذا الرأي مال الشيخ علي الخفيف.

كامه:

أ-إذا طلق الرجل زوجته رجعياً وهو في مرض الموت ومات وهي لا تزال في عدتها منها ورثت اتفاقاً. قال ابن المنذر «أجمع أهل
أن الزوجين يتوارثان في عدة الطلاق الرجعي، وعلى ذلك الشيعة الجعفرية والزيدية وأهل الظاهر».

ب-إذا طلق الرجل زوجته بائناً في صحته لا ترث اتفاقاً.

ج-إذا طلق الرجل زوجته بائناً في مرض موته: اختلف الفقهاء في هذا إلى اثني عشر رأياً كما في المحلى لابن حزم (لا سند
الرأي والاجتهاد).

١-عن الحسن: ليس ذلك بطلاق واقع. قال الحسن «من طلق ثلاثاً وهو مريض فمات وقد انقضت عدتها فإنها ترثه ولها
ق كله»، وروي مثله عن علي بن أبي طالب.

٢-ترث ما دامت لم تتزوج: وقال به: أحمد والبتي وحميد وهو منقول عن بعض السلف وابن أبي ليلى وشريح وإسحق.
د أحمد لإرثها شروطاً:

أ-أن لا يصح من ذلك المرض .

ب-أن يكون المرض مخوفاً يحجر عليه فيه.

ج-أن لا يكون الطلاق بسببها.

٣- ترث ولو تزوجت بعده عشرة أزواج: وهذا مذهب مالك وبه قال ربيعة .

-ترث مادامت في العدة: وهو قول عمر وعائشة وشريح والنخعي وابن سيرين وسعيد بن المسيب وحماد وابن شبرمة
الثوري والأوزاعي وطاووس والليث وروي أيضاً عن ابن عباس. وبه أخذ أبوحنيفة وأصحابه.

ا الشافعي فله قولان:

القول الجديد: لا ترث مطلقاً.

-القول القديم: ترث لأنه متهم كالقاتل.

الحنفية: فقالوا كما مر: ترث إذا توفي في عدتها. وإذا توفيت في عدتها لا يرث منها. واشترطوا لاعتباره فاراً ما يلي:

-أن يكون الطلاق بائناً.

---

، الأردني رقم ٩٢ سنة ١٩٥١ ب- شرح قانون الأحوال الشخصية السوري-السباعي. جـ- محاضرات في فرق الزواج-الشيخ علي الخفيف

ذا البحث من المصادر التالية: ١-محاضرات في فرق الزواج- الشيخ علي الخفيف ٢-مذكرات في الفقه المقارن-الأستاذ فتحي الدريني ص ٩٨-١٠٠. ٣- شرح قانون
لشخصية-الدكتور مصطفى السباعي الزواج وانحلاله ص ٢٦٥.

٢-أن تظل الزوجة أهلاً للميراث من الطلاق إلى الوفاة، فإذا ارتدت لا ترث.

٣-أن يكون الزوج غير مكره عليه، وألا تكون راضية به، ودليلهم: أن عثمان بن عفان ورث تماضر بنت عبدالرحمن زوجة عبدالرحمن بن عوف، وأخذ بقاعدة الاستحسان التي يأخذ بها الحنفية في فقههم .

أما الزيدية: فإنهم لا يورثونها لانقطاع الزوجية. وأما عمل عثمان رضي الله عنه بالنسبة لتماضر زوجة عبد الرحمن: فهو رأي صحابي لا حجة فيه.

ولكن ابن القيم : ادعى في (إعلام الموقعين) الإجماع على توريثها. ولكن خلاف ابن الزبير مشهور. ويقول بن جزئ في قوانينه«طلاق المريض نافذ صحيح اتفاقاً، ثم يسرد آراء الأئمة في توريث المبتوته منه».

ويقول ابن رشد في بداية المجتهد: { "وسبب خلاف الأئمة اختلافهم في وجوب العمل لسد الذرائع، وذلك أنه لما كان المريض يتهم في أن يكون إنما طلق في مرض زوجته ليقطع حظها من الميراث . فمن قال بسد الذرائع أوجب ميراثها. ومن لم يقل بها لم يجعل لها ميراثها" } .

ويقول الأستاذ فتحي الدريني في مذكراته في الفقه المقارن للسنة الرابعة في كلية الشريعة «أن ابن رشد يجعل تلازماً بين أعمال الباعث وسد الذرائع، وأعني بالباعث القصد أو مظنته. فمن لم يعمل الباعث لم يقل لسد الذرائع، وعلى هذا يوقع الطلاق ويمنع التوارث كما هو مذهب الشافعي، والواقع أن القول بمبدأ سد الذرائع لا يوجب القول بالباعث، والقول بسد الذرائع هنا للحيلولة دون تنفيذ الباعث وهو قصد منع الإرث. والحق أن توريثها ليس إعمالاً للباعث غير المشروع، بل هو جزاء فرضه المشرع أساسه العمل بالمصلحة المرسلة، ويؤكد ابن رشد هذا المعنى إذ يقول:لأنه يعسر أن يقال أن في الشرع نوعاً من الطلاق توجد له بعض أحكام الطلاق وبعض أحكام الزوجية» (١) .

**أما القانون:** فلم يتعرض لذكر طلاق الفرار (طلاق مرض الموت)، ولذا رجع إلى المذهب الحنفي الذي هو مروي عن : عمر وعثمان وابن عمر وابن مسعود والمغيرة، ونقله ابو بكر الرازي عن علي بأن الزوجة ترث مادامت في العدة.

أما القانون السوري فصرح في المادة (١١٦) على إرثها بشرط استمرار أهليتها حتى موته، وهو مذهب الحنفية يرجحه العلماء المحدثون ويقول الأستاذ علي الخفيف أنه أوسطها، وهو مروي عن عمر وعثمان وعبدالله بن عمر والمغيرة بن شعبه.

ونقله أبو بكر الرازي عن: علي وأبي بن كعب وعبدالرحمن بن عوف وعائشه وزيد بن ثابت، وهو مذهب النخعي والشعبي وسعيد بن المسيب وشريح وطاووس وعبدالله بن شبرمه وسفيان الثوري كما جاء في فتح القدير.

وهذا الرأي الذي أخذ به الحنفية هو الرأي الذي نميل إليه ونرجحه صيانة للزوجة من التكفف على وجوه الناس وقطعاً للباعث غير المشروع من قبل الرجل الذي يريد حرمانها من ميراثه.

إلى هنا تنتهي مباحث **«من يقع منه الطلاق»**

وفي الصفحات التالية ننتقل إلى بحث: **«من يقع عليها الطلاق »**

**وفيها نبحث الأبحاث التالية:**

١-الشروط التي يجب توفرها في المرأة (محل الطلاق).

٢-هل يجوز تعليق الطلاق على الزواج.

٣-طلاق المرأة المعتده.

الفصل الخامس

## من يقع عليها الطلاق (١)

اتفق الفقهاء على أن الطلاق يقع على النساء اللاتي في عصمة أزواجهن ويشترط فيها:

١-أن تكون المرأة باقية على عصمة الزوج، فلا يقع الطلاق على الأجنبية، وكذلك إذا بانت زوجته منه وطلقها وهي في العدة فلا طلاقه، لأنها وإن كانت زوجته باعتبار كونها في العدة لأنه لما طلقها بائناً لم يعد له عليها ولاية.

٢-أن لا تكون موطوءة بملك اليمين، فإذا طلق أمته فلا يقع عليه.

٣-أن تكون زوجته بالعقد الصحيح، فإذا عقد على معتدة أو عقد على أخت امرأته أو نحو ذلك من العقود الباطلة التي تقدمت لا يقع عليها طلاقه لأنها ليست زوجة له.

## طلاق المعتدة

إن المعتدة إما أن تكون معتدة عن فسخ أو معتدة من طلاق:

١-طلاق المعتدة من الفسخ: لا يلحقها طلاق اتفاقاً واستثنى الحنفية:

أ-المعتدة من فرقة بسبب ردة أحد الزوجين: وهو فسخ عندهم إلا إذا ارتد الزوج فهو طلاق عند محمد بن الحسن .

ب-المعتدة من فرقة بسبب إباء الزوجة المشركة الإسلام : وهو فسخ عندهم اتفاقاً، والسبب أن المعتدة من فسخ ليست محلاً هو أن الفسخ نقض للعقد من أصله. (وأما الطلاق فهو حل لعقد النكاح) ولا معنى لحل عقدة قد نقضت من أصلها.

٢-طلاق المعتدة من طلاق: اختلف الفقهاء :

أ-لا يلحقها طلاق: وإليه ذهب جعفر الصادق والباقر كما جاء في البحر الزخار والمنتزع، وإليه ذهب من فقهاء الزيدية ن عيسى، عبدالله بن الحسن، موسى بن عبدالله وهو مذهب العترة والهادوية، وروي كذلك عن جابر بن زيد، وعطاء وطاووس، رواية عن ابن عباس وعن علي، وجاء في شرح الروضة الندية : أنه روي عن ابن مسعود، وعن عبد الرحمن بن عوف والزبير م. وحكي عن جماعة من فقهاء قرطبة، ونقله بن المنذر عن بعض أصحاب بن عباس واختاره بن تيمية.

ب-يلحقها الطلاق في العدة: وهؤلاء فريقان:

-يلحقها إذا كانت معتدة من طلاق رجعي: وهؤلاء هم الشافعية والمالكية والحنبلية .

-يلحقها الطلاق ولو كانت معتدة من طلاق بائن: (عدا البائنة من بينونة كبرى فلا يلحقها الطلاق) وهذا رأي هو مذهب ابن عمر وعائشة وقتادة ورواية عن علي، وذهب إليه بعض فقهاء الزيدية منهم الحسن بن علي والمؤيد وأحمد بن الإمام يحيى، وإليه ذهب بن حزم. وبناء عليه لا يقع طلاق على زوجة في نكاح فاسد، ولا على مطلقة انتهت عدتها، ولا على الدخول.

## {تعليق الطلاق على الزواج (ملك النكاح)} (٢)

الفقهاء كما ذكرنا على أنه لا يقع الطلاق على أجنبية، ولكن لو علق الطلاق على النكاح كأن يقول: إن تزوجت فلانة فهي خاطب امرأة إن تزوجتك فأنت طالق هنا اختلف الفقهاء:

تطلق بمجرد التزوج بها: وهذا مذهب الحنفية والزيدية، وهوأحد قولي المؤيد بالله، وهو منقول عن عمر وابن عمر، وابن المسيب وعطاء وحماد وشريح. سواء عمم النساء أو خصص اسماً أو أسماء أو بلدة.

لا يترتب عليه طلاق: وهو قول الشافعي وأحمد والهادوية. وهو مروي عن علي وابن عباس وعائشة، وهو مذهب

البحث من المصادر التالية:
هب الأربعة- عبد الرحمن الجزيري- قسم الأحوال الشخصية- ص ٢٨٠. ٢ - محاضرات في فرق الزواج الشيخ علي الخفيف
ستقى من: ١-زاد المعاد- ابن القيم-الجزء الرابع ص ٤٣ ٢-محاضرات في فرق الزواج - الشيخ علي الخفيف ٣-نيل الأوطار جزء السادس-ص ٢٥٥.

إسحق وداود وجمهور أهل الحديث ومعاذ وجابر بن عبد الله. وقد نقله البخاري عن اثنين وعشرين من الصحابة .

١-وحجة هذا الفريق حديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله(ﷺ) **«لا نذر لابن آدم فيما لا يملك، ولا عتق له فيما لا يملك، ولا طلاق له فيما لا يملك».**

قال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو أحسن شيء في هذا الباب، وسألت محمد بن إسماعيل البخاري فقلت: أي شيء أصح في الطلاق قبل النكاح فقال حديث عمرو بن شعيب.

٢-الدليل الثاني لهم: ذكر عبد الرزاق عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول قال ابن عباس «لا طلاق إلا من بعد نكاح»، قال ابن جريج بلغ ابن عباس أن ابن جريج يقول: إن طلق ما لم ينكح فهو جائز، فقال ابن عباس : أخطأ في هذا فإن الله تعالى قال **{إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن}** ولم يقل إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن.

٣- ذكر أبو عبيد عن علي أنه قال في رجل قال «إن تزوجت فلانة فهي طالق» (ليس طلاق إلا من بعد نكاح).

٤- حديث عن المسور بن مخرق **{لا طلاق قبل نكاح}** كذا حديث جابر[ لا طلاق إلا بعد نكاح]. ولكن قال يحيى بن معين: لا يصح عن النبي (ﷺ) {لاطلاق قبل نكاح}، وقال بن عبد البر: روي من وجوه إلا أنها عند أهل العلم بالحديث معلولة.

ج- الرأي الثالث: وهو مذهب مالك وربيعة والثوري والليث والأزواعي وابن أبي ليلى قالوا بالتفصيل: إن خص بقوله كل امرأة من بني فلان أتزوجها فهي طالق وقع الطلاق عند الزواج وإن عمم، وقال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق: لم يقع شيء. جاء في نهاية المجتهد {سبب الخلاف هل من شرط وقوع الطلاق وجود الملك متقدماً على الطلاق بالزمان أو ليس من شرطه، فمن قال هو من شرطه لم يوقع الطلاق، ومن قال لا أوقعه، وجاء في نيل الأوطار: وقد وقع الإجماع على أنه لا يقع الطلاق الناجز على الأجنبية، وأما التعليق نحو أن يقول: إن تزوجت فلانة فهي طالق: لذهب جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أنه لا يقع ... والحق أنه لا يصح الطلاق مطلقاً قبل النكاح للأحاديث (١) .

# موقف القانون

قانون العائلة الأردني ٩٢ سنة ١٩٥١: جاء في المادة (٦٧) {محل الطلاق هي المرأة المعقود عليها بنكاح صحيح، أو المعتدة، والزوجة التي فسخ نكاحها ليست محلاً للطلاق ولو في عدتها}.

أما القانون السوري في المادة (٨٦) {محل الطلاق المرأة في نكاح صحيح، أو المعتدة من طلاق رجعي، ولا يصح على غيرهما الطلاق ولو معلقاً}.

مقارنة بين القانونين:

١-إن القانونين اتفقا على أن محل النكاح المرأة بنكاح صحيح، وهذا باتفاق الفقهاء.

٢-ذكر القانون الأردني أن المرأة في العدة محل للطلاق، ويفهم من هذا أن المطلقة بائناً يلحقها الطلاق مادامت في العدة، وهذا مأخوذ من المذهب الحنفي. إلا أنه يجب على القانون أن يبين استثناء المرأة البائنة بينونة كبرى. أما القانون السوري: فقد حدد المعتدة من طلاق رجعي أخذا من مذاهب الأئمة الثلاثة (الشافعي وأحمد ومالك).

٣-إن القانون الأردني قد فصلّ بأن {المرأة المعتدة من فسخ لا يلحقها طلاق} وهذا أيضاً باتفاق الفقهاء . ولم يبين ذلك القانون السوري.

ولكن صياغة المادة (٦٧) جاءت غير مستساغة إذ تقول[ محل طلاق هي المرأة المعقود عليها بنكاح صحيح، أو المعتدة، والزوجة التي فسخ نكاحها ليست محلاً للطلاق...] وكان الأفضل أن يقول {أما الزوجة التي فسخ نكاحها فليست محلاً للطلاق ولو في عدتها}.

٤-إن القانون الأردني بيّن أن محل الطلاق أيضاً: الزوجة قبل الدخول[ المعقود عليها بنكاح صحيح}، أما القانون السوري فقد اعتبر النكاح هو العقد، لقوله تعالى«إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن»، ولا بأس في هذا، ولكن رفعاً للالتباس كان الأفضل أن ينص كما نص القانون الأردني، لأن النكاح له عدة معان منها: الوطء والعقد وغيرها.

٥- بين القانون السوري: عدم صحة تعليق الطلاق بالنكاح أخذاً من مذهب الشافعي و أحمد و الهادوية -وهذا اختيار سن-، ولم يتعرض القانون الأردني لهذا، ولكنه نص في المادة (٧٥): (تعليق الطلاق بالشرط صحيح)، ولا ندري هل يضم هذا عليق على النكاح. وإن كانت المادة لا تضم فإننا نعتبر القانون ساكتا فيرجع إلى المذهب الحنفي «الذي يصحح الطلاق المعلق على كاح».

الفصل السادس

# صيغة الطلاق وأحوالها

نتعرض في هذا الفصل إلى الأبحاث التالية:

| | |
|---|---|
| ١-شروط صيغة الطلاق. | ٢-الطلاق بالنية. |
| ٣-الطلاق الصريح وحكمه. | ٤-الطلاق بالكناية. |
| ٥-الطلاق بالكتابة. | ٦-الطلاق بالإشارة. |
| ٧-حالات صيغة الطلاق. | ٨-الصيغة المنجزة. |
| ٩- إسناد الطلاق إلى زمن ماضي. | ١٠- إضافة الطلاق إلى زمن مستقبل. |
| ١١- الطلاق المعلق. | ١٢- الطلاق المعلق على مشيئة الله. |
| ١٣- الحلف بالطلاق. | |

## ١ - شروط صيغة الطلاق (١)

**ويشترط في الصيغة أمران:**

١-الأول: أن تكون لفظاً يدل على الطلاق صريحاً أو كناية، فلا يقع الطلاق بالأفعال، كما إذا غضب على زوجته فأرسلها إلى ها وأرسل لها متاعها ومؤخر صداقها بدون أن يتلفظ في الطلاق، فإن ذلك لا يعتبر طلاقاً، وكذا لا يقع بالنية بدون لفظ -على ، فلو نوى الطلاق أو حدث به نفسه لا يقع. أما بالنسبة للإشارة والكتابة من الأخرس أو غيره هل يقومان مقام اللفظ أو لا؟ اب تفصيل المذاهب .

٢-الثاني: أن يكون اللفظ مقصوداً، فإذا أراد أن يقول لامرأته أنت طاهر فسبق لسانه وقال لها أنت طالق فإن طلاقه لا يقع ، الله تعالى . أما قضاءً فإنه يعتبر، لأنه لا اطلاع للقاضي على ما في نفسه، ويقال المطلق هنا مخطئاً.

## الطلاق بالنية (٢)

كرنا في شروط الطلاق بالنسبة للصيغة شرطان، أولاهما أن تكون لفظاً يدل على الطلاق صريحاً أو كناية. واختلف الفقهاء نوى الطلاق أو حدث به نفسه إلى ثلاثة أقوال:

الرأي الأول: لا يقع: وهو رأي الجمهور مستدلين بحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة«إن الله تجاوز عن أمتي ما نفسها ما لم تعمل أو تكلم».

---

المذاهب الاربعة- عبد الرحمن الجزيري- قسم الاحوال الشخصية ص ٢٨٠

ي ١-الفقه على المذاهب الاربعة- عبد الرحمن الجزيري-الأحوال الشخصية ص ٢٨٠

٢-زاد المعاد-ابن القيم- الجزء الرابع- ص ٣٧.

٣-سبل السلام-الجزء الثالث.

٤-الفن الثاني من الاشباه والنظائر-غير مرقوم وبخط يد

ب-الرأي الثاني: أنه إذا طلق في نفسه وقع الطلاق: وهو منقول عن ابن سيرين وابن شهاب الزهري ورواية أشهب عن مالك. وقواه ابن العربي قائلاً بأن من اعتقد الكفر بقلبه ومن أمر على المعصية أثم، وكذلك من قذف مسلماً بقلبه، وكل ذلك من أعمال القلب دون اللسان. وهناك حجج أخرى يحتجون بها منها: ١-حديث «إنما الأعمال بالنيات».

٢-الآية (لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله...). (البقرة:٢٨٤).

٣-المصر على المعصية فاسق.

٤-أعمال القلوب في الثواب والعقاب كأعمال الجوارح .

ويرد ابن قيم الجوزية على هؤلاء قائلاً: {" أما حديث إنما الأعمال بالنيات فهو حجة عليهم لا لهم، ففيه أن العمل مع النية هو المعتبر لا النية وحدها، أما من اعتقد الكفر بقلبه فهو كافر لزوال الإيمان الذي هو عقد القلب مع الإقرار، فإذا زال العقد الجازم كان نفس زواله كفراً، أما الآية فالمحاسبة بما يخفيه العبد إلزام بأحكامه بالشرع، وإنما فيها محاسبته بما يبديه ويخفيه ثم هو مغفور له أو معذب، فأين هذا من وقوع الطلاق بالنية»} (١) .

جاء في الفن الثاني من الأشباه والنظائر{النية إنما تعمل في الملفوظ لا غيره وذلك أن النية يقصد بها التميز وإنما يتأتى في لفظ محتمل عام يحتمل التخصيص، أو مجمل يحتمل البيان، أو مشترك يحتاج الإفراد، أما إذا لم يكن اللفظ محتملاً يبقى مجرد النية ولا تأثير لها في أحكام الدنيا، ولهذا لا يقع الطلاق والعتاق بمجرد النية} (٢) .

أما القانون في البلدان الثلاثة{ مصر والأردن وسوريا} فلم يتعرض لذكره فيعتبر ساكتا، ويرجع إلى المذهب الحنفي الذي يحيل عليه القانون عند سكوته. فلا يقع الطلاق بالنية.

## الطلاق الصريح (٣)

تختلف الآراء في تعريف لفظ الطلاق الصريح:

١-قال الحنفية والزيدية: هو كل لفظ لا يستعمل إلا في حل رابطة الزوجية.

٢-الشافعية: هو أحد ألفاظ ثلاثة جاء بها القرآن (الطلاق والفراق والسراح) وهذا مروي عن أحمد واختاره الخرقي.

٣-المالكية: الصريح لفظ الطلاق وما اشتق منه، وهذه رواية عن أحمد اختارها ابن حامد ويرى ابن قدامة أنها أصح.

٤-قال الشيعة الجعفرية: الطلاق لا يقع إلا باللفظ الوارد عن الشارع مثل: أنت طالق، ولا ينقسم إلى صريح وكناية عندهم.

## حكم الطلاق الصريح

إذا تلفظ الزوج بالطلاق الصريح عن طريق القصد إلى التلفظ به عالماً بمدلوله وأضافه إلى زوجته ولم تصرفه قرينة عن معناه ترتب عليه أثره، {وهو وقوع الطلاق من غير حاجة إلى أن ينوي به الطلاق} وإلى هذا ذهب الحنفية والمالكية والشافعية وجمهور الزيدية وهو رواية عن أحمد.

وعلى هذا: إذا تلفظ به الزوج عن قصد ولم ينو شيئاً غير الطلاق مما يحتمله اللفظ، وقع به الطلاق ديانة وقضاءً، وإن ادعى أنه لم ينو به الطلاق إذ لا تصدق دعواه. جاء في بداية المجتهد لابن رشد{أنه لا يقبل من الزوج إذا نطق بالصريح أن يقول لم أرد به طلاقاً إلا أن تكون قرينة تدل على صدق دعواه، مثل أن تسأله زوجته أن يطلقها من وثاق هي فيه، ثم قال أيضاً: وفقه هذه المسألة أن الطلاق الصريح لا يحتاج إلى نية عند الشافعي وأبي حنيفة . وأما مالك فالمشهور عنه: أن الطلاق يحتاج إلى النية عنده، إلا أنه لا يصار إلى نيته المدعاه عند نطقه بالصريح} (٤) .

أما أحمد فقال: إن قصد المطلق التطليق شرط في إيقاع الطلاق الصريح-في رواية عنه، وفي رواية أخرى عن أحمد ليست

(١) زاد المعاد – الجزء الرابع ص ٤٤.

(٢) الأشباه والنظائر-غير مرقوم.

شرطاً في وقوع الطلاق الصريح قضاءً إلا إذا قامت قرينة على عدم قصده كما هو مذهب الحنفية.

وقد ذهب الناصر والباقر والصادق من فقهاء الزيدية إلى لزوم قصد المعنى في صريح الطلاق، وهو تخريج المؤيد بالله وذلك ما ـ جمهور الزيدية.

أما الشيعة الجعفرية: فقالوا: إن الطلاق لا يقع إلا باللفظ المتلقى عن الشارع مع القصد إلى معناه.

قال صاحب شرائع الإسلام «وعلى كل حال فلو قال لزوجته أنت الطلاق، أنت المطلقات لم يكن ذلك شيئاً ولو نوى به الطلاق بلا ، أجده لعدم الصيغة الخالصة وإن وجدت المادة».

وجاء في تحرير الحكام {ويقع الطلاق بقول الزوج لزوجته طلقتك، ويصح بغير العربية لمن لا يستطيع النطق بها}.

أما ابن حزم: فذهب إلى أن الطلاق يقع بألفاظ ثلاثة هي الطلاق والفراق والسراح أو ما اشتق منهما إذا نوى ذلك، أما إذا أنو الطلاق وقع قضاءً لا ديانة.

## طلاق الكناية

طلاق الكناية يكون بكل لفظ لم يوضع للطلاق ولكن اقترن به من القرائن ما جعله للطلاق. واعتبر الحنفية دلالة الحال من التي يقع بها الطلاق دون نية، أما إذا لم تكف دلالة الحال لابد من النية ووافقه أحمد، ودلالة الحال عندهم ثلاثة:

١-حال سؤال المرأة زوجها الطلاق.

٢-حال غضب الزوج.

١-حال رضا الزوج.

ألفاظ الكناية ثلاثة:

-نوع يصلح رداً وجواباً نحو اخرجي ، إذهبي.

-نوع يصلح سباً وجواباً نحو خلية، برية.

-نوع يصلح رفضاً لا سباً مثل: إعتدي، إستبرئي رحمك.

ي حال سؤالها الطلاق: يحتاج اللفظ الأول إلى النية دون اللفظين الآخرين اللذين لا يحتاجان إلى نية.

ا في حال الغضب فتلزم النية في اللفظين الأولين(ما يصلح رداً وجواباً، وما يصلح سبا وجواباً) دون اللفظ الثالث الذي ضاً لا سباً .

ا في حال الرضا فتلزم النية في الألفاظ الثلاثة.

## حكم طلاق الكناية (١)

ين الآراء في حكم طلاق الكناية:

نعند الجعفرية وابن حزم: لا يقع طلاق بألفاظ الكناية.

ما عند الحنفية والمالكية والشافعية: يشترط لإيقاع طلاق الكناية النية. وأخذ برأيهم الحنابلة والزيدية، وهناك

ل الحنبلية: يشترط لإيقاعه النية، و إن دلالة الحال كافية في ثبوتها. قال الحنفية: يشترط لإ يقاعة النية، وذلك يعرف من ، القرينة، قال الشافعية والمالكية: يشترط لإيقاعه ولا عبرة بدلالة الحال، إذ أن المطلق مختار في إرادة غير الطلاق منها، ة لا ينفي اختياره في ذلك.

---

(١) في فرق الزواج –علي الخفيف– طلاق الكناية.

## موقف القانون

سار القانون المصري رقم ٢٥ الصادر سنة ١٩٢٩ على رأي الشافعية والمالكية وكذلك المحاكم السودانية منذ سنة ١٩٣٥ بناء على المنشور الشرعي رقم ٤١ [كنايات الطلاق لا يقع بها الطلاق إلا بالنية].

أما في القانون السوري الصادر سنة ١٩٥٣ فنص في المادة (٩٣): [يقع الطلاق بالألفاظ الصريحة فيه عرفاً دون الحاجة إلى نية، ويقع بالألفاظ الكنائية التي تحتمل معنى الطلاق وغيره بالنية]. أي أنه أخذ من المذهب الشافعي والمالكي.

أما القانون الأردني: فلم يتعرض لطلاق الكناية فيرجع إلى المذهب الحنفي إلى (الأحكام الشرعية في شرح الأحوال الشخصية لمحمد زيد الأبياني بك) الذي يعتبر المرجع الأول بعد القانون. حيث ينص في المادة ٢٢٥ [لا يصح وقوع الطلاق إلا بصيغة مخصوصة أو ما يقوم مقامها... والكناية هي الألفاظ التي لم توضع للطلاق وتحتمله وغيره، وهذه لا يقع بها الطلاق إلا بنية أو دلالة الحال، ويقوم مقام صيغة الكناية الكتابة المستبينة غير المرسومة فتتوقف على النية] (١).

## الطلاق بالكتابة (٢)

الكتابة نوعان:

١-الكتابة المستبينة: وهي الكتابة الظاهرة العادية كالكتابة بالحبر على الورق أو بالطبشورة على السبورة.

٢-الكتابة غير المستبينة: وهي الكتابة على الماء والهواء.

*والكتابة المستبينة نوعان:*

أ- الكتابة المستبينة المرسومة: وهي الموجهة إلى الزوجة بعنوانها.

ب- الكتابة المستبينة غير المرسومة: وهي الكتابة بصيغة الخبر كأن يكتب امرأتي طالق على ورقة.

أما حكم الكتابة:

أ-بالنسبة للكتابة غير المستبينة (كالكتابة على الماء أو الهواء): فهي لا يقع بها طلاق عند الجمهور والحنفية والمالكية والشافعية وظاهر كلام أحمد.

وقال آخرون: مثل أبو حفص البكري، ورواه الأثرم عن الشعبي: يقع بها الطلاق .

ب-أما الكتابة المستبينة: فتختلف الآراء كذلك:

١-قال الحنفية: يقع الطلاق بالمرسومة منها دون نية، أما غير المرسومة فيقع بها الطلاق بالنية لأنها كالكنايات.

٢-قال الزيدية: يقع الطلاق بالكتابة المستبينة المرسومة مطلقاً، أما بغير المرسومة فلا يقع طلاق أبداً.

٣-قال الحنابلة: يقع الطلاق بالكتابة مع النية (سواء كانت مرسومة أو غير مرسومة) وإلى هذا ذهب الشعبي والنخعي والزهري كما في المغني لابن قدامه الحنبلي.

٤-قال الشافعية: هناك روايتان عن الشافعي أ-الأولى: يقع الطلاق بالكتابه مع النية. ب -الرواية الثانية: لا يقع الطلاق بالكتابة مع القدرة على النطق.

٥-قال المالكية: يقع الطلاق بالكتابة المستبينة ولو من غير نية.

٦-قال الجعفرية: الطلاق لا يقع بالكتابة إلا إذا كان المطلق عاجزاً عن النطق سواء كان حاضراً أو غائباً. وقال الشيخ : يقع الطلاق من الغائب بالكتابة مع القدرة على النطق.

٧-يقول ابن حزم: الطلاق لا يقع بالكتابة أبداً.

## الطلاق بالإشارة (٣)

اشترط الفقهاء أن تكون صيغة الطلاق لفظاً، فلا يقع الطلاق بالأفعال كمن أرسل زوجته إلى دار أبيها . أما بالنسبة للطلاق

(١) الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية-محمد زيد الأبياني بك مادة ٢٢٥

(٢) [illegible]

بالكتابة فقد ذكرنا آراء الفقهاء فيه. أما الإشارة فلا يقع بها طلاق اتفاقاً إلا عند العجز عن النطق، وعندئذ تقوم الاشارة مقام اللفظ لا بد للإشارة من أن تفيد الطلاق وذلك للشاهدين لها، وعلى هذا فلا تكون كناية بإشارته: وهذا عند الحنابلة والمالكية، وذهب إليه ا‍ب حزم.

وذهب الشافعية: إلى أن الإشارة تعتبر صريحة إذا فهمها كل واحد، أما إذا اقتصر فهمها على ذوي الفطنة فتعتبر م‍ بيل الكناية وتحتاج إلى نية، ولا يشترط عجزه عن الكتابة، وإلى هذا ذهب: الزيدية والإمامية والمالكية والحنابلة. لكن المالكية قالوا: إ‍ ‍حصلت الإشارة من القادر على النطق تكون كالكناية، أما من الأخرس فتكون كالصريح.

أما الحنفية: فمنهم من اشترط العجز عن الكتابة حتى يقع الطلاق بالإشارة، وإلى هذا ذهب القانون السوري في الما ٨٧) ، ومنهم من لم يشترط العجز عن الكتابة. أما الاخرس فإن كان قد ولد أخرس فإن إشارته المفهومة معتبرة، أما الخر‍ لطارئ فإن كان لا يرجى برؤه ومضى عليه زمن حتى صارت إشارته مفهومة فإنه يعمل بها، وإلا تقف تصرفاته حتى يبرأ. هذا إذا ‍رف الكتابة، وإلا فيعمل بكتابته بلا نزاع. هذا عند الحنفية.

أما عند الشافعية فكذلك، إلا أن الخرس الطارىء ينتظر ثلاثة أيام، وبعدها يعمل بإشارته إن لم يبرأ.

## وقف القانون من الطلاق بالكتابة والإشارة:

لم ينص القانون الأردني(٩٢) سنة ١٩٥١ على الطلاق بالكتابة ولا على الطلاق بالإشارة، ولذا يرجع إلى [شرح الأحـ‍ ‍رعية في الأحوال الشخصية لمحمد زيد الابياني بك حيث تعرض في المادة (٢١٩): (يقع طلاق الأخرس بإشارته المعهودة الد‍ ‍ي تصده الطلاق) إلى طلاق الإشارة].

أما الطلاق بالكتابة ففي المادة (٢٢٢): (يقع الطلاق لفظاً وبالكتابة المرسومة المستبينة، وكما يجوز للزوج أن يوقعه بنفسه يج‍ أن يوكل به غيره، وأن يرسله إلى المرأة مسطوراً في كتاب، وأن يأذنها بإيقاعه تفويضا على نفسها وتوكيلا على ضرائرها).

أما قانون الأحوال الشخصية السوري فقد تعرض في المادة (٨٧) إلى كل من الطلاق بالكتابة والطلاق بالإشارة، حيث ‍ ‍ع الطلاق باللفظ والكتابة، ويقع من العاجز عنهما بإشارته المعلومة).

ولذا فإنا نرى أن القانون السوري قد أخذ من الرأي الراجح في المذهب الحنفي، وكذا هو العمل في المحاكم الشرعية الأرد‍ ‍امر.

## حالات صيغة الطلاق (١)

إن لصيغة الطلاق خمسة أحوال:

١-الأولى: أن تكون صيغة الطلاق منجزة دالة على وقوع الطلاق فوراً كقوله: أنت طالق.

٢-الثانية: أن تكون الصيغة مستندة إلى زمن ماض كأن يقول: أنت طالق أمس، أنت طالق في الشهر الماضي.

٣-الثالثة: أن تكون الصيغة مضافة إلى زمن مستقبل: كأن يقول أنت طالق غداً، أنت طالق السنة المقبلة أو الشهر القاد‍

٤-الرابعة: أن تكون الصيغة معلقة على شرط محتمل الوجود بأداة شرط: كأن يقول إن دخلت دار فلان فأنت طالق.

٥-الخامسة: أن تكون على صيغة الحلف: كأن يقول: عليّ الطلاق لأفعلن، الطلاق يلزمني.

## الصيغة المنجزة

وحكمها وقوع الطلاق في الحال بشرط أن تكون الزوجية قائمة حقيقة أو حكماً (في العدة)، وهذا ما أخذ به القانون الا‍ سنة ١٩٥١ المادة (٧٠) [لا يقع الطلاق غير المنجز إلا إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه]، فيفهم بمعنى المخالفة ق المنجز واقع وهذا باتفاق الفقهاء والأئمة، وكذا قانون الأحوال الشخصية السوري المادة (٩٠) بنفس النص تقريباً.

---

(١) الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية- محمد زيد الأبياني    محاضرات في فرق الزواج علي الخفيف.

الأحوال الشخصية للأبياني في المادة[(٢٥١): في المنجز يقع في الحال].

## إسناد الطلاق إلى زمن ماض

اختلف الفقهاء في حكمه:

أ-قال الزيدية والشيعة الإمامية والشيعة الجعفرية: أنه لغو من القول ولا يترتب عليه شيء، وإليه ذهب أبو محمد بن حزم .

ب-قال الحنفية: يقع هذا الطلاق بشرطين:

١-أن يكون الزوج أهلاً عند إنشاء الطلاق.

٢-أن تكون المرأة أهلاً لإيقاع الطلاق عند إنشاء صيغة الطلاق، وكذا في الوقت الذي أسند الطلاق إليه. فإذا توفر هذان الشرطان وقع الطلاق ويعتبر المنجز، وهذا القول الأقوى في المذهب الحنفي، وهو مروي عن أحمد بن حنبل، واختاره أبو بكر، وهو قول ابي جعفر من الزيدية.

ج-الشافعية: لهم في المسألة قولان:

١-القول الأول: يقضي بأن تطلق في الحال وإن لم تكن محلاً للطلاق في الوقت الذي أسند إليه الطلاق . متى كانت محلاً للطلاق وقت إنشاء الصيغة ، وهي رواية عن أحمد وقول له.

٢- القول الثاني: للشافعية عدم وقوعه مطلقاً، وهذا هو رأي الزيدية، أما القوانين لم تتعرض إلى ذكره، ولذا يرجع إلى المذهب الحنفي حيث يقع هذا النوع من الطلاق بشروط.

## إضافة الطلاق إلى زمن مستقبل (١)

إذا قال الرجل لزوجته: أنت طالق في السنة القادمة أو أنت طالق غداً فهنا اختلف الفقها في وقوعه إلى آراء:

١-لا يقع به شيء وهو لغو: وإليه ذهب الجعفرية وأبو محمد بن حزم لأنهما قد يموتان.

٢- يقع في الحال لأنه انعقد سببه والعبرة بالسبب: وهو مذهب مالك، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن البصري وابن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد، وروي كذلك عن ربيعة والليث وزفر. ووجه هذا الرأي أنه عندما ينعقد سببه كان مطلقاً، وجعل استباحه بضع زوجته إلى أجل، فكان استمتاعه بها بين الإنشاء وبين الوقت الذي أضيفت إليه كنكاح المتعة، وهو حرام بإجماع الأمة سوى شذوذ للإمامية.

٣-سينعقد سببه في الحال ويقع أثره في الوقت المحدد: وهذا مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة والزيدية، واشترط هؤلاء أن يكون الزوج أهلاً في الحال والزوجة أهلاً في الوقت الذي أضيف اليها الطلاق، وهوقول ابن عباس وعطاء وجابر بن زيد، والنخعي والشعبي والثوري وأبي عبيد و إسحاق .

غير أن الشافعية والحنابلة: اشترطوا أن تكون الزوجية قائمة عند التعليق.

## موقف القانون

نص القانون الأردني رقم (٩٢) سنة ١٩٥١ في المادة (٧٦) [إضافة الطلاق إلى الزمان المستقبل صحيحة] أخذاً من مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة. أما القانون السوري فلم يتعرض له، ولذا يرجع إلى المذهب الحنفي حيث يحيل إليه القانون عند سكوته.

(١) محاضرات في فرق الزواج -الشيخ علي الخفيف.

# الطلاق المعلق(٢)

إذا علق الزوج الطلاق بأحد أدوات الشرط بوجود أمر محتمل الوجود كأن يقول: إن دخلت دار فلان فأنت طلاق، إن خر
سافرة فأنت طالق، فإذا دخلت الدار أو خرجت سافرة فهل تطلق: اختلفت آراء الفقهاء في ذلك:

أ-الرأي الأول يقول: تعليق الطلاق باطل ولم يشرع إلا الطلاق المنجز [يا أيها الذين آمنوا إذا طلقتم النساء فطلقو
لعدتهن] ومعنى الآية يدل ويستدل به لهذا الرأي. وروي هذا الرأي عن علي وشريح وطاووس وعطاء وأبي ثور، وإليه ذهب الظاهرية ،
داود وأصحابه، وهو مذهب الجعفرية ولو كان التعليق بصورة يمين.

قال ابن حزم في المحلى[كل طلاق لم يقع حين أقدم الزوج على إنشائه لا يقع بعد ذلك الوقت ولا قبله].

ب-يجوز التعليق في الطلاق إذا كان الشرط محتمل الوجود وهم: الحنفية والشافعية والزيدية، وهو ر
الحسن البصري وسعيد بن المسيب.

وعند الحنابلة رأيان: أحدهما وقوعه في الحال ، والثاني عدم وقوعه.

[أما الشافعية فسئل ابن الوردي عن أدوات التعليق فأجاب.

*كلما: للتكرار وهي، ومهمــــــا* — *إن، إذا، ما، أي، متى، معناهــا*

*للتراخــــي مع الثبوت إذا لــــم* — *يك معــها إن شئت أو أعطاهــا*

*أو ضمان والكل فــي جــــانب* — *الـفور لا أن قذا فــي سواهــا(١)*

وموقف القانون بالنسبة للتعليق: نص قانون العائلة الأردني رقم (٩٢) سنة ١٩٥١ في المادة. (٧٠) [لا يقع الطلاق :
جز إذا قصد به الحمل على فعل الشيء أو تركه].

أما القانون السوري فتعرض في المادة (٩٠) وقال[لا يقع الطلاق غير المنجز إذا لم يقصد به إلا الحث على فعل شيء أو ا
....]. وهذا لم يقل به أحد من الأئمة الأربعة، ولم يقل به سوى الجعفرية والظاهرية، وعليه العمل في مصر الآن. وهذا الرأي
ه الشيخ محمود شلتوت في فتاواه ص ٢٩٩.

# تعليق الطلاق على المشيئة الإلهية (٢)

إذا قال الرجل لامرأته أنت طالق إن شاء الله. فهل يقع هذا ؟

١-قال مالك وأحمد: يقع في الحال: وبه قال سعيد بن المسيب، والحسن، ومكحول وقتادة والزهري والليث والأوزاعي و
وأحد قولين لابن أبي ليلى .

ويستدل هذا الفريق بما روي عن ابن عباس أنه كان يقول: إذا قال الرجل لامرأته أنت طالق إن شاء الله فهي طالق.
وروي عن ابن عمر وأبي سعيد قالا [كنا معاشر أصحاب رسول الله (ﷺ) نرى الاستثناء جائز في كل شيء إلا في العتـ
دق].

٢-لا يقع به شيء : وبه قال الشافعي وأبو حنيفة، وهو منقول عن طاوس، والحكم بن عبدالله، والنخعي وعطاء ومجا
ي وحماد وعبد الرزاق وسفيان بن عيينه، وأحد قولين لكل من ابن أبي ليلى والأوزاعي، وهو مروي أيضاً عن أبي ثور، وعثه
وإسحق بن راهويه و أبي سليمان وأهل الظاهر.

أما القوانين فقد سكتت عنه فيرجع إلى المذهب الحنفي حيث لا يقع الطلاق في هذه الحالة، جاء في الأحوال الشخص
، مادة (٢٥٢) [وكذا يلغو الطلاق المعلق على المشيئة الإلهية مسموعاً متصلاً لا منفصلاً إلا لعذر].

# الحلف (اليمين) بالطلاق (٢)

أصبح اليوم شائعاً بين الأزواج عادة الحلف بالطلاق، ويكون ذلك عادة على صورتين:

---

١ البيجوري على شرح بن القاسم الغزي على متن أبي شجاع الشافعي ص ١٥٢

الأوطار- الشوكاني. ب-الفقه على المذاهب الأربعة- الجزيري-الأحوال الشخصية جـ-الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية- محمد زيد الابياني مادة ٢٥٢.

وللبحث هذا: أ-إعلام الموقعين-ابن القيم-الجزء الثالث اليمين بالطلاق. ب-الأحوال الشخصية محمد أبو زهرة جـ-فتاوي الشيخ شلتوت ص ٣٠١.

أ- صورة تعليق لفظي [أي لفظ ومعنى] كقوله: إن فعلت كذا فامرأتي طالق.

ب-صورة ليس فيها تعليق لفظي [أي معنى فقط] كقوله: عليّ الطلاق لأفعلن، أو الطلاق يلزمني لأفعلن كذا.

## وقد اختلف الفقهاء في الحلف بالطلاق:

١-قال بعضهم: إنه لغو من القول: وبه قال الظاهرية والشيعة الجعفرية، وروي عن علي وشريح وطاوس وعكرمة.

قال طاوس[ليس الحلف بالطلاق شيئاً]، وقال عكرمة[إنها من خطوات الشيطان لا يلزم بها شيء]، وعن شريح[لا يلزم بها طلاق].

وهو مذهب داود بن علي وأصحابه، وهو قول بعض أصحاب مالك في بعض الصور فيما إذا حلف عليها بالطلاق على شيء لا تفعله: كقوله إن كلمت فلاناً فأنت طالق، فكلمته لا تطلق. وهو قول بعض الشافعية في بعض الصور: كقوله: الطلاق يلزمني لا أفعل كذا: فإن للشافعية في هذا ثلاثة آراء:

١-**الأول:** إن نوى الطلاق يقع فهو كالكناية.

٢-**الثاني:** إنه صريح فلا يحتاج إلى نية، واختاره الروياني .

٣-**الثالث:** ليس صريحاً ولا كناية : فلا يقع وإن نوى، واختاره القفال الشافعي .

وذكر ابن تيمية وابن القيم: إن عدم الوقوع بأيمان الطلاق رأى بعض الشافعية منهم: القفال الشاشي، وصاحب التتمه، ورأي طائفة من المالكية في بلاد المغرب.

**وبهذا الرأي قال ابن تيمية وابن القيم:**

يقول ابن القيم في إعلام الموقعين (جـ ٣)[فإن الحالف لم يقصد إيقاع الطلاق، وإنما قصد منع نفسه بالحلف مما لا يريد وقوعه، فهو كما لو خص منع نفسه بالتزام التطليق والإعتاق والحج... فإذا كان قصد اليمين قد منع ثلاثة أشياء: وجوب التطليق وفعله وأثره، وهو حصول الطلاق. فلأن يقوى على منع واحد من الثلاثة وهو وقوع الطلاق وحده أولى وأحرى].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة [إن اتخاذ الطلاق يميناً يحلف به لم يكن في عهد الصحابة، ولما كثر الحلف به في عهد التابعين أفتى كثيرون بأنه لا يقع به شيء من الطلاق: فقد روي عن طاوس وعكرمة وشريح قاضي أمير المؤمنين علي وبه أخذ داود والقفال وبعض أصحاب أحمد].

جاء في كتاب فتاوى الشيخ محمود شلتوت ص ٣٠١ [من قال عليّ الطلاق لا أكلم فلانا. واضح أن معنى هذا هو التزام الرجل الطلاق، والتزام الرجل الطلاق ليس إيقاعاً للطلاق ولا تعليقاً لوقوعه، وإنما هو يمين وحلف، ولا أثر له في الحياة الزوجية، وقد ألغاه القانون تبعاً لكبار العلماء الذين ذهبوا إلى إلغائه] (١) .

**أما الحنفية:** فقد اختلفت الروايات عنهم، فمنهم من أوقعه، ومنهم من لم يوقعه. جاء في البزازية [" طلاقك واجب أو لازم: قيل يقع واحدة رجعية نوى أو لم ينو، والمختار عدم الوقوع].

وجاء **في البحر** [واختلفوا فيما لو قال: طلاقك عليّ واجب. قيل يقع في الكل بلا نية و قيل لا يقع وإن نوى، وقيل يقع مع النية، وصحح الصدر الشهيد في شرح المختصر عدم وقوعه في الكل عند الإمام. وصحح في الواقعات و قوعه في الكل، وفرق أبو جعفر: فأوقعه في واجب ولم يوقعه في غيره، كذا في الخانية، والمعتمد: عدم الوقوع في الكل. وفي البزازية: المختار عدم الوقوع]، [وسئل شيخ الإسلام أبو السعود العمادي عن رجل قال: عليّ الطلاق أو الطلاق يلزمني. هل صريح أو كناية؟ فأجاب بقوله ليس بشيء منها] (٢) .

**القانون:** إن القوانين الأربعة [الأردني والسوري والمصري والسوداني] تعتبر اليمين بالطلاق لغواً ولا يقع. إلا أن القانون الأردني يشترط شروطاً.

ففي القانون المصري رقم ٢٥ الصادر سنة ١٩٢٩ جاء في المادة الثانية منه [لا يقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على شيء أو تركه لا غير] فلا يقع الطلاق المعلق ولا اليمين بالطلاق.

وجاء في المادة (٩٠) من قانون الأحوال الشخصية السوري [لا يقع الطلاق غير المنجز إذا لم يقصد به إلا الحث على ف
شيء أو المنع منه، أو استعمل القسم لتأكيد الأخبار لا غير].

وهذا لم يقل به أحد من الأئمة الأربعة، وإنما أخذ من مذهب الشيعة الجعفرية والظاهرية.

أما قانون العائلة الأردني رقم (٩٢) الصادرسنة ١٩٥١ فقد نص نصاً صريحاً في المادتين ٧٠، ٧١، المادة (٧٠) [لا ي
الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه]، أما المادة (٧١) [عليَّ الطلاق وعليَّ الحرام وأمثالها لا يقع الطا
ما لم تتضمن صيغة الطلاق مخاطبة الزوجة أو إضافته إليها].

وإذا دققنا النظر في نص هاتين المادتين نجد أن المادة (٧٠) تنص على أنه لا يقع به يمين الطلاق أخذاً من مذهب الظاهـ
الجعفرية، ولكنه في المادة (٧١) يوقعه إذا أضيف إلى الزوجة أو خاطب به الزوجة، وهذا استثناء من المادة (٧٠) أو مناقضة لـ
المادة (٧١) مأخوذة من المذهب الحنفي.

جاء في نص المادة (٢٢٨) من الأحوال الشخصية للأبياني [صيغتان علي الطلاق والطلاق يلزمني يقع بكل واحدة منه
احدة رجعية ولو نوى الثنتين....].

وكان الأولى بالقانون الأردني أن يبقى سائراً كأصله المصري ويستغني عن نص المادة (٧١) التي تناقض المادة (٧٠
لمأخوذة من أصله المصري.

أما في السودان فالعمل جار على عدم الوقوع حسب المنشور الصادر سنة ١٩٣٥.

## الفصل السابع
# أنواع الطلاق

مر معنا سابقاً من أنواع الطلاق : الطلاق السني والطلاق البدعي، وقد أوفيناهما حقهما من الشرح، وبينا آراء العا
فقهاء في كل منهما.

والآن نود البحث عن نوعين جديدين من الطلاق هما: الطلاق البائن والطلاق الرجعي.

## الطلاق الرجعي والطلاق البائن

**الطلاق الرجعي:** هو الطلاق الذي يملك الزوج فيه مراجعة زوجته مادامت في العدة، وهذا هو الأصل في الطلاق لقوله تعا
لاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان]، [والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء]، [وبعولتهن أحق بردهن في ذلك
را إصلاحاً].

**أما الطلاق البائن:** فهو قسمان:

أ-**الطلاق البائن بينونة صغرى:** هو الطلاق الذي يملك الزوج فيه أن يرجع زوجته إليه بعد طلاقها ولكن بعقد ومهر جدي
، في العدة أو بعد انتهائها.

ب-**الطلاق البائن بينونة كبرى:** هو الطلاق الذي لا يملك الزوج أن يرجع فيه إلى زوجته إلا بعد أن تتزوج زوجاً غيره ثم يفا
، من أسباب الفرقة أو يموت عنها. وبعقد ومهر جديدين.

الشيعة الجعفرية فيقولون الطلاق ثلاثة أنواع:

١-**طلاق رجعي:** وهو ما تصح معه الرجعة.

٢-**طلاق بائن:** وهو ما لا تصح معه الرجعة، وهو طلاق اليائسة وغير المدخول بها والصغيرة والمختلعة والمطلقة ثلاثاً ؛
ت.

٣-**طلاق العدة:** وهو ما يراجع فيه الزوج في العدة ويطأ ثم يطلق في طهر آخر ثم يراجع في العدة ويطأ ثم يطلقها في

# الطلاق الرجعي[1]

**حالات الطلاق الرجعي**: يكون الطلاق رجعياً في حالات:

١-إذا كان الطلاق بعد الدخول حقيقة وكان بلفظ صريح غير مقرون بعدد الثلاث ولا بعوض مالي، وغير موصوف بصفة تنبيء الشدة كأن يقول أنت طالق طلقة عظيمة جداً أو بما يفيد معنى البينونة والانفصال.

٢-إذا طلقت المرأة بعد الدخول بلفظ من ألفاظ الكناية التي لا تفيد معنى الشدة وهي [استبرئي رحمك، أنت واحدة] لأن اللفظ الأول ورد عن سيد البشرية (ﷺ) قاله للسيدة سودة بنت زمعة، فناشدته أن يراجعها لتحشر في جملة أزواجه يوم الدين، فراجعها.

٣-الفرقة بسبب الإيلاء -عند الأوزاعي-، وبه أخذت القوانين الثلاثة [المصري والسوري والأردني] مع أن الحنفية يعتبرونه بائناً.

٤-الفرقة بسبب الإعسار: وهو رأي مالك، وبه أخذت القوانين الثلاثة، مع أن الحنفية لا يفرقون للإعسار، ويعتبره الشافعي وأحمد فسخاً.

# موقف القانون

١-تنص المادة الخامسة من القانون المصري رقم (٢٥) سنة ١٩٢٩ على أن: كل طلاق يقع رجعياً إلا في الحالات التالية:

١-الطلاق قبل الدخول والخلوة الصحيحة.

٢-الطلاق على عوض.

٣-الطلاق المكمل للثلاث.

٤-ما نص على أنه بائن في القانونين رقم (٢٥) سنة ١٩٢٠، ورقم (٢٥) سنة ١٩٢٩ وهي الحالات التالية:

أ-الطلاق لعيب في الزوج.

ب-الطلاق لسجن الزوج.

جـ-الطلاق لغيبة الزوج سنة فأكثر مع الضرر.

د-الطلاق لضرر والشقاق.

أما القانون السوري فنص في المادة (٩٤) على نفس ما نصت به المادة الخامسة السابقة.

أما القانون الأردني فنص في المادة (٧٤) على نفس ما نصت به المادة الخامسة السابقة.

# أحكام الطلاق الرجعي[2]

١-يبقى للمطلق كل حقوق الزوجية من الحل والملك، ويحق له معاشرة الزوجة ومراجعتها بالقول أو بالفعل. إلا أن الشافعية يمنعون التمتع بها إلا بعد المراجعة ، وإن تمتع بها ولم يراجع فعليه مهر جديد.

جاء في تحفة الفقهاء للسمرقندي [أنه يوجب الحرمة وزوال الملك عند انقضاء العدة، وفي الحال: ينعقد سبباً لزوال الملك، ويتم عليه عند انقضاء العدة وهذا عندنا. وعلى قول الشافعي: حكمه للحال زوال حل الوطء وزوال الملك من وجه].

٢-وجوب نفقة المعتدة وثبوت نسب ولدها منه.

٣-إمكان إيقاع طلاق آخر عليها في العدة.

٤-لا يمنع التوارث بينهما، فإذا مات أحدهما في العدة ورثه الآخر.

٥-لا تستحق مؤخر الصداق المؤجل لأقرب الأجلين (الطلاق والوفاة)، إنما يحل بعد انقضاء العدة من غير مراجعة.

٦-ينقص عدد الطلقات التي يملكها الزوج.

٧-تحريم الجمع بينها وبين من لا يجوز أن يتزوجها جامعاً بينهما كالأخت والعمة للزوجة.

---

(١) مصادر هذا البحث: أ-محاضرات في فرق الزواج -الشيخ علي الخفيف- الطلاق الرجعي والبائن. ب-أحكام الزواج والطلاق في الإسلام- بدران أبو العنين. جـ-شرح قانون الأحوال الشخصية السوري-المرحوم مصطفى السباعي ص ٢٤٣. د-تحفة الفقهاء -السمرقندي- الجزء الثاني ص ٢٦١-٢٦٥.

(٢) أ-تحفة الفقهاء [illegible] ص ٢٦٦ [illegible] الأحوال الشخصية السوري-الزواج وانحلاله -السباعي ص ٢٦٨. جـ-محاضرات في فرق الزواج-علي

# موقف القانون

نص قانون العائلة الأردني في المادتين ٧٨، ٧٩ على ما يلي:

المادة (٧٨) (الطلاق الرجعي لا يزيل الزوجية في الحال، وللزوج حق مراجعة زوجته أثناء العدة قولاً أو فعلاً، وهذا الحق يسقط بالإسقاط).

المادة (٧٩) (إذا راجع الزوج زوجته أثناء العدة يكون قد أبقى النكاح الذي لم يزل موجوداً، ولا يتوقف رجوعه على رضا الزوجة ولا يلزمه مهر جديد).

وهاتان المادتان مأخوذتان من المذهب الحنفي كما تقدم.

أما قانون الأحوال الشخصية السوري فقد نص في المادة (١١٨) على نفس نص المادة (٧٨) من القانون الأردني، و نص في الفقرة الثانية منها على (تبين المرأة وتنقطع الرجعة بانقضاء عدة الطلاق الرجعي).

وهذا كذلك مأخوذ من المذهب الحنفي أيضاً.

مقدار ما يجوز للزوج أن يطلع عليه من الزوجة في العدة الرجعية: (١)

اختلف الفقهاء في ذلك:

أ-قال مالك لا يخلو بها ولا يدخل عليها إلا بإذنها، ولا بأس أن يأكل معها إذا كان معهما غيرهما، وروى ابن القاسم أنه ر ن الأكل.

ب-قال أبو حنيفة وأبو يوسف والثوري والأوزاعي : لا بأس أن تتزين الرجعية لزوجها وتتطيب له وتبدي البنان والكحل، لك خل عليها إلا أن تعلم بدخوله من تنحنح وخفق نعل.

ويقول الحنفية أيضاً : إذا لمسها بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة تكون رجعة، أما بدون شهوة فليست رجعة، ولو جا وجة الرجعية زوجها وهو نائم تثبت الرجعة.

# الرجعة وأحكامها

روعية الرجعة:

١-قال تعالى: {فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف} والمعروف أن المراد بهذه الآية إذا قاربن أ سكوهن بمعروف، والإمساك يكون بمراجعتها مع القيام بما يجب لها من حقوق .

وقد كان الرجل في الجاهلية يطلق امرأته ثم يراجعها ولا حاجة له بها، ولا يريد إمساكها، ولكن يريد إطالة العدة رها، فنهى الله عن ذلك {ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا}.

٢-وروي عن عبدالله بن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال لعمر {مره فليراجعها} يعني ابن عمر .

٣-وروي أن رسول الله (ﷺ) طلق أم المؤمنين حفصة ثم راجعها. قال له جبريل ارجع حفصة فإنها صوامة قوامة فراجعه

ف الرجعة:

١-يعرفها الحنفية {استدامة ملك النكاح القائم بلا عوض مادامت المرأة في عدة الدخول الحقيقية}.

جاء في البدائع للكاساني {أنها استدامة الملك القائم ومنعه من الزوال وفسخ السبب المنعقد لزوال الملك}.

٢-يعرفها الشافعية في نهاية المحتاج لخير الدين الرملي {أنها رد المرأة إلى النكاح من طلاق غير بائن في العدة}.

٣-ويعرفها المالكية كما في شرح الدردير {عود الزوجة المطلقة من غير تجديد عقد}.

٤-ويعرفها الحنبلية كما في المغني {والرجعية زوجة يلحقها الطلاق والظهار والإيلاء}.

تحفة الفقهاء للسمرقندي الجزء الثاني ص ٢٦٤. ب-بداية المجتهد- ابن رشد القرطبي- الجزء الثاني.

ولذا فإنا نرى الشافعية يرون أن الرجعة هي إعادة أحكام الزواج والحل . أما الحنفية فيرون في الرجعة استمرار أحكام الزوجية واستدامة النكاح وهذا هو الأصوب.

ويستدل كل من الفريقين بقوله تعالى {**وبعولتهن أحق بردهن في ذلك**}.

**يقول الحنفية:** أن البعولة تقتضي بقاء الزوجية، والتعبير بالرد لايدل على انقطاع الزوجية لأن الزوجة، لو استمرت عدتها بدون مراجعة لانقطعت الزوجية .

**أما الشافعية:**أن الله تعالى قال: (أحق بردهن)، والرد لا يكون إلا بعد الذهاب قبله، فهذا يستلزم ذهاب ملك النكاح.

## بم تكون الرجعة (١)

تكون الرجعة بالقول اتفاقاً: سواء كان صريحاً كأن يقول لها راجعتك، أو كناية مثل قوله: **أنت امرأتي مع اقتران الكناية بالنية،** فتصح بها الرجعة عند الشافعي والحنفية والمالكية، وعن أحمد روايتان، أما عند الزيدية والشيعة الجعفرية فلا تصح الرجعة بالكناية .

**أما المراجعة بالفعل:** وذلك بأن يعاشرها معاشرة الأزواج.

**أ- فقد قال الشافعي والإمام يحيى:** أن الفعل محرم فلا تحل به، وحجتهم أن الله تعالى ذكر الإشهاد{ وأشهدوا ذوي عدل منكم} ولا إشهاد إلا على القول.

**ب-أما الحنفية ومالك والزيدية والشيعة الجعفرية والجمهور** فقالوا: تصح الرجعة بالفعل. **أما الحنابلة:** فعنهم روايتان: الأولى: لا تصح، واختارها الخرقي، وظاهر الرواية عن أحمد. والرواية الثانية: تصح: وهي رواية ثانية عن أحمد، واختارها القاضي وابن حامد، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن البصري ومحمد بن سيرين وعطاء بن رباح وطاوس والزهري والثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى.

لكن اشترط الإمام مالك النية مع الفعل لقوله (ﷺ){**إنما الأعمال بالنيات**} إلا أن الجمهور لم يشترطوا النية لأنها زوجه شرعاً داخلة تحت عموم -إلا على أزواجهم-.

## إعلام المرأة بالرجعة (٢)

ذهب الجمهور أنه يجب إعلامها بالرجعة، وقيل لا يجب إعلامها بالرجعة، وتفرع على هذا ما لو تزوجت الزوجة من آخر دون علمها بالمراجعة فهل هي للزوج الأول أم للزوج الثاني:

أ-قال مالك والأوزاعي والليث والمدنيون من أصحاب مالك أنها للذي عقد عليها النكاح (للزوج الثاني) دخل بها أم لم يدخل، وهذا قوله في الموطأ، إلا أن ابن القاسم قال: إن مالك رجع عن هذا القول وقال : الأول أولى بها ما لم يدخل بها الزوج الثاني.

وحجة هذا الفريق ما روي عن سعيد بن المسيب قال: مضت السنة في الذي يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يكتمها رجعتها فتحل فتنكح زوجاً غيره أنه ليس له من أمرها شيء.

**ب-قال الجمهور:** هي للأول منهما وحجتهم: الحديث الذي رواه الترمذي عن سمرة بن جندب أنه (ﷺ) قال {**أيما امرأة تزوجها اثنان فهي للأول منهما**}.

وبهذا الرأي قال الشافعي وأبو حنيفة والكوفيون وداود وأبو ثور، وروي عن علي بن أبي طالب، واستدلوا بالمعقول: بأن الرجعة حق الرجل سواء علمت بها المرأة أم لم تعلم، وأن العلماء أجمعوا على أن الرجعة صحيحة وإن لم تعلم بها المرأة .

**جـ-وهناك رأي ثالث مروي عن سيدنا عمر بن الخطاب:** أن الزوج الذي ارتجعها مخير بين أن تكون امرأته أو أن يرجع عليها بما كان أصدقها.

## موقف القانون

نص القانون السوري في المادة (١١٨) : الطلاق الرجعي لا يزيل الزوجية، وللزوج أن يراجع مطلقته بالقول أو الفعل، ولا يسقط هذا الحق بالإسقاط، وهذا نفس نص المادة (٧٨) من قانون العائلة الأردني رقم ٩٢ الصادر سنة ١٩٥١ .

## الحكمة من الرجعة:

إن الحاجة تمس إلى الرجعة، لأن من المصلحة أن تستمر الحياة الزوجية التي أوثقت أواصرها وأقيمت أركانها. فالأولاد والو المحبة والذكريات كلها عوامل تشد النفس إلى العودة للحياة الزوجية الهادئة الوادعة، وما كان لكلمة عابرة أو فلتة شاردة أو ساء سقوط أو غضب أو حنق لتقوض هذا الكيان القائم إلى الأبد . فكان لا بد من فترة تختبر فيها المشاعر والعواطف، وتمتحن فيو لنفوس والقلوب علها تجرب النوى والحرمان والبعد فتحن لتعود إلى حياتها الأولى.

يقول الشهيد سيد قطب ( إنه لابد من فترة معقولة يختبر فيها الزوجان عواطفهما بعد الفرقة. فقد يكون في قلوبهما رمق م د يستعاد، وعواطف تستجاش، وقد يكون الطلاق إنما وقع نتيجة نزوة أو غلطة أو كبرياء، فإذا سكن الغضب وهدأت النفد ستصغرت تلك الأسباب التي دفعت إلى الفراق، وعاودها الحنين إلى استئناف الحياة، والطلاق أبغض الحلال إلى الله، وهو عملية بذ يلجأ إليها إلا حين يخيب كل علاج] (١) .

ويقول العلامة فخرالدين الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب[الحكمة في إثبات الرجعة أن الإنسان مادام مع صاحبه لا يدري هـ ىق عليه مفارقته، فإذا فارقه فعند ذلك يظهر، فلو جعل الله طلقة واحدة مانعة من الرجوع لشق ذلك على الإنسان، ثم لما كان كما جربة لا يحصل بالمرة الواحدة فلا جرم أن الله تعالى أثبت المراجعة بعد الفرقة مرتين]. (٢) .

## ن له حق الرجعة:

**الرجعة حق للزوج لقوله تعالى (وبعولتهن أحق بردهن) ( فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) .**

١-جاء في التحفة [وأجمعوا أنه يملك الرجعة من غير رضا المرأة ومن غير تجديد للمهر أو العقد] (٣) وإنما يملكه الزوج إ ن أهلاً للزواج، فلا تصح الرجعة عند الحنفية من مجنون ولا من معتوه، كما لا تصح من نائم أو مغمى عليه إذا كانت رجعة بالقوا رجعة السكران فحكمها حكم تصرفاته [فإذا سكر بمحرم تصح رجعته، وإن كان بغير محرم فلا تصح رجعته].

أما الرجعة بالفعل فلا تصح من [المجنون والمعتوه والسكران والمكره والهازل] قال (ﷺ) **« ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكا للاق والرجعة ».**

٢-**أما الحنابلة فقالوا:** إن الرجعة لا تصح من المجنون ولا من المعتوه بل تصح من وليهما.

٣-**أما المالكية والشافعية فقالوا:** إنها لا تصح من مجنون ولا من مكره ولا من معتوه، وتصح من السفيه والهازل والمفلس، ح من السكران عند الشافعي خلافاً لمالك، ويجوز التوكيل بالمراجعة.

## م الرجعة:

إن الرجعة مستحبة مندوبة عند الجمهور في جميع الأحوال، وقد تصبح واجبة إذا حدث الطلاق في زمن منهي عنه كالحي س في رواية عن أحمد وهو قول مالك. استناداً إلى الحديث الذي رواه ابن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال لعمر **[مر ابـ جعها]** عندما طلق ابن عمر زوجته وهي حائض.

وقد ذهب إلى ذلك بعض الحنفية، وقال صاحب الهداية (المرغيناني) : أنه الأصح، وكذلك ذهب بعض المالكية إلى وجوبها ني طهر مس فيه.

## ط الرجعة:

الرجعة ليست عقداً ولذا لا يشترط فيها رضا الزوجة ولا إعلامها عند الجمهور.

أما شرط النية: فلا تشترط النية في صريح القول. أما القول بالكناية فتشترط النية فيها . أما الرجعة بالفعل فتشترط فيها ا

---

للال القرآن-الجز الثاني -الطبعة الثالثة المنقحة-ص ١٩٥ للمرحوم الكاتب الإسلامي العملاق سيد قطب

ح الغيب-العلامة فخر الدين الرازي-المجلد الأول -ص ٧٩٥.

الفقهاء -السمرقندي- الجزء الثاني ص ٣٦٢.

عند المالكية عدا ابن وهب من المالكية، أما عند الجمهور فالرجعة بالفعل لا يشترط لها النية وذلك لأنها زوجة.

**أما الإشهاد:** فاختلف فيه الفقهاء على آراء:

**١-الرأي الأول:** ان الإشهاد مندوب وهو رأي الجمهور: ودليلهم ما روى أبو داود عن عمران بن الحصين موقوفاً عمن راجع امرأته ولم يشهد «راجع في غير سنة فليشهد الآن» ، ولأن الأمر في الآية {**وأشهدوا ذوي عدل منكم**} الأمر فيها للندب، وللإجماع على عدم وجوب الإشهاد في الطلاق فكذا الرجعة.

**٢-الرأي الثاني يقول** بوجوب الإشهاد: وهو قول عطاء، روى ابن جريج عن عطاء قال«لا يجوز في نكاح ولا في طلاق ولا في رجعة إلا شاهدا عدل».

وهذا هو رأي ابن حزم فقد جاء في المحلى «لا يكون المراجع مراجعاً حتى يلفظ بالرجع،ويشهد ويعلمها بذلك قبل تمام العدة» (١) .

وبهذا الرأي قال الشافعي في القديم ورواية عن أحمد، «يقول صاحب سبل السلام : وكان مذهب الشافعي قد استقر على عدم الوجوب فإنه قال المزرعي في تيسير البيان: وقد اتفق الناس على أن الطلاق من غير إشهاد جائز، وأما الرجعة فيحتمل أنها تكون في معنى الطلاق لأنها قرينته فلا يجب فيها الإشهاد وهو ظاهر الخطاب} (٢) .

**واشترط المالكية** لصحة الرجعة: أن يكون النكاح ثابتاً بحجة متعدية كبينة، وأن تثبت الخلوة بين الزوجين، وأن يتصادق الزوجان مع ذلك على الاجابة.

جاء في المادة **(٢٢٤)** من الأحوال الشخصية للابياني {الرجعة صحيحة بلا شهود وبلا علم المرأة إلا أنه يندب} (٣) .

## تعليق الرجعة وإضافتها وشرط الخيار فيها

إن الجمهور وهم الأئمة الثلاثة: الحنابلة والشافعية والحنفية قالوا: الخيار والإضافة والشرط يفسد الرجعة، ويجب أن يكون القول منجزاً.

جاء في تحرير الأحكام «إن الأقرب بطلان الرجعة عند تعليقها وعند إضافتها». أما المالكية فلهم قولان: الظاهر منهما أنها تبطل بالتعليق والإضافة، والثاني أنها تصح إذا تحقق الشرط أو جاء الوقت، ويأخذ بهذا الرأي الزيدية.

وقد أخذ القانون الأردني في المادة **(٨٠)** برأي الأئمة الثلاثة ونص على ما يلي:

{الرجوع المعلق على الشرط والمضاف لزمان مستقبل غير صحيح}.

### الإختلاف في الرجعة (٤)

ونختتم أبحاث الطلاق الرجعي وأحكام الرجعة ببحث الاختلاف في الرجعة: فإذا أخبر الزوج عن الرجعة في الماضي فإن صدقته المرأة ثبتت الرجعة سواء قال ذلك في العدة أو بعد انقضاء العدة. وإن كذبته الزوجة: فإن قال الزوج ذلك في العدة فالقول قول الزوج، أما بعد انقضاء العدة فالقول قولها ولا يمين عليها عند الإمام، وتستحلف عند صاحبيه، وحجتهما أن الرجعة وإثباتها تطبق عليها قواعد الإثبات العامة، فالبينة على المدعي وهو الزوج، واليمين على المنكر وهي الزوجة. أما عند الإمام أبي حنيفة فالجحود بذل والرجعة لا تبذل.

وعلى ذلك هناك أصول عامة تطبق في الإثبات منها:

١-الأدلة الشرعية في إثبات نوع الطلاق وحكمه من بائن أو رجعي وغيره.

٢-نوع العدة الواجبة أهي الأقراء (سواء الأطهار أو الحيض) أم الأشهر أم الوضع أو لا عدة عليها، وأقل المدة تحتمل عند الإمام **(٦٠)** يوماً، وعند الصاحبين **(٣٩)** يوماً .

---

(١) محاضرات في فرق الزواج –علي الخفيف نقلاً عن كتاب المحلى لأبي محمد ابن حزم. (٢) سبل السلام للصنعاني- الجزء الثالث- ص ١٨٢

(٣) الاحكام الشرعيا في الأحوال الشخصية- محمد زيد الابياني مادة ٢٢٤.

٣-مراعاة ما تنتهي به العدة بالأقراء أهي ظهور دم الحيضة الثالثة أو انتهائها أو الغسل منها أو مضي وقت صلاة.

٤-الأدلة والقرائن العامة في الإثبات والإشهاد.

## الطلاق البائن[1]

ذكرنا سابقاً أن الطلاق البائن نوعان:

**طلاق بائن بينونة صغرى:** وهو ما لم يكن مكملا للثلاثة كالطلاق قبل الدخول.

**طلاق بائن بينونة كبرى:** وهو الطلاق المكمل للثلاث.

**ويكون الطلاق بائناً في الحالات التالية:**

١-الطلاق قبل الدخول لأنه لا عدة فيه فلا يمكن المراجعة .

٢-أن يكون لفظ الطلاق مقروناً بالعوض.

٣-أن يكون لفظ الطلاق مقروناً بعدد الثلاث نصاً أو إشارة.

٤-أن يكون لفظ الطلاق مكملاً للثلاث.

٥-أن يكون لفظ الطلاق موصوفاً بصفة تشعر بالبينونة مثل أنت طالق طلاقا مثل الجبل .

٦-أن يكون لفظ الطلاق بلفظ الكناية سوى الألفاظ الثلاث (اعتدي، استبرئي رحمك، أنت واحدة) هذا عند الحنفية، وما ع
ه الألفاظ الثلاثة تقع بائنة عند الحنفية ورأي في مذهب مالك . وخالف الشافعي وأحمد فقالا: إن الطلاق لا يقع بائناً بألفاظ الكن
و رواية في مذهب مالك.

## موقف القانون

تنص المادة الخامسة من القانون المصري رقم (٢٥) سنة ١٩٢٩ على أن [ كل طلاق يقع رجعياً إلا المكمل للثلاث، والطل
الدخول، والطلاق على بدل، وما نص على كونه بائنا في هذا القانون وفي القانون رقم (٢٥) سنة ١٩٢٠].

**وما نص على كونه بائنا في القانونين ما يلي:**

١-الطلاق لعيب في الزوج.

٢-الطلاق لسجن الزوج.

٣-الطلاق لغيبة الزوج.

٤-الطلاق للضرر والشقاق.

أما قانون الأحوال الشخصية السوري فقد نص في المادة (٩٤) على ما نص عليه القانون المصري في المادة الخام
بقة، وما نص على كونه بائنا فيه زيادة عن الثلاث السابقة:

١-المادة (١٠٨) الطلاق للعلة.

٢-التفريق للشقاق في المادة ١١٢ الفقرة الثانية.

أما القانون الأردني رقم (٩٢) سنة ١٩٥١ فنص في المادة (٧٤) على ما نصت عليه المادة الخامسة السابقة والبائن

١-الطلاق لغيبة الزوج المادة (٨٩).

٢-سجن الزوج ثلاث سنوات فأكثر في المادة (٩٣) .

---

(١) انظر في: أ- تحفة الفقهاء للسمرقندي ص ٢٦٧ الجزء الثاني ب-شرح قانون الأحوال الشخصية السوري- الزواج وانحلاله- ص ٢٤٤ جـ-أحكام الزواج وال
لإسلام -بدران أبو العينين. د-محاضرات في فرق الزواج -علي الخفيف.

٣-طلاق الضرر في المادة (٩٧).

٤-الطلاق لعيب في الزوج.

والآن نتعرض بشيء من التفصيل من أي المذاهب الفقهية أخذ القانون المصري ثم تبعته القوانين الأخرى خاصة في الأردن وسوريا:

**١-الطلاق قبل الدخول:** وهذا محل اتفاق بين الفقهاء لقوله تعالى {**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها**}.

**أما الطلاق بعد الخلوة الصحيحة وقبل الدخول:** فقد اعتبر طلاقاً بائناً عند الحنفية والمالكية والشافعية والزيدية والجعفرية وأبي بكر من الحنابلة، وإن استتبع عدة عند الحنفية للاحتياط، وبهذا أخذ القانون السوري في المادة (٥٨) {إذا سمي مهر في العقد الصحيح ووقع الطلاق قبل الدخول والخلوة الصحيحة وجب نصف المهر}. فاعتبر القانون الخلوة الصحيحة بحكم الدخول.

وخالف هذا الرأي الحنابلة وهو اختيار الخرقي وقديم قولي الشافعي والناصر من الزيدية.

**٢-الطلاق على عوض:** وسيأتي اختلاف الفقهاء فيه أهو فسخ أم طلاق بائن.

**٣-الطلاق المكمل للثلاث:** قال تعالى { **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره**}.

٤-ما نص على أنه بائن في القانونين رقم (٢٥) سنة ١٩٢٠ ورقم (٢٥) سنة ١٩٢٩ وهو الآتي :

**أ-الطلاق لعيب في الزوج:** أخذاً من مذهب الحنفية ومالك، وبذلك قال الثوري، أما الشافعية والحنابلة فيعدون هذه الفرقة فسخاً لا طلاقاً.

**ب-الطلاق لسجن الزوج:** أخذاً من مذهب مالك، أما الأئمة الثلاثة الآخرون فلا يرون السجن موجباً للطلاق أو الفسخ.

**جـ-الطلاق لغيبة الزوج سنة أو أكثر:** إذا تضررت الزوجة من ذلك، وهذا مذهب مالك وقول في مذهب أحمد، أما الجمهور فلا يرون الغيبة سبباً يستوجب الطلاق.

**د-الطلاق للضرر والشقاق:** وهو مأخوذ من مذهب مالك.

هذا ما تعرضت له المادة الخامسة وذكرته، وعلى هذا يكون: {اللعان، وإباء الزوج الإسلام، والتفريق بالعنة} رجعياً، لكن جاء في المذكرة الإيضاحية للقانون رقم (٢٥) سنة ١٩٢٩ {أن التفريق بسبب اللعان أو العنة أو إباء الزوج الإسلام عند اسلام زوجته يبقى فيه الحكم على مذهب أبي حنيفة}، والمعروف أن التفريق في هذه الحالات الثلاث طلاق بائن عند الحنفية. فهنا حدث تناقض بين المذكرة الإيضاحية ونص القانون} (١) .

## حكم الطلاق البائن (٢)

١-يحل به مؤخر الصداق إذا كان مؤجلاً لأقرب الأجلين (الطلاق والوفاة) لأنه يتم الانفصال به.

٢-أنه يزيل الملك الثابت بالزوجية بمجرد صدوره فتنقطع به حقوق الزوج على زوجته، ولا يكون لها حقاً سوى البقاء في منزل العدة (بيت الزوجية) أثناء العدة .

**أما النفقة** بأنواعها فتجب لها على مذهب الحنفية والزيدية، وهو قول عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز. أما الشافعية والمالكية والحنابلة والجعفرية فقالوا: تجب لها النفقة إن كانت حاملاً فقط لقوله تعالى {**وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن**}.

أما إذا كانت حائلاً فلا يجب لها إلا السكنى عند الشافعية والحنابلة والمالكية. وروي عن أحمد «لا يجب لها سكنى»، وهو مذهب الشيعة الجعفرية، وروي عن ابن عباس، وهو قول عطاء والشعبي والقاسم من الزيدية وابن أبي ليلى وذلك لحديث فاطمة بنت قيس {لا سكنى لك ولا نفقة}. وليس للزوج حق مراجعتها في العدة، ولكن له أن يستأنف الحياة الزوجية في العدة ولا يعيدها إلا بعقد جديد.

٣- يحتسب مما يملكه الزوج على زوجته من الطلاق .

---

(١) أ- محاضرات في فرق الزواج- علي الخفيف.

٤-يمنع التوارث بين الزوجين إلا في حالة طلاق الفرار فإن الزوجة ترث مادامت في العدة.

٥-إذا كان مكملاً للثلاث أزال الحل ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

موقف القانون: نص القانون الأردني رقم (٩٢) سنة ١٩٥١ في المادة (٨١) {الطلاق البائن يزيل الزوجية في الحال وسو كان بطلقة واحدة أو طلقتين فلا يمنع تجديد النكاح، أما بعد الثلاث طلقات فتحصل البينونة الكبرى}.

أما قانون الأحوال السوري فقد نص في المادة (١١٩) «الطلاق البائن دون الثلاث يزيل الزوجية حالاً ولا يمنع من تجد .قد».

# التحليل بين الحقيقة والخديعة [1]

## تحليل المرأة لزوجها البائنة منه بينونة كبرى:

قد ذكرنا سابقاً أن الطلقة الثالثة دليل على فساد أصيل في الحياة الزوجية، وعلى تعفن حبل الصفاء والمودة وتحوله إ ستنقع ضحل آسن، وبرهان على تكدر صفو العيش، ولذا وضع الإسلام في هذه الحالة صمام أمن لمنع العبث بحرمة العقد المقدس لإيقاف امتهان كرامة المرأة الإنسانية، فجعل حلاً عظيم الوقع على النفوس، شديد الوطأة على المشاعر، وهو الدخول في تجربة جديدة ليجرب كل منهم الحياة مع الآخرين، والآية التي توجب ذلك هي: **{فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره** ل ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل فيما دل عليه هذا القول من الله تعالى، فمنهم من قال: دل على أنه إن طلق الرجل امر تطليقة الثالثة بعد المرتين (الطلاق مرتان) فإنها بذلك لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، وبه قال: قتادة وابن عباس والضح لسدي.

وقال آخرون: دل القول على ما يلزم مسرح امرأته بإحسان بعد التطليقتين، وقالوا: وإنما بين الله ذكره بهذا القول عن حكم ( **سريح بإحسان)**، واعلم أنه إن سرح الرجل امرأته بعد التطليقتين فلا تحل له المسرحة كذلك إلا بعد زواج . قاله مجاهد، قال أ فر الطبري (والذي قاله مجاهد في ذلك عندنا أولى بالصواب) [2]

وفي الحديث عن الرسول (ﷺ) أنه سئل عن {الطلاق مرتان} فأين الثالثة قال«أو تسريح بإحسان»، وقد اختلف في ذلك النك ي اشترط لحل المطلقة ثلاثاً إلى أقوال:

١-ذهب سعيد بن المسيب إلى أنه العقد، فتحل المطلقة ثلاثاً للأول بمجرد العقد على الثاني، وروي هذا عن سعيد بن جبير، طائفة عن الخوارج وبشر المريسي وداود الظاهري والشيعة، ولعل حديث العسيلة لم يبلغهم أو لم يصح عندهم.

٢-ذهب سائر العلماء أن المراد بالنكاح هنا: الوطء، واحتجوا بأن النكاح قد ورد في القرآن بالمعنيين: العقد والوطء، والم المعنيان، فمن وطيء إمرأة مطلقة بدون عقد فلا تحل للأول، وكذلك من عقد على امرأة مطلقة ثلاثاً ثم طلقها قبل أن يدخل بها للأول، ولقد جاءت السنة مبينة هذا المعنى.

{عن عائشة قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ قالت: كنت عند رفاعة فطلقني فبَت طلاقي، فتزوجت من بن الزبير، وأن ما معه مثل هدبة الثوب، فقال«تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» وأ يزيدون هذا المعنى: عن أبي عثمان بن جني قال: سألت أبا علي عن قولهم: نكح المرأة فقال: فرقت العرب بالاستعمال، فإن قا فلان فلانة: أرادوا أنه عقد عليها، وإذا قالوا نكح امرأته أو زوجته: أرادوا به المجامعة، فالمراد من الآية المجامعة}.[3]

قال ابن العربي: ما مرت بي مسألة في الفقة أعسر من هذه، ذلك أن من أصول الفقه أن الحكم هل يتعلق بأوائل الأسماء خرها، فإن كان الأول لزمنا أن نقول بقول سعيد بن المسيب، وإن كان الثاني لزمنا أن نشترط الإنزال مع مغيب الحشفة وهو ا ن.

---

تفسير ابن جرير الطبري-المجلد الرابع- آية{فإن طلقها...} البقرة. ب-تفسير آيات الأحكام-محمد علي السايس-الجزء الأول ص ١٤٠-١٤٦ جـ-فتاوى الشيخ شلتوت ص ٧

تفسير ابن جرير الطبري المجلد الرابع آية {فإن طلقها} البقرة. ب- تفسير آيات الاحكام محمد علي السايس الجزء الأول ص ١٤٠- ١٤٦. جـ- فتاوي الشيخ شلتوت ص ٧

سير آيات الأحكام- محمد علي السايس- الجزء الأول

**وقد تباينت آراء الفقهاء في نكاح المحلل، وعندنا حالتان:**

١- **الأولى:** أن يشترط على المحلل التحليل بصريح القول: كأن يقول المحلل له أريد أن تنكح زوجتي السابقة لتحللها لي، فهنا: قال أبوحنيفة وزفر: إن تزوجها بشرط التحليل بصريح القول فالزواج صحيح مع الكراهة، وتحل للأول، فالصحة لأن الزواج لا تبطله الشروط الفاسدة، والكراهة لقوله ﷺ **{لعن الله المحلل والمحلل له}**. وقال أبو يوسف: الزواج فاسد ولا تحل للأول، وقال محمد الزواج الثاني صحيح ولا تحل للأول . وقال الشافعية : إنه باطل.

٢-**الحالة الثانية:** النكاح بنية التحليل دون التصريح بنيته قولاً:

أ-تحل لزوجها الأول عند الحنفية والشافعية مع الكراهة عند الشافعي.

ب- وذهب مالك وأحمد والثوري وأهل الظاهر وابن تيمية وابن القيم وغيرهم إلى أن ذلك النكاح باطل لا تحل به للأول ولا للثاني، ولا تحل حتى ينكحها الزوج الثاني نكاح رغبة يقصد به ما يقصد من كل نكاح من الدوام والبقاء. وأدلتهم هي:

١-ما روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال **«ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له»** رواه الترمذي وصححه وقال: والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم: عمر وابن عمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وهو قول الفقهاء من التابعين، وهذا الحديث مروي عن ابن عباس رضي الله عنه . قال: سئل رسول الله (ﷺ) عن المحلل قال ولا: **إلا نكاح رغبة لأدلة، ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ثم تذوقي العسيلة».**

٣-روى ابن المنذر وابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه: لا أوتى بمحلل ولا بمحلل له إلا رجمتهما، وسئل ابنه عن ذلك فقال: كلاهما زان.

٤-سئل ابن عباس عمن طلق امرأته ثلاثا ثم ندم، فقال: رجل عصى الله فأندمه، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً، فقيل له فكيف ترى في رجل يحلها له؟ فقال: من يخادع الله يخدعه.

هذا وفي التحليل مفاسد كثيرة عقد ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين» فصولاً في بيانها، هذا وقد رأينا من هذه الأدلة المتقدمة أن التلاعب بأحكام الشريعة لا يجوز، ولذا يجب قطعه ومنعه من باب سد الذرائع.

ومن البدهي أن المقصود بالزواج الثاني أن يكون الزوج راغباً في المرأة، قاصداً لدوام عشرتها، كما هو المشروع من الزواج، واشترط الإمام مالك مع ذلك أن يطأها وطأ مباحاً، فلو وطئها وهي محرمة أو صائمة أو حائض أو نفساء أو كان الزوج صائماً أو محرماً أو معتكفاً لم تحلّ للأول بهذا الوطء، وكذا لو كان الزوج الثاني ذمياً لم تحل للمسلم بنكاحه، لأن أنكحة الكفار باطلة عنده، واشترط الحسن البصري فيما حكاه عنه الشيخ أبو عمرو بن عبد البر أن ينزل الزوج الثاني، وكأنه تمسك بقوله عليه الصلاة والسلام**{حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك}** والزواج الثاني يزيل البينونة الكبرى والطلقات التي سبقته من الطلاق الأول، فلو طلقها الأول ثلاثاً فإنها تعود للأول فيما لو طلقها الثاني ثم تزوجها الأول كأنه تزوجها من جديد ليست محمله بأية طلقة.

# موقف القانون

نص قانون العائلة الأردني رقم (٩٢) سنة ١٩٥١ في المادة (٨٢) على مايلي: {البينونة الكبرى تزول بتزويج الزوجة زوجاً آخر بعد انقضاء عدتها لا بقصد التحليل، وتحل للأول بعد افتراقها من الثاني بشرط الدخول ومرور العدة}، ويوضح الشيخ محمد زيد الابياني بك في كتابه ( الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية) المادة (٢٤٨): {ثلاث طلقات..يحرم عليه أن يتزوجها حتى تنكح غيره نكاحاً صحيحاً نافذاً، ويطأها وطأ صحيحاً في المحل المتيقن موجباً للغسل، ثم يطلقها أو يموت عنها، وتمضي عدتها، وموت الزوج الثاني قبل وطئها لا يحلها للأول} (١) .

يقول الشيخ محمود شلتوت رحمه الله {والزواج بقصد التحليل حرام بالإجماع، وقال ابن تيمية نفس الكلام، وكيف لا يكون حراماً وهو زواج يفعله أصحابه بالتستر والكتمان خوف الفضيحة والعار} (٢) .

---

(١) الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية محمد زيد الابياني مادة ٢٤٨.

(٢)[illegible]

# مسألة الهدم[1]

عرفنا أن الطلاق الرجعي عند الحنفية لا يزيل الملك ولا الحل، والبائن بينونة صغرى يزيل الملك ولا يزيل الحل . والبائن بينو كبرى يزيل الملك والحل معاً. والمرأة إذا عادت إلى زوجها بعد أن يكون قد طلقها طلاقاً رجعياً أو بعد أن تكون بانت منه بغير الثلا من غير أن تتزوج غيره تعود إليه بما بقي عليها من الطلقات الثلاث، فإن كان قد طلقها واحدة عاد إليها باثنتين. وهي محل اتف الفقهاء.

أما ان عادت إليه بعد أن تزوجت غيره فإما أن يكون قد دخل بها وإما أن لايدخل بها، فإن لم يكن قد دخل بها فالحكم ك تقدم أي أنها تعود إليه بما بقي لها من الطلقات اتفاقاً، وإن عادت بعد أن يكون قد دخل بها دخولاً حقيقياً فقد اختلف الفقهاء في تعود به إليه من الطلقات: أتعود بما بقى أم تعود بثلاث طلقات، وهذه هي مسألة الهدم:

**اختلفت الآراء ههنا فذهب:**

١-**محمد والشافعي ومالك والزيدية ورواية عن أحمد:** تعود بما بقى لها من الطلقات، وهو مذهب عمر بن الخطاب وعلي أبي طالب وعمران بن الحصين وأبي هريرة وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وعبدالله بن عمرو بن العاص، وقول عند الشي الجعفرية وبه قال عبيدة السلماني، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري وابن أبي ليلى وإسحاق بن راهوية وأبو عبيد وأبو ثور.

٢-**قال أبو حنيفة وأبو يوسف:** تعود إليه بطلقات ثلاث، وهو مذهب عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس، والنخعي ورواية أحمد، وأقوى القولين عند الجعفرية، وروي عن عطاء وشريح والنعمان ويعقوب. وكان أصحاب عبدالله بن عمر يقولون أيهدم الز الثاني الثلاث ولا يهدم الطلقة الواحدة والثنتين.

ودليلهم على هذا: ما روي عن سعيد بن جبير قال: كنت جالساً عند عبدالله بن عتبة بن مسعود إذ جاءه أعرابي فسأله عن ر طلق امرأته تطليقة أو تطليقتين ثم انقضت عدتها وتزوجت غيره ثم مات عنها ثم انقضت عدتها، وأراد الأول أن يتزوجها، على كم ، عنده؟ فالتفت إلى ابن عباس وقال ما تقول في هذا؟ قال ابن عباس: يهدم الزوج الثاني الواحدة والثنتين والثلاث واسأل ابن عمر، ق فلقيت ابن عمر فقال مثل ما قال ابن عباس.

٣-**والرأي الثالث:** إن دخل بها الزوج الثاني فطلاق جديد ونكاح جديد، وإن لم يكن دخل بها فعلى ما بقى لها من الطلقات و قول النخعي.

والعمل الآن على مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف من أن أنها تعود إليه بطلقات ثلاث.

# الإشهاد على الطلاق[2]

ذهب جمهور الفقهاء من السلف والخلف إلى أن الطلاق يقع بدون اشهاد، لأن الطلاق من حقوق الرجل لقوله تعالى«يا أ الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن »، وقوله (ﷺ) في الحديث الذي رواه ابن ماجة **«إنما الطلاق لمن أخذ بالساق»**، وبما الطلاق من حق الرجل، فلا يحتاج إلى بينة كي يباشر حقه، ولم يرد عن النبي (ﷺ) ولا عن الصحابة ما يدل على مشروعية الإشـ ولكن قال هؤلاء إلى أنه مندوب في الطلاق في الرجعة خشية إنكارها، لقوله تعالى في سورة الطلاق **(فإذا بلغن أجلهن فامسكم بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله)**.

وقد اختلف الفقهاء في الشهادة هذه، فمنهم من أرجعها إلى الطلاق فقط، ومنهم من أرجعها إلى الرجعة فقط، ومنهم من أن الأمر بالإشهاد راجع إلى الطلاق والرجعة.

ويرى بعض الفقهاء أن الأمر في الآية للوجوب، بدليل قوله بعد الإشهاد (وأقيموا الشهادة لله) ولأنه هو المعنى المتبادر الأمر، وليس في الآية ما يصرفه عن ذلك. واختلف القائلون بهذا إلى:

أ- فمنهم من قال أنه راجع إلى الطلاق والرجعة، وقد روى الطبري هذا الرأي عن ابن عباس والسدي، وذكر أنه قد نقل عن عباس قوله: إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها أشهد رجلين كما قال تعالى **(وأشهدوا ذوي عدل منكم)**أي عند الطلاق ،

---

(١) محاضرات في فرق الزواج- علي الخفيف.

(٢) أ-تفسير ابن كثير -الجزء الرابع- سورة الطلاق. ب-محاضرات في فرق الزواج -علي الخفيف. جـ-تفسير آيات الأحكام- السايس -الجزء الرابع ص ١٦٢.

أما الزيدية والجعفرية فقالوا:

أ- لا يجوز الخلع من معتدة.

ب-يجب أن يكون الخلع في طهر لم تمس فيه الزوجة.

جـ-أن لا يكون الزوج غير غائب عنها.

**٣-الشرط الثالث: العوض:** ولكن الفقهاء اختلفوا في وجوب العوض إلى:

**أ-قال المالكية والحنفية:** العوض ليس بلازم، ويجوز الخلع بدون عوض، روى ابن أبي شيبه قال: **قال أبو قلابة ومحمد بن سيرين:** أنه لا يجوز له أخذ الفدية منها إلا أن يرى على بطنها رجلاً، واستدلا بقوله تعالى(**ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله**).

**ب-وعن الحنابلة** روايتان: الأولى لزوم العوض والثانية عدم لزومها.

**جـ-قال الشافعية:** الخلع لا يكون إلا بعوض، حتى أنه لو لم يذكر العوض لزم الزوجة لزوجها مهر المثل.

**٤-الشرط الرابع اشترطه أهل الظاهر والزيدية والشيعة الجعفرية:** وهو أن تكون المختلعة كارهة لزوجها عند الخلع، وإلى ذلك ذهب الهادي، والناصر، والقاسم من الزيدية، وهو مذهب داود بن علي الظاهري، وقول ابن المنذر، ويحتمله كلام أحمد بن حنبل. **قال ابن المنذر:** وروي ذلك عن ابن عباس وكثير من أهل العلم، وخالف الجمهور هذا الشرط.

## آراء الفقهاء في الخلع

**١-الرأي الأول:** يجوز كيفما كان بلا شرط وهو قول الجمهور من السلف والخلف.

**٢-الرأي الثاني:** لا يجوز وهو رأي بكر بن عبدالله المزني الشافعي، لأن الآية التي أجازت الفسخ نسخت كما يقول بآية **(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً)**.

**٣-الرأي الثالث:** لا يجوز الخلع إلا بحكم السلطان: روي عن ابن سيرين وسعيد بن جبير والحسن البصري.

**٤-الرأي الرابع:** وهو رأي الظاهرية والزيدية والشيعة الجعفرية: الخلع لا يجوز إلا إذا كرهت الزوجه زوجها وخافت ألا توفيه حقه أو أن يبغضها فلا يوفيها حقها.

## العوض ومقداره

أورد الفخر الرازي في تفسيره(مفاتيح الغيب ص ٧٩١ جـ ١) ما يلي: هناك أربع حالات للخلع وهي:

{**١-الحالة الأولى:** أن يكون الخوف من المرأة (أن لا تطيع الله في عصيان زوجها) إذا كانت تكره الزوج، وهنا يجوز أخذ المال لحديث جميلة زوجة ثابت بن قيس[تردين عليه حديقته].

**٢-الحالة الثانية:** أن يكون الخوف من الرجل في أن يظلم المرأة، وهنا لا يجوز أخذ العوض لقوله تعالى **(ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن)**.

**٣-أن لا يحدث خوف من كل منهما:** وهنا يجوز أخذ المال عند أكثر المجتهدين.

**٤-أن يحدث الخوف من كل منهما:** وهنا لا يجوز أخذ العوض.}(١)

ويمكن جمع هذه الحالات الأربع في حالتين وهذا هو الغالب والشائع:

**١-الحالة الأولى:** أن تكون الكراهية والنشوز منها فقط.

**٢-الحالة الثانية:** أن تكون الكراهية والنشوز منه فقط.

**ففي الحالة الأولى** يصح الخلع على الكثير والقليل، وإن زاد عما أخذته منه من مهر وغيره، لقوله تعالى(**فإن خفتم ألا يقيما**

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب- فخر الدين الرازي ص ٧٩١ المجلد الأول.

حدود الله فلا جناح عليهما فيما أفتدت به)، وظاهر الآية أنه عند الخوف من الزوجين فلا حرج في أن تفتدي نفسها بما شاءت. ف يكون الخوف من الزوج أولى.

وإلى هذا ذهب الأئمة الأربعة والشيعة الجعفرية. وهو قول عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم الصحابة. وبه أخذ مجاهد وعكرمة والنخعي وأهل الظاهر.

**قال مالك:** لم أر أحداً ممن يقتدى به يمنع ذلك لكنه ليس من مكارم الأخلاق، عن مجاهد: قال يأخذ المخالع كل شيء ح عقاص رأسها.

**قال ابن بطال:** ذهب الجمهور إلى أنه يجوز للرجل أن يأخذ في الخلع أكثر مما أعطاه. **وعن سعيد بن المسيب: أنه ينبغي** يترك لها من مالها شيئا فلا يأخذ كل مالها إذا بذلته.

{وذهب الزيدية: إلى أنه لا يحل الخلع بأكثر مما لزم الزوج بسبب العقد، أكان ما لزمه لها أم لأولاده الصغار منها، فلا ي الخلع عندهم بما يزيد على مهرها ونفقتها ونفقة عدتها وأجرة تربية أولاده الصغار ونفقتهم، ويستدل لهم بقوله (ﷺ) لزوجة ثابت « الزيادة فلا »}(١)

ومع اتفاق الأئمة الأربعة أنه يصح الزيادة على المهر اختلفوا فيما إذا كانت تطيب له الزيادة هل المهر أم لا؟ هنا رأيان:

**أ-الرأي الأول:** إذا صحت الزيادة على المهر فإنها لا تطيب له : وهو رأي المالكية وكثير من الحنبلية، ورواية القدوري عن حنيفة، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن المسيب وإسحق وداود الظاهري . وهو قول الهادوية وطاوس، قال ابن المسيب (بل ي دون ما أعطاها حتى يكون له الفضل).

(وعن ميمون بن مهران «من أخذ أكثر مما أعطى لم يسرح بإحسان». أخرج عبد الرازق عن علي بن أبي طالب «لا يأخذ » فوق ما أعطاها») وهذا هو قول الشعبي والزهري وعطاء (٢).

قال عطاء «لا يأخذ منها أكثر مما أعطاها »، واستدل لهذا الرأي بقوله (ﷺ) **«أما الزيادة فلا ولكن حديقته، قالت ن فأخذها وخلى سبيلها »** ورجح هذا الرأي الكمال بن الهمام.

وفي الآية {**ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً**} وهذه الآية صريحة في أن الأخذ مما دفعوا وليس زيادة، ويرجح الرأي الأستاذ الشيخ علي الخفيف في كتابه محاضرات في فرق الزواج .

ويرى **أبو بكر من الحنابلة:** أن الزيادة لا تستحق على الزوجة ، وعلى الزوج ردها إليها إن أخذها.

**ب- الرأي الثاني:** وإليه ذهب يحيى والمؤيد، وهو مذهب الشافعية وقول بعض الحنابلة ومذهب أبي حنيفة على رواية الج الصغير، ويقول هذا الرأي {يطيب له أخذ الزيادة}، ويستدلون لرأيهم بظاهر الآية {**فلا جناح عليهما فيما افتدت به**}، وقول ع لزوج الربيع بنت معوذ [خذ كل شيء حتى عقاص رأسها] وهو قول مجاهد. (٣)

**الحالة الثانية:** إذا كانت الكراهية من الزوج فقط.(٤)

## فهنا أيضاً تختلف آراء الفقهاء:

**أ-قال بعضهم: لا يصح الخلع في هذه الحالة:** وإليه ذهب الناصر من الزيدية، وهو مذهب الثوري والنخعي وعطاء ورواية مالك وأحمد بن حنبل، وذلك لقوله تعالى (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتأخ بهتاناً وإثما مبيناً**) فإن أخذ منها شيئاً وجب عليه رد ما أخذ، ويقع الطلاق عندئذ رجعياً لأنه طلاق بلا عوض، ولا يقع بهذا ا شيء، على القول بأنه فسخ: ويرجح القول بأنه لا يقع بهذا الخلع شيء صاحب البحر الزخار لأنه عند اجتماع المبيح والحاظر الحاظر.

**ب-يصح الخلع في هذه الحال ويجب به أخذ المال:** وإليه ذهب الشافعية والحنفية والحنابلة، وهو قول المؤيد بالله من الزي ورواية أخرى عن مالك، واستدلوا بالآية «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً».

(١) محاضرات في فرق الزواج-علي الخفيف-العوض على الخلع.
(٢) زاد المعاد- ابن القيم-الجزء الرابع ص ٣٥.
(٣) نيل الأوطار- محمد علي الشوكاني- باب الخلع- الجزء السادس ص ٢٦٥
(٤) محاضرات في فرق الزواج -علي الخفيف- باب الخلع.

هذا كله إذا لم يعضلها الزوج ويضارها، فإن ضارّها وعضلها وأساء إليها: فهنا تختلف الآراء إلى:

**أ-قال الحنفية:** يصح أخذ بدل الخلع ولا يطيب له ذلك.

**ب-قال الشافعية والمالكية والحنابلة:** الخلع باطل والعوض مردود عليها إن أخذ منها، ويقع بعبارة الزوج فيه طلاق رجعي لأنه طلاق بدون عوض، وهو مذهب الشيعة الجعفرية والزيدية وروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد والشعبي والنخعي والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعمرو بن شعيب وحميد بن عبد الرحمن، وهو قول الزهري والثوري وقتادة وإسحق لقوله تعالى **(ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن)**، **(ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه)**.

وفي هذه الحالة: لا يترتب عليه أثر عند من يعتبره فسخاً لأنه مقابل عوض ولم يوجد العوض ولم تكن الزوجة طرفاً فيه. أما عند من يرى أن الخلع طلاقٌ فيقع به طلقة رجعية.

# الخلع في حالة الرضاء والأخلاق ملتئمة

**١-لا يصح ولا يستحق الزوج العوض:** عند الشيعة والجعفرية والزيدية، وهو قول ابن المنذر وابن عباس وداود.

**٢-يصح الخلع ويستحق الزوج العوض:** وهو قول الأئمة الأربعة.

# نوع العوض والعلم به(١)

لا يكون بدل الخلع إلا مالاً متقوماً أو منفعة تقوم بمال (كزراعة أرض، وسكنى دار) أو مقابل إبرائه من دين لها عليه. فكل ما جاز أن يكون مهراً جاز عوضاً، وهذا ما أخذ به قانون الأحوال الشخصية في المادة (٩٧) (كل ما صح التزامه شرعاً صلح أن يكون بدلاً في الخلع).

وجاء في المادة (٢٧٧) من (الأحوال الشخصية لمحمد زيد الأبياني) وهو المرجع الأول للمحاكم الشرعية في الأردن بعد القانون رقم (٩٢) سنة ١٩٥١: جاء في المادة (٢٧٧) ما يلي ( كل ما صلح من المال أن يكون مهراً صلح أن يكون بدلاً للخلع).

أما اشتراط العلم بمقدار العوض:

**اختلفت الآراء:**

**١-الرأي الأول:** يجب أن يكون العوض معلوماً: وإليه ذهب أبوبكر من الحنابلة والشيعة الإثنا عشرية، لأن الخلع معاوضة، والمعاوضة يفسدها جهالة البدل.

**٢-يصح أن يكون البدل مجهولاً:** وإليه ذهب الجمهور . ويستدل له بأن الخلع طلاق وفيه معنى الإسقاط، والإسقاطات تدخلها المسامحة، ولذا تجوز من غير عوض، وإذا جازت من غير عوض جازت مع الجهالة.

ولكن الجمهور اختلفوا فيما يجب للزوج عند جهالة العوض:

**أ-قال الشافعية:** يكون للزوج مهر المثل.

**ب-قال الأئمة الباقون:** يختلف العوض بحسب الحالات التالية:

**١-الحالة الأولى:** (إذا كان العوض معلوم النوع مجهول العدد) كان يتم الاتفاق أن يكون العوض دنانير لا يعرف عددها. وفي هذه الحالة إذا وجد مع الزوجة دنانير كانت للزوج : قلت أم كثرت عند (المالكية والحنفية والحنابلة) ، وإن لم يوجد معها شيء منها كان له ما يطلق عليه اسم ذلك المال إن أمكن، وإلا كان له ما أخذت من مهر مسمى أو مهر مثلها عند الحنفية، ففي الدراهم يكون له ثلاثة دراهم، وذلك أقل الجمع وهو رأي الحنبلية.

ويرى المالكية أنها تبين بالخلع وليس للرجل شيء، وهو قول القاضي من الحنابلة، وقال ابن عقيل من الحنابلة: له مهر مثلها، وقال أبو الخطاب منهم: له المسمى من المهر إن كان وإلا فمهر المثل.

---

(١) أ-شرح قانون الأحوال السوري، الزواج وانحلاله-السباعي- ص ٢٤٩-٢٥٠ ب-محاضرات في فرق الزواج -علي الخفيف- الخلع

٢-الحالة الثانية: أن يكون معلوم الجنس والعدد مجهول الصفة أو الصنف: كأن تخالعه على فرس أو دار، وهنا صورتان:

أ-الصورة الأولى: إذا كان الاختلاف بين أفراده ليس عظيماً في القيمة كفرس أو شاة، وهنا يجب للزوج الصنف الوسط كـ هو الحكم في المهر عند المالكية والحنفية وهو قول القاضي من الحنابلة.

وعند أحمد: تجب له ما يطلق عليه الاسم أيا كان، وليس للزوج منازعة فيه بقلة قيمته.

ب-الصورة الثانية: أن يعظم الاختلاف بين قيم أفراده. وعند ذلك يجب للزوج ما أخذت من مهر عند الحنفية، وإليه ذهـ القاضي من الحنبلية . وذهب أكثر الحنابلة أنه يجب له ما يقع عليه الاسم.

٣-الحالة الثالثة: أن يسمي ما ليس موجوداً ولكن سيوجد مستقبلاً : كأن يخالعها على ربح تجارتها هذا العام، أو ثـ بستانها في هذا الموسم.

قال الحنفية: يجب له ما أخذت من مهر، وهو قول أبي الخطاب من الحنابلة. وذهب كثير من الحنابلة: أن له ما سيوجد أو إن ينتج البستان شيئاً أو لم تربح التجارة درهماً فإن العوض يكون ما يقع عليه الاسم. وقال القاضي الحنبلي ليس له شيء في هذه الحا

٤-الحالة الرابعة: أن تسمي الزوجة مالاً وتشير إلى ما ليس مالاً متقوماً: كأن تخالعه على الخل فإذا هو خمر. فإن كان يعلم فلا شيء له. وإن كان لا يعلم فله عند الحنفية مهر المثل، وهو قول أبي ثور، وذهب الحنبلية: أن له قيمة المشار إليه .

٥-الحالة الخامسة: أن تسمي ما ليس بمال متقوم: كأن تخالعه على خمر، وفي هذه الحال: لا شيء له عند الحنفية والحنا أما عند الشافعية فعليها مهر مثلها ويبطل الخلع عند الجعفرية.

## الخلع على نفقة المختلعة

يصح الخلع على نفقة ماضية أو واجبة أو نفقة العدة أو على المهر. نقل الكمال بن الهمام عن الخلاصة «امرأة اختلعت زوجها على مهرها ونفقة عدتها وعلى أن تمسك ولدها منه ثلاث سنين أو عشراً بنفقته صح الخلع ويجب ذلك وإن كان مجهولاً».

ويجوز الخلع على نفقة الصغير وأجرة إرضاعه وأجرة حضانته وهذا لا خلاف فيه بين الأئمة. فلو تخالع وإياها على إرضـ طفله سنتين جاز، ولكن لو هربت أو ماتت قبل تمام السنتين رجع عليها زوجها أو على ورثتها بأجرة المدة الباقية إلا أن بعض الما قالوا: إذا ماتت تسقط أجرة الرضاعة عن المدة الباقية.

ولو خالعته على نفقة ولده الصغير مدة خمس سنين ثم أفلست فلها أن تطالبه بالنفقة عليه على أن يكون دينا له عليها.

وإذا تضمن بدل الخلع اعتداء على حق الصغير كمن خالعت زوجها على أن تمسك ابنها منه بعد تجاوزه سن الحضانة إلى يبلغ الحلم صح الخلع وبطل الشرط.

أما لو كانت ابنتها : لصح الشرط، إذ ليس فيه إضرار بالصغيرة. فمن الفقهاء من جعل للأم حق إمساكها إلى البلوغ.

أما القانون: فقد تعرض القانون السوري الصادر سنة ١٩٥٣ في المادتين ١٠١، ١٠٢ ، فقد نص في المادة ١٠١ [نفقة الـ لا تسقط ولا يبرأ الزوج المخالع منها إلا إذا نص عليها صراحة في عقد المخالعة].

المادة (١٠٢) ١- [إذا اشترط في المخالعة إعفاء الزوج من أجرة رضاع الولد أو اشترط إمساكها له مدة معلومة وأنف عليه فتزوجت أو تركت الولد أو ماتت ، أما إذا (١) مات الولد يرجع الزوج بما يعادل أجرة الرضاع أو النفقة عن المدة الباقية.

٢-إذا كانت الأم معسرة وقت الخلع أو أعسرت فيما بعد يجبر الأب على نفقة الولد وتكون دينا له على الأم.

## خلع المريضة مرض الموت

إن البضع عند خروجه عن ملك الزوج غير متقوم، ولذا كان بذل المال عوضاً عنه في هذه الحال إعطاء له بغير عوض مالي لذلك تبرعاً. ولذا يأخذ البدل حكم الوصية فينفذ من الثلث وما زاد فيحتاج إلى إجازة الورثة.

---

(١)- سقطت هنا كلمة إذا من الأصل.

**وقال الحنفية زيادة:** إذا كان ميراث الزوج بأن ماتت دون ولد وتوفيت في عدتها فإن الزوج إنما يستحق البدل في حدود الثلث أما إذا كان ميراث الزوج الربع بأن ماتت ولها ولد وتوفيت في عدتها وجب ألا يزيد بدل الخلع على ميراثه منها وهو ربع تركتها. ويلاحظ أنه صدر القانون رقم (٧١) سنة ١٩٤٦ بجواز الوصية للوارث في حدود الثلث مادة (٣٧) ولذا يستحق الزوج البدل في حدود ثلث التركه وإن كان أكثر من ميراثه منها.

**أما المالكية:** فقال مالك: المريضة المختلعة لزوجها البدل في حدود الثلث من التركة بحيث لا يتجاوز مقدار ميراثه أبداً سواء ماتت في العدة أو بعدها. وهو رأي ابن القاسم، وإليه ذهب الحنابلة، هذا إذا لم تبرأ من المرض، فإن برئت استحق البدل كله.

**وقال بعض المالكية:** الطلاق واقع وليس للزوج شيء ولا يتوارثان. أما الشافعية فقالوا: خلع المريضة صحيح ويلزمها البدل في مالها مادام لا يزيد على مهر مثلها، أما مازاد على مهر مثلها فلا يستحقه الزوج إلا إذا خرج من ثلث تركتها

## حكم الخلع وما يترتب عليه من آثار

ذكرنا أن الحنفية قالوا بأن الخلع لا يكون إلا بلفظ المخالعة والمبارأة مع ذكر المال، أو بلفظ المخالعة مع القبول دون ذكر المال. وإن الجعفرية قالوا بأن الخلع لا يكون إلا بلفظ الخلع متبوعاً بصيغة طلاق.

ولوقوع الفرقة أحوال ثلاثة:

١-**الحالة الأولى:** اتفق جميع الفقهاء عدا أبي ثور أن الفرقة إذا حدثت بلفظ من ألفاظ الطلاق أو بلفظ يدل على الفرقة ولا يفيد معنى الخلع فإن الواقع بها يكون (طلاقاً بائناً) ويترتب عليه أثران:

أ-إن الزوج يستحق ما اتفق عليه الزوجان من عوض ويملكه بتمام الخلع دون حاجة إلى قبضه، وخالف الحنابلة في المكيل والموزون وقالوا لا يملكه إلا بالقرض.

ب- وقوع الطلقة البائنة، وخالف في ذلك أبو ثور فقال يقع الخلع بلفظ الطلاق طلاقاً.

٢-**الحالة الثانية:** أن تكون الفرقة بلفظ من الألفاظ الدالة على الخلع وليست نظير عوض، والألفاظ الدالة على الخلع هي:

أ-**عند الحنابلة:** خلعتك.

ب-**عند المالكية:** لفظ خلعتك وما أفاد معناه من لفظ الصلح والمبارأة والمفاداة.

جـ- **عند الحنفية:** لفظ خالعتك بشرط أن يتبعه قبول من الزوجة، وفي هذه الحال اتفق الثلاثة (المالكية والحنابلة والحنفية) على أن الواقع: [طلقة بائنة ولا يترتب عليه شيء بعد ذلك عند الحنابلة والمالكية والصاحبين من الحنفية من سقوط حق أو التزام مال من جانب الزوجة] . أما أبو حنيفة فروي عنه ثلاث روايات :

أ-رواية كالصاحبين.

ب-سقوط كل حق من حقوق الزوجية.

جـ-براءة كل من الزوجين من المهر ليس غير، فلا يطالب به أحدهما الآخر، وهو الصحيح على قول أبي حنيفة، أما عند الشافعية ومن ذهب مذهبهم فهذا النوع يعد طلاقاً لا خلعاً.

٣-**الحالة الثالثة:** أن تكون الفرقة نظير عوض بلفظ دال على الخلع:

أ-**قال الحنفية:** أنها طلاق بائن ينقص به عدد الطلقات: وهو مذهب المالكية، وإحدى الروايتين عن أحمد، وعليه نص الشافعي في كتبه الجديدة (وهو أصح قوليه) وقال: إنه من صرائح الطلاق. وهو مذهب الجمهور: لأنه لفظ لا يملكه إلا الزوج فكان طلاقاً، وقد روي هذا عن سعيد بن المسيب والحسن البصري وعطاء وقبيصة وشريح ومجاهد وأبي سلمة بن عبدالرحمن والنخعي والشعبي والزهري ومكحول . وهو مذهب الزيدية والجعفرية. وحكي في البحر عن علي وعمر وابن مسعود وزيد بن علي والقاسمية وابن أبي ليلى. [جاء في فتح الباري: وهو قول الجمهور: وأدلتهم هي:

١-حديث ابن عباس في قصة ثابت بن قيس [**أقبل الحديقة وطلقها تطليقة**] رواه البخاري.

٢-لفظ لا يملكه إلا الزوج فكان طلاقاً.

٣- لو كان طلاقاً لما جاز على غير الصداق .

٤-عن ابن مسعود: لا تكون طلقة بائنة إلا في فدية أو إيلاء.

٥-عن سعيد بن المسيب: أن الرسول الله (ﷺ) جعل الخلع طلقة بائنة] (١) ب-إن الخلع في هذه الحالة فسخ، وإليه ذهب الشافعي في أحد قوليه، وأحمد في الرواية المشهورة عنه، واختارها أبوبكر الحنبلي، وإليه ذهب إسحق وطاوس وعكرمة وداود، وكذلك ذهب إليه الصادق والباقر من الزيدية، وكذلك ابن عبدالبر في التمهيد ورواية طاوس عن ابن عباس (٢) .

جاء في المحرر من كتب المالكية «إذا كانت الفرقة بلفظ الخلع أو المفاداة أو الفسخ كان فسخاً» ، وعن أحمد « إذا نوى الزوج بهذه الألفاظ الطلاق لا الفسخ كان طلاقاً وإلا كان فسخاً وهو الأصح»، وأدلة هذا الفريق :

١- «وأن رسول الله (ﷺ) أمر زوجة قيس أن تتربص حيضة وتلحق بأهلها» النسائي.

٢-روى نافع مولى ابن عمر أنه سمع ربيِّع بنت معوذ تخبر أنها اختلعت من زوجها... فقال عثمان: لتنتقل ولا ميراث بينهم ولا عدة عليها إلا أنها لا تنكح حتى تحيض حيضة خشية أن يكون بها حبل، فقال ابن عمر: عثمان خيرنا أو أعلمنا، وهذا الأرفق بالناس.

جـ- إذا لم ينو الطلاق لا يقع به فرقة أصلاً، ونص عليه بعض الشافعية، ونص عليه الإمام في الأم، وقواه السبكي من المتأخرين، وذكر محمد بن نصر المروزي في كتاب اختلاف العلماء أنه آخر قولي الشافعي.

ولكن لكثرة وقوع حوادث الطلاق ولتقليل انتشاره من المفضل أن يؤخذ بالرأي الثاني القائل بأنه فسخ، وهذا ما يرجحه ابن القيم: جاء في زاد المعاد [لا يصح عن صحابي أنه طلاق البتة، وقال ابن القيم أيضاً والذي يدل على أنه ليس بطلاق أنه تعالى رتب على الطلاق بعد الدخول ثلاثة أحكام كلها منتفية عن الخلع هي:

١-أن الزوج أحق بالرجعة.

٢-أنه محسوب من الطلقات الثلاث فلا تحل بعد استيفاء العدد.

٣-أن العـــدة ثلاثة قروء، وقد ثبت بالنـص والإجمـا ع أنه لا رجعة في الخلع]. (٣)

وقال الحافظ محمد ابن ابراهيم الوزير: وقد استدل أصحابنا (الزيدية) أنه طلاق بثلاثة أحاديث ثم ذكرها وأجاب عنها بوجه حاصلها أنها مقطوعة الأسانيد، وأنها معارضة بما هو أرجح، وأن أهل الصحاح لم يذكروها»، وجاء في فتح الباري [ وصح عن ابن عباس وأخرجه عبدالرزاق وابن الزبير وروي عن عثمان وعلي وعكرمة وطاوس وهو مشهور مذهب أحمد] (٤) .

ولكن المعمول به في المحاكم الشرعية الأردنية اعتباره طلاقاً بائناً، جاء في المادة (٢٧٨) من الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية لمحمد زيد الأبياني [يقع بالخلع طلاق بائن سواء كان بمال أو بغير مال، وتصح فيه نية الثلاث ولا يتوقف على القضاء].

## الإيــــلاء

الإيلاء هو الامتناع باليمين ، وفعله آلي يؤلي كآتى يؤتي إيتاءً، والاسم الألية، وجمعه آلايا ومنه قول الشاعر (كثير)

*قليل الألايا حافظ ليمينه وإن سبقت منه الألية برت (٥)*

والإيلاء شرعاً: حلف الزوج على ترك قربان زوجته أربعة أشهر فصاعداً بالله. وقد كان الإيلاء في الجاهلية، وكان الرجل آلى من زوجته حرمها على نفسه إلى الأبد، فجاء الإسلام وجُعل للإيلاء حكمان، حكم دينوي: هو تربص الأربعة أشهر، وحكم أخروي وهو جزاء الإثم إن لم يف إلى زوجته .

قال الشافعي: كانت العرب في الجاهلية تحلف بثلاثة أشياء: الطلاق والظهار والإيلاء فنقل الله سبحانه وتعالى الإيلاء والظهار عما كانا عليه في الجاهلية من إيقاع الفرقة على الزوجة إلى ما استقر عليه حكمها في الشرع، وبقي حكم لفظ الطلاق.

---

(١) فتح الباري بشرح البخاري -ابن حجر العسقلاني- بكتاب الخلع.

(٢) أ-نيل الأوطار للشوكاني- الخلع- الجزء السادس ص ٢٦٤. ب- سبل السلام للصنعاني- الجزء الثالث ص ١٦٧.

(٣) زاد المعاد ابن القيم الجزء الرابع ص ٣٦. (٤) فتح الباري بشرح البخاري - ابن حجر - الخلع. (٥) تفسير آيات الأحكام- محمد علي السايس الجزء الأول ص ١٣٤.

والأصل في الإيلاء قوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم).

{وإنما عدّيت يؤلون بمن لأنه ضمن يؤلون معنى يعتزلون، وإما لأن في الكلام حذفاً وتقديره للذين يؤلون أن يعتزلوا.} (١)

ركن الإيلاء:

هو اللفظ الدال على منع النفس عن الجماع مؤكدا باليمين بالله أو بصفاته، ويجوز أن تكون منجزة مثل والله لا أقربك سنة، أو تكون مضافة « والله لا أقربك السنة القادمة»، هذا عند (الأئمة الأربعة والزيدية) ، ويجوز أن تكون معلقة على شرط والله لا أقربك إن خرجت من الدار، وخالف الشيعة الجعفرية فقالوا: أن الإيلاء لا ينعقد إلا منجزاً مجردا عن الشرط.

وقال بعضهم (بعض الفقهاء): أن يمين الإيلاء ليست بقصده على الحلف بترك الوطء، بل تكون على الحلف بغيره أيضاً، كأن يحلف ليغضبنها أو ليخاصمنها أو يقاطعنها. { أخرج ابن جرير الطبري عن أبي ذئب العامري أن رجلاً من أهله قال لامرأته إن كلمتك سنة فأنت طالق، واستفتى القاسم وسالما فقالا: إن كلمتها قبل سنة فهي طالق، وإن لم تكلمها فهي طالق إذا مضت أربعة شهور، ونقل ذلك عن الشعبي} (٢).

وظاهر هذه الأقوال كلها أن الإيلاء لا يكون إلا بيمين . لكن روي عن المالكية: إذا امتنع الرجل عن الوطء بقصد الإضرار من غير عذر ولم يحلف كان حكمه حكم المولي. ولا يشترط الجمهور أن يكون الإيلاء في الغضب، أو أن يكون بقصد الإضرار بالزوجة، وعلى ذلك الشافعية والحنابلة والحنفية وهو مروي عن ابن مسعود وقول الثوري وابن المنذر.

(قال الشعبي «كل يمين منعت جماعاً حتى تمضي أربعة أشهر فهي إيلاء» وهذا قول ابن سيرين »). (٣)

وذهب مالك والأوزاعي وأبو عبيد إلى أنه لا إيلاء إذا كان القصد منه الإصلاح أو لا يقصد به إضراراً فلا يكون هنا إيلاء، وهذا مروي عن ابن عباس: إنما الإيلاء في الغضب . وروي عن الحسن: أخرج ابن جرير عن القطاع قال:سألت الحسن عن رجل ترضع امرأته صبياً فحلف لا يطأها حتى تفطم ولدها، ما أرى هذا بغضب، إنما الإيلاء في الغضب، وروي كذلك عن النخعي وقتادة، وهو قول الليث والشعبي وعطاء إذ كانوا يقولون «الإيلاء لا يكون إلا على وجه مغاضبة ومشادة وحرج». ونسب هذا إلى علي بن أبي طالب وابن شهاب الزهري.

أخرج ابن جرير الطبري عن أبي عطية أنه توفي أخوه وترك ابنا له صغيراً، فقال أبو عطية لامرأته أرضعيه، فقالت: إني أخشى أن تعيلهما، فحلف ألا يقربها حتى تفطمهما ففعل حتى فطمتهما، فخرج ابن أخي أبي عطية إلى المجلس: فقالوا لحسن: ماغذى أبو عطية ابن أخيه، قال: كلا زعمت أم عطية إني أعيلهما، فحلفت ألا أقربها حتى تفطمهما، فقالوا له لقد حرمت عليك امرأتك، فذكرت ذلك لعلي بن أبي طالب: فقال علي إنما أردت الخير، وإنما الإيلاء في الغضب.

## حكم الإيلاء

يتعلق بالإيلاء عند الحنفية حكمان: حكم راجع إلى الحنث وحكم راجع إلى البر، أما حكم الحنث (وهو الفيء إلى الزوجة أثناء الأربعة شهور) فإنه يختلف باختلاف المحلوف به، فإن كان الحلف بالله تعالى وجب عليه كفارة اليمين، وإن كان الحلف بالشرط والجزاء يلزم الجزاء ، وإن كان الإيلاء بالتزام شيء كالصوم وجب الصوم ، ويكون الفيء بالوطء، فإن لم يستطع فبالقول. {أما البر: بأن تمضي المدة دون وطء: طلقت طلقة بائنة عند الحنفية، أما عند الأئمة الثلاثة (الشافعي ومالك وأحمد) فيوقف المولي أمام الحاكم عند الثلاثة، فإن شاء فاء وإن شاء طلق} (٤) .

إبتداء مدة الإيلاء:

تبتديء مدة الإيلاء من وقت الحلف حال قيام الزوجية وكان الإيلاء منجزاً، كذلك إذا كان الإيلاء من مطلقة رجعياً. خلافاً للشيعة الجعفرية والشافعية وقول الخرقي الحنبلي إذ قالوا: إن ابتداء مدة إيلاء المطلقة رجعياً يكون من وقت مراجعتها، وذلك لأنهم يرون أن وطأها حرام في العدة. وإذا وجدت موانع للجماع عند اليمين أو بعده(سواء كان المانع شرعياً كالإحرام أو حسياً كالمرض بالزوجة

---

(١) تفسير آيات الأحكام- محمد علي السايس -الجزء الأول ص ١٣٤.

(٢) تفسير آيات الأحكام- محمد علي السايس -الجزء الأول ص ١٣٦.

(٣) تفسير آيات الأحكام -السايس- جـ١- ص ١٣٥.

(٤) أحكام الزواج والطلاق في الإسلام-بدران أبو العنين- الإيلاء.

كالرتق وبالزوج كالعنة) لم يمنع من ابتداء مدة الإيلاء: عند الحنفية والزيدية والشيعة.

وذهب الحنابلة إلى أن الموانع الحسية أو الشرعية يجب أن تزول حتى ابتداء المدة، وهذا ما يفهم من المذهب المالكي. عد الحيض والنفاس فإنهما لا يقطعان المدة.

وإذا كان الإيلاء مضافاً أو معلقاً على الشرط ابتدأت المدة من حلول الوقت الذي أضيف إليه الإيلاء أو من وقت وجود الشر الذي علقت عليه الصيغة.

# الفـــيء

إذا فاء الزوج «أي راجع زوجته في المدة» انحلت اليمين ولزمته الكفارة، والفيء يكون بالوطء عند القدرة عليه، وباللسان يقول فئت إليها. هذا عند الحنفية. أما عند الحنابلة والشافعية والزيدية يقول: إذا قدرت فئت، فإذا مضت المدة دون فيء فما الحكم :

اختلف الفقهاء:

١-طلقت طلقة بائنة دون حاجة إلى صدور طلاق من الزوج أو حكم الحاكم، وهذا مذهب الحنفية، وبه قال عبد الله بن مسع وعبدالله بن عباس وعكرمة وجابر بن زيد وعطاء والحسن البصري ومسروق وقبيصة والنخعي والأوزاعي وابن أبي ليلى، وهو مرو أيضاً عن عثمان وعلي وابن عمر.

واستدلوا:

أ-بقراءة ابن مسعود «فإن فاءوا-فيهن- فإن الله غفور رحيم». يقول ابن القيم «وهذه القراءة إما أن تجري مجرى خبر الوا فتوجب العمل». (١)

ب-والدليل الثاني أن الله تعالى جعل مدة الإيلاء أربعة أشهر، فلو كانت الفيئة بعدها لزادت المدة.

٢-طلقت طلقة رجعية: روي عن أبي بكر بن عبدالرحمن ومكحول والزهري وابن المسيب وهو رواية عن مالك.

٣-لا تطلق بمضي المدة بل يوقف أمام الحاكم، فإما أن يطلق وإما أن يفيء. وإن أبى أن يطلق طلق عليه الحاكم. وهذا الفر هم : المالكية والشافعية والحنابلة والزيدية والجعفرية. يقول ابن القيم:(كان الإيلاء طلاقاً في الجاهلية فنسخ كالظهار، فلا يجوز يقع به طلاق) (٢) .

وروى هذا عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلي وابن عمر وعائشة وأبو الدرداء. قال الشافعي : حدثنا سفيان عن يحيى بن سع عن سليمان بن بشار قال«أدركت بضعة عشر رجلاً من الصحابة كلهم يوقف المولي».

وروى سهل بن أبي صالح عن أبيه قال: سألت اثني عشر صحابياً فقالوا: «ليس عليه شيء حتى تمضي المدة» (٣) .

وعن سليمان بن يسار: كان رأي تسعة عشر صحابياً . وإلى هذا ذهب سعيد بن المسيب وعروة ومجاهد وطاوس وإسحق عبيد وأبو ثور وابن المنذر (٤) .

وهذا الطلاق يكون رجعياً سواء منه أو من الحاكم. إلا أن القاضي الحنبلي ذكر أن المنصوص عن أحمد في فرقة القاضي تكون بائنة وبه قال أبو ثور.

وقد روي عن أحمد وعن الظاهرية والزيدية والجعفرية يأمره القاضي بالفيء أو الطلاق، فإن امتنع حبسه وضيق عليه، ولا عليه ولا يجبره على الطلاق.

وهو قول للشافعي ومالك (لا يطلق عليه بل يجبره على الطلاق). وأدلة هذا الفريق القائل(بالوقف بعد مضي المدة) هي:

١-إن الله أضاف مدة الإيلاء إلى الأزواج وجعلها لهم ولم يجعلها عليهم.

٢-قوله تعالى (فإن فاءوا) والفاء للتعقيب بعد ذكر المدة.

٣-إن التخيير بين أمرين يقتضي أن يكون فعلهما إليه ليصح منه اختيار، فإن الله «خيره بين الفيئة والطلاق».

---

(١) زاد المعاد -ابن القيم- الجزء الرابع ص ٩٠.

(٢) زاد المعاد ابن القيم الجزء الرابع ص٩٠

(٣) سبل السلام- الجزء الثالث ص ١٨٥.

(٤) نيل الأوطار-محمد علي الشوكاني- الإيلاء-الجزء السادس ص ٢٧٢-٢٧٣

٤-قوله تعالى (وإن عزموا الطلاق) وإنما العزم على الفعل.

٥-قوله تعالى (وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم) فاقتضى أن يكون الطلاق قولاً يسمع.

# أحكام الإيــــلاء وشروطـــه

١-الإيلاء لا يكون إلا من زوجة: اتفاقاً، ولا يكون من أجنبية ولو تزوجها عقب الإيلا إلا في حالة تعليق على زواجها، ولا من المطلقة بائناً، أما المطلقة رجعياً ففيها خلاف:

أ-ذهب الحنفية إلى صحته لأنها زوجه يحل مباشرتها، وإليه ذهب المالكية لأنها كالزوجة، وكذا رأي الشافعية والحنابلة بشرط أن تنقضي عدتها قبل انتهاء الأجل المحدد شرعاً، قال الخرقي: إن إيلاء يصح من الرجعية ولكن لا تحتسب مدة الإيلا إلا من تاريخ مراجعتها، وإليه ذهب الجعفرية وإليه ذهب الشافعي.

ب- ويرى اللخمي من المالكية أن الإيلاء لا يصح من الرجعية، وإليه ذهب الزيدية، وذكره ابن حامد في رواية عند الحنابلة.

وهل يصح الإيلاء من الزوجة التي لم يدخل أو لا يمكن الدخول بها كالصغيرة والرتقاء والقرناء والمريضة جداً والبعيدة جداً.

١-قال الحنفية: يصح الإيلاء منها، كذا ذكره القدوري في شرحه على مختصر الكرخي، وهو قول النخعي والأوزاعي ومالك.

٢-قال الشافعية: لا يصح.

٣-قال الحنبلية: لا يصح من الرتقاء والقرناء، أما المجنونة والصغيرة والمريضة فيصح منها الإيلاء.

٤-قال الشيعة الإمامية: لا يصح الإيلاء إلا من زوجة مدخولاً بها، وهو قول عطاء والزهري والثوري والصادق والناصر والباقر من الزيدية.

٢-الشرط الثاني: لا يكون الإيلاء إلا من الزوج المكلف، فلا يصح الإيلاء من مجنون ولا من معتوه ولا من صبي. أما المجبوب والخصي والعنين: فيصح إيلاؤه عند الحنفية والشافعية، ولا يصح عند مالك وأحمد.

أما المريض الذي يمنعه المرض من الوطء: فيصح عند الأربعة، ولكن اشترط مالك أن لا يكون الإيلاء مقيداً بمدة المرض.

٣-الإيلاء لا يكون إلا بيمين على ترك الوطء أو ما يستشقه أو بجعل قربان الزوجة سبباً للالتزام بحج أو طلاق أو صدقة أو بواسطة تعليق . إن وطائك فعلي صيام شهر. وهذا عند الحنفية والمالكية والجديد عند الشافعي. أما عند الحنبلية فروايتان: الأولى-لا يكون مولياً إلا إذا أقسم بالله، وإليه ذهب الزيدية والإمامية ورواية عن أحمد وقديم قولي الشافعي وأبو بكر الحنبلي. والثانية عند الحنابلة: يكون مولياً إذا منع نفسه بأي قسم أو تعليق، وإليه ذهب الشعبي والنخعي والثوري وأهل الحجاز وأهل العراق وأبو ثور وأبو عبيد وغيرهم.

٤-إذا كان الحلف مؤبداً أو مطلقاً كان مولياً باتفاق الفقهاء عدا أبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني من الزيدية.

وأما إذا وقت الزوج الإيلاء بمدة فهنا اختلف الفقهاء:

أ-قال ابن عباس: لا يكون مولياً.

ب-يكون مولياً: إذا زادت المدة على أربعة أشهر: عند الشافعية وجمهور المالكية والحنابلة والزيدية والجعفرية، وهو قول طاوس وابن جبير والأوزاعي وأبي ثور وأبي عبيد ورواية عن أحمد.

جـ-يكون مولياً: يكون مولياً إذا كانت المدة (أربعة أشهر أو أكثر)، وإليه ذهب عبد الملك من المالكية وهو رأي عطاء والثوري.

د-لا حد لأقل المدة، ومن حلف على ترك وطء زوجته مدة بسيطة كان مولياً إذا مضت أربعة أشهر. وهو رأي النخعي وابن حزم وقتادة وحماد وابن أبي ليلى.

# اللـــــعان

لاعن الرجل زوجته: قذفها بالفجور، قال ابن دريد: كلمة إسلامية في لغة نصيحة، واللعان والملاعنه كلاهما مصدر، واللعن هو الطرد والإبعاد. (١)

**وفي الشرع:** اسم لما يجري بين الزوجين من الشهادات بالألفاظ المعروفة، وسمي بذلك لوجود اللعنة في الخامسة تسمية الكل بالجزء، وسمي لعانا ولم يسم غضباً لأن الرجل هو الذي يبدأ باللعان. وعرفه الحنفية: شهادات مؤكدات بالأيمان يؤديها الزوجان إذ ما قذف الزوج زوجته بالزنا أو نفى نسب ولدها مقرونة باللعن منه وبالغضب منها.

## شرعه وحكمته:

إن الشرع قد جعل حداً للذين يقذفون المحصنات وهو جلد ثمانين **(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون)** وهذه الآية عامة في الأزواج وفي غيرهم، فشق ذلك على أصحاب الرسول (ﷺ) [روى مسلم في صحيحة قال: حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأته على مالك عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمراً العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري فقال له: أرأيت يا عاصم لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فسل عن ذلك يا عاصم رسول الله (ﷺ) ، فسأل عاصم، فكره الرسول (ﷺ) المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من الرسول (ﷺ) فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله (ﷺ)، فقال عاصم لعويمر: لم تأتني بخير قد كره رسول الله(ﷺ) المسألة التي سألته عنها، قال عويمر: والله لا انتهي حتى أسأله عنها، فاقبل عويمر حتى أتى رسول الله (ﷺ) وسط الناس فقال: يا رسول الله: أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله (ﷺ) : نزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فأت بها، قال سهل: فتلاعنا-وأنا مع الناس- عند رسول الله (ﷺ)، فلما فرغا قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله (ﷺ)، قال ابن شهاب: فكانت سنة المتلاعنين].

## حكم اللعان:

يكون حكمه تارة واجباً، وتارة مكروهاً وتارة حراماً، **فاللعانُ** الواجب: إذا رآها تزني أو أقرت بالزنا فصدقها وذلك في طهر يجامعها فيه ثم اعتزلها مدة العدة فأتت بالولد، لزمه قذفها لنفي الولد لئلا يلحقه.

**واللعان المكروه:** أن يرى أجنبياً يدخل عليها بحيث يغلب على ظنه أنه زنا بها يُجوز له أن يلاعن، لكن لو ترك لكان أولى للستر لأنه يمكنه فراقها بالطلاق واللعان الحرام ماعدا ذلك.

## سبب اللعان: (٢)

أن يقذف الزوج زوجته بالزنا مثل (يا زانية)، أو أن ينفي نسب ولدها منه.

## شروطــه:

١-شروط ترجع إلى القاذف.

٢-شروط ترجع إلى المقذوف.

٣-شروط ترجع إليهما معاً.

٤-شروط ترجع إلى المقذوف به.

٥-شروط ترجع إلى المقذوف فيه.

٦-شروط ترجع إلى نفس القذف.

**أ-شروط القاذف:** عدم إقامته البينة على ما رمى به زوجته.

(١) المصباح المنير -محمد أحمد الفيومي.

(٢) أحنيل الأوطار-محمد علي الشوكاني- الجزء السادس ص ٢٨١. بمحاضرات في فرق الزواج - علي الخفيف، اللعان.

**ب-شروط المقذوف (الزوجة):**

١- إنكارها الزنا، فلو رماها به فأقرت به لم يجب لعانا، وهو رأي عامة الفقهاء، ولا تحد حد الزنا إلا بالإقرار أربعاً.

٢- أن تكون عفيفة من الزنا .

**جـ-شروط تتعلق بهما معاً:**

١- أن يكونا زوجين حرين بالغين عاقلين مسلمين ناطقين غير محدودين في قذف. هذه الشروط عند الحنفية، لأن اللعان شهادات مؤكدة بالأيمان، مقرونة باللعن والغضب، فيشترط لها أهلية الشهادة واليمين، بدليل قوله تعالى **(فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله)** **(أن تشهد أربع شهادات)**.

أما الشافعي فقال في الأم {وسواء كان الزوجان حرين مسلمين أو كان أحدهما حراً والآخر مملوكا أو كانا مملوكين معاً أو كان الزوج مسلماً والزوجة ذمية أو كانا ذميين تحاكما إلينا ولعانهم كلهم سواء}. وذهب أيضاً: إلى أنه يلاعن في النكاح الفاسد والوطء بشبهه لنفي الولد، ولم يشترطوا إلا كون الزوج {بالغاً عاقلاً مختاراً}، وإليه ذهب أحمد والجعفرية وابن المسيب وسليمان بن يسار والحسن البصري وربيعة وإسحق وإليه ذهب ابن حزم .

وخالف مالك في الذمي مشترطا مرافعتهما إلينا ورضاهما بحكمنا، وملحظ هؤلاء أن اللعان أيمان بلفظ الشهادة مقرونة باللعن والغضب، بدليل قوله (ﷺ) **{لولا الأيمان لكان لي ولها شأن}**.

وأما اعتبار النطق فيهما فلأن الأخرس لا شهادة له ولا يتأتى منه لفظ الشهادة وإلى ذلك ذهب الزيدية. وهذه الرواية عن أحمد حكاها ابن المنذر. وخالف في ذلك الشافعية والمالكية فذهبوا إلى أن الأخرس يلاعن بإشارته أو بكتابته، وهو رأي القاضي الحنبلي وأبوالخطاب الحنبلي وهو رأي الجعفرية .

٤- **ما يتعلق بالمقذوف به:** فهو أن يكون المقذوف به زنا أو بنفي الولد، وزاد بعض الفقهاء القذف باللواط.

٥- **المقذوف فيه:** أي المكان ويشترط أن يكون القذف في دار الإسلام .

٦- **ما يرجع إلى نفس القذف:** أن يكون القذف مطلقاًعن الشرط لا مضافاً ولا معلقاً.

## كيفية اللعان:

إذا قذف زوج زوجته بالزنا وتوفرت شروط اللعان وطالبت الزوجة أو طالب الزوج إقامة اللعان أمره القاضي بملاعنتها، وذلك بأن يقول قائماً: أشهد بالله أني لمن الصادقين. فيما رميت به فلانة هذه من الزنى أو من نفي ولدها منه. ويكرر ذلك أربع مرات، ثم يقول بعدها: لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به.

فإذا انتهى الزوج من ذلك أمر الحاكم الزوجة بملاعنته بأن تقول قائمة أشهد بالله أنه لمن الكاذبين فيما رماني به، ثم تقول بعد ذلك: غضب الله عليّ إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنى أو من نفي الولد أو من الزنا ومن نفي الولد عنه.

**وعند مالك:** يقول الزوج في كل مرة: أشهد بالله لرأيتها تزني. وتقول الزوجة في كل مرة: أشهد بالله ما رآني أزني.

ولا يكون اللعان إلا بحضرة حاكم أو نائبه عند الحنفية والمالكية والحنابلة والزيدية وابن حزم، أخذاً من فعله (ﷺ) ، واكتفى الشافعية والجعفرية بالمحكم.

## البداءة بالرجل:

أجمع الفقهاء أن البداءة بالرجل سنة، ولكن الجمهور قالوا إنه واجب، وقال الحنفية إنه ليس بواجب، وبالوجوب قال: الشافعي ومن تبعه وأشهب من المالكية ورجحه ابن العربي«قال ابن القاسم ومالك لو ابتدأت به المرأة صح واعتد به، وهو قول أبي حنيفة، وحجتهم أن الواو لا تفيد الترتيب، وحجة الأولين أن اللعان شرع لدفع الحد عن الرجل، ويؤيده الحديث **{البينه أو حد في ظهرك}**، فلو بدأ بالمرأة لكان دفعاً لأمر لم يثبت.

**ولكن لو بدأت المرأة اللعان:** اختلف الفقهاء، فمنهم من أوجب إعادته ويجب أن يبدأه الرجل ثم يكون لعان المرأة بعده، فإذا لم يعد لم يصح، وهؤلاء هم: الجعفرية والحنابلة. ومنهم من أوجب ذلك مالم يصدر حكم فإذا صدر حكم. نفذ لأنه في محل مجتهد فيه، ومن هؤلاء: الحنفية والزيدية والمالكية. ومنهم من جعل البداءة من الزوج مستحسنا فقط.

## شروط أخرى تتعلق باللعان:

اشترط الحنابلة في اللعان ما يلي:

١-أن يكون اللعان بحضور حاكم.

٢-أن يأتي كل منهما باللعان بعد إلقائه عليه من قبل الحاكم.

٣-استكمال ألفاظ اللعان الخمسة وهي: الشهادة، لفظ الجلالة، كلمة الصدق أو الكذب، ذكر ما رماها به من زنا أو من ؛ ولد، ذكر اللعنة أو الغضب. فإذا نقص لفظ منها لم يصح .

٤-الإتيان بصورته الواردة عن الشارع.

٥-الترتيب: فإذا قدم لفظ اللعنة على شيء من الألفاظ الأربعة أو قدمت المرأة لعانها على لعان الرجل لم يعتد به.

٦-إشارة كل من الزوجين إلى الآخر إن كان حاضراً، وتسميته ونسبته إن كان غائباً، ولا يشترط حضورهما معاً، وهو مذ الشافعية والزيدية خلافا للحنفية.

## آثار اللعان: (١)

أ: سقوط الحد عن كل منهما باتفاق الأئمة.

ب: فرقة اللعان: يفرق القاضي بين الزوجين المتلاعنين عند الحنفية والثوري، هذا إذا لم يطلقها الزوج بائناً، وذلك لما روي ابن عباس {أن رجلا لاعن امرأته وانتفى من ولدها، ففرق رسول الله (ﷺ) بينهما وألحق الولد بالمرأة} رواه الجماعة، وأن عو العجلاني قال: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله (ﷺ)، فقال النبي (ﷺ) «ذاكم التفا بين كل متلاعنين» متفق عليه، ولكن قال عثمان البتي: لا تقع الفرقة حتى يوقعها الزوج.

وذهب مالك والشافعي ومن تبعهما إلى أن الفرقة تقع بنفس اللعان، وبه قال أبو عبيد والظاهرية وأبو ثور وزفر وابن ا وقول الصادق والناصر من الزيدية واختارها أبوبكر الحنبلي والشيعة الجعفرية، وحجتهم قوله (ﷺ) «المتلاعنان يفرق بينهم يجتمعان أبداً»، ولكن متى تقع الفرقة؟ قال مالك وغالب أصحابه وزفر: تقع الفرقة بعد فراغ المرأة، وقال الشافعي وأتباعه وسـ المالكي: تقع الفرقة بعد فراغ الزوج. قال أبو عبيد: إن الفرقة بين الزوجين تقع بنفس القذف ولو لم يكن اللعان.

١-ويكون تفريقه حينئذ طلقة واحدة بائنة: عند أبي حنيفة ومحمد، وهو قول حمّاد، وصح عن سعيد بن المسيب قالوا:{و الملاعن إن أكذب نفسه خاطبا من الخطاب وحجتهم ما ورد في الحديث {ثم فرق بينهما}، ولأنه طلاق زوجة مدخولة بغير عوض ا به التثليث فكان كالرجعي.

٢-وذهب الجمهور وأبو يوسف من الحنفية إلى أن اللعان فسخ، وتترتب عليه الحرمة المؤبدة، وإذا كان اللعان بنفي نسب القاضي عن الزوج بعد ملاعنتهما وألحقه بأمه للحديث السابق، ولا ينفيه قبل ولادته لجواز أن يكون انتفاخاً وهو قول الزيدية.

وإن أكذب نفسه بعد اللعان حد للقذف وهومذهب أحمد: وكان له أن ينكحها بعقد ومهر جديدين عند الطرفين خلاف يوسف، ولو كان ذلك بعد اللعان وقبل التفريق حلت له من غير تجديد عقد النكاح ولم يفرق بينهما، وإذا كان قبل اللعان حد للقذف ولا

وقال أبوحنيفة ومحمد وحمّاد وسعيد بن المسيب: إن أكذب نفسه فهو خاطب من الخطاب.

٣-وعن الشعبي والضّحاك إذا أكذب نفسه ردت إليه امرأته. قال ابن عبد البر هذا عندي قول ثالث.

جـ:الأثر الثالث للعان: أن هذه الفرقة توجب تحريماً مؤبداً لا يجتمعان بعدها أبداً للحديث {ففرق رسول الله(ﷺ) بينهم لا يجتمعا أبداً، وروي عن علي وابن عباس قالا«مضت السنة في المتلاعنين أن لا يجتمعا أبداً» وروي عن عمر بن الخطاب أ يفرق بينهما ولا يجتمعان أبداً، وإلى هذا ذهب أحمد والشافعي ومالك والثوري وأبو عبيد وأبو يوسف وعن الحسن البصري وج زيد والنخعي والزهري والحكم ومالك والثوري والأوزاعي والزيدية. وعن أحمد رواية أخرى أنه قال إن أكذب نفسه حلت ا فراشه، وهي رواية شذ بها حنبل عنه، وقال أبوبكر لا نعلم أحداً رواها غيره.

(١) أ-زاد المعاد-ابن القيم-الجزء الرابع ص ٩٢-٩٣. ب-سبل السلام -الصنعاني- الجزء الثالث ص ١٩٤- ١٩٥ جـ-محاضرات في فرق الزواج- علي الخفيف- الله د-نيل الأوطار-محمد علي الشوكاني- اللعان- الجزء السادس ص ٢٨٣-٢٩٥. و- أحكام الزواج والطلاق في الإسلام-بدران أبو العينين- اللعان

**وعن أبي حنيفة ومحمد وابن المسيب وحماد:** إن أكذب نفسه فهو خاطب من الخطاب، قال سعيد بن جبير: إن أكذب نفسه ردت إليه مادامت في العدة .

د: لا يسقط صداقها بعد الدخول، فإنه إن كان صادقاً فقد استحل من فرجها عوض الصداق، أما قبل الدخول فهل يسقط صداقها كله أو نصفه: روايتان عن أحمد.

هـ: أنها لا نفقة لها عليه ولا سكنى، كما قضى به رسول الله (ﷺ)، وهذا موافق لحكمه في المبتوته، وقال مالك والشافعي لها السكنى وأنكر القاضي.

و: انقطاع نسب الولد من جهة الأب وهو مذهب الجمهور، إلا أن بعض أهل العلم كابن حزم «قال: الولد للفراش»

**وهل يصح اللعان على الحمل:** قال أحمد وأبو حنيفة: لا يصح، وقال مالك والشافعي: يصح.

ز- لا ترمى المرأة بعدها بالزنا ولا يرمى ولدها، ومن رمى أحدهما فعليه الحد.

## الفصل الرابع

# الظـــــهار (1)

### معناه اللغوي:

ظاهر من امرأته ظهاراً مثل قاتل قتالاً إذا قال لها أنت عليّ كظهر أمي، قيل إنما خص ذلك بذكر الظهر لأن الظهر من الدابة موضع الركوب، والمرأة مركوبة وقت الغشيان، فركوب الأم مستعار من ركوب الدابة، ثم شبه ركوب الزوجة بركوب الأم الذي هو ممتنع، وهو استعارة لطيفة، فكأنه قال ركوبك للنكاح حرام عليّ.

ولقد كان الظهار في الجاهلية يعني التحريم الأبدي للوطء بين الزوج وزوجته، أما الإسلام فقد جعل حكماً دنيوياً وهو تحريم الوطء والكفارة عند الوطء، وحكماً أخروياً وهو الإثم إذا لم يراجع الزوجة.

### تعريفه الشرعي:

**١-عند الشافعية:** تشبيه الزوج زوجته في الحرمة بمحرمه.

**٢-عند الحنفية:** تشبيه المسلم زوجته، أو تشبيهه ما يعبر به عنها من أعضائها، أو تشبيهه جزءاً شائعاً منها بمحرم عليه تأبيداً بوصف يمكن زواله.

**٣-المالكية:** تشبيه المسلم المكلف من تحل أو جزءها بظهر محرم أوجزئه أو كظهر أجنبية.

**٤-الحنابلة:** تشبيه الزوج زوجته بمن تحرم عليه مؤبداً ومؤقتاً، أو تشبيهه عضواً من امرأته بظهر من تحرم عليه حرمة مؤبدة أو مؤقتة أو بعضو من أعضائها الثابتة غير الظهر.

**وتفيد هذه التعاريف ما يلي:**

١-أن حقيقة الظهار صيغة مشتملة على تشبيه الزوج بمحرمه، أما إذا قال لها أنت أمي أو أختي بلا تشبيه لا يكون ظهاراً ولو نوى به الظهار.

٢-أن الظهار لا يكون إلا من زوجة، فلو كانت الزوجة أجنبية لا يصح الظهار منها إلا إذا أضافه الملك.

٣- أن التشبيه يشترط أن يكون بجزء امرأة محرمة تحريماً مؤبداً عند الحنفية والشافعية، أما عند الحنبلية والمالكية: فيصح الظهار من المحرمة مؤقتاً كأخت الزوجة.

٤-أن يكون المظاهر مسلما: عند الحنفية والمالكية، أما عند الشافعية والحنبلية فيقع الظهار من الكافر والذمي.

---

(١) مصادر هذا البحث هي الآتية:

أ-الفقه على المذاهب الأربعة-عبد الرحمن الجزيري-الأحوال الشخصية ص ٤٩٠-٨٠٠ ب-زاد المعاد- ابن القيم-الجزء الرابع ص ٨٠-٨٨. جـ-المصباح المنير- الفيومي. د-أحكام الزواج والطلاق في الإسلام-بدران أبو العنين. هـ-سبل السلام-الصنعاني-الجزء الثالث ص ١٨٦-١٨٧. و-نيل الأوطار-الشوكاني-الظهار- الجزء السادس ص ٢٧٤-٢٧٦.

## شروط الظهار:

١-يشترط في المظاهر أن يكون عاقلاً إما حقيقة أو تقديراً هذا باتفاق الأئمة الأربعة.

٢-أن يكون المظاهر منها زوجة للمظاهر حقيقة أو حكما(في العدة).

٣-أن تكون المظاهر منها من جنس النساء المحرمة تحريماً مؤبداً: حكاه في البحر عن أبي حنيفة وأصحابه والأوزاعي والثو والحسن بن صالح وزيد بن علي والناصر والإمام يحيى وعند الشافعية أيضاً.

## صيغة الظـهار:

**للصيغة شكلان :**

١-**صريح الظهار:** فالصريح أن يكون المشبه به محرماً من المحارم سواء محرماً من الرضاع كالأخت من الرضاع، أو مح بالنسب كالأم، أو محرماً بالمصاهرة كأم الزوجة، وأن تشتمل على تشبيه الزوجة بظهر المحرم خاصة عند المالكية خلافاً للأئمة الثـ الباقين(الشافعية، الحنفية، الحنبلية): فإنهم يقولون بأن الظهار يكون بتشبيه أي عضو من أعضائها يحرم النظر إليه كالفخذ مثلاً.

٢-**كناية الظهار:** ما كانت بصيغة تحتمل الظهار وغيره، مثل أنت عليّ كأمي فإنه يحتمل إرادة أنها كأمه في التكريم، يحتمل أنها مثلها في التحريم، وحكمها ألا تكون ظهاراً إلا إذا نواه، وإذا حذف أداة التشبيه كما إذا قال: أنت أمي: فإنه يلغو ولا به شيء.

ولو قال"أنت عليّ كظهر أمي" وقال أريد الطلاق يكون ظهاراً عند الشافعي وأحمد، قال الشافعي[ولو ظاهر يريد طلاقاً ظهاراً ولو طلق يريد ظهاراً كان طلاقا].

## حكم الظهار:

لقد ذكرنا بأن الظهار كان في الجاهلية يعني تحريم الوطء بين الزوج وزوجته إلى الأبد، وهذه مفسدة واضرار كبير بالـ فلما جاء الإسلام ووقعت واقعة خوله بنت مالك بن ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت أنذاك وظاهر منها فذهبت تشكو ونزلت فيهما **سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير، الذين يظاهرون منكم من نسائـ هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفو غفور، والذين يظاهرون من نسائـ يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعـ قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم).**

فتغير حكم الظهار وأصبح له حكم خاص.

**وللظهار حكمان:**

١-**حكم أخروي:** وهو الإثم، لأنه قول محرم ومنكر وزور، فتجب عليه التوبة والعزم على عدم الفعل.

٢-**حكم دنيوي:** وهو منع قرب المرأة ووطئها قبل إخراج الكفارة.

## كفارة الظهار:

ما هي كفارة الظهار؟ رتب القرآن كفارة الظهار كما يلي:-

١- أعتاق رقبة.

٢- فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين.

٣- فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً"(**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن ؛ ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعا، مسكيناً**) . وكذلك حديث سلمة بن صخر.

١-أما بالنسبة لإعتاق الرقبة فقد اشترط مالك والشافعي أن تكون مؤمنة وقال أبو حنيفة يجزي في ذلك رقبة الكافر، ولا عندهم إعتاق الوثنية والمرتدة، ودليل الفريق الأول أنه إعتاق على وجه القربة، فوجب أن تكون مسلمة قياساً على الإعتاق في

القتل، وربما قالوا أن هذا ليس من باب القياس وإنما هو من باب حمل المطلق على المقيد. وحجة أبي حنيفة فهو ظاهر العموم ولا معارضة عنده بين المطلق والمقيد فوجب أن يحمل على لفظه .

**٢-الصيام:** (شهرين متتابعين) قبل المس ليلاً ونهاراً، ولا خلاف بين الأئمة في تحريم وطئها زمن الصوم ليلاً ونهاراً، وإنما اختلفوا هل يبطل التتابع به: منه قولان:

**أ-أحدهما يبطل:** وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد(رحمهم الله) في ظاهر مذهبه .

**ب-أما الثاني فلا يبطل:** وهو قول الشافعي وأحمد في رواية.

**٣- إطعام المساكين:** وقد أطلق سبحانه وتعالى إطعام المساكين ولم يقيده بقدر ولا تتابع، وذلك يقتضي أنه لو أطعمهم فغداهم أو عشاهم من غير تمليك جاز وهذا قول الجمهور مالك وأحمد وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه، وسواء أطعمهم جملة وتفرقياً ولا بد من استيفاء عدد الستين، فلو أطعم واحداً ستين يوماً لم يجزه إلا عن واحد، هذا قول الجمهور، مالك وأحمد والشافعي وإحدى روايتين عن أحمد، والرواية الثانية يجزه عن ستين مسكيناً وهو مذهب أبي حنيفة، وهو أصح الأقوال. [والمقدار الواجب إطعامه عند أبي حنيفة وأصحابه والهادوية والمؤيد بالله قالوا: الواجب لكل مسكين صاع من تمر أو ذره أو شعير أو زبيب أو نصف صاع من بر أخذاً بالأحاديث وقال الشافعي: الواجب لكل مسكين مد].(١)

## آثار الظهار:

**يترتب على الظهار أثران:**

١-حرمة إتيان الزوجة حتى يكفّر « من قبل أن يتماسا ».

٢-وجوب الكفارة بالعود، وقد اتفق على ذلك الجمهور فما هو العود.

**إختلف العلماء في العود:-**

**١-فقال الظاهرية:** العود هو إعادة لفظ الظهار، واستدلو بآية الظهار من وجوه منها: أن العرب لا يعقل في لغتها العود إلا فعل مثله مرة ثانية، فهي نظير (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه)، **(ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه)** واحتج أبو محمد بن حزم بحديث عائشة رضي الله عنها(أن أوس بن الصامت كان به ) فكان إذا اشتد به لمحه ظاهر من زوجته، فنزلت كفارة الظهار، فقال هذا يقتضي التكرار والأبد.

**٢-قال الجمهور:** لو كان العود إعادة اللفظ لقال ( ثم يعيدون ما قالوا ) لأنه يقال أعاد كلامه بعينه، وإنما عاد فإنما هو في الأفعال، وقد خفي على الظاهرية أن العود إلى الفعل يستلزم مفارقة الحال الذي هو عليها الآن، وعودة الحال التي كان عليها أولاً، كما قال تعالى **(وإن عدتم عدنا)** ، واختلف هذا الفريق في معنى العود:

**أ-هو مجرد امساكها بعد الظهار زمناً:** يسع لقوله أنت طالق، ومعنى ذلك أن الكفارة هي بسبب لفظ الظهار، وهو معنى قول الثوري ومجاهد، ولم ينقل الشافعي هذا عن أحد من الصحابة والتابعين.

**ب-العزم على الوطء:** وهو قول القاضي الحنبلي وأبي عبيد وإحدى روايات أربع عن مالك، وأنكره الإمام مالك. واختلف أرباب هذا القول فيما لو مات أحدهما أو طلق بعد العزم وقبل الوطء هل تستقر عليه الكفارة.

أ: فقال مالك أبو الخطاب: تستقر عليه الكفارة .

ب: وقال القاضي وعامة أصحابه لا تستقر.

جـ: العزم على الإمساك وحده.

د: العزم على الإمساك والوطء معاً وهي رواية الموطأ عن مالك .

هـ: الوطء نفسه: وهي رواية رابعة عن مالك، وهذا قول أبي حنيفة والإمام أحمد، وقد قال أحمد (ثم يعودون لما قالوا) قال: الغشيان إذا أراد أن يغشى كفّر(٢)

## الجماع قبل الكفارة:

اختلف الفقهاء في حكم من جامع قبل الكفارة:

---

(١)نيل الأوطار للشوكاني-الجزء السادس ص ٢٧٦.

(٢) زاد المعاد-ابن القيم -الجزء الرابع ص ٢٨٣.

١-كفارة واحدة: قال الصلت بن دينار سألت عشرة من الفقهاء عن المظاهر يجامع قبل أن يكفر، فقالوا كفارة واحدة، قال وهـ الحسن، ابن سيرين، مسروق، بكر، قتادة، عطاء، وطاوس، ومجاهد وعكرمة والعاشر ناقصاً. وهذا قول الأئمة الأربعة وهو قول الثور وإسحق، ودليلهم الحديث عن بن عباس؛أن رجلا أتى النبي (ﷺ) قد ظاهر من امرأته فوقع عليها، فقال يا رسول الله إني ظاهرت امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر، فقال ما حملك على ذلك يرحمك الله، قال رأيت خلخالها في ضوء القمر، قال: فلا تقربها حتى تفـ بما أمرك الله.

٢-عليه كفارتان: وصح عن ابن عمر وعمرو بن العاص وهو قول عبد الرحمن بن مهدي .

٣-ثلاث كفارات: رواه سعيد بن منصور عن الحسن وإبراهيم.

٤-تسقط الكفارة: روي عن الزهري وسعيد بن جبير وأبي يوسف.

واختلف في مقدمات الوطء:-

أ-قال الثوري والشافعي في أحد قولين: أن المحرم هو الوطء وحده لا المقدمات والمس المقصود في الآية هو الجماع.

ب-قال الجمهور: إنها تحرم كما يحرم الوطء، واستدلوا بقوله تعالى(من قبل أن يتماسا) وهو يعين على الوطء ومقدماته.[١]

## موقف القانون

لم يتعرض القانون للظهار، ولذا يبقى العمل في المحاكم الشرعية على مذهب أبي حنيفة.

## الباب الرابع

# التفريق القانوني أو القضائي

وفيه الفصول المبينة:

**نتعرض في هذا الباب إلى الفصول التالية:**

١-التفريق للعيب.

٢-خيار رد النكاح عند اشتراط السلامة من العيوب.

٣-التفريق لعدم الإنفاق.

٤-التفريق لغيبة الزوج.

٥-التفريق للشقاق.

٦-الفرقة بالردة.

٧-الفرقة بسبب إباء الإسلام.

٨-الفرقة بسبب طروء حرمة المصاهرة.

٩-الفرقة لعدم الكفاءة.

١٠-الفرقة للغبن في المهر.

١١-الفرقة للعسر في المهر.

١٢-الفرقة لعدم الوفاء بالشروط.

---

(١) نيل الأوطار- الشوكاني- الجزء السادس- ص ٢٧٧.

## الفصل الأول

# التطليق للعيب (١)

يتفق العلماء على أن أحد الزوجين إذا علم بصاحبه عيباً قبل العقد أو علم به بعد العقد ووجد منه ما يدل على رضاه صراحة أو دلالة لا يثبت له حق طلب الفسخ بذلك العيب. كما اتفقوا أن العيب يثبت خيار الفرقة . ولكن اختلفوا في العيوب، وهل هذا الحق يثبت لكلا الزوجين.

**العيوب التي يفسخ بها النكاح وآراء العلماء فيها:**

١-قال الحنفية إن الزوج إذا وجد بالزوجة عيبا لا يثبت به خيار فسخ الزواج .

٢-قال الشافعي ومالك وأحمد أن الخيار يثبت للزوج إذا وجد بالزوجة جنوناً أو جذاما أو برصا أو عيبا يمنع التناسل.

٣-الحنابلة يثبت للزوج خيار الفسخ لكل عيب في الآخر كالباسور والناصور ورائحة الفم.

٤-قال الظاهرية لا خيار لأحد الزوجين إذا وجد عيبا من العيوب في الآخر جذاما أو برصا أو جنونا وغيره قبل العقد أو بعده وهو مروي عن علي.

٥-قال الحنفية الخيار لا يثبت للزوج بسبب العيب في زوجته لأن ذلك تشهير بها ولأن بيده الطلاق. أما الزوجة فلها حق طلب التفريق إذا وجدت في الزوج أحد العيوب الثلاثة: الجب، الخصاء، والعنة، باتفاق الإمام وصاحبيه. وأضاف محمد عيوبا ثلاثة أخرى: الجنون والجذام والبرص. وهذا مروي عن عمر وعلي وابن عباس وابن المسيب والزهراني .

**وذلك بشروط:**

١-أن لا تكون عالمة بالعيب قبل ذلك.

٢-أن لا يكون زوجها قد وصل إليها في هذا النكاح ولو مرة واحدة.

٣-أن لا تسقط حقها في ذلك، وعلى هذا الشرط ذهب الزيدية والجعفرية والمالكية.

وتقع الفرقة باختيار الزوجة إذا خيرها القاضي-هذا عند الصاحبين.

١-وقال الإمام أبوحنيفة لا تقع ما لم يقل القاضي: فرقت بينكما، وعلى هذا فالفرقة طلاق بائن.

٢-قال المالكية والشافعية والحنابلة والزيدية والجعفرية وافقوا الحنفية في العيوب الثلاثة (العنة والجب والخصاء)، وزادوا عليها العيوب التي زادها محمد الجنون والبرص والجذام، وهذه العيوب محصورة ولا يزاد عليها، ولكنهم خالفوا الحنفية فيما يلي:

**أ-قال المالكية العيوب ثلاثة عشر:**

١-مشتركة بين الزوجين: جنون، جذام، برص، عزيطة.

٢-خاصة بالرجل: الجب والخصاء والاعتراض والعنة.

٣-خاصة بالمرأة: الرتق.

**ب-قال الشافعية:** العيوب خمسة: الجب والقرن والعنة والجنون والبرص والجذام.

**جـ-الحنابلة: العيوب:** الجنون والجذام والبرص والقرن والعفل والإفضاء والجب والعنة. فإنها توجب الرد بالاتفاق.

أما (البخر، ترد في الفرج، الباسور، الناصور بالمقعدة، الاستحاضة، إستطلاق البخر، سل الخصيتين، وجداهما الخصاء والختانة) ففيها رأيان:

١-يثبت بها الخيار وهو الأصح.

٢-لا يثبت بها الخيار.

وقال ابن...(٢) أن كل عيب ينفر يوجب الخيار.

---

(١) استقيت هذا البحث من المصادر التالية:

أ-زاد المعاد-ابن القيم -الجزء الرابع ص ٣٠-٣٣. ب-محاضرات في فرق الزواج- الشيخ علي الخفيف- التفريق للعيب. جـ-أحكام الزواج والطلاق في الإسلام-بدران أبو العنين. د-شرح قانون الأحوال السوري-الزواج وانحلاله-السباعي ص ٢٥٢-٢٥٥.

(٢) هنا المكان خالي في الأصل لم يكتب الشيخ الاسم المذكور.

قال في زاد المعاد: والقياس أن كل عيب ينفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة يوجب الخي وان الزهري يرد النكاح من كل داء هناك.

د-الزيدية: زادوا على العيوب الستة التي عدها الحنفية أربعة: الرتق والقرن، والعفل، والسل.

ويرى حسين قاضي بلغ من الزيدية أنها غير منحصرة.

ذهب الجعفرية: أن العيوب في الرجل أربعة: وهي الجنون والخصاء والعنة والجب. وفي المرأة سبعة: الجنون والجذام والبر والقرن والافضاء والعمى والفرج.

## ٢-شروط التفريق وآراء الفقهاء[١]

ذكرنا سابقاً أن الحنفية لا يثبتون حق التفريق للزوج لأن بيده الطلاق خوفا من التشهير بالمرأة، وأما الأئمة الآخرون فإ يثبتون حق طلب الفرقة للعيب لكل من الزوج والزوجة، وذلك عند مالك وأحمد والشافعي في أصح قوليه. والجعفرية. إلا أن أحمد ة ليس لأحدهما أن يطلب حق الفسخ إذا كان كل مصاب بمرض تناسلي يمنع الوطء. وهو قول الشافعي. ويشترط الفقهاء في ء التفريق بسبب وجود العلل الجنسية ما يلي:

١-أن تطلب الزوجة التفريق.

٢-أن تكون الزوجة خالية من العلل الجنسية كالرتق والقرن.

٣-أن لا تكون عالمة بوجود إحدى هذه العلل فيه قبل الزواج.

٤-أن لا تكون راضية بوجودها فيه بعد الزواج.

٥-أن يكون الزوج صحيحاً، فإن كان مريضاً تنتظر شفاؤه.

## ٣-متى يثبت حق طلب التفريق

١-عند الحنابلة رأيان:

أ-الرأي الأول: يثبت حق التفريق إذا ثبت العيب سواء أثبت وجوده قبل العقد أو بعده. وهو اختيار القاضي الحنبلي، و ذهب الجعفرية واستثنوا العنة فإنها لا تكون سببا إذا حدثت بعد الدخول.

ب-الرأي الثاني: واختاره ابن حامد وأبو بكر الحنبليان: إن ثبت العيب بعد الدخول فلا حق.

٢-عند الزيدية: الحق يثبت بالعيب إذا حدث قبل العقد أو بعده قبل الدخول عدا الجنون والجذام والبرص. فإن بها يثبت التفريق ولو حدثت بعد الدخول.

٣-الشافعية: يثبت الحق إذا ثبت العيب في أي وقت عدا العنة فلا يثبت بها الحق إذا حدثت بعد الدخول.

٤-المالكية: إن العيب إذا حدث بأحدهما قبل العقد يترتب عليه الخيار. أما إذا حدثت بعد العقد:

أ- لا يثبت للزوج خيار إذا حدث بها بعد العقد.

ب- أما هي فيثبت لها الخيار إذا حدث به بعد العقد في الأمراض الثلاثة: الجذام والبرص والجنون فقط.

## هل يجب الطلب على الفور؟

١- قال الحنابلة الزيدية والمالكية: أن هذا الخيار يثبت لصاحبه على التراخي. ولا يسقط إلا بما يدل على الرضا بالعيب قول أو فعل. واستثنى الحنابلة الخيار بالعنة فإنه لا يسقط إلا بالقول.

٢-قال الشافعية والجعفرية: أنه على الفور، فإذا مضى وقت يعد راضياً بالعيب.

---

(١) شرح قانون الأحوال السوري-الزواج وانحلاله-السباعي ص ٢٥٥

# هل التفريق طلاق أم فسخ (١)

**١-ذهب الحنفية والمالكية:** إلى أنه طلاق بائن. لأنه قد فات الإمساك بالمعروف، فوجب عليه أن يطلق، وإلا طلق عليه الحاكم.

**٢-ذهب الحنابلة والشافعية والجعفرية والزيدية:** أنها فسخ ولا تعد من الطلقات الثلاث. وحجة هذا الرأي أنها فرقة لاختيار المرأة في بعض أحوالها، وقد لا يكون للزوج يد فيها، وعند ذلك لا تكون طلاقا.

**حق التفريق لمن؟**

هل للقاضي أن يطلق على الزوج:

إذا طلبت المرأة الفرقة عند ثبوت الحق لها فطلق الزوج فلا كلام في وقوع طلاقه لقيام الزوجية بينهما عند إيقاعه.

ولكن إذا أبى أن يطلق بعد أن أمره القاضي هل يطلق القاضي عليه:

عند أبي حنيفة يطلق عليه ويكون طلاقاً بائنا وهو[٢] أحد قوليه عند المالكية. ذهب إليه ابن عرفة والباجي والمثبطي، فقد قال المثبطي: الطلاق بالعيب للإمام على المشهور في المذهب، وطلاق العيب في المذهب واحدة بائنة ولو كان بعد الدخول.

**أما القول الآخر للمالكية:** إذا أبى الزوج أن يطلق قال لها القاضي طلّقي نفسك.

# أما القائلون بالفسخ (٣)

**١-قال الجعفرية:** إن الفرقة تتم بثبوت العيب لدى القاضي دون حاجة لصدور الحكم.

**٢-قال الزيدية:** إن الفرقة تتم بتراضي الزوجين عند ثبوت العيب، فإن أباه أحدهما حكم القاضي به.

**٣-أما الحنابلة:** فذهبوا إلى أن الفسخ يتوقف على حكم القاضي به عند ثبوت سببه لأنه مجتهد فيه فلا يتحقق إلا بالحكم. جاء في العدة شرح العمدة لبهاء الدين المقدسي الحنبلي (فإن اختارت فراقه لم يجز إلا بحكم حاكم. وإن علمت بعد العقد وسكتت عن المطالبة لم يسقط حقها).

# إجراءات التفريق بالعيب

إذا كان العيب بالزوج ورفعتها المرأة إلى المحكمة فيسأله القاضي أنه عنين أو خصي وأنه لم يصل إليها، وعندها يؤجله سنة عند الحنفية. وهو رأى عمرو بن مسعود والمغيرة. والسنة قمرية. لأن عمر كان يقوم بالهجري. وروى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنها سنة شمسية. وتبدأ السنة من يوم الخصومة.

لكن روي عن عثمان ومعاوية وسمرة بن جندب أنهم لا يؤجلون ولا يمهلون. وروي عن الحرث بن عبدالله أنه أجله عشرة (٤) أشهر. هذا في حالة العنين والخصي.

أما في حالة الجب فإن أقر فلا تأجيل. وإن أنكر دعواها وادعى أنه أتاها فعليها الإثبات. وإن عجزت عن الإثبات ووجهت إليه اليمين بطلبها فحلف، فإن كانت ثيباً رفضت دعواها، وإن كانت بكرا عين القاضي امرأتين للكشف عليها. فإن وجدتاها بكرا أجله سنة.

وبعد السنة إذا عادت الزوجة مصرة على التفريق أمره القاضي بالتطليق. فإن طلق فبها وإلا طلق عليه.

أما الحنابلة فهم يؤجلون العنين سنة. أما المجبوب والمشلول فلا يؤجل. أما إذا كان العجز لعرض موقت مرجو الزوال كالصغر والمرض لا تضرب مدة بل ينتظر حتى الشفاء. أما الخصي فظاهر أنه كالعنه.

ويرى الشافعية رأي الحنفية في أنه لا فسخ بعنة حدثت بعد الدخول. أما غير العنة كالجب فلا يفرقون. ويؤجلون في العنة سنة، ولا يؤجلون في غيرها بل يفرق على الفور. وهو مذهب أحمد والشيعة الجعفرية.

---

(١)محاضرات في فرق الزواج–علي الخفيف– التطليق للعيب.

(٢) في الأصل (وهل) إلا أننا نظن والله أعلم أن الشيخ يقصد هنا كلمة (وهو).

(٣)محاضرات في فرق الزواج–علي الخفيف– التطليق للعيب.

(٤) كلمة عشرة في الأصل غير واضحة

أما المالكية فالتأجيل بالنسبة للعيوب ثلاثة:

١-لا تأجل فيها: جب، عنة، خصاء.

٢-يؤجل سنة: الجذام ، البرص، الجنون والاعتراض.

٣-يؤجل القاضي مدة حسب اجتهاده في داء الفرج كالرتق والقرن والعفل.

## موقف القانون

كان العمل في مصر قبل سنة ١٩٢٠ على مذهب أبي حنيفة (يؤجل العنين والخصي سنة) وكذلك كان العمل في السودان صدور منشور ٢٨ سنة ١٩٢٧م. أما بعد صدور قانون رقم (٢٥) سنة ١٩٢٠ فقد أخذ من مذاهب عدة فقهاء.

المادة (٩): إن للزوجة أن تطلب التفريق بينها وبين زوجها إذا وجدت فيه عيبا مستحكما لا يمكن البرء منه، أو يمكن بعد طويل ولا يمكنها المقام معه إلا بضرر كالجنون والبرص والجذام، سواء كان ذلك العيب بالزوج قبل العقد ولم تعلم به أم حدث العقد ولم ترض به. فإن تزوجته عالمة بالعيب، أو حدث بعد العقد ورضيت به صراحة أو دلالة بعد علمها فلا يجوز التفريق.

المادة (١٠): (إن الفرقة بالعيب طلاق بائن).

المادة (١١): يستعان بأهل الخبرة في العيوب التي يطلب فسخ الزواج من أجلها.

## ملاحظات على القانون المصري

رقم (٢٥) سنة ١٩٢٠ «التفريق للعيب»

١-ولذا نجد أن القانون قد توسع في العيوب وهذا ما لم يذهب إليه إمام من الأئمة الأربعة حتى ولا الزيدية ولا الجعفرية. روي عن الزهري ومعمر وبه أخذ أبو ثور والقاضي حسين الزيدي وابن القيم الحنبلي.

٢-ان القانون أعطى حق الرد للزوجة فقط وهو مذهب الحنفية ولم يعطه للسليم من الزوجين الذي هو مذهب الجمهور نميل إليه. يتمكن الزوج من إنقاص المهر إلى مهر المثل.

٣-إعتبر القانون الفرقة طلاقا بائنا أخذا من مذهب الحنفية والمالكية، والأولى أن يأخذ بقول القائلين بالفسخ خوفا أن يحتسب من الطلقات.

٤-لم يتعرض القانون إلى تحديد مدة أجل المرض الطويل، ولم يتعرض للإجراءات الواجب على القاضي اتباعها.

أما القانون السوري فقد تعرض في المواد (١٠٥-١٠٦-١٠٨):

أولاً (١٠٥): للزوجة طلب التفريق بينها وبين زوجها في الحالتين التاليتين:

أ-إذا كان فيه إحدى العلل المانعة من الدخول بشرط سلامتها هي منها.

ب-إذا جن الزوج بعد العقد.

ثانياً (١٠٦):

أ-يسقط حق المرأة في طلب التفريق بسبب العلل المبينة في المادة السابقة إذا علمت بها قبل العقد أو رضيت بها بعده.

ب- على أن حق التفريق بسبب العنة لا يسقط بحال.

ثالثاً (١٠٧): إذا كانت العلل المذكورة في المادة (١٠٥) غير قابلة للزوال يفرق القاضي بين الزوجين في الحال، وإ زوالها ممكنا يؤجل الدعوة مدة مناسبة لا تتجاوز السنة، فإذا لم تزل العلة فرق بينهما.

رابعاً (١٠٨): التفريق للعلة طلاق بائن

أما القانون الأردني فينص في المادة ٨٣ أشبه في معناه نص المادة (١٠٥) من السوري:

(١) وأما جنون الزوج فقد تعرض له في مادة أخرى هي (٨٧). وكذلك فإن القانون الأردني في (٨٤) شبه (١٠٦)

حق المرأة في التفريق يسقط بالاطلاع على العيب قبل العقد، أو الرضا به، وحق العنة لا يزول أبداً. أما المادة (٨٦) فهي تنص على أن وجود علة في[1] الزوج لا يمكن المقام معها بلا ضرر يحق التفريق.

## مقارنة بين القانون الأردني والمصري والسوري

(١) خالف القانون السوري الأردني والمصري في إثبات حق التفريق بالعيوب قبل العقد. أما بعده فلا يثبت بها التفريق إلا في حالة الجنون. وهذا خطأ، فما الفرق بين الجنون والجذام؟

٢-إشترط القانون السوري أن تكون العلة التي يبنى عليها الطلب مانعة من الدخول، ولذا فالعيوب هي فقط الجنسية: العنة والجب والخصاء. وهذا مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف . وهذا موقف غريب كما يقول الأستاذ السباعي والجمهور على خلافه.

٣-اشترط القانون السوري والأردني سلامتها من ذلك العيب الذي هو الجنس وهذا لم يشترطه المصري.

٤-أشترط القانون السوري والأردني عدم علمها به قبل العقد، واستثنى العنة وهو رأي للشافعية ونسبه ابن قدامة في المغني إلى الشافعي.

٥-حدد مدة الأجل أقصاها سنة. أما إذا كان العيب غير قابل للزوال طلق القاضي فورا وهو رأي المالكية.

## خيار رد النكاح عند اشتراط السلامة من العيوب [2]

إذا اشترط أحد الزوجين سلامة الآخر وثبت أنه غير ما شرط:

١-قال الحنفية والزيدية العقد صحيح ولا يثبت الخيار، أما إذا شرط الزوج أن تكون معلمة [3] وزاد مهر مثلها على هذا الشرط، وتبين أنها ليست كذلك رد المهر إلى مهر المثل و مذهب الجعفرية قريب من هذا .

٢-قال المالكية والشافعية يثبت للمشترط السلامة من العيوب خيار الرد إذا لم يوجد شرطه.

٣-قال الحنابلة لا يثبت لأحدهما الخيار إلا في حالة اشتراط الحرية.

**ما يجب على الزوج إذا اختار الرد:**

إذا كان الفسخ قبل الدخول فليس للزوجة مهر (عند المالكية والشافعية والحنابلة والجعفرية) إلا في حالة العنة فلها نصف المهر. أما الفسخ بعد الدخول فللزوجة مهر المثل عند الشافعية، أما عند أحمد فروايتان المسمى أو مهر المثل. أما الجعفرية لها المهر المسمى ويرجع به الزوج على من غره ودلس عليه.

### الفصل الثاني

## التفريق لعدم الإنفاق[4]

أ-رفض الحنفية التفريق للعسر مطلقا وهو مذهب الهادوية وقول للشافعي ومذهب الظاهرية كله، وأدلتهم ما يلي:

١- (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزق فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا).

٢-سئل الإمام الزهري عن رجل عاجز عن النفقة أيفرق بينهما؟ قال به ولا يفرق بينهما. وتلا الآيات السابقة. ومثله مروي عن عطاء والحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز والثوري.

٣- أن الصحابة كان منهم الموسر والمعسر. ولم يعرف عن أحد منهم أن النبي فرق بين أحدهم وزوجته بسبب الإعسار.

٤-سأل نساء النبي ما ليس عنده فاعتزلهن شهرا عقوبة.

(١) كلمة (علة في) غير واضحة في الأصل. (٢) محاضرات في فرق الزواج علي الخفيف

(٣) في الأصل كلمة (وتبين) بعد كلمة معلمة فوجدنا أنه ليس لها أي مكان هنا فرفعناها من مكانها

(٤) إستقيت هذا البحث من المصادر التالية:

أ-سبل السلام – للصنعاني– الجزء الثالث ص ٢٢٤-٢٢٦، ب-زاد المعاد-ابن القيم- الجزء الرابع ص ١٥٢-١٥٦ جـ-محاضرات في فرق الزواج- علي الخفيف د-فقه السنة-سيد سابق- الجزء الثامن ص ١١٦-١٢١، هـ-شرح قانون الأحوال الشخصية السوري- السباعي ص ٢٦١-٢٦٣

٥-إذا كان الامتناع عن الإنفاق مع القدرة عليه ظلما فإن الوسيلة في رفع الظلم ليس التفريق بل بيع ماله لينفق.

٦-لو مرضت الزوجة حتى تعذر جماعها لوجبت نفقتها ولا يمكن للزوج الفسخ وكذلك الزوجة. أما حديث أبي هريرة «اليد ال خير من السفلى وليبدأ أحدكم بمن يعول، تقول المرأة أطعمني أو طلقني» فقد أخرجه البخاري موقوفا على أبي هريرة وبين أنه كيسه. وحديث سعيد بن المسيب يفرق بينهما، قلت لسعيد سنة؟ قال: سنة. فهو مرسل.

ب-**القول الثاني**: يحبس الزوج حتى ينفق وهو قول العنبري. وقالت الهادوية عن ابن حزم وهو صاحب المغني عن العنب يحبس للتكسب.

والقولان مشكلان، فالحبس يزيد الإعسار وقد حكى هذا المذهب.

جـ-التوقف وهو رأي محمد بن داود، سألته امرأة عن إعسار زوجها فقال ذهب ناس إلى أنه يكلف السعي والاكتساب، و قول إلى أنها تؤمر بالصبر والاحتساب. فأعادت نفس القول ثم عادت السؤال فقال: يا هذه قد أجبتك ولست قاضيا فأقضي سلطانا فأقضي ولا زوجا فأرضي.

د-تنفق عليه وهو قول ابن حزم لقوله تعالى **(وعلى الوارث مثل ذلك...)**.

هـ-**قال ابن القيم**: أن المرأة إذا تزوجت عالة بإعساره، أو كان موسراً ثم أصابته جائحة فإنه لا فسخ لها. وإلا كان لها الف

و- ثبوت الفسخ، وهو مذهب علي وعمر وأبو هريرة وجماعة من التابعين، ومنهم الفقهاء مالك والشافعي وأحمد و الظاهرية، وأدلتهم:

١-قول أبي الزناد لسعيد بن المسيب.

٢-الآية **(ولا تمسكوهن ضرارا) (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)** وعدم النفقة ضرار.

٣-**الحديث «لا ضرر ولا ضرار»**.

٤-إن النفقة في مقابل الاستمتاع، بدليل أن الناشز لا نفقة لها عند الجمهور، فإذا لم تجد النفقة سقط الاستمتاع، ف الخيار للزوجة.

٥-أوجبوا على السيد بيع مملوكه إذا عجز عن نفقته، ففراق الزوجة أولى، لأن كسبها ليس مستحقا للزوج كاستحقاق لكسب عبده.

٦-نقل ابن المنذر الإجماع بين العلماء على الفسخ للعنة، والنفقة أشد حاجة من الجماع.

٧-كتب عمر إلى أمراء الأجناد[١] يأمرهم بأن الأجناد عليهم أن ينفقوا أو يطلقوا أو يبعثوا بنفقة ما بقي من مدد. ولكن مالك قال يطلقها عليه الحاكم طلقة رجعية بعد أن يمهله شهرا، وقد قال عمر بن عبدالعزيز يضرب شهرا أو شهرين. أما حم سليمان فقال يؤجل سنة قياساً على العنين.

## حالات التفريق لعدم الإنفاق

**هنا حالات للزوج:**

١-إذا كان له مال ظاهر وامتنع عن الإنفاق: لا يحق للزوجة طلب التفريق سواء كان حاضرا زوجها أم غائبا عند الحنفيا لأن رسول الله (ﷺ) أذن لزوجة أبي سفيان أن تأخذ من ماله ما يكفيها وولدها من غير إذنه. فإن لم تستطع الأخذ رفعت أمر القاضي. ولكن قال الشافعية إذا كان ماله الظاهر بعيداً مسافة القصر فلها حق طلب الفسخ، و عند الحنابلة كذلك كما يظ عبارة المغني.

٢-إذا لم يكن له مال ظاهر تؤخذ منه النفقة سواء كان ذلك للعسر أو للجهل بماله.

أ-وليس لها حق التفريق، وإليه ذهب عطاء والزهري[٢] وأبو حنيفة وصاحباه، والظاهرية والجعفرية وأكثر الزيدية. وق الشافعية وحجتهم أن رسول الله (ﷺ) لم يجعل لهند زوجة أبي سفيان حق التفريق. وكذلك لم يؤثر عن أحد من الصحابة

---

(١) في الأصل والظاهر أنها الأجناد .

(٢) يوجد هنا كلمة (ابن) قبل (أبو حنيفة) فرفعناها لعدم مناسبتها ويبدو أن الشيخ كان يريد أن يكتب شيئا اخر لأنه ترك فر

زوجته بسبب العسر مع كثرتهم.

ب-إن المرأة مخيرة بين الرضا والصبر وبين طلب التفريق، وقد روي عن عمر وعلي وأبي هريرة، وبه قال ابن المسيب والحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز، ربيعة الرأي، حماد، يحيى القطان وعبد الرحمن بن المهدي.

وهو مذهب مالك وأحمد وإسحق وأبي عبيد وأبي ثور ومذهب بعض الزيدية. وأصح القولين عند الشافعية.

حجتهم: قال أبو الزناد: سألت ابن المسيب عن رجل لا يجد ما ينفق على امرأته، أيفرق بينهما؟ قال نعم. قلت سنة؟ قال نعم سنة. وروى القرطبي مثل ذلك عن أبي هريرة.

## حالات التفريق بين الزوجين لعدم الإنفاق

١-إذا لم يكن له مال ظاهر فهو إما أن يكون حاضرا أو غائبا .

أ-فإن كان حاضرا فله ثلاثة أحوال:

**١-أن يثبت إعساره:** وفي هذه الحالة يصح للزوجة طلب التفريق على أصح قولين للشافعية، ولا يمهل أكثر من ثلاثة أيام. أما عند الحنابلة: يؤمر الزوج بالإنفاق، ثم إن أبى يأمر القاضي بالتطليق، وإن أبى فرق القاضي بينهما فوراً. أما المالكية فهم كالحنابلة، إلا أنهم قالوا يمهل مدة ثلاثة أشهر، وقيل شهرا، وقيل يطلق فوراً. وقيل تترك المدة لرأي القاضي. أما الزيدية فقالوا: إن القاضي يأمره بالتكسب، فإن امتنع فرق بينهما، وإن عجز عن الكسب لا يفرق بينهما، وقيل يفرق.

**٢-أن يثبت يساره:** فهنا ليس لها حق التفريق عند الشافعية. أما الحنابلة فيرون أن لها حق التفرقة وهو ظاهر كلام... (١) واختاره أبو طالب، وقال القاضي الحنبلي لا يفرق بينهما وهو مذهب الشافعي. وذهب المالكية إلى أنه يؤمر بالإنفاق. فإن أنفق وإلا يفرق بينهما حالاً. وقيل يحبس لينفق. ولا يرى أكثر الزيدية أن لها حق الفسخ في هذه الحال لثبوت يساره.

٣-أن لا يثبت إعساره ولا يساره بأن سكت فلم يجب، ولم تثبت الزوجة إعساره أو يساره، وهنا لا يرى الشافعية أن لها حق التفريق، أما الحنابلة فيرون أن لها حق الفسخ. أما المالكية فهم قولان: إما أن يطلق عليه فوراً، أو يجبر القاضي لينفق، فإن امتنع طلق عليه.

ب-إذا كان الزوج غائباً فالحكم لا يختلف عند أحمد ومالك. إلا أن مالكا يتلوم للغائب أكثر من مسيرة عشرة أيام إذا كان لا يعلم مكانه.

وذهب الشافعية إلى أنه لايطلق على الغائب لعدم إنفاقه إلا إذا أثبتت الزوجة إعساره حيث هو، وهذا رأى القابسي من المالكية، وهذا رأي الزيدية.

إلا أن صاحب الانتصار أثبت حق الفسخ لها. ويرى المالكية أن حق التفريق يسقط إذا تبرع أحد بالنفقة عن الزوج، ولكن الشافعية قالوا إن حق التفريق يسقط إذا تبرع به أصل الزوج.

## القـــانـــون

نص القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠ المادة (٤): إذا امتنع الزوج عن الإنفاق عن زوجته فإذا كان له مال ظاهر نفذ الحكم عليه بالنفقة في ماله، فإن لم يكن له مال ظاهر ولم يقل إنه معسر أو موسر ولكن أصر على عدم الإنفاق طلق عليه القاضي في الحال. وإن ادعى العجز فإن لم يثبت طلق عليه حالاً. وإن أثبته أمهله مدة لا تزيد على شهر. فإن لم ينفق طلق عليه بعد ذلك. وهي نفس نص المادة (٩٨) من القانون الأردني (٩٢) سنة ١٩٥١ المادة (٥): إذا كان الزوج غائبا غيبة قريبة فإن كان له مال ظاهر نفذ الحكم عليه بالنفقة في ماله، وإن لم يكن له مال ظاهر أعذر عليه القاضي بالطرق المعروفة وضرب له أجلا. فإن لم يرسل ما تنفق منه زوجته على نفسها أو لم يحضر الإنفاق عليها طلق عليه القاضي بعد مضي الأجل. فإذا كان بعيد الغيبة لا يسهل الوصول إليه أو كان مجهول المحل أو كان مفقوداً وثبت أنه لا مال له تنفق منه الزوجة طلق عليه القاضي . وتسري أحكام هذه المادة على المسجون الذي يعسر في

(١) هكذا في الأصل لأن بعدها فراغ.

النفقة. وهي نفس نص المادة (٩٩) من القانون الأردني (٩٢) لسنة ١٩٥١م .

المادة (٦): تطليق القاضي لعدم الإنفاق يقع رجعيا، وللزوج أن يراجع زوجته إذا ثبت إيساره واستعد للإنفاق أثناء ال فإذا لم يثبت إيساره ولم يستعد للإنفاق لم تصح الرجعة. وهي نفس نص المادة (١٠٠) من القانون الأردني ٩٢ لسنة ١٩٥١.

## حول القانون ...

١-المصري: كان العمل على مذهب أبي حنيفة، وعندما صدر قانون ١٩٢٠ أوجب العمل بمذهب مالك في المواد ٤، ٥، ٦ وت مصر سوريا .

أما في السودان فهم يأخذون في التفريق بسبب الإعسار منذ سنة ١٩٠٢ في المنشور (١٧) . ولكن السوداني يضرب شهرين للمعسر. أما المصري فجعل المدة شهراً. أما السوري ثلاثة أشهر.

**ملاحظات على القانون:** لم يتعرض إلى بيان حد الإعسار. لم يتعرض إذا تطوع أحد بالنفقة . ولذا يجب الرجوع إلـى مذ مالك الذي أخذ منه القانون .

### الفصل الثالث

## التفريق لغيبة الزوج [1]

**إختلف الفقهاء في التفريق للغيبة:**

١-لا يصح التفريق للغيبة عند الحنفية، الشافعية، الزيدية، الجعفرية.

٢- إذا غاب الزوج غيبة طويلة وتضررت الزوجة بطول غيابه يحق لها طلب التفريق عند مالك وأحمد -ولو ترك لها نفقة غيابه- خوفاً من وقوعها بالفتنة، ويكون التفريق لشروط:

أ-أن تكون الغيبة بدون عذر مقبول .

ب-أن تتضرر بغيابه.

جـ-أن تكون الغيبة في غير البلد الذي تقيم فيه .

د-أن تمر سنة غاب فيها الزوج.

إلا أن الحنابلة لا يفرقون إلا إذا كانت الغيبة بدون عذر، أما إذا كانت الغيبة بعذر كطلب العلم فلا يفرقون بها، ويجعلون الطويلة ستة أشهر أخذا بقول عمر عند ما سأل حفصة أم المؤمنين: كم تصبر المرأة على زوجها، فقالت خمسة أو ستة أشهر يفرقون إلابعد إعذار الزوج .

أما المالكية فهم يفرقون سواء بعذرأو بدون عذر، والمدة أقصاها سنة، وهو الأرجح، ورواية أخرى ثلاث سنوات.

## المفقود [2]

من غاب غيبة لا يعرف مكانها ولا يعرف أحي هو أم ميت؟وقد اختلف الفقهاء في زوجته أيحق لها طلب الفرقة.

١-**مذهب عمر:** تبين امرأته بعد أربع سنوات من رفع أمرها إلى الحاكم.

٢-**قال مالك وأحمد وإسحق:** بعد أربع سنوات يأمر الحاكم ولي الزوج بطلاقها، وهذا أحد قولي الشافعي: وهذا ما نر قياسا على الفسخ للعنة والعيب والنفقة.

٣-**مذهب الصاحبين ورواية عن أبي حنيفة وقول للشافعي:** لا تخرج من الزوجية حتى يصح موته، قال الإمام علي (

---

(١) استقيت هذا البحث من المصادر التالية:

أ-شرح قانون الأحوال السوري- الزواج وانحلاله- السباعي ص ٢٥٨-٢٥٩

ب-سبل السلام-الصنعاني-الجزء الثالث ص ٢٠٧-٢٠٨

جـ-فقه السنة-سيد سابق- الجزء الثامن ص ١٢٧-١٢٨.

د-محاضرات في فرق الزواج-علي الخفيف

(٢) سبل السلام-الصنعاني- الجزء الثالث ص ٢٠٨.

المفقود ابتليت فلتصبر حتى يأتيها خبر موته). وحديث المغيرة (امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها البيان).

٤-قال الهادوية: إن لم تتيقن تنتظر حتى يموت أقرانه، وهو رواية عن أبي حنيفة، وأما بالنسبة للعمر الذي تنتظره قال الهادوية (١٢٠) سنة وقيل (١٥٠) سنة ولا وجه لهذا الرأي.

قال الأمام يحيى: لا وجه للتربص، لكن إن ترك لها مالاً فهو كالحاجز.

## التفريق لترك المباشرة

وكذلك فإن المالكية والحنابلة يفرقون بين الزوجين بسبب ترك المباشرة مدة تتضرر فيها.

جاء في المحرر للحنابلة: أنَّ على الزوج مباشرة زوجته كل أربعة أشهر إذا كان قادرا على ذلك، فإن أبى ذلك من غير عذر وتضررت الزوجة فطلبت الفرقة فرق القاضي بينهما، وروي عن أحمد أن ذلك واجب عليه.

وفي الشرح الكبير للدردير: أن للزوجة حق طلب التفريق إذا ترك زوجها مباشرتها مدة تتضرر بذلك، أو كان دائم العبادة فيعذر إليه القاضي بأن يباشرها أو يطلق فإن فعل وإلا طلق عليه.

## موقف القانون

كان التشريع في مصر قبل صدور قانون (٢٥) سنة ١٩٢٩ حسب مذهب الحنفية لا تفرق للغيبة أو لترك المباشرة، وهو أيضاً مذهب الشافعي والزيدية والجعفرية، وعندما صدر قانون (٢٥) سنة ١٩٢٩ مستمداً من مذهبي المالكية والحنابلة المادة (١٢) (إذا غاب الزوج سنة شمسية [٣٦٥ يوما) بلا عذر مقبول جاز أن تطلب تطليقها بائناً.

المادة (١٣): يرسل القاضي ويضرب له أجلاً.

المادة (١٤): المسجون ثلاث سنوات فأكثر يجوز لزوجته طلب التطليق بائناً بعد سنة .

**ملاحظات حول القوانين:**

أخذ القانون المصري من مذهب الحنابلة (اشترط الغياب بعذر)، لكن خالف مذهب الحنابلة في المحبوس لأن غيبته بعذر.

والتشريع في سوريا كالمصري، إلا أن التطليق رجعي وهو الأصوب نص المادة (١٠٩)، والتشريع في السودان كالمصري تماماً.

والتفريق للغيبة فسخ عند الحنابلة لأنه لم يصدر منه أو وكيله بل من القاضي، أما المالكية فاعتبروه طلاقاً رجعياً، والظاهر من شرح الدردير والخرشي أنه رجعي، وأما الدسوقي في شرحه على الدردير فيعتبر كالمولى.

جاء في شرح أبي الحسن على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (كل طلاق يوقعه الحاكم طلاق بائن إلا طلاق المولى والمعسر).

ولعل القانون السوري اعتمد على هذه الأقوال.

أما القانون الأردني فقد نص في المادة (٨٩) ما يشبه نص المادة (١٢) من المصري، وفي المادة (٩٠) يشبه نص المادة (١٣)، وأما المادة (٩٣) فتقابل المادة (١٤)، أما في المادة (٩٢) من القانون الأردني (إذا راجعت الزوجة القاضي وكان زوجها الغائب قد ترك لها مالاً من جنس النفقة وطلبت منه تفريقها لتضررها من بعده منها فإذا يئس من الوقوف على خبر حياته أو مماته بعد البحث والتحري يؤجل الأمر أربع سنوات من تاريخ الطلب، فإذا لم يمكن أخذ خبر عن الزوج المفقود وكانت مصرة على طلبها يفرق القاضي بينهما، وإذا كان الزوج غائباً في دار الحرب يفرق القاضي بينهما بعد مرور سنة اعتباراً من رجوع الفريقين المتحاربين وأسراهم إلى بلادهم، وفي كلتا الحالتين تعتد الزوجة عدة الوفاة من تاريخ الحكم.

ولم يتعرض القانون المصري ولا السوري للمفقود، لأنه لم يعد اليوم مفقود بحكم انتشار وسائل الإعلام وسهولة المواصلات واعتبرته كالغائب.

أما المادتين (٩٤-٩٥) فقد تعرضنا إلى حكم أنه إذا تحققت حياة الزوج الأول لا ينفسخ النكاح الثاني وتبقى زوجة للثاني.

الفصل الرابع

# التفريق لسوء العشرة (١)

إن الإسلام عندما بنى العش الزوجي بذلك الرباط المقدس قد جعل هذا الرباط أبدياً، تغذيه قوة الإخلاص المتبادل بين الزوج والحب والمودة والمشاعر، وتخيم عليه الطمأنينه، ويهيمن عليه الدعة والراحة، لكي تنبت البراعم في هذا الجو الهادئ كما يجب.

ولكن قد يتطرق النفور إلى هذه القلوب المتآلفة، ويتسرب النزاع إلى هذه الأواصر الوثيقة، وتزداد النفرة والشقاق، وتص الحياة جحيماً لا يطاق، وسعيراً لا يحتمل، وإلى لا تصلح الحياة بعدها بجانبه.

وهنا لا يقف الإسلام جامداً راكداً دون حراك، ويتصلب في موقفه بحيث يقول كما تقول المسيحية أن العقد الذي باركته السماء ما كان لأيدي البشر أن تقطعه، ولكنه واقعي في حله، فالرابطة الزوجية تغذيها المودة . فإذا انقطعت المودة، وذوت الرا واضمحلت وهزلت، فإذا حصل فوق ذلك شقاق وضرار على أسرة البيت فلا مانع أن تطلب من أولي الأمر أن يفكوا هذا الرباط.

وإن الإسلام ليحاول محاولات جدية، ويسلك جميع السبل لحفظ هذا الكيان، وللبقاء على هذه الأسرة، حتى إذا فشلت ج الطرق عندها يأذن في الفراق بعد تكوين المحكمة العائلية التي تسعى بإخلاص لاجتثاث جميع المنازعات من جو الأسرة ومن ، الزوجين.

# آراء الفقهاء في التفريق للشقاق

ذهب الإمام مالك أن للزوجة أن تطلب من القاضي التفريق إذا ادعت إضرار الزوج بها إضراراً لا يستطاع معه دوام العث بين أمثالهما مثل ضربها أو سبها أو إيذائها بأي نوع من أنواع الإيذاء الذي لا يطاق، أو إكراهها على منكر من القول أو الفعل، أثبتت دعواها لدى القاضي ببينة الزوجة أو اعتراف الزوج وكان الإيذاء مما لا يطاق معه دوام العشرة بين أمثالهما، وعجز القا عن الإصلاح بينهما طلقها طلقة بائنة، فإذا عجزت عن البينة أو لم يقر الزوج رفضت دعواها.

فإذا تكررت منها الشكوى وطلبت التفريق ولم يثبت للمحكمة صدق دعواها عين القاضي رجلين عدلين راشدين لهما ، بحالهما وقدرة على الإصلاح به بينهما، ويحسن أن يكونا من أهلهما إن أمكن، وإلا فمن غيرهما.

ويجب عليهما تعرف أسباب الشقاق بين الزوجين، والإصلاح بينهما بقدر الإمكان، فإن عجزا عن الإصلاح وكانت الإساءة الزوجين أو من الزوج أو لم تتبين الحقائق قررا التفريق بينهما بطلقة بائنة، وإن كانت الإساءة من الزوجة فلا يفرق بينهما بالط وإنما يفرق بينهما بالخلع.

وإن لم يتفق الحكمان على رأي أمرهما القاضي بإعادة التحقيق والبحث، فإن لم يتفقا على رأي استبدلهما بغيرهما، و الحكمين أن يرفعا إلى القاضي ما يستقر عليه رأيهما. ويجب عليه أن ينفذ حكمهما، وأصل ذلك كله قوله تعالى: **(وإن خفتم ش بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما)**، والله يقول ( **فإمساك بمعروف أو تس بإحسان)** فإذا تعذر الإمساك بالمعروف تعين التسريح بالإحسان.

# حكم الحكمين في التفريق لسوء العشرة

**حكم الحكمين:**

١-**إنهما وكيلان:** أبوحنيفة، الشافعي على أظهر قوليه، أحمد على أشهر روايتين عنده، وهو مروي عن الحسن البصري، ء قتادة، زيد، أبي ثور، وإليه ذهب الظاهرية والزيدية والجعفرية.

٢-**إنهما حاكمان:** وهو مذهب مالك والأوزاعي وإسحق وأحد قولي الشافعي ورواية أخرى عن أحمد وهو قول أهل المدينة الصحيح)، وهو مروي عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، أبي سلمة، الشعبي، والنخعي.

---

(١) استقيت هذا البحث من المصادر التالية:

أ-شرح قانون الأحوال الشخصية السوري- الزواج وانحلاله- السباعي ص ٢٦٣-٢٦٥. ب-فقه السنة- سيد سابق- الجزء الثامن ص ١٢٤-١٢٥.

ج-محاضرات في فرق الزواج-علي الخفيف- التفريق لسوء العشرة.

واستدل هذا الفريق بما يلي:

أ-بعث عثمان رضي الله عنه ابن عباس ومعاوية حكمين بين عقيل بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت عتبة، فقال لهما: إن رأيتما أن تفرقا فرقتما.

ب-وكذلك ورد عن علي رضي الله عنه أنه بعث حكمين بين زوجين وقال لهما (عليكما أن رأيتما إن تفرقا فرقتما، وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما).

هذا وقد ذهب أكثر الفقهاء إلى أن بعث الحكمين إنما يكون حيث يشكل الأمر بين الزوجين فلا يعرف أيهما المسيء. أما إذا عرف المسيء منهما فإنه يوعظ ويؤدب ويزجر بما يرى من الوسائل المشروعة. ولم يجعل الجمهور إساءة أحدهما للآخر سبباً للتفريق بينهما، وإليه ذهب الحنابلة والشافعية، والظاهرية، الزيدية والجعفرية.

وخالف في ذلك المالكية فقالوا: إن للزوجة أن تطلب التفريق إذا ما ضرها الزوج فأساء معاملتها بأن قطع كلامه أو شتمها أو هجرها.

## موقف القانون

**القانون الأردني:**

نص في المادة (٩٦): إذا ادعت الزوجة إضرار الزوج بها بما لا دوام معه للعشرة بين أمثالهما يجوز لها أن تطلب من القاضي التفريق، وحينئذ على القاضي التثبت من النزاع والشقاق وعجزه عن إصلاح بينهما بعث حكمين على أن يراعي ما يأتي:

أ-يشترط في الحكمين أن يكونا عدلين رجلين قادرين على الإصلاح من أهل الزوجين إن أمكن، وإلا فمن غيرهما.

ب-المحاولة الجديدة في الإصلاح .

جـ-عند العجز عن الإصلاح فإذا كانت الإساءة من الزوج طلق عليه بائناً، وإن كان من الزوجة خلع.

د-التخيير للحكمين عند الاختلاف.

هـ-على الحكمين رفع تقرير إلى القاضي بما يقررانه.

(٩٧): الحكم الصادر بالتفريق يتضمن الطلاق البائن.

**القانون المصري:**

بحث القانون المصري في المواد ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، بنفس النص الذي ورد في القانون الأردني وكذلك القانون السوري في المواد ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥.

## مقارنة بين القوانين الثلاثة

١-إن القانون المصري يشترط تكرر الشكوى أخذا من رأي كتاب شرح منح الجليل خلافاً للرأي الأقوى في المذهب المالكي، أما القانونان السوري والأردني فلم يشترطا ذلك.

٢-جعل التشريع السوري حق رفع الدعوى لكل من الزوجين، ولكن القانونين المصري والأردني جعلاه للمرأة وحدها.

٣-أوجب التشريع السوري على القاضي تأجيل المحاكمة على أية حال إذا كان المدعي هو الزوج رجاء الصلح.

٤-أوجب القانون السوري تحليف اليمين للمحكمين، ولم يشترط ذلك فقهاء المذهب المالكي ولا القانونان المصري والأردني.

٥-جعل القانونان السوري والأردني للقاضي عند اختلاف الحكمين أن يعين غيرهما أو يضم إليها ثالثاً. أما القانون المصري فلا يتعرض لضم ثالث.

٦-ذكر القانون المصري أنه في حالة عجز الحكمين عن الإصلاح وكانت الإساءة من الزوج أو منهما أو جهل الحال قرر التفريق بطلقة بائنة، ولم يذهب إلى التفريق إذا كانت الإساءة من الزوجة. بل يفهم منه عدم التفريق ورفض دعوى الزوجة وعدم سماعها من جديد إلا بعد إثبات كامل. (الأحوال الشخصية لأبي زهرة ص ٣٦).

ولكن القانونين السوري والأردني تعرضا في حالة كون الإساءة من الزوجة أو معظمها قررا التفريق بينهما بالمخالعة على تم المهر أو قسم منه، وهذا متفق مع مذهب الإمام مالك وقانون حقوق العائلة مادة (١٣٠) ، أما التشريع السوداني فلا يختلف في مجموعه عن ما جاء في المذهب المالكي.

الفصل الخامس

## الفرقة بسبب الردة (١)

**الردة:** على رأي معظم الفقهاء هي الانتقال من دين الإسلام إلى غيره، بخلاف الإمام الشافعي الذي يعتبر الانتقال من اليهود إلى النصرانية أو بالعكس ردة.

### آراء الفقهاء:

١-**عند الحنفية:** إذا ارتد الزوج انفسخ النكاح حالاً دون توقف على قضاء القاضي عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وليس له أن يتزوج، وإذا تزوج كان عقده غير صحيح.

**قال محمد بن الحسن الشيباني:** ردة الزوج طلاق بائن (فهو كإبائه الإسلام عند إسلام زوجته)، أما إذا ارتدت الزوجة انفسخ النكاح في ظاهر المذهب، وبه أفتى مشايخ بخارى، وخالف في ذلك مشايخ بلخ وسمرقند، وأفتوا بعدم وقوع الفرقة بردتها بقصد السيء، وردة الزوجة فسخ عند الأئمة الثلاثة الحنفية.

٢-**عند الشافعية والحنابلة والجعفرية والزيدية:** أن أحد الزوجين إذا ارتد وكانت ردته قبل الدخول انفسخ النكاح في الحال وهو قول عامة أهل العلم، وحكي عن داوود أنه قال: لا ينفسخ بالردة، لأن الأصل بقاء النكاح.

أما إن كانت ردة أحدهما بعد الدخول توقفت الفرقة بالفسخ -عند الجعفرية والشافعية والزيدية- إلى ما بعد انقضاء العدة فإذا انقضت دون عودة إلى الإسلام انفسخ النكاح منذ الارتداد، وهذه رواية عن أحمد. وروي عن أحمد أيضاً أن النكاح ينفسخ في الحال، وروي ذلك عن الحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز والثوري وزفر وأبي ثور وابن المنذر، وإذا ارتد الزوجان معاً فكذا الحكم عند الشافعية والحنابلة والجعفرية، لكن الزيدية قالوا إذا ارتدا معاً لا ينفسخ النكاح.

٣-**المالكية:** قالوا ردة أحد الزوجين طلاق بائن لا فسخ، خلافاً للمخزومي الذي قال أنه طلاق رجعي، وأما ابن الماجشون قال إنه فسخ، لكن المشهور في مذهب مالك كما ذكرنا طلقة بائنة في الحال سواء بعد الدخول أم قبله. أما [أصبغ] فقال إذا ارتد الزوج المسلم لدين زوجته الكتابية لا يحال بينهما.

**ملاحظة:** قال الشافعية: انتقال الكتابي إلى دين آخر غير الإسلام يعتبر ردة.

## الفرقة بسبب إباء الإسلام (٢)

١-إذا كان الزوجان غير مسلمين فأسلم أحدهما وكان بينهما سبب من أسباب التحريم وقعت الفرقة بينهما بناء على السبب باتفاق الأئمة.

٢-إن لم يكن بينهما سبب من أسباب التحريم وكانت الزوجة كتابية بقي الزواج عند الأئمة الأربعة والجعفرية، إلا أن الزيدية يحرمون زواج الكتابية لأنهم حرّفوا دينهم فهم كالمشركين.

٣-أما إذا أسلمت الزوجة وأبى الزوج الإسلام فرّق القاضي بينهما، وهو فسخ عند أبي يوسف، ويعد طلاقاً عند الطرفين (أبي حنيفة ومحمد)، ولكن قال المالكية: توقف على انقضاء العدة، فإن مضت دون أن يسلم وقعت الفرقة. هذا ما جاء في المغني، وفي الشرح الكبير للدردير (إذا أسلم أحد الزوجين ولم يسلم الآخر فسخ النكاح إلا إذا كان المسلم هو الزوج وزوجته كتابية فإنه يبقى، والفرقة هنا فسخ لا طلاق)، أما الحنابلة والشافعية فقالوا أن الزوج إذا أسلم وكانت زوجته غير كتابية وتخلفت عن إسلامه، أو أسلمت الزوجة وتخلف الزوج عن إسلامها وكان ذلك قبل الدخول فرق بينهما.

(١) محاضرات في فرق الزواج-الشيخ علي الخفيف- الفرقة بسبب الردة.

(٢) محاضرات في فرق الزواج-علي الخفيف.

وإن كان ذلك بعد الدخول وقفت الفرقة على انتهاء العدة، فإذا انتهت ولم يسلم الآخر وقعت الفرقة منذ أن أسلم المسلم منهما، وإليه ذهب الشافعي، وهو قول الزهري والليث والحسن بن صالح والأوزاعي وإسحق، وروي عن مجاهد، ابن عمر، محمد بن الحسن والجعفرية.

وروي عن أحمد أن الفرقة في هذه الحال بعد الدخول تتعجل كحال ما قبل الدخول، واختارها الخلاّل، وهو قول: الحسن البصري، طاووس، قتادة، الحكم، وعمر بن عبدالعزيز.

## موقف القانون

لم يتعرض القانون للفرقة بسبب الردة، ولذا يبقى العمل فيه على مذهب الإمام أبي حنيفة من أن النكاح ينفسخ دون حاجة إلى قضاء القاضي، أما في حالة إباء الإسلام فيفرق القاضي بينهما ويعد طلاقاً بائناً.

الفصل السادس

## الفرقة بسبب طروء حرمة المصاهرة أو بسبب طروء الرضاع [1]

إذا فعل أحد الزوجين بأصل صاحبه أو بفرعه وقعت الفرقة بينهما في الحال دون توقف على قضاء، وهذا عند الحنفية، وتعد عندهم فسخاً من غير خلاف لأن الحرمة مؤبدة. ومثل الزنا المس بشهوة والنظر إلى الفرج بشهوة، فلو أن رجلاً مس يد أم زوجته في حال الشهوة ولو خطأ رفع النكاح بينهما، وحرمت عليه حرمة مؤبدة، وإلى هذا ذهب أحمد، عمران بن الحصين، الحسن البصري، الشعبي ، النخعي، عطاء، طاووس، الثوري، إسحق ومجاهد.

أما المس بشهوة والنظر إلى الفرج بشهوة فعن أحمد في إلحاقهما بالوطء روايتان.

وخالف في ذلك الشافعي فلم يرتب على ذلك حرمة بين الزوجين، وبه قال سعيد بن المسيب والزهري ومالك وأبو ثور وابن المنذر، لقوله (ﷺ) {لا يحرم الحرام الحلال} وإلى هذا ذهب الزيدية والجعفرية.

أما الرضاع فكذا ينفسخ به النكاح إذا كان [2] برضاع محرم بأن أرضعت الزوج زوجته أو أمها وتوافرت شروط الرضاع، ولا يتوقف ذلك على قضاء وليس هذا محل خلاف.

**أما القانون:** فلم يتعرض لهذا، ولذا يبقى العمل على مذهب الامام أبي حنيفة سواء في الأردن أو في سوريا.

الفصل السابع

## الكفاءة والفرقة عند عدمه[3]

الكفاءة في الفقه هي المساواة أما في اصطلاح الفقهاء فهي { التساوي بين الزوجين في أمور اجتماعية بحيث تتحقق السعادة الزوجية بينهما، ويندفع المعار أو الحرج عن المرأة أو أوليائها}، واستدل للكفاءة بما روي عن عائشه رضي الله عنها عن النبي (ﷺ) **[تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء]**.

## الأشياء التي تقرر الكفاءة

هنالك أمور اتفق عليها الفقهاء في اعتبارها في الكفاءة وهي:

١-**الدين:** والدين يطلق ويراد منه معنيان وهما:

**أ-بمعنى النحلة والملة:** كالإسلام واليهودية والنصرانية، ومن المعلوم أن المسلم يحق له تزوج المسلمة والكتابية(عدا بعض الآراء

---

(١) محاضرات في فرق الزواج- الشيخ علي الخفيف (٢) سقطت كلمة (كان) من الأصل (٣) شرح قانون الأحوال الشخصية- الزواج وانحلاله- السباعي ص ١٦٣-١٧٧

كالزيدية التي تحرم الزواج من الكتابية)، ويجوز تزوج المسلمة الحنفية بالمسلم الشافعي على قول جمهور الفقهاء، وخالف الإمامية وقالوا لا يحق للإمامية أن تتزوج الزيدي أو المسلم السني. ولا يجوز أن تتزوج المسلمة الذمي والكتابي والمشرك

**ب-المعنى الثاني:** التقوى والصلاح: وهذا يشترطه مالك والثوري والكرخي وجمهور الفقهاء بخلاف محمد بن الحسن الذي يشترطه.

**وقد اختلف الفقهاء في الأمور التالية في الكفاءة:**

١-**الحرية:** اشترطها الحنفية والشافعية والحنابلة.

٢-**النسب:** اشترطه الحنفية والشافعية والحنبلية وبعض الزيدية واحتجوا بقول عمر ( لأمنعن ذوات الأحساب إلا من الأكفاء قيل له وما الأكفاء؟ قال: في الأحساب).

وذهب مالك وابن تيمية الحنبلي إلى عدم اشتراطها. أما الذين اشترطوا النسب فاختلفوا:

أ-**قال بعضهم:** العرب كلهم أكفاء لبعض: وهو مذهب زيد ورواية عن أحمد.

ب-ومنهم من قال أن قريش أكفاء لبعضها، وغير قريش من العرب أكفاء لبعض، وهو مذهب الحنفية ورواية عن أحمد.

٣-**المهنة:** اشترطها أحمد والشافعي والصاحبان.

٤-**اليسار:** اشترطها أبو يوسف والحنابلة وقول للشافعية.

٥-**إسلام الآباء:** من عناصر الكفاءة لغير العرب عند الحنفية والشافعية.

٦-**السلامة من العيوب الجنسية:** اشترطها الفقهاء الشافعية .

٧-**العقل.**

## الفرقة لعدم الكفاءة (١)

الكفاءة شرط صحة عند الحنفية، وهي شرط نفاذ عند الصاحبين (عندما يزوج الوكيل موكله وهو المفتى به).

أما بالنسبة إذا زوجت البالغ نفسها، فقد اختلفوا أهي شرط صحة أم شرط لزوم.

**أما الشافعية:** فقالوا شرط لزوم، وروايتان عن أحمد، وهي عند الحنفية حق للزوجة وحق لأوليائها كالأب والجد، وهو الزيدية والشافعية والمالكية والحنابلة، أما الجعفرية فقد قالوا هو حق لها.

وعندما تكون الكفاءة شرط صحة يقع العقد عند عدم توفرها فاسداً، وكذلك الحكم إذا اعتبرت الكفاءة شرط نفاذ. أما اعتبارها شرط لزوم فان العقد يقع صحيحاً نافذا ولكنه قابل للفسخ.

أما القانون الأردني فلم يتعرض لهذا، ولذا يبقى العمل في المحاكم الشرعية على مذهب الحنفية من أن الكفاءة شرط ص

أما القانون السوري فقد نص في المادة (٣٢) [إذا اشترطت الكفاءة حين العقد أو أخبر الزوج أنه كفء ثم تبين أنه غير كفء لكل من الزوجة والولي طلب فسخ العقد]. ونص في المادة (٣١) [تراعى الكفاءة عند العقد فلا يؤثر زوالها بعده].

الفصل الثامن

## الفرقة للغبن بالمهر (٢)

قد لايوازي مهر المرأة مهر مثلها ويكون باخساً مما يؤثر على قيمة أوليائها، فهنا قال الصاحبان يكن الزواج فاشلاً ( أي عدم الغبن شرط صحة).

**أما عند أبي حنيفة:** فوافق الصاحبين إذا زوج الولي السيء لاختيار المرأة، أما لو زوجت البالغة العاقلة نفسها بأقل من مثلها كان الزواج صحيحاً لازماً بالنسبة لها، غير لازم بالنسبة لأوليائها.

**أما المالكية فقالوا:** ولاية الإجبارلا تكون إلا للأب، فلو زوج ابنته بمهر دون مهر مثلها كان صحيحاً لازماً، وليس لأحد

(١) محاضرات في فرق الزواج-الشيخ علي الخفيف- الفرقة لعدم الكفاءة.

(٢) محاضرات في فرق الزواج-علي الخفيف- الفرقة للغبن بالمهر

يعترض، وله اجبار ابنته البكر والمجنونة والثيب لعارض (كوثبة).

وكذلك الحال عند الشافعية، إذ أن ولاية الإجبار للأب أو الجد، ولكن يشترط (الكفاءة ومهر المثل)، فإن زوجها بأقل من مهر مثلها كان الزواج فاسداً.

**أما الحنابلة:** فقالوا لا فسخ للغبن في المهر وإن فرق المهر يصبح ديناً على الزوج للزوجة، أما الزيدية فقالوا لا فسخ للغبن في المهر، أما الجعفرية فقالوا: الفسخ بسبب الغبن في المهر فيه نظر عندهم. واختصاراً لا يفسخ إلا الحنفية للغبن في المهر، ورأي عند الجعفرية.

**أما القانون:** فلم يتعرض لهذا، ولذا يبقى العمل في المحاكم الشرعية الأردنية والسورية على مذهب الأمام أبي حنيفة. من أن الزواج يكون فاسداً في هذه الحالة.

## الفصل التاسع

## الفرقة بسبب الإعسار في المهر (١)

قد تتعسر الحال مع الزوج بعد عقد النكاح، وقد تطول المدة التي تبقى الزوجة مرتبطة فيها بزوجها بدون دخول قد يفوت عليها فرص كثيرة، وقد يمتد الزمن فيتقدم بها السن، فهل يحق لها الفسخ؟ اختلف الفقهاء:

١-ليس للزوجة طلب الفرقة عند الحنفية والزيدية والجعفرية وهو الصحيح من مذهب أحمد، واختاره عامة أصحابه وكثير من أصحاب الشافعي.

٢-أما المالكية فقالوا: لا فرقة بعد إعسار الزوج بعد البناء، أما قبل البناء بالزوجة فإن كان له مال ظاهر أخذ منه، وإن ادعى الملاءة واليسرة وأبى الدفع عناداً يحبسه القاضي، فإن أصر طلق عليه القاضي.

وإن ادعى الفقر ولم تصدقه زوجته فإن القاضي يؤجله ثلاثة أسابيع لإثبات عسرته، فإن أثبتها أجله سنة لا يحبس فيها، فإن مضت ولم يؤد ما وجب عليه طلق عليه القاضي.

أما إذا صدقته زوجته أو أثبت عسره أو غلب على الظن صدقه، فإن القاضي يتلوم له بسنة ثم يطلق عليه إن لم يدفع، وإذا لم يكن يجري عليها النفقة فإن القاضي يطلق عليه لعدم الإنفاق ولعدم دفع المهر على الأرجح. والفرقة عندهم في هذه الحال طالق بائن.

٣-أما عند أحمد بن حنبل فالصحيح في مذهبه أنه لا فرقة بسبب إعسار الزوج في المهر، واختار هذه الرواية عامة أصحابه، وإليه ذهب كثير من أصحاب الشافعي، وذهب بعض الشافعية أن لها طلب الفسخ إذا لم تقبض من الواجب شيئاً بشرط أن يكون ذلك قبل الدخول، وليس لها طلب الفسخ إذا دخل بها. وهذا وجه في مذهب أحمد.

وذهب غيرهم أن لها الفسخ قبل الدخول وبعده، وهو رأي في مذهب أحمد، والفرقة في هذه الحال عند الحنابلة والشافعية: فسخ لا طلاق.

٤-وقد فصل الشيخ أبو إسحق وأبو علي بن أبي هريرة: إن كان الإعسار قبل الدخول ثبت به الفسخ، أما بعد الفسخ فلا يثبت.

## الفصل العاشر

## الفرقة لعدم الوفاء بالشروط (٢)

إذا اشترطت الزوجة على زوجها في عقد النكاح ما فيه منفعة لها ولا يخل بمقصود العقد ولا يحرمه الشرع لزمه الوفاء بالشرط، كأن تشترط عليه، أن لا يخرجها من بلدها، فإن لم يف به فلها حق طلب فسخ النكاح -عند الحنابلة-. روي ذلك عن عمر وعن سعد بن أبي وقاص ومعاوية وعمرو بن العاص وشريح وعمر بن عبدالعزيز وجابر بن زيد وطاوس والأوزاعي وإسحق ابن راهوية.

وأبطل هذا النوع من الشروط الزهري وقتادة وهشام بن عمرو والليث والثوري وابن المنذر، وهو مذهب مالك والشافعي وأصحاب الرأي.

---

(١) محاضرات في فرق الزواج-علي الخفيف- الفرقة للإعسار بالمهر

(٢) محاضرات في فرق الزواج-الشيخ علي الخفيف

**قال أبو حنيفة والشافعي: «يصح العقد ولا يلزم الشرط»**، ولكن يحق للزوجة مهر المثل إذا كان المسمى من المهر أقل، ولا يكو لها طلب الفسخ، وهو مذهب الزيدية، واستدلوا بحديث رسول الله (ﷺ) **(المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراما أو حرم حلا** وهذه شروط تحرم الحلال على الزوج .

ومذهب الجعفرية أن هذه الشروط باطلة والعقد صحيح والمسمى لازم.

واحتج الحنابلة بالحديث **«إن أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج»** رواه سعيد.

أما القانون فلم يتعرض لهذا سواء السوري أو الأردني، ولذا يبقى العمل في المحاكم الشرعية على مذهب الامام أبي حن رحمه الله من أن الشرط يبطل والعقد يصح.

# المصـــــادر


١-تفسير ابن جرير الطبري.

٢-تفسير مفاتيح الغيب لفخرالدين الرازي.

٣-تفسير ابن كثير القرشي.

٤-القاموس المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تاليف أحمد بن محمد القيومي.

٥-قاموس المحيط للفيروز آبادي.

٦-شرح قانون الأحوال الشخصية السوري للدكتور المرحوم مصطفى السباعي.

٧-الأحوال الشخصية- محمد أبو زهرة.

٨-شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية لمحمد زيد الابياني بك.

٩-محاضرات في فرق الزواج للشيخ علي الخفيف.

١٠-المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي.

١١-الفقه المقارن في المذاهب للشيخين محمود شلتوت ومحمد علي السايس.

١٢-تحفة الفقهاء-لعلاء الدين السمرقندي.

١٣-العدة شرح العمدة لضياء الدين المقدسي.

١٤-تفسير آيات الأحكام لمحمد علي السايس.

١٥-بداية المجتهد لابن رشد القرطبي.

١٦-إعلام الموقعين-ابن القيم الجوزي.

١٧-زاد المعاد- ابن القيم.

١٨-سبل السلام-محمد اسماعيل الكحلاني الصنعاني.

١٩-نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار-محمد علي الشوكاني.

٢٠-شرح النووي على صحيح مسلم.

٢١-فتح الباري بشرح البخاري-ابن حجر العسقلاني.

٢٢-فقه السنة للسيد سابق.

٢٣-الفقه على المذاهب الأربعة-قسم الأحوال الشخصية- عبد الرحمن الجزيري.

٢٤-في ظلال القرآن-للكاتب الإسلامي الشهيد سيد قطب.

٢٥-شبهات حول الإسلام للكاتب الإسلامي محمد قطب.

٢٦-الحجاب- أبو الأعلى المودودي.

٢٧-أحكام الزواج والطلاق في الإسلام-بدران أبو العنين.

٢٨-الفن الثاني من حاشية الاشباه والنظائر.

٢٩-رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار- ابن عابدين.

٣٠-الشرح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي عليه.

٢١-حاشية الشرقاوي على التحرير لزكريا الأنصاري الشافعي.
٢٢-نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي.
٢٣-الفتاوى الحامدية.
٢٤-الحلال والحرام في الإسلام- يوسف القرضاوي.
٢٥-فتاوى الشيخ شلتوت.
٢٦-قانون العائلة الأردني رقم (٩٢) الصادر سنة ١٩٥١.
٢٧-السلام العالمي في الإسلام-الكاتب الكبير المرحوم سيد قطب.
٢٨-حاشية البيجوري على شرح ابن قاسم الغدي على متن أبي الشجاع الشافعي.

---

ملاحظة: هذا الكتاب عبارة عن بحث كتبه المؤلف لنيل إجازة الليسانس عام ١٩٦٦-١٩٦٧م يتحدث فيه عن انحلال الزواج في الفقه والقانون وقد قمت بمراجعته وتدقيقه عن الأصل مرتين أخذ مني جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً ويرجع ذلك لصغر خط الشيخ في الأصل ودقة المسائل الفقهية.

على كل حال فإن هذا البحث ذو فائدة عظيمة لطلبة العلم بذل فيه الشيخ رحمه الله جهداً طيباً وكما نظن والله أعلم أن هذا البحث على مستوى ممن يكتبون في رسائل الماجستير والدكتوراه، فهو بحث قوي جداً أتمنى أن يطلع عليه العلماء البارزون لترشيحه وإدخاله بعض الكليات الشرعية في العالم الإسلامي كمادة منهجية. والله الهادي إلى سواء السبيل. (الناشر)

# نظرية العقد والكفالة

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري

ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا.

اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وقلباً خاشعاً وشفاء من كل داء.

# نظرية العقد

بدأ الفقه الإسلامي بالجزئيات لحل مشاكل المجتمع الإسلامي، وانتهى الأمر بالنظريات، ويشارك القانون الانجليزي الفقه الإسلامي في نقطة البداية، وفي هذا يختلف عن القوانين اللاتينية.

## معنى العقد

**لغة:** الربط والشد والتقوية، ويسمىٰ العهد والميثاق عقداً بهذا لان فيه تقوية لما تضمنه، وعزماً أكيداً على التقيد به.

**العقد شرعاً:** (تعلق كلام أحد العاقدين بالآخر شرعاً على وجه يظهر أثره في المحل).

إذن عناصر العقد:

١- العاقدان.

٢- الرضا.

٣- تعلق كلام أحد العاقدين بالآخر شرعاً (اتصال الإيجاب بالقبول).

٤- ظهور أثر ارتباط القبول بالإيجاب في المحل. فالمبيع يصبح مملوكا للمشتري.

## التصرف الشرعي

كل ما يصدر عن الشخص من قول أو فعل يرتب عليه الشارع أثراً أو حكماً معيناً.

**والتصرف قسمان:**

**فعلي:** كالقتل الذي يرتب عليه الشارع القصاص أو الدية والكفارة.

**وقولي:** كالبيع الذي يرتب عليه الشارع انتقال الملكية، والطلاق الذي يرتب عليه الشارع زوال العصمة.

ويختلف العقد عن التصرف الشرعي:

١- بأن العقد قولي والتصرف: فعل وقول.

٢-والعقد إرادتان والتصرف إرادة أو اثنتان.

## أركان العقد

**الركن :** ما توقف عليه وجود الشيء سواء كان جزءاً من حقيقته أم كان خارجاً عنه، وقد قصر الحنفية الركن على ما كان داخلاً في الماهية.

أركان العقد:

١- **عند الحنفية:** الصيغة (الإيجاب والقبول).

٢- **عند الجمهور:** الصيغة، العاقدان، المحل (موضوع التعاقد)

# صيغة العقد

**الرضا**: أساس التعاقد في الفقه الإسلامي، وهو سبب القوة الملزمة للعقد، فإذا فقد الرضا غابت القوة الملزمة للعقد وبط مفعوله.

**والرضا**: أمر خفي، فأقيمت الصيغة علامة عليه.

# الإيجاب والقبول

**الإيجاب**: ما يصدر أولاً من أحد المتعاقدين.

**القبول**: ما يصدر ثانياً من المتعاقد الآخر.

# التعاقد بالألفاظ

لا خلاف بين الفقهاء في جواز التعاقد بالألفاظ لأنها الأصل في التعبير عن الإرادة وإظهار الرغبة . ولا يقوم غيرها مقامها في حالة الضرورة.

والقاعدة المقررة أن (الأمور بمقاصدها) (العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني).

ولذا فالعقد ينعقد بكل لفظ يدل عليه صراحة أو كناية، ولا يتقيد العقد بلفظ معين.

وقد استثنى **(الشافعية والحنبلية)** العقود التي يشترط فيها الإشهاد كالزواج فاشترطوا لها الألفاظ التي تدل عليها صرا وليست كناية، فلا ينعقد إلا بلفظ (الزواج والنكاح)، وقد خالف (الحنفية والمالكية) فأجازوها صراحة وكناية.

# الصيغـــــة

أ- بالألفاظ:

**١-الماضي**: وهذا هو الأصل.

**٢-المضارع**: لا ينعقد العقد بصيغة المضارع إلا إذا صاحبتها قرينة.

**٣-الاستفهام**: لا ينعقد العقد بصيغة الاستفهام.

**٤-الأمر**: اختلف الفقهاء في انعقاد العقد بها، فمنهم من يراها صالحة لينعقد بها، ومنهم لم يرها صالحة.

ب- التعاقد (بالكتابة)

**التعاقد بالكتابة جائز** سواء كان العاقدان غائبين أو حاضرين، هذا في كل العقود عدا العقود التي تحتاج إلى إشهاد كالنكا أما عقد النكاح فلا ينعقد إلا بالألفاظ حتى يسمع الشهود ما يشهدون به.

ولم يجز بعض الشافعية التعاقد بالألفاظ مادام العاقد ناطقاً.

جـ- التعاقد بالإشارة:

يرى جمهور الفقهاء أن التعاقد بالإشارة لا يجوز للقادر على النطق أو الكتابة، أما العاجز عن النطق والكتابة (كالأخر الأمي) فيجوز .

أما المالكية: فأجازوا التعاقد بالإشارة للقادر على النطق.

د- التعـــاقــد بالأفعـــال (المعاطاة -التعاطي) المعاطاة

جائزة عند جمهور الفقهاء بشروط. وخالف الشافعية وبعض الفقهاء: فلم يجيزوه .

الشروط:

١- وقوع التعاطي من الجانبين.

٢- أن يتضمن التعاطي الرضا.

٣- أن يكون محل العقد من الأشياء الرخيصة كالخبز والحجارة دون الذهب والأرض، وهذا شرط الحنفية وبعض الشافعية، وخالفهم المالكية فأجازوه بالرخيصة والثمينة.

## شروط الصيغة (الإيجاب والقبول)

١- توافق الإيجاب والقبول.

٢- اتصال الإيجاب بالقبول.

٣- بقاء الإيجاب قائماً حتى يصدر القبول.

### ١-توافق الايجاب والقبول:-

يجب أن يكون القبول موافقاً للايجاب في كل جزئياته، سواء كانت هذه الموافقة صريحة أو ضمنية.

**صريحة:** بعتك هذا القلم بعشرين، فيقول الآخر: قبلته بعشرين.

**ضمنية:** بعتك هذا القلم بعشرين، فيقول الآخر: قبلته بثلاثين.

### ٢- اتصال الإيجاب بالقبول:

**قال الجمهور:** الاتصال أن يكون القبول في مجلس الإيجاب دون اعراض بعد الإيجاب.

**قال الشافعية:** الاتصال أن يكون القبول بعد الإيجاب مباشرة.

### ٣-بقاء الإيجاب قائما حتى يصدر القبول:

أي أن لا يسقط الإيجاب قبل القبول. ويسقط الإيجاب بأسباب خمسة:

**١-رجوع الموجب عن إيجابه:** إذ للموجب الحق أن يرجع عن إيجابه. إلا المالكية الذين يلزمون الموجب بإيجابه **ولا يجيزون له** الرجوع.

**٢-موت المتعاقد أو فقده لأهلية التعاقد (بالحجر أو الجنون) :** سواء كان الميت هو الموجب الذي وجه إليه الإيجاب (لأن حق القبول أو خيار القبول لا يورث عنه، إذ الحقوق لا تورث، وهذا رأي جمهور الفقهاء)[١].

٣-رفض الإيجاب.

٤-انقضاء مجلس العقد.

٥-هلاك محل التعاقد كلياً أو جزئياً.

## موافقة عبارة العقد للإرادة[٢]

الرضا هو أساس العقود بدليل **(إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم)**.

وللحديث **(إنما البيع عن تراض)** [٣]

وقد أقام الشارع العبارة دليلاً على الرضا.

فإذا اختلفت الآراء الباطنة مع العبارة الظاهرة فالعبرة لأيهما؟

---

(١) الفتاوى الهندية ٣/٧. (٢) المدخل الفقهي صـ ٢٥٦. (٣) رواه ابن ماجة عن أبي سعيد/ صحيح الجامع ٢٣١٩

١-قال الشافعية: العبرة للعبارة الظاهرة. كالهازل.

٢-قال المالكية والحنبلية وجمهور الحنفية: العبرة للإرادة الباطنة.

فالعبارة لا تدل على الإرادة إلا مع شروطها:-

١-أن يعقد العاقد النطق بالعبارة: فالمجنون والناسي والسكران والنائم ليس لهم قصد.

٢-أن يعرف العاقد معنى العبارة: فإذا نطق بعبارة لا يفهم معناها فلا عبرة.

٣-أن يقصد العاقد استعمالها في المعنى المطلوب: فإن نطق بها للتعليم أو الحكاية فلا عبرة.

٤-أن يقصد العاقد إنشاء العقد الذي تنشئه العبارة والالتزام به: فلا عبرة بالهازل والمكره.

٥-أن يكون قصده موافقاً لقصد الشارع: فمثلاً عقد الهبة إذا كان المقصود منه التخلص من الحول ثم استرداد المال مرور الحول فهذا مخالفة لإرادة الشارع. فالهبة لتطهير النفس من البخل، وهذا العقد ليكرس البخل.

# أولاً: توفر القصد لدى الناطق بالعبارة

١- اتفق الفقهاء على بطلان عبارة النائم والمغمى عليه والمجنون والصبي غير المميز.

٢-السكران: الجمهور :يرى ترتب الالتزامات على عبارة السكران.

والحنبلية: يخالفون ويعتبرونها لاغية.

وبعض الفقهاء يفرقون بين السكر بمحرم، فيعتبرون عقود السكران عقوبة له، وبين السكر بغير محرم فيلغون عقوده.

والأصح أن عقود السكران لاغية، لأن إهدار عبارته قد يكون عقوبة له. والسكر جريمة حدد الشارع عقوبتها، والحكم بـ عبارته والالتزام بعقوده يعتبر عقوبة زائدة دون نص شرعي فلا تجوز.

## ١- المخطئ والناسي

لا عبرة بعبارة المخطئ والناسي لقوله تعالى: (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم). وللحديث (عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[1].

وخالف الأحناف فقالوا: بوجوب الاعتداد بعبارة الناسي والمخطئ، وذلك من أجل استقرار التعامل، وبثاً للثقة بين المتعاقدين.

## ٢-تلفظ العاقد بعبارة لا يعرف معناها

إذا تلفظ الفارسي بلفظ الطلاق أو النكاح دون أن يعرف معناها فلا عبرة به عند جمهور الفقهاء لا ديانة ولا قضاء.

وقال بعض الأحناف باعتدادها. والصحيح المفتى به عند الحنفية أنها لا تقع ديانة -فتوى-، ولكن تقع قضاء عند بعضهم.

## ٣- قصد العبارة دون قصد المعنى

ففي التعليم والحكاية لو قال طلقتك أو بعتك فقال آخر قبلت: لا يقع هذا العقد.

## ٤- عدم قصد إنشاء العقد

وذلك كالهازل والمكره.

أ- الهازل:

يقع هزله في العقود الخمسة: الزواج والطلاق والعتاق واليمين والرجعة لقوله ﷺ (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: الزواج والط

(١) صحيح رواه الطبراني ٣٠٠٩ صحيح الجامع.

والعتاق)[1] وفي بعض الروايات ذكر اليمين والرجعة.

هذه العقود الخمسة يغلب عليها الجانب الديني، وفيها حق لله تعالى فلا يمنع من انعقادها الهزل. إلا على رأي ضعيف بعدم اعتبار الهزل في الخمسة أما بقية العقود فالهزل لا ينشئها.

**أما الشافعية:** فيرون إعتبار عبارة الهازل في جميع العقود، لأن ترتب المسببات على الأسباب بعد وجودها من صنع الله وفعله، ولا دخل في ذلك لإرادة المكلف، والهازل قد أتى بالسبب، فيترتب عليه المسبب (العقد).

ومن هذا القبيل (بيع التلجئة) إظهار البيع الصوري للخلاص من ظالم أو من الضرائب، ومنه إعلان مهر زيادة عن المتفق عليه، ومنه إعلان ثمن زيادة عن ثمن البيع للتخلص من ملاحقة الشفيع.

**فهذه الصور جميعاً يجريها الشافعية على ظاهرها.**

## عبارة المكره

**عقود المكره:** باطلة عند الجمهور

**أما الحنفية :** فلهم رأيان في المكره:

أ-قسم يرى أن عقوده فاسدة: يترتب عليها بعض الآثار .

ب- قسم يرى أن عقوده صحيحة موقوفة على زوال الإكراه.

**أما العقود الخمسة** (التي يكفي فيها الاختيار ولا يشترط الرضا لصحتها: الزواج، الطلاق، العتق، الرجعة ، اليمين) فهذه تقع مع الإكراه، لأن المكره مختار لعبارتها غير راض بآثارها.

**أما بقية العقود:** فالشارع يطلب (الاختيار في انعقادها والرضا في صحتها) هذا رأي الحنفية.

**أما الجمهور فلا يفرقون بين الاختيار والرضا**، ويعتبرون هذه العقود الخمسة باطلة تحت الإكراه.

والحق أن رأي الحنفية مردود في هذا، ولو قالوا: أن العقود الخمسة تقع (فاسدة) ويكون لمن وقع عليه الإكراه أن يفسخ العقد بعد زوال الإكراه أو إجازته لكان لهذا القول وجه.

## ٥- مخالفة قصد العاقد لقصد الشارع

كبيع السلاح لقتل المسلمين، وبيع العنب لمن يعصره خمراً، والزواج للتحليل، وبيع العينة (بيع بضاعة بألف مؤجلة ثم شراؤها من نفس المشتري بثمانمائة حالة، واستئجار نائحة أو مغنية.

**الشافعية :** يميلون إلى صحة هذه العقود عملاً بالإرادة الظاهرة، لأن العقد في ظاهره لا ينطوي على شيء محرم، وهذا كان عند انعقاد العقد دون البحث عن النيات والبواعث.

**وقد وافق أبو حنيفة الشافعي** في بيع العنب لمن يعصره خمراً وفي زواج المحلل.

**أما المالكية والحنبلية:** فإنهم يحكمون ببطلان العقد إذا ثبت القصد غير المشروع والباعث المحرم

وقد وافق أبو حنيفة المالكية والحنبلية في تحريم بيع العينة.

## الإرادة المنفردة في العقد الإسلامي[2]

**العقد:** ارتباط القبول بالإيجاب شرعاً على وجه يظهر أثره في المحل .العقود بإرادة واحدة :

**أولاً: الجعالة :** من حفظ القرآن فله مائة دينار، من دخل الحصن أولاً فله سيارة، وفي السبق والرمي.

---

(١) د. ت. هـ. ومو حسن.    (٢) المدخل الفقهي / حسين حامد صـ ٢٧١

**والجعالة جائزة بشروط:**

١- أن يكون الجعل محدداً.

٢- العمل معلوم.

٣- ألا يحدد للفراغ منه زمناً معين.

والجعالة جائزة غير لازمة يجوز الرجوع عنها قبل البدء بالعمل.

**ثانياً-الوقف والوصية:** ينعقد العقد بمجرد اللفظ من الواقف أو الموصي.

**ثالثاً-الهبة:** تنعقد عند بعض الفقهاء بإرادة واحدة، وعند البعض لابد من إرادتين.

**رابعاً-الكفالة:** تنعقد عند بعض الفقهاء بإرادة واحدة، وعند البعض لابد من إرادتين.

**خامساً-اليمين.**

**سادساً-الطلاق والإبراء وسائر الإسقاطات.**

# انعقاد العقد بإرادة واحدة

**١-الشافعي وزفر:** لا يجيزان العقد بعبارة واحدة ، فلو وكلك شخص ببيع سيارة،ووكلك آخر بشراء سيارة فإنه لا يجوز لك أ تتولى عقد البيع عن الطرفين عندهما.

وقد استثنى الشافعي من ذلك الجد، فله أن يزوج أحد حفيديه من الآخر، وخالفه زفر.

وذلك لأن العقد إيجاب من عاقد وقبول من آخر، وكذلك في العقد حقوق والتزامات، ففي عقد البيع يلتزم البائع بتسليم المبي والمشتري صاحب الحق في تسلم المبيع، وفيه دائن ومدين، فالشخص الواحد يكون له الحق وعليه التزام، وهذا تناقض.

**(وأما المالكية والحنبلية):** وذلك لأن حقوق العقد ترجع إلى الموكل لا إلى الوكيل فإنهم يجيزون للشخص الواحد أن يتولى العق من الطرفين بإرادة واحدة، وذلك في جميع العقود، والشرط في ذلك أن تكون له صفة في إنشاء العقد عنهما، وقد عللوا هذا الرأي ب عبارة العاقد ذي الصفتين تمثل عبارتين، فإذا تعاقد الشخص عن نفسه أصيلاً وبوصفه وكيلاً أو ولياً عن غيره كانت عبارته قائمة مق الإيجاب بوصفه أصيلاً، ومقام القبول بوصفه وكيلاً.

**أما الحنفية:**

فيجيزون العقد في الزواج بعبارة واحدة ممن له صفة لطرفي العقد. أما المعاوضات المالية فلا يجيزونها بعبارة واحدة... وذ لأن حقوق العقد في هذه الطائفة من العقود تعود على العاقد لا على الأصيل .

ويبيح الحنفية استثناء من عقود المعاوضات المالية ( بيع الأب أو وصيه أو الجد مال الصغير الذي في ولايته من نفسه أو شر لنفسه، وكذا بيع الأب مال أحد ولديه الصغيرين من الآخر).

# محل العقد

ذكرنا أن أركان العقد ثلاثة :

١-الصيغة.

٢-المحل.

٣-العاقدان.

وقد تكلمنا عن الصيغة، والآن نتكلم عن المحل.

## شروط المحل

أن يكون قابلاً للتعامل — موجود — ممكن التسليم — معلوماً

بيع الملاقيح بيع الثمر قبل النضج

مالاً — متقوماً — مملوكاً — لا يتعلق به حق لازم

فلا يباع — غير الخمر — ليس مراعي — حق الله وحق العبد

١- الحر
٢- النجس الذي لا ينتفع به

## شروط محلّ العقد

١-أن يكون المحل قابلاً للتعامل فيه شرعاً.

٢-أن يكون موجوداً عند التعاقد.

٣-أن يكون مما يمكن تسليمه.

٤-أن يكون معلوماً للعاقدين.

## ١- قابلية محل العقد للتعامل

### أ- أن يكون مالاً:

١-فلا يجوز أن يكون إنساناً حراً.لا يجوز بيع لبن المرأة الحرة عند الحنفية خلافاً للشافعي.

**٢-أن يكون المحل طاهرا** (فلا يجوز أن يكون نجساً): فلا يجوز بيع النجاسات كالميتة والدم، قال في البدائع ١٤٢/٥ (وأما عظم الميتة وعصبها وشعرها وصوفها ووبرها وريشها وخفها وظلفها وحافرها فيجوز بيعها والانتفاع بها عندنا -الحنفية-، وعند الشافعي لا يجوز بيعها بناء على أن الأشياء طاهرة عندنا وعنده نجسة ، وأما شعر الآدمي وعظمه فلا يجوز بيعه لا لنجاسته لأنه طاهر على الصحيح من الرواية لكن احتراماً له والابتذال بالبيع يشعر بالاهانة.

... وروي عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه لا بأس ببيع عظم الفيل والانتفاع به، وقال محمد: عظم الفيل نجس لا يجوز بيعه ولا الانتفاع به)[(١)]

**٣-أن يكون الشيء منتفعا به**: فلا يجوز بيع الحشرات والغربان والسباع لأنها لا ينتفع بها (لا في الأكل ولا في الصيد ولا في الزينة).

وأما ما فيه نفع يمنع منه الشرع فقد مثل له الفقهاء بآلات اللهو والمعاصي، فقد اعتبروا المنفعة التي ينهى عنها الشرع معدومة شرعاً **(والمعدوم شرعاً كالمعدوم حساً)** ، فكأن هذه الأشياء غير منتفع بها فلا يجوز بيعها. ولأن **(ما لا منفعة فيه لا قيمة له، فأخذ العوض عنه من أكل المال بالباطل، وبذل العوض فيه من السفه)**.

**قال النووي في المجموع ٢٥٦/٩** (آلات الملاهي كالمزمار والطنبور وغيرها إن كانت لا تعد بعد الرضى والحل مالاً لم يصح بيعها لأنه ليس فيها منفعة شرعاً، وإن كان رضاضها يعد مالاً ففي صحة بيعها خلاف والمذهب البطلان مطلقاً).

---

(١) راجع ابن رشد/ بداية المجتهد ١٢٦/٢.

وقال الكاساني في (بدائع الصنائع) ٥/ ٤٤ (ويجوز بيع آلات الملاهي من الطبل والمزمار ونحو ذلك عند أبي حنيفة لكنه يكر وعند أبي يوسف ومحمد لا ينعقد بيع هذه الأشياء لأنها آلات معدة للتلهي بها موضوعة للفسق والفساد، فلا تكون أموالاً فلا يجو بيعها ... ولو كسرها إنسان ضمن عند أبي حنيفة، وعندهما لا يضمن، وعلى هذا الخلاف بيع النرد والشطرنج) ورأي الصاحب أحب إلينا وأقرب إلى روح الشريعة.

## ب- أن يكون متقوماً :

وعلى ذلك فلا يجوز التعامل في الأموال غير المتقومة (وهي ما كانت أموالاً عند البعض دون البعض) كالخمر والخنزير فإن أموال عند أهل الذمة وليست مالاً عند المسلمين.

جاء في الزيلعي ٤/ ٤٤ (بيع ما ليس بمال عند أحد كالدم والميتة التي ماتت حتف أنفها باطل . وإن كان مالاً عند البعض كالخمر والخنزير فإن هذه الأشياء مال عند أهل الذمة ، فإن بيعت بدين في الذمة فهو باطل، وإن بيعت بعين فهو فاسد في حق ما يقابلها حتى يملك ويضمن بالقبض، باطل في حق نفسها حتى لا تضمن ولا تملك بالقبض لأنها غير متقومة ، لما أن الشرع أمر بإهانتها ، وفي تملكها بالعقد مقصوداً إعزاز لها فكان باطلاً).

## جـ - أن يكون مملوكاً:

فلا يجوز التعامل فيما لا يقبل الملك من الأموال العامة أو المشتركة كالمراعي والمياه والطرقات والأسواق والقنوات، ولا يجوز بيع الطير في الهواء والسمك في الماء.

## د - أن لا يتعلق به حق لازم: والحق إما أن يكون:

أ-حقاً لله: فلا يجوز التعامل في المساجد بالبيع والرهن، وحقوق الله هي التي فيها حفظ الضروريات الخمسة (النفس ، المال العقل، الدين، النسل، وبعضهم أضاف العرض).

ولذا قال الفقهاء: (أن حقوق الله لا يجوز للأفراد التنازل عنها ولا الإبراء منها ولا التصالح عليها، كما أنه ليس لهم أن يتفقوا على ما يخالفه أو يقوته).

وعلى ذلك فإن اتفاقات الأفراد يجب أن لا تفوت حقاً من حقوق الله تعالى وإلا كانت باطلة لا تنتج أثراً.

ولذا يقول فقهاء المسلمين بأن حق الله تعالى: هو الذي يترتب على حفظه وصيانته تحقيق مصلحة عامة للمسلمين.

وأما حق الفرد: فهو الذي يترتب على حمايته وحفظه تحقيق مصلحة خاصة بصاحب الحق.

فإقامة الحدود حق الله تعالى، ومن ثم لم يجز للأفراد أن يتنازلوا عنها، في حين أن استيفاء الديون حق للعباد، ولذا جاز لصاحب الدين أن يبرئ المدين منه.

# ٢- أن يكون المحل موجوداً عند التعاقد

فلا يجوز بيع اللبن في الضرع، ولا الثمر قبل أن يوجد، ولا بيع الحمل في البطن، فلابد لوجود المحل.

أ- أن يكون المحل موجوداً في الواقع لا في ظن العاقدين. كمن قال بعتك هذا الياقوت فتبين أنه زجاج فالعقد باطل .

ب- أن يكون المحل موجوداً على الصفة التي تم عليها العقد.

فلا يجوز بيع الدقيق في الحنطة والزيت في الزيتون واللحم في الشاة . (نهى ﷺ عن بيع المضامين والملاقيح وحبل الحبلة) (١).

---

(١) ٦٨١٤ صحيح الجامع رواه الطبراني. المضامين: ما في أصلاب الفحول. والملاقيح في الأجنة

مثـــال:

## ١- بيع الثمار والزروع مدركة قبل الإدراك

أي بيعها ناضجة قبل النضوج.

جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما (**نهى رسول الله ﷺ عن بيع النخل حتى يزهو، وعن السنبل حتى يبيض ويأمن العاهة**).

الزهو: البسر الملون (إذا ظهرت الحمرة أو الصفرة في النخل)[1].

**قال ابن قدامة في المغني ٣/٧٤**(لا يخلو بيع الثمرة قبل بدو صلاحها من ثلاثة أقسام:

١-**أحدها**: أن يشتريها بشرط التبقية، فلا يصح البيع إجماعاً (لأن النبي ﷺ **نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها؛ نهى البائع والمبتاع**)[2] والنهي يقتضي الفساد.

٢- **الثاني**: أن يبيعها بشرط القطع في الحال، فيصح بالإجماع، لأن المنع إنما كان خوفاً من تلف الثمرة وحدوث العاهة قبل أخذها بدليل ما روي عن أنس أن النبي ﷺ (**نهى عن بيع الثمرة حتى تزهو، قال أرأيت إذا منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه**) [3]. وهذا مأمون فيما يقطع فصح بيعه كما لو بدا صلاحه.

**القسم الثالث**: أن يبيعها ولم يشترط قطعاً ولا تبقية، فالبيع باطل، وبه قال مالك والشافعي، وأجازه أبو حنيفة، لأن إطلاق العقد يقتضي القطع، فهو كما لو اشترطه، ومضى النهي أن يبيعها قبل إدراكها[4].

## ٢- الثمار المتتابعة

الثمار المتتابعة كالبطيخ والقثاء التي تقطف عدة مرات (تخرج بطناً بعد بطن) والباذنجان كذلك إذا باعها بطونا متعددة يبطل العقد. لأن البطن الذي لم يخرج يعتبر معدوماً، وبيع المعدوم لا يجوز.

وقد أجاز المالكية وبعض الحنفية كالحلواني هذا البيع ، وذلك لأن ما لم يخرج تبع لما خرج للضرورة.

**جاء في المغني ٤/٢١٩** (ولا يجوز بيع القثاء والخيار والباذنجان وما أشبهه إلى لقطة لقطة، وبهذا قال أبو حنيفة والشافعي ... وقال مالك يجوز بيع الجميع لأن ذلك يشق تمييزه).

## ٣- بيع الدقيق في الحنطة والزيت في الزيتون

لا يجيزه الحنفية.

ويجيزه المالكية بشروط ثلاثة:

١-أن يقع العقد على قدر معين لا جزافاً (جملة الزيت في الزيتون أو الدقيق في الحنطة).

٢- أن يكون الخارج من الزيت لا يختلف في العادة.

٣- أن يكون العصر أو الطحن قريباً (قال الخرشي: عشرة أيام).

## التبرع بالمعدوم

التبرع بالمعدوم جائز -عند المالكية- كأن تقول وهبتك ما تلده هذه البقرة.

**فالقاعدة عندهم**: أن الغرر في التبرعات يجوز وإن كان كثيراً.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي انظر صحيح الجامع رقم ٦٨١٥. (٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري. (٤) (ص ٢٩٧ المدخل حسين حامد).

ولا يجوز في عقود المعاوضات وإن قلّ، وأما العقود التي لها شبه بالتبرع وشبه بالمعاوضات كالزواج والرهن فإنها تجوز مع الغرر القليل دون الكثير[1]

## ٣- القدرة على التسليم

يجب أن يكون محل العقد مقدوراً عليه في التسليم، والعجز عن التسليم نوعان:

أ- **العجز المطلق (الكل أحد)** كالطير في الهواء والسمك في الماء، وحكم العقد البطلان.

ب- **العجز النسبي (غير مطلق)** أي عجز عن التسليم بالنسبة للبائع أو الراهن، مثلاً كعجز البائع عن تسليم سيارته المغصوبة، ولكن يسلّمها للمشتري بقوة السلطان.

وحكم العقد إما: البطلان، أو: الصحة مع وقف النفاذ.

والاستحالة (العجز) عن التسليم كذلك قسمان :

١-**حسّي:** كالسمك في الماء.

٢-**شرعي:** كبيع جذع في سقف لا يسلّم إلا بهدم السقف.

**وفي الحالتين:العقد باطل عند الفقهاء.**

**إلا عند المالكية:** فإنهم يفرقون في حالة الجذع في السقف بين إمكانية تسليم الجذع بهدم البناء: فالعقد حرام ديانة صحيح قضاء، وبين احتمال تلف الجذع نفسه إذا هدم البناء : فالعقد باطل.

## التبرع بغير المقدور على تسليمه

ذكرنا سابقاً أن المالكية أجازوا التبرع بالمعدوم، وكذلك فهم (المالكية) يجيزون التبرع بغير المقدور على تسليمه، وقد ألحق بعض المالكية العقود التي تدور بين التبرعات والمعاوضات (كالزواج والرهن) بعقود التبرع، أي أجازوها عند عدم القدرة على التسليم.

## ٤- العلم بمحل العقد[2]

**العلم بمحل العقد:** تعيينه.

**تعيين المحل:** يكون بالعلم به علماً يمنع الجهالة الفاحشة التي تفضي إلى المنازعة، وللعلم بمحل العقد طريقان:

أ-**الرؤية:** فإذا كان محل العقد موجوداً في مجلس العقد فلا بد من الرؤية عند الجمهور، فإذا لم يره المتعاقدان كان العقد باطلاً، وبه قال الشافعية[3]

**أما المالكية:** فأجازوا الوصف إذا تعذرت الرؤية -الحطاب ٣٨٥/٤. وبعض الفقهاء أجازوا الوصف ولا تلزم الرؤية، بل تكفي الإشارة إليه إذا كان في مكان مستتر، كالحنطة في الكيس، والأمتعة في ظروفها[4].

ب- **الوصف:** يرى الشافعية أن الوصف في محل العقد غير جائز فلابد من الرؤية .

**أما الجمهور من الحنفية والمالكية والحنبلية:** فيرون جواز العقد إذا كان الوصف دقيقاً ينفي الجهالة الفاحشة.

والمبيع قسمان:

أ- **معين بالذات:** كأن يبيع سيارته وليس عنده غيرها:فيجوز بالوصف الدقيق.

ب- **غير معين بالذات:**

١-**ففي المثليات:** لابد من ذكر: الجنس والنوع والقدر.

---

(١) الخرشي ٢٢٦/٥ المدونة ٢٤١/٥ المنتقى شرح الموطأ ٢٤٢/٥.

(٢) المدخل لحسين حامد ص ٣١١.

(٣) مغني المحتاج ٢٤/٢

(٤) الإقناع ٦٥/٢.

**٢- الأشياء المتفاوتة:** لا يجوز البيع بالوصف.

**وأجاز الحنفية:** بيع أحد ثوبين أو ثلاثة مع حق خيار التعين وذلك بالاستحسان وليس بالقياس، ولم يجيزوه في أكثر من ثلاثة،

والذين أجازوا البيع بالوصف :اشترطوا خيار الرؤية سواء طابق المبيع الوصف أو لم يطابق. والبعض الآخر اشترطوه إذا لم يطابق.

والأشياء المثلية هي: **المكيلات والموزونات والمذروعات العدديات المتقاربة.**

- **وقد أجاز بعض الفقهاء** أن يباع الحمام جزافاً في البرج -لا خارجه- في الليل لا في النهار حتى يكون الحمام كله داخل البرج.

**والأحناف:** فرّقوا بين المكيلات والموزونات والعدديات المتقاربة من جهة وبين المذروعات من جهة أخرى.

فإن كان في المذروع زيادة أخذها المشتري دون مقابل، وإن كان في المبيع نقص كان للمشتري الخيار: إن شاء أخذه بكل الثمن وإن شاء تركه.

وذلك كالزيادة في الصفة كمن اشترى سيارة على أن فيها راديو فلم يجد فيها راديو، أو اشترى داراً ليست على شارع فمدت الحكومة بجانبها شارع.

# العاقدان

ذكرنا سابقاً أن أركان العقد هي :

١-الصيغة.

٢-المحل.

٣-العاقدان.

وقد تكلمنا سابقاً عن الصيغة والمحل، والآن نتكلم عن العاقدين.

العاقد له حالتان:

**أ- إما أن يبرم العقد لنفسه :** فيشترط فيه شرط واحد وهو: الأهلية.

**ب-إما أن يبرم العقد لغيره:** فيشترط فيه شرطان وهما: الأهلية والولاية.

والولاية أو السلطة المخولة أنواع:

**١-ولاية مصدرها الشرع:** كولاية الأب على ابنه.

**٢-ولاية مصدرها الاتفاق:** كولاية الوكيل في إبرام العقد.

**٣-ولاية مصدرها القضاء:** كولاية وصي القاضي.

# الأهلية

**الأهلية:** هي الصلاحية لغة.

**اصطلاحاً:** الصلاحية لثبوت الحقوق واستعمالها، ووجوب الالتزامات ووفائها. وهي نوعان:

**١- أهلية الوجوب:** صلاحية الإنسان لأن تثبت له الحقوق وتجب عليه الالتزامات.

**٢- أهلية الأداء:** صلاحية الإنسان لاستعمال هذه الحقوق وأداء تلك الالتزامات.

أهلية الوجوب:

صلاحية الإنسان لأن تثبت له الحقوق وتجب عليه الالتزام.

الذمة: محل هذه الحقوق وتلك الالتزامات.

وأهلية الوجوب قسمان:-

**أ- أهلية وجوب كاملة:** بعد الولادة.

**أهلية وجوب ناقصة:** الجنين قبل الولادة: تثبت له الحقوق ولا تجب عليه الالتزامات.

**تثبت له الحقوق مثل:** العتق، الإرث، الوصية، النسب.

**ولا تجب عليه الالتزامات مثل:** نفقة الأقارب، دية العاقلة في قتل الخطأ[1].

مناط أهلية الوجوب (ناط الشيء علقه، والمناط المكان الذي تتعلق به).

**مناط أهلية الوجوب:** الإنسانية.

**أما الميت فله أهلية وجوب:**

**١-إمّا ناقصة:** على رأي بعض الفقهاء: لأن الحقوق التي كانت ثابتة له قبل الوفاة تستمر حتى تؤدى ديونه وتنفذ وصاياه.

فهذا الرأي يرى أن الميت: لا تثبت له حقوق ولا تجب عليه التزامات .

**٢-والرأي الثاني:** الميت له أهلية وجوب كاملة، لأنه تثبت له الحقوق التي باشر أسبابها في حياته . كنصب شبكة للصيد.

ما يثبت بأهلية الوجوب:

**١- الجنين:** تثبت للجنين بأهلية الوجوب بعض الحقوق دون بعضها، ولا تلزمه الواجبات مطلقاً.

**٢-الصبي بعد ولادته:** تثبت له الحقوق وتجب عليه الالتزامات، ولكنها الالتزامات التي يصلح لها وهو استطاعته أداءها.

للصبي بالنسبة للالتزامات حالات:

**١- الالتزامات المالية الخالصة:** تثبت في ذمة الصبي كضمان المتلفات والزكاة على رأي الجمهور خلافاً للحنفية ، ونفقة الأقارب.

**٢-العقوبات:** لا تجب عليه ولا تثبت في ذمته لعدم صلاحية الصبي للعقوبة، لأن العقوبة: جزاء التكليف وهو غير مكلف.

**٣-العبادات:** لا تجب على الصبي لأنه ليس من أهل الأداء لعدم كمال عقله وتمييزه.

ولذا فأهلية الوجوب الكاملة قسمان:

**أ- أهلية وجوب قاصرة:** كالصبي والمرأة والعبد.

**ب- أهلية وجوب تامة:** للإنسان البالغ العاقل الرشيد.

## أهلية الأداء

**هي صلاحية الإنسان لأن تصدر عنه أقوال وأفعال معتبرة شرعاً.**

وهي ثلاثة أنواع:

**أ- أهلية العقوبات :** وهي أهلية الشخص الذي يفعل المحرمات لتلقي العقوبة.

**ب- أهلية العبادات :** وهي أهلية الشخص الذي يفعل الواجبات لتلقي الثواب في الدارين.

**جـ - أهلية التصرفات والمعاملات :** وهي أهلية الشخص الذي يفعل المباحات لإنتاج آثارها .

(١) المدخل الفقهي/حسين حامد / صـ ٣٢٧.

وهذه الأنواع الثلاثة تثبت للعاقل البالغ.

**أما الصبي المميز:** أهل للتصرفات دون العقوبات والعبادات.

### مناط أهلية الأداء : العقل والتمييز.

**علامة العقل :** سن البلوغ.

**علامة التمييز :** سن السابعة/ رأي الحنفية/ أما الجمهور فيرون التميز بسن البلوغ.

### أنواع أهلية الأداء:

أ- **أهلية الأداء الناقصة:** كالصبي الذي بلغ سبع سنين، والمعتوه الذي لم يذهب عقله، وهذه الأهلية:

**١- لا تكفي في التكليف بالعقوبات.**

**٢-تكفي لصحة العبادات دون وجوبها أو الإلزام بها.** فالعبادة تصح من الصبي المميز ولا تجب عليه.

فالصلاة والصوم والحج ليس واجبة على الصبي المميز، ولكن أداءها منه صحيح. فيترتب الثواب في الآخرة دون سقوط الوجوب وبراءة الذمة، فحجة الصبي المميز لا يسقط عنه حجة الإسلام، فإذا بلغ وحج حجة الإسلام يكتب له حجتان.

وترتب الثواب على عبادة الصبي المميز يستلزم أن يكون الشارع قد خاطبه بها خطاب ترغيب أو تخيير.

**والراجح :** أن الصبي المميز لا يتوجه إليه خطاب التكليف بالعبادة مطلقاً (سواء بمعنى الوجوب أو بمعنى التخيير)[١].

**٣- بالنسبة لصحة التصرفات:** يقسم الحنفية التصرفات عامة إلى ثلاثة أقسام :

### تقسيم الحنفية والمالكية للتصرفات بالنسبة للصبي المميز إلى ثلاثة أقسام :

**١-التصرفات النافعة نفعاً محضاً :** كقبول الهبة والصدقة، فهذه تصح منه ويترتب عليها أثرها وهو انتقال الملك إليه.

**٢- التصرفات الضارة ضرراً محضاً:** كالصدقة والطلاق والعتق والوقف تبطل منه لأنه ليس أهلاً لها.

**٣- التصرفات التي تحتمل النفع والضرر:** كالبيع والإجارة، فإنها تصح بإذن الولي قبل إجرائها.

**وقال الحنفية:** الإجازة اللاحقة كالإذن السابق.

**أما الجمهور:** فيرون أن خطاب التكليف لا يتوجه إلى الصبي المميز مطلقاً، لعدم ثبوت أهلية الخطاب لديه، ولذلك يحكمون ببطلان تصرفاته كلها، لا فرق بين النافع والضار، وما احتمل النفع والضرر.

## أهلية الأداء الكاملة

تثبت للشخص بتمام عقله وكمال تمييزه وذلك بالبلوغ عاقلاً راشداً .

**البلوغ:**

١-بالعلامة: احتلام الصبي وحيض الأنثى.

٢-بالسن: الجمهور: خمسة عشر عاماً عند الصبي والأنثى.

أ- في الحديث عن علي وعمر رضي الله عنهما قال ﷺ: **(رُفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم)** [٢].

ب- وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما : عرضت على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني، وعرضت

(١) المدخل الفقهي / حسين حامد ص ٣٢١.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والحاكم صحيح الجامع ٣٥٠٦.

عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني) فقال عمر بن عبد العزيز: إن هذا هو الفرق بين الصغير والكبير(١).

**(فإن آنستم منهم رشداً)** يعني صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم، كذا روي عن ابن عباس والحسن البصري وغير واحد من الائمة، وهكذا قال الفقهاء: إذا بلغ الغلام مصلحاً لدينه وماله انفك الحجر عنه، فيسلم إليه ماله الذي تحت يد وليه(٢).

**الحنفية:** ثمانية عشر عاماً للذكر، سبعة عشر عاماً للأنثى.

فإذا بلغ الصبي عاقلاً راشداً يكون له أهلية كاملة، لأن البلوغ علامة كمال العقل والتمييز، ولكن لابد قبل دفع الأموال من الرشد.

## الرشد:

أوجب الله تعالى علينا أن لا نسلم الأموال لليتيم إلا بشرطين:

١-بلوغ النكاح.

٢-الرشد.

**(وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم).**

## تعريف الرشد:

**الرشد عند الجمهور :** هو التصرف في المال على مقتضى العقل.

**والسفه:** إساءة التصرف بالأموال.

**الرشد عند الشافعية:** الصلاح في المال والدين جميعاً.

فالفاسق الذي يتقن التجارة يعتبر سفيها عند الشافعية، لأن فسقه يعدمه الثقة في نفوس الناس فلا يسلم أمواله.

**أما أبو حنيفة:** فيرى أنه إذا بلغ الشخص الخامسة والعشرين فلابد أن تسلم إليه أمواله، ولا يحجر عليه بعد هذا، لأن الحـ إهدار للآدمية، وحفظ النفس مقدم على حفظ المال.

وكذلك يقول أبو حنيفة:من بلغ راشداً فلا يحجر عليه وإن طرأ عليه سفه وإن كانت سنه دون الخامسة والعشرين.

**سن الرشد :** لم يحدد الفقهاء سناً للرشد.

وحدده القانون الوضعي المصري بسن (٢١) سنة (إحدى وعشرين سنة).

**والبالغ العاقل :** تجعل الشخص صالحاً لخطاب التكليف بجميع أنواعه لأنه تصبح لديه (الأهلية الكاملة للأداء).

**فالبالغ العاقل:** صالح لخطاب العقوبات.

**والبالغ العاقل :** صالح لخطاب العبادات.

ولكن قد يطرأ على البالغ ما يمنع التلازم بين (ثبوت العبادة في الذمة ووجوب أدائها).

**فالمريض:** مخاطب بالصوم ولذا يثبت في ذمته ولكنه غير مخاطب بأدائه أثناء مرضه .

**والنائم والمغمى عليه :** مخاطب بالعبادة فتثبت في ذمته، ولكنه غير مخاطب بأدائها أثناء النوم والإغماء. **هذا هو رأي الحنفية.**

**رأي الجمهور:** هنالك تلازم بين ثبوت العبادة في الذمة وبين أدائها في وقتها.

**فالنائم المغمى عليه:** لا يتوجه إليهما خطاب التكليف ولا تثبت العبادة في ذمته.

**قضاء صلاة النائم والمغمى عليه:** بالخطاب الأول عند الحنفية، وبخطاب جديد عند الجمهور.

## أدوار أهلية الأداء عند الحنفية والمالكية:

**١-منذ الولادة حتى السابعة:** لا أهلية أداء له مطلقاً.

---

(١) مختصر ابن كثير ١/٣٥٨. (٢) مختصر ابن كثير ١/ ٣٥٨

**٢-من السابعة حتى البلوغ:** له أهلية أداء ناقصة.

**٣-ما بعد البلوغ :** له أهلية أداء كاملة.

## عوارض الأهلية[1]:

ذكرنا سابقاً أن الأهلية قسمان:

**١-أهلية الوجوب:** وهذه مناطها الإنسانية؛ ولذلك مادام الإنسان حياً فإنها تبقى، وبعضهم قال: إنها تستمر بعد الموت لفترة حتى تنفذ الوصايا ويسدّ الدين.

**٢-أهلية الأداء:** وهذه مناطها العقل والتمييز والرشد، وقد يطرأ على العقل أو الرشد ما يستره أو ينقصه أو يذهب به فيؤثر على الأهلية، وهذا الطارئ يسمى عارض الأهلية.

## عوارض الأهلية:

١- العوارض السماوية.

٢-العوارض المكتسبة.

**أولاً:** العوارض السماوية هي العوارض الإلهية التي ليس للإنسان فيها تدخل، وهي خارجة عن قدرة العبد واختياره. وهي عشرة:

١-الصغر .٢-الجنون. ٣-العته. ٤-النسيان. ٥-النوم. ٦-الاغماء. ٧-الرق. ٨-المرض. ٩-الحيض. والنفاس. ١٠-الموت.

# ١- الصغر

ذكرنا سابقاً أن الصغير له أهلية وجوب.

**وأما أهلية الأداء :** فعند الحنفية والمالكية يرون للصبي المميز أهلية أداء ناقصة، وذكرنا أنواع التصرفات وحكمها بالنسبة للصبي المميز. أما الجمهور فيرون أن أهلية الأداء معدومة حتى البلوغ.

# ٢- الجنون

يؤثر في أهلية الأداء فيعدمها بأنواعها الثلاثة:

١- أهلية العقاب.

٢- أهلية العبادة.

٣- أهلية التصرف.

# ٣- النوم والإغماء

النوم والإغماء لا يزيلان العقل ولا ينقصانه، ولكن يمنعان من استعماله، وعلى هذا فإن النوم والإغماء ينفيان الأهلية لخطاب التكليف. وكذلك ينفيان شرطين آخرين من شروط التكليف هما: الاختيار والقدرة على فعل المأمور به.

فلا قدرة للنائم ولا اختيار له أصلاً، لأنه يخل بالتمييز، وتأثير النوم والإغماء كامل بالنسبة لخطاب الجنايات والتصرفات، ولكن تأثيره ناقص بالنسبة لخطاب العبادات، فإنه يجب على النائم والمغمى عليه قضاء العبادات التي فاتته أثناء النوم والإغماء.

**وقال الحنفية:** إن وجوب القضاء وجوب الأداء، وهذا يدل أن العبادة قد ثبتت في ذمة النائم، لأن الثبوت يحتاج فقط إلى أهلية وجوب.

---

(١) المدخل الفقهي / حسين حامد ٣٣٦.

# ٤- النسيان

**النسيان:** أمر يعتري الإنسان بدون اختياره، فيوجب الغفلة عن الحفظ، أو (هو جهل ضروري غير مكتسب بما كان يعلمه مع علمه بأمور كثيرة لا بآفة).

مع علمه بأمور: احتراز عن النوم والإغماء.

لا بآفة : احتراز عن الجنون.

## تأثير النسيان على أهلية الأداء:

يؤثر على العبادات فتثبت في ذمته، ولكن يطالب بأدائها بعد الذكرى، أما العقوبات والتصرفات فإنه يؤثر عليها ويزيلها .

**قال الحنفية:** النسيان قسمان:

١- **نسيان مع وجود مذكر:** (هذا تقصير من المكلف)، فهذا لا عذر لصاحبه، كمن تكلم في الصلاة تبطل صلاته لأن الصلاة مذكر.

٢- **نسيان مع عدم وجود مذكّر** (وهذا عذر لصاحبه) كالأكل أثناء الصوم، فالصوم ليس مذكراً كالصلاة، وكذلك التسمية على الذبيحة، فالذبح ليس مذكراً بالتسمية.

أما الجمهور فيرون أن العبادة لا تثبت في الذمة أثناء النسيان، ولذا فقضاؤها يكون بأمر جديد.

# كتاب الكفالـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

# الكفالـــــــة

يرد كتاب الكفالة -غالباً- في كتب الفقه بعد كتاب البيع، لأنه قد لا يطمئن البائع إلى المشتري، فيحتاج إلى من يكفله بالثمن وقد لا يطمئن المشتري إلى البائع، فيحتاج إلى من يكفله بالمبيع (في عقد السلم) .

## فضائلها:

إن للكفالة أجرا وثواباً لأنه تفريج كربة من كرب المسلمين، فهي تفريج لكرب البائع الخائف على ماله، وتفريج لكرب المدين الخائف على نفسه، فهي قربة إلى الله، وتنفيس عن المسلمين.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ **«ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ...»**[1].

جاء في الدر المختار[2] (وتركها أحوط ، مكتوب في التوراة الزعامة أولها ملامة وأوسطها ندامة وأخرها غرامة)

## أسمـاؤهـــا:

الكفالة، الضمان، الحمالة، الزعامة، العبارة.

والرجل الذي يتكفل يسمى: كفيل، ضمين، حميل، زعيم، صبير.

١-فالضامن والضمين : بالمال.

٢-الحميل: بالدية.

٣-الزعيم: بالمال العظيم.

٤-الكفيل: بالنفس.

٥-الصبير: يعم الكل [3] .

هذا ما غلب استعماله في هذه الاصطلاحات، وإلا فإن كل واحد منها يمكن إطلاقه على الكل.

قال ابن حبان: الزعيم لغة أهل المدينة، والحميل لغة أهل العراق، والكفيل لغة أهل مصر) [4] .

## معنى الضمان والكفالة لغة:

**الضمين:** الكفيل، ضمن الشيء: وبه ضمنا وضمانا: إذا كفله .

**ضمّنه إياه:** كفّله، ضمنته الشيء: غرّمته.

**ضمّن الشيءَ:** أي أودعه إياه كما تودع الميت القبر وقد تضمنه هو.

**والمضامين:** ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهن تضمنّه.

**(الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن):** فالإمام كأنه متكفل لهم بصحة صلاتهم .

ولذا: فالضمان إما: من الضم: لأنه ضم ذمة إلى ذمة .

---

(١) رياض الصالحين صـ ١٢٥.　　(٢) حاشية ابن عابدين ٤/ ٢٨٣.

(٣) انظر نهاية المحتاج للرملي ٤/٤١٨ . فتح القدير على الهداية ٦/٢٨٢، شرح المجلة لسليم رستم باز ٣٢٣، المغني لابن قدامة ٤/٥٩٠، بداية المجتهد ٢/٢٦١.　　(٤) نصب الراية ٤/٦

أو من الضمن: الاحتواء لأن ذمة الضمين تحتوي الحق.

**أما الكفالة:** فهي من كَفَل، وبالفتح أصح، يكفلُ: ضم إلى نفسه شيئا يرعاه (وكفلها زكريا) أي ضمها إليه ليقوم بمصالحها

**والكِفل :** كساء يوضع تحت الرجل.

**الكِفْل من الرجال:** الذي في مؤخرة الحرب همه في التأخر والفرار .

**الكِفْل:** المِثل (يؤتكم كِفْلين من رحمته).

**قال ابن الأنباري:** تكفلت بالشيء: ألزمته نفسي، وأزلت عنه الضيعة والذهاب، وهو مأخوذ من الكِفل: وهو ما يحفظ الراكب من خلفه، **فالكفالة:** تحمي آخر الديْن. فكأن عاقبة الدين محمية .

**والكَفيل:** الضامن، والأنثى : كفيل أيضا .

**جمع الكافل:** كُفَّل.

**جمع الكفيل:** كُفلاء.

**وسميَّ ذو الكفل بهذا الاسم:** قيل: كفل كل يوم بمائة ركعة فوفى بها، وقيل:لأنه كان يلبس كساء كالكِفل (ما يوضع تحت السرج).

**وقيل :** لأنه كفل جماعة من الأنبياء لملك أراد قتلهم.

**وقال الزجاج:** إن ذا الكفل سميَّ بهذا الاسم لأنه تكفل بأمر نبي في أمته فقام بما يجب فيهم[1] .

## الكفالة اصطلاحاً:

عرفها ابن قدامة في المغني[2]: ضم ذمة الضامن إلى ذمة المضمون عنه في التزام الحق، فيثبت في ذمتهما جميعاً.

وعرفها الرملي في نهاية المحتاج[3] (تطلق على التزام الدين والعين والبدن وعلى العقد المحصل لذلك).

**اعتراض:** وقد أخذ على الحنبلية والشافعية (ابن قدامة، الرملي) أنهم يعتبرون الدين ثابتاً في ذمة المكفول وفي ذمة الكفيل، وهذا يجعل الدين الواحد دينين.

**وقد أجابو على هذا الاعتراض بأجوبة[4]:** ١- إن الدين وإن كان في ذمة الكفيل فالاستيفاء لا يكون إلا من أحدهما قياساً على الغاصب وغاصب الغاصب، فإن كليهما ضامن للقيمة وليس حق المالك إلا في قيمة واحدة لأنه لا يستوفي إلا من أحدهما.

٢- اختيار المكفول له (الدائن) تضمين أحدهما يوجب براءة الآخر .

٣- لو وهب الدين للكفيل صح، ويرجع الكفيل على الأصيل به، مع أن هبة الدين ممن ليس عليه الدين لا تصح.

٤- لو اشترى الطالب بالدين شيئا من الكفيل صح ويرجع به على الأصيل، والشراء بالدين لا يصح من غير من عليه الدين.

**تعريف الحنفية (الهداية)[5]:** ضم الذمة إلى الذمة في المطالبة. وقيل في الدين، والأول أصح.

وقد رجحوا التعريف الأول ليشمل أنواع الكفالة .

**الذمة لغة:** العهد.

**شرعاً:** محل عهد جرى بينه وبين الله تعالى يوم الميثاق .

وفي البحر الرائق ٢٠٤/٦ (وصف شرعي به الأهلية لوجوب ما له وما عليه)، وفسرها فخر الإسلام : بالرقبة أو النفس.

أو: وصف صار به الإنسان مكلفاً.

**فالذمة:** كالسبب.

**والعقل :** كالشرط .

---

١) أنظر معنى ضمن في لسان العرب ١٣/ ٢٥٩، ومعنى كفل في لسان العرب ٥٨٨/١١ والنهاية في غريب الحديث لابن الاثير ١٩٢/٤.

(٢) المغني ٥٩٠/٤. (٣) نهاية المحتاج/المنهاج ٤١٨/٤. (٤) أنظر شرح المجلة لباز ٣٣٤. (٥) فتح القدير/ الهداية ٢٨٢/٦

ثم استعير على القولين للنفس والذات بعلاقة الجزئية والحلول، فقولهم وجب في ذمته أي على نفسه.

**اعتراض:** اعترض على هذا التعريف بأنه لو كانت الكفالة الضم بالمطالبة فقط بدون دين لزم أن لا يؤخذ المال من تركة الكفيل، لأن المطالبة تسقط عنه بموته كالكفيل بالنفس، فإنه لما كان كفيلاً بالمطالبة فقط بطلت الكفالة بموته، مع أنهم صرحوا أن المال يحل بموت الكفيل، وأنه يؤخذ من تركته.

**وفي المجلة** [1] الكفالة: ضم ذمة إلى ذمة في مطالبة شيء.

## مصطلحات الكفالة

**الكفيل:** هو الذي ضم ذمته إلى ذمة الآخر (أي الذي تعهد بما تعهد به الآخر).

**المكفول له:** هو الطالب والدائن في خصوص الكفالة.

**المكفول عنه (الأصيل):** الذي عليه الدين أصلاً (المطلوب من الدين).

**المكفول به:** هو الشيء الذي تعهد الكفيل بأدائه وتسليمه. وفي حالة الكفالة بالنفس هو المكفول عنه أيضا لأنه نفس المكفول به.

## أنواع الكفالة

١-**الكفالة بالنفس:** هي الكفالة بشخص واحد.

٢-**الكفالة بالمال:** هي الكفالة بأداء مال.

٣-**الكفالة بالعين:** هي الكفالة بتسليم شيء لمستحقه.

٤-**الكفالة بالدرك:** هي الكفالة بأداء ثمن المبيع وتسليمه أو بنفس البيع إن استحق المبيع [2]

## أدلة الكفالة

أدلتها من ١- الكتاب ٢-والسنة ٣- والاجماع.

١-**الدليل من الكتاب:** قوله تعالى في سورة يوسف (**ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم**)، قال ابن عباس رضي الله عنهم الزعيم الكفيل.

وذلك باعتبار أن شرع من قبلنا هو شرع لنا كما ذهب إليه الحنفية والحنبلية [3] .

٢- **السنة:**

أ- قوله ﷺ (**الزعيم غارم**) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن، عن أبي أمامة مرفوعاً (**العارية مؤداة، والمنحة مردودة والدين مقضي، والزعيم غارم**).

ب- وروى الشيخان واللفظ للبخاري عن سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ أتي برجل ليصلي عليه فقال: هل عليه دين؟ قالوا: نعم ديناران؟ فقال: ما تنفعه صلاتي وذمته مرهونة؟ إلا أن قام أحدكم فضمنه، فقام أبو قتادة فقال: هما علي يا رسول الله، فصلى عليه النبي ﷺ، ثم بعد الفتوح قال ﷺ (**من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك كلاً فإلينا**) [4]

٣- **الإجماع:** أجمع المسلمون على جواز الضمان بالجملة -واختلفوا في الفروع.

## الكفالة بالنفس (بالبدن)

وهي على وجهين:

أ- أحدهما مؤقتة . ب- الثانية مرسلة.

(١) شرح المجلة لباز ٣٣٣ (٢) شرح المجلة لباز ٣٣٤. (٣) أصول الفقه لأبي زهرة ص ٢٠٧

(٤) كان هذا في بداية الإسلام، فلما فتحت الفتوح قال ﷺ (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من خلف مالاً فلورثته، ومن خلف دينا أو كلاً فكله إليّ ودينه علي) رواه أحمد وأبو داود عمدة الجامع ٢/١٥.

فالمؤقتة أن يقول: كفلت نفس فلان لك إلى عشرة أيام، فمتى ما أردت أحضرته لك، فإذا مضت العشرة برئ من كفالته.

والمرسلة : أن يقول: كفلت لك بنفس فلان، فمتى ما أردته أحضرته لك، فكان عليه أن يحضره متى أراد.

وتبطل هذه الكفالة من ثلاثة أوجه[1]:

١-أن يموت الكفيل.

٢-أن يموت المكفول له.

٣-أن يموت المكفول به.

أما بالنسبة لموت المكفول له فقد قال التمرتاشي (الدر المختار) [2]: المذهب لا تسقط الكفالة، وبه أخذت المجلة، ويبرأ الكفيل فيها بثلاثة أوجه.

١-أن يحضره الكفيل.

٢-أن يحضره أجنبي لأجله.

٣-أن يحضر المكفول به (عنه) ويسلم نفسه للمكفول له ويقول: سلمت نفسي من جهة الكفيل.

٤- بالابراء: بأن يبرئ المكفول له الكفيل أو الأصيل (براءة الأصيل توجب براءة الكفيل. إذا سقط الأصل سقط الفرع).

## آراء الفقهاء بالكفالة بالنفس

١- يرى جمهور الفقهاء أن الكفالة بالنفس صحيحة، وهذا مذهب شريح ومالك والثوري والليث وأبي حنيفة والحنبلية [3].

٢- قال داود الظاهري: لا تصح[4]: وحجته «معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده».

وكذلك «الكفالة بالحدود لا تجوز» فقياساً عليها..

**وأما الشافعية:** فالمذهب صحة الكفالة بالنفس[5] .

وذهب بعض الشافعية إلى عدم جوازها متمسكين بقول الشافعي «إنها ضعيفة»، وقصده من جهة القياس ، لأن الحر لا يدخل تحت اليد.

قال الخطيب الشربيني في الإقناع/ متن أبي شجاع[6] (والكفالة بالبدن جائزة إذا كان على المكفول به حق لآدمي.

**أدلة الجمهور الذين يجيزون الكفالة بالبدن**

١- {قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم}.

٢-عموم قوله ﷺ: (الزعيم غارم).

٣-ما وجب تسليمه بعقد وجب تسليمه بعقد الكفالة.

## الكفالة بالحدود

إختلف الفقهاء في الكفالة ببدن الذي عليه حد:

١-ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا كفالة في حد، سواء كان حداً في حق الله تعالى:كالزنا والسرقة، أو كان حداً في حق العبد : كالقصاص والقذف.

وهذا قول أكثر أهل العلم، منهم: شريح والحسن، وبه قال إسحاق وأبو عبيد وأبو ثور وأبو حنيفة [7].

وهذا قول أبي حنيفة فعبارة المرغيناني (لا تجوز الكفالة بالنفس في الحدود والقصاص عند أبي حنيفة رحمه الله، أما

---

(١) لاتنف في الفتاوى لأبي الحسن علي بن الحسين السعدي (ط) الأوقاف العراقية سنة ١٩٧٦ م والنهاية ٤/٤٢٩. (٢) رد المختار لابن عابدين ٤/٢٨٦ والمجلة مادة (٦٦٦) باز صـ ٣٦٧

(٣) المغني لابن قدامة ٤/٦١٤ (٤) بداية المجتهد لابن رشد ٢/ ٢٢٢ (٥) نهاية المحتاج/المنهاج للرملي ٤/٤٣٢

(٦) الاقناع للشربيني ص ٢٩٠. (٧) المغني لابن قدامة ٤/ ٦١٦ وفتح القدير شرح الهداية لابن الهام ٦/٢٨٥

الصاحبان فقالا: يجبر المهتم على الكفالة في حد القذف والقصاص لأنه خالص حق العبد فيليق بهما الاستيثاق كما في التعزير، وا استدل المرغيناني وابن قدامة بحديث: (**لا كفالة في حد**).

قال ابن الهمام في الفتح ٦/٢٩٥ (رواه البيهقي وقال: تفرد به عمر بن أبي عمر الكلاعي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جد وهو من مشايخ بقية المجهولين، ورواه ابن عدي في الكامل عن عمر الكلاعي وأعله به، قال: مجهول لا أعلم روى عنه غير بقية كما يرو عن سائر المجهولين، ورواياته منكرة[١].

**٢-أما الشافعية:** فاختلفوا في جوازها أو منعها.

أ- **فبالنسبة للحدود والتي هي حق العبد:** كالقصاص والقذف والتعزير فيجيزون الكفالة فيها لأنها كالمال -وهذا رأ جمهورهم-، وقال بعضهم: لا تصح لأنها مبنية على الدرء، فتقطع الذرائع المؤدية إلى توسيعها [٢].

ب- **أما الحدود التي هي حق لله** -كالزنا والسرقة والخمر فيمنعونها لأننا مأمورون بسترها والسعي في إسقاطها ما أمك ومعنى تكفل الأنصارى للغامدية بعد اعترافها بالزنا هو القيام بمؤنتها وطعامها، كقوله تعالى (وكفلها زكريا) يرعى مصالحها[٣]. وقال الصاحبان بقول الشافعية.

**محل الكفالة بالنفس** (الكفالة بالوجه): جمهور فقهاء الأمصار متفقون على جواز وقوعها شرعاً إذا كانت بسبب المال.

**ولكن لها شروط:**

١-تعيين المكفول عنه (به)، فلا يجوز أن يقول كفلت أحد هذين الرجلين.

٢-أن يكون على المكفول دين لازم فلا ضمان ببدن مكاتب بالنجوم.

وتصح الكفالة ببدن كل من يلزم حضوره في مجلس الحكم بدين لازم، وتصح الكفالة بالصبي والمجنون لأنهما قد يـ إحضارهما مجلس الحكم للشهادة عليهما بالإتلاف -وإذن وليهما يقوم مقام إذنهما [٤].

## حكم الكفالة بالنفس

المادة (٦٤٢) مجلة: حكم الكفالة بالنفس هو عبارة عن احضار المكفول به. ففي أي وقت شرط تسليمه فعلى الكفيل إحضـ في ذلك الوقت حالاً بعد طلبه من المكفول له، فإن أحضره فبها ونعمت وإلا يجبر على إحضاره.

## غياب المكفول به (عنه)

إذا غاب المكفول عنه ولا يعرف مكانه فلا يطالب الكفيل بشيء إلا إذا بيّن المكفول له مكانه، فعندها يجبر الكفيل على إحـ المكفول عنه، ويمهل مدة الذهاب والإياب.

وإذا أبى الكفيل إحضار المكفول عنه:

**١-فعند الحنفية**[٥]: يحبس ولا يلزمه المال إلا بالشرط بأن يقول أولاً إن لم أحضره فعليّ ماله.

**٢-أما المالكية**[٦]: فقالوا يغرم المال.

**٣-وقال الشافعية**[٧]: يقول الحنفية بأن الكفيل يحبس حتى يحضر المكفول عنه أو يدفع الكفيل الدين. فإن دفع الدين ثم حـ المكفول عنه فإنه يسترد ما دفعه إن كان باقيا، وبدله إن تلف، ولكن (لا يطالب كفيل بمال ولا عقوبة).

**٤-قال الحنبلية**[٨]: إن كان غائباً أو مرتداً لحق بدار الحرب لم يؤخذ بالحق حتى يمضي زمن يمكن المضي إليه وإعادته، ابن شبرمة: يسجن في الحال، فإذا مضت مدة يمكن إحضاره فيها ولم يحضره، أو كانت الغيبة منقطعة لا يعلم خبره، أو امتنـ إحضاره مع إمكانه أخذ بما عليه.

**أما الشافعية فإنهم يقولون**[٩]: لايلزم الكفيل شيء إذا:

---

(١) نصب الراية ٤/٥٩. (٢) نهاية المحتاج للرملي ٤/٤٣٣. (٣) المغني لابن قدامة ٤/ ٦١٦. والنهاية ٤/٤٣٣. (٤) المغني ٤/٦١٧ والنهاية ٤/ ٤٣٣.
(٥) باز / مجلة ٦٤٢ صـ ٣٥٢ وابن عابدين ٤/ ٢٨٦. (٦) بداية المجتهد لابن رشد ٢/٢٢٢. (٧) الاقناع للشربيني/ أبو شجاع ١/٢٩١.
(٨) المغني لابن قدامة ٤/٦١٧. (٩) النهاية لرملي ٤/٤٣٧.

أن يكون حراً بالغاً عاقلاً ، فتصح كفالة الصبي بالمال والنفس سواء كان مميزاً أو لا، وسواء كان مأذوناً له في التجارة أو لا.

ثم إن كانت الكفالة بأمر الولي «يجبر الصبي على الحضور مع الكفيل إن كانت الكفالة بالنفس، ويرجع الكفيل بما غرم على مال الصبي.

أما إذا لم تكن بأمر الولي فإن كانت بأمر الصبي وكان مأذوناً بالتجارة غير محجور عليه فإن الكفيل يرجع بما غرم على مال الصبي في كفالة المال، ويجبر الصبي على الحضور معه في كفالة النفس وإلا فلا»(١).

**أما معرفة المضمون عنه:** فاشترطها الحنفية ولم يشترطها ابن قدامة الحنبلي فقال: ولا يعتبر أن يعرفهما الضامن (المكفول له والمكفول عنه) ، **وقال القاضي:** يعتبر معرفتهما، وروي عنه عدم اعتبار معرفة المضمون عنه واعتبار معرفة المضمون له.

**وقال الشافعية** : فيه وجهان أصحهما أنه لا يشترط، وسبب خلافهم قول الشافعي:(ولو ضمن دين ميت بعدما تعرفه وتعرف لمن هو فالضمان في ذلك لازم)، فالضمير في تعرفه (الهاء) ترجع إلى الميت أو إلى الدين، والأصح راجعة إلى الدين، ورجحه أبوبكر الفارسي

## ٢- الركن الثاني: المضمون له

**الشافعية: قال الرافعي**(٢) .

١- معرفته:

**أ-في اشتراط معرفته وجهان:** أصحهما: لابد أن يعرف المضمون له، لأن الناس يتفاوتون في الاقتضاء والاستيفاء تشديداً وتسهيلاً .

**ب-في اشتراط رضا المضمون له:** الأكثرون: لا يشترط، لأن الضمان التزام محض ليس موضوعاً على قواعد المعاقدات.

**جـ- اشتراط القبول:** وجهان: الأصح: لا يشترط: وفرقوا بينه وبين سائر التملكات بأن الضمان لا يثبت ملك شيء جديد وإنما يتوثق به الدين الذي كان مملوكاً . وهذا يشكل بالرهن فإنه لا يفيد إلا التوثيق ويعتبر فيه القبول.

-قال الشبراملسي في حاشيته على النهاية للرملي ٤/ ٤٢٤: هل المراد بالرضا هو مجرد عدم الإكراه بأن يقبل مختاراً، أو لابد للاعتداد به من لفظ يدل عليه كرضيت، فيه نظر، والظاهر الأول، لأن القبول مغن عن اللفظ الدال على الرضا.

**الحنفية**(٣)**:** اشترطوا في المكفول له:

١-معرفته (معلوماً) .

٢-وجوده في مجلس العقد . وهو شرط الانعقاد، ويتفرع على هذا (على القبول) شرط ثالث .

٣-لابد من عقله لا حريته. وخالف أبويوسف فقال بعدم اشتراط القبول.

**قال الحنبلية** (٤): ابن قدامة: لا يشترط معرفة المضمون عنه ولا المضمون له .

١-لحديث أبي قتادة: فقد ضمن عمن لا يعرفه لمن لا يعرفه.

٢-لأنه تبرع بالتزام مال فلم يعتبر معرفة من يتبرع له به كالنذر

### وإن اختلف الكفيل والمكفول له:

**قول الشافعية:** فقال الكفيل: ضمنت (كفلت) قبل بلوغي . وقال المكفول له: ضمن بعد البلوغ فالقول قول الصبي. لأن الأصل عدم البلوغ وعدم وجوب الحق عليه، وهذا قول الشافعية(٥).

---

(١) المذاهب الأربعة ٣/٢٣١.

(٢) فتح العزيز ١٠/٣٥٩ والنهاية للرملي ٤/٤٢٢

(٣) البحر الرائق ٦/٢٠٦

(٤) المغني لابن قدامة ٤/ ٥٩٠-٥٩١.

(٥) انظر المغني لابن قدامه ٤/٥٩٩، وفتح العزيز ١٠/ ٣٦٠، وكشاف القناع للبهوتي ٣/٣٦٦

وقال الحنبلية القول للمكفول له لأن يدعي سلامة العقد وهو الأصل .

ويجري نفس الخلاف في المجنون الذي عرف عنه جنون سابق إن قال ضمنت أثناء جنوني.

**أما المحجور عليه للفلس:** فيصح ضمانه، لأنه تصرف في ذمته، وهو أهل له، ويتبع به بعد فك الحجر عنه كسائر ديونه بعد الحجر، لأنه من أهل التصرف والحجر عليه في ماله لا في ذمته.

**الحنابلة:**

١-فأشبه الراهن: فصح تصرفه فيما عدا الرهن.

٢-وكما لو اقترض أو أقر أو اشترى شيئا في ذمته.

هذا رأي الحنبلية[١] أما المالكية فلا يجيزون كفالته[٢] .

**أما الشافعية فقالوا** : ضمانه كشرائه [٣].

جاء في الإقناع/ أبي شجاع[٤]: وتصرف المفلس بعد ضرب الحجر عليه يصح فيما يثبته في ذمته، كأن باع سلماً طعاماً، أو اشترى شيئا بثمن في ذمته. ولا يصح في أعيان ماله.

# الركن الثالث: الكفيل

**الحنفية** [٥]: يشترط فيه :

١-العقل: شرط انعقاد: فلا كفالة لمجنون.

٢-البلوغ: شرط انعقاد، فلا كفالة لصبي، فلا يؤاخذ الصبي بكفالته كفلها أثناء صباه بعد البلوغ.

٣- الحرية: شرط نفاذ، فيؤاخذ العبد بكفالته بعد حريته.

٤-: الرضا:الحنبلية: لا يصح الضمان إلا برضا الضامن، فلا يصح ضمان المكره لأنه التزام مال، فلم يصح بغير رضا الملتز كالنذر[٦]

**قال الغزالي في الوجيز**[٧] : ويشترط في الكفيل (الضامن).

١-صحة العبارة . ٢- أهلية التبرع .

**١-صحة العبارة:** يخرج بها المجنون والصغير والمغمى عليه والمبرسم[٨] الذي يهذي، والأصح أنه لا يجوز ضمان السكران.

أما الأخرس: فيصح ضمانه بالإشارة المفهومة والكتابة.

**ه-أهلية التبرع:**

أ- فيخرج المحجور عليه بالسفه فلا يصح ضمانه ولو أذن الولي (لأن تبرعات المبذر مردودة ولو بإذن الولي).

والتحقيق أن الضمان يكون تبرعاً إذا لم يثبت الرجوع، فإذا ثبت الرجوع فإنه إقراض لا محض تبرع .

قال ابن قدامة: يصح ضمان كل جائز التعرف في ماله سواء كان رجلاً أو امرأة، ولا يصح من السفيه المحجور عليه، لأن إيجاب مال بعقد فلم يصح منه كالبيع والشراء.

ب- أما كفالة المريض

أ- ففي غير مرض الموت: تصرفاته كلها صحيحة.

**ب- أما في مرض الموت:** قال الحنبلية: حكم ضمانه حكم تبرعه يحسب من ثلثه، لأنه تبرع بالتزام مال لا يلزمه، ولم يأخذ عنه عوضاً فأشبه الهبة.

(١) المغني ٤/٦٠٠. (٢) الفقه على المذاهب الأربعة ٣/٢٢٨.
(٣) فتح العزيز ١٠/٢٦١. (٤) الاقناع ١/٢٧٨.
(٥) البحر الرائق ٦/٢٠٦. (٦) كشاف القناع ٣/٣٦٦.
(٧) فتح العزيز ١٠/٢٦٠. (٨) الذي يخلط في كلامه لعلة فيه.

قال الشافعي: إذا ضمن في مرض بغير إذن من عليه الحق فهو محسوب من ثلثه. وإن ضمن بإذنه فهو محسوب من رأس المال، لأنه: للورثة أن يرجعوا على الأصيل.

جـ -كفالة المرأة: اشترط المالكية في المرأة المتزوجة إذا كفلت ألا تكفل في مقدار يزيد عن ثلث مالها بغير إذن زوجها، فإذا تكفلت المرأة بشيء أكثر من ثلث مالها فلزوجها الحق في رد الكفالة في الجميع [1].

**الشرطان في المريض والمرأة شرطا نفاذ لا شرطا صحة.**

٦- الحرية: شرط نفاذ وقد ذكر من قبل.

## شرائط المكفول به

١- أن يكون مضموناً على الأجل ديناً أو عيناً أو نفساً أو فعلاً. ولكن في حالة العين أن تكون مضمونة لنفسها [2].

ولا تصح الكفالة بالأمانات كالعين المستعارة ، والعين المودعة، وكذا مال المضاربة والشركة، ولكن تجوز الكفالة في هذه الأحوال بحيث يضمن قيمتها له إذا فقدت بسبب تعد أو تفريط في المحافظة عليها.

٢-أن تكون مقدورة التسليم من الكفيل فلا تجوز بالحدود ولا بالقصاص[3].

٣- أن يكون الدين لازماً فلا يجوز ببدل الكتابة ومن ذلك نفقة[4] فلا يجوز ضمان نفقة الزوجة قبل القضاء بها أو المُضي، -شافعية-، ويصح ضمان مهر المرأة قبل الدخول (ولو غير مستقر)، ويصح ضمان الثمن للبائع في مدة الخيار للمشتري على الأصح عند الشافعية[5].

٤-أن يكون معلوماً: لا يشترط الحنفية كونه معلوماً [6].

**قال ابن نجيم:** وصحتها بالإجماع. وصحت مع جهالة المال لبنائها على التوسع، ولذا جاز شرط الخيار فيها أكثر من ثلاثة أيام، ويدل عليه إجماعهم على صحتها بالدرك، مع أنه لا يعلم كم يستحق من المبيع كله أو بعضه.

**وقال الشافعية:** يشترط أن يكون معلوماً في الجديد: لأن إثبات مال في الذمة لآدمي بعقد فلم يصح مع الجهل كالثمن

**قال البهوتي في كشاف القناع ٣/ ٣٦٧ (الحنبلية) :**

ولا يشترط كونه حقاً معلوماً ولا واجباً إذا كان مآله إلى العلم والوجوب.

غير معلوم : ضمنت لك ما على فلان -صح- مع جهله المقدار لأنه كالإقرار.

غير واجب الآن: ضمنت لك ما تداينه به -صح- لأنه يؤول إلى الوجوب .

## ضمان السوق

أن يضمن ما يلزم التاجر من دين وما يقبضه من عين مضمونة وهو جائز عند أكثر العلماء كمالك وأبي حنيفة وأحمد.

## الكفالة بالدرك

جاء في البحر الرائق (٢١٧٦) وهذا ضمان الدرك، والدرك لغة بفتح وسكون الراء اسم من أدركت الشيء، ومنه ضمان الدرك.

واصطلاحاً : الرجوع بالثمن عند استحقاق المبيع. قال النووي أن يضمن للمشتري الثمن إن خرج المبيع مستحقاً أو مأخوذاً بشفعة أو معيبا أو ناقصاً وزناً أو صفة.

وفي البزازية من آخر الدعوى في فصل الاستحقاق

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة / الجزيري ٣/ ٢٢٧. (٢) البحر الرائق ٦/ ٢٠٦

(٣) المصدر السابق (٤) المصدر السابق.

(٥) نهاية المحتاج ١/ ٤٢٨. (٦) البحر الرائق

وإن استحق المبيع وله كفيل بالدرك لا يرجع على الكفيل ما لم يجب على البائع ، فبعده هو بالخيار، ولا يرجع على الكفيل بقيمة الغرس والبناء، وأجمعوا أنه لو ظهر المبيع حراً كان له أن يخاصم أيهما شاء.

### فضمان الدرك أقسام :

١-**ضمان للمشتري** : بأن يضمن له الثمن إن خرج المبيع مستحقاً أو مأخوذا بشفعة أو ناقصاً (وزنا أو صفة) .

٢-**ضمان للبائع**: بأن يضمن له المبيع بعد قبض المشتري له إن خرج الثمن المعين مستحقاً.

٣- **ضمان للمستأجر أو الأجير**:الضمان للمستاجر : بأن يضمن له درك الأجرة إذا خرج المستاجر مستحقاً .

**متعلق الضمان في الدرك: هو:**

١-عين المبيع.

٢-الثمن: إن بقي وسهل رده وبدله أي قيمته إن عسر رده للحيلولة، ومثل المثل، وقيمة المتقوم وتعلقه بالبدل أظهر، لأنه على غير قاعدة ضمان الأعيان.

## الكفالة بالمال

الكفالة بالمال جائزة باتفاق، واشترطوا في المال:

١-أن يكون ديناً لازماً ولا يشترط أن يكون ثابتاً (مستقراً)، فيجوز الكفالة بالمهر قبل الدخول مع أنه غير مستقر، ولو في المال كالجعل، أما الكفالة ببدل النجوم فإنه غير لازم.

٢-المعلومية [1] .

## حضور الضامن والمضمون

إتفق الفقهاء أنه إذا عدم المضمون أو غاب أن الضامن غارم، واختلفوا إذا حضر الضامن والمضمون وكلاهما موسر [2] .

١-يطالب أيهما شاء: وقال به الشافعية والحنفية وأحمد وإسحق والأوزاعي والثوري.

جاء في نهاية المحتاج ٤٤٣/٤ (وللمستحق: الطالب وورثته مطالبة الضامن وضامنه والأصيل اجتماعاً وانفراداً وتوزيعاً بأن يطالب كلاً ببعض الدين لبقاء الدين على الأصيل ، فالضمان كفرض الكفاية يتعلق بالكل ويسقط بفعل البعض).

كشاف القناع ٢/ ٣٧٣ (وللمضمون له مطالبة الضامن والأصيل).

٢-لا يطالب الكفيل بحضور الأصيل: قول مالك (الأخير)[3] ، وقول آخر له مثل الجمهور .

٣-قال أبو ثور وابن أبي ليلى وابن شبرمة: الحمالة والكفالة واحدة، ومن ضمن عن رجل مالاً لزمه وبرئ المضمون، فالضمان عندهم كالحوالة.

**وحجة الجمهور**: حديث قبيصة المخارقي (... إن المسألة لا تحل إلا في إحدى ثلاث: رجلٌ تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ...).

**ووجه الدلالة** من هذا أن النبي ﷺ أباح المسألة للتحمل دون اعتبار حال المتحمل عنه.

### رأي الحنبلية في قضاء الضامن الدين[4] :

يرى الحنبلية أن الدين على قسمين:

١-**دين يحتاج إلى نية** -دين الله كالزكاة والنذر، فلا يرجع المؤدي (الدافع) على المدين بشيء ولو نوى الرجوع على المدين، لأن

---

(١) انظر قبل صفحتين.
(٢) بداية المجتهد ٢/ ٢٢٣.
(٣) بلغة السالك ١٥٨/٢.
(٤) كشاف القناع ٣٧١/٢.

المدين لا يبرأ .

**٢-دين لا يحتاج قضاؤه إلى نية من المدين.**

فإذا أداه الضامن فله حالات:

أ-إن أداه الضامن ينوي الرجوع فإنه يرجع، لأنه قضاء مبرئ من دين واجب، فكان من ضمان من هو عليه، كالحاكم إذا قضاه عنه عند امتناعه ولو كان الضمان بغير إذن المضمون عنه.

ب- إن أداه الضامن متبرعاً لا يرجع سواء ضمن بإذنه أو بغير إذنه .

جـ- إن لم ينو الضامن رجوعاً ولا تبرعاً بل ذهل لا يرجع .

وهذه الحالات كذلك هي: حكم من أدى عن غيره ديناً واجباً سواء كان أجنبياً أو كفيلاً.

## كيفية رجوع الضامن على المدين(المكفول عنه) :

لا رجوع له إلا باقرار من المدين أو بينة، وإن أنكر المضمون له (الدائن) سداد الدين من الضامن فلا رجوع له على المدين إلا إذا كان قضاء الدين من الضامن بحضرة المدين (المكفول عنه).

# حكم الكفالة بالمال

## دفع الكفيل المال عن المضمون عنه

يثبت بالكفالة مطالبة الكفيل بما على الأصيل، فإن كان الكفيل واحداً طولب بالدين كله، وإن كانا اثنين طولب كل واحد منهما بالنصف، وهذا الرأي الراجح عند الشافعية، وبه قطع أبو حامد، وقال به الماوردي والروياني والفصهوي والأذرعي[1].

فإن كفل بأمر المكفول عنه رجع عليه بما دفع (يرجع الضامن على المدين بما أدى عنه): هذا رأي الشافعية والحنفية [2].

فإن كان مثلياً رجع بالمثل بأن دفع عنه خمس حقائب يأخذ مثلها لا قيمتها -ان كان من جنس الدين ، أي الدين حقائب-.

أما إن كان من غير جنسه فإنه يرجع بالأقل من الدين وقيمة المقوم، وإذا صالح الكفيل على الدين فإنه يرجع بالأقل (من الدين ومن قيمة ما صالح به حيث كان مقوماً عن عين كما صالح بثوب أو قطعة أرض عن دنانير)، فإن صالح بمثلي رجع بالأقل من الدين أو مثل المثلي.

فإن صالح بأجود أو أدنى حيث جاز رجع بالأدنى.

ولو صالح بأقل من الدين رجع به.

ولو صالح بأكثر من الدين رجع بالدين

ولو صالح بمقوم عن مقوم غير جنسه رجع بالأقل من الدين أو قيمة ما صالح به.

**قال النووي**[3]: ومن أدى دين غيره بلا ضمان ولا إذن وليس أبا ولا جداً فلا رجوع له لتبرعه.

ولو أفلس الأصيل فطلب الكفيل بيع ماله أولاً أجيب إن ضمن بإذنه.

# موت الضامن أو المضمون قبل حلول أجل الدين

١- **قال الشافعية**[4]: ولو مات أحدهما أو استرق والدين مؤجل حل عليه لخراب ذمته دون الآخر ، فإن كان الميت الأصيل وله تركة فللضامن مطالبة المستحق بأن يأخذ منها أو يبرئه لاحتمال تلفها فلا يجد مرجعاً إذا غرم.

وإن كان الميت الضامن وأخذ الطالب الدين من تركته ليس لورثته الرجوع على الأصيل إلا بحلول الأجل /هذا رأي الشافعية.

٢- **قال الحنبلية** [5]: إن مات أحدهما لا يحل الأجل، لأن الأجل حقهما فلا يبطل بموت أحدهما كسائر حقوقه.

وكذلك إن ماتا معاً لا يحل الأجل، ولكن بشرط أن يقدم الورثة وثيقة رهن يحرز أو كفيل مليء بأقل الأمرين (الدين أو التركة).

---

(١) نهاية ٤/٤٤٤ (٢) نهاية المحتاج ٤/ ٤٤٨ والبحر الرائق ٦/٢٢٣

(٣) نهاية المحتاج ٤/٤٤٨ (٤) النهاية ٤/٤٤٥. (٥)الكشاف ٣/٣٧٤

قضاء الضامن الدين قبل حلول الأجل[1] .

لا يرجع الضامن على المدين (المكفول عنه) إلا بعد حلول الأجل.

## الصيغة

المالكية ٣/٢٣٠: يشترط في الصيغة أن تدل على الحفظ والحياطة عرفاً، مثل قوله:

أنا حميل بفلان، أو زعيم أو كفيل أو قبيل، أو هو لك عندي، أو عليّ أو إليّ أو قبلي، أو أنا قبيل به أو أذين أو عوين أو صبير أو كوين، فهذه ألفاظ كلها ينعقد بها الضمان.

فيجوز معلقاً كقولك: إن حلفت أن لك عليه دين ضمنته، فإنه يلزمه الضمان إذا حلف[2] .

**قال الحنفية** [3]: يشترط أن لا تكون معلقة على شرط غير موافق للكفالة، كأن يقول له: أكفل لك مالك على فلان من دين إن نزل المطر أو هبت الريح، فمثل هذه الصيغة لا تصح بها الكفالة لأنها معلقة على شرط غير محقق الوقوع، والغرض من الكفالة التأكيد، فهذا الشرط لا يناسبها.

**أما المعلقة على شرط موافق فهي صحيحة، ويكون الشرط موافقاً للكفالة في حالات ثلاث:**

١-أن يكون الشرط سبباً للزوم الحق كأن يقول له أكفل لك هذه السلعة المبيعة إن ظهر أنها ملك لغير بائعها.

فالشرط هنا وهو ظهور كون المبيع ليس ملكاً للبائع سبباً للزوم الحق المكفول به وهو وجوب الثمن للبائع على المشتري.

**ومثال ذلك:** أكفل لك السلعة المودعة عند فلان -إن أنكرها- .

بخلاف ما إذا قال: ضع الإسمنت هنا فإن ابتل بالمطر فأنا ضامن .

٢-أن يكون سبباً في سهولة تمكن الكفيل من استيفاء المال من الأصيل **كقوله:** إن قدم زيد (المدين) فعليّ ما عليه من الدين، فتصح الكفالة إن كان زيد مديناً أو مضارباً أو غاصباً، أما لو قال : ضمنت لك ما على زيد عند حضور عمرو من سفره لأن عمرو أجنبي بالنسبة للدين فلا يصح التعليق على حضوره .

٣-أن يكون سبباً لتعذر الاستيفاء نحو:إن غاب زيد عن البلد فعليّ . فالشرط وهو غياب زيد سبب لتعذر الاستيفاء فيصح أن يكفله فيه.

**وملخص الأمر:** أن تعليق الكفالة بالشرط صحيح إذا لم يترتب على ذلك إخلال بعقد الكفالة وهو (توثيق الدين)، فإذا كان الشرط من الأمور ليست محققة الوقوع فإنه لا يصح.

## الأجل في الكفالة

ومثل ذلك إذا أجل الكفالة إلى أجل مجهول جهالة شديدة كما إذا قال له: أكفل لك نفس زيد عند هبوب الريح أو نزول المطر، وفي هذه الحالة تثبت الكفالة ويبطل الأجل.

**أما الجهالة اليسيرة:** بأن قال كفلت لك زيداً إلى الحصاد، أو إلى موسم النيروز ونحو ذلك، فإنه يصح وثبتت الكفالة والأجل.

**واشترط الشافعية في الصيغة شرطين:**

١-أن يشعر لفظها بالالتزام.

٢-أن لا تكون معلقة ولا مؤقتة.

قال الغزالي في الوجيز[4] (ولو علق الكفالة بالبدن بمجيء الشهر أو بوقت الحصاد ففيه خلاف لأنه بني على المصلحة ، ولا يجوز تعليق الإبراء كما لا يجوز تعليق ضمان المال ولونجز كفالة كفالة البدن، وشرط التأخير في الاحضار جاز للحاجة).

(١)الكشاف ٣/٣٧٤. (٢) بلغة السالك ٢/١٥٦.
(٣) المذاهب الأربعة ٣/ ٢٣٣. (٤) المجموع ١٠/٣٨١

سبب امتناع التعليق في العقود المشتملة على الإيجاب والقبول خروج الخطاب والجواب بسببه عن نظمه اللائق بهما، فإذا لم يشترط فيه القبول كان بمثابة الطلاق والعتاق.

فإذا قال: أنا ضامن مال فلان شهراً، لا يصح، أو قال: إذا جاء الغد ضمنتك، لا يصح.

**الحنبلية/**[1] يصح الضمان بأي لفظ يشعر بالضمان أو الالتزام عرفاً، ويصح الضمان باللفظ المعلق والمؤقت.

فإن قال ضمنت لك فلاناً إن أعطيته كذا، يصح.

**ويصح التوقيت:** إن جاء رأس الشهر فأنا ضامن لفلان.

# الحوالة

في الصحيحين (**مطل الغني ظلم، فإذا أتبع أحدكم على مَلِيء فليتبع**) [2].

وفي الصحيح عند ابن ماجه (**مطل الغني ظلم، وإذا أحلت على مليء فاتبعه**) ٥٧٥٢.

وفي رواية البيهقي ( **وإذا احيل احدكم على مليء فليتحل**) .

واشتقاقها من تحويل الحق من ذمة إلى ذمة[3].

المطل: إطالة المدافعة.

ويستفاد من الحديث أن الامتناع عن الدفع مرة أو مرتين ليس ظلماً وإن كان عاصياً فإنه لا يفسق بذلك[4].

مجرد الامتناع عن الدفع صغيرة، وقال السبكي يفسق بمرة واحدة فهو كبيرة.

**قال الخطابي:** فليتبع: أصحاب الحديث يقولون بالتشديد، وهو غلط، وصوابه فليتبع بتاء ساكنة خفيفة.

والأمر هنا للاستحباب وقال أحمد بالوجوب[5] .

## أطرافها :

لزيد على محمد (١٠٠) دينار، فقال محمد لزيد أحلتك على خالد .

محمد: محيل.

زيد: محال ، محتال.

خالد: محال عليه، محتال عليه.

المال: محال به.

## تعريفها:

١-**قال الشافعية في الأصح:** بيع دين بدين -جوز للحاجة-، لأن كلاً ملك بها ما لم يملكه قبل. فكأن المحيل باع المحتال ماله في ذمة المحال عليه، أي الغالب عليها. ومعنى كونها بيعاً صحة الإقالة فيها. ومنع الرافعي الإقالة فيها.

وقوله (بيع دين بدين) لابد من الإيجاب والقبول.

وقد أخذ على هذا التعريف **أنها:** لو كانت بيعاً :

١-لما جاز قبل التفرق قبل القبض، لأنه بيع مال الربا بجنسه (المطعومات والنقود)، والرد: جاز رخصة التأخير والرد جوز للحاجة.

٢-لما جاز التأخير رخصة.

٣-ولجازت بين جنسين.

٤-ولجازت بلفظ البيع.

(١) المذاهب الأربعة ٢/٢٢٧. (٢) صحيح الجامع ٥٧٥١ - ٥/٣٠٨. (٣) المغني ٥٧٦/١ (٤) النهاية للرملي ٤/٤٠٨. (٥) فتح العزيز ١٠/ ٣٣٧

٥-ولجازت الزيادة والنقصان.

والرد: أنها ليست عقد مماكسة فهي كالقرض[١].

## تعريف الحنبلية:

**قال ابن قدامة**[٢]: واشتقاقها من تحويل الحق من ذمة إلى ذمة.

وقد قيل أنها بيع. والأصح: أنها عقد إرفاق منفرد بنفسه ليس بمحمول على غيره/ وهذا قول البهوتي في الكشاف ٣٨٣/٣.

وقد أورد ابن قدامة الاعتراضات (على تعريف بيع) وهي نفس الاعتراضات على تعريف الشافعية.

**قال ابن قدامة:** إن لفظها يشعر بالتحول لا بالبيع، ولذا لا يدخلها خيار وتلزم بمجرد العقد.

**المالكية** [٣] : صرف دين عن ذمة المدين بمثله إلى ذمة أخرى تبرأ بها الذمة الأولى.

**الحنفية:** ابن الهمام في فتح القدير ٣١٦/٦ (نقل المطالبة من ذمة المديون إلى ذمة الملتزم)[٤](نقل الدين من ذمة إلى ذمة).

**قال أبو يوسف** : نقل المطالبة والدين.

**قال محمد** : نقل المطالبة فقط [٥].

**أ- ويستشهد لقول أبي يوسف** : الإجماع: أن المحتال لو أبرأ المحال عليه من الدين أو وهبه منه صح. ولو أبرأ المحيل أو وهبه لم يصح ولولا انتقاله إلى ذمة المحال عليه لما صح الأول ولصح الثاني.

**ب- ويستشهد لقول محمد:**

١- الاجماع: أن المحيل إذا قضى دين الطالب بعد الحوالة قبل أن يؤدي المحتال عليه لا يكون متطوعاً ويجبر على القبول ولو يكن عليه دين لكان متطوعاً.

٢-لو أبرأ المحتال المحال عليه عن دين الحوالة لا يرتد برده، ولو وهبه منه ارتد ، كما لو أبرأ الطالب الكفيل أو وهبه منه، انتقل إلى ذمة المحال عليه لما اختلف حكم الإبراء والهبة.

٣-لو أبرأ المحتال المحال عليه عن دين الحوالة لا يرتد برده،ولو وهب الدين منه فله الرجوع إذا لم يكن للمحيل عليه دين، كان له عليه دين يلتقيان قصاصاً كما في الكفالة.

فدلت هذه الأحكام على التسوية بين الكفالة والحوالة، هكذا قرره في البدائع ولم يرجح.

وفي فتح القدير المصحح من المذهب أنها توجب البراءة من الدين .

**فائدة الخلاف بين أبي يوسف ومحمد:**

تظهر فائدة الخلاف في مسألتين:

١-**الراهن:** إذا أحال المرتهن بالدين فله أن يسترد الرهن عند أبي يوسف وكذا لو أبرأه.

وعند محمد لا يسترده كما لو أجل الدين بعد الرهن.

٢-**إذا أبرأ** الطالب المحيل بعد الحوالة لا يصح عند أبي يوسف، لأنه برئ بالحوالة، وعند محمد يصح ويبرئ المحيل.

## الاعتراضات التي ترد على تعريف أبي يوسف[٦].

نقل الدين من ذمة إلى ذمة:

١-التعريف لا يصدق على الحوالة المقيدة بالوديعة، إذ ليس فيها دين انتقل إلى المحال عليه .

٢-عود الدين بالتوى ولو انتقل الدين لم يعد.

**الجواب:** لأنها نقل مؤقت لا مؤبد، وإنما برئ بشرط السلامة للمحتال، فحيث توي المال لم يوجد الشرط.

---

(١) الرملي ١٠٨/٤، فتح العزيز ١٠٢٨٣. (٢) المغني ٥٧٦/٤. (٣) بلغة السالك ١٥١/٢.
(٤، ٥) البحر الرائق ٢٤٤/٦ . (٦) البحر الرائق ٢٤٦/٦

٣-جبر المحال على قبول الدين من المحيل بعدها، ولو انتقل لم يجبر.

**الجواب:** ليستفيد المحيل البراءة المؤبدة.

٤-قسمة الدين بين غرماء المحيل بعد موته قبل قبض المحتال، ولو انتقل لاختص به المحال.

**الجواب:** لأن المحتال لم يملك الدين بالحوالة، إذ يلزم عليه تمليك الدين من غير من عليه الدين، وهو لا يجوز، وإنما ملك المطالبة، فإذا قبضه ملكه.

٥- إن إبراء المحتال المحال عليه لا يرتد بالرد ولو انتقل إليه لارتد.

٦-أن توكيل المحال المحيل بالقبض من المحال عليه غير صحيح، ولو انتقل من ذمة المحيل لصح لكونه أجنبياً.

**الجواب:** لكون المحيل يعمل لنفسه ليستفيد الإبراء المؤيد.

٧-إن المحتال لو وهب الدين للمحال عليه كان له أن يرجع على المحيل، ولو انتقل الدين إلى المحال عليه لكانت الهبة إبراء فلا رجوع.

الفرق بين الهبة والإبراء في الرجوع وعدمه أن الإبراء إسقاط والهبة من أسباب الملك.

٨- أنها تفسخ بالفسخ ولو سقط الدين لم يعد.

**الجواب:** لأن الدين لم يسقط بالكلية لأنها توجب الإبراء المؤيد.

٩-عدم سقوط حق حبس المبيع إذا أحاله المشتري.

**الجواب:** لأن المطالبة باقية، ولذا لو كان المحيل هو البائع بكل حقه في الحبس لأن مطالبته سقطت.

١٠-كذلك الرهن -عدم سقوط حق حبس الرهن إذا أحاله المشتري.

**الجواب :** المرتهن إذا أحال غريمه على الراهن بكل حقه في حبس الرهن.

## والحقيقة

إن اعتبار حقيقة اللفظ يوجب نقل المطالبة والدين، إذ الحوالة مبنية على النقل، وقد أضيف إلى الدين.

**واعتبار المعنى:** يوجب تحويل المطالبة، لأن الحوالة تأجيل معنى، ألا ترى أن المحتال عليه إذا مات مفلساً يعود الدين إلى ذمة المحيل -وهذا هو معنى التأجيل، فاعتبر المعنى في بعض الأحكام. واعتبر حقيقة اللفظ في بعضها.

## شروط صحة الحوالة

١-**تماثل الحقين:** أ-الجنس ب- الصيغة جـ- الحلول والتأجيل .

٢-أن تكون على دين مستقر: ولذا لا تصح الحوالة بالسلم (لا به ولا عليه )، لأن دين السلم ليس بمستقر لكونه يعرض الفسخ لانقطاع السلم فيه.

ولا تصح الحوالة به لأنها لم تصح إلا فيما يجوز أخذ العوض عنه. والسلم لا يجوز أخذ العوض عنه.

---

ملاحظة: هذا الكتاب (نظرية العقد والكفالة) مذكرتان منفصلتان كل على حده خطها الإمام الشهيد عبدالله عزام -رحمه الله- كمادة دراسية كانت تلقى على طلبة الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد.

المذكرة الأولى كانت تحت اسم (نظرية العقد) والثانية تحت اسم (نظرية الكفالة).

وضمن أهداف مركز الشهيد عزام الإعلامي -في نشر ما خطه الشهيد بيده وما قاله بلسانه- قمنا بضم المذكرتين لبعضهما البعض وأسمينا الكتاب (نظرية العقد والكفالة) سائلين المولى عز وجل أن ينفع بهذا العلم وأن تجد هذه الكتب طريقها إلى قلوب المسلمين في كل مكان (الناشر).

# القواعد الفقهية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري.

ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

رب زدني علماً.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم أنا عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا وعيوننا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، واجعله سائقنا وقائدنا إلى جنات النعيم، دارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

# القواعد لغة وفقهاً

## القاعدة:

قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها[1] .

**قواعد البناء:** أساسه: «وإذ يرفع إبراهيم القواعد»[2].

**والقاعدة:** أصل الأس، والقواعد الأساس، **وقواعد البيت:** أساسه.

قال الزجاج: القواعد: أساطين البناء الذي تعمده.

وفي الحديث عن السحابة «كيف ترون قواعدها وبواسقها». قال ابن الأثير: أراد بالقواعد ما اعترض منها وسفل تشبيهاً بقواعد البناء[3].

**أقعد القوم:** أقربهم إلى الجد الأكبر[4].

# كتب القواعد الفقهية

**١- المذهب الحنفي:**

الأشباه والنظائر لزين العابدين بن إبراهيم بن نجيم سنة ٩٧٠ هـ.

وقد جعله سبعة فنون :

**١-الفن (القواعد:** {القواعد الكبرى ٦.

{قواعد أخرى ١٩.

**٢- الفوائد:** من الطهارات إلى الفرائض على ترتيب الكنز.

**٣- الفن الثالث:** في الجمع والفرق من الأشباه والنظائر.

**٤- الفن الرابع:** الألغاز.

---

(١) التعريف للجرجاني ١٤٩. (٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٤٠٩. (٣) النهاية ٨٧/٤. (٤) لسان العرب حرف الدال فصل القاف ٣٦٢/٤-٣٦٥

٥- الفن الخامس: من الاشباه والنظائر.

٦- الفن السادس: فن الحيل.

٧- الفن السابع: فن الحكايات.

٢- كتب المالكية:

٦٨٤ هـ القرافي / أنوار البروق في أنواء الفروق/ القرافي ٢٧٤ قاعدة فرقاً.

ابن الشاط سنة ٧٢٣هـ / إدرار الشروق على أنواء الفروق/ ابن الشاط ٢٧٦ فرقا.

محمد علي بن الشيخ حسين مفتي المالكية بمكة / تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية.

٣- الشافعية:

الأشباه والنظائر للسيوطي سنة ٩١١هـ، وقد جعله سبعة كتب (أبواب)، وألف قبلها «شوارك الفوائد في الضوابط والقواعد».

ومن كتب الشافعية: القواعد للزركشي، ومن كتب الشافعية « قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام» ٦٦٠ هـ/ الأشباه والنظا لابن الوكيل ٧١٦ هـ، ثم حرر التاج السبكي بن تقي الدين السبكي كتاب ابن الوكيل، ثم ألف الملقن ٨٠٤هـ كتاباً في الأشباه والنظا أخذه من كتاب السبكي.

٤- الحنبلي:

القواعد لابن رجب سنة ٧٩٥ هـ (١٦٠ قاعدة + ٢١ فائدة)

القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام.

## القواعد الخمس

**قصة:** ( حكى القاضي أبو سعيد الهروي: أن بعض أئمة الحنفية بهرات بلغه أن الإمام أبا طاهر الدباس إمام الحنفية بما ور النهر رد جميع مذهب أبي حنيفة إلى سبع عشرة قاعدة، فسافر إليه، وكان أبو طاهر ضريرا، وكان يكرر كل ليلة تلك القواعد بمسجد بعد أن يخرج الناس منه، فالتف الهروي بحصير وخرج الناس . وأغلق أبو طاهر المسجد وسرد فن تلك القواعد سبعاً، فحصل للهروي سعلة، فأحس به أبو طاهر فضربه وأخرجه من المسجد، ثم لم يكررها فيه بعد ذلك، فرجع الهروي إلى أصحابه، وتلا عليه تلك السبع، قال القاضي أبو سعيد: فلما بلغ القاضي حسين ذلك ردّ جميع مذهب الشافعي إلى أربع قواعد.

١- الأمور بمقاصدها.

٢- الضرر يزال.

٣- العادة محكمة.

٤- اليقين لا يزول بالشك.

٥- المشقة تجلب التيسير.

*خمس مقررة قواعد مــــذهب ... للشافعـــــي فكن بهن خبيـــراً*

*ضـــرر يزال وعادة قد حكمت ... وكــذا المشقة تجلب التيسيــرا*

*والشـــــك لا ترفع به متيقـــناً ... والقصد أخلص إن أردت أجوراً*

## لمحة تاريخية

كانت القواعد الفقهية قد نمت مع الأيام حسب الترتيب الزمني. فالحنفية بدأوا

أولاً: بأبي طاهر الدباس (١٧ قاعدة) جمع فيها مذهب أبي حنيفة كله.

**ثانياً:** ثم أبو الحسن الكرخي سنة ٣٤٠ هـ (جمع ٣٧) . شرحها نجم الدين أبو حفص عمر النسفي سنة ٥٢٧هـ.

**ثالثاً:** ثم أبو زيد الدبوسي سنة ٤٣٠ هـ في كتابه (تأسيس النظر) (٨٦ قاعدة) ثمانية أقسام:

١-الخلاف بين أبي حنيفة وبين الصاحبين.

٢-الخلاف بين أبي حنيفة وأبي يوسف وبين محمد بن الحسن.

٣- الخلاف بين أبي حنيفة ومحمد وبين أبي يوسف.

٤- الخلاف بين أبي يوسف وبين محمد.

٥- الخلاف بين محمد بن الحسن والحسن بن زياد وبين زفر .

٦- الخلاف بين علمائنا وبين مالك.

٧-الخلاف بين علمائنا الثلاثة (محمد بن الحسن وبين ابن أبي ليلى والحسن بن زياد، وزفر).

٨-الخلاف بين علمائنا الثلاثة وبين الشافعي.

**رابعاً:** زين العابدين إبراهيم بن نجيم سنة ٩٧٠هـ في كتابه الفريد (الأشباه والنظائر) .

**خامساً:** أبو سعيد الخادمي وكتابه (مجامع الحقائق) جمع فيه ١٥٤ قاعدة.

**سادساً:** مجلة الأحكام ابتدأت بـ: ٩٩ قاعدة (٤٠ أساسية +٥٩ فرعية).

**سابعاً:** محمود حمزة (الفرائد البهية في القواعد والفوائد الفقهية).

## ٤-الفرق بين القواعد والأصول :

وهذه القواعد تشبه أصول الفقه من ناحية، وتخالفه من ناحية أخرى، أمّا من جهة المشابهه فهي أن كلاً منهما قواعد كلية تندرج تحتها قضايا جزئيه .

أما الفرق فهو أن الأصول مسائل يندرج تحتها أدلة كلية تسمح بالاستنباط، أما قواعد الفقه فهي عبارة عن المسائل التي تندرج تحتها أحكام الفقه نفسها.

فأولاً يستنبط المجتهد الأحكام الفقهية من القواعد الأصولية، ثم يرتب الأحكام الفرعية المتشابهة في قاعدة واحدة هي قاعدة فقهية.

**١- فالقاعدة:**

حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته:

أصل فقهي يندرج تحته كثير من الفروع الفقهية. مصوغة بعبارة قصيرة.

٢- أحكامها أغلبية يشذ عنها بعض الفروع، وخروج الفرع أولى استحساناً لأن القاعدة أخذت من الفروع.

٣- لم يسمح الذين كتبوا المجلة للقضاة أن يقضوا استناداً إلى القاعدة فحسب بل لابد من نص بجانبها .

قال التاج السبكي في قواعده، القاعدة: الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها. ومنها ما لا يختص بباب كقولنا: اليقين لا يزال بالشك». ومنها ما يختص كقولنا « كل كفارة سببها معصية فهي على الفور».

والغالب فيما اختص بباب وقصد به نظم صور متشابهة أن يسمى ضابطاً وما دخل في عدة أبواب قاعدة».

قال الزركشي : قال بعض المشايخ: العلوم ثلاثة:

**علم نضج وما احترق : النحو والأصول.**

**علم ما نضج وما احترق : البيان والتفسير.**

**علم نضج واحترق: الفقه والحديث.**

وقال صدر الدين ابن المرجل: ينبغي للإنسان أن يكون في الفقه قيماً، وفي الأصول راجحاً، وفي باقي العلوم مشاركاً.

# فوائد دراسة القواعد الفقهية

يقول القرافي في أول الجزء الأول من الفروق «أما بعد فإن الشريعة المعظمة المحمدية زاد الله تعالى منارها شرفاً و
اشتملت على أصول وفروع، وأصولها قسمان: أحدهما المسمى بأصول الفقه: وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد كالأحكام النا
عن الألفاظ العربية خاصة، وما تعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح ونحو الأمر للوجوب.

**والقسم الثاني:** قواعد كلية فقهية جليلة كثيرة العدد عظيمة المدد، مشتملة على أسرار التشريع وحكمه... وهذه القواعد مهمة الفقه، عظيمة النفع، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف، ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئي لاندراجها في الكليات».

**يقول السيوطي في الاشباه صـ ٥** « اعلم أن من الأشباه والنظائر فن عظيم، به يطلع على حقائق الفقه ومداركه ومآ وأسراره، ويتميز في فهمه واستحضاره، ويقتدر على الإلحاق والتخريج ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة، والحوا والوقائع التي لا تنقضي على ممر الأزمان، ولهذا قال بعض أصحابنا: الفقه معرفة النظائر.

وقد وجدت لذلك أصلاً من كلام عمر بن الخطاب... اعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك».

ويقول أبوبكر الأهدل في أرجوزته : (الفرائد البهية نظم القواعد الفقهية) صـ ١٦ عن الفقه .

*وهو فن واسع منتشـــــر فروعه بالعد لا تنحصـــر*

*وإنما تضبط بالقواعـــد فحفظها من أعظم الفوائد*

وقال الحافظ العراقي: إلحاق المسائل بنظائرها أولى من اختراع حكم لها مستقل.

# الأمور بمقاصدها

الأصل في هذه القاعدة قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات».

حديث صحيح مشهور أخرجه الأئمة الستة ولم يخرجه مالك في الموطأ .

إنما : للحصر تفيد إثبات الحكم للمذكور وتنفي ما سواه. والحديث من قبيل المقتضى الذي لا يعم فهو للآخرة، وفي الصحي «ولكن جهاد ونية».

وفي مسند أحمد من حديث ابن مسعود « رب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته».

وفي السنن الأربعة من حديث عقبة بن عامر «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة»، وفيه «وصانعه يحتسب في صنع الأجر» .

وحديث «إنما الأعمال بالنيات» قيل في مهاجر أم قيس (واسمها قَيْلة».

وهناك حديث ضعيف أخرجه الطبراني «نية المؤمن خير من عمله».

حديث «إنما الأعمال بالنيات» من غرائب الصحيح، رواه يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بـ وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب. واحد عن واحد عن واحد عن واحد.

والمعنى: أن التقرب إلى الله يكون بالإخلاص، كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى «ليبلوكم أيكم أحسن عملاً» أخلص وأصوبه. «والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة». كقوله تعالى « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسـ بالعروة الوثقى» .

قال أبو عبيد: ليس في أخبار النبي ﷺ شيء أجمع ولا أغنى وأكثر فائدة منه، واتفق الشافعي وابن حنبل وابن المديني، وابـ مهدي وأبو داود، والدارقطني وغيرهم أنه ثلث العلم. وذلك أن كسب العبد بقلبه ولسانه وجوارحه فالنية أحد أقسامه الثلاثة.

قال ابن مهدي: يدخل في ثلاثين باباً من العلم.

قال الشافعي: يدخل في سبعين باباً من العلم.

وقد عدّ السيوطي أكثر من سبعين باباً تدخل فيه النية.

**المعنى اللغوي:**

الأمور: جمع أمر، معناه اللغوي: الفعل والحال، إذ يقال: أمور فلان مستقيمة أي أحواله. (وما أمر فرعون برشيد). أي حاله أما الأمر: بمعنى الطلب فيجمع على أوامر.

والأمر هنا الفعل، ويعد القول من الفعل، لأنه ينشأ من جارحة اللسان، والفعل: هو عمل الجوارح.

**معنى القاعدة:** الحكم الذي يترتب على أمر يكون على مقتضى ما هو المقصود من ذلك الأمر. وهنا قرن الفعل بالقصد في قوله «الأمور بمقاصدها».

**واختلف هل القاعدة على ظهورها وعمومها؟**

١-قال الجمهور على ظهورها: أي الأعمال بالنيات سواء كانت محمودة أم مذمومة. ولذا ففي حديث إنما الأعمال بالنيات ذكر النية المحمودة والمذمومة « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله...

٢-قال بعضهم فيها إضمار أي ثواب الأمور بمقاصدها.

٣- قال بعضهم فيها تخصيص أي الأمور الشرعية بمقاصدها.

وعلى هذا: فالنية التي لا تقترن بفعل ظاهري لا تترتب عليها أحكام شرعية. فلو طلق رجل زوجته بقلبه أو باع داره في قلبه لا يترتب على ذلك الفعل الباطني حكم، لأن الأحكام الشرعية تتعلق بالظواهر.

**العاصي بسفره:**

١-لا يجوز له القصر والفطر عند مالك والشافعي وأحمد.

٢-يجوز له القصر والفطر عند أبي حنيفة.

**أما الأفعال بلا نية: فحكمها كما يأتي:**

١-**الألفاظ الصريحة** لا تحتاج إلى نية، لأن النية تكون متمثلة فيها، فالبيع ، والشراء، الوكالة، الإيداع، والقذف ، والسرقة كلها أمور لا تتوقف على النية، بل فعلها يكفي لترتب الحكم.

٢-**الألفاظ غير الصريحة:** يختلف حكم اللفظ الواحد باختلاف مقصد الفاعل، كالبيع بصيغة «أبيع». فإن قصد الحال انعقد البيع، وإن قصد الاستقبال لا ينعقد.

والشخص الذي يحرز مالاً مباحاً، كوضع الإناء تحت المطر، والطبخ!!! ولو أخذ لقطة: فإن أخذه بقصد التملك عد غاصباً، فإن تلف عنه ولو بلا تعد بخلاف ما لو أخذها لاعادتها لصاحبها.

**الأحكام التي لا تتبدل أحكامها باختلاف القصد والنية:**

١-الإتلاف: يضمنه المتسبب ولو بلا نية/ قضاء الحقوق كرد الأمانة والعارية.

٢-أخذ النقود من سكران يعد غصباً.

٣-أخذ مال الآخرين ولو بقصد المزاح يعد غاصباً.

ومعنى القاعدة كلها يكون: بأن الحكم الذي يترتب على أمر يكون على مقتضى ما هو المقصود من ذلك الأمر.

## ١- حقيقة النية: لغة واصطلاحاً:

جمع نية: بالتشديد والتخفيف في الياء.

قال النووي تبعاً لابن الصلاح: النية لغة القصد وشرعاً القصد.

جاء في التلويح: قصد الطاعة والتقرب إلى الله تعالى في إيجاد الفعل.

قال البيضاوي: النية شرعاً: الإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء لوجه الله تعالى وامتثالاً لحكمه

**لغة:** انبعاث القلب نحو ما تراه موافقاً لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالاً أو مآلا(1).

قال ابن تيمية في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات «لفظ النية في كلام العرب من جنس القصد والإرادة ونحو ذلك. تق العرب: نواك الله بخير أي أرادك بخيره».

## ٢- لماذا شرعت النية؟

١-تمييز العبادات من العادات: كالغسل بين التنظيف والتبرد والعبادة، والذبح، والجلوس في المسجد للراحة والاعتكاف.

مقصودها التمييز للعبادة في المسجد مما يكون شبهها في العادة.

٢- تمييز رتب العبادات بعضها من بعض: كالصلاة والصوم: فرضاً، نفلاً، نذراً.

## ملاحظات:

١- ولذا فلا تشترط النية في عبادة لا تكون عادة.

كالإيمان بالله، والمعرفة، والخوف، والرجاء وقراءة القرآن. ونقل العيني في شرح البخاري الإجماع على أن التلاوة والأذكا والأذان لا تحتاج إلى نية(2).

٢-قال الشيخ في المهذب: كل موضع افتقر إلى نية الفرضية افتقر إلى تعيينها إلا التيمم في الفرض على الأصح.

*ويشترط التعيين فيما يلتبس — دون سواه فاحفظ الأصل وقس*

*وكل ما لنية الفرض افتقر — فنية التعيين فيه تعتبر*

*واستثنين من ذاك التيمما — للفرض في الأصح عند العلما*

٣-ما لا يشترط فيه التعيين جملة وتفصيلاً إذا عينه وأخطأ لم يضر. كتعيين مكان الصلاة وزمانها، وكتعيين المأمومين، وعد الركعات أو نوى الأداء وتبين أن الوقت خرج.

٤- ما يشترط فيه التعيين فالخطأ فيه مبطل. كنية الظهر بدل العصر.

## ٣-تعيين المنوي في العبادة:

١- إن كان الوقت ظرفاً لها (يتسع غيرها) لابد من التعيين، وعلامة التعيين أنه لو سئل أي صلاة يصلي يمكنه أن يجيب بـ تأمل.

٢-إن كان وقتها معياراً (لا يتسع غيرها) كصوم رمضان فإن التعيين ليس بشرط. فلو صام بنية النفل أو النذر في رمضا يقع عن الفريضة.

أما المسافر فإن صام عن واجب آخر وقع عن الواجب. وإن صام نفلاً ففيه روايتان، والصحيح وقوعه عن رمضان.

وأما المريض ففيه روايتان والأصح وقوعه عن رمضان واجبا أو نفلاً.

٣- في الوقت المشكل كالحج: فإن وقته يتسع غيره (أفعاله لا تستغرق غير وقته) هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فوقت كالمعيار: لأنه لا يصح في السنة إلا حجة واحدة. فيصاب الحج بمطلق النية باعتبار المعيارية. وإن نوى نفلاً وقع عما نوى نظراً إلى الظرفيه(3).

**ضابط: التعيين لتمييز الأجناس:** فنية التعيين في الجنس الواحد لغو لعدم الفائدة. ويعرف اختلاف الجنس باختلا

---

(1) الأشباه لابن نجيم ٢٩.

(2) ابن نجيم ٣٠.

(3) ابن نجيم ٣٠

الأسباب[1] فالصلاة كلها من قبيل المختلف حتى الظهرين من يومين. بخلاف أيام رمضان فإنه يجمعها شهود الشهر.

## ٤-وقت النية:

وقتها أول العبادات: أما في الصوم فيجوز تقدم النية في الفرض وتأخرها في النفل، وأما الزكاة والكفارة فيجوز تقدم النية، والفرق بينهما وبين الصلاة أنه يجوز تقدمهما عن الوقت، ويقبلان النيابة. ولكن التقدم ينتقض بالصوم، والنيابة ينتقض بالحج .

## ٥- شرط بقائها:

لا تلزم نية العبادة في كل جزء، إنما تلزم في جملة ما يفعله، فلو افتتح المكتوبة ثم ظن أنها تطوع فأتمها على نية التطوع ، اجزأته عن المكتوبة.

## ٦- محل النية، القلب:

وذلك لأن القصد هو النية وهو فعل القلب. ومن ثم لا يكفي التلفظ باللسان دونه، كما أنه لا يشترط مع نية القلب التلفظ.

أ-فإذا اختلف القلب واللسان فالعبرة بما في القلب. فلو نوى في قلبه الظهر وتلفظ بالعصر لا تبطل صلاته، أو نوى بقلبه الحج وبلسانه العمرة أو عكسه صح له ما في القلب.

ب- كما أنه إذا سبق اللسان إلى لفظ اليمين بلا قصد لم تنعقد. (قصة الواعظ) طلقكم ثلاثاً إمام الحرمين – طالقة.

الغزالي: في النفس منه شيء.

الرافعي: لا تطلق. يا طالق يا طالق لا تطلق.

واستثني مواضع يكتفى فيها باللفظ/ الزكاة – المرتد، والحج في قول، ومن المواضع التي يكتفى فيها بالنية العبادات، أحيا أرضاً بنية جعلها مسجداً

**أيستحب التلفظ في النية أم يكره أم يسن؟**

١- قال في الهداية : يستحب لمن لم تجتمع عزيمته.

وقال في فتح القدير: لم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه التلفظ بالنية لا في حديث صحيح ولا ضعيف. وزاد ابن أمير حاج أنه : لم ينقل عن الأئمة الأربعة.

**الذي يقع في النفس من قصد المعصية أو الطاعة.**

مراتبه:

**١-الهاجس:** ما يلقى في النفس.

**٢-الخاطر:** إذا جرى في النفس.

**٣-حديث النفس:** ما يجري فيها من التردد هل يفعل أو لا؟

**٤-الهم:** ترجيح قصد الفعل.

**٥- العزم:** قوة القصد والجزم به.

*مقاصد النفس خمس هاجس ذكروا — فخاطر فحديث النفس فاستمعوا*

*هـم فعـزم كلها رفعت — سوى الأخير ففيه الإثم قد وقعا*

أما الثلاثة الأولى (الهاجس والخاطر وحديث النفس) فلا يسجل على المرء حسنة ولا سيئة.

---

(1) ابن نجيم ٣١

أما الهم: بالحسنة: فيكتب حسنة.

وأما بالسيئة: فلا يكتب سيئة، وينتظرُ فإن تركها لله كتبت حسنة، وإن فعلها كتبت سيئة واحدة.

وفي الحديث « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به».

أما العزم: فالمحققون على أنه يؤاخذ به، ومنهم من جعله من الهم المرفوع.

واستدلوا على المؤاخذة بالعزم بما يلي(١):

١-إذا التقى المسلمان... أنه كان حريصاً على قتل صاحبه.

٢- ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن... كالحسد والشرك.

ومن المعلوم أن الإنسان يؤاخذ على الفواحش الباطنة.

# شروط النية

١-الإسلام: ولذا لا تصح العبادات من الكافر، وخرج من اشتراط الإسلام أفعال وصور(٢):

أ-الكتابية تحت المسلم يصح غسلها عن الحيض ليحل وطؤها بلا خلاف للضرورة.

ب-الكفارة تصح من الكافر بشرط النية، لأن المطلب فيها جانب الغرامات، والنية فيها للتميز لا للقربة، وبهذا يعرف الفرق بين عدم وجوب إعادتها بعد الإسلام ووجوب إعادة الغسل بعده.

جـ-إذا أخرج المرتد الزكاة في حال الردة تصح وتجزيه.

٢-التمييز: فلا تصح عبادة صبي غير مميز، ولا مجنون، وخرج من ذلك الطفل.

٣-العلم بالمنوي: فمن جهل فرضية الصلاة لم تصح. إلا في الحج فإنهم صححوا الإحرام المبهم، لأن علياً أحرم بما أحرم به رسول الله ﷺ وصححه.

٤-ألا يأتي بمناف بين النية والمنوي: فالنية المتقدمة على التحريمة جائزة إذا لم يأت بينهما بمناف ليس منها بكاء الولد ، غسل الصحون، الحديث مع آخر.

## أمثلة على ما ينافي النية:

أ-الارتداد:

وتبطل صحبة الصحابي بالارتداد إذا مات كافراً كابن خطل ، ولكن لو عاد إلى الإسلام فإن كان في حياته ﷺ فلا مانع من عودها كابن أبي السرح، وإلا ففي عودها نظر. كالأشعث بن قيس الذي ارتد بعد الرسول ﷺ ثم أسلم ومات مسلماً.

ب-ومن المنافي نية القطع:

ولو ارتد أثناء الصلاة أو الصوم أو الحج بطل عمله. فإن نوى قطع الإيمان صار مرتداً في الحال. ولو نوى قطع الصلاة بطلت عند الشافعية لاختصاص الصلاة من بين العبادات شبيهه بالإيمان بخلاف الحنفية.

وعلى هذا فعند الحنفية: إذا ابتدأ بصلاة الفرض ثم غير نيته في الصلاة وجعلها تطوعاً صارت تطوعاً.

جـ- ومن المنافي التردد وعدم الجزم في الأصل:

كصوم يوم الشك عن شعبان إن كان منه أو عن رمضان.

---

(١) الاشباه للسيوطي ٣٨.

(٢) الاشباه للسيوطي ٣٩.

أمثلة على التردد (عدم الجزم) بالنية[1].

أمثلة على أن التردد يقطع النية ولا تصح العبادة أو الفعل مع التردد.

١-تردد في قطع الإيمان أو الصلاة، ارتد، وبطلت الصلاة.

٢-تردد أنه نوى القصر أو لا؟ لم يقصر.

٣-تيقن الطهارة وشك في الحدث فاحتاط وتطهر، ثم بان أنه محدث لم يصح وعليه الإعادة. بخلاف ما لو نوى إن كان محدثا فوضوء وإلا فتجديد جبر.

٤-نوى ليلة الثلاثين من شعبان صوم غد عن رمضان إن كان منه فكان منه لم يقع عنه، بخلاف ما لو وقع ذلك ليلة الثلاثين من رمضان لاستصحاب الأصل.

بخلاف ما لو نوى ليلة الثلاثين من شعبان صوم غد عن رمضان إن كان منه فكان منه وإن لم يكن منه فصوم نافلة، صحح السبكي والاسنوي أنه يصح ويجزيه ولا يضر هذا التعليق ، قال السيوطي وهو المختار، والمرجح في أصل الروضة (للنووي) خلافه.

٥-شك في جواز المسح على الخف فمسح، ثم تبين جوازه وجب إعادة المسح وقضاء ما صلى .

٦-تيمم أو صلى أو صام شاكا في دخول الوقت فبان في الوقت لم تصح.

٧-تيمم بلا طلب للماء ثم بان أن لا ماء، لم يصح.

٨-تيمم لفائتة ظنها عليه أو لفائتة الظهر فبانت العصر لم يصح.

٩-صلى إلى جهة ظانا أنها القبلة فبانت صحيحة لم تصح.

**د- أمثلة صحت فيها النية مع التردد.**

١-عليه صوم واجب لا يدري أهو رمضان أو نذر أو كفارة فنوى صوماً واجباً أجزأه.

٢-نوى في الحج إن كان زيد محرماً فقد أحرمت، فإن بان زيد محرماً انعقد إحرامه.

٣-أحرم يوم الثلاثين من رمضان فقال: إن كان رمضان فعمرة وإن كان الأول من شوال فهو حج فبان شوالاً فحجه صحيح.

٤-في الصلاة شك في قصر إمامه فقال: إن قصر قصرت وإلا أتممت فبان قاصراً قصر.

٥-نوى زكاة ماله الغائب إن كان سالماً وإلا فعن الحاضر فبان سالماً اجزأه عنه أو تالفاً أجزأه عن الحاضر[2].

# النية ركن أم شرط

**رأي الحنفية:**

قال ابن نجيم في الأشباه ص ٥٢ (النية شرط عندنا في كل العبادات باتفاق الأصحاب لا ركن، وإنما وقع الاختلاف في تكبيرة الإحرام، والمعتمد أنها شرط كالنية وقيل بركنيتها).

**رأي الشافعية:**

اختار أكثر الشافعية أنها ركن.

قال الشيخان (النووي ، الرافعي): النية ركن في الصلاة وشرط في الصوم.

قال الغزالي : النية: شرط في الصلاة وركن في الصوم.

قال العلائي: ما كانت النية معتبرة في صحته فهي ركن فيه، وما يصح بدونها ولكن يتوقف حصول الثواب عليها كالمباحات والكف عن المعاصي فنية التقرب شرط في الثواب[3].

## تقسيم السيوطي للتشريك في النية:

**أ- أن ينوي مع العبادة ما ليس بعبادة**

(١)أشباه السيوطي ٤٠-٤٢. (٢)الاشباه للسيوطي ٤٠-٤٢. (٣) الاشباه للسيوطي ٤٣.

١-قد يبطلها: ذبح لله وللصنم يحرم أكلها.

٢-تصح: نوى الوضوء والتبرد.

نوى الصوم والحمية.

نوى الطواف وملازمة غريمه.

نوى الصلاة ودفع غريمه.

نوى في القراءة في الصلاة القراءة والإفهام.

نوى الحج والتجارة، قال الغزالي: إن كان القصد الدنيوي هو الأغلب لا أجر له. وإن كان القصد الأخروي هو الأغلب له أ. بقدره، وإن تساويا تساقطا.

**ب- أن ينوي مع العبادة المفروضة عبادة أخرى مندوبة.**

**١-يحصلان معاً ويصحان:** نوى الفرض والتحية. قال في المجموع: يصح ويحصلان معاً واتفق عليه أصحابنا.

غسل الجمعة ورفع الجنابة.

السلام في الخروج من الصلاة ونوى السلام على الحاضرين.

حج الفرض والعمرة.

صوم النذر مع يوم عرفة.

نوى صلاة الفرض مع تعليم الناس.

**٢- يحصل الفرض فقط**

نوى حج الفرض والتطوع وقع فرضاً.

نوى القضاء مع التراويح قال ابن الصلاح يحصل الفائتة.

**٣- يحصل النفل فقط:**

نوى الزكاة والصدقة يقع عن الصدقة بلا خلاف.

**٤- البطلان في الكل:**

كبر المسبوق والإمام راكع تكبيرة واحدة ونوى بها التحرم والهوي إلى الركوع. لم تنعقد الصلاة أصلاً للتشريك.

**جـ- أن ينوي مع المفروضة فرضاً آخر:**

أن ينوي الغسل والوضوء معاً فإنها يحصلان على الأصح.

تيمم لفرضين صح لواحد منهما.

أحرم بحجتين صح لواحدة منهما.

**د- أن ينوي مع النفل نفلاً آخر:**

سنة الوضوء مع سنة تحية المسجد.

سنة الظهر مع سنة تحية المسجد.

## أمثلة على القاعدة:

من الأمثلة على قاعدة «الأمور بمقاصدها»(١).

١- أدخل الجنب يده في الإناء بعد النية، أو المحدث بعد غسل الوجه، فإن نوى رفع الحدث صار مستعملاً، أو الاغتراف فلا،

(١) أشباه السيوطي ١/٤٩.

أو أطلق فوجهان: أصحها يصير.

٢- لو كرر لفظ الطلاق بلا عطف: فإن قصد الاستئناف وقطع الطلاق الثلاث أو التأكيد فواحدة. أو أطلق فقولان أصحهما الثلاث.

٣- لو قال: أنت علي كعين أمي، فإن قصد الظهار فمظاهر. أو الكرامة فلا. أو أطلق فوجهان أصحهما لا شيء.

٤- إذا اتخذ الحلي بقصد استعماله في مباح لم تجب فيه الزكاة. أو بقصد كنزه وجبت. أو لم يقصد استعمالاً ولا كنزاً. فوجهان أصحهما في أصل الروضة: لا زكاة.

٥- لو انكسر الحلي المباح بحيث يمنع الاستعمال لكن لا يحتاج إلى صوغ ويقبل الإصلاح بالالحام. فإن قصد جعله تبراً أو دراهم. أو كنزه انعقد الحول عليه من يوم الانكسار. وإن قصد إصلاحه فلا زكاة وإن تمادت عليه أحوال. وإن لم يقصد لا هذا ولا ذاك فوجهان: أرجحهما: الوجوب.

٦- إذا تلفظ الجنب بألفاظ القرآن. فإن قصد القراءة فقط حرم. أو الذكر فقط فلا. وإن قصدهما حرم. أو أطلق حرم أيضاً.

ويقرب من ذلك حمل المصحف في أمتعة. فإن كان هو المقصود بالحمل حرم، وإن كان المقصود الأمتعة فقد أوهما فلا...

٧- المنقطع عن الجماعة لعذر من الأعذار، فإن كانت نيته حضورها لولا العذر يحصل له ثوابها وجزم به الماوردي في الحادي والغزالي وقال: وهو الحق، واختار السبكي: أن معتاد الجماعة إذا تركها لعذر يحصل له أجرها.

٨- من سلك الطريق الأبعد بقصد القصر لا غير لا يقصر في الأصح.

٩- المعذور في ترك المبيت في منى لا يلزمه دم. ويلزم من ذلك حصول الأجر له بلا شك.

١٠- من حضر الوقعة صحيحاً فمرض يسهم له من الغنائم. ومن تحيز إلى فئة ليستنجد للجيش يشارك في الغنيمة.

## جريان القاعدة بالعربية

**ملاحظة:** تجري قاعدة « الأمور بمقاصدها» في علم العربية .

قال سيبويه والجمهور: يشترط القصد في الكلام، وخالفهم أبوحيان فلا كلام لنائم ولا ساه ولا حيوان، فلو حلف لا يكلم إنساناً فكلمه نائماً أو مغمى عليه فلا حنث عند الرافعي.

ومن ذلك: المنادى النكرة: مقصودة أو غير مقصودة، وكذلك القصد في الشعر: « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»

*هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت*

## ما يتفرع عن القاعدة

«العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني» م ٣.

**العقد:** هو ارتباط الإيجاب بالقبول كعقد البيع والإجارة

**اللفظ:** هو الكلام الذي ينطق به الإنسان بقصد التعبير عن ضميره . وما الألفاظ إلا قوالب للمعاني.

الوصاية في حالة الحياة وكالة، والوكالة بعد الموت وصاية.

١-بيع الوفاء يجري فيه أحكام الرهن.

٢-اشترى رطل سكر من بائع وقال له. خذ ساعتي أمانة . فإن الساعة رهن.

٣-أعرتك سيارتي لتركبها بخمسين درهماً . العقد إجارة.

٤-احلتك على فلان مع بقاء ذمتي مشغولة. فالعقد كفالة.

٥-الهبة بشرط العوض بيع انتهاء، ولذا تثبت الشفعة إذا كان أحد العوضين عقاراً و تقابضا.

٦- الدار التي هي بدل صلح تجب فيها الشفع مطلقاً.

**مستثنياتها:**

١-بعتك السيارة بلا ثمن فالعقد باطل ولا ينعقد هبته.

٢-آجرتك الدار بلا أجرة فالإجارة باطلة ولا تكون إعارة، لأن الإجارة تفيد بيع المنفعة، والعارية تفيد عدم العوض. وبين الا تضاد.

*دليلها من الحديث يا فتى     في مسلم وغيره قد ثبتا*

# اليقين لا يزول بالشك(١)

**أدلتها:**

١- من القرآن «وما يتبع أكثرهم إلا ظنا...».

٢-من العقل: اليقين أقوى من الشك، ودليلها قوله ﷺ « إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فاشكل عليه، أخرج منه شيء أم لا؟ يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»(٢).

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى أثلاثا أم أر فليطرح الشك؛ وليبن على ما استيقن».

قال السيوطي في الأشباه ص ٥٦ « اعلم أن هذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه، والمسائل المخرجة عليها تبلغ ث أرباع الفقه وأكثر»

**وهنالك قاعدة في هذا المعنى:**

« ما ثبت بيقين لا يرتفع بالشك، وما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين» وهذا قول الشافعي(٣).

**الشك:**

تردد الفعل بين الوقوع وعدمه بلا مرجح لأحد الاحتمالين. أما إذا ترجح أحد الاحتمالين والقلب غير مطمئن للجهة الراجحة ف ظن، والمرجوح يسمى وهماً. أما إذا كان أحد المرجحين يطمئن إليه القلب فهو ظن غالب بمنزلة اليقين.

**اليقين:**

حصول الجزم أو الظن الغالب بوقوع الشيء أو عدم وقوعه. أو: علم الشيء المستتر عن نظر واستدلال.

**أمثلة:**

١-سافر رجل إلى بلاد بعيدة وانقطعت أخباره فشك بموته، فلا يحكم بموته إلا بالتيقن.

وبالعكس: لو ركب طائرة وثبت احتراقها يحكم بموته.

٢-قال رجل أشك أن لأحمد عليَّ ديناراً فلا يثبت عليه دين.

٣-تعاشر الزوجان مدة طويلة ثم ادعت عدم النفقة والكسوة فالقول لها، لأن الأصل بقاؤها في ذمته.

٤-اختلف الزوجان في التمكين، فقالت سلمت لك نفسي منذ مدة فالقول له، لأن الأصل عدم التمكين.

٥-ولدت وطلقها فقال: طلقت بعد الولادة فلي الرجعة. وقالت طلقت قبل الولادة فالقول للزوج، لأن الأصل بقاء سلطنة النكاح.

٦-أسلم إليه في لحم فجاء به، فقال المسلم: هذا لحم ميتة، أو مذكى مجوسي، وأنكر المسلم إليه، فالقول قول المسلم القابض

(١) مجلة ٤ .

٢- رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٣) أشباه السيوطي ٦١.

قطع به الزبيري والهروي والعبادي، لأن الشاة في حال حياتها محرمة فيتمسك بأصل التحريم إلى أن يتحقق زواله.

جاء في أشباه السيوطي ص ٨٢: قال النووي: اعلم أن مراد أصحابنا بالشك في الماء والحدث والنجاسة والصلاة والعتق وغيرها: هو التردد بين وجود الشيء وعدمه، سواء كان الطرفان في التردد سواء أو أحدهما راجحاً، فهذا معناه في استعمال الفقهاء وكتب الفقه. أما أصحاب الأصول: فإنهم فرقوا بين ذلك وقالوا: التردد إن كان على السواء فهو شك، وإن كان أحدهما راجحاً فالراجح ظن والمرجوح وهم». وهذا هو رأي الحنفية، قال ابن نجيم في الأشباه ص ٧٣: وحاصله أن الظن عند الفقهاء من قبيل الشك، لأنهم يريدون به التردد بين وجود الشيء وعدمه، سواءاستويا أو ترجح أحدهما. وكذا قالوا في كتاب الاقرار لو قال له علي ألف درهم في ظني لا يلزمه شيء لأنه للشك. وغالب الظن عندهم ملحق باليقين، وهو الذي يبتنى عليه الأحكام. وصرحو في الطلاق بأنه إذا ظن الوقوع لم يقع، وإذا غلب على ظنه وقع».

قال الشيخ أبو حامد الإسفرايني[1] الشك على ثلاثة أضرب:

١-شك طرأ على أصل حرام.

٢-وشك طرأ على أصل مباح.

٣-وشك لا يعرف أصله.

-فالأول: مثل أن يجد شاة في بلد منها مسلمون ومجوس، فلا يحل حتى يعلم أنها ذكاة مسلم، لأنها أصلها حرام، وشككنا في الذبيحة المذكاة، فلو كان الغالب فيها المسلمون جاز الأكل عملاً بالغالب المفيد للظهور.

-والثاني: أن يجد ماء متغيراً، واحتمل تغيره بنجاسة أو بطول المكث، يجوز التطهر به عملاً بالغالب عملاً بأصل الطهارة.

-الثالث: مثل معاملة من أكثر ماله حرام ولم يتحقق أن المأخوذ من ماله عن الحرام، فلا تحرم مبايعته لإمكان الحلال وعدم تحقق التحريم، ولكن يكره خوفاً من الوقوع في الحرام[2].

١-شك ماسح الخف أنقضت المدة أم لا؟ يحكم بالانقضاء.

٢-شك أمسح في السفر أو في الحضر؟ يحكم بالانقضاء.

٣-نوى بنية القصر خلف من لا يدري أمسافر هو أم مقيم؟ لا يجوز القصر.

٤-بال حيوان في ماء كثير فتغير، فشك إن كان من البول أو من غيره فهو نجس.

٥-المستحاضة المتحيرة ولو شكت في انقطاع الدم يلزمها الغسل لكل صلاة.

٦-من أصابته نجاسة في ثوبه أو بدنه وجهل مكانها غسل الجميع.

٧-شك مسافر أوصل بلده أم لا، لا يجوز له الترخص.

٨-شك مسافر أنوى الإقامة أم لا؟ لا يجوز له الترخص.

٩-المستحاضة وسلس البول شك في الحدث، لا يجوز صلاته.

١٠-تيمم ثم رأى شيئا فلم يدر سرابا أم ماءً، بطل تيممه.

١١-رمى صيداً فجرحه ثم غاب فوجده ميتاً ولم يدر أمات من جرحه أم غيره لا يحل أكله.

١٢-شك الناس في خروج وقت الجمعة فإنهم لا يصلونها.

١٣-توضأ وشك في مسح الرأس : وجهان أصحهما الصحة.

١٤-سلم من الصلاة وشك ثلاثاً أم أربعاً جازت الصلاة.

١٥-إذا جاء من قدام الإمام واقتدى به وشك هل هو متقدم عليه فالصحيح في شرح المهذب أن صلاته صحيحة. ولو صلى

(١) (أشباه السيوطي ٨٢) (٢) انظر ص ٨٠ مستثنيات القاعدة عند السيوطي.

وشك هل تقدم على الإمام بالتكبير أو لا؟ لا تصح صلاته

والفرق: بأن الصحة في التقديم أكثر وقوعاً فإنها تصح في صورتين التأخير والمساواة. وتبطل في التقدم خاصة. والصحة التكبير أقل وقوعاً، فإنها تبطل بالمقارنة والتقدم، وتصح في صورة واحدة وهي التأخر.

هذه الأمثلة للمستثنيات أوردها ابن القاضي في التلخيص عدا الثلاثة الأخيرة فأوردها الغزالي والجويني

## من فروع (اليقين لا يزول بالشك)

### ١- الأصل بقاء ما كان على ما كان: م/ ٥

هذه القاعدة تشبه: شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يرد نص بخلافه.

وهذه القاعدة هي الاستصحاب: اعتبار الحالة الثابتة في وقت ما مستمرة في سائر الأوقات حتى يثبت انقطاعها أو تبدلها.

وهو حجة دافعة لا مثبتة عند الحنفية، لأن معنى الدفع أن لا يثبت الحكم، وعدم الحكم مستند إلى عدم دليله. فالأصل في ال الاستمرار حتى يظهر دليل الوجود وهو نوعان:

١- **استصحاب الماضي بالحال:** المتوضيء الذي شك في وضوئه يبقى على الطهارة ويطرح الشك. والمحدث الذي شك في وض لا يعتبر متوضئا

ولو ادعى المقترض دفع الدين وأنكر الدائن فالقول قوله، وكذلك المستأجر إذا ادعى دفع الأجرة للمؤجر وأنكر الأخير فله القو

٢-**استصحاب الحال بالماضي:** ادعى جار على جاره أن له عليه طريق أو مسيل ماء، فإذا كان لأزال الطريق والمسيل قا فالقول له.

ادعى الأب على ابنه أنه انقطع عن الإنفاق عنه. فالقول الفصل للحالة الحاضرة.

**والاستصحاب حجة:** للدفع والإثبات عند جمهور الشافعية والفقهاء، وأما عند الحنفية للدفع لا للإثبات.

قال ابن نجيم في أشباهه ص ٧٣«قيل حجة مطلقاً ونفاه كثير مطلقاً، واختار الفحول الثلاثة (أبو زيد والسرخسي والبزدو أنه حجة للدفع لا للاستحقاق، وهو المشهور عند الفقهاء، وهو قول أبي منصور وأئمة من مشائخ سمرقند من الحنفية»(١).

أكل آخر الليل وشك في طلوع الفجر صح صومه لأن الأصل بقاء الليل.

أكل آخر النهار وشك في غروب الشمس بطل صومه لأن الأصل بقاء النهار.

### قاعدة:

من شك أفعل شيئاً أم لم يفعله فالأصل أنه لم يفعله، ويدخل فيه قاعدة أخرى: من تيقن من الفعل وشك في القليل أو الك حمل على القليل لأنه المتيقن، لأن الأصل أنه لم يفعله. فمن شك في ترك مأمور في الصلاة يسجد للسهو.

ومن شك أنه فعل منهياً في الصلاة لا يسجد للسهو.

عرف الزنجاني الاستصحاب بأنه: الاستدلال بعدم الدليل على نفي الحكم أو بقاء ما هو ثابت بالدليل.

**أدلة المثبتين للاستصحاب.**

١- انعقاد الإجماع أن من شك في وجود الطهارة فصلاته غير جائزة، ولو شك في بقائها جازت الصلاة.

٢-العقلاء يحكمون بجواز مراسلة من عرفوه حياً من قبل.

٣-ثبات الشريعة في حقنا.

٤-الشك في النكاح يوجب حرمة الوطء، والشك في الطلاق لا يحرم الوطء.

(١) انظر فتح الغفار على المنار ٣

**أدلة النافين للاستصحاب** [1] .

١-الإثبات أقوى من النفي، ولو كان الاستصحاب حجة لكان النفي أقوى لاعتضاده بهذا الأصل.

٢-ثبوت الحكم في الزمن الثاني يحتاج إلى دليل ولا دليل.

٣-لا يجوز عند الشافعي عتق العبد الذي انقطعت أخباره عن الكفارة[2] .

مسألة تابعة: إلى الأصل بقاء ما كان على ما كان.

**أمثلة:** مات رجل وله بنتان وولد مفقود، يقسم النصف بين البنتين ويوقف النصف بين أيديهما، فإن ظهر حياً دفع إليه، وإن ظهر ميتاً حقيقة أو حكما يعطى البنتان سدس كل المال من ذلك النصف والثلث الباقي لأولاد الابن «حاشية ابن عابدين». وهذا هو رأي المالكية.

أما الحنبلية فقالوا في مثل (غرق مركب) ينتظر أربع سنين ثم يقسم ماله. وإن كان في سفر وفقد خبره ينتظر حتى تسعين سنة.

**مثال على استصحاب الحال بالماضي**[3]: مات نصراني فجاءت امرأته مسلمة وقالت أسلمت بعد موته فأستحق في ميراثه. وقالت الورثة أسلمت قبل موته. فالقول عند أئمتنا الثلاثة للورثة.

وقال زفر: القول لها: لأن إسلامها حادث، والحادث يضاف إلى أقرب أوقاته.

وهذه المسألة التي فيها استصحاب الماضي بالحال: قول زفر لأن نصرانيتها ثابتة.

واستصحاب الحال بالماضي لأن إسلامها الآن قائم: قول الثلاثة: فلو اعتبرنا قولها لكان الاستصحاب مثبتاً وهو باطل.

فاعتبرنا الثاني ليكون دافعاً فكان القول قول الورثة -(الثلاثة).

**مسألة ثانية:** مات مسلم وله امرأة نصرانية فجاءت مسلمة بعد موته وقالت أسلمت قبل موته، وقالت الورثة أسلمت بعد موته، فالقول قول الورثة أيضاً، ولا يحكم الحال لأن نصرانيتها كانت ثابتة، فهو استصحاب من الماضي إلى الحال.

والنظر إلى إسلامها يقتضي أن يكون ثابتاً قبل موته فهو استصحاب من الحال إلى الماضي، فاعتبار النوع الأول يكون دفعاً، واعتبار الثاني يكون استحقاقاً وهو باطل. فاعتبرنا الأول[4].

**الاستصحاب حجة للدفع عند الحنفية ولا يصلح للاستحقاق ومعناه:**

١-أي تجري عليه أحكام الأحياء فيما كان له فلا يورث ولا تبين امرأته .

٢-أما فيما لم يكن له فتجري عليه أحكام الأموات فلا يرث أحداً إلا ببرهان على حياته كأنه ميت حقيقة، لأن الثابت باستصحاب الحال يصلح لإبقاء ما كان على ما كان، ولا يصلح لإثبات ما لم يكن، ولا للإلزام على الغير، كذا في التلويح[5].

**١-مثال:** لو أبرأ مدينه ابراء عاماً ثم ادعى أن له عليه ألف دينار فلا تقبل الدعوى حتى يثبت أنها حدثت بعد الابراء.

ولهذه القاعدة مستثنى، وذلك أن الأمين يصدق مع يمينه أنه رد الوديعة أو أنها تلفت في يده دون تقصير ولا تعد[6].

**٢- مثال آخر** : الصلح مع الإنكار باطل.

قال الشافعي[1]«وإذا كان المدعى عليه ينكر فالصلح باطل، وهما على أصل حقهما، ويرجع المدعي على دعواه، والمعطي بما أعطى» أما الثلاثة فأجازوا الصلح مع الإنكار.

٣-الشقص إذا بيع من الدار وطلب الشريك الشفعة فأنكر المشتري ملك الطالب فيما في يده بأن قال هو معك إجارة أو عارية أن القول قول المشتري مع يمينه، ولا تجب الشفعة إلا ببينة على أن ما في يده ملكه فإنه يتمسك بالأصل. فإن اليد دليل الملك ظاهراً، والظاهر لا يصلح حجة للإلزام . وقال الشافعي تجب بغير بينة[7].

٤- لو تيقن الطهارة والحدث وشك في المتقدم فهو متطهر[8] .

(١) الآمدي ٤/١٧٧ - ابن الحاجب ٢/١٨٥. (٢) من الهداية/المواريث . (٣) أنظر شرح المجلة للأتاسي ١/٢٢ (٤) فتح الغفار ٣/٢٥.
(٥) علي حيدر ١/٢٠. (٦) الام/٣/١٩٦. (٧) فتح الغفار ٢/٢٥. (٨) أشباه ابن نجيم ٥٧.

## مادة (٦) «القديم يترك على قدمه»

هذه مأخوذة من قاعدة «ما كان قديما يترك على حاله ولا يتغير إلا بحجة».

يعني القديم المشروع ما لم يوجد دليل على خلافه يترك على حاله لحسن الظن بالمسلمين بأنه ما وضع إلا بوجه شرعي، ؛ القاعدة فرع القاعدة: الأصل بقاء ما كان على ما كان «بينهما عموم و خصوص مطلق».

لأن بقاء ما كان على ما كان شامل للقديم والحادث الذي يعلم له أول، وهذه في القديم الذي لا يوجد من يعرف أوله.

وهذه القاعدة تعم: المرور، المجرى، المسيل، حق الشرب، الأوقاف التي جهلت شروطها، فهذه كلها إذا كانت موجودة ولا يعر أولها يحكم ببقائها(١).

وهذه القاعدة مقيدة بالقاعدة: (الضرر لا يكون قديماً).

## المادة (٧) « الضرر لا يكون قديماً »

ولهذا قالوا: لا عبرة للقديم المخالف للشرع القويم(٢)

جاء في تنقيح الحامدية «الأصل أن ما كان على طريق العامة ولم يعرف حاله يجعل حديثاً وكان للإمام رفعه».

وهذه مأخوذة من الحديث: (لا ضرر ولا ضرار) .

أراد فتح كوة على جاره تطل على العورات وادعى قدمها، لا يحق فتحها لأنها ضرر، مشروعية رد المبيع بالعيب أو بفوات الوصف المرغوب.

## المادة (٨) «الأصل براءة الذمة»

-إذا أتلف أحمد مال علي و اختلفا في قيمة المتلف، فالقول لأحمد وعلى علي البينة في الزيادة. ولذا لم يقبل في شغل الذ شاهد واحد لم يعتضد بآخر أو يمين المدعي.

-اختلف عامل القراض مع رب المال على قيمة رأس المال، فالقول لعامل القراض.

- قال له عليَّ دراهم قبل تفسيره بثلاثة دراهم.

## الأصل براءة الذمة /م٨

وليس الدليل على براءتها عدم العلم بالدليل، بل العلم بعدم الدليل لأن عدم العلم بالدليل لا يصلح حجة.

**الذمة:** هي العهد والأمان، ومنه عقد الذمة. وهنا بمعنى (الذات) فالأصل أن تكون ذمة كل شخص بريئة أي غير مشغولة بحق آخر، لأن كل شخص يولد وذمته بريئة، وشغلها يحصل بالمعاملات، ولذا لم يقبل في شغلها شاهد واحد، وكذلك القول للمدعى عليه لموافقة الأصل، والبينة على المدعي لدعواه لأنه يخالف الأصل، أو صلاحية الإنسان لأن تثبت له الحقوق وتجب عليه التزامات (٣).

**والذمة في الأصول:** وصف يصير به الإنسان أهلاً لما له ولما عليه .

قال الشافعي: « أصل ما أبني عليه الإقرار أني أعمل اليقين وأطرح الشك» .

وإذا تعارضت هذه القاعدة مع «الأصل إضافة كل حادث إلى أقرب أوقاته». قدمت قاعدة (الأصل براءة الذمة) لأنها أقوى.

١- كمن ادعى على حاكم معزول أنه أخذ منه مالاً بعد عزله وأنكر الحاكم قائلاً بأن الأخذ كان قبل العزل، فالقول للحاكم.

٢-ولو استأجر علي صالحا لحفظ ماله مدة سنة بأجرة معلومة، وتلف المال وادعى الأجير «صالح» أنه حفظ المال عاماً، وقال علي «المستأجر» بأن المال هلك بعد شهر فلا يستحق سوى أجرة شهر فالقول للمستأجر، لأنه بريء الذمة، والأصل براءة الذمة أقوى

(١) شرح المجلة لرستم باز ص ٢١. (٢) شرح المجلة لرستم ٢٣. (٣) (المدخل الفقهي) حسين حامد ص ٢٣٠.

من إضافة الحادث إلى أقرب أوقاته.

٣- أقر محمد لعمر بمبلغ من مال، وقال محمد كان الإقرار زمن الطفولة، وقال عمر حصل بعد البلوغ فالقول لمحمد، لأن الأصل براءة الذمة.

# مادة (٩) الأصل في الصفات العارضة العدم م/٩

عرض : ظهر، والعَرَضُ: متاع الدنيا لأنه زائل، فالصفة العارضة حالة لا تكون موجودة، فالأصل كالربح والعيب والمرض، والصفة الأصلية حالة تكون مع وجود الأصل كالصحة والحياة والبكارة والسلامة [١].

لو شك أغسل اثنتين أم ثلاثاً فقد غسل اثنتين.

١) شك أنه ترك سجدة يأتي بها إن كان في الصلاة.

٢) شك في غسل ثنتين أو ثلاثة بنى على الأقل.

١- القول قول عامل القراض بعدم الربح مع يمينه.

٢- إذا ادعى اتلاف مال من قبل أحمد فأنكر فالقول قول أحمد.

٣- إذا اختلفا في قدم العيب فالقول للبائع.

٤- ادعى المشتري الخيار فالقول للبائع.

٥- نسي صلاة من الخمس يلزمه إعادة الخمس إن لم يتذكرها.

٦- إدعى الدائن يسر المدين فالقول للمدين مع اليمين.

٧- القول قول نافي الوطء لأن الأصل القدم، لكن قالوا في العنين لو ادعى الوطء وأنكرت وقلن بكراً خيرت، وإن قلن ثيباً فالقول للزوج لأن الأصل السلامة.

**ملاحظة:** الأصل في الوكالة الخصوص ، وفي المضاربة العموم

٨- أكل طعام غيره وقال أبحته لي فأنكر المالك فالقول للمالك، لأن الأصل عدم الإباحة.

٩- اختلف المتبايعان في الصحة والبطلان، فالقول لمدعي البطلان، لأن انعقاد البيع حادث والأصل عدمه. والباطل كالعدم لا حكم له.

وفي الصحة والفساد فلمدعي الصحة لأنهما لما اتفقا على العقد كان الظاهر من إقدامهما عليه صحته.

١٠- أنكرت وصول النفقة إليها فالقول لها.

١١- اختلفا في رؤية المبيع فالقول للمشتري (المنكر)، ومعنى هذه القاعدة مأخوذ من الأشباه «الأصل العدم وليس العدم مطلقاً وإنما هو في الصفات العارضة».

والمعنى أن الأصل في الصِّفات العارضة هو عدم وجود تلك الصفات أما في الصفات الأصلية فالأصل هو وجود تلك الصفات. فعلى هذا فالقول لمن يدعي الصفات الأصلية، فمن اشترى سيارة جديدة ثم ادعى بعد أخذها أن بها عيباً قديماً فعليه الإثبات. لأن الأصل أن السيارة لا تخرج إلا صالحة . وكذلك من تزوج بنتاً وادعى أنها ثيب فالأصل أنها بكر.

١٢- لو باع شخص بقرة ثم أرجعها المشتري لكونها غير حلوب مدّعياً أنه اشترط صفة الحلب. فهنا القول للبائع، لأن الصفة الأصلية عدم الحلب.

## من مستثنيات هذه القاعدة:

١- إذا أراد الواهب إرجاع الهبة وادعى الموهوب له تلفها فالقول للموهوب له بدون يمين.

---

(١) (مختار القاموس طاهر الزاوي ٤١٦).

٢-إذا تصرف الزوج بمال زوجته بإقراض شهر ثم توفيت الزوجة فادعى الورثة أن الزوج تصرف دون إذنها . فالقول للزوج أن الإذن عارض..كما جاء في رد المحتار.

وهذه القاعدة يعمل بها مالم يعارضها ظاهر: كالبكر البالغ إذا ادعى عليها زوجها أن وليها زوجها منه قبل استئذانها بلغها ذلك سكتت ، وقالت : بل رددت ، فالقول لها عند الأئمة الثلاثة خلافاً لزفر.

المادة: (١٠)

## (ما ثبت بزمان يحكم ببقائه ما لم يقم الدليل على خلافه)

فإذا ثبت ملك شيء لأحد أو وضع يده يحكم ببقائه أو تركه في يده مالم يقم الدليل على خلافه.

وهذه القاعدة هي نفس معنى القاعدة الخامسة (الأصل بقاء ما كان على ما كان).

ذكر الأتاسي أن لاستصحاب الحال أنواع:

١- نوع يصلح للدفع: براءة الذمة.

٢- نوع يصلح للدفع والإلزام: كالملك عند جريان العقد المملك ، وشغل الذمة عند الإتلاف أو الالتزام بعقد.

٣-استصحاب الإجماع في محل الخلاف: المتيمم عند وجود الماء، والغزالي ينكر الإجماع « دوام الصلاة وصحتها».

ثم يقول الأتاسي: يمكن أن يقصد بالقاعدة الخامسة النوع الأول الصالح للدفع، والمراد بهذه (العاشرة) الثاني الصالح للد. والإلزام.

جاء في المادة (١٦٩٥) مجلة (إذا ادعى على آخر ديناً فشهد الشهود بأن المدعى به دين للمدعي في ذمة المدعى عليه كفى، ولة إذا سألهم الخصم عن بقاء الدين إلى وقت الدعوى فقالوا لا ندري، ردت شهادتهم) سواء كانت الشهادة على حي أو على ميّت (الد المختار).

١- ادعى خارجان شيئاً في يد ثالث فأنكر الذي في يده، فإن لم يقم لهما بينة وحلف لكل واحد منهما، يترك المدعى به قضا ترك لا قضاء استحقاق، حتى لو قامت لهما بينة بعد ذلك تقبل ويقضى لهما

٢- دار في يد رجل أقام آخر البينة أنه اشتراها من ذي اليد بألف درهم ونقده الثمن، وأقام ذو اليد البينة أنه اشتراها م المدعي ونقده. فعند أبي حنيفة وأبي يوسف تتهار البينتان ويترك في يد ذي اليد[1].

المادة (١١)

## « الأصل إضافة الحادث إلى أقرب أوقاته »[2]

لأن وجود الحادث في الوقت الأقرب متفق عليه، وانفرد أحدهما بزعم وجوده قبل ذلك، ففي الوقت الأقرب متيقن وفي الأبعد مشكوك.

١) رأى على ثوبه نجاسة يعيد من آخر حدث.

٢- رأى منياً على ثوبه يغتسل ويعيد الصلاة بعد آخر نومه عند أبي حنيفة ومحمد ونص عليه الشافعي في الأم

٣- رأى فأراً ميتاً في برميل الماء الذي يتوضأ منه. يعيد يوماً وليلة إذا كان غير متفسخ، وثلاثة أيام في حال الانتفاخ أو التفسخ عند أبي حنيفة وهذا احتياط للعبادة. وقال الصاحبان يعيد منذ العلم بها لأن وقوعها حادث.

٤- ماتت بعد أن وهبت مهرها لزوجها، فادعى الورثة أن الهبة في مرض الموت، وادعى زوجها أنها في حال الصحة، فالقول

(١) أتاسي/مجلة ١/٣٢ نقلاً عن المبسوط.

(٢) انظر اشباه السيوطي ٦٥/ انظر اشباه ابن نجيم ٦٤.

للورثة.

٥- العيب في المبيع، قال البائع: بعد البيع، وقال المشتري قبله، فالقول للبائع .

٦- ضرب بطن حامل فانفصل الولد حياً وبقي زماناً بلا ألم، ثم مات، فلا ضمان لأنه يبدو أنه مات بسبب آخر.

٧- إذا ادعت الزوجة أن زوجها طلقها طلاق الفرار أثناء مرض الموت، وادعى الورثة أن الطلاق حال الصحة فالقول للزوجة.

٨- الفسخ . ادعى المشتري أن الفسخ أثناء مدة الخيار، وادعى البائع أنه بعد مرور فترة الخيار، فالقول للبائع.

٩- ادعى المحجور عليه أن البيع حصل بعد الحجر، وادعى المشتري أنه قبله، فالقول للمحجور عليه أو لوصيه.

١٠- لو فتق الجبة فوجد فيها فأراً ميتاً، فإن لم يكن في الجبة ثقباً أعاد منذ اليوم الذي خاطها فيه، وإن كان فيها ثقب يعيد ثلاثة أيام.

المادة (١٣)

## لا عبرة للدلالة في مقابلة التصريح

وقد يكون هذا في المواضع التي جعلوا فيها السكوت كالنطق. «وورثه أبواه فلأمه الثلث» فالباقي للأب ضرورة.

١- دخل دار شخص ووجد ماء للشرب شرب، وإن إنكسر الإناء فلا ضمان إلا إذا منعه صراحة.

٢- تصدق على إنسان فسكت المتصدق عليه، يملك ولا حاجة لقوله قبلت. وإن رفض لا يملك، لأن الصريح أقوى من الدلالة. وكذلك الحال في الإبراء.

٣- قبض المشتري المبيع أمام البائع وسكت البائع كان إذناً بالقبض.

٤- قبض مهر ابنته البالغة من الزوج فسكتت كان سكوتها إذناً بالقبض، ويبرأ الزوج بخلاف، ما لو صرحت بالنهي.

٥- باع فضولي مال شخص، فلو طلب الشخص الثمن فهذا إجازة دلالة . فلو قال بعد ذلك لست راضياً بالبيع فالبيع ماض، ولا يلتفت لصريح رده.

**ملاحظة:** قد تكون الدلالة أقوى من الصريح إذا كانت دلالة الشرع ، كما لو طلق زوجته رجعياً وهو يقول لم أراجعها ثم ولدت لستة أشهر أو أقل ثبت نسبه منه. ويبطل صريح إقراره بعدم الوطء.

## م ٦٧) لا ينسب إلى ساكت قول ولكن السكوت في معرض الحاجة بيان[1] .

هذه القاعدة قسمان: القسم الأول من الأشباه، والقسم الثاني من الأصول .

**الأول:** لا ينسب إلى ساكت قول (لأن المعاملات مربوطة بالعقود والألفاظ الصريحة . ولأن عدم القول هو المتيقن، ودلالة السكوت مشكوك منها.

١- باع أجنبي مال أحد فضوليا وسلمه للمشتري والبائع وصاحب المال ساكت، فلا يعد سكوته توكيلاً بالبيع خلافاً لابن أبي ليلى ما لم يكن الفضولي زوجاً أو قريباً محرماً استحساناً.

٢- أخذت الزوجة من مال زوجها متاعاً لا يعد هبة.

٣- سكن داراً ليست للأجرة والمالك ساكت لا يكون رضا بالإجارة

٤- لو أتلف مال آخر وصاحب المال يشاهد وهو ساكت لا يكون سكوته إذناً بالاتلاف .

٥- لو رأى القاضي صبياً يتصرف لا يكون سكوته إذناً . لأن إذن القاضي حكم، والسكوت لا يكون حكماً . بخلاف الولي[2].

(١) (هذه عبارة الشافعي/الاشباه للسيوطي ١٥٨). (٢)انظر علي حيدر ٩، مدخل ٦٦٨/٢

**القاعدة الثانية بيان الضرورة : ٤١ مسألة، وقد عد ابن نجيم في أشباهه ص ١٥٦ منها سبعة وثلاثين:**

١- سكوت البكر عند استئمار وليها - لو سكت المدعى عليه عندما طلب منه القاضي اليمين بعد أن فشل المدعي الإثبات ذلك نكولاً، ويقضى عليه عند الصاحبين، أما عند الشافعي فيرد اليمين على المدعي.

٢-سكوت البكر عند قبض وليها المهر.

٣-سكوت البكر إذا بلغت.

٤-حلفت ألا تتزوج فلاناً فزوجها وليها وهي ساكتة حنثت.

قبض المشتري المبيع بحضرة البائع كان إجازة بالقبض.

٥-سكوت الوكيل قبول بالوكالة.

٦-ترك مالاً عند علي وقال هذا وديعة فسكت علي انعقدت الوديعة. ٦)* سكوت المفوض إليه القضاء قبول ويرتد برده .

٧-سكوت المزكي عند سؤاله عن الشاهد تعديل ٧) سكوت المفوض إليه القضاء أو الولاية.

٦- سكوت الموقوف عليه قبول ويرتد برده.

٩- سكوت المتصدق عليه قبول لا الموهوب له.

٨- تزوجت من غير كفؤ فسكت الولي حتى ولدت فالسكوت رضى.

٩- إذا وهب الدائن الدين لدينه وسكت المدين فالهبة صحيحة ويسقط الدين.

٩) قال لساكن داره اسكن بكذا وإلا فانتقل، فسكت المستأجر كان رضى.

١٠- هناه بولادة زوجته فسكت كان إقراراً بالولد.

)قال المالك للمستأجر الأجرة منذ هذا الشهر عشرون وإلا فاخرج، فسكت المستأجر، كان موافقة على الأجرة.

أنواع بيان الضرورة:

١- ما يكون بمنزلة المنطوق «وورثه أبواه».

٢-ما يكون بياناً بدلالة حال المتكلم: سكوت البكر، النكول عن اليمين بالنسبة للمنكر.

يثبت الحق عليه عند الصاحبين.

٣-تقدير السكوت لدفع الضرر : الشفعة، سكوت الأب مع تصرف الابن.

٤-السكوت اختصاراً للكلام، مائة ودرهم.

## المادة ٦٨

## «دليل الشيء في الأمور الباطنة يقوم مقامه »

أي أنه يحكم بالظاهر فيما يتعذر الاطلاع عليه كالقتل عمداً: هو أن يقصد القاتل ضرب المقتول بما يفرق الأجزاء»[1].

## مادة ٧٢ «لا عبرة بالظن البين خطؤه»

هذه القاعدة مأخوذة من الأشباه، ويفهم منها أنه إذا وقع فعل بناء على ظن كهذا لا يعتبر ذلك. فإذا حدث فعل استناداً على ظن ثم تبين أنه مخالف للحكم الشرعي يجب عدم اعتباره.

* هذه الأرقام متكررة والتي بعدها لا ندري ماذا يقصد المؤلف بهذا فتركناها كما هي

(١) باز/٤٨

١-لوظن أنه متطهر فصلى ثم بان حدثه .

أو ظن دخول الوقت فصلى ثم بان أنه لم يدخل.

أو ظن طهارة الماء ثم بان نجاسته.

أكل على ظن بقاء الليل أو غروب الشمس فبان خلافه.

أو ظن أن إمامه مسلم أو رجل أو قارئ ثم تبين أنه كافر أو امرأة أو أمي .

أو ظن دفع الزكاة إلى أهلها فبان خلافه.

أو رأى اسوداداً فظنه عدواً فصلى صلاة شدة الخوف فبان خلافه.

أو ظن أنه لا يبرأ فوكل في الحج ثم برئ.

لم يجز في الصور كلها [1] .

٢-ادعى على إنسان مالاً وصالحه على مال، ثم بان الحق على إنسان آخر يرد البدل.

٣-وكله بقبض دين له على رجل، فوهب الموكل المال للمديون والوكيل لا يعلم، فقبض من المديون فهلك في يده، يرجع المديون على الموكل، لأن العبرة لما في نفس الأمر لا لخطأ الظن.

٤-ولو دفع المدين الدين ثم دفعه عنه وكيله أو كفيله جاهلاً أداء الأصيل وكذا العكس يسترد الدافع الثاني ما دفع.

٥-ادعى أحمد على محمد بألف قرش، فقال محمد احلف وأنا أدفع لك، فحلف فدفع محمد ظناً منه بأنه يلزمه بناء على الشرط (اليمين)، ولكن إذا تبين لمحمد أن اليمين بمقتضى المادة (٧٦) لا يتوجه على المدعي بل على المدعى عليه (المنكر) يحق له استرداد ما دفعه.

٦-لو حسب البائع ثمن مجموع البضائع وأخطأ في الجمع فبدل أربعمائة خمس مائة فدفعها المشتري يحق للمشتري الرجوع بعد اكتشاف الخطأ.

(وفي حاشية الأشباه للحموي) من دفع شيئاً ليس واجباً عليه فله استرداده إلا إذا دفعه على وجه الهبة واستهلكه القابض[2] .

## الاستثناء

ما يستثنى من هذه القاعدة (لاعبرة بالظن البين خطؤه)

| | |
|---|---|
| *لا تعتبر ظنـــا تبين خطـــؤه* | *إلا بأربعة تسر ذوي النظـــر* |
| *صلى وراء من ظنه متطهـــراً* | *أو ظن ماء عند ركب قد ظهـــر* |
| *أو طلق امرأة يظـــن بأنهـــا* | *ليست بزوجته فبان له الخبـــر* |
| *وكذاك أن يعتق بعبد أو يطـــأ* | *للحرة الحوراء تخطر في حبر* |
| *مع ظنها أمـــة مـــزوجة لـــه* | *فالعدة القرآن[3] عند ذوي النظر* |

## م/٧٣ «وحجة مع الاحتمال الناشئ عن دليل»

هذه المادة وردت في مجامع الحقائق، أي أن كل حجة عارضها احتمال مستند إلى دليل يجعلها غير معتبرة. ولكن الاحتمال غير المستند إلى دليل فهو بمنزلة العدم[4].

والمعنى: لا حجة مقبولة أو مفيدة.

(١) أنظر الأشباه للسيوطي ١٧١. (٢) باز ٥٠. (٣) مثنى قرء وهو الطهر. الحوراء: واسعة العين. الحبر: جمع حبرة نوع من الثياب.

صلى وراء من ظنه متطهراً: أي يتبين له أنه كان محدثاً فصلاته تصح إذا لم يكن في الجمعة .عند ركب قد ظهر، فيجب عليه طلبه ويبطل تيممه ولو تبين خطؤه.

(٤) منافع الدقائق / مجامع الحقائق ص ٣٢٩.

وهي تشبه قاعدة للدبوسي في التأسيس «أن التهمة إذا تمكنت من فعل الفاعل حكم بفساد فعله».

الدلالة: الإرشاد وهي: « كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم أو الظن بشيء آخر، أو الظن به الظن بشيء آخر ا ذاتياً أو مع القرائن».

وهذه القاعدة واضحة في العقائد لأنها بحاجة إلى يقين.

١- أقر لأحد الورثة، فإن كان في حال الصحة صدق وإن كان في مرض الموت فلا حتى يصدقه الورثة. وذلك لأن احتمال المريض قصد بهذا الإقرار حرمان سائر الورثة مستنداً إلى دليل كونه في المرض، بخلاف الإقرار لغير الورثة في مرض الموت.

قال في المبسوط: الأصل أن كل تصرف يتمكن المرء من تحصيل المقصود به إنشاء لا يتمكن التهمة في إقراره فيكون صحـ

ومتى لم يقدر على تحصيل مقصوده بطريق الانشاء كان متهما في الاقرار به. فلا يصح إقراره في حق الغير. ألا ترى الوكيل بالبيع قبل العزل إذا قال كنت بعت كان إقراره صحيحاً. بخلاف ما بعد العزل.

والمطلق قبل انقضاء العدة إذا أقر أنه راجع صح إقراره بخلاف ما بعد انقضاء العدة.

فبحسب الاحتمال الناشيء عن دليل. كما أنه لا اقرار للمتهم لا شهادة له أيضاً فيما فيه دفع مغرم أو جر مغنم.

٢-اشترى داراً لها شفيع، وقبل أن يخاصمه الشفيع قال اشتريتها لفلان وسلم إليه ثم الشفيع فلا خصومة بينه وبين المشـ بخلاف ما لو أقر بعد الخصومة.

**٣-ترجيح البينات:** ادعى خارج وذو يد بما في يده ملكا مطلقاً عن الوقت وبرهن ترجح بينة الخارج عندنا لاستنادها إلى د وهو أنها أظهرت له سبق اليد، لأنهم شهدوا له بالملك المطلق، ولا تحل لهم الشهادة بالملك المطلق إلا لعلمهم به.

٤-إن تواتر عند الناس عدم كونه في ذلك المكان والزمان لا تسمع الدعوى عليه ويقضى بفراغ الذمة.

**٥-ظاهر الحال من الحجج الشرعية:** رجل معروف بالفقر والحاجة، صار بيده غلام وعلى عنقه بدرة «قلادة» وذلك بداره، فاد رجل معروف باليسار، وادعاه صاحب الدار، فهو للمعروف باليسار.

كناس في بيت رجل وفي يده ساعة ذهبية ادعاها صاحب المنزل فهي له.

سفينة بها بضاعة وفيها رجل معروف بالتجارة وملاح، وادعى كل منهما السفينة بما فيها، فالبضاعة للتاجر والسفينة للملاح

ويمكن أن تطبق الأمثلة في هذه الصفحة على القاعدة ٣٨ «الممتنع عادة كالممتنع حقيقة».

## مادة (٧٤) لا عبرة للتوهم

قال في البدائع: ما لم يكن ثابتاً إذا وقع الشك في ثبوته لا يثبت مع الشك فكيف مع التوهم؟ فهو باطل لا يثبت معه حـ شرعي. كما لا يؤخر لأجله حكم شرعي.

١-لو اشتبهت عليه القبلة فصلى إلى جهة بدون تحر واجتهاد لا تصح صلاته لابتنائها على مجرد الوهم، بخلاف ما لو تحـ وصلى مع غلبة الظن، تصح صلاته وإن أخطأ القبلة.

٢-إذا مات الشهود أو غابوا بعد أداء الشهادة في المعاملات فللحاكم أن يزكيهم ويحكم بشهادتهم أي فلا يؤخر، لما عسى حضروا أن يرجعوا عن شهادتهم لأن هذا أمر موهوم.

٣- مات مديون عن تركة مستغرقة بالديون، وطلب الغرماء من القاضي بيعها وتقسيم أثمانها بينهم بالغرامة يفعل ولا يؤ العمل لمجرد احتمال ظهور دائن آخر. إذ لا عبرة للتوهم.

٤-للدار شفيعان أحدهما غائب، وطالب الحاضر، يحكم له. لأن الغائب من المحتمل أن يطلب أو لا، فلم يقع التعارض والتزاحـ ولا عبرة بالتوهم.

بخلاف لو كان لرجلين على رجل ألف درهم ومات المدين فإنه لا يسلم إلى الحاضر إلا خمسمائة، لأن الحق ثابت للآخر ووا التعارض والتزاحم .

٥-إذا كان لواحد شباك فوق قامة الإنسان فليس لجاره أن يكلفه سده لاحتمال أن يضع سلماً وينظر إلى مقر نساء ذلك الجار. م/١٢٠٢.

٦-خرج من دار خائفاً مذعوراً وبيده سكين ملوثة بالدم، ثم وجدنا في الدار رجلاً مذبوحاً لا يلتفت إلى وهم أن الرجل الميت قد يكون ذبح نفسه. لأن القرينة القاطعة هي الإمارة البالغة حد اليقين م/١٧٤١.

٧-علم أنه حلف ولم يدر أنه طلاق أم لا، لغا، كما لو شك طلق أم لا ، ولو شك أطلق واحدة أو أكثر، بنى على الأقل . إلا أن يستيقن بالأكثر، أو يكون أكبر ظنه.

٨-جرح إنساناً ثم أن المجروح بعد أن قام أياماً وبرأ من الجرح مات لا عن شيء من الجراحة. بأجله. فطلب وارثه القصاص من الجارح بمجرد توهم أنه مات من الجرح. لا تسمع دعواه بناء على التوهم.

٩-أراد أحد أن يضع في محل من داره تبنا أو حطباً، فأراد جاره منعه باحتمال أنه إذا احترق يسري لمنزله، ليس له منعه.

## هل الأصل الإباحة أم الحرمة؟

**مذهب الشافعي** أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا في اللحوم والفروج.

**أما الحنفية:** فقد جاء في البدائع (المختار أن لا حكم للأفعال قبل الشرع).

وفي شرح المنار للمصنف (الأصل في الأشياء الإباحة عند بعض الحنفية ومنهم الكرخي، وقال بعض أصحاب الحديث: الأصل فيها الحظر، وقال أصحابنا: الأصل فيها التوقف، بمعنى أن لابد لها من حكم لكنا لم نقف عليه بالفعل).

وفي كشف الأسرار: الأصل في النكاح الحظر، وأبيح للضرورة، فإذا تقابل في المرأة حل وحرمة غلبت الحرمة، ولا يجوز التحري في الفروج لأنها لا تحل بالضرورة.

وفي الهداية: الإباحة أصل.

### نصوص الفقهاء الأربعة علـى أن الأصل في الحيوان التحريم:

١- **قال الحنفية:** الدرر/الغرر (الذكاة تحل المأكول وتطهر غير نجس العين).

وفي بدائع الصنائع (الحرمة في الحيوان المأكول لمكان الدم المسفوح، وأنه لا يزول إلا بالذبح والنحر)(١).

٢- **قال المالكية:** قال ابن العربي (قال علماؤنا: الأصل في الحيوان التحريم لا يحل إلا بالذكاة أو الصيد).

٣- **الشافعية:** قال النووي (الأصل في الحيوان التحريم حتى تتحقق ذكاة مبيحة)(٢).

٤- **الحنبلية:** قال ابن رجب (وما أصله الحظر (الحرمة) كالأبضاع ولحوم الحيوان فلا تحل إلا بيقين حلّه من التزكية أو العقد). وعلى هذا نص ابن تيمية (... لا تحل الفروج والذبائح بالشبهات)(٣).

## قاعدة كبرى (١٩)

**«لاضرر ولا ضرار»**(٤) ضرّه: يضرُه: ضراً وضراراً(٥).

قال في المغرب بأن معناه : « لا يضر الرجل أخاه ابتداء ولا جزاءً»(٦).

---

(١) الدرر/الغرر٢/٣٤١ بدائع الصنائع٦/٢٧٦٥ حاشية ابن عابدين٦/٢٩٤.

(٢) المجموع شرح المهذب ٩/٦٥ معالم السنن مع مختصر أبي داود ٤/١٢٢ فتح الباري ٩/٦١٩ه

(٣) المغني لابن قدامة ٨/٥٧١. الفتاوى لابن تيمية ٣٢/١٩٠. الفروع لابن مفلح ٢/٦٥٦

(٤) حديث شريف أخرجه مالك في الموطأ مرسلاً. وأخرجه الحاكم والبيهقي والدارقطني عن أبي سعيد الخدري وابن ماجة وأحمد من حديث ابن عباس وعبادة بن الصامت وهو حديث صحيح /٧٢٩٣ صحيح الجامع جـ٦/١٩٥.

(٥) أنظر النهاية لابن الأثير ٣/٨١.

(٦) اشباه ابن نجيم ص ٨٥.

الضرر: الحاق مفسدة بالغير مطلقاً.

الضرار: إلحاق مفسدة بالغير على وجه المقابلة، أي كل منهما يقصد إضرار صاحبه من غير جهة الاعتداء بالمثل والانت بالحق[1].

وقيل: {الضرر: أن يدخل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به.

{الضرار: أن يدخل على غيره ضرراً بما لا منفعة له به.

وقيل الضرار: المضارة: أي لا يضار أحد بأحد.

« لا تضار والدة بولدها» أي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها بأن تدفعه عنها لتضر أباه بتربية كما قال مجاهد وقتادة أن تعنت بالولد، وأن تطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة. «ولا مولود له بولده» أي بأن يمنعها الوالد حقها من الكسوة والر ... أو يمنعها تربيته.

ومن المضارة: أن يطلق زوجته ثم يراجعها، ثم يطلقها قبل الوطء حتى يطيل عليها عدتها[2].

والنفي بلا الاستغراقية يفيد تحريم سائر أنواع الضرر لأنه نوع من الظلم.

وفي الأشباه «ويبتني عليه كثير من أبواب الفقه. كالرد بالعيب، وجميع أنواع الخيارات، والحجر بسائر أنواعه . والشفع والقصاص، والحدود والكفارات، وضمان المتلفات، ونصب الأئمة والقضاة، ودفع الصائل، وقتال المشركين والبغاة، إلى غير ذلك مما حكمة شرعيته رفع الضرر».

هذه القاعدة:

١-مبدأ كبير في الاستصلاح: جلب المصالح ودرء المفاسد .

٢-اتخاذ التدابير الوقائية لمنع وقوع الضرر: كسجن الفجرة.

٣-رفع الضرر بعد وقوعه: ضمان الإتلاف.

٤-اختيار أهون الضررين: صلاة الجماعة.

## فروع فقهية:

١-اشترى ثمراً على شجر يطل على الجيران لابد من إخبار الجيران عند القطف .

٢-الملك المشترك بين يتيمين إذا أبى أحد الأوصياء فإنه يُجبر إن كان في ذلك مصلحة لليتيم.

٣-إنتهت مدة الإجارة قبل حصاد الزرع تؤجر الأرض بأجرة المثل .

٣-صور الاضطرار إلى دفع الدين عن المدين بلا إذنه لا يعتبر الدافع متبرعاً.

٥- حبس أهل الدعارة والفساد.

٦-اشترى سيارة ثم أجرها ووجد بها عيباً قديماً له فسخ الإجارة.

## فروع القاعدة:

**١-الضرر يزال م ٢٠**

هذه القاعدة والتي قبلها متحدتان تصدق كل منهما على ما تصدق عليه الأخرى .

١-الخيارات: العيب، الشرط، المجلس ، الرؤية، التغرير (الغبن) تفرق الصفقة.

٢-دفع الصائل، قتال المشركين والبغاة.

٣-نصب الأئمة والقضاة.

(١) النهاية ٨١/٢ (٢) مختصر ابن كثير ٢١٢/١.

وهذه القاعدة مقيدة بقاعدة أخرى وهي:

م ٢٥ «الضرر لا يزال بمثله»

١-لا يجوز تحت الإكراه أن يقتل مسلماً.

٢-وجد المشتري عيباً في الدار بعد أن أحدث فيها عيباً لا يحق له الرد، وإنما يرجع على البائع بمقدار العيب.

٣-بنى على ساحة مغصوبة، والبناء أثمن من الأرض، يملك الأرض بثمنها « يضمن صاحب الأكثر قيمة الأقل » رد المحتار.

٤-جدار بينهما ولكل منهما حمولة فوهى الحائط فأراد أحدهما إصلاحه وأبى الآخر فالمصلح ينذره وقتا معيناً.

٥-بلعت دجاجة لؤلؤة، أو ابتلع قطعة ثمينة ثم مات، يشق بطن الدجاجة وبطنه.

٦-لا يأكل المضطر طعام مضطر آخر.

وهذه القاعدة ليست على إطلاقها أيضاً بل مقيدة بقاعدة:

« الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف» م ٢٧

أما إذا تساوت المفسدتان فيختار أحدهما، كمن احترقت به سفينة فهو مخير بين البقاء فيها والقفز في البحر.

ومثلها قاعدة أخرى « إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما » م ٢٨

« يختار أهون الشرين» م ٢٩.

١- في ظهره جرح لو سجد لسال الدم، يومئ إيماء، لأن ترك السجود أهون من الصلاة مع الحدث.

يجوز شق بطن المرأة الميتة لإخراج الولد إذا كانت ترجى حياته .

٢- تترس المشركون بالمسلمين لأن مفسدة هلاك الأمة أعظم من قتل بعضهم.

٣- شيخ لا يقدر على القراءة قائماً يصلي جالساً.

٤- امرأة لو صلت قائمة لانكشفت عورتها تصلي جالسة.

٥- حبس الوالد أو الولد إذا امتنع كل منهما[1] عن الإنفاق على الآخر.

٦- الإجبار على قضاء الدين والنفقات.

٧- شق البطن الميت لإخراج الجنين الحي، أو اللؤلؤة.

٨- المبالغة في المضمضة مكروه في الصيام.

٩- تخليل الشعر سنة في الطهارة إلا في الحج.

١٠-الكذب للإصلاح بين الناس.

١١-ترك شرط من شروط الصلاة كستر العورة والاستقبال عند تعذره، فإن الصلاة تجوز دونه، لأن ترك الصلاة مفسدة أعظم.

١٢-ذكر الزيلعي في آخر كتاب الإكراه: لو قال لتلقين نفسك في النار أو من الجبل أو لأقتلنك وكان الإلقاء بحيث لا ينجو منه ولكن فيه نوع خفة فله الخيار، إن شاء فعل ذلك وإن شاء لم يفعل وصبر حتى يقتل، عند أبي حنيفة لأنه من: ابتلى ببليتين فيختار ما هو الأهون في زعمه، وعندهما يصبر ولا يفعل ذلك، لأن مباشرة الفعل سعي في إهلاك نفسه فيصبر تحاماً عنه.

ثم إذا ألقى نفسه في النار فاحترق فعلى المكره القصاص عند أبي حنيفة، بخلاف ما إذا قال لتلقين بنفسك من فوق جبل فمات فعند أبي حنيفة رحمه الله تجب الدية وهي مسألة القتل بالمثقل[2].

## «الضرورات تبيح المحظورات» م ٢١

هذه القاعدة مأخوذة من « إلا ما اضطررتم إليه».

والاضطرار الحاجة الشديدة، والمحظور المنهي عن فعله.

---

(١) [illegible] إذا امتنع من الإنفاق على الآخر. (٢) أشباه ابن نجيم ٩٠

المراتب خمسة:

١-ضرورة: بلوغه حداً إذا لم يتناول الممنوع هلك أو قارب، وهذا يبيح تناول الحرام.

٢-حاجة: كالجائع لو لم يجد ما يأكله لم يهلك، غير أنه يكون في جهد ومشقة، وهذا لا يبيح الحرام ويبيح الفطر في الصوم.

٣-منفعة: كالذي يشتهي خبز البر ولحم الغنم والطعام الدسم.

٤-زينة: كالحلوى، والثياب الثمينة.

٥-فضول: التوسع بأكل الحرام والشبهة.

أفعال المكلف من جهة التصرفات الحسية يتعلق بها حكمان:

أ- حكم يتعلق به أولاً وبالذات المقاصد الدنيوية: الصحة والبطلان والانعقاد...

ب- حكم يتعلق به أولاً وبالذات مقاصد أخرويه: وهو إما:

١- عزيمة: ما شرع ابتداء غير مبني على اعذار العباد.

٢-رخصة: وهي على ثلاثة أنواع:

أ-مباح: كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر عند المجاعة أو الغصة أو العطش أو عند الاكراه التام بقتل أو قطع عضو ولا يجوز في حالة الإكراه التام الامتناع حتى لو امتنع حتى مات أو قتل يؤاخذ . وإن كان الإكراه ناقصاً كحبس أو ضرب لا يخاف منه التلف لا يحل له أن يفعل.

ب- نوع لا تسقط حرمته بحال ولكن يرخص فيه: كإتلاف مال مسلم وقذف عرضه، وإجراء كلمة الكفر على لسانه مع اطمئنان القلب بالإيمان إذا كان الإكراه تاماً. فهو في نفسه محرم مع ثبوت الرخصة. فأثر الرخصة في تغيير حكم الفعل وهو المؤاخذة، لا في تغيير وصفه وهو الحرمة. والامتناع عنه أفضل حتى لو امتنع فقتل كان مأجوراً.

جـ-ونوع لا يباح ولا يرخص أصلاً لا بإكراه تام ولا بخلافه، كقتل المسلم، أو قطع عضو منه بغير حق، والزنا، وضرب الوالدين

جاء في المواكب العلية شرح الكواكب الدرية السامعي:

ضابط ما لا يجوز الإقدام عليه:

| | |
|---|---|
| *ويرفع الإثم إكراه سوى صـــــــور* | *كفر بقول فتى قد ظل قدوتـــــــنا* |
| *كذا بفعل*[1] *على ما نص بعضهـــــم* | *كذا اللواط وقتل النـفس ثم زنـــــا* |
| *إتـــلاف مـال لغير*[2] *ان يـــأذون أو* | *شهـــادة الزور إن أبدت عظيم عنـــا* |
| *كقتل أو قطع عضو أو تكـــون بـــي* | *ـد بضـــع احفظـــه دائمـا بثنـــا* |

فهذه القاعدة لا تتناول القسم الثالث: ولكن تبيح النوع الأول.

وترخص النوع الثاني دون تغيير وصفه وهو الحرمة.

**ومن فروعها:**

١-نظر الطبيب إلى ما لا يجوز انكشافه شرعاً من مريض أو جريح.

٢-النظر إلى المرأة للتعليم والطب والقضاء.

٣-نبش الميت بعد دفنه لضرورة، كأن دفن دون غسل، أو لغير القبلة، أو في ثوب أو أرض مغصوبة.

## «الضرورات تقدر بقدرها» م ٢٢

١-المضطر لا يأكل من الميتة إلا قدر سد رمقه.

٢-من استشير في خاطب اكتفى بالتعريض إن سدّ عن التصريح.

(١) السجود لصنم . (٢) ان كان المال المتلف اكثر من الاكراه.

٣-يجوز أخذ نبات الحرم لعلف البهائم دون بيعه لمن يعلف.

٤-المجنون لا يحل زواجه بأكثر من واحدة.

٥-الطبيب لا يكشف إلا عن محل الألم.

٦-لو اكتفت البلد بجمعتين لا تجوز الثالثة.

٧-الإجهاض قبل ١٢٠ يوماً من أجل النزيف أو من أجل بقاء الرضاعة حالة الفقر.

٨-الغزاة في دار الحرب يأكل غنيهم وفقيرهم من الغنائم . لكن بما فيه دفع الضرورة لا غير، ومن أجل أن الضرورة تقدر بقدرها قال علماء الأصول من الحنفية « أن المقتضى لا عموم له لأنه ثبت شرعاً لضرورة تصحح الكلام المنطوق، فيتقدر بقدرها».

والضرورات كما تكون في الأفعال تكون في التروك «كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

## «ما جاز لعذر بطل بزواله» مادة ٢٣

لأن الأصل والخلف لا يلتقيان، كما لا يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز لهذه العلة .

فيجوز للحاكم أن يحجر على السفيه، ولكن إذا اكتسب السفيه صلاحاً فيلزم الحاكم فك حجره.

١- المتيمم إذا وجد الماء .

٢-العريان إذا وجد ثوباً ، والمومئ إذا قدر على القيام.

٣-المريض إذا نوى عن صومه.

٤-المعتدة لا تخرج، فإن عجزت عن الإنفاق تخرج للكسب ثم تعود.

٥-يتخرج على هذه القاعدة كثير من أحكام عوارض الأهلية كالحجر للعته والصغر يرتفع بارتفاعها.

## «إذا زال المانع عاد الممنوع» م ٢٤

ولذا فإن زيادة الموهوب له في الموهوب يمتنع الواهب من الرجوع في الهبة، فإذا ازالت الزيادة عاد للواهب حق الرجوع.

١-الصبي إذا تحمل شهادة ثم بلغ قبلت شهادته.

٢-سبق من المدعي كلام يناقض دعواه لا تسمع دعواه. فإذا زال التناقض بتصديق الخصم يعود الممنوع وهو سماع الدعوى.

٣-لو أجر مشاعاً يحتمل القسمة لا يجوز، لكن إذا قسم وسلم جاز، لزوال المانع فيعود الممنوع.

٤-مريض مسلم أقر لابنه النصراني بدين، ثم أسلم الابن، لم يجز إقراره عند أئمتنا الثلاثة، فاختلاف الدين كان مانعاً من بطلان الإقرار.

٥-الأم التي لها حق الحضانة إذا سقط حقها لمانع كزواجها من أجنبي ثم طلقها الرجل الأجنبي يعود لها حق الحضانة.

## درء المفاسد أولى من جلب المنافع ٣٠

ومثلها قاعدة « إذا تعارض المانع والمقتضي يقدم المانع ٤٦ .

روي في الكشف حديث « لترك ذرة مما نهى الله عنه أفضل من عبادة الثقلين»، وثم جاز ترك الواجب دفعاً للمشقة، ولم يسامح في الإقدام على المنهيات خصوصاً الكبائر.

وذلك لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات «إذا أمرتكم بشي ... وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»

١-أحدث شخص داره بجانب دكان حداد، وكان صاحب الدار يتضرر من الطرق لا يمنع.

٢-أرادت الاغتسال ولم تجد سترة أخرت الغسل.

٣-المضمضة والاستنشاق مسنونة وتكره لصائم. وكذلك تخليل الشعر.

٤-وضع امواله في البنك حتى ينفق الربا الذي يأخذه في مصالح الخير.

٤-من لم يجد سترة ترك الاستنجاء ولو على شط نهر. ولو كان جنباً ولم يجد سترة من الرجال اغتسل ولا يؤخر. لأن النجاسة الحكمية اقوى.

٥- الفناء للمجهود الحربي.

٦- اليانصيب الخيري.

٧- اتخاذ فرن يؤذي الجيران.

٨- الحجر على الطبيب الجاهل والمفتي الماجن والمكاري المفلس.

٩- الجرح مقدم على التعديل.

## يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام م / ٢٦

وهذه المادة مقيدة للمادة (الضرر لا يزال بمثله).

الشرع يحفظ الضروريات الخمس: الدين، النفس، والعقل، النسل، المال، فلا بد من المحافظة عليها وإن سبب ضرراً لبعض الأشخاص، ولذا يحجر على المفتي الماجن والطبيب الجاهل.

١-قتل الساحر والكافر المضل.

٢-المنكر يزال، لكن إذا ترتب على إزالته منكر أعظم يترك.

٣-التسعير والحجر.

٤-هدم البيوت المجاورة للحريق.

٥-اتخاذ فرن بين البزازين.

٦-جدار على جانب طريق أيل للسقوط يجبر صاحبه على إصلاحه.

## الاضطرار لا يبطل حق الغير /م٣٣

الاضطرار: الإجبار على فعل ممنوع، وهو قسمان:

١- ما ينشأ عن سبب سماوي (داخلي) كالجوع.

٢- ما ينشأ عن سبب خارجي (غير سماوي): وهو نوعان:

أ- مُلجئ. ب-غير مُلجئ.

ووفقاً للمادة ١٠٠٧ تنص على أن الضمان في الإكراه الملجئ على المُجبر وفي الإكراه غير الملجئ على المكره.

**ومن فروعها:**

١-اضطر لأكل طعام للغير فيدفع مثله إن كان مثلياً، أو قيمته إن كان من القيميات.

٢-استأجر سيارة لعدة أيام ليقطع صحراء، وانتهت المدة في وسط صحراء، فإنه يواصل الرحلة ويدفع أجرة الأيام الباقية، أو قارباً لقطع بحر لمدة ساعة وانقضت المدة تجدد الإجارة.

٣-لو هجم جمل صائل على إنسان فله قتله لكنه يضمن ثمنه.

٤-سقط دينار في محبرة ولا يخرج إلا بالكسر تكسر ويدفع ثمنها.

٥-أدخل حيوان رأسه في قدر يكسر ويدفع ثمنه.

## م ٣٤ (ما حرم أخذه حرم إعطاؤه)

فالأخذ والإعطاء في الحرام سواء.

١-فالرشوة يحرم إعطاؤها وأخذها.

٢-دفع رشوة من مال قاصر في دعوى للقاصر يضمن.

٣-أخذ وإعطاء أجرة في النواح والغناء.

٤- أخذ وإعطاء أجرة للدجال والمشعوذ الذي يفتح للبخت والحظ.

ومادة أخرى تشبهها وهي:

## م ٣٥ «ما حرم فعله حرم طلبه»

فكل ما يحرم على الإنسان مثل الظلم والرشوة وشهادة الزور واليمين الكاذبة يحرم أيضاً طلبه من غيره. بأن يأمر بذلك، أو يشوقه إلى فعله، أو يكون واسطة أو آلة له.

ويستثنى من ذلك طلب اليمين من الكاذب وذلك حفظاً لحقوق الناس. لأن النكول عن اليمين قرينة.

## م/٣٢ (الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة وخاصة)

ومن هذا القبيل بيع الوفاء: فإنه لما كثرت الديون على أهل بخاري مست الحاجة إلى ذلك فصار مرعياً.

ومنها: تجويز الإجارة ، تجويز خيار التعيين (مع جهالة المبيع) . تجويز السلم، الاستصناع، الدخول إلى الحمام، وتجويز الاستئجار على الطاعات كالإمامة والأذان وتعلم القرآن والفقه، لأن الاستئجار على الطاعات باطل قياساً، فجوزه الفقهاء للحاجة استحساناً.

تضبيب الإناء بالفضة، الأكل من الغنيمة في دار الحرب، إباحة النظر للمعاملة والتعليم(١).

قاعدة أساسية

## المشقة تجلب التيسير

الأصل فيها: (يريد الله بكم اليسر...) (وما جعل عليكم في الدين من حرج...)

**الأحاديث:** حديث أحمد عن جابر «بعثت بالحنيفية السمحة...».

روى الشيخان عن أبي هريرة «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

حديث أحمد عن أبي هريرة « إن دين الله يسر. ثلاثاً».

روى الشيخان عن عائشة «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً».

**قال العلماء:** يتخرج على هذه القاعدة جميع رخص الشرع وتخفيفاته.

## أسباب التخفيف

جاء في المواكب العلية في توضيح الكواكب الدرية صـ ١٠١.

| | |
|---|---|
| *لمسافة القصر اعتبر في مشقة* | *قصر وجمع ثم فطر الصائم* |
| *ووجوب حج ماشياً ولحاضري* | *حرم وتغريب لزان جارم* |
| *مسح لخف في الثلاثة غيبة* | *لولي من تبغى زواج الحاكم* |
| *وكذا الذهاب إلى أداء شهادة* | *فيها على الشهاد ليس بلازم* |

| | |
|---|---|
| *ولمطلق السَّفر الترخص قد أتى* | *بتنفل لحال الركوب لرائـــــم* |
| *وسقوط جمعة أو قضاء الــتي* | *قد سافرت معه بقرعة قاســم* |
| *قالو وأكل الميت للمضطـــــر* | *ثم سقوط فرض صلاته بتيمم* |

والمراد بالمشقة الداعية إلى التخفيف والترخيص بمقتضى القاعدة إنما هي المشقة المتجاوزة للحدود العادية، أما المشقة الطبيعية في الحدود العادية التي يستلزمها عادة أداء الواجبات فلا مانع منها، بل لا يمكن انفكاك التكليفات المشروعة عنها، لأن واجب لا يعري عن مشقة كمشقة العمل واكتساب المعيشة والصلاة والصيام والجهاد، وهذه المشقة لا توجب التخفيف في التكليف، التخفيف فيه إهمال وتفريط.

**ومعنى القاعدة:** أن الصعوبة تصير سبباً للتسهيل، والأصل في الشرع مبناه على التيسير والتسهيل.

## أسباب التخفيف سبعة:

**١-السفر:** قال النووي ورخصه ثمانية:

أ-ما يختص بالطويل قطعاً (٣ أيام ولياليها): وهو: القصر، والفطر، والمسح أكثر من يوم وليلة.

وزاد الحنفية سقوط الأضحية.

ب-ما لا يختص به قطعاً: ترك الجمعة وأكل الميتة.

جـ-ما فيه خلاف والأصح اختصاصه به: وهو الجمع.

د- ما فيه خلاف والأصح عدم اختصاصه به: النفل على الدابة، والتيمم.

قال الغزالي «وكذلك القرعة بين النساء».

**٢-النسيان.** وهو عدم تذكر الشيء عند الحاجة إليه.

من المقرر عند الفقهاء أن النسيان يعتبر معذرة شرعية تسقط المؤاخذة على إهمال بعض الواجبات الدينية، وإن كان لا تأثير له في الحقوق والقضاء، فمن نسي الصلاة في وقتها فإنه لا يعتبر مهملاً لها، ومن نسي ذكر اسم الله على الذبيحة فإنها لا تحرم، ومن أكل في رمضان ناسياً فإنه لا يفطر.

**٣-الإكراه:** يشترط في الإكراه أن :

١-تكون ممن يقدر على إيقاعه.

٢-عجز المكره عن دفعه بهرب أو مقاومة أو استغاثة.

٣-أن يكون عاجلاً، فلو قال طلقها وإلا قتلتك غداً فليس بإكراه، قالوا ولا يحصل الإكراه بقول المكره وإلا قتلت نفسي أو كفرت أو نحو ذلك.

وهو التهديد ممن هو قادر على الإيقاع بضرب مبرح أو باتلاف نفس أو عضو أو بحبس مديد أو بما هو دون ذلك لذي جاه.

والإكراه يمنع إلزام المستكره بعبده، وإذا كان إكراهاً ملجئاً فإن الشرع يقيم به للمستكره عذراً فيما يقدم عليه من محظورات الأفعال التي يستكره عليها، ومن ثم أبيح للمستكره التلفظ بكلمة الكفر صيانة لنفسه، كما أبيحت له السرقة وشرب الخمر وإتلاف مال الغير والفطر في رمضان.

**٤-الجهل:** وهو عدم العلم ممن شأنه أن يعلم، وهو أيضاً يعتبر معذرة شرعية مانعة من مؤاخذة المكلف على الإهمال، ومن تيسيراته :

أ-جهل الوكيل بعزل موكله له تستمر معه وكالته وتنفذ عقوده على الموكل حتى يبلغه خبر العزل دفعاً للحرج.

ب-ومن أسلم وهو بعيد عن دار الإسلام جاهلاً بالتكاليف التي يفرضها عليه الإسلام، فإن جهله في مثل هذه الحال يعتبر عذراً مانعاً من مؤاخذته على إهمال الواجبات الدينية.

جـ-ومن شرب الخمر جاهلاً فلا حد ولا تعزير.

د-ومنها لو جهلت الزوجة الكبيرة أن إرضاعها لضرتها الصغيرة مفسد للنكاح لا تضمن المهر .

هـ-ومنها لو باع الوصي مال اليتيم ثم ادعى أن البيع وقع بغبن فاحش وقال لم أعلم تقبل دعواه.

٥-**المرض:** ورخصه كثيرة: التيمم، القعود في الصلاة ، التخلف عن الجماعة مع حصول الفضيلة، الفطر في رمضان، الاستنابة في الحج وفي رمي الجمار، وإباحة محظورات الإحرام مع الفدية، التداوي بالنجاسات، نظر الطبيب إلى العورة . والإيماء، والجمع بين الصلاتين.

٦-**العسر وعموم البلوى:** كالصلاة مع النجاسة المعفو عنها كدم القروح، والدمامل، والبراغيث، والقيح، والصديد، وطين الشوارع، وأثر نجاسة عسر زواله، وذرق الطيور إذا عم في المساجد والمطاف، وما يصيب الحب في الدوسى من روث البقر وبوله ، وغبار السرجين[1] ، وقليل الدخان النجس، وسؤر الهرة، وروث ما نشوؤه في الماء، ورماد الروث والعذرة لأنها تطهر بالحرق، وإلا لزم نجاسة الخبز إذا كان الروث مادة الحريق.

ومشروعية الاستجمار بالحجر فقط، وإباحة الاستقبال والاستدبار في قضاء الحاجة في البنيان، ومس المصحف.

ومسح الخف والعمامة، وإباحة الأفعال الكثيرة والاستدبار في صلاة شدة الخوف.

وإباحة النافلة على الدابة في السفر وفي الحضر على وجه، ولا يحكم على الماء بالاستعمال مادام متردداً على العضو، والإبراد في الظهر في شدة الحر. والجمع في المطر، وترك الجماعة، والجمعة بالاعذار المعروفة.

وكذلك لا يصير الماء التغيير بالمكث والطين والطحلب وكل ما يعسر صونه عنه.

وأكل الولي من مال اليتيم بقدر أجرة عمله.

ونية صوم النافلة بالنهار، وإباحة التحلل من الحج بالإحصار والفوات، ولبس الحرير للحكة، وبيع البيض في قشره، والسلم، والاكتفاء برؤية ظاهر العبرة والنموذج المتماثل، وبارز الدار عن أساسها والخيارات.

والإقالة، والحوالة، والرهن، والضمان، والإبراء، والقرض والشركة، والصلح، والحجر، والوكالة، والإجارة، والمساقاة، والمزارعة، والقراض، والعارية، والوديعة.

وإباحة النظر عند الخطبة، والتعليم، والإشهاد، والمعاملة، والمعالجة، وإباحة أربع نسوة.

مشروعية الطلقات وعددها، والرجعة.

مشروعية التخيير في كفارة اليمين لكثرة وقوعه، بخلاف كفارة الظهار والقتل والجماع، لندرة وقوعها، ولأن المقصود الزجر عنها.

التخيير بين القصاص والدية. الوصية.

إسقاط الإثم عن المجتهدين في الخطأ.

**وقد توسع أبوحنيفة في العبادات كلها:** فلم يقل بنقض الوضوء عند مس العورة ، ولم يشترط النية ولا الدلك في الطهارة ، ولم يشترط الفاتحة، وأسقط القراءة عن المأموم، ولم يخص تكبيرة الاحرام بلفظ.

وأسقط الطمأنينة في الصلاة.

وأسقط لزوم التفريق على أصناف الزكاة الثمانية وصدقة الفطر.

ولم يجعل للحج إلا ركنين الوقوف وطواف الزيارة، ولم يشترط الطهارة له ولا الستر، ولم يجعل السبعة كلها أركاناً بل الأكثر، ولم يوجب العمرة في العمر.

وسقوط القضاء عن المغمى عليه إذا زاد عن يوم وليلة.

وصلاة الفريضة قاعداً في السفينة مع القدرة على القيام.

ومن التخفيفات في الشريعة: الصوم شهراً في السنة، والحج مرة في العمر، والزكاة ربع العشر.

ووسع أبو حنيفة في باب القضاء كذلك والشهادات . فصحح تولية الفاسق . وقال: إن فسقه لا يعزله وإنما يستحقه. ولم يو تزكية الشهود حملاً لحال المسلمين على الصلاح. ولم يقبل الجرح المجرد في المشاهد.

٧-السبب السابع: النقص والضعف:

فهذا نوع من المشقة، إذ النفوس مجبولة على حب الكمال، فناسبه التخفيف في التكليفات. ومن ذلك: عدم تكليف الص والمجنون وعدم تكليف النساء بكثير مما يجب على الرجال كالجماعة والجمعة والجهاد والجزية وتحمل العقل (الدية) ، وإباحة ل الحرير وحل الذهب.

عدم تحمل العقل عند الشافعية على النساء بخلاف الحنفية على الرأي الأصح.

# أنواع تخفيفات الشرع

قال الشيخ عز الدين: تخفيفات الشرع ستة أنوا ع:

١-**تخفيف إسقاط:** كإسقاط الجمعة والحج والعمرة والجهاد بالأعذار

٢-**تخفيف تنقيص:** كالقصر في السفر على القول بأن الإتمام أصل.

٣-**تخفيف إبدال:** كإبدال الوضوء والغسل بالتيمم، والقيام في الصلاة بالقعود.

٤-**تخفيف تقديم:** كجمع الصلاة في عرفة، وتقديم الزكاة على الحول، وزكاة الفطر.

٥-**تخفيف تأخير:** كجمع الصلاة في مزدلفة، وتأخير رمضان للمريض والمسافر، وتأخير الصلاة لمن يشتغل بإنقاذ غريق.

٦-**تخفيف ترخيص:** كشرب النجاسة للتداوي، وصلاة المستجمر، وشرب الخمر للغُصَّة.

٧-**واستدرك العلائي سابعاً:** تخفيف تغيير كتغيير نظم الصلاة في الخوف.

# أقسام الرخص في المذهب الشافعي

١-**ما يجب فعلها:** كأكل الميتة للمضطر، والفطر من خاف الهلاك، وإساغة الغصة بالخمر.

٢-**ما يندب:** كالقصر في السفر، والفطر لمن يشق عليه الصوم في سفر أو مرض ، والنظر إلى المخطوبة.

٣-**ما يباح:** كالسلم.

٤- **ما الأولى تركها:** كالجمع والفطر لمن لا يتضرر. .

٥- **ما يكره فعلها:** كالقصر في أقل من ثلاث مراحل[١].

ملاحظة: المشقة والحرج إنما يعتبران في موضع لا نص فيه، وأما مع النص بخلافه فلا، ولذا قال أبوحنيفة ومحمد رحمهم الله بحرمة رعي حشيش الحرم وقطعه إلا الإذخر، وجوز أبو يوسف رعيه للحرج ورد عليه بما ذكرنا.

وقال الإمام أبوحنيفة بتغليظ نجاسة الأرواث لقوله عليه السلام «إنها ركس» ولا اعتبار عنده بالبلوى في موضع النص.

# المادة «الأمر إذا ضاق اتسع»

أي أنه إذا شوهدت مشقة في فعل أو أمر يجب إيجاد رخصه وتوسعة لذلك الضيق، فإذا اندفعت الضرورة الداعية إلى اتساع الامر عاد الأمر إلى ما كان عليه.

(١) المراجع الاشباه والنظائر للسيوطي ٩٢ والاشباه لابن نجيم٨٢-٨٤ ، وعلي حيدر ٣٦

وهذه القاعدة قول للشافعي، وقد أجاب عنها في ثلاثة مواضع .

١-إذا فقدت المرأة وليها في سفر، فولت أمرها رجلاً يجوز. قال يونس بن عبد الأعلى: فقلت له كيف هذا؟ قال: إذا ضاق الأمر اتسع .

٢-في أواني الخزف المعمولة بالسرجين، أيجوز الوضوء منها؟ فقال: إذا ضاق الأمر اتسع.

٣-سئل عن الذباب يجلس على غائط ثم يقع على الثوب، فقال: إن كان في طيرانه ما يجف فيه رجلاه، وإلا فالشيء إذا ضاق اتسع.

ولهم عكس هذه القاعدة: إذا اتسع الأمر ضاق. فقليل الأعمال في الصلاة سومح به، وإذا زادت الحركات لا يسامح بها.

قال الغزالي في الإحياء جمعاً بين هاتين القاعدتين: كل ما تجاوز عن حده انعكس إلى ضده.

**ومن المسائل المندرجة تحتها:**

١-الدين إذا لم يستطع أداء الدين ينظر أو يُقسط عليه.

٢-قبول شهادة النساء وحدهن في الولادة والحمامات.

٣-إباحة أكل الميتة ومال الغير مع الضمان.

٤-جواز الإجارة على الطاعات حفظاً للشعائر.

٥-جواز دفع السارق....

## القاعدة الكبرى الخامسة

## «العادة محكمة» م/٣٦ [1]

**أصلها قوله ﷺ «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن».**

رواه أحمد في كتاب السنة -وليس في المسند- عن ابن مسعود بلفظ: (إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمداً ﷺ فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحاباً، فجعلهم أنصار دينه، ووزراء نبيه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح) . « وهو موقوف حسن وأخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الاعتقاد. وقال الحافظ ابن عبد الهادي : روي مرفوعاً عن أنس بإسناد ساقط، والأصح وقفه على ابن مسعود [2].

## تعريف العادة

نقل ابن عابدين في رسالته: «نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف» ذكر الهندي في شرح المغني: العادة عبارة عما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطباع السليمة. وهي أنواع ثلاثة:

العرفية العامة: كوضع القدم (حلف أن لا يضع قدمه) يعني يدخل.

والعرفية الخاصة: كالرفع والنصب للنجاة.

والعرفية الشرعية: كالصلاة والزكاة، تركت معانيها اللغوية بمعانيها الشرعية.

وفي المستصفى: العادة والعرف ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول.

قال الفخر البزدوي في باب ما تترك به الحقيقة: تترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة.

فهذا الأثر يدل بعبارته ومرماه على أن الأمر الذي يجري عرف المسلمين على اعتباره من الأمور الحسنة يكون عند الله أمراً

(١) انظر الأشباه والنظائر لابن نجيم ٩٢، الأشباه للسيوطي ٩٩، المدخل الفقهي جـ ٢/ ٨٨٢، شرح المجلة علي حيدر ٤٠، شرح المجلة للأتاسي ٧٨

حسناً، وإن مخالفة العرف الذي يعده الناس حسناً يكون فيه حرج وضيق، والله يقول «وما جعل عليكم في الدين من حرج» وهـ كان موقوفاً على ابن مسعود فإن له حكم المرفوع لأنه لا مدخل للرأي فيه.

**ومعنى القاعدة:** أن العادة عامة كانت أو خاصة تجعل حكماً لإثبات حكم شرعي، ومعنى محكمة أي هي المرجع عند النز لأنها دليل يبنى عليه الحكم، والعرف والعادة في لسان الشرعيين لفظان مترادفان معناهما واحد.

والعادة أو العرف: حكما لإثبات الحكم الشرعي إذا لم يرد نص في ذلك الحكم المراد إثباته، فإذا ورد النص عمل بموجبه، يجوز ترك النص والعمل بالعادة، لأنه ليس للعباد حق تغيير النصوص (لا وصية لوارث).

## أقسام العرف:

١-العرف والعادة يكونان على وجهين: الأول يقسم إلى ثلاثة أقسام:

**١-العرف العام:** وهو عرف هيئة غير مخصوص بطبقة من طبقاتها، وهو العرف الجاري منذ عهد الصحابة حتى يومنا هـ مثال ذلك: إذا حلف شخص قائلاً «والله لا أضع قدمي في دار فلان». يحنث سواء دخل تلك الدار ماشياً أو راكباً ، أما لو وضع قـ في الدار دون أن يدخلها لا يحنث لأن وضع القدم في العرف العام بمعنى الدخول.

**٢-العرف الخاص** : وهو اصطلاح طائفة مخصوصة على شيء، كاستعمال علماء النحو «لفظة الرفع» وعلماء الأدب ﻛ «النقد».

**٣- العرف الشرعي:** وهو عبارة عن الاصطلاحات الشرعية كالصلاة والزكاة والحج، فاستعمالها في المعنى الشرعي أهـ معناها اللغوي.

والوجه الثاني يقسم أيضاً إلى قسمين:

**١-العرف العملي:** وذلك كتعارفهم على البيع بالتعاطي من غير صيغة لفظين بالإيجاب والقبول، وتعارفهم على أن الزوجة تزف إلى زوجها إلا بعد أن تقبض جزءاً من مهرها.

**٢-العرف القولي:** كتعارف الناس على إطلاق لفظ الولد على الذكر دون الأنثى، وتعارفهم على إطلاق لفظ اللحم على غير لـ السمك.

ومن جهة ثانية يقسم العرف إلى قسمين:

**١- عرف صحيح:** وهو ما تعارفه الناس وليست فيه مخالفة لنص، ولا تفويت مصلحة، ولا جلب مفسدة، كتعارفهم وقف بعض المنقولات، وتعارفهم أن ما يقدمه الخاطب إلى خطيبته من ثياب وحلوى ونحوهايعتبر هدية وليس من المهر.

**٢-عرف فاسد:** وهو ما تعارفه الناس مما يخالف الشرع، أو يجلب ضرراً، أو يفوت نفعاً، كتعارفهم بعض العقود الربوية، أ بعض العادات المستنكرة في المآتم والموالد وكثير من احتفالاتهم.

وفي كشف الأسرار/ المنار ١٨٢/١ للنسفي: الحقيقة تترك بدلالة العادة، كالنذر بالصلاة، والحج، وحلف بأن لا يأكل لحماً. فـ يحنث بأكل السمك.

# اعتبار العادة

يرجع في الفقه إلى اعتبار العادة والعرف في مسائل كثيرة منها:

سن الحيض، البلوغ، الإنزال، أقل الحيض ، النفاس، والأفعال المنافية للصلاة، النجاسات المعفو عنها، مقدار الماء الكثير.

وفي صوم يوم الشك، قبول القاضي الهدية، وفي القبض والاقباض ودخول الحمام.

# ثبوت العادة

**١-العادة في الحيض:** عند أبي حنيفة ومحمد بمرتين، وعند أبي يوسف بمرة. قال السيوطي وفي ثبوته بالمرة والمرتين خلاف، والأصح الثبوت.

**٢-الاستحاضة:** بمرة تثبت بلا خلاف سواء في المبتدأة والمعتادة.

**٣-ما لا يثبت بالمرة ولا بالمرات الكثيرة،** كالمستحاضة التي ترى يوماً دماً ويوماً نقاءً واستمر لها أدوار هكذا، ثم أطبق الدم على لون واحد، فإنه لا يلتقط لها قدر أيام الدم بلا خوف.

**٤-الجارحة:** ثلاث مرات.

**٥-القائف:** ثلاث مرات.

**٦-اختبار الصبي قبل البلوغ بالمماكسة،** يختبر بمرتين على الأقل.

# تعارض العرف مع الشرع [1]

وهو نوعان:

**١-أحدهما:** أن لا يتعلق بالشرع حكم، فيقدم عليه عرف الاستعمال. فلو حلف لا يأكل لحماً، فأكل سمكاً لم يحنث وإن سماه الله لحماً . أو لا يجلس على بساط، أو تحت سقف، أو في ضوء سراج، لم يحنث بالجلوس على الأرض وإن سماها الله بساطاً، ولا تحت السماء وإن سماها الله سقفاً، ولا في الشمس وإن سماها الله سراجاً.

العرف في جميع ذلك لأنها استعلمت في الشرع تسمية بلا تعلق حكم وتكليف، وكذا لو حلف لا يركب دابة لم يحنث بركوب الكافر وإن سماه الله دابة.

**٢- الثانية:** أن يتعلق به حكم فيقدم على عرف الاستعمال.

فلو حلف لا يصلي لم يحنث إلا بذات الركوع والسجود، أو لا يصوم لم يحنث بمطلق الإمساك، أو لا ينكح حَنِث بالعقد . ولو كان اللفظ يقتضي العموم والشرع يقتضي التخصيص اعتبر خصوص الشرع على الأصح. فلو حلف لا يأكل لحماً لم يحنث بالميتة، أو أوصى لأقاربه لم تدخل ورثته عملاً بتخصيص الشرع إذ لا وصية لوارث.

# تعارض العرف مع اللغة

اختلف في المقدم منهما عند التعارض.

**أما الحنفية:** فقد قال الزيلعي وغيره « بأن الأيمان مبنية على العرف لا على الحقائق اللغوية، فمثلاً:

لو حلف لا يأكل الخبز حنث بما يعتاده أهل بلده، ففي البلاد المقدسة يحنث بخبز القمح، وفي الصين واليابان يحنث بخبز الأرز، ولا يحنث بأكل الحلويات وإن كانت من الطحين.

**أما الشافعية فقد اختلفوا:**

١-قال القاضي حسين: الحقيقة اللفظية مقدمة عملاً بالوضع اللغوي.

٢- قال البغوي: العرف يقدم، لأن العرف يحكم في التصرفات سيما في الأيمان.

قال الرافعي في الطلاق: « إن تطابق العرف والوضع فذاك، وإن اختلفا فكلام الأصحاب يميل إلى الوضع. والإمام والغزالي يريان اعتبار العرف، وقال في الأيمان: إن عمت اللغة قدمت على العرف».

قال ابن عبد السلام: قاعدة الأيمان: البناء على العرف إذا لم يضطرب، فإن اضطرب فالرجوع إلى اللغة، وعليه مسائل:

---

(١) انظر الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٠٢ انظر الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٩٦

١-حلف لا يأكل الرؤوس: لا يحنث بأكل رؤوس العصافر والحيتان.

٢- أوصى بدابة لفلان : يعطى فرساً أو بغلاً أو حماراً على المنصوص، لا الإبل والبقر.

٣-أوصى للقراء: فهل يدخل من لا يحفظ ويقرأ في المصحف، أو لا؟ وجهان ينظر في أحدهما إلى الوضع، وفي الثاني إ العرف وهو الأظهر.

## القواعد المتفرعة عن « العادة محكمة »

**١-استعمال الناس حجة يجب العمل به** /م٣٧ ومعناها كالسابقة.

**٢-شروط العرف:** ويبينه مادتان.

أ-إنما تعتبر العادة إذا اطردت أو غلبت /م٤١.

ب-العبرة للغالب الشائع لا للنادر/م٤٢.

**٣-أسس اعتبار العرف اللفظي:** وتبينه ثلاث مواد:

أ-الحقيقة تترك بدلالة العادة /م٤٠.

ب-الكتاب كالخطاب م/٦٩.

جـ-الإشارات المعهودة للأخرس كالبيان باللسان /م٧٠.

**٤- أسس اعتبار العرف العملي:** وتحدده ثلاث مواد:

أ-المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً م /م٤٣.

ب-المعروف بين التجار كالمشروط بينهم /٤٤.

جـ-التعيين بالعرف كالتعيين بالنص /٤٥.

قاعدة:

## الحقيقة تترك بدلالة العادة

أي إذا أصبح المعنى الحقيقي للفظ مهجوراً عادة وعرفاً وشاع استعماله في معنى آخر فإنه يستعمل في المعنى الذي استعم فيه تعذر الحقيقة، مثال ذلك : لو حلف قائلاً إنني لا آكل من هذه الشجرة لا يحنث إذا أكل من حطبها.

المجاز أكثر، وكذا إذا قال لا أشرب من هذا النهر فشرب من إناء مملوء من ذلك النهر لا يحنث عند أبي حنيفة، ويحنث عذ الصاحبين .

قاعدة :

## الكتاب كالخطاب

والمقصود في هذه القاعدة هو أنه كما يجوز لاثنين أن يعقد بينهما مشافهة عقد بيع أو إجارة أو كفالة أو ما إلى ذلك عن العقو يجوز لهما عقد ذلك مكاتبة أيضاً.

الإشارات المعهودة للأخرس كالبيان باللسان.

يفهم من هذه القاعدة أن إشارة الأخرس المعهودة منه كالإشارة باليد أو الحاجب هي كالبيان باللسان، لأنه لو لم تعتبر إشارتا لما صحت معاملته لأحد من الناس، ولكان عرضة للموت جوعاً.

# لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان / م٣٩

من المعلوم قطعاً أن الأحكام التي تتغير هي الأحكام الاجتهادية «القياسية» والاستصلاحية والاستحسانية، أما الثابتة بالنصوص فلا يمكن تغيرها أبداً، كحرمة المحرمات والخلوات والمصافحة والربا والغصب وممالأة الظالمين وموالاة الكفار والتولي يوم الزحف ومحاربة المؤمنين وتقريب المنافقين بطانة وحاشية.

يقول ابن عابدين:

*والعرف في الشرع له اعتبار        لذا عليه الحكم قد يدار*(١)

وتغير الأحكام إما لفساد الزمان بفقدان الورع والتقوى. وإما تغير طراز الحياة وشكلها ووسائل العيش.

وكذلك فإن بعض الأحكام الشرعية قد يكون مبنياً على عرف الناس وعاداتهم، فإن اختلفت العادة عن زمان قبله تتغير كيفية العمل بمقتضى الحكم، أما أصله فلا يتغير. كطريقة انتخاب الحاكم والشورى والقضاء.

قال ابن عابدين: «ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد أنه لابد فيه من معرفة عادات الناس، فكثير من الأحكام يختلف باختلاف الزمان بتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولاً لزم منه المشقة والضرر بالناس، وخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد لبقاء العالم على أتم نظام وأحسن إحكام . ولهذا ترى مشايخ المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة بناء على ما كان في زمنه، لعلمهم بانه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به أخذاً من قواعد مذهبه»(٢).

ومن الأمثلة على هذا:

١-في المذهب الحنفي: العمل الواجب شرعاً على شخص لا يصح استئجاره فيه، ولا يجوز له أخذ أجرة عليه عند أبي حنيفة والصاحبين. فالقيام بالعبادات والأعمال الدينية الواجبة كالإمامة وخطبة الجمعة وتعليم القرآن والعلم لا يجوز أخذ الأجرة عليه في أصل المذهب. بل على المقتدر أن يقوم بذلك مجاناً لأنه واجب ديني (٣).

إلا أن المتأخرين أباحوا أخذ الأجرة نظراً لقعود الهمم، وانقطاع عطاء المعلمين التي كانت في الصدر الأول. مع أن هذا مخالف لما اتفق عليه الإمام والصاحبان من عدم جواز الاستئجار وأخذ الأجرة عليه كبقية الطاعات من الصوم والصلاة والحج وقراءة القرآن.

٢- تضمين الأجير المشترك حيث شاع الفساد وإن هذا مخالف لقاعدة اليد الأمينة لا تضمن إلا بالتعدي.

٣-إن الوصي ليس له أن يضارب في مال اليتيم والوقف، وبعدم إجارته أكثر من سنه في الدور، ومن ثلاث سنين في الأراضي، مع أن المذهب أصلاً لا يضمن ولا يحدد بمدة.

٤-منع النساء من حضور الجماعة.

٥-بيع الوفاء وعقد الاستصناع.

٦-قبول رؤية اثنين في هلال رمضان مع أن أصل المذهب الحنفي لايثبت إلا برؤية جمع عظيم.

٧-في صحيح البخاري ضوال الابل حكم فيها ﷺ بالترك حتى يلقاها صاحبها، وأما سيدنا عثمان فأمر ببيعها.

٨-منافع المغصوب غير متقومة عند الحنفية لأن المنافع غير متقومه، ولذا لا يضمن الغاصب منافع المغصوب بخلاف الثلاثة -الشافعي....-، ولكن المتأخرين من الحنفية أفتوا بتضمين الغاصب أجرة المثل عن منافع المغصوب في مال الوقف واليتيم والمال المعد للاستغلال.

٩-قضاء القاضي بعلمه جائز عند الحنفية ومنعه المتأخرون.

١٠-شروط العدالة عند المتقدمين غيرها عند المتأخرين، ولذا تنازل المتأخرون من اشتراط العدالة المطلقة إلى العدالة النسبية.

— منع كتابة الحديث ثم دون زمن عمر بن عبد العزيز.

(١) مجموعة رسائل ٢/١١٤. (٢) شرح الاتاسي للمجلة ص ٨٢-٨٣. (نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف) مجموعة رسائل ابن عابدين جـ ٢ /١٢٥

(٣) المدخل للزرقاء ٥٤٧ف نقلاً عن البدائع اجاره ٤/١٩١. مجموعة رسائل ابن عابدين ٢/١٢٦

ـ العقارات عند بيعها يشترط تسليمها أو تسليم مفاتيحها للمشتري حتى يتم القبض . واليوم يعتبر القبض منذ تسـ القطعة في السجل العقاري.

ـ عدة المطلقة في الماضي منذ حكم القاضي واليوم بعد الاستئناف والنقض، وتبدأ العدة منذ اعتبار الحكم مبرماً.

كان أبوحنيفة يرى عدم تزكية الشهود، لأنه يكتفي بالعدالة الظاهرة، وعندما تغير الزمن في حياة الصاحبين اشترطا تز الشهود، ونختم هذه القاعدة بقولين للشهاب القرافي وابن القيم.

قال القرافي[1]: «الجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين».

وقال ابن القيم[2]: تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد:

هذا فعل عظيم النفع جداً، وقد وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إ ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد . المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إ ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث . فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل»[3].

## تعليل النص بالعرف/ رأي أبي يوسف

حديث الربا (الذهب بالذهب...) إنما نص الرسول ﷺ على البر والشعير أنها مكيلة لكونهما كانا في ذلك الوقت، كذلك فالنه في ذلك الوقت كان للعادة، حتى لو كان في ذلك الوقت وزن البر لو رد النص على وفقه، فحيث كانت العلة للنص على الكيل في ال هي العادة تكون العادة هي المنظور إليها، فإذا تغيرت تغير الحكم، فليس في اعتبار العادة المتغيره الحادثة مخالفة للنص، بل ة اتباع النص، وظاهر كلام ابن الهمام ترجيح هذه الرواية.

**يقول ابن عابدين:** جزى الله الإمام أبا يوسف خير الجزاء عن أهل هذا الزمان، فلقد سد عنهم باباً عظيماً من الربا... إذ أ عادة الناس جرت اقتراض الدراهم عدداً وهي مختلفة في أوزانها [4].

## القاعدة السادسة [5]

# «إعمال الكلام أولى من إهماله» م ٦٠

وفي الاشباه لابن نجيم صـ ١٣٥«إعمال الكلام أولى من إهماله متى أمكن، فإن لم يمكن أهمل».

ولذا اتفق أصحابنا في الأصول على أن الحقيقة إذا كانت متعذرة فإنه يصار إلى المجاز.

حلف لا يأكل من هذه النخلة أو هذا الدقيق حنث في الأول بأكل ما يخرج منها، وثمنها إن باعها واشترى بها مأكولاً. وفي الثاني بما يتخذ منه كالخبز، ولو أكل عين الشجرة والدقيق لم يحنث على الصحيح.

والمهجور شرعاً أو عرفاً كالمتعذر.

وإن تعذرت الحقيقة والمجاز أو كان اللفظ مشتركاً بلا مرجح أهمل لعدم الامكان. كمن أوصى لمواليه. لأن إهمال الكلام اعتبار عبثاً، والدين والعقل يمنعان المرء من الكلام العبث، وكذلك احترام إرادة المتكلم.

ويحمل الكلام على التأسيس أولى من التأكيد، فلو قال: أنت طالق طالق طالق يحمل على الثلاث ولا يصدق دعواه التأكيد، وكذلك لو أقر لشخص بعشرة دنانير وبين سنداً ثم أقر بعشرة دنانير وبين سنداً يكون مقراً بعشرين ديناراً.

١ـ لو أوصى بطبل وله طبل حرب وطبل لهو، صح وحمل على الجائز. وكذا لو أوصى بزق وله زق خمر وزق سمن.

(١) الفروق. الفرق ٢٨ المسألة الثالثة ١/١٧٧ . (٢) أعلام الموقعين جـ ٣ صـ ١.

(٣) نقلاً عن المدخل الفقهي ٢/٩٢٧. (٤) نشر العرف/ ابن عابدين مجموعة الرسائل ٢/١١٨ ط لاهور

(٥) معنى القاعدة من المدخل ـفقرة ٥٦١.

٢-لو وقف على أولاده وليس له إلا أولاد نفذ .

قال السبكي: محل القاعدة: إذا استوى الإعمال والإهمال (صـ ١٥٠ من السيوطي)، أما إذا بعد الإعمال عن اللفظ وصار بالنسبة إليه كاللغز فلا يصير راجحاً. ومن ثم لو أوصى بعود من عيدانه وله عيدان لهو وعيدان قسي وبناء فالأصح بطلان الوصية تنزيلاً على عيدان اللهو، لأن اسم العود عند الإطلاق له واستعماله في غيره مرجوح.

فروع القاعدة:

(الأصل في الكلام الحقيقة) م ١٢.

(إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز) م ٦١.

**الحقيقة:** استعمال اللفظ في المعنى الذي وضعه الواضع .

**المجاز:** هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له بشرط أن يكون بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي علاقة ومناسبة.

(رأيت أسداً في الحمام).

إذا وقف شخصه على أولاده فإنه يصرف لأبناء صلبه ولا يصرف لأبناء أبنائه إلا إذا انقرضت الطبقة الأولى «أولاده».

## والتعذر أنواع

**١-حقيقي:**

أ-إرادة المعنى الحقيقي ممتنعة: أوصى لأولاده وله أحفاد.

ب-إرادة المعنى الحقيقي ممكنة مع المشقة الزائدة: لمن حلف الأكل من النخل.

**٢-تعذر عرفي:** وهو أن يكون المعنى الحقيقي للفظ مهجوراً ومتروكاً للناس، فالعرف يستعمل هذا الكلام في الكفاية عن الدخول في الدار لمن حلف لا يضع قدمه في دار فلان.

**٣- تعذر شرعي:** وكلت فلانا بالخصومة عني وهو أن يكون المعنى الحقيقي للفظ مهجوراً شرعاً أي «مرافعة ومدافعة».

لوحلف بأن ينكح أجنبية يحمل على المجاز وهو العقد ، والمهجور شرعاً كالمهجور عرفاً، وقد تتعذر الحقيقة لكونها مهجورة في عرف الناس: حلف لا يسكن الدار لا يحنث إذا نقل في اليوم.

ملاحظات:

**١-النية:** لها اعتبار في الديانة دون القضاء.

قال الغزالي في المستصفى: أن حكم الله تعالى على الإطلاق في أملاك العباد وفي أحكام الشرع، وقد حكم جل وعلا في أملاك العباد بأن علق أحكامها حصولاً وزوالاً بالألفاظ دون الإرادات المجردة.

وأما أحكام الشرع فثبوتها ليس معلقاً بالألفاظ، بل بكل ما دل على رضى الشارع وإرادته من قرينة ودلالة -وإن لم يكن لفظاً-، بدليل أنه لو باع مال تاجر بمشهد منه بأضعاف ثمنه فاستبشر وظهر أثر الفرح عليه -أي ولم يصدر منه فعل ينوب عن اللفظ كقبض الثمن وطلبه- لم ينفذ البيع إلا بتلفظه بإذن سابق أو إجازة لاحقة عند أبي حنيفة -رحمه الله-.

بخلاف أحكام الشرع فإنه لو جرى بين يدي الرسول ﷺ فعل فسكت عليه دل سكوته على رضاه وثبت الحكم به، بل ضيق الشرع تصرفات العباد حتى لم تحصل أحكامها بكل لفظ بل ببعض الألفاظ كالطلاق.

**٢- دوران اللفظ بين الحقيقة والمجاز، واستعمال المجاز أغلب:** فالعبرة للحقيقة عند الإمام أبي حنيفة. وقالا المجاز أولى.

فهما جعلا غلبة الاستعمال مرجحاً، وهو لم يعتبره مرجحاً، لكون العلة لا ترجح بالزيادة من جنسها، ثم ترجح الحقيقة لرجحانها.

**مثاله:** حلف لا يشرب من نهر أو لا يأكل من الحنطة، ينصرف اليمين عنده إلى الحقيقة وهي الكرع بالشرب من مائه وإلى أكل

عين الحنطة، فلا يحنث لو شرب اغترافاً بيده أو بإناء، ولا بأكل الخبز المتخذ من الحنطة .

وعندها: انصرفت اليمين إلى شرب مائه، وإلى الحنطة وما يتخذ منها.

## إذا تعذر إعمال الكلام يهمل

يعني أنه إذا لم يمكن حمل الكلام على معنى حقيقي أو مجازي أهمل لأنه حينئذ يكون لغواً.

ومن الأمثلة على ذلك:

١-قال لزوجته الأكبر منه سناً المعروفة النسب من الغير: هذه بنتي، فإن كلامه لا يمكن حمله على المعنى الحقيقي ولا المعنى الشرعي، فلا يكون ظهاراً ولا طلاقاً.

٢-لو ادعى شخص على غيره أنه قطع يده واليد قائمة مشهودة.

٣-لو أقر بأن أخته ترث ضعفي حصته من تركة أبيه، فإن إقراره هذا لا يعتبر لتعذره شرعاً، وتقسم التركة بينهما حد الفريضة الشرعية إلا إذا بين السبب.

٤- لو أوصى لمواليه وكان له معتق ومعتق فوصيته باطلة، لأن اللفظ مشترك بين معنيين، فإن لفظ المولى يطلق على كل السيد والعبد.

قاعدة/ المطلق يجري على إطلاقه ما لم يقم دليل التقييد نصاً أو دلالة . صـ ٩٨٨.

## ذكر بعض ما لا يتجزأ كذكر كله

يفهم من هذه القاعدة أنه يكفي في الأشياء التي لا تتجزأ ذكر بعضها عن الكل، وأن البعض منها إذا ذكر كان الكل مذكو لأنه لو كان ذكر البعض لا يقوم مقام ذكر الكل لكان ذلك موجباً لإهمال الكلام، وإعمال الكلام أولى من إهماله. ومن فروع ، القاعدة:

١-إذا طلق الرجل نصف زوجته أو ربعها فإنها تطلق من كلها.

٢-إذا كفل شخص في عقد الكفالة نصف شخص آخر، فإن الكفالة صحيحة ويكون قد كفل نفس الرجل كلها.

٣-إذا أسقط ولي المقتول نصف القصاص عن القاتل سقط القصاص كله، لأنه ليس من الممكن إماتة قسم من الإنسان الإبقاء على القسم الآخر منه حياً.

أما ذكر بعض الشيء الذي يتجزأ فهو بعكس ذلك . وعليه فإذا قال شخص لآخر كفلتك بخمس مائة دينار من الألف المطا منك انعقدت الكفالة على الخمسمائة فقط، لأن الدين المذكور يقبل التجزئة.

المطلق يجري على إطلاقه

## إذا لم يقم دليل التقييد نصاً أو دلالة /م ٦٤

المطلق والمقيد قسمان من الخاص المقابل للعام.

**العام:** هو اللفظ الذي يدل بحسب وضعه اللغوي على شموله واستغراقه لجميع الأفراد الذي يصدق عليها معناه. أو هو الل الموضوع لمعنى معلوم على الشمول والاستغراق.

**الخاص:** هو اللفظ الموضوع لمعنى معلوم على الانفراد.

**المطلق:** هو اللفظ الشائع في جنسه بلا شمول ولا تعيين.

الشيوع في جنسه: أنه يحتمل حصصاً كثيرة فتخرج المعارف.

بلا شمول: أي لا يدل على الشمول والإحاطة، بل على فرد مطلق، مثل أن تذبحوا بقرة. فخرج العام لدلالته على الشمول.

بلا تعيين: أي لا يدل على التعيين ببعض المراد، فخرج المقيد.

جاء في المستصفى: اسم الفرد وإن لم يكن على صيغة الجمع يفيد العموم في ثلاثة مواضع:

١-دخول (الـ) الجنس: الزانية والزاني، البر بالبر، البيع والربا.

٢-نكرة في سياق النفي: (وما من دابة في الأرض).

٣-أن يضاف إليه أمر أو مصدر، والفعل بعد غير واقع (أعتق رقبة. فتحرير رقبة).

المطلق: من بعد وصية.

المقيد: الثلث والثلث كثير.

ذهب أبو حنيفة[1] ومن تبعه من الأصوليين إلى أن المطلق والمقيد إذا وردا في حادثة واحدة لا يحمل المطلق على المقيد. لأن كلام الحكيم محمولٌ على مقتضاه، ومقتضى المطلق الإطلاق والمقيد التقييد.

وقال الشافعي رضي الله عنه: يحمل المطلق على المقيد، لأن الحكيم إنما يزيد في الكلام لزيادة في البيان، فلا يحسن إلغاء تلك الزيادة بل يجعل كأنه قالهما معاً.

ولأن موجب المقيد متيقن وموجب المطلق محتمل.

**ويتفرع عن هذا الأصل مسائل:**

١-أن النكاح لا ينعقد بحضور الفاسقين عند الشافعي رضي الله عنه، لقوله عليه السلام: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل». فإنه تقييد للشهادة بالعدالة، وعندهم « الحنفية» لا نكاح إلا بولي وشهود.

والشافعي رضي الله عنه نزل المطلق على المقيد لاتحاد الواقعة، وأبوحنيفة قدم المطلق على المقيد.

٢-إن الفاسق لا يلي التزويج بالقرابة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام «لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل».

وقال أبوحنيفة رضي الله عنه يليه لمطلق قوله عليه الصلاة والسلام لا نكاح إلا بولي وشهود.

٣-إن إعتاق الرقبة الكافرة لا تجزئ في كفارة الظهار عندنا، حملاً لمطلق قوله تعالى فيه (فتحرير رقبة) على قوله تعالى في كفارة القتل (فتحرير رقبة مؤمنة).

٤-إن السّيد إذا كان له عبد كافر لا تجب عليه صدقة الفطر عنه عندنا، لأنه روى مالك عن نافع عن بن عمر رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: **(أدوا صدقة الفطر عن كل حر وعبد نصف صاع من بر)**. وروي عنه : **(أدوا عن كل حر وعبد من المسلمين نصف صاع من حنطة)**. فالشافعي رضي الله عنه يحمل المطلق على المقيد ويشترط الإيمان، وأبو حنيفة رضي الله عنه لا يحمل ولا يشترط الإيمان.

٥-إذا قال أوصيت لزيد بهذه المائة، ثم قال أوصيت لزيد بمائة أو بعكس، فيوصى أولاً بغير المعينة، ثم يوصى بالمعينة: فإنا نحمل المطلقة في المثالين على المعينه حتى يستحق مائة فقط، كما لو أطلقهما معاً فإنه لا يستحق إلا المائة، ولو كانتا معينتين فلا إشكال.

٦-إذا قال من حج لله علي أحج، ثم قال لله علي أحج هذا العام فإنه يكفيه حجة واحدة، وفائدة النذر الثاني تعجيل ما كان به تأخيره، كما نذر من لم يحج أن يحج في هذا العام. ومثله نذر الصوم والصدقة وسائر العبادات.

٧-لو قال لزيد علي ألف، ثم أحضر ألفاً وقال: هذه له، وكنت قد تعديت فيها فوجب ضمانها فإنه يقبل منه.

فرع: (قال في البحر) والمراد بحمل المطلق على المقيد إنما هو المطلق بالنسبة إلى الصفة، كما في وصف الرقبة بالإيمان، وكوصف اليَدّ بالوضوء لكونها إلى المرفق مع إطلاقها في التيمم. وكما لا طعام مذكور في كفارة الظهار دون القتل، فإنا لا نحمله على التقييد لأن فيه إثبات أصل بغير أصل.

وقال ابن حيان: يحمل المطلق على المقيد بالأصل كما حمل عليه في الوصف.

(١) من هنا حتى نهاية الكتاب بخط الناسخ وليس بخط الشيخ.

ملاحظة: هذا الكتاب (القواعد الفقهية) كان مادة دراسية يدرسها الإما الشهيد عبدالله عزام -رحمه الله- في الجامعة في بداية الثمانينات.

ومن منطلق الاهتمام بتجميع كل ما يتعلق بالإمام الشهيد فقد حرص مركز الشهيد عزام الإعلامي على متابعة هذا الأمر والتركيز عليه تمهيداً لتسهيل مهمة كل من أراد أن يعمل دراسة مستفيضة عن هذا الرمز ومدى العقلية التي كان يتميز بها سواء كان في مجال الفقه وأصوله أو السياسة أو ما يتعلق بأمور هذا الدين وخاصة الجهاد في سبيل الله.

سائلين المولى عز وجل أن يوفقنا لاتمام هذا العمل وأن يسدد خطانا لما فيه خير الدنيا والآخرة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (الناشر)

# فقه
# الاجراءات والمرافعات
# في القضاء الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسر لي أمري- ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

أسألك اللهم علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وقلباً خاشعاً ، و شفاء من كل داء


د. عبد الله عزام

اسلام آباد -فيصل مسجد- الجامعة الإسلامية


# تعريف القضاء

١-الحنفية:[١] (فصل الخصومات وقطع النزاعات) (على وجه مخصوص) عرفه بعضهم: (قول ملزم صادر عن ولاية عامة).

وتعريف الحنبلية قريب منه.

الجمع بينهما (فصل الخصومات و قطع المنازعات على وجه خاص صادر عن ولاية عامة).

٢-المالكية:[٢] (الاخبار عن حكم شرعي على سبيل الالزام).

وقال بعضهم (هو الدخول بين الخالق والمخلوق ليؤدي فيهم أوامره و أحكامه بواسطة الكتاب والسنة).[٣]

يؤخذ عليه: بأن كثيراً من وظائف الخلافة تدخل فيه، وأما الثاني فيشمل التدريس والافتاء.

٣-الشافعية:[٤](فصل الخصومة بين خصمين فاكثر بحكم الله تعالى)

عرفه العز بن عبد السلام[٥] (إظهار حكم الشرع في الواقعة فيمن عليه امضاؤه فيه)

التعريف المختار :

(فصل الخصومات باظهار حكم الشارع فيها على سبيل الالزام) وهذ التعريف يتضمن ثلاثة مقاطع:

١-وظيفة القضاء فض النزاعات.

٢-وظيفة القاضي إظهار حكم الله تعالى في القضية.

٣-حكم القاضي ملزم ومجبر بخلاف الافتاء.

# ضمانات العدالة في الإسلام

١-اختيار القاضي الكفء.

٢-التوسيع عليه في الرزق.

٣-استقلال القضاء.

٤-تحريم الرشوة والهدايا.

١- (حاشية ابن عابدين ٣٥٢/٥) ٢- (مواهب الجليل ٨٦/٦) ٣- تبصرة الحكام ١٢/١ ٤- (مغني المحتاج ٣٧٢/٤) ٥- (مغني المحتاج ٣٧٢/٤)

٥-الشورى في الأحكام.

٦-بطلان الحكم لعلم القاضي.

٧-الزام القاضي باتباع نهج معين ازاء الشهود.

٨-التفريق بين المتخاصمين.

٩-النهي عن كتمان الشهادة وعن شهادة الزور.

١٠-تحذير المتخاصمين أن يأخذ أي منهما ما لا يستحقه.

١١-اقتران الحكم باسبابه.

١٢-النهي عن القضاء حالة الغضب.

١٣-المتهم بريء حتى تثبت ادانته.

١٤-بطلان حكم القاضي لنفسه.

١٥-حق المتهم في الدفاع عن نفسه.

١٦-نقض الحكم اذا خالف نصاً أو اجماعاً.

١٧-التعويض عن الضرر الناجم عن الخطأ في الحكم وادانة المتسبب في الضرر.

## مشروعية القضاء وحكمه بالنسبة لجماعة المسلمين

وظيفة الأنبياء عليهم السلام إقرار العدل في الأرض ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس سط.....﴾ الحديد: ٢٥

ووظيفة العلماء (ورثة الأنبياء) نشر القسط والعدل في الأرض، وهذه وظيفة القضاة.

ولذا: فالقضاء: **فرض على الأمة المسلمة**، ودليل هذا الكتاب والسنة والاجماع والمعقول.

**١-الكتاب:** ﴿...وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم...﴾ المائدة: ٤٩.

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله﴾. النساء: ١٠٥.

**٢- السنة:** تولى ﷺ القضاء بنفسه:

فقد فرق ﷺ بين ثابت بن قيس وزوجته حبيبة بنت سهل بالخلع.(١)

وكذلك قضى بالنسبة لفاطمة بنت قيس بعد أن خاصمت زوجها بعد طلاقها ثلاثاً أنه ليس لها سكن ولا نفقه.(٢)

وقضى ﷺ بقطع يد سارق رداء صفوان بن أمية. (٣)

**وولى رسول الله ﷺ بعض أصحابه القضاء**

قال مسروق: كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ ستة: عمر وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو ى الأشعري، وولى علياً القضاء على اليمن وقال ﷺ : أقضاكم عليّ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ.

وولى معاذاً القضاء على اليمن، وولى معقل بن يسار القضاء على اليمن، وكذلك ولى أبا موسى الاشعري على اليمن، وولى بن أسيد على مكة، وقد أمر ﷺ عقبة بن عامر أن يقضي في خصومة أمامه.(٤)

وقضى عمرو بن العاص رضي الله عنه بين يدي الرسول ﷺ في خصوماته.(٥)

**٣- الإجماع:** أول قاض بعد وفاة الرسول ﷺ عمر رضي الله عنه، قال له أبو بكر رضي الله عنه (اقض بين الناس فإني في (٦).

---

ي.

٢- (مسلم مع النووي ١٠/٩٥)

لنا ٢١٥ والدارمي ٢/٨٣.

٤- (مسند أحمد ١٠/٢٠٦) رواه أحمد برجال الصحيح والدار قطني ٤/٢٠٣) بسند حسن

د ١٥/٢٠٦ والدار قطني ٤/٢٠٣

٦- السنن الكبرى ١٠/٨٧

وتولى شريح القضاء لعمر ومن بعده لمدة ستين سنة في الكوفة، ومن قضاة التابعين الشعبي، وإياس بن معاوية.

٤- **العقل:** لأن الظلم سبب هلاك الامم ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا...﴾ **والقضاء بأسسه سبب إزالة الظلم.**

## حكم القضاء

١-**على الأمة:** فرض كفاية (فرض على مجموع الأمة بحيث يجب القيام به من قبل بعض منها غير معين).

٢-**على الامام:** حكم تنصيب الامام للقضاة فرض عين.

### خطر تولى القضاء:

أ-الأحاديث الرهيبة في القضاء:

١-عن أبي هريرة مرفوعاً **(من جعل على القضاء فكأنما ذبح بغير سكين)**.[1]

٢-عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(يدعى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى به أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط)**.[2]

٣-عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(من كان قاضياً عالماً قضى بالجور كان من أهل النار، ومن كان قاضياً فقضى بجهل كان من أهل النار، ومن كان عالماً فقضى بعدل فبالحري أن ينقلب كفافاً)**.[3]

٤-روى النسائي عن مكحول **(لو خُيرتُ بين ضرب عنقي وبين القضاء لاخترت ضرب عنقي)**.[4]

٥-عن عبدالرحمن بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال له: **(يا عبدالرحمنُ بن سَمرة لا تسأل الامارة، فإنك إن تؤتها من غير مسألة تعن عليها، وإن تؤتها عن مسألة توكل إليها)**.[5]

### الأحاديث المرغبة:

١-**(سبعة يظلهم الله... الإمام العادل)**.[6]

٢-عن عياض بن حمار مرفوعاً **(أهل الجنة ثلاث: ذو سلطان مقسط ...ورجل رحيم القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال)**.[7]

٣-عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ يقول في خطبته **(إن المقسطين في الدنيا على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولّوا)**.[8]

٤-وقال ﷺ **(اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)**[9].

## حكم تولي القضاء

اتفق الفقهاء على أشياء في تولي القضاء:

١-اتفقوا على أن القضاء فرض عين على من انحصرت الصلاحية فيه.

٢-واتفقوا على أن القضاء حرام على من لا يصلح له.

٣-واتفقوا على حرمة تولي القضاء على من يريد الانتقام من المسلمين أو جمع المال عن طريق الرشاوى.

---

١- صححه ابن حجر ورواه الاربعة والحاكم وأحمد وهو صحيح.

٢- رواه البيهقي ورواه أحمد باسناد حسن مجمع الزوائد ١٩٢/٤.

٣- قال الهيثمي رواه الطبراني والبزار ورجاله ثقات/ مجمع الزوائد ١٩٢/٤ ورواه أحمد.

٤- نصب الراية ٦٦/٤ .

٥- متفق عليه، فتح الباري ١٠٦/٢، النووي/مسلم ١١٦/١١.

٦- رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

٧- النووي/مسلم ١٩٨/١٧.

٨- النووي/مسلم ٢١١/١٢.

# مواطن الاختلاف

**١-طلب القضاء في حالة تعيينه على شخص من الأشخاص:**

ذهب جمهور الفقهاء أن طلب القضاء فرض عين، و قد استدلوا بقصة سيدنا يوسف عليه السلام.

ولكن الحنابلة ذهبوا إلى عدم وجوب طلب القضاء في حال من الأحوال، حتى لو انحصرت أهلية القضاء في شخص ، لأشخاص.

وفي حكم طلب القضاء في هذه الحالة روايتان عن الإمام أحمد :

أ-يكره له ذلك لقول أحمد (لا يعجبني أن يدخل الرجل في القضاء وهو أسلم له).

ب-لا يكره له الطلب ولكن لا يجب عليه لقول أحمد (لابد للمسلمين من حاكم، أفتذهب حقوق الناس؟!)

**٢-طلب القضاء من أجل الرزق من بيت المال:**

**حكمه:** الاباحة عند المالكية. الكراهية: عند الحنبلية. الاستحباب عند الشافعية. الكراهية عند الحنفية.

**٣-طلب القضاء من أجل اشهار العلم:**

مندوب: عند المالكية والشافعية.

مكروه: عند الحنبلية والحنفية.

**٤-طلب القضاء من أجل المباهاة والشهرة:**

ذهب جمهور الفقهاء إلى كراهية ذلك وذهب جماعة من الشافعية والمالكية إلى حرمته ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدو ا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾.

**٥-طلب القضاء ببذل المال:**

ذهب كثير من الفقهاء إلى حرمته مطلقاً في حق الباذل والمبذل له **(لعن الله الراشي والمرتشي)** [١].

# المعنى اللغوي للدعوى

وردت الدعوى بعدة معان:

١-الطلب والتمني (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون).

٢-الدعاء (دعواهم فيها سبحانك اللهم).

٣-الزعم : ادعى مسيلمة النبوة.

٤-الاضافة إلى النفس، تقول: ادّعي ملك هذا البيت.

٥-الاجتماع والتالب (تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها).

ى الدعوى الاصطلاحي:

**أ-القسم الأول:** من الفقهاء عرّفوا الدعوى بأنها (طلب أو مطالبة)، ومن هؤلاء البابرتي (العناية/الهداية)، مجلة الأحكام العدلية في المالكي.

فقد عرفه البابرتي[٢] (مطالبة حق في مجلس من له الخلاص عند ثبوته).

الحق: من حقوق العباد، من له الخلاص: القاضي لأنه يلزم الخصم بالحق ويخلصه.

مذي حسن صحيح .            ٢-(العناية/الهداية هامش فتح القدير ٦/١٣٧)

قال القرطبي عند هذه الآية (ومن ظلمك فخذ حقك منه بقدر مظلمتك، ومن شتمك فرد عليه مثل قوله، ومن أخذ عرضك فخذ عرضه ولا تتعد إلى أبويه أو ابنه أو قريبه، وليس لك أن تكذب عليه وأن كذّب عليك، فإن المعصية لا تقابل بالمعصية ولكن من ضربك فلا يحق لك ضربه وإلا فيعزر الاثنان).

**جـ-حقوق الزوج على الزوجة:** للزوج أن يضرب زوجته لترك فراشه، أو عدم التزين ، أو الخروج بغير اذنه، أو الصعود على السطح لرؤية الجيران أو ليروها.

**ثانياً: تحصيل الحقوق الشرعية المحضة:**

وهي ما عدا الأعيان والديون والمنافع، كتلك المتعلقة بالنكاح واللعان والإيلاء والرجعة والطلاق.

**ثالثاً: حالة خوف الفتنة أو المفسدة:**

لا يجوز استيفاء أي حق إذا ترتب على ذلك فتنة أو مفسده تزيد على مفسدة ضياع الحق، كفساد عضوا أو عرض أو نحوه.

**رابعاً: تحصيل الديون إذا كان المدين مقراً بها باذلاً لها.**

## ما لا يحتاج إلى دعوى باتفاق الفقهاء

**١-تحصيل الأعيان المستحقة:**

اتفق الفقهاء على أن للمغصوب منه استرداد العين المغصوبة حيثما وجدها. وقصر الحنبلية الأخذ دون دعوى بالغصب فقط.

وقال جمهور الفقهاء: ان هذا الحكم يعم كل عين مستحقة بأي سبب، فمن وجد عين سلعته التي اشتراها أو ورثها فله أخذها دون حاكم، وكذلك سلعته التي استحقها بالوصية.

والحاصل :أن جميع المذاهب الفقهية تجيز استيفاء الحقوق المتعلقة بالأعيان، سواء كان الحق متعلقاً بعينها كحق الملك، أو كان متعلقاً بمنافعها كحق المنفعة (كالمستأجر والموصى له بالمنفعة والموقوف عليه بالنفقة). عدا الحنبلية الذين يقصرونه على الغصب.

واشترط الفقهاء لتحصيل العين المستحقة دون دعوى شروطاً:

١-أن لا يحدث التحصيل مفسدة أو فتنة.

٢-أن لا يؤدي التحصيل إلى فساد عرض أو عضو.

٣-أن تكون العين المستحقة تحت يد عادية ولم تتعلق بها حقوق الآخرين كالرهن أو الاجارة.

**٢-نفقة الزوجة والأولاد:**

لحديث عائشة في الصحيحين **(دخلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على رسول الله ﷺ فقالت:يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيّ الا ما أخذت من ماله بغير علمه، فهل عليّ في ذلك جناح؟ فقال رسول الله ﷺ (خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك)**(١) وهذا من الرسول ﷺ افتاء وتشريع وليس قضاء. (٢)

## ما اختلف في جواز تحصيله دون قضاء

### الحقوق التي في الذمة (الدين)

اشتد خلاف الفقهاء في جواز تحصيل الدين دون قضاء، وهم على رأيين:

١-**المجيزون:** أجاز جمهور الفقهاء استيفاء الحقوق بغير اذن الحاكم، وعلى رأسهم الحنفية والشافعية والمالكية والشيعة وابن حزم، وان كان الحنفية أكثرهم تضييقاً في القضية.

**فالحنفية:** لا يجيزون استيفاء الدين بدون القاضي إلا من (حبس حقه وصفته)، فلا يجيزون أخذ الدراهم بدل الدنانير، هذا مع

م أن الحنفية أجازوا أخذ العين أو المنفعة ممن هي تحت يده دون اذن الحاكم . كالعين المغصوبة، والمبيع اذا كان تحت يد البائع دفع الثمن ورفض البائع تسليمه.

وأجاز الجصاص أخذ الدراهم بالدنانير استحساناً لا قياساً. (١)

وإن أخذ من غير جنسه ثم تلف في يده (تهلك هلاك الرهن بالدين) أي يضمن ما أخذ ضمان الرهن(٢).

**أ-ادلة الماوردي للحنفية:**

واستدل الماوردي الشافعي بأدلة للحنفية منها:(٣)

١-(لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس منه)(٤).

٢-روى أبوهريرة مرفوعاً (أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك) (٥).

٣-لا يجوز للدائن أن يمتلكه (المأخوذ من غير جنسه)، فلم يجز أن يأخذه قياساً على ما في يد الغريم من رهون و ودائع.

٤-لو أخذه لا يجوز له بيعه ولا تملكه . فلا يحق اذن له أخذه.

**ب-ادلة ابن قدامة للحنفية:** (٦)

١-أخذ الشيء بدل الحق عوض، والمعاوضة لا تجوز الا برضا المتعاوضين، للآية ﴿ يا أيها الذين أمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم طل...﴾النساء: ٣٩.

٢-﴿ ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم...﴾ البقرة ١٩٤.

﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به...﴾ النحل ١٢٦.

منعت الأيتان على وجوب المماثلة في القصاص، وأخذ غير جنس الحق ليس مماثلة، فيقتصر على الأخذ من الجنس.

**رأي المالكية:** (٧)من كان له حق على غيره وكان ممتنعاً عن أدائه فله أن يأخذ من مال المدين قدر حقه، سواء كان هذا المال من حق الدائن أم من غيرجنسه، أما رأي القرافي: فهو كرأي الحنفية (٨).

**رأي الشافعية:** إن صاحب الدين له أن يستقل باستيفائه من مال غريمه، سواء أكان المال من جنس حقه أم كان من غيره، ط: (٩)

١-أن يكون الشخص الذي عليه الحق ممتنعاً عن الأداء، فإن كان موافقاً فللمدين الخيار في تعيين المال الذي يقضي به الحق.

٢-أن يكون الدين حالاً.

٣-أن لا يؤدي الأخذ إلى فتنة أو مفسدة عظيمة.

٤-أن يكون الدين حقاً للعبد.

## الشافعية في تحصيل المال إذا احتاج إلى إتلاف مثل كسر باب أو قفل:

فيه قولان عند الشافعية:

أ-لا يجوز الاتلاف إلا إذا عجز تحصيله عن طريق القضاء، فإن لم يكن ممكنا عن طريق القضاء جاز بالشروط التالية:

أ-أن لا يتلف شيئا يتعلق به حق الغير، كأن تكون الدار مؤجرة أو مرهونة.

ب- أن لا تكون وسيلة أخرى للتحصيل ليس فيها إتلاف . والضرورة بقدرها.

---

لرائق ١٩٢/٧. ٢- (قرة عيون الأخيار ٢٨٠/١) والبحر الرائق ١٩٢/٧.

ي للماوردي ٨٤/١٣. ٤- حديث صحيح رواه أبو داود (٧٥٣٩ صحيح الجامع ٢٢٥/٦).

صحيح رواه أبوداود والترمذي والحاكم والدار قطني (صحيح الجامع ٢٢٨).

٣٢٦/٩). ٧- (فتح الجليل ٣٢١/٤)، الإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام صـ٢٧).

. الفروق ١٢٥/٤).

٢٦٠/٢، مغني المحتاج ٤٦٢/٤، المهذب ٣١٩/٢.

جـ-وذكر بعضهم أنه يشترط أن يقوم الدائن بنفسه، فلا يوكل غيره، [1] قال النووي : (وإذا جاز الأخذ، فله كسر باب ونقب جدار لا يصل المال إلا به) وقال النووي (ويدفع الصائل بالأخف، فإن أمكن بكلام واستغاثة، [2] حرم الضرب، أو يضرب بيد حرم السوط، أو بسوط حرم عصا، أو بقطع عضو حرم قتل، فإن أمكن هرب فالمذهب وجوبه) [3].

## أدلة الشافعية:

١-حديث هند زوجة أبي سفيان... قال الشافعي (... فأذن لها رسول الله ﷺ لما شكته إليه أن تأخذ من ماله ما يكفيها وولدها بالمعروف، فمثله الرجل يكون له الحق على الرجل فيمنعه إياه فله أن يأخذه من ماله حيث وجده وهذا صحيح) [4]

٢-الحديث (دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً) [5].

٣-الحديث (لا ضرر ولا ضرار) (٦).

٤-الحديث (ليّ الواجد يحل عرضه وعقوبته) [7].

٥-استدل ابن حزم بحديث مسلم عن عقبة بن عامر الجهني قال ﷺ (ان نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم).

ب-الرأي الثاني:

يجوز الائتلاف للظفر بالحق ولو أمكن تحصيل الحق بطريق القضاء.[8].

## مسائل قالها الشافعية:

١-ضمان المأخوذ بالظفر: إذا هلك المال المأخوذ فإن ضمانه على الآخذ (فيسقط من دينه الذي له على مالك المال الهالك بمقدار ما تلف) ورجح النووي هذا القول في المنهاج [9].

وقال بعض الشافعية بل يهلك على حساب صاحب الملك وليس على الآخذ قياساً على الرهن (لأن الرهن يهلك على حساب المالك لا على حساب المرتهن عند الشافعية.

٢-أخذ الحق من مال مدين المدين بغير قضاء: إذا كان لعمر على زيد دين ولزيد على سالم دين فهل لعمر أن يأخذ من مال سالم ما يستوفي به دينه؟ [10]

## اجاز الشافعية الأخذ بشروط:

١-أن لايظفر من مال المدين بما يستوفي منه حقه، أو يعلم أن أخذه من مال المدين يثير فتنة بخلاف مدين المدين

٢-أن يكون المدين ومدينه جاحدين للدين أو ممتنعين عن وفائه أو مماطلين

٣-أن يُعلم الآخذ المدين أنه أخذ من مدينه مقدار حقه

٤- أن يعلم صاحب الحق مدين المدين بأن ما أخذه من ماله سداداً لحقه الذي على المدين.

٣-جحود الدين: اذا كان لأحمد على زيد دين وكان لزيد كذلك دين على أحمد وجحد زيد دين أحمد فهل لأحمد أن يجحد دين زيد؟

أجاز الشافعية لأحمد جحود الدين وإن اختلفا في الجنس ويكون من قبيل التقاص.[11].

١- (المنهاج مع مغني المحتاج ٤/٤٦٢).
٢- المنهاج/مغني المحتاج ٤/١٩٦.
٣- مغني المحتاج/ المنهاج ٤/١٩٦.
٤- الحاوي ١٢/٨٤.
٦- ٢٦٣٥ صحيح الجامع ٥/١١٣.
٧- (تحفة المحتاج ١٠/٢٨٩
٨- مغني المحتاج/المنهاج ٤/٤٦٣)
٩- الدعوى/د. محمد نعيم ص٥١ (تحفة المحتاج مع حاشية الشرواني ١٠/٢٩١، مغني المحتاج ٤/٤٦٤)
١٠- (تحفة المحتاج لابن حجر ١٠/٢٩٢، ومغني المحتاج ٤/٤٦٤. ١١- (كشاف القناع ٤/١١١)

# مذهب الحنبليه

منع الحنبلية الأفراد من تحصيل حقوقهم بغير قضاء مهما كان الأمر (من جنسه أو من غيره، أقرّ المدين أو جحد، وسواء كا ءان بينة أو لا) واستثنى الحنبلية حالات:

١-النفقة الواجبة على الزوج أو القريب لحديث هند رضي الله عنها. [١]

٢-الضيافة الواجبة للضيف إذا منعها من وجبت عليه، الحديث (إن نزلتم بقوم...) رواه مسلم.

ملاحظة: (الضيافة واجبة عند الحنبلية وابن حزم، وليس واجبة عند الجمهور).

٣-الطعام الذي يضطر إليه غير صاحبه [٢].

٤-النفقة التي ينفقها المرتهن على الدابة المرهونة، فقد روي عن الامام أحمد أنه أجاز للمرتهن أن يركبها ويحلبها بقدر ما ينف ـيها. [٣]

ترجيح مذهب الحنبلية:

ذكرنا أن الحنبلية لا يجيزون الظفر إلا في حالة الغصب فقط، و نحن نميل إلى ترجيح مذهبهم لانه أكثر انسجاماً مع الشريعة الإسلامية لأسباب:-

١-قال تعالى﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول...﴾

فرد الخصومات إلى الرسول ﷺ في حياته وإلى الخليفة ونوابه بعد موته، إن قضاء القاضي غالباً أقرب إلى الحق والواقع مـ ـم صاحب الدين الذي يمكن أن يكون نسي مقدار دينه، أو الاجل، وقد يكون المدين معسراً.

٢-أن مذهب الحنبيلة أكثر تحقيقاً للمصلحة العامة وذلك من ناحيتين:

أ-ان الحق عندما ينكره من يطلب منه يصبح محل نزاع، والظاهر لا يشهد لصاحب الحق لأن الأصل براءة الذمم من الحقوق ـن يغير هذا الظاهر ليس له إلا اللجوء إلى القضاء وقبل ذلك يكون مخالفاً للظاهر.

ب-ان مصلحة الأمة تقتضي أن تقفل الأبواب وأن تسد الذرائع التي تؤدي إلى الفتن، و منها السماح للأفراد بتحصيل حقوقهم بأنفسهم من غير تدخل القضاء.

# سبب الدعوى وركنها وأطرافها ومكانها

سبب الدعوى:

السبب: هو الحبل، أسباب السماء: مراقيها.

اصطلاحاً:(كل حادث ربط به الشرع أمراً آخر وجوداً وعدماً وهو خارج عن ماهيته).

فالزوال سبب لصلاة الظهر، والاتلاف سبب للضمان، ورفع الدعوى غالباً إما أن يكون راجعاً إلى بقاء نسل إنسان كالنكاح أ راجعاً إلى بقاء نفسه أو ما يتبعها كالأموال.

وسبب الدعوى هو: إرادة المدعي.

ركن الدعوى:

الركن: الجانب القوي.

اصطلاحاً: ما يكون قوام الشيء بحيث يعد جزءاً داخلاً في ماهيته، وهذا تعريف الحنفية، فالركوع والسجود أركان في الصلاة

١- (القواعد لابن رجب صـ ٣١-٣٢). ٢- (القواعد صـ ٣١). ٣- (المغني لابن قدامة ٣٢٦/٩).

أما الجمهور: فلا يشترطون أن يكون الركن داخلاً في الماهية.

**ركن الدعوى: القول ومدلوله.**

**مجلس القضاء: شرط في الركن،** ويدخل عندالجمهور في ركن الدعوى: الطرفان. والمحل (الشيء المدعى فيه أو الحق).

## أطراف الدعوى:

المدعي والمدعى عليه.

## شروطهما:

١-أن يكون كلا منهما أهلاً للتصرفات الشرعية.

٢-أن يكون كل منهما ذا شأن ومنعة في الدعوى.

٣-أن يكونا معلومين محدودين.

## التميز بين المدعي والمدعى عليه:

١-عند الحنفية: وهو رأي كثيرين من فقهاء المذاهب الأخرى:

المدعي: من إذا ترك الخصومة لا يجبر عليها.

المدعى عليه: من إذا ترك الخصومة يجبر عليها.

٢-عند جمهور المالكية والشافعية والزيدية:

المدعي: من لم يترجح قوله بمعهود أو أصل حال رفع الدعوى.

المدعى عليه: من ترجح قوله بمعهود أو أصل حال رفع الدعوى.

**المعهود: العرف والعادة والغالب.**

**المدعي: بعد قبول بينته لا يبقى مدعياً** بل يسمى محقاً.

والأمر المصدق الذي إذا اعتضد به جانب أحد المتداعيين كان دليلاً على أنه المدعى عليه هو أحد الأشياء التالية:

١-الاصل: الدلالة المستمرة أو استصحاب الحال الأول.

أ- الأصل براءة الذمة من الحقوق قبل تحقق عمارتها فإذا عمرت تصبح أصلاً.

ب- الأصل الصحة حتى يتحقق المرض/ المرأة المطلقة تدعي على الورثة أن زوجها طلقها في مرض الموت فانكر الورثة، فالقول للورثة لأنها تدعي خلاف الظاهر، لأن الظاهر ...

جـ-/الأصل عدم المضارة والتعدي: فإذا ادعى المريض على الطبيب أنه قصد اضراره فالأصل ليس معه.

د- الأصل في الانسان الجهل بالشيء حتى يقوم الدليل على علمه:

فلو ادعى مدعي الشفعة بعد عام أنه لا يعلم، وادعى المشتري علمه فالأصل ضد المشتري.

هـ- الأصل هو الفقر.

## ملاحظة:

(قاعدة: الأصل في الأمور العارضة العدم تضم كثيراً من هذه القواعد) (١).

٢-الظاهر: والظاهر يستفاد من أحد أمرين:

أ- الأمر الأول: العرف، وهو: ما استقر في النفوس من جهة العقول، وتلقته الطباع السليمه بالقبول. (٢)

ويرجع إليه في كثير من المسائل الفقهية. كالصغر والكبر ومهر المثل والكفؤ والكسوة والمسكن والنفقة وألفاظ الأيمان والطلاق

الوصيه.

قال المالكية: ويعتبر العرف من المرجحات القوية، فقالوا (كل أصل كذبه العرف رُجح العرف).

ب- القرائن وظواهر الحال وغلبة الظن. فالقرائن مع من حاز الملكية .هذا هو رأي المالكية.

**رأي الشافعية:** (معاييرهم وأوزانهم في التفريق) ذكر الشافعية ثلاثة معايير للتفريق بين المدعي والمدعى عليه.

١-أن المدعي هو المخبر بحق له على غيره -- رأي طائفة.

٢-أن المدعي هو الذي لا يجبر على الخصومة - كرأي الحنفية- بعض الشافعية.

٣-أن المدعي هو من يلتمس خلاف الظاهر- جمهورهم.

**والظاهر عند الشافعية نوعان:**

**أ-ظاهر بنفسه:** وهو أقوى أنواع الظاهر، كالظاهر المستفاد من (الأصل براءة الذمة).

**ب-ظاهر بغيره وهوقسمان:**

١-العرف والعادة.

٢-قرائن الحال والدلائل:

والشافعية يقدمون الأول (الظاهر بنفسه) على الظاهر بغيره عند التعارض.

## رق بين معيار المالكية والشافعية:

المعيار واحد تقريباً إلا أنهم يختلفون في الترجيح عند التعارض فالمالكية يقدمون العرف والشافعية يقدمون الأصل.

## يح معيار الحنفية:

لاشك أن ميزان الحنفية أرجح من ميزان الجمهور في هذه القضية ولذا فقد قال الشوكاني عن معيارهم في التمييز بين المدع عى عليه (أن هذا المعيار أسلم ما ذكر مع أن معيار المالكية والشافعية أرجح منه) (١)

ولترجيح الحنفية أسباب:

١-ان معيار الحنفية بسيط غير معقد ولا يجهد القضاة، فالقاضي يفترض في ذهنه أن أحدهما رجع عن دعواه فإن ترتب عل ط الدعوى فهو المدعي.

٢-ان بناء التفريق بينهما على قوة الجانب أمر يحتاج إلى الالمام بالأصول الشرعية والأعراف السائدة والأحوال الاجتماع تتعارض مع بعضها البعض فيلتبس الأمر على القاضي ويصعب الترجيح في كثير من الأمور التطبيقية الفرعية.

٣-ان تعريف الحنفية مشتق من تعريف الدعوى (انه تصرف مباح مرتبط بارادة صاحبه).

## ئدة المترتبة على التمييز بين المدعي والمدعى عليه:

١-ان أهم ما يستفاد من معرفة المدعي من المدعى عليه هو تعيين الطرف الذي يقع عليه عبء الإثبات والطرف الذي لا يكلف إ ن عند تعذر البينة عند المدعي.

قال سعيد بن المسيب (أيما رجل عرف المدعي من المدعى عليه لم يتلبس عليه ما يحكم بينهما). (٢)

وفي الحديث **(البينة على من ادعى واليمين على من أنكر).** (٣)

(البينة على المدعيْ واليمين على المدعى عليه) (٤)

الأوطار ٨/٣١٦ ٢-المقدمات لابن رشد ٢/٥٤ ٣- لفظ الترمذي الصحيح
يح الجامع رقم ٢٨٩٤ جـ٢/٢٨

يقول ابن رشد في كتابه[1] ( إن المعنى الذي من أجله كان القول للمدعى عليه هو أن له سبباً يدل على صدقه دون المدعي في مجرد دعواه وهو كون السلعة بيده، ان كانت الدعوى في شيء بعينه، أو كون ذمته بريئة على الأصل في براءة الذمم- ان كانت الدعوى فيما في الذمة- والمعنى الذي وجب من أجله على المدعي إقامة البينة على دعواه هي مجرد دعواه من سبب يدل على صدقه فيما يدعيه)

وكذا فإن المدعي يهاجم وضعاً مستقراً فعليه اقامة البينة لتغيير هذا الوضع.

## مكان الدعوى:

يشترط في مجلس القضاء أن يكون في مكان يتيسر الوصول إليه وأن يوفر الراحة النفسية والجسدية للقاضي والمتحاكمين.

## اتخاذ الحجاب:

١-كره الكثير من الفقهاء اتخاذ الحجاب بدون ضرورة **(من ولاه الله من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن حاجتهم وخلتهم وفاقتهم احتجب الله يوم القيامة عن حاجته وخلته وفاقته)** [2].

ولم يكن لرسول الله ﷺ حجبة.

٢-وذهب آخرون إلى جواز اتخاذ الحجاب لأن أبا موسى الأشعري كان حاجباً لرسول الله ﷺ يوم بئر أريس.[3]

والحق أن الأولى اتخاذ الحجاب بسبب ازدحام الناس حتى ينتظم العمل ويوفر الوقت، والستر على المتخاصمين، ولكن بشرط أن يكون الحاجب حسن الخلق لين الجانب.

## اتخاذ المسجد للقضاء:

اختلف الفقهاء في هذه القضية على ثلاثة آراء:

١-**ذهب الحنفية والحنبلية** إلى أنه لا بأس بالجلوس في المسجد للقضاء، لأن رسول الله ﷺ قضى ولاعن في المسجد وقضى أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في المسجد، وقضى شريح والشعبي في المسجد. ولأن القضاء قربة، فكونه في المسجد مما يرهب الناس من الكذب والظلم.

**٢-قال المالكية:** الجلوس في المسجد للقضاء من السنة.

قال مالك في المدونة (القضاء في المسجد من الحق، وهو من الأمر القديم، لأنه يرضى فيه بالدون من المجلس، وتصل إليه المرأة والضعيف) [4].

وقال مالك (كان من مضى يجلسون في رحاب المسجد، وإني لاستحب ذلك في الأمصار ليصل إليه اليهودي والنصراني والحائض والضعيف) [5].

**٣-قال الشافعية:** يكره القضاء في المسجد حتى لا يتعرض المسجد لرفع الأصوات والمخاصمات وذوي الأعذار كالحائض والمشركين. وفي السنن الكبرى (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم) [6]

وقد قال برأي الشافعية سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز.

**الرأي المختار:** حبذا لو بنيت المحكمة والمسجد في بناء واحد، ولكن بينهما حجاب حتى يجنب المسجد رفع الأصوات، وحتى يتذكر المتخاصمون الله برؤية المسجد.

## القاضي الذي ترفع إليه الدعوى:

اختلف الفقهاء من يختار القاضي على رأيين:

١- (المقدمات الممهدات) ٣١٦/٢   ٢- حديث صحيح رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم/ صحيح الجامع ٦٤٧١ج ٥/٣٦٨   ٣- الشيخان والترمذي/ جامع الأصول ٥٦٢.

**الأول:** ترفع الدعوى إلى القاضي الذي يختاره المدعي، وإلى هذا الرأي ذهب معظم فقهاء الشافعية والحنبلية وأبو يوسف.

**والسبب:** أن المدعي هي المنشيء للخصومة، فيعطى حق اختيار القاضي.(١)

**الثاني:** أن المدعى عليه هوالذي يختار القاضي- وإليه ذهب محمد من الحنفية وهو المفتى به في المذاهب. (٢)

وهذا هوالرأي الأرجح في نظرنا لأن المدعي مهاجم، وهو يريد أن يأخذ، فلعله يخطط للدعوى منذ زمن.

**٣-رأي المالكية:** يختلف الأمر حسب نوع القضية:

**أ-ففي دعاوي الدين:** ترفع في المكان الذي يتعلق فيه الطالب بالمطلوب. (٣)

**ب- في دعاوي العين: للمالكية رأيان:**

١-ترفع الدعوى في محل الشيء المدعى: وهذا رأي ابن الماجشون و سحنون وابن كنانة. (٤)

٢-ترفع الدعوى حيث يكون المدعى عليه ولا ينظر إلى محل الشيء: وهذا المشهور من قولي المالكية وهو رأي مطرف وأصبغ، عن ابن القاسم، ورأي ابن الماجشون أرجح :

١-لرؤية الشيء المدعى فيه.

٢-لتوفير وقت القضاء وتخفيف مؤنة التنقل.

# أنواع الدعاوى

تقسم الدعاوى باعتبارات:

**١-الاعتبار الأول:** باعتبار صحة الدعوى ومقدار توفر الشروط الشرعية فيها.

**٢-الاعتبار الثاني:** باعتبار تنوع الشيء المدعى واختلافه.

## ؛ الدعاوي باعتبار صحتها

تقسم الدعاوي باعتبار صحتها إلى الأنواع التالية:

١-الدعوى الصحيحة المستوفية للشروط.

٢-الدعوى الفاسدة (الناقصة) المستوفية للشروط الأصلية وبقي بعض الصفات الخارجية والفرعية، كأن يدعي شخص على ين ولا يبين مقداره أو عقار ولم يحدده.

**ويرجع الفساد إلى نقصان أحد شرطين:**

أ-شرط المعلومية: كالدين غير المعلوم، والعقار غير المحدد.

ب-الشروط المعتبرة في التعبير المكون للدعوى: كأن يتردد في الألفاظ (أشك أو أظن أن لي عليه ألف درهم) أو كأن يدعي شيئا ـ مكانه.

**هذه الدعاوي لا ترد ولكن تصحح وتستكمل.**

إسم الدعاوى الفاسدة اصطلاح حنفي، أما الشافعية فيسمونها: **الدعاوى الناقصة:** وهي نوعان:

-ناقصة الصفة: كالدين غير المعلوم

-ناقصة الشرط: كدعوى النكاح دون معرفة الولي والشهود.

-**الدعاوى الباطلة:** وهي الدعوى التي تنقص شرطاً من الشروط الأساسية، كأن يرفع الدعوى فضولي، والدعوى التي يرفعها أهلاً للتصرفات الشرعية.أو الدعوى التي لا تستند إلى أصل: كأن يرفع دعوى على جاره لأن جاره موسر وهو فقير، ولكن لا

---

/الأحكام السلطانية (٦٩) البحر الرائق ١٩٣/٧، نهاية المحتاج ٨٦/٨، القواعد لابن رجب ٣٦٢.

شية ابن عابدين ٤٠١/٧، البحر الرائق ١٩٣/٧.          ٣- الدعوى/ د. محمد نعيم ص٢٢٩.

خرشي ١٧٤/٧،الدسوقي/ الشرح الكبير ١٦٤/٤ تبصرة الحكام ٨١/١.

يتصدق عليه ولا يقرضه، أو دعوى ما ليس متقوماً ولا مشروعاً: كالخمر والخنزير والميتة.

**واسم الفاسد والباطل مترادفان عند غير الحنفية.**

ويقسم الماوردي هذا النوع من الدعاوي إلى ثلاثة أقسام:

**أ**-ما عاد فساده إلى المدعي: كأن يدعي مسلم نكاح مجوسية أو قاديانية أو شيوعية أو بهائية.

**ب**-ما عاد فساده إلى الشيء المدعى: وهي ثلاثة اقسام:

**أولاً:** دعوى ما لا تقر يده عليه: كالخمر والخنزير والسباع.

**ثانياً:** دعوى ما تقر عليه اليد ولاتصح المعاوضة عنه كجلود الميتة والكلاب المعلمة والسماد النجسة.

فهذه تقر عليها اليد للانتفاع بجلود الميتة إذا دبغت وبالسماد في الزروع وبالكلاب في الصيد والحراسة.

فإذا توجهت الدعوى إلى شيء من هذا:

**أ-فإن كان تالفاً:** كانت الدعوى باطلة: لأنه لا يستحق بتلفها مثل ولا قيمة.

**ب-وان كانت باقية:** فإن ادعاها بمعاوضة كالبيع فإن الدعوى باطلة إلا أن يكون قد دفع ثمنها فتكون دعواه متجهة إلى الثمن إن طلبه وأما إذا ادعاها بغير معاوضة فقد صحت دعواه من أحد ثلاثة:

١-دعوى غصبها.

٢-دعوى الوصية بها.

٣-دعوى هبتها.

**ثالثاً:** دعوى ما تقر عليه اليد ملكاً ولا يجوز أن ينتقل من مالك إلى مالك وهذا كالوقت.

فالدعوى فيه على المالك فاسدة. ولا يجوز أن يسمعها القاضي على مالك لاستحالة انتقاله من ملكه إلى ملك غيره.

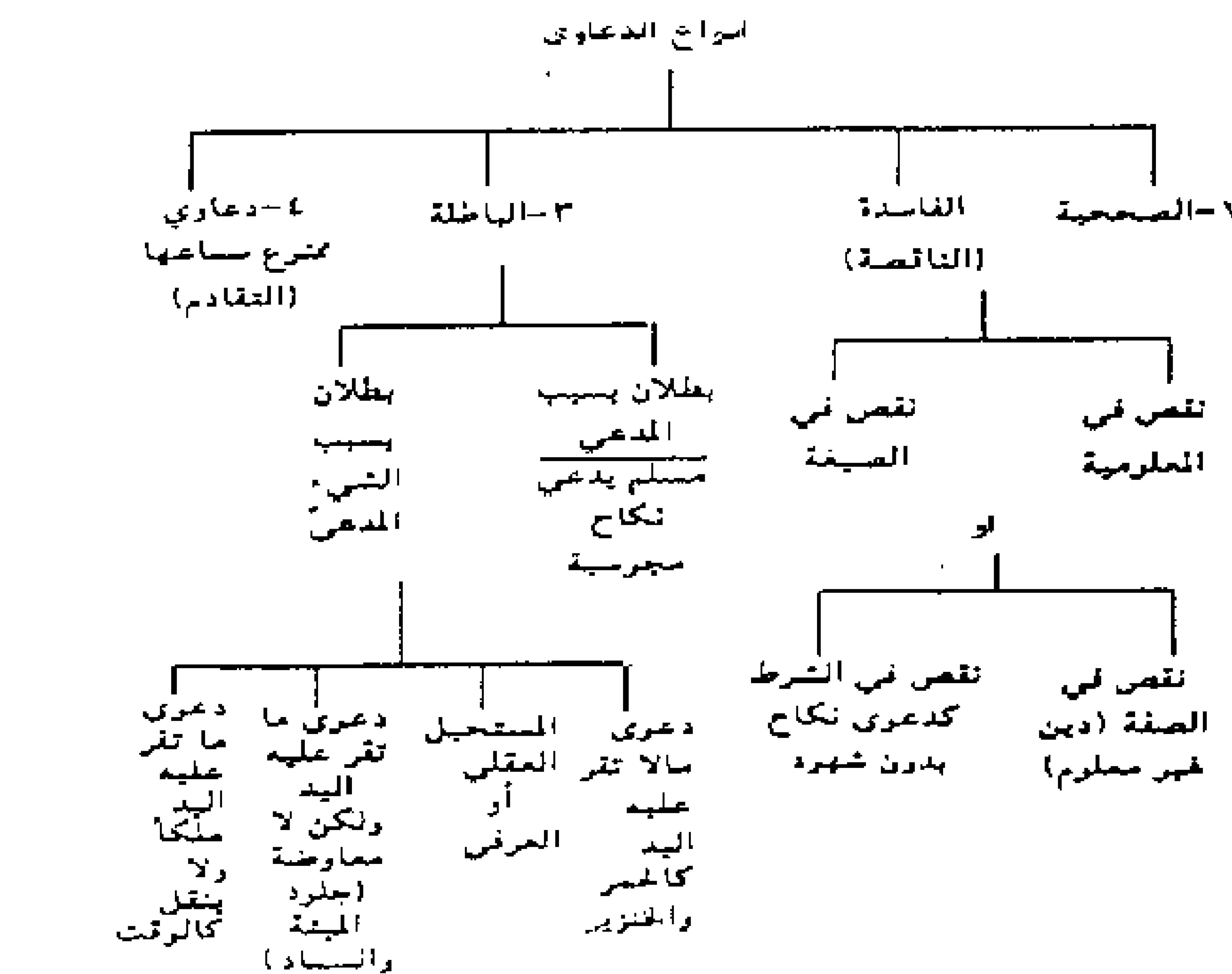
جـ-دعاوي تشبه الدعاوي الفاسدة (عند الحنفية) الناقصة عند الجمهور.[1]

**انتهى كلام الماوردي**

**ومن أنواع الباطلة:** دعوى المستحيل العقلي: باجماع الفقهاء.

دعوى المستحيل العرفي: جمهور الفقهاء.

**٤-الدعاوي الممنوع سماعها:** وهي صحيحة في أصلها وإنما منع سماعها لاقتضاء المصلحة. كدعوى التقادم (ما تقادم زمانه في يد المدعى عليه) [2].



# أنواع الدعاوي باعتبار الشيء المدعى

الحقوق التي شرعها رب العالمين إنما هي لحفظ الضرورات (الأصول الخمسة):

حفظ الدين، والنفس، والعقل، المال، النسل.

وأضاف بعضهم: العرض، ولكن العرض يتعلق بالنسل أو يتصل به.

والدعاوي بالنسبة للشيء المدعى ولحفظ هذه الأصول قسمان:

١-فعل محرم وقع من المدعى عليه (دعاوي التهمة) يستوجب فاعله العقاب شرعاً كالقتل والسرقة وقطع الطريق.

٢-دعاوي (غير التهمة): كالبيع والرهن والقرض وفي هذه القضايا يكون المدعى فيه عيناً أو ديناً أو حقاً شرعياً. (١)

ائدة هذا التقسيم:

تظهر فائدة هذا التقسيم في الاجراءات والطرق المتبعة للاثبات في كل من القسمين:

١-إن كثيراً من دعاوي التهم والعدوان لا يثبت إلا بنصاب معين من الشهود، يزيد في بعضها عن النصاب المطلوب دعاوي الأخرى، وكثيراً منها لا يثبت بالنكول إذا صدر من المدعى عليه.

٢-إن كثيراً من الفقهاء قد أجازوا في حق المتهم أساليب من الاجراءات لا يجوز اتخاذها في الدعاوى الأخرى، وذلك كحبـ تهم أو تعزيره إذا كان ممن تلحقهم التهمة المنسوبة إليه أو كان مجهول الحال.

٣-وفي حالة عدم ثبوت الدعوى تختلف النتائج والأحكام المترتبة على ذلك، فإن كانت من القسم الأول حيث يستوجب المد زيراً أو حداً أو قصاصاً بخلاف القسم الثاني فلا تستوجب ذلك إلا في حالات نادرة.

وعند **المالكية:** إذا كان المدعى عليه من أهل الخير والدين والصلاح فإن هذه الدعاوي لا تقبل عليه، بل يرون تعزير المدعي ـ يتطرق الارازل والأشرار إلى أذية أهل الفضل والاستهانة بهم. (٢)

ويقابل هذا في الفقه الوضعي الدعاوي (المدنية والجنائية).

١-فالدعاوي المدنية: تخضع لقانون المرافعات.

٢-والدعاوي الجنائية: وتسمى الدعاوي (العمومية) ولا تخضع للمرافعات وتباشرها النيابة العامة.

ويقابله في الفقه الاسلامي:

حق الله (الشرع): ولا يجوز التنازل عنه.

حق العبد: ويجوز التنازل عنه.

دعاوي باعتبار الدين والعين:

١-دعاوي العين: العين في الفقه الاسلامي أكثر اتساعاً من الحق العيني في القانون الوضعي.

٢-دعاوي الدين: والدين في الفقه الإسلامي أضيق منه في الوضعي.

أ-فالدين(**في الفقه الحنفي**) يقتصر على ما يثبت في الذمة ومحله (مبلغ من النقود أو الاشياء المثلية).

والاشياء المثلية هي: المكيلات، الموزونات، المذروعات (القياسات)، العدديات المتقاربة.

ب-**أما الدين (عند جمهور الفقهاء):** فهوا أوسع قليلاً من الدين عند الحنفية، إذ يشمل ما يمكن ضبطه بالوصف عن طـ السلم.

وهذه الدعاوى تقابل الدعاوى الشخصية في القانون، **ولكنها في القانون أوسع لأنها تشمل جميع دعاوي الالتزام.**

الالتزام: باعطاء شيء أو عمل أو الامتناع عن عمل أو تسليم عين، بالاضافة إلى دعاوى الدين الذي تقتصر عليه دعوى الـ

ظرية الدعوى/ محمد نعيم١/٢٤١. ٢- تبصرة الحكام ٢/١٥٣.

في الفقه الإسلامي.

**أما دعاوى التصرف:** فهي دعاوى عين في الفقه الإسلامي، سواء توجهت إلى المنقول أو العقار لأنها تهدف إلى حماية الأعيان. وهناك دعاوى اختلف عليها شراح القانون مثل: دعاوي الفسخ، دعاوى القسمة، دعاوى البطلان، دعاوى ابطال تصرفات المدين، دعاوى فصل الحدود.

فبعض القانونيين اعتبرها عينية وبعضهم اعتبرها دعاوى شخصية.

## أما الشرع:

فالفسخ: يتبنى نوع دعواه على المحل الذي توجهت إليه الدعوى وينظر فيها إلى دعوى المدعي.

فالمطالبة بفسخ دين هي (دعوى دين)، كفسخ عقد القرض والكفالة، والمطالبة بفسخ يترتب عليه (التزام بالعين) يسمى دعوى عين.

وعلى سبيل المثال: **دعوى فسخ عقد البيع:**

١-إن قام بها البائع: دعواه دعوى عين.

٢-إن قام بها المشتري: دعواه دعوى دين.

## وعليه

١-**فدعوى العين:** كل دعوى ترفع لتثبت حقاً في العين أو لتثبت ما يؤول إلى اثبات حق في العين.

٢-**والدعوى بالدين:** كل دعوى ترفع لتثبت دينا في ذمة المدعى عليه أو اسقاطه من ذمة المدعي.

٣-**دعاوى الحقوق الشخصية:** ونقصد بها الدعاوى التي لا تدخل تحت الدين ولا تحت العين، وليس لها خصائصها من قابلية الانتقال بعوض أو بغيره، ومعظمها يتعلق بالحقوق العائلية من نسب و نكاح وحضانة، ومنها دعاوى الشفعة. (١)

**ملاحظة:** دعاوى العين:

١: تنصب على الحق العيني.

٢: ولا تحتاج إلى وساطة المدين.

٣: ولا يرد على العين الأجل.

٤: ولا تصح بها المقاصة.

**٥: ولا يجوز فيها الابراء. والدين خلاف هذا.**

## فائدة التقسيم:

١-معرفة الخصم الذي توجه إليه الدعوى.

٢-معرفة الطريقة التي بها يعلم الشيء المدعى في الدعوى.

٣-هناك فائدة ثالثة -عند المالكية- وهي معرفة القاضي المختص بنظر الدعوى ففي دعوى الدين الذي يختار القاضي هو المدعي.

وفي دعوى العين رأيان أشهرهما وهو قول (مطرف وأصبغ) في محل المدعى عليه. وأرجحهما -في نظرنا- رأي ابن الماجشون وهو محل العين المدعاة.

## دعاوي الحيازة

**الحيازة:** ضم الشيء/ لغة.

**اصطلاحاً:** استيلاء الشخص على عين من الأعيان بحيث تكون تحت قدرته وسيطرته.

وهي تختلف عن الملك فهو: استحقاق التصرف في الشيء بكل ما يجوز شرعاً أصالة، قال ابن رشد:[1] الحيازة بثلاثة أشيـ

١-بالبيع والهبة.

٢-الزرع والاستغلال والسكن.

٣-الغرس والبناء والاحياء

أما مراتب الحيازة عند العز بن عبدالسلام[2] فهي أربعة:

١-ما اشتد اتصالة بالانسان كثيابه التي هو لابسها.

٢-السباط الذي تحته والدابة التي يركبها.

٣-الدابة التي يسوقها.

٤-داره التي يسكنها.

## فائدة الحيازة (وضع اليد):

يجب لمعرفة فائدة الحيازة التفريق بين حالتين:

١-عند معرفة مصدر الحيازة:

فإذا كانت شرعية: كالملك والبيع والارث: يقر صاحبها.

وإذا كانت باطلة: كالسرقة والغصب تبطل [3]

٢-عند جهل مصدرها: فهي مع صاحب اليد لأنها (ظاهر)، ولكن عند البينه تقدم البينة.

ومع تقادم الزمن قد ترجح على البينة بل تهدر البينة بجانبها فيحكم بالملك لصاحبها -عند المالكية- وترفض الدعوى -ع
نفية- [4].

## ناك حديثان:

١- **(من حاز شيئاً عشر سنين فهو له).**

٢-**(لا يبطل حق امرىء مسلم وإن قدم)** [5].

وهذا يعني أن الشيء قد يحكم به للحائز قضاء ولا يحل له شرعاً (ديانة).

قال ابن رشد (الحيازة لا تنقل الملك عن المحوز عليه إلى الحائز، ولكنها تدل عليه، كإرخاء الستور، ومعرفة العفاص (الوعا
كاء (الخيط) في اللقطة) [6].

فالحيازة: إمّا:

أ-أن تكون موجباً للحق وأثراً من أثاره.

ب-أو تكون دليلاً أولياً عليه.

---

المنظم للحكام ١/٢٥٠). ٢-(قواعد الاحكام ٢/١٤١). ٣- الفروق ٤/٧٨ تحفة المحتاج ١٠/٣٣٦.

للقرافي ٤/٧٨. (٥) حديث مرسل عن زيد بن اسلم ورد في الجامع لعبدالرزاق ذكره الشيخ عليش في منح الجليل ٤/٢١٠

جليل ٤/٣٣٦ والفواكه الدواني ٢/١٤٩.

# دعوى دفع التعرض

التعرض في اللغة: التعدي.

التعرض **اصطلاحاً**: أن يحاول غير ذي حق الاستيلاء على ما هو لغيره بالقهر والغلبة، أو بالاستعانة بقضاء القاضي.

ولذا يرفع صاحب الحق دعوى يطلب بها منع تعرضه له إن لم يستطع دفعه بنفسه.

وقد أجاز الفقهاء هذه الدعوى مهما كان محلها: عقاراً أو منقولاً، وذهب **فقهاء المذهب الشافعي** إلى جوازها لدفع تعرض موجه إلى ذمة شخص آخر، كأن يدعي عليه شخص آخر بدين ويشنع عليه في جاهه. **وهي تختلف عن دعوى (قطع النزاع).**

**ملاحظة: (دعوى قطع النزاع)**: طلب انسان غيره عند القاضي بدون أن يعارضه في شيء يضره، ويقول للقاضي: بلغني أن فلاناً يريد منازعتي فاريد احضاره حتى إذا كان له حق عليّ فليبين حجته وإلا فليعترف أني بريء، فهذا القول لا يسمع (لأن المدعي لا يجبر على الخصومة) (١).

**وبالامكان رفع الدعوى**: لسد طاقة، أو ازالة فرن أو مطبخ عند جاره يضر به، فلصاحب اليد أن يرفع **دعوى إزالة هذه الأشياء إن قامت، أو إيقافها إن بدأت، أو إزالة ما لم يكتمل منها.**

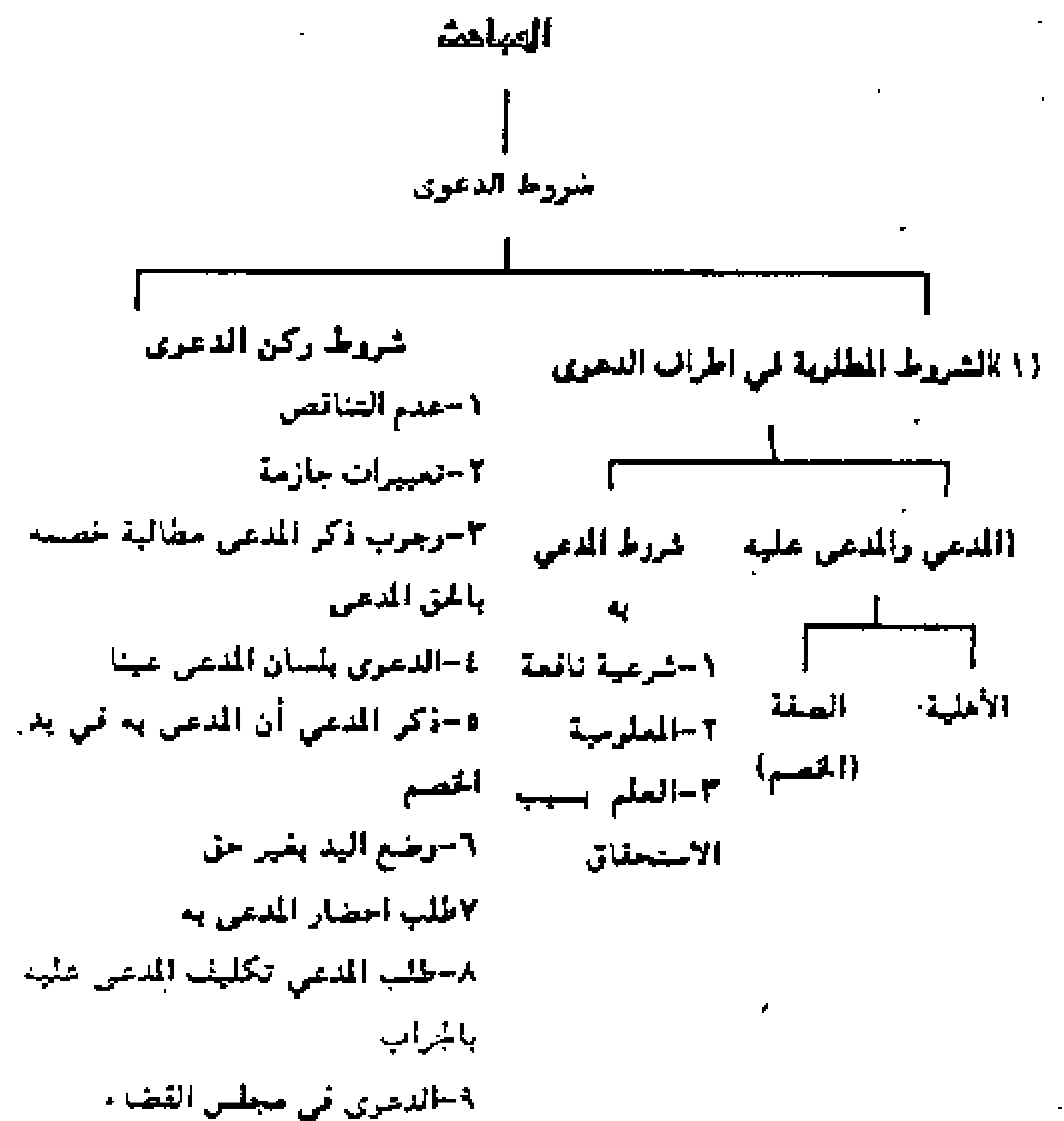
**شروط هذه الدعوى:**

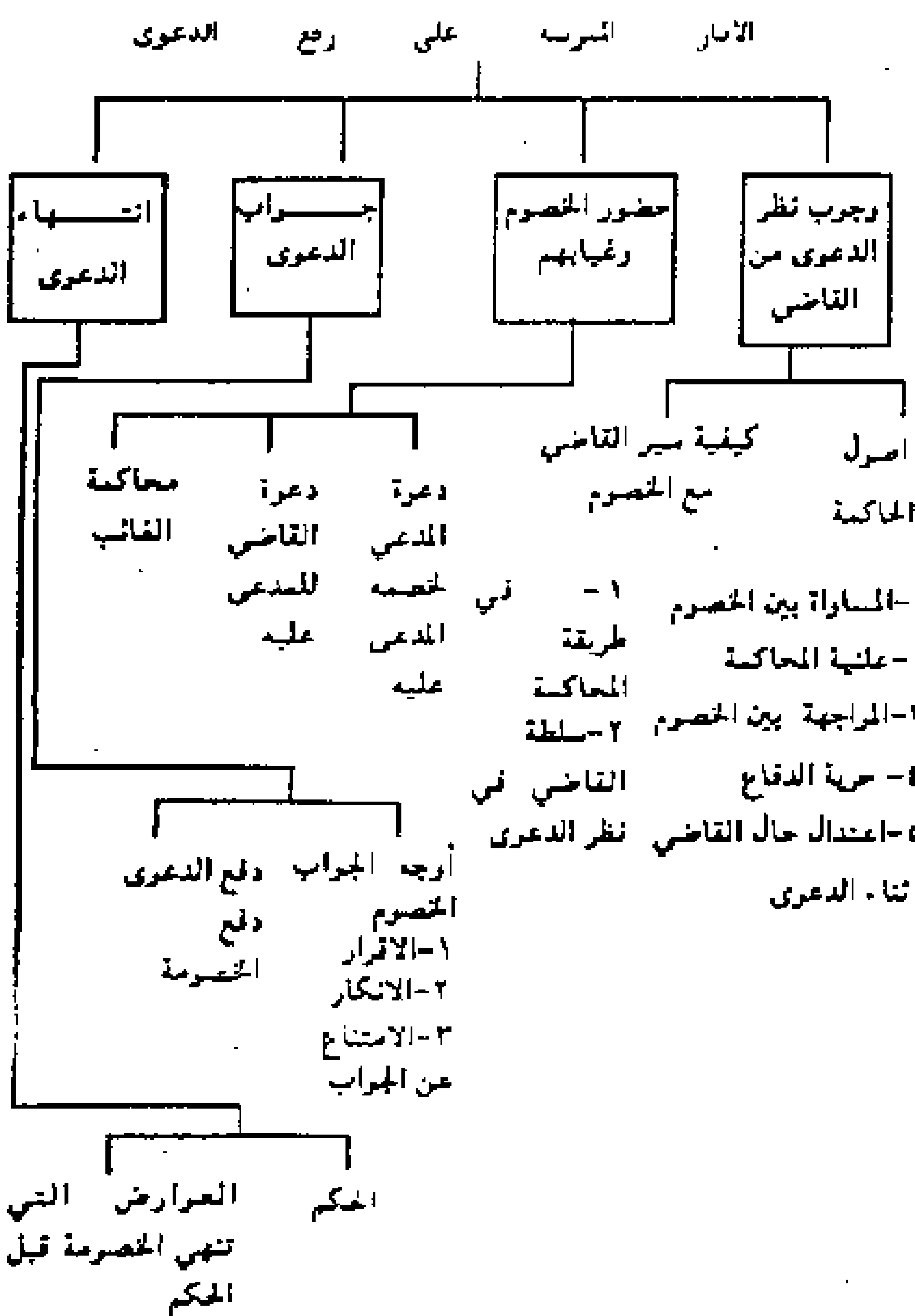
١-أن يكون المدعى به معلوماً -بذكر المال المعتدى عليه.

٢-ذكر العدوان الحاصل.

٣-بيان أن المدعى به الذي تعرض للاعتداء ماله.

٤-بيان أن المدعى عليه لاحق له فيه. (٢)



# دعوى استرداد الحيازة

والحيازة نوعان:

١-**الحيازة المستندة إلى حق معروف:** يجوز لصاحب اليد المحقة أن يطلب من القاضي إعادة حيازته للعين المغصوبة منه بالم
أو القهر أو الحيلة.

٢-**الحيازة المجهولة الأصل:** يقضى فيها بين المتنازعين وفق الأسس التالية:

**أ-يقضى بها لمن أقام البينة عليها:** فإن تساويا في ذلك جعلت الحيازة لهما جميعاً، وذلك لأن اليد مقصودة كالملك فصح طل
وجاز اثباتها بالبينة. إذ باليد يتوصل إلى الانتفاع بالملك والتصرف فيه.

**ب-إذا عدمت البينة:** تجعل الحيازة لمن يصنع يده على العين بالفعل والواقع.

فإن كانت الحيازة لها فضلت الحيازة الأقوى فيقضى لراكب الدابة على سائقها وقس على ذلك.

واذا أقام أحدهما البينة على الملك جعل له ذلك، ولا منافاة بين القضاء باليد لشخص والملك لآخر.[١]

# شروط الدعوى

**أ-الشروط في أطراف الدعوى:**

١-المدعي.

٢-المدعى عليه.

٣-المدعى به.

**ب-شروط ركن الدعوى (الصيغة):**

وقد تمشينا في هذا التقسيم مع المصطلح الحنفي الذي يعتبر الركن جزء داخلاً في الماهية، ولو سرنا مع مصطلح الجمه
خلت هذه الشروط جميعاً تحت اسم (شروط ركن الدعوى)

## الشرط:

الشرط عند الأصوليين والفقهاء: كل أمر ارتبط به غيره عدماً ووجوداً وهو خارج عن ماهيته.

أي: (ما يقتضي من عدمه العدم ولا يقتضي من وجوده الوجود) [٢].

فالوضوء شرط في صحة الصلاة، فإذا فقد فقدت الصلاة، ولكن وجوده لايدل على وجود الصلاة، وأهلية العاقد شرط في صح
ع، ولكنها لا تدل على وجوده.

والشروط بوجه عام مكملات للأمور المشروطة بنظر الشارع، كتكميل الصفة للموصوف، بحيث أن عدمها يخل بالمقاص
رعية من الأحكام، فمثلاً: القدرة على التسليم: مكملة لغاية البيع ، لأنه سبب الملكية، وغاية الملكية الوصول إلى الانتفاع، فعدم مك
يم المبيع يخل بهذه الغاية المشروع من أجلها، فلذا كانت هذه القدرة شرطاً في البيع.[٣]

## اع الشرط باعتبار المصدر:

١-شرط شرعي: يفرضه الشارع ويجعل الأمر المقصود مرتبطاً به عدما.

٢-شرط إرادي: ينشئه الانسان بنفسه فيجعل عقوده مرتبطة به ومعلقة عليه.

والذي يهمنا هو النوع الأول من الشروط وهو الشرط الشرعي

---

ـرط ٣٥/١٧ تكملة فتح القدير ٢٥٦/٦ البحر الرائق ٣٢/٧ تبيين الحقائق ٣٢٧/٤

د اللحول ٧ ابن الحاجب ٧/٢ الفروق ٦١/١.

٣- المدخل الفقهي للزرقا ٢٩٠/١

مجمل شروط الدعوى[1]:

١-**الأهلية في المدعي والمدعى عليه**: والمقصود بالأهلية: أهلية الاداء وهي صلاحية الشخص لأن تصدر عنه أقوال وأفعال معتبرة شرعاً. أو (صلاحية الشخص للتصرف بحقوقه واداء التزاماته دون أن ينوب عنه أخر). [2]

**الأهلية قسمان:**

**أهلية وجوب:** وهي صلاحية الانسان لثبوت الحقوق له أو عليه، ومناطها: الانسانية، ومحلها: الذمة: وهي الصفة الانسانية التي بها ثبتت للانسان حقوق قبل غيره ووجب عليه واجبات لغيره.

واساس **أهلية الأداء**: العقل والتمييز، وعلامة العقل والتمييز: هو بلوغ الانسان عاقلاً.

والتمييز عند الحنفية يبدأ بعد سن السابعة من عمره، ولذا تثبت للصبي فوق السابعة عند الحنفية أهلية أداء ناقصة، بينما الجمهور يخالفون الحنفية ويرون أن خطاب التكليف لا يتوجه إلى الصبي المميز مطلقاً لعدم ثبوت أهلية هذ الخطاب لديه. ولذا يحكمون ببطلان تصرفاته كلها لا فرق بين النافع والضار منها.[3]

٢-**شرط الصفة في كل من المدعي والمدعى عليه**: وهو أن ترفع الدعوى ممن له شأن على خصم له شأن في الخصومة والحق المتنازع عليه.

٣-**شرط المصلحة**: أي وجود منفعة للمدعي بدعواه.

٤-**كون المدعى به حقاً من الحقوق المعترف به شرعاً.**

٥-**شرط تعيين المدعى عليه**: أي أن يكون معلوماً.

٦-**شرط المكان**: كون الدعوى في مجلس القضاء.

٧-**شرط المعلومية**: أي أن يكون المدعى به معلوماً.

٨-**شرط ثبوت المدعى به عقلاً وعادة**: وفيه مخالفة الشافعية للمذاهب الأخرى.

٩-**شروط في ركن الدعوى.**

١٠-**شرط حضور المدعى عليه مجلس القضاء.**

# رأي علماء الحنفية في اثبات اليد

إن العين المدعاة قد تكون منقولاً أو عقاراً، وعند سؤال القاضي للمدعي عليه إمّا أن ينكر وإمّا أن يقر:

١-**فإن أنكر**: يكلف المدعي باثبات وضع المدعى عليه يده على الشيء.

٢-**وان أقرّ المدعى عليه:**

أ-**ففي حالة المنقول**: يقبل الاقرار ويسمىّ التصادق.

**ب-وفي حالة العقار:**

١-**فإن ادعى المدعي فعلاً** كالغصب والشراء من ذي اليد لم يكن المدعي بحاجة إلى اثبات وضع اليد، لأن الخصم في دعوى الفعل هو الفاعل أو صاحب اليد فيجوز رفع الدعوى على أحدهما.

٢-**اذا ادعى ملكاً مطلقاً**: فهنا اختلف الحنفية على رأيين:

أ-قال بعضهم: يلغى الإقرار ويسمى التصادق.

ب-وقال الآخرون: لابد من اثبات وضع اليد أو علم القاضي. و أصحاب هذا الرأي إنما اشترطوا الاثبات خوفاً من المواطأة والمواضعة (الاتفاق) بين المدعي والمدعى عليه على أخذ شيء من يد ثالث. فيدعي المدعي وضع يد المدعى عليه، ويقر الأخر على وضع

اليد، ثم ينكر المدعى عليه الملكية فيثبتها المدعي، ويحكم له القاضي، ثم يتبين من بعد أن القضية عملية احتيال اتفق عليها الم
والمدعى عليه والملك حقيقة إنما هو لشخص ثالث خارج عن الصورة.

ففي حالة الاقرار (في الصورة السابقة) القضية بين اثنين، أما في حالة الاثبات فالقضية يشترك فيها أربعة (المدعي والم
عليه والشاهدان، والتواطؤ بين أربعة أصعب من التواطؤ بين اثنين، احتياطاً لزمت البينة (وما لايدرك كله لايترك كله).

وقد أجاب صدر الشريعة على أصحاب هذا الرأي بجوابين:

أ-أن بينة الملك إن كانت صادقة فلا ضرر من التواطؤ، وإن كانت كاذبة فمن يكذب في بينة الملك يمكن أن يدبر الكذب
اثبات اليد.

ب-إن السبب الذي قالوه في العقار يوجد في المنقول: إذ من الجائز أن يكون الشيء في يد المدعى عليه أمانة أو إعارة
رهناً.

والحق مع الذين لا يفرقون بين العقار والمنقول.

## الشروط المطلوبة في أطراف الدعوى:

أطراف الدعوى: المدعي، والمدعى عليه، والحق المدعى. ونبدأ في شروط المدعي والمدعى عليه:

## شروط المدعي والمدعى عليه

### ١-الشرط الأول: الأهلية (أهلية الاداء)

اتفق الفقهاء-في الجملة- على وجوب شرط الأهلية في المدعي والمدعى عليه. وأما من ليس أهلاً فيطالب له بحقه ممثله الشر
ن ولي أو وصي. وللمذاهب تفصيل في اشتراط الأهلية:

**فالحنفية:** لا يشترطون كمال الأهلية في الطرفين.

**والمالكية:** لا يشترطون كمال الأهلية في المدعي فقط.

**أما الشافعية والحنبلية:** فيشترطون كمال الأهلية في الطرفين.

وبيان هذا كما يلي:

**١-رأي الحنفية:** ذهب الحنفية إلى أنه يجوز للصبي المميز المأذون له أن يرفع الدعوى، ويجوز أن يكون الصبي المميز مرفو
يه دعوى، لأن الدعوى من التصرفات التي تدور بين النفع والضرر، فتصح من الصبي المميز مع اذن وليه، ولا تصح بدون إ
ه(٢).

**٢-رأي المالكية: أما المدعي** فلا يشترط فيه الأهلية الكاملة، بل تصح الدعوى من السفيه والصبي- وإن كان محجوراً عليه- ا
يشترط اذن الولي كما هو الأمر عند الحنفية.

**أما المدعى عليه:** فتشترط أهليته الكاملة.(٣)

**٣-رأي الشافعية:** يشترط البلوغ في الطرفين، و تسمع الدعوى على المحجور عليه فيما يصح به إقراره، فتسمع الدعوى بالق
السفيه المحجور عليه.

والشافعية يسمعون الدعوى من الذمي والمستأمن والمعاهد وعليهم، ولكنهم لا يسمعونها من الحربي.(٤)

**٤-رأي الحنبلية:** يشترط البلوغ في الطرفين، ولكن تصح على السفيه فيما يؤخذ به حال سفهه، فتصح دعوى الطلا
ق(٥).

**تنبيه:** فقهاء المذاهب غير الحنفية أجازوا الادعاء على الغائب.. فأجازوا الادعاء على الصغير والمجنون والميت إذا كان ...
ي بينة بما يدعيه، وكانت حاضرة لديه وبشروط كثيرة، ويحلفه القاضي يمين (الاستظهار) ويذكر فيها انه لم يستوف ما ادعى.

---

ري محمد نعيم ٢٧٥/١. ٢- البحر الرائق ١٩١/٧ درر الحكام ٣٣٠/٢ الفتاوى الهندية ٢/٤.

ب الجليل ١٢٧/٦ تبصرة الحكام ١٠٧/١. ٤- حاشية قليوبي/ المحلي ١٦٣/٤ تحفة المحتاج ٢٩٢/١٠ مغني المحتاج ١١٠/٤

ى الارادات ٦٢٨/٢، الفروع ٨٠٨/٢ ، كشاف القناع ٢٧٧/٤.

ممن أقام البينة عليه ولا أبرأه من ذلك.

**أما الحنفية**: فلا يجيزون مثل هذه الدعاوى.

## ٢-الصفة

**أ-الصفة في المدعي**: يشترط في المدعي أن يكون صاحب شان بأن يكون: إما:

١-صاحب الحق.

٢-وكيله أو وليه أو وصية.

٣-أن يكون دائناً لصاحب الحق، فيرفع الدعوى على مدين مدينه حتى ينال ثمار دعوته مما يحصله من دين مدينه، وخاصة اذا حجر على المدين أو أعلن إفلاسه. (١)

٤-من رفع الدعوى على من أضر بالطريق العام.

٥-يجوز لأهل القرية أن يرفعوا الدعوى عن جميع سكان القرية لمن أراد أن يضر بمصالحهم إذا كانوا غير محصورين (أكثر من مائة).

٦-أي فرد مسلم له أن يرفع دعوى يطالب فيها بحق من حقوق الله من قبيل الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فكل حق رجح فيه حق الله على حق العبد يكون **فيها المدّعي** (مدعيا وشاهداً)، فإذا رجح حق العبد يشترط تقديم الدعوى من صاحب الحق (خير الشهود من أدى شهادته قبل أن يسألها).(٢)

ومن المسائل التي يقبل فيها الدعوى حسبة:

**جميع الحدود** عدا القذف والسرقة لغلبة حق العبد فيها.

**وهذا رأي الحنفية** فيما يغلب فيه حق الله على حق العبد، **ورأي المالكية** فيما هو حق لله خالصاً كالصلاة والصيام والزكاة والحج.

**وهو رأي القاضي حسين** من الشافعية، **أما جمهور الشافعية**: فلا تقبل الدعوى في حقوق الله إلا عند الحاجة، وهم متفقون مع (الشافعية).

جمهور الفقهاء أن الشهادة تقبل حسبة(٣).

**وصرح الحنبلية** بعدم جواز الدعوى في حق الله، ولكنهم أجازوا سماع البينة، والواقع أن خلاف الفقهاء حول هذه المسألة لا يكاد يكون له أثر في التطبيق العملي، وذلك لأنهم متفقون على سماع شهادة الحسبة في حق الله، فمن أجاز بعد ذلك رفع الدعوى بحق الله لم يضف شيئاً جديداً، لأن فائدة الدعوى طلب إحلاف المدعى عليه إن أنكر، **وحقوق الله لا يمين فيها باتفاق الفقهاء**.(٤)

فتكون النتيجة أن دعوى الحسبة كشهادة الحسبة، ولم يبق بينهما فرق إلا بالتسمية، وقد تقدم أن مدعي الحسبة هو في حقيقة الأمر مدع من جهة وشاهد من جهة أخرى، وأنه لا حرج في التسميتين.

**ب- الصفة في المدعى عليه:**

**لا تصح الدعوى إلا في وجه من يعتبره المشرع خصماً.**

**من هو الخصم**: (يكون المدعى عليه خصماً: إذا ترتب على اقراره حكم ويكون بانكاره خصماً)، والنائب الشرعي أو الاتفاقي يقوم مقام الأصيل في رفع الدعوى، أي من ينوب عن الخصم: كالوكيل والولي والوصي والقيم أو الكفيل أو الوارث.

**١- الخصم في دعاوى العين**: صاحب اليد.

فالخصم في البيع والشراء: هو المشتري إذا استلم المبيع، وأما قبل التسليم فالخصم هو الاثنان.

١- (مغني المحتاج ١٤٧/٢). ٢- رواه أبو داود والترمذي وأحمد وابن ماجه ٢٢٧٢ صحيح الجامع.

فالخصم في الشفعة : هو المشتري إذا استلم المبيع.

**كيفية ثبوت اليد:** بالاقرار ويسمى **(التصادق)** سواء في العقار أو المنقول. أو بالبينة.[1]

**٢-الخصم في دعاوى الدين:** الدين وصف في الذمة ولا يتصور فيه اليد والحيازة. ولذلك فإنه لا يكون خصماً في دعوى الد إلا من هو في ذمته أو نائبه في الخصومة.

.فلا توجه الدعوى إلى غاصب عين من المدين، ولا إلى مستأجر عين من المدين.

**٣-الخصم في دعاوي الفعل:** هو الفاعل: أي في الغصب هو الغاصب.

**٤-الخصم في دعاوى القول:** هو القائل كالطلاق والإبراء والاقرار.

**٥-الخصم في دعاوى العقد:** هو المباشر للعقد أو نائبه.

**٦-الخصم في دعاوى الحقوق:** كالحضانة والرضاعة: من له شأن بالدعوى، وينازع المدعي في حقه ويمنعه من التمتع.

**٧-الخصم في دعاوى النسب:** من يترتب على اقراره حكم.

**جـ-الشرط الثالث في المدعى عليه:**

أن يكون معلوماً.[2]

**د-الشرط الرابع في المدعى عليه:** الحضور (حضور الخصم)، وهذا الشرط ليس لصحة الدعوى، ولكنه شرط لصحة القضا لحنفية يشترطون البينة قبل احضار الخصم.

أدلة:

ذهب فريق إلى عدم جوازها لأن الدعوى ترفع في وجه خصم بعد حدوث نزاع، أما قبله فمن العبث النظر في قضية لا خصو ا، لأن القضاء لفصل الخصومات.

وذهب فريق آخر إلى جواز استماعها لأن فائدة القضاء شيئان:

١-فصل الخصومات.

٢-اثبات الحقوق و حفظها و حمايتها، وإلى هذا ذهب ابن القاسم من المالكية والحنابلة في قول راجح.

**إبن فرحون قال:** يجوز للجار أن يرفع دعوى لجاره الغائب لحفظ حقه من الضياع.

**قال ابن القاسم:** يجوز سماع البينة و حفظها قبل الخصومة. فإذا كان خصم قرأ القاضي عليه البينة و عرّفه بالشهود وطلب مذ بدي دفعه، فإن لم يكن له مدفع لزمه القضاء.

**ونقل الحنبلية عن الحنفية:** جواز سماع هذه القضايا. ولكن القاضي عند الحنفية ينصب خصماً مسخراً. **أما الحنبلية فلا ينصبون خصماً مسخراً.**

ولكن الرأي الراجح عند الحنفية أن الخصم المسخر لا يكون إلا عن خصم غائب وليس عن خصم مفترض أو مقدر. والخصم المسخر لا يجوز القضاء عليه إلا في الحالات التي أجيز فيها القضاء على الغائب.[3]

## شروط المدعى به [4]

١-يشترط في المدعى به أن يكون فيه مصلحة مشروعة ، أي:

أ-فيه مصلحة.

ب-محمية شرعاً.

جـ-ترتب نفع على المطالبة.

---

لقدير ١٤٦/٦ . ٢- (نظرية الدعوى ٣٠٠/١) ٣- البدائع الهندية ... ٤- نظرية الدعوى ...

٢-شرط الالزام في الدعوى.

٣-معلومية المدعى به.

٤-احتمال ثبوت المدعى به عادة وعقلاً.

## أ-المصلحة:

يشترط في الدعوى أن تعود بمصلحة على المدعى عليه.

المصلحة كل ما يفيد في حفظ الأركان الخمسة، والمصالح المرسلة محمية في الشرع، وقد يتخلى الشرع عن حماية المصلحة إذا أدت إلى مفسدة أعظم (التعسف في استعمال الحق) كالضحاك-واله ليمرن به ولو على بطنك-، والتعسف في استعمال الحق: هو استعمال حق يؤدي إلى مفسدة أعظم (ولا تقبل الدعوى على القاضي بانه ظلم، ولا على الشهود بالزور وليس معه بينة).

## ب-الالزام:

يشترط الدعوى في أمر ملزم للمدعى عليه إذا ثبت الادعاء.

فلا تقبل الدعوى: في الهبة قبل قبضها، وفي الوكالة التي لا يتقاضى عليها الوكيل أجراً، وكذلك الوعد بشيء: لأن الواهب بامكانه أن يتراجع ولو ثبت وعده بالهبة.

**الدعوى بالدين المؤجل:** منعها المالكية والراجح عند الشافعية والحنابلة في أحد القولين. و أجازها الحنفية وقول عند الشافعية وقول عند الحنبلية، وهذا هو الرأي الراجح، وذلك لأن الأجل يجعل الدين غير ملزم الآن، أما المبيحون فقالوا: إن الدعوة لاثبات الحق وجمع البينات وليس لدفع الدين. (١)

وذلك كالمدين إذا أراد السفر للدائن أن يرفع دعوى بطلب الكفيل، والمرأة تطلب كفيلاً على زوجها بالنفقه إذا أراد السفر اجازه الحنفية استحساناً وليس قياساً.

**دعوى الأدلة والبينات:**

**اختلف الفقهاء في جواز رفع الدعوى لحفظ الحجج والأدلة عند القاضي دون وجود خصم. ردها البعض لأن شروط صحة** الدعوى وجود خصم ، **وتقبل هذه الدعاوى عند:** ابن القاسم من المالكية وعند الحنبلية.

قال ابن المفلح: (إذا كان الحق في يد صاحبه كالوقف وغيره ويخاف إن لم يحفظ البينات أن ينسى شرطه أو يجحد تسمع الدعوى لحفظ البينة) **وقاس بعضهم هذا على كتاب القاضي للقاضي.** (٢)

**قال قاضي زاده:** إن الاقرار بالمجهول صحيح، والالزام كما يتحقق بواسطة البينة يتحقق بالاقرار، ولا يقال: اقرار الخصم محتمل لا يحقق، فلا يتحقق الالزام في دعوى المجهول بل يحتمل، لأنا نقول: المراد بتحقيق الالزام الذي عد فائدة الدعوى إمكان تحققه دون وقوعه بالفعل.

**وقال المازري:** يلزم المدعى عليه بالاقرار، ويلزم بتفسير المجهول في هذا الاقرار (ولكنهم لا يوجبون صحة الحكم في المجهول) نقول:لابد من التفسير.

**ولكن نرد على هؤلاء.**

إذا كان الحنفية والمالكية قد ردوا الدعوى بسبب تقادم الحق، وإذا كان الحنفية والمالكية قد ردوا الدعوى إذا كانت غير محتملة عرفاً وعادة، وقد ردوا الدعوى من غير ذي أهلية. قد رد كثير من الفقهاء الدعوى على القاضي أو الشهود بأنهم ظلموا. **فيلحق بهذا الدعوى بالمجهول.**

وحجة هذا الفريق أن فائدة القضاء:

---

١- تبصرة الحكام: ١٢٧/١ المحلى/ المنهاج ٢٣٧/٤ تحفة المحتاج ٣٠٢/١٠ غاية المنتهى ٤٤٨/٣ كشاف القناع ٣٠٢/٤.

٢- النكت والفوائد السنية ٢٣٣/٢.

١-حفظ الحقوق وحمايتها.

٢-الفصل في الخصومات.

وهذا رأي راجح وفيه مصلحة الناس، ونقل بعض علماء الحنبلية عن الحنفية جواز سماع هذه الدعاوى، ولكنهم اشترطوا يسخِّر القاضي خصماً عوضاً عن الخصم المفترض وجوده في المستقبل. (١)

## ٣- شرط معلومية المدعى به:

المراد بالمعلومية إمكان تصور المدعى به أي تميزه في ذهن المدعي والمدعى عليه والقاضي، وذلك لأن المقصود من الدعوى مدار حكم، والمقصود بالحكم إلزام المحقوق ولا الزام مع الجهالة، وكذلك صحة الشهادة مرهونة لمطابقتهما للدعوى.

وخالف في هذا الشرط قاضي زاده من الحنفية، والقراضي والمازري والحطاب من المالكية. (٢)

واشتراط هذا الشرط لا يعني أن الدعوى باطلة إذا فُقد بل تكون (ناقصة)، وأجازوا سماع الدعوى في بعض استثناءا عتبارات الحق والمصلحة.

القاعدة التي ذكرها ابن الغزي الشافعي:

(إنما يقدح في صحة الدعوى جهالة تمنع من استيفاء المحكوم به وتوجيه المطالبة نحوه، حيث يكون المدعى به مجهولاً، يترد يكون هذا أو ذاك، أما إذا اسلم المدعى به من هذا وكان محصوراً بما يضبط به فلا). (٣)

## ـفية العلم بالمدعى به:

**أولاً: العلم بالمدعى به في دعاوى العين: وهو عقار أو منقول.**

**أ-دعوى العقار:** لابد من ذكر حدوده وناحيته من البلد، هذا إذا لم يكن العقار مشهوداً، أما إذا كان مشهوداً فيكفي ذك ـه عند جمهور الفقهاء.(٤)

ويشترط ذكر الحدود الأربعة عند جمهور الفقهاء وزفر من الحنفية أما اليوم فيكفي ذكر رقم السجل العقاري. (٥)

أما سبب الاستحقاق في العقار: فلا يشترط ذكره عند جمهورالفقهاء من الحنفية، والشافعية والحنبلية، واشترط المالكية ذكره.

**ب- المنقول:**

المنقول الموجود في مجلس القضاء أو القريب: يعرف بالاشارة إليه، المنقول البعيد: يُحضر أو يذهب إليه المدعي والقاضي عند نية.

**المنقول الهالك:**

**١-القيمي:** تذكر قيمته عند الحنفية لأنه لا ينضبط بالوصف. فلابد من الاشارة في تعريف القيمي لقطع الشك.

**٢-المنقول المثلي:** دعواه دعوى دين في الذمة.

والجمهور مثل الحنفية إلا في القيمي فإنه ينضبط عندهم بالوصف.

**قال الغزالي:** (لا يصح السلم إلا في كل ما ينضبط منه كل وصف يختلف فيه القيمة اختلافاً ظاهراً لا يتغابن الناس بمثله في (٦).

السلم في اللحم والحيوان: يجوز عند الجمهور خلافاً للحنفية.

**٢-اشترط المالكية ذكر سبب الاستحقاق في دعوى العين المنقول وغير المنقول.** وعلى القاضي أن يسأل المدعي عن سبب ـاقه فإن لم يفطن لذلك كان للمدعى عليه أن يوجه هذا السؤال فإن امتنع المدعي عن ذكره لم يكلف المدعى عليه بالجواب عن

---

ع ٣/٨٦٢). ٢- (الفوائد البهية ١٤١ الفروق ٧٢/٤) الخرشي ١٥٤/٧) بدائع الصنائع ٢٢٢/٦. ٣- أدب القضاء للغزي ق ٣
ـة ابن عابدين ٥٤٥/٥) ٥- (بدائع الصنائع ٢٢٢/٦ كشاف القناع ٢٧٨/٦ المحلي/ المنهاج ٢١١/٤) ٦- فتح العزيز/ الوجيز ٢٦٨-٢٢٦

الدعوى، وبذلك لا تنتج الدعوى آثارها وهو وجود الجواب على الخصم. (١)

**١-قال الشافعية والحنبلية: لا يشترط** ذكر السبب في المنقول المثلي والقيمي لتعدد الأسباب، وهذا يؤدي إلى ضياع الحقوق.

**٢-اشترط الحنفية والمالكية ذكر سبب الدين لاسباب:**

أ-الأسباب تختلف أحكامها: فإن كان سبب الدين عقد السلم فلابد من ذكر مكان الايفاء، ولا يجوز الاستبدال به قبل القبض، بخلاف ما إذا كان سبب الدين (ثمن المبيع) حيث يجوز الاستبدال به قبل قبضه، ولا يشترط مكان الايفاء.

ب-إن السبب قد يكون باطلاً كثمن خمر أو ميتة أو مقامرة.

١-ذكر سبب الاستحقاق في المنقول، لا يشترط عند الحنبلية والشافعية واشترطها المالكية.

٢- وأما الحنفية فقالوا يذكر السبب في المثلي لاختلاف أحكام الاسباب المرتبة للديون في الذمم ولأن الأصل براءة الذمة فلابد لصحة دعوى اشتغالها من سياق سبب هذا الاشغال.

أما الحنفية فاشترطوا ذكر الاستحقاق في المثلي وليس في القيمي. (٢)

**ثانياً-العلم بالمدعى به في دعوى الدين:** (٣)

**الدين:** ما يكون ثابتاً في الذمة من كل ما يجب أداؤه بوصفه لا بنفسه. فعند الحنفية: يثبت في الذمة (المثليات وما يلحق بها من مذروع وعددي متقارب).

**أما عند الجمهور:** فيلحق بالسابق كل عين يمكن ضبطها بالوصف في عقد السلم.

**ففي النقود:** يعلم بذكر القدر فقط، وكذلك (المكيلات والموزونات والعدديات المتقاربة والمذروعات) فيكتفي فيها بذكر القدر.

**٣-ذكر سبب الاستحقاق في الدين:**

أ-اشترطها جمهور الحنفية والمالكية. (٤)

ب-ولم يشترطها جمهور الشافعية والحنابلة والإمامية.

جـ-بعض الحنفية اشترط ذكر السبب إذا كان المدعي امرأة تطالب بتركة زوجها.

د-اشترط بعض الحنفية ذكر السبب إذا كان المدعى به ديناً بنقود قد انقطع التعامل بها. (٥)

**ثالثاً -العلم بالمدعى به في دعوى العقد:**

١-اشترط الحنبلية ذكر جميع شروط العقد.

٢-اشترط الحنفية: بيان شروط كل عقد له شرائط كثيرة ومعقدة كالزواج والسلم.

٣-لم يشترط الشافعية شيئاً سوى عقد النكاح.

٤-لم يشترط المالكية شيئاً أبداً لأن الأصل في عقود المسلمين الصحة.

**رابعاً -الدعوى الجنائية:**

اتفق الفقهاء على ذكر السبب والأوصاف والشروط، لأن الأحكام الصادرة في هذه الدعاوى تتعلق بالأصول الخمسة فلا يجوز التهاون بها. كما أن الحدود تدرأ بالشبهات.

**خامساً-دعوى الإرث:**

لابد من ذكر السبب في الاستحقاق. (٦)

---

١- تهذيب الفروق ٤/١١٤ تبصرة الحكام ١/١٣٠. ٢- البحر الرائق ٧/١٩٥ حاشية ابن عابدين ٥/٤٤٧ فتح العزيز ٩/٢٦٧ ٣- (نظرية الدعوى ١/٣٥٥).

# الاستثناءات من شرط المعلومية

١-ذكر ابن رجب الحنبلي ضابطاً لما يصح الدعوى به مجهولاً وهو:

(إن الدعوى بالمجهول تقبل إذا كان المدعى به فيها مما يصح العقد عليه مبهماً وذلك كالوصية). فإنه لما جاز أن يكون الموص به مجهولاً. جاز كذلك الدعوى بالوصية المجهولة. (١)

٢-قال بعض علماء الشافعية: يجوز الدعوى بالمجهول إذا كان المطلوب فيها موقوفاً على تقدير القاضي، وذلك كالمفوضة ال تطلب المهر. (٢)

٣-وقال المالكية: إذا وجد هنالك عذر للمدعي في جهله بما يدعيه قبلت دعواه، وذلك كدعوى شخص نصيبا من وقف ؟ يستحقوه. (٣)

٤-يجوز الابراء العام وإن كان مجهولاً، لأن الإبراء اسقاط، والجهالة لا تضر فيه.

٥-ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الاقرار بالمجهول، فيجوز الدعوى به مجهولاً.(٤)

٦-في حالة الغصب تجوز الدعوى بالمجهول. (٥)

٧-في حالة الرهن تجوز الدعوى بالمجهول.

فائدة:

إن أهمية تصحيح دعوى الغصب والرهن المجهول هي:

توجه اليمين على من أنكر إذا لم يكن للمدعي بينة، والجبر على البيان إذا أقر أو نكل عن اليمين.(٦)

وأما إذا كان للمدعي بينة فإن عامة المشايخ على أن هذه الدعوى تقبل، ولكن في حق الحبس لا في حق الحكم بالمدعى قدر الحبس عن بعضهم (الحنفية) بشهرين إلى أن يبين الغاصب قيمة الغصب والمرتهن قيمة الرهن-. (٧)

الجزاء الذي رتبه الفقهاء على تخلف شرط المعلومية:

إذا لم يتوفر شرط العلم لا يجب على المدعى عليه: الجواب: فله الحق أن يمتنع عن الجواب، ولا يجوز للقاضي إجباره على ذا ن القاضي لا يرد الدعوى، بل يطلب إكمال نقصها، وهذه الدعوى اسمها فاسدة عند الحنفية.

**الشرط الرابع: احتمال ثبوت المدعى به عقلاً وعادة:**

اشترط الحنفية والمالكية: قال المالكية (عدم مخالفة الدعوى للعرف العام شرط في صحة الدعوى، وعدم مخالفتها لعادة الطرف طة بين المتنازعين شرط في توجيه اليمين إلى الخصم).

**اشتراط الخلطة بين المتداعيين:**

**المستحيل عقلاً:** أن يدعي شخص بنوة من هو أكبر منه.

**المستحيل عادة:** أن يدعي فقير أنه أقرض غنياً مليون دينار، أن يدعي فقير أنه استأجر غنياً لكفاية بيته.

اشترط الامام مالك وهو المشهور من مذهب المالكية، وخالف ابن نافع من المالكية، ورأيه في هذه القضية هو المعتمد من مذه ية.

وقد اشترط ابن القيم الحنبلي كذلك الخلطة واستدلوا:

١-أن هذا الشرط مروي عن الصحابة كعلي رضي الله عنه والتابعين مثل الفقهاء السبعة في المدينة.

٢- ان كثيراً من ذوي المروءات يثقل عليهم اليمين، وقد افتدى ابن مسعود وعثمان رضي الله عنهما أيمانهما. (٨)

---

عد لابن رجب ٢٢٢ المغني لابن قدامة ٨٤/٩) ٢- أدب القضاء/ الغزي ق ٢. ٣- (الفروق ٧٣/٤) .
ية ابن عابدين ٥٤٥/٥ تحفة المحتاج ٢٩٥/١٠ المغني لابن قدامة ٨٤/٩). ٥- (ابن عابدين ٥٤٥/٥).
ية ابن عابدين ٥٤٥/٥) . ٧- (قرة عيون الاخبار ٢٨٦/١).
حاشية الدسوقي ١٤٥/٤ الطرق الحكمية ٩٧ ,٩٨.

اشتراط الخلطة:

**موقف العز بن عبد السلام من الشافعية**

وقد خالف الشافعي في عدم قبول الدعوى المخالفة للعادة فهو يقبلها. والعز بن عبد السلام لا يقبلها.

قلنا: ان الشافعية يقبلون ما خالف العادة من الدعاوي. أما المالكية والحنفية فلا يقبلون ما خالف العادة. وبقولهم قال العز بن عبد السلام.

أما العز فقال (والقاعدة في الأخبار -من الدعاوى والشهادات والاقارير وغيرها- أن ما كذبه العقل أو جوزه وأحالته العادة فهو مردود، وأما ما أبعدته العادة من غير إحالة فله رتب في القرب والبعد قد يختلف فيها، فما كان أبعد وقوعاً فهو أولى بالرد، وما كان أقرب وقوعاً فهو أولى بالقبول، وبينهما رتب متفاوته). (١)

ومن الأمثلة على المستحيل عادة: ادعاء رجل من العامة على الخليفة أنه استأجره ليكنس داره.

(الاقرار ليس حقاً ولا يصلح سبباً للحق حتى ولو كان معلوماً فكيف إذا كان مجهولاً).

مثال: أدعي على فلان مبلغاً من المال لانه أقر لي، أو قال: ادعي على فلان أنه أقر لي بمبلغ -فالدعوى ترد.

**ملاحظة:**

يقول محمود بن إسرائيل الحنفي في جامع الفصولين ٨٤/١ (قول عامة المشايخ على أن دعوى الأعيان والأموال بسبب الاقرار لا تصح، لأن نفس الاقرار لا يصلح سبباً للاستحقاق).

ويقول ابن الغرس الحنفي في (الفواكه البدرية) (ص ١٤١) (فعلته -أي بطلان دعوى الاقرار بالمعلوم- بما ذكره مشايخنا من أن الاقرار إخبار لا سبب لزوم المقربه على المقر، والمفروض أن المدعي علل وجوب المدعى به على المقر بالاقرار ، فكأنه قال: أطالبه بما لا سبب بوجوبه عليه أو لزومه إلا إقراره، وهذا كلام باطل).

# شروط ركن الدعوى

١-أن لا تكون مناقضة لأمر سبق صدوره من المدعي.

٢-أن تكون بتعبيرات حازمة قاطعة/ إلا الدعاوي الجنائية.

٣-أن يذكر المدعي فيها أنه يطالب خصمه بالحق الذي يدعيه/ غير راجح.

٤-أن تكون بلسان المدعي عيناً/ اشترطه أبو حنيفة فقط.

٥-أن يذكر المدعي في دعوى العين أن العين بيد خصمه.

٦-أن يصرح المدعي فيها بأن خصمه يضع يده على المدعى به بغير حق.

٧-أن تتضمن طلب احضار المدعى به قاله الحنفية وهو غير راجح.

٨-أن يطلب المدعي فيها من القاضي تكليف المدعى عليه بالجواب /حنفي غير راجح.

٩-أن تكون في مجلس القضاء.

## أولاً: التناقض:

تقابل الدليلين المتساويين على وجه لا يمكن الجمع بينهما بوجه.(٢)

من صور التناقض:

١-**التناقض من المدعي في الدعوى الأصلية:** كأن يطلب شخص شراء شيء من غيره أو هبته أو إجارته ثم يدعي ملكية ذلك الشيء. (٣)

---

١- قواعد الأحكام ٢/١٢٥.

٢- مغني المحتاج ٤/١١٠ والفروع ٣/٨٠٨ كشاف القناع ٤/٢٠٣

**٢-التناقض من المدعى عليه:** مثل أن يدعي شخص على آخر وديعة فينكرها المدعى عليه، فيقيم المدعي البينة على الايدا فيدفع الخصم بردها أو هلاكها.

أو ادّعى ديناً على خصم أنكره، فأقام بينة فقال الخصم قضيته إياه لا يقبل الدفع.[1]

# شروط تحقق التناقض

قال ابن فرحون (من ادعي عليه بحق فجحد، وعند ما خشي البينة أقر وادعى اسقاط الحق بوجه ما لا ينفعه) [2].

١-ان يكون الأمران المتناقضان (الدعوى وما صدر عنها) صادرين عن شخص واحد أو عن شخصين هما في حكم الشخص الواحد كالوكيل والموكل.

٢-أن يكون الأمران قد صدرا في مجلس القضاء، أو أن يثبتا بالحجة الشرعية عند القاضي (لأن الثابت بالبيان كالثابت بالعيان).

٣-يذكر بعض الحنفية أن التناقض المانع من سماع الدعوى لا يتحقق إلا إذا كان الكلام السابق قد أثبت حقاً لشخص بعينه وذلك لا يكون إلا إذا صدر هذا الكلام في وقت كان لقائله منازع فيه.

## تفصيل الشرط الثالث (للحنفية):

الاعتراف قسمان:

أ-اعتراف من ذي اليد .

ب-اعتراف من الخارج.

**أ-اعتراف من ذي اليد:**

اعتراف بعدم الحق في حالة النزاع: ففي اعتبار هذا الاعتراف اقراراً بالحق رأيان (روايتان).

١- الجامع الصغيراقرار... الأصل ليس اقراراً.

٢-في حالة عدم النزاع: اتفقوا على عدم اعتباره اقراراً.

**ب-اعتراف الخارج بعدم الحق:**

**١-في حالة النزاع:** اتفقوا على اعتبار اعترافه اقراراً بالملك المتنازع.

جامع الفصولين (ولو اقر غير ذي اليد عند النزاع ينبغي أن ينفذ اقراره وفاقاً لأنه نفى عن نفسه ملك غيره ظاهراً، وهذا حق الغير، فصرف إلى أنه اقرار به لذي اليد وفاقاً بقرينة اليد والنزاع).

**٢-في حالة عدم النزاع روايتان** [3]

. هذا مذهب الحنفية، أما بقية المذاهب فقالوا: (من اقر بعين لغيره لا يمكن من ادعاء ملكيتها فينظر عندهم: فما اعتبروه اقرار مانعاً، وما لم يعتبروه اقراراً لم يكن مانعاً).

**مثال على رأي الحنفية:**

لو قال: هذه الدار ليست لي، ثم ادعاها بعد ذلك:

أ-إن كانت العين في يده ولم يكن له منازع عند قوله قبلت الدعوى باتفاقهم.

ب-إن كانت العين في يده وكان له منازع قبلت على رواية الجامع الصغير، ولم تقبل على رواية الأصل.

٤-ويشترط في التناقض حتى يكون مانعاً من سماع الدعوى أن لا يكون التوفيق بين المتناقضين ممكناً- عند الفقهاء الثلاثة

---

[1] الصنائع ٦/٢٢٤ العقد المنظم للحكام ٢/١٩٨ — ٢- تبصرة الحكام ١/١٣٦ — ٣- جامع الفصولين ١/١٢٥ درر الحكام ٢/٢٥٤

والحنفية تفصيل-.

٥-يشترط لتحقق التناقض المانع من سماع الدعوى أن يكون الأول قد كذب شرعاً بالقضاء، فلو ادّعى شخص على آخر على أنه كفل له عن مدين فأنكر الكفالة وحكم به القاضي وأخذ المكفول له منه المال، ثم إن الكفيل ادّعى على المدين أنه كفل عنه بأمره وبرهن على ذلك قبلت هذه الدعوى وسمعت البينة وإن كانت هذه الدعوى مناقضة لما سبق منه من إنكار للكفالة عندما ادعاها عليه الدائن، وذلك لأن انكاره السابق بطل مفعوله بتكذيب الحاكم له.

## حكـــــــم التناقض

**حكم التناقض:** رد الدعوى وعدم سماعها، ولكن حكم التناقض يرفع في الحالات التالية فتسمع الدعوى:

١-**تصديق الخصم:** فلو أن شخصاً ادعى على آخر ألف دينار بسبب القرض، ثم ادعاه عليه بسبب الكفالة فصدقه المدعى عليه سمعت دعواه بالرغم من تناقضه.

٢-**قول المتناقض:** تركت كلامي الأول وأدعي بكذا (بأن ادعاه أولاً مطلقاً ثم ادعاه بسبب).

٣-**التوفيق الفعلي بين المتناقضين:** ادعى شخص داراً بهبة أو شراء من أبيه، ثم إدعاها إرثاً منه، تسمع دعواه الثانية لإمكان التوفيق بين الكلامين بأن يكون قد ابتاع الدار من أبيه فعجز عن إثبات ذلك لعدم البينة ثم ورثه بعد ذلك. (١)

## استثناءات عدم التناقض

يقرر علماء الحنفية أن التناقض لا يمنع من سماع الدعوى في حالتين:

**أ-الحالة الأولى: المسائل التي تخفى أسبابها:**

١-**مسائل النسب:** ذلك كأن يقر شخص بأن فلاناً ابنه من الزنا -وكان مجهول النسب-، ثم يدعي أن ابنه من النكاح، تسمع دعواه.

٢-**مسائل الإرث والرضاعة.**

٣-**مسائل العتق:** كما لو أقر مجهول النسب بالرق لرجل، ثم ادعى أنه حر الأصل، تسمع دعواه لأن العتق ينفرد به السيد.

٤-**بعض المسائل المتعلقة بالطلاق:** كما لو ادعت امرأة الخلع، ثم ادعت الطلاق، لأن الطلاق ينفرد به الرجل.

٥-**لو استأجر رجل داراً ثم علم انتقالها إليه بالإرث من أبيه تقبل الدعوى.**

ب-**الحالة الثانية: إذا علم أن المتناقض كان معذوراً في كلامه أو فعله،** كأن يكتب على نفسه صكا بمال ليشهد عليه، ثم يدعي أن بعض هذا المال ربا وبعضه قرض نصدقه ....لأنه مضطر. (٢)

**ثانيا: أن يذكر المدعي في دعواه أنه يطالب بالحق الذي يدعيه:**كأن يقول في الدعوى (مره ليعطنني حق أنا أطالبه به).

اختلف الفقهاء في أنه يشترط لصحة الدعوى أن يذكر المدعي فيها أنه يطالب المدعى عليه بالحق الذي يدعيه. إن معظم المذاهب فيها قولان بخصوص هذا الشرط.

١-**فأصحاب المتون والشروح:** اشترطوا ذكر الحق في الدعوى لتكون مقبولة.

٢-**أما أصحاب الفتاوى:** فصمموا عدم اشتراط ذكر الحق في الدعوى لتكون مقبوله

والقاعدة في المذهب الحنفي (أن التصحيح الصريح مقدم على التصحيح الالتزامي، و ان كان الأول في الفتاوى والثاني في المتون والشروح، وبناء على ذلك **يكون قول أصحاب الفتاوى في هذه المسألة هو الراجح في المذهب الحنفي).**

---

١- كشاف القناع ٤/٢٠٣ والفروع ٣/٨٠٨ حاشية ابن عابدين ٧/١٧ قليوبي/ المحلي/ المنهاج ٤/١٦١

٢- بدائع الصنائع ٦/٢٢٤ [illegible]

**ولكن في الحالات العادية:** اذا اختلف الرأي بين أصحاب المتون والشروح و بين أصحاب الفتاوى فالقول لأصحاب المتـ والشروح.

**أما الشافعية** لهم رأيان: اشترطه بعضهم، و اعتبره بعضهم ركناً في صحة الدعوى، وقد ذكر الماوردي في تعليل هذا القـ للشافعية أن القاضي لو حكم على المدعى عليه بتسليم الحق إلى المدعي من غير طلبه، كان مجبراً لصاحب الحق على أخذ حقه لأنه يطلب حقه.(١)

وهنالك قول آخر للشافعية لا يشترطه للاكتفاء بدلالة الحال.

**أما الحنبلية:** لهم قولان، والراجح عدم اشتراط ذكر المطالبة(٢).

**والراجح عندنا عدم اشتراط هذا الشرط.**

**ثالثاً: أن تكون الدعوى بلسان المدعي عيناً (عدم جواز التوكيل بالخصومة).**

اشترط أبو حنيفة هذا الشرط:

١-اذا لم يكن في المدعي عذر مقبول.

٢-واشترط المدعى عليه رافضاً أن تكون الدعوى بلسان غير المدعي من وكيله وغيره، فإن تخلف أحد هذين الشرطين صحـ دعوى بلسان غير المدعي.

وعدم جواز التوكيل في الخصومة انفرد به أبوحنيفة، وخالفه الصاحبان و غيرهم من الفقهاء. (٣)

**رابعاً: أن تتضمن الدعوى طلب إحضار المدعي به.**

اشترطه بعض الحنفية فقالوا (لابد أن يقول: فواجب عليه احضاره مجلس الحكم لاقيم عليه البينة ان كان جاحداً) (٤)

والأظهر أن هذا ليس شرطاً في صحة الدعوى، بدليل أنه لا يطلب إلا إذا كان المدعى عليه منكراً، وهذا لا يعرف إلا بعد طلـ جواب من الخصم، وهو لا يجيب إلا على دعوى صحيحة، والفاسدة لا يترتب عليها وجوب الجواب، ولأن وجوب احضار المدعي به -إ ن قابلاً لذلك- يعتبر أثراً من آثار الدعوى الصحيحة -التي اكتملت الشروط الأخرى فيها-.

**خامساً: أن يطلب المدعي من القاضي تكليف المدعي عليه الجواب.**

قال بعض الحنفية بهذا الشرط قياساً، والاستحسان عدمه، وقد قال كثير من الفقهاء بعدم اشتراطه(٥) .

# الآثار المترتبة على رفع الدعوى(٦)

لقد علمنا سابقاً أن الدعوى عند الفقهاء تعرف شرعي، كما تقدم في الباب الأول عناصر هذا التعرف وشروطه، فإذا قامت ـوى بجميع عناصرها واستوفت شروطها، ترتب عليها آثار شرعية هي:

١ - وجوب النظر في الدعوى بالنسبة للقاضي.

٢ - وجوب حضور الخصم.

٣ - وجوب الجواب عليها.

ـر في الدعوى

إن الدعوى إذا رفعت إلى القاضي في مجلسه كان مكلفاً بالنظر فيها إلى أن تنتهي بالحكم أو بغيره من صلح ونحوه، وفي نظره فيها ينبغي مراعاة مبادىء وأصول أشار إليها الفقهاء، فالزموه ببعضها واستحبوا له البعض الآخر. وكيفية للأفعال التي

ـردي /الحاوي ١٣/ ٤٤).

ـع الصنائع ٦/ ٢٢٢ تبصرة الحكام ١/ ١١١ المحلي لابن حزم ٩/ ٣٢٦ منتهى الارادات القسم الأول ٤٤٤،

ـة الحكام ١/ ٣٨) .

٢- (المغني لابن قدامة ٩/ ٨٦).

٤- جامع الفصولين ١/ ٧٠ والبحر الرائق ٧/ ١٩٦.

٦- الجزء الثاني من كتاب نظرية الدعوى د. محمد نعيم

يتبعها مع الخصوم، بحيث لا يقدم ما يجب تأخيره، ولا يؤخر ما ينبغي تقديمه، وإنما ابتدأنا بهذا الفصل (النظر في الدعوى) لأن ما فيه من المبادئ والكيفيات ينبغي مراعاتها في جميع مراحل النظر في الدعوى من أول الأمر باحضار الخصم إلى أن تنتهي بالحكم، وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين:

أ-أصول المحاكمة.

ب-كيفية سير القاضي مع الخصوم.

## اصول المحاكمة

إن أهم المبادىء التي ينبغي على القاضي مراعاتها أثنا النظر في الدعوى خمسة:

صرح الفقهاء ببعضها وأشاروا إلى الأخرى بما ذكروه من مسائل، وأوجبوا بعضها على القاضي واستحبوا له البعض الآخر.

### وهذه المبادىء الخمسة:

**١-المساواة بين الخصوم.**

**٢-علنية المحاكمة.**

**٣-مواجهة الخصوم بعضهم ببعض.**

**٤-حرية الخصوم في الدفاع.**

**٥-اعتدال القاضي أثناء النظر في الدعوى.**

### ١-المساواة بين الخصمين:

استحب بعض الفقهاء المساواة بين الخصمين في المعاملة أثناء المحاكمة، ورد عليهم القاضي الشافعي ابن أبي الدم فقال بوجوبها[1] ، وقال: إن كل ما يؤدي إلى التمييز بينهما حرام، ورأي ابن أبي الدم أوجه وألصق بروح الشريعة ، والمساواة بين الخصوم من حيث مكان المحكمة -في وسط البلد- ومن حيث:

١- الدخول عليه بالترتيب.

٢- توجيه السؤال.

٣- الابتسام والإشارة.

٤- التلقين في الرجوع أو الاقرار أو غير ذلك.

وفي هذا الباب أحاديث ضعيفة منها (من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر).[2]

### وأقوى الأدلة في هذا:

**رسالة عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه** (آس بين الناس في مجلسك، وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك).

وقد أطال ابن القيم في تصحيح رسالة عمر و شرح الكلام المذكور فقال[3] (اذا عدل الحاكم في هذا بين الخصمين فهو عنوان عدله في الحكومة، فمتى خص أحد الخصمين بالدخول عليه، أو القيام له، أو بصدر المجلس، والاقبال عليه، والبشاشة له ، والنظر إليه، كان عنوان حيفه وظلمه).

وقد اختصم عمر مع أبي بن كعب، فترافعا إلى زيد بن ثابت، فقدم زيد عمر في صدر المجلس، فقال له عمر: جرت في أول

القضاء، وقال زيد لأبي: أعف أمير المؤمنين من اليمين، فحلف عمر... وأخيراً أقسم عمر لا يدرك زيد باب القضاء حتى يكون ء ورجل من عرض المسلمين عنده سواء) (١).

ومن المساواة: جلوس الخصمين بين يدي القاضي (لما ورد في حديث عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قضى أن يجلس الخصمان بين يدي الحاكم)(٢).

**ومن أجل المساواة منعوا القاضي من بعض التصرفات:**

**١- كرهوا له المتاجرة بنفسه:** قال عمر لشريح (لا تسار ولا تضار ولا تبع ولا تبتع مادمت في القضاء).

وقال عمر بن عبدالعزيز:( تجارة الولاة لهم مفسدة، وللرعية مهلكة ).

**٢-كرهوا للقاضي أن يستعير أو يقترض** ممن لم يكن قبل القضاء يستعير أو يقترض منه.

**٣-يحرم عليه قبول الهدية، ففي الصحيح (هدايا العمال غلول).** (٣)

وأجاز كثير من الفقهاء، للقاضي قبول الهدية ممن اعتاد إهداءه قبل القضاء بشرطين:

١-أن لا يكون بينه -المهدي- وبين أحد خصومة وقت الهدية.

٢-أن لا يزيد في الهدية عما إعتاد قبل القضاء

٣- وقد حرم ابن قدامة قبول الهدية على القاضي، وقال الحنفية يكره ولا يحرم، أما اثناء المحاكمة فحرام.(٤)

**٤-ينبغي للقاضي تجنب الولائم** -إلا وليمة النكاح-، وأجاز الحنبلية والشافعية حضور الولائم.

**٥-وليس للقاضي أن يضيف أحد الخصمين.**

**٦-ويكره للقاضي أن يفتي للخصوم في القضاء** حتى لا يعلم الخصوم قوله، وقد روي عن شريح أنه حين سئل عن مسا لحبس قال (إنما اقضي ولا أفتي).

**التسوية بين الخصمين المسلم والكافر:** ذهب المالكية إلى وجوب التسوية بين المسلم والكافر في الجلوس بين يدي الحاكم.

وقال الشافعية والحنبلية: بل يميز بينهما في الجلوس.

## د بعض الذرائع على القاضي:

**١-عدم جواز قضاء القاضي بعلمه:** وهذا رأي كثير من الفقهاء منهم المالكية ومتأخرو الحنفية (وقول للشافعية) والحنبلية والإما عمد في رواية، وهذا هو الأحوط/وأجازه الشافعية في المشهور عندهم والصاحبان ورواية عن أحمد والزيدية والإمامية.

**٢-منع القاضي من النظر في خصومة له فيها مصلحة أو رحم.**

**٣-منع القاضي من استماع إلى امرأة جميلة** أو ذات منطق جذاب، بل الأولى أن توكل عنها وكيلاً، هذا رأي بعض الفقهاء.

## -علنية المحاكمة:

**نصت المادة ١٨١٥ المجلة** (يجري الحاكم المحاكمة علناً، ولكن لا يفشي الوجه الذي يحكم به قبل الحكم)، والواقع العملي زم سول الله ﷺ والصحابة أنهم كانوا يجرون المحاكمة علنية، واستحب الفقهاء حضور العلماء مجالس القضاء.

قال الكمال بن الهمام (روي أن عثمان رضي الله عنه ما كان يحكم حتى يحضر أربعة من الصحابة، ويستحب أن يحضر لسه جماعة من الفقهاء ويشاورهم، وكان أبوبكر يحضر عمر وعثمان وعلياً، حتى قال أحمد: يحضر مجلسه العلماء من كل مذهب ساورهم فيما يشكل عليه). (٥)

## -المواجهة بين الخصوم:

الاصل في الفقه الإسلامي أنه لا يصح للقاضي النظر في الدعوى مع غياب أحد الخصوم، فلا ينبغي أن يدخل عليه أحدهم صاحبه لا في مجلس قضائه ولا في خلوته، ولا ينبغي أن يجيب أحدهما في غيبة الاخر. (٦)

---

بسوط ٧٣/١٦ والمغني لابن قدامة ٨١/٩. ٢- رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم وأقره الذهبي. ٣- رواه أحمد والبيهقي ٦٨٩٨ صحيح الجامع.
لمغني ٧٧/٩). ٥- فتح القدير ٤٦٧/٥ ٦- القوانين الفقهية ٢٨٥ تبصرة الحكام ٤٢/١ منح الجليل ١٦١/٤

غير أنه اذا ظهر اللدد والتعنت من أحد الخصوم في غيابه جاز للقاضي النظر في الخصومة وإن ظل غائباً، كما يجوز للقاضي أن يطلع على الخصومة اذا عرضها عليه المدعي وإن كان خصمه غائباً ليعرف وجهها أي صالحة أو باطلة.

### ٤-حرية الدفاع:

إن القاضي مأمور بإتاحة الفرصة لكل من طرفي الدعوى لتقديم كل ما عنده من حجج وغيرها، حتى لا يكون لأحد منهما عذر بعد الحكم، فيكون ذلك كما قال عمر رضي الله عنه (أجلى للعمى وأبلغ العذر)[١].

غير أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا المبدأ إعطاء الفرصة للمدعى عليه في التهرب من إجابة دعوى المدعي، كأن يسكت أو يصر على عدم الإقرار والإنكار معاً، إذ بذلك لا يمكن معرفة وجه الحق والحكم به، ولذلك قال بعض الفقهاء: إن المدعى عليه إن لم يجب على دعوى المدعي بإقرار أو إنكار حبس وأدب، فإن أصر على عدم الجواب حكم عليه، لأن الاصرار على ذلك في قوة الانكار.[٢]

وهذا المبدأ لا يعني حرية الخصومة بالمشاجرة والسب في مجلس القضاء، أو اتهام القاضي بالظلم. فإذا حصل هذا فللقاضي زجره وعقوبته.

### ٥-اعتدال القاضي أثناء نظر الدعوى:

يجب أن يكون حال القاضي معتدلاً من ناحية الراحة والشبع والطمأنينة، ففي البخاري ومسلم **(لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان)** [٣].

**وقد كتب عمر إلى أبي موسى:**

**(إياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة، فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر).**

ومع أن النص وارد في الغضب إلا أن الفقهاء ألحقوا به كل ما يشغل النفس: من الهم والنعاس والعطش والتخمة والخوف والمرض وشدة الحزن والسرور ومدافعة الأخبثين وغير ذلك.

وفي ذلك يقول ابن دقيق العيد (النص وارد في المنع من القضاء حالة الغضب، وذلك لما يحصل للنفس بسببه من التشويش الموجب لاختلال النظر وعدم استيفائه على الوجه الصحيح، وعداه الفقهاء بهذا المعنى إلى كل ما يحصل به تشويش الفكر كالجوع والعطش، وهو قياس مظنة على مظنة) [٤].

وقال ابن حجر[٥] (وقول ابن دقيق العيد -قياس مظنة على مظنة- صحيح، وهو استنباط القلب معنى دل عليه النص، قال الشافعي في الأم[٦] أكره للحاكم أن يحكم وهو جائع أو تعب أو مشغول القلب فإن ذلك يضر الحكم).

وقد استنبطه بعضهم كذلك من **الحديث في الصحيحين (إذا نعس أحدكم في صلاته فليرقد، فلا يدري لعله يريد أن يدعو فيسب نفسه).**

**حكم القضاء أثناء الغضب ونحوه:** حمل الجمهور النهي عن القضاء في حال الغضب ونحوه **على الكراهة**، مع أن النهي **ظاهر في التحريم**، وهو ما ذهب إليه الصنعاني[٧]، ولذا فالصنعاني يرى عدم نفاذ الحكم **(فالنهي يقتضي الفساد، والتفرقة بين النهي للذات والنهي للوصف كما يقول الجمهور غير واضح)**، وذهب بعض الحنبلية إلى عدم نفوذ الحكم مع الغضب لأنه منهي عنه بنص الحديث الصحيح ومقتضى النهي فساد المنهي عنه، وأما الجمهور فقالوا بالكراهة، لأن النهي ليس لذات الغضب وإنما لوصف قد يؤدي إليه وهو تشويش الفكر الذي قد يؤدي إلى الظلم) [٨]

### كيفية سير القاضي مع الخصوم:

**لابد قبل أن ينظر القاضي في الدعوى من أمرين:**

---

١- المبسوط ١٦/٦٣ ٢- (الشرح الكبير ٤/١٥١) ٣- فتح الباري ١٣/١٣٧ [illegible]

**١- دعوة الخصم إلى التقاضي والحضور إلى مجلس القضاء:** وإجابة الخصم للمدعي بشأن الحضور واجبة التلبية ديانة معظم الأحيان، إلاّ أنه لا يترتب على عدم الاجابة عليها جواز الحكم على الغائب، بخلاف دعوة القاضي، **فإنه يجب تلبيتها د وقضاء**، حتى إذا امتنع عن تلبيتها جاز للقاضي الحكم غيابيا.

**٢ - الادعاء أمام القاضي بالحق المطلوب. ثم بعد ذلك:**

إذا جلس القاضي للقضاء نظر بالخصومات بالترتيب، وينبغي الفصل في المحاكمة بين الرجال والنساء.

إذا جاء المدعي منفرداً له أن ينظر في قضيته ليري استيفائها أو بطلانها، أما إذا جاء المدعي مع المدعي عليه فموقف المد عليه إمّا:

أ- أن يقر فيكتب القاضي اقراره ويأمره بإيفاء الحق ولا ينفعه الإنكار بعد الاقرار (لا عذر لمن أقر)(١). ب - وإما أن المدعى عليه فيتوجه القاضي بالسؤال الى المدعي، فيسأله إن كان معه بينة أم لا، لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه للحضرمي عندما ادعى أرضا على رجل من كندة وأنكر خصمه (ألك بينة)(٢) .

**ج- الحالة الثالثة:** أن يسكت المدعى عليه فلا يقر ولا ينكر، فمن الفقهاء من يعتبر هذه الحالة اقراراً، ومنهم من يعتبرها إنكا **وإن كان مع المدعي بينة استمع إليها القاضي**

وإن ادعى المدعي غياب بينته أعطاه القاضي مهلة لاحضارها. أو يسأله إن كان يريد يمين خصمه، ولا يجوز للقاضي أن يـ يمين خصمة (المدعي عليه) إلا إذا طلب المدعي ذلك، لأن اليمين حق المدعي بعد أن يصرح المدعي بوجود بينته حاضرة أو غائبة، و **أي الشافعية وأبي يوسف.**(٣)

**وذهب معظم الحنبلية والحنفية إلى أنه ليس للمدعي طلب تحليف الخصم إن كانت بينته حاضرة**(٤) .

**التعجيل بالحكم:** إذا استمع القاضي من الخصمين أقوالهما من حجج وجواب و دفوع وطعون، ووضح الحق أمامه، وجب صدار حكمه على الفور وإيصال الحق إلى صاحبه.

## الحالات التي يجوز للقاضي فيها تأخير الحكم:

**١ - إذا كان القاضي يرجو صلحاً بين الخصوم:**

أ - الصلح بين الطائفتين ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾.

ب - بين الزوجين ﴿ والصلح خير ﴾ .

ج - بين الناس ﴿ ... لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ ، وفي الصحيح الـ اه الترمذي ( **الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً**).

والصلح يكون بايصال الحق إلى صاحبه (... وكثير من الظلمة المصلحين يصلح بين القادر والضعيف المظلوم بما يرضي قادر صاحب الجاه، ويكون له فيه الحظ، ويكون الإغماض والحيف فيه على الضعيف، ويظن أن قد أصلح، ولا يمكن المظلوم من أ ـه، وهذا ظلم) هذا قول ابن القيم.(٥)

والصلح الذي يندب للقاضي عمله هو في حقوق العباد، أما حقوق الله كالزكاة والكفارات والحدود فالصلح فيها- كما يقول ا يم - بين العبد وربه في إقامتها لا في اهمالها، ولهذا لا يقبل في الحدود، و إذا بلغت السلطان فلعن الله الشافع والمشفع(٦).

**٢ - إذا طلب أحد الخصوم الإمهال لاحضار حجة غائبة أو دفع:**

يقول عمر رضي الله عنه (ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي إليه، فإن بينه أعطيته بحقه، وإن أعجزه ذ تحللت عليه القضية، فإن ذلك هو أبلغ في العذر وأجلى للعمى).

**٣ -إذا اشتبه على القاضي الأمر أو وقع في نفسه ارتياب فيما أبداه أحد الخصوم من حجج وكانت الشبهة قوية فله تأخ** كم ليبحث عن الحق ويوالي الكشف.

---

ـزي والباجوري ٣٨٨/٢. ٢- الترمذي/ مسلم/ ١٥٨/٣ . ٣- نهاية المحتاج ١٠١/٨).
ـشاف القناع ١٩٨/٤. ٥- اعلام الموقعين ١٠٨/١. ٦- اعلام الموقعين ١٠٨/١.

# الأعذار عند المالكية

بعد أن تتضح الحجج وأعطي كل واحد حقه من الإمهال وغيره قال الفقهاء:

يصدر القاضي حكمه، وقال المالكية لا بد من الاعذار:

**الاعذار: هو سؤال من توجه عليه موجب الحكم هل له ما يسقطه؟**

قال مالك: (وجه الحكم في القضاء إذا أدلى الخصمان بحجتهما، وفهم القاضي عنهما، وأراد أن يحكم بينهم أن يقول لهما: أبقيت لكما حجة؟ فإن قالا:

لا، حكم بينهما، ثم لا يقبل منهما حجة بعد انفاذ القضاء)(١).

## الحالات التي يجب على القاضي اعذار من توجهت ضده البينة:

١ - يعذر كل من قامت عليه بينة بحق من الحقوق في معاملة أو نحوها، كمن قامت عليه بينة بترتب دين في ذمته.

٢ - يعذر كل من قامت عليه بينة بفساد أو غصب أو تعد بشرط أن لا يكون مشهوراً بفساد أو زندقة.

٣ - يعذر كل من قامت علية بينة في الأسباب الشرعية القديمة أو الحديثة كنكاح أو موت، وفي الوقف إن كان قديماً.

## الحالات التي لا يعذر فيها من توجهت ضده البينة:

١ - إذا كان من أهل الفساد الظاهر أو الزنادقة المشهورين.

٢ - إذا كان استفاضت عليه الشهادة بسبب من الاسباب الشرعية كالاضرار بالزوجة.

٣ - عدم وجوب اعذار المحكوم عليه ببينة شهدت عليه أنه أقر أو أنكر في مجلس القاضي.

٤ - عدم وجوب اعذار المحكوم عليه بشهود ثقات فائقين في عدالتهم إلا من أجل الطعن في قرابتهم أو عداوتهم له.

## الاسس التي تحكم سلطة القاضي في نظر الدعوى

١ - المساواة بين الخصوم في كل معاملة تصدر عن القاضي خلال النظر في الدعوى.

٢ - منع المماطلة واللدد (الخصومة العنيدة) الصادرين عن أي خصم من الخصوم.

٣ - حفظ هيبة مجلس القضاء.

## حضور الخصوم وغيابهم:

تقدم فيما سبق أن المدعي إذا أراد المطالبة بحقه المعتدى عليه عن طريق القضاء سلك أحد سبيلين.

١ - أن يتوجه أولاً إلى خصمه يطلب منه الحضور معه إلى مجلس القاضي، وذلك قبل أن يطلب من القاضي إحضاره من أجل النظر بالخصومة بحضور الاثنين.

٢ - أن يتوجه الى القاضي في مجلسه مباشرة فيطلب منه احضار خصمه المدعى عليه من أجل الخصومة.

وبناء على سلوكه أحد هذين الطريقين يحتمل أن يستجيب المدعي عليه ويحتمل أن يمتنع، فإن استجاب نظرت الدعوى كما سبق.

وإن امتنع فقد رتب الفقهاء أحكاماً نفصلها على النحو التالي في المواضيع التالية:

١ - دعوة المدعي لخصمه المدعى عليه.

٢ - دعوة القاضي للمدعى عليه وكيفية إحضاره.

٣ - في محاكمة الغائب.

دعوة المدعي لخصمه:

الأصل يجب على المدعى عليه الإجابة (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون). قال المازري المالكي ( فيه دليل على أن من دعي الى حاكم فعليه الإجابة ويحرج إن تأخر أي يأثم).

**الأعذار التي تسقط وجوب الحضور:**

١ - المرض الذي لا يستطيع المطلوب معه الحضور إلى مجلس القضاء.

٢ - إذا كان المدعى عليه امرأة غير برزة (لا تظهر)، فقد يمنعها الحياء، والدليل (أغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها).

٣ - الجنون وزوال العقل بالإغماء.

---

لة: هذا الكتاب (فقه الإجراءات والمرافعات) لخصه الإمام الشهيد عبدالله عزام لطلاب الجامعة الإسلامية العالمية -إسلام اباد- إبان تدريسه فيها أوائل الثمانينات.

ومن باب إتمام الفائدة، رأينا من المناسب طباعته على شكل كتيب ليسهل على طلبة العلم تناوله بأسلوب سهل.

وهذا الملخص يستكمل ما يطلب عادة في المنهاج الجامعي.

أخيراً نرجو الله عز وجل أن يثيب صاحب هذا القلم وأن يكرم نزله وأن يجزيه عنا وعن المسلمين خير الجزاء. (الناشر)

# حكم العمل في جماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

# حكم العمل في جماعة *

من الأدلة على وجوب العمل في جماعة ليتسنى للمرء القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قول الله عز وجل:

١- (**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**) (آل عمران: ١٠٣).

وحبل الله هنا: هو القرآن، ورواه علي، وأبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ، وعن مجاهد وقتادة[١] مثل ذلك، والمعنى الحق الذ‍ يه رسول الله ﷺ، وروي عن ابن مسعود أنه قال: هو الجماعة.

قال القرطبي[٢]: والمعنى متقارب متداخل، فإن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة، ورح‍ ‍ه ابن المبارك حيث قال:

*إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا*

قال الجصاص[٣]: هو أمر بالاجتماع، ونهي عن الفرقة الذي أمروا جميعاً بلزومه والاجتماع عليه.

٢- ومن الأدلة كذلك:

(**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب**) (المائدة: ٢)

قال ابن كثير[٤]: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات، وهو التقوى، وينهاهم عن ‍اصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم.

وقال ابن جرير[٥]: وليعن بعضكم بعضاً أيها المؤمنون على البر، وهو العمل بما أمر الله وهو التقوى: هو اتقاء ما أمر الله ب‍ ‍نه واجتنابه من معاصيه، وعلى هذا فقد أمر الله بالتعاون على أمر دينه، والأمر للوجوب.

وأي بر وأي خير أعظم من إعادة المجتمع المسلم الذي يقيم شريعة الله جميعها ويحيا من أجلها، وأي شر وأي إثم أعظم من أن دينُ الله نهبة للناهبين، وحمى مستباحاً لكل ظالم وطاغية، ولكل ضعيف مستضعَف.

إن ترك التعاون لإعادة دين الله إلى الوجود هو أكبر جريمة يرتكبها الناكصون على أعقابهم، المتقاعسون عن النفير لبناء هذا من جديد، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الفرائض التي يُتقربُ بها إلى الله.

يقول الشوكاني[٦]: (إن مَن أخل بواجب النهي عن المنكر فقد عصى الله سبحانه، وتعدى حدوده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الإسلامية، وأجل الفرائض الشرعية، ولهذا كان تاركه شريكاً لفاعل المعصية، ومستحقاً لغضب الله وانتقامه، ‍ح لأهل السبت، فإن الله سبحانه مسخ من لم يشاركهم في الفعل ولكن تركَ الإنكار عليهم، كما مسخ المعتدين فصاروا قردة ‍ر)، والشوكاني يشير إلى الآيات القرآنية في الأعراف (**وإذ قالت أمة منهم لم تعظونَ قوماً الله مُهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ‍عذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون، فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا ‍ن، فلما عَتَوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين**) (الأعراف ١٦٤-١٦٦).

‍ن عكرمة[٧] أن ابن عباس قال له: قد أعياني أن أعلم ما فعل الله بمن أمسك عن الوعظ من أصحاب السبت فقلت له: أنا أعرفك ‍ا الآية الثانية قوله تعالى (**أنجينا الذين ينهون عن السوء**) قال: فقال لي أصبت وكساني حلة.

‍ل الجصاص[٨]: فاستدل ابن عباس بذلك على أن الله أهلك مَن عمل السوء، ومن لم ينه عنه، فجعل الممسكين عن إنكار ‍نزلة فاعليه من العذاب.

---

‍هذا الكتاب كبير جداً حيث وجدنا ملزمة كبيرة لنفس الموضوع بخط الناسخ ولكننا لم نتأكد أنه من كلام الشيخ فاقتصرنا على الملزمة التي بخط الشيخ فقط.

‍القرآن لابن العربي (١/٢٩١). ٢- تفسير القرطبي (٤/١٥٩). ٣- أحكام الجصاص (٢/٣١٤).

‍على القدير لاختصار ابن كثير لنسيب الرفاعي (١/٤٨١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٧٦). ٥- تفسير الطبري (٦/٦٦).

‍شوكاني (فتح القدير ٢/٦٦). ٧- أحكام القرآن للجصاص (٢/٢١٩). ٨- أحكام القرآن للجصاص (٢/٢١٦).

# الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

## فريضة بإجماع المسلمين

أجمع السلف والخلف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة يجب أن يقوم بها قسم من الأمة -في حالة وجود الدولة الإسلامية، والأمة المسلمة التي تعيش في إطار المجتمع المسلم الخاضع لشرع الله ومنهاجه- وإلا كانت الأمة كلها آثمة.

هذا في حالة قيام المجتمع المسلم، أما عند غيابه فيصبح الأمر بالمعروف فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

ولقد اتفق الفقهاء أنه إذ اغتُصب شبرٌ من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم، حتى تخرج المرأة بغير إذن زوجها، وإذا سُبيت امرأة في المشرق وجب على أهل المغرب افتداؤها، ولو أتى على أموالهم جميعاً. هذا في حالة اغتصاب شبر أو سبي امرأة، فكيف إذا اغتُصبَ دينُ الله وأُزيل من الوجود والشهود.

قال الجصاص في أحكام القرآن (١٥٤/٤): (إن الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبينه رسول الله ﷺ في أخبار متواترة عنه فيه، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه).

وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي (١٣/٩): (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين، وعمدة من عمد المسلمين وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من فائدة بعث الرسل، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه)، والقدرة المشترطة هنا: في حالة الأمر بالمعروف، وتغيير المنكر باليد أو باللسان، ولكن هذا لا يعفي إنكار المنكر بالقلب مع المقاطعة وعدم الخلطة).

قال ابن عطية[1]: (والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه، وأمن الضرر على نفسه، وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه).

## ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوجب اللعنة من الله :

يقول الله عزوجل: **(لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصَوا وكانو يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)** (المائدة : ٧٨-٧٩)

وهاتان الآيتان فيمن تركَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه و قلبه، أو أنكر بلسانه مع المخالطة والمعايشة والمؤاكلة. فلقد استحقوا اللعنة بالعصيان والاعتداء، وهو تركُ النهي عن المنكر، وهذا الذي فسره قوله ﷺ فيما رواه عنه ابن مسعود قال: قال ﷺ: **{لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم، وواكلوهم وشاربوهم، وضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، قال: فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال: والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً}** ، قال الترمذي[2]: حديث حسن غريب، وقد رأينا في قصة أصحاب السبت أن الله عزوجل مسخ الساكتين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الذين اعتدوا في السبت.

وفي صحيح مسلم[3]: (عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **{ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لايؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل}**.

وإذن فالأمر جد فلا بد من الجهاد باليد، أو باللسان، أو بالقلب، والجهاد بالقلب عملية إيجابية لها آثرها في واقع الحياة بالمقاطعة، والإعراض، وعدم التعاون، وهذه أدنى مرتبة الجهاد، ولا يبقى بعدها من الإيمان حبة خردل.

وأقل درجات الإيمان الإنكار القلبي، الذي إن اتفقت عليه الأمة لا يظهر فيها فساد، ولا يطغى فيها غشوم، ولا يعلو فيها متجبر، وهذا المسمى بالعصيان المدني، وفي صحيح مسلم[4]: عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنه قال: **{إنه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كرِه فقد برئ ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع}**.

لا بد من الكراهية القلبية، والإنكار بأية وسيلة من وسائل الاحتجاج، وإن ترك الإنكار القلبي يخرج صاحبه من دائرة الإيمان.

## وأبو حنيفة يرى ضرورة العمل الجماعي والالتقاء على رجل صالح

قال ابن المبارك: لما بلغ أبا حنيفة قتلُ إبراهيم الصائغ بكى حتى ظننا أنه سيموت، فخلوت به فقال: كان والله رجلاً عاقلاً، ولقد كنت أخاف عليه هذا الأمر.

قلت: وكيف كان سببه؟ قال: كان يقدم ويسألني، وكان شديدَ البذل لنفسه في طاعة الله، وكان شديدَ الورع، وكنت ربما قدمت إليه الشيء فيسألني عنه ولا يرضاه ولا يذوقه، وربما رضيه فأكله، فسألني عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن اتفقنا على أنه فريضة من الله تعالى، فقال لي: مد يدك حتى أبايعك، فأظلمت الدنيا بيني وبينه، فقلت: ولم؟ قال: دعاني إلى حق من حقوق الله فامتنعت عليه وقلت له:إن قام به رجل وحده قُتِل، ولم يصلح للناس أمر، ولكن إن وجد عليه أعواناً صالحين ورجلاً يرأس عليهم مأموناً على دين الله لا يحول. وكان يقتضي ذلك كلما قدم عليَّ تقاضي العزيمة الملح، كلما قدم عليَّ تقاضاني، فأقول له هذا أمر لا يصلح بواحد، ما أطاقته الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء، وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض، لأنَّ سائر الفرائض يقوم بها الرجل وحده، وهذا متى أمر به الرجل وحده أشاط بدمه، وعرض نفسه للقتل، فأخاف عليه أن يعين علىُ قتل نفسه، وإذا قُتِلَ الرجلُ لم يجترئ غيرُه أن يعرض نفسه، ولكنه ينتظر، وقد قالت الملائكة:

**(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)** (البقرة: ٣٠)

ثم خرج إلى مرو حيث كان أبو مسلم فكلمه بكلام غليظ، فأخذه، فاجتمع عليه فقهاء أهل خراسان وعبادهم حتى أطلقوه، ثم عاوده فزجره، ثم عاوده، ثم قال: ما أجد شيئاً أقوم به لله تعالى أفضل من جهادك، ولأجاهدنك بلساني، ليس لي قوة بيدي، ولكن يراني الله وأنا أبغضك فيه، فقتله.

هذا قول أبي حنيفة وهو يؤكد على ضرورة العمل الجماعي من أجل القيام بفريضة الأمر بالمعروف.

أرأيت قوله[1]:(ولكن إن وجد عليه أعواناً صالحين ورجلاً يرأس عليهم مأموناً على دينه فلا يحول) أي يجب العمل معهم، فلا بد من قيادة صالحة مأمونة على دين الله وجند صالحين صادقين)[2]

(هذا أمر لايصلح بواحد،ما أطاقته الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض لأن سائر الفرائض يقوم بها الرجل وحده).

يقول ابن تيمية في الفتاوى(١٢٧/٢٨): (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد، فأما القلب فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: (وذلك أدنى -أو- أضعف الإيمان) وقال: ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، وقيل لابن مسعود: من ميت الأحياء؟ فقال:(الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً).

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر، وإرادته لهذا، وكراهته لهذا موافقةً لحب الله وبغضه، وإرادته وكراهته الشرعيين، وأن يكون فعله للمحبوب، ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد قال: **(فاتقوا الله ما استطعتم)**.

فأما حبُّ القلب وبغضه، وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب كاملة وكراهته كاملة تامة، وفعل العبد معها بحسب قدرته، فإنه يُعطى ثوابَ الفاعل الكامل

## فهم الصحابة والتابعين لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال: إني أعمل بأعمال الخير كلها إلا خصلتين، قال: وما هما؟ قال: لا آمر بالمعروف ولا أنهى عن المنكر، قال عمر[3]: (لقد طمست سهمين من سهام الإسلام إن شاء غفر لك، وإن شاء عذبك).

---

[1] ... مع الصحيح الترمذي (٨٣/١١).
[2] فتح الباري (٢٣٨/٩)، وصحيح الترمذي (٨٣/١١).
[3] فتح الباري (٢٣٨/٩)، وصحيح الترمذي (٨٣/١١).

أي إن من فضل الله ذلك الناموس الإلهي بإبقاء المدافعة بين الأبرار والفجار، وقيام الحرب بينهم، بدون ذلك فإن الباطل يعم الأرض وتفسد البشرية، وكذلك فإن الإنسان يتضاءل وهو يرى تقاعسه إزاء هذا الواجب العظيم، ويدرك القلب من أعماقه التقصير الكبير حيال هذا الأمر.

وإنني أغمض عيني ليتراءى لي شخوص الذي حموا هذا الدين في حقبات التاريخ المتطاولة، ويرى رخص الحياة لديهم ، ترى من بعيد إبراهيم عليه السلام، وكذلك الأنبياء من بعده عليهم الصلاة والسلام، وأصحاب الأخدود، والسحرة، وأصحاب رسول الله ﷺ من وراء قائدهم، ثم مروراً بابن حنبل، وابن تيمية، وسيد قطب، ومروان حديد وعبد العزيز البدري، لقد رتب الرسول ﷺ مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحديث[1] **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).**

فلا يجوز استعمال اللسان حيث أمكن السنان لإزالة المنكر، ولا يجوز الإنكار القلبي حيث أمكن الزجر والتوبيخ والتذكير بالله. قال الحنفية[2]: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما حالان:

حال يمكن فيها تغيير المنكر وإزالته، ففرض على من أمكنه ذلك بيده أن يزيله.

وإزالته باليد تكون على وجوه، منها: أن لا يمكن إزالته إلا بالسيف، وأن يأتي على نفس فاعل المنكر، فعليه أن يفعل ذلك، كمن رأى رجلا قصده أو قصد غيره بقتله، أو بأخذ ماله، أو قصد الزني بامرأة أو نحو ذلك، وعلم أنه لاينتهي إن أنكره بالقول، أو قاتله بما دون السلاح فعليه أن يقتله لقوله ﷺ: **[من رأى منكم منكراً فليغيره بيده]**، فإذا لم يمكنه تغييره بيده إلا بقتل المقيم على هذا المنكر فعليه أن يقتله فرضاً عليه، وإن غلب في ظنه أنه إن أنكره بيده ودفعه عنه بغير سلاح انتهى عنه لم يجز له الإقدام على قتله، وإن لم يمكن إزالة هذا المنكر إلا بأن يقدم عليه بالقتل من غير إنذار منه له فعليه أن يقتله، ذكر ابن رستم عن محمد بن الحسن: في رجل غصب متاع رجل وسعك قتله حتى تستنقذ المتاع وترده إلى صاحبه.

قال أبو حنيفة في السارق إذا أخذ المتاع: وسعك أن تتبعه حتى تقتله إن لم يرد المتاع، وقال في اللص الذي ينقب البيوت: يسعك قتله.

وقال أبو حنيفة[3] في رجل يريد قلع سنك قال: فلك أن تقتله إذا كنت في موضع لا يعينك عليه الناس، وهذا الذي ذكرناه يدل عليه قوله تعالى **(فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)**، وكذلك قلنا في أصحاب الضرائب والمكوس التي يأخذونها من أمتعة الناس أن دماءهم مباحة، وواجب على المسلمين قتلهم، ولكل واحد من الناس أن يقتل من قدر عليه منهم من غير إنذار منه له ولا التقدم إليه بالقول.

قال الجصاص[4]: وكذلك حكم سائر من كان مقيماً على شيء من المعاصي الموبقات مصراً عليها مجاهراً بها فحكمه حكم من ذكرنا في وجوب النكير عليهم بما أمكن، وتغيير ما هم عليه بيده، فإن لم يستطع فينكر بلسانه، وعلى هذا فليس خرق النظام في المجتمع المسلم عمل سهل يقترفه مرتكبه فيجد الأيادي التي تربت عليها.

إن انتهاك الحرمات، وتعدي حدود الله أمر يهدد الحياة الاجتماعية، ويقطع حبل الأمن فيها، ومن هنا فإن لم تُعَالَج بدواء ناجع فإن الأمور تتميع، وتضيع القيم، ويسود الطغاة، ولقد صور رسول الله ﷺ المجتمع تصويراً دقيقاً بحيث لو سمح لواحد أن يعيث فيه فساداً فإن المجتمع كله يتعرض للإنهيار والدمار.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)**[5].

٢- قول الله عز وجل:

**(إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم**

---

١- رواه مسلم، أنظر رياض الصالحين (١٠٣). ٢- منه الفتاوى أحكام القرآن للجصاص (٢/٣١٧، ٣١٨) ٣، ٤- أحكام القرآن للجاص (٢/٣١٨)

**القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾** (البقرة: ١٧٤).

هذه الآية نزلت في اليهود وأهل الكتاب الذين كتموا صفة النبي ﷺ في التوراة، وحرفوها حتى يصدوا الناس عن دين الله.

إلا أن القاعدة الأصولية: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، فلفظ الآية عام في كل من كتم دين الله وكتابه وشرعته.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما[1] كلمة الفصل في مثل هذه الآيات، وتعتبر القاعدة الأساسية في مثل هذا الموضوع (كا ما ذم الله أهل الكتاب عليه فالمسلمون محذرون من مثله).

يقول الفخر الرازي[2]: (دلت الآية على تحريم الكتمان لكل علم في باب الدين يجب إظهاره).

يقول القرطبي[3]: (هذه الآية وإن كانت في الأحبار فإنها تتناول من المسلمين من كتم الحق مختاراً لذلك بسبب دنيا يصيبها).

فعلى الذين يقعدون عن العمل لدين الله، لايحركون ساكناً، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن منكر أن يعلموا مصيرهم الذ ينتظرهم عند خالقهم الذي لا يكلمهم ولا يزكيهم وأعد لهم عذاباً أليماً.

٢- قوله عز وجل:

**﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس م يشترون﴾** (آل عمران: ١٨٧).

هذه الآية كسابقتها تتكلم عن أهل الكتاب، إلا أن المفسرين يرون أنها عامة لهم ولغيرهم، والقرآن أشرف الكتب، قال الحسد وقتاده[4]: هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب، فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة، وقال علي بن أبي طالب[5]: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا.

وقال أبو هريرة[6]: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية.

وقال محمد بن كعب[7]: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا لجاهل أن يسكت على جهله: حكي أن الحجاج[8] أرسل إل لحسن وقال: ما الذي بلغني عنك؟ فقال: ما كل الذي بلغك عني قلته ولا كل ما قلته بلغك.

قال: أنت الذي قلت إن النفاق كان مقموعاً فأصبح قد تعمم وتقلد سيفاً، فقال: نعم، فقال: وما الذي حملك على هذا ونحـ زره؟ قال: لأن الله أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وعلى هذا فهذه الآية وما قبلها موجبة لإظهار علوم الدي تبيينه للناس، سواء من جهة النص أو جهة المدلول (المعنى)، وما يستنبط من النصوص من أحكام، ولا تقبل توبة كاتم العلم إ تبيين، بدليل قول الله عز وجل.

**﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللا عنون إ ـين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾** (البقرة ١٥٩-١٦٠).

فبينت الآية أن توبة كاتم العلم تقبل بشرط واحد: إذا بين ما علمه الله إياه من الهدى، ولفظ الهدى شامل لكل العقيدة والشريعا ـاء جاءت في القرآن أو السنة.

وبيان الحق اليوم يحتاج إلى جهود ضخمة ينوء لحملها الفرد الواحد، ومن هنا لا بد من التعاون على إظهاره بأن تتكاتف جهو لخلصين، وتنظم طاقتهم، وينسق بين أعمالهم حتى تؤتي ثمارها.

فعلى القاعدين عن العمل لدين الله أن يحذروا، ويشفقوا على أنفسهم من أن تمسهم لعنة الله، والملائكة ودواب الأرض وهوامها هم أن يبادروا بمحاولة إظهار الخير، وأن يستبقوا الخيرات، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر حتى ينالوا ثواب الصادقي ـاهدين -إن شاء الله-.

---

ـسير التحرير والتنوير لمحمد طاهر عاشور (٦٥/٣). ٢- تفسير الرازي (٣٠/٥) طبعة (٣٢) مجلداً. ٣- تفسير القرطبي (٢١٦/٢).
ـظر تفسير القرطبي (٢١٦/٢)، وتفسير الرازي (١٣٠/٩)، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، وأحكام الجصاص (١٢٤/١).
ـظر تفسير القرطبي (٢١٦/٢)، وتفسير الرازي (١٣٠/٩)، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، وأحكام الجصاص (١٢٤/١).
ـنظر تفسير القرطبي (٢١٦/٢)، وتفسير الرازي (١٣٠/٩)، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، وأحكام الجصاص (١٢٤/١).
ـسير القرطبي (٢٠١/٢). ٨- تفسير الرازي (١٣٠/٩).

## طريقك أيها الداعية

وأما العزلة فإنما تكون في المجتمع الجاهلي عزلة شعورية فقط، ولا يمكن أن تتم العزلة العملية بادئ ذي بدء بالنسبة للدعوة، وأما العزلة العملية فإنها لا تتم إلابعد قيام المجتمع المسلم الذي تهيمن عليه شريعة الله، وينفذ فيه حكمه وسلطانه، وهنا تكون المفاصلة العملية، ولو فكرت الدعوة في مراحلها الأولى أن تعتزل المجتمع الجاهلي، وتعيش في الصحاري والكهوف فإن هذا يؤدي إلى تجمد الدعوة، ويعدها عن الناس الذين يمثلون المادة الخام للدعوة الإسلامية، ولهذا فإن رسول الله ﷺ بقي في مكة ولم يسكن في كهف من الكهوف في جبال مكة، ولم يترك مكة لطواغيت الكفر، بل بقي يبلغ الدعوة ويصلي صلاته في فناء الكعبة التي يحيط بها وبداخلها (٣٦٠) صنماً.

لكن على الداعية وهو يخوض معركته مع الجاهلية أن يستصحب في أعماقه معرفة عظمة الله وقدرته، ويشعر تجاه الناس الذي يؤذونه بالشفقة والرحمة، وما أصدقه من تعبير: **(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)**.

إن الخروج من المجتمع الجاهلي والفرار منه أمر أسهل على الداعية من القضاء بين عتاة الكفر الذين قدت قلوبهم من صخر، روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: [**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**]، والناس يجتمعون عليه، ووراءه رجل أحول ذو غديرتين -جديلتين- يقول: إنه صابيء كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب)[1].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: (بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان إلى فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: [**اللهم عليك بقريش**] ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: [**اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبه بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة وأميه بن خلف،وعقبة بن أبي معيط**][2]. وذكر السابع لم أحفظه، فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب -قليب بدر-، وعلى هذا فلم يخرج رسول الله ﷺ من مكة، بل بقي صامداً أمام الجاهلية يحطم عقائدها بالقرآن، ويدمر كيانها بالتنظيم الذي يأخذ أفراده من هذا الوسط الجاهلي الصاخب.

يقول الأستاذ سيد قطب في مقدمة سورة الرعد (د/٦١): (إن الجيل يعيش في جاهلية كالتي نزل القرآن ليواجهها، بينما هم لا يتحركون بهذا القرآن في مواجهة الجاهلية كما كان الذين تنزل عليهم القرآن أول مرة يتحركون...، وبدون هذه الحركة لم يعد الناس يدركون من أسرار هذا القرآن شيئاً، فهذا القرآن لايُدرِكُ أسراره قاعد، ولا يعلم مدلولاته إلا إنسان يؤمن به، ويتحرك به في وجه الجاهلية لتحقيق مدلوله ووجهته)، ولذا فقد (انماعت) وذبلت في حس الجيل، وتصوره مدلولات القرآن وأبعاده الحقيقية، وانحرفت في حسه مصطلحاته عن معانيها.

## دعائم الداعية

لا بد للداعية من دعائم ثلاثة:

١- العلم. ٢- الرفق. ٣- الصبر.

أولاً: أما العلم فهو ضروري للداعية لأنه ينقل دين الله، فلا يجوز له أن ينقل كلمة ما لم يتأكد من صحتها: **(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)**.

لأن العابد الجاهل كالعالم الفاجر سواء بسواء، كلاهما ضرره أكثر من نفعه، وقد نهى رب العزة عن اتباع الظن، وذم الظن في مواطن كثيرة من كتابه العزيز: **(إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئاً)**.

عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار][1].

وعن مسلم عن المغيرة مرفوعاً: [من حدثَ عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين][2].

قال عمر بن عبد العزيز[3]: مَنْ عَبدَ الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وعن معاذ: العلم إمام العمل، والعمل تابعه، لا لله عز وجل لا يقبل عملاً إلا بشرطين: أن يكون خالصاً وصواباً، والخالص: أن يكون صادقاً لوجه الله لا يخالطه رياء، ولا شرك صواباً: موافقاً للسنة، وهذا معنى قوله تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) كما قال الفضيل بن عياض: وهو كذلك معنى الآية:

**(ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً)** (النساء:)

فإسلام الوجه: هو الإخلاص، والإحسان: أن تعمل العمل موافقاً للشرع، وهو معنى دعاء عمر بن الخطاب[4] رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد منه شيئاً).

وعن سعيد بن جبير[5]: لا يقبل قول وعمل إلا بنية، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة.

وعن الحسن البصري: لا يصلح قول وعمل إلا بنية، ولا يصلح قول وعمل إلا بموافقة السنة.

ثانياً: أما الرفق فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة فيه: ففي صحيح مسلم عن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ ل: [من يُحَرم الرفق يُحَرم الخير][6].

وروى مسلم بإسناده عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: **[إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه]، [ئ شة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف]**[7].

وهذا معنى قوله تعالى:

**(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بتدين)** (النحل: ١٢٥).

وقلوب البشر كالزجاج رقيقة قد تكسرها الكلمة الفظة الغليظة، فتنفر من الداعية، ولا تعود إلى الانجبار والالتئام، وكم من كلمة دخلت إلى القلوب فهزتها، وحركتها وأيقظتها من سباتها، وصدق الله العظيم:

**(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)** (آل عمران: ١٥٩).

ثالثاً: الصبر، لأن الداعية لا بد أن يتعرض للأذى وهو يقابل الناس بما يخالف معتقداتهم وآرائهم، وينقض مبادئهم، ويسفه مهم، ولذا فقد ورد في النظم الكريم على لسان لقمان لابنه وهو يعظه:

**(يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)** (لقمان: ١٧).

وكأن النص المبين يشي أن الإيذاء ملازم للأمر بالمعروف، فلا بد من العمل، والصبر وصية الله إلى الرسل أجمعين عليهم الصلا ثم: **(ولربك فاصبر)**.

**(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)** (الأحقاف: ٣٥).

## لا بد من هذه الأمور الثلاثة للأمر والنهي

العلم قبل الأمر والنهي، الرفق مع الأمر والنهي، الصبر بعد الأمر والنهي.

وقد جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعاً، ذكره القاضي أبي يعلى في المعتمد[8]: (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً في ما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى

---

ـر مسلم (٢/٢٥٢) الحديثان (١٨٦٢، ١٨٦٣).
٢- مختصر مسلم (٢/٢٥٢) الحديثان (١٨٦٢، ١٨٦٣).
٣- فتاوى ابن تيمية (٢٨/١٣٦، ٢٨/١٧٧).
ع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/١٧٦).
٥- مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/١٣٦، ٢٨/١٧٧).
٦- مختصر صحيح مسلم (٢/٢٢٤).
ـر صحيح مسلم (٢/٢٢٤).
٨- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/١٣٧).

# أجر العاملين

طوبى للدعاة:(وطوبى: الجنة، وقيل هي شجرة فيها)[1].

ففي صحيح مسلم: {**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**}، وزاد أحمد {**قالوا يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل**}، وفي رواية الترمذي: {**الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي**}، وفي رواية أحمد والطبراني:{**قوم قليل في قوم سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**}.

---

١- النهاية في غريب الحديث (٣/١٤٠).

ملاحظة: هذا الكتاب (حكم العمل في جماعة) النظرة الثاقبة والرأي السديد في ضرورة العمل الجماعي للذين يحاولون إعادة الصرح العظيم.

كيف فهم الصحابة والتابعين فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وحقيقة العزلة في المجتمع الجاهلي والمجتمع الإسلامي.

# جهاد
# شعب مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

## الجزء الأول

# مسيرة شعب الإباء

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

يكاد المؤرخون يجمعون أن أكثر شعب في القرون الثلاثة الأخيرة- إن لم يكن أكثر شعب في البشرية- ضحى لصون كرامته وحفظ عزته وحماية شرفه، هو الشعب الأفغاني المسلم.

فقد قدم هذا الشعب العزيز الكثير من التضحيات، وبذل ضرائب غالية للاحتفاظ بإبائه، حتى لا يحني هامته لمعتد، ولا يطأطئ عنقه لعاصفة.

فأضحت العزة جزءاً من كينونته، والكرامة تجري في عروقه طبعاً لا تطبعاً، وأصبح الجهاد طينته، والقتال فطرته، والفروسية سداه، والشجاعة لحمته..

*ورثو الكرامة كابراً عن كابر إن الكرام هم بنو الإكرام*

ولذا فعندما تحتك بالشعب الأفغاني المسلم تتبدى لك أصالة معدنه، وكرم محتده (أصله)، ونبل أخلاقه، وسمو آفاقه.

يبدو لك شعب -مع بساطته- يطوي جوانحه على أخلاق رفيعة وعلو اهتمامات ورفعة آمال وتطلعات.

فهو يجمع بين الرجولة والإباء، والكرم والحياء، والترفع والوفاء، والشرف والسخاء، يحب الشجاعة، ويعشق العلياء ويكره الدنية، ويمقت الاستخذاء (الذل).

لا يسلم قياده إلا لخالقه، ولا يذل جبهته إلا لمولاه، قوم أخلصوا لمبادئهم فخطوها بدمائهم، وكتبوا قصة مسيرتهم بعرقهم ونجيعهم، اعتنقوا البوذية أولاً فنشروها في أواسط آسيا وشرقها، ثم شرفهم الله بالإسلام فبذلوا له الغالي والرخيص والنفس والنفيس.

*قوم تفرست المنايا فيكم فرأت لكم في الحرب .صبر كرام*
*تالله ما علم امرؤ لولاكم كيف السخاء وكيف ضرب الهام*

وتنظر إليهم فتراهم حول علمائهم وأبطالهم، ويكرمون ضيوفهم ويحترمونهم ولو ببذل دمائهم، يجلون العالم ويحترمون الكبير.

وأذكر أننا جئنا بامرأة كبيرة مع زوجها، وسكنوا في ملحق تابع للبيت لتساعدنا المرأة في المطبخ، ثم سافر أهلي في إجازة، فأخذت الرجل إلى أحد إخواني يعمل في وظيفة مرموقة ودخله أكثر من دخلي من أجل أن يعملوا في بيته، فرفض الرجل بإباء وقال: نحن خدمناك لأنك عالم، قال هذا مع أنه في حاجة لثمن الرغيف.

ومرة أخرى: كان أحد المجاهدين في بيتي فذهبت لأحضر له الفطور، فرجعت إلى الغرفة فوجدته قد غادر المنزل، فسألته فيما بعد فقال: استحييت على نفسي أن يحمل لي عالم فطوري.

*فما رأنا الهدى إلا كواكبه وما رأنا الندى إلا عناوينا*
*وما رأنا العدى إلا جبابرة وما رأنا العدى إلا قرابينا*
*نفوسنا السلسل الصافي فإن غضبت للحق ثارت على الباغي براكينا*
*عشنا أبيين أحراراً فإن هلكت فيَ الحق أنفسنا متنا أبيينا*

## إجماع:

ويجمع المراقبون أن الجهاد الأفغاني خارقة من خوارق العصر، أذهلت المؤرخين أن يفسروها، وحارت عقول المراقبين في

والحق أن هذا الثبات العجيب الذي دونه ثبوت الشم الرواسي، وهذا الصمود الذي يشبه الأساطير، والذي يحسبه القارئ بعيد ضرباً من الخيال، تدركه الأشواق وتقصر دونه الأفعال، هذا الصبر والثبات محل إجماع من أولي الأحلام والنهى أنها فر العصر وخريدة الدهر.

وقد كنت أتحدث مع فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز عن الجهاد فقال: ما كنا نظن أن هذا الشعب يصمد أمام الروس سب يام فضلاً عن أن يصير سبع سنوات.

ويقف المرأ مذهولاً أمام هذه الظاهرة الفريدة، وينظر باعتزاز وإجلال مع الإغضاء والحياء أمام هذا الشعب الصامد المسا يحسبها هذه هي المرة الوحيدة في تاريخ هذا الشعب، ولا يعلم الكثيرون أن هذه هي المرة السابعة التي يهب هذا الشعب فيها للذ ن حياضه، والدفاع عن دينه ومبادئه خلال قرنين من الزمان منذ بداية مسيرة أفغانستان الحديثة -التي بدأت خطوطها مع ظه حمد شاه بابا (دوراني)- فكيف حصل النفير العام في هذه المرات السبع؟

## ذلكة تاريخية:

كان الفرس والمغول يتنازعان حكم أفغانستان، فقد كان المغول يحكمون الهند، ثم يمدون أذرعهم من خلال منطقة بلوشست ضمون إليهم قندهار، وكان الفرس من خلال الدولة الصفوية يصولون على هرات فيبتلعونها، ولكنهم لا يستطيعون هضمها، فتصب سة في صدورهم لا يستريحون حتى يخرجوها من بطونهم.

ويقي الأمر كذلك حتى بداية القرن الثامن عشر، حتى ضعف المغول بموت الملك الصالح (أورنك زيب عالمكير) سنة (١٧٠٧، محل أمر الفرس الصفويين بموت الشاه حسين سنة (١٧٢٢م).

وبدأت قبائل البشتون القاطنة في سفوح الهندوكوش تسيح في السهول بعد أن ضاقت بها الجبال، فانسابت قبائل منها نحـ ض نهر هلمند، وامتدت القبائل الأخرى نحو الحدود الشمالية الغربية من الهند حيث تشكل هذه القبائل الآن الأغلبية الساحا ن منطقة سرحد الباكستانية (N.W.F.P).

وبدأ البشتون يحسون بكيانهم الذاتي الذي أيقظه فيهم بعض الزعماء والشعراء مثل بايزيد أنسر (الزعيم الكبير) و (خا ن).

## ل الغلزائي والأبدالي:

تعتبر قبائل الغلزائي أقوى القبائل في منطقة قندهار، ويقابلها في هرات قبائل الأبدالي، فثارت قبائل الغلزائي تحت قياد ا (مير فايز) على الحاكم الفارسي (جورجن) ممثل الدولة الصفوية في قندهار سنة (١٧٠٩م)، وثارت قبائل الأبدالي ضد الحاك سي (أسد الله خان) مندوب الدولة الصفوية في هرات سنة (١٧١٦م).

ثم مات (مير فايز) فتربع ابنه شاه محمد على عرش قندهار، ومد بصره نحو الغرب حيث صمم على الإطاحة بملك الصفويين أصفهان ثم سقطت بيده كرمان سنة (١٧٢٠م)، ثم قوض الدولة الصفوية في فترة وجيزة، وأراح المسلمين من هذا الكابوس المظلم الذي أحال الأرض إلى صحراء مقفرة لا ترى فيها سوى الدماء والأشلاء.

ونقل شاه محمد عاصمته إلى كابل سنة (١٧٢٢م) وتوفي سنة (١٧٢٥م)، وخلفه ابنه (أشرف) الذي قاد البلاد بشجاعة نادرة عالية، واستطاع أن يهزم الروس سنة (١٧٢٦م) في (دربنب: باب الأبواب) ويوقف تقدم العثمانيين.

ولكن ثار على أشرف أحد قطاع الطرق من فارس أسمه (نادر قولي بك)، والتقى مع أشرف في معركة دامغان سنة (١٧٢٩م شرف.

استلم حكم البلاد نادر قولي، وتوج نفسه ملكاً على أفغانستان سنة (١٧٣٧م)، ثم انطلق نحو الهند، والتقى مع المغول فر كارنال)، وهزمهم وسلبهم التاج الماسي المسمى (كوه نور)، وأخذ عرش المغول إلى فارس، وهذا الذي يتربع فوقه ملوك إيرا (عرش الطاووس)، وكان آخرهم رضا شاه بهلوي الذي غادر إيران سنة (١٩٧٩م) إثر الثورة الإيرانية.

## بروز أحمد شاه دوراني (١٧٤٧-١٧٧٣م):

اغتيل نادر شاه سنة (١٧٤٧م) فبرز أحد أبناء قبائل الأبدالي وهو أحمد شاه وأعلن نفسه وصياً على حفيد نادر شاه المسمى (شاه رخ)، وبدأ أحمد شاه يقود الأفغان ويحرر المدن، فحرر قندهار بأربعة آلاف، والتفت القبائل ونصبته أميراً، وسمى نفسه (دره دوريان أي درة الدرر) ولذلك سمي الدوراني.

وانطلق أحمد شاه يوسع حدود مملكته، فانطلق نحو الغرب (نحو خراسان) وأطاح ببقايا حكم الفرس القاجاري، ثم توسع نحو الشرق ووصل دلهي وأطاح بحكم المغول والهندوس، فأصبحت مملكته تمتد من نهر جيحون شمالاً إلى بحر العرب جنوباً، ومن كشمير ودلهي شرقاً إلى مشهد غرباً، وسماه الشعب الأفغاني بالأب (بابا).

## الانتفاضات التاريخية السبع:

لقد كان القتال ضد الروس سابع الانتفاضات التاريخية العريقة التي هب فيها الشعب المسلم الأفغاني للجهاد.

وكانت هذه المسيرات مرتبة زمنياً حسب التفصيل:

**١- الإنتفاضة الأولى: الجهاد ضد الهندوس.**

على إثر ضعف الإمبراطورية المغولية برز رجل هندوسي اسمه (سي وجيه)، وهو أحد كهنتهم الروحيين، وأعلن عن مخطط إرهابي يتضمن نقاطاً بارزة على رأسها:

أ- أن كل المسلمين في الهند لا بد أن يعودوا إلى دينهم الأصلي وهو الهندوسية.

ب- لا بد أن تعود الإمبراطورية الهندوسية إلى حدودها الأصلية (جبال الهندوكوش).

جـ- أن أفغانستان يجب أن تمسح من الوجود لأنها تربي القادة الذين يطيحون بممالك الهند.

واتحد الهندوس مع السيخ تحت قيادة (سي وجيه)، ودخلوا دلهي، وأعملوا السفك والنهب في المسلمين، وأقاموا المجازر لهم.

## استغاثة ولي الله:

وهنا كتب العالم الرباني (شاه ولي الله الدهلوي) إلى أحمد شاه دوراني أنك بإذن الله المرشح الوحيد لإنقاذ الهند من المجازر وتخليص المسلمين من الإبادة، وهب أحمد شاه دوراني كالليث الهزبر لحماية المسلمين في الهند، واستنفر الناس، وجمع سبعين ألفاً من قندهار، وافتتح بيشاور، ثم توجه إلى لاهور ورضخت له، ثم انطلق إلى دلهي (دهلي)، والتقى بالهندوس في (باني بات) (١٤كم) عن دلهي وعدد الكفار ثلاثمائة ألف، ودارت رحى معركة طاحنة وحرب ضروس أسفرت بعد ثلاثة أيام عن هزيمة الهندوس، بعد أن خلفوا وراءهم جثث مائة وعشرين ألفاً مجندلين بدمائهم بضربات الأيدي المتوضئة.

فأتتهم خوارق الأرض ما تحمل إلا الحديد، والأبطال خافيات الألوان قد نسج النقع عليها براقعاً وجلالاً، وسقط خمسة عشر ألف شهيد ضمخوا الثرى الطيب بدمائهم، وأضحى (تيمورلنك) ابن أحمد شاه بابا أمير لاهور.

**٢- الانتفاضة الثانية على يد دوست محمد ضد السيخ سنة (١٨٣٦م).**

قد ذكرنا فيما تقدم انتصار أحمد شاه على جيش المهراجا الهندي الانتصار الساحق سنة (١٧٦١م)، وبقي يحكم هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف حتى توفي سنة (١٧٧٣م).

وتولى الحكم بعده ابنه (تيمورلنك) الذي حكم عشرين عاماً من (١٧٧٣-١٧٩٣م)، وقد نقل العاصمة إلى كابل، فأصبحت العاصمة الصيفية، وصارت بيشاور العاصمة الشتوية، وبعد وفاة تيمورلنك سنة (١٧٩٣م) بدأت دولته المترامية الأطراف تتفتت بسبب الخلافات التي دبت بين أبنائه.

*وتفرقوا شيعاً فكل محلة فيها أمير المؤمنين ومنبر*

[illegible] الخلافات إلا [illegible] أن أودت بمعظم الأمراء أبناء تيمورلنك فسقطوا قتلى في المعارك الداخلية وانتهى حكم الأسرة

وبدأ الأعداء من كل جانب يتناوشون دولة تيمورلنك الواسعة، فتقدم حاكم بخارى واحتل مدينة بلخ، واحتل السيخ تحت ق (رانجي سنغ) مقاطعات الحدود وكشمير، وسقطت بيشاور بأيديهم سنة (١٨٣٤م)، واستقلت السند وبلوشستان من حكم أفغانستا

وكان أبرز أبناء العائلة الجديدة المالكة (البركزاي) دوست محمد الذي لم يبق بيده سوى كابل وغزني وجلال أباد.

فعندما سقطت بيشاور بيد السيخ بدأ يفكر باسترجاعها، وأعلن النفير العام ضد السيخ، ورفع راية الجهاد، وتقدم حتى و بيشاور، ولكن (رانجي سنغ) زعيم السيخ استطاع أن يبث بذور الفتنة داخل صفوف الجيش الأفغاني المتقدم، ورجع الجيش دون يعمل شيئاً.

**٣- النفير العام الثالث سنة (١٨٣٦م).**

عاد دست محمد عن أبواب بيشاور خائباً، ولكنه بعد عام نظم جيشه، وتحت ضغط الشعب الأفغاني الذي قام بسبب المذ التي جرت للمسلمين في بيشاور، وسار الجيش الأفغاني تحت قيادة (وزير محمد أكبر خان) الابن الاكبر لدوست محمد، والا الجيشان في (جمرود-بيشاور)، وكان قائد السيخ ابن (رانجي سنغ)، واستطاع (وزير محمد أكبر خان) أن يقتل قائد السيخ، و لسيخ بالفرار، وانتصر المسلمون.

**٤- الانتفاضة الرابعة: الحرب ضد بريطانيا سنة (١٨٣٨-١٨٤٢م).**

كانت بريطانيا تخشى من اتصالات نابليون مع الكسندر الأول (قيصر روسيا) محاولة منهما لدخول الهند التي تحك ريطانيا عن طريق أفغانستان وإيران، ووصلت أول بعثة بريطانية إلى بيشاور سنة (١٨٠٩م) بقيادة (لفنجستون)، وعقد معاهدة ند ع (شاه شجاع) أحد أبناء تيمورلنك، ثم فقد شاه شجاع ملكه فلجأ إلى البريطانيين في الهند، وفي سنة (١٨٣٩م) احتل الجي بريطاني كابل وقندهار، وأوعز المعتمد البريطاني في الهند (أوكلاند) بإعادة شاه شجاع ملكاً على أفغانستان.

وجاءوا به من الهند عن طريق (كويتا)، وتوجوه ملكاً في مسجد أحمد شاه في قندهار، واحتلت بريطانيا (غزنه وكابل)، ونة اصمة شاه إلى كابل، وفر دوست محمد من كابل.

وأبى الشعب المسلم الأفغاني الاحتلال، ورفض أن يفرض عليه ملك من قبل الإنجليز.

*بئس الحياة إذا الطاغوت عبّدنا     نجر أيامها صفراً مرائينا*

وانتفض الشعب وقاموا على ملكهم العميل وقتلوه -في عملية جريئة في شوارع كابل والجنود يحملونه على أكتافهم-، فة د المجاهدين واسمه (شجاع دولة) وأعلن (أختر خان) الجهاد ضد بريطانيا، وعاد دوست محمد مع ابنه (وزير محمد أكبر خا اتلان ضد الإنجليز مع الشعب المسلم، ووقعت معركة (بافاندارامن) في (٢) تشرين الثاني سنة (١٨٤٠م)، وانتصر دوست مد اليوم الأول، ثم هزم في اليوم الثاني، فأسرته بريطانيا وأخذته إلى (كلكته)، وبقي ابنه أكبر خان يقاتل، وجرت مفاوضات بين أ ن وبين (ماكنتون) ممثل بريطانيا، فقطع أكبر خان رأس ماكنتون بالسيف أثناء المفاوضات.

وعلى أثر ذلك قررت بريطانيا الانسحاب في (١٨٤٢/١/٦م) وكان عددهم (٤) آلاف بريطاني وهندي، ومعهم (١٢) من الجن بعين، وسلك البريطانيون طريق وادي (جك دلك) -بين كابل وجلال أباد- وأعمل المجاهدون فيهم السيف، حتى إذا وصلوا (ا ال) كان قد بقي أخر جندي من الجيش وهو (الدكتور برايدون) الذي كان الناجي الوحيد ليخبر قومه مغبة الاصطدام بجن سلام.

وكان القائد العسكري للجيش البريطاني (لفنجستون) الذي هزم نابليون في معركة (واترلو) سنة (١٨١٥م)، فأسره أكبر خ جنه في غرفة في (جك دلك)، ومات في السجن رهن القيود، وكذلك قتل من الإنجليز (الكسندر بورنر)

وكان أبرز قادة الجهاد في هذه الحرب (وزير محمد أكبر خان) و (سردار أحمد خان) و (مير مسجدي خان) و (نواب محـ خان) و (نائب أمين الله لوكري) و (عبد الله خان) و (أختر خان).

**٥- النفير الخامس.**

وكان هذا يمثل الفترة الثانية في الجهاد ضد الإنجليز، فقد حاول الإنجليز أن يرجعوا إلى كابل في صيف نفس العام ـ ٧م)، إلا أن المعتمد في الهند (إيلينبورغ) أمر بسحب الجيش البريطاني، وأمر بإعادة (دوست محمد) ليكون ملك أفغانستان بـ

أن أملوا عليه السياسة التي ينهج.

عاد دوست محمد سنة (١٨٤٣م) إلى كابل، وامتد حكمه حتى سنة (١٨٦٣م)، وخلال هذه الفترة أعاد قندهار وهرات وبلخ إلى قبضته وتحت سيطرته، وبعد عودة دوست محمد قتل ابنه (وزير أكبر خان) المجاهد بطريقة غامضة، وتشير كثير من أصابع المؤرخين بأصابع الإتهام إلى أبيه أنه قد قتله بالسم.

ثم جاء بعد دوست محمد ابنه (شير علي خان) وحكم أفغانستان سنة (١٨٦٣-١٨٦٦م)، ثم أقصي عن الحكم، ثم عاد وحكم البلاد من سنة (١٨٦٩-١٨٧٩م).

وكان سبب هذه الحرب مع الإنجليز أن بريطانيا هلعت وهي ترى روسيا تحتل طشقند وخوارزم وتصل إلى نهر جيحون، وأرسلت روسيا بعثة عسكرية برئاسة الجنرال (ليتوفر) الذي وصل إلى كابل وعقد معاهدة مع شير علي.

وهنا أرسلت بريطانيا بعثة لتقابل شير علي فمنعت من دخول أفغانستان، وهنا اقتحم اللورد روبرتس أفغانستان ودخلها من الممرات الثلاثة الشهيرة في كانون الأول سنة (١٨٧٩م)، وأعلن العالم الرباني (مسك عالم دين محمد) من غزني الجهاد ضد بريطانيا، وكان القادة العسكريون (محمد جان) -من وردك- وكان في جبهة كابل وجنرال (محمد كريم خان) و (مير بجا خان) في بجرام و (عصمت الله خان) في لغمان وتجاب.

وعندما دخل الإنجليز هرب (شير علي خان) إلى مزار شريف وطلب النجدة من روسيا فرفضت، وخلف وراءه ابنه (يعقوب خان) في كابل.

ووقعت بريطانيا في (٢٦) مايو (١٨٧٩م) معاهدة مع أفغانستان، وأرسلت بعثة دائمة إلى كابل تشرف على السياسة الخارجية في أفغانستان.

وفي (٣) سبتمبر سنة (١٨٧٩م) أباد الشعب الأفغاني جميع أفراد البعثة في قلعة (بالاحصار)، ولكن بريطانيا أرسلت قوات أخرى واحتلت كابل، وألقت القبض على يعقوب خان وأرسلته إلى الهند ومات فيها سنة (١٩٢٣م).

ومكثت بريطانيا في كابل (١٨٧٩-١٨٨٠م) ثم اضطرت للدخول في مفاوضات مع الأمير عبد الرحمن -حفيد دوست محمد-، ثم بدأت بالاستعداد للانسحاب، فجاءتها الأخبار أن أيوب خان (أخا يعقوب خان) قد أباد حامية بريطانية في (ميوند) بالقرب من قندهار، فأرسلت عشرة آلاف جندي إلى قندهار وهزموا أيوب خان.

وفي أيام عبد الرحمن خان سنة (١٨٩٣م) جاء (ديوراند) البريطاني على رأس بعثة بريطانية وخطط الحدود الشرقية والجنوبية -التي تفصل أفغانستان عن الهند- وسمي خط الحدود بخط (ديوراند).

**٦- الانتفاضة السادسة على يد أمان الله خان ضد بريطانيا.**

إذ أن أمان الله خان بعد اعتلائه العرش سنة (١٩١٩م) أرسل رسالة إلى المعتمد البريطاني في الهند يخبره فيها استقلال أفغانستان داخلياً وخارجياً، فتجاهلت بريطانيا الرسالة، وردت بضرورة استمرار الوضع بين بريطانيا وأفغانستان كما هو، فأعلن أمان الله النفير العام ضد بريطانيا، وسلم قيادة الجيش لنادر شاه، وقد كانت هنالك ثلاث جبهات:

أ- جبهة قندهار قائدها سردار عبد القدوس.

ب- جبهة جلال أباد قائدها جنرال صالح محمد خان.

جـ- جبهة بكتيا قائدها جنرال محمد نادر شاه.

وكان قائد المدفعية مع عبد القيوم البغماني، واستطاعوا بعون الله هزيمة بريطانيا، ودخل نادر شاه مع عبد القيوم الحدود الهندية واحتلوا مدينة تل، وخشيت بريطانيا أن يثير الأفغان الجهاد العام ضد بريطانيا، وبدأت ترتعد أن يقوم الشعب الهندي المسلم بانتفاضة إسلامية ضدها.

وهنا أعلن تشرتشل من لندن استقلال أفغانستان، وفي (٨) أغسطس سنة (١٩١٩م) وقعت اتفاقية روالبندي التي اعترفت فيها انجلترا باستقلال أفغانستان التام.

٧- وكانت الانتفاضة السابعة يوم أن أعلنت الحركة الإسلامية جهادها المسلح ضد داوود سنة (١٩٧٥م)، وكان على ر الحركة آنذاك (رباني وسياف وحكمتيار)، ثم كان الجهاد العام والنفير الكبير بعد الانقلاب الشيوعي البواح الذي جاء بتراقي الحكم في (٢٧) نيسان سنة (١٩٧٨م)، وقد أعلنه العلماء وانضموا وراء ركب الحركة الإسلامية الذي سبقهم إلى الميدان بـ سنوات.

٨- وهنالك الانتفاضات المباركة ضد الملوك الذين حاولوا سلخ أفغانستان عن دينها، وتمييع الولاء والبراء في عقيدتها، واجتـ العقيدة الإسلامية تدريجياً من أعماق الشعب المسلم، باسم حركات الإصلاح والتحرير والتقدم والتغيير والتنوير.

وقد حاول الملك حبيب الله خان سنة (١٩٠١م-١٩١٩م) أن يمسح القيم، ويروض الشعب بقبول الكفر تدريجياً، ولكن مو السخط العام لدى الشعب أدت إلى تململه، مما حدا بأحد المسلمين أن يردي الملك قتيلاً بالرصاص في (٢٠) فبراير سنة (١٩١٩م)

وبعد قتل حبيب الله تولى ابنه أمان الله حكم أفغانستان من (١٩١٩م-١٩٢٩م) ولم يكن له في قصة أبيه عبرة، ولم يتعظ جرى لأبيه، وكان رجلاً علمانياً يريد أن يجر أفغانستان إلى مهاوي الردى وشعاب الهلاك باسم التطوير كذلك، وكان متعجلاً يريد قلبها دولة غربية دون مراعاة لدين أو تقاليد أو أوضاع اجتماعية وتاريخية، وأخذ الملك يسخر برجال الدين، ويزري بهم، ويستـ تمسكهم، ولا يعبأ بهم، ويطلق النكات في مجالسه العامة عليهم، وهذا أثار حفيظة العلماء عليه، فأوغروا صدور القبائل، فثارت قبـ بشتون، وتقدمت نحو كابل سنة (١٩٢٤م)، ولكنه استعمل الطيران ضدهم فأوقفهم.

وفي سنة (١٩٢٨م) قام الملك مع حاشيته برحلة طويلة، زار فيها الهند ومصر وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وإنجلترا وروسيا، و ريق عودته عرج على تركيا وإيران.

ورجع الملك متحمساً جداً لسلخ أفغانستان عن دينها، فكتب القرارات الملكية التي تقضي بوجوب ارتداء الزي الغربي (للنـ رجال)، وعلقت المنشورات بهذا في الأماكن العامة.

وهنا أعلن العلماء كفر الملك ووجوب الجهاد ضده، فثارت عليه قبيلة (شنواري)، واحتلت جلال أباد، واندلعت الثورة ضد ا (٢٨) نوفمبر سنة (١٩٢٨م)، وما هدأت إلا في (١٤) يناير سنة (١٩٢٩م) بتنازل أمان الله عن العرش.

آن:

مضى على الشرارة الأولى التي انطلقت ضد داوود سنة (١٩٧٥م)، واستمرت المعركة إلى أيام تراقي حيث اندلع الجهاد ، أفغانستان إلى يومنا هذا ثلاثة عشر عاماً، والحمد لله فالمجاهدون منتصرون وصامدون.

فهل يكون الجهاد الأفغاني بداية التحول التاريخي للإسلام؟ أم هل يكون الجهاد الأفغاني بداية تحول تاريخ العالم أجمع؟!!.

نحن نرجو من الله هذا، ونحسب أن ذلك كائن -والله أعلم-.

**(ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)** (الإسراء: ٥١)

## الجزء الثاني

# للتاريخ شهادة ومنهاج [١]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له وم لا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

يقول الله عز وجل مخاطباً رسوله ﷺ:

**(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا)**

(النساء: ٨٤)

ذه الآية الكريمة تخاطب المصطفى ﷺ بالقتال ولو كان وحيداً في المعركة، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم الآية عل

[١] لشهيد هذا الموضوع في خطبة، وذكر كثيراً مما ورد هنا نصاً في هذه الخطبة -أنظر سلسلة (في الجهاد فقه واجتهاد (ج٢/١))-.

ظاهرها، فقد روى الإمام أحمد حديثاً صحيحاً عن أبي إسحاق قال: قلت للبراء بن عازب رضي الله عنه: **الرجل يحمل على المشركين أهو يلقي بيده إلى التهلكة؟ قال: لا، لأن الله بعث رسوله ﷺ فقال: {فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك} إنما ذاك في النفقة}.**[١]

وعن أسلم أبو عمران قال: حمل رجل من المهاجرين -بالقسطنطينية- على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: **نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ ، وشهدنا معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار نجياً: فقلنا أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلنا وأولادنا فنقيم فيهما، فنزلت فينا: {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}** (البقرة. ١٩٥) فكانت التهلكة بالإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.[٢]

والآية الكريمة تبين أن السبيل الوحيد لكسر شوكة الكفار ورد كيدهم في نحورهم هو القتال، لأن (عسى) من الله للتحقيق لا للتشكيك والترجي كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، والآية تتضمن أمرين متلازمين لا ينفكان في فريضة الجهاد، وهما: القتال والحث عليه، لأن القتال قائم على الحماس واستثارة العاطفة وتحريك العزائم واستنهاض الهمم وغليان الدم.

وقد ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة تحت رقم (١٦٣١): عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه سأل رسول الله ﷺ فيما أنزل الله في الشعراء، فقال ﷺ: **{إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل}.**[٣] .

وقد وردت عدة روايات في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت رضي الله عنه: **{أهج قريشاً فإن روح القدس معك}.**[٤] .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها **{أهج قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل}.**[٥] .

وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال عندما توجه الجيش إلى القادسية: لا تدعوا شاعراً ولا خطيباً إلا وأخذتموه.

ولذا قد حرم الله اصطحاب المخذلين والمثبطين والمرجفين والمعوقين إلى المعركة، جاء في نهاية المحتاج للرملي الشافعي (٨-٦٠): ويسن للإمام أو نائبه منع المخذل والمرجف من الخروج وحضور الصف، وإخراجه منه ما لم يخش فتنة، بل يتجه وجوب ذلك عليه حيث غلب ظنه حصول ذلك منه، لأن بقاءه مضر بغيره.

وجاء في الإنصاف للبهوتي الحنبلي (٤-١٤٢): ويلزم الإمام منع المخذل، والمرجف، ومن يكاتب بأخبار المسلمين، ومن يرمي بينهم بالفتن، ومن هو معروف بالنفاق والزندقة، وإن خرج معه أحد هؤلاء فلا يسهم له كالمجاهدين من الغنائم، ولا يرضخ له منها كالأطفال والنساء.

## نظرتنا إلى الجهاد الأفغاني:

١- إنه جهاد إسلامي بدأت به الحركة الإسلامية مع بعض العلماء، والحركة الإسلامية قادها ابتداء -ولا زال- أناس معروفون بصفاء العقيدة ووضوح الجادة والتزام النهج السليم، وفي مقدمة هؤلاء القادة الأربعة الذين يشكلون مركز الثقل في الجهاد الأفغاني، بل إن ما لا يقل عن (٨٥٪) من قوة الجهاد معهم وهم (رباني وسياف وحكمتيار وخالص)، وقد تربى هؤلاء على كتب الأستاذ المودودي وسيد قطب وابن تيمية وغيرهم، وحاربتهم الصوفية منذ البداية حرباً شعواء يعرفها العامة والخاصة، وقد قام الجهاد منذ أول يوم لإقامة دين الله في الأرض، وتأسيس دولة إسلامية.

٢- إن الجهاد الإسلامي في أفغانستان قد زلزل الأرض تحت أقدام الصوفية، وهز وجودها وحطم أركانها، لأن الذين أخذوا بزمام المبادرة في أفغانستان ممن رضعوا كراهية الصوفية السلبية الانعزالية القائمة على (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)، وقام الجهاد على قاعدة أن ما لقيصر لله.. **{وله من في السموات والأرض كل له قانتون}**. (الروم: ٢٦).

---

١- رواه أحمد ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي أنظر الفتح الرباني (١٤-٨).
٢- رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٢-٢٧٥).
٣- رواه أحمد وهو صحيح على شرط الشيخين.
٤- متفق عليه.
٥- صحيح الجامع (٢٠٢٠).

٣- إن الجهاد الآن في أفغانستان وفلسطين وفي كل أرض وطئها الكفار فرض عين بالنفس والمال، وهذا ما أفتى به الشيخ ا باز، وابن عثيمين، والألباني، والمطيعي -رحمه الله-، وحسن أيوب، وسعيد حوى، وصلاح أبو إسماعيل، وعبدالمعز عبدالستار، و كبير لا أحصيه عداً في هذا الوقت.

٤- إن الجهاد في أفغانستان فرض عين بالنفس والمال، ولا يحتاج إذن أحد، وهذا محل إجماع المفسرين والمحدثين والفقه ولم أرَ -فيما أعلم- كتاباً تكلم في الفقه أو التفسير أو الحديث إلا ونص على أن المرأة تخرج من غير إذن زوجها -مع محرم-، وال دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، والعبد دون إذن سيده، يقول ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٤-٦٠٧): (فأما إذا هجم ال فلا يبقى للخلاف وجه، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعاً) فلا حاجة لإذن أمير المؤمنين -ولو كان موجوداً-

يقول ابن رشد: طاعة الإمام لازمة -وإن كان غير عدل- ما لم يأمر بمعصية، ومن المعصية النهي عن الجهاد المتعين.[1]

فإن لم يكن للأمة أمير المؤمنين فلا يفوت الجهاد ولا يؤخر، يقول ابن قدامة في المغني (٨-٢٥٣): فإن عدم الإمام لم يؤ الجهاد، لأن مصلحته تفوت بتأخيره.

فمن كان عليه دين فلا يحق له أن يتعذر بالدين، وليس له عذر أمام الله-، لأن الدين متعلق بالذمة، والجهاد متعلق بالنف -بالعين-.

٥- إن جهاد الشعب الأفغاني إسلامي واضح الغاية بين الجادة، ضد إلحاد سافر وكفر بواح، والجهاد في أفغانستان حق ع كل مسلم قادر حتى تندحر الشيوعية، حكم الجهاد الأفغاني فرض عين كالصلاة والصوم لا يسع مسلم تركه كما نص على هذا عل لمذاهب، وإن كان بعض الحنابلة يرون تقديم الصلاة، لأن تركها كفر وترك الجهاد ليس كفراً.

يقول ابن عابدين الحنفي في حاشيته (٣-٢٣٨): وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام كالصلاة والصوم سعهم تركه، وثم وثم إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً.

ونص الفقهاء أن الجهاد يفترض عيناً أولاً على أبناء القطر المحتل، ثم يتوسع تدريجياً، أيام أن كانت المعارك لا تدور أكثر م أو يومين، فالقادسية التي أنهت وجود الإمبراطورية الفارسية (الساسانية) قد انتهت في ثلاثة أيام، وكذلك كانت وسائل التن حصان والجمل، أما اليوم وقد طوت الطائرات المسافات في الأرض، لم يعد أي مبرر لهذا النص بالتوسع التدريجي، فالمسلمون ا أرض كلها اليوم سواء أمام الحكم الشرعي، فالعربي مخاطب بالنفير للجهاد في أفغانستان كالأفغاني، لأن بإمكان العربي أن يص ن أرض أفغانستان في يوم واحد، وأرض الإسلام كلها واحدة، بل إن العلماء يقدمون الجهاد على الصوم والحج، أما الصوم ف لوم لدى كل من لديه أدنى معرفة في العلم أن الإفطار في رمضان أفضل لمن يخوض معركة **(إنكم مصبحوا عدوكم والفطر أقو م فأفطروا)** وعندما بلغه ﷺ أن بعض الصحابة بقي صائماً قال: **{أولئك العصاة}**.

ونقل ابن رشد الإجماع على أن الجهاد إذا تعين مقدم على حج الفريضة، ويقول ابن تيمية: فالعدو الصائل الذي يفسد الد نيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.[2]

أي أن أوجب الواجبات وآكد الفرائض على المسلمين بعد التوحيد والإيمان هو دفع العدو الذي يستولي على الأعراض والأمو دماء بالقوة.

٦- لا فرق بين تارك الجهاد بالنفس -وهو قادر- وبين تارك الصلاة وهو قادر، وكما أن إثم الثاني لا يكفره إنفاق مال و عام طعام وكذلك إثم الأول وهو تارك الجهاد.

٧- إن الكرامات التي نزلت على الجهاد الإسلامي في أفغانستان علامات تبشر بأن هذا الجهاد إسلامي، كما قال الشي لعزيز بن باز عندما قصصت عليه بعض الكرامات (بشرى خير تبشر بنصرهم إن شاء الله) وهو تفسير لقوله عز وجل: **{وما جع إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم}** (الأنفال:١٠).

يقول الشاطبي في الموافقات (٤-٨٥): (تفيد الكرامات والخوارق لأصحابها يقيناً وعلماً بأن الله تعالى معهم فيما هم عليه). وكل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي كما قرر أهل السنة والجماعة، وإن الكرامات كثرت في العصر

---

ع العلي المالك (١-٣٩٠). ٢- (الفتاوى الكبرى ٤/٦٠٨).

المتأخرة عنها في العصور المتقدمة -كعصر الصحابة-، وذلك لأن الكرامات لتثبيت الناس على الطريق الذي يسلكونه، ولكن ما للمتأخرين كرامة إلا وللمتقدمين خير منها.

سئل الإمام أحمد: ما بال الصحابة لم ينقل عنهم من الكرامات ما نقل عما بعدهم؟ فقال: لقوة إيمانهم.

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوي (١١-٢٢٥): وخوارق العادات إنما تكون لأمة محمد ﷺ المتبعين له ظاهراً وباطناً لحجة أو حاجة، فما كان لحجة فهو لإقامة دين الله، والحاجة لما لا بد منه من النصر والرزق الذي يقوم به دين الله، ولذا لما كان الصحابة -رضوان الله عليهم- مستغنين في علمهم بدينهم وعملهم به عن الآيات -بما رأوه من حال الرسول ﷺ ونالوه من العلم- صار آمل من كان عنهم أبعد -مع صحة طريقته- محتاج إلى ما عندهم في علم دينه وعمله، فيظهر مع الأفراد في أوقات الفترات (بعد الناس عن دينهم) مَا لا يظهر ولا لغيرهم من حال ظهور النبوة والدعوة.

والكرامات لا ينكرها إلا جاحد أو جاهل، ومن شهدائنا العرب المسلمين أخيراً في جاجي شوال (١٤٠٧هـ) ظهرت كرامات رائحة الدم الطيبة لخمسة منهم وهم: حسين وعلي الليبيين، ونور الحق المغربي، وأبي خالد الجزائري، وسبع الليل اليماني، وكرامة عدم التصلب أو التغيير ولين الجثة وتثنيها كالنائم لثلاثة منهم وهم: أبو الفضل المصري، وأبو حفص الفلسطيني، وعبد الله المصري، أما عبدالله فقد استشهد في يوم عيد الفطر الأول من شوال، ووجدنا جثته في اليوم الثاني من ذي القعدة، دون صديد أو عفن أو انتفاخ أو تصلب، ولا زال دمه لزجاً على الجرح، أما أبو حفص الفلسطيني فقد استنار وجهه كالبدر عند الشهادة، ويقسم الأفغان الآن أنهم يرون النور يخرج من مكان استشهاده بعد فترة.

٨- إن نصرة الشعب الأفغاني المسلم واجب على كل مسلم في الأرض بالنفس والمال حتى يتم دحر الكافر الشيوعي، لقوله تعالى: **(وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر)** (الأنفال:٧٢).

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨-٣٥٨): فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين، كما قال تعالى: **(وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر)**، كما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم سواء كان رجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن، هذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله، مع القلة والكثرة، والمشي والركوب.

٩- إن جهاد الشعوب غير جهاد الفئات وأصحاب الدعوات، لأن أصحاب الدعوات يكونون في الغالب صفوة منتقاة مختارة، وقد نالوا قسطاً وافراً من التربية والتوجيه، ولكنهم لا يستطيعون مواصلة حرب طويلة أمام القوى الكبرى بدون التفاف الشعب حولهم. فالدعوة تكون كالصاعق الصغير الذي يفجر الكميات الضخمة من العبوات المتفجرة، وعامة الشعب تجد فيه جهلاً وأميّة وغثاء وصفات، ولكن لا بد منه ليتحمل أعباء الحرب المستعرة المستمرة، وليواصل وقود المعركة، فيكون في الشعب المجاهد الزاني وشارب الخمر والسارق والغال والفاسق والفاجر والمنافق، ولا يمكن أن يخلو شعب من الشعوب من هذه، ويكون في الشعب كذلك من يزاول الشرك الأصغر، وبعضهم الشرك الأكبر عن جهل، ومع هذا كله فيجب نصرهم -ما داموا مسلمين-، ويجب القتال بجانبهم ما دام قتالهم لرفع راية (لا إله إلا الله) أو لدفع الظلم عنهم.

ولو راجعت التاريخ الإسلامي لوجدت القبائل التي ارتدت في زمن الصديق وأرجعها سيف الله المسلول خالد بن الوليد وحزم الصديق إلى الإسلام -بإذن ربهم- قد سيرها أبو بكر مباشرة لقتال الفرس والروم، وقد كان المتنبئ -طليحة الأسدي- أحد العناصر الباسلة التي برز دورها في القادسية، ولا يخفى عليك أن أبا محجن كان سجيناً رهن القيود في سجن سعد بن أبي وقاص إبان احتدام أوار المعركة في القادسية، وكان يبث أشجانه قائلاً:

*كفى حزناً أن تلتقي الخيل بالقنا ... وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا*

وقد كتب خالد ذات مرة إلى الصديق عن انتشار بعض المعاصي في الجيش الإسلامي، ولكن الصديق ذا النظرة البعيدة لم يعر اهتماماً لهذه الرسالة، يقول الشوكاني: ويجوز الاستعانة بالفساق ضد الكفار إجماعاً.

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٢٨/٥٠٦-٥٠٨): (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر النبي ﷺ بذلك، بأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع معسكر كثيري الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين

الدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر، فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام -وإن لم يمكن إقامة جميعها-. فـ
ـو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه، وثبت
نبي ﷺ {**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم**} فهذا الحديث صحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود
نه من قوله ﷺ {**الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**}.

وما استفاض عنه ﷺ أنه قال: {**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة**} إلى غير ذ
ن النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد، مع الأمراء أبرار
جارهم، بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة، هذا مع إخباره ﷺ بأنه {**سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فـ
ـدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد على الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا
يرد على الحوض**}، فإذا أحاط المرء علماً بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة، وبما فهم عنه
انة الظلمة على ظلمهم، علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسؤول عنـ
كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم إذا لم يكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء
سي الله، بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديماً وحديثاً، وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريق الحرورية وأمثالهم ممن يسـ
ـلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقاً وإن لم يكونوا أبراراً.

١٠- إن بعض الجهال يزاولون أعمال الشرك الأصغر، كالحروز بغير المأثور والتمائم، وأعمال الشرك الأكبر كالاستـ
ـحاب القبور من الأنبياء والأولياء، والجهل في هذه الأمور عذر خاصة بالنسبة لأولئك الذين يعيشون في الصحاري وبعيداً
ن، وكذلك إذا انقطع العلماء، وقلت حركة التعليم أو منعت بتاتاً، كالذين يعيشون في الدول الشيوعية، والدليل على هذا قو
ى:

{**قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون**} (الأعراف-١٣٨)

قال قتادة: كان أولئك القوم من لخم، وكانوا نزولاً (بالرقة)، وقيل كانت أصنامهم تماثيل بقر، -ولهذا أخرج السامري لـ
-، نظيره قول جهال الأعراب وقد رأوا شجرة خضراء للكفار يعظمونها كل سنة يوماً يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لـ
نواط، فقال عليه السلام: {**قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) لتركـ
ـن قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى أنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**}.[1]

وفي البخاري قصة ذلك الرجل الذي قال لأهله لإن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً شديداً، فإذا مت فحرقوني وذروني، فغفر الله
خشيته، فهذا الرجل لم يعلم بأن الله قادر على جمع ذراته ومع ذلك غفر له.

وفي الصحيح كذلك حديث حذيفة: {**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة
ي على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آبا
ذه الكلمة يقولون لا إله إلا الله فنحن نقولها**}.[2] قال صلة بن زفر: {**ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة و
ولا نسك ولا صدقة!! فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال:
جيهم من النار- ثلاثة-**}[3]، وإلى هذا ذهب علماء أهل السنة والجماعة.

لقد قال ابن تيمية للجهمية: لو قلت بقولكم لكفرت، ولكني لا أكفركم لأنكم تجهلون. وقال ابن القيم عن الذين يستغيثون بالقبور
ـم لجهلهم.

وسئل محمد بن عبد الوهاب عن الذين يعبدون قبة الكواز فقال: لا تكفرهم لقلة من يعلمهم.

أ- بناء على ما تقدم فإنا نرى وجوب مساعدة الشعب الأفغاني، وفي الصحيحين عن أبي هريرة {**بينما كلب يطيف بركيّ

---

[1] (٧-٢٧٣).

[2] ...ماجة وابن ماجة والحاكم عن حذيفة) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فغفر لها}.[1]

فكيف بإنسان يموت جوعاً أو عرياً أو ألماً لقلة الغذاء أو الكساء أو الدواء؟ بل فكيف بمن يساعد مجاهداً يدفع عن أعراض المسلمين؟ وفي الصحيحين عن أبي هريرة وقد سئل عن إطعام الحيوانات وإسقائها {وفي كل كبد رطبة أجر}.

ولذا وجب حماية عرض المجوسية والكتابية والهندوسية إذا أراد إنسان أن يصول عليه، ومن ترك كتابياً يموت جوعاً وهو قادر على إنقاذه بلقمة خبز فإنه يدفع ديته، فكيف بدفع الصائل الروسي عن أعراض المسلمات الأفغانيات؟!!.

إن رفع الظلم عن الناس أصل من أصول هذا الدين، بل هدف عظيم من أهدافه، ومعلم بارز في غاياته، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن عوف قال ﷺ عن حلف الفضول الذي شهده في دار عبد الله بن جدعان: {شهدت غلاماً مع عمومتي حلف المطيبين فما سرني أن لي حمر النعم وأني أنكث}[2] وهذا الحلف لرفع الظلمات عن المظلومين.

١٢- إن سد الذرائع باب كبير في هذا الدين {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم} (الأنعام: ١٠٨) فحرم القرآن سب الأصنام حتى لا يسب الله{يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا} (البقرة:١٠٤).

وفي صحيح الجامع (٥٢٠٣) الحديث الذي رواه مسلم عن عائشة مرفوعاً: {لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها من الحجر} قال الألباني عند هذا الحديث في السلسلة الصحيحة رقم (٤٣): إن القيام بالإصلاح إذا ترتب عليه مفسدة أكبر منه يجب تأجيله، ومنه أخذ الفقهاء قاعدتهم المشهورة (دفع المفسدة قبل جلب المصلحة).

وهناك قاعدة (اختيار أهون الشرين) (ودفع أعظم الضررين)، ولذا رأينا أن نترك بعض الهيئات والسنن المستحبة في الصلاة التي تخالف المذهب الحنفي حتى لا تؤدي إلى نفور الشعب الأفغاني، الذين يسمعون من أعداء الله أن العرب جاءوا لينشروا الوهابية، ويريدون هدم مذهبكم، ونحن إذ نترك هذه الهيئات كرفع اليدين عند الركوع والرفع منه، إنما نريد أن لا يفوتنا فرض، ويترك رفع اليدين والجهر بالتأمين وشدة حركة الإصبع إنما نريد أن نصل إلى قلوب الأفغان، فإذا أحبونا قبلوا منا كل شيء، وعندها نستطيع أن نعلمهم الدين الحنيف صافياً من كل بدعة، وبهذا تكلم الشاطبي في الموافقات: إن ترك السنة واجب إذا أدى فعلها إلى تضييع واجب، لأن الواجب مقدم على السنة (المندوب) قطعاً، ونحن نقول: هذه الهيئات قد تمنعنا من أداء الفرض وهو الجهاد ولا يشك عاقل أنه إذا لم يبق من وقت صلاة الصبح مثلاً إلا ما يسع السنة أو الفرض فلا بد من ترك السنة، وهذا ما نص عليه ابن تيمية وأحمد بن حنبل، فقد نقل ابن تيمية في رسالته (اختلاف الأمة في العبادة): (المجتهد المخطئ لا يجوز ذمه بإجماع المسلمين، ولا يجوز التفرق بذلك بين الأمة، ولا أن يعطي المُستحب فوق حقه، فإنه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير، ولا يجوز أن تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات، بحيث يمتنع الرجل من تركها، ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله، بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها، بل الواجبات كذلك، ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات. فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسناً، وذلك أفضل إذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب.

وقد أخرجا في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: {لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالأرض، ولجعلت لها باباً يدخل الناس منه، وباباً يخرجون منه} وقد احتج بهذا الحديث البخاري وغيره على أن الإمام قد يترك بعض الأمور المختارة لأجل تأليف القلوب ودفعاً لنفرتها، ولهذا نص الإمام أحمد على أنه يجهر بالبسملة عند المعارض الراجح، فقال: يجهر بها إذا كان بالمدينة، قال القاضي: لأن أهلها إذ ذاك كانوا يجهرون، فيجهر بها للتأليف، وليعلمهم أنه يقرأ بها).

١٣- إن الجهاد الآن فرض عين على كل مسلم، ويبقى فرض عين حتى يستردّ المسلمون كل بقعة كانت إسلامية وسقطت في أيدي الكفار، فالجهاد فرض عين منذ سقوط الأندلس، ويبقى فرض عين حتى نسترد فلسطين وبخارى والأندلس.

١٤- إن الجهاد في سبيل الله -إذا أطلق- إنما يعني عند فقهاء المذاهب الأربعة (القتال). يقول ابن رشد في مقدماته (١-٣٦٩): إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا

---
[illegible] (٣٨٧٣)

لجزية عن يد وهم صاغرون.

وكلمة (في سبيل الله) تعني الجهاد عند إطلاقها، يقول ابن حجر في فتح الباري (٦-٢٩): والمتبادر من لفظ (في سبيل الله جهاد.

## تطلباتنا:

١- على الدعوات الإسلامية أن تفرغ مجموعات من أبنائها الناضجين -وعلى حسابها الخاص- تكفل أسرهم وتحفظ ما يومهم، والشاب المسلم الداعية يعدل في عمله (٢٠-٥٠) شاباً من الشباب المسلم العادي الذي لم يحظ بالتربية، ولم ينَل قسطاً مر جيه والعناية. والتقصير في هذا المجال -والله أعلم- لا يجبره اعتذار، والسؤال شديد بين يدي الله عز وجل، والحساب عسير إلا أر ءِ الله.

٢- على المراكز الإسلامية في أمريكا وأوروبا أن تفرغ على حسابها دعاة يعملون في الجبهات، وحبذا لو فرغ كل مرك لامي اثنين من الشباب على حسابه، والشاب العربي الذي له أسرة يكلف (٦-٨) آلاف دولار سنوياً -بالإضافة إلى التذكرة-، وهذ غ يعتبر جد ضئيل بجانب الأثر الجليل الذي يخلفه في الجبهات، والتغيير العميق الذي يحدثه الله على يديه في أعماق القلوب وفر ع الجبهات.

ورغم أننا أعلنا منذ سنتين عن هذا، إلا أنه لم يصلنا متفرغون سوى متفرغين اثنين من مركز شيكاغو الإسلامي بأمريك هم الله خيراً.

٣- بدأنا مشروع إنشاء المراكز التعليمية والصحية في داخل أفغانستان، والمركز التعليمي يكلف حوالي (٢٧) ألف دولار يفته جمع خمسين مجاهداً في المنطقة، ولمدة ستة أشهر بدورة مركّزة تعلم القرآن والتجويد والتفسير (الأنفال والتوبة) والعقيد الجهاد وفقه العبادات، بالإضافة إلى التدريب العسكري، ونرجو الله أن يتم المشروع على خير، ويعتبر توفر الداعية الناضج بي لاستلام المركز أهم من توفر المبلغ نفسه.

وأما المركز الصحي فيكلف ضعف المبلغ (٥٤) ألف دولار.

٤- إنشاء معاهد في بيشاور، ولكن لا يدخلها المهاجرون، بل يدخلها المجاهدون فقط الذين يقطن أهلهم في أفغانستان.

٥- ندعو الله عز وجل أن يعين في استقرار مجلات الجهاد جميعاً من أجل القيام ببعض الواجب الإعلامي الكبير الذي يجب أ له الصحفيون العرب، ولا بد من التنويه أن تكاليف المجلة أكثر بكثير من العائد المادي الذي يعود من ورائها، ولكن أثرها المعنوي كن أن يقدر بثمن، فنأمل من أنصار الجهاد أن لا ينسوها من تبرعاتهم.

٦- نأمل من التجار وأرباب الأموال أن يفطنوا إلى كفالة الغزاة -خاصة العرب-، ونريد المتزوجين الناضجين الذين يستقرو هم في بيشاور ويعيشون بين المجاهدين، ورغم أن المتزوج يكلف بقدر خمسة شباب من العُزّب، إلا أن المتزوجين يعتبرون حجر ، ومركز الثقل بالنسبة للجهاد بما يتميزون به من الاستقرار والنضج وبعد النظر.

وكما قلت تكاليف المتزوج (٦-٨) آلاف دولار سنوياً بالإضافة إلى تذكرته، والأعزب حوالي ألفي دولار بالإضافة إلى تذكرته.

٧- نحاول جاهدين أن نسد باب الهجرة ما استطعنا وذلك:

أ- بكفالة القادة، وكفالة القائد مائتي ريال شهرياً (ألف روبية باكستانية شهرياً) أي بمعدل (٢٤٠٠ ريال) سنوياً.

ب- كفالة العلماء، وكفالة العالم الأفغاني تكلف مائتي ريال شهرياً (ألف روبية) أي بما يساوي (٢٤٠٠ ريال) سنوياً.

جـ- بإدخال أكبر قدر نستطيعه من المساعدات إلى داخل أفغانستان، بحيث يستطيع المجاهدون أن يتجاوزوا محن الفاقا والجوع والفقر.

د- استنفار أكبر عدد ممكن من الإخوة العرب الذين يرفعون المعنويات، ويقللون الهجرة، ويحاولون أن يسدوا منافذ الشيطان نس -بإذن الله-.

هـ- فتح المراكز التعليمية والصحية في داخل أفغانستان، من أجل حقن المجاهدين بجرعات من الثقافة الإسلامية، ومحاولة البناء الروحي التدريجي، مع التضرع إلى الله أن يهبهم التصفية النفسية والشفافية الروحية من خلال برامج مدروسة ومناهج عملية ومعدة.

الجزء الثالث

# تحطيم القيود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد: فإننا عندما رفعنا راية الجهاد في سبيل الله فإنما نبتغي إرضاء الله، ونرمي إلى أن تكون كلمة الله هي العليا، ومن إعلاء كلمة الله التي شرع من أجلها الجهاد رفع الظلم عن الناس.

فنحن إذ تحركنا في ميادين القتال في ساحة النزال الأفغانية، فإنما نهدف إلى إماطة الظلم عن أنفسنا، ومسح الظلم عن إخواننا المسلمين الأفغان، إعذاراً إلى الله ، و(**عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا**).

## إزالة الظلم:

إن أهم غرض للجهاد في سبيل الله هو رفع الظلم عن الناس، بل ما تنزلت الشرائع كلها إلا لإقامة القسط في الأرض، ورفع الظلم عنهم، فقد قال جل شانه: (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**) (الحديد: ٢٥)

والميزان هو العدل كما قال مجاهد وقتادة والسُّدِّي.

يقول قتادة: اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل لك، وأوف كما تحب أن يوفى لك، فإن العدل صلاح الناس.

وعندما أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة لجمع خراج خيبر أهداه اليهود كمية من التمر الفاخر لعله يخفف عنهم. فقال عبد الله رضي الله عنه: لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي ﷺ ، وأنتم أبغض خلق الله إلي، ولكن والله ما حبي له وبغضي لكم ليجعلني أن أبخسكم حقكم، فقال اليهود: بمثل هذا قامت السماوات والأرض.

ولذا فليس عجيباً أن ينزل رب العزة عشر آيات من السماء لتبرئة يهودي من سرقة اتهم بها، وإثباتها عند رجل يصلي ويصوم من المدينة وهو (طعمة بن أبيرق أو بشير بن أبيرق) والآيات التي خلّدت هذه الحادثة في سورة النساء.. (**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما**) (النساء:١٠٥).

وهذه القصة لا تعرف لها البشرية نظيراً، ولم تعرف لها الأرض مثيلاً، وتشهد وحدها بأن هذا القرآن تنزل من حكيم حميد، لا يمكن للبشر أن يكون لهم يد فيه، لأن البشر مهما ارتفعت تصوراتهم، ومهما صفت أرواحهم، ومهما استقامت طبائعهم، لا يمكن أن يرتفعوا -بأنفسهم- إلى هذا المستوى الفذ الذي يرسم على الأفق خطاً لا يمكن أن ترتقي إليه البشرية، ولا يمكن أن تصعد إليه الإنسانية إلا في ظل هذا الدين، وإلا على هدي من هذا المنهج.

وخلاصة القصة في سبب نزول هذه الآيات أن نفراً من الأنصار -قتادة بن النعمان وعمه رفاعه- غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فسرقت درع لأحدهم (رفاعه)، فحامت الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم -بنو أبيرق-، فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال: إن طعمة بن أبيرق سرق درعي (وفي رواية: أنه بشير بن أبيرق)، فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها في بيت رجل يهودي اسمه (زيد بن السمين)، وقال لنفر من عشيرته: إني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا نبي الله إن صاحبنا يرى أن الذي سرق الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علماً، فأعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك، ولما عرف رسول الله ﷺ أن الدرع وجدت في بيت اليهودي قام فبرأ ابن أبيرق وعذره على رؤوس الناس، وكان أهله قد قالوا للنبي ﷺ قبل ظهور الدرع في بيت اليهودي أن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت.

ثبت ولا بينة]، قال: فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك.

فأتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي ما صنعت، فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ ، فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزلت (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق... ) لقد نزلت هذه الآيات في أحرج أوقات الجماعة المسلمة وأدقها ، حيث لم يدع اليهود سهماً مسموماً إلا صوبوه تجاه هذا الدين، ولم يدعوا خنجراً إلا حاولوا أن يطعنوا به القيادة الربانية التي تمثل هذا النهج واقعاً وسلوكاً وأخلاقاً.

نزلت الآيات وقد نصب اليهود معاليهم (مصائدهم)، وأقاموا شباكهم، وفرغوا سهامهم تجاه الجماعة المسلمة يبغونها الفتنة ويدرن تمزيقها ويريدون تشتيتها.

وقد كان اليهود العقل المفكر والرأس المدبر والأيادي الخبيثة التي تدير المنافقين من وراء ستار، حيث يكون الذين في قلوبهم مرض المخالب الخبيثة والقفازات النجسة التي يضرب بها اليهود.

وفي هذا الوقت تتنزل هذه الآيات لتنصف يهودياً اتهم ظلماً بسرقة، وتُدين بها بيتاً من بيوت الأنصار، الذين كانوا عيبة (محل نصحه) رسول الله ﷺ، والذين قدموا الغالي والرخيص والنفس والنفيس من أجل نصرة هذا الدين وحماية نبته، نزلت لتثبت سرقة في بيت أنصاري، فتعطي بهذا سيفاً جديداً مسلولاً يستعمله اليهود للتشهير بأنصار هذا الدين.

لقد كانت المصلحة في موازين البشر تقتضي أن لا تثار هذه القضية، وأن لا تنبش هذه المسألة -سيما في هذا الوقت وهؤلاء الأقوام-، وقد كانت الكياسة والسياسة تقتضي أن لا يفضح رجل من الجماعة المسلمة ومن أجل من؟ لأجل يهودي يواصل كيد الليل بالنهار للإساءة لهذا الدين وأهله.

لقد كانت اللباقة في عرف الناس توجب أن لا يفضح رجل من أبناء الجماعة المسلمة وعلى ملأ من أهل المدينة لا بل على مر العصور وكرّ الدهور يتزل به قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، إن ظروف الجماعة المسلمة ومصلحتها في تلك الحقبة العصيبة تلزم في النظرة البشرية القصيرة أن يضرب صفحاً عن مثل هذا الحادث، وأن لا يجعله حديث السامر وحداء المسافر.

ولكن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء اتهم -وإن كانت تبرئة المتهم وإنصاف المظلوم شيئاً ثقيلاً في ميزان الرحمن-، ولكنها قضية أكبر من هذا بكثير، إن القضية هي إقرار منهج رباني قائم على العدل ، تطبقه الجماعة المسلمة على نفسها قبل أن تطبقه على غيرها، وتنتصف المجموعة المؤمنة للحق من مالها ودمها قبل أن ينتصف الحق من غيرها، لا بد من إقرار منهج لا يتأرجح مع الهوى، ولا يتزعزع مع الشهوات، ولا يتأثر بالمصالح القريبة والأنساب والعصبيات.

يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال (٢-٧٥٣): وينظر الإنسان من هذه القمة السامقة على السفوح الهابطة في جميع الأمم على مدار الأزمان فيراها هنالك... هنالك في السفوح، ويرى بين تلك القمة السامقة والسفوح الهابطة صخوراً متردية، هنا وهنالك من الدهاء، والمراء، والسياسة، والكياسة، والبراعة، والمهارة، ومصلحة الدولة، والوطن، ومصلحة الجماعة، إلى آخر الأسماء والعنوانات. فإذا دقق الإنسان فيها النظر رأى تحتها الدود!!.

وينظر الإنسان مرة أخرى فيرى نماذج الأمة المسلمة -وحدها- صاعدة من السطح إلى القمة، تتناثر على مدار التاريخ، وهي تتطلع إلى القمة التي وجهها إليها المنهج الفريد.

أما العفن الذي يسمونه (العدالة) في أمم الجاهلية الغابرة والحاضرة فلا يستحق أن نرفع عنه الغطاء في مثل هذا الجو النظيف الكريم.

إن رفع الظلم عن الناس هي مهمة الأنبياء التي من أجلها تنزل الروح الأمين من السماء ، وله نزلت الشرائع، وأوحى الله بها، واستمراء الظلم وقبول الهوان والاستنامة تحت نير العبودية قرين الكفر، وقديماً قال الشافعي:

*أنا إن عشت فلست أعدم قوتاً ... ولئن مت فلست أعدم قبراً*

*همتي همة الملوك ونفسي ... نفس حر ترى المذلة كفراً*

إن المستضعفين في الأرض الذين يعيشون تحت أقدام الجبابرة ليستحقون الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة..

{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا} (النساء:٩٧-٩٩)

فالذين لا يهاجرون من تحت نير الظالمين، ويرضون العيش بين قطعان السوائم، جزاؤهم جهنم يصلونها كلما خبت زادها رب العزة سعيرا، فإذا علمت سبب نزول هذه الآية، فإنك ستقف أمامها مشدوهاً حائراً، فقد روى البخاري بإسناده عن عكرمة: أخبرني ابن عباس أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ ، يأتي السهم فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فأنزل الله تعالى {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...}.

هذا شأن المؤمنين في مكة القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، فما بالك بالذين يعيشون في بلادهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، لا يشغله إلا لقمة الطعام وقطعة الكساء والعلاوة والوظيفة والدرجة والراتب وموديل السيارة ودهان العمارة؟!.

والذين لا يتحركون لرفع الظلم وإنصاف المظلومين هؤلاء تجأر إلى الله عليهم دعوات المستضعفين.. {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً}. (النساء:٧٥).

فهم الظالمون لأنفسهم لا يتحرقون ولا يتحركون لإزالة الظلم عن المظلومين.

ولذا كانت أول آية نزلت لإباحة القتال تشير إلى العلة الحقيقية والسبب الرئيسي له وهو إزالة الظلم: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}(الحج:٣٩-٤٠).

فهؤلاء ظلموا بأن طردوا من ديارهم إجحافاً وافتئاتاً (تعدياً) على حقهم، وكان السبب الحقيقي لطردهم هو التوحيد الذي حملوه في أعماقهم، وضحوا من أجله، وما أساؤوا إلى قومهم، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله، وهذا عند المشركين أكبر الذنوب، فالتوحيد في نظر أعداء الله جريمة يستحق صاحبها الطرد من مسقط رأسه ومرتع شبابه.

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن، قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير}، قال أبو بكر رضي الله عنه: فعرفت أنه سيكون قتال.[1]

{وإن الله على نصرهم لقدير} أي قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكنه سبحانه يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته.

ونحن نقول:

١- إن فريضة الجهاد من أهم الفرائض التي افترضها الله علينا من فوق السبع الطباق، وأوجب علينا أداءها كالصلاة والصوم والزكاة سواء بسواء.

٢- إن مزاولة الفرائض الإسلامية وأداءها أمر إلهي وتكليف رباني لكل إنسان، عدا أنه حق طبيعي وأمر منطقي لا يجادل فيه إلا مماحك أو مماحل.

٣- لقد ظلمنا في كثير من البلدان الإسلامية، وحرمنا من أدنى الحقوق التي تتمتع بها الحيوانات، فالدجاجة إن اقتربت من أفراخها الناشئة تهجم عليك، والكلب يعضك إن وطئت ذنبه أو اقتربت من البيت الذي يحرسه، ولا تستطيع قوة في الأرض أن تمنع أطراف الشاة أن تتحرك وهي تلفظ أنفاسها وتجود ببقية دمائها.

ونحن حرمنا أن نمسك اليد التي تشهر علينا الحراب لذبحنا، ومنعنا أن نرفع أصواتنا ونحن نلفظ أرواحنا، وقد وصل اللص إلى داخل حجرة النوم فكُبِّلنا وحرمنا من إزعاجه وهو ينتهك أعراضنا ويسلب أموالنا ويسفك دماءنا.

٤- وبعد أن سلمت أوطاننا لأعدائنا، وحرمونا أن ندافع عن مقدساتنا، وأن نحمي أعراضنا، وسقط المسجد الأقصى دون أن سقط حوله -ويا للعار والشنار- عشرة من المسلمين دفاعاً عنه.

بعد هذا كله حاولنا أن نجمع من بقي في قلوبهم غيرة، أو ممن يحمل في نفسه بقية من رجولة أو شهامة، نحاول إزعاج اليهو لذين دخلوا المسجد الأقصى آمنين مطمئنين، فأبوا علينا، وتكالبوا بقواتهم يحولون بيننا وبين أعدائنا بخيلهم ورجلهم، وهذا ظلم ليس بعده ظلم، وتعسف ليس دونه تعسف، وتجبر لا نعلم دونه خسف!!

٥- وبعد أن أبو علينا الجهاد، وحرموا علينا فريضة الإعداد، وأصبح السلاح في العالم العربي جريمة يُؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، ومن ألقي القبض عليه متلبساً بجريمة حمل السلاح شكلت له المحاكم العسكرية، وصفد بالأغلال والقيود، ووضع رهن تحقيق في غياهب الزنازين، لا يرى شمساً ولا يراه النور، ولا يعلم عنه والد ولا ولد ولا صديق وفيّ ولا خلّ صفيّ، وعندما أبينا أن نموت مستضعفين في الأرض تحت أقدام الطغاة، ونفضنا الذل عن عواتقنا، وخجلنا أن نرفع الشعارات البراقة والآمال العريضة ونحن في ذل العبيد، قررنا أن نهجر الأرض التي يُحرّم فيها الجهاد ويعتبر جريمة وموبقة رعناء.

وكما قال أبو الطيب:

*إذا كنت ترضـــى أن تعيش بذلة* *فلا تستعدن الحسام اليـمانـيا*

*ولا تستطيلن الرماح لغارة* *ولا تستجيـدن العتاق المذاكيا*

*فما ينفع الأسد الحياء من الطوى* *ولا تتقى حتى تكون ضـواريا*

وإذا كان رب العزة سمى النسيء زيادة في الكفر -النسيء تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر-، فماذا تسمي الذين يسمون الجهاد جريمة قانونية يعلن عن عقوبات مرتكبيها في أجهزة الإعلام دون خشية ولا خجل ولا حياء ولا وجل؟

أليس الحكم الشرعي لهؤلاء أشد بكثير، وأعظم جرماً من أولئك الذين كانوا يراعون قداسة الأشهر الحرم ويراعون عدتها في العدد؟! ولكن العرب ولشدة حماسهم للحرب وعدم صبرهم عن القتال والنزال كانوا يؤخرون حرمة محرم إلى صفر، إذ كان في كل عام في موسم الحج رجل من كنانة يقال له القلمس أو آخر اسمه أبو ثمامة (جنادة بن عوض بن أمية) فيقول: ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب، ثم يقول: إني أخّرت حرمة محرم إلى صفر..[1]

إن تحريم الجهاد كفر يخرج من الملة، وإن محاربة أولياء الله ومطاردتهم في بلادهم وإحصاء أنفاسهم وعدّ نبضاتهم وتكميم أفواههم عمل عظيم عند الله يؤدي إلى خراب البلاد وهلاك العباد.

ألم تر إلى قول أبي بكر رضي الله عنه: أخرجوا نبيهم -إنا لله وإنا إليه راجعون- ليهلكن؟!

وهذا شأن الذين يخرجون أولياء الله والدعاة في سبيله، **(من عادى لي ولياً فقد آذنته أو بارزته بالحرب)**..[2]

فماذا تحكم الشريعة الإسلامية على الذين يحرمون الجهاد، ويسمون الزنا فناً والربا فائدة والإسلام رجعية والتمسك بدينه تطرفاً وانحرافاً؟!

اللهم ثبت! اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

*اللهم لولاك ما اهتدينا* *ولا تصدقنا ولا صلينا*

*فأنزلن سكينة علينا* *وثبت الأقدام إن لاقينا*

*إن الألى قد بغوا علينا* *إذا أرادوا فتنة أبينا*

اللهم إنك تعلم أن الألى قد بغوا علينا ونحن نأبى أن نعطي الدنية في ديننا، ولن نرض الفتنة والكفر الذي يحاولون فرضه علينا.

---

١- ابن كثير ٢/٣٥٦. ٢- البخاري.

الجزء الرابع

# التصميم على الموت

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، وبعد: فإنه لم يكن يدور في خلدنا حينما فكرنا في الدخول إلى أفغانستان أن الحاجة ماسة للعرب كما اكتشفنا بعد دخولنا.

إن الذي كان يدور في أذهاننا من مقاصد الدخول ثلاثة أسباب رئيسية:

**أولها:** معرفة واقع الجهاد الأفغاني على حقيقته فوق أرض الواقع، ولنرى فعلاً مدى مطابقة الصورة المرتسمة في عقولنا للواقع الفعلي، فأحببنا أن ندخل مجموعات من الشباب العرب تنقل لنا صدقاً وحقاً واقع الجهاد الأفغاني، وحال المجاهدين، وصلتهم بربهم، ومعرفتهم بدينهم، والتزامهم بالنوافل، وصفاء عقائدهم من البدع، ومدى حاجة كل جبهة للطعام واللباس والدواء.

**ثانياً:** تسليم المساعدات الضئيلة القليلة يداً بيد للمجاهدين الذين لم يغادروا خنادقهم منذ احتدام القتال أيام تراقي سنة (١٩٧٨م).

ثالثاً: إرواء ظمأ الشباب المتعطش للقتال والمتشوقين للشهادة.

وسرنا على بركة الله، وبدأت مجموعات الإخوة العرب تفد إلى داخل أفغانستان، ثم اكتشفنا بعد أمة (مدة) أن هنالك أهدافاً أكبر تنتظر الإخوة العرب قد لمسناها من خلال المعايشة مع الجهاد الأفغاني، والاختلاط بالمجاهدين أشهراً وسنوات، أدركنا أن هنالك قضايا أخطر يحلها دخول العرب، ومشاكل أكبر مفتاح حلها -بإذن الله- بيد الناطقين بالضاد المتحمسين للجهاد.

**ومن هذه القضايا الرئيسية:**

١- نقل الجهاد من قتال قوم ضد روسيا إلى جهاد إسلامي عالمي، وأن الجهاد ينتقل إلى صراع شديد بين العقيدة الإسلامية والعقيدة الشيوعية، وعندها يصبح الكفاح بين الأمة المسلمة وبين الأمة الشيوعية وحلف وارسو.

٢- رفع معنويات المجاهدين الأفغان التي تأثرت بطول الطريق وكثرة التضحيات، إذ أن مرور ثماني سنوات مع استمرار القصف فوق رؤوسهم، وسقوط الأب والأخ والعم شهداء، وأصبحت البنت مشوهة الوجه، وقطعت أرجل الأولاد، وندت أعين الأخوات، كل هذا مع العوز الشديد والفقر المدقع بحيث لا يجد المجاهد لقمة غذاء ولا قطعة كساء، كل هذا أثر على أعصاب المجاهدين وعلى معنوياتهم.

فكان لا بد من أياد حانية تمسح على جراحاتهم، وتسري على آلامهم، وتواسيهم في مآسيهم، وتشاركهم أفراحهم، وتعيش مشاكلهم.

٣- تعليم المجاهدين: وهذا أهم دور يمكن أن يقوم به العرب، إذ أن أماكن الدعاة في هذا المجال شاغرة ولا يسدها غيرهم، فقد استشهد معظم الدعاة الأوائل الذين ابتدأوا مسيرة الجهاد، وسقط كثير من العلماء شهداء أو هاجروا، ونشأ جيل من المجاهدين لا يعرف عن دينه -إلا القليل-، لأن المدرسة قد هدمت، والمسجد قد قصف، وغاب الوالد، ولم يعد يسمع عن الإسلام شيئاً، فتح الجيل عينيه فوجد أفغانستان غارقة في بركة من الدم، لا يسمع إلا أزيز الرصاص، ودوي المدافع، وقصف الطائرات، ولا يرى إلا جثث الشهداء، وأشلاء الأبرياء، وأنهار الدماء، ولذا فليس عجيباً أن بعض الجبهات تنقل ميتها مسافة بعيدة للصلاة عليه، لأنه ليس في الجبهة واحد يتقن صلاة الجنازة.

إن حاجة الجهاد الآن إلى الرجال الدعاة الحكماء أشد من حاجتهم إلى السلاح وإلى الأطباء والمهندسين والعسكريين وغيرهم من أصحاب الاختصاصات. إن الجهاد الأفغاني بحاجة شديدة إلى المال، ولكن حاجتهم للرجال أشد.

٤- إيقاف سيل الهجرة المتدفق، لقد أصبحت الهجرة خطراً كبيراً يتهدد الجهاد الأفغاني، وللهجرة أسباب على رأسها الفقر والخوف على الأعراض وتدني المعنويات.

فوجود العربي في داخل الخندق مع المجاهد الأفغاني يجعل الأفغاني يستبعد فكرة الهجرة من ذهنه، لأن أقصى ما يمكن أن

شركة أو مدير الدائرة مرابطاً معه في داخل الخندق، فإنه يستحيي أن يغادر بلاده ويترك العربي يحميها، وكم من القادة الكبار ؛
نعهم من الهجرة وجود شاب عربي غض الإهاب بجانبه!!!.

٥- تحريك القتال باستمرار ضد الروس، فإن العربي يأتي إلى أفغانستان متعطشاً لدخول المعارك، ورؤية اللهيب، ومشاهد نيران، وسماع صليل السلاح، فعندما يدخل الجبهة فإنه لا يصبر عن مكابدة أهوال المعركة، وولوج نيرانها، ولذا يبقى مُلحاً على قائ بهة بوجوب القيام بعمليات، ويُصرُّ عليه ويراجعه، ولا يفتأ صباح مساء يبدي ويعيد قضية المعارك حتى يدخل الأفغاني في معرك لو اضطراراً-، وهذا مهم جداً لبقاء الكفار في قلق دائم، وارتباك واضطراب لا يتوقف، مما ينهك قواهم، ويضاعف نفقاتم نودهم وخسائرهم، ولذا فلو استطعنا أن نستدرج روسيا ونضطرها إلى زيادة قواتها في داخل أفغانستان إلى نصف مليون جندي هذا نفس الرقم الذي استعملته أمريكا في فيتنام-، فهذا يعني أن نفقات روسيا يومياً في أفغانستان ستصل إلى مائتين وخمسين ن دولار، وهذا يعني كذلك أن روسيا ستدفع في أفغانستان بكل جنودها الاحتياطيين المعدّين لآسيا، وهذا الرقم لا يتحمله الاتحا وفياتي، وليس من المتوقع أن ترتكب روسيا هذا الخطأ، ولكننا يجب علينا أن نخطط لعمليات عسكرية قاصمة تضطر روسيا اعفة قواتها وخسائرها، ولإضعاف إرادتها القتالية، وإقناع الولايات الإسلامية في بخارى وطشقند بضعف روسيا أمام حرب سابات الطويلة الأمد.

٦- مشاركة الطاقات الإسلامية في المعركة، وصب جميع هذه الطاقات في بوتقة الجهاد المبارك الإسلامي في أفغانستان، وعل ها الطاقات العسكرية والهندسية والإعلامية والطبية.

٧- تقليل الاختلافات بين الجبهات، والتنسيق بينها في العمل، ثم توحيدها في النهاية.

## ارف اليهود:

تركنا الأرض التي عشنا فيها والمرابع التي درجنا عليها، وجئنا على بعد آلاف الأميال تلبية لنداء الله عز وجل، وأداء لشعير د، أتينا هنا إلى أفغانستان لنؤدي الفريضة التي ما استطعنا أن نؤديها في مكان آخر، فتابعنا سدنة الكفر وأئمة الشرك والظل يديرون الأرض بإشاراتهم، ويحركون كثيراً من أرجاء المعمورة بأناملهم، وصاروا يوغرون صدور الذين يدورون في فلكهم علينا.
انتفض اليهود هلعاً، وارتجفوا جزعاً، وهم يرون تجمعاً جديداً للشباب المسلم العربي فوق أرض أفغانستان، وأخذ اليهود في وفلسطين يحذرون من مغبة هذا التجمع، وصاروا يؤلبون علينا القاصي والداني، ويوغرون صدور الذين يمثلون مسرحي ة المسلمين، وخنق الشباب الصادقين فوق أرض رواها خيرة الصحابة بدمائهم، خاصة في المناطق المحيطة بفلسطين والمسج ى، وصار التشديد ووضعت الحبال في أعناق الفتية النافرين في سبيل الله -أداءً للجهاد-، وكل يوم يشدون عقدة يضيق

صارت التأشيرة إلى باكستان أصعب من تأشيرة الدول البترولية، وقد كانت من قبل تعطى التأشيرة لأي قادم إليها في المطار ـ من قبل لأي امرئ وصل مطار باكستان ورد خائباً، بل هنالك تأشيرة سياحية لأي قادم مهما كانت ملته، ومهما اختلفت جهة بل منها، وعلى الطريق إلى أفغانستان أعطيت التعليمات بعدم السماح لأي عربي أن يمر عبر بعض النقاط البوليسية، وصا يمتطون صهوات الجبال، ويمشون ليتخطوا نقطة بوليسية فيها ضابط شديد أو عتل جبار عنيد.

## حة اليهود وأذنابهم:

ن اليهود يؤلبون العالم اليوم علينا، وبعد معركة جاجي الأخيرة وانتصار الأفغان نصراً مؤزراً في صد القوة الروسية، وكان ذي منَّ الله به على المؤمنين أسباب على رأسها وجود تجمع عربي صدَّ خمس هجمات للكومندوز الروسي، فبدأت إذاعة صو (بي بي سي) تبدي وتعيد بوجود تجمع عربي من المتطرفين دينياً، وقد كان لهم أثر في صد الروس.
لأن نحن نصارح اليهود وأذنابهم والأمريكان وأشياعهم على أنه:
- لا يستطيع أحد في الأرض أن ينتزع حب الجهاد من أعماقنا، ولا أن يمنعنا حقنا في أداء هذه الفريضة، ولن يستطيع أحد حب الله ورسوله.

٢- إن وجودنا في أفغانستان الآن -والذي هو أداء لفريضة الجهاد وعبادة القتال- لا يعني أننا نسينا فلسطين، ففلسطين قلبنا النابض، وهي مقدمة على أفغانستان في أذهاننا وقلوبنا وفي مشاعرنا وعقيدتنا، هي الأرض المباركة التي ذكرها رب العزة في كتابه الكريم أربع مرات، وهي مهبط الوحي، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، هي مسرى نبينا ﷺ، ولئن حيل بيننا وبين الجهاد في فلسطين بسبب القيود وحُراس الحدود، ولئن منعنا من مزاولة عبادة القتال في أرض المسجد الأقصى إلى أمة (مدة) معدودة، فهذا لا يعني أن أذهاننا قد انصرفت عن التفكير في فلسطين. لن يهدأ لنا بال ولن يقر لنا قرار حتى نعود للجهاد في فلسطين.

إن أشباحنا في أفغانستان -وهذا فرض علينا-، ولكن أرواحنا تحوم فوق بيت المقدس، وإن أجسادنا في كابل -وهذا واجب علينا-، ولكن أفئدتنا معلقة بالديار المباركة التي دنسها أحط خلق الله في دنيانا.

*وأقصانا تدنسه يهود ويرتع في مرابعه حثالة*

*مؤامرة يديرها يهود ويرعاها عميل لا أبا له*

لقد آلينا على أنفسنا أن لا نتراجع ولا نتزعزع عن هذا الطريق الرباني الواصل بين كابل والقدس، وبإذن الله نحن قادمون مهما بعدت الشقة وطال الزمن وامتدت الطريق.

نحن نصارح اليهود وأعوانهم أن الطريق واحدة، وأن الجهاد ممتد، وأن الشباب عزم عزمة أن لا يلين ولا يخضع بإذن رب العالمين.

*... نحن يا قدس رجعنا لإله العالمين*

*ومن الدين صنعنا عدة الفتح المبين*

٣- هذه الفئة المؤمنة صممت على المسيرة مهما اعترضها من أشواك، ومهما واجهها من عراقيل، وهذه الفئة وقد عاهدت ربها على اختيار هذا الطريق المفروش بالأشلاء، والمروي بالدماء، وهي تتضرع إلى الله عز وجل أن يثبت قلوبها وأقدامها، وأن ينزل السكينة عليها.

## التصميم على الموت:

هذه الفئة المؤمنة المجاهدة وطّنت نفسها على الموت، وهي تعلم شرعاً وعقلاً أن القتل برصاصة غادرة فوق أرض باكستان -من يد منافق أو من أنامل مشاقق- حكمه كحكم الموت برصاصة من يد روسي في أرض كابل وعلى ذرى الهندوكوش، وهو نفس الحكم الشرعي للقتل برصاصة يهودي في فلسطين، ولا فرق بين رصاصة شيوعي في باكستان ورصاصة شيوعي في أفغانستان، ورصاصة عميل لليهود أو للأمريكان، الكل قتل في سبيل الله ، والكل شهادة، والكل رفعة ومجد وسؤدد في دنيا الناس -وإن شاء الله في الملأ الأعلى-، ما دامت النية خالصة، والعزيمة منعقدة على بقاء راية الجهاد مرفوعة، وعلى مواصلة السير على هذا النهج الواضح والجادة المستقيمة.

وفي الحديث الصحيح: **{من وضع رجله في الركاب فاصلاً فوقصته دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد}**، وفي رواية أبي داود **{وإن له الجنة}**، فمهما كانت الميتة بعد الهجرة في سبيل الله فهي شهادة.

وقد سوى رب العزة بين القتل والموت في سبيله فقال عز وجل: **(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم)** (الحج:٥٨-٥٩).

وقد حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي، فجلس فضالة عند قبر المتوفى، فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده، فقال: ما أبالي من أي الحفرتين بعثت، ثم تلى الآية **(والذين هاجروا....)**.

ولم نرَ كرامة أنصع ولا تشريفاً أرفع من كرامة الأخ يحيى سنيور، الذي قتل برصاص غادر على يد شيوعي باكستاني على حدود أفغانستان، وقد بقي دم يحيى شهرين كاملين يعبق الشذى الطيب من الكتاب الذي ضمخه أثناء الشهادة.

وإذا قتلنا برصاص عملاء روسيا وأمريكا فلسنا بأفضل من -ذي النورين- ثالث الخلفاء الراشدين، الذي استشهد في الشهر الحرام في البلد الحرام -مدينة المصطفى ﷺ-، وهو يتلو القرآن الذي شرفه الله بجمعه.

لسنا بأشرف من ختن رسول الله ﷺ ورابع الخلفاء الراشدين، الذي كان مع الرسول ﷺ بمنزلة هارون من موسى، واغتاله يد ...حمن بن ملجم الآثمة أثناء صلاته.

## خترنا الموت طريقاً للحياة:

**(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)** (آل عمران: ٦٩)

*نفى الهم عني همة وعزيمـــة — وقلب على ما شئت منه مظاهـــــر*

*وأسمر مما ينبت الخـط ذابل — وأبيض مما تطبع الهند باتر*

*ونفس لها في كل أرض لبانـــة — وفي كل حي أسرة ومعاشـــر*

*وقلب يقر الحرب وهو مضــارب — وعزم يقيم الجسم وهو مسافــر*

*إذا لم أجد فـي كل فج عشيــرة — فإن الكرامة للكـــرام عشـائر*

٤- لن يستطيع أحد أن يمنعنا من دفع الصائل على أعراضنا، ولن تحرمنا قوة من الذود عن دمائنا. فدفع الصائل (الذي ... بالقوة على النفوس والأعراض) حق مشروع لكل إنسان، ودفع الصائل على العرض فرض عين بإجماع الفقهاء، فقد أجمع ... على أن المرأة التي تخاف على عرضها يجب أن تدافع عن نفسها حتى تموت، ولا يجوز لها الاستسلام للأسر لحال من ...، ووجوب دفع الصائل على النفس فرض عين عند جمهور الفقهاء.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية جواز قتل الصائل على مالك، ولو كان يبغي ثلاثة دراهم -إذا لم تستطع دفعه إلا بالقتل-، ولو ...سائل مسلماً مصلياً صائماً، فما بالك إذا كان الصائل روسياً أو يهودياً.

سنزاول حقنا الطبيعي، وسنؤدي فرضنا الرباني، مهما كانت الظروف -إن شاء الله-.

*وكيف ينال المجد والجسم وادع — وكيف يحاز الحمد والوفر وافر*

ولذا فإننا أخذنا على أنفسنا أن نواصل تحريضنا للشباب العربي بالقدوم إلى أرض الجهاد، وأن لا نتوقف في مسيرتنا، نحمل ما يمكن تحتمله من أعباء الجهاد الأفغاني، وأن نبذل قصارى جهدنا في محاولة إعادة العلماء إلى داخل المعركة بكفالة ...، وكذلك حفظ ماء وجوه القادة الذين يرابطون في الميدان منذ عشر سنوات نخلفهم في أسرهم بخير.

فقررنا أن نكفل القائد والعالم الأفغاني بمائتي ريال شهرياً (ألف روبية باكستانية)، ونهيب بالمؤسسات الإسلامية والدعوات والمراكز الإسلامية في الغرب أن تفرغ مجموعة من أبنائها مع كفالتهم ليعملوا في أرض المعركة، ويقوموا بدورهم الكبير

إن الدور كبير، والهمم قاصرة عن حمل التبعات، وليس لها إلا تأييد رب العالمين الذي يقوي العزائم ويشد الهمم.

*فيا أبنا العالم الإسلامي أفيقوا....*

*ويا شباب الحركات الإسلامية تنبهوا....*

*ويا أصحاب الدعوات الربانية استيقظوا....*

*ويا موجهي المراكز الإسلامية اعملوا....*

**(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)** (التوبة: ١٠٥)

**(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب)** (إبراهيم: ٥٢)

سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الجزء الخامس

# انتصار الإسلام

## المبشرات النصية في الكتاب والسنة:

هنالك نصوص كثيرة تطمئن النفس وتؤذن أن الإسلام سيتقدم لإنقاذ البشرية كلها -إن شاء الله-.

**أ- ففي الكتاب العزيز:** ١- **(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)** (التوبة:٣٢-٣٣).

قال الشافعي: ليظهرن الله دينه على الأديان حتى لا يدان الله إلا به، وذلك متى شاء الله.

لا بد -إن شاء الله- أن يعم هذا الدين الأرض ليظهر على الدين كله، لا بد أن يبدد هذا النور ظلمات الجاهلية التي عمت الأرض، لا لشيء إلا لأنه دين الله الذي يشبع الروح، وينسجم مع الفطرة، وترتاح له النفس، ويستقر به الضمير، وكما بين الله عز وجل في مبررات سيادته وانتشاره: إنه الهدى ودين الحق، ولذا لا جرم أن الحق ثابت والباطل زاهق. **(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)**(الأنبياء:١٨).

٢- والحق أصيل في الأرض والنفس، والباطل دخيل لصيق في الأرض والنفس كذلك.

**(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثةكشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)**(إبراهيم:٢٤-٢٥).

٣- والحق نافع يبقى والباطل زبد زائل. **(أنز ل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)**.(الرعد:١٦-١٧)

**ب- أما بشارات النبوة فهي كثيرة جداً وإليك بعضها:**

١- روى ثوبان رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **{إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها}**[1]

٢- قال ﷺ: **{ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله دين الإسلام وذلاً يذل به الكفر}**[2] .

٣. عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية، فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله (بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: **{مدينة هرقل تفتح أولاً}** يعني القسطنطينية)[3] .

٤- قال ﷺ: **{تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت}**.[4] .

هذه الأحاديث تطمئن القلب أن هذا الدين سيعود لينقذ الإنسان المعذب ويأخذ بيده من الهوة السحيقة إلى المرتقى السامق، سيطهره ويريحه، يقدم إليه إنسانيته التي فقدها، سيجد الإنسان أنه ولد من جديد، سيتذوق السعادة والطمأنينة ويشعر أنه مخلوق كريم إن شاء الله.

---

١- رواه مسلم، ورواه الترمذي وقال حسن صحيح. أنظر عارضة الأحوذي بشرح الترمذي (٩-٢٢)، وكذلك أنظر مختصر صحيح مسلم رقم (٢٠٠٠) الجزء (٢-٢٩١).

٢- رواه أحمد (٤-١٠٣) والطبراني الكبير (١-١٢٦) وابن منده في الإيمان (١-١٠٢) وعبد الغني المقدسي (في ذكر الإسلام ١/١٦٦) وقال حسن صحيح، ورواه الحاكم وقال صحيح مع شرط الشيخين ووافقه الذهبي (٤-٤٣٠) والسنن الكبرى (٩-١٧٩)، وقد أخذت هذا التخريج جميعه من كتاب الشيخ الألباني تحذير صفحة (١٢١)، وهذا الحديث والحديثان اللذان بعده أخذتهما من كتاب الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب، وقد أخرج الأحاديث الثلاثة الألباني في كتابه القيم سلسلة الأحاديث الصحيحة الجزء الأول. الدر البناء والربر القيام.

٣- رواه أحمد والدارمي و صححه الحاكم ووافقه الذهبي، ومن المعروف ان القسطنطينية فتحت ٨٥٧ هـ على يد محمد الفاتح، أي بعد البشارة بثمانية قرون و نصف، وستفتح روما بإذن الله

وهناك حديث رواه البزار بسند صحيح (وهو قريب في لفظه من الحديث الرابع): [إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيـ شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم يكون ملكاً عاضاً فيكون فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلا تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض، يرضى عنها ساكن السماء و الأرض، لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته].

وهناك أحاديث صحيحة تشير أن نهاية اليهود ستكون في فلسطين، وأن الجيش الذي سيقاتلهم جيش مسلم، حتى الشجروالحجر [يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله].

وفي رواية البزار ورجالها ثقات رجال الصحيح كما جاء في مجمع الزوائد للهيثمي في المجلد السابع: {أنتم شرقي النهر غربيه} ويُعقِّب راوي الحديث فيقول: ولم نكن نعرف أين الأردن من الأرض يومذاك.

فهذا يعني أن المنطقة قبل المعركة الفاصلة لا بد أن تكون محكومة بالإسلام، ويهيمن الإسلام على الجندي والقائد وا الحكوم، بدليل أن الشجر والحجر سينادي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله.

وقد جاءت روايات تشير إلى أن رجوع المسلمين إلى الله واستسلامهم لشرعه وجهادهم في سبيله عندما تكون الفتن تبد الأرض المباركة، حيث تكون الجماعة المسلمة، وحيث يقوم فسطاط المسلمين.

ففي رواية الإمام أحمد وأبي داوود: {لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من جابههم وا أصابهم من لأوائه حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس}.

والحديث قسم منه في الصحيحين، وبقية الحديث جاء من روايات عديدة في غير الصحيحين[1].

وقد عقد البيهقي باباً في سننه عنوانه (باب إظهار دين النبي ﷺ على سائر الأديان، ج٩ص١٧٧).

والحديث بلغ مبلغ التواتر، فهل يبدأ التغيير من فلسطين والأرض المباركة بلاد الشام، أم يبدأ من خراسان (أفغانستان)؟ في علم العليم الحكيم.

إن هذا الدين سينتصر ولا بد أن ينطلق من فوق أرض صلبة يتمثل فوقها هذا الدين حياً واقعياً، وهذه الأرض التي ا شمال أفغانستان مع تركستان الشرقية والغربية اسمها أرض (طوران)، وقد أخرجت الأتراك الذين حكموا العالم خمسة ق بالإسلام.

ومن أرض أفغانستان خرج محمود الغزنوي الذي حكم الهند وحطم صنم (سامومناتا)، ومنها خرج أحمد شاه بابا الذي ـ ـرق إيران وأفغانستان والهند.

فهل ينتصر الجهاد الأفغاني، وتقام دولة الإسلام في الأرض، ويبدأ الخط البياني للإسلام بالصعود، ويتغير تاريخ العالم؟

إنه ليس ببعيد، وما ذلك على الله بعزيز.

*********************

## هذا الكتاب

لا يستطيع أحد أن ينكر الواقع الأفغاني في دنيا البشر، ولا يجرؤ مسلم ولا كافر أن يغمض عينيه عن أن الشعب الأفغا ـد في عزته، فذ في إبائه مذهل في تضحياته ولكن الشعب الأفغاني كبقية الشعوب يحمل في طياته هفوات الشعوب، ولكنه تفرد ـا أنه رفض أن يعطي الدنية في دينه.

لقد كان الجهاد الأفغاني الحاضر سابع انتفاضة وقفها هذا الشعب خلال قرنين.

إن وجودنا الآن في أفغانستان هو أداء لفريضة القتال وعبادة الجهاد، ولكن هذا لا يعني أننا نسينا فلسطين والمسجد الأقص ـط الوحي وأولى القبلتين.

إن طريقنا الواسع اللاحب يمتد بين كابل والقدس، ولا محيد عن هذا الطريق -بإذن الله-.

---

[1] ـتصر سنن أبي داوود مع معالم السنن للخطابي (٦-١٣٧).

# عبر وبصائر للجهاد
# في العصر الحاضر

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهــداء

إلى الإخوة الذين شرفني الله بمعرفتهم على خط الجهاد الأصيل، والذين اختارهم الله في نضارة العمر وزهرة الشباب.

إلى الذين علموني حقاً في واقع الحياة أن المبادئ أغلى من الأرواح، والقيم أعظم من الأجساد، وأن الدم شجرة هذا ال لقويم.

إلى الذين كنت أستصغر نفسي وأنا أستمع قصص كفاحهم من أفواههم، وأزدريها وأنا أراهم في القمة من هذا الدين، و ساعد على أثرهم أسير ولكن بيني وبينهم بون كبير.

إلى الذين أضرع إلى الله أن يجمعني بهم في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيا

إلى الإخوة الذين قضوا نحبهم وهم يحاولون رفع الراية في نجود فلسطين أو ذرى الهندكوش، أو لقوا حتفهم وهم يحاولا ادة الحياة في عروق الأمة المسلمة بعد أن كادت تجف، وبذلوا أقصى ما يحتمله البشر، وهم يبغون هز الأمة وإيقاظها من رقادها

إلى الإخوة الذين سبقوني على هذا الطريق، فكانت حياتهم نوراً، ولا زالت قبورهم تشع نوراً.

إلى أرواح الإخوة: مروان حديد، وصلاح حسن، وسعود البحري (سعد الرشود)، وعبد الوهاب الغامدي، وأبو حمزة (ما ة أبو شلبك)، وعبد الله الفيلكاوي، وآخرون لا أحصيهم في هذه العجالة عداً، أقدم ثواب عملي المتواضع، ونرجو الله أن يجمعنا الحين.

الفقير إليه تعالى:

عبدالله عزام

(٦) ذي الحجة (١٤٠٦هـ)-(١٩٨٦/٨/١١م)

# الجهاد لغة واصطلاحاً

## الجهاد لغة:

مأخوذ من جهد -يجهد- جهداً، فالمصدر: الجهد بالضم أو الفتح وهو الوسع أو الطاقة، وقيل: الجهد (بالضم) هو الوسع والطاقة، والجهد (بالفتح) هو المشقة.

ويستعمل الجَهد (بالفتح) بمعنى الغاية، (واقسموا بالله جَهد ايمانهم) أي غاية ونهاية قسمهم، فالجهد والجهاد في اللغة: بذل أقصى ما يستطيعه الإنسان من طاقة لنيل محبوب أو لدفع مكروه (أنظر لسان العرب والقاموس المحيط).

## الجهاد شرعاً واصطلاحاً:

اتفق الفقهاء الأربعة أن الجهاد هو القتال والعون فيه.

**واليك تعريفات الفقهاء الأربعة:**

١- الحنفية: جاء في فتح القدير لابن الهمام (١٨٧/٥): الجهاد: دعوة الكفار إلى الدين الحق وقتالهم إن لم يقبلوا.

وقال الكاساني في البدائع (٤٢٩٩/٩): بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان وغير ذلك.

٢- المالكية: قتال المسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله، أو حضوره له، أو دخوله أرضه له[1].

٣- الشافعية: قال الباجوري: الجهاد أي القتال في سبيل الله (الباجوري/ ابن القاسم٢/٢٦١).

وقال ابن حجر (الفتح (٣/٦)): وشرعاً بذل الجهد في قتال الكفار.

٤- الحنبلية: قتال الكفار[2]: الجهاد: القتال وبذل الوسع منه لإعلاء كلمة الله تعالى[3].

# لماذا نجاهد؟

حدثني أحد الشباب المسلم الذي زار بيشاور قائلاً: لقد ودعت أحد أصدقائي الطيبين قائلاً له: أستودعكم الله، فإني ميمم شطر بيشاور، فرد علي أخي متألما متأسفاً قائلاً: لا حول ولا قوة إلا بالله، هداك الله!! وكأن الأخ الذي يريد أن يزور إخوانه المجاهدين قد ارتكب مخالفة شرعية، أو أصابته مصيبة، أو تنكب جادة الحق، فاستحق الحوقلة والرثاء والدعاء لطلب هدايته والعودة إلى طريق الصواب، -وهو عدم السؤال عن المجاهدين ولا زيارتهم- وقال لي آخر: قلت لصديقي الصالح: أنا ذاهب إلى أفغانستان فقال: مستهزئاً: شكلك ليس شكل المجاهدين.

ونحن نقول: لا بد أن نبحث القضية شرعياً، ونرجع إلى النصوص نحتكم إليها.

**(فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً )**(النساء:٥٩)

## فنقول عن الجهاد:

**أولاً: أنه لا يعدل الجهاد شيء من الأعمال الصالحة.**

إن أجر المجاهد لا يعدله شيء من الأعمال بنص الكتاب والسنة، ففي الحديث: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: **كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعه، ولكن إذا صلينا الجمعة دخلنا على النبي ﷺ فسألناه، فنزلت..**[4]

---

١-(حاشية العدوي/ الصعيدي (٢/٢)، والشرح الصغير/ أقرب المسالك للدردير (٢٦١/٢)) ٢- (أنظر مطالب أولي النهى (٤٩٧/٢))

{أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله} .

(التوبة: ٩

فالآية نزلت كما روى مسلم لتبين للصحابة رضوان الله عليهم أن الجهاد أفضل من جوار المسجد الحرام ومن سقاية الحاج.

وفي الصحيح قال ﷺ: {لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود}[1] .

وأما أبو هريرة رضي الله عنه فيقول: **لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود. (أي ا** ستجابة لدعائي وأنا عند الحجر الأسود)، وأبيات عبد الله بن المبارك للفضيل بن عياض -والإثنان من خيار علماء السلف الصالح تي أرسلها عبد الله بن المبارك -وكان مرابطاً في طرسوس- تؤكد هذا الحكم:

*يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب*
*من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب*
*أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب*
*ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنابك والغبار الأطيب*

فلما قرأها الفضيل ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح.[2]

قال الفضيل بن زياد: سمعت أبا عبد الله -أحمد بن حنبل- وذكر له أمر العدو فجعل يبكي ويقول: ما من أعمال البر أفض . وقال عنه غيره: ليس يعدل لقاء العدو شيء، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال، والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون ع سلام وعن حريمه، فأي عمل أفضل منه؟[3] .

ثانياً : المجاهد أفضل الناس.

في الحديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي ﷺ. **فقال: أي الناس أفضل؟ قال: {رجل يجاهد ف الله بماله ونفسه، قال: ثم مؤمن في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره}**[4]

وقد ربط ﷺ بين المجاهد وبين المتعبد المعتزل، لأنهما قد جمعتهما الغربة، فهما غرباء في هذه الدنيا، وسقطت الدنيا م رهم، ولم تعد زخارفها تغشي أبصارهم، فهذان كما قال ابن القيم عن كل منهما: صحب الله بلا خلق، وصحب الناس بلا نفس له ما أغربه بين الناس! وما أشد وحشته منهم! وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكينته إليه!![5]

فأما المجاهد فقد أصبح الجهاد بحره وهو كالسمك فيه، وأصبح القتال روحه وريحانه، فهذا رفيع الله -أحد قادة الأفغان- شهد أبناؤه الثلاثة وأخواه وفي جسده ثماني إصابات، ومع ذلك لم يطق الجلوس في بيشاور أكثر من يومين، فالمجاهد يبحث عر دة في سبيل الله ، قد وضع روحه على راحته، يريد أن يهرق دمه من أجل الجنة أولاً وحماية للأعراض والنساء والولدان ثانياً.

**{وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالـ واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً}** (النساء:٧٥)

كما يصفه رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **{من خير معاش الناس رجل ممسك بعنان فرس بيل الله، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه، يبتغي القتال والموت مظانه، ورجل في غنيمة في رأس شعفة مر ، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد الله حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير}**[6] .

أرأيت رجلاً يبحث عن الموت؟ -**يبتغي القتال والموت مظانه**-؟ إنه آخذ بعنان فرسه، مستعد للقتال في كل لحظة، كلما سمع فزعة -ضجة أو خوفاً من عدو- هرع إليه.

وكما قال خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما حضرته الوفاة: لقد طلبت القتل مظانه فلم يُقدَّر لي إلا أن أموت على فراشي، وما شيء عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس بفرسي والسماء تهلني منتظر الصبح حتى نغير على الكفار[7].

---

ابن حبان (٢٨١)، والترغيب والترهيب (٢/٢٤٦). ٢- (الجهاد لابن المبارك (٢٨)). ٣- (المغني مع الشرح الكبير (ص١٠/٣٦٨))
البخاري ومسلم (مختصر مسلم (١٠٧٢)) ٥- (تهذيب مدارج السالكين (٧٣))
مسلم (صحيح الجامع الصغير (٥٧٩١)). (متن الفرس: ظهره، الهيعة: الصوت المخيف، الشعفة: رأس الجبل). ٧- (الجهاد لابن المبارك (٨٨))

وكثيراً ما كان يقول لي أستاذنا في هذا الميدان (عبد العزيز علي): يا عبد الله إن أرجلي تؤلمني، وأنا أريد أن أوفرها حتى ندخل بها بعض المعارك لعل الله يرزقني الشهادة.

ولقد كان السلف رضوان الله عليهم نماذج رفيعة كاملة لهذا الضرب من الرجال، فهذا (مجزأة بن ثور السدوسي) الصحابي رضي الله عنه قتل مائة من الكفار مبارزة، عدا من قتلهم في أرض المعركة.

وهذا البراء بن مالك رضي الله عنه قتل تسعة وتسعين من رؤساء المشركين، عدا من شارك في قتلهم، وبارز مرزبان الدارة وقتله وأخذ سلبه فبلغ ثلاثين ألفا[١].

وهذا عبد الصبور -شاب أفغاني في العشرينات- قال لي: لقد ذبحت بالسكين (٢٩) نفراً من الشيوعيين في وسط كابل، عدا من شاركت في قتلهم بالسلاح.

**ثالثاً: المرابط يرابط في سبل الله لإخافة الأعداء، وحماية الديار، وصيانة الثغور، ويتحمل على نفسه، ويفزع ليلاً ونهاراً من أجل أن يوفر الأمن للناس.**

كم من مرارة يتجرعها ليذوق من وراءه من المسلمين حلاوة النوم والطعام؟ إنه ترك أهله وعياله، وقد لا يكون لديهم طعام ولا لباس، ويكفي حرمانهم أنسه، وفقدانهم رعايته وتربيته من أجل أن يحمي آلاف وملايين من الأسر مثل أسرته.. إنه يرى الموت كل يوم مرات، ليوفر الحياة الحقيقية والسعادة والعزة للأمة المسلمة.

يسهر كل ليله لينام الناس، ويحزن ليهنأ المسلمون من ورائه، لقد أصبح صليل السلاح نغمه الحبيب، وصوت (الله أكبر) نشيده المرغب، وما أجملها من أيام تقضيها بين المجاهدين، كل واحد ارتقى قمة جبل مرابطاً وراء سلاحه (الدوشكا أو الزيكويك الأسلحة المضادة للطائرات)، حتى إذا جَنَّ الليل لا تسمع منهم إلا صوت التكبير يقطع صمت الظلام الساجي.

كنت ذات ليلة فوق جبال سليمان قريباً من جبل سفيد كوه -الجبل الأبيض- وإذا بصوت الدوشكا بجانبي يلعلع في وهن من الليل، فانتفضت فزعاً من نومي، وبحثت عن سلاحي، وكان بجانبي شيخنا أبو الحسن، وإذا بالشاب الأفغاني يهدىء روعنا ويسكن قلوبنا قائلاً: لن تراعوا. نظرت إلى هذا الشاب وإذا به يلبس ثوباً ممزقاً. قال أبو الحسن والدموع تفيض من عينيه: أسود جائعة.. العالم الإسلامي كله محاسب عن هؤلاء.

هذا الشاب وأمثاله مضى عليهم ثماني سنوات -في مثل هذه الظروف- لم يأخذ من قائده درهماً واحد، وهو صابر محتسب يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، ويطمع في ثواب الرباط، كما جاء في الحديث: عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها أحدكم في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**}[٢] .

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {**ما من ميت يموت إلا ختم على عمله، إلا من مات مرابطاً فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، وأمن من فتنة القبر**}[٣] ، وقد علل رسول الله ﷺ أمن المرابط من فتنة القبر بقوله: {**كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة**}[٤] .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {**من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها**}.[٥] .

وقد يستغرب المرء هذا الثواب العظيم الذي رتبه الله أجراً للمرابط، اليوم بألف يوم، ولكني أقول: إن المرابط والمجاهد قد يلاقي في بعض الليالي مشقة وعنتاً تفوق شدتها عن ألف ليلة في بيته.

كنت ذات ليلة عائداً من زابل في طريقي إلى كويتا، وقد اشتد البرد كثيراً حتى تهيبت أن أنزل من السيارة لأصلي الفجر خارجها، وتحاملت على نفسي وصليت صلاة من أقصر الصلوات في حياتي، وكانت هذه الصلاة أثقل عليّ فعلاً من ألف صلاة في

---

١- (المغني مع الشرح الكبير(١٠/٣٩٤)).

٢- أخرجه البخاري، (الغدوة: الخروج إلى الجهاد في أول النهار، والروحة: الخروج للجهاد في آخره، أي خروجاً واحداً في أي وقت من النهار في سبيل الله خير من الدنيا).

بيتي.. فالبرد يكاد يقطع الأوصال، مع ما أصابني بسببه من شديد الإسهال.

وكنت ذات يوم في بكتيا (جاجي) في ديسمبر، ولأول مرة أرى الماء الساخن الذي يستعمل للوضوء يتجمد مباشرة على ا[...] ورأيت الماء الساخن على وجه الشيخ سياف يحول شعر لحيته إلى أعمدة دقيقة من الجليد، وعندها أدركت سر الثواب العظيم للمـ[...] المرابط.

والمرابط يؤمن للمسلمين صيامهم وقيامهم، ويحفظ عليهم -بإذن الله- دينهم وإيمانهم **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويـ[...] الدين كله لله)**.

والفتنة هي الكفر، فالمرابط والمجاهد يحمون الشعائر الإسلامية ودور العبادة من الهدم والاندثار.

**(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)** (الحج:٤٠)

ولذا فقد جاء في الحديث الصحيح أن للمرابط مثل أجر صلاة وصيام من يحميهم، فقد روى الطبراني بإسناد جيد عن [...] ضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أجر الرباط فقال: **{من رابط ليلة حارساً من وراء المسلمين كان له أجر من خلفه ممن [...] صلى}**[1].

**رابعاً: إن المجاهد يطمع في الثواب العظيم عند الله.**

وأجر الجهاد أعظم من أجر الرباط، إذ أن المشقة تزداد في الجهاد عنه في الرباط، وفوهة سلاحه المرفوعة هي التي [...] ؤوس المسلمين مرفوعة، ونفوسهم عزيزة، ولسان البرق الممتد في لهوات الليل من رصاصه يحيل وحشة الليل أنساً، ورجعة الـ[...] منا وطمأنينة، ومهابة الأعداء منّا لا تكون إلا بالقتال.

**(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأ[...] تنكيلاً)** (النساء: ٨٤).

ومن الثواب الذي يطمع به المجاهد من جهاده في سبيل الله ما سمعه من الأحاديث، منها: عن أبي عبس عبد الرحمن بن [...] الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **{من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله عز وجل على النار}**[2].

وأي شيء يبتغيه المجاهد سوى النجاة من النار، ولذا فهو يحرص على الشهادة، وميزان التفاضل في (المجتمع المجاهد) [...] اد والشجاعة والإبلاء في ميدان القتال.. ولذا فالقبائل الأفغانية التي لا تقدم شهداء تستحي من نفسها وتقدم مجموعة من أبناء[...] ليكونوا شهداء، والجهاد يبين مقادير الرجال الحقيقية، والدرجات بقدر البلاء والشجاعة والصبر.

لقد رأيت محمد صديق شكري ينزل مطيع الله من السيارة بعد أن قرر أن يذهب إلى المعركة وإذا به يبكي، فعجبت من مجا[...] عليه سبع سنوات في المعارك يبكي لأنه أُخر عن عملية جهادية.

**خامساً: حسنات العبادات في أرض الجهاد تتضاعف.**

ففي الحديث عن أبي سعيد مرفوعاً: **{من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً}**[3]، وذلك لأن الصوم [...] المعركة شاق على النفوس، ولذا فأكرم الأكرمين يضاعف الأجر ويجزل الثواب، والصيام يهذب النفس، والجهاد يصقلها، وكـ[...] الذكر والعبادات في أرض الرباط كلما زادت الشفافية والصفاء للنفس البشرية، ولقد رأيت بعض الشباب في أرض المعر[...] ون بالبكاء ورائي في التراويح، وما كنت أظنهم يذرفون دمعة واحدة في الصلاة. ذلك لأني أراهم يضحكون ويمزحون كثير[...] هبة الموقف خاصة أثناء الاستعداد للانتقال إلى أرض المعركة الساخنة تهز المشاعر وتوقظ الوجدان، بالإضافة إلى الصفـ[...] من الله به على المجاهدين في هذه الأجواء.

وكما قلنا أن أقدار الرجال لتبرز جلية في أجواء العمل، فكم من الصغار يرتفعون في الأنظار! وكم من الكبار يحسّون بقزاء[...] ضآلة حجمهم وهم يرون العطاء الجزل الذي يقدمه هؤلاء الشعث الغبر.

كما أن الصيام يتضاعف فالصلاة تتضاعف، ففي الحديث عن أبي هريرة قال: مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فـ[...]

---

١- [...] والترهيب (٢/٥٢٤).   ٢- رواه البخاري.   ٣- متفق عليه.

عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: **{لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم فيدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله.. من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة}**[1].

إنها منة عظمى أن يمن بها الله على من يشاء من عباده، وحب الجهاد والعبادة نعمة كبيرة يسبغها الله على القلوب، فالقلوب المؤمنة يحبب الله إليها الإيمان ويزينه فيها.

**(واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون)** (الحجرات:٦).

فليس حب الجهاد بأماني الإنسان ولا باجتهاده ولا بدراسته وعمله، وإنما الفضل فيها لله أولاً وآخراً

**(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)** (المائدة:٥٤).

وقد كان ابن تيمية رحمه الله يردد: ليس مني شيء وليس لي شيء، وابن تيمية رفع قدره الجهاد في سبيل الله، وقد وقف أمام قازان -حاكم التتار- مواقف جليلة مشرقة ربانية، وعندما وصل التتار إلى مشارف دمشق حث الناس على ملاقاة التتار، وتقاعس الأمراء، وقاد معركة شقحب سنة (٧٠٢هـ) في رمضان، وكان يقسم لتنتصرن.. ونصرهم الله.

**سادساً: وما يحدو المجاهدين لتكبد مصاعب الطريق وتحمل أهوال المعركة حب الشهادة وثوابها.**

ففي الحديث: عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **{للشهيد عند الله ستة: يغفر الله له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، وفي رواية أحمد يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه}**[2].

وماذا ينتظر المرء بعد هذا الثواب العظيم؟ أينتظر الموت تحت عجلات السيارات؟ أم ينتظر الموت البطيء تفترس جثته الأمراض وتقتات قوته الآلام والأوجاع، ما بين سكري وجلطة وتصلب شرايين وانزلاق الغضاريف؟

*فإذا لم يكن من الموت بد       فمن العجز أن تموت جبانا*

إنها ميتة واحدة، فاحرص أن تكون في سبيل الله، فإن كنت تستحق الشهادة فإن الله يختارك لها **(ويتخذ منكم شهداء)**.

وهذه منزلة لا ينالها كل الذين يدخلون المعارك، وإنما الشهادة اصطفاء واختيار من الله الواحد القهار.

*عش عزيزاً أو مت وأنت كريم       بين طعن القنا وخفق البنود*

ومن حكم الله عز وجل أن لا يقتل خالد في أرض المعركة ليوقن الجبناء أن الحرب لا تقرب أجلاً، وقد قال رضي الله عنه: لقد شهدت زهاء مائة زحف، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء!!.

والجنة مبتغى النفس ومناها، وغاية سعيها ورضاها، وهي كما جاء في الحديث: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **{إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف}**[3].

**وختاماً:** فالنفوس التي تعد لبناء الأمم المسلمة ومجتمعاتها، ولقيادة البشرية وتوجيهها لا بد أن تبنى على محك الشدائد، وتصقل في أتون المحن، وتنضج على حرارة الفتنة وأهوال الطريق.

فالذين يفكرون في تربية الأجيال وفي قيادتها عليهم أن يروا ناموس الله في الدعوات، وقانونه في انتصار المبادئ.

قانونه: أن أصحاب المبادئ لا بد لهم من المحن والفتن.

**(الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن**

---

١- رواه الترمذي وقال حديث حسن، (فواق ناقة: مقدار ما بين الحلبتين).   ٣- رواه الترمذي وهو حديث حسن

الكاذبين) (العنكبوت:٢).

ليعلموا أن الترف والتقلب بين أعطاف النعيم ينخر في كيان النفس كما ينخر السوس في الخشب، وكلما كانت النفس ة على التقشف والزهد، فإنها تستطيع مواجهة الأحداث واحتمال البلاء إذا أناخ عليها الزمان بكلكله.. ويكفيك مثالاً الشعب الأف الذي واجه أحداثاً ومصائب ما رأى الزمان في أحقابه المتطاولة لها نظيراً، ومع ذلك فهو صابر محتسب مصمم على مواصلة المسـ

يحدثني صلاح الدين ثاقب -أحد قادة الجهاد في كابل- أنه استشهد من أسرته سبعة عشر شخصاً، ولم يبق له من الدنيـ شي، وعائلته لا تملك من حطام الدنيا شيئاً. فأشرت عليه أن يراجع بعض المسؤولين من الأفغان فقال: أنا لا أراجع أحداً، فقا -بعد أن جلس حتى منتصف الليل- أوصلك بالسيارة إلى بيتك، فقال: إن سيارتي لا تفارقني-وأشار إلى رجليه-.

هذا الشاب الذي هز أرجاء كابل، ومضى عليه عشر سنوات في المعركة، وعضّه الفقر بنابه، ومع ذلك فإن عزته لا زالت ؛ هامته التي أبت أن تنحني للعواصف، ولا زالت قناته صلبة، ولم تلن لظروف الأحداث التي تزلزل الجبال.

**(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)** (آل عمران:١٤٢).

وكما قال ﷺ لبشير بن الخصاصية وقد جاء يبايعه على أمور الإسلام فقال: أبايعك عليها كلها إلا الجهاد والصدقة، فقال : **يا بشير،، لا جهاد ولا صدقة فيم تدخل الجنة!)**[1] .

فالقضية ليست بكثرة النصوص ولا وفرة الآيات والأحاديث، وإنما الأمر توفيق من الله الذي يفتح البصائر فتدرك الأحكام.

**(فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)** (البقرة:٢١٣).

فقد تنتكس القلوب، وترتكس الفطر، فلا تظهر فيها صور الأشياء جلية على حقيقتها، وقد ترى النفوس المعروف منكراً والـ روفاً، وقد تمرض القلوب بشهواتها، وتضل النفوس بأهوائها.

؛ قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد، وينكر الفم طعم الماء من سقم، قال تعالى:

**( قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ)** (الأنعام:١٠٤).

فندعو الله عز وجل أن يهبنا عين البصيرة لتبصر البصائر التي أنزلها إلينا، وهذه البصيرة تفجر في القلب ينابيع المعـ راك، وهذه لا تنال بكسب ولا دراسة، إن هو إلا فهم يؤتيه الله عبداً في كتابه ودينه على قدر بصيرة قلبه، وهذه البصيرة تنبت ، القلب الفراسة الصادقة، وهي نور يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب، وقال تعالى:

**(إن في ذلك لآيات للمتوسمين)** (الحجر:٧٥)

قاله مجاهد، وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(اتقوا فراسة المؤمن، فإنه يـ لله عز وجل)** ثم قرأ قول الله عزوجل: (إن في ذلك لآيات للمتوسمين).

## أحاديث فضائل الرباط في سبيل الله:

١- عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جر مله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان)**[2]

فأي نعمة أكبر من أن يبقى العمل جارياً إلى يوم القيامة ولا يختم على ديوان عمل المرابط إذا مات؟

٢- في الحديث الصحيح: **(رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر، وغدي عل ريح من الجنة، ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله)**[3] .

ا أعظم كرم ربنا! رباط شهر خير من صيام الدهر كله، فأين يذهب الشباب من هذا الثواب العظيم؟ وكيف يقضون إجازاتهم وفرح، سيحاسبون عليه يوم القيامة؟ فلم لا تكون الإجازة -بل الحياة كلها- في أرض الرباط عزة في الدنيا ورفعة فـ ذكراً حسناً، وثناء جميلاً في دنيا الناس وفي الملأ الأعلى؟

ث حسن ٢- مختصر صحيح مسلم رقم (١٠٧٥). (الفتان: جمع فاتن وهو منكر ونكير -الملكان اللذان يسألان عن الميت للسؤال- أو الشيطان)
حيح رواه الطبراني صحيح الجامع (٣٤٧٣).

## أجر القتال:

{قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة}[1] .

## النوم أجر في الغزو:

جاء في صحيح الجامع رقم (٤٠٥٠): {الغزو غزوان، فأما من غزا ابتغاء وجه الله تعالى، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد في الأرض، فإن نومه ونبهه أجر كله.. وأما من غزا فخراً ورياءً وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بالكفاف}[2] .

فبهذه الشروط الخمسة يصبح النوم والقيام منه كله أجر، وهي:

١. إخلاص النية لتكون كلمة الله هي العليا.

٢. طاعة الأمير، لأن طاعة الأمير في القتال واجبة -كما يقول السرخسي- كطاعة المرأة لزوجها وطاعة العبد لسيده.

٣. إنفاق الكريم من أمواله سواء خيلاً أو ذهباً أو بستاناً.

٤. ياسر الشريك: كان حسن الخلق مع أصحابه في القتال ومع قائده.

٥. اجتناب الفساد: عدم الغيبة والنميمة والغلول (السرقة من الغنائم).

وأما إذا خرج رياءً وعصى الأمير وأفسد في الأرض فإنه يرجع مأزوراً غير مأجور، ومعنى الكفاف: لا له ولا عليه.

## درجات الجنة للمجاهدين:

في البخاري (٩/٦) الحديث: {إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض}.

## الشهيد الصادق درجته بعد درجة النبوة:

جاء في المسند (١٨٥/٤) عن عتبة بن عبد السلمي مرفوعاً: {القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذاك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة، ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء الخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل، فإن ذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق}[3] .

## عقوبة من لم يشارك بالغزو بنفسه أو ماله:

روى أبو داود بإسناد قوي عن أبي أمامة رضي الله عنه الحديث المرفوع: {من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة}[4] .

## عون الله للمجاهد:

قال ﷺ: {ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف}[5] .

## أجر الطلقة كعتق رقبة:

وفي الصحيح عند النسائي: {من بلغ بسهم في سبيل الله فله درجة في الجنة}، وقال ﷺ: {من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة} وعند النسائي تفسير الدرجة بمائة عام[6].

١- حديث صحيح رواه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي أمامة، صحيح الجامع (٤٣٠٥) وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٠٢)

[illegible]

## الخوف في القتال يؤمن من النار:

روى أحمد في المسند (٦/٨٥) بسند صحيح عن عائشة: [**ما خالط قلب امرئ رهج في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار**][1]

## النية في الجهاد:

لا بد للنية أن تكون خالصة لله ولا يخالطها رياء ولا سمعة، ولذلك فقد بين رسول الله ﷺ أن المجاهد المأجور هو من كانت صادقة لله عزوجل لا يشوبها حب اطلاع البشر، ففي الحديث في مختصر صحيح مسلم (١٠٨٨): عن أبي موسى الأشعري رضي نه أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن بيل الله؟ فقال ﷺ [**من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله**] (م ٦/٤٦).

وفي الحديث (١٠٨٩): عن سلمان بن يسار رضي الله عنه قال: تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناقل أهل الشام: شيخ! حدثنا حديثاً سمعته عن رسول الله ﷺ، قال: نعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه ستشهد فأتي به فعرف نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت، قال قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل مر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما ؤ بها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد ؛ ؛ أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، ما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا انفقت فيها لك، قال كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل ر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار**]. وقد روي أن أبا هريرة عندما روى الحديث أمام سيدنا معاوية بكى معاوية حتى اخذ ته وأغمي عليه، وعندما أفاق قال معاوية رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ، يقول الله عز وجل:

(**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا ا بط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**) (هود:١٥-١٦)

## ـت في طريق الجهاد جزاؤه الجنة:

عن عبد الله بن عتيك مرفوعاً: [**من خرج من بيته مجاهداً في سبيل الله عز وجل -ثم قال بأصابعه الثلاث (الوسطى والسـ بهام) فجمعهم فقال: وأين المجاهدون؟- فخر عن دابته ومات فقد وقع أجره على الله، أو لدغته دابة فقد وقع أجره على الله حتف أنفه فقد وقع أجره على الله، ومن مات قعصا فقد استوجب المآب**][2] وهذا الحديث الشريف يفسر الآية الكريمة.

(**ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما**) (النساء:

## ت في الهجرة كالشهادة:

روى الطبري عن عبد الله بن جحدم الخولاني أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين، أحدهما أصيب بمنجنيق والا فجلس فضالة عند قبر المتوفى، فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده! فقال: ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، إن الله تبـ ـ يقول:

(**والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مد نه وإن الله لعليم حليم**) (الحج:٥٨-٥٩).

نما تبغي أيها العبد إذا دخلت مدخلاً ترضاه ورزقت رزقاً حسناً؟ والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت!!.

جاء في صحيح الجامع (٦٢٨٩) عن أبي مالك الأشعري قال: قال ﷺ: [**من فصل في سبيل الله فمات، أو قتل، أو وقصه بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة**][3] .

الخوف والجزع (أنظر زاد المعاد (٣/٨١)). ٢- صححه الحاكم ووافقه الذهبي ورواه أحمد (الفتح الرباني (١٤/١٩)). (القعص: الموت السريع -استوجب المآب: ا جح- فاصلاً: مفارقاً منزله وبلده -وقصته دابته: رمته فاندق عنقه- الحتف: الموت، مات حتف أنفه: مات على فراشه)

و داود والحاكم وهو حديث حسن.

الناس قسمان: عبيد الدنيا وطلاب الآخرة:

روى البخاري (٤١/٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **[تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش].**

**[طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع]**[1].

# مبررات القتال ودوافعه

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله، قال: **[من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله]**[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنّ رجلاً قال يا رسول الله: رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من الدنيا، فقال: **[لا أجر له، فأعادها ثلاثاً كل ذلك يقول لا أجر له]**[3].

الآيات:

١. **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)**(البقرة:١٩٣).

٢. **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون)** (الصف:٩).

٣. **(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)** (الصف:٨).

٤. **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً).**

٥. **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).**

إن هذا الدين جاء إعلاناً عاماً للبشرية كافة يؤذن أن مجال عمله هو الإنسان -كل إنسان- في الأرض -كل الأرض-، ومن ثم فإن الجهاد ضرورة حتمية تلازمه كلما أردنا أن نبلغه للناس أو ننشره في ربوع العالمين، لأنه سيقف في وجهه العقبات الكبرى التي يقوم عليها كيان الجاهلية.

سيقف في وجهه عقبات كأداء: سياسية واجتماعية واقتصادية وعرقية وجغرافية، ولا يمكن لدين جاء لينقذ البشرية أن يقف مكتوف اليدين يبلغ باللسان ويدع للجاهلية السلاح والسنان، لأن الجاهلية نفسها ستتحرك لتحمي كيانها وتجتث الإسلام من الجذور.. **(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم...).**

وسواء تحركت الجاهلية أم لم تتحرك فلا بد للإسلام أن ينطلق بحركته الذاتية التي لا بد منها لقانون التدافع **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين).**

إن قانون التدافع بين الحق والباطل هو الذي يحفظ الحياة صالحة، وإلا أسنت الحياة وتعفنت، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس **(إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)**، يعني إن لم تحصل الموالاة بين المؤمنين، والجهاد، والهجرة في سبيل الله يعم الشرك الأرض.

وقانون التدافع: هو التفسير الإسلامي للتاريخ والأحداث، إن الإسلام لم يأت ليكون دين الجزيرة العربية فحسب، أو ليكون دين العرب فقط، ثم بعد ذلك يقبع في أرجاء الجزيرة يدافع عن حدودها ويحمي أطرافها، إن رسول الله ﷺ بعث للأحمر والأسود.

إن الجهاد ضرورة لحماية الشعائر، وحفظ الفرائض التعبدية وأماكن أدائها **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره...).**

---

١- إذا شيك فلا انتقش: إذا وخزته شوكة لا أخرجها الله ، إن كان في الحراسة، لا يهمه في أي مكان وضعه الأمير سواء في المقدمة أو في المؤخرة.

فالتمكين في الأرض ضرورة حتمية وفرض لازم لحماية العبادة **(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة..)**.

لقد بلغت الجرأة بأعداء الله أن يعلن أتاتورك تحويل مسجد أياصوفيا إلى متحف، ويمنع الأذان بالعربية، ويمنع الصلاة ا الناس، ويفرض السفور على كل امرأة تتعامل مع الدولة أو تدرس في مدارسها!!

ولقد وصل الصلف بعبد الحكيم عامر أن يوزع على خطباء المساجد أن يمتنعوا عن الكلام على فرعون سيدنا موسى!!

وبلغ الغرور بالنصيري أن يعلن حكم الإعدام عقوبة على من ثبت أنه من الإخوان المسلمين!!

ووصل الاستهتار والسخرية بالقيم عند أحدهم أن يؤسس نوادي للعراة يسميها (صفر في الأخلاق)!!

ويعلن جمال سالم هزأه بالقرآن الكريم، فيطلب من الأستاذ الهضيبي أن يقرأ الفاتحة معكوسة.

ويصرح حمزة البسيوني قائلاً لمن استغاثوا بالله أثناء التعذيب (لو جاء الله لوضعته في الزنزانة)!!.

إنها مهزلة مضحكة قاتلة أن يقول قائل: إن وظيفة الإسلام أن يقف واعظاً لأمثال هؤلاء ينصحهم باللسان ولا شأن له بالسنـ لأنه لا إكراه في الدين!!.

لا بد للإسلام من البيان باللسان، وإزالة الحواجز أمام دعوته بالسنان.

نعم لا إكراه في الدين بعد تحطيم العقبات التي تحول دون وصول الإسلام إلى الناس، وتمنع دخول الناس في هذا الد تعبدهم لغير رب العلمين، إن الحق يأبى الحدود الجغرافية، ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافيا، فال تحدى العقول البشرية النزيهة ويقول لها: ما بالكم تقولون إن القضية الفلانية حق في هذا الجانب من الجبل أو النهر، وهي باطل مت هذا الشاطئ إلى الشاطئ الآخر.

**إن وظيفة الجهاد الإسلامي تتلخص في ثلاث نقاط:**

١. نشر الدعوة الإسلامية -وهذه أهمها وأساسها-.

٢. حماية دار الإسلام التي يقيمها لتكون منطلقاً لدعوته ومحضناً أمنا لفكرته.

٣. إنقاذ المستضعفين في الأرض.

**(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظ ـها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً)** (النساء:٧٥).

إن قيمة الأرض ذاتها ليس لها قيمة ولا وزن في نظر الإسلام إلا إذا ساد فيها منهج الله، وحكمتها شريعته، وهيمن عليها دينـ

يقول الشهيد سيد: إن الأرض تعتبر ذات قيمة في المنهج الإسلامي عندما تكون محضناً للعقيدة، وحقلاً للمنهج، وداراً للإسلا طلقاً لتحرير الإنسان، وحقيقة أن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج، ولكنها ليست الهد ائي، وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي، إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها، ثم لاتخاذ دة انطلاق إلى الأرض كلها، وإلى النوع الإنساني بجملته، فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين، والأرض هي مجاله الكبير.

إن مكة -وهي التي تضم البيت العتيق ويكنّ حبها في قلبه ﷺ- تترك إذا أقفرت من أن تنبت خضرة أو تعطي ثمرة، إن الجهـ الإسلام لا يمكن أن يكون دفاعياً عن بقعة أرض أو عن عرق أو قومية إنه دفاع عن الدعوة والعقيدة التي يجب أن تعم الأرـ وعن الدين الذي يريد الله أن يظهره على الدين كله، (إن من حق الإسلام أن يتحرك ابتداء، فالإسلام ليس نحلة قوم ولا نظـ ولكنه منهج إله ونظام عالم، ومن حقه أن يتحرك لتحطيم الحواجز بين الأنظمة والأوضاع التي تغل من حرية الإنسان ـ تيار.

إن الإسلام دين واقعي يواجه فساد التصور والمعتقدات بالآيات البينات، ويقابل قوة الجاهلية والسلطان بالقوة والحـ نان.

لا بد من الإنتباه إلى بعض النقاط الهامة على طريق الجهاد:

## الطريق إلى الجهاد:

١- إن الطريق إلى الجهاد لنشر دين الله في ربوع العالمين لا بد أن يبدأ بدعوة صريحة للتوحيد الخالص، ولتوضيح لا إله إلا الله في النفوس، وتوحيد الربوبية (المعرفة والإثبات)، وتوحيد الله بأفعاله بأن نثبت له الوحدانية في الرزق والأجل والإحياء والإماتة والقدرة.

٢- توحيد الأسماء والصفات، فنثبت لله الأسماء الحسنة والصفات العليا، دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، كما ورد في الكتاب والسنة، دون اشتقاق أسماء جديدة له عز وجل، فلا نقول أن الله جابر مع أن اسمه الجبار، فلا نسمي عبد الجابر، ولا نقول يا ساتر لأن صفته الواردة في السنة الستير.

وهذه الدعوة هي جماع دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

**(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** (الأنبياء:٢٥)

وتبدأ هذه الدعوة إلى التوحيد منذ اللحظة الأولى بتجميع الناس عليها، وعندما يتجمع حولها مجموعة من الناس، يضحون من أجلها، ويعيشون في سبيل إعلائها، تتحرك الجاهلية من حولهم لسحقها وسحقهم، فتقوم المعركة بين الحق والباطل، فيسقط على الطريق أناس، ويفتن أناس، ويستشهد أناس، ويصبر أناس يحملون اللواء والنبراس، وهؤلاء ينصرهم الله ويمكن لهم في الأرض، ويجعلهم ستاراً وأداة لنصرة شريعته.

**(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)** (يوسف:١١٠)

لا بد من البحث عن قطعة أرض مناسبة يقام عليها دين الله، وعلى الدعاة أن يركزوا جهودهم وجهادهم عليها حتى يأذن الله لهم بالنصر، ويفتح عليهم بالغلبة، هذه الأرض تكون داراً للإسلام، ومنطلقاً لدعوته، ومحضناً لفكرته، ومناخاً صالحاً لنبتته، ولذا لا بد من وضع النقاط على الحروف في هذه القضية:

١. إن سكوت الجاهلية عن الحق ومهادنته لهو أمر خلاف سنة الله في الحياة، وعكس قانونه في التدافع، فإن كان هنالك سكوت فهو أمر عارض ولوقت محدود.

**(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير)** (البقرة:١٢٠)

إنه يستحيل على النفس أن تعيش طويلاً في مجتمع فاسد دون أن تتحرك لإزالته وتغييره.

٢. إن نصر الله لا يتنزل إلا بعد طول البلاء وشدة المحنة.

**(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)** (البقرة:٢١٥).

فالذين ينتظرون أن يتنزل النصر عليهم وراء مكاتبهم وهم جالسون على مقاعدهم، هؤلاء لا يدركون سنة الله في المجتمعات ولا قانونه في الدعوات.

إن الأفغانيين قد قدموا حتى الآن بين مليون إلى أكثر من مليون ومائتي ألف شهيد، ولم يصلوا إلى نصرة دين الله بعد، ولم يتمكنوا من إقامة شرعه في الحياة.

٣. إن الصبر الطويل على ظلم الجاهلية، وكبت الأنفاس الحارة من أن تخرج من الأعماق، والزفرات من أن تفرج عن الصدور، أقول إن الصبر الطويل قد يظنه البعض مفيداً للدعوات، ولا يعلمون أنه قاتل للنفوس، خاصة إذا صاحبه هلع شديد، وحذر بالغ يصل إلى حد الهوس، وجبن خالع يؤدي إلى الموت البطيء التدريجي.

إن الغيرة قد تكبت أولاً، ثم تذوي، ثم تضمحل، ثم تموت، فإذا ماتت تحول الانسان إلى جثة هامدة لا تنكر منكراً ولا تعرف معروفا، أو كما جاء في الحديث [إنه لم يتمعر -أي يحمر- وجهه يوم غضباً لله].

إن الصبر الطويل على المنكرات وأنت غارق في سريتك القاتلة يؤدي إلى الإستئناس يوماً بالجاهلية الطاغية، وأخيراً يؤدي الالفة التي تمسخ الفطرة، وتعكس النظرة (كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)، إن الالفة التي تقتل الحس الإس في القلب هو الداء الذي يصيب كثيراً من الدعاة الصامتين، بل أكثر من ذلك يؤدي إلى اختلاف الدعاة وتمزق العاملين على هذا **(لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم لسان داود وعيسى ابن مريم)**، ثم تلى ﷺ الآية[1] وقال: **(كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظا ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ويلعنكم كما لعنهم)**، بل أكثر من يوسم الذي يغار على الحرمات ويصدع بالحق بالتهور والاندفاع، ويوصف الساكت بالالتزام والاتزان!!.

قال لي أحد الدعاة: لقد مكثت في مكتب سنتين مع موظف آخر لم يعرف اتجاهي خلالها، فقلت: إذاً لم تتكلم خلال الد كلمة واحدة عن الحق الذي تحمله بين جوانحك!!

ترى لو فعل الصحابة كما يفعل كثير من الدعاة السريين اليوم، هل تظنون إن الإسلام خرج من حدود مكة؟!

لو سكت بلال وراوغ ياسر وسمية واستسلم ظاهراً عثمان بن مظعون، وقبل أبو بكر بشرط ابن الدغنة -الذي أجار أبا بك يرفع صوته في القرآن لأن صوته مؤثر بأبناء الحي من قريش- أقول: لو سكت هؤلاء أمام طغيان الجاهلية وجبروتها، فإن الإسا يمكن أن يخرج من بطحاء مكــــة ولا يتجاوز الحروراء.

إن إصبع بلال التي تشير إلى السماء وهو تحت العذاب الشديد مردداً: أحد.. أحد.. لهي زلزلة للكفر من أعماقه، وهزّ لث الجاهلية من جذورها.

إن الدعوات لا تنتصر في مراحلها الأولى إلا (بصوت الروح) لا بصوت العقل كما يقول مالك بن نبي.

إن مرحلة العقل هي مرحلة تالية لمرحلة (صوت الروح) التي تدفع للبذل وتحرك للتضحية.

إن صوت العقل يقول لبلال: اخدع أمية بن خلف وقل له أنا على دين اللات والعزى، وفي الليل تعال إلى محمد ﷺ ة الحقيقي وواليك ورائك وقل له: لقد ضحكت على أمية وخدعته فحسبني معه وتركني وشأني. ولكن الدعوات لا تنتصر بهذه الك والسياسة، إنها تنكس وتتحطم إذا لم تجد من يغذيها بالدماء، ويبنيها بالجماجم والأشلاء.

لقد أصبح الدعاة يرددون على ألسنتهم: هذا عاطفي، وهذا طيب، وهذا مندفع، وكأن هذه الصفات التي يقوم عليها الب الحقيقي أصبحت معرّة وملامة في أنظار الذين لا يعلمون سنن الدعوات.. لا بد من السرية في بداية الأمر، ولا بد من الحذر الطريق، ولا بد من ضبط النفوس أثناء المسيرة.

ولكن السرية في دعوة رسول الله ﷺ كان لها وقت قصير سرعان ما تجاوزته إلى الإعلان، والحذر لا بد منه مع النفر (خذ حذركم فانفروا)، ليس الحذر الذي يؤدي إلى الشلل والجزع والموت.

وضبط النفس أثناء المسيرة ليس عن إعلان العقيدة وتوضيح المبدأ، فهذا شيء لم يضبط أحد من الصحابة نفسه عنه رض الدعوة وإشهار الدين كان ديدن كل مسلم بعد أن نزل قوله تعالى: (قم فانذر)، إن الصبر له حدود، والصمت له مدى وإلا ه لفطرة وقتل الغيرة.

٤. إن المعركة مع الجاهلية بالسلاح والسنان لا يمكن إلا إذا سبقتها معركة البيان واللسان، وإن التضحية بالنفس والد لروح في أرض القتال لا يكون إلا بعد بذل الوقت والمال.

إن الذين يعجزون أن يسيروا أمتاراً سيهلكون إذا حاولوا قطع الأميال.

إن الذين ينتظرون من حفنة من الضباط أن يقيموا لهم دين الله في الأرض وهم يصدرون الأوامر لهم أثناء معاقسة الأ نساء والانشغال بعد الأموال وتسجيل العقارات، هؤلاء يظنون أن إقامة المجتمعات وتغيير النفوس والأشخاص والقلوب و داح وصقلها يتم بهذه السهولة وبهذا الرخص من التضحية!!

---

[1] الآية هي قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلو (المائدة: ٧٨).

٥. إن المعركة والجهاد في سبيل الله هي التي تفرز القيادات وتبرز الرجال من خلال التضحيات، إن قدر أبي بكر بين المسلمين بحيث كان انتخابه بشبه إجماع لم يأت مصادفة ولا اعتباطاً. إنما أبرزت أبا بكر الأحداث، وميزته التضحيات، ورفعته المواقف والمحن والملمات، ولذا قال عمر يوم تبوك بعد أن جاء بنصف ماله ورأى أن أبا بكر جاء بماله كله، وقال لرسول الله ﷺ عندما سأل ماذا تركت لأهلك قال (تركت لهم الله ورسوله).

وعندها قال عمر: ما تسابقت أنا وأبو بكر في مسألة إلا سبقني أبو بكر.

ولم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية، ولا للاشتراك في قائمة مرشحين، لأن قدره قد برز أثناء المسيرة، وعلى طول الطريق، فلم يعد بحاجة إلى شراء الضمائر بالأموال، ولا إلى تضليل النفوس ببريق الإعلام وتلميع الأعمال. إن المجتمعات الراكدة كالماء الراكد لا يطفو عليه إلا العفن والطحالب والأشنات، فقيادة المجتمعات الراقية التي لا تتحرك للقتال تطفو متعفنة فاسدة. وأما المجتمع المجاهد فإنه كالماء المتحرك والنهر الجاري يأبى أن يحمل العفن أو يطفو على وجهه الخبث.

كيف يمكنني أن أسوي بين إنسان عادي تاجر أو صاحب مال يأتي من السعودية أو دول البترول ليقدم ماله بيده ويقدم زكاته بنفسه إلى المجاهدين ويطلع على أحوالهم، كيف أسوي بينه وبين داعية يحضر إلى باكستان لأداء امتحان في جامعة من جامعاتها ويمكث شهراً أو شهرين انتظاراً لموعد مناقشة الماجستير أو النظر في أمر تسجيله في الجامعة دون أن يخصص أسبوعاً للمجاهدين!!.

أنا أقول في نفسي: إن هذا الداعية لم يعد في نفسه أية حرقة على هذا الدين، وأية غيرة تدفعه للاهتمام بأمر المسلمين، ولا يمكن لقلبي أن يصدق أن هذا من الدعاة.. بل إن ذلك الإنسان العادي عندي أفضل بكثير من هذا الداعية الذي طال عليه الأمد فقسى قلبه، وأرجو ألا يكون من الفاسقين (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

## قضية أفغانستان[1]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى:

**(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما، وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً، الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)** (النساء:٧٤-٧٦).

إن الجهاد في سبيل الله قمة سنام الإسلام، وهو باتفاق العلماء أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله، وهو أفضل من جوار المسجد الحرام وعمارته بنص القرآن.

**(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون)**

(التوبة: ١٩-٢٠)

والجهاد هو السبيل الوحيد الذي يحفظ عزة هذه الأمة ويحمي هيبته **(ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت)**.

والجهاد هو الجادة الوحيدة والدواء الناجع لكف أذى الكفار، ومنع سيادة الشرك وعموم الفتنة.

**(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)**، فلن تقوم لدين الله سيادة على أرض مهما كانت صغيرة، ولن يشاد بنيان أي مجتمع مسلم بدونه **(حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)**.

**(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد**

**تنكيلاً)** (النساء: ٨٤).

ولذا فقد بعث رسول الله ﷺ بالسيف بين يدي الساعة، فقال في الحديث الصحيح: **[بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم]**[1]

بل لقد أقام الله عز وجل صلاح البشرية على هذا القانون: قانون الدفع -قانون الصراع بين الحق والباطل-.

**(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)** (البقرة:٢٥١)

بل الشعائر كلها محمية بهذا القانون.

**(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** (الحج: ٤٠).

ونحن لا نستطيع في هذه العجالة أن نستطرد في فوائد الجهاد وآثاره على النفس الإنسانية وعلى واقع البشرية ككل، فمن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى كتب الأحاديث الصحيحة، وليطالع بنفسه فضائل الجهاد، ولينظر أقوال الفقهاء والمحدثين والمفسرين في هذا الباب.

وقد اتفق الفقهاء والمحدثون والمفسرون في جميع القرون من أبناء الأمة المسلمة، أنه في مثل حالتنا: إذا اعتدى الكفار على شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل واحد، حتى تخرج المرأة دون إذن زوجها، والعبد دون إذن سيده، و الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -كتاب الاختيارات العلمية الملحق بالفتاوى الكبرى- (٦٠٨/٤): وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.

ويقول في مجموع الفتاوى (٣٥٨/٢٨): فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين و على غير المقصودين، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب، كما كان المسلمون لما صدمهم العدو في عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد.

قال القرطبي (٢٥٣/٢): كل من علم بضعف المسلمين عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم.

هذا هو الحكم الشرعي الجلي الواضح في كل أرض وطئها الكفار، ولكن المسلمين أشتات متنازعة، وفرق متناحرة، والصالحون منهم يفكرون تفكيراً إسلامياً لا تتعدى نظرتهم رأس جبل، ولا تتجاوز آمالهم قعر واد، وبقية المسلمين جسد مخدر يقطع أعداؤه أشلاءه شلواً شلواً، ويمزقونه عضواً عضواً، دون أن يحس بمبضع، أو ينتفض لقطع سكين، وكثير منهم رضي المعيشة بالهوان، وقبل الذل ممزوجاً بالطعام.

*ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتد*

*هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد*

ولقد ابتلعت الأراضي الإسلامية قطعة قطعة في بطون الكفار، وكل قطعة تنتظر مصيرها وهي تأمل أن تنجو مما أصاب أخواتها، ولكنها (أكلت يوم أكل الثور الأبيض)، فما أصاب الأندلس أصاب فلسطين، وما دهى سيناء هو الذي دهى الجولان، وما ساد هو الذي طم على لبنان، وما زلزل إرتريا هو الذي هزّ أفغانستان وتركستان.

مصائب متتالية، وأرزاء متوالية، والمسلمون أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، فما الذي دوت له أرجاء الهندوكوش وذرى الإيمان؟ أحقاً أن الشيوعية الحمراء داست بأقدامها أرض الفخر الرازي وبلاد البيهقي وابن حبان؟!

**(قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون)** (ص:٦٧-٦٨).

## قضية أفغانستان:

إنها مرثاة حزينة، وملحمة أسيفة، ما شهدت البشرية في العصر الحديث أحداثاً أضخم منها ولا أرزاء أفدح منها، منذ

---

[1] حديث صحيح رواه أحمد (صحيح البخاري).

قصتها أنه في بداية الخمسينات أوحى الأعداء إلى الملك ظاهر شاه أن يحدث ثورة ثقافية لمحو الشعائر الإسلامية العريقة في الشعب الأفغاني، فبدأ بالهجوم على حجاب المرأة، (وداس حجاب امرأة مسلمة) في مؤتمر شعبي عام، وأعلن (انتهاء الظلام إلى الأبد..!)، وعندما رفض أهل قندهار نزع الحجاب سير لهم جيشاً بقيادة (خان محمد)، وقتل المئات من أهل قندهار، وجاء بابن عمه وزوج أخته (محمد داود خان) رئيساً للوزراء، وهذا رجل علماني مقرب للشيوعيين، وبقي في رئاسة الوزراء عشر سنوات، تربى على بلاطه فيها نور محمد تراقي، وبابرك كارمل، وحفيظ الله أمين من زعماء الشيوعيين.

ورداً على هذا التيار الفاسد العلماني الشيوعي قام البروفسور غلام محمد نيازي بتكوين حركة إسلامية للوقوف في وجه الشيوعية، وكون شباب الجامعة حركة سموها (جوانان مسلمان) تزعمها مجموعة من الشباب على رأسهم عبد الرحيم نيازي.

وكان سيّاف ورباني من الأساتذة المشرفين على هذه الحركة، وفي سنة (١٩٧٢م) اكتسح التيار الإسلامي الجامعة، فقامت روسيا بانقلاب أطاحت بالملك ظاهر شاه، وجاءت بابن عمه محمد داود رئيساً لجمهورية أفغانستان، وذلك لضرب الحركة الإسلامية، ففر حكمتيار ورباني مع بعض الشباب مهاجرين إلى بيشاور، وسجن سياف وغلام محمد نيازي، وقرر الشباب في بيشاور مقاومة داود، وبدأوا ينزلون وهم يحملون بعض القنابل اليدوية والمسدسات التي يشترونها من حدود باكستان ويلقون بها على مركز حكومي أو مقر للشرطة، فألقت الحكومة القبض على معظمهم، وأعدمت د. محمد عمر، وخواجا محفوظ، والنجنير حبيب الرحمن، ومولوي حبيب الرحمن، وقام (عجب جل) في كندز بحرق مركز الشيوعيين.

واستمرت المقاومة هذه ضعيفة ساذجة حتى انقلاب تراقي الشيوعي الأحمر في السابع من ثور الموافق (٢٧) نيسان (١٩٧٨م)، وهنا هب الشعب الأفغاني بكامله، فبدأ الجهاد مولوي عبد الغني في دراي شحيل في (١٧) ثور ثم تبعته كشمير.

بدأ شعب نورستان المشهور برجولته وفروسيته في (٢٩) ذي الحجة (١٣٩٨هـ)، ثم ولسوالي دراي يوسف من محافظة سمنغان بعدها بـ (٣٨) يوماً في أوائل صفر سنة (١٣٩٨هـ)، ثم في هرات في جمادي الآخرة سنة (١٣٩٨هـ)، وكانت مذبحة هرات المشهورة (٢٤) حوت الموافق (١٥) مارس سنة (١٩٧٩م) التي قتل فيها حوالي عشرون ألفاً من المسلمين، ثم بدخشان في رجب (١٣٩٨هـ)، ثم بنجشير، وحقق المسلمون انتصارات باهرة، وهزمت الدبابات، ولم يأبهوا بالطائرات، ووصلوا مشارف كابل، ثم قام الخلاف بين حفيظ الله أمين وبين تراقي، وقتل حفيظ الله تراقي واستلم الحكم في أيلول سبتمبر (١٩٧٩م)، ثم دخلت روسيا بأساطيلها في (٢٧) كانون الأول ديسمبر (١٩٧٩م)، وهنا لم تبق قرية إلا أعلنت الجهاد، ومنذ ذلك الحين حتى الآن ونار الحرب تلتهم البشر، لا تبقي ولا تذر.

## فما هو الموقف الآن؟

أولاً: ما هو وضع الجهاد الآن؟

ثانياً: ما هي المشاكل الداخلية والخارجية التي تعترض الجهاد؟

ثالثاً: ما هي المشاكل التي يعاني منها الشعب الأفغاني في الداخل؟

رابعاً: ما هي المشاكل التي تأخذ بخناق المهاجرين في باكستان وإيران؟

خامساً: ما هو الوضع الصحي والثقافي والاجتماعي الآن للشعب الأفغاني؟

## الوضع العسكري للجهاد الآن:

لا شك أن المجاهدين الأفغان قد حققوا انتصارات حيرت العقل البشري في تفسيرها، ولم نجد لهذه الانتصارات جواباً مقنعاً سوى أن الله عز وجل سبحانه هو الذي يدير المعركة بيده، ويرعاها بعينه، وهذا الذي دفع بعض الصحفيين والأطباء الغربيين أن يعلنوا إسلامهم كالصحفي الإيطالي، والطبيب الفرنسي (ملسون)، والطبيبة الفرنسية (إيفلين غوتي) التي أعلنت إسلامها بحضوري، وقد سمعت قصصاً عجيبة من التأييد الإلهي لهذا الجهاد جمعت طرفاً منه في كتاب (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) من رؤية الطيور تحت الطائرات تدافع عن المجاهدين، وقصص الشهداء العجيبة، ورؤية الغرباء يشاركون في المعركة ثم اختفائهم بعد المعركة، وسقوط

ولقد حرر المجاهدون حوالي (٩٠٪) من أراضي أفغانستان، وهم ينقلون ذخائرهم من الحدود الجنوبية حتى يصلوا حـ روسيا على البغال والحمير في رحلة تستغرق شهراً أو شهراً ونصف، مما يدلك أن الطريق مفتوحة من أقصى الجنوب إلى أقه الشمال، ولقد تخطى المجاهدون الحدود الشمالية لأفغانستان ودخلوا داخل الولايات الجنوبية الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وقا بعمليات كثيرة، ولقد حدثني أحد الشباب المسلمين الذين يدرسون في طشقند في الاتحاد السوفيتي أنه شهد بنفسه معركة حية ة محطة القطار في طشقند.

ولقد ضرب المجاهدون بحر الخزر (قزوين)، وضربوا مطار ترمذ، ويدخلون غابات الفستق في الإتحاد السوفيتي من بادغيز وقد دخل مولوي عبد الجبار أوزبكستان عدة مرات، وقد خلت مديرية آقينا وكتاقشلاق من سكانها، وقد أغار المجاهدون على مد قلعي خم ودمروا طائرة هيليكوبتر وثلاث طائرات نقل، وأحرقوا محطة بنزين، ودخل مير حمزة في شهر نسان سنة (١٩٨٦م) وأ، خمسة وعشرين رجلاً، وغنم قطيعاً من الأغنام، كذلك يدخل انجنير بشير باستمرار من تخار إلى الاتحاد السوفياتي ويعمل عمليات

ولقد تكبد الروس خسائر كثيرة في الأرواح والمعدات، وقد سقط لهم في شهر أغسطس (١٩٨٥م) حوالي (٤٨) طائرة في أفغانستان، وسقط لهم في شهر سبتمبر حوالي ستين طائرة، ويقابل كل طائرة تسقط عادةً (من ٥ إلى ١٠) آليات مدمرة.

لقد قتل في هرات حسب التقرير الذي وصلنا في المدة بين (٢٠ /١٠-٦/١١/١٩٨٥م) (أي حوالي (١٧) يوماً) حوالي تسعم روسي شيوعي، ودمر لهم حوالي خمسين دبابة ومصفحة، وقتل للروس والشيوعيين في مزار شريف (بلخ) في معركة واحدة في أوا شهر (١١/١٩٨٥م) خمسمائة (حسب ما نشرته الباكستان تايمز)، وفي بنجشير خسائر الروس كبيرة، لقد احتلوا -المجاهد تسعة مراكز، وأسروا ثلاثين ضابطاً، ولقد تكبدت روسيا خسائر كثيرة على الحدود، وهي تحاول أن تسد المنافذ وتغلق المعابر ا دخل منها المجاهدون بأسلحتهم وذخائرهم، ففشلت فشلاً ذريعاً أن تسد منفذاً واحداً، ففي آذار ونيسان (١٩٨٦م) شنّت روس جوماً واسعاً على نازيان (ننجرهار) استمر (٤٢) يوماً انتهى بهزيمتها، وفي شهر أيار سنة (١٩٨٦م) شنت هجوماً واسعاً ء جور) انتهى بهزيمتها بعد أن استمر شهراً، وفي حزيران (١٩٨٦م) شنت هجوماً على جاجي انتهى بهزيمتها.

## لكن.. ماذا عن خسائر المجاهدين؟

١- مقابل هذا يجب الاعتراف أن المجاهدين قد تكبدوا خسائر بالغة ما قدموا لها نظيراً من قبل.

٢- ويجب الاعتراف أن المجاهدين قد خسروا هذا العام سنة (١٩٨٥م-١٩٨٦م) زهرة أبنائهم وخيرة قادتهم، فاستشهد ذ في بلخ، ومولوي شفيع الله في كابل، وغوث الدين في هرات، ود.عبد الولي في اللوجر، وعبد الواحد في بغمان، ومولوى أحمد ج ح الله في خوست، وخياط في لوجر، وجل آغا في جاجي، وغيرهم كثر.

واستشهاد القائد يهز الجهاد وصلابته في المنطقة هزاً عنيفاً، وأحياناً تتفكك الجبهة إثر استشهاد القائد.

٣- يجب الاعتراف أن الروس قد انتقلوا من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم محاولةً منهم لرفع الروح المعنوية المنهارة لـ ودهم، وهذا الموقف وإن كان يكلف الروس خسائر ضخمة إلا أنه من ناحية أخرى يعيد للجندي الروسي معنوياته، ويعطيه الفر قاط أنفاسه المتقطعة.

٤- ولا بد من الاعتراف أن الهجرة قد زادت من داخل أفغانستان.

٥- ولا بد من الاعتراف أن الملل قد بدأ يتسرب إلى نفوس بعض المجاهدين، مما جعلهم يفكرون بترك مواقعهم لأول فر ع لهم من بوارق الدنيا وخلبها الخادع.

٦- وكذلك علينا أن نقول: إن كثيراً من العلماء قد هجروا خنادقهم وتركوا أماكنهم القيادية الرائدة في وسط الجبهة، واستقر بشاور طلباً للقمة العيش التي لا يجدونها مع أهاليهم في الداخل.

## الهجرة؟

إن الهجرة الآن تعتبر أعظم خطر يهدد الجهاد الأفغاني ويؤثر على مسيرته واستمراريته وحيويته، ولو تقصينا الأسبا بقية للهجرة لوجدنا أن وراءها دوافع قوية، ومبررات كثيرة، منها:

## أ- المذابح الجماعية التي يقوم بها الروس:

لقد لجأ الروس إلى المذابح الجماعية للأهالي تنفيساً عن أحقادهم، وتعويضاً عن هزائمهم في الميدان العسكري، ولم تنج ولاية واحدة من المذابح، وعلى سبيل المثال:

١. مذبحة مديرية آجين (ننجرهار)، حيث ذبحوا (٥٢) طفلاً وشيخاً وامرأة، فقد جمعوهم أولاً ثم أطلقوا عليهم الغاز المضحك حتى ناموا، ثم رشوا عليهم البترول وأحرقوهم.

٢. مذبحة قصاب كلي وعيسى خيل (كندز) قتل الروس أربعمائة من القريتين.

٣. مذبحة خان أباد: قتل الروس مائة وثمانين شخصاً.

٤. في قرية شمنجل ولسوالي قرغني (لغمان)، قتل الروس جميع أهل القرية.

٥. مذبحة زرغن شهر (لوجر): قتل الروس مجموعة كبيرة من المستضعفين.

٦. في هرات (زنده جان): قتل الروس مائة من الضعفاء.

٧. في هرات جمع الروس الناس في مسجد وقصفوه بالطائرات فاستشهد حوالي سبعين وجرح حوالي مائة.

هذه بعض الأمثلة من المذابح التي يفر الناس بسببها من داخل أفغانستان.

## ب- الاعتداء على أعراض النساء:

لقد أدرك الروس أن مقتل الأفغانيين يكمن في عزتهم وحفاظهم على أعراضهم، فبدأوا يعتدون على الأعراض، فقد قام الروس في مناطق عديدة بدخول القرى العزلاء، ثم أخذوا مجموعات من البنات والنساء في دباباتهم، مما اضطر مجموعة من النساء في علينكار (لغمان) أن يلقين بأنفسهن في نهر كنر، وتكررت العملية هذه في (بوغوز قم)، قرية في مديرية (قلعة زال) حيث أخذوا النساء المسلمات في الدبابات.

كذلك حصل في لوجر ولغمان أن حطت طائرات الهليوكبتر في وسط قرية، وأخذوا النساء ثم جردوهن من ملابسهن وألقوا بالملابس من الطائرات وسط القرية، وهذا أخطر عمل يهدد استقرار المسلمين في داخل أفغانستان، مما جعل الكثيرين يهربون ببناتهم ونسائهم إلى أرض المهجر.

ولقد ثار أحد الوزراء الشيوعيين (رفيع) لهذا العمل، وطرح القضية في مجلس الوزراء، فانبرت وزيرة داعرة -وهي شيوعية عريقة- اسمها (أناهيتا راتب زاد) تدافع عن عمل الروس هذا، وأطلقت من مسدسها النار على رفيع في مجلس الوزراء فأخطأته.

وهذه (أناهيتا راتب زاد) هي التي استقبلتها مصر والأزهر بممثلها الشيخ الأزهري (النجار)!!

## جـ الجوع والقحط الذي تعاني منه أفغانستان:

لقد أصيبت المناطق الغربية -خاصة هرات- بالجدب في السنتين الأخيرتين، ولقد أرسل لي القائد العام يقول لي: إننا قد بعنا ملابس أزواجنا من أجل شراء الخبز للمجاهدين، وهرات تعتبر مخزن القمح لكثير من مناطق أفغانستان، وقندهار تعتبر أهم مصدر يمدّ المناطق الجنوبية، ولقد أحرقت روسيا مزارع هرات وقندهار، فالتقى الإحراق مع القحط، لأن هرات إذا انهارت انهار معها عدة ولايات (بادغيس وغور وفراه ونمروز ونصف فارياب)، وإذا انهارت قندهار انهار معها زابل وهلمند وأروزجان، ولا بد للعالم الإسلامي أن يتدارك هرات لأنها واقعة بين فكي الكماشة (الفك الشيعي على حدودها الغربية والفك الروسي على حدودها الشمالية، بالإضافة إلى الحكومة الشيوعية الأفغانية من جهة الشرق).

على العالم الإسلامي أن يتدارك هرات وبادغيس وفراه وقندهار بثمن الخبز، فلقد أصاب أهل هرات القرح المعدية لأنهم يأكلون الإقط (اللبن الجاف) دون خبز.

ولقد قدمت رابطة العالم الإسلامي حوالي نصف مليون ريال (٢ مليون روبية) أوصلها بعض الشباب العرب إلى هرات وسلموها إلى القائد العام، ولكن ماذا يساوي هذا المبلغ؟!!

يومياً، ولقد أرسل يستنجد يريد أن يشتري بعض القمح قبل سقوط الثلوج وإغلاق الطرق.

**د: استقرار رؤساء الأحزاب في بيشاور.**

ووجود الطعام في الإغاثة الباكستانية، والمساعدة والإغاثة من بعض المنظمات الغربية مثل الصليب الأحمر الدولي وكارتا وسائر الأسماء الغربية، أو بعض المنظمات الإسلامية كلجنة الإغاثة السعودية التي بين يديها أموال ضخمة من الزكاة والصدقات ال يدفعها المسلمون، وكذلك وجود الهلال الأحمر السعودي وهو على حساب المملكة، وإن كانت ميزانيته قليلة لا تقارن مع أموال لم الإغاثة.

وكذلك الهلال الكويتي الذي يقوم على ميزانية قدرها ستة ملايين دولار -مع لجنة الإغاثة- تدفعها الجهات الخيرية ولا تد الحكومة منها شيئاً.. هذه المنظمات تقدم الخيام والطعام للمهاجرين، وهذا غير متوفر داخل أفغانستان.

**هـ: وجود بعض فرص العمل لدى هذه المنظمات ولدى رؤساء الأحزاب الجهادية مما يسد به المهاجر رمقه ويستر نفسه.**

**و: الملل الذي بدأ يتسرب إلى النفوس.**

وذلك نتيجة للأسباب السابقة، ولكثرة التضحيات التي قدمها المجاهدون، فلسان حال كل مجاهد في أفغانستان يقول:

*صبت عليّ مصـــائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا*

وقلما تدخل بيتاً من البيوت أو خيمة من الخيام إلا وتجد أنها ميتم ومأتم، فهذا رب الأسرة فقد إحدى رجليه أو ذراعيه، وه لقل طارت عينه، وهذه بنت قد حرق وجهها بالنابالم، وهذه أرملة قد فقدت زوجها، وهذا يتيم قد فقد والده، وانه ليعز عليك أن تد جلاً إلا وهو يتكفل مجموعة من الأرامل وعدداً من الأيتام من أرحامه وذوي قرابته.

**ز: هذا بالإضافة إلى الخلافات بين رؤساء الأحزاب التي انعكست على نفسيات المجاهدين وأثرت على معنوياتهم.**

**ح: مغادرة كثير من العلماء مواقعهم بين خنادق المجاهدين، واستقرارهم في بيشاور فراراً بأعراضهم وبحثاً عن لقمة عيشهم.**

## يف نوقف سيل الهجرة؟

١- لا بد أولاً من كفالة الطعام للمجاهدين، وهذا يحتاج تقريباً خمسة وأربعين مليون روبية باكستانية، إذ أن كل مجاهد يحتا ث روبيات يومياً خبزاً، أي يحتاج تسعين روبية في الشهر، فإذا قلنا أن عدد الذين يحملون السلاح في أفغانستان نصف مليو ا يعني أنهم يحتاجون خمسة وأربعين مليون روبية شهرياً، اي ما يعادل عشرة ملايين من الريالات السعودية (ثلاثة ملايين • لارات الأمريكية).

٢- لا بد من محاولة جادة لإعادة العلماء داخل أفغانستان، فلو دفعنا حوالي مائة ريال أو درهم شهرياً للعالم أي حوا ١٢٠) ريال سنوياً فإن كثيراً من العلماء مستعدون للرجوع، وكل عالم لو ثبت يثبت معه على الأقل خمسون من المجاهدين والأطفا يقوم بدور التعليم والتثبيت وغرس روح الجهاد والاستشهاد والتضحية في نفوس المجاهدين والأولاد.

ولو استطعنا أن نقنع ألف عالم أن يرجعوا إلى خنادقهم في أرض النزال، لأدى هذا بدوره إلى تثبيت حوالي خمسين ألفاً ف ل أفغانستان.

٣- لا بد من دفع الرواتب لقادة الجبهات حتى لا يضطروا إلى ترك جبهاتهم فتنهار، فلو فرضنا أن لدينا ألف قائد ما ب ول مجموعة إلى قائد كبير لكتائب وفرق، ودفعنا لكل واحد منهم ما دفعنا للعالم (٥٠٠ روبية يساوي مائة ريال سعودي شهري ا يعادل (مليون ومائتي ألف ريال سنوياً) للقادة، أقول لو تكفلنا بهذا لقلّت الهجرة كذلك.

٤- السماح للشباب المتحمس من العرب الغيورين ممن يستعد للتضحية ويطمع في الشهادة أن يصل إلى أرض المعرك اب العربي الملتزم له دور كبير في أفغانستان، أهمها:

أ- عملية التربية والتعليم والتوجيه في الجبهات.

ب- عملية التثبيت برفع الروح المعنوية لدى المجاهدين، وعندما يستحون أن يتركوا أماكنهم، والعربي المخلص بينهم.

(Orientation) (BSO)، هذه المنظمة العام الماضي في (٢٧) ديسمبر (١٩٨٤م) أنزلت الأعلام الباكستانية عن الجامعة ورفعت مكانها الأعلام السوفياتية احتفالاً واحتفاءً، فليتنبه زعماء المنطقة البترولية إلى مخططات الروس، وليبادروا إلى دعم الجهاد الأفغاني وإلى إحياء منطقة بلوشستان الفقيرة بإنشاء المعاهد الدينية وبعض المستشفيات والمساعدات وتقوية الصلات الطيبة معهم، إنقاذاً لهم وللمنطقة من خطر الشيوعية الداهم.

وحتى رئيس جمعية علماء إسلام في باكستان (سراج الدين بوري) يقف مع ابنة علي بوتو (بي نظير) ويصرح تصريحات معادية للجهاد الأفغاني.. بل نشرت جريدة جنك الباكستانية تصريحات له أن الإسلام لا يمكن تطبيقه في العصر الحاضر.

هذه المناطق الأربع يبدو بأغلبية زعمائها السياسيين أنها ضد الجهاد الأفغاني، وكذلك (فضل الرحمن بن مفتي محمود) مفتي باكستان وزعيم هيئة علماء إسلام يقف مع المعارضة ويجاهر بوجوب الصلح مع كابل وإخراج المجاهدين والمهاجرين، وليس في باكستان جماعة واقفة صراحة مع الجهاد الأفغاني سوى الجماعة الإسلامية التي يرأسها طفيل محمد بعد المودودي، ولذا لا بد من مد هذه الجماعة الفقيرة بالمساعدات والدعم المادي والمعنوي من أجل تقوية إعلامها ومواصلة وقوفها بجانب الحق الجهادي.

## أما عن موقف حكومة باكستان فهو قسمان:

**١- الحكومة العسكرية:**

وهي التي بيدها مقاليد الأمور، ويبدو أنها واقفة مع الجهاد الأفغاني.

**٢- الحكومة المدنية:**

وهي تطالب بالحل السلمي وإنهاء حالة التوتر القائم على الحدود الباكستانية الأفغانية.

والحكومة العسكرية مع وقوفها بجانب المجاهدين لأنها تقدر بخبرتها الآثار السيئة والدمار الذي يلحق باكستان فيما لو -لا سمح الله- سقط الجهاد الأفغاني، وتدرك الحكومة العسكرية أكثر من غيرها أبعاد وقوف الجهاد الأفغاني الذي يعطي حكومة كابل الفرصة لالتقاط أنفاسها والسعي مع الشيوعيين الباكستانيين للإطاحة بحكومة باكستان، وهي تعد العدة منذ زمن، فالشيوعيون واليساريون وحزب بوتو في باكستان يدخلون إلى كابل يتدربون ويحملون السلاح معهم عائدين به إلى باكستان يخزنونه ليوم يحلمون به.

أقول: مع هذا الموقف الذي تقفه الحكومة العسكرية إلا أننا نأخذ عليها شيئين:

١- الشيء الأول: موقفهم السلبي إزاء الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، ونحن نعلم أن الحكومة العسكرية لا تريد أن تقوم دولة أفغانية داخل دولة باكستانية.

٢- والشيء الثاني: هنالك استجابة للضغوط الواقعة على باكستان من الدول الكبرى، خاصة أمريكا.

إن أمريكا تريد من الجهاد الأفغاني أن يستمر وذلك لاستنزاف طاقة روسيا العسكرية والاقتصادية والمعنوية، وإبقاء الجهاد الأفغاني ورقة تتاجر بها أمريكا كلما أرادت أن تشوه صورة روسيا في الأمم المتحدة، وكلما نوت أن تثير الدول الغربية ضدها.

وأمريكا تريد إشغال روسيا، وتحب الانتقام لأيام فيتنام، وكذلك تريد أمريكا من القضية الأفغانية أن تكون ورقة ضاغطة رابحة للمساومة عليها في صفقاتها التجارية المتبادلة بينها وبين روسيا.

ولكن أمريكا ضائقة ذرعاً بالقيادات التي تمسك بزمام الجهاد الآن -التي تسميها المتطرفة- والتي لا تقبل المساومة على دينها، ولا أن تلتقي في وسط الطريق مع أمريكا على إسلام أمريكي، ولذلك فهي تنتظر البديل المرن الذي يكون طوع البنان الأمريكي ورهن إشارته، ولم تستطع الحصول بعد على هذه القيادة.

لقد غمزت عيدان هؤلاء القادة فوجدتها صلبة المكسر وليست لينة المعصر.

حاولت مقابلتهم عدة مرات فرفض هؤلاء القادة، وأخيراً جرتهم خدعة الخطاب في الأمم المتحدة فتزعم حكمتيار -الناطق الرسمي المؤقت باسم الاتحاد الأفغاني- وفداً إلى الأمم المتحدة، وفي أمريكا رتبت له مصيدة ريغان للوقوع في شباكه ومقابلته ليبدو ريغان أنه الوصي الشرعي للجهاد الأفغاني، فرفض حكمتيار مقابلته في (٣٠) أكتوبر (١٩٨٥م) وعاد من أمريكا.

ولقد سقط في يد وكالة الإستخبارات الأمريكية عندما أعلن حكمتيار للصحف الأمريكية أننا لم نتلق أية مساعدة من أ
وليس بيننا أية صلة.. لأن الاستخبارات الأمريكية لا تني تعلن صباح مساء أنها قدمت للمجاهدين الأفغان (٢٥٠) مليون دو
العام الماضي، ولا تتورع أن تتبجح بهذا، فكان تصريح حكمتيار قاصمة الظهر لها مما أوقعها في ورطة مع الكونجرس الأم
وعندما أرسلت أمريكا لجنة لتقصي الحقائق، والآن أمريكا تحاول أن تحكم قبضتها على الجهاد وتتاجر به، ونرجو الله أن
فالها.

## الحل السريع تجاه هرات والمنطقة الغربية:

١- دعمها بأموال لإنقاذها من الجوع المهلك الذي عضها بنابه، لأنها كما قلنا أصيبت بالقحط في السنتين الأخيرتين مما
الخبز نادراً فيها، حدثني كوه يار (طبيب من هرات) قال: لقد زرنا أمير المجاهدين في هرات فأرسل يطلب الخبز من أربعة
فرجعوا بأربعة أرغفة!!.

٢- إقامة المستشفيات والمياتم (دور الأيتام) داخل الحدود الأفغانية، وبناء المساجد البسيطة في مخيمات المهاجرين
الجمعة والجماعة.

٣- فتح المدارس لأبناء المهاجرين في الخيام حتى لا نتركهم فريسة للتشيع.

٤- توظيف بعض الدعاة المتفرغين من الأفغان للعمل في المخيمات.

٥- إعطاء بعض العلماء راتباً رمزياً للعمل كمدرسين لأبناء المهاجرين.

إن دعم الجهاد الأفغاني -وبخاصة المناطق الغربية- أولى بكثير من دعم الجفاف الإفريقي، فقد سئل ابن تيمية سؤالاً: لو
المال عن إطعام جياع والجهاد الذي يتضرر بتركه فقال: قدمنا الجهاد وإن مات الجياع، كما في مسألة التترس وأولى، فإن هناك
التترس) نقتلهم بفعلنا، وهنا يموتون بفعل الله. (الفتاوى الكبرى (٦٠٧/٤)).

## موقف الهند:

فالهند متعاطفة مع روسيا، وقد كانت أنديرا غاندي تريد أن تشن حرباً على الأجزاء الشرقية من باكستان، وكانت تد
المناطق لأخذ الاستفتاء، ولكن عاجلتها المنية فأراح الله المسلمين منها، وإن مواقف الهند انعكاس للصلات الروسية الهندية الا
للصفقات الهائلة من السلاح التي تنهال على الهند من روسيا، وكذلك العداء التقليدي بين الهند والصين الجاثمة على حدودها، يج
ميل إلى روسيا.

## موقف الصين:

تحاول الصين أن تغري أمريكا بالدخول معها في حلف ثنائي مقابل خروج أمريكا من كوريا الجنوبية وتايوان، وتحاول الد
ذلك أن تلوح لروسيا لعمل حلف ثنائي لإخراج أمريكا من كوريا الجنوبية وتايوان، وتتعاون الصين مع اليابان لتقف اليابان
دامها في مقابلة أمريكا. وفي مواجهة روسيا أصدرت الصين أوامرها إلى أحزابها الشيوعية (شعلة جاويد وستم ) بأن تحل نف
ذوب في داخل الشعب الأفغاني.

## موقف الدول الأوروبية:

إن أوروبا وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وألمانيا بحاجة إلى أسواق لتسويق منتجاتها الصناعية، وأسواق روسيا أفضل م
سريفها، وهي بحاجة ماسة لهذه المنتجات، وقد وافقت روسيا على مد خط أنابيب الغاز من سيبيريا إلى بريطانيا وفرنسا، وذلك
ل الحصول على العملة الصعبة لشراء التكنولوجيا الغربية، ولذا فالدول الغربية حريصة على حل مرضٍ لروسيا طمعاً في تحس
لاقات التجارية معها.هذا هو موقف الدول تجاه الجهاد الأفغاني.

والآن أود أن أنتقل إلى المشاكل التي يعاني منها الشعب الأفغاني في الداخل والخارج، وفي مقدمة هذه المشاكل:

١- المشكلة الصحية.

٢- المشكلة التعليمية والثقافية.

# الوضع الصحي للأفغان

يصل عدد المهاجرين في باكستان إلى أربعة ملايين، يتركز حوالي ثلاثة ملايين في بيشاور وما حولها من مناطق الحدود، وحوالي مليون في منطقة بلوشستان (كويتا وما حولها) المتاخمة للحدود الجنوبية لأفغانستان، وبسبب سوء التغذية والبرد والمأوى الذي قد لا يصل إلى خيمة، إذ أن جل هَمّ المهاجر أن يحصل على خيمة من الهلال السعودي (لجنة الإغاثة) وهي أكثر هيئة تقوم بهذا الأمر.

أقول نتيجة الفقر والبرد والعري ظهرت أمراض بين المهاجرين منها:

١- مرض الدرن (السل)، ونسبته وصلت حوالي (٢٠٪)، ومنها (٧٪) معدية وخطيرة.

٢- إرتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال بسبب الإسهال والقيء.

٣- مرض التيفوئيد الذي انتشر بنسبة كبيرة وبسرعة.

٤- الملاريا وتصل الإصابة بها إلى حوالي (٧ ٪).

٥- الأمراض العصبية والنفسية والعقلية التي تتزايد بسبب المصائب اليومية التي تنزل على البيوت.

وهنا يتبادر سؤال في الأذهان: من الذي انبرى لمواجهة هذه الحالة الخطيرة؟ إنه التبشير (لأنه حيث يوجد الفقر والجهل والمرض يوجد التبشير)، فوفدت إلى بيشاور جماعات المبشرين تحمل أسماء مختلفة، كالصليب الأحمر وكارتاس وسيرف وغيرها، من أجل تقديم مساعداتها من الناحية الطبية والتعليمية الأكاديمية والحرفية، ووصلت إلى بيشاور ثلاثون منظمة صليبية دولية ولكن من ورائها جميعها تقريباً (الكنيسة العالمية).

ووصلت في المقابل بعض الهيئات الإسلامية مثل:

- **الهلال الأحمر السعودي:** وميزانية (١٠) ملايين ريال.

- **الهلال الكويتي:** وميزانيته ستة ملايين دولار.

- **لجنة الإغاثة السعودية:** (التي تعمل من خلال الهلال) وهي من أموال المحسنين وميزانيتها حوالي (١٥٠) مليون ريالاً سعودياً.

- **وكالة الإغاثة الإسلامية الإفريقية:** وهي قائمة على تبرعات بعض المحسنين وميزانيتها محدودة.

- **لجنة الدعوة الكويتية مع لجنة الإغاثة الإنسانية:** وكلاهما تدعمها جمعية الإصلاح الكويتية، وقد قامت بإنشاء بعض النقاط الطبية على الحدود لالتقاط الجرحى وإسعافهم ثم إرسالهم إلى المستشفيات المركزية، وتحاول هذه المنظمات أن تعمل ضمن ميزانياتها المحدودة وإمكانياتها القليلة.

واستطاعت (لجنة الإغاثة السعودية بالتعاون مع بعض المحسنين) أن تنشيء مستشفى مركزياً في كويتا اسمه مستشفى (مكة المكرمة)،[1] وهو يتسع لحوالي مائة سرير، وهو يعتبر بحق من أحسن المستشفيات التي أشرفت عليها أيادي إسلامية كما يقول المختصون، وحوالي (٩٠٪) من المرضى فيه عادة من جرحى الحرب، وهناك مستشفى (سرنان) قدمته وزارة الدفاع السعودية في مخيم سرنان يتسع لاثنين وأربعين سريراً وهو حديث مجهز.

وأنشأ الهلال الكويتي مستشفى جديداً، وأنشأ من قبل مستشفى متواضعاً (مستشفى النساء والولادة)، وأنشأت لجنة الإغاثة والدعوة التابعة لجمعية الإصلاح الكويتية مستشفى بدر، وقد بدأ يأخذ طريقه للعمل في بشاور.

**مستشفى أنغان سيرجكل:** أنشأته الجماعة الإسلامية في باكستان، وتشرف عليه منذ سنوات، وقد أدى خدمات جليلة.. أمّا المستشفيات الأخرى التي سبق ذكرها آنفاً فكلها بدأت هذا العام.

وهناك المستشفيات التابعة للمنظمات الجهادية الأفغانية ولا تستطيع أن تعدها من المستشفيات لضيق الإمكانيات وقلة

١- فكرة هذا المستشفى وتأسيسه أيضاً من قبل الشيخ عبد الله عزام [illegible]

الواردات، اللّهم إلا مستشفى بابي بجانب جامعة الدعوة والجهاد في بيشاور فهو أحسن حالاً وأنظف، أما المخيمات التي يصل ع في باكستان حوالي خمسمائة مخيم، فهي في حالة سيئة جداً من الرعاية الصحية، في بعضها وحدة صحية مكونة من خيـ خيمتين مع بعض الأدوية دون مختبر صغير للتحليل أو الأشعة وما يتبع ذلك، ويدير هذه المخيمات حوالي تسعة عشر ألف موظف الباكستان، أما معظم الخدمة الصحية فهو واقع على عاتق المنظمات الصليبية الغربية التي تصل كما قلنا إلى ثلاثين منظمة، رأسها منظمة الصليب الأحمر الدولية ومنظمة كارتاس، المستشفى التبشيري (انتراید هوسبيتال)، وهناك وحدات (مراكز) الإسـ الأولية، وهنالك مراكز لتأهيل المشلولين في بيشاور (حياة آباد) تتسع لمائة سرير.. ففي بيشاور وحدها يعمل حوالي خمسمائة مـ بنشاط منقطع النظير.

وقد قام مركز الصليب الأحمر في بيشاور بإجراء ثلاثة آلاف وخمسمائة عملية جراحية سنة (١٩٨٢م) معظمها بتر الأ وعندما سئلوا عن سر هذا العدد الضخم من القطع قالوا: ليس عندنا أسرة كثيرة لرعاية المريض فترة طويلة من الزمن، ومن الـ أن قسماً من الغربيين حاقد على عبادة الجهاد، وهو يعالج من خلال النظرة التي رسخت في ذهنه من تعاليم المبشرين أن ا الإسلامي مجموعة من المتوحشين يحملون سيوفهم ويقتلون الناس بها، وبعضهم لا زال في أعماقه أحقاد الإنجليز الذين هزمو ثلاثة حروب كبرى في أفغانستان، وقتل منهم ذات مرة كل الجيش (إثنا عشر ألفاً) في خورد كابل، ولم ينج منهم سوى الد برايدون.

ويقوم الصليب بتوزيع الأناجيل التي ترجمها إلى الفارسية والبشتو بين المرضى، وتقوم الممرضات الغربيات بالإشراف تمريض المجاهدين، ولذا فقد رأيت ذات مرة مظاهرة من المعوقين، فسألت فقالوا: إنهم يأتون بالبنات الغربيات يشرفن على عـ ويقمن بالتدليك في مناطق العورة، فخرجنا!!

وهناك عمليات التثبيط والتخذيل من هؤلاء الغربيين لجرحى الجهاد، يقولون لهم: أنتم مجانين! أأنتم تستطيعون الوقوف في روسيا؟... وهكذا دواليك.

**ونحن نستطيع أن نقول:**

١- لم يأتنا طبيب واحد مستقر متمرس في الجراحة من الدول العربية، ولا من المسلمين العرب أو غير العرب الذين يترك ي الغرب في أوروبا وأمريكا.

٢- لم يأتنا طبيب محتسب، بل كلهم جاءوا برواتب تشبه رواتب بلادهم أو تزيد، ولا تستطيع أن تستثني من هذه القاعدة سـ احداً أو اثنين.

٣- رغم البطالة التي يواجهها الأطباء غير المختصين في بعض الدول العربية، ففي الأردن مثلاً هناك آلاف من الأ عموميين ترفض الدولة أن تشغلهم في مستشفياتها مجاناً -مع حرصهم على هذا لأخذ شهادة الخبرة- إلا أنه لم يأتنا أحد للعمل

٤- حتى الآن لم يأت للعمل في المستشفيات التي تخدم الجهاد طبيب تخدير واحد، ولا طبيب عظام واحد مختص..اللهم بارات لبعضهم، وقد زارنا طبيب مصري مختص -حسن غالي- يعمل منذ (١٤) عاماً في لندن، فألححنا عليه بالبقاء في مستشـ كة المكرمة-كويتا) فقبل بشرط أن يعتذر له من مستشفى عرفان في جدة، وطلب أن نتوسل إلى عرفان ببعض معارفه حتى يـ سمح له ولو لمدة عام للعمل في مستشفى مكة المكرمة، وحتى الآن فشلنا في العثور على من يقنع عرفان!!

٥- لو وجد الأفغان عملاً طبياً إسلامياً لا يمكن أن يذهبوا إلى الصليب، وحسبك مثالان:

**مستشفى مكة المكرمة:** بدأ هذا العام قبل عدة أشهر في كويتا، وكان الصليب مسيطراً على العمل الطبي، وأما الآن فـ تشفى الصليب يكون خالياً من الجرحى، لأنه لا يمكن لأفغاني أن يسمع باسم مستشفى مكة المكرمة ثم يذهب إلى مستشـ ـليب النصراني.. بل لقد ترك الموظفون الذين كانوا يعملون مع الصليب وظائفهم وانتقلوا إلى مستشفى مكة برواتب أقل و

**مستشفى العلاج الطبي الطبيعي**[١] الذي أسسته لجنة الإغاثة السعودية من أجل المعوقين في بيشاور، يأتيه يومياً حو مائة مريض وترك الناس الصليب، وترك الموظفون الصليب وجاءوا بنصف الراتب السابق تقريباً يعملون مع الإغاثة السعودية.

---

اله تماماً مثل حال مستشفى مكة المكرمة السابق وذلك أن الشيخ ما كان باستطاعته -في ذلك الوقت- إظهار أعمال رسمية ثابتة في باكستان حتى لا يصطدم مع الحكـ اكستانية

## الوضع الصحي داخل الجبهات في أفغانستان:

**أما الوضع الصحي داخل الجبهات في أفغانستان نحدث عنه ولا حرج:**

لم ير المجاهدون سوى طبيباً واحداً عربياً مسلماً عاش بينهم، والآن دخل طبيب آخر، وقد دخل طبيب ثالث لمدة شهرين هذا العام، فالمنظمات الصليبية تذرع أفغانستان شرقاً وغرباً، وليس من منافس: ففي بلخ (مزار شريف) بعثة طبية فرنسية منذ أربع سنوات، وأنشأوا مستشفى، وقد استطاع الشباب العرب أن يتخلصوا منهم بعد محاولات جهيدة، ثم وجدوا أن الأطباء الغربيين كانوا يوزعون حبوب منع الحمل للنساء كأدوية.

**وفي بنجشير:** أنشأ الفرنسيون ثماني وحدات صحية، وينقلون الأدوية من شترال على البغال إلى بنجشير، فالفرنسيون يعمل معهم (١١٦) طبيباً، والسويديون لهم تسعون عيادة داخل أفغانستان، ويعمل معهم (١١٠) من الأطباء، وكان من المتوقع أن يصل في الصيف الماضي ستون طبيباً فرنسياً ومائة وعشرون إلى مائتين من الأطباء الأمريكان.

وتتعجب من صبر هؤلاء الكفار، وتستحي وأنت ترى الفتاة الفرنسية في العشرينات وهي تمتطي صهوة جبال الهندكوش ماشية أربعين يوماً فوق الثلوج لتؤدي رسالة الصليب، هذه الفتاة ماذا ستصنع بالمجاهدين وكم ستفسد منهم؟!!

يقول لي عبد الله أنس (شاب عربي) لقد وجدنا الطبيبة الفرنسية في باميان تسبح في النهر أمام المجاهدين جميعاً. فماذا يصنع المجاهد البعيد عن زوجته منذ سنة أو سنوات؟!

حدثني الشيخ جلال الدين حقاني قال: جاء طبيب فرنسي ومعه طبيبة واستأذناني أن يعيشا في الجبهة، فأذنت لهما بعدُ أن سألته من هذه؟ قال: هذه زوجتي، ثم اكتشف أنها ليست زوجته، ففرقت بينهما، فوجدت أنهما يذهبان في الليل عند بعضهما، فوضعت حراسة على الإثنين، فصارت الطبيبة تغري الشباب بلف الدواء بالصور العارية، ثم صارت تراود المجاهدين عن أنفسهم، فسجنتهما وطردتهما، ولا زالا يراسلانني من فرنسا يتضرعان إلّي بالسماح لهما بالعودة على أي شرط أريد.

سبحان الله!! ما هذا التفاني في خدمة المبادىء الباطلة؟!

أما المجاهدون فهم محرومون من رؤية المسلمين ومن مشاهدة النماذج المضحية، ولذلك فإنهم يقطعون الأرجل بموس الحلاقة، ويحملون الجريح عشرة أيام على البغل من بروان إلى بيشاور.

## ماذا يريد العمل الصحي؟

١- نريد الأطباء الدعاة المحتسبين الذين ينذرون لله سنة واحدة لخدمة المجاهدين في الداخل، وهؤلاء سيقومون بعملية عظيمة مزدوجة: تعليم المجاهدين وتثبيتهم وإعادة الروح لهم، مع تعليمهم القرآن والفقه والعربية، وفي نفس الوقت يقوم الطبيب بعلاج الأبدان بعد أن عالج الأرواح.

٢- ونريد من الأغنياء أن يتكفل كل واحد منهم بطبيب واحد أو مجموعة يدفع رواتبهم عندما يدخلون.

٣- نريد من الدول أن ترسل للجهاد بعض الأطباء المختصين، خاصة الجراحة العامة وجراحة العظام ولو بشكل دوري كل ثلاثة أشهر واحد.

٤- نريد من الأطباء المكدسين في أمريكا والغرب، ففي أمريكا مثلاً الجمعية الطبية الإسلامية فيها عشرون ألف طبيب مسلم، لم نر منهم طبيباً -سوى طبيب واحد فلسطيني جاء ولم يمكث شهراً ومنّ الله عليه بالشهادة- أن يأتوا بأنفسهم لا أن يرسلوا بعض فضلات أموالهم!!

٥- ونريد من المحسنين أن يرسلوا الأجهزة الطبية اللازمة للمستشفيات.

## الناحية الثقافية والتعليمية للجهاد الأفغاني:

كانت أفغانستان حتى عهد أمان الله خان بلاداً معزولة عن العالم وعن الثقافة الأوروبية المادية الجافة، ولذا فقد كان التعليم

للمسلمين، وبراءته من الكافرين، ثم حاول أمان الله إدخال الفساد الغربي فأطاح الشعب به، وفي أيام ظاهر شاه سمح للدول الغ أن تدخل وتشرف بنفسها على المؤسسات التعليمية التي تنشئها بأموالها.

أنشأت أمريكا المدرسة (الحبيبية) الثانوية، ومدرسة (التكنيك) الثانوية، وأنشأت بريطانيا مدرستين ثانويتين (الغا و(النادرية)، وأنشأت فرنسا مدرسة (الاستقلال) و(معهد البولتكنيك)، وأنشأت روسيا معهد البولتكنيك (جامعة الهندسه) والم الزراعية، وبدأت الشيوعية تنشط من خلال هذه الأفكار والمعاهد، وحتى الآن فالأمية تقريباً تصل إلى (٨٥٪) من مجموع الشعب يزيد المثقفون عن (١٥٪)، وكانت هنالك (٦-٧) مدارس ثانوية شرعية مثل (فخر المدارس- هرات)، (أبو حنيفة-كابل)، (الأسدية- شريف).

وهذه أدت دوراً كبيراً، وكانت تصب في جامعة كابل -كلية الشريعة-، وإن كان عدد الطلاب فيها لا يزيد عن ثلاثمائة.

## لتعليم بعد الجهاد والهجرة:

تولى عملية التعليم لأبناء المجاهدين والمهاجرين عدة جهات:

١- **الحكومة الباكستانية:** وقد كانت تشرف على حوالي خمسمائة وخمسين مدرسة معظمها ابتدائي ومنهاجها أكاديمي ب س فيه روح الإسلام أو الجهاد.

وكانت الحكومة الباكستانية تتلقى دعماً من بعض المنظمات الدولية مثل (المندوبية السامية لرعاية اللاجئين الدولية في ا تحدة)، وقد كانت تدعم كل مدرسة بحوالي ستة آلاف روبية شهرياً، والآن كفت يدها وتوقفت.

٢- **الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان:** وكان يشرف على حوالي خمسمائة مدرسة فيها حوالي خمسون ألف طالب معظ رس ابتدائية، وقليل منها ثانوي، وقد قام الاتحاد بعمل مناهج للمرحلة الابتدائية، وطبع الكتب لهذه المرحلة، وهو منهاج إسلا دي، وقام الاتحاد بفتح (جامعة الدعوة والجهاد)، وهي من أحسن الخطوات التي قام بها الإتحاد، وتضم الجامعة كليتي الشر عوة وأصول الدين، وفيها حوالي مائتي طالب، وفيها السنة الأولى والثانية.

٣- الجماعة الإسلامية في باكستان وقد أنشأت عدة مدارس، ولكنها سلمتها إلى الاتحاد عند قيامه سنة (١٩٨٢م).

## لمات الصليبية:

عقدت جامعة اكسفورد في ديسمبر سنة (١٩٨٤م) تحت رعاية (جمعية الدراسات لوسط آسيا) مؤتمراً لبحث الجهاد الأفغا أجمع الخبراء على أن الخطر الدائم على المقاومة الأفغانية لا يكمن في قوة السلاح السوفياتي، ولا في استراتيجيتهم التوس أفغانستان، ولا حتى في التهجير الجماعي.. بل إن الخطر الحقيقي الذي ينذر بالسوء وهو أشد سوءاً في آثاره من قنابل النا زات السامة هو: السياسة الروسية المتمثلة في الغزو الفكري الاجتماعي التدريجي الذي يقف في وجه المقاومة منذ نشأتها، وا يمان -أحد المؤلفين المهتمين بالقضية الأفغانية- إلى (أن التفاؤل السوفياتي غالباً ما يبنى على اعتقادهم السائد بأنه من الم كوادر من الجيل الجديد للمواطنين الأفغان أنفسهم الذين قد يقدمون الجليل من الخدمات للسوفيات، كما وضح أن الروس ا برامج تدريبية وإعلامية مكثفة في أفغانستان وروسيا للمواطنين الأفغان).

وجدير بالذكر أن الروس يرسلون حوالي (٢٥-٣٠) ألف طفل أفغاني سنوياً إلى روسيا لتربيتهم على الثقافة الشيوعية، ك روس بجمع يتامى الحرب وإرسالهم إلى بيوت خاصة في معسكرات شيوعية لتربيتهم.

وقد استفاد الروس من تجربتهم مع الشيخ شامل، وكيف أن القياصرة لم يستطيعوا أن يقضوا على ثورة الشيخ شامل الا سيا سوى عن طريق أبنائه، فقد أجرى الشيخ شامل معاهدات صلح مع القياصرة، فكان يطلب رهائن من الروس ويأخذ ك ت، أما القياصرة فيطلبون أطفاله الصغار، فأخذوا أبناءه عبد الكريم ومراد وأدخلوهم كلية الأمراء، وتربوا في أحضانهم، وء دين بن شامل واحتل منطقة ققفاسيا وسلمها للروس، وكذلك كان ابن مساعد الشيخ شامل (حجي مراد) أحد قادة الروس.

## ماذا يفعل الروس في إعداد جيل المستقبل الأفغاني؟

إن للروس تجربة سابقة في قتال قزقستان التي استمر جهادها ستين سنة، والتقى الناس على قيادة الإمام شامل، وكان هنالك تفاوت في الأسلحة إلا أن الروس واجهوا مقاومة عنيفة جداً من قبائل هذه المنطقة التي يقودها الإمام شامل، وأدرك الروس أن كسب الحرب في مواجهة ذلك الجيل أمر مستحيل، فوضعوا خططاً لجيل المستقبل (للجيل الثاني).

وقد جرت فترات من الصلح بين المجاهدين والروس، فكان المجاهدون يطلبون الرهائن لضمان عدم انتهاك الصلح، وكان المجاهدون يأخذون كبار القادة الروس كرهائن عندهم. أما الروس فكانوا يأخذون أبناء المجاهدين الصغار ويرسلونهم إلى العاصمة سان بطرس بيرغ، وأدخلوهم مدارس أبناء النبلاء والطبقة الأرستقراطية الروسية، ثم الأكاديمية العسكرية، وهؤلاء الأطفال عادوا إلى أوطانهم ضباطاً في الجيش الروسي.

وفي الحملة الأخيرة على قزقستان كان جمال الدين بن الإمام شامل ضابطاً في الجيش الروسي، وكذلك ابن نائب الإمام (حجي مراد) كان أيضاً ضابطاً في الجيش الروسي المقاتل ضد أبيه وقومه.

هؤلاء الضباط كانوا سبباً في انهيار معنويات المجاهدين لأنهم أبناء قادتهم، وكانوا أيضاً حكام الأقاليم التي استولى عليها الروس، فخضع الناس لحكمهم باعتبار أنهم من قومهم وأبناء قادتهم.

## وفي أفغانستان الآن:

عندما وصل الشيوعيون إلى الحكم كان عددهم خمسة آلاف شخص، والآن عدد الحزب الشيوعي أربعون ألف شخص.

لقد زاد هذا العدد من خلال البرامج التعليمية للشباب في أفغانستان ثم موسكو وطشقند.

لقد تدرب خلال السنوات الأربع الماضية مائة ألف شاب داخل الاتحاد السوفيتي لكي تتكون منهم الكوادر الشيوعية في الجيش وإدارات الحكم، وهؤلاء هم القوة الحقيقية في يد الشيوعية، والذين سيقاتلون أبناء قومهم في المستقبل.

ففي (٩) نوفمبر (١٩٨٤م) توجه (٨٦٠) طفلاً إلى موسكو أعمارهم تتراوح بين (٧) إلى (٨) سنوات لتلقي دورات تعليمية لمدة عشر سنوات، وهذه هي المرة الأولى التي يذهب فيها أطفال صغار لهذه الفترة الطويلة.

## المنظمات الشيوعية العاملة في وسط الشباب الأفغاني:

١- **سازمان زنان خلق:** وهي منظمة للشبيبة الشيوعية، وأعمار المنتسبين إليها تبدأ من ستة عشر عاماً، وعدد أعضائها مائتا ألف عضو.

٢- **پيشن اهانغ:** وهي منظمة للطفولة، أعمار المنتسبين إليها تتروام بين (١٢) إلى (١٦) عاماً، وعدد أعضائها مائة ألف عضو.

ومن هذه المنظمات تخرج جيل من الشباب لا يعرفون إلا الشيوعية.

يقول لويس دوبرية -أحد المشتركين في مؤتمر أكسفورد وصاحب الخبرة الطويلة في أفغانستان إذ أنه أقام عشر سنوات فيها-: إن التعليم هو السلاح الوحيد ذو الفعالية لصد العدوان السوفيتي.

ثم خرج المؤتمر بتوصيات:

- **الدعم المادي:** إنشاء كليات صغيرة، إعطاء منح، إنشاء معاهد معلمين، دعم مادي لأصحاب المهارات من الأفغان، دعم لجان التعليم، إنشاء جامعة أفغانية حدودية، ولقد حاولت بعض المنظمات الغربية أن تصل إلى التوجية في تعليم الأفغان، مما أدى إلى اصطدامهم بالاتحاد وبالمعلمين، كما أن بعض المعلمين الأفغان رفضوا استلام المرتبات بعد معرفتهم حقيقة هذه المنظمات، وهنالك الآن حوالي مائتي معلم لا يأخذون الرواتب وأغلقت المدارس التي يعملون فيها.

ولقد برز على الساحة التعليمية بين المهاجرين الأفغان هذا العام مبشر جديد وهو (د. كيلر) ممثل الكنيسة الكاثوليكية، وهو ناشط في وضع المناهج، وقد مر عليه عدة أشهر لا يخرج من مكتبه ينام ويأكل ويشرب فيه.

## أما الجهات الإسلامية فقد أنشأت:

**١- لجنة الدعوة الكويتية:** المعهد الشرعي العالي سنتان دراسيتان بعد الثانوية العامة، وفيه حوالي (٧٥) طالباً، وهي جادة ومنتجة.

**٢- معهد اللغة العربية:** أنشأه اتحاد المدارس العالمي، ويقوم بعقد دورات للغة العربية.

**٣- الجامعة الأثرية:** وهي مدرسة يشرف عليها عبد العزيز النورستاني أنشأها الهلال الكويتي.

**٤- معهد أبي حنيفة لإعداد الدعاة:** ويقوم على تبرعات بعض المحسنين.

**٥- مؤسسة المدينة المنورة:** وقد بناها إبراهيم الجليدان من المدينة المنورة، وهي دار للأيتام، وتعتبر أحسن مركز تعليم قسم داخلي يتكفل الأيتام بالطعام والشراب والنوم واللباس.

## التعليم في الداخل:

لقد دمرت المدارس، وهدمت المساجد، وهاجر المدرسون، واختفى العلماء، فلا بد من الانتباه إلى الداخل، وهنالك مدارس لا زالت قائمة وتقدم المسؤولون فيها بطلبات للدعم المادي.

**١- ولاية بدخشان وفيها:**

مديرية كشم: فيها (٣٢)، مدرسة ابتدائية من الأول إلى الرابع، وعدد المدرسين (٧٨)، وعدد الطلاب (١٩٥٧)، وفيها مدرسة دينية، عدد المدرسين (١٠٨) وعدد الطلاب (١٨٤٤).

**٢- ولاية كندز:**

وفيها أربع مدارس دينية عدد المدرسين (١٧، وعدد الطلاب (١٨٠) طالباً.

**٣- ولاية هرات وفيها:**

أ- مديرية غوريان: عدد المدارس الدينية فيها (٦١)، والمدرسون (٦١)، والطلاب (٢٠٦٦).

ب- مديرية زنده جان: عدد المدارس (١٢) المدرسون (١٢) الطلاب (٤٩١).

جـ - مديرية كوهستان: عدد المدارس (٤)، المدرسون (١٨)، الطلاب (٣٢٤).

**٤- ولاية غزني:**

عدد المدارس (٤)، المدرسون (٢٨) ، الطلاب (١٩٠٠).

**٥- ولاية بكتيا:**

عدد المدارس (٤) المدرسون (٢٢) الطلاب (١٥٠٠).

## تعليم المرأة:

**للأفغان تجربة مرّة مع تعليم المرأة أيام ظاهر شاه، إذ أنهم رأوا أن المعلمات تحللن من كل القيم الدينية والأخلاق الإسلامية وأصبحن عنصر فساد وبؤرة عفنة، وبيئة للأخلاق الغربية، ولذا فهم يحاولون منع المرأة من التعليم، وقد قام التنظيم النسائي في الحزب الإسلامي بفتح بعض المدارس، وقامت الجمعية الإسلامية بفتح مدارس أمهات المؤمنين، وتحتاج هذه المدارس حوالي ألف روبية شهرياً يتكفل ببعضها بعض المحسنين، ولم يستطيعوا أن يؤمنوا كل المبلغ.**

## التوصيات بشأن التعليم:

١- الاهتمام بجامعة الدعوة والجهاد، ودعمها بالأساتذة، والاعتراف بها، وقد بلغنا أن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة قررت إعارة خمسة أساتذة، ولكن لم يصل منهم واحد بعد.

ولا بد من توسيع الجامعة، وفتح كلية ثالثة للآداب العربية، ولا بد من الاعتناء بمنزلها الداخلي وكتبها ومناهجها، والاعتراف بها، وتخصيص بعض المقاعد في الجامعات العربية للمتفوقين فيها.

٢- الاهتمام بالتعليم في داخل أفغانستان، وإعطاء المدرسين رواتب على حساب المحسنين، بحيث لا يزيد عن مائتي ريال سعودي في الشهر.

٣- التوصية بعدم التشدد على العرب أثناء دخولهم وخروجهم من أفغانستان، حتى يؤدوا دورهم المطلوب الذي لا يستطيع أن يقوم به غيرهم في التربية والبناء والتوجيه.

٤- الاعتناء بوضع المناهج الإسلامية للمدارس في الداخل والخارج، والأفغانيون يريدون منا أن نضع لهم مناهج إسلامية خالصة.

٥- إيفاد بعض المدارسين العرب الصادقين للعمل في وسط الأفغان.

٦- زيادة فتح المعاهد الشرعية على حساب الرابطة، والإفتاء، والمؤسسات الخيرية، وجمعيات الإصلاح، والحركات الإسلامية.

٧- فتح معهد لتدريب المعلمين الأفغان.

٨- عدم السماح للمؤسسات التبشيرية أن تشرف على المدارس سواء بالمناهج أو المعلمين أو الكتب.

٩- توسيع تعليم البنات المهاجرات وكذلك اللواتي يعشن في الداخل.

## هل يستطيع الروس حسم القضية؟

يرى بعض السذج أن الروس لم يلقوا بثقلهم في معركة أفغانستان.. بل يتبجح قائلاً: إن روسيا لم تدخل المعركة بعد وإنما المعركة بين الشعب الأفغاني وبين حكومته الشيوعية، وإلا فإن روسيا بإمكانها أن تدخل نصف مليون جندي وتحسم القضية في شهر واحد، وللجواب على هذا السؤال نقول: لقد فشلت روسيا أن تحتل موقعاً واحداً من المواقع الحدودية الثلاثة التي شنت عليها هجوماً ضخماً خلال أشهر رجب، شعبان، ورمضان سنة (١٤٠٦هـ)، فقد فشلت روسيا أن تدخل مركز نازيان/ننجرهار بعد هجوم استمر (٤٢) يوماً، وكانت النتيجة هزيمة الروس، وغنم المجاهدون غنائم كثيرة، وفشلت أن تثبت قدمها في جور (بكتيا) أكثر من يومين بعد هجوم استمر شهراً كاملاً اشتركت فيه الأساطيل الجوية والبرية بشتى آلياتها، وفشلت أن تدخل مركز جاجي في رمضان سنة (١٤٠٦هـ) بعد هجوم شرس لم تعهد له الحدود مثيلاً، وانتهى بهزيمة الروس، ولقد علّق أحد الضباط الروس قائلاً بعد هذا الهجوم: ولو قمنا بهجوم على حلف الأطلسي (الناتو) ما استعملنا عدة ولا رسمنا مخططات غير هذه، ومع هذا لم نستطع أن نحرز شيئاً من هجومنا هذا.

وكذلك للإجابة على هذا السؤال، لا بد من النظر في القوة العسكرية لروسيا فنقول: إن للاتحاد السوفيتي ثلاثمائة وستون فرقة عسكرية موزعة كالتالي:

ستون فرقة على الحدود في الصين، مائتي فرقة في أوربا لمواجهة حلف الناتو، أربع عشرة فرقة في أفغانستان، ويكون الباقي ست وسبعون فرقة احتياط.

### أما توزيع قوات روسيا في آسيا:

(٦٠) فرقة على حدود الصين، (١٠) فرق قوات إحتياطية للعمل مع حدود الصين، (١٠) فرق قوات الحدود مع إيران، (١٤) فرقة قوات عاملة أفغانستان، (٦) فرق قوات احتياطية لأفغانستان، (٢٣) فرقة قوات احتياطية في آسيا الوسطى.

فإذا استخدمت روسيا نصف مليون جندي في أفغانستان، وهو نفس الرقم الذي استخدمه الأمريكان في فيتنام، فهذا يعني أنهم سيستخدمون كل قوات الاحتياط المتوفرة لديهم في أواسط آسيا، وبهذا تصبح تكاليف الحرب عليهم مائتين وخمسين مليون دولار يومياً مصاريف لقواتها المسلحة، (١٠٠) مليون دولار لنظام كابول. فالمجموع (٣٥٠) مليون دولار، وهذا الرقم لا يتحمله الاتحاد السوفيتي طويلاً، وليس من المتوقع أن ترتكب روسيا هذا الخطأ، ولكننا يجب أن نخطط عملياتنا العسكرية بحيث تضطر روسيا لمضاعفة قواتها لتكبيدها خسائر أكثر، ولإضعاف إرادتها القتالية، وإقناع الولايات الإسلامية بضعف روسيا أمام حرب العصابات

## هدف روسيا في أفغانستان:

تريد روسيا حكومة موالية لها في أفغانستان -مثل دولة منغوليا- تابعة لهم سياسياً واقتصادياً بدون احتلال عسكري وهي عازلة بين الأراضي الروسية والصين، وهذه الحكومة تكون موالية لروسيا لتحمي الولايات الجنوبية من التهديد الإسلامي مع الاحتفاظ بممر واخان لأسباب أهمها:

١- تهديد الممر الوحيد المتبقي للصين وهو طريق كارا كورم الذي يربط الصين ببحر العرب من خلال باكستان، فقد روسيا حصارها للصين من جميع الجهات في كمبوديا ولاوس وفيتنام، وأسطولهم قادر على قطع أي إمداد بحري للصين.

٢- يجعل حدوده مشتركة مع باكستان فتقع تحت التهديد الروسي إذا حاولت التدخل في كابول.

## ماذا يخسر الروس إذا فقدوا أفغانستان:

١- إن العقيدة الشيوعية هي الرباط الوحيد للإمبراطورية الروسية، وانهيار أي حكومة في العالم قائم على المبدأ الـ يعني إصابة الإمبراطورية في مقتلها، ولا سيما إذا كانت على حدود روسيا كأفغانستان، فانهيار الشيوعية في أفغانستان يعني انهيار الشيوعية كلها.

٢- إذا خسر الاتحاد السوفياتي معركة أفغانستان فسوف تنهار سمعته المعنوية، وتتولى الصين قيادة المعسكر.

٣- انهيار الحكم الشيوعي في أفغانستان يعني انتشار المد الإسلامي في الولايات الجنوبية، مما يؤدي إلى انهيار الـ في عقر دارها.

## لماذا يسعى الروس إلى حل سياسي سريع في أفغانستان؟

قلنا إن الروس يريدون حكومة موالية للنظام الشيوعي، أو قومية لا صلة لها بالإسلام، ولا مانع عندها من قيام دولة يـ رجل كظاهر شاه، ولكن لن تقبل بقيام حكم إسلامي مهما كانت الظروف.. إلا مرغمة بقدر من الله، ثم بضغط المجاهدين.

**وأسباب الرغبة الملحة لروسيا في الحل السياسي هي:**

١- الخسائر العسكرية والاقتصادية.

٢- إن الحدود المفتوحة الآن بين روسيا وأفغانستان تؤدي إلى انتقال الفكر الإسلامي إلى الولايات الجنوبية.

٣- إنتشار الرشاوي بين كبار المسؤولين السوفيات في أفغانستان، وزيادة التطلع الاستهلاكي المترف لديهم، ويتلقى الـ هدايا كبيرة لدى مغادرتهم لأفغانستان من الوزراء الأفغان لضمان إبقائهم في مناصبهم.

فمثلاً مستشار كارمل (سومولف) قد تلقى هدية من عبد القادر -وزير الدفاع- قيمتها ستمائة ألف روبية، ومن دكتور (رئيس المخابرات خاد) مائتي ألف، ومن نائب نجيب ستريو مزدوج.

٤- مشاعر العداء المتنامية في الشرق الأوسط ضد روسيا، بينما كانت من قبل ضد أمريكا.

٥- خسر السوفيات سيطرتهم على دول عدم الانحياز التي كانت قبل الغزو (٧٧) دولة والآن (٩٤) دولة.

٦- الخسارة في الأمم المتحدة فلم يبق لروسيا سوى (١٨) دولة.[1]

# قصص لا تنسى

## رصاصة تكسر عظم مشط الرجل دون ألم:

حدثنا محمد ياسين (لوكر-كولانجار-خوشي) قال: أصابتني رصاصة في لوكر، وكسر عظم رجلي ولم أحس بألم، وهـ بيها من نوبندي إلى ترمنجل يومين ولم أشعر بألم.

[1] مقالاً بعنوان (أمريكا وتجارة الدماء) نظراً لتكراره في كتاب (في خضم المعركة) لذا وجب التنبيه.

## كيس من اللحم فوق الثلج:

وحدثنا أيضاً قال: نزلنا وادي دوبندي وليس فيه أحد، ثم نزلنا (حبداد) وطلبنا طعاماً فلم يطعمنا أحد، وظنوا أننا مليشيا، وكنا جائعين، وكان بإمكاننا أن نأخذ الطعام بالقوة إذ كنا ثلاثة عشر مجاهداً، ولكنا تحرجنا أن نأخذ طعاماً من بيت مسلم عن غير طيب نفس، وسرنا أربع ساعات ونصف ونحن جائعون، حيث مضى علينا ليلتان ويوم دون طعام. وبينما كنا نسير فوق الثلوج رأينا كيسا أخضر مملوءًا باللحم -مع أنه ليس في المنطقة أثر أقدام لبشر أو حيوان- فطبخناه وكان حوالي (١) كغم. فأكلنا منه جميعاً، ثم استسلم لنا سبعة من الجيش فأطعمناهم منه، وسرنا إلى بارچنار، وكلما مررنا بواحد أطعمناه، ووصلت إلى بيتي حيث تقطن أسرتي وعددها (١٤) شخصاً وبقينا ثلاثة أيام نأكل منه.

وقد أطعمنا في الطريق حوالي ثلاثين نفراً، وكان هذا الحادث في كانون الثاني (يناير) سنة (١٩٨٤م).

## ألف غرباء يقاتلون مع عشرين مجاهداً:

حدثني محمد سفر -سائق في جاجي- قال: قاتلنا العدو وكنا حوالي عشرين مجاهداً، وكان العدو كثير العدد، وبينما كنا نقاتل رأينا عدداً كبيراً من الناس حوالي الألف يقاتلون معنا، وبعد انتهاء المعركة فقدناهم فلم نجدهم.

## العقيدة فوق النسب:

حدثنا الضابط حشمة الله من كابل (وكنا في جاجي) يوم (١٥) رمضان (١٤٠٥هـ) بحضرة صديق چكري -أمير المركز- قال: كان في كابل / سيلو ضابط شرير اسمه ظفر شاه، فذهبنا لاغتياله فلم نعثر عليه، فذهبنا إلى مسجد الحي وطلبنا المساعدة، ثم قلنا للناس بعدما أعطونا مبلغاً أن هذا المبلغ لا يكفي، فذهبنا نطرق البيوت حتى جئنا إلى بيته، فوجدناه نائماً، فضربناه بيده بالمسدس وأمرناه وجئنا به إلى المسجد، فقلنا للناس: هل يشهد أحد له بالإسلام؟ فلم يشهد له أحد، ثم جئنا بأخيه فسألناه فقال: إن أبقيتموه حيا فلستم بمسلمين، فقتلناه وأعلنا أن من رفع جثته قبل سبعة أيام فسيلقى مصيره، وبقيت جثته سبعة أيام في شوارع كابل.

## أصحاب الثياب البيضاء:

القائد محمد عمر -كابل- وهو ابن عم محمد صديق چكري -أمير مركز جاجي رجل زاهد ويبدو عليه سمات الصلاح- حدثنا قائلاً: كنا بين (٥٠-٦٠) مجاهداً، وهجمنا على معسكر لقوة متحركة للعدو، فقتلنا قسماً منهم، وبعد أن عدنا جاءنا جنود الحكومة مستسلمين وقالوا: أين الذين كانوا معكم يلبسون الثياب البيضاء؟! جئنا لنسلم أنفسنا إليهم، فقلنا لهم: لم يكن بيننا أحد يلبس ثياباً بيضاء.

## خمسمائة قتيل روسي دون أن نطلق عليهم:

القائد محمد عمر يحدث عن عملية في بتخاك (بلدة الأصنام المحطمة)، قال: هاجمنا الحكومة من ثلاث جهات فقاومنا اثنتين ولم ندخل في معركة مع الجهة الثالثة، وكانت هذه الجهة أقواها، فقتل منهم خمسمائة روسي مع أننا لم نطلق عليه رصاصة واحدة.

## وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله:

حدثنا غوث الله -شقيق محمد صديق چكري أمير مركز جاجي-: حدثنا أن الحكومة ألقت القبض على ثلاثة مجاهدين، وطعنتهم بالسكاكين (السنجة) التي في رأس البندقية حوالي مائة طعنة، ثم قيدوهم وألقوهم من رأس الجبل، وتدحرجوا إلى قعر الوادي، وبعد يومين جاء المجاهدون إلى المكان، فوجدوهم وأحضروهم إلى بيشاور وعالجوهم، وهم الآن في طريقهم إلى الجهاد مرة أخرى.

## طفل حي تحت الثلج ثمانية أيام:

حدثني سحرجل من كابل أحد أقارب شكري قال: كانت عائلة مهاجرة بدينها هرباً من الروس تشق طريقها في ذرى (سفيد كوه: الجبل الأبيض) مهاجرة من ننجرهار، والثلج يصل من متر إلى عدة أمتار، اضطرت العائلة أن تنزل أحد أطفالها عمره

أعوام في الثلج، ثم جاءت إلى مجموعة من المجاهدين وقالوا لهم: لقد تركنا ابننا يموت في الثلج في مكان كذا فأحضروه لنا لند
قال سحرجل: ذهبنا بعد ثمانية أيام فوجدناه حياً وهو تحت الثلج.

### القتيل الوحيد هو الجاسوس:

حدثنا جعفر -قائد في بغلان عنده خمسمائة مجاهد- قال وأقسم بعد أن طلبنا منه: كنت مع خمسة مجاهدين، فمرض ؛ وبقينا اثنين، فدخلنا قرية (مومند) وانضم إلينا ثمانون، ودخلنا في معركة مع الحكومة وقتل منا قتيل واحد، وعندما أردنا دفنه فت جيوبه فوجدنا في جيبه هوية جاسوس للحكومة، وفي اليوم التالي أسرنا بعض جنود الدولة فقالوا: لقد كان المقتول جاسوساً الذي أخبرنا بقدومكم.

### مائتا قتيل من الشيوعيين ولم يقتل منا أحد:

حدثنا جعفر قال (وأقسم على ما يقول): لقد كنت مع خمسين من المجاهدين، ذهبنا من خرد كابل إلى بغمان وقمنا ؛ عمليات ثم ذهبنا إلى كابل وقمنا بثلاث عمليات، ثم انسحبنا، وبينما كنا ننسحب خارجين من كابل لقينا بائع خضار على حم أخبرنا بقدوم القوة فلم نهتم، لأننا كنا متعبين، ونمنا، فهجمت علينا قوة مكونة من (٣٠٠) دبابة وآلية و (٣٠) طائرة (٢٢) هليوكبة ٨) ميج، ودارت بيننا وبينهم معركة في أرض ليس فيها أي حماية طبيعية، وكنا على تلة مكشوفة، وبقيت الطائرات تصلينا بقذائ كانت الحجارة أمامنا تتفتت، ولكننا لم نفقد أي مجاهد، وكنا نتراجع حتى جرحت، فأمرتهم بالإنسحاب، وكانت النتائج قتل ما ن الشيوعيين ولم يجرح إلا أنا.

### لطر ينزل لإزالة آثار الغازات السامة:

حدثنا فداء محمد بن داود شاه حارس الشيخ سياف (حق برست: عابد الحق) بغمان قال: كنا أربعة مجاهدين، وهجمت ء إلى مائتا دبابة وست طائرات -كانت الحكومة تقول أن في بغمان ثلاثين ألف مجاهد- ولم يكن في ولاية بغمان أكثر من س ـاهداً.

ونزلت علينا طائرة، وظننا أنها جاءت لتستسلم لنا، فإذا بها جاءت لتقصفنا، وحطمنا دبابتين، وألقت علينا الطائرات غا مة فنمنا، فجاء المطر -مع أن السماء صافية- فأزال المطر والريح أثر الغازات السامة فاستيقظنا، وذهبت الدبابات نتوقف الم ستشهد منا ومن الإخوة المجاهدين الذين ساعدونا (١٢) مجاهداً وقتل ستون شيوعياً.

### د المجاهدين يزداد:

حدثني الشيخ عبد القدير -عمره سبعون سنة- من بغمان قال: كنا (١٧) مجاهداً، وعندما دخلنا المعركة وجدنا أن عددنا ؤ ثمانين، فخشي ابني محب الله -وهو قائد- أن يكون المليشيا دخلوا بيتنا، فقلت له توكل على الله، وكان مع العدو حوالي أربع ؛ وناقلة، وعدد الكفار حوالي ثمانية آلاف، واشترك معنا من الجبهات الأخرى، وانتصرنا على العدو، وبعد المعركة رجع عددنا ) شخصاً، وقد خسر العدو حوالي (١٢٠٠) قتيل واستشهد من المجاهدين ستة فقط.

### م يخبر عن استشهاده في نفس اليوم:

حدثنا الشيخ عبد القدير قال: تقدم كاظم وتناول ثمرات عن الشجرة وقال: هذه آخر الثمار التي آكلها في الحياة لأني أستشـ ليوم، واستشهد بعد قليل.

### ٢٦) من طلاب الكلية يقتلون جميعاً:

هجم الشيوعيون ومعهم كل أبناء الكلية الحربية (ألفان وستمائة) فقتل المجاهدون قسماً وأسروا القسم الآخر وقتلوهم.
وكان مع العدو حوالي ألف دبابة وناقلة، وعددهم حوالي عشرة آلاف، واستشهد من المجاهدين (٣٢) مجاهداً.

### مطيع الله:

شاب في السابعة والعشرين -وهو قائد بدلة (١)- بدأ الجهاد وعمره عشرون سنة أيام تراقي، وحرق (٣) دبابات، وقتل ثمانين شيوعياً.

### شعرة من لحية شهيد تطول:

رأيت مع مطيع الله شعرة أخذها من لحية شهيد وكانت سوداء، واحتفظ بها، وتحولت من الأسود إلى الأبيض، والأغرب أنها طالت، وهي محفوظة في جيب مطيع الله.

### طفلة تقول هنا يدفن أخي:

حدثني مطيع الله عن طفل عمره (٩) سنوات، يدفن تحت الأرض بسبب قذائف الطائرات، وبعد سبعة أيام كانت أخته تلعب قرب المكان وعمرها (٧) سنوات، فقالت: تحت هذه الأرض يوجد أخي، أنا أحس بوجوده هنا، فجئنا وحفرنا في المنطقة فوجدناه، مع أن أخته لا تدري من قبل أين أخوها.

### طفل يضع لغماً لدبابة:

حدثني نور الله عماد قال: حدثنا ثلاثة من الثقات أن طفلاً في التاسعة أو العاشرة وضع لغماً لدبابة، ففاجأته الدبابة وهو في اللمسات الأخيرة، فسأله الجنود ماذا تعمل هنا، قال أنا راع، فقالوا: وأين الغنم التي ترعاها؟ فارتبك، فشكوا في أمره وأخذوه معهم في الدبابة، فعندما اقتربت الدبابة من مكان اللغم صاح: (الله أكبر) فانفجر اللغم وطارت الدبابة إلى أعلى وقذفت بالطفل بعيداً سالماً واحترقت بمن فيها.

### ذبيحة لله تصلح الزيكويك:

حدثنا قطب الدين البنشيري قال: توقف الزيكويك مرة عندنا في بنجشير وهذا أمر خطير عندنا، لأن الطيران دائم، فقمنا وذبحنا لله ذبيحة فصلح الزيكويك.

### قذيفة حرقت الخيمة ولم يصب المجاهدون:

حدثني ضابط عمر خان (جور-بكتيا) قال: نزلت قذيفة صاروخ على خيمة في (جور) واحترق كل ما فيها، ولكنها لم تصب المجاهدين بأذى، كان هذا في (٢٣) شوال (١٤٠٥هـ).

### جرحى كالبدور:

حدثني ضابط عمر خان فقال: لقد جرح (٢٦) مجاهداً منا يوم الخميس (١١/٧/١٩٨٥م) الموافق (٢٤) شوال سنة (١٤٠٥هـ) في خوست، بعضهم بالرصاص وبعضهم بالقذائف، يقسم عمر خان أني نظرت إليهم فرأيتهم لجمالهم كالبدور (الأقمار)، وما شكا منهم أحد من ألم أثناء الطريق.

### قذيفة عنقودية تنفجر في الجو:

حدثني عمر خان قال: انفجرت قذيفة عنقودية في الجو وسقطت قنابلها الخمسين على الزيكويك، ولم تنفجر منها أي واحدة.

### الباب يفتح وحده:

حدثني محمد شعيب قال: كنا في لوكر وذهبنا في عملية، وبعد أن نفذنا العملية عدنا لنختبئ في بيت أحد الأصدقاء، فقرعنا الباب كثيراً فلم يفتح، وحاولنا فتحه، وعبثاً حاولنا، فدعونا الله عزوجل ثم قرعنا الباب فانفتح الباب وحده.

## الماء يتحول إلى شاي دون إضافة الشاي:

حدثني زيارة -أحد المجاهدين- قال: في أحد أيام رمضان عند الفطور أردنا عمل الشاي، فوضعنا الماء الصافي على
وبحثنا طويلاً عن الشاي فلم نجده، ثم أنزلنا الماء وإذا بالماء طعمه طعم الشاي ولونه لون الشاي، وكان جلال الدين حقاني حا
فقال: هذه بركة الجهاد.

## رأيت نور الشهيد ونضرة وجهه:

رأيت شهيداً -وكنت أركب مع جلال الدين حقاني في بكتيا حدود جور، وكان معي مجموعة من الشباب- فرأيت نضرة
(وجوه يومئذ ناضرة)، وبعد أن سرنا بدأ الشباب يتساءلون: هل شممتم رائحته الطيبة؟ إنها رائحة زكية جداً! ورأيت قذيفة أخ
النبع من الأرض في ليجا-بكتيا، قلت لعبد العزيز -مسؤول المخابرة في ليجا- حدثنا عن كرامة رأيتها، فقال لي: هل رأيت هذه ا
من القذائف؟ لم يجرح منا واحد سوى صحفي فرنسي كان موجوداً.

## كرة من النار تسقط على الشيوعيين:

حدثني الشيخ محمود بن مولوي سراج الدين في وردك قال: كان المجاهدون متجمعين في الليل في مكان والدبابات تقابله
تجمع كبير، وكانت المعركة قد بدأت قبل ثمانية أيام، وفي هذه الليلة نزلت كرة من النار من جهة الأفق، فوقعت على الدبابات وانتش
انتشاراً كبيراً، في هذه الليلة انسحبت الدبابات بعد أن خلفت وراءها مجموعة كبيرة من الأيدي المقطعة والأرجل المتناثرة والدماء
تكاد تغطي الأرض.

قلت للشيخ (مولوي محمود): ماذا تظن هذا؟ قال: كالطير الأبابيل في سورة الفيل.

وأذكر في هذه المناسبة الحصى التي رماها رسول الله ﷺ يوم بدر وحنين، فلم يبق واحد من المشركين إلا وأصاب عينيه
منها.

## الشهيد عبد الباقي يبتسم ويفتح عينيه:

حدثنا مولوي محمود (وردك) قال: استشهد ابن عمي وأخذوه للدفن في قريتنا -لورا-، وعندما علمت باستشهاده ذهبت
فعندما وصلت قال الناس وصل مولوي محمود، فابتسم عبد الباقي وفتح عينيه.

## كثيرون أخبروا عن يوم استشهادهم:

حدثني الشيخ محمود قال لي: كثيرون هم الذين ودعوني قائلين: اليوم يوم الفراق، ويصدق الله ظنهم، منهم عبد الرشيد -طا
علم- قال لي مودعاً: اليوم هو آخر أيامنا، وبعد ثلاث ساعات استشهد. وبالمناسبة طلبة العلم لهم دور كبير في الجهاد وصفائه وتو
لجهاد والمجاهدين.

## لصاروخ يأخذ عمامة يارخان ولم يجرحه:

رأيت يوم (١٥/٧/١٩٨٥م) الموافق (٢٨) شوال (١٤٠٥هـ) يارخان -شاب في العشرينات- أصابه صاروخ فأخذ عما
رأيت الثقوب الكثيرة فيها- ثم انفجر الصاروخ على بعد مترين منه -قرب خمسة عشر مجاهداً- ولم يجرح منهم واحد.. كان
ي بكتيا-خوست-ليجا.

## تاة تخرج من الركام بعد يومين حية:

حدثنا محمد كشمير -مندوب جبهات الشهيد فضل أحمد في هرات- أن الطائرات أغارت على منطقة (جوزرا) وقصه
طقة، وبعد يومين أخرج المجاهدون فتاة حية من تحت الركام.

## ند يقتل (٢٥) شيوعياً:

حدثنا القائد محمد زمان أحد قادة شمكني أنه حدثت معركة بين المجاهدين وبين الأفغان الشيوعيين خلال شهر رمض

الماضي (١٤٠٥هـ)، وأنه كان يصعد الجبل بنفسه من إحدى الجهات حاملاً رشاش الكلاشينكوف، فوجد أمامه أربعة وعشرين شيوعياً قتلهم جميعاً بمفرده، وبعد ذلك خرج قائدهم وهو ضابط شيوعي فوجه القائد محمد زمان رشاشه إليه وأطلق النار، ولكن الذخيرة كانت قد نفدت، فقال له بسرعة: دريش (أي قف وعرف بنفسك)، وهنا استسلم له القائد الشيوعي وألقى برشاشه أيضاً، فأخذه محمد زمان بسرعة ووجهه نحوه وطلب منه الذهاب إلى مركز المجاهدين، فرفض القائد، فما كان من محمد زمان إلا أن أطلق عليه النار ليكمل به (٢٥) قتيلاً.

## الثعبان ينام في أحضان ناوروز:

حدثنا المجاهد ناوروز أحد مجاهدي شمكني أنه كان في نوبة حراسة بالليل قبل عدة شهور لمدة ساعتين، ثم رجع لينام في فراشه الـ (Sleeping Bag) بدون أن يشعر بالثعبان الذي تسلل إلى فراشه الدافئ لينام فيه، وبعد ساعتين استيقظ على صوت القذائف يطلقها الأعداء على المجاهدين، فأحسّ بشيء بين رجليه، فخرج من فراشه بسرعة وإذا بثعبان أسود كبير يخرج من الفراش مغادراً الخيمة دون أن يمسه بأذى، وهمّ أحد المجاهدين بإطلاق النار عليه إلا أن ناوروز منعه قائلاً: اتركه إنه يحب المجاهدين.

## القائد عبد الوهاب يخلص أسرته:

حدثنا فضل الهادي توكلي قال: هجم الروس على منطقة (درواز كوف-بدخشان) وترك المجاهدون البندة وبقيت النساء والولدان، فدخل الروس وأخذوا زوجة المولوي عبد الوهاب (القائد) وثلاثة من أبنائه وزوجة أخيه، وكان عدد الروس خمسة آلاف، ومعهم ثلاثون إلى أربعين طائرة، وليس معهم دبابات لأن المنطقة جبلية، فأخذ الروس أسرة عبد الوهاب وذهبوا بهم إلى المطار (مطار خاهان).

وهذا المطار يمد بالكهرباء من روسيا، ولديهم داخل المطار سينما، وكلهم روسيون، وبقيت زوجته وأبناؤه شهراً كاملاً في المطار، ثم هجم عبد الوهاب مع مائة من المجاهدين على المطار، كان هذا قبل سنتين -زمن كارمل- سنة (١٩٨٣م)، فحاصروا المطار، ثم دخل المولوي داخل البيوت وخاصة بيت قائد الروس وقتل ثلاثة من الحراس داخل البيت، وثلاثة من المليشيا، وأخذ زوجته وأبناءه وزوجتين من أزواج القادة الشيوعيين الأفغان، وبعد أن سار في الطريق تشفعت زوجة عبد الوهاب للأسيرتين لأنهما وقفتا موقفاً طيباً منها فأخلى سراحهما، وكان عبد الوهاب قد أرسل رجاله مرتين إلى داخل روسيا:

الأولى: تجاوز ثلاثة من المجاهدين نهر جيحون ووضعوا الألغام داخل أراضي السوفيات فانفجرت بسيارة وقتلت (١٨) شخصاً.

الثانية: قال فضل الهادي: كنت معهم فجاءت سيارتان تترصدان المنطقة في الجانب السوفياتي، فاشتبكنا معهم وقتلناهم جميعاً.. كان عددهم (١٤) شخصاً.

## شير زمين يجلس بعد شهادته:

أقسم لي جعفر -من أوائل من جاهد في كنر- أن شير زمين استشهد في الساعة العاشرة صباحاً، وفي الساعة الخامسة أردت أن أحمله، فعندما هممت بحمله عن الأرض -وكان مستلقياً- فجلس فحملته فوجدته خفيفاً جداً، وصعدت به الجبل، وكان هذا في رمضان سنة (١٤٠٥هـ).

## العدو لا يرى:

حدثني محمد خالد فاروقي (أرغون) قال:

أ- في أيام داود خرجت من داري وقت الظهر، وليس من عادتي أن أخرج وقت الظهر، وبعد خروجي بعشر دقائق حوصر البيت، ثم عدت ودخلت من بين الجنود وأخذت الإذن من والدي ثم خرجت ولم يروني.

ب- كذلك كان البوليس يبحث عن المهندس حكمتيار ومعه الصور، وفتش الباص ثلاثين مرة ولم يقبضوا عليه وكنت معه.

## الرؤيا الحقة:

حدثني محمد خالد فاروقي قال: معظم الحالات أرى رؤيا قبل هجوم الشيوعيين.

## الإمدادات تنزل على المجاهدين:

حدثني شاب عربي قال: حاصر المجاهدون في مزار شريف الشيوعيين، وكان معهم الشاب أسد الله (أبو أسيد)، الشيوعيون محاصرين حتى نفد طعامهم، واستنجدوا بالمركز الشيوعي العام، فجاءت الطائرات تحمل الأطعمة والأدوية في وأنزلتها في المظلات، فنزل ثمانية وثمانون كيساً على مركز المجاهدين، واثنا عشر كيساً على مركز الشيوعيين.

## معركة زيروك:

حدثني محمد حسن -قائد جدران- (أورغون) قال: نفدت ذخيرتنا بعد سبعة أيام، فجاءت الحكومة لتمد الشيوعيين، ا عليهم الذخيرة بالمظلات، فهبت الرياح فوقعت على المجاهدين، قال حقاني: رأيت هذا بعيني.

## الروائح الطيبة لكل ما يتصل بالشهيد:

لقد كان معي أنا (عبد الله عزام) ورقة أخذناها من مجاهد أخذها من جيب الشهيد عبد الواحد (قائد بغمان) الذي اس بعد عيد الأضحى سنة (١٤٠٥هـ)، وكانت رائحة الطيب ظاهرة فيها لأن دم الشهيد أصابها، وبقيت معي قرابة شهرين بعد است ورائحتها طيبة.

وقد كان الكتاب الذي أصابه دم الشهيد العربي (يحيى سنيور) مع أبي الحسن المدني مدة أكثر من شهرين ورائحته وأخذ بعضه إلى أهل الشهيد ليشموا رائحته بأنفسهم.

حدثني محمد حسن قال: استشهد جمعة خان ومحمد ظاهر وياسر شاه، وكان الرصاص رائحته كالمسك، ونقله شير إلى بيشاور ولا زالت رائحة الرصاص كالمسك.

## عطر الشهداء ونتن الكفار:

حدثني غلام محيي الدين -من وردك- أنه استشهد عشرة من الشهداء في رمضان سنة (١٤٠١هـ) وكان الوقت صيفاً، هؤلاء لمدة ثلاثة أشهر معرضين للشمس والهواء، ولم نجد أي تغيير في أي واحد منهم، بل كانت رائحة بعضهم عطرة.

## نتن الشيوعيين:

حدثني غلام محيي الدين قال: قتلت شيوعياً فخرجت رائحته مباشرة.

## قصة قلعة نوبرجة أو كرم علي:

هناك في وردك تقع قلعة نوبرجة ذات الأبراج التسعة، وفيها عشرون أسرة، وقصفتها الطائرات، اشترك في القصف طائرات ميج وطائرتان هيلوكبتر، وألقت حوالي سبع عشرة قذيفة كبيرة، أما الصواريخ والرشاشات فحدث عنها ولا حرج، و برجاً واحداً وهدمت جميع البيوت في القلعة، ولكن لم يجرح أحد من كل القرية سوى امرأة أصيبت بخدش بسيط

## فأغشيناهم فهم لا يبصرون:

حدثني الحاج عبد القدوس (منطقة موساوي-كابل) -حفظه الله- قال: دخل الشيوعيون البلدة وأخذوا يسألون عني، فـ يسألوني عن الهوية فأعطيتهم إياها واسمي فيها عبد القدوس، والذي أخذ الهوية يعرفني. وعدد الشيوعيين حوالي ألف، وأ ذبون أهل القرية ويسألونهم عني، فقالوا: هذا الذي مرّ أمامكم.

قال عبد القدوس: فذهبت ونمت في الحديقة ودخلوا الحديقة، وهم يبحثون عني في كل مكان فيها، ولكن لم يأتوا إلى ا ـي أنام فيه.

## الأعداء لا يرون المجاهدين:

حدثني عبد القدوس قال: ضربت الطائرات قنابل غازية فنمنا، وكنا ثلاثة أنا وابني وأسد الله (كان أسد الله حاضراً أمامي)، -صدقه أسد الله- وبقينا نائمين من الساعة الواحدة إلى السادسة وكنّا صائمين، وكانت عدّة العدو حوالي مائتي دبابة وحوالي ألفي جندي، ووصلوا إلينا، وفتشوا عنا طويلاً ونحن أمامهم، ولم يرونا ورجعوا، فعندما أفقنا رأينا مكان أقدامهم حولنا.

## خيمة في السهل تظهر فجأة ثم تختفي:

حدثني سيد كريم من (باغ جاي-شكري) في خورد كابل قال: كنا أحد عشر شخصاً (مجاهداً)، فجاءت قوة كبيرة وألقت علينا قنابل غازية، واستشهد منا ستة، وبقينا ثلاثة أيام جائعين، وكنا متعبين وأمامنا سهل ممتد ليس فيه أحد، وبعد قليل رأينا خيمة وفيها امرأة، فأعطتنا خبزاً وحليباً ثم سرنا، فمشينا قليلاً فالتفتنا وراءنا فلم نر خيمة ولا أثراً.

حدثني محمد كريم قال: دخلنا بيتاً في كابل لنعمل عملية، فحاصرت الدبابات المنطقة التي نحن فيها، وإذا بشيوعي يصوب علي بندقيته فسددت الباب، وفي نفس الوقت اصطدمت سيارتان فشغل الجنود عنا ونجونا.

## الشجرة التي فوقها المصاحف:

حدثني محمد ظاهر موساوي (كابل) قال: كنا نقرأ القرآن في حديقة فجاءت اثنتا عشرة طائرة تقصف الحديقة، فوضعنا المصاحف فوق الشجرة، فقلعت جميع الأشجار من جذورها، أما الشجرة التي فوقها المصاحف فلم تصب.

## حبيب الله تندلق أمعاؤه:

حدثني الحاج محمد هاشم قال: هاجمتنا سبعمائة دبابة وناقلة، وحوصر المجاهدون، فبقينا ثلاثة، وكان بجانبي حبيب الله، فاندلقت أمعاؤه، وبقينا محاصرين ساعتين، وبعد ساعتين جمع أمعاءه وأدخلها بطنه، ثم أمسك ببطنه وجاء إلى المركز، ثم عالجوه ولا زال مجاهداً.

حدثني محمد نسيم قائد كتيبة في كابل قال: اكتشف الشيوعيون مكاننا فاعتقلوا (١٢) شخصاً منهم أخي، واعترفوا أن قائدهم محمد نسيم، فذهبت لأسأل عن أخي في المخابرات، فقال إن الحكومة تسأل عنك فاهرب.

## أناس يصلون الجنازة معنا:

حدثني محد ظاهر وعبد الظاهر قالوا: قصفتنا الطائرات بالقنابل فلم تتفجر بعض القنابل، فجمعناها ووضعناها في طريق الدبابات، فتفجرت أربع دبابات وسبع سيارات، وجاءت (١٦) دبابة جديدة وقتلت خمسة من المجاهدين، فحملهم (١٤) مجاهداً، وعندما صلينا عليهم رأينا معنا سبعة صفوف يصلون معنا ولا نعرف من أين جاؤوا ولا نعرفهم، ويلبسون مثل لباسنا، وبعد الصلاة والدفن افتقدناهم فلم نجدهم.

## استشهد يوم عرسه:

استشهد فيصل قبل رمضان (١٤٠٢هـ) بيومين، وقد وصلت جنازته عند وصول كسوة عرسه، وقد حدثني محمد نبي وخان جل أن رائحة دمه أقوى من عطر عرسه، ولا زالت قطيفته عندنا وهي تعبق عطراً، ولا زالت قضيفته في قرية تيزين-شكري.

## النيران من كل مكان:

حدثني محمد ظاهر وعبد الصبور قالوا: كنا أربعين مجاهداً وعندنا (٢١) بندقية، وكان معنا مولوي جرخ، فأرسل إلينا دبابة وناقلة، فلجأنا إلى المسجد لأن المجاهدين يعتقدون أن الله يحمي بيته ويحمينا

-رأيت الطيور مع المجاهدين.

- كل القذائف التي ألقيت حول المسجد لم تنفجر.

-استشهد أحدنا وبعد يومين جئنا إليه وهو مغطى بالتراب فحملناه لدفنه فبقيت يدي لمدة أسبوع تعبق عطراً.

-رأيت النيران تخرج من كل مكان، بينما لا يوجد مجاهدون مكان الحادث.

حدثني محمد أمير -ضابط في الجيش، ابن عمرو محمد- قال: هاجمتنا (١٧٠-١٨٠) دبابة من مركز كابل مع (٧٠٠، جندي، وحدثت المعركة الساعة السابعة صباحاً حتى الثامنة مساءً، وأصابتني ثلاث رصاصات: رصاصة في الحزام فانقطع الحزا. رصاصتان في الجاكيت، ولم يستشهد منا واحد، وحطمنا دبابتين وقتلنا (١٧٠-١٨٠) شيوعياً.

## لمطر الأصفر يقاوم بالمطر والرياح:

المطر الأصفر غازات سامة تلوث الجو وتخدر المجاهدين فينامون، حدثني عبد الغفار وعبد القدوس قال: كان المجاهدون تسع لعدو ألف دبابة وعشرة آلاف جندي، وكدنا ننتصر عليهم، فجاءت الطائرات وألقت بالمطر الأصفر، فهبت ريح ونزل المطر فو سكرنا فقط، وأخذ المطر الأصفر، وكانت النتائج استشهاد (٧٢) مجاهداً، وأما الروس فقد قتل منهم ألفان وستمائة.

## صة عجيبة للدكتور عبد الحميد:

ضرب المجاهد بهلوان الطائرة بـ (آر.بي.جي) فاحترق (٨٠٪) من جسده، وكانت درجة الاحتراق ثانية وثالثة، وهذا (٩٩٪ ت، فعالجته في الميدان، وبعد شهر كان يجاهد، وقال الدكتور عبد الحميد: جرح شفيع الله برصاصة فأصابت صدره وخرجت مر ره، وكانت سعة الجرح في ظهره (١٢-١٥) سنتيمتر، وأخذت معها قطعاً من المعدة والكبد والأمعاء، ورأيتها في ظهره، فعالجة ي بحمد الله، وهو يجاهد، وبعد الأشعة وجدوا أن معدته وكبده وأمعاءه كأنها لم يمسها سوء.

عبد الصبور يقول: ذبحت بيدي (٢٩) شيوعياً، وقتلت مع مجموعتي (٤٠٠-٥٠٠)، وحطمنا (٥٠-٥٥) دبابة وسيارة.

## علي يكبر في المعركة بعد استشهاده:

حدثني عبد الرحمن -قائد- قال: كان شير علي خان وهو باكستاني يجاهد معنا، وكان يقول: اللهم لا تردنا إلى باكستا ،، وفي اليوم الذي استشهد فيه وزع ملابسه الجديدة وقال: أنا إن شاء الله اليوم أستشهد، ونزل المعركة، وانتهت ذخيرته ف كة، فقال يخاطب الشيوعيين: يا ابن لينين أضربها هاهنا وأشار إلى رأسه فجاءته الطلقة حيث أشار.

وبعد استشهاده بشهرين سمعت صوته في المعركة يكبر.

## آن الكريم يحمي محمد فتح:

حدثنا غوث الله شقيق صديق قال: ضربت المجاهد محمد فتح رصاصة في صدره فقفز ونزل عرقه، وقال أصبت، فجاء مجاه نتش جيبه فوجد الرصاصة أصابت جلد المصحف ووقفت فيه.

## يمسك رشاشه:

حدثنا مصطفى بدر قائد في بركي برك في لوجر أنه استشهد عندنا مجاهد اسمه رباني، فاحتضن رشاشه وأمسك به، فجا ون وحاولوا أخذ الرشاش منه فرفض تسليمه، فعندما جئت هنأته بالشهادة وأخذت الرشاش منه.

## تقذف جثة شيوعي:

حدثني مير محمد جل -بل عالم من لوجر- قال: خطب الشيوعي المسمى بقاسم بن قاضي فضل الحق امرأة اسمها (بي بر ن قرية بادخاب شاتا، فرفضت المرأة أن تسلم نفسها له عندما جاء يأخذها، فعاد غاضباً، وعلى الطريق اصطدم مع سيار. جاءوا به ليدفنوه في القرية، فعندما حفروا القبر وجدوا فيه أفعى، فأرادوا أن يحفروا قبراً آخر، فقال الناس أريحوا أنفسك الأفعى في كل حفرة، فدفنوه، وبعد دفنه لفظته الأرض -أي قذفته خارجاً- فدفنوه مرة أخرى فلفظته الأرض مرة أخرى ، مير محمد جل حارس حكمتيار أني رأيت هذا بعيني.

### استشهاد مير آغا وبيده بندقيته:

حدثني مير محمد جل أن المجاهد مير آغا استشهد فامسك برشاشه، فجاء الروس وحاولوا أخذ بندقيته فرفض تسليمها، فافرغوا في صدره ثلاثة مخازن ولم يفلتها، فجاء قائد المجاهدين واسمه مصطفى بدر وبارك له بالشهادة فافلتها له.

### معركة دوآب:

حدثني عبد الله خاموش -خريج الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة-، وهو من المسؤولين في الحزب الإسلامي في منطقة هرات بوجود الأخ نجيب الله -مسؤول الارتباطات- وخليفة سبحان -القائد العام للحزب الإسلامي- وأقسموا على هذا أنه يوم (٢٠) جدي (١٩٨٦/١/١٠م) هجم الروس بقوة ستمائة وخمسون دبابة، وحوالي ألف ناقلة، وكان عدد المجاهدين أربعمائة مجاهد، ودارت المعركة سبعة أيام، وهزم الروس، وكانت النتيجة قتل وجرح (٣٢٤) كافراً، وتحطيم (٢٥) دبابة، وغنم المجاهدون (٦٤) كلاشنكوف، واستسلم للمجاهدين (١١٢) كافراً، وكان عدد الشهداء خمسة وعدد الجرحى عشرين نفراً.

### مكسور ينجو من ألف شيوعي:

حدثني خليفة سبحان -قائد الحزب الإسلامي في هرات- قال: كنا في معركة وكسرت رجلي، فمكثت في البيت، فعلم الروس أني مكسور في البيت، فهجموا لقتلي أو أسري، وكنا خمسة أنفار، فقاومنا الروس وكان عددهم ألف شخص مع حوالي أربعمائة دبابة وناقلة، ودارت بيننا معركة، وبفضل الله نجوت منهم.

قلت لخليفة: كيف نجوت وأنت مكسور، فقال: كنت أمشي على العصا.

### لا ندري كيف نجونا من الحصار:

حدثني خليفة سبحان قال: كنا أربعة، فدخلنا هرات، وضربنا ثلاث سيارات للمخابرات، ودخلنا زقاقاً بين البساتين، فحاصرتنا الدبابات فنجونا من الحصار، وتعجبنا كيف نجونا.

### نجوت من بين الشيوعيين:

حدثني خليفة سبحان قال: دخلت لاغتيال شيوعي كبير، فأحاط بي عدد كبير من الشيوعيين (حوالي ثلاثمائة)، وأنا على الدراجة النارية، وأخذوا يطلقون عليّ النار ونجاني الله منهم.

### الشهيد غلام محمد يكبر رافعاً يده:

حدثني القائد عبد الحميد مساعد أرسلان: أنه في شهر يناير كانون الثاني سنة (١٩٨٦م) كانت سيارة للمجاهدين راجعة من شامي (كوت-زرمة-بكتيا) إلى بغل على حدود باكستان، وفي قرية (چهار برادر: الإخوة الأربعة) نزلت حولها اثنتا عشرة طائرة هيلوكوبتر، وأطلقوا النار على السيارة، واستشهد أحد عشر مجاهداً، وكان بينهم غلام محمد، وكان استشهاده في الساعة الثامنة مساء، وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي جاء مولوي نصر الدين، فعندما اقترب من غلام محمد رفع غلام محمد يده وكبر، وبقيت يده مرفوعة حتى قرأ نصر الدين الفاتحة والمعوذتين وطلب منه أن ينزل يده فأنزلها.

### جل محمد يحرق دبابة بحفنة تراب:

حدثني القائد المولوي عبد الحميد ومولوي شام محمد -ابن عم مولوي أرسلان- ومولوي سيد عبد الحق والجميع من (بكتيا-أورغون)، أن جل محمد حدثهم قائلاً: كنا اثني عشر مجاهداً، وذهبنا لزراعة الألغام، ثم عدنا ليلاً، فضللت الطريق، وإذا بي في داخل معسكر شيوعي، وكنت أحمل الكلاشينكوف في كتفي، وعندما أمسكوا بي قالوا من أنت؟ قلت: أنا طالب علم مجاهد أريد قتلكم، فأخذه الشيوعيون إلى القائد الروسي، فسأله: ماذا تريد؟ فأعاد: أريد قتل الروس وإخراجهم من أفغانستان. فقال القائد: أريد أن أسألك كيف يخترق رصاصكم دباباتنا؟ فقال جل محمد: إننا بكلمة لا إله إلا الله والله أكبر لو رمينا حجراً حرقنا دبابتكم. فقال

لروسي: هذه دبابة فأحرقها كما تدعي، وهنا سقط في يد جل محمد، وطلب ماء للوضوء وتوضأ وصلى ركعتين، ودعا الله في سجو
ن بنصره على القوم الكافرين، وأن يظهر دينه، ويؤيد وليه نكاية بأعداء الله إرغاماً لهم وإذلالاً، وأطال الدعاء.

وبعد السلام حمل حفنة من التراب والحصى فرماها على الدبابة، وإذا بالدبابة تشتعل ناراً، وعندها أدى له الضابط الروسـ
تحية العسكرية وسلّمه الكلاشنكوف، وطلب منه أن يمضي إلى قاعدته بأمان وسلام.

## ذيفة واحدة فنزل النصر:

حدثني مولوي شاه محمد (أرغون-بكتيا) قال: كنا ثمانية مجاهدين هجمت علينا دبابتان وعربة مدرعة، فأطلقنا عليه
صاص، ونفد الرصاص كله، ولم يبق إلا قذيفة واحدة، فقلنا: يا الله يا الله لا تجعل للكافرين علينا سبيلا، اللهم نجنا، وأطلقت آخ
يفة (آر، بي، جي ٧) فأصابت دبابة، فاستسلم الجميع، وغنمنا دبابتين ومدرعة، وبهاتين الدبابتين مع المدرعة فتحنا بعد يومين قلع
ك محمد).

## ة المجاهدين مأوى عند القصف:

حدثني القائد عبد الجبار (شولغر-غزني) أن قلعة كنصف كانت بيد المليشيا ثم فتحها المجاهدون، ومنذ سبع سنوات
ائرات تقصفها ولم تصب حتى الآن بأي أذى، ولم يجرح فيها واحد، بينما المنطقة حولها مدمرة، ولذا أصبح معروفاً لدى النسا
لقال أنه إذا جاء القصف على القرية أوى الضعفاء عند المجاهدين لأنهم يعلمون أن القلعة لا تصيبها الطائرات ولا قذائف
بات.

وقال عبد الجبار: بيتي بجانب القلعة وأهلي والحمد لله في حصن حصين بحماية رب العالمين.

## وعيون لا يدخلون غرفة عبد الجبار:

حدثنا عبد الجبار قال: هاجمتنا الدبابات وحاصرت القرية التي كنت فيها واسمها (شست كوهنا)، وحاولنا الخروج من
ار إلا أن الحصار أحاط بالقرية كالسوار بالمعصم، فجلست في غرفة وقلت: يا رب أنا أجلس في هذه الغرفة وأنت خير حافظاً
رحم الراحمين، ودخل الشيوعيون كل بيت وكل غرفة ولم يدعو مكاناً إلا فتشوه سوى الغرفة التي أنا فيها.

## ب لا ينبح عند دخول المجاهدين:

حدثني عبد الجبار قال: كان في قرية (مري) شيوعي كبير وعنده كلب شرس للحراسة ولا يدع أحداً يدخل البيت إلا وهجم
ذات يوم دخل فيضان الله لقتل الشيوعي فلم ينبح أبداً، فقتل فيضان الشيوعي ثم هرب على دراجة نارية، فلحق به الكلب،
عليه النار، فلم يرجع، وبقي يتبعه حيث ذهب، وصار لا يستطيع فراقه.

## ب يحمي المجاهدين:

حدثني عبد الجبار قال: هاجمتنا الدبابات في قرية سنكي نكا وحاصرتنا، ودارت بيننا وبينهم معركة، وقتل ستة من المجاهدين،
ن نأخذ جثثهم، ولكن الدبابات والطائرات في الأرض والجو، ولكننا صممنا على أخذ الشهداء، فساق الله الضباب وغطتنا
لشهداء.

## خاطب أخاه الشهيد شير محمد:

ستشهد شير محمد يوم السبت (١٩٨٦/٣/٢٩م) في الهجوم الفجائي على كنر على معسكر أسامة بن زيد، وشير هذا كان
أبطال الجهاد، وهو شقيق جعفر، وجعفر يشهد له الجميع بالاستقامة والشجاعة، وهو من أوائل المجاهدين في كنر، فجاء
أخيه شير مع أسد الله وجل الرحمن ويوسف وعبد الباقي وبدأوا بتطهير معسكر أسامة بن زيد بعد أن احتله الروس،
شير محمد وجل الرحمن، جاء جعفر وقال لأخيه شير محمد: إن كنت شهيداً فابتسم لي، فابتسم شير محمد حتى بدت
ندها دعا أمه لترى الابتسامة، فرآها أخي لال محمد ولم تر أمي الابتسامة.

## جعفر يضرب بقنبلة فجرحته جرحاً خفيفاً:

رأيت في جفن جعفر وفي بطنه آثار قنبلة تفجرت فيه ولكن لم تؤثر فيه.

## هاشم يقول للشهيد سأدفن بجانبك:

ودع الناس جنازة جل الرحمن البطل بصمت مهيب وحزن عميق، وإذا بمحمد هاشم يقول: سأدفن بجانبك يا جل الرحمن، وبعد ساعات أغارت الطائرة فألقت عليه قذيفة نابالم واستشهد ودفن بجانب جل الرحمن، وجل الرحمن أحد الأبطال العظام المرموقين.

## محمد أمان تلقيه القذيفة فوق الشجرة:

حدثنا عبد الباقي (جور-معسكر حكمتيار) يوم الأربعاء (١٩٨٦/٤/٢٤م) وترجم حكمتيار (وعبد الباقي قائد في بغمان) أن الجيش هجم على المجاهدين واشتركت الطائرات، فجاءت بجانب (محمد أمان) قذيفة طائرة فحملته من الأرض وألقته فوق الشجرة، هو وسلاحه، ثم استطاع الشيوعيون أن يدخلوا المنطقة، وبقي مغمى عليه فوق الشجرة، فجاءت مجموعة من النساء تبحث في المنطقة فرأوه فوق الشجرة، فظنوه روسيا فهزوا الشجرة فسقط (محمد أمان) وبدأ يفرك عينيه كأنه نائم، ثم سأل أين المجاهدون؟ فأخذته النساء فدخل من بين حصار الروس ووصل المجاهدين.

## سرير جديد في الصحراء:

حدثنا عباس قال: كنا مجموعة من المجاهدين فهاجمتنا الدبابات من كل جهة، والطائرات من فوقنا، وانسحب المجاهدون وبقينا ستة أنفار فوق صخرة مرتفعة ننتظر الموت أو فرصة للانسحاب، وبقينا ثلاثة أيام بلا طعام ولا ماء، فأرسل الله علينا الغمام والمطر ينزل علينا نغسل همومنا وآلامنا، واسترحنا ثم انسحبنا ولم يكن في المنطقة أية سحابة، حتى ظن إخواننا المجاهدون الذين يرقبوننا من بعيد أن الطائرات ألقت علينا الغازات السامة، وفي طريق انسحابنا لقينا رجلاً جريحاً، فحملناه قليلاً ثم تعبنا حتى أغمي على أحدنا من التعب، وكان الجريح يسمى (أنور)، وعندما أغمي على أحدنا دعا الله أن ييسر لنا شيئاً نحمل الجريح عليه، فسرنا قرابة مائة متر في الصحراء فوجدنا سريراً فحملناه عليه، وسرنا حتى أوصلناه إلى منطقة آمنة، ثم بدأنا نبحث عن جمل نحمله عليه، فمرت مجموعة أخرى من المجاهدين مستريحين، فوجدوا (ملا أنور) مسجى على السرير فحملوه إلى أباديني.

## سيد أحمد شاه:

حدثنا سيد أحمد شاه قال: كنا سنة (١٩٧٨م) في منطقة جدران في منطقة (برد أسيري: البلوط المدور) في ممر اسمه (ستي كاندوا: ممر الخشب الكبير)، فجاءت قوة إلى هذه المنطقة نحو ألف ومائتي جندي مع آلياتهم، وبعد الهجوم انسحب المجاهدون وبقينا خمسة عشر شخصاً، وقالوا: بدلاً من الهزيمة الأفضل أن نقتل هنا، فهجمنا فدمرنا (٤٥) سيارة ومصفحة ودبابة واحدة، ولم يكن عندنا أي مضاد للدبابات، وإنما احترقت الدبابة بتفجير بعض القذائف في سيارة خربت أمامنا فضربناها فتفجرت وأحرقت الدبابة، وكانت هذه القوة متجهة إلى خوست، وكان فيها أكثر من ستة آلاف بندقية، وقد حوكم الضابط الشيوعي الذي يقود المعركة

## أصحاب الألبسة البيضاء يقاتلون:

حدثنا وحيد الله (بغمان) قال: هجمت القوة الكافرة على منطقة بغمان، وبعد معركة حامية اضطر المجاهدون أن ينسحبوا، وكان عدد الشهداء والجرحى كبيراً، ولكن بقي القتال مستمراً يوماً كاملاً بعد انسحاب المجاهدين، وعندها قال الشيوعيون للأهالي هنالك مجاهدون يلبسون البياض وعلى رؤوسهم الأكفان وهم يقاتلون طيلة الليل.

## حي بعد (٧٦) طعنة:

حدثنا سيف الله (بغمان) قال: حصلت معركة وبقي أحد المجاهدين وحيداً، وشعر أنه لا يمكن أن يقاوم، فانسحب ورمى نفسه بين الشهداء، ولطخ نفسه بدم الشهداء، فجاء الكفار فرأوا الشهداء وأخذوا يشفون صدورهم بطعن الشهداء، فطعنوا هذا الحي (٧٦) طعنة، فبقي حياً، وجاء الناس لنقل الشهداء، فسمعوا صوتاً خافتاً فحملوه وعالجوه وهو الآن حي.

## العرق المعطر من جبين الشهيد:

حدثني محمد صاحب -وهو مدع عام خريج الشريعة في كابل- قال: لقد رأيت العرق يفيض من جبين الشهيد عيد محمد ثلاثة أيام من استشهاده، وعيد محمد هذا من طلبة العلم في زرمت قرب كرديز، وكلما مسحنا العرق عن جبينه فاحت رائحة ا[illegible] وفاض العرق مرة أخرى.

## النور يخرج من قبر الشهيد:

حدثني سارنوال محمد صاحب، أنه رأى النور يخرج من قبر الشهيد في زرمت.

## الغمام يحمي المجاهدين:

حدثنا قاضي غلام رباني من بغمان قال: كنا مجموعة من المجاهدين، وكان الفصل صيفاً، وأغارت علينا الطائرات، وبد[illegible] قصفنا، وظننا أنه لا مناص، وإذا بالغمام يتنزل فوق رؤوسنا يحول بيننا وبين الطائرات، ونزل المطر ولم يكن في السماء أية غم[illegible] سوى البقعة التي فوق رؤوسنا، وانسحبنا آمنين مطمئنين.

## [illegible]عرة من قاضي غلام محمد:

حدثني مطيع الله وعتيق الله قالا: كان بيننا مجاهد صالح يسمى قاضي غلام محمد، وعندما استشهد افتقدنا الذخيرة ا[illegible] [illegible]ت في حوزته، فبحثنا عنها فلم نجدها، فصلينا ركعتين وقلنا: اللهم إن كان فلان شهيداً فأرنا إياه في المنام ليدلنا على مك[illegible] [illegible]يرة، قال عتيق الله فرأيته في المنام يقول لي: الذخيرة في مكان كذا تحت الحجر، فذهبنا فوجدناها، قال مطيع الله: وقد أخ[illegible] [illegible]رة قصيرة منه فوضعتها في المصحف الذي في جيبي فطالت الشعرة بقدر نصف إصبع، فأصبحت طول اصبعين.

قلت (أنا عبد الله): لقد رأيت الشعرة مع مطيع الله.

## [illegible]ن شهيد في كندز:

حدثني سارنوال محمد صاحب -قائد في جاجي وهو من زرمت قرب (جارديز-بكتيا)، وقد ذكرنا أنه خريج كلية الشريعة [illegible] - قال: شهدنا معركة، وبعد المعركة افتقدنا بعض المجاهدين، ولم نجده، ثم رأيته في المنام وقال لي: أنا موجود في مكان كذ[illegible] [illegible] فوجدناه جسداً بلا رأس، فأخذناه ودفناه.

وبعد فترة حصلت معركة وأسرنا شيوعياً فسألناه من قطع رأس هذا الشهيد، فقال قطعه الشيوعي فلان، فأخذه إلى بيته، و[illegible] التالي افتقد الرأس من مكانه فذهب إلى مكان الجثة فوجد الرأس على الجثة، فقطعه مرة أخرى وأرسله إلى قائده الروسي [illegible] الروسي رأس الشهيد في مكتبه، فافتقده، ثم ذهبوا إلى الجثة فوجدوا الرأس على الجثة.

وهنا احتار هؤلاء، فجاءوا بأحد العلماء الموالين للسلطة فسألوه عن سر هذا، فقال إن نجستم بدنه بالبول لا يرجع الرأس [illegible] البول على جثته بعد أن قطعوا رأسه فلم يفتقد الرأس ولم يرجع إلى جثته.

## [illegible]ـة تصيب ظهره ثم تنزلق وتقع أمامه:

حدثني شاب عربي اسمه أبو خبيب قال: كنت في قندهار وكنت أنا وأفغاني على الزيكويك، فجاءت رصاصة زيكويك من بعيد [illegible] ظهر الأفغاني وأنا أنظر، ثم انزلقت عن ظهره كأنما تنزلق عن صفيحة فولاذ، ووقعت أمامه ثم أخذت الرصاصة واحتفظ[illegible]

# مع كرامات أفغانستان

[illegible]ثني أبو عبيدة قبل عيد الأضحى (١٤٠٣هـ) بيومين أو ثلاثة قال: أعددنا قاعدة للزيكويك -ديمتروف- (ZKI) وكنّا ثلاث[illegible] فجاءت الطائرات بعد نصف ساعة تقريباً، وضربنا بأول صلية (رشة سريعة) فأصبت الطائرة ميج (٢٥) وسقطت أمامنا.

## جبن الشيوعيين:

حدثني أبو عبيدة قال: لقد دخلنا أورغون بدبابة واحدة، ولدى الشيوعيين مدفعية (١٢٠) ملم، وعندهم (أربي جي٧)، وعندهم كذلك (٦٠) مدفع (١٠٦) ملم ضد الدبابات، واحتللنا ثلاثة معسكرات، وبقي المعسكر الرابع وغرفة الروس وفيها حسب الأخبار (١٧) روسيا على قول الجنود الذين استسلموا، يقول أبو عبيدة لقد كنا نمسك الشيوعيين أحياء في خنادقهم وأيديهم ترتجف والكلاشينكوف مليء بالرصاص مرمي جانبهم وهم يبكون.

## لعله التقى بالحورية:

حدثني بير محمد روحاني من خوست بيكتيا قال: هجمت علينا طائرتان وخمسون دبابة ومصفحة، وكنا ثلاثة عشر شخصاً، استشهد اثنان أحدهما محمد أمين وعمره (٣٥) سنة، ولقد احتلم بعد ثلاث ساعات ونزل منه المني، يقسم بير محمد أني رأيت هذا بنفسي، وحرق المجاهدون ثماني دبابات، وانتصر المجاهدون وفرّ الروس وقتلنا (٤٥) كافراً.

## الروس يقرون بالكرامات:

حدثني إسماعيل أبو جار أن روسيين صرحا في مقابلة صحفية في شهر ديسمبر (١٩٨٣م) فقالا: كنا نرى أشياء عجيبة خارقة للعقل في أفغانستان، منها أن مجاهدين تعرضوا لقافلة لنا فيها الدبابات الكثيرة فقالوا لنا: سلموا، فأردنا قتلهم وإذا بمعركة تدور علينا من كل مكان دون أن نرى أحداً، وتدمرت دبابات وهزمنا.

## يد الشهيد على الجرح:

حدثني رحمة الله واحد يار من زرمت بيكتيا قال: استشهد محمد قسيم ووضع يده على الجرح، فجاء صاحبه محمد رسول وحاول رفع يده فرفض، فخاطبه وقال: أنا صاحبك أنزل يدك وأرجعها، فأنزل يده.

## النور يخرج من قبور الشهداء:

حدثني رحمت الله واحد يار قال: استشهد هذا العام منا ثلاثة شهداء، القائد الشيخ عبد المجيد، وروزي خان، ومحمد أيوب، ودفناهم، فرأيت النّور مدة ثلاث ليال يخرج من قبورهم، فتحدث كل أهل القرية (سحاق) بالنّور فاختفى النّور.

## روسي يقول: الله أكبر تزلزل قلوبنا:

حدثني رحمة الله قال: أسرنا روسيا اسمه قيج قال لنا: ما خفنا من رشاشاتكم ولا رصاصكم، ولكن من الله أكبر كانت قلوبنا تهتز وترتجف كأنه زلزال، ثم سأل: هل (الله أكبر) مدافع أو قذائف؟ أي نوع من السلاح هذا؟.

## من كبار المجاهدين:

حدثني محمد شاديم ابن عم أرسلان من أورغون بيكتيا قال:

١- خمسة مخازن ذخيرة فرغتها ثم امتلأت ولا أدري كيف؟

٢- الصواريخ تأتي من العدو وعندما تصلنا ترتد نحو العدو وكذلك قذائف المدفعية، وإليكم تعريفاً بمحمد شاديم:

الإسم: شاه محمد شاديم.

العمر: (٣٥) سنة.

منذ كم بدأت القتال؟

من أيام تراقي (١٩٧٣م).

لماذ تقاتل؟

نحن نجاهد لمقاتلة الشيوعيين أعداء الإسلام والدين، لأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله، وسنجاهد ما دمنا أحياء.

هل تظن أنكم تنتصرون على روسيا؟

إن شاء الله نحن نؤمن ونعتقد أننا منتصرون.

ما علامة النصر؟

أننا نرى في كل الجبهات قضايا خارقة للعادة:

حدثنا عن بعض هذه الكرامات، وهل أنت مستعد للقسم؟

قال: نعم:-

١- استشهد زار محمد الساعة الخامسة صباحاً، وبقي يقاتل حتى التاسعة والنصف صباحاً، أي بعد استشهاده بأربع ساعات ونصف.

هل رآه أحد غيرك؟

قال: نعم، عبد الله جان.

٢- القنابل عشر ساعات حولنا ولم تصبنا أي شظية.

٣- المخازن بعد أن انتهت امتلأت من جديد.

٤- قذائف الهاون: كان العدو يطلق الهاون علينا ولكن لا تسقط علينا قذائف، بل نرى القذائف تسقط على العدو وتنفجر أمامنا وسامعنا.

٥- عدد العدو كان في داخل الجبهة فرقتان -الفرقة ثمانية عشر ألفاً- بينما كان عدد المجاهدين في مقدمة الجبهة (٢٠) استشهد منهم سبعة، وبقينا نقاوم يومين، أحرقنا دبابتين وانفجرت أربع دبابات من الألغام.

وجاء المدد في اليوم الثالث من مجاهدي حقاني بأرسلان.

كيف وفقتم؟

بعون الله، في أول يوم قتلنا مائة جندي وتعطلت ست دبابات، وفي اليوم التالي أحرقنا دبابات ولم تأتنا أخبار الأعداء التي قتلت.

## يد يضحك بصوت مرتفع:

حدثني محمد شادم عن استشهاد قاري عبد الرحمن (حافظ القرآن) قال: استشهد الساعة الثانية عشر ظهراً، ودفنته وفي وقت دفنه كان يضحك ضحكاً عالياً، كلما وضعت الحجر ضحك، فقلنا هذا ليس ميتاً، وتكرر الأمر ثلاث مرات، وكان حوالي مائة مجاهد كلهم يبكون، ورائحته كالعطر، وممن شاهده الشيخ فتح الله رحمه الله.

## مملوء بأصحاب الثياب البيضاء:

حدثني عبد الواحد بن فيض محمد وكان عقيداً في الجيش في أيام تراقي، وهرب وانضم للمجاهدين، وهو يقاتل في ميدان رت ضابطاً شيوعياً من محافظة هرات اسمه عبد الوهاب، فسألته: لماذا سلمت نفسك؟ فقال: رأيت السهل مليئاً بجنو لبياض.

## ال الصاعقة؟

ر الحديث في (درا): حدثني ملا محمد ومسعود (قندهار-بولدك) قالوا: بعد عيد الفطر سنة (١٤٠٢هـ) بخمسة أيام هجمت وعة من الشيوعيين فأسرناهم، فسألوه أين رجال الصاعقة الذين معكم؟! لباسهم لباس الصاعقة، هؤلاء حاربونا، قا لم يكن معنا واحد منهم.

### شهيد يرفع يده:

حدثني ملا محمد مسعود وعبد المجيد قالا: استشهد معنا محمد حنيف (طالب علم)، فقال له الشيخ عبد المجيد (طالب عالم): يا أخي تكلم معنا، فرفع الشهيد محمد حنيف يده، ثم قال له الشيخ عبد المجيد يا أخي أرجع يدك، فارجعها.

### رائحة عطرية من الشهيد:

حدثني عرب نواز قال: قد رأيت الشهيد جل محمد بعد استشهاده بسبعة أيام رائحته كالمسك، ونبش قبره أحد المجاهدين اسمه دين محمد وكنت حاضراً، رأيته لم يتغير، ورائحته عطرية، وكان النبش بعد شهرين.

حدثني العقيد عبد الواحد قال: دخلت مع مجموعة من عشرة مجاهدين والأنوار مضاءة، والعدو مستيقظ، ولكنهم لم يرونا، ودخلنا داخل معسكر الروس، وقتلنا عدداً كبيراً منهم، ولكن لم نعرف العدد، لأنه ليس بينهم من الشيوعيين الافغان[1]، وخرجنا وخرج أحد المجاهدين بعد خروجنا من المعسكر.

### مع محمد صديق شكري:

شاب تخرج من الجامعة الإسلامية من المدينة المنورة، واستلم قيادة الجبهات حـول كابـول فـي تشكري وخورد كابول، وقد عمل عدة عمليات ناجحة في كابول، وضرب قصر كارمل عدة مرات، ووزارة الدفاع، واللواء المدرع في كابول، ومايكروريان (إسكان الضباط الروس) ومحمد صديق من قرية تشكري، وبابراك كارمل من قرية كمري، بينهما نهر صغير، وقد منع محمد صديق شكري بابراك كارمل أن يدخل أراضيه وبساتينه، ومنع الماء عن قرية كمري، وقد أرسل الوزراء الشيوعيون يرجون أن يسمح للماء أن يسقي بساتين كارمل مقابل مبلغ من المال، فكان يرفض ويقول: أنا مستعد أن أعطيكم ماشئتم من المال مقابل أن تسلموا.

وكان يقول: والله إني لأحكم من أرض كابول أكثر من كارمل نفسه وأطبق عليها الإسلام.

حدثني محمد صديق قال: مكثت الطائرات تضرب مركزي (تشكري) ثلاثة أشهر كل يوم مرة، وفي بعض الأيام مرتين أو ثلاثاً، وذهبت مرة لأرى مركز إطلاق النار علينا، وكنت مع اثنين، فوصلنا إلى أرض سهله، فهاجمتنا طائرتان هليوكوبتر وبقيت تقصفنا نصف ساعة، وتشهدنا عدة مرات، وكانت القذائف والصواريخ والرصاص والدوشكا تطلق علينا من الطائرتين، وبعد أن أفرغت الطائرتان حمولتها ذهبتا، وبعد قليل سمعت أصوات الرصاص من الجبل، فقلت: هذه كتائبنا تتجه إليهم، فذهبت نحوهم وإذا بالروس قد جاؤوا في الليل واحتلوا المكان، وكنت على بعد من مائة إلى مائة وخمسين متراً، ففتحوا علينا رشاشاتهم، وكان عددهم من ثمانين إلى مائة جندي سوفياتي، فصرت أناديهم: أنا محمد صديق، لماذا تضربونني؟! أنا قائدكم، وبقوا يطلقون النار من (٣-٥ . ٣) ساعات حتى احترقت جميع ثيابي وفيها أكثر من ثلاثين إلى أربعين رصاصة ولم أجرح منها جرحاً واحداً، ثم فررت من مكاني إلى صخرة على بعد نصف كيلومتر واقفاً والرصاص ينهمر كالمطر عليّ، ووصلت الصخرة، وإذا في الجهة المقابلة من أربعين إلى ستين جندياً، وأخذوا يطلقون النار، فمشيت لمدة ربع ساعة نحو غابة مقابلة والرصاص يطلق علينا من كل مكان ولم أجرح جرحاً واحداً ثم قلت: يا رب أنا لا أعرف في تاريخ الإسلام أن الحديد قد انتصر على الإيمان، وها أنا أرى أن الحديد السوفياتي قد انتصر على إيماننا، ومن العجائب كذلك كنت أضرب على الهاون فانتهت القذائف ولم يبق سوى خمس قذائف فاسدة لم تخرج من قبل في الأيام العادية، فقلت أحضروها، وقرأت (وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى) فخرجت جميعاً ثم انسحب الروس.

### العرق يتصبب من وجه الشهيد:

حدثني محمد يونس قال: كان رحمة الله خان مجاهداً في (لوجر)، فاستشهد، فحملناه من (خوش) ناحية من نواحي (لوجر) إلى ناحية أخرى فيها اسمها (دوبندي)، فكان العرق ينصب وللعرق رائحة عطرية.

### كذبنا حتى يصدق الناس:

حدثني أحمدي قائد في (تجاب) في منطقة (بروان) قال: كنا مائتي مجاهد، هجمنا على قافلة من خمسمائة دبابة وآلية، حطمنا إثنتين وسبعين آلية، وغنمنا سيارتين مليئتين بصواريخ أرض أرض، ومدفع أوبوس (١٢٢) ملم وذخائر، وكان أهل المنطقة يرقبون

المعركة من بعيد، وظنوا أننا قتلنا جميعاً، وبعد المعركة وجدنا أنه لم يجرح منا واحد، ولم يستشهد منا أحد، وكتبنا إلى بيشاور استشهد وجرح منا بعض الإخوة حتى يصدق الناس والمسؤلون، فأرسل إلينا حكمتيار بعض المساعدات لأسر الشهداء، فعند وصلت المساعدات ضحكنا، فسألوا عن ذلك فقلنا لم يستشهد منا أحد.

## شهيد ينمو شعره:

حدثني محمد يونس قال: استشهد شهيد فوجدناه بعد ثلاثة عشر يوماً قد طال شعر لحيته دون أن يتغير، وكان قد دفن ( (دوبندي)، وبعد ستة أشهر جاء أهله ليطمئنوا عنه أهو حي أم ميت، فدلهم الناس على مكان قبره، ففتحوه فوجدوه كيوم أن دفن يتغير فيه شيء.

## شجاعة أهل القرآن في كنر:

حدثني أسد الله -قائد معسكر أسامة بن زيد في كنر- وفاروق -أحد المجاهدين في المعسكر- قال: كان شيخنا وأستاذ حمد أمين ملكزي على شاطئ نهر كنر قرب قرية -بشت- (موسكو الصغرى) فبدأت قذائف الهاون تنزل على الشيخ، فاستحد شباب أن يفروا لثبات الشيخ، ولكن جعفر -أحد الشباب- اختبأ بعد قذيفتين، واختبأ أسد الله بن محمد أمين بعد أربع قذائف محمد أمين لا يهتز له عضو، بل هو ساكن يقرأ القرآن الكريم، وليس له أي ساتر يستره من القذائف، وسقطت حوله إحدى عشـ ،يفة، وكانت الأخيرة على بعد نصف متر منه، وبدأ الشباب يبكون، وبعد قليل انجلى الغبار وإذا بالشيخ يحمل القرآن يردد آيا، ،ساله الشباب لماذا لم تفر؟ فقال: لقد استحييت من الله أن تقول له الملائكة أنّ عبدك هرب وهو يقرأ القرآن.

وهذه القصة تذكرنا بالبراء بن مالك الذي قال للصحابة يوم اليمامة: (**بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي**)، فحفر له حف قف فيها وحمل الراية وبقي ثابتاً لا يتزعزع.

## رزقه من حيث لا يحتسب:

**(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)** (الطلاق:٢)

حدثني أسد الله وفاروق وسميع الله قائلين: قمنا بهجوم على قرية (بشت) الشيوعية وكنا سبعين نفراً، وبعد أن قمنا بالعملية رح منا أحد، وكنا خائري القوى من الجوع، لأنه مضى علينا يومان ولم نذق طعاماً، وكان من الصعب علينا أن نعود إلى المعسـ .ة الجوع، فدعونا الله عز وجل أن يرزقنا، فذهب (جل الرحمن) ليشرب فوجد صفيحة مغلقة، فحملها وجاء ففتحناها بالسكاكيـ ا بها زبدة من البقر، فخشينا أن تكون مسمومة، فقال هاشم: أنا آكل أولاً لأموت وتنجون. فأكل ولم يصبه شيء، فأكلنا جميـ حدنا الله على كرمه وآلائه.

## ـد كنر (جل الرحمن) الشهيد:

شاب لم ينبت الشعر في وجهه، في الثامنة عشرة من عمره، قتل أكثر من خمسين شيوعياً في يوم واحد يقيناً. بدأ الجهاد ف ، العاشرة من أيام تراقي سنة (١٩٧٨م)، وبقي يقاتل حتى (١٩٨٦م)، وضع لغماً لدبابة وأحرقها وعمره عشر سنوات، كان ج عمن ليثاً في ثياب إنسان، يقول عنه أسد الله قائد المعسكر: لم أر في أفغانستان مجاهداً أشجع من جل الرحمن.

أسر ذات يوم شيوعياً كبيراً، فقال له (للأسير الشيوعي): أنا متعب فاحملني، فحمله حتى منتصف الطريق، ثم نزل عنه وقتله اليوم الثاني من شهر نيسان (١٩٨٦م) هاجم الروس معسكر أسامة بن زيد واحتلوه، وثبتوا في أماكنهم في قمم المعسكر دى لهم خمسة من أسود المعسكر: أسد الله وجل الرحمن وجعفر وبشير محمد ومستقيم، وبدأوا يطهرون المركز من الروس حونهم من قمة إلى قمة حتى طردوهم، وفوق إحدى القمم أصابت جل الرحمن رصاصة فأسلم الروح إلى خالقها، وبقي على هيـ ، بعد شهادته، وظنه الروس حياً لأنه كان على بعد عشرين متراً منهم، فلم يجرؤوا أن يقتربوا منه، قال أسد الله: أتيته بعد أربع ات من استشهاده، إذ أنه استشهد وقت صلاة العصر وأتيته بعد صلاة المغرب، فكان على هيئته دون أن ينبطح على ظهره ، وكان يتثنى طرياً كأنه نائم ووجهه مبتسم، لم أر شهيداً مثله.. رحم الله أسد كنر وأبدلنا خيراً منه فتوة وشجاعة وورعاً.

## الشمام والعنب في الصحراء:

حدثني عبد الجبار أحد قادة يونس خالص في كابول قال: قمنا بعملية على أطراف كابول، وكان العطش شديداً، والجوع مؤلماً، وتمنينا شربة ماء أو لقمة طعام، وبينما كنا نمشي في الصحراء وإذا بعنب وشمام وليس في المنطقة أثر لبشر.

## أسد من الأنصار -أهل الباكستان-:

حدثني سيف الإسلام قال: كان أخي في الله (نصر الله منصور) من طلبة العلم، وهو خريج من مدرسة تعليم القرآن في قرية من (ملتان)، وهو مجاهد منذ أربع سنوات، وفي اليوم الرابع من مايو أيار (١٩٨٦م) كان نصر الله يركب سيارة غنيمة متوجهاً من (سيدانل-بكتيكا) ينقل بعض اللوازم إلى سبيدار ناري، وعندما وصل إلى سبيدار ناري سمع صوت الطائرات. فأرسل أخاه حسين أحمد وآخر اسمه محمد ساجد، والإثنان من حفظة القرآن الكريم، ولما أطلا من رأس الجبل رأيا الطائرات تحط على الأرض، فحذراه من الطائرات، ونزلت طائرتان وأنزلتا مجموعتين من الكوماندوز، ودارت معركة بين نصر الله منصور الذي يحمل الكلاشينكوف وال(آر. بي. جي) وضرب المشاة، وأطلق نحو الطائرة فضرب الطائرة ولكنها بدأت تقصفه من الجو، وأصيب بطلقة دوشكا دخلت من قرب عينيه وخرجت من أسفل أذنه، ودخلت رصاصة دوشكا في أسفل فخذه، وانكسر عظم فخذه، وشظية أصابت كاهله، وحاولوا أن يمسكوه حيًا إلا أنه قتل منهم (١٤)، وجرح هو جرحاً بالغاً، وهو الآن في مستشفى في بيشاور[1].

## كرامات في معركة جاجي رمضان (٦. ١٤هـ):

١- **الطيور:** قد رأيت بعيني -هذه المرة- الطيور في (جاجي) وكانت الغارات شديدة جداً على المعسكر، وبينما كنا نفر من شجرة إلى شجرة لإتقاء القذائف قال لي الأمير سياف: أنظر إلى سرب الطيور ذاك الذي يسبق الطائرات، وفي اليوم الثاني نظرت إلى الطائرة المغيرة فرأيت شيئاً أسوداً تحتها، فقلت للإخوة معي: أختبئوا فقد ألقت الطائرة قذيفة، فقالوا إنها طائر أسود تحت الطائرة.

٢- **الرياح:** عندما اشتد البلاء على المجاهدين وأمطرتهم السماء بوابل من القذائف قد تصل إلى طن كامل بحيث تحفر حفرة تخرج النبع من الأرض، والصواريخ تنهمر من راجمات الصواريخ، والطائرات لا تتوقف عن إلقاء الحمم، والألغام الفردية المؤقتة التي تنفجر بين الحين والآخر، وأنزلت الطائرات فرق الكوماندوز فوق رؤوس الجبال المحيطة. وكما قال الله عز وجل:

**(إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً).** (الأحزاب:١٠-١١)

في هذه اللحظات العصيبة تتنزل الرّحمة الإلهية بإرسال الرّيح العاصفة الشديدة التي حدث عنها المجاهدون، إنهم لم يروا مثلها في أواسط ديسمبر، حيث الثلج يصل إلى مترين، ولقد قلعت الريح الأشجار القديمة، ووصل بردها إلى بيشاور، وقد أثرت عليهم الريح فبدأوا بالانسحاب. كما يقول الله عزّ وجلّ:

**(وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً).** (الأحزاب:٢٥)

٣- **ذوو الثياب البيضاء:** حدثنا سيد عمر أمير معسكر جاجي، وموسى خان القائد العسكري، ووكيل إخلاص قائد إحدى الجبهات، قال: فر من قوات الجيش الأفغاني إلينا مجموعة، وحدث أحدهم -وكان من قندهار- قصة عجيبة كالخيال، فقال: عندما كانت دبابات الروس متجمعة في المركز -قرارغا- ونحن فيها وحولها إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب، واقترب منها يحمل (آربي.جي)، وأحرق أربعة في الساعة الثالثة بعد الظهر، ومضى بسكينة واطمئنان، ونحن نطلق عليه النار من كل مكان ولم يضره شيء، وقال: ثم رجع ذلك الرجل ذو الثياب البيضاء بعد ساعتين أو ثلاث ثم أحرق دبابتين ثم دخل وبيده سكين إلى المكان الذي يتجمع فيه الروس، وذبح اثنين وحمل رأسيهما بيده، ثم مضى وعليه السكينة والوقار، وصدق الله العظيم إذ يقول:

**(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين).** (آل عمران:١٢٥)

ليسوا بشراً:

حدثني جمال ناصر قائد في منطقة (أجو-بدخشان) قال: كنا متجهين في قافلة نحو بدخشان، وفي طريقنا إلى بدخشان بي كنا نمر في بغلان في (دراي وليان) قابلنا كمين روسي، وكان عددهم ضخماً جداً، وبدأت الطائرات تقصفنا من فوقنا، فنص (الجرينوفات) وحصرنا نقاوم المشاة الروس وطائراتهم، واستمرت المعركة اثنا عشر يوماً، فجاءنا رسول من الروس قال: نحن نفتح الطريق بشرط أن تسلموا الثلاثين الذين أسرتموهم، فقلنا: إننا لم نأسر أحداً، لكن الذي حدث هو أن السماء أمطرت مطراً غز وسال الوادي واحتمل السيل منهم ثلاثين روسيا، قال رسول الروس للمجاهدين، لقد قتل من الروس خمسمائة، وأسقطت طائرتا والروس يقولون: المجاهدون ليسوا بشراً ولكنهم من الجن.

## فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين:

حدثني غلام محمد غريب أمير المجاهدين في قندهار في أربع مناطق (معروف- أرغستان- بولدك- شجام) قال: كنا خم سبعين مجاهداً في (أرغستان-شتري)، جاءت الطائرات الساعة (٩.٣٠) ليلاً، وقمنا من البيت، وأمرتهم أن يخرجوا، وبعد خرو خمس دقائق ضربت الغرفة وحرّقت حتى الكلاشينكوف، وكان من بين المجاهدين القائد محمد مجبور، وكان بباب الغرفة فسقط قذيفة فحملته في الهواء ثم ألقته بعيداً، ودفن في التراب، ولم يجرح منا أحد مع أننا في الصباح جمعنا ثلاثمائة عصفور محرّق مقتولة، وكان وزن القذيفة ألف كيلو جرام.

وكان أحد عشر مجاهداً تحت مجموعة من الأشجار، فناديتهم، وبعد أن تركوا الشجرة جاءت قذيفة فخلعت خمساً وأربع جرة طول بعضها أكثر من عشرة أمتار وألقتها على بعد خمسمائة متر.

## .كتور ميا جل:

ستبقى قصة ميا جل نوراً على طريق الجهاد لقرون كثيرة قادمة، خاصة في منطقة بغلان وكندز.

نشأ منذ نعومة أظفاره في الحركة الإسلامية في بغلان، وعندما ابتدأ شباب الحركة الإسلامية يقاومون حكم داود كان م لهم، وجاءت أيام تراقي والتف الناس حوله فلمع نجمه، وأصبح يكيل للعدو الروسي الضربات القاصمة، واستمر على ذلك سنوا دنت منيته، إذ خرج لتعزية أو لتهنئة بعض جنوده، وكان معه حراسه، وعلم بذلك الشيوعيون عن طريق عيونهم، وهجموا بقو ة، واستشهد ميا جل بعد أن دافع دفاع المستميت.

حدثني محمد نعيم أحد القادة الذين كانوا يعملون تحت قيادته قال: فرح الشيوعيون بقتله فرحاً كبيراً، وأعلنوا أنهم سيطوفو ه في بلخمري (مركز بغلان) وسائر بغلان وكندز، ووضعوا عليه حارساً، فكان مياجل الشهيد كثيراً يصيح وهو مقتول: أعطوه مي ساقتلهم، ثم انضمَّ هذا الحرس للمجاهدين، وحدث هذا، وأقبل أحد الشيوعيين في المنطقة ليشفي صدره، فأراد أن يركا ، فشلت قدمه، وعرف هذا في المنطقة كلها، ورأى الشيوعيون هذه الكرامات من جثة مياجل، فلم يجرؤوا على الاقتراب من جثت ا بثلاثة أكفان وأعطوها لعلماء المنطقة، وقالوا كفنوه بها، ثم قالوا: لن تهزموا ما دام فيكم أمثال هؤلاء.

ودفن مياجل، وأصبح النّور يخرج من قبره، وأصبحت صيحات الله أكبر يرددها ويردد خلفه حشد كبير لا يسمع إلا صوته ن ترى أشباحهم، وحزن أهله في بيشاور حزناً شديداً، وخاصة زوجته وإخوانه، وقام أخوه من الليل يدعو الله أن يريهم آية تظه ه وتخفف مصابهم، وإذا بباقة من الزهور تسقط من السقف ذات رائحة عطرية نفاذه، فأيقظ أخواته ليريهن الآية الربانية أن يوقظوا محمد ياسر عديله -زوج أخت زوجته-، ولكنهم أخيراً قالوا نضع باقة الزهور في داخل المصحف، وبعد الفجر ه الكرامة، وفي الصباح فتحوا المصحف فلم يجدوا شيئاً.

هذه القصة الأخيرة حدثنيها محمد ياسر، (رئيس اللجنة السياسية في الاتحاد الإسلامي لأفغانستان).

بقي ميا جل يملأ على نفس زوجته حياتها وكلها شوق للقياه، وكلما عرض عليها أهلها الزواج قالت لن أتزوج حتى أكون ي الجنة، وقلما يمر أسبوع دون أن ترى نفسها معه في الجنة، بل أحياناً كل ليلة ترى نفسها معه، وهي تحاول الآن حفظ لكريم.

## قذيفة هاون تصيب كتفه:

حدثني محمد أكبر قال: أطلقت علينا قذيفة هاون فسمعت أزيزها، فاستلقيت على الأرض، وبقي صاحبي (زرجان) واقفاً، فضربت مروحة القذيفة كتفه ووقعت خلفه ولم تنفجر، فبدأ يشتم مجموعة من الإخوة بجانبه يقول لهم: لماذا تلقون الحجارة علينا، فنبهناه إلى القذيفة.

## القذيفة ترفع المجاهد فوق الشجرة:

ألقت الطائرة قذيفة فحملت المجاهد أمان وألقته فوق الشجرة، وبعد يوم كامل مرت امرأة على الشجرة، فهزت الشجرة فسقط الرجل ففتح عينيه وكانتا مملوءتين تراباً.

## مفرش طعام ومصباح يدوي:

حدثني محمد كبير وجاويد قالا: كنا متوجهين من مركز جاجي إلى سيد خان، وعلى الطريق تذكرنا أنّ الإخوة العرب قد أوصونا على مفرش طعام ومصباح يدوي، فوقفنا للتشاور، فقلنا نرجع لإحضارها، ولكننا استثقلنا الرّجوع، فواصلنا المسير، وفي طريقنا وجدنا مفرشاً جديداً للطعام لم يستعمل من قبل، ثم سرنا، وبعد قليل وجدنا مصباحاً يدوياً، فسبحان الذي يستجيب لعباده.

## ليت لي ثمن رغيف:

حدثني سيّاف قال: كنت طالباً فقيراً، وكان حفيظ الله أمين مدير مدرستنا، فارسلني إلى المستشفى للعلاج، فمشيت حوالي عشرة كيلومترات، وبعد العلاج خرجت، فوجدت مخبزاً، والخبز ساخن، فتمنيت على الله لو كان عندي ثمن رغيف (٤٠٣) روبية أفغانية، وما أن مشيت ثلاث خطوات حتى وقفت سيارة مدير بلدية كابل، قد جاء للمراقبة، فوزن الرغيف فوجده ناقصاً، فعاقب صاحب المخبز وأخذ يوزع الخبز على من في السوق، فأخذت رغيفاً ثم هممت أن آخذ آخر، ولكنني تذكرت أني طلبت من الله رغيفاً واحداً.

حدثني شير علم (بغمان): أغارت الطائرات فجرح أحد المجاهدين، فذهبت أنا وصاحبي محمد أكبر لإحضار شيء من العلاج والطعام للجريح، فأغارت الطائرات علينا مرة أخرى، فألقت علينا قذيفتين انفجرت واحدة ولم تنفجر الأخرى، فحملتنا في *الهواء* وألقتنا في الترعة وفوقنا كومة من الحجارة، ولكن لم يصبنا أذى.

## خمس رصاصات على بطني:

حدثني أنزر جل جان (جكردار) قال: أصابتني صلية من كلاشنكوف فاخترقت يدي، ثم أصابت الرصاصات التي في حزامي ففصلت الرصاصات الخمسة عن أغلافها ولم تنفجر واحدة على بطني، ورأيت آثار الرصاص في يد أنزر جل.

حدثني معلم نور قال: كنا إحدى عشرة أسرة في (لوكر-سرخاب) في بيت واحد، فضربت الطائرة البيت بقذيفة كبيرة، فانفجرت في ساحة البيت، ولم يمت إلا دجاجة.

## وظللنا عليكم الغمام:

حدثني معلم نور قال: كنا في قافلة محملة بالسلاح والمؤن متوجهين إلى لوكر، وعلى الطريق قلعة (جاوني) طولها حوالي (٢) كم، ولا بد أن نمر من جانبها ليلاً، والقمر بدر، فخفنا كثيراً أن تحصرنا نيران القلعة، ولكن عندما وصلنا قرب القلعة ساق الله إلينا غمامة فغطت القمر، وسرنا في الظلام، وبعد أن قطعنا القلعة اختفت السحابة وظهر القمر.

## صواريخ تخرق سقف الغرفة:

حدثني محمد أفضل -أمير بكتيا- قال: بدأ القصف علينا وكنا في (رقيان-جاجي)، فأمرت ثلاثة من المجاهدين كانوا في الغرفة التي كنت فيها فقالوا: لن نخرج حتى نصلي، فخرجت وظلوا في الغرفة، فأصيبت الغرفة بثلاثة صواريخ. فهرعت لأرى آثار القصف فوجدت أن الصواريخ ثقبت سقف الغرفة ثلاثة ثقوب، ولكن العجب أنا لم نجد لها أثراً لا في الغرفة ولا على [illegible]

## ـصاصات اخترقت اللحم:

حدثني موسى خان -القائد العسكري للشيخ سيّاف- قال: أطلقوا على خالي خان أكثر من عشر رصاصات من الكلاشينكو ن بعد يصل إلى عشرين متراً، فأصابت صدره ودخلت لحمه، واستقرت أمام قلبه ولم يمت.

## خرج من البئر:

حدثني نائب مولوي عبد الرحمن فدائي -قائد حركة الإنقلاب الإسلامي في غزني- هذه القصة العجيبة التي أصبحت متواة ن أهل غزني.

وأكد هذا الكلام لي في بيتي القائد عبد الرحمن فدائي نفسه في (١٢/٥/١٩٨٦م)، قال كان نصر الله منصور بن محمد زاه شياً فأبصر الدبابات مقبلة عليه.

وكان عمه محمد كريم قائداً في المنطقة للمجموعة، فخاف إن أمسكته الدبابات حياً أن يضطر إلى الاعتراف بمكان عمه، فهرم خذت الدبابات تطارده، بينما كان هارباً واجه بئراً أمامه. فألقى بنفسه في البئر، وكان عمقه حوالي ثلاثين متراً، فجاء واقفاً و سب باذى.

وعندما وقع في البئر بدأ يفكر بالخروج، فوضع عمامته في الماء الذي يجري من بئر إلى بئر حتى يخرج على سطح الأرض لع س يتنبهون أن في البئر أحداً ولكن دون جدوى، فبدأ يعكر الماء حتى يخرج الماء متعكراً فينتبه الناس إليه، ولكن عبثاً حاول، وظ س أن سبب تعكير المياه هو لعب الأطفال الذين يلقون التراب في البئر، فجاؤوا وأغلقوا فوهة البئر، فيئس من الخلاص، ولكن عز لا تسهو ولا تنام ولا تغفل.

**(فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)**. (الصافات:١٤٣-١٤٤)

وبعد يومين بدأ يرى أناساً بأشكال الشهداء الذين استشهدوا في هذا العام، منهم الشهيد نصر الله، والشهيد القاري عبد الا ى كل منها طعاماً له ويأكل منهما ويشبع، والشهيد داء محمد قد استشهد بعد وقوع نصر الله بن محمد في البئر فعندما رآه ظر ند استشهد لأنه لم يكن يعلم بإستشهاده.

وكان داء محمد يأتي بالشاي، ثم طلب من داء محمد أن يخرجه من البئر، فأعطاه وتداً من الخشب، وقال له اضرب واجعل لا ، فقال ماذا أصنع في هذا الصخر الأصم؟ فقال له أنا أساعدك، وبدأوا يضربون فكأنه كثيب مهيل، وخرج من البئر بعد عشري ، والآن كل الناس يزورونه ويسمعون منه القصة.

التعليق: هؤلاء الشهداء إما من الملائكة أو من الجن المسلم، وقد وقع مثل هذا الصنيع مع مجموعة من الصحابة والتابعين ت لها في الجزء الأول من آيات الرحمن في جهاد الأفغان.

## ع الحنان من عيني الشهيد د. بابرك:

كان د. بابرك من الأطباء المتخصصين، وكان من أهل الورع والتقوى والصلاح، كما يشهد له كثير من أهل الخير، وكان يعالج ه بالأدعية المأثورة قبل أن يناوله العلاج، واتخذ بابرك من الأورغون مكاناً لجهاده، واستشهد فيها، فأخروه بعد يومين مز هاده، وعندما عاد أبناؤه من المدرسة ووقفوا عند رأسه ذرفت عيناه دموع الحنان والوداع والشفقة، يقسم لي أختر محمد أحد لشيخ سياف أني رأيت هذا بعيني، وعندما نزلت دموعه أخذت أمه منديلاً ومسحت دموع الشهيد.

## هد زنداي جل تحت الردم:

حدثني زنداي جل قال: كنت قريباً من ترعة ماء، فحصل قصف علينا، فألقيت بنفسي في الترعة، وكان في فمي العلك، فأردت له من فمي، فوضعت يدي على فمي لأبصقه، وفي هذه اللحظة ألقى خمسة بأنفسهم فوقي، وجاءت قذيفة على حائط قريب مز فوقع الحائط فوقنا، فاستشهد الخمسة وهم فوقي، وبدأ دم أحدهم يسيل في فمي وأنا لا أستطيع أن أحرك شفتي، والذي جرى النفس مفتوحاً هو يداي اللتين وضعتهما على فمي لأبصق العلك.

وبقيت تحت الردم والشهداء حوالي ثلاثة أرباع الساعة، وكان الردم من التراب وغيره فوقي مترين فجاء الناس وأزاحوا التراب والشهداء عني وخرجت حياً.

## الغرفة تنتظر خروجهم قبل أن تهدم:

حدثني داود قال: كنا في هاشم خيل -جاجي- في دار، فضربت الدار بالصواريخ، وأصابت الدار أحد عشر صاروخاً، فخرجنا من الدار مسرعين، وبعد أن خرجنا تذكرنا سلاحنا فعدنا وأخذناه، وعندما خرج آخر واحد منا انهار البيت ولم يصب أحد بأذى، سوى آخرنا أصيب بجرح.

## قذيفة حرقت ملابسه ولم يصب بأذى:

حدثني معلم عبد الغني قال: كنا في بغمان فهاجمتنا ثماني طائرات، وبعد المعركة تمت أتفقد المجاهدين، فوجدت رجلاً عارياً من كل ملابسه، عيناه تنظران ولا يتكلم، فحملناه إلى المركز، وبعد ساعتين أفاق، فسألناه ماذا أصابك؟ قال لا أعلم، لقد أصابته قذيفة فأحرقت ثيابه ولم يحرق جلده.

## أصحاب الثياب البيضاء:

حدثني العقيد عبد الواحد قال: كنا ثمانية وخمسين مجاهداً على خط قندهار -كابل في ميدان- فمرت القافلة، وكان معنا (٤) قاذفات (آربي. جي٧) فأسرنا واحداً وعشرين شخصاً، وحطمنا (٦٥) سيارة ومصفحة، وهرب أحد الضباط، وجرينا خلفه نطلب منه أن يتوقف، وبعد أن قبضنا عليه سألناه لماذا تهرب وأنت لم تطلق رصاصة واحدة؟ فقال: عندما نزلت من السيارة شاهدت أعداداً كبيرة من الناس حولي ويلبسون ثياباً بيضاء، وكانوا يملأون السهل والجبل، ففررت لا ألوي على شيء خائفاً منهم.

## أربع عشرة رصاصة تخترق جسد صالح قندهاري:

حدثني محمد صالح قندهاري من بغمان قال: أصابتني أربع عشرة رصاصة ولم أحس بألم، وأنا رأيت أماكن الرّصاص في يديه، وقلعوا أحد عشر ظفراً مني ولم أصب بألم، وقد سجنوني أيام حفيظ الله أمين سنة، وعذّبوني بالكهرباء ولم أحسّ.

## رصاصة تخترق الفم وتخرج من الرأس:

حدثني صالح قندهاري: أصابت جل جان رصاصة في فمه وخرجت من عنقه من الخلف ولم يصب بأذى ولم يعالج، والثاني أصابته في الفم وخرجت من أسفل العنق ولم يصب بأذى.. إسمه (دل آقا).

## الصبر والثبات:

حدثني صالح قال: قطعت يد (أنار جل) في المعركة فحمل يده وسلاحه باليد الأخرى وعاد إلى المركز.

رأيت واز خان من بغمان أصابته رصاصة في جفنه وخرجت من رأسه من الخلف ولم يصب بأذى.

## خان محمد يرى الشهداء يأكلون:

حدثني حاج محمد جل من كندز من أمان صاحب قال: قصفت الطائرات سبعة من المجاهدين، فاستشهد ستة وبقي جان محمد حياً، قال جان محمد: فكنت منبطحاً بينهم حذراً من القذائف، فعندما أرفع رأسي أراهم يأكلون الرّز واللّحم

وعاد خان محمد إلى بيته والدّم يلطخ ثيابه، وأقسم لأبيه أنّي لن أخلع الثياب هذه حتى استشهد، وفي اليوم الثاني استشهد خان محمد، لقد أقسم لي حاج محمد جل أنّه حدّثه خان محمد بهذا.

## أين الفرسان على الخيول؟

إحدى عشرة قذيفة، فضربنا دبابة فأحرقناها ثم وجدنا أنّ القذائف العشر الأخرى بدون صواعق، أي غير جاهزة للضرب، فانهزم الدّبابات، وانضم إلينا خمسة من الجنود الشيوعيين، فسألونا: أين الفرسان الذين كانوا على خيولهم وكانوا عدة آلاف؟ فقلنا لهم: إ ثمانية فقط فلم يصدقوننا.

هذه القصة حُدّثت بها أمام الأستاذ سيّاف.

## مير سلام يرفض تسليم سلاحه:

حدثنا مأمور بابرك -قائد بُرك- الحزب الإسلامي قال: استشهد مير سلام وبقي حاملاً سلاحه، وجاء المجاهدون وحاولوا أ سلاحه فرفض إفلاته، حتى جئت أنا (وأنا قائده)، فهنأته بالشهادة وقلت له: هذا السلاح ليس لك إنما للجهاد والمجاهدين، فأفل لسلاح، وكان في السابعة عشرة من عمره، وقد كان الحديث في داخل بُرك في نفس قاعدة الجهاد في يوم الثلا ١٤٠٦/١١/٢٣هـ) الموافق (١٩٨٦/٧/٢٩م)، وأقسم على صحة هذا القول بابرك، وشهد بهذا محمد ظاهر، ونظر عبد الله، ورسول.

وقد شهدوا أنّنا رأينا بأمّ أعيننا هذه القصة، والقصة التي تليها: حدثنا مأمور بابرك في قاعدة برك بتاريخ (١٩٨٦/٧/٢٩، بحضور هؤلاء الإخوة الثلاثة الشهود ما يلي: استشهد أنزر جل وكان في عمر الورود في الثامنة عشرة -في كلاي شيخك- ء ضافات محمد آغا -اللوكر-، فجئنا إليه، فوقفتُ عن يمينه، فاستدار بكل جسده عن اليمين، ثم تحركتُ إلى شماله، فاستدار بـ سده نحو الشمال، وأخيراً وقفت فوق رأسه، فرفع رأسه وصدره ليراني، فهنّأته بالشهادة، فعاد كما كان إلى وضعه الطبيعي.

## ني الله المؤمنين بالبرد:

حدّثنا إحسان الله قال: كنت قائداً في منطقة منجل وجمكني وجاجي، وكنّا حوالي مائتي مجاهد، فحاولنا دخول إحدى القر رندي-، فرفض أهل القرية إيواءنا -خوفاً من الحكومة- فسرنا إلى سهل، واشترينا عجلين وأكلناهما، وفي هذه الأثناء كانت الدو أرسلت في إثرنا أربعمائة من رجالات الميليشيا، واستلموا قمم الجبال حولنا دون أن نعلم، فأنزل الله برداً من السماء لم نر له مثي كبير حجمه وكثافته، حتى تورمت رؤوسنا من وقع البرد عليها، فاضطررنا إلى مغادرة المنطقة، ونجانا الله جميعاً، ولولا الله ثم البر صل اشتباك كان من الممكن أن تكون خسائرنا فادحة.

## مير ثلاث عشرة دبابة:

حدثنا مدير هداية الله من (اللوكر) -وهو قائد قاعدة أبي بكر الصديق- قال: كنا في جبل تيره نزرع الألغام، ففوجئنا بقافلة ء ابات حوالي مائة وخمسين آلية، فدارت بيننا معركة استمرت ساعة ونصف، وهزم العدو بعد أن دمرنا ثلاث عشرة آلية، ولم يقة أحد، وكان هذا في سبتمبر سنة (١٩٨٥م)، وكان عدد المجاهدين أحد عشر شخصاً.

حدثنا الحاج محمد نبي أنه في (١٤٠٥/١١/٢٩هـ) في (أبشكان) قال: كنا ثمانية عشر مجاهداً، فحاصرتنا أربعون دبا نرتان (هيلوكبتر)، وكان القصف شديداً من الدبابات والطائرات، وأصبحت سماء القرية سحاباً من الدخان، فدعونا الله عز وجا جلنا إليه بصالح أعمالنا لينقذنا من هذا المأزق، ودمرت أربع دبابات وقتل منهم خمسة وسبعون، واستشهد منا اثنان وجرح أربع سحبت القوة مهزومة.

## بق غلام سخي يرى في المنام:

حدثنا الحاج إحسان الله قال: حدثني شقيق غلام سخي قائلاً: استشهد رحيم شاه قائد الحزب في جاجي في منطقة (جمكنم خي غلام سخي في معركة، ودفناهما متجاورين في أرض المعركة، فرأيت في ذات ليلة في المنام أخي الشهيد يستنجدني قائلا ي فإن الشيوعيين يريدون أخذ جثتي، قال: فظننتها أضغاث أحلام، ثم نمت، فظهر لي مرة أخرى يردد: أدركني حتى لا يأخ عيون جثتي، فقمت أنا وأقاربي مع أقارب رحيم شاه في نفس الليلة، وتوجهنا نحو القبور، فوجدنا الشيوعيين على القبرين يهمو القبور، فأطلقنا عليهم النار فولوا هاربين، ومن المعلوم أنّ الشيوعيين يلجأون لأخذ جثث القادة ويطوفون بها على مراكزهم لإزا ، من قلوب جنودهم، وإقناعهم بأنّ القائد الرّهيب قد مات.

## لا أعلم كيف حصلت النقلة:

حدثنا بابرك في قاعدته برك يوم (١٩٨٦/٧/٢٩م) قال: حصلت بيننا وبين الروس معركة، وفي أثناء المعركة اقترب مني اثنان حتى وصلا على بعد مترين مني ليمسكا بي حياً، فأطلقت عليهما النار فلم أصبهما، فقلت في نفسي هذا خوف لضعف إيماني، فقلت لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم أطلقت عليهما النار فأرديتهما قتيلين، وكان على بعد عشرين متراً ثلاثة من الروس، فأطلقت عليهم النار فقتلتهم، وفجأة تقدمت دبابة حتى صارت فوهة مدفعها أبعد مني عن الدبابة، فهممت أن أعلو الدبابة، وإذا بالدبابة تعكس حركتها فجأة وترجع، وكنت أحمل (آر. بي. جي) دون قذائف، والكلاشنكوف، وفجأة رأيت نفسي في مكان آخر على بعد (٢٥) متراً من مكاني الأول، وبيني وبين المكان الأول سور مرتفع يستحيل أن أتسلقه في الحالات العادية، وحتى الآن لا أستطيع أن أفسر هذه النقلة. ثم ذهبت إلى الإخوة المجاهدين وأحضرنا قذائف لل (آر بي جي) وأحرقنا ثلاث دبابات.

## وداوني بالتي كانت هي الداء:

حدثنا محمد هاشم من لوجر -وكان وقت الحديث عند الظهر في سرخاب يوم الخميس (٢١) يوليو (١٩٨٦م)- قال: كنا في جاجي، وكان أحد المجاهدين -واسمه محمود- مصاباً بالحمى، وكانت صواريخ (B.M ٤١) تقصف علينا، فقلت له: ابتعد من هذا المكان حتى لا تصيبك الصواريخ، فقال: أنا مريض لا أستطيع أن أتحرك، وبينما كان مضطجعاً وإذا بصاروخ يقع على بعد نصف متر من رجله، فنزل في الأرض ولم ينفجر، فهب من فراشه مذعوراً وهرب، وبعد أن ابتعد قرابة خمسين متراً انفجر الصاروخ (وهذه من العجائب في العلم العسكري)، لأن الصاروخ ينفجر بمجرد ملامسته الأرض، وعافاه الله من الحمى.

## أجسادهم لا تأكلها النار:

حدثنا شير محمد (لوجر) في (١٩٨٦/٧/٣١م) وقد تغدينا عنده في سرخاب في ظلال المشمش قال: حدثني أحد القادة من غزني قال: التجأ إلينا اثنان من السيخ كانا من جنود الحكومة، وصارا يقاتلان معنا، وفي إحدى المعارك قتلا معاً، فأرسلنا وراء أهلهم في كابل ليأخذوهم.. ومن عادة السيخ أن يحرقوا موتاهم، فجاءوا بالحطب وأوقدوا النار عليهما، وبعد أن انطفأت النار وجدوا جثتيهما كما هي.. فقال السيخ هؤلاء ليسوا منا.. بل منكم، فأخذناهما ودفناهما.

## فأغشيناهم فهم لا يبصرون:

حدثنا رضا خان من منطقة جاردي (القرى الأربع) قال: حصلت معركة في (جول كول دره) فجرح عبد الرؤوف أحد المجاهدين قرب النهر، فأخذته سنة من النوم، فرأى في المنام قائده الشهيد عبد الغني يقول له لن يستطيع الروس أن يقبضوا عليك، قال عبدالرؤوف: وجاء الروس ليعبئوا أواني الماء من جانبي، وعبؤوا الماء وانصرفوا، ولم يتعرض منهم إليّ أحد بسوء.

حدثنا عبد الجبار من زرغن شهر قال: في رمضان الماضي (١٤٠٥هـ) كنا ستون نفراً في عملية ضد القطار في قرية (كتب خيل)، كنا ثلاثة في خندق واحد، فسقط صاروخ في الخندق، واستشهد واحد منا اسمه (إنجنير غلام محمد) ولم نصب بأذى.

## دم الشهيد يكتب لفظ الشهادتين:

حدثنا عبد الجبار من زرغن شهر -وهو من المجاهدين الذين يعملون مع شير آغا- قال: في (١٩٨٦/٧/١م) استشهد معنا شهيد من بغمان بعد أن قمنا بعملية على مركز من مراكز الشيوعيين في محمد آغا، ولففناه بكفن، فرأيت أن دمه قد كتب على كفنه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد رأى هذا مجموعة من المجاهدين معي.

## تسبيح الحجر والشجر:

حدثنا نقيب الله بن عبد السلام من كتب خيل محافظة محمد آغا، وهو أحد خمسة إخوة يجاهدون في مديرية محمد أغا من لوغر، قال جرت معركة يوم عرفة سنة (١٤٠٤هـ)، غنمنا فيها أكثر من مائة آلية بين دبابة وسيارة ومصفحة، واستشهد منا شهيد واحد اسمه محمد نعيم -هو الشهيد الوحيد في المعركة- وقمت حارساً على الشهيد يوم عرفة وليلة عيد الأضحى، فسمعت الشجر والحجر

النهر كلها تقرأ القرآن، فظننت أني في حلم أو أنّي نائم، وهنالك إمام يقرأ القرآن، ولكني تأكدت أنّي مستيقظ، وكل شيء حولي ية
لقرآن، وكانت المعركة في كتب خيل على الشارع العام بين كابل وكاردين، أما الشهيد محمد نعيم من كولنكار فقد أرسل إلى أهله إ
ابل قبل المعركة بيوم، وقال لهم أنتم تصلون صلاة العيد في كابل وأما أنا فأصلي صلاة العيد في الجنة إن شاء الله، وبعد ا
ستشهد كانت رائحته تعبق فوق الجبل والوديان، حتى خيل إليّ أن كل شيء ينفح طيباً ومسكاً.

وقد حدثني نقيب الله هذا -في مركز معلم تور في سرخاب في لوكر- في التاريخ المذكور أعلاه عند العشاء أمام جمع ،
خوانه المجاهدين، واستعد للقسم على هذا.

## ور على الطريق:

حدثنا جران جل في سرخاب من لوكر في مركز معلم تور قال: كنت في تري منكل، فتراءى لي خبر وصول القوة إلى منط
حمد آغا من لوكر، فعزمت على السير إلى لوكر لمساعدة إخواني، فخرجت صباحاً من تري منكل، ووصلت في المساء إلى دوبندي
ندما وصلت دوبندي هممت أن أطوي ليلتي في دوبندي، لأن الطريق وعرة والظلام دامس، فقلت في نفسي كيف أستريح وإخوا
حاصرون ولا يستطيعون النوم، فعزمت على السير، وعندما بدأت السير رأيت نوراً ينير لي الطريق، فتلفت حولي لأرى مصدر هذ
ور فلم أجد شيئاً، وكان معي ثلاثة من المجاهدين (ضابط أمان الله واثنان آخران)، فسألوني كيف ترى الطريق وتمشي بسرعة؟ فا
ل لهم عن الكرامة، وقلت لهم أنا أعرف الطريق من قبل، وبقي النور معي حتى وصلت إلى مسجد زرغن شهر قرب القوة حيث وصل
الثانية ليلاً، فسألت إمام المسجد عن القوة، فقال: لقد هزمها الله منذ عصر أمس، واستعد أن يقسم على هذا.

## ماؤهم تجري بعد سنة ونصف:

حدثنا حاج سردار محمد ومعلم تور ومعلم داوود قالوا: استشهد خمسة وأربعون من المجاهدين، ودفنوهم قرب بعضهم. ف
ب خيل (بول قندهاري)، وبعد ثمانية عشر شهراً قصفت الطائرات المنطقة، فظهرت ثلاث جثث للشهداء وهم مبارك شاه وحاج
مد ومبين، وكانت الدماء لا زالت تجري من جروحهم، وقد طالت أظافرهم وشعور شواربهم، ورائحتهم كالعنبر، وقد شهد هذ
ادثة أكثر من ثلاثمائة من أهالي كتب خيل.

كان هذا الحديث في سرخاب من لوكر مساء الجمعة (١/٨/١٩٨٦م) في مركز معلم تور أمام جمع من المجاهدين.

## ور يرى من كل مكان:

حدثنا قاضي زمراي في سرخاب قال: حصلت معركة في موسامي -قبل سنوات- استمرت ثلاثة أيام، استشهد من المجاهدي
ين، وقتل من الروس ألف وثمانمائة، وكان الروس من الكوماندوز[1]، وصار الناس يرون النور من كل مكان في المنطقة، ولأيا
ة كانت الحمائم الخضر تحط على مصارع الشهداء وتنتقل من مصرع إلى مصرع، وقد رأى هذه الظاهرة كثير من الناس بلغو
ـ التواتر.

## عاء ينزل الثلج:

حدثنا جل محمد قال: هجمت القوة وكان عددها كبيراً، فاضطر مولوي بزرك ومعه بهرام إلى الانسحاب إلى جبل سلطان
.، فعطشوا كثيراً، فرفع مولوي بزرك يديه إلى السماء ودعا طويلاً قائلاً: اللهم إننا عبيدك وخرجنا في سبيلك وابتغاء مرضاتك
نا، فأرسلت السماء برداً فأكلوه.

## مغلوب فانتصر:

حدثنا جران جل في سرخاب من لوجر في مركز معلم تور هذا اليوم[2] قال: جاءت الطائرات وقصفت مركزنا فر
ب في النهار، ولم يكن لدينا صواريخ ولا مضادات للطائرات، فرأيت في الليل نوراً على هيئة الصواريخ تخرج من الجبل المجاور
ة إلى مركز الشيوعيين.

---

١- بعضهم من الكوماندوز -وليسوا كلهم والله أعلم- إذ أن عادة الروس في معاركهم الكبيرة يأتون بفرق خاصة من الكوماندوز. ٢- اليوم الذي كان الشيخ في زيارة لتلك المنطقة.

رائحة الشهيد ملا عبد الله تدل عليه:

حدثنا المهندس علي مساعد صفي الله قائد الحزب في محمد أغا (لوكر)، وكان الحديث في قاعدة مير عبد الله في سرخاب، قال: هجمت القوة فأرسلنا ملا عبد الله مع عبد القدوس بلغم ليزرعوه أمام الدبابات، فرأته القوة فضربته بقذيفة هاون، فاستشهد وأصيبت عينا عبد القدوس، ففقد بصره، ثم ذهبنا نبحث عن ملا عبد الله، فاقتربنا من حديقة كانت تعبق منها رائحة زكية عطرة، فقال القائد جعفر ابحثوا لي في هذه الحديقة لعل هذه رائحة الشهيد، فدخلنا الحديقة فوجدنا ملا عبد الله كما توقع القائد.

بركة طعام المجاهدين:

حدثنا المهندس علي مساعد صفي الله قائد الحزب في محمد أغا (لوكر)، وكان الحديث في قاعدة مير عبد الله في سرخاب، قال: اشتريت لأهلي خمسة وثلاثين سيراً (٢٦٥) كيلو غرام من الطحين، والأسرة مكونة من ستة أشخاص، وهذا يكفينا عادة لمدة شهرين، وقلما تمر وجبة من الوجبات الثلاث إلا ويأكل عندنا المجاهدون، وبقي هذا الطحين تسعة أشهر ولم ينفد، حتى هاجرت الأسرة فأعطيته لجارنا، وكان قد بقي منه الثلث (٨٤) كيلو غرام، وما ذلك إلا بالبركة التي حلت على الطعام.

# كرامات للعرب

## كرامة الشهيد يحيى:

كان يحيى في مقتبل عمره، وقد ذاب إخلاصاً في قضية الجهاد الأفغاني، وكان شاباً مترفاً في عائلة ذات غنى، وهجر الأهل والخلان وعاش يجاهد.

واستشهد يحيى، وكانت رائحة دمه كريمة عجيبة، لم يبق أحد إلا وعجب من رائحة المسك التي تعبق من دمه.

ولقد حدث أبو الحسن المقدسي فقال: لقد شممنا رائحة الشهيد يحيى عن بعد (٥٠٠م) حيث كنا نسير بالسيارة خلف سيارة الإسعاف التي تحمله، وبعد تشييع الجنازة وعودتنا إلى البيت ركبنا السيارة وخرجنا، وكانت رائحتها تعبق مسكاً، فسألتني زوجتي هل وضعت العطر على نفسك أم في السيارة، فأجبت بالنفي، وقلت إنما حملنا الشهيد.

ولقد حدثني أبو حمزة أنه بعد عودته إلى بيته من تشييع جنازة يحيى سنيور قالت زوجته: أي عطر هذا الذي وضعته على نفسك؟ وحدثني أبو الحسن المدني وكثيرون أن الغرفة التي سجي فيها -وضع فيها- جسد الشهيد يحيى في مستشفى بدر (بيشاور) بقيت ترسل شذاها الطيب فترة أسبوع تقريباً.

## كرامة الشهيد عبد الوهاب:

كان عبد الوهاب من عائلة غنية، وهو بين مجموعة من الإخوة ذوي مناصب في الدولة، وكان يعمل في شركة أرامكو، فهجر الدنيا ونعيمها، وجاء يعيش بين مضاب أفغانستان وجبالها، يقتات السغوب والجوع، ويتزود الخبز مع الشاي في معظم أوقاته.

كان يصر على الجهاد، ويرى أن ضياع الأمة المسلمة بسبب ترك الجهاد، وكان لا يتراجع عن رأيه أن الجهاد فرض عين ولا إذن لوالدة ولا لوالد فيه، وكان يبحث عن الموت (الشهادة) في سبيل الله.

وفي الليلة التي سبقت استشهاده رأى في المنام يحيى، وكان يحيى قد أصبح رمزاً لكل عربي يطمح إلى الشهادة، وعندما رآه خاطبه يحيى: أأنت عبد الوهاب حقاً؟ فقام في الصباح وبشر إخوانه أن اليوم يوم الشهادة، ثم ذهب عبد الوهاب مع عبد الصمد وناما في المسجد قبل العملية بساعة، فرأى عبد الصمد عبد الوهاب يداعب امرأة جميلة، فهب من نومه مهلل الوجه وقال: يا عبد الوهاب أنت شهيد، لقد رأيتك مع الحورية.

وبعد استشهادهما في (شلمان-ننجرهار) ودفنهما هناك حدثني أبو داود -شاب عربي- قال: سمعت الأفغان يتحدثون عن خروج النور من قبر عبد الوهاب وقبر سعود البحري، فكنت أراقب قبرهما أثناء حراستي، وفي ليلة الإثنين الساعة الحادية عشرة إلا

وقد روى السرخسي في شرح السير الكبير (٢٣٥/١): أن المسلمين دفنوا أبا أيوب الأنصاري في بلاد الروم، فصعد من قبره نور إلى السماء، ورأى ذلك من كان بالقرب من ذلك الموضع من المشركين، فجاء رسولهم من الغد فقال: من كان هذا الميت فيكم؟ قالوا صاحب نبينا.. فأسلموا.

## كرامة سعود البحري:

أما سعود البحري فحدث عن إخلاصه ولا حرج -نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله-، كان يعمل في السعودية عملاً ذا دخل محترم بوظيفة رسمية، كان ميكانيكياً في سلاح الجو السعودي، وأخذ إجازة وجاء إلى أفغانستان.

كان مثالاً للطاعة، كنت أراه مصداقاً واقعياً للحديث **(من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)**[1]

كان يبحث عن الموت، نسي زوجته وطفلاته الثلاث، قال لي ذات مرة: لقد نسيت صور بناتي، وذات ليلة رأيت ابنتي تداعبني وتشدني بحنان الأبوة إليها، فتنبهت من نومي مذعوراً وعرفت أن هذه من أحلام الشيطان، لأن ابنتي تريد أن تشدني إليها فأتراجع عن الجهاد، وفي الليلة الأخيرة من حياته فوق هذه الأرض رأى الحورية تداعبه، فبشر إخوانه في الصباح أنه اليوم شهيد، واستشهد سعود مع عبد الوهاب.

## قصة عبد الله أنس:

قال عبد الله أنس: سرنا في نهار صاف والمسافة بين القريتين إحدى عشرة ساعة، وبعد أن مشينا سبع ساعات بدأ الثلج يتساقط، وغطيت الطرق، وغابت معالمها، ونظرنا في كل مكان لعلنا نرى النور أو نسمع كلباً أو نرى دابة فلم نجد شيئاً، فجلسنا ننتظر الموت، وكان في المجموعة مجاهد كان قد واجه نفس الموقف، إذ حدث معه أنه كان في مجموعة أخرى ولاقوا ليلة نزل عليهم الثلج فيها فماتوا جميعاً، ولم ينج سوى هذا المجاهد الذي يصاحبنا، والآن عاد شبح تلك الليلة يفزع خيال هذا المجاهد، فلقد نجا في المرة الأولى بأعجوبة، وتسمرت العيون في وجه عبد الله أنس تطلب منه أن يمد يده إلى السماء للدعاء.

قال عبد الله أنس: كان يتهددنا ثلاثة أعداء، قطاع الطرق، وقطعان الذئاب الجائعة التي تغير أحياناً على المجاهدين فتفترسهم، والثلج النازل الذي إذا استمر إلى الصباح متنا جميعاً.

ومددت يدي إلى السماء أدعو، ولكن أسباب النجاة في نظر البشر قد انقطعت، وبعد الدعاء بعشر دقائق توقف نزول الثلج، وتوقف الهواء البارد الذي يسبر الوجوه، وكانت الساعة السابعة مساء، وكنا نجلس القرفصاء، وسهت عيني ونمت، فما استيقظت إلا على صوت أخ يوقظني يقول: مولوي أنس طلع الفجر، فقمتُ ولم أصدق أن هذا الليل الطويل قد مر هكذا وكأنما هو ومضة برق، ولم أذق نوماً أهدأ ولا أنعم من تلك الليلة.

وبعد ذلك كلما مررنا بقرية حدث المجاهدون الذين يصاحبوننا عن أثر الدعاء في إنقاذ المجموعة بكاملها وهم يشيرون إليّ مشدوهين معجبين.

## كرامة عبد الله الغامدي:

**عمل قليلاً وأجر كثيراً:** لقد زار أحد أقاربه في إسلام آباد، فأرسله ليرى الجهاد الأفغاني، فأصابته قذيفة مدفعية ولما يمض على جهاده أسبوع، ودفن في (شمكني).

حدثني أبو سياف قال: حدثني نظر محمد -قائد شمكني- وهو رجل ثقة ومهندس صادق، قال: كان اثنان من المجاهدين الأفغان واقفين عند قبر عبد الله الغامدي، فسمعا تسبيحاً من القبر، ففرا هاربين خائفين، فأخبرا نظر محمد، فقال لهما: هذا قبر عبد الله الغامدي، والتسبيح ينطلق من قبره.

وقد سألت بنفسي -أنا عبد الله- نظر محمد ومجموعة من قادته فأكدوا لي أن التكبير لا زال يخرج من قبره.

---

[1] حديث صحيح

## كرامة أبو الحسن المدني:

أبو الحسن المدني سبّاق إلى نجدة المجاهدين، كلما سمع معركة في ناحية من نواحي أفغانستان قريبة من الحدود حمل الأغذية والألبسة والمساعدات وهرع إليها.

وعندما حصل الهجوم الأخيرة على معسكر جور في نيسان (١٩٨٦م) هب مسرعاً، وحمل معه المساعدات ودخل جور، والطائرات تقصف، ودخل أحد الكهوف، فجاءت قذيفة وأهالت الجبل فوق الكهف، وأغلقت باب الكهف، قال أبو الحسن: وبقينا ثلاثة أرباع الساعة ننتظر الموت ونلفظ بالشهادتين، فجاءت طائرة أخرى وقصفت، وكانت القذيفة الأخيرة التي أصابت باب الكهف، ففتحت لنا ثغرة فرجت عنا، وخرجنا من الكهف سريعاً، وعدنا من عالم الآخرة والبرزخ إلى دنيا الحياة والناس.

## كرامة عبد الله الكعبي:

الأخ عبد الله الكعبي من قطر كان يدرس في أمريكا، فترك دراسته وجاء يؤدي فريضة القتال، وذهب إلى قندهار، وبقي يقاتل فيها قرابة تسعة أشهر، وقد أصابته رصاصة تحت كعبه وخرجت من الكعب الآخر ولم يكسر له عظم ولم يصب بأذى.

## وخرج جن حمزة:

كان هذا في الجمعة الثالثة من رمضان سنة (١٤٠٦هـ)، حيث كنت جالساً تحت الشجرة أتلو القرآن بين الظهر والعصر، وإذا بأصوات تنطلق من خيمة أبي الحسن المقدسي تستغيث بي وتستحثني للإسراع، فهرعت إلى الخيمة، وإذا بالشاب حمزة في حالة جنونية، وكنت قد قرأت أن بعض المصروعين بالجن كانوا يأتون بهم للإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية ويضربون المصروع بالنعال والعصي فيخرج الجني.

وكنت قد شهدت عدة حالات للمصروعين وأحوال الجن معهم، فبدأت أخاطب الجني قائلاً: أخرج أيها الكافر، فقال لي: أنا مسلم، فقلت: أنت كافر، وكانت لدي بعض المعرفة بأحوال الجن من خلال صلتي بوالد زوجتي رحمه الله إذ أنه كان يعالج المصروعين بالجن.

قلت له: أخرج أيها الكافر وإلا سأحرقك بالقرآن، قال: أنا لا أزداد بالقرآن إلا خشوعاً، وكان يصيح ويصرخ، وقد أمرت الشباب أن يقرأوا البقرة، وكلما ازدادت التلاوة ازداد في الصراخ قائلاً: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ومن خلال الحوار قال: أنا جني من شرق الآستانة، اعتنقت النصرانية، وأرسلنا البابا مع خمسين ألفاً لنفسد مصر ولنفرق بين المرء وزوجه.

وكذلك سأل بعض الشباب الحاضرين الجني: أتعلم من الذي يكلمك؟ فقال نعم عالم يتكلم بما لا يعلم، يقول عني كافر وأنا مسلم.

ثم أخذت أضربه بحذائي، وأخذ سيف الله يضربه كذلك، والشباب يتلون البقرة، فما أن قرأنا خمسين آية وأذّن سيف الله في أذن حمزة -لأنه ورد في الصحيح أنه **(إذا أذن الأذان تولى الشيطان وله ضراط)**- وبعد الأذان خنس الجن واستيقظ حمزة، وعندما صلينا العصر أمرت الشباب أن يقرأوا القرآن حتى غروب الشمس، لأن اليوم يوم جمعة، وساعة الاستجابة على الرأي الراجح في آخر ساعة من النهار.

واقترح عليّ أبو الحسن المقدسي أن نقرأ سورة البقرة، وناديتا حمزة وجلس بيننا، وما أن قرأنا بضع آيات حتى جاءت حالة الصرع لحمزة، وبدأ الجني يصيح: حسبنا الله ونعم الوكيل، وازدادت تلاوة القرآن من الشباب، وازداد صراخ الجني، فبدأت أضرب صدر حمزة وأقول للجني أخرج يا كافر. فقال: سأخرج ولكني مسلم، فقلت له: أخرج يا كافر -وأنا أضرب صدر حمزة-، فقال: سأخرج.. أنروا لي طريقاً، قلت له: أخرج. قال: سأخرج من رجله وعندها استيقظ حمزة.

وسألت حمزة: هل خرج؟ قال: نعم، خرج من بين الإصبع الصغير والذي يليه، وكان له أثر كاللسعة.

وبعد هذه الحادثة صرت أراقب حمزة حتى أرى أحقاً خرج، ويؤكد لي حمزة أن ناراً حمراء كانت تتابعه لحله وترحاله، قال: وبعد يوم الجمعة لم أر هذه النار الحمراء التي كانت لا تفارقني أبداً، وبعد ذلك اليوم صار حمزة يصلي معنا التراويح بعد أن كان من قبل لا يشهدها معنا، وبعد أيام جاءني حمزة وقال لي: أنا أشعر براحة تامة، وبدأت أحس بالجنس وبالحاجة إلى الزواج، وكنت مدينة

الفترة الماضية لا أشعر أني بحاجة إلى زواج.

وكان يدعو لي دائماً، وقد فاتني أن أذكر أنه في حالة الحوار مع الجن قال لي: تلبست حمزة قبل عشرين عاماً عندما كان عمر ست سنوات، قلت في نفسي: سبحان الله، إن أثر القرآن عظيم جداً، خاصةً إذا قرأه المخلصون، فهؤلاء الشباب الخارجون في سبيل الله ، وقد طلقوا الدنيا ثلاثاً، ببركة إخلاصهم هرب الجني وعافى الله أخانا حمزة.

يوم (٢٥) رمضان (١٤٠٥هـ) كان أبو الحسن يحفر خندقه قرب شجرة، فاعترضه جذع شجرة، فأراد قطعه، فأحضر شاب جزائري بلطة لقطعها، وبدأ يضربها، فأصابت ضربة قوية ساق (قصبة) أبي الحسن، ولكنها لم تجرح بحمد الله.

## قصة عبد العزيز الصبري:

حدثني عبد الله النهمي قال: استشهد عبد العزيز قاسم الصبري -من جبل صبر- استشهد في جبل (هو كمان) ولم يدفن على القبلة، ففتح عليه عبد الولي الشميري فوجده كما هو، ووجد بيده تمراً، وعندما أخرجناه بدأت جراحه تنزف دماً.

## هذا أبو عاصم فعلى منواله فانسجوا:

إن أسباب الشرف في الدنيا كثيرة، فمنهم من ترفعه قبيلته بأعدادها، ومنهم من تظهره ثروته بذهبها ودنانيرها، وبعضهم من يبرزه علمه ومداد قلمه، وقليل هم الذين يرفعهم النجيع والمداد الأحمر الذي يخط التاريخ ويصنع الأمجاد ويشيد الممالك.

ومن بين الذين رفعهم دمهم وأظهرتهم شهادتهم فكان موتهم حياة وفراقهم وغيابهم حضور شهداء وارينا أجسادهم في فلسطين وأفغانستان، ومن بين من عرفتهم أبو عاصم.

أبو عاصم -محمد عثمان- شاب عراقي ولد في أربيل في أسرة متوسطة في مستواها الاجتماعي والعلمي والمالي، وشب كباقي الشباب، ولكن في جو مكفهر يطارد المسلمين ويلاحق الإسلام. فكانت نشأته نشأة عادية، لم تتوله يد حانية بالتربية، ولم تتعهده عناية معلم بالتوجيه الروحي والثقافي والخلقي.

ومن جراء السياط اللاهبة لظهور المسلمين كان أبو عاصم من بين الذين هربوا ببقية إنسانيتهم حفاظاً على روحه التي بين جنبيه، وبدأ التحول في هجرته المضيئة.

ومن خلال لفح طريقها وشدة محنتها بدأت النفس تتجه إلى الله، واتجه أولاً إلى القرآن ينهل من نعيمه العذب، ويتعلم القراءات وأحكام التلاوة والترتيل، وبدأت نفسه تتأدب بآداب القرآن.

قال لي من سكن معه: كنا أحياناً نتحدث بأمور الدنيا وهو صامت، فينسل من بيننا دون أن نشعر، فنفتقده وإذا به اعتزل في غرفة أخرى يقرأ القرآن، وكان يحب صيام الإثنين والخميس، ويقوم الليل.

شغفت نفسه بطلب العلم في ملتان، وحفظ القرآن، ولم يبق منه إلا جزءان عندما قابلته لأول مرة في بيشاور، ولكنه أتم حفظ القرآن في بنجشير.

كانت المقابلة قبل عام ونصف، رأيت على وجهه إشراقة، أشقر الشعر، باسم الثغر، رزين السمت، وإذا تكلم فبقدر، ويتفتر عن مثل حبِّ الجمان، قال لي: أريد أن أواصل تعلم القراءات، فقلت له تكفيك الآن رواية حفص، إذ أنه حل بالمسلمين ما يشغلهم حتى عن أولادهم وأنفسهم.. الآن جاء دور الجهاد، وراجعني بكلمة أو كلمتين، فقلت له: هذا هو السبيل في المرحلة الراهنة.

وبدأ رمضان، فأخذ الشباب يجتمعون إليه في صلاة التراويح، ولكأنما تسمع القرآن غضاً طرياً كما أنزل.

وفي هذه الفترة كان أهله يلحوّن عليه بالعودة إليهم، فقال: لا عودة إليكم، وجاءوا بخطيبته لتكلمه في التليفون قائلة: لن أتزوج ما دمت حياً، فرد عليها قائلاً: تزوجي غيري فلا عودة إليكم، هنا الحياة وهنا الممات.

وانتصف رمضان، وتحركت قافلة بنجشير ليرافقها أبو عاصم، وودّع بيشاور وداعه الأخير.

وصل أبو عاصم إلى (أحمد شاه مسعود) بطل بنجشير وأسد الشمال، وعندما رآه تمسك به وقال لا تفارقني في حل ولا ترحال، ولا سفر ولا حضر، علّمني القرآن واللغة العربية.

وانطلق أبو عاصم في مسيرته المباركة، وبدأ أحمد شاه يعد له الندوات التربوية القرآنية الروحية من القادة الذين حوله، ومن خيار المجاهدين عنده، وخلال عام كان قد ربى مائتين من القادة والجنود على كتاب الله تلاوة وتجويداً، وعلى صيام الإثنين والخميس،

وعلى قيام الليل، قال عبد الواحد -أحد الإخوة العرب في بدخشان-: استمعت إلى شاب أفغاني يتلو القرآن تلاوة صحيحة مع مخارج الحروف، فسألته من أي جامعة عربية تخرجت؟ فقال تخرجت على يد أبي عاصم العراقي.

وتعلق المجاهدون به تعلقاً عجيباً، فصار لا يتحرك إلا ويقولون: جاء قاري صاحب (أي المحترم)، وذهب قاري صاحب.

وأقبل رجب، وبدأ أبو عاصم يعدّ الأيام حتى يأتي رمضان، ويفرك يديه قائلاً: آه على شهادة في رمضان، وجاء اليوم الرابع عشر من رمضان (١٤٠٦هـ)، وجاءت معه معركة أندراب بغلان، واستأذن أبو عاصم ليشارك في المعركة ويفجر باب القلعة التي يهاجمونها، وأذن له.

وسجل المسؤول أسماء الإخوة المشتركين، فكانوا مائة وعشرة من المجاهدين، وسجل بجانب اسم أبي عاصم كلمة شهيد.

قال عبد الله أنس: قلت للأخ الذي سجل الأسماء -صفي الله-: أنت مستعجل على العرب؟ نحن اثنان، تريدون أن يذهب واحد إلى ربه ويبقى واحد؟ قال صفي الله: أقسم أنه لن يرجع من هذه المعركة حيّاً، قال عبد الله أنس: أنت تتألى على الله، أو تعلم الغيب؟!.

قال صفي الله : أنا لا أعلم الغيب، ولكني أقسم أنه لن يرجع، أولا ترى نور الشهادة بين عينيه؟ أنظر إلى وجهه، ثم أقسم ثالثة ورابعة أن أبا عاصم شهيد في هذه المعركة.

وأفطر المجاهدون جميعاً استعداد للمعركة عدا أبي عاصم (وشاه قلندر)، ووصل المجاهدون القلعة، وفتحت عليهم الرشاشات، وتقدم كالليث، وبسرعة خاطفة وضع الألغام تحت باب القلعة وفجّرها، فانهار الباب وقسم من الجدار، وانهارت معه معنويات الكفار، ودبّ الرعب في قلوبهم، وانطلق المجاهدون يكبرون، وكان من أوائلهم أبو عاصم و (شاه قلندر)، فأصابتهما رصاصات واستشهدا، فكانا هما فقط الصائمين الشهيدين دون أن يستشهد غيرهما.

مضى أبو عاصم إلى ربه، ولقد كانت صاعقة نزلت من السماء على نفوس المجاهدين عندما رأوا أنّ أستاذهم وإمامهم ومقرئهم قد مضى وتركهم.

وقد كان وقع المصاب شديداً على أحمد شاه مسعود وعلى المجاهدين، وبدأت الذكريات الحبيبة تحول المكان كأنه طلل خاب قد عبثت به رياح الدهر، فخيم الوجوم، وساد الصمت، وأطبق الحزن، وعمّت الوحشة، وأنكر المجاهدون أنفسهم وهم يتساءلون: كيف الحياة بدون أستاذنا.

يقبل الفجر وتقام الصلاة ومن يسد مكان أبي عاصم في الإمامة، يجلسون صلاة الفجر لحلقة القرآن، ولكن مكان أبي عاصم خال:

*سرى صوت المؤذن في حمانا وقد فقدت مآذننا بلاله*

فيبدأ البكاء وينفض القوم.

إذا وضع الطعام فهذا صحن أبي عاصم، فتترقرق الأجفان وتتجافى الجنوب عن المضاجع.

وكاد القوم يصابون بالهذيان حزناً على الفراق، مع أنهم فارقوا من قبلهم أباءهم وأشقاءهم، ورأوا آلاف القتلى، ولكن أي مصاب جلل حل بالقوم بعد أن ذهبت روحهم من بين ظهرانيهم.

واضطر أحمد شاه أن ينقل المجاهدين بعيداً عن المكان ثماني ساعات لينسيهم ذكريات إمامهم، وما من معركة بعد أندراب إلا ولسان كل مجاهد يقول: اللهم الحقني بأبي عاصم في الصالحين.

رحم الله أبا عاصم فلقد بلغ المنزلة إن شاء الله، ورقد في مثواه الأخير هناك فوق قمة جبل شامخ، حفر قبره أحمد شاه مسعود بنفسه مع المجاهدين، وكانت جنازة مهيبة مشهودة ودع بها أبو عاصم هذه الدنيا الزهيدة، ومضى بعد أن أخذ القلوب في رحلة الخلود الأبدية.

إنّ قبره في ذرى الهندوكوش ليشهد أن هذا الجهاد جهاد إسلامي عالمي وليس قتال قوم خاص بالأفغان.

فهنيئاً لك يا أبا عاصم، ونرجو الله أن يجمعنا بك في الفردوس الأعلى إنه سميع قريب مجيب.

ونقول: هذا أبو عاصم فعلى منواله فانسجوا، وعلى طريقه فاسلكوا.

# كرامات الفلبين

١- أخبرنا الأخ محمد صواف بن علي نائب رئيس اللجنة الثورية للشؤون الداخلية في محافظة (لاناو) الشمالي ب يصلي الصبح في منزل أحد المدنيين في قرية (كرامة) ببلدة (كرمتان)، وكان معه اثنان من حراسه وهما القائد (سادات) (سامي)، فحاصرهم الجيش الحكومي المكون من أربع فرق في هذا المنزل. فلما انتهى من الصلاة نزل من المنزل مع حارس يقرأ أوائل سورة (يس) حتى وصل إلى قوله تعالى: (فهم لا يبصرون).

فساروا بين أفراد الجيش دون أن يراهم أحد منهم، ومضوا في سيرهم، ونجّاهم الله من تلك الحالة الحرجة، وأمّا ا الجيش عليهم فقد قتله الجيش بسبب فشل هذه العملية.

٢- أخبرنا الأخ المذكور بأنه كان في يوم من الأيام يستريح مع حارسيه القائد (سادات) والقائد (سامي) على جنب نهر في قرية (كوريو) قريبة من (كرامة)، وفي تلك الأثناء فوجئوا بمجيء ثماني فرق من الجيش الفلبيني، فتبادلوا مع الجيش ال إطلاق النّار حتى تمكن الجيش الحكومي من محاصرتهم لمدة عشر ساعات، وصلّى الأخ محمد صواف ركعتين، فلمّا انتهى من قال لرفيقيه لا بدّ أن نغادر هذا المكان فقد استنفذت رصاصاتنا، ثم قرأ هذا الدّعاء (سبحان الله لا إله إلاّ أنت، يا ربّ كلّ شم وارثه ورازقه ورحيمه برحمتك يا أرحم الراحمين)، ثمّ قرأ: (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يب

فهطلت الأمطار الغزيرة فجأة، فمشوا إلى مكان قريب من إحدى فرق الجيش الحكومي دون أن تراهم هذه الفرقة، حت من شرهم ورجعوا إلى قواعدهم سالمين، وقيل أنّ تسعة من أفراد الجيش لقوا مصرعهم في هذه المعركة.

٣- قامت القوات الفلبينية وفيها أربعة بواخر حربية وطائرتين حربيتين بمهاجمة المجاهدين في معسكرهم رقم (٤)، معارك بينهم وبين المجاهدين استمرّت أكثر من شهرين، وفي آخر أيام هذه المعارك رأى العدو الخيل الكبير الأسود اللون قا جبل قريب منهم، فخافوا منه حتى فرّوا إلى مكان غادرته إحدى فرق المجاهدين، فجاءت الطائرات الحربية الفلبينية تريد إلقاء على هذا المكان ظنّاً منها أن المجاهدين لا زالوا موجودين فيه، وفعلاً ألقت هذه الطائرات الحربية قنابلها على هذا المكان وقتل وستين شخصاً من الجيش الفلبيني.

٤- اصطدم المجاهدون بولاية أبو عمورة في بلدية (كرسنتان-لاناو الجنوبي) مع بعض القوات الفلبينية في البحر، فقا المجاهد وصرخ بأعلى صوت: يا مالك يوم الدين إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين، فعندئذ أبرقت السّماء وهطل المطر الغزير فضلّ العدّ خائفاً.

٥- حدّثني الأخ المجاهد (حارث أوتو) أنّه حدثت الاشتباكات بين القوات الفلبينية والمجاهدين في بلدة (فاليمبانج) بم (سلطان قدرات)، وكان عدد المجاهدين قليلاً جداً، ولكن العدّو رآهم كثيراً، وحدث أنّ النّمل هاجم العدوّ ممّا تسبب في انس ميدان المعركة، حدث هذا عام (١٩٧٢م).

٦- أخبرني الأخ المذكور أيضاً أنّه حدث اشتباك دموي بين المجاهدين وبين قوات العدوّ في بلدية (فاليمبانج) استمر ساعات، ودعا المجاهدون ربّهم -سبحانه- بالنصر على عدوّهم، ففاجأهم هطل الأمطار الغزيرة ممّا أدّى بالعدوّ إلى الإنسحاب

٧- حدّثني القائد المجاهد (عبد الغني مانجو لابون) قائد المجاهدين في منطقة (داتا لبوليه) ببلدية جلان بمحافظة بوايان) أنّه حدث يوم الجمعة صباحاً بتاريخ (١٩٦٩/٦/٨م) أن هاجمت سرية من الجيش الحكومي معسكر المجاهدين المنطقة، ولم يكن هنالك في المعسكر سوى أربعة من المجاهدين، أنا وثلاثة من رفاقي، واستمر الاشتباك بين الجانبين خمس دقيقة، وعندما أصيب رفيقي ظننت أنّه استشهد، فتضرعت إلى المولى العلي القدير وصرخت يا الله أين الملائكة؟ أين النّصر؟ سمعنا صوت رصاصات من خلفنا تتجه نحو العدّو وصوت النّحل الكثير، وكذلك صوت الرّيح الشّديد، ممّا أدّى إلى انسحاب فكانت خسائرهم: سبعة من القتلى، وتسعة من الجرحى، وغنمنا رصاصات وبنادق.

٨- وقد أخبرني الأخ المجاهد (شعبان) أنّ أحد المجاهدين يدعى (روبن) حدّثه بأنّه وقعت اشتباكات دموية بين المجاهدي الجيش الحكومي من فصيلة واحدة، وذلك في نهر تابيران ببلدة (دينانج) بمحافظة (ماجي نداو) في عام (١٩٧٤م)، ا التماسيح في هذا النهر بعض أفراد الجيش فقتلت بعضهم، وقام الجيش بإطلاق النّار على التماسيح دون أن يصاب أحد من آثار الخوف والرّعب لدى أفراد الجيش ولاذوا بالفرار من ميدان المعركة.

٩- حدّثني الأخ المجاهد عبد الحق أنّه في عام (١٩٧٢م) كان الإخوان المجاهدون وعددهم ثلاثة عشر مقاتلاً يجتازون البحر على مركب مملوء بالأسلحة والذّخائر والأدوية، وهم في عودتهم إلى الفلبين، إذ لعب بهم البحر حتى انقلب عليهم المركب ففقدوه، فلم يكن معهم في البحر إلا برميل واحد فارغ، فتعلّقوا به حتى مكثوا في البحر ثمانية عشر يوماً بدون طعام ولا شراب، ولشدّة الجوع أكل بعضهم قطعاً من ملابسهم، وأكل بعضهم خشباً ليّناً من البحر يطفو، فبينما هم في هذه الحالة الحرجة اقتربت إليهم أسماك صغيرة يتناولونها بسهولة ويسر، وفي بعض هذه الأيّام حدث أن جاءهم جوز الهند مقطوعاً يطفو، وهطلت عليهم الأمطار الغزيرة فشربوا منها، وقد مات أربعة منهم غرقى في البحر، وكان الأخ (مابين) أحد النّاجين من الموت، يقول أنّه في يوم من هذه الأيّام في البحر إذ شعرت بضعف شديد حتى ظننت أنّي سأموت، فقلت لأصحابي: لعلّي أموت قريباً، إنّي ضعيف جداً ولا أرى إلاّ الظلام، فبينما هو في تلك الحالة إذ رأى نوراً، ثمّ رأى صورة أبيه -وقد توفي منذ زمن- عليه عمامة يمدّ يده إليه، ومن الغريب أنّ أحد أصحابه يُدعى (لافولاتو) قد رأى أيضاً هذا النّور وهذه الصّورة الغريبة، حتى حذّر الأخ (مابين) من أن يناوله يده، وقال له: إن ناولته يدك ستكون من الموتى، ثم أغمي عليه وعلى (مابين)، وفي اليوم الثامن عشر من وجودهم في البحر جاءتهم باخرة من كوريا وأنقذتهم من الغرق بفضل الله.

وأخيراً نبتهل إلى الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن ينصر الجهاد والمجاهدين، وأن يحفظ ثمرات الجهاد للأبرار، وأن يحرمها الطغاة والأشرار، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

بسم الله الرحمن الرحيم

نظراً للحاجة الملحة لوجود الفئة الرائدة القائدة التي تقوم بدور الإمامة والتوجيه فوق أرض المعركة، يبنون النفوس ويصقلون الأرواح ويجلون القلوب بآي الذكر الحكيم، وبالوحي الرباني الكريم، من خلال التوجيهات الإلهية والتوصيات النبوية الأمينة.

وبعد سقوط شهداء الجيل الذي فجر الجهاد بالأيدي المتوضئة والقلوب المضيئة بنور القرآن..

رأينا أنه لا بد من فتح عرين أسود الشراة يتولى هذه الفئة بالثقافة والتربية والتوعية والبناء، ففتحنا معهداً سميناه:

**(معهد الأنصار العالي)**

لعله يتحمل جزءاً من المسؤولية، ونرجو الله القبول[١].

**ملاحظة:** من أراد طبع الكتب فجزاه الله خيراً، بشرط أن يكون ريعه للجهاد الأفغاني.

*****************

# هذا الكتاب

يتكلم عن أخطر قضية إسلامية في هذا العصر ويبحث عدة مواضيع حساسة من بينها:

١- فضائل الجهاد والرباط والهجرة.

٢- مبررات الجهاد ودوافعه.

٣- واقع الجهاد الأفغاني الآن (مشاكله، عقباته، الحلول المقترحة).

٤- المؤامرات العالمية والمحلية ودور الدول المعادية والصديقة.

٥- الكرامات التي لا زالت أبرز ظاهرة في واقع الجهاد الأفغاني، والكرامات التي حصلت للعرب وللأفغان، وكرامات الجهاد الفلبيني كذلك.

ونأمل من الله عزوجل أن يؤدي الكتاب دوره في إيقاظ همم المسلمين واستثارة عزائمهم وتحريك نفوسهم تجاه الله وإزاء التاريخ الذي يسجل الأحداث.

---

١- قام هذا المعهد بدور كبير في تخريج أفواج من الشباب المتعلم والمثقف في دينه، وبعد استشهاد الشيخ عبد الله عزام استلم رئاسة مكتب الخدمات رجل غريب عن المكتب، عجيب في أمره، محيّر في تصرفاته، وكتب في مجلة الجهاد طعناً وشتماً للسواعد التي كان الشيخ -رحمه الله- يتكئ عليها في عمله، فخرّب العمل وأوقف امتداد المكتب ونشاطه، وأغلق معهد الأنصار وزعم أنه يريد نقله إلى كشميرا! ودمر جميع ما بناه الشهيد عزام من الأعمال والمؤسسات الجهادية وغيرها، وكان الرجل كان يقطر حقداً دفيناً على الشيخ الشهيد وعمله ولكن يخفي ذلك في تعاريج قلبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

# بشائر النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

## خطبة عيد الأضحى (١٤٠٨هـ)

# للشهيد عبد الله عزام[1]

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

**أيها الإخوة المؤمنون، أيها المسلمون:** هذا يوم النحر، هذا يوم الحج الأكبر، يوم يتقبل فيه الله الدعوات، يوم ترمى فيه الجمرات، يوم ينزل فيه نجيع التضحيات، فاقبلوا على الله عز وجل وأقبلوا على بعضكم، وتوادوا فيما بينكم ولتتصافى قلوبكم.

**يا أيها الإخوة:** هذا اليوم والذي يليه وبعده يومان إلى ثالث أيام التشريق يبقى التكبير في كل مكان، في الأسواق، في البيوت، -وخاصة بعد الصلوات المفروضة- يبقى التكبير بعد كل صلاة إلى عصر اليوم الثالث عشر من ذي الحجة.

ويبقى جواز النحر في هذه الأيام الأربعة، هذا اليوم والذي يليه والذي بعده... هذا الذي رجحه الشافعية، وإن كان الحنبلية قد قالوا: إن اليوم الثالث عشر لا نحر فيه ولا ذبح للأضاحي.

**يا أيها الإخوة الكرام:** تذكروا أن عدد الحجيج الآن حوالي مليون وثلاثمائة وخمسين ألفاً، فلو ضحى كل واحد منهم بهدي، لو قدم هدياً إلى الله عز وجل، فكل هذه التي قدموها دون الدماء التي قدمت لأفغانستان من أجل أن تصنع التاريخ الإسلامي.

وكلما تناولتم الحلوى أو أخذتم فاكهة أو أكلتم شريحة لحم تذكروا أن حولكم أناساً لا يجدون فتات الخبز ولا يجدون جلفة، ولا يجدون الإدام للخبز الجاف، فتذكروهم في هذا اليوم.

**يا أيها الإخوة:** كذلك لا تنسوا أن الإسلام (ونحن في يوم النحر يوم الأضاحي يوم التضحيات) يحتاج إلى بذل الكثير:

*ولا يبني الممالك كالضحايا ... ولا يدني الحقوق ولا يحق*
*ففي القتلى لأجيال حياة ... وللأسرى فدى لهم وعتق*
*وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق*

**يا أيها الإخوة:** الحمد لله رب العالمين، هذا أول عيد يشهد فيه المسلمون ولادة دولة إسلامية قامت على رؤوس الرماح[2].

هذا أول عيد يستبشر فيه المسلمون قامت فيه قائمة الإسلام.

هذا أول عيد نسمع فيه قيام مجد فوق بحور الدماء، صنعت لبناته من العظام والأشلاء.

هذه الدولة كما يقول عنها أبو الطيب:

*أغلى الممالك ما يبنى على الأسل ... والطعن عند محبيهن كالعسل*
*أيملك الملك والأسياف ظامئة ... والطير جائعة لحم على وضم*

**يا أيها الإخوة:** يا من تريدون أن تتحرروا من القيود.. يا من تريدون أن تحطموا الأغلال التي ترسف فيها أرجل العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ومن شرقه إلى غربه، هذا نموذج أمامكم بأن الدماء هي التي تصنع الأحياء... بأن القتال وميدان النزال هو الذي يبني الممالك ويصنع الأمجاد.

أيها الإخوة: هذا يوم يجب أن تتذكروا فيه أن العالم كله قد أجمع أمره وصوب سهامه كلها تجاه هذه الدولة الإسلامية الوليدة... تعاهدوا وتقاسموا بينهم أن لا يقوم للإسلام قائمة منذ بداية هذا القرن، ومنذ أن أطاحوا بهذا العرش الأثيل، الذي مكث ثلاثة عشر قرناً، منارة سامقة لكل العالم الإسلامي.

ولكن هيهات هيهات، إنهم يريدونها تجربة جزائرية يأتون فيها برجل صنعته فرنسا لتقيم دولة اشتراكية شعبية، ليس فيها اسم

١- هذه الخطبة مكررة في أشرطة الشيخ، إلا أن الشيخ -رحمه الله- وضعها هنا مع شيء من التنقيح

٢- هذه الحكومة هي حكومة أحمد شاه زي (حكومة المجاهدين المؤقتة التي شكلت في باكستان).

إنهم يريدونها أن تكون جاهلية أفغانية ليس للإسلام فيها رائحة.

إنهم يريدون أن يثيروا قمامة الجاهلية التي قال عنها رسول الله ﷺ: {دعوها فإنها منتنة}.

ولذا فإنهم يريدون أن يفرضوا الآن على الشعب الأفغاني إنساناً من صنائع الغرب، صنعوه وراء كواليسهم وتربى على أعينهم هؤلاء الأمريكان السمر، أسماؤهم أسماء الأفغان وعقولهم عقول أنطون وريغن وميتران.

هؤلاء يريدون أن يفرضوا الآن باسم الدولة الإلحادية التي يسمونها ظلماً وزوراً (دولة حيادية)، ليس في الإسلام حياد.. إنما كفر وإما إسلام، إما إيمان وإما شر وباطل.

نحن نعلم أن هؤلاء ما قدموا قطرة عرق واحدة ولا قدموا ظفراً واحداً، لم نر نجيعهم سفك... لم نر أسرهم تمزقت... لم بيوتهم تهدمت... لم نر أبناءهم يشوهون.

هؤلاء الغربيون -كردفيس وما إلى ذلك- هؤلاء ذاهبون عائدون، والعالم كله صامت صمت القبور إزاء هذه الدولة الوليدة، لأن الغرب قد أبى أن يرى للإسلام قائمة في الأرض، لأن القرارات يجب أن تصنع من خلال البيوت البيض والحمر لا من خلال صفائح البيض والسمر!!.

إننا فهمنا من خلال اللغة التي تعامل بها الأفغان -لغة البيض والسمر، لغة السيوف والرماح- أن هذه اللغة هي الوحيدة التي تستطيع أن تسمع كل البيض والحمر في العالم.

والأفغان علمونا -بإسلامهم وبتوكلهم على الله عز وجل- أن نقول كما قالوا:

*دع المداد وسطر بالدم القاني ... وأسكت الفم وانطق بالفم الثاني*

*فم المدافع في وجه الطغاة له ... من الفصاحة ما يزري بسحبان*

**هؤلاء علمونا:**

*إن ألفي قذيفة من كلام ... لا تساوي قذيفة من حديد*

**أيها الإخوة:** هذا نموذج حي... هذه تجربة رائدة بعدما وصلت الأمة الإسلامية إلى حافة الهاوية.. بعد أن جفت عروقها من النجيع... بعد أن وقف قلبها عن النبض... بعد أن وقف جهازها عن التنفس.

الله عز وجل أخرج لها هذا الشعب، تجربة حية فريدة فذة غالية في الآفاق تقول للمسلمين: هذه شاهدة أمامكم، أقوى قوة في الأرض أمام أضعف شعب مسلم في الأرض، يخوض هذا الشعب لعشر سنوات متواصلة حرباً طاحنة ضروساً وقتالاً مريراً لم يتوقف لحظة.

إن القتال عبر عشر سنوات مرت بها أفغانستان كالطواف بالكعبة تماماً، فكما أن الطواف بالكعبة لم يتوقف طوال هذه السنوات العشر لحظة واحدة، كذلك الجهاد في أفغانستان لم يتوقف لحظة.

ومع ذلك لو خاضت روسيا حرباً ضد ألمانيا أو ضد فرنسا أو ضد بريطانيا، كم ستقف أمامها هذه الدول؟ هل تقف أمامها أسبوعاً واحداً؟!! ومع ذلك وقف هذا الشعب باعتماده على ربه، وبتوكله على خالقه، وبانطلاقه من بين طيات كتابه.. وقف شامخ الرأس عالي الهمة، لا يطأطئ رأساً ولا عنقاً إلا لخالقه، ولا يذل إلا لبارئه، فأثبت للدنيا كلها أن الإسلام أقوى من الأرض كلها، وأثبت أن المسلم أعز إنسان فوق هذه المعمورة.

والله أيها الإخوة عندما أرى هذا المثال الحي... هذه التجارب الضخام... هذه المعارك العظام التي دارت فوق ذرى الهندوكوش، وفوق سفوح جبال سليمان، وعلى أحواض هاري رود والهلمند وجيحون، لا يكاد المرء يصدق أن هذا كان وقائع حية تسري وتجري فوق هذه الأرض، ويظنه ضرباً من الخيال تدركه الأشواق وتقصر دونه الأفعال.

أيها الإخوة: إن التوكل على الله عز وجل يصنع الأعاجيب ويقيم المعجزات ويحدث في عالم الأرض ما لم يحدثه أي شيء آخر، ونحن لا بد لنا أن ننشد هذه الأبيات لهذا الشعب الكريم:

وصن الحسام ولا تذله فإنه | يشكو يمينك والجماجم تشهد
جف النجيع عليه وهو مجرد | من غمده فكأنما هو مغمد
ريان لو قذف الذي أسقيته | لجرى من المهجات بحر مزبد
ما شاركته منية في مهجة | إلا وشفرته على يدها يد
يأتيك مرتدياً بأحمر من دم | ذهبت بخضرته الكلى والأكبد

**يا أيها الإخوة:** هذا الشعب الكريم له فضل بعد رب العالمين على كل مسلم في الأرض... هذا الشعب المسلم العظيم... هذا الشعب المسلم الكريم له منّة في عنق كل مسلم -إن كان في رأسه مسكة من عقل-، أما الذين لا يعلمون ناموس رب العالمين، فإن كانوا جهلة مع إخلاص فنرجو الله أن يغفر لهم، وإن كانوا مغرضين حاقدين فلنسمع قانون رب العالمين وناموسه في مثل هذا الغثاء
**(فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).**

**(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال).** (الرعد:١٧)

**(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)** (إبراهيم:٢٤-٢٧)

إن الذين لا يعرفون سنن الله في المجتمعات، ولا يدركون كيف تدول الدول وكيف تتغير الأمم، هؤلاء لا يدركون قيمة الأفغان في واقع الأرض.

وأعداء الله -للأسف- يدركون أعماق هذه التجربة وأبعادها أكثر منا، فيهولهم أمرهم، وترتعد فرائص العالم كله.

إن الرعب ليجري في دمائهم، وترتعد له أبدانهم، وترتعش له أعضاؤهم.

إنهم يدركون جيداً، ومن هنا يصرح راجيف غاندي: إن قيام دولة دينية في أفغانستان خطر على المنطقة كلها.

نعم.. إنه خطر على المنطقة كلها لأنهم يدركون من هم الأفغان.

إن أحمد شاه بابا -ولسبع مرات- قد قرع أبوب دلهي، وقد كانت هذه بيشاور عاصمته الشتوية، وكانت لاهور تحكم من قبل ابن تيمورلنك.

وكم قتل من السيخ هنا على أبوب بيشاور؟ وأما الهندوس فقد قتل منهم ما يزيد على عدد جيش أحمد شاه بابا على أبوب دلهي.

وأحمد شاه هذا كان يستثير القبائل الإسلامية من قندهار، يجري بها ويمشي حتى يمر من هذه المنطقة، وكانت بلوشستان كلها تابعة له... هذا سنة (١٧٤٧م).

وكان حكمه يمتد من بحر العرب جنوباً -حيث كانت كل منطقة بلوشستان تابعة له، ومن مملكته- إلى بخارى شمالاً، ومن كشمير ودلهي شرقاً إلى مشهد ونيسابور غرباً، وكان شرق إيران تابعاً لأحمد شاه هذا.

إنهم لا يريدون دولة إسلامية... إنهم لا يريدون دولة أصولية... إنهم يريدونها دولة معتدلة... لا يريدونها أصولية، لا يريدون الأصوليين الذين يرجعون إلى الكتاب والسنة... الذين تصدر القرارات من عقولهم... الذين تصنع سواعدهم وعزائمهم إرادتهم ووقائعهم.

إنهم يريدون أن يصدر القرار من رأس ريغان أو رأس غورباتشوف باسم الأمم المتحدة وباسم مجلس الأمن.

**أيها الإخوة:**

أفلا يأتي يوم نحيا | فيه حياة إسلامية
يهتف كل الكون يغني | لا شرقية ولا غربية

إسلامية إسلامية

المسلم فقط هو المحروم من حق الحياة... فقط المسلمون هم الذين يذبحون في مشارق الأرض ومغاربها... فقط المسلمون، الذين يقدمون كالشياة قرابين رخيصة على مسالخ ومذابح شهوات هؤلاء الغربيين.

كلما رأوا نفساً في المنطقة أخمدوها وسلطوا عليها أبناء أمتنا، ليضربوها تلك الضربات التي تكال لطلائع البعث الإسلامي في كل مكان، وبالسجن وبالإبادة والقمع تقمع أي حركة إسلامية.

والآن وقد نجحت الحركة الإسلامية الأفغانية لم يعودوا يستطيعون أن يرجعوها إلى القمقم مرة أخرى.

لقد تحرك المارد وانطلق من القُمقُم ولا مجال لإرجاعه مرة أخرى، لا سلطة لأمريكا ولا سلطة لمجلس الأمن، لا سلطة للغرب ولا سلطة لأحد.

إنهم يرتعشون فعلاً، لقد جسوا نبض هؤلاء وعجموا عيدانهم فوجدوها صلبة المكسر وليست لينة المعصر، حاولوا أن يحتووهم... جربوا تربيتهم على الموائد الأمريكية ولكنهم فشلوا.

لقد رد سياف القنصل الأمريكي بعد أن وصل أعتابه، قالوا: يريد أن يقابلك، فقال: ليس عندي فراغ الآن وأنا مشغول الآن ورجع على أعقابه خاسراً يجر أذيال الخيبة والخسران.

لقد رفض حكمتيار أن يقابل ريغان -وفي داخل أمريكا-.

ويتعجب السفير الباكستاني قائلاً له: أنت مجنون!! هذا ريغان سيد الأرض، ستون ملكاً ورئيساً على قائمة ريغان ويرفض مقابلتهم ويؤخرها وأنت الفقير يطلب مقابلتك بنفسه وترفض؟! فقال: نعم.. وإن أصررتم فسأغادر أمريكا الآن.

ولقد رأيت بنفسي الخطاب الموجه من الكونجرس الأمريكي لمحمد ياسر وحكمتيار، صورة رائعة: يقول الخطاب: بما أنك شعب ضرب المثال الرائع الحي للشعوب التي تريد أن تحطم القيود وتتحرر، فنتشرف بدعوتكم لتلتقوا بالكونجرس الأمريكي مساء (١٠/٢٩) أكتوبر (١٩٨٥م).

فقالوا: إن الكونجرس وجه آخر لريغان، ورفضوا أن يقابلوا الكونجرس.

لماذا يدعونهم للبيت الأبيض: لتؤخذ صورهم وليقال للعالم هذا هو الجهاد الذي يسمونه إسلامياً... هذا عبارة عن لعبة من (CIA) التي تلعب بالعالم كما شاءت.

ويونس خالص الذي رفض أن يقابل كوردفيز، وبعد أن ألح كوردفيز ويونس خالص يرفض -مع أنه رجل في السبعين من عمره- توسط ضياء الحق واتصل بيونس خالص، فقال: إن لم تأت لتقابله فسأتي به إلى بيتك في بيشاور، قال: سأقابله من أجلك لأنك رجل طيب واقف معنا، وقابله وقال له: يا كوردفيز أنا لم أقابلك من أجلك، قابلتك من أجل ضياء الحق، وأنا أنصحك أن تدخل الإسلام[1].

والشيخ رباني قابل ريغان، وتكتب الصحف بالخط العريض: لأول مرة في الأرض وفد يقول في وجه ريغان لا... يقول له ريغان: هل وصلتكم الأسلحة؟ فيجيب الأستاذ رباني إجابة لاذعة وبسخرية عميقة: إننا ننقل أسلحتنا على البغال والحمير عبر أفغانستان، ولعل أسلحتكم على البغال الأمريكية لم تصل حتى الآن.

يا أيها الإخوة: يا أيها الأحبة.. هذا النصر الذي منّ الله به على الأمة الإسلامية لا يجوز أن نفرط فيه بسهولة.

يريدون أن يعتموا عليه ويلقوا عليه الظلال، وكم حاولوا -من خلال صواريخ ستينجر ومن خلال الـ (CIA) ومن خلال عرض التلفاز الأمريكي- القول أن مساعدتنا للجهاد الأفغاني كذا وكذا سنوياً أو يومياً، وما إلى ذلك حتى يصيبوا مقتلاً من عقيدة التوحيد التي أحياها الجهاد الأفغاني في قلوب الأمة الإسلامية، حتى يهدموا عقيدة التوكل على رب العالمين، التي نزعوها منذ قرون وأعادها الشعب الأفغاني بفضل الله.

خلال عقد واحد أعاد التوكل على الله في قلب كل مسلم، ولذلك عندما رأى القذافي أن نهاية الممالك الظالمة والقادة المتغطرسين الذين يتناسون مشاعر الشعب ولا ينظرون إلى إرادتهم.... عندما رأى نجيب الله يصدر قراراً -الضحك عليه أكثر من البكاء وإنه

١- في ندوة أقيمت بمعهد المسجد التابع لرابطة العالم الإسلامي سئل يونس خالص: لماذا قابلت ريغان؟ فقال: والله لم أقابله إلا خشية أن يقول غداً أمام الله إن أحداً من المسلمين لم يدعه إلى الإسلام، وأول ما قابلته دعوته إلى الإسلام فتلعثم ولم يجب، وحاول أن يتهرب من الموضوع بأسئلة أخرى بعيدة.

ضحك كالبكا- يخرج مرسوماً جمهورياً من رئيس الجمهورية الشيوعي: من تأخر عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته.

وكم تضحك وأنت ترى الشيوعيين يحملون العصي في شوارع كابل، كلما نادى المؤذن يسوقون الناس بالعصي إلى داخل المسجد.

هؤلاء الشيوعيون الذين فهموا لغة البيض والسمر... فهموا لغة الصفائح والقنا... فهموا لغة المثقف والحسام... فهموا لغة القذائف والدروع... فهموا لغة الرصاص.

هؤلاء أدركوا واستيقظوا، ولا يوقظ الأمم مثل قعقعة الرصاص، ومثل الدم الحار المدرار، ومثل الشهداء والجرحى على طول الطريق، وأن لنا أن ننشد للشعب الأفغاني:

| | |
|---|---|
| *قعد الناس كلهم عن مساعيك* | *وقامت بها القنا والنصول* |
| *ليس من عنده تدار المنايا* | *كالذي عنده تدق الطبول* |
| *أنت طول الحياة للروس غاز* | *فمتى الوعد أن يكون القفول* |

**يا أيها الإخوة:** عندما رأى القذافي نجيباً يفعل هذا، وعندما رأى أن الضباط الروس يبيعون الضباط الشيوعيين الأفغان، وكم يهزك موقف أن ترى دبابتين من دبابات الروس واقفتين، وأمامهم المجاهدون بصواريخهم لا يطلقون طلقة، والناس واقفون لا تسمع لهم ركزاً، ماذا ينتظرون؟ ينتظرون الروس وقد باعوا أحد الضباط الشيوعيين الأفغان بسبعة آلاف روبية باكستانية.

**يا أيها الإخوة:** لذا فكر القذافي أن الدائرة ستدور عليه، فلا بد أن أبدأ أنا بالثورة قبل أن يثار عليّ، فركب البلدوزر وذهب إلى السجن وأخرج المساجين وبدأ يفتح الأبواب ويرجع الناس ويفرق السجلات، وسيتبعه حافظ الأسد والطغاة في العالم، لأن لغة البيض والسمر أيقظت البيض والسمر... لغة الأفغان، لغة السيوف والرماح أيقظت الناس في كل ساح.

يا أيها الإخوة: لا يجوز أن نفرط بهذا النصر بعد أن وصلنا إليه، وقد من الله به على هذه الأمة، وسيكون له تبع **(ولتعلمن نبأه بعد حين)**.

إنها بداية التاريخ الإسلامي والله أعلم.

إن التاريخ الإسلامي بدأ في الصعود، والناس الذين نسمع أصوات تكبيرهم الآن في الأرض المباركة في بيت المقدس، ما هي إلا أصداء لما يجري في داخل أفغانستان المسلمة، وما نسمعه في داخل أذربيجان، إن هي إلا تحركات بعد أن رأوا شعب أفغانستان قد وقف هذه الوقفة.

وكما قال شاليزي صانع الأفلام في بيشاور -الأفلام عن أفغانستان- قال: إن الجهاد الأفغاني هو أول مسمار في نعش الإمبراطورية الروسية، وستتقوض روسيا بإذن الله عما قريب، ولا أظن الأمر يطول أكثر من عقدين ونصف... لا أظن أن روسيا تحتمل أكثر من خمسة وعشرين عاماً -والله أعلم- فهذا علم الغيب.

**(عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً)** (الجن:٢٦)

لكنها السُّنَّة التي نراها تجري، ولكنها الدول التي نراها تزول، فإذا أردتم أن تدول لكم الدول وترفعوا حقكم وتقيموا إسلامكم وتبنوا أمجادكم، فلا بد أن تضحوا كما ضحوا، والذين يريدون أن ينصروا الإسلام من خلال الأقلام أو من خلال المطالعات في الكتب، هؤلاء لعلهم يسمعون:

| | |
|---|---|
| *حتى رجعت وأقلامي قوائل لي* | *المجد للسيف ليس المجد للقلم* |
| *فإن كانت الدولات قسماً فإنها* | *لمن ورد الموت الزؤام تدول* |
| *لمن هون الدنيا على النفس ساعة* | *وللبيض في هام الكماة صليل* |

أروني عالماً واحداً يحكم العالم الإسلامي.

لقد تتبعت التاريخ وما رأيت أحداً حكم إلا بالسيف.

ما رأيت عالماً انتخب من شعب، أنظر الآن وقبل الآن الأتراك العثمانيون... السلاجقة... المماليك... الغزنويون... أحمد شاه

بابا، كلهم شبه أميين إن لم يكونوا أميين.

وقد حكمت تركيا الأمة الإسلامية خمسة قرون متواصلة وأوروبا تخضع لها.

ويكتبون عن الإنجليزي والفرنسي، عندما يموتون في داخل الدولة العثمانية (فطس الكافر).

لذلك كله يقولون كما قال توينبي: إن من المؤكد أننا لم نكن نحب التركي التقليدي المسلم المتحمس، الذي كان يثير حنقنا عندما ينظر إلينا من أعلى على أننا زناديق... حاولنا أن نحط من كبريائه إلى أن استطعنا أخيراً أن نحطم سلاحه النفسي، وحرضناه على القيام بهذه الثورة التي استهلكها الآن أمام أعيننا، والآن وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا، وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة لجعل نفسه مماثلاً لنا وللشعوب الغربية من حوله... الآن نحن نحس بالضيق والحرج... بل ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق.

والتركي أن يردد: لقد نفخنا معكم في القرب فلم ترقصوا وحزنا فلم تبكوا.

لقد حقق الله في هذا الجهاد انتصارات عجيبة، ما كانت في خيالنا حتى في الرؤى والأحلام، وما مرت على العالم الإسلامي خلال ثلاثة قرون، فلا يجوز أن نفرط بها -خاصة نحن الذين شرفنا الله بخدمة هذا الجهاد المبارك والذي نرجو الله عز وجل أن يلحقنا فيه بالشهداء، ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص والاستقامة-. وأنتم تعلمون أن للشهيد عند ربه سبع خصال: **{يغفر له عند أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع بسبعين من أهل بيته}** [1] .

**يا أيها الإخوة:** الشعب الفلسطيني ينتظرنا كذلك، والمسلمون في كثير من أرجاء الأرض مظلومون مضطهدون، يجتث الإسلام بيد من يسمون بأسمائه، ويقتلع من جذوره على يد من يحملون بشرة سكانه، ومع ذلك فهم ألد عليه من أعدى أعدائه

**يا أيها الإخوة:** إن الإسلام ينتظرنا في كل مكان، وحق على كل مسلم إذا أراد العزة في الدنيا، وإذا أراد أن يقيم دين الله في الأرض، وإذا أراد أن يغرس التوحيد في المعمورة، فلا بد له من استعمال السيف والنار... لسنا شاكين في قول الصادق المصدوق: **{بعثت بالسيف بين يدي الساعة}**، لماذا؟ **{حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي}**.

فالرزق ليس من خلال الخطط الخمسية والعشرية، الرزق كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمجاهدين الذين فتحوا بيت المقدس، ووصلوا أرض الحولة، واستقروا قليلاً، وزرعوا أرضها بسمراء الشام (حنطة الشام)، أرسل إليهم من يحرق زروعهم ثم قال له بلغهم هذه الرسالة: إذا تركتم الجهاد واشتغلتم بالزرع، ضربت عليكم الجزية وعاملتكم معاملة أهل الكتاب... إنما أقواتكم مما تأخذون من أفواه أعدائكم.

فهل أنتم معتبرون ومتعظون؟ أم لا زلتم تنتظرون الأمم المتحدة حتى ترجع لكم الأقصى، وحتى تعيد لكم الأرض المباركة؟!!

ألا هل بلغت اللهم فاشهد، ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

## الخطبة الثانية:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً.

الحمد لله الذي منّ على عباده بالنصر.. الحمد لله الذي من على عباده بأداء المناسك والعبادات... الحمد لله الذي من على جنده بالعزة... الحمد لله الذي أوصلنا إلى مستوى لم نكن -والله أيها الإخوة في العام الماضي- نحلم حلماً أن نصل خلال عام إلى هذا المستوى.

وبعد أن أطبق العالم كله لكي يقنع الناس أن الجهاد الأفغاني قد انتهى، حتى تكف أيديهم عن البذل، وحتى تقلع مشاعرهم عن المشاركة، وحتى تكف قلوبهم عن أن تطير فرحاً مع هؤلاء.

إن التلفاز في العالم العربي والصحف وغيرها تردد ما يردده سادتهم في الغرب، كالببغاوات كما قال شوقي:

جرب البهتان فيه وانطلى الزور عليه ... ياله من ببغاء عقله في أذنيه

هؤلاء يرددون ما يردده سادتهم -الغرب-، وهم يريدون أن يمنعوا كل يد تمتد لهؤلاء بالمساعدة، ولكل من جاء ليشارك في

---

[1] حسن رواه الترمذي-.

مسيرة العز والمجد وليؤدي فريضة الجهاد.

وقد أعنا كثيراً أن الجهاد في أفغانستان فرض عين وفي فلسطين وفي كل أرض تستطيع استعمال السلاح فيه، ليس في أفغانستان فحسب... بل الجهاد فرض عين على كل مسلم يستطيع حمل السلاح في كل أرض كانت تتظل بالإسلام ثم اغتصبها الكفار.

وهذا إجماع السلف والخلف من الأصوليين والمحدثين والمفسرين والفقهاء، لم أر كتاباً تعرض للجهاد إلا ونص على هذه القاعدة، والخروج إلى الجهاد إذا كان فرض عين -كما هو الآن- لا استئذان من أحد من العالمين، لأن القاعدة الشرعية: لا استئذان في فروض الأعيان... يخرج الولد دون إذن والده والمدين دون إذن دائنه، والمرأة -إذا كان معها محرم واستطاعت أن تشارك في الجهاد- دون إذن زوجها.

**أيها الإخوة.. أيها الأحبة:** وفرض العين لا ينتهي في أفغانستان بانتصارها، بل ويبقى الجهاد فرض عين حتى تعود آخر بقعة كانت إسلامية إلى يد المسلمين، وتحكم بالإسلام مرة أخرى، فأمامنا فلسطين وبخارى ولبنان وتشاد وأرتيريا والصومال والفلبين وبورما واليمن الجنوبية الشعبية وغيرها (عُدّ ما استطعت) طشقند، الأندلس،... كل هذه يجب أن نعيدها حتى يسقط إثم فرض العين من أعناقنا، وما لم تعد الأمة الإسلامية كُل هذه البقاع فهي آثمة، وإثم الجيل الذي يواكب القضية الحية أعظم من الأجيال التي تأتي بعده، فإثم جيلنا في تفريطه في أفغانستان... في تفريطه في فلسطين، أعظم من الأجيال التي تأتي بعدنا، لأنه يواكب القضية وعاشها وهو قاعد... ومن بعيد إذا جئت تحدثه عن أفغانستان فليس لديه وقت أن يستمع قصص الذين صنعوا مجدهم فوق الجوزاء، وأقاموا عزمهم فوق عنان السماء وعلى بحور الدماء، وعلى تلال الأشلا وعلى جبال الشهداء.

ليس عنده وقت.. إنه مشغول، وقد فتح له الشيطان مائة باب من أبواب الدنيا... كيف يترك الوظيفة؟ وكيف يترك أمجادها، والجامعة تنتظره، وهو على ثغرة من ثغر الإسلام..!! إياك أن تذهب للجهاد!!.

ولتعلموا أن الحكم الشرعي فيمن قال لأحد أنصحك أن لا تذهب للجهاد تماماً -والله إن لم يكن أشد كما أعتقد- فلا يقل إثماً عن الذي ينصح الشاب القوي الصحيح المقيم في بيته أن يفطر في رمضان، عامداً متعمداً بدون أي عذر.

**يا أيها الإخوة:** الجهاد ماض رغم أنوف المعارضين أجمعين... الله تكفل به... ماض إلى أن يخرج الدجال... ماض لا يبطله جور جائر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

**[لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك].**

قال لي أحدهم: قال بعض المشايخ أو بعض العلماء: أن الجهاد فرض كفاية، وبعضهم ينصح بعدم الذهاب إلى أفغانستان وبعضهم يرى أن العلم أفضل من الجهاد الآن، وأنا قلت له: إن الله فتح باب الجهاد، وسال سيل الجرد الأبابيل، وجاءت العتاق تحمل الفرسان من كل مكان.

والله الآن لو أفتوا بحرمة الجهاد في أفغانستان لن يستطيعوا أن يوقفوا هذا السيل، فليفتوا كما يشاءون وأمرهم بينهم وبين رب العالمين، ونحن نظن الخير والصدق والإخلاص في كثير من مشايخنا وعلمائنا، لكنهم نقول معتذرين مع احترامنا للمشايخ في كل مكان- لو رأوا ما رأينا لأفتوا بما أفتينا، ولو علموا ما علمنا من واقع الأمر في أفغانستان لما وسعهم إلا أن يقولوا كما قلنا.

**يا أيها الإخوة:** تفقدوا إخوانكم المهاجرين... روحوا عن قلوبكم بفترات تجلي الصدأ عن قلوبكم بين الأحياء، لتجلي قلوبكم مرة أخرى.

أزيلوا الصدأ في صدى، وفي أي مكان يعدكم لدخول إلى أن تعيشوا مع هؤلاء الذين رفعوا رؤوسهم عالياً ورفع الله بهم رأس كل مسلم في الأرض.

**يا أيها الإخوة:** لا تنسوا كذلك أن الله شرفكم بخدمة الجهاد في هذه البلاد، فإياكم إياكم أن تبطلوا أعمالكم وأن تحبطوا أجوركم، وأن تعملوا ألسنتكم ضد شعب أعز الله به الأمة الإسلامية في كل مكان.

إياكم إياكم... احفظوا عليكم ألسنتكم، وحافظوا على أجوركم، ولا تتبعوا ...

رابعة النهار.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد      وينكر الفم طعم الماء من سقم[1]

**يا أيها الإخوة:** إن أفغانستان هي بداية الصعود في الخط البياني للعالم الإسلامي أجمع، وسيتغير التاريخ بإذن الله، وكما نظ ونرجو الله أن لا يخلف ظنوننا ... سيتغير التاريخ.

مراراً غير التاريخ أناس خرجوا من هذه البقعة: الخوارزميون والتتار من هذه البقعة، والغزنويون من هذه البقعة، والأفغا من هذه البقعة. **(ولتعلمن نبأه بعد حين).**

**أيها الإخوة:** شرفكم الله أن تكونوا طلائع أقوامكم فكونوا لسان صدق للجهاد... كونوا لسان صدق ولا تكونوا مخذلين و مثبطين ولا معوقين:

**(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير)** (الأحزاب١٨-١٩)

كلمة خير لا يخرجونها، محرومون من الكلمة الطيبة.

**(أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)** (المائدة:٤١)

مساكين.. محرومون من الأجر الذين لا يدركون كيف تسير المجتمعات، وكيف تتغير الأمم.

**يا أيها الإخوة:** يا أيها الأحبة، كونوا لسان صدق للجهاد، ولا تعوقوا ولا تعطلوا ولا تثبطوا، وبعض الناس يقولون: أنا بدل أ أقوم مع هذا الشعب الجاهل، أنا ذاهب إلى بلادي وأصلحها، ولا يمكن أن يقوم الحكم الإسلامي في أفغانستان على يد هؤلاء البدا الجبليين الأميين!!

ويسأل الواحد: هل تظن أن دولة إسلامية ستكون في أفغانستان؟ فقلت له: أين طار لبك؟ أم أين ذهب عقلك؟ حافظ أسد والقذافي يحكمون دولاً، وهم لا يحملون إلا التوجيهي أو معهم الثانوية العامة..!! سياف وحكمتيار ورباني وخالص لا يستطيعون حكم شعب حكموه في أشد ساعات الحرج وأحلك ساعات الظلام!! أين أنت؟

إذا كان هؤلاء الجاهليون الذين لا يؤيدهم الله استطاعوا أن يحكموا شعوبهم، أفلا يستطيع هؤلاء المسلمون -الذين انتزعو قيادتهم وإعجابهم من خلال خوض الدماء، ومن خلال تخويضهم في لب الصناديد وفي ماء رقابهم وفي نجيع قلوبهم- أين أنت؟!!

العالم الإسلامي مليء بالطاقات، عندما يمسكون الحكم ينادون، وخلال سنتين من خلال وزارة الإعلام ووزارة الأوقاف والصحف والمجلات، يبتون شعباً أكثر ثقافة بالإسلام من أي شعب من شعوب الأرض كلها.

ولذلك الإسلام -إن شاء الله- قادم، والإسلام سينتصر، وأنتم كونوا لسان صدق لإخوانكم الذين فسحوا لكم المجال، وفتحو لكم باب عبادة الجهاد وفريضة القتال، وقد لمّ الله جمعكم لتكونوا طلائع بعث لأممكم.

**(إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين)** (الشعراء:٥١)

فالله عز وجل يكتب لكم أجر كل مسلم في الأرض، ممن تأثر بكم ممن سبقتموه على هذا الطريق، فلا تضيعوا أجوركم.

والشيء الثالث: أنتم هنا جئتم لخدمة هذا الجهاد الإسلامي في أفغانستان، فلا تشتغلوا بغيره.

اشتغلوا بخدمة الجهاد.. اشتغلوا بعبادة رب العالمين، من خلال هذا الجهاد، وإياكم أن تحمل قلوبكم على بعضكم البعض.

وهذا اليوم يوم عيد، وهو يوم التصافي ويوم التسامح ويوم المحبة ويوم المودة، فاقبلوا على بعضكم وتناسوا الضغائن، إذ كانت موجودة إن كان قد زرعها الشيطان في قلوبكم.

**(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون)** (المؤمنون:٩٧-٩٨)

والسنة كذلك -في مثل هذا اليوم- أن تضحوا الأضاحي بعد الصلاة وفي النهار ولا تضحوا في الليل -يبدأ الذبح بعد

---

١- يقصد الشيخ من ذلك لا تطعنوا بالجهاد والمجاهدين ولا تنكروا خير هذا الجهاد ربما قبله في واقع الحياة.

الصلاة-.

ومن المستحسن أن تأكلوا ثلثها، وتتصدقوا بثلثها، وتهدوا لأصدقائكم وأحبابكم من الأغنياء -ولو كانوا أغنياء ثلث من أرحامكم-.

وكذلك تتصدقون على الفقراء بالثلث الثالث، وكلما زادت الصدقة كلما كان لكم فضل وأجر عند الله رب العالمين.

وأما غداً فيبدأ الذبح بعد صلاة الفجر، ولا تنسوا التهليل والتكبير في هذه الأيام، كما قال ﷺ عن أيام التشريق **(أنها أيام أكل وشرب وذكر)**.

ولا تنسوا التكبير بعد كل صلاة، سواء كنتم منفردين أو كنتم جماعة، والنساء كذلك يكبرون -إن كن في جماعة-، ولكن لا يرفعن أصواتهن.

- وكذلك أيها الإخوة لا تنسوا زيارة بعضكم بعضاً، وحاول زيارة من استطعت من إخوانك حتى تدخل السرور على قلوب المسلمين.

ولا تنسوا المخيمات التي حولكم، ومن سنة رسول الله ﷺ أن يصافح بعضكم بعضاً في هذا اليوم، كما كان الصحابة يفعلون ويقولون لبعضهم البعض، يتقبل الله منا ومنكم عبادتكم وجهادكم ورباطكم وإعدادكم، وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم واهدهم سبل السلام.

اللهم لا تمر هذا العام إلا ونحن نرى رايات النصر في كل أفغانستان، اللهم اشرح صدور المؤمنين وفرح قلوب الموحدين برؤية راية التوحيد، عالية خفاقة فوق أرض أفغانستان وبلاد الإسلام.

اللهم انصر المجاهدين في المسجد الأقصى وفي فلسطين وفي الأرض المباركة وفي لبنان وفي الفلبين وفي بورما وفي تشاد وفي أرتيريا وفي الصومال وفي اليمن وفي كل مكان تشهر فيه السيوف ابتغاء مرضاتك ومن أجل ثوابك.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم ارفع راية الإسلام وحكم دولة القرآن واجعلنا من جنود القرآن.

**(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)** (الصافات:١٨٠-١٨٢)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك[1].

# رحل رجل المرحلة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

حول المذياع وأمام كهف من الكهوف في منطقة كابل، والطيران لا يكاد يهدأ ليلاً أو نهاراً -هلعاً من المجاهدين وفزعاً من جحافلهم التي تحيط بكابل إحاطة السوار بالمعصم-، وأبو البراء يبحث عن إذاعة بلغة عربية للاستماع إلى آخر التطورات، وإذا بإذاعة بالفارسية، فاقبل القائد محمد صديق جكري القائد في (خورد كابل)، فصاح وقد التقط بعض الكلمات: قتل ضياء الحق.

فنزلت الكلمات كالصاعقة على قلوبنا، ولكن بقيت خيوط أمل أن الخبر لم يكن يقيناً، وودنا والله لو لم يصدق الخبر، وعندما أيقنا بالنبأ قلت: اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منه.

وسرى النبأ بين المجاهدين كالنعي في يوم عرس، والمجاهدون أكثر من غيرهم يعلمون من هو ضياء الحق، فلم يكن ضياء في حياتهم رئيساً ولا مضيفاً ولا مجاهداً فحسب، ولكنه كان خلاً وفياً وأخاً حميماً وقطب الرحى في أعظم قضية إسلامية ملأت الدنيا

[1]- حذف موضوع (من الدعوة إلى الدولة) بسبب تكراره في مجلد (في خضم المعركة)(ص٢٦٤)

وشغلت الناس.

ولا أبالغ إن قلت: إن حزن بعض القادة عليه حزن من ذبح وليدها في حجرها.

وقبل أن أبدأ أقول: إن مقالتي هذه للذين عاشوا هذه المرحلة الخطيرة بآلامها وآمالها وبحرارتها ومرارتها وحلاوتها.. للذين احترقت أعصابهم وهي تحاول شق طريق تداعت عليه أمواج البلاد من كل الأنحاء... أكتبها للذين عاشوا حياة جهادية عملية يدركو أكثر من غيرهم صعوبة اجتياز العقبات بين فكي الموت، ووعورة السير في طريق مرير وأحجار الرحى تطحن حياتهم وأعصابهم وشرايينهم... أكتبها للذين تقلبوا بين أهوال الحرب، وتكبدوا مشقة الحياة بين سماء تمطر حمماً، وأرض تفجر براكين، وجبال تنهلم بوابل رصاصها، وآذان تصك بقعقعة الأعنة وصليل السلاح وضج العتاق المذاكي[1] . وأغشيت أبصارهم بوهج المشرفية[2] وبريق العوالي[3] وتسطل[4] النزال ونقع القتال.

أكتبها لهؤلاء، وليس للذين يعيشون في أبراجهم العاجية قد نسجوا من خيالهم قصوراً وعملوا من سراب الصحافة بحوراً.

إن هؤلاء لا يمكن أن يدركوا ما أقول... ولا يعرف الشوق إلا من يكابده.

وأنا لا أريد أن أطرق جوانب حياة ضياء الحق السياسية ومواقفه تجاه الأحداث الدولية، فهذه قد تدخلنا في متاهة يُتصيد فيه أخطاءنا أولئك الذين لا يحسبون الخير إلا ما تجمع في صدورهم من غلّ وما يكنونه بين جوانحهم من حقد على كثير ممن يحاولون أن يغرسوا القيم في الأرض، ويحيوا المثل في عالم الناس... إن القضية في أذهان هؤلاء منحسمة. أن ضياء عميل للمخابرات الأمريكية.

سأكتب عن ضياء الحق، الرجل الذي عاش قضية الجهاد الأفغاني منذ أوائل أيامها حتى لقي الله إثر تحطم الطائرة به.

فضياء الحق رجل كان الله أعده لهذه المرحلة الحساسة الخطيرة.

وهو كرجل عسكري، أدرك بثاقب نظره أبعاد الغزو الروسي لأفغانستان، واستقر في كيانه ووقر في جنانه أن باكستان ستكو لقمة سائغة يزدردها[5] الدب الروسي فيما لو تهاوى هذا الطود الشامخ وانهار هذا السد السامق، الذي تجسد في الجهاد الأفغاني أحداثاً أغرب من الأساطير وأبعد من الخيال، فكانت هذه الوقفة المشرفة التي استمرت عشر سنوات متواصلة، عاشها رجل المرحلة بأعصابه وقلبه ونفسه ونبضاته وحركاته وسكناته.

كان يدرك أهمية الجهاد ومعنى الهجرة -ولا غرو في ذلك-. فقد قال عن نفسه ذات مرة -والمعارضة تطل برؤوسها من جحورها-: إنني لن أترك الجهاد الأفغاني لأناس لا يعلمون معنى الهجرة، فلقد عشت الهجرة بنفسي، فأنا مهاجر وسرت مع أمي على الأقدام مسيرة مائة ميل عند قيام باكستان.

وكان يردد: لقد شهد هذا القرن معجزتين أذهلتا العقول البشرية.. قيام باكستان كدولة من لا شيء، وصمود الشعب الأفغاني المسلم أمام الدب الروسي حتى أثخنه بالجراح.

والذين لا يعرفون نسيج دولة باكستان ولا طبيعة أهلها، وليس لديهم صورة جلية عن الركام الهائل الذي ورث ضياء الحق عمن سبقوه فوق عرش باكستان، ممن لا يثقون بقدرة الإسلام على مواكبة الحياة المعاصرة...، إن الذين لا يعلمون هذا لا يمكن أن يدركوا قيمة هذا الرجل الذي كان نعمة على باكستان بعد ثلاثين عاماً من قيامها وتأسيسها.

لقد استلم باكستان حطاماً وركاماً يتناوله أناس لا يعيشون آلام هذا الشعب، بعد أن أطبق العالم على فصل شرق باكستان.

إن كثيراً من الناس لا يدركون أن أصحاب المناصب العليا وذوي المراتب الذين يمسكون بأيديهم دفة القيادة وعجلة التوجيه الباكستانية، يعيشون في واقع حياتهم انفصاماً نكداً بين الإسلام كنظام حياة وبين بعض الشعائر التي يؤدونها -كمراسم في المحافل والأعياد-. وكثير منهم كانوا لا يفتأون يرددون صباح مساء أن ضياء الحق يعيش في عالم الأوهام وفي دنيا الأحلام إذا كان جاداً في تطبيق الإسلام.

## دولة باكستان الفيدرالية:

كثير من الناس لا يعلمون التركيبة المعقدة والتشكيلة العجيبة لدولة باكستان الفيدرالية. التي تتكون من أربع ولايات:

---

١- الخيول الأصيلة ٢- السيوف. ٣- الرماح ٤- الغبار ٥- يبتلعها

**السند:**

وحاضرتها كراتشي التي لا زالت تطالب بالانفصال عن باكستان والانضمام إلى الهندوس.

**وسرحد:**

الحدود الشمالية الغربية، وحاضرتها بيشاور وأهلها البشتون، ولا زال زعماؤها القوميون يأنفون أن يُنسبوا إلى باكستان، ويرون أن هذه المنطقة جزء لا يتجزء عن أفغانستان، وكثير منهم إذا غضبوا من الدولة يهددون بنسف الجسر الواصل بين بيشاور وإسلام أباد -جسر أتك-.

وفي هذا العام عندما هلك عبدالغفار خان الزعيم القومي البشتوني الشيوعي المعروف، أوصى -وهو على فراش الموت- أن يكفن بالثوب الأحمر وأن لا يدفن في أرض الأنذال -باكستان-، بل لا بد أن يدفن في أرض الأحرار الشيوعية (جلال أباد-أفغانستان)!!.

وسارت الجنازة محفوفة بالآلاف من السيارات التي تحمل الرايات الحمراء والممتدة على طول الطريق بين بيشاور وجلال أباد، وعشرات الألوف من المصلين الباكستانيين -ذوي القبعات الحمر[1] يندبون الفقيد بدموع ساخنة ويسيرون هذه المسيرة، وعندما تسألهم بذلك قولهم: إنه زعيم مسلم!!.

**وأما الإقليم الثالث: بلوشستان:**

ومركزه كويتا والواصل بين أفغانستان وبحر العرب والخليج، فحدث عنه يا صاح ولا حرج.

إن أكثر من (٩٥٪) من أبناء المدارس الحكومية يهتفون للشيوعية، ويحبون الروس، ويُحيون الأعياد في ذكرى دخول الروس والانقلاب الشيوعي، ولا نريد أن تزكم أنفك بأخبار جامعة بلوشستان التي ترفع فوقها الرايات الحمراء.

**وأما البنجاب:**

ومركزه لاهور، فقسم من أهلها يميلون إلى ضياء الحق للنوازع القومية والدوافع العرقية، ولا زال بعض ساستها يكتبون في صحفهم أن على باكستان أن تفتح الطريق أمام الروس، ليركزوا راياتهم فوق بحور البترول العربية على شواطئ الخليج.

هذه الدولة هي التي قادها ضياء الحق في أحرج مراحل تاريخها، وفي داخلها سبعة عشر حزباً من أحزاب المعارضة، قد نذروا أنفسهم ألا يدعوا له فرصة لالتقاط أنفاسه، ويقضُّوا عليه مضجعه ويؤرقوا عليه أجفانه، ولا تكاد تستثني من هذه الأحزاب المعارضة، سوى ثلاثة ممن لا يرفعون عقيرتهم[2] مطالبين بطرد المهاجرين الأفغان... أما بقيتهم فلا يدعون فرصة تمر إلا ويفتعلون الأحداث التي يبررون بها ضرورة التخلي عن قضية القرن الأفغانية، وهو أمامهم صامد كالطود الشامخ، ثابت ثبوتاً كالشم الرواسي، ولا يدع فرصة إلا ويصرح قائلاً: لن أتخلى عن مسؤوليتي كمسلم تجاه هذا الجهاد المشرف، حتى أودع آخر مهاجر على باب (طورخم) في ممر خيبر -معبر أفغانستان- رافع الرأس معززاً مكرماً عائداً إلى أفغانستان.

كان الدكتور حسين حامد مدير الجامعة الإسلامية على صلة حميمة بضياء الحق، وكثيرٌ ما كان يحدثني بانبهاره وإعجابه بهذا الرجل كإنسان مسلم.

وقد حدثني إحسان إلهي ظهير -رحمه الله- وقد كان مستشاراً لضياء الحق، ثم انفصمت بينهما عرى المحبة، فشهد لي -أثناء الجفوة بينه وبين ضياء الحق- أن الرئيس كان يقوم الليل، فقال: اتصلت به من لندن الساعة التاسعة -غافلاً عن الفارق الزمني إذ كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل بتوقيت باكستان- فرد عليَّ السنترال: أن الرئيس في الصلاة، فانتظرت حتى يختم الشفع ويرد علي.

وقد التقيت بالرئيس في عدة ندوات وزرته في بيته وسمعت له عن كثب، وكان الطابع الذي يميزه دائماً البساطة والوضوح والاستعلاء الإيماني مع التواضع.

كان لا يني أن يذكر في كل خطاب عظمة هذا الدين، وتقصير المسلمين إزاءه وتقاعسهم تجاهه، فكانت كلماته تنبثق من

---

١- الشيخ يهزأ من هؤلاء، فرغم أنهم شيوعيون حمر إلا أنهم صلوا على زعيمهم الهالك وبقبعات من جنس شعارهم

٢- أصواتهم

الأعماق، ولذا فإنها تستقر في الأعماق... فهذا الانطباع الذي كان يتركه في نفسي بعد كل مرة.

يتكلم كأنه جندي في الميدان، أو قائد من قادات الأفغان... سمعته ذات مرة يقول: تحدثت مع السفير الروسي فقلت له: إنك غزوتم الفضاء وجاوزتم الجوزاء، ولكن يبدو أنكم لم تدرسوا التاريخ، فتساءل السفير الروسي مستغرباً: ومن لك بهذا الادعاء؟ فقلت لو درستم التاريخ لما أخطأتم هذا الخطأ التاريخي بمواجهة الشعب الأفغاني، الذي يروي لنا التاريخ عنه أنه قاهر الغزاة ومحطم العتاة.

وعندما أعلنت روسيا عن عزمها على الانسحاب من أفغانستان، بدأت بعض الألسنة تلهج بالثناء على غورباتشوف، فوقف ضياء الحق -ومن خلال أجهزة البث التي تنقل للعالم- يقول: إن مثل روسيا في أفغانستان كمثل لص دخل بيتاً فقتل أهله وأخذ متاعه ثم خرج، فليت شعري أي شكر يستحقه هذا اللص؟!!

ثم قال: نحن خير أمة، أنزل الله لنا خير دين، وبعث لنا سيد المرسلين ﷺ، حمل لواء الجهاد، فأعز الله دينه، وأنقذ به الإنسانية ثم تخلينا عن هذا اللواء وفرطنا بهذا الدين، فعدنا في ذيل القافلة، وأراد الله عز وجل أن يضرب مثالاً حياً لهذه الأمة بأن ساق لـ الجهاد الأفغاني، ومواجهة أضعف الشعوب الإسلامية لقوة عظمى تعتبر من أشرس قوى الأرض وأعتاها، ونصرة الله لدينه والإيمان ليرينا أن ديننا هو سبيل عزتنا.

وكم كان يؤكد لقادة الجهاد الأفغاني أن موقفي بجانبكم واجب يمليه علي ديني ويفرضه علي خالقي، وكلما اشتدت الخطوب وكشرت الدنيا عن أنيابها وتنكرت لهذا الجهاد، ينبري ضياء الحق ليؤكد لهم أن موقفه لن يتزلزل، وصموده بجانبهم لا يتزعزع.

*ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب*

وقفت الدنيا كلها هذا العام، وهي ترتعد مترقبة وصول المجاهدين إلى سدة الحكم، وأصبح إيقاف الجهاد الأفغاني وإيصاد أبوابه شغل الدول الشاغل، وحديثهم الدائم، وألقت البشرية بكلكلها، وأطبقت بثقلها على ضياء الحق ليوقع المعاهدة.

ووقف وحيداً أمام العالم، وحكومته تستحثه الخطى لتوقيع المعاهدة، وهو يدفعهم بكل ما أوتي من قوة، ويلقي بالعراقيل أمام نقل هذه المعاهدة إلى حيز التنفيذ، ثم قال أخيراً: لقد وقعت المعاهدة عندما تخلت عني الأرض كلها، وتلفت حولي فلم أجد صديقاً ولا عدواً.

وعندما رأى أن حكومته جادة في إغلاق الحدود، وفي محاولة تنفيذ المعاهدة بحذافيرها، دثرها بقدمه وأمسك الحكم بقبضته الحديدية، وفاء بعهده -لتنطمس في عالم النسيان- الذي قطعه على نفسه وأشهد عليه المسلمين ما لا يحصى من المرات بالوقوف حارساً لقلعة هذا الجهاد العظيم.

*بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم*

وكنت تحس أنه ينطلق في تفسيره للأحداث منطلقاً إسلامياً، فبعد توقيع باكستان للمعاهدة حدث انفجار مخزن السلاح المركزي في إسلام أباد، وإذا به يقول: هذا إنذار من رب العالمين وانتقام منا لتوقيعنا المعاهدة.

وكنت تراه -وفي غمرة الأحداث الطاحنة- لا تفارقه السكينة ولا يزايله الاطمئنان، وكأن هذه الأحداث المزلزلة في كوكب آخر فكأن الطمأنينة جزء من كيانه وركن من أركانه، ولسان حاله يقول:

*تصغر عندي همتي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتطاول*

*ومن يبغ ما أبغي من المجد والعلا تساوى المحابي عنده والمقاتل*

**تفسير هذه المواقف:**

والذي يعرف حياة ضياء الحق الخاصة لا يستغرب هذه المواقف الإيمانية، فهو معروف بمواظبته على الصلاة، وقد شهد أكثر من واحد أنه يقوم الليل، وشهد لي أخ عزيز -أيمن- عن فضل ربي -رجل لصيق بضياء الحق- أن ضياء الحق حتى الآن[1] يقوم في الصباح على وضوء أمه بنفسه، أضف إلى هذا أنه معروف بنظافة الفم من المدام[2] وبنظافة الفرج.

١- حتى الآن: أي حتى وقت ذكر الرواية للشيخ.

٢- الخمر

فكيف إذا كان الشعب كله مأسوراً أو عرضة للأسر؟

٤- لقد أفتى العلماء بجواز نقل صدقة الفطر من قطر إلى قطر، ونقل الزكاة إذا اشتدت الحاجة في القطر البعيد، وكان من بين العلماء المعاصرين المفتين: فضيلة الشيخ ابن باز وفضيلة الشيخ ابن جبريل، فهلا انتبه المسلمون إلى جمع الزكاة وصدقة الفطر وإرسالها إلى أرض الجهاد، لشراء الأرز والطحين؟

٥- إن أبواب الخير في الجهاد مشرعة -لمن أراد الولوج-، فهلا جهز المسلم غازياً، أو كفل يتيماً، أو رعى أسرة عالم متفرغ للجهاد؟

٦- لقد بلغنا من الإخوة في فلسطين أن القنابل المسيلة للدموع عندما نفذت في إسرائيل، جاءتهم قذائف مكتوب عليها صناعة أمريكا وبتاريخ الشهر نفسه -وهذه قرئت على القذائف التي لم تنفجر-، فإذا كانت أموالنا نشتري بها سياراتهم توجه رصاصاً إلى صدور إخواننا في فلسطين، فعلينا أن نقاطع البضائع الأمريكية -فضلاً عن الروسية- حتى تحل البطالة بين العمال في أمريكا، ليشكلوا ورقة ضاغطة ضد السياسة الأمريكية في عقر دارها، ولذا يجب على المسلمين أن يعتبروا أمريكا دولة محاربة إذا أصرت على موقفها في دعم اليهود، ويجب مقاطعة البضائع الأمريكية (السيارات والثلاجات والغسالات ولعب الأطفال والمرطبات وغيرها) حتى تتوقف البلايين الأمريكية المنصبة على اليهود.

ولا بد من الانصراف عن السياحة في أمريكا، خاصة والصيف يطرق الأبواب، فكيف نقابل الله عز وجل يوم القيامة؟ وكيف نعمل بالآية الكريمة: (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**) (الممتحنة:١).

## وختاماً:

نحن ننصح الإخوة الذين يودون أن يعرفوا حجم القضية الجهادية وثقلها أن يأتوا لزيارتنا على الأقل في بيشاور، وليضعوا أموالهم في الأيادي المستحقة يداً بيد [**ولغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**].

أو يُربِّت بيده على رأس اليتيم، أو يزور الجرحى الذين سطروا بدمائهم أروع آيات التضحية والفداء.

(**إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**) (النساء:٤٠)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

محرم (١٤٠٩هـ) أغسطس (١٩٨٨م)[1]

# وصايا إلى الشباب المسلم المجاهد [2]

١- إن الجهاد في سبيل الله هو أشق الأمور على النفس وأصعبها، ولا يحتمله إلا أفذاذ من البشر، ولذا جعل الله الجزاء مقابلاً للجهد والبلاء والمشقة.

٢- إن الجهاد في أفغانستان أروع صورة للجهاد في العصر الحديث خلال القرون الثلاثة الأخيرة، ويعتبر خارقة من خوارق الدهر.

ولكن الذين يجاهدون هم بشر كبقية الناس، وشعب كبقية الشعوب، لهم أخطاؤهم ولهم مخالفاتهم، وقد يذنبون الذنوب الصغيرة والكبيرة، وهو شيء طبيعي في البشر.

٣- إن الجو العام في أفغانستان هو ثقيل جداً على النفس البشرية، وهنا يأتي دورك في الصبر والمصابرة.

---

١- حذفنا المواضيع التالية (إيضاحات حول حكم الجهاد) و (ملاحظات هامة حول تطبيق الحكم) و (حكم التخوف من سؤال أجهزة الأمن) و (حكم جهاد النساء العربيات) و (حكم الذي به عاهة) و (نداء إلى ذوي الأسر) حذفت بسبب تكرارها في كتاب (إلحق بالقافلة).

٢- كثير من الإخوة المتحمسين للمشاركة في الجهاد مع الإخوة الأفغان يرسل إلينا يسأل عن طريقة الوصول إلى هناك.

وقد وجد الدكتور الشهيد عبد الله عزام أنه لا بد من الإعداد النفسي للشباب القادم إلى أفغانستان حتى يكون على علم وبصيرة بالأرضية التي سينزل فيها ويعيش عليها، فإنه أدعى للثبات وأعون على الصبر وهذه بعض الملاحظات:

٤- إن الشعب الأفغاني يحب العرب كثيراً ويحترمهم ويخدمهم، بشرط واحد وهو أن يثق بهم، فإذا وثق بهم قدم لهم نفسه وروحه فداء.

٥- إن فوق أرض الجهاد أناس من مشارب شتى ومدارس مختلفة، والقاعدة التي نسير عليها هنا: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

٦- إن الصورة في بيشاور غير الصورة في داخل أفغانستان. فلا يصدنك هذا عن الدخول إلى أرض المعركة لترى بنفسك الصورة المشرقة للجهاد.

٧- أخي الكريم: إن الجهاد صبر وثبات واستقامة واحتمال للشدائد كلها، وعليك بتقوى الله والذكر.

٨- كثر في الآونة الأخيرة التشكيك بعقيدة الأفغان، وتجرأ بعض الجهلة فقالوا: إن القتال في أفغانستان حرب بين المشركين الأفغان والملحدين الروس وهذه لعمر الحق إحدى الكبر.

٩- لا تنس أنك ضيف على الأفغان، وأن هؤلاء القوم مهدوا لك السبيل لأداء فريضة الجهاد، فالفضل لله أولاً وآخراً ثم لهم فاحفظ لهم هذه المنة.

١٠- لا تنس أن الجهاد عبادة جماعية فلا بد لها من أمير، والأمير واجب الطاعة {**وإذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**} وطاعة الأمير في السفر واجبة، فكيف بطاعة أمير الجهاد، فلا بد أن تعتبر نفسك جندياً، وإياك أن تفرض نفسك ناقداً على الناس والجماعات.

## نماذج من رسالة وجهها الداعية الدكتور الشهيد عبد الله عزام

# إلى قادة الجبهات داخل أفغانستان في عيد الأضحى

القائد/........ حفظه الله تعالى!!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد منّ الله على المسلمين بكم إذ فتحتم باب الجهاد بعد أن أغلق منذ فترة ليست بالقليلة، وأعزكم الله بهذا الجهاد، واعتز بكم كل مسلم في الأرض به، ورفع كل مسلم هامته، وعاد الأمل العريض يحيي النفوس.

إنكم -إن شاء الله- المنطلق لإحياء دين الله في الأرض من جديد، ولإنقاذ المستضعفين من أبناء هذا الدين في كل أرجاء المعمورة.

إن النصر الذي منّ الله به عليكم كان خارقة من خوارق العصر الحديث، وكانت كرامة كبرى أنعم الله بها على الناس، ليضرب مثلاً حياً أن شعباً فقيراً ضعيفاً قد استطاع أن يقف أمام أشرس قوى الأرض وأعتاها، وذلك لإعادة التوكل على الله والثقة به إلى قلوب المسلمين.

كان حلماً عزيزاً يراود خيال كل مسلم، أن يرى الإسلام مرة أخرى فوق منصة الحكم، ويملك زمام التوجيه، ويقود بحكمه الشعوب.

لقد عادت النفوس مرة أخرى تفكر كيف تنطلق في الأرض لتنقذ البشرية من جديد بهذا الدين.

إن أول عمل ينتظرنا -بعد تحرير أفغانستان- هو إنقاذ فلسطين، وإنقاذ الولايات الإسلامية في تركستان الغربية والشرقية (طاجكستان، تركمنستان، قرغيزستان، أوزبكستان، كشغر،... وغيرها).

إن إنقاذ هذه الولايات فرض عين على كل مسلم في الأرض، ولا استئذان من والد ولا دائن في الخروج للجهاد -في هذه المناطق التي كانت تتظلل بظلال الإسلام في يوم من الأيام-.

إن الجهاد هو السبيل الوحيد لانتزاع حقنا من مخالب الوحوش البشرية ومن بين براثنها.

{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} (الأنفال:٣٩)

{فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا} (النساء: ٨٤)

ولقد شبه الرسول ﷺ ترك الجهاد بترك الدين، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: [إذا ضن الناس بالدرهم والدينار وتبايعوا بالعينة وأمسكوا بأذناب البقر ورضوا بالزرع وتركوا الجهاد، سلط الله عليهم ذلاً لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم] وقال ﷺ: [الإيمان الصبر والسماحة].[1]

أيها الإخوة: لا تظنوا أن الانتصارات التي تنزلت على الشعب الأفغاني المسلم لشجاعته أو نخوته أو عدده أو عدته.. إن الذي نزل النصر هو رب العزة بدعاء الصالحين والفقراء {وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم وفقرائكم}.[2]

فيا أيها الإخوة: إياكم والغرور والإعجاب بالنفس والزهو بالنصر... إنكم لا تملكون لأنفسكم ضراً ولا نفعاً، ولا تملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض:

{وله من في السموات والأرض كل له قانتون}. (الروم ٢٦)

عليكم بالإخلاص، والتقوى، والقيام، وصيام النافلة، وحفظ اللسان، وحب المسلمين، والبعد عن النخوة القومية والعصبية القبلية الجاهلية، وإياكم ودماء المسلمين، فوالذي نفسي بيده إن حرمة دم المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة المشرفة. وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما: [لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم] وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي: [لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عز وجل في النار] [من قتل مؤمناً فاعتبط بقتله، لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً].

أيها الإخوة: إن الوحدة عنوان النصر، واتباع الرسول ﷺ رمز الهداية: {وإن تطيعوه تهتدوا}(النور: ٥٤).

{يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} (الأنفال:٤٥-٤٦)

أيها الإخوة: هؤلاء الإخوة العرب إنما هم قادمون إليكم ليؤدوا واجبهم في هذا الجهاد الإسلامي، وليسهموا في خدمتكم، وكلهم شوق لنيل الشهادة وكسب رضوان الله لأن: [قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة][3]

[موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود][4]

وهؤلاء الشباب تركوا وظائفهم وجامعاتهم، وودعوا الدنيا وزخرفها وأقبلوا على الله للمشاركة في ساح الجهاد، وهم مذاهب مختلفة، بعضهم من المذهب الحنفي، وبعضهم من الشافعية والحنبلية والمالكية.

وقد أوصيناهم أن يحفظوا لكم مقامكم وأن يطيعوكم، وأن لا ينازعوا الأمر أهله منهم، وبعضهم قد مكث فترة طويلة حتى حصل على تأشيرة أو تذكرة للوصول إلى باكستان وإليكم.

فنأمل أن تسهلوا لهم مهمة خدمتكم والوقوف بجانبكم، ولتعليمكم لغة القرآن وأحكام التنزيل.

وفقكم الله وقواكم ونصركم وأقام دولة الإسلام على أيديكم.

مكتب الخدمات

أخوكم الدكتور عبدالله عزام

---

١- حديث صحيح رواه أحمد. ٢- رواه البخاري. ٣-حديث صحيح رواه ابن عدي ٤-حديث رواه ابن حبان.

# المنارة المفقوده

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى أخي الحبيب الدكتور عبد الرحمن.

رمزاً للإخوة وعنواناً للمودة وذكرى لأيام ماضية عشناها في الجامعة في كنفه يحفنا بالحفاوة والتكريم واعترافاً بالجميل بأن هذه ثمرات قلمك ونتاج جهدك، جمعتها في كتيب بعد التنسيق والتبويب مع تضرعي إلى الله عزوجل أن ينفعنا جميعاً وينفع بنا وأن يجمعنا في الصالحين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

العبد الفقير إليه تعالى / د. عبد الله عزام

صدا-حدود أفغانستان

غرة ذي القعدة (١٤٠٧هـ-٢٦/يونيو/١٩٨٧م)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذبالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يض فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تج الحزن إذا شئت سهلاً.

تدمير الخلافة:

لا شك أن تركيا كانت تشكل خطراً رهيباً على أوروبا، وقد عانت أوروبا من هذا المارد العملاق الذي وقف على أبواب ف مرتين ودق أبواب (لنين غراد) وكان اسمها أنذاك (بطرس بيرغ).

ولذا فإن تدمير تركيا كان شغل أوروبا الشاغل وبخاصة العناصر اليهودية المبثوثة في كل مكان تحرك بأصابعها الخفية الدو السياسية في العالم الغربي من خلال رؤوس الأموال المملوكة بين أيدي اليهود وفي مصارفهم خاصة عائلة (روتشليد).

ولذا فقد كانت ممتلكات تركيا هي الصيد الذي ترنو إليه كل العيون الغربية، ثم الإسلام الذي كانت القلوب تقطر عليه حا وسماً، وتتربص به الدوائر وتنتظر الفرصة المناسبة للإنقضاض فوقه والإجهاز عليه، وقد رأت أوروبا أن أسهل الطرق للإجهاز عليه تأتي الضربة القاصمة بيد أبنائه الذين يتسمون باسم المسلمين، وعليه فقد جاء مصطفى كمال ليحقق ما لم تحلم أوروبا به في يوم م الأيام.

لقد كان شخص مثل مصطفى كمال حلماً يداعب خيال أوروبا، ثم أصبح الحلم واقعاً أغرب من الخيال، ولذا حرصت أورو على رفعه فوق مستوى البشر في أعين الناس ليصبح معبود الجماهير يعتبر نقده جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام.

ثم حرصت أوروبا على الحفاظ على مكاسب التدمير الأتاتوركي، وحاولت أن تكرر التجربة من خلال النموذج الفذ الرائد الفري وذلك عن طريق الإنقلابات العسكرية التي تلهج بذكر القائد الرائد أتاتورك والتي تسير على نهجه وتغزل على منواله.

وعلى هذا فلا بد من الوقوف طويلاً أمام هذه الظاهرة ودراستها لنعرف كيف وصل مصطفى كمال إلى قمة المجد!!.

## مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨٠م-١٩٣٨م)

مولده:

ولد سنة (١٨٨٠م) في مدينة سلانيك (مدينة يهودية) حيث يقطنها (١٤٠) ألف منهم (٨٠) ألفاً من اليهود الإسبان و (٢٠) أل من يهود الدونمة (أي المتظاهرين بالإسلام).[١]

نســـــبه[٢]:

ينسب مصطفى كمال رسمياً إلى (علي رضا) وأمه (زبيده) وتحيط شكوك كثيفة حول نسبه فمصطفى لا يعترف بأبيه علم رضا ويقال: إن أصل أبويه من ألبانيا.

ولقد راجع مصطفى كمال دائرة النفوس في (سلانيك) وأسقط قيد الأبوة عنه.

ويقال أن زبيدة حملت به سفاحاً من شخص اسمه (أبدو حسن أغا) لأنها كانت تعمل في أحد مواخير سلانيك، فولد مصطف كمال حراماً لا يعلم اسم جده لأمه ولا لأبيه.

وكان الزواج بين علي رضا وزبيدة غير موفق لفارق السن الذي يصل إلى عشرين سنة، ولأن زبيدة كانت جميلة جداً وغير

---

١ وثيقة السفير البريطاني لاوذر بتاريخ (٢٩/٥/١٩١٠م) نشرتها مجلة المجتمع عدد (٤٤٥، ٤١٦) سنة (١٩٧٨م).

٢ انظر الذئب الأغبر لارمسترنغ ص(١٢-١٣) والرجل الصنم لضابط تركي سابق ص(٤٦، ٤٢)

مستقيمة.

كان والده غير متدين ومعجباً بالأفكار الغربية، مات بالسل سنة (١٨٨٦م) وقد خلف وراءه (مصطفى وأخته مقبولة)(١).

نفسيته:

كان منعزلاً مكروهاً من زملائه كثير الشغب والمشاكة مع أساتذته، وكان يشعر بالفرح حين يعتدي على الآخرين، وكان يحب التعدي على الآخرين كما قال عنه (عرفان أورگا)(٢): وكان كثير الخلاف مع أقطاب جمعية الإتحاد والترقي التي انخرط فيها أمثال أنور وطلعت وجاويد لأنه لا يطيق أن يكون أحد مسؤولاً عنه.

فقد قال أنور ذات مرة عنه وهو يناقش أعضاء الإتحاد والترقي حول ترقيته: ليكن في علمكم أن مصطفى كمال إذا ترقى إلى رتبة الباشا فإنه يرغب أن يكون سلطاناً وإذا أصبح سلطاناً، فإنه يرغب أن يكون إلهاً)(٣).

## حياته الدراسية والعسكرية:

التحق بمدرسة دينية، ثم ألحقته أمه بمدرسة عصرية، وبعد موت أبيه أخذته أمه إلى مزرعة أخيها (حسين آغا) قرب سلانيك واشتغل في تنظيف الحظائر وإطعام الماشية والحراسة(٤).

ثم ألحقته أمه بمدرسة في سلانيك، فكثرت مشاجراته مع التلاميذ فضربه المدرس ففر من المدرسة ولم يعد إليها.

دخل المدرسة الحربية في سلانيك سنة (١٨٩٣م) وبعد أربع سنوات تخرج من المدرسة الإبتدائية العسكرية الثانوية في (مزناستر) بالبلقان حيث الفتنة المتأججة على الخلافة(٥).

وتخرج من موناستر سنة (١٨٩٩م) ثم أرسل إلى الكلية الحربية في استانبول وتخرج منها سنة (١٩٠٢م)، ثم التحق بكلية أركان الحرب وتخرج منها سنة (١٩٠٥م)، والتحق بالجيش الخامس (في دمشق)(٦) ضابطاً برتبة رائد وهو لا زال في الخامسة والعشرين من عمره، وفي الشام عين في لواء الفرسان الثلاثين.

وبقي في الشام سنتين فأتم تدريبه في لواء الفرسان وأصبح برتبة (أغاس) بين الرائد والمقدم.

وبمعونة أصحابه نقل إلى سلانيك في صيف سنة (١٩٠٧م) وعين في دائرة أركان الجيش الثالث(٧) وهناك دخل في جمعية الإتحاد والترقي فوجد فيها منافسين أقوى منه مثل أنور، وطلعت، فحصل بينه وبينهم نزاع وفي سنة (١٩٠٨م) قام الإنقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد من أجل إعلان الدستور (للتسوية بين اليهود والنصارى والمسلمين) ونجحت الحركة ولم يشترك مصطفى كمال فيها.

وفي هذا العام نفسه سنة (١٩٠٨م) أرسل إلى (طرابلس ليبيا) لإبعاده، ثم رجع واشترك مع حركة (محمود شوكت) سنة (١٩٠٩م) لإسقاط السلطان عبد الحميد، وكان آنذاك أحد ضباط الأركان وليس رئيساً للأركان(٨).

وفي سنة (١٩١٠م) أرسل إلى فرنسا لحضور مناورات عسكرية، وبعد أن رجع من فرنسا عين مشرفاً على مدرسة الضباط ممتلئاً حقداً على الإتحاديين لتجاهله فنقلوه قائداً لفرقة المشاة الثامنة والثلاثين في سلانيك.

ثم أغارت إيطاليا على ليبيا فأرسل مصطفى كمال إلى ليبيا ورقي إلى درجة بكباش ثم حصلت حرب البلقان. فوضع أنور خطة لسحق البلغار.

ولكن مصطفى كمال خالف أمر أنور، ففشلت خطته فسبب للأتراك كارثة، وذلك حقداً منه على أنور لئلا ينال شرف النصر وسقطت (أورنه) نتيجة لخيانته.

---

١- تاريخ الدولة العثمانية -علي حسون- ص(٢٨٦). ٢- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للندوي ص(٤٣) ٣- الرجل الصنم ص(٩٠)

٤- ارمسترونج (١٤) والرجل الصنم (٥٣). ٥- ارمسترونج ص(١٨) ٦- ارمسترونج ص(٢١٦)

٧- ارمسترونج (٢٦)، والرجل الصنم ٨- الرجل الصنم ([illegible])

ثم رقي بعد فترة إلى رتبة قائم مقام، ولكن أخرج بعيداً عن مسرح السياسة والتوجيه لأنه كان مكروهاً من الإتحاديين فيما صلته بجمال باشا الذي يجمعه به كراهيتهما للألمان[1].

ولما كثر نقده للإتحاديين أبعدوه ملحقاً عسكرياً في صوفيا.

ولما اندلعت الحرب الأولى طلب أتاتورك من أنور أن يوليه قيادة إحدى الجبهات، وبعد طلبه عدة مرات تولى قيادة القـ الجنوبي في شبه جزيرة (غاليبولي)[2] فأبدى شجاعة فائقة وانتصاراً كبيراً، وبعد انسحاب الحلفاء من (غاليبولي) رجع مزهواً بالـ منتفخاً بالغرور إلا أن أنور تجاهله، فلجأ إلى الدس والمؤامرة على الإتحاديين فألقي القبض عليه وعلى المتآمرين وشنق أنور مجـ منهم إلا أنه لم يشنق مصطفى وأبعده إلى (بلاد القوقاز حيث الجيش السادس) ثم إلى ديار بكر حيث الجيش الثاني.

ولم يكن له هناك شأن يذكر لانسحاب الروس إثر الثورة الشيوعية سنة (١٩١٧م).

ثم أرسلوه إلى الشام سنة (١٩١٧م) وكان قد وصل إلى رتبة لواء[3] أي باشا وصار مساعداً لقائد الجيش الثاني.

## ثم عين قائداً لجبهة فلسطين:

وفي فلسطين تمت الصفقة مع أللنبي القائد الإنجليزي واتفق الإنجليز مع مصطفى كمال[4] على الإنسحاب ليدخل أللنبي وسلاماً وليضرب الجيوش التركية الأربعة ضربة قاصمة بعد أن ارتد أللنبي خائباً من أبواب السلط بعد أن هزمه جمال باشا الجيش الرابع[5].

وكانت نتيجة هذه الخيانة تحطيم تركيا إلى الأبد، وأما نتيجة المعركة فكانت كارثة:

كان عدد الأسرى يقرب من مائة ألف جندي عدا القتلى برصاص الدروز والأرمن[6].

## الأدلة على خيانة مصطفى كمال واتفاقه مع الإنجليز:

هناك أدلة كثيرة على خيانة مصطفى كمال واتفاقه على الإنسحاب من فلسطين وتدمير الإسلام.

١- إن انسحاب مصطفى كان من موقع حصين وهو شرق نابلس الوعرة، وقد تم الإنسحاب في نفس الليلة التي دخل أللنبي وهي ليلة(١٩/٩/١٩١٧م)، وقد تم الإنسحاب من نابلس إلى شرق الأردن فدمشق فحلب فجبال طوروس، وقد كان الإنسـ فجائياً بسرعة البرق[7].

٢- ولم يكن وضع أللنبي العسكري بحالة تمكنه من هذا النصر الساحق.

يقول لورانس: لقد قال لي أللنبي في (٥) أيار سنة (١٩١٧م): إن كلينا مرغم على البقاء حيث هو والدفاع عن هذا البقاء ثمن[8]. (إن مصيرنا كله على كف عفريت)[9].

يقول الجنرال التركي (مؤلف كتاب الرجل الصنم): وهنا يتفق مصطفى كمال مع القائد الإنجليزي الجنرال أللنبي ، وبانسحاب فجائي يحرم الجيش التركي من ذراعي (ركني) الإستناد، ويؤدي بذلك إلى وقوع الجيش بيد الأعداء[10].

يقول ضابط تركي معاصر[11] كان رفقائي في السلاح في جبهة فلسطين يذكرون أن الخيالة الإنجليز قاموا باختراق ـ الجيش الذي كان تحت إمرة مصطفى كمال، وأنهم بذلك وصلوا إلى مؤخرة أربعة جيوش حيث تمت الكارثة التي لا يتحملها الـ والخيال.

وكان قائد الجيش الرابع (جمال باشا) يرى على الدوام أن مصطفى كمال هو المسؤول عن الهزيمة[12].

ويقول الدكتور على حسون: وفي سنة (١٣٣٧م) عين مصطفى كمال قائداً لأحد الجيوش في فلسطين حيث قام بإنهاء القتال

---

١- أرمسترنج (٥٤).
٢- أرمسترنج (٥٦-٥٧).
٣- الرجل الصنم (٨٤).
٤- تاريخ الدولة العلية العثمانية -محمد فريد بك- تعليقات إحسان حقي.
٥- أعمدة الحكمة السبعة للورانس ص(٣٥٥).
٦- الرجل الصنم (١٠٣).
٧- الرجل الصنم (٤٧٤) وتاريخ الدولة العثمانية -د. حسون- (٢٦٥).
٨- أعمدة الحكم السبعة لورانس (٣٣٣).
٩- أعمدة الحكم.
١٠- الرجل الصنم (٩٨).
١١- الرجل الصنم (٤٧٤).
١٢- تاريخ الدولة العثمانية -د. حسو-(٦٥

الإنجليز فوراً وبصورة تامة يسمح للعدو بالتقدم شمالاً دون مقاومة، وسحب قواته شمالاً لما بعد حلب حسب مخطط متفق عليه.

٣- اتصل الإنجليز بمصطفى كمال يوم أن كان قائداً في فلسطين وطلبوا إليه أن يقوم بثورة على السلطنة، ووعدوه أن يساعدوه على ذلك، فاتصل مصطفى كمال بقائدين عثمانيين من زملائه كانا يتوليان قيادة جيشين قريبين منه وطلب وفاقهما في الأمر.

فلما سمعا الخبر استعظماه واستنكراه وقالا له: بما أنك لم تحاول العصيان الذي يوجب الإعدام فإننا سنكتم الأمر وننصحك أن تعتبره منسياً[1].

٤- بعد اندحار أللنبي أمام (جمال باشا) في السلط أرسل جمال إلى الأمير (فيصل بن الحسين) قائد القوات العربية يعرض الصلح بين الأتراك والعرب، وهذا الصلح لو تم لأصبح من شبه المستحيل على أللنبي أن ينتصر على العرب والترك معاً.

قال لورانس: وكان جواب فيصل على تلك المذكرة أنه سيأتي الوقت المناسب لعقد تلك المعاهدة وفي إمكانه ضمان ولاء جيش لجمال باشا إذا أخلى الأتراك (عمان) لحكومة عربية تشكل فيها على الأثر.

قال لورانس: وما أن وصلت هذه الأخبار إلى (مصطفى كمال) الثائرعلى السلطات التركية فإذا بمصطفى يرجو فيصلاً عدم الإنصياع لرغبات جمال باشا وطعنه ويعد بالمساندة في حالة نجاحه في إخلاء دمشق لإقامة دولة عربية مستقلة[2].

وهنا نتساءل ما الذي أوصل هذه المكالمات السرية إلى مصطفى كمال؟ أوليسوا الإنجليز؟ ولماذا يجهد مصطفى كمال في منع عقد الصلح الذي هو في مصلحة تركيا؟

أوليس وراء الكواليس شيء يوعد به مصطفى كمال من قبل الإنجليز؟ وما معنى في حالة نجاحه؟ أوليس نجاحه فيما اتفق عليه مع الإنجليز؟ وهو إسقاط الدولة العثمانية مقابل الوعد والأماني الشيطانية الإنجليزية؟

إن كلام أللنبي ومصطفى كمال واحد يتفق في الهدف والصيغة، إنه ليس كلام قائد تركي يقاتل الإنجليز، إنه كلام قائد يحمي جبهة بريطانيا من الإنهيار، ويحرم العرب الأتراك من النصر وهذا الذي حصل.

٥- بعد انتصار أللنبي حضر إلى اسطنبول فطلب من الدولة التركية المهزومة أن تعين مصطفى كمال قائداً للجيش السادس قرب الموصل حيث النفوذ الإنجليزي ومنطقة البترول لحماية مصالح الإنجليز وأمنهم هناك[3].

٦- إن مصطفى كمال بعد الهزيمة الكبرى التي كبدها تركيا، وبعد رجوعه كان على صلة بالقس المشهور (FRID) فرد الذي كان رئيساً للإستخبارات الإنجليزية في تركيا[4].

٧- كان مصطفى كمال على صلة وثيقة بالسلطان وحيد الدين (محمد السادس)، وذلك لأنه عين في ربيع سنة (١٩١٨م) مرافقاً عسكرياً له، وكان آنذاك ولياً للعهد، وأظهر مصطفى كمال آنذاك لوحيد الدين كراهيته للإتحاد والترقي، وأبدى صلاحاً وحرصاً على مصلحة تركيا، وسرعان ما أصبح الإثنان صديقين حميمين، وغدا مصطفى جندياً للأمير وأميناً لسره.

وفي أثناء الحرب مات السلطان محمد رشاد (الخامس) وتولى وحيد الدين الخلافة، فقرب مصطفى كمال ورفع من مكانته، وأرسله وحيد الدين ليتولى مكافحة المستعمرين في الأناضول، وأعطاه مبلغاً كبيراً من الذهب (عشرين ألف ليرة ذهبية)[5].

يقول الشيخ مصطفى صبري[6]: لقد شاعت كلمة سمعتها على لسان أحد الإنجليز أن السلطان أراد أن يكيد الإنجليز بمصطفى كمال، فكاد الإنجليز به السلطان.

وفي الأناضول اتفق مصطفى كمال على أن يتولى عن غربي الأناضول، وأما القائد (كاظم قره بكر) فيتولى الدفاع عن شرقي الأناضول.

قال كاظم: ولكن بعد أن مر (١٨) يوماً على تثبيت هذه الخطة (أي في ٣ شباط سنة ١٩٢٠م) تلقيت رسالة بالشيفرة من

---

١- تاريخ الدولة العثمانية العلية (محمد فريد)تعليق إحسان حقي ص(٧٥).
٢- أعمدة الحكمة -لورانس- ص(٢٥٥).
٣- الرجل الصنم (١٠٥).
٤- الرجل الصنم (١٢٢).
٥- تعليق د. إحسان حقي على تاريخ الدولة العثمانية
٦- المصدر السابق (٧٥٠).

سيادة مصطفى كمال يقول فيها: ليس هناك مجال للمقاومة المسلحة ضد شروط الصلح الفاسدة إلا في القفقاس... أما في الجه الأخرى فليس في الإمكان عمل أي شيء فإذا ساعدت تركيا البلاشفة في الإستيلاء على قفقاسيا، ووحدت جهودها معهم ف الأناضول -من الغرب إلى الشرق-وكذلك العراق وإيران وأبواب الهند تكون قد فتحت على مصاريعها[1].

فجاء خليل باشا عم (أنور باشا) إلى أهل أذربيجان قفقاسيا وقال لهم: إن تركيا ترغب منكم السماح للجيش الروسي بالعب لتقديم المساعدة إلى تركيا، فقال أهل أذربيجان: وقد خدعنا بهذا القول وأدخل الروس علينا دون أن نبدي أي مقاومة، مع أننا ؛ نملك جيشاً وكنا على استعداد للدفاع، ولكن لم يدعنا ندافع وهكذا دخلنا مرة أخرى تحت السيطرة الروسية[2] وكانت هذه خ إنجليزية ليظهر مصطفى كمال أنه عدو لبريطانيا، ولقد جاء (راولنسوون-شقيق اللورد كيرزون) وزير خارجية بريطانيا واجتمع كاظم وعرض عليه نفس الخطة، فذهل كاظم للتوافق العجيب والفجائي بين رغبة مصطفى كمال الذي تظاهر بعداوة الإنجليز وبين ر، الإنجليز أنفسهم[3].

لقد خطط -راولنسون- وبصفقة متبادلة مع روسيا لذبح الشعب القفقاسي المسلم وألقوا خطتهم إلى عميلهم مصطفى كما ونفذها كاظم باشا وخليل باشا ووقعت القفقاس المسلمة في قبضة الشيوعيين ليذبح أهلها في مفارم اللحم (البلوبيف)، وليساموا س العذاب إلى يومنا هذا منذ نيف وستين سنة، وليمسح الإسلام من أرضها نهائياً ويجتث منها اجتثاثاً.

وقد ثبت أن العقيد (راولنسون) قد اجتمع مع مصطفى كمال في بيت في أرضروم اجتماعاً في غاية السرية والأهمية دام حـ الصباح[4].

٨- تصريح دهاقين السياسة الإنجليزية آنذاك بوجوب إقامة معاهدات صداقة مع مصطفى كمال.

يقول اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا: لا يمكن لأي فرد تركي بعد هذا الإحتلال المنحوس (لازمير) من قبل اليونان إلا يتعاطف بعمق مع القضية الوطنية التي عليها الآن مصطفى كمال[5].

ويقول رئيس الأركان سير هنري ولسون: ليس أمام الدبلوماسية الإنجليزية إلا أن تعقد الصداقة مع مصطفى كمال.

٩- مسرحيات الإنتصارات الساحقة في الأناضول وخاصة في سقاريا أفيون، أزمير التي جعلت من مصطفى كمال خارقة الخوارق تغنى بمدحها الشعراء حتى قال أحمد شوقي:

الله أكبر كم في الفتح من عجب      يا خالد الترك جدد خالد العرب

لقد تمت المسرحية بهذا الإخراج الساحر الذي يأخذ بالألباب. لقد شدد الإنجليز في فرض الشروط على الخليفة ليبدو عام ضعيفاً وتساهلت مع مصطفى كمال ليظهر بطلاً فريداً.

يقول الشيخ مصطفى صبري[6]: لقد أبلغتنا لجنة الحلفاء العليا المقيمة في باريس والمؤلفة من رؤساء وزارات كل من إنجا وفرنسا وإيطاليا واليونان في مساء (١٤) مايو سنة (١٩١٩م) قراراً يقضي بنزول الجيوش اليونانية في أزمير ومقدونية، ويحذرنا المقاومة التي يعتبرونا نقضاً للهدنة، في اليوم الثاني أي في (١٥) مايو سنة (١٩١٩م) نزل اليونان في أزمير.

## معركة سقاريا:

لقد شد الحلفاء من جهة على السلطان وهيأوا فرصة انتصار مصطفى في سقاريا، فقد أوعزت قوات الحلفاء لليونان يتقدموا في الأناضول، وفي منتصف الطريق تلقت الأوامر من الحلفاء[7] أن تتوقف بين الجبال حيث لا طرقات تربط بين أجزائها تستطع أن تقيم خطاً دفاعياً حصيناً.

لقد توقف الهجوم اليوناني فجأة في الساعة الثامنة صباحاً، ثم بدأ الإنسحاب فتحول الأتراك إلى الهجوم، وتقهقر اليو وانتصر البطل في معركة سقاريا الحاسمة الفاصلة[8] ولما هزم اليونان في مسرحية جنت الجماهير فرحاً في أنقره، واحتفوا بزعيم

---

١- الرجل الصنم (١١٠).   ٢- الرجل الصنم (٤٠٩).   ٣- الرجل الصنم (١١٢).   ٤- الرجل الصنم (١١٨).

٥- الرجل الصنم (١٥٥).   ٦- تعليق د. إحسان حقي على بتاريخ الدولة العثمانية (٧٤٨)   ٧- أرمسترنج (١١٧)   ٨- تاريخ الدولة العثمانية (علي حسون)(٤٤٣)

الظافر (مصطفى كمال) وخلعوا عليه لقب الغازي وجاءته برقيات التهنئة تترى من روسيا وأفغانستان والهند وأمريكا وحتى من فرنسا وإيطاليا[1].

وبعد رجوعه من سقاريا ظافراً طلب من مجلس النواب التركي منحه لقب الغازي وأربعة ملايين ليره مكافأة.

وهنا ثار النواب فأعطوه لقب الغازي أي المجاهد، ولم يعطوه شيئاً من المال[2].

## أما معركة أفيون:

فقد كانت مسرحية كذلك، إذ ترك قائد الجيش اليوناني (هاجيانستس) جنده دون طعام أو شراب يتسكع بين مقاهي أزمير ليتذمر الجنود وتتبدد منهم روح الحماسة، وليدخل مصطفى كمال وينتصر عليها بسرعة البرق الخاطف في الجانب الأسيوي.

## أما أزمير:

في الجانب الأسيوي فقد كانت في أيدي اليونان ومركزهم فيها قوي، ومع ذلك انسحبوا وأخلوها لمصطفى كمال دون أن يطلقوا طلقة واحدة[3].

وكانت المسرحيات متلاحقة، وجيوش الحلفاء تنتظر تدير المعركة من وراء ستار، فهي تأمر حلفاءها اليونان أن يتقدموا ثم يتوقفوا ثم ينسحبوا ويتقدم مصطفى كمال أمام سمعهم وأبصارهم يطارد اليونانيين ويفرق جموعهم ويشتت جنودهم دون أن يطلقوا طلقة واحدة... بل يتظاهرون بالعجز عن عمل أي حركه.

ودخل مصطفى كمال أزمير ومر ببوارج الحلفاء الرابضة في الميناء بمدافعها الضخمة، ولكنها صامتة صمت القبور، بل يدعي أرمسترنج أنها كانت عاجزة عن التدخل[4].

واقتحم مصطفى كمال منطقة البسفور والدردنيل التي تربض وتحتشد فيها القوات البريطانية، ويخترق جنوده الأسلاك الشائكة حول المواقع العسكرية البريطانية دون أن يطلق الإنجليز طلقة أو الأتراك طلقة واحدة[5] بل أكثر من هذا أن الأسلحة التي يحارب بها مصطفى كمال جاءت كالسيل المنهمر من روسيا عبر الخطوط الإنجليزية في البسفور والبحر الأسود[6].

١٠- تظاهر الحلفاء بالعطف على الخليفة والسخط على مصطفى كمال، فقد احتل الإنجليز القسطنطينية في (١٦) مارس سنة (١٩٢٠م)، وطلب الحلفاء من الأهليين إطاعة الأوامر التي تصدر إليهم من الخليفة مما أدى إلى ازدياد النقمة عليه، وفي المقابل تم الجلاء عن (أسكي شهر) والمحاصرة من قبل مصطفى كمال وعن (قونيه) بدون حصول أدنى اشتباكات وتنظف الأناضول من القوات الحليفة، والناس منبهرون بهذه الإنتصارات.

وفي نفس المدة تخرج فتوى من شيخ الإسلام تصف مصطفى كمال وجماعته بالكفر، فيزداد سخط الناس على السلطان والمفتي.

## معاهدة سيفر:

وعندما تزعزع مركز مصطفى كمال وأصبح على وشك السقوط أنقذه الحلفاء بمعاهدة سيفر وبمقتضاها قسمت البلاد (تركيا بين الأوروبيين، وأصبحت استنبول دولة، وسلخت بلاد العرب من تركيا، وألحقت تركيا الأوروبية والجزر الأيجية وغيرها بإدارة اليونان، وتصبح أرمينيا دولة مستقلة وتعطى كردستان حكماً ذاتياً، وتوضع المضايق تحت إشراف الدولة ويحدد عدد الجيش بعد إخضاعه لتوجيهات الحلفاء الذي أعطوا ا‌ لسيطرة المالية واحتفظوا بالإمتيازات القديمة، وأعطيت الأقليات النصرانية حقوقاً خاصة إضافية، ثم نشرت نصوص معاهدة سيفر على أوسع نطاق فهاج الرأي العام ضد الخليفة ورئيس وزرائه وصبت النقمة على الإنجليز.

وفي المقابل أخبار الإنتصارات عن مصطفى كمال متوالية ومتزايدة، كان كمال يصيح بهم (انتصروا) أو دعوا العدو يسحق

١- أرمسترنج (٦٧). ٢- الرجل الصنم ٢١٢). ٣- تاريخ الدولة العثمانية (حسون ص٢٨٢) ٤- أرمسترنج ص(١٧٥).
٥- الدولة العثمانية (د. حسون ٢٨٤) وارمسترنج (١٨٢-١٨٣). ٦- د. حسون (٢٨١).

جئتكم، فكانوا يجيبونه بعاصفة من التصفيق وتنتابهم نوبة من الحماسة الجارفة التي تكتسح من يقف في طريقها.

وهكذا أوقفوا الزحف اليوناني وأخمدوا الثورات المتفرقة التي أشعلها أعوان السلطان، وحرروا أنقرة من الخطر المحدق بـ هاجموا (مرعش) وأبادوا حاميتها الفرنسية والأرمن الذين جندتهم، ثم حطموا شوكة الأكراد، واكتسحوا القوا الإيطالية الرا على طول السكة الحديدية في قونية وهاجموا الحامية الإنجليزية عند السكة الحديدية في (أسكي شهر) ثم ناردوها إلى ال واعتقلوا جميع ضباط مراقبة الحلفاء الذين استطاعوا أن يضعوا أيديهم عليهم في الداخل، واحتفظوا بهم كرهائن مقابل ال المعتقلين في مالطة.

وكان مصطفى كمال يصب جام غضبه أثناء الخطة على الإنجليز، هؤلاء الإنجليز سوف يعلمون أننا مثلهم بل أفضل منهم بـ ولسوف يعاملوننا على قدم المساواة ولن نحني لهم هاماتنا يوماً سنقف ضدهم حتى آخر نسمة حتى نحطم حضارتهم فوق رؤوسـ

وبمعاهدات سرية واتفاقات خفية مع أتاتورك يقرر الحلفاء الجلاء عن استانبول، وكان جيش الحلفاء في القسطنطينية قد ذ إلى بضعة آلاف، فرسم القائد العام خطته وأعد جميع المعدات على أساس الجلاء العاجل، فأحرقت المستندات ودمرت المخازن وأ الذخائر، ولغمت القناطر كي تنسف عند الإقتضاء وربضت سفن الأسطول في الخليج (خليج القرن الذهبي) على تمام الأهبة للرحـ

بل أكثر من ذلك، لقد قرر الحلفاء طرد اليونانيين مع أنهم حلفاؤهم من تراقيا (الجزء الأوروبي من تركيا)، وقرروا الرحيل تركيا نهائياً وذلك ليقوم البطل بأضعاف أضعاف ما تستطيع أوروبا كلها أن تعمله لو بقيت!!.

## المخطط التدميري:

إن هذا المخطط يكشف الصلة الوثيقة المبكرة بين مصطفى كمال وبين الإنجليز والحلفاء، ويبين لك بوضوح سر إبراز مصـ كمال وانسحاب جيوش الحلفاء.

وقد كشف عن هذه الوثيقة صديقه الحميم وأمين سره (مظهر مفيد تنصوه) في مذكراته فيقول: وفي (١٩١٩/٧/٧م) الفجر وفي أرضروم بالأناضول أسرَّ إليّ مصطفى كمال وأكد كثيراً في وجوب كتمان السر وقال: هذا الدفتر سيبقى سراً حتى ال بيني وبينك وبين ثريا (شوكة ثريا ايدمير).

وبعد أن أكدنا له حفظ السر قال: إذن فسجل التاريخ أولاً... قال مظهر فسجلت التاريخ (٨/٧) تموز سنة (١٩١٩م) الفجر بعد أن رأى أنني سجلت التاريخ على الصفحة قال: حسناً أكتب ثم تابع أولاً: ستكون الجمهورية هي شكل الحكومة الإنتصار، هذه واحدة.

**ثانياً:** سيؤخذ التدبير اللازم بحق السلطان والعائلة المالكة عندما يحين الوقت المناسب.

**ثالثاً:** سيرفع الستر عن النساء.

**رابعاً:** سيلغى الطربوش وستلبس القبعة مثل سائر الأمم المتمدنة.

قال مظهر مفيد: هنا سقط القلم من يدي بدون إرادة، تطلعت إليه كان يتطلع إلي قال لي: لماذا توقفت؟ قلت له: أرجو أ تؤاخذني يا باشا إذا قلت لك بأن لك جانباً خيالياً قال لي ضاحكاً: سيكون الزمن هو الحكم في هذا، أما أنت فاكتب، استمروـ الكتابة.

**خامساً:** سنأخذ الأحرف اللاتينية... يكفي يا باشا يكفي.

ثم نفذ البرنامج التدميري، وبعد أن نفذ بعضه لمح مظهر مفيد، فقال له: يا عزيزي السيد مظهر مفيد ما هو رقم الفقرة وصلنا إليها؟ هل تلقي نظرة على دفتر ملاحظاتك؟ أرأيت كيف يصنع الأبطال؟ أرأيت كيف تكون الضرائب الغالية التي يدفعها الـ وهم يهتفون لجزاريهم ويصفقون لقاتليهم؟ كم لاقى العالم الإسلامي من هؤلاء الذين صنعت منهم أجهزة الإعلام المعادية للإ أبطالاً من صانعي التاريخ ومحركي خط الحضارة للأمة؟ كم ساقت لنا الأقدار من خلال الإنقلابات العسكرية بأمثال أتاتورك؟ جادت علينا -بقدر من العليم الحكيم- بزعانف ورويبضات وأصبحوا يملكون بين أيديهم أقوات الأمة ويتحكمون بمصائرها، ويحدّ

بدمائها وأرواحها وأموالها؟ وكم قاسينا ولا زلنا ممن لا يستطيع إدارة أنفسهم بعد أن أصبح أحدهم بفضل سادته الحاكم الأوحد والزعيم الفذ والقائد الملهم والعبقري الفريد!!

وصدق رسول الله ﷺ: **{سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنين ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها}**[1].

وروى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **{إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وأن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً...}**[2].

لقد أعاذ الله هذه الأمة أن يسلط عليها أعداءها، ولو دخلت عليهم من أقطارها وإنما جعل الله هلكة هذه الأمة على أيدي أناس من أبنائها ممن يحملون عناوين المسلمين وشاراتهم وكان مصطفى كمال من هؤلاء الذين أبادوا خضراءها وأهلكوا الحرث والنسل.

وبعد أن أفردنا فصلاً لنبين صلته وعمالته للإنجليز لا بد أن نوضح أنه كان على وفائه مع الإنجليز وحبه لهم إلى درجة العبادة

وبقي كذلك حتى الموت إذ أنه صمم وهو على فراش الموت أن يوصي برئاسة الجمهورية إلى السفير البريطاني (بيرس لورين)[3].

## وثيقة يوصي بها مصطفى كمال لسفير بريطانيا لورين برئاسة تركيا:

إليكم الوثيقة التي ننقلها بنصها الحرفي من جريدة الأهرام التي قامت بنقلها من جريدة صندي تايمز في يوم الخميس (١٦ ذي القعدة (١٣٨٧هـ) المصادف (١٥) فبراير (١٩٦٨م) تحت عنوان (كمال أتاتورك يستدعي سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية).

نشرت (صندي تايمز) أغرب صفحات التاريخ الدبلوماسي بعنوان (كيف رفض رجلنا أن يحكم تركيا) قالت الصحيفة: أنه في نوفمبر (١٩٣٨م) كان (كمال أتاتورك) رئيس تركيا يرقد على فراش الموت وعلى امتداد (١٥) سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين، ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية.

وعندما رقد أتاتورك على فراش الموت كان يخشى ألا يجد شخصاً يخلفه قادراً على استمرار هذا العمل الذي بدأه، فاستدعى السفير (بيرسي لورين) السفير البريطاني إلى قصر الرياسة في استانبول، أما ما دار بينهما فقد ظل سراً أكثر من ثلاثين عاماً وها هو اليوم يكشف النقاب عنه على يد (بيرزديكسون) عن حياة والده (بيرسون ديسكون) فقد كان بين أوراق (ديسكون) برقية بعث بها (بيرسي لورين) إلى اللورد هاليفاكس) وزير الخارجية وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة في التاريخ البريطاني المعاصر على الإطلاق، ففيها يروي (لورين) تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الديكتاتور المحتضر وها هي الوثيقة: عندما وصلت وجدت صاحب الفخامة يجلس على فراشه تسنده بعض الوسائد ويحيط به طبيب وممرضات، وما أن دخلت حتى صرف الطبيب والممرضتين قائلاً إنه سيضرب الجرس إذا احتاج لهم، وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة، وقال لي: إنه أرسل في طلبي لأنه يريد أن يطلب مني طلباً عاجلاً راجياً أن أعطيه جوابي عليه بطريقة قاطعة.

ثم قال السفير: لقد كانت صداقتي ونصيحتي إليه هي الوحيدة التي كان يحفل بها ويقدرها أكثر من أية نصيحة أخرى لأنها كانت ثابتة لا تتغير، وكان هذا هو السبب الذي جعله يستشيرني في مناسبات متعددة.. بحرية تامة كما لو كنت وزيراً في مجلس الوزراء التركي، ثم قال: وقد كان من سلطاته(كرئيس للجمهورية) أن يختار خليفة له قبل وفاته، وقد كانت أخلص رغبة له أن أخلفه في

---

١- رواه مسلم من سعد بن أبي وقاص، أنظر مختصر صحيح مسلم -تحقيق الألباني رقم (٢٠٠١، ٢٠٠٢، ج٢/٢٩١)- وصحيح الجامع رقم (٣٥٨٧)

٢- قوله الكنزين: الذهب والفضة المراد كنزي كسرى وقيصر أي ملكي العراق والشام، السنة العامة أي جماعتهم وأصلهم يريد عدواً يستأصلهم ويهلكهم جميعاً

٣- نشرتها جريدة الأهرام عن (الصندي تايمز) يوم الخميس (١٥) فبراير سنة (١٩٦٨م).

منصب الرئيس ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلي لمثل هذا الإقتراح، ثم بعد التفكير العميق اعتذر السفير وشكر العميل ا ظهر عليه التأثر، ومال بظهره إلى الوسائد.

١٢- وعندما كان أتاتورك في معركة مع مجلس النواب لإعلان الجمهورية وإلغاء الخلافة هاجم أحد النواب (الكولونيل خا عصمت اينونو، فقتله أحد أنصار مصطفى كمال برصاصة في المجلس.

هاجم النائب (علي شكري) سياسة مصطفى كمال فخنقه (عثمان آغا) رئيس حرس أتاتورك وكشف الأمر فتأزم مو مصطفى كمال كثيراً فأقال عصمت اينونو من رئاسة الوزراء -وعين فتحي أوفيار- لكن المعارضة ازدادت حدة فتحرج موقف أتا، وبقي في قصره كسيراً حزيناً وغارقاً في الخمر[1].

وهنا تحركت بريطانيا لإنقاذه (فطالب بالموصل) فأعطته فرصة لتجميع الناس ضد العدو الخارجي (بريطانيا)، وكذلك الأكراد في الشرق، ولا ندري هل حركها الإنجليز لإنقاذ أتاتورك، ولكن الثابت أنه استغل تلك الثورات لصالحه.

لقد صاح في الشعب: إن تركيا في خطر فالعدو الأجنبي الأصيل -إنجلترا- يظاهر الأكراد ويمدهم بالمال والسلاح[2].

هذه أنجح طريقة لإنقاذ العملاء عند اهتزاز الأرض تحت أقدامهم، ولذلك رأينا كيف عاد أتاتورك بهذه المسرحية القائد الأو

يقول آرمسترنج[3] وهب كل تركي ليمتشق السلاح وصهرت وطنية الشعب كل الخلافات السياسية والمقاومة الدينية وانه على الغازي من كل أنحاء تركيا ومختلف طبقاتها برقيات الولاء والتطوع بتقديم العون المطلوب، فإن تركيا في خطر والغازي وحده الذي يستطيع أن ينقذها!!.

كانت مسرحية كتلك المسرحية مع اليونان، ولذا بعد أن أخمدت الثورة، شكل محاكم الإستقلال التي أمعنت في الشنق والا والسجن والتعذيب، وشنق (٤٦) من زعماء قبائل (ديار بكر) كان آخرهم (الشيخ سعيد) اتخذ هذه الثورة ذريعة لتصفية المعار واتهمهم بالإتصال بالإنجليز، فأثار النواب ضدهم ففروا من البلاد، وأقرت الجمعية الوطنية وقف الدستور وتخويل الغازي سلطة ك لإنقاذ البلاد.

وألغيت حصانة النواب وفرضت الرقابة الصارمة على الصحف، وصار أي إجراء أو نقد شفوي للحكومة خيانة وطنية عظ تعاقب عليها محاكم الإستقلال بالإعدام.

١٣- بعد أن جمع كل السلطات في يده جاءت معاهدة (لوزان) التي استمرت محادثاتها ثلاثة أشهر من نوفمبر (١٩٢٢م) فبراير (١٩٢٣م)، ومعاهدة لوزان كانت انقاذاً لأتاتورك من وضعه الحرج، إذ اشتدت المعارضة ضده في البلد، وفي مجلس النو وكانت شروط لوزان قاسية جداً على الشعب التركي، ولكن الشروط الحقيقية أخفيت وهي (إلغاء الخلافة وتحطيم أية محاولة لإعاد ومحاربة الشعائر الإسلامية في تركيا واتخاذ قانون أوروبي بدل الإسلام).

وأما الذي ظهر للناس من المعاهدة أن جيوش الإحتلال الإنجليزية جلت عن العاصمة وذيولها بين سيقانها، ويكفي أن تعلم مندوب أتاتورك في مفاوضات لوزان هو عصمت إينونو والحاخام (حاييم ناحوم).

عندما تأزمت المفاوضات بين كرزون -وزير خارجية بريطانيا- وبين عصمت إينونو وكان ناحوم آنذاك مسافراً فأرسل نا برقية أنه قادم وقال في البرقيه: (عصمت صديقي، وطوع أمري، ولا يخالف لي كلمة).

وبعد معاهدة لوزان لمع اسم مصطفى كمال وظهر أنه القائد الظافر، فأعلن الجمهورية، وبدأ يضيق على الخليفة تمهيداً لإ الخلافة، ولكن لا بد من بدء مسرحية تقدم لهذه العملية الخطيرة، فأوعزت بريطانيا إلى أحد عملائها (آغا خان زعيم الطا الإسماعيلية) وعميل آخر هو (أمير علي) بإرسال خطاب احتجاج إلى مصطفى كمال بسبب معاملته السيئة للخليفة ولا تليق بم الخلافة، وكأنه ليس بين المسلمين سوى آغا خان (رجل الخمر والنساء الذي وزنه أتباعه بالماس والبلاتين) وهنا جاءت الفرصة المنا لنبش تاريخ (آغا خان) وبدأ يهاجم بريطانيا وعملاءها مثل (آغا خان)، وأثار الجمعية الوطنية فشن أعضاؤها حملة شعواء ع الخلافة ورجال الدين وزعماء المعارضة، ثم أقروا قانوناً يقضي باعتبار كل معارضة للجمهورية وكل ميل إلى السلطان المخلوع يعا

١- آرمسترنج ص(٢١٤). ٢- آرمسترنج ص(٢١٦). ٣- آرمسترنج ص(٢١٦).

عليها بالموت.

وحوكم رجال الصحف الذين نشروا خطاب أغا خان، وأرسل مصطفى كمال أمراً جازماً إلى حاكم القسطنطينية بوجوب إلغاء مظاهر الأبهة التي تحيط بموكب الخليفة أثناء تأدية الصلاة كما خفض مرتبه إلى الحد الأدنى وأنذر أتباعه بوجوب التخلي عنه[1]

## وفي (٣) مارس سنة (١٩٢٤م) ألغيت الخلافة:

إذ تقدم أتاتورك بمرسوم يقضي بإلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة والمحاكم العتيقة، وقوانينها يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية.

مدارس رجال الدين يجب أن تخلي مكانها لمدارس حكومية غير دينية، وأقرت الجمعية الوطنية القانون بلا مناقشة، وبعد يومين حشد مصطفى كمال أمراء العهد القديم وأميراته ورحلوا إلى خارج البلاد، وكان قبلها بيوم أصدر قراراً بطرد الخليفة.

لقد اقتلع مصطفى كمال هذا الصرح الشامخ من الجذور، هذا الصرح الذي بقي منارة للمسلمين في أرض تركيا لمدة خمسة قرون، وفرق الراية الإسلامية التي يأوي إليها المسلمون منذ أربعة عشر قرناً، وتشتت الناس متفرقين في سبل شتى كالغنم في الليلة الشاتية، وأصبحت الذئاب تنهش من هذه الغنام المتفرقة، كل يسن سلاحه ويمتشق حسامه ليذبح من شاء وكيف شاء.

وهذا طرف من صلة أتاتورك بالإنجليز، وهذا شيء مما تبدى لنا -كبشر- من خلال المذاكرات وبعض التصريحات ونشر بعض الوثائق السرية.

أما ما خفي فالله سبحانه وتعالى يظهره يوم تبلى السرائر.

## صلة مصطفى كمال باليهود:

لقد كان مصطفى كمال على صلة وثيقة باليهود إن لم تزد عن صلته بالإنجليز فإنها لا تقل عنها، وقد خدم اليهود خدمة جليلة بهدم الإسلام في تركيا، وكذلك فإن صلاته باليهود مباشرة أكثر من أن تحصى وإليك نبذة عن العلاقة الوثيقة بهم:

١- أنه من مواليد سلانيك -بلد اليهود- وهذا يضع علامات استفهام كبيرة على نسبه، وسلانيك كما مر بلد اليهود فيها مائة ألف من اليهود من مجموع سكانها البالغ مائة وأربعين ألفاً[2].

٢- هناك كثير من المؤرخين والكتاب يرجعون مصطفى كمال في نسبه إلى اليهود، فهم يقولون بانه يهودي في عرقه ونسبه وعمله، ومن هؤلاء سبير جعيبس (كاتب فرنسي مسيحي) في كتابه جمهورية إسرائيل العالمية، وكذلك جبران شاميه وعبد الله التل في كتابه (الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام) وأنور الجندي في كتابه (العروبة والإسلام) ومصطفى صادق الرافعي في كتابه (وحي القلم) قال: اللفافة اليهودية في مخه[3]

٣- وفي (شيشلي): بلدة تركية كان ضابطاً بها يلازم يهود الدونمة[4].

٤- في أغسطس سنة (١٩٢٣م) أنشأ حزب الشعب الجمهوري يهود الدونمة والماسون[5].

٥- لقد كان أحد أعضاء جمعية الإتحاد والترقي ومعظم أقطابها من اليهود كما يقول ستون وطسون: لقد كان مصطفى ماسونياً كما يؤكد هذا (الدكتور أرنست رامزر).

وقال بينوميشان: اعتنق مصطفى كمال الماسونية رسمياً وانتسب إلى محفل (نيدانا).

وفي دائرة المعارف الماسونية: (فمن يماثل أتاتورك من رجاله الماسون)[6].

ومن المعلوم أن الماسونية لافتة من لافتات اليهود وتعمل من خلالها أصابع خفية، فالماسونية شعارهم (الفرجار والزاوية وفي

---

١- أرمسترنج ص(٢٧-٢٠٩). ٢- تقرير السفير البريطاني لاوزر سنة (١٩١٠م). ٣- أنظر كتاب عبد الله التل (الأفعى اليهودية) فصل تركيا، وكتاب العروبة والإسلام لأنور الجندي سنة (١٩٨٣م، وكتاب المخطوطات التصويرية (١٢٨، ٢٣٤) لأنور الجندي وكتاب الإتجاهات الوطنية د. محمد محمد حسين ٢/٤٥-)، ومحمد عزت دروزه في كتابه (تركيا الحديثة).

٤- الرجل الصنم (١٢٢). ٥- الأفعى اليهودية لعبد الله التل ص(٩٠). ٦- الأفعى اليهودية لعبد الله التل ص( ٨٤، ٩٦)

داخلها النجمة السداسية) نجمة داود -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- وهو منهم براء وذلك رمزاً لإعادة بناء الهيكل مكان المسـ الأقصى الذي يحلم اليهود أن يتربع فوقه أحد أبناء داود يدير العالم من فوق عرشه.

والماسونية وفروعها وقع في شباكها الكثيرون الذين يستخدمهم اليهود لتنفيذ أغراضهم وتحقيق أهدافهم.

ومن فروعها نوادي الليونز، الروتاري، بني برث، أبناء العهد.

٧- لقد ارتفع شأن اليهود كثيراً أيام مصطفى كمال وولاهم إدارة البلاد وتوجيه دفة الحكم والسياسة والإقتصاد والتعـ والثقافة والتنظيم، وعلى رأس هؤلاء (حاييم ناحوم أفندي) حاخام تركيا والذي انتقل بعد تدمير تركيا على يد أتاتورك إلى مصـ واشتغل في تدميرها، وكان له القدح المعلى في إدارة مصر أيام عبد الناصر ولكن من وراء ستار.

وقد كشف ليفي أبو عسل في كتابه (يقظة العالم اليهودي (٢٥٣-٢٥٩)) عن علاقة مصطفى كمال باليهود وقال: إن الغازي فتح لليهود أبواب تركيا: (وفتح لهم أبواب تركيا على مصراعيه، وأنه اعتمد عليهم لتنظيم الجامعة التركية أي توجيهها وجهة معاد للإسلام والمسلمين، وقال المؤلف اليهودي: (وقبل مشروع العالم الشهير فيليب سوارشي الذي يرمي إلى إنشاء معقل عظيم للعلوم فيـ واستدعى ما ينيف عن أربعين أستاذاً من هؤلاء اليهود لتوسيع نطاق أقسام تلك الجامعة، من بينهم الإقتصادي الشهير (ريك) الذ كان له شهرة ومكانة عظيمة في كلية (ماربورج) ولا غرابة أن يبالغ هذا المؤلف اليهودي في تعظيم بني قومه، فهذا لن يغير في حقـ اليهود المفسدين في الأرض الذين ما وضعوا يدهم في شيء ولا في قطر إلا خربوه.

**(ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين)** (المائدة: ٦٤)

وقال إيلي ليفي مرة أخرى إن مصطفى كمال امتزت جوانحه عطفاً وحناناً على اليهود، ولذلك سمح لعدد كثير منهم بالدخـ في تركيا والإنتشار في جميع أنحائها، ثم قال عبارة أفهم منها احتمال كون مصطفى كمال من اليهود قال: على أن هذا القدر العظـ من المكارم التي أبداها نحو اليهود كان غريزياً في نفس مصطفى كمال فهذا الميل الغريزي إلى اليهود لا يكون إلا من يهودي.

ثم بالغ في مدح العميل الكبير قائلاً: (هذا المصلح الذي قلما يأتي الزمان بمثله) ولا يمكن أن يقول اليهود مثل هذا القول مصطفى كمال جزافاً، ثم قال: نكتفي بالتلميح إلى ما كان بينه وبين صاحب الفضيلة، أية فضيلة؟حاخام مصر الأكبر الحالي (حاـ ناحوم أفندي)، عندما تعين في الأستانة بأغلبية مطلقة، إذ حل محل الحاخام الأكبر (موشيه ليفي) الذي مات شهيداً في جهاده.

ثم قال: إن حاييم ناحوم سمت مكانته وارتفعت منزلته في عين مصطفى كمال باشا والوزراء وغيرهم من ذوي الحل والعـ وأخذت جميع أعماله تكلل بالنجاح والفوز.

ومن منجزاته إزالة القيود عن هجرة اليهود من تركيا إلى فلسطين، والمساهمة بإنشاء كلية الهندسة الإسرائيلية بحيفا، تسهـ إجراءات تمليك العقارات لليهود.

وأوفدته الحكومة التركية (مصطفى كمال إلى لاهاي ممثلاً لتركيا، ومثل تركيا في مؤتمر لوزان، ثم أراد الغازي تعيينه وز مفوضاً في واشنطن فاعتذر، وساهم في دعم نقابة الإستعمار الإسرائيلية في أنقره.

وانظر ما وصل إليه هذا الحاخام في عهد الغازي الدنيء الحقير، أب هذا السياسي المحنك والخطيب المصقع إلى الآستانة، و كاد يطأ هذه الحاضرة الكريمة حتى توافد الناس على جانبي الطرق، وغصت الشوارع بالأهالي فاخترق الطريق بين الهتا والتصفيق.

ونشرت صحف تركيا المقال، وطفقت تصنف مناقبه ومآثره وتطنب في مدحه أيما إطناب، وتسجل له الثناء على تفانيه في نهضـ تركيا، وقد لقبوه وقتها بمنقذ تركيا[1].

فهل بقي أي فرق بين هذا الحقير الذي اسمه (مصطفى) وبين اليهود إخوان القردة والخنازير.

إن الإنقلاب التركي سنة (١٩١٨م) الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة، فقد أبطل السلطنة، وألـ

١- يقظة العالم اليهودي (٢٥٣-٢٥٩).

الخلافة، وأبطل المحاكم الشرعية، وألغى الدين الإسلامي، وألغى وزارة الأوقاف!!.

أليس هذا ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة، فمن يماثل أتاتورك من رجالات الماسون سابقاً ولاحقاً؟[1].

٨- لقد أذت الكمالية والإتحاديين من قبل كل الملل والقوميات إلا اليهود.

يقول الشيخ مصطفى صبري: (ولن تجد ملة أو قوماً خارج بلادنا وداخلها دامت مودة الإتحاديين والكماليين معهم إلا اليهود. فلهذا لم يسلم من اعتدائهم في تركيا من بين ألبانها وعربها وأكرادها وأرمنها وأروامها وشراكسها وأتراكها إلا اليهود[2]).

٩- استمرت سيطرت اليهود على تركيا بعد موت مصطفى كمال، وقد جاء بعده عصمت إينونو.

وعصمت كما يقول عنه حاخام اليهودي (حاييم ناحوم): عصمت صديقي وطوع أمري ولا يخالف لي كلمة.

وعندما حاول عدنان مندريس (رئيس الحزب الديمقراطي ورئيس الوزراء من (١٩٥٠م-١٩٦٠م)) أقول: عندما حاول أن يعيد بعض الشعائر الإسلامية -كإعادة الأذان بالعربية وحرية اللباس وحرية تدريس الدين، وتقارب مندريس مع العرب ضد إسرائيل، وفرض رقابة على الأدوية والبضائع التي تصنع في إسرائل وطرد السفير الإسرائيلي سنة (١٩٥٦م)، بدأت الحملة اليهودية العالمية ضده وتولى (أحمد أمين بالمان) اليهودي العريق إشعال الفتيل وتأجيج المعركة في جريدته وطن وساعده أقطاب الدونمة في البلاد، وحرك اليهود الماسونية في الجيش، وتحرك الجيش بقيادة الجنرال الماسوني جمال جورسيل في مايو (١٩٦٠م) وشنق عدنان مندريس.

وكتب الصحفي اليهودي (سامي كوهين) عن أسباب شنق مندريس في صحيفة (جوين كرونيكل) اللندنية قال: (لقد كان السبب المباشر الذي قاد مندريس إلى حبل المشنقة سياسته القاضية بالتقارب من العالم الإسلامي، والجفاء والفتور التدريجي في علاقته مع إسرائيل.

١٠- عندما حاول سليمان ديميريل التقرب من العرب وتقليل العلاقة مع إسرائيل، واشترك في المظاهرة الإسلامية ضد إسرائيل في الرباط بعد حرق المسجد الأقصى حرك اليهود الماسونية في الجيش التركي ونحي دميريل من رئاسة الوزراء.

١١- انتخب الدكتور نجم الدين أربكان الأستاذ بكلية الهندسة بجامعة استانبول سنة (١٩٦٨م) رئيساً للغرف التجارية والصناعية في تركيا، وبعد توليه هذا المنصب منع الإستيراد والتصدير إلى اليهود في فلسطين، فأقالته الحكومة من منصبه ظلماً، فعمل على تشكيل حزب النظام، ثم حل هذا الحزب فشكل حزب السلامة.

١٢- وقف حزب السلامة في وجه اليهود وإسرائيل، فخطوط العال الإسرائيلية من استانبول لا يفتش ركابها والمخابرات الإسرائيلية (الموساد)تسرح وتمرح في تركيا، والسفارة الإسرائيلية في أنقرة مركز كبير للتجسس.

وقام حزب السلامة بفضح اليهود ومهاجمة الحكومة التركية في مجلس النواب، لأن الحكومة قد اجتمعت مع اليهود اثنتي عشرة مرة، وبينوا دور اليهود في تخريب نظام التعليم، وإفساد أبناء المسلمين، وتدمير القيم والأخلاق.

وأخيراً قام الحزب بمظاهرة في (٧) سبتمبر (١٩٨٠م) ضمت أكثر من (١٥٠) ألفاً في قونيه وأحرقوا العلم الإسرائيلي، وهنا تحركت الأصابع اليهودية في داخل الجيش وأطاحت بالحكومة المدنية، وجاءت (بكنعان إيفرين) بعد المظاهرة بخمسة أيام (١٢ سبتمبر ١٩٨٠م) لتوقف التيار الإسلامي وتحافظ على الخط الكمالي وتحفظ مصالح اليهود التي تمتص دماء الشعب التركي.

ومن اليهود المحيطين بمصطفى كمال (رشدي أراس) وزير خارجيته، وكذلك (جاويد) أوبا (فيد) واليهودي (حسين جاهد) وكذلك (يونس نادي)، وهو من رجال الصحافة الذين أشهر النازي اسمهم، وبقي يواجه الجمهور التركي من خلال الصحافة لفترة طويلة.

ومن المقربين لديه من اليهود (حينا صفت) صفوت، وكان أحد الثلاثة المقربين إليه وكان سكرتيراً لحزب الشعب الحاكم.

وكذلك من اليهود (ماترسالم)، وكان أحد أعضاء بنك (سلانيك) في استانبول، وكان يقوم بامتصاص الإقتصاد التركي وبإدارة الجو السياسي وتيسيره.

---

١- الأنس اليهودية ص(٦٦).

٢- الإتجاهات الوطنية (٢/٧٩).

ومن المقربين لديه عشيقته العاهرة اليهودية (خالده أديب) وزيرة المعارف عنده، وكان أتاتورك يتفاءل بالنصر إذا حضرت!!.

وكانت قبل مسرحية معركة (أفيين) وقونيه غائبة فأبرق لها بالحضور فوصلت فايقن من الإنتصار!!.

وأما زوجته فهي (لطيفه هانم) ابنة أحد الأغنياء، وفي أزمير الذين كانوا على صلة كبيرة مع اليهود أزمير، وكانت تلع لليهودية (خالدة أديب).

ومن اليهود المشهورين (موئير كوهين الذي سمى نفسه تكين ألب وهو أستاذ (ضياكوك ألب) عمل في الصحافة في أنا ابتداء من سنة (١٩٢٢م) أصبح سنة (١٩٤٦م) عضواً في المجلس الإقليمي لحزب الشعب الجمهوري في استانبول، وفي « (١٩٤٨م) أقيم احتفال العيد الفضي تكريماً لثلاثة كتاب يهود، منهم هذا ومات سنة (١٩٦٢م) وأقامت جمعية التراث التركي اجتم لتأبينه حضرها ابنه (إسحاق كوهين)، وكتب موئير ثلاثة كتب (سياسة التتريك) سنة (١٩٢٨م) وكتاب (الكمالية) سنة (١٩٣٦، وكتاب (الروح التركية).

ومن أقوال كوهين المشهورة: (إن الذي يمثل الكمالية ليس بإنسان فقط بل هو فوق الإنسان)[1].

(إن الكمالية وجهت حملتها الأولى نحو حكم الدين وقد انهارت هذه السلطة الغاشمة بضربة واحدة وجهها إليها أتاتورك).

(إن رب الكمالية الذي عبدته منذ البداية هو: القومية).

(قبل البدء بالبناء لا بد من تسوية الساحة التي يملؤها عقبتان رهيبتان هما الدين والخلافة فلتسقط حكومة التشريع).

## وثيقة السفير البريطاني (لاوزر) سنة (١٩١٠م)

### حول العلاقة بين الإتحاديين واليهود والماسونية

هذه الوثيقة السرية هي أصلاً رسالة سرية جداً أرسلها السفير البريطاني في القسطنطينية (السير جيرار ولاوزر) بتار (٢٩/٥/١٩١٠م) إلى وزير خارجية بريطانيا (السير ش.هارونج) وتحوي معلومات دقيقة حول العلاقة بين جمعية الإتحاد والتر واليهود والماسونية.

وهذه الوثيقة السرية كشف عنها النقاب في بريطانيا حديثاً، وقد نشرتها مجلة (المجتمع الكويتية) ابتداء (٢٥/١٢/١٩٧٨م) في الأعداد (٤٢٥، ٤٢٩) نقلاً عن مجلة آفاق العراقية نقتطف منها الأجزاء الأهم:

في مدينة سلانيك مائة وأربعون ألفاً، منهم ثمانون ألف نسمة يهودي من أصل إسباني (أي هربوا من إسبانيا) (٠٠٠، يهودي من سبط (لاوي) أو من يهود المتظاهرين بإسلام (دونمه).

ومعظم اليهود الإسبان يتمتعون بالجنسية الإيطالية، وهم ماسونيون ينتمون إلى المحافل الإيطالية، فهم لذلك يتمت بالحصانة الممنوحة للأجانب في الدولة العثمانية ضد الملاحقة والتفتيش.

أسس اليهودي (قره صو) قبل بضعة أعوام في سلانيك -بالتعاون مع الماسونية الإيطالية- محفل (ماسيدونيا روزيتا)، وأ رجال تركيا الفتاة ضباطاً ومدنيين بالإنتماء إلى الماسونية، وهدفه فرض النفوذ اليهودي على الأوضاع الجديدة في تركيا.

- يظهر أ ن المخططين لحركة تركيا الفتاة في سلانيك كانوا بالدرجة الأولى من اليهود.
- بعد ثورة (١٩٠٨م) بقليل أصبح من المعروف بأن عدداً كبيراً من قادتها كانوا من الماسونيين.
- جميع اليهود على الإطلاق كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجديد.
- أصبح كل يهودي جاسوساً لجمعية الإتحاد والترقي.
- بدأ الناس يقولون: إن الحركة يهودية أكثر منها تركية.

١- أنظر كتاب الكمالية (موئير كوهين) ص (٨٩-٩٠).

- عينت إيطاليا اليهودي (بريموليفي) قنصلاً عاماً في سلانيك، وعينت الولايات المتحدة (أوسكار شتراوس) سفيراً لها في القسطنطينية، وكان شتراوس بالتعاون مع (جاكوب شنب) قد أثر على يهود الولايات المتحدة ليهاجروا إلى العراق، معنى ذلك أن شتراوس يهودي.

- العقيد اليهودي الدونمه (رمزي بيك) كان قائد الأفواج الأربعة التي أرسلت خصيصاً من سلانيك إلى القسطنطينية، وقد عينه رئيساً لأركان حرب السلطان (محمد الخامس)، وعندما خُلع السلطان (عبد الحميد) واعتقل في سلانيك عين أخ لرمزي بيك مشرفاً على السلطان في سجنه.

- أعلن المؤتمر الصهيوني التاسع المنعقد في هامبورج في شهر كانون الأول سنة (١٩٠٩م) أن انقسام اليهود إلى صهيونيين ودعاة للهجرة إلى مناطق أخرى غير فلسطين قد انتهى بفضل (معجزة الثورة التركية) بمعنى أن فلسطين أصبحت مضمونة بلاشك.

- بعد خلع عبد الحميد أعلنت الأحكام العرفية لمدة سنتين، وكان معظم الضباط في المحاكم العرفية ماسونيين.

- مدير المطبوعات في الدولة يهودي من سلانيك وله سلطة إيقاف أي جريده.

- وكالة الأنباء التلغرافية -التي تقدم رأي الإتحاديين في الأحداث الداخلية والخارجية- مديرها يهودي من بغداد.

- رئيس الفرع الرئيسي لجمعية الإتحاد والترقي في القسطنطينية يهودي من سلانيك.

- مديرية الأمن العام في الدولة بيد ماسوني من سلانيك.

- في مقدونيا والقسطنطينية ظهر خلال العام الماضي (١٩٠٩م) اثنا عشر محفلاً ماسونياً جديداً.

- أفهم الموظفون وغيرهم -من ذوي المناصب المهمة- أن مناصبهم وموارد رزقهم تتوقف على دخولهم في المحافل الماسونية.

- لكي تشدد الجمعية قبضتها على الجيش أدخل عدد كبير من الضباط -وخاصة من ذوي الرتب الصغيرة- في محفل ماسوني يسمى (ريسنا) بلد نيازي بيك، ويرأس المحفل أخوه النقيب (عثمان فهمي بك).

- دخل في الماسونية معظم نواب الجمعية في مجلس المبعوثات والأعيان في المحفل الذي يسمى (الدستور) وكان من كبار رؤسائه طلعت.

- نواب المعارضة وخاصة العرب بدأوا ينشئون لهم محافل خاصة بهم مثل (محفل التآخي العثماني) (أصدقاء الحرية) أو ينضمون إلى المحافل القائمة.

- طائفة البكتاشية تفشت بينهم الماسونية.

- في المدة التي بين (١٩٠٩م-١٩١٠م) أنشئت المحافل الماسونية التالية: (الوفاء الشرقي، نهضة بيزنطة، الأصدقاء الحميمون للإتحاد والترقي، الحقيقة، الوطن، النهضة، وفرع من محفل (نهضة مقدونيا)، الفجر)، ويبدوا أن جميع هذه المحافل الماسونية -مثل شبكة المحافل الماسونية في سلانيك ومقدونيا- كان يقودها أو يخطط لها اليهود.

- الأمير المصري سعيد حليم وأخوه الأمير عباس حليم والأمير عزيز حسن ماسونيون.

- إدريس بيك راغب -رئيس المحفل المصري الأعظم- هو المؤسس والمهيمن على عدد من المحافل الماسونية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان.

- عدد كبير من الروم الكاثوليك في لبنان ماسونيون.

- محمد أورفي باشا أسس عدداً من المحافل الماسونية في مصر والقدس وجنوب سوريا.

- يوسف بيك السكاكيني من زعماء الماسون.

- الزعيم الوطني المصري (محمد فريد) ماسوني كبير عين ممثلاً في مصر لمحفل الشرق العثماني الأعظم وأقيمت حفلة التنصيب في محفل ماسوني في (طنطا).

– حاييم ناحوم حاخام الطائفة اليهودية الأكبر الجديد في تركيا كان زميل دراسة لعدد من أعضاء جمعية أعضاء الإتح والترقي البارزين.

– طلعت وجاويد يمثلان قمة الماسونية في تركيا، وطبعاً جاويد يهودي.

ومنذ أن أصبح طلعت وزيراً للداخلية –قبل حوالي سنة– عمل على نشر شبكة الماسونية في جميع مناطق الدولة، وأخذ يس إلى الماسونية الوظائف الكبرى في الأقاليم.

– قال (لاوزر) يتبين من هذا أن الحكومة الخفية لتركيا إنما هي محفل الشرق الأعظم الماسوني وعلى رأسه الأستاذ الأع (طلعت بيك).

– الماسونية تمد نشاطها من تركيا إلى إيران، وجمعية الإتحاد والترقي الماسونية وراء الإنقلاب الذي وقع في إيران، ويد الحديث الآن حول البدء بإنشاء محفل الشرق الماسوني في إيران، و (فرح الله خان) القائم بأعمال السفارة الإيرانية الجديدة ا القسطنطينية انضم إلى الماسونية حديثاً.

– يهتم اليهود أعظم الإهتمام بالإحتفاظ بنفوذهم المطلق في مجلس وزراء تركيا الجديدة.

– يهتم اليهود أعظم الإهتمام بإيقاد شعلة الفرقة والخصام بين الأتراك وبين خصوم اليهود المحتلين.

– المولون اليهود يرحبون بتقديم القروض للعهد الجديد في تركيا مقابل مكاسب إقتصادية.

– اليهود نفوذ هائل في الصحافة الأوروبية.

– اليهود يسعون إلى تحقيق أهداف إسرائيل العليا في المستقبل.

– قد أحكم اليهود سيطرتهم على هؤلاء الأتراك الشبان.

– اليهود يمولون جريدة (تركيا الفتاة) وعدداً آخر من الجرائد في القسطنطينية.

– المولون الأوروبيون –ومعظمهم من اليهود– يزودون تركيا الآن بالمبالغ المطلوبه.

– جمعية الإتحاد والترقي الماسونية تشجع الثوريين اليهود والأرمن على تفجير القلاقل والإضطرابات والتوازن في روس القيصرية.

– أعضاء جمعية الإتحاد والترقي يقلدون الثورة الفرنسية في أساليبها بتوجيه من اليهود.

– اليهود يزينون للأتراك الإلتقاء مع الهنغاريين (المجر) بدافع القومية الطورانية، لأن المجريين من أصل طوراني.

وجميع هذه المعلومات حصلنا عليها من ماسونيين محليين في سرية تامة.

انتهت وثيقة السفير البريطاني (لاوزر) التي كتبها سنة (١٩١٠م)

## حكم مصطفى كمال لتركيا

١– يكاد المتتبع لتاريخ مصطفى كمال يجزم أن هذا الرجل وحده حكم تركيا حكماً مطلقاً لا ينازعه فيه أحد، حكماً دكتاتوري يقوم على السحق والإبادة والدماء والأشلاء.

يقول أتاتورك لعشيقته اليهودية خالده أديب: إن النظام الناجح في نظم الحكم هو حكم الرجل الواحد المطلق اليد.

سوف أجعل كل إنسان ينفذ رغباتي ويطيع أوامري، ولن أقبل نقداً أو نصيحة.

سأسير في طريقي الخاص وسوف تنفذون أنتم جميعاً ما أريده دون مناقشة[1] وطلب من مجلس النواب –عندما كان اليونا

١– آرمسترنج (١٥٧).

يهددون أنقرة- أن يعينوه قائداً ويزودوه بكل سلطات الحكام المطلق(١).

٢- استعمل البطش والإرهاب وسيلة لإخماد أنفاس الناس (شنق خمسة وعشرين من الضباط)(٢).

٣- عندما عرض قضية فصل السلطة عن الخلافة عارض النواب فقال: إن السلطنة يجب أن تنفصل عن الخلافة وتلغى، وسواء وافقتم أم لم توافقوا فسوف يحدث هذا، كل ما في الأمر أن بعض رؤوسكم سوف تسقط في غضون ذلك، ثم أعلن النتيجة بإجماع الآراء قررت الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا إلغاء السلطنة، وصاح النواب هذا كذب ولكنه لم يأبه لأحد(٣).

٤- ألغى الحصانة عن النواب وفرض الرقابة على الصحف وحل مجلس النواب، عندما اشتدت المعارضة وانتخب مجلساً جديداً، ولكن المجلس جاء أكثر معارضة، وهنا كانت معاهدة لوزان لإنقاذه من الموقف المتأزم، وقد استمرت مفاوضات لوزان ثلاثة أشهر (نوفمبر (١٩٢٢م) إلى فبراير (١٩٢٣م)، وكانت الشروط في لوزان قاسية جداً دفع فيها الشعب التركي أثمن ما لديه من كنوز وهو الإسلام والخلافة، ولكن الذي أعلن هو خروج آخر جيوش الإحتلال الإنجليزية من العاصمة وذيولها بين ساقيها.

٥- أعلن الجمهورية بعد مؤامرة حاكها مع أصحابه وكان يرى وجوب اقتلاع سيطرة الدين من تركيا، ثم ألغى الخلافة وأقر قانوناً يقضي اعتبار كل معارضة للجمهورية وكل ميل إلى السلطان المخلوع خيانة يعاقب عليها بالموت.

٦- وفي (٣) مارس سنة (١٩٦٤م) تقدم بمشروع إلغاء الخلافة وطرد الخليفة، وفصل الدين عن الدولة وإلغاء المحاكم الدينية العتيقة وقوانينها ليحل محلها محاكم وقوانين عصرية، وإلغاء المدارس الدينية ليحل مكانها مدارس حكومية علمانية.

وفي اليوم الثاني أصدر أمراً بطرد الخليفة وجميع الأمراء والاميرات ورحلوا خارج البلاد(٤).

٧- بعد إلغاء الخلافة أصبح الفقر يعم البلاد، فقد قل الطعام وازداد الغلاء وشحت النقود، واختفت البضائع من الأسواق، وانهارت البيوت والمزارع على أصحابها، وماتت الماشية لقلة العلف، وأتلف الجدب أكثر الحاصلات الزراعية، وصارت الحياة عبئاً لا يطاق بعد أن بلغت الفاقة والعوز حداً لم يسمع بمثله من قبل(٥).

٨- هنا تجرأ بعض النواب المعارضين وشكلوا حزباً اسمه التقدميون الجمهوريون برئاسة (رؤوف) حاكم استنبول.

وعندما هاجم أحد النواب واسمه (الكولونيل خليل) عصمت إينونو قتل في نفس المجلس.

وهاجم (علي شكري) سياسة مصطفى كمال فخنقه عثمان أغا -رئيس حرس أتاتورك- وألقى جثته في العراء، وفضح الأمر وتحرج الموقف فأقال أتاتورك عصمت إينونو من رئاسة الوزراء وعين فتحي أوقيا.

ولكن المعارضة ازدادت شدة، وهنا تحركت بريطانيا لإنقاذ عميلها أتاتورك، فأرسلت إنذاراً بشأن امتلاك الموصل، وجاءت ثورة الأكراد فصاح إن البلاد في خطر، وأثار حمية الأتراك ضد الإنجليز والأكراد وألقى القبض على ستة وأربعين من زعماء الأكراد -منهم الشيخ سعيد- وشنقهم، ثم اتهم حزب الجمهوريين التقدميين بالإتصال بالإنجليز، وكون محكمة الإستقلال وأمرهم أن يحكموا بالإعدام على معارضيه السياسيين -وخاصة الباشوات الأربعة العسكريين- فأصدرت حكمها عليهم جميعاً بالشنق.

وكذلك عصابة أنور من أعضاء الإتحاد والترقي القدماء، فأصدرت حكمها عليهم جميعاً بالشنق ووقع أتاتورك على أحكام الشنق -ما عدا الباشوات الأربعة العسكريين- وأطلق سراحهم بعد أن لطخ سمعتهم، وصار مصطفى كمال الحاكم لأمره في جميع أنحاء البلاد.

٩- بعد أن تخلص من خصومه واصل تدميره للإسلام والبلاد ففرض القبعة -التي كانت رمز الكفر في نظر الأتراك- فعارضها الأتراك، فنصب المشانق في ميادين المدن، وكأنها مراجيح الأطفال في أيام الأعياد، وقال شاهد عيان: كنت أمر من الميدان الذي يتدلى فيه المشنوقون ولا أستطيع أن أنسى مناظر اللحى البيضاء على الوجوه الميتة وهي تلف مع الريح(٦).

١٠- ثم استورد القوانين الوضعية الأوروبية، فاستدعى الخبراء الأجانب ليضعوا القوانين الجنائية والمدنية والتجارية المأخوذة من القوانين الإيطالية والسويسرية والألمانية على الترتيب(٧).

---

١- أرمسترنج (١٦٤). ٢- أرمسترنج (١٦٩). ٣- أرمسترنج (١٨٤). ٤- أرمسترنج (٢١٠)

٥- أرمسترنج (٢١٢) ٦- الرجل الصنم (٣٢٠) ٧- أرمسترنج (٢٢٦).

١١- رفع راية القومية التركية وأعادوا عقائد الترك الوثنية القديمة مثل عبادة الذئب الأبيض (بوزقورت) الذي صوره علم طوابع البريد، ووضعوا له الأناشيد وصاروا في المدارس يعتبرون جنكيز خان كإله، وكتبت عشيقته اليهودية (خالده أديب) كتاباً سمته طوران الجديده، وكتب موئيز كوهين (تكين ألب) اليهودي كتاب (الكمالية والروح التركية) وقال: إن رب الكمالية الذي عبدته منذ بدايته هو القومية.

وكذلك الشاعر القومي (ضياكوك ألب) الذي كان يقول: أنا أنتمي لثلاث: الأمة التركية والأمة الإسلامية والحضارة الأوروبية.

١٢- ثم ألغى الحروف العربية التي يكتب بها الأتراك والتي كتب بها التراث الإسلامي كله من فقه وحديث وتفسير وتاريخ وأرغمهم على الكتابة بالأحرف اللاتينية حتى يفصلهم نهائياً عن دينهم وتراثهم.

وحددوا يوماً ليعاقب بعده كل من لم يتقن الحروف اللاتينية من حرمان وظيفة وتجريد جنسية وطرد من البلاد وسجن[١].

١٣- منع تعدد الزوجات، وقرر المساواة بين الرجال والنساء في جميع الحقوق والواجبات، وإنشاء مدارس الفنون للشباب والشابات، ومدارس لتعليم الرقص الشرقي والغربي، ومنع الحجاب، وأخرج المرأة من بيتها وأدخلها في مناصب الدولة، وأنشأ المسارح المختلطة، وشجع الحفلات الراقصة.

١٤- حول المسجدين العظيمين -أيا صوفيا ومسجد الفاتح- إلى متحفين.

١٥- أنشأ مزرعة نموذجية فيها الأبقار والخنازير يتحدى كل القيم الإسلامية.

١٦- نصب تماثيله في كل مكان.

١٧- ألزم الناس الأذان باللغة التركية وألزمهم تلاوة القرآن الكريم باللغة التركية لا بالعربية، وسمع مرة أذان الفجر من مسجد مجاور فأمر بهدم المئذنة.

١٨- أدخل التقويم الجريجوري الغربي محل التقويم الهجري.

١٩- ألغى عيد الفطر والأضحى.

٢٠- جعل يوم الأحد هو العطلة الأسبوعية بدل الجمعة.

٢١- منع الحج، ومنع الحجاب[٢].

وخلاصة القول لقد كان يحكم وكأنه ليس في تركيا أحد.

كان يقول: أنا تركيا وتركيا هي أنا، أنا رئتها التي تتنفس بها، فكل محاولة لتدميري هي محاولة لتدمير تركيا[٥]. ٥- حوار في أنقره (٥٨).

وهكذا استمر يدمر تركيا ويمسح عن وجهها هذا الدين -الذي رفعها- لتحكم خمسة قرون متتالية أراض لا تغيب عنها الشمس، وواصل تدميره لكل الأعمدة التي أقيم عليها صرح هذه الدولة المسلمة الشامخ إلى أن أصبحت تركيا في ذيل قافلة الرقيق وفي كل مناحي الحياة.

## حياته الخاصة:

إن إغراق مصطفى كمال في شهواته هو العنوان البارز لحياته، ويمكن تلخيص حياته في ثلاث كلمات: النساء، الخمر، وجنون العظمة.

١- فقد زنى وهو في سن الرابعة عشر في بنت الجيران.

٢- حيثما ذهب وأينما حل تجده بين الحانات والملاهي التي تغص بالعاهرات وتتدفق بالخمور والمشروبات، ففي دمشق هذه

---

١- ارمسترنغ (٢٢١). ٢- أرمسترنغ (٢٢٧).

حياته وفي سلانيك قلما كنت تراه إلا في الكازينوهات (أوليمبوس بالاس ويونيو كرستال).

وفي صوفيا -عاصمة رومانيا- كان ملحقاً عسكرياً تفرغ للفسق والخمر حتى الصبح، وفي حلب وفي أنقره وفي مدرسة الزراعة في أنقره أسكن العاهرة (خالده أديب) مع زوجها بجانبه، حيث اللقاءات معها[1].

٢- كانت فلسفته في الحياة على الفرد والأمة أن لا تدع النشوة والفرح أن تفلت من يديها[2].

٣- ولشدة شربه للخمر المسمى بالعرق كانت الأوردة الشعرية ظاهرة على وجنتيه وعلى وجه خاصة، وأصبح أحمر كالطماطمه.

وبعد أن أصبح رئيساً للجمهورية سكر وعربدة وفسق بالنساء والولدان، وقال زميله رضا نور: أنه أصيب بمرض السيلان وأمر بإزاحة الستائر عن نوافذ بيته حتى يراه الناس وهو يشرب الخمر[3].

٤- كان له سماسرة لاختطاف الفتيات وقوادين لإحضار النساء، منهم جواد عباس ووزير خارجيته توفيق رشدي، الذي جعل بيته في أنقرة (ماخوراً) لأتاتورك.

ومن عشيقاته (صالحة) التي قدمها زوجها إلى أتاتورك، و (فكرية) والبروفسورة (أفة) التي عشقها أربعة عشر عاماً -دون انقطاع- فسميت العشيقة الدائمة، والبلغارية الجميلة التي قدمها زوجها المحامي لطفي إلى الغازي نظير الحصول على بعض الامتيازات في (مشروع بارون) وبنت (مفيد بك).

وكذلك خليل باشا الذي قدم زوجته لأتاتورك نظير الحصول على امتياز للبترول، فأعطاه أتاتورك (٣٠٠٠) ليره مصاريف جيب[4].

٥- اتخذ مجموعة من العاهرات الفاتنات كخدامات دائمات في القصر وسماهن (بناته بالتبني).

والآن يقلده بعض الثوريون بتجميع حشود الساقطات في القصر الجمهوري التي يسموهن (راهبات الثوره).

ولو أردنا أن نستطرد في هذا الموضوع لاستغرق ذلك منا وقتاً طويلاً وصفحات كثيرة، والخمر والنساء قد سببت له أمراضاً كثيرة فأصبح جسده ينحل ويضعف يوماً بعدَ يوم.

**مرضه وموته:**

لقد أصيب بمرض الكبد -بسبب الكحول التي في الخمر- وأصبح الماء يجتمع في بطنه باستمرار، وصار يثور بسرعة عجيبة وضعفت ذاكرته وصار الدم ينزف من أنفه بلا انقطاع وأصيب بالأمراض الجنسية، وصار يحك بين فخذيه باستمرار.

كانت المياه القاتلة في جوف الكبد تتجمع فيسحبونها بالإبر، انتفخ بطنه وتورمت قدماه.

صار يضعف يوماً بعد يوم ويستطيل وجهه ويختفي الدم منه ويبيض بياض العاج، ثم صار عاجزاً عن الحركة بمفرده[5].

وفي أثناء مرض الموت استدعى أتاتورك السفير البريطاني (لورين) ليوصي له برئاسة الجمهورية التركية.

ويحدث الأتراك عن العذاب الذي كان يعاني منه أثناء مرضه العجب العجاب.

**(ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر)** (السجدة:٢١)

**(لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى وهم لا ينصرون)** (فصلت:١٦)

كان يصيح صياحاً يخترق شرفات القصر الذي يقيم فيه (دولة باغجة) في القسطنطينية[6].

وأصبح جلداً على عظم، وبقي يذوب ويصغر وينفتت حتى يتحول إلى فضلة امتص ماؤها.

كان وزنه عندما مات (٤٨) كغم فقط، سقط طاقم أسنانه، فمه يكاد يصل إلى حاجبيه، أوصى أن لا يصلى عليه صلاة الجنازة، وفي يوم الخميس (١٠) نوفمبر سنة (١٩٣٨م) الساعة التاسعة وخمس دقائق رحل أتاتورك من الدنيا ملعوناً في السماء والأرض.

---

١- الرجل الصنم ص(١٩٢).
٢- الرجل الصنم ص(٢٠٠)
٣- الرجل الصنم ص(٣٨٠)
٤- الرجل الصنم ص(٣٩٤).
٥- الرجل الصنم (٥١٦، ٥١٨، ٥٢٠)
٦- الرجل الصنم (٥١٩)

**(فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)** (الدخان:٢٩)

رحل بعد أن دمر تركيا ودمر الإسلام ومزق الأسرة وحطم الأخلاق وداس القيم وانتهك الشعائر وحول المساجد إلى مخازن للحبوب.

**(ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون، ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون)** (الأنعام:٩٣-٩٤)

يقول عرفان أورگا: (إن أتاتورك قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجه إلى الدين وكان يعتقد من صغره أن لا حاجة إلى الله، وكان يقول: إن قوة العقل والإرادة تتغلبان على قوة الإله، وكان في آخر عهده يرفع قبضته ويشير إلى السماء ساخراً مهدداً)[١].

# تركيا بعد أتاتورك

١- مات أتاتورك بعد أن خلف تركيا قفراً بلقعاً، وكانت أعماله محط أنظار الغرب فعض الغرب على إنجازاته التدمير بالنواجذ، وجيء بنائبه عصمت إينونو ليصبح رئيساً للجمهورية، فاعترف بإسرائيل سنة (١٩٤٨م)، وبدأت أمريكا فيها القواعد العسكرية.

٢- ثم أراد الغرب أن يسبر غور التجربة الكمالية في الشعب التركي فأجبروا عصمت إينونو على إنشاء الأحزاب السياسية فاختار إينونو (جلال بايار) وكلفه بتشكيل الحزب المعارض والحزب الديمقراطي، وكان يساعد جلال بيار عدنان مندريس فأصبح عدنان قطب الرحى في الحزب.

٣- ويشاء الله أن تحصل في هذه الفترة حادثة عجيبة لعدنان مندريس فبينما كان ذات مرة يركب طائرة توقف أحد محركاتها وأعلن الربان حالة الخطر، فعاهد مندريس ربه لإن أنجيتني لأعيدن الإسلام إلى تركيا واحترقت الطائرة وكان الشخص الوحيد الذي نجا هو مندريس.

٤- دخل الحزب الديمقراطي سنة (١٩٥٠م) الإنتخابات ببرنامج عجيب توقعت له كل الدراسات الأمريكية الفشل المطلق.

كان برنامجه لا يتضمن أكثر من عودة الأذان باللغة العربية، والسماح للأتراك بالحج، وإعادة إنشاء وتدريس الدين بالمدارس وإلغاء تدخل الدولة في لباس المرأة.

فإذا كان التقدم يأبى أن تفرض الدولة الحجاب على المرأة فإن التقدم يتنافى أيضاً مع فرض الدولة العري عليها وإعادة (أيا صوفيا) مسجداً كما كان طوال خمسة قرون[٢].

ويبدو أن عدنان مندريس كان صادقاً في اتجاهه نحو الإسلام بعد أن وجد السير على طريق (أتاتورك) وخليفته يؤدي إلى تدمير تركيا، وقد بنى دعايته الإنتخابية على أساس العودة التدريجية إلى الإسلام كمصدر أساسي لقوة الشعب التركي المتدين[٣].

٥- فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة مذهلة، سقط حزب أتاتورك إلى اثنين وثلاثين نائباً، وفاز الحزب الديمقراطي بثلاثمائة وثمانية عشر مقعداً، وكانت دهشة اليهودية العالمية والماسونية عظيمة حين اكتسح مندريس خليفة أتاتورك. ويومها صاح إينونو قائلاً: لقد انتصر عدنان مندريس بدعايته الدينية.

وتسلم عدنان مندريس مقاليد الحكم رئيساً للوزراء، وجلال بايار رئيساً للجمهورية، وشرع لتوه ينفذ وعوده التي بذلها للشعب أثناء عملية الإنتخابات[٤].

واستجاب مندريس لمطالب الشعب فعقد أول جلسة بمجلس الوزراء في غرة رمضان، وقدم للشعب هدية الشهر الكريم: (الأذان

---

١- الإصلاح بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للندوي(٥٢-٥٦). ٢- (كشك ٥٩-٦٠) ٣- الأفعى اليهودية (٩٧،٩٩). ٤- الأفعى اليهودية (٩٩).

بالعربية وحرية اللبس وحرية تدريس الدين وبدأ بتعمير المساجد).

وجاءت انتخابات عام (١٩٥٤م) وهبط نواب حزب أتاتورك إلى (٢٤) نائباً، وسمح بتعليم اللغة العربية وقراءة القرآن وتدريسه في جميع المدارس حتى الثانوية وأنشأ عشرة آلاف مسجد، وأنشأ اثنين وعشرين معهداً في الأناضول لتخريج الوعاظ والخطباء وأساتذة الدين، وسمح بإصدار مجلات وكتب تدعو إلى التمسك بالإسلام والسير على هديه، وأخلى المساجد التي كانت الحكومة السابقة تستعملها مخازن للحبوب وأعادها أماكن للعبادة.

وتقارب مندريس مع العرب ضد إسرائيل، وفرض الرقابة على الأدوية والبضائع التي تصنع في إسرائيل وطرد السفير الإسرائيلي سنة (١٩٥٦م)، وفتح (٣٥) ألف مدرسة لتحفيظ القرآن.

٦- تحركت اليهودية العالمية ضد مندريس، وخاصة الصحفي اليهودي (أحمد أمين يالمان) -صاحب جريدة وطن- وحركت أمريكا والدول الغربية الماسونية في الجيش، فقام الجنرال الماسوني (جمال جورسل) سنة (١٩٦٠م) بانقلاب وشنق عدنان مندريس، وفطين زورلو، وحسن بلكتاني[١].

وكتب الصحفي اليهودي سامي كوهين: لقد كان السبب المباشر الذي قاد مندريس إلى حبل المشنقة سياسته القاضية بالتقارب مع العالم الإسلامي والجفاء والفتور التدريجي في علاقتنا مع إسرائيل، ثم ضرب حزب العدالة.

٧- في سنة (١٩٦٥م) أجريت انتخابات مرة أخرى ربح فيها حزب العدالة بأغلبية ساحقة، وكان رئيسه سليمان ديميريل، وقال إينونو: أنا لم يهزمني ديميريل... بل هزمتني جماعة النور أتباع الشيخ سعيد نورسي.

وحصل حزب العدالة على (٢٦٣) مقعداً من (٤٥٠) مقعداً، وضاعف ديميريل مدارس الأئمة إلى (٧٢) ومدارس تحفيظ القرآن إلى اثنتي عشر ألف مدرسة، وتقرب للعرب وفترت علاقاته مع إسرائيل واشترك بالمظاهرة الإسلامية ضد إسرائيل في الرباط، فتحركت أمريكا ومن ورائها اليهودية العالمية وحركت الجيش وجاء انقلاب عسكري نُحي فيه ديميريل عن الحكم، ولكن لم يعدم بسبب أنه ماسوني.

٨- تزداد الديون على تركيا يوماً بعد يوم بالإضافة إلى أن نسبة التضخم بلغت (٤٢٪-٦٠٪) سنة (١٩٧٠م) والبطالة (٢٠٪) والديون كانت سنة (١٩٧٠م) (٢١) مليار دولار، وفي سنة (١٩٧٩م) أصبحت (١٧) مليار.

واستسلمت الحكومة للبنك الدولي وخفضت قيمة الليرة التركية إلى (٨) مرات وفي سنة (١٩٨٠م) ارتفعت نسبة الربا إلى (٣٠٪) أعلى نسبه في العالم[٢].

٩- ظهر حزب السلامة الوطني الإسلامي سنة (١٩٧٢م) يقوده الدكتور (نجم الدين أربكان) الحاصل على دكتوراه من جامعة ألمانيا، والتف كثير من الشباب التركي حول هذا الحزب، ووقف الحزب ضد الغرب الصليبي بزعامة أمريكا، فطالب بالخروج من حلف الأطلسي وتحرير تركيا من القواعد الأمريكية، ووقف ضد إسرائيل، واليهود وعارض انضمام تركيا إلى السوق الأوروبية المشتركة، وطالب بإرسال كتائب من الجيش التركي لمساعدة المجاهدين الأفغان، كما أرسلت الحكومة جيشاً يحارب مع أمريكا في كوريا.

١٠- تشكل حزب السلامة سنة (١٩٧٢م)، وفي سنة (١٩٧٣م) دخل الحزب المعركة الإنتخابية وفاز بثمانية وأربعين مقعداً، وشارك في الحكم مع حزب الشعب الذي يرأسه أجاويد، وشرط أربكان أن يكون هو نائباً لرئيس الوزراء وأن يكون له ثمانية من الوزراء في الحكومة التركية.

وبدأ الحزب يحاول إعادة تربية الأتراك على الإسلام، ففتح أبواب الحج للشعب فبلغ عدد الحجاج (١٥٠) ألف سنوياً، وهذا رقم خيالي بالنسبة لما سبق.

١١- افتتح الحزب (٣٠٠٠) مركز لتعليم القرآن في القرى و (٢٠٠) مدرسة لإعداد الأئمة والخطباء، ووضع خطة لإنشاء جامعة إسلامية، والتحق بمدارس الأئمة والخطباء ما يقرب من مائتي ألف طالب، وقد كان الشخص الذي يؤدي الصلوات الخمس يحرم من الوظيفة حتى وظيفة الحاجب، وبفضل الله ثم بجهود حزب السلامة اصبح نصف الولاة يجاهرون بأداء الصلوات الخمس، وطالب

١- حسون (٢٩٨)

٢- جريدة الشرق الأوسط (١٩٧٩/٥/١٠م)، والأمان (١٩٨٠/٧/١١م)، والمجتمع عدد (٤٧١)

الحزب بجعل العطلة الرسمية يوم الجمعة بدل الأحد، وبإجراء عقود الزواج حسب الشريعة وبتعليم القرآن واللغة العربية في المدارس.

١٢- ويسيطر الحزب على الإتحاد العام لطلبة تركيا، وهذا الإتحاد تتبع له ست وتسعون جمعية، وتضم مائة وخمسون وثلاثون ألف طالب، وفي ذكرى فتح القسطنطينية يتجهون إلى مسجد (أيا صوفيا) -الذي حوله أتاتورك إلى متحف- ويصلون فيه، للحزب مطبعة ومخيم دائم للصيف، ويقول (أحمد سازقيا) رئيس الإتحاد أول أهداف الإتحاد هو أ نجعل الإنسان التركي بعيداً عن الجاهلية.

ولحزب السلامة جريدتان يوميتان (ملي جازينا) ويوزع منها مائة ألف يومياً ويني دوير (الدور الجديد)، ويوزع منها (١٥) ألف يومياً

ويصدر المجلات التالية:

١- إسلام. ٢- هجرت (ألمانيا). ٣- ماورا (أدبية). ٤- أدبيات. ٥- جل رستا (باقة الزهر). ٦- اقتباس جمع الأخبار ٧- سلام.

## المجلات الممنوعة من الدولة:

١- التوحيد منعت عام (١٩٧٩م). ٢- الشورى منعت عام (١٩٧٨م). ٣- هجرت. ٤- اكنجلا (سرية). ٥- تبليغ ٦- أديم معناها (خطوه). ٧- حركة، السبيل.

ومن الجرائد اليومية الممنوعة بوكون (يعني اليوم).

## منهاج التربية:

١- تربية فكرية.

٢- تربية أخلاقية (روحية).

٣- تربية بدنية.

١٣- رفع الحزب شعار لكل مدينة مصنع، وأنشأ مائتي مصنع للصناعات الثقيلة، وصنع محركات لطائرات الجامبو.

١٤- في (٧/٩/١٩٨٠م) عمل الحزب مظاهرة تحت شعار يوم إنقاذ القدس، وحرق العلم الإسرائيلي وطالب بإقامة دولة إسلامية وحكم الشريعة الإسلامية، وهنا حركت أمريكا الجيش التركي وأقام كنعان إيفرين الإنقلاب الأمريكي في (١٢/٩/١٩٨٠م).

فقد نشرت الأهرام القاهرية في (١٣/٩/١٩٨٠م) في واشنطن صرح متحدث باسم الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة أبلغت بالإنقلاب قبل وقوعه.

كما صرح بعض المسؤولين الأمريكيين أن هناك مخاوف متزايدة من قيام حكم إسلامي وبصورة تتعارض مع خط الزعيم التركي (أتاتورك) الذي أرسى دعائم الدولة العلمانية في تركيا، فالإنقلاب التركي أنقذ تركيا من دولة علمانية إلى دولة تحكمها التقاليد الدينية الإسلامية[1] ومدح واينبرغر إفرين وزمرته وأعطوا تركيا سبعمائة وثلاثة ملايين دولار.

١٥- اعتقل إيفرين أربكان ورجال حزب السلامة، وافتتح عهده بوضع إكليل من الزهور على قبر أتاتورك، واعتبر إيفرين وحكومته عام (١٩٨١م) هو عام أتاتورك.

١٦- منع إيفرين الملتحين من البقاء في الجامعات خاصة أكاديمية (سكاريا) ومنع الحجاب.

١٧- في (٢٤) إبريل سنة (١٩٨١م) مثل نجم الدين أربكان زعيم حزب السلامة الوطني هو وثلاثون من أعضاء الحزب أمام محكمة عرفية عسكرية، وقد قرأ المدعي العام العسكري لائحة الإتهام.. أما الجرائم التي جاءت في لائحة الإتهام فهي:

أ- العمل على استبدال مبادئ الدولة القانونية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية بمبادىء تقوم على أساس الإسلام.

---

١- الإعتصام سبتمبر (١٩٨٠م).

ب- قيام عدد من المنظمات الشبابية والطلابية والعمالية والمهنية والمرخصة والمرتبطة سراً بالحزب والتي تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في تركيا.

جـ- اجتماعات الحزب وهتافات تكشف أهدافه، ومن هذه الهتافات (محمد قائدنا)، (سنحطم الأصنام ونقيم دولة الإسلام)، ومن لافتاته.

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (المائدة:٤٤)

(وقل جاء الحق وزهق الباطل) (الإسراء:٨١)

د- ترديدهم لذكر الله في اجتماعاتهم وتذكيرهم الأمة بأنها حاربت خلال تاريخها من أجل الإسلام لا من أجل أشخاص أو أبطال.

هـ- ألقى أربكان كلمة في الحجاج الأتراك في مكة عام (١٩٧٧م) جاء فيها: (يجب أن نبحث فيما إذا كنا نطبق القرآن أم لا).

و- إصرار أربكان على افتتاح مدارس تعليم القرآن في كل قرية وإصراره على فتح مسجد أيا صوفيا.

ز- أحد خريجي كلية الشريعة في جامعة الرياض قال في أحد اجتماعات الحزب: (يشرفني أن أشترك في هذا الإجتماع الإسلامي).

ح- ذكر (ممثل كرم ملا أوغلو) في خطابه في المعسكر الذي أقامته الندوة العالمية للشباب الإسلامي في (جنة قلعة) أن ثورات أتاتورك قطعت الصلة بين الشعب التركي وماضيه وأن إصلاحاته أفسدت قيم الأمة الروحية.

وهاجم معاهدة لوزان وتغيير الحروف العربية واستبدال القوانين، وختم حديثه بأن تركيا اليوم جمهورية ملحدة.

ط- أعلن أربكان في إحدى خطبه أنه عندما شارك في السلطة صار كثير من حكام الأقاليم التركية يتعلمون الصلاة.

ي- طالب الحزب بأن تكون الجمعة يوم العطلة الرسمية وأن يكون الزواج شرعياً.

ك- قال أربكان إن حرية العبادات مسموح بها في روسيا وألمانيا وفي تركيا أيضاً، والعبادات ليست كل الدين.

ل- يتهمون الماسونية بإسقاط السلطان عبد الحميد، وأول محفل ماسوني تآمر على الدولة كان في سالونيك وكان أتاتورك واحداً منهم، وفي هذا إهانة له.

م- يتهمون (حزب الإتحاد والترقي) الذي أسقط (عبد الحميد) بأنه ماسوني وصهيوني.

ن- وجدت في مكتب أربكان أوراق تثبت مبايعته من قبل أعضاء بارزين في استامبول، وهذا يعني أنه كان مرشحاً للخلافة[٢].

٢- المجتمع عدد (٥٣٠) تاريخ (٢٦/٥/١٩٨١م).

وقد طلبت النيابة العامة بسجن أربكان وإخوانه (١٤-٣٦) عاماً.

ولا ينقضي عجبك وأنت تتملى هذه الإتهامات في بلد محمد الفاتح والسلطان عبد الحميد ومركز الخلافة، التي بقيت حصناً شامخاً ومنارة سامقة تجمع شتات المسلمين ويهتدي بنورها المدلجون على طريق هذا الدين.

١٨- إن الغرب وعلى رأسه أمريكا بعد أن ربح هذه الصفقة الضخمة في تركيا على يدي أتاتورك لا يمكن أن يفرط فيها بسهولة، ولذا فقد جعل من شخصية أتاتورك إلهاً لا بد للجماهير أن تخضع إليه وأن تركع بين يدي ذكر اسمه، ولو بعد نصف قرن من تعفنه، ومن هنا فالمساس بشخصية أتاتورك جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، وحرمة أتاتورك في الدستور تعتبر أقدس المقدسات تقدم على إجلال الله تعالى وحرمة نبيه ﷺ.

ولكن هذا كيد البشر وكيد الله أعظم وبطشه أشد.

(إنهم يكيدون كيداً، وأكيد كيدا، فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) (الطارق ١٥-١٧)

١٩- إن الشعب التركي عريق التدين وجذور هذا الدين عميقة في عروقه، ولا يمكن لبشرة أو دُمّل ظهر على جلده مثل أتاتورك أن يغير طبيعته أو يقلب كيانه، ولن ينسى الشعب التركي أنه حكم رقعة كبيرة من المعمورة خمسة قرون بالخلافة والإسلام، وأنه ع حسيراً ذليلاً في ذيل قافلة البشرية بقومية أتاتورك وعلمانيته، حتى وصلت الديون على الدولة سنة (١٩٧٩م) سبعة عشر مليارا م الدولارات.

٢٠- ولذا فالشعب التركي راجع إلى الله مهما طال الزمان، وفي تركيا الآن مئات الألوف من الجيل الناشيء من حفظة القرآ الكريم حفظاً يأخذ بالألباب، إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها.

**(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** (الروم: ٠

# أصداء الحركة الكمالية وانعكاساتها على العالم الإسلامي

من المعلوم أن مصطفى كمال كان من أعضاء (جمعية الإتحاد والترقي) التي كان يتزعمها أناس ليسوا بأتراك ولا مسلم أصلاً، أمثال أنور باشا (بولندي) وجاويد (يهود الدونمة) وكراسوا (يهودي إسباني) وطلعت باشا (غجري) وأحمد رضا (مجري)، إلخ، وكلهم من الماسونيين.

وقد جاء مصطفى كمال إلى الحكم بعد معاهدة لوزان التي اشترط فيها كرزون (مستشار الخارجية البريطانية) عليه أن يه الخلافة وأن يسحق أي محاولة لإعادة الخلافة وأن يهدم الشعائر الإسلامية وأن يتخذ قانوناً أوروبياً بدل الشريعة الإسلامية، فس حياته في الحكم من سنة (١٩٢٢م) إلى سنة (١٩٣٨م) لتنفيذ هذه المبادىء، فمنع الأذان بالعربية، وحول الأحرف العربية إلى اللاتين وفرض لبس القبعة ومنع اللباس الشرعي، وحول مسجد أيا صوفيا إلى متحف.

ومات كمال أتاتورك وواصل عصمت إينونو نفس الخط، وعندما ظهر أخيراً حزب السلامة الإسلامي وعقد زعيمه (نجم الد أربكان) مؤتمر قونيه، وحضره قرابة مائة وخمسين ألفاً خافت أمريكا على الكمالية، فقام الإنقلاب العسكري ليضرب الإتجاه الإسلا وليحافظ على الخط الكمالي المدمر.

وتتلخص إنجازات الحكومة العسكرية بنحت تماثيل لكمال وتوزيعها في كل مكان، ويمكن تلخيص التجربة الكمالية بالنة التالية:

١- إن التجربة كانت تنفيساً لأحقاد الغرب الصليبي على المسلمين نفذها هذا المسكين الضائع طمعاً في الدنيا وإشباعاً لجن العظمة عنده.

يقول توينبي[1]: من المؤكد أننا لم نكن نحب التركي التقليدي المسلم المتحمس الذي كان يثير حنقنا عندما ينظر إلينا من أ على أننا (فرنسيين زناديق).

حاولنا أن نحط من كبريائه إلى أن استطعنا أخيراً أن نحطم سلاحه النفسي، وحرضناه على القيام بهذه الثورة ا استهلكها الان أمام أعيننا.

والآن وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة لجعل نفسه مماثلاً لنا وللشعوب الغربية حوله، الآن نحس نحن بالضيق والحرج بل ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق، وللتركي أن يردد الآن (لقد نفخنا معكم في القرب ترقصوا وحزناً فلم تبكوا) هذا قول توينبي، وصدق الله العظيم:

**(كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين)** (الحشر:١٦)

**(إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب)** (البقرة:١٦٦)

٢- إن مصطفى كمال كنس الشريعة نهائياً -على حد تعبير توينبي- من تركيا.

١- الإسلام والغرب والمستقبل لتوينبي (٥١-٥٢).

٣- إنه حاول أن يصنع تركيا قطعة من باريس أو لندن، فما نقل منهما سوى الفساد والتفسخ وليته نقل الصناعة والعلوم.

٤- إنه أقام هوة عميقة بين التركي والعربي كما يقول كانتول سمث[١].

٥- إن الأصابع اليهودية كانت وراء الحكومة منذ البداية، يقول ونستون ستون[٢]: إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة -الإتحاد والترقي- كانوا يهوداً أو مسلمين من أصل يهودي، وأما العون المالي فكان يجيء لهم عن طريق الدونمة ويهود سالونيك الأثرياء، ولذلك فإن اليهود مع الغرب يحاولون أن يسموا التدمير الكمالي باسم الإصلاح الإسلامي، وهذا مما لا ينقضي منه العجب، يقول (سمث): إن تسمية الإصلاح الكمالي (فسق وانحراف) وهم[٣].

٦- إن الغرب يتمنى أن تتكرر التجربة الكمالية في العالم الإسلامي فيتساءل سمث عن إمكانية ظهور أتاتورك جديد في باكستان[٤].

٧- حصلت في العالم الإسلامي بعض الإستجابات الكمالية، فأصدر الشيخ الأظهري (علي عبد الرزاق) سنة (١٩٢٥م) كتاب الإسلام وأصول الحكم، يبرر لكمال عمله وأنكر عبد الرزاق أن الإسلام يحتوي أصولاً للحكم أو خطوطاً للسياسة، وترجم الكتاب إلى الإنجليزية والأردية، ونقل إلى باكستان منه أعداد ضخمة ليركز في أذهان الباكستانيين علمانية الدولة في الإسلام، ويقول سمث[٥] إن باكستان لا تنجح كدولة علمانية إلا إذا اقتنع الناس أن الدولة الإسلامية هي في حقيقتها دولة علمانية.

وصدرت عدة فتاوى من الأزهر كذلك بجواز ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية، (ليبرروا لكمال جواز الصلاة بغير العربية).

٨- وقد حاول مصطفى كمال أن يغرب تركيا تماماً ويقطع صلتها بالإسلام والعربية، فحول الأحرف العربية إلى لاتينية، واعتمد على الفلسفة اليونانية القديمة والفلسفة المسيحية المنسوبة للإسلام، ليحل محل دين رب العالمين، ولذلك أمر (حسن علي يوسيل) -وزير المعارف التركي- سنة (١٩٤٦م) أي بعد وفاة كمال بترجمة مائة كتاب من اليونانية و(٢٢) كتاباً من اللاتينية و(١٨) كتاباً من الفارسية و(١٢) كتاباً من اللغة العربية و(٦٢٩) كتاباً كلاسيكياً منقولاً من اللغات الأوروبية الحديثة[٦].

أرأيت نصيب الأدب العربي ولغة القرآن بين الثقافة الكمالية لشعب مسلم عريق؟!

٩- تكريس انفصال تركيا عن العالم الإسلامي والتركيز على شعار (تركيا للأتراك) وفي مصر: (مصر للمصريين).

يقول (كويلرينغ) عن لويس توماس[٧]: إنه قد استطاع أن يرسم الخطوط العريضة للظروف التاريخية والإجتماعية للحركة التي انتهت بالزعماء الأتراك المحدثين إلى تحقيق مبدأ (تركيا للأتراك) هذا المبدأ الذي سارت عليه أغلب شعوب المنطقة، ولذلك كان الكماليون يقولون[٨]: نريد أن نبني إسلاماً تركياً يصبح ملكاً لنا وجزء من مجتمعنا الجديد على نحو الكنيسة الإنجليكانية التي هي مسيحية على النمط الإنجليزي.

وفي مصر العربية الإسلامية كانت أصداء هذه الصيحات فتتحرك الببغوات المصرية التي تلعب بها الأصابع الغربية الإنجليزية بالذات فتنادي (بفرعونية مصر) فقال طه حسين: المصري فرعوني قبل يكون عربياً، وقال طه: لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي.

وقال أحمد شوقي:

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم ... أن تجعلوه كوجهه معبودا

ويقول مخاطباً مصر:

أديـر إليك قبل البيت وجهي ... إذا فهت[٩] الشهادت والمتابا

ويقول حافظ إبراهيم:

أنا مصري بناني من بني ... هرم الدهر الذي أعيا الفنا

---

١- الإسلام في العصر الحديث (١٩٤)، وانظر (الإسلام والحضارة الغربية) لمحمد محمد حسين (١٧٦).
٢- أنظر نشأة القومية العربية (٢٠٧-٢٠٩)
٣- الإسلام في العصر الحديث (١٦٣).
٤- الإسلام في العصر الحديث (٣٥٢)، وانظر الإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين (١٦٩).
٥- الإسلام في العصر الحديث (٣٠٣).
٦- الإسلام في العصر الحديث (٣٥٢)
٧- الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، مؤتمر لمجموعة من المستشرقين في جامعة برنستون أمريكا سنة (١٩٤٧م).
٨- أنظر كتاب الإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين نقلاً عن الإسلام في العصر الحديث كانتول سميث (١٩٢).
٩- فهت تجفت

وعليه فإنه ليس من الغريب أن نفسر اهتمام الغرب الكبير بالآثار والمتاحف الوطنية فتأسست قبل قرن تقريباً هيئات غربية للإشراف على التنقيب في العالم الإسلامي لربط المسلمين بالآثار والقيم والأعلام الذين كانوا قبل مجيء الإسلام، فجاء (بوتا) و(لايارد) إلى العراق وماريت في مصر و(شليمان) في تركيا، ثم أنشأوا دوائر الآثار والمتاحف الوطنية.

وليس عجيباً بعد هذا أن ندرك سر تبرع مؤسسة (روكفلر) اليهودية بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف الآثار الفرعونية ومعهد لتخريج رجال الآثار، ولعلنا بعد هذا نفطن إلى سبب النص في صك الإنتداب البريطاني على فلسطين مادة رقم (٢): يجب أن تضع الدولة المنتدبة في السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الإنتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات.

كل هذا لقطع صلة المسلمين بإسلامهم وربطهم بالجاهليات الأولى حتى يتسنى للغرب أن يستعبدهم ويذلُّهم تحت يده.

يقول الدكتور (ولسون) في مؤتمر الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة -الذي عقد في جامعة برنستون سنة (١٩٥٣م)-: إن في بلاد الشرقين- الأدنى والأوسط- في هذه الأيام نهضة حضارية هي من ناحية جديدة، ومن ناحية أخرى بعث للقديم.

إن نهضة الغرب المسيحي وحركة إحياء المعارف فيه قامت عمليات التفكر والجدل فيها على الأعمال الكلاسيكية الوثنية.

١٠- إن الغرب يظهر مصطفى كمال على أنه بطل من صانعي التاريخ الحديث، من أجل أن تكرر التجربة الكمالية في العالم الإسلامي عن طريق فئة العسكر -ذوي الأحذية الثقيلة- ليكون كمال مثلهم الأعلى وأسوتهم العليا والنموذج الذي يحتذى والقائد الذي يقتفى، ونسمع من هنا وهناك بعض القادة العسكريين من الذين تربعوا على منصة الحكم يرددون اسم مصطفى كمال في خطاباتهم ومذكراتهم كرائد وقائد وصانع للتاريخ.

يقول سمث: من الواضح أننا لا نتمنى فشل الثورة الكمالية ولا نعتقد أن التجربة سوف تمحق وتباد.

١١- التركيز على نشر الخط العلماني الذي عاش مصطفى كمال حياته كلها من أجله في العالم الإسلامي، ويحاول الغرب طمس أي محاولة لإيقاف هذا التيار.

ولذا أعدم مندريس الحاكم التركي الذي حاول إعادة بعض شعائر الإسلام إلى تركيا.

ولذا فقد جيء بالعسكريين ليطبقوها بالقوة.

ولذا فإن كلمة السادات: (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة)، هي نفس الكلمة التي يرددها الكماليون ويقول سمث[1]: العلمانية تشق طريقها في العالم الإسلامي في تقدم مستمر وإن من الممكن تطبيقها بالسلاح ؟أو بالضغط السياسي، لكن من المهم تستند في تقدمها إلى سماح الدين بها وإباحته لها وإلا انعدم السلام والإنسجام في كل من الفرد والجماعة.

ولذا فعندما حاول مصطفى كمال -وبغباء شديد- أن يوصي برئاسة الجمهورية للسفير البريطاني -لورين- أثناء تقلب كمال على فراش المرض العضال، رفضت بريطانيا بشدة حتى لا تنكشف الخطة.

وقد كنت أحتفظ بين أوراقي بصورة للصحيفة البريطانية التي نشرت هذا في الستينات، ومن المعلوم أن الدستور التركي يعطي الحق بالوصية برئاسة الجمهورية لمن شاء.

١٢- اضطرت الكمالية أن تسمح ببعض الشعائر لذر الرماد في العيون باحترام مشاعر المسلمين وخوفاً من أن يؤدي الكبت الشديد إلى انفجار شعبي مزلزل، يعصف بالثورة الكمالية وبرجلها الثاني بعد مصطفى كمال وهو عصمت إينونو.

فسمحت تركيا سنة (١٩٤٦م) بإدخال التعليم الديني في المدارس وسنة (١٩٤٧م) سمحت بالحج بعد أن ظل سنوات طويلة ممنوعاً، وسمحت بإنشاء مدارس للوعاظ والأئمة سنة (١٩٤٨م) وسمحت بزيارة القبور سنة (١٩٥٠م).

١٣- لقد أصيب الشعب التركي بالأمية الفكرية بعد أن حرم من تراث وعقيدة وثقافة عاش معها أكثر من خمسة قرون، وبعد أن حرم الكتابة بالأحرف التي توارثها جيلاً بعد جيل فخلف خلوف من الأتراك لا تعرف عقيدة ولا ثقافة ولا ديناً ولا مبادىء (ضائعون تائهون حائرون ممزقون).

---

١- الإسلام في العصر الحديث سمث (١٨٩)، انظر كتاب الإسلام والحضارة الغربية ص(٤١١)

(لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) (الحجر:٧٢)

ولكن الفطرة الطيبة التركية ستنبذ هذه الأفكار الدخيلة وستدوس هذه المبادىء الكمالية يوماً والبشائر تلوح بالأفق أليس الصبح بقريب؟

(ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريبا) (الإسراء:٥١)

فحزب السلامة الإسلامي لن يموت بإذن الله ورغم حركات العسكر القمعية الإرهابية.

(وما النصر إلا من عند الله) (آل عمران:١٢٦)

وقبل أن أختم مقالي أريد أن أقول كلمة للحكومة العسكرية التركية على رسلك! فلن تستطيعي أن تبعثي الأموات من القبور، فالتجربة الكمالية في طريقها إلى الإندثار، بعد أن ذاق الشعب من ويلاتها ودمارها مرارة العيش وحرم لذة الحياة الإنسانية وعانى من حرمان السكينة والطمأنينة في ظلال هذا الدين.

أقول للنظام القائم: وفر القروض التي تستلفها وسد بها دينك حتى لا يعلن البنك الدولي إفلاسك. وفر النقود التي تنفقها على التماثيل الكمالية لتملأ بها مفارق الطرق.

١٤- لقد بدأت تركيا مسيرتها الحديثة مع اليابان وأين اليابان اليوم من تركيا؟

إن اليابان تعتبر أرقى بلد صناعي في العالم بينما تركيا الآن مهددة بالإفلاس.

وقد هددها البنك الدولي قبل ثلاث سنوات بإعلان إفلاسها لولا تدخل السعودية لإنقاذها من هذا السقوط المصيري.

١٥- سيطر اليهود على أجهزة الدولة المختلفة، وقد مكن لهم مصطفى كمال من هذه السيطرة فمثلاً: خالده أديب -وزيرة المعارف التركية أيام كمال- يهودية وهي لكثرة نفخ الصحافة فيها سموها جان دارك الأتراك.

ووالدها اليهودي أديب أفندي، وكانت من دعاة القومية الطورانية المتطرفين، وهي على جانب كبير من الجمال، مؤهلها عند مصطفى كمال، مع تهتكها وتحللها وانحرافها.

وقد كتبت روايتها المشهورة (طوران الجديدة)، ورواية أخرى (اضربوا الغانية[1])، وأخيراً اختلفت مع مصطفى كمال وهربت من تركيا وعادت بعد موته، وأستمر الخط اليهودي في تركيا.

أما الإعلام فيكاد يكون خالصاً لهم من دون المسلمين والأتراك، فمثلاً جريدة (حريت) يهودية توزع مليون نسخة يومياً وتصدر عن دار النشر فيها مجلات مثل (مجلة الحياة) ومجلة (التاريخ)، هذه الدار تملكها أسرة يهودية من الدونمة وتحتضن كبار كتاب اليسار التركي.

وتأتي بعد جريدة (حريت) جريدة أخرى اسمها (مليت التركية) وتديرها عائلة يهودية اسمها (ايبكجي) وفيها الكاتب اليهودي المعروف (سامي كوهين) وإلى جانبه كتاب اليسار التركي[2] ثم جريدة (جمهوريت) التي أسسها يونس نادي وهي جريدة اليسار التي كان يرأسها يهودي الدونمة (نوري تورن)، ومنذ سنة (١٩٧٢م) واسمه المحامي اليهودي (رشاد أتايك).

أما الإذاعة والتلفزيون فكان المدير فيها اليهودي المعروف (حم ايبكجي)، وبقي مديراً حتى اتخذ أربكان أثناء وجوده في الوزارة قراراً بعزله.

ورفض رئيس الجمهورية التوقيع على قرار عزله ولكن الوزارة أصرت واضطر رئيس الجمهورية أخيراً التوقيع سنة (١٩٧٥م).

ومرة أخرى نقول للحكومة العسكرية التركية الأولى أن تربطي الشعب التركي بإسلامه، وأن تحاولي بناءه مرة أخرى بمبادىء هذا الدين بدلاً من توزيع الأوثان في الشوارع.

إحم الليرة التركية من السقوط، وفري أيتها الدولة جهودك فلقد عفا الزمن على مصطفى كمال ولفظه التاريخ من صفحات

١- أنظر كتاب يهود الدونمة (٤٤).

٢- أنظر كتاب يهود الدونمة(٤٤).

الوطنيين أو البشر أو الأناسي أو المسلمين.

ولا يسعني أن أختم مقالي قبل أن أشير إلى قصة حقيقية: أنه قبل هلاك مصطفى كمال أوصى مصطفى كمال أن لا يصلو عليه صلاة الجنازة، فاختلف الملأ الذين استكبروا من قومه حول صلاة الجنازة عليه، فقسم يقول لا نصلى عليه لأن الدستور يمنع هذ العمل، وقسم يرى تجاوز الدستور في هذه القضية وأخيراً تقدم أحد عبيد...... مصطفى كمال وصلى عليه متحملاً نتيجة هذه الجريمة النكراء!!.

وقديماً قال المتنبي:

*وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء*

ونحن نقول: وكم في تركيا من المضحكات المؤلمات المبكيات المهلكات.

**(ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون)** (النمل: ٥٠-٥٣)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

# جريدة المراجع


١- حوار في أنقره (كشك).

٢- تاريخ الدولة العثمانية (علي حسون).

٣- الرجل الصنم (ضابط تركي سابق).

٤- تاريخ الدولة العلية (محمد فريد بك، تعليق إحسان حقي).

٥- مصطفى كمال الذئب الأغبر (آرمسترنج، ترجمة حلمي مراد).

٦- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية (أبو الحسن الندوي).

٧- أعمدة الحكمة السبعة (لورنس).

٨- الرجل الأوحد -ثلاثة أجزاء- (شوكت ثريا آيدمير).

٩- جانقايا قصر مصطفى كمال في أنقره (فالح رفقي).


*******************

# هذا الكتاب

لقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة الحياة البشرية أكبر قاصمة في تاريخها.

وقد كان إبعاد هذا الدين عن توجيه الإنسانية أعظم طعنة نجلاء أصابت قلبها.

إن الشقاء الذي تتضور فيه البشرية، والنكد الذي يحياه الانسان في خاصة نفسه أو أسرته أو المجتمعات عامة كان نتيجة طبيعية وثمرة خبيثة لانزال القرآن عن منصة الحكم وتوجيه الحياة.

إن الحيرة والضياع والخيبة والضنك الذي يلف الحياة بأسرها كان نتيجة تلك الأيادي الخبيثة التي دفعت بهذا التنين الخسيس فاطاح بهذا الصرح الشامخ وقوّض هذه المنارة السامقة التي سارت على هديها الأجيال وطوت سفراً ضخماً من الحق والبطولة والمجد الذي سطّره المسلمون بدمائهم خلال ثلاثة عشر قرناً.

فكيف هوى هذا الصرح؟ وكيف قُوّضت هذه المنارة؟ وكيف سقطت الخلافة؟

# الإسلام
# ومستقبل البشرية

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى الذين يعلمون حقاً ويعملون صدقاً بالآية الكريمة:

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلو
وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم ب
وذلك هو الفوز العظيم، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)

(التوبة: ١١١-١٢)

إلى هؤلاء الذين عقدوا الصفقة مع الله جادين مخلصين، أقدم عملي هذا المتواضع راجياً من ا
القبول والمغفرة.

العبد الفقير إلى الله/ عبد الله عزام

(ذي الحجة ١٤٠٠هـ) (١٠ تشرين الأول ١٩٨٠)

# الإسلام ومستقبل البشرية

تشير كثير من المؤشرات، وتوحي كثير من الومضات إلى أن هذه العقيدة هي المرشحة الآن لإنقاذ البشرية، ولتأخذ على عاتقها تخليص الإنسانية من الشقاء الذي لم تعد تجد منه مهرباً، وكاد الإنسان ييأس من النجاة بعد أن عانى ما عانى من ويلات الجاهلية، ضياعاً في متاهاتها، وشقاء يمزق الأعماق، وحيرة تأخذ بالألباب، واضطراباً يفتت الأكباد.

وعاد كل ذي لب يحس بهذه النتيجة التي آلت إليها البشرية، وأصبح كل مبصر يدرك أن هذا الدين الذي ارتضاه الله للبشرية رحمة وشفاء قد جاء دوره، وأن له أن يتقدم ليريح هذا الإنسان الضائع الحائر.

عاد المسلم يلمس بل يؤكد أن هذا الدين مقبل من بعيد ليأخذ بيد الإنسان الشرقي والغربي على السواء.

**وهنالك عدة أسباب ومبررات تجعلنا نؤكد –بإذن الله– أن المستقبل لهذا الدين، أهمها:**

١– هذا الدين هو الذي يوافق الإنسان ويتناسق مع الفطرة.

٢– انهيار الحضارة الغربية.

٣– المبشرات النصية من الكتاب والسنة.

٤– المبشرات الواقعية في الأرض وعودة الإنسان إلى الله.

وهذه المبررات هي طليعة الأسباب التي تجعلنا نؤكد بإذن الله أن هذه العقيدة هي الواحة التي سترتاح في ظلالها البشرية، وسأحاول أن أشرح بإيجاز كل نقطة من هذه المبررات الأربع.

## أولاً: المبرر الأول

## الإسلام دين الإنسان (دين الفطرة)

إن الإنسان مخلوق بيدي العزيز الحكيم، وهذا الدين هو الروح الذي أنزله الله ليريح هذا الإنسان، وقد وضح الله عز وجل أن سعادة الإنسان مرتبطة بمنهاج الرحمن من اللحظة الأولى فور مغادرة الإنسان الجنة إلى الأرض، فخاطبه الله تعالى:

**(اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)** (طه:١٢٣–١٢٤).

إن صانع أي آلة يضع معها تعليمات تشغيلها وصيانتها، فالثلاجة والطائرة والسيارة يضع مهندسها تعليمات لأعمالها، ولا يمكن أن تعمل الآلة إلا بالطريقة التي أراد مهندسها.

ولله المثل الأعلى فهو خالق هذا الإنسان، ويعلم ما يصلحه ويسعده، فأنزل إليه الكتاب والحكمة، وأرسل إليه الرسل صلوات الله عليهم، وبذلوا جهدهم لإنقاذ هذا الإنسان، فما لم يطع الإنسان خالقه فلن يقطف ثمار عمله، ولن يذوق طعم الراحة ولا السعادة على هذه الأرض.

إن الإنسان يتكون من جسد وروح، والمركب الإنساني بكامله لا يستطيع السير إلا على سكة ذات حافتين (حافة الجسد وحافة الروح)، وإن إهمال أي الحافتين أو تحطيمها هو تحطيم للإنسان ذاته.

ومن هنا تحطمت كل الحضارات المادية (الجسدية)، ابتداء من أثينا وروما وحضارة فارس، وانتهاء بالحضارة الأوروبية الحديثة، وكذلك تحطمت الكنيسة على صخرة الفطرة الإنسانية، لأنها أرادت أن تسير الإنسان على حافة الروح وحدها، فعجزت عن مواكبة الحياة، وتخلفت وانزوت بين جدرانها الأربعة، شأنها شأن البوذية والهندوكية... إذ أن الجسد البشري يخضع للتشريح والقياس والفحص، وتستطيع الأجهزة البشرية أن تعمل على هذا الجسد، ومن هنا فقد أبدع الإنسان في عالم الجسد والتشريح والطب.

أما الروح فإنها لا تخضع لمقاييس الإنسان، ولا توزن بالكيلو غرامات، ولا تقاس بالأمتار، ولا تعرف بالبارومتر، ومن هنا لا يستطيع الإنســان أن يقدم لها ما يصلحها. (**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) (الإسراء: ٨٥)

ولذا فكل المحاولات لإسعاد الروح الشقية -عن غير طريق خالقها- باءت بالفشل، فالتعامل مع الروح بدون هدى من الله كمن يتكلم مع عجوز صينية باللغة العربية الفصحى، لن تفقه منه شيئاً ولن تستفيد، وكذلك علاج الروح دون معرفة سر شقائها عبث وزيادة لشقائها.

والروح لن ترتاح إلا بإشباعها، ولن تشبع إلا بمنهاج ربها وعبادته، والاتصال به، والأنس بحضرته وجلاله. (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) (الرعد:٢٨).

إن أنعم إنسان في الأرض إذا جاعت معدته وأخذت تتلوى من ألم الجوع فلن يسكتها القناطر الذهبية، ولا الهتافات الشعبية ولا العمارات الشاهقة، ولا السيارات الفارهة... لن يشبعها إلا قليل من الطعام يدخلها فيسكن الألم الذي يعتصرها، وذلك لأن منهاج ربها في إشباعها هو الطعام.

وكذلك الروح الجائعة لن تشبعها الدنيا بكاملها لو عرضت عليها، لأن منهاج ربها في الإشباع هو العبادة والذكر.

إن الراحة النفسية التي يؤمنها المنهج الإلهي للنفس البشرية لا توصف. (**هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيما**) (الفتح:٤).

فكأن السكينة جندي من جنود الله، يأمرها أن تعمر القلوب فتسعد وترغد، وأن تغادر القلوب الفاجرة فتشقى.

**يقول ابن تيمية:** (ماذا يصنع بي أعدائي؟ إن جنتي وبستاني في صدري لا تفارقني.. إن قتلي شهادة، ونفيي سياحة وسجني خلوة)[1].

وقال: (إن في الدنيا جنة من لا يدخلها لا يدخل جنة الآخرة)[2].

فبستانه ومحط مستراحه في الداخل، لا يأتي من الخارج من دنيا الحكام الذين غضبوا عليه فخاطبهم بهذا القول: (المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه)[3].

وقال بعضهم معبراً عن سعادته الغامرة بالسكينة بذكر الله: (لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف)[4].

## ثانياً: المبرر الثاني

# انهيار الحضارة الغربية

لقد انهارت الحضارة الغربية لأنها أرادت أن تطير بجناح واحد -الجناح المادي-، وأرادت أن تتعامى عن طبيعة الإنسان، فما استطاعت أن تقوم على رجل واحدة.

لقد تسلم الرجل الغربي قيادة البشرية بعد أن خاض معركة شرسة مع الكنيسة، وبعد أن دفع ثمناً غالياً ليحطم القيود الوثيقة التي كبلته بها، ورأى بأم عينه زهرة أبناء مجتمعات أوروبا تحرق في الشوارع العامة على يد محاكم التفتيش الكنسية، ولذا سخط على الكنيسة وإلهها، ونفض عن كاهله غبار القرون المتراكم، وانطلق لا يلوي على شيء.. لا يقبل وصاية من دين ولا من حزب، ولا يريد أن يؤمن بشيء يغل يده ويحجر على عقله، وحارب التفكير الديني والطابع الغيبي.

ولكن الجوعة الروحية التي كانت تشبع -نوعاً ما- من خلال تردد هذا الرجل الغربي على الكنيسة، وإيمانه بالآخرة، ولقائه برجال الدين.

١، ٢، ٣- الوابل الصيب من الكلم الطيب -لابن القيم (٨١)، وانظر كتاب (ابن تيمية)- للأستاذ أبي الحسن الندوي (١٦٥).

٤- أنظر الجواب الكافي -لابن القيم- (١٠٧).

هذه الجوعة لم يعد يشبعها شيء بعد أن كفر الرجل الغربي بالكنيسة ورجالها، فحصل الفراغ الروحي الهائل، وحاولت أوروبا أن تقيم من العقل إلهاً يسد الفراغ النفسي الرهيب، ونصبت تمثالاً لإله العقل في إحدى المدن الفرنسية وهو صورة أجمل امرأة في باريس، ودفعت بأمثال (هيجل ونيتشه) لسد الفراغ من خلال المدرسة (العقلية المثالية)، ولكن هيهات هيهات.

وجاء (كومت) لينصب الطبيعة إلها مقام الكنيسة، ولكن لم تكن نتيجة محاولته تختلف عن المحاولات السابقة، وأخيراً جاء (ماركس) ليقيم من الاقتصاد إلهاً يسد الفراغ ويفسر التاريخ ويحلل سير الجنس البشري.. كل هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع.

يقول (ليبولد فلم دانز) في كتابه -الإنسان والضمير المأسوي الممزق-: (إن الإنسان المنتمي إلى عصرنا هذا لا يؤمن بشيء، ولا يفكر، أو أنه لم يفكر بعد، ولكنه يعلم كثيراً... إن نهاية المسيحية تشمل أيضاً نهاية الأيديولوجيات الأخرى كالماركسية التي تجتاز من أجل ذلك أزمة عميقة، وإن هذه الأزمة ليست أبداً علامة حياة بل علامة موت)[1].

ويقول المفكر (لاموني)[2]: (إن الجنس البشري بكامله يمشي بخطى حثيثة إلى الهلاك... إنه في النزع الأخير، كذلك الإنسان الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء، فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرها إلى الغرق).

ومن هنا فإن سبب انهيار الحضارة الغربية واضح بسيط، هو أنها قامت بلا دين، واتخذت ربها وراءها ظهريا.

**(ومن يضلل الله فما له من هاد، لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق)** (الرعد:٣٣-٣٤).

يقول (برجسبون -الفيلسوف الفرنسي-): (إن فصل الدين عن العلم هو فناء محتوم للإثنين)[3].

ويقول (برناردشو): (كنت أعرف دائماً أن الحضارة تحتاج إلى دين، وأن حياتها أو موتها يتوقفان على ذلك)[4].

ولقد وضع كذلك الكاتب الإنجليزي (كولن ولسون) في كتابه (اللامنتمي) أي المتمرد يده على الداء فقال (إن حل القديس بولس يعتبر أمراً غير مقبول بالنسبة لحضارة في منتصف القرن العشرين، حضارة ذات تطور ميكانيكي عال استمر ثلاثة قرون يصاحبه فراغ كبير لا تعرف الحضارة كيف تنفقه) -أي تملأه-.

لقد استطاعت أوروبا أن تبدع في كل ما خضع لمقاييسها، فكل ما حللته في المختبر، أو فحصته في مجاهرها، أو راقبته من خلال التلسكوب، أو شرحته بالمبضع، أو وزنته بموازين الكتلة والضغط لديها أبدعت فيه إبداعاً عجيباً.

ولذا فقد قدمت أوروبا بشقيها تكنيكاً رائعاً، وإنتاجاً مادياً هائلاً، وأضافت إلى وسائل الراحة الشيء الكثير الذي أراحت به الإنسان كثيراً.. لقد قربت المسافات ووفرت الأوقات.

لقد قدمت الطائرة والسيارة والثلاجة والمكيف، ولكنها فشلت أن تقدم شيئاً واحداً للإنسان وهو (السعادة).. فشلت أن تقدم الراحة للقلوب، والطمأنينة للنفوس، والسكينة للإنسان، والاستقرار للضمير والأعصاب، والسبب بسيط وهو: أن هذه الأمور تتعلق بالروح، والروح لا يشبعها إلا خالقها... إن قضية السعادة تتعلق بالقلوب، ولا يفتح القلوب إلا خالقها علام الغيوب، فيدخل ما شاء من السعادة. **(هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين)** (الفتح:٤).

فأوروبا فشلت أن تتعامل مع الروح لإنها لا تقاس بالأمتار، ولا توزن بالغرام، ولا تخضع للبارومتر الزئبقي، ولذا حصل الشقاء لإنسان الحضارة الغربية، وزادت حضارته في شقائه وحيرته.

فبعد أن نطق (نيتشه) باسم الغرب، وتكلم بلسان حال الحضارة المادية الغربية من خلال فلسفته (هكذا تكلم زرادشت عن موت الإله ونشوء الإنسان السوبرمان).

وصاح (نيتشه): (مات الله وقد قتلناه، وإن الإنسانية تشيعه بمأتم حافل، ما الإيمان بالله إلا ضعف، ونتيجة ضعف[5]، الإيمان بالله شك بالإنسان، والإنسان يكفي ذاته بذاته).

---

١- من كتاب (الإسلام أيديولوجية المستقبل) للدكتور مهدي عبيد.

٢- عن كتاب الغرب للمفكر الإسلامي راشد الغنوشي رئيس تحرير المعرفة التونسية

٣- أخطر تهافت العلمانية للدكتور عماد الدين خليل (١٦٥).

٤- كتاب (الغرب) لراشد الغنوشي (٢٧).

بعد الهروب من الله بهذا الشكل الرهيب ازداد الشقاء.. بل الحضارة المادية هي التي أوقعت الإنسان في جحيم الشقاء المرير.

يقول (ألكسيس كاريل)(١) في كتابه (الإنسان المجهول): (إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن البيئة التي أوجدها العلم للإنسان لا تلائمه، لأنها أنشئت دون اعتبار ذات الإنسان).

ويضيف (برتراند رسل)(٢) عن شقاء الإنسان فيقول: (إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح، على حين كان الناس أجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها في العالم الحديث، واليوم أصبح من المستحيل الحصول على هذه النعم والسعادة).

ويقول (ماكنيل)(٣):(إن الحضارة الغربية في الطور الأخير من أطوار حياتها الأشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في انتهاكه لكل ما هو معنوي، وبلغ اعتداؤه -على تراث السلف وعلى كل مقدس ومحرم- قمته، ثم أغاص مخالبه في أعماقه فانتزعها وأخذ يمزقها ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيظ والتشفي).

إن الخواء الروحي والفراغ في حياة الغرب، وعدم وجود غاية كبرى يهدف إليها الإنسان، والجحود بالإله الذي تفزع إليه وقت الشدة والحزن، كل هذه أوصلت الغرب إلى المصير المؤلم، والنهاية الأسيفة المحزنة، إنه الشقاء والتمزق الداخلي، والتوتر العصبي والفزع وشبح هول الحرب المسيطر على الأخيلة، إنه الهروب من الحياة إلى الكحول ثم إلى المخدرات، وأخيراً لا بد من وضع حد لهذه الحياة البئيسة التعيسة بالانتحار الذي هو إعلان عام أن الشقاء في النفس لم يعد يحتمل، كما فعل (جاكوب مارينو، وأرنست همنغواي، ونيتشه، وغيرهم).

لقد عقدت جامعة هارفرد في سنة (١٩٧٩م) مؤتمراً لكبار الأساتذة والمفكرين وعلماء النفس والاجتماع وجميع مجالات العلوم الإنسانية، وطرح على المؤتمر سؤالان:

**١- ما معنى الحياة في أمريكا؟**

**٢- ما فلسفة التعليم وهدفه في أمريكا؟**

والذي لفت نظر الأستاذ الذي أعد لهذا المؤتمر هو رسالة دكتوراه تحت عنوان (عدد الحمير في العالم)، قدمت للجامعة فاستغرب كيف تنفق حياة البشر في هذه الأمور التافهة، فرتب لهذا المؤتمر.

وتصور معي الضياع الذي يعاني منه بلد -كأمريكا- التي مضى على استقلالها مئتا عام ولم تحدد معنى الحياة بعد، ولم ترسم لتعليمها فلسفة ولا هدفاً!!

لقد لخص (شوبنهاور) حياة الغرب في كلمات فقال: (إن الحياة تتأرجح من اليمين إلى اليسار... من الألم إلى الملل، وليستغث هذا الغرب المسكين إلهه إذا شاء.. إنه سيظل فريسة مصيره، فالقدر لا يرحم)(٤)

**لقد خنقت مداخن المصانع الروح الإنسانية في الغرب... لقد قتلت الآلة صانعها ومهندسها.. لقد تكدست أكوام الإنتاج والآلات على المجتمع الغربي فسحقته.. لقد تكومت أكداس النقود على القلب الغربي فخنقته.. لقد انطلق إشعاع الذرة فأباد الرحمة والخلق في أعماق الإنسان.**

إن الإنتاج البشري الهائل في عالم المادة يحتاج إلى ضوابط خُلقية لتحميه من التدمير، لا بد من صمام أمان للطاقة الجبارة التي تحملها اليد الغربية، وهذا الصمام يتمثل في الاتصال بالله، والخوف من حساب الآخرة، والرحمة بعباد الله، والغنى النفسي الذي لا يوفره سوى الإيمان بالله، والرضى بقضائه، والصبر على بلائه.

---

١- نقلاً عن كتاب (طريقنا إلى النصر) لراشد الغنوشي (٢٧).

٢- كتاب (الإسلام يتحدى) لوحيد الدين خان

٣- محاضرة للأستاذ الفاروقي -جامعة كمبل- فيلادلفيا.

٤- (آرثر شوبنهاور) -العالم كإرادة وتصور- نقله الأستاذ الغنوشي في كتابه (الغرب) (٢٦).

## مأساة الفكر الغربي:

إن المتتبع لكتابات الكتاب الغربيين، وخاصة الكتاب الطليعيين أو رواد مسرح اللامعقول من الوجوديين ليرى العجب العجاب من القلق والضنك من خلال أسطرهم التي تفوح بالآلام وتعتصر بالأسى.

إن اليأس، والقلق، والأسى، والألم، الصدمة، الملل، العبث، التمزق، المأساة، الشقاء.. هذه العبارات لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات هؤلاء الكتاب، اقرأ إن شئت للكاتب الفرنسي (كامي) مسرحيات (الرجل المتمرد، سوء التفاهم، حالة الحصار...)، يقول (كامي)[1] (ينبغي ألا نؤمن بشيء في هذا العالم سوى الخمر، إن صيحته هي الموت للعالم، حطموا كل شيء، يجب أن نلغي كل شيء، الإلغاء والإطاحة هو إنجيلي).

ويقول (آرثر ميللر) الأمريكي[2] في مسرحيته (بعد السقوط): (إن أكثر الأماكن براءة في بلدي هو مصحة الأمراض العقلية، وكمال البراءة هو الجنون).

يقول (سلاكرو[3] -الكاتب الفرنسي): (إن الآلهة لا عمل لها إلا أن تعبث بحطام الإنسان).

واقرأ إن شئت كذلك مسرحيات (جان بول سارتر) الفرنسي (جلسة سرية، موتى بلا قبور، الأيدي القذرة، البغي الفاضلة، سجناء الطونا)، واقرأ من كتبه: (موتة الروح، سبيل العقل، عصر الحرية، الذباب).

يقول (يونسكو) الفرنسي: (الواقع كابوس مؤلم لا يطاق)، وطالع كتابه (قاتل بلا أجر)[4]، والموت هو مشكلة المشاكل في نظر الكتاب الغربيين، فالموت يثير الرعب لأنه واقعة فظيعة في حد ذاتها.. بل لأنه يجعل كل الحياة التي سبقته عبثاً وسخفاً كما يقول صمونيل بكت في كتابه (الأيام السعيدة: فاليأس والعبث والألم والقلق هو عنوان الحياة الغربية.

يرى هيدجر أن الحياة الحقة تكون في اليأس، أما سارتر فيرى أن الحياة الحقة تكون فيما وراء اليأس، بل يقول سارتر: (الإنسان في صميمه قلق).

أما نيتشه -الفيلسوف الألماني- فيرى أن الإنسان بين التسليم والتمرد، فوجوده تمزق وسلب، وهو العالم اللامعقول. ولا يجد الخلاص إلا بالجنون الذي يخلصه من تعاسته الحاضرة، ويرى نيتشه أن اليأس والقلق شرطان دائمان للعظمة الإنسانية.

أما كيرك جارد -رائد الفلسفة الوجودية- فيقول: إن الوجود بمعناه أن نعاني اليأس والقلق حتماً، إن من يختار اليأس يختار ذاته في قيمتها الأبدية. ولذا نجده قد حاول الانتحار مراراً.

إن الوعي يظهر دائماً في صورة القلق، وأما اليأس فهو الحد الذي يفضي إليه، لقد بقيت الكآبة القاتلة ملازمة لكيرك جارد حتى الموت. وهناك عنوان لأحد كتبه (الخوف والرعدة)، وعنوان لبحث له (اليأس أو المرض حتى الموت)[5].

هذه هي الملامح الرئيسية للعالم اليوم، والتي تبرز واضحة مجسدة في معطيات كبار الكتاب والمفكرين والأدباء، فوضى تأخذ بخناق العالم، تبعثر كل ما تبقى فيه من نظام، وتسعى إلى تمزيق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربية، والإنسان اليوم يرى هذا الإعصار الفوضوي المأساوي يحيق بالإنسانية، ويدمر كيانها، ويسحق آدميتها، آلية طاغية عارمة حولت الإنسان إلى آلة، وسحقت كل تجارب الروح والوجدان، وجماعية صماء قضت على كل مطمح بالتفرد والنبوغ والتفوق والإبداع، واختلال رهيب بين كفي المادة والروح، وعزلة غريبة مضنية إزاء عالم أصم لا يستجيب لتوسلاته، وسقوط وتهافت في سائر النظم الوضعية السياسية والاجتماعية والعسكرية التي تمسك بزمام العالم اليوم، بالإضافة إلى الخوف العالمي من الدمار والحروب والقنابل الذرية[6] وميكافيلية تضحي في سبيل المصلحة بكل خلق وقيمة.

---

١- انظر كتاب فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر عماد الدين خليل (١٣٠-١٣١).

٢- فوضى العالم (٣٢).

٣- فوضى العالم (١٥٥).

٤- فوضى العالم (١٣٥).

٥- انظر كتاب دراسات في الفلسفة المعاصرة د. زكريا إبراهيم، القاهرة سنة (١٩٦٨م)، وكتاب المذاهب الوجودية -ريجيس جوليفيه- ترجمة فؤاد كامل.

٦- بتصرف عن كتاب فوضى العالم في المسرح العربي المعاصر (١٠٩).

وكلمة أوسبورن[1] الكاتب الإنجليزي في مسرحيته (المسافر) هي خير تعبير عن حالة الإنسان الغربي: (نحن موتى مكدود مضيعون، نحن سكيرون مجانين، نحن حمقى، نحن تافهون).

## كل هذا نتيجة:

**١- الفراغ الهائل بعد نبذ الدين نهائياً عن الحياة.**

**٢- العزلة عن الإسلام والمجتمع والحياة الفردية القاتلة.**

**٣- فقد المثل الأعلى في الحياة والهدف من العيش.**

## قانون الله في المجتمعات:

إن ناموس الله للحياة البشرية لا يخيب ولا يخطيء، وإن قانون الله للإنسان لا يتخلف ولا يكذب. **(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)** (الشورى: ٣٠)،المصائب تنتج نتيجة البعد عن منهج الله.

الذنوب مصائب وآلام. **(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)** (الأنعام: ٤٤-٤٥)، **(وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)** (محمد:٣٨).

هي ثلاثة أطوار مرت بها أوروبا وتمر بها كل الحضارات العلمانية المادية:

**١- الهرب من الله.**

**٢- فتح أبواب كل شيء عليها: الإنتاج والإبداع في ناحية أو نواح كثيرة.**

**٣- طور الضمور والانحلال فالاستبدال.**

لقد كانت كلمات الحرية والديموقراطية ومصلحة الأمة تحرك مشاعر الجماهير في أوروبا، وتسير الجيوش من أجل استعمار الشعوب وامتصاص خيراتها ودمائها.

ثم حصلت الحرب العالمية الأولى والثانية، وفقدت أوروبا حوالي ستين مليوناً من زهرات شبابها في ميادين الحرب، وانتهت الحرب ليفقد الشباب كل قيمة كان يتمسك بها، وانتهت هذه الكلمات، لم يعد للحياة أي معنى، وجاء عصر الجاز.. ابتداء من سنة (١٩٢٠م)، واستبدل الشباب بأنهار الدماء التي جرت في الحرب أنهار الخمر الذي أصبح المهرب الوحيد للشباب القلق الفارغ، وانطلق الشباب يريد أن يستمتع ويشبع بهيمية الجنس وسعاره الحيواني، وأضحى المجتمع بحاجة ماسة إلى مستشفيات الأمراض الجنسية المريعة، وبحاجة إلى علوم النفس، ومستشفيات الأمراض العصبية والعقلية.

## مصائب الفراغ الروحي:

نرى أن الفراغ والخواء الروحي أنتج ما يلي:

١- الولوغ في المشروبات الكحولية.

٢- الإدمان على المخدرات.

٣- الأمراض العصبية والعقلية.

٤- التمرد وعدم الانتماء إلى الحضارة.

٥- الجرائم.

---

[1] تفسير العالم -عماد الدين خليل (٤٩)- ولقد حضر مسرحية (انظر وراءك بغضب) ستة ملايين وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ألف شخص

٦- السعار الجنسي وأمراض الجنس.

٧- الانتحار.

**وإليك بعض الأرقام المذهلة عن أمراض الحضارة:**

١- في أمريكا (في الأربعينات) عدد مدمني الخمر سنوياً (٤٢.١) مليون.

٢- الذين يتعاطون المخدرات (سنة ١٩٧٥م) (١٩٪) من الشعب الأمريكي.

الذين يتعاطون المخدرات (سنة ١٩٧٨م) (٤٩٪) من الشعب الأمريكي.

٣- عدد المرضى في مستشفيات الأمراض العقلية في الولايات المتحدة (٧٥٠) ألفاً، ويشغلون (٥٥٪) من جميع أسرّة المستشفيات.

عدد من أعفتهم القوات المسلحة الأمريكية في الحرب الثانية لاضطرابات نفسية وعقلية (٤٣٪) من المجموع الذي يساوي (٩٨٠) ألفاً، وعدد من رفضوا الامتحانات لاختبار الخدمة العسكرية (٨٦٠) ألفاً).

**أما السويد:**

وهي من أرقى بلدان العالم من ناحية دخل الفرد والتأمينات الاجتماعية، ففيها أعلى نسبة للأمراض النفسية والعقلية.

نسبة المرضى عقلياً وعصبياً ونفسياً (٢٥٪) من سكان السويد، وتنفق الدولة (٣٠٪) من ميزانيتها على علاجهم.

ونسبة الموظفين الذين يخرجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يساوي (٥٠٪) من مجموع المخرجين.

٤- أما التمرد فيكفي ظواهر (البيتلز والهيبيين).

٥- أما الجرائم ففي أمريكا وحسب إحصائيات دوائرها: حصلت سنة (١٩٧٥م) (١١.٢٥٧) جريمة.

فإذا كان عدد الأسر في الولايات المتحدة يساوي مليون أسرة، فهذا يعني أن سدس العائلات الأمريكية نالها جرائم، أي بعد (٦) سنوات سيكون نصيب كل أسرة جريمة من الجرائم.

٦- أما الجنس وأمراضه وسعاره فحدث عنه ولا حرج. ففي نيويورك (١٢٠٨٢٩) عملية إجهاض سنة (١٩٧٤م)، بنسبة (١٠٠٠:١١٢٨) اجهاض:ولادة، و(٦٧٪) من المجهضات غير متزوجات.

وفي نيويورك (١.٢٠٠.٠٠٠) شاذ جنسياً، وأجريت في جامعة (لوس أنجلس/كليفورنيا) إحصائية للشاذين جنسياً من الجنسين في الجامعة فكانت النسبة (٨٤٪).

وقد كان عدد المستشفيات للأمراض الجنسية في الولايات المتحدة (٦٥٢)، وهذا يفوق جميع المستشفيات لجميع الأمراض عدا السل.

ونقل المودودي رحمه الله عن دائرة المعارف البريطانية أنه في الأربعينات كان (٩٠٪) من الشباب الامريكي مصاباً بالزهري، (٦٠٪) من الشباب الأمريكي مصاب بالسيلان، (٤٠٪) من الشباب الأمريكي مصاب بالبرود الجنسي.

وقد كنت أحتفظ في جيبي بصورة لأحد الشباب الأمريكي عمره في الحادية والعشرين تزوج جدته وعمرها (٧٧) سنة، وعقدت لهما عقدهما الكنيسة في قرية قرب لوس أنجلس!

وقد صرح كنيدي سنة (١٩٦٢م) أن (٨٥.٧٪) من الشباب الذين يتقدمون للجندية غير صالحين، لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية.

إن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات، الأمر الذي سيجعلهم عاجزين عن القيام بالمهام الملقاة على عواتقهم[١].

١- أنظر كتاب (إلى كل أب غيور) للشيخ عبد الله علوان نقلاً عن كتاب (أبا لوش) -الثورة الجنسية-

## الانهيار في الشرق الشيوعي:

أما الشرق الشيوعي الملحد فحدث عنه ولا حرج من حيث:

١- كبت الحريات، وتكميم الأفواه، وإحصاء الأنفاس، وأجهزة المراقبة على البيوت، وشقاء الإنسان بين فكي الجوع والإرهاب.

٢- الانهيار الاقتصادي وفقد الأقوات من الأسواق رغم أن جميع دماء الناس وعرقهم يصب في جيوب الطغمة الحاكمة.

فالاتحاد السوفياتي يستورد من أمريكا سنوياً (١٥.٨) مليون طن من القمح، وفي رومانيا كان العجز في الميزانية سنة (١٩٦٧م) (٢١٥) مليون جنيه إسترليني، وإنتاج العامل في رومانيا بمقدار (٣٢٪-٥٠٪) من إنتاج العامل الإيطالي والفرنسي.

وكانت نتيجة الاستفتاء الذي أجراه (دوبتشك) سكرتير الحزب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا أن (٩٠٪) من الشعب يحبذو إلغاء الحزب الشيوعي من الحكم، لأن الحزب: أناني، جبان، وأصحابه ذوو ضمائر سيئة[1].

وبعد قرارات لينين سنة (١٩١٧م): إخضاع الملكيات الزراعية والصناعية والتجارية والمؤسسات والبنوك والعمال ولجانه حصل التدهور الاقتصادي الكبير، حيث انهار الإنتاج إلى (٢٠٪) مما كان عليه، وأما العملة فقد وصلت (١٪) من قيمتها التي كان عليها قبل الثورة[2].

٣- هجرة الأدمغة، وهرب العقول، رغم الستار الحديدي المضروب على الناس وحرمان الفرد حتى من جواز السفر.

٤- الشقاء الذي يعاني منه العمال وجميع الطبقات ما عدا سدنة الحزب الشيوعي وكبار دهاقينهم الذين يستأثرون بالسلطة والمال، وبقية الأمة محرومون من الحياة البسيطة العادية، وهذا مما حدا بشعب الشقاء وأمة الضياع في المجتمعات الشيوعية أن تتج إلى الكحول بنهم عجيب لم يشهد التاريخ له مثيلاً، وذلك تسرية لأحزانهم ونسياناً لهمومهم وشقائهم.

إن شجرة المادية بفرعيها الغربي النفعي العلماني، والشرقي الإلحادي تتآكل اليوم وينخر بها السوس من كل طرف وجزء م كيانها.

لقد بدأ العفن منذ أيامها الأولى لأنها قامت على غير أساس، بنيت على غير هدى، لقد أراد زارعها الغربي أن يتحدى طبيعتا وفطرتها، وظن أنه يستطيع أن يغير صبغتها فيزرعها بلا ري، وأراد أن يغرس الموز في بلاد الأسكيمو، والصنوبر والتفاح في خط الاستواء ففشل فشلاً ذريعاً، وذهب جده وكده أدراج الرياح، وراح جهده هباء منثوراً، لأنه تحدى إرادة الله وناموسه فقهر.

لقد زرع الغربي حضارته بعيداً عن الله، وخنق فيها الروح منذ اللحظة الأولى، فولدت ميتة بلا روح، مادية بلا حياة، لا يجري الدم في عروقها.

ولدت الحضارة الغربية مشلولة الدماغ، وظن الغربي أنه يستطيع علاج هذا الشلل، ولكن كلما تقادم الزمان ومرت الأيام يدب الشلل في الأعضاء والعطل في جميع الأنحاء.

إنني ألمح الذبول في فرعي الحضارة (الغربي والشرقي)، ولكنني أرى أن الضمور والاصفرار في الفرع الشرقي أشد وأكثر هذا مع تأكيدي -والله أعلم- أن الشجرة بفرعيها ستنوي، وليس زمن سقوطها نهائياً بعيداً لأنها سنة الله، **(ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا)** (يونس: ١٣). **(إن الله لا يصلح عمل المفسدين)**. (يونس: ٨١).

سنة الله وناموسه يمضي على كل حضارة، إن قانونه يجري على المجتمعات والحياة والأحياء. **(استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا)** (فاطر: ٤٣)

لقد استكبر الإنسان الغربي في الأرض واستعلى، ومكر السيئات، وأظهر الفساد في البلاد، فجنى حصاد ما زرعت يداه، **(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)**.

جنى الشوك والشقاء، والقلق والبلاء، وحصد من بذور الشك شوكاً، وأنتج من بذور الهجر له ندماً وخساراً، وألماً وبواراً

---

١- تهافت المادية للدكتور محمد البهي وكتاب السرطان الأحمر للدكتور عبد الله عزام.

٢- مستقبل الحضارة بين العلمانية الشيوعية والإسلام ليوسف كمال ص(٦٨).

وضياعاً، وحيرة وانتحاراً.

**أقول:** إنني ألمح الذبول في الفرع الشرقي أشد رغم أنه أحدث سناً وأصغر عمراً، أراه يلوي على نفسه ويتدلى بسرعة ويفقد بقية الحياة فيه اللحظة تلو اللحظة، ولذا فإنني أتوقع أن يكون انهيار الشيوعية -الفرع الشرقي- أسرع والله أعلم، لأن بقية نسمات الحرية في الفرع الغربي، بقية الأقلام التي ما زالت تنقد وتحذر، بقية العقول التي لم توضع في داخل الطوق الحديدي، ما زالت تشير إلى النهاية الرهيبة، بقية الأفواه المكممة ما زالت تصيح وتنذر من الهوة المهلكة التي ستسقط فيها البشرية.

فأوروبا بشقيها الآن في طور الاستبدال والتغيير، ولكن من المرشح لوراثة الإنسان الغربي في قيادة البشرية، وأي حضارة هذه التي ستتقدم بإذن ربها لإنقاذ الإنسان؟ إنها الإسلام، دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجاً وإماماً. **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)** (المائدة: ٣)، **(ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم)** (آل عمران:١٠١).

يقول شبنجلر[١]: (إن للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية).

وهنالك نصوص في الكتاب والسنة تؤيد هذه النتيجة وتثبت هذه الحقيقة.

المبرر الثالث

# المبشرات النصية في الكتاب والسنة

هنالك نصوص كثيرة تطمئن النفس وتؤذن أن الإسلام سيتقدم لإنقاذ البشرية كلها إن شاء الله.

أ. ففي الكتاب العزيز:

١- **(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)** (التوبة:٣٢-٣٣).

قال الشافعي: (ليظهرن الله دينه على الأديان حتى لا يدان الله إلا به وذلك متى شاء الله). لا بد إن شاء الله أن يعم هذا الدين الأرض ليظهر على الدين كله، لا بد أن يبدد هذا النور ظلمات الجاهلية التي عمت الأرض، لا لشيء إلا لأنه دين الله الذي يشبع الروح، وينسجم مع الفطرة، وترتاح له النفس، ويستقر به الضمير، وكما بين الله عز وجل في مبررات سيادته وانتشاره أنه الهدى ودين الحق، ولذا لا جرم أن الحق ثابت والباطل زاهق.

**(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)** (الأنبياء:١٨).

٢- والحق أصيل في الأرض والنفس، والباطل دخيل لصيق في الأرض والنفس كذلك.

**(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)** (إبراهيم ٢٤-٢٥).

٣- والحق نافع يبقى، والباطل زبد زائل. **(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)** (الرعد:١٦-١٧).

ب- أما بشارات النبوة فهي كثيرة جداً وإليك بعضها:

١- روى ثوبان رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **[إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها]**[٢].

---

١- أنظر عقيدة الإسلام أيدلوجية المستقبل د. مهدي عبود ص(٢٨) وإن أردت الإستزادة في هذا الموضوع فاقرأ كتاب شبنجلر (سقوط الحضارة) وكتاب كولن ولسن (اللامنتمي).

٢- رواه الترمذي وقال حسن صحيح، أنظر عارضة الأحوذي بشرح الترمذي (٢٢/٩) وكذلك رواه مسلم -أنظر مختصر صحيح مسلم رقم (٢٠٠٠)(ج٢/٢٩١).

٢- قال ﷺ: {ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله دين الإسلام وذلاً يذل به الكفر}[1].

٣- عن أبي قبيل قال:{ كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبدالله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ (مدينة هرقل تفتح أولاً)، يعني قسطنطينية}[2].

٤- قال ﷺ: {تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت}[3].

هذه الأحاديث تطمئن القلب أن هذا الدين سيعود لينقذ الإنسان المعذب، ويأخذ بيده من الهوة السحيقة إلى المرتقى السامق سيطهره ويريحه ويقدم إليه إنسانيته التي فقدها. سيجد الإنسان أنه ولد من جديد، سيتذوق السعادة والطمأنينة، ويشعر أنه مخلوق كريم إن شاء الله.

وهناك حديث رواه البزار بسند صحيح وهو قريب في لفظه من الحديث الرابع: {إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم يكون ملكاً عضاً فيكون فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض، يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته}.

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تشير أن نهاية اليهود ستكون في فلسطين، وأن الجيش الذي سيقاتلهم جيش مسلم، حتى يقول الشجروالحجر: {يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله}.

وفي رواية البزار ورجالها ثقات رجال الصحيح كما جاء في مجمع الزوائد للهيثمي في المجلد السابع: {أنتم شرقي النهر وهم غربيه}، ويعقب رواي الحديث فيقول: ولم نكن نعرف أين الأردن من الأرض يومذاك.

فهذا يعني أن المنطقة قبل المعركة الفاصلة لا بد أن تكون محكومة بالإسلام، ويهيمن الإسلام على الجندي والقائد والحاكم والمحكوم، بدليل أن الشجر والحجر سينادي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله.

وقد جاءت الروايات تشير إلى أن رجوع المسلمين إلى الله، واستسلامهم لشرعه، وجهادهم في سبيله، عندما تكون الفتن تبدأ في الأرض المباركة حيث تكون الجماعة المسلمة، وحيث يقوم فسطاط المسلمين.

ففي رواية الإمام أحمد وأبي داود[4]: {لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من جابههم وما أصابهم من لأوائه حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله: وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس}. الحديث قسم منه في الصحيحين وبقية الحديث جاء من روايات عديدة في غير الصحيحين[5].

وقد عقد البيهقي باباً في سننه عنوانه: باب إظهار دين النبي ﷺ على سائر الأديان (ج٩/١٧٧)، وقد قال الشيخ سعيد حوى[6]. {إن هذا الدين سينتصر، ولا بد أن ينطلق من فوق أرض صلبة يتمثل فوقها هذا الدين حياً واقعياً، وهذه الأرض التي تمثل

---

١- المدر: البناء، الوبر: الخيام، رواه أحمد (١٠٣/٤)، والطبراني الكبير (١٢٦/١)، وابن منده في الإيمان (١٠٢/١)، وعبد الغني المقدسي في ذكر الإسلام (١٦٦/١)، وقال: حسن صحيح ورواه الحاكم وقال: صحيح مع شرط الشيخين ووافقه الذهبي (٤٣٠/٤)، والسنن الكبرى (١٧٩/٩)، وقد أخذت هذا التخريج جميعه من كتاب الشيخ الألباني تحذير (ص١٢١). وهذا الحديث والحديثان اللذان بعده أخذتهما من كتاب (الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب) وقد أخرج الأحاديث الثلاثة الألباني في كتابه القيم (سلسلة الأحاديث الصحيحة) (ج١)

٢- رواه أحمد والدارمي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ومن المعروف أن القسطنطينية فتحت (٨٥٧هـ) على يد محمد الفاتح أي بعد البشارة بثمانية قرون ونصف وستفتح روما بإذن الله

٣- ذكره حذيفة مرفوعاً ورواه العراقي عن طريق أحمد قال: هذا حديث صحيح.

٤- مختصر سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي (١٣٧/٦).

٥- أنظر مجمع الزوائد لهيثمي (٢٨٨/١)

٦- المدخل إلى دعوة الإخوان لسعيد حوى- ص(٢٧)، وانظر سنن البيهقي (١٧٧/٩)، وإن الحديث بلغ مبلغ التواتر.

شمال أفغانستان مع تركستان الشرقية والغربية اسمها (طوران) وقد أخرجت الأتراك الذين حكموا العالم الإسلامي خمسة قرون بالإسلام، ومن أرض أفغانستان خرج محمود الغزنوي الذي حكم الهند وحطم ساموناتا، ومنها خرج أحمد شاه بابا الذي حكم شرق إيران وأفغانستان والهند.

فهل يبدأ التغيير من فلسطين والأرض المباركة (بلاد الشام)؟ أم يبدأ من خرسان (أفغانستان)؟ إنه في علم العليم الحكيم[1].

## فضائل الشام:

إن فضائل الشام كثيرة في الأحاديث بلغت حوالي خمسة عشر حديثاً صحيحاً في كتاب (فضائل أهل الشام ودمشق للربعي) بتخريج الألباني.

ففي سنن أبي داود عن أبي الدرداء مرفوعاً:

١- **[إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام]**[2].

٢- **[بينما أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام]**[3].

٣- وعن زيد بن ثابت: كنا يوماً عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع فقال: [طوبى للشام، فقلت: **لم ذاك يا رسول الله؟ قال: لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليه]**[4].

٤- وعن ابن حوالة مرفوعاً: **[سيصير الأمر إلى أن تكونوا أجناداً مجندة، جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق، فقلت: خِرْ لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله]**[5].

ومجموعة الأحاديث هذه تنيط بالشام بكاملها دوراً مهماً، فالشام لم تقل كلمتها بعد في إنقاذ الإنسانية، ولا يزال دورها ينتظرها بعد أن أسنت الأرض وارتكست البشرية في حمأة الرذيلة.

٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي ﷺ: **[اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا؟ قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان]**[6].

٦- وعن عبد الله بن حوالة أنه قال: **[يا رسول الله اكتب لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر على قربك، قال: عليك بالشام ثلاثاً، فلما رأى النبي ﷺ كرهيته للشام قال: هل تدرون ما يقول الله عز وجل؟ يقول: يا شام يا شام، يدي عليك يا شام، أنت صفوتي من بلادي، أدخل فيك خيرتي من عبادي، أنت سيف نقمتي وسوط عذابي، أنت الأندر وإليك المحشر]**[7].

---

١- ما بين قوسين زاده الشهيد عبد الله عزام في الطبعة الثانية، وحذف منه الفقرة التالية: وهناك أحاديث كثيرة صحيحة تبين أن الأرض المباركة والديار الشامية بكاملها سيكون لها دور كبير في تاريخ البشرية وقيادتها وأنها ستكون الحصن الحصين الذي تأوي إليه فئة المسلمين وعصبتهم وجماعة المؤمنين أيام اشتداد المحنة، وتنزل الفتن -انظر الطبعة الثانية طبعة مكتب الخدمات (١٩٩٠م) ص(٤٠).

٢- رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ووافقه المنذري، انظر مختصر أبي داود (٦/١٦٥)، وأخرجه أبو داود في كتاب الملاحم في سننه، وقال ابن معين: ليس من حديث الشاميين شيء أصح من حديث صدقة بن خالد عن النبي ﷺ (معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق)، كذا في تخريج السنة (٦/١٦٥)، أنظر جمع الفوائد لمحمد بن محمد بن سليمان (٢/٥٩٧).

٣- رواه أحمد والطبراني والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح، انظر جمع الفوائد (٢/٥٩٨).

٤- رواه الترمذي والحاكم وأحمد، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح ورمز السيوطي لصحته، جمع الفوائد (٢/٥٨٩)، وجامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري (١٠/٢١٧)، ومجمع الزوائد (٧/٢٨٩).

٥- أخرجه أبو داود وسكت عنه المنذري، وأخرجه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، انظر جمع الفوائد (٢/٥٩٨)، وجامع الأصول (١٠/٢١٧) وقال الألباني في تخريج أحاديث كتاب فضائل الشام ودمشق ص(٥) حديث صحيح جداً وله أربعة طرق، وانظر كتاب السنن الكبرى للبيهقي (٩/١٧٩)، وانظر مسند أحمد (٥/٣٣-٥/٢٨٨-٤/١١٠)

٦- رواه البخاري، أنظر كتاب الفتن في البخاري -فتح الباري (١٦/١٥٦)، وقد روى الزيادة كذلك بعون (أنس) الطبراني بسند رجاله ثقات والترمذي وصححه وكذلك رواه أحمد، أنظر تخريج أحاديث كتاب فضائل الشام للألباني ص(٩) ولكن بدل (نجدنا) (وفي العراق) إذ كانت العرب تطلق على العراق نجداً كما قال الخطابي وابن حجر العسقلاني.

٧- أورده الهيثمي مفرقاً في موضعين (١٠/٥٨)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة، أنظر تخريج فضائل الشام للألباني ص(١١)، وفي لفظ رواه أبو داود بسند صحيح [عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده]، وانظر السنن الكبرى للبيهقي (٩/١٧٩).

٧- وفي الصحيح الذي رواه الطيالسي وأبو داوود: {إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم}[١].

هذه بشارات من فم النبوة الشريف الصادق تبشر بمستقبل الإسلام ودور الشام وأهله.

وإن الغرب الممزق المعذب لتنطق فيه صرخات الاستنجاد، وإصبعه الباقية فوق سطح الماء قبل الغرق الوشيك تتوسل بالشرق أن يتقدم بدينه لينقذها.

يقول (سولجنستين) -الروائي الروسي-: {إن الطريقة الوحيدة نحو تصحيح المسار المادي المنحرف للإنسان الغربي المعاصر هو عودة الإنسان إلى الإيمان بقوة مهيمنة على مصير الإنسان، وهي التي تحدد له قيمه ومسؤولياته الأخلاقية والاجتماعية، وكذلك الإيمان بوجود قيم أخلاقية عالية وموضوعية شاملة لكل البشر، وهي تعلو على كل اعتبارات الحرية الفردية التي لا تحدها حدود}[٢].

ألا ترى معي أن سولجنستين يشير إلينا أن نتقدم للعالم الغربي لنقدم له هذه الشريعة الربانية التي تنقذه ولو رغم أنفه، وتجره إلى السعادة كارهاً أو راضياً؟

وهذا (ديباسيكيه) المفكر الفرنسي يرشح الإسلام كمنقذ وحيد للبشرية فيقول: {إن الغرب لم يعرف الإسلام أبداً، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفاً عدائياً منه، ولم يكف عن الافتراء عليه والتنديد به لكي يجد المبررات لقتاله، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام، ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لا بد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان}[٣].

إن هؤلاء الكتاب الغربيين ليقفون نفس الموقف الذي وقفه هرقل عندما وصله كتاب رسول الله ﷺ، فقد سأل أبا سفيان عن أحوال النبي ﷺ، وبعد أن أخبره قال هرقل لأبي سفيان[٤]: (إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه).

لقد كان هرقل عاقلاً يدرك أن أمر العقائد إلى إقبال، وأمر السلطان الذي لا يدعمه فكر وعقيدة إلى زوال، كان هرقل آنذاك يحكم إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، ولكنه يراها متفسخة من داخلها، وسرعان ما تتهاوى على رؤوس أصحابها، ولأول ضربة من ضربات أعدائها، لذا فقد عرض على قومه أن يتبعوا هذا النبي ﷺ.

روى البخاري بإسناده كذلك في نفس الحديث:

**{فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لك في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش}[٥].**

وها أنا أسوق الحديث بتمامه لما فيه من فوائد وحكم في قوانين المجتمعات، وفي صفات الرجال، وفي الصدق الذي كان يميز مؤمنهمَ وكافرهم أحياناً.

## حديث هرقل:

روى البخاري[٦] بإسناده عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادا فيها أبا سفيان وكفار قريش -صلح الحديبية- فأتوه وهو بإيلياء (القدس)[٧]، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: ادنوه مني وقربوا أصحابه واجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه، ثم كان

---

١- إسناده صحيح وأخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

٢، ٣- مجلة الإيمان اللبنانية عدد (٥٧) السنة الثانية آذار سنة (١٩٨٠م).

٤- رواه البخاري ومسلم، الخبر في الصحيحين، أنظر صحيح البخاري (٩/١) والسنن الكبرى للبيهقي (١٧٨/٩).

٥- فحاصوا: فنفروا وشبههم بالحمر الوحشية دلالة على الجهل وسرعة النفور

٦- صحيح البخاري بحاشية السندي (٨/١)، وفتح الباري (٣١/١)

٧- أرسل رسول الله ﷺ بكتابه إلى هرقل مع دحية الكلبي في آخر سنة (٦هـ) بعد صلح الحديبية ووصل هرقل في محرم سنة (٧هـ)

أول ما سألني عنه أنه قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال أبو سفيان: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال الترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أنه لا، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله.

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أنه لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك: أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عند قدميه.

أما أبو سفيان فماذا قال لمن معه من قريش بعد أن خرجوا من عند هرقل: (لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر)، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام.

هرقل يدرك أبعاد الرسالات ومستقبلها فقال ما قال، ولم يمض على هذا الكلام سوى سبع سنوات حتى وقف هرقل في شمال سوريا يلوح لها بيده قائلاً: (وداعاً لك يا سوريا وداعاً لا لقاء بعده).

وكان أبو سفيان ممن قاتل جيش هرقل تحت إمرة خالد بن الوليد في اليرموك.

قال هرقل عن الرسول ﷺ: (إنه سيملك موضع قدميه) في الوقت الذي كان رسول الله ﷺ ليس له سلطة فعلية إلا على بلد واحد في الأرض وهو المدينة المنورة، فلم يكن أحد يصدق أن هذه الإمبراطورية الكبرى ستتزلزل تحت ضربات المسلمين، وأن جند رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفتحونها ويملأونها عدلاً وقسطاً ونوراً.

ولم يكن العرب يصدقون أن مجرد المواجهة بين القوة الناشئة -التي يقودها محمد ﷺ وصحبه- يمكن أن تتم مع بني الأصفر، وانظر كلمة أبي سفيان: (لقد أمر (عظم) أمر ابن أبي كبشة).

ولم يوقن أبو سفيان أن هذا الدين سينتصر إلا بعد سماع كلمة هرقل، فقال: فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

## ما أشبه اليوم بالبارحة:

دين الله يحارب في بلاده، وتشن عليه معارك يعرفها العام والخاص، والدعاة إلى الله يشردون ويسجنون ويقتلون ويرسفون في الأغلال على يد أبناء جنسهم الذين يلهجون بلغتهم وهم من جلدتهم.

ولكن الغرب يَفْرَق من مستقبل هذا الدين، الغرب بِشقّيه الصليبي الغربي والإلحادي الشرقي، أضف إليه الخوف الرعيب ترتجف منه أوصال الصهيونية العالمية من التيار الإسلامي في المنطقة، وهي تحذر وتنذر وتصرخ وتخطط لمواجهة المد الإسـ المقبل.

يقول بن غوريون: (نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات في المنطقة، إنما نخشى الإسلام، هذا المارد الذي طويلاً وبدأ يتململ في المنطقة، إنني أخشى أن يظهر محمد جديد في المنطقة).

ويقول جب في كتابه (Wither Islam) (جهة الإسلام)[1] (إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة مدهشة، تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصـ الزعامة وظهور صلاح الدين).

فهرقل يقول عن النبي ﷺ: (ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه)، أما أبو سفيان فيقول عن النبي ﷺ: ابن أبي كبشة!!.

ولقد كان هرقل جاداً في أمره فعرض على قومه أن يعلنوا إسلامهم[2] ، فأصروا واستكبروا وأعرضوا كأنهم حمر مسـ ترت من قسورة، ولو قبلوا لنجا ونجوا وبقي لهم ملكهم غداً عن الفلاح والرشد الذي يحمي الممالك ويحفظ الديار ويبارك الأ الأجيال.

لقد كان شأن حاشية هرقل شأن كثير من الحواشي اليوم ممن يزينون للحكام سوء العمل، ويوغرون صدورهم على الـ سلمين الذين يريدون أن يقدموا الخير للحاكم وحاشيته، ويحافظوا على الوطن والديار والأموال والقيم والأجيال.

إن الدعاة يحرقون أنفسهم لينيروا الطريق أمام البشر، ويحملون السعادة ليقدموها إلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلـ ـونهم ويضطهدونهم.

لقد انتكست الفطرة، ومسخ الإيمان، فهل تقوم الأجيال الحاضرة بالدور الكبير الذي أشار إليه سيد البشرية ﷺ.

أين خيرة الله من أرضه التي اجتبى الله إليها خيرته من عباده؟

أيتها البلاد المباركة التي توكل الله بها وبأهلها: هل لك أن تتقدمي لتأخذي بزمام موكب البشرية الضال التائه إلى ـراط.

أيتها الأرض الطيبة التي تظلها الملائكة بأجنحتها: ما لك غافلة نائمة عن دورك الطبيعي الذي أحلك الله فيه رب العالمين؟

ماذا دهاك لتأخذي مكانك بين القطيع البشري الذي قصر حياته على بطنه وشهوته. **(ذرهم يأكلوا يتمتعوا ويلههم الأ ـ يعلمون)** (الحجر: ٣).

(يا طلائع البعث الإسلامي أين أنت مخبأة في ضمير الغيب؟ أما أن لك أن تقومي وتستيقظي وتبذلي الأرواح والدماء من ـ في الأرض، رحمة بالإنسان الذي نخرت عظامه الكحول، وأتلفت أنسجته المخدرات، ومزقت حياته الأمراض العصبية، وإ نسانيته التمرد والشذوذ، وقتلت زهرات شبابه حبال الانتحار ومواخير المحلات العامة؟

*يا غارة الله جدي السير مسرعة*　　　*لفك كـــربتنا يـــا غارة الله*

لكنني ألمح وراء الأفق كتائب النصر مقبلة وهي تهزج:

*سأثأر لكن لرب ودين*　　　*وأمضي على سنتي في يقين*

*فإما إلى النصر فوق الأنام*　　　*وإما إلى الله في الخالدين*

مع الأصوات تكبر وتقول (يا خيل الله اركبي)، انطلقي يا جنود الإيمان ورددي:

*خل يدي فلست من أسراك*　　　*أنا يا حياة علوت فوق علاك*

---

[1] جموعة من المستشرقين نتيجة أبحاث قدمت لمؤتمر في جامعة (برنستون) في أمريكا

[2] عظماء الروم: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش.

*لا تضربي قيداً على حريتي　　　رحب أنا كمدارج الأفلاك*

يا جند الإيمان في الأراضي الطيبة ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ نصح بجواركم في أرضكم المباركة؟

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وهو يحدد السكن في آخر الزمان قال: قلت يا رسول الله أين تأمرني؟ **(قال: ها، ونحا بيده نحو الشام)**(١) .

## رابعاً: المبرر الرابع

# المبشرات الواقعية في واقع الحياة

يتسم النصف الأخير من القرن العشرين برجوع خاشع قانت إلى الله رجوع النفوس الظامئة لري هذا الدين، أوبة الذين يئسوا من كل أنظمة الأرض، فالإنسان أصبح أيسا من كل التجارب البشرية.

لقد فشلت الرأسمالية بديمقراطيتها، وانهارت الليبرالية بفروعها، كفر الإنسان بكل ما قدمه الفلاسفة الغربيون، لم تستطع الطبيعة أن تملأ الفراغ الذي خلفه دين الكنيسة بعد أن نابذته العناد والعداء، ولم يفلح ماركس في حل لغز هذا الإنسان، ولم يسد جوعته لمعرفة سره وطياته وأعماقه.

لقد سقطت الأنظمة جميعاً لأنها اصطدمت بفطرة الإنسان.

لقد كفر الإنسان بالفلسفة وفلاسفتها، وبالآراء ومفكريها، لقد فقد الإنسان الغربي والشرقي أي هدف يتعلق به في الحياة.

لم يعد للبشر مثل أعلى يتعلقون به ويبذلون من أجله، لم يعد الغربي يردد على لسانه أثناء أزماته وملماته: يا الله. ولم يعد يفزع للإله ولا للكنيسة ولا للمسيح فتراكم الشقاء على قلبه.

ومن هنا فهذا الإنسان الحائر اليائس القلق الذي ليس له هدف، لا يعرف لماذا يعيش، كما جاء في إحصائية في أمريكا جواباً على سؤال: ما هدفك في الحياة؟ فأجاب (٨٠٪) لا أدري، (٢٠٪) قالوا: لجمع المال.

ومن هنا بدأ المفكرون في الغرب ينادون بالرجوع إلى الدين، لقد ظهر في إحصائية للحزب الشيوعي الإيطالي أن (٧٠٪) منهم يترددون على الكنيسة.

الشيوعي الذي أنكر الله والأديان ضغطت عليه مشاعره المكبوتة وفطرته المسحوقة المغمورة بالمكابرة والعناد فاضطرته إلى العودة إلى الكنيسة ليردد وراء القسيس ألحانه، لقد عاوده الحنين إلى الدين بعد أن كلحت الحياة وجفت من كل قطرة خير.

لقد زار البابا يوحنا بولس الثاني في يثيو حزيران سنة (١٩٧٩م) مسقط رأسه بولونيا التي حكمت بالشيوعية منذ نيف وثلاثين عاماً، فكتبت الصحف الغربية (الأيام التسعة التي هزت العالم)، لم تعد رحلة الأوديسا التي قام بها على مدى تسعة أيام مجرد فصل مثير في تاريخ البشرية، بل أصبحت أكبر مجابهة في الأزمة الحديثة بين القوى الملحدة والمشاعر الإيمانية العارمة.

وتقول عجوز كاثوليكية في فرصوفيا -بولونيا-: (إننا دولة كاثوليكية منذ ألف سنة، وسنظل هكذا على الدوام)(٢).

إن الحنين إلى الله منغرز في أعماق الفطرة البشرية، لن تمحوه أدوات إرهاب ولا وسائل إغراء، إن اللجوء إلى الخالق صبغة الله التي صبغ الناس عليها، وفطرته التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

إن التاريخ البشري ليشهد على هذه الحقيقة، فما من لوحة من لوحات التاريخ الضارب في أعماق الزمن الموغل في البعد حتى يومنا هذا إلا ونجد للأمة معبوداً يضرعون إليه، وصنماً يلجؤون إليه، سواء شجرة أو وثناً أو بشراً أو كوكباً، تجدها في رسوماتهم وفي كهوفهم وفي زخارف نحتهم.

وهذا هو سر هروع الملايين في البلد الشيوعي لاستقبال البابا، إنها الفطرة البشرية التي تكسرت عليها أعواد المشانق

---

١- رواه الترمذي وقال حسن صحيح، وأخرجه أحمد بسند صحيح والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. أنظر التاج الجامع للأصول (٣/٤٢٤)، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (٢١٧/١٠) وتخريج فضائل الشام للألباني ص(١٣٠).

٢- المختار من ريدرز دايجست شباط (١٩٨٠م) نقلاً عن أسوشيتد برس.

الشيوعية، إنها الفطرة التي ثلمت الأسلحة، وثلمت الحديد الأحمر، وحطمت الأصفاد البلشفية، وأطفأت النيران الشيوعية التي أرادت أن تحرق إنسانية الإنسان وبشريته.

ترى لو ظهر إنسان في موسكو هذه الأيام وادعى أنه المسيح عاد لينقذ، ألا يجد الآلاف أو الملايين تتبعه مصدقة خاشعة؟

ألا ترى أن بعض الدجالين قد ادعوا القداسة بل الألوهية من الشرق الأقصى -الهند- ووجدوا لهم أتباعاً من كافة الطبقات والمستويات وبأعداد تفوق المليون، وفيهم الطبيب والمهندس والسياسي والمخترع.

فهذا مرشد البيتلز -الخنافس- اليوجي، وهذا (سوامي ساكاتنادي)، وهذا (جنيش) و (راماك رشنا)، وهذا الأخير قد مات وكان يدعي الألوهية الكاذبة ويعبده الملايين، وقد كانوا يقدمون له الهدايا والنذور والقربات، وكذا (رجنيش) يدعي الألوهية وهو من الأغنياء المشهورين.

كل هؤلاء الأتباع لهذه الآلهة الكاذبة يعبرون عن شيء واحد هو الضياع العقيدي في الغرب والبحث عن منقذ.

وقد تجد على باب الجامعة أستاذاً كبيراً يوزع منشورات عن كرشنا أو بوذا أو غير ذلك.

أما في العالم الشرقي الذي كان يحكم بالإسلام، والذي خطط لأبنائه أن يظلوا بعيدين عن الله وعن دينه، والذين رسم لهم أن يكفروا بكل تفكير غيبي خاصة المثقفين منهم، حيث ظن الغرب أنه سيخرج أجيالاً علمانية شهوانية لا أخلاقية، حتى افتخر (زويمر) في بداية هذا المؤتمر العالمي للتبشير في القدس سنة (١٩٣٣م) حيث قال: (إن مهمتكم إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاقية التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، إنكم أعددتم شباباً في بلاد الإسلام لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك)[1].

ويقول زويمر: (إن السياسة الاستعمارية لما قضت منذ سنة (١٨٨٢م) على برامج التعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن، ثم تاريخ الإسلام، وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا هي يهودية، ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً للدين ولا للوطن حرمة)[2].

ويقول (هاملتون جب) المستشرق الإنجليزي في كتابه (جهة الإسلام) سنة (١٩٣٢م): (إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته)[3].

هذا ما كان الغرب يتوقعه من الأجيال القادمة، ولقد عادوا يفركون أيديهم فرحاً أن رأوا مجموعات من خريجي جامعاتهم لا يعبأون بدين، ولا يهتمون بخلق ولا قيمة، ولكنهم يمكرون ويمكر الله. **(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** (الأنفال: ٣٠)، **(ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين)**(النمل: ٥٠-٥١).

لقد أنفقوا أموالهم، وأحكموا خططهم، ودبروا مكائدهم لإخراج جيل لا ديني -علماني-، توقع سادته أن يكون سحق الإسلام في المنطقة على يده، وأقاموا الجامعات، وفرضوا الاختلاط، وأقصوا الصادقين -حملة القيم والأخلاق- عن كل المراكز الحساسة، وقربوا دعاة الإباحية والإلحاد والعلمانية والفساد إليهم، ونصبوهم قضاة وسادة، وأقاموا حولهم الهالات، ونفخوا في الأقزام حتى أضحوا عمالقة في أعين الرعاع والدهماء، ولكن هل كان لهم الذي أرادوا؟ هل أقصي الإسلام نهائياً عن حياة الفرد والأسرة والمجتمع؟ نعم لقد جنوا بعض الثمرات النكدة لجهودهم المضنية، ولكن إلى حين.

**(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون)** (الأنفال: ٣٦).

لقد عادت المدارس التي خططوا لها تدفع بالأفواج إلى الله، عاد الجيل أيباً خاشعاً متبتلاً صادقاً إلى ربه.

---

١، ٢، ٣- أنظر كتاب *الخنجر المسموم* لأنور الجندي و (أجنحة المكر الثلاث) لعبد الرحمن حبنكة، و (قادة الغرب يقولون) لجلال العالم.

لقد أضحت الجامعات التي سهروا على مناهجها وظنوها مراكز التدمير، أضحت تقدم نماذج من الشباب الصادق الملتزم الذي يضحي بكل شيء من أجل عقيدته ودينه.

لقد أصبحت الجامعات كبلاط فرعون يربى فيه موسى عليه الصلاة والسلام ليهدم بيده عرش فرعون، ويسحب البساط من تحت رجليه.

لقد بطل السحر وألقي السحرة سجداً، وقالوا آمنا برب هارون وموسى، وقالوا لفرعون بعد تهديدهم بالقتل: **(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا)**. (طه:٧٢)

لم يعد سحر الحضارة الغربية يخدع الأبصار ويأخذ بالألباب، فلقد تفتحت أعين الجيل على نور الإسلام، وانفتحت بصائرهم لتقبل الحق، وبطل السحر وبان الزيف، بعد انبلاج الحق وسطوع نوره على القلوب والنفوس.

حيثما تتوجه الآن في الكرة الأرضية تجد رجوعاً إلى الله، ونفوساً متعطشة للدين، حتى تستظل بفيئه بعد أن أضناها لفح الهاجرة، وأرهقها طول المشي في التيه.

أما في الشرق الذي كان داراً للإسلام يتحاكم إلى شريعته، ثم أقصي عن دينه تدريجياً رغباً ورهباً، فإنك تجد النفوس الآن مصممة على طريق الله مهما يكن الثمن باهظاً، وطالما ضفقت هذه النفوس للحضارة المادية الغربية التي أفلست.

وكم هتفت حناجرهم للمجددين الذين يريدونها غربية في كل شيء، بالأزياء والطعام والشراب والأفكار والعقائد، فهرعوا إلى الأصوات التي يطلقها في هذا الشأن طه حسين في (مستقبل الثقافة في مصر)، حتى قال أنداده وقرناؤه من أساتذة الجامعات والعلماء: (انتهى عهد دنلوب وبدأ عهد طه حسين)[1].

وقال ماسينيون: (لو قرأنا كتب طه حسين لقلنا هذه بضاعتنا ردت إلينا)[2]. لقد ادعى طه حسين أن ثقافة مصر هي إلى اللاتينية النصرانية أقرب منها إلى الإسلام.

وتجرأ توفيق الحكيم أيام مهاجمة فرنسا لدمشق فقال: (عاشت حضارة فرنسا ولو ذهبت دمشق إلى الجحيم)[3].

هذا الجيل الذي سار وراء هؤلاء المستغربين عاد يبحث عن ذاته من خلال دين الله وقرآنه وسنته ﷺ، عاد وهو يقول: (آيبون تائبون لربنا حامدون).

لقد كنت في القاهرة أيام إعداد الدكتوراه سنة (١٩٧١م)، وكان في جامعة القاهرة -التي تعد حوالي مائة وعشرين ألفاً- طالبة واحدة فقط ترتدي اللباس الشرعي، واليوم وبعد مضي بضع سنوات نرى العجب العجاب في الجامعة نفسها، إذ عدد اللواتي يرتدين اللباس الشرعي يفوق (١٥,٠٠٠) فتاة، وبينهن مجموعات تعد بالألوف ممن ينتقبن -أي يغطين وجوههن-، وترى مثل هذه الأعداد في جامعة الإسكندرية، وسر إلى جامعة أسيوط والمنيا وهكذا دواليك في أنحاء العالم العربي الإسلامي الشباب الذي يبحث عن تراثه ودينه يتلمس الطريق إلى ربه.

إن الكتاب الإسلامي هو أكثر الكتب رواجاً في الأسواق، لذا فقد أقبل أصحاب المطابع عليه -حتى أصحاب المطابع النصرانية-، وقد كان دارجاً على ألسنة تجار الكتب في بيروت وغيرها أنه إذا أشرف أحدهم على الإفلاس ينصحه زملاؤه قائلين: إطبع كمية من (ظلال القرآن) لسيد قطب. لقد اكتسح الكتاب الإسلامي السوق، وكسدت كتب الأدب الرخيص والشعر الماجن.

لقد أضحت مكة المكرمة هي قبلة الشباب فعلاً -عدا عن الصلاة-، فرحلاتهم ونزهاتهم وقضاء أوقات العطل الرسمية تكون عمرة إلى البيت العتيق، ودعاء عند الحجر الأسود والملتزم وزيارة للمسجد النبوي وقبر الرسول ﷺ.

وكذلك التحول الكبير من الأحزاب القومية والعلمانية الشيوعية إلى الحركة الإسلامية، كما يحصل الآن في المنطقة المحتلة، وحيثما أدركك الوقت -ظهراً أو عصراً- في أروقة أية كلية في الجامعات أو مستشفى من المستشفيات يطرق سامعك صوت الأذان

---

١- أنظر كتاب (طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام) لأنور الجندي (٣٢ د٢٧٥)

٢- أنظر كتاب (طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام) لأنور الجندي (د٢٧٥)

٣- كتاب المسلمون ومعركة البقاء لعبد الحليم عويس ص(١٢٠).

الذي يدوي بـ (الله أكبر).

لقد أصبح الفكر الإسلامي والصوت الإسلامي حديث المنتديات الفكرية في الشرق والغرب، وأصبح ذوو المناصب والهيئات في العالم الإسلامي يحاولون أن يتلبسوا بثياب الإسلام، ويتلمسوا نقاط التشابه بين واقعهم وبين الحياة الإسلامية.

المظاهر الإسلامية.. الشعائر الإسلامية.. الحياة الإسلامية.. في الأفراح والأحزان، العقيقة -ذبيحة تذبح للمولود-، اللحية، عز النساء عن الرجال في قاعة الدرس.

الامتناع عن تقديم الدخان في المآتم والأفراح، الإعراض عن لبس خواتيم الخطبة خاصة الذهبية منها.

تحري الحلال والحرام في المأكولات المستوردة والمعلبات والذبائح والحلويات والمعجنات والصابون واللحوم المثلجة والمرطبات التدقيق على خلو الأطعمة والأشربة من شحم الخنزير والكحول، أشرطة القرآن الكريم والندوات الإسلامية أصبحت من الظواهر الإجتماعية.

امتلاء المساجد بالشباب والرحلات في نشر الدعوة الإسلامية، ودعوة الناس إلى الكتاب والسنة.

الإعتزاز بالفكر الإسلامي، وانتقال الشباب الملتزم بدينه من دور الدفاع إلى دور التحدي، ونقل الفكر الإسلامي من مرحلة الاستحياء إلى مرحلة البروز والاعتزاز.

كان الذين يكتبون عن الإسلام يصورون الإسلام كأنه متهم في قفص الاتهام يدافعون عنه، ويبررون قضايا الطلاق وتعدد الزوجات والجهاد، فالجهاد عندهم دفاعي -أي دفاع عن حدود الجزيرة العربية وعما حولها-.

ومواجهة هذا الدين لأهل الكتاب كأنها قضية تاريخية مرت وانتهت، ألا ترى الآن أن الإسلام بدأ يمرغ الصليبية في الوحل؟

أجل، فالمسلمون الآن يعتزون بإعلان أن الجهاد إنما شرع لحماية الدعوة ونشرها في كل أجزاء الأرض لإنقاذ الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

والجهاد ماض إلى يوم القيامة، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأنت تبصر مصداق هذا في الشرق الإسلامي كله كان المسلمون يتلمسون نقاط التشابه بين الإسلام والنظم المعاصرة، ويخلعون على الإسلام كل يوم اسماً جديداً، ولوناً جديداً ويصبغونه صبغة تشبه الصبغة الأرضية الباهتة التي سرعان ما تزول. ففترة يطلقون على الإسلام بأنه (ديموقراطي)، وأخرى يسمونه (اشتراكياً)، بل أيام الغزو الهتلري للعالم كانوا يتشبثون ببعض النقاط في النازية لتلوين الإسلام بها.

أما الآن فقد أضحى الشباب المسلم يبرزون الإسلام كحل لقضايا العالم المعاصر ومشكلاته، وأيقن الشباب تهاوي الأنظمة الغربية ابتداء بالرأسمالية والديموقراطية وانتهاء بالاشتراكية والشيوعية.

لقد كان الذين يحملون هوية الحزب الشيوعي الإسرائيلي في قرية أم النور -أم الفحم سابقاً- العربية المحتلة أربعمائة، والآن أربعة فقط.

لقد أصبح المسلم المتعلم يسخر من الأنظمة الأرضية ويرثي لأتباعها ومن يقع تحت مطرقتها وسوطها، وانتفض الإسلام بجنده في إيران وأفغانستان ومصر وسوريا وسائر بلاد العرب، حيثما سرت شرقاً أو غرباً تجد الإقبال على الله، والتضحية من أجله والجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

وإن قصص البطولة الرائعة التي يسطرها الشباب في الشرق الإسلامي لتعيد إلى الأذهان حمزة والزبير ومصعب والقعقاع.

حدثني الثقة فقال: دعيت عفيفة -في الحادية عشرة من عمرها- إلى بيت والدها الشيوعي في قرية فلسطينية محتلة منذ (١٩٤٨م) إلى الإفطار في رمضان، إذ أن البنت تتربى في بيت عمها المسلم، وعندما دخلت بيت والدها أبصرت صورة لينين معلقة فآلت على نفسها ألا تذوق طعاماً حتى تنزل صورة لينين، وحاورها والدها، وأصرت الفتاة، وخرجت بعد المغرب في رمضان دون أن تذوق طعاماً.

لقد أصبحت المساجد تمتلئ بالشباب في فلسطين بعد أن كانت مهجورة، بل كان بعضها مغلقاً لا يصلي فيه أحد، فمساجد

يافا وحيفا وعكا والناصرة كانت خاوية لا يعمرها شباب، وأما الآن فهي غاصة بالمصلين ولا تتسع أحياناً.

وحدثني بعض الطلبة -ممن يدرسون في أمريكا من بلاد البترول- قالوا لي: ما عرفنا الإسلام إلا في أمريكا من خلال النماذج الإسلامية الذين ربتهم الدعوة الإسلامية، مع أننا عشنا في مكة والرياض!!.

فمثلاً اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا ابتدأ بثلاثة عشر طالباً سنة (١٩٦٥م)، والآن يفوق عدده أربعين ألفاً تقريباً، وفروعه منتشرة في كل مكان في أمريكا، وأصبح الأمريكان يدخلون في دين الله أفواجاً، حتى غدا عدد الأمريكان المسلمين (٣) ملايين، ويتوقع الشباب المسلم أن يصبح هذا العدد خلال فترة بسيطة عشرة ملايين، وغدا الشباب المسلم في حاجة إلى مساجد في الجامعات الأمريكية، فصاروا يشترون الكنائس التي تغلق أبوابها تباعاً ويحولونها إلى مساجد في وسط الجامعة.

لقد زرت بنفسي عدة مساجد في متشغن وبلومنجتون كانت كنائس واشتراها الطلبة بأموالهم، وكثير منهم من البلاد البترولية، أو يجمعون التبرعات من بلادهم أو من الجاليات الإسلامية التي تسكن أمريكا منذ فترة.

لا يمضي طويل وقت والله أعلم حتى يثوب الإنسان إلى الله ويئوب إلى دينه، وترجع البشرية إلى دينها الحقيقي، دين الله، الإسلام الرحمة المهداة من رب العالمين إلى الناس أجمعين.

وكل الذي يعوز البشرية التجربة الواقعية الإسلامية، النموذج التطبيقي لهذا الدين فوق بقعة من الأرض.

إن البشرية بحاجة ماسة إلى رؤية المجتمع الإسلامي الصحيح.

## الطريق إلى المجتمع الإسلامي:

لا بد للوصول إلى المجتمع المسلم من طلائع تتحمل تكاليف الطريق، وعلى هذه الطلائع أن تدرك أن الذين يتصدرون لإنقاذ البشرية ليسوا أناساً عاديين، بل من النماذج التي تسترخص كل شيء في سبيل دعوتها وعقيدتها، ولا بد أن تتوفر عندهم صفات على رأسها:

١- أن يكونوا ربانيين: **(ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)** (آل عمران: ٧٩)، والرباني هو العالم العامل، فقد قال سعيد بن جبير: ربانيين: أي حكماء وأتقياء، وقد قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: **(اليوم مات رباني هذه الأمة)**[١]. **(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)** (آل عمران: ١٤٦)، والربِّي كما قال الحسن البصري[٢]: (العلماء الصبر، والربي هو الرباني لأنه عرف ربوبيته الله وعبده وصبر من أجله).

يجب أن يكون ربانياً من حيث حركته ودعوته وسمته وصبره وعلمه وعمله، أي لا يغيب عنه لحظة أن الله على كل شيء قدير، وأنه مصدر العزة، وأنه كافيه وحاميه، ويكلؤه ويرعاه. **(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد، ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام، ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)** (الزمر: ٣٦-٣٨). **(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير)** (الأنعام: ١٧).

يجب أن يضع الداعية نصب عينيه أن الله على كل شيء قدير، ثم بعد ذلك يعلن على الملأ الجاهلي: **(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)** (الأعراف: ١٩٥-١٩٦)، لا بد أن يستمد الإنسان عونه وعزته وإلهامه من الله.

لا بد لمن يتصدى لإنقاذ الناس أن يكون أقوى منهم بالله، لا بد لمن يتصدر لتطهير الناس أن يكون أطهر منهم، ولا بد لمن يتقدم لرفع الناس أن يكون أعلى منهم.

٢- التجرد للدعوة عن المنافع الدنيوية وثمارها العاجلة القريبة، إذ جاء الأنبياء جميعاً يقولون: **(وما أسألكم عليه من أجر إن**

---

١- تفسير القرطبي (١٢٢/٤).
٢- تفسير الطبري (١١٨/٤).

أجري إلا على رب العالمين) (الشعراء: ١٤٥)، تكررت هذه الآية كثيراً على لسان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم في سورة الشعراء

ولذا فعندما عرض الرسول ﷺ على بني عامر بن صعصعة قال له بحيرة بن فراس أحد رجالها: (أرأيت إن نحن بايعناك أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال رسول الله ﷺ الأمر لله يضعه حيث يشاء، فأبوا عليه)[١].

ولم يكن يعلم رسول الله ﷺ أنه سينتصر، وأن هذا الدين سيظهره الله في حياته وعلى يديه، بل كان ربه يخاطبه قائلاً: (فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون، أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون) (الزخرف:٤١-٤٢).

ولكن رسول الله ﷺ يعتقد أن هذا الدين سينتصر، وكان لا يعد ولا يبايع أحداً من المسلمين إلا على الجنة، فقد قال للمضطهدين المعذبين: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة).

وقال ﷺ يوم بيعة العقبة الثانية للأنصار: [أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قالوا: فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: الجنة] [٢]. فالبيعة والصفقة مع الله على الجنة، والبيعة في الدنيا على العمل للجنة. (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (التوبة:١١١)

٣- بناء القاعدة الصلبة:

يجب الاهتمام بتربية النماذج، لا بإكثار الأعداد، لأن الناس إنما يتغيرون بفعل النماذج والأفذاذ.

علينا أن نعتني بالكيف لا بالكم، والفئة الصابرة الصادقة وإن كانت قليلة فإنها تنتصر بإذن الله (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) (البقرة:٢٤٩).

هذه القاعدة الصلبة هي التي أعادت الجزيرة العربية كلها أيام الردة إلى الإسلام، لأن من نماذجها أبا بكر الذي صاح عند بلغه ردة القبائل: (والله لو منعوني عناقاً -جدياً- كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو أهلك دونه، ثم قال: (أينقص الدين وأنا حي؟)، وفي رواية لو منعوني عقالاً -الحبل الذي يربط به البعير-.

وأصر أبو بكر على إنفاذ جيش أسامة، وأجاب الذين راودوه على تأخيره قائلاً: (والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله)، وفي رواية (لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة)[٣]. وفي هذه اللحظة الحاسمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ساق الله رجلاً حازماً -أبا بكر- لينقذ بموقفه أمة بكاملها من الاندثار والبوار.

لا بد من تربية النماذج الصلبة التي تستعصي على الإغراء ولا تقبل البيع والشراء من قبل الأعداء والأصدقاء. لا بد من تربية الأفذاذ الذين لا يقبلون الذوبان في حوامض المجتمع الجاهلي، ولا يتميعون في ظروفه المختلفة، العناصر الصلبة التي تحمل المجتمع والدعوة فوق كاهلها. نريد الأفرع الصلبة التي لا تتلوى مع رياح المجتمع، ولا تنثني مع أمواته.

لقد كان اجتياز الجيش الإسلامي لنهر دجلة عند فتح العراق وفارس إبان فيضانه من القضايا التي أذهلت المؤرخين وحيرت تفسيرها: اجتياز الجيش لدجلة دون أن يفقد فرداً واحداً من عدده. ولكن القضية الأروع أن هذا الجيش خاض بحور أكبر مدنية -الروم والفرس- دون أن يفقد من خلقه ولا من دينه شيئاً[٤].

لقد تربع سلمان الفارسي على مقام كسرى بعد أن أذله الله وثل عرشه، وكان كسرى يبكي ويقول: لم يبق عندي سوى ألف طباخ، فكيف أستطيع أن العيش بهذا العدد فقط؟ بينما سلمان -أمير فارس المسلم- ينفق كل يوم درهماً واحداً.

٤- بناء الدعاة لأنفسهم بالعلم الحقيقي والعبادة الخالصة:

لا بد من أن يربط الداعية نفسه أو يربطه شيخه بالقرآن الكريم تلاوة وتجويداً وتفسيراً ومعرفة أحكامه، وأن يبني المسلم نفسه بين أروقة المساجد حيث السكينة والرحمة والملائكة والاعتكاف.

---

١- تهذيب سيرة ابن هشام (١/١٠٩)، والروض الأنف شرح سيرة ابن هشام (٢/١٧١).

٢- الروض الأنف (٢/١٩١).

٣- حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي (٢/٤٠٠).

٤- أريد أن أتحدث إلى الإخوان لأبي الحسن الندوي (٢٧).

وأن يحسن اختيار الصحبة الطيبة التي تدله على الله، وعليك يا أخي أن تحسن الاتصال بمن يدلك على الله حاله، ويذكرك بالآخرة مقاله.

ولا تنس قيام الليل فله أثر عميق في بناء النفسية المسلمة وصفاء الروح، وقد كان قيام الليل دأب الصالحين، وكذلك صيام النافلة وخاصة يومي الإثنين والخميس.

ولا بد من الذكر باستمرار لإحياء القلب وحفظه من الشيطان ووسواسه، ولتحصين النفس من الهوى والشهوة الجارفة والميل. وكذلك توطين النفس على الشكر في الرخاء، والصبر على البلاء، والاستغفار من الذنوب والأخطاء، وتربية النفس على الصبر على متاعب الطريق وتضحيات العقيدة ولأواء الجادة.

ولا بد من استغلال الوقت في المطالعة فيما يفيد، أو العبادة والعمل، ولا يجوز أن نقتل حياتنا بالجلسات الفارغة والسهرات الخاوية من الفائدة.

ويجب أن نراعي بناء التصور الصحيح لأنفسنا من خلال كتاب الله وسيرة رسول الله ﷺ وحياة السلف الصالح.

**ولا بد من أن يطالع الإنسان:**

١- تفسيراً ولو بسيطاً مثل تفسير المؤمنين.

٢- تهذيب سيرة ابن هشام.

٣- كتاباً في حياة الصحابة أو صفة الصفوة.

٤- كتاباً في العقيدة مبسطاً مثل كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين.

٥- كتاباً في الفقه مثل كفاية الأخيار للحصني.

٦- كتاباً في الحديث مبسطاً مثل رياض الصالحين.

٧- أن يقتني كتاب الأذكار للنووي والمأثورات لحسن البنا.

٨- كتاباً في مصطلح الحديث مثل كتاب الدكتور أديب الصالح.

٩- كتاباً في علوم القرآن مثل كتاب مناع القطان.

١٠- كتاباً مبسطاً في الأصول مثل كتاب عبدالوهاب خلاف أو تبسيط أصول الفقه لمحمد الأشقر.

هذا مع تعويد النفس على تبليغ الدعوة، ومواجهة الناس في المساجد، والجرأة في تبليغهم، مع المحافظة على دروس العلم وتلقيه بأدب وفهم، مع المطالعة في الكتب الحديثة: لسيد قطب، ومحمد قطب، وسعيد حوى، والمودودي، كل هذا مع صدق النية وإخلاص الطوية.

هذه النماذج هي التي يصدقها الله ويجعلها ستاراً لقدره وأداة لنصرة دينه.

**(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)** (الحج: ٤٠-٤١).

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# قائمة المراجع


التفسير والحديث:

١- تفسير الطبري.

٢- تفسير القرطبي.

٣- صحيح البخاري مع حاشية السندي.

٤- فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني.

٥- مختصر صحيح مسلم.

٦- مسند الإمام أحمد/ط المكتب الإسلامي.

٧- مختصر سنن أبي داوود مع معالم السنن للخطابي مع تهذيب ابن القيم.

٨- عارضة الأحوذي بشرح الترمذي.

٩- مجمع الزوائد -الهيثمي-.

١٠- جمع الفوائد -محمد بن محمد بن سليمان-.

١١- السنن الكبرى -البيهقي-.

١٢- جامع الأصول -لابن الأثير-.

١٣- التاج الجامع للأصول.

١٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة -الشيخ محمد ناصر الدين الألباني-.

١٥- تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي -تخريج الألباني-.

١٦- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام.

١٧- تهذيب سيرة ابن هشام -عبد السلام هارون-.

الكتب الحديثة والفكرية:

١- ابن تيمية -لأبي الحسن الندوي-.

٢- أجنحة المكر الثلاثة -عبد الرحمن حبنكة-.

٣- أريد أن أتحدث إلى الإخوان -لأبي الحسن الندوي-.

٤- إلى كل أب غيور -عبد الله علوان-.

٥- الإسلام يتحدى -وحيد الدين خان-.

٦- تحذير الساجد -الألباني-.

٧- تهافت العلمانية -د. عماد الدين خليل-.

٨- تهافت المادية -د. محمد البهي-.

٩- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي -ابن القيم-.

١٠- حياة الصحابة -محمد يوسف الكاندهلوي-.

١١- الحكم الجديرة بالإذاعة عن أخبار الساعة -ابن رجب-.

١٢- الخنجر المسموم -أنور الجندي-.

١٣- دراسات في الفلسفة المعاصرة -د. زكريا إبراهيم-.

١٤- السرطان الأحمر -د. عبد الله عزام-.

١٥- طريقنا إلى النصر -راشد الغنوشي-.

١٦- طه حسين في ميزان الإسلام -أنور الجندي-.

١٧- عقيدة الإسلام أيديولوجية المستقبل -مهدي عبود-.

١٨- الغرب -راشد الغنوشي-.

١٩- قادة الغرب يقولون -جلال العالم-.

# سعادة البشرية

بسم الله الرحمن الرحيم

# سعادة البشرية في ظل المنهج الرباني

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يـ فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح ا' فجزاه الله عن المسلمين خيراً، وبعد.

فهذه القضية ليست رأياً خاصاً لي، فالأمر أكبر من أن يفتي فيه البشر، إنها سنن الله في الحياة، شهدت بها الآيات البيـ وأيدتها الأحاديث الشريفة، وعاشتها النفوس الصادقة واقعاً حياً نظيفاً، وذاقته البشرية الشاردة عن منهج الله مرارة وألماً وشقاءً.

لقد قرر رب العزة هذه الحقيقة في كتابه العزيز فقال:

**(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة أعمى)**(طه: ١٢٣ ـ ٤

**فهي معادلة ربانية لا تتخلف، خلاصتها:**

طاعة الله –عز وجل– تساوي السعادة في الدارين.

عصيان الله –عز وجل– يساوي الشقاء في الدارين.

هذه المعادلة الربانية، والقاعدة الإلهية للحياة البشرية تعيش في ظلها البشرية في الأولى، ولا يتوقف عمل القاعدة عند الحياة، بل تواصل انطباقها فيما وراء هذه الدنيا، ولئن اعتاد البشر أن يروا السنن الالهية الكونية التي تخص المخلوقات لا تنطبق عالم البرزخ، فإن السنة الربانية للحياة البشرية متصلة أولاها بأخراها.

فدوران الكواكب، وإضاءة الشموس، وإنارة الأقمار، وبزوغ الشمس من مشرقها، كل هذه السنن الالهية في الكون تتو ويضطربُ نظام الكون عند القيامة، وتبزغ الشمس من مغربها، و تنطفئ شعلتها، ويظلم قرصها.

**(إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيرت، وإذا العشار عطلت، وإذا الوحوش حشرت، وإذا البـ سجرت)**[1] (التكوير: ١ ـ ٦)

**(إذا السماء انفطرت، وإذا الكواكب انتثرت، وإذا البحار فجرت، وإذا القبور بعثرت)** (الانفطار: ١ ـ ٤)

وقبل أن نبدأ بعرض تفاصيل القاعدة وشواهدها لا بدلنا أن نتذكر حقائق كبرى كثيراً ما يغفل الانسان عنها في زحمة الحـ

**الحقيقة الأولى:** أنّ المخلوقات جميعاً صدرت من بين يدي رب العالمين.

**(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)** (الزمر: ٦٢)

**الحقيقة الثانية:** لكل مخلوق قانون يسير عليه، لا يستطيع أن يند عنه، ولا يملك الخروج عليه.

**(إنا كل شيء خلقناه بقدر)** (القمر: ٤٩)، **(... وكل شيء عنده بمقدار)** (الرعد: ٨)

**(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمـ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تـ القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)** (يس: ٣٦ ـ ٤٠).

فالشمس والقمر والنجوم وجميع المخلوقات تحكمها قوانين لا تتخلف لحظة في الدنيا، و تسيرها سنن ربانية لو خرجت ـ لحطمت وتحطمت وانتهى نورها.

**الحقيقة الثالثة:** الإنسان كمخلوق من مخلوقات الله تحكم جسده قوانين، وتسيّر أجهزته سنن ربانية، فالعين تبصر ولا تبـ

---

[1] كورت: ذهب نورها، انكدرت: تساقطت، العشار: النوق الحوامل مفردها عشراء أي مر على أشهر حملها عشرة، عطلت: تركت بلا راع وبلا حلب، سجرت: أوقدت فصارت ناراً أو بحراً واحداً، انفطرت: انشقت (انظر تفسير الجلالين، نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني).

والأذن تسمع ولا تبصر، والقلب ينبض الدم ولا يملك أن يغير وظيفته لهضم الطعام أو للإبصار.

ومن الناحية الأخرى: أنزل الله له قوانين تحكم سيره في الحياة، وتنظم علاقته بما حوله من المخلوقات، وهذه القوانين ترك له الحرية في انتهاجها أو تنكبها، فإن اتبعها فقد وازن بين القوانين التي تحكم فطرته وبين القوانين التي طبقها في حياته وتعامله، وكذلك نسق بين قوانين حياته وبين قوانين الله التي تحكم الكون.

**الحقيقة الرابعة:** وهي منبثقة من الثالثة: القوانين التي تحكم الأفلاك والمجرات والحياة من عند رب العالمين، والقوانين التي نزلت للانسان من عند رب العالمين كذلك، ولذا فهي لا تصطدم، وهنا تنشأ السعادة لأن التناسق والتوافق بين النفس البشرية بجزئيها (الإرادي واللاإرادي)، بين النفس البشرية والكون حولها ينشأ من اتباع قوانين واحدة، مصدرها واحد، وهدفها واحد، هو طاعة رب العالمين واتباع منهاجه.

**(ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء)** (الحج: ١٨).

**الحقيقة الخامسة:** أن الله أعلم بما خلق، ويحب الخير لها، ولذا فهو يرسم لها طريق السعادة، **(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** بلى، يعلم.

والله –عزوجل– بالناس رؤوف رحيم، غني عن مخلوقاته، ولكنه يرعاها، وهو أرحم بها من أمهاتها **[ففي الحديث المتفق عليه عن عمر رضي الله عنه في قصة المرأة التي فقدت ابنها في السبي ثم لقيته، فقال ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، فقال لله أرحم بعباده من هذه بولدها]**[1].

فكما أن البشرية قد اعتادت أن ترد الآلات إلى مهندسها، لأنهم يعلمون أن أكثر الناس بها خبرة، وأقدرهم على تشغيلها، فلله المثل الأعلى هو الذي يجب أن ترد إليه –سبحانه– مشاكل البشر ليحلها.

فمهندس الثلاجة أو السيارة يضع إرشادات لطريقة أعمالها، ولا تسير السيارة بحالة إن لم نضع فيها الوقود التي اشار إليها المهندس، ولابد أن نضغط على نفس الأزرار التي بينها، وإن خالفنا تعليمات المهندس فإننا سنحرق الآلة أو نحاول عبثاً إدارتها.

وهذا الإنسان لا يعمل إلا بالطريقة التي رسمها رب العالمين في كتابه، أو من خلال الوحي الذي انطلق ألفاظاً شريفة على لسان نبيه ﷺ، وكل محاولة لمخالفة صانع الإنسان وفاطره فهي محاولة لتعطيله أو إفساد فطرته.

**الحقيقة السادسة:** القلوب صناعة علام الغيوب وبيده مفاتحها، يفتحها متى شاء ويدخل إليها السعادة، فإن أقفلها فلا فاتح لها.

**(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)** (فاطر: ٢).

**الحقيقة السابعة:** اتباع دين الله هو الحياة، والبعد عنه هو الموت. **(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)** (الأنفال: ٢٤).

**(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا...)** (الشورى: ٥٢)

أي حياة للقلوب والنفوس.

**(ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده)** (النحل: ٢)

فدين الله روح وحياة، وبدونه الإنسان لا حياة فيه.

**(أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)** (الأنعام: ١٢٢)

أي ليس الكافر الذي مات قلبه كالمؤمن الذي أحياه الله بالهدى.

**الحقيقة الثامنة:** من وجد الله وجد كل شيء، ومن فقد الله فقد كل شيء، من عرف الله ذاق سعادة الدارين، ومن نسي الله أنساه نفسه.

---

(١) متفق عليه (رياض الصالحين) باب الرجاء.

**(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)** (الحشر: ١٩).

**الحقيقة التاسعة:** قانون الذنوب والمصائب -مصائب الناس- قسمان: مصائب الأنبياء -وهم معصومون من الذنوب- لـ الدرجات، ومصائب غير الانبياء -غير المعصومين- لتكفير السيئات ثم رفع الدرجات .

القانون يقول: الذنوب تؤدي إلى مصائب.

مصائب زائد صبر يساوي مغفرة الذنوب.

وهذا القانون مسطر في كتاب رب العالمين:

**(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)** (الشورى: ٣٠).

وهذا القانون لخصة سيدنا على رضي الله عنه بقوله {ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة}.

وقال الحسن: بلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبه قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر[١] ، القرطبي قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ وذكر الحديث[٢].

وفي الحديث الصحيح: **{والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها خطاياه حتى الشوكة يشاكها}**.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **{ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه}**[٣].

قال ابن خيرة[٤]: -من أصحاب علي رضي الله عنه- {جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر اللذة، قيل وما التعسر في اللذة؟ قال لا يصادف لذة حلالاً إلا جاءه من ينغصه إياها}.

يقول مالك بن دينار[٥]: {إذا رأيت قساوة في قلبك ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك}.

وهذا القانون يعم كل جوانب الحياة من أمراض بدنية ونفسية، ومن ضيق في الرزق وضنك في العيش، وشدة في الخير وانحباس في المطر، ومَحْل في الأرض، وقحط في الزرع، كل هذا بسبب الذنوب.

جاء في الحديث الصحيح[٦] الذي رواه ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً: **{كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين ع رسول الله ﷺ فاقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: يا معشر المهاجرين: خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن:**

**١- ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.**

**٢- وما نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان.**

**٣- وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.**

**٤- ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.**

**٥- وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديدا}.**

**قال الضحاك[٧]: ما تعلم رجل القرآن ونسيه إلا بذنب .**

وقال مرة الهمداني[٨]: رأيت على ظهر كف شريح قرحة، فقلت: يا أبا أمية، ما هذا، قال: هذا بما كسبت أيديكم ويعفو كثير.

وقال ابن عون[٩]: {إن محمد بن سيرين لما ركبه الدين اغتم لذلك، فقال: إني لأعرف هذا الغم، هذا بذنب أصبته منذ أربع سنة}.

وقال عكرمة[١٠]: {ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها}.

وكلام عكرمة هذا هو خلاصة قانون المصائب: أنها إما بذنب فجاءت البلية لتكفره، أو لأن الله يحب المرء فيريد رفع درجته عنـ

---

١- تفسير ابن كثير (٤ / ٣١٤). ٢- تفسير القرطبي (١٦ / ٣١). ٣- رياض الصالحين باب الصبر ص(٣٣).

٤- تفسير ابن كثير (٢ / ٥٢٣). ٥- سمير المؤمنين ص(٢٠).

٦- سنن ابن ماجة كتاب الفتن (٢ / ١٣٣٢)، جاء في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به وقد اختلفوا في ابن أبي مالك.

٧، ٨، ٩، ١٠- تفسير القرطبي (ج ١٦ص٢٠-٢١).

فيصيبه البلاء. ولكن لا ينزل البلاء كذلك بالصالحين الذين يريد الله أن يرفع درجاتهم إلا بسبب ذنوبهم وهفواتهم.

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا القانون، فتراهم يفسرون الأحداث من خلاله، قال الحسن[1]: دخلنا على عمران بن الحصين فقال رجل: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي لا تفعل، فو الله إني لأحب الوجع، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله، قال الله تعالى (**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**) فهذا فبما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقي أكثر .

وقال أحمد بن أبي الحواري لأبي سليمان الداراني[2] : ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم، فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم.

وهذا القانون (الذنوب سبب المصائب) ورد في كثير من الآيات والأحاديث، وعلى لسان الصحب الكرام والسلف الصالح كما أوردنا آنفاً قبسات من مشكاتهم، ففي الكتاب العزيز:

(**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**) (الروم: ٣٠).

وأنت تلمح من خلال النظم الكريم رحمة الله الواسعة بأن الفساد كان عقوبة لبعض ذنوب الناس، ولكن لو حاسب الله المخلوقات على جميع ذنوبهم ما ترك على ظهرها من دابة.

(**ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**) (النحل: ٦١) .

وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب[3]: (توشك القرى أن تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها على أبرارها، وساد القبيلة منافقوها).

وذكر الإمام أحمد عن صفية[4] قالت: (زلزلت المدينة على عهد عمر فقال: يا أيها الناس ما هذا: ما أسرع ما أحدثتم، لئن عادت لا تجدوني فيها، ففسر عمر سبب الزلزلة بالمعاصي التي أحدثت في المدينة.

وقد يقول قائل: إن سبب الزلزلة أمر جيولوجي أرضي من تقلص في قشرة الأرض أو غير ذلك، ونحن نؤمن معه على هذا السبب الظاهري، ولكن ما السبب الحقيقي الذي كانت نتيجة أن يأمر الله بالزلزلة، إنه الذنوب والذنوب فقط.

وروى الإمام أحمد[5] بإسناده عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاء، فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم**] ورواه أبو داود بإسناد صحيح.

قال ابن القيم[6] وإن الذنوب لتعم مصائبها الحيوانات والحشرات والجعلان في جحورها، يقول الله عز وجل:

(**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**) (البقرة: ١٥٩-١٦٠)

قال ﷺ: [**اللاعنون: دواب الأرض**][7] رواه ابن ماجة بإسناد حسن .

قال مجاهد وعكرمة[8]: هي الحشرات والبهائم يصيبها الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم.

قال ابن مسعود[9]: كاد الجعل أن يعذب في جحره بذنب ابن آدم.

قال أبو هريرة[10]: والذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت هزلاً في وكرها لظلم الظالم.

قال عكرمة[11]: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: منعنا القطر بذنوب بني آدم.

---

١،٢- تفسير القرطبي (١٦ / ٣١). ٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص(٤٥). ٤- الجواب الكافي (٤٢)

٥- الجواب الكافي (٤٣). ومعنى ضن: بخل. العينة: أن يبيع شيئاً لغيره بثمن مؤجل ويسلمه للمشتري ثم يشتريه منه قبل قبض الثمن بنقد أقل تحايلاً على الربا. اتبعوا أذناب البقر اشتغلوا بالزرع والحرث في زمن يفرض فيه الجهاد.

٦- تهذيب الإمام ابن القيم على مختصر أبي داود للمنذري (ج٥/١٠٤) يقول ابن القيم أربعة أحاديث تحرم العينة. فهذا إسناده حسنان يشد أحدهما الآخر

٧- انظر تفسير القرطبي (٢/١٨٧). ٨، ٩، ١٠- انظر تفسير القرطبي (١٤/٣٦١)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٢)، وتفسير الطبري (١٤/١٧٦)، وفتح القدير للشوكاني (٣/١٧٢) ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير للرازي (٥/٣٢١)، الحبارى: طير صغير، هزلاً: ضعفاً، الوكر: العش

١١- الجواب الكافي لابن القيم (٥٣).

لقد كان إهلاك الأمم السابقة، ودمار عمرانها، وبوار إنتاجها، وسحق أبنائها بسبب الانحراف عن منهج الله وتنكرها له.

(ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) (يونس: ١٣).

(بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) (سبأ: ٨).

فالذين انطمست بصائرهم، وجحدوا فطرتهم، وأنكروا آخرتهم في عذاب واصب، وشقاء دائب، وتيه مستمر، وجحيم مستقر ؛ هذه الدنيا وفي الآخرة، وإلا فأخبرني بربك ما الذي أغرق الأرض بأحيائها وأشجارها وأناسيها زمن نوح عليه الصلاة والسلام الإعراض عن منهج الله؟!

وما الذي أهلك عاداً إرم ذات العماد، فأحالها كأعجاز نخل منقعر سوى البعد عن دين الله؟ وما الذي أرسل الصيحة على ثم فأصبحت كهشيم المحتظر سوى التنكب لطريق الله؟ أيكفيك هذا؟ أم لا بد أن تمر بخرائب مدين، وخرائب أصحاب الأيكة لتدرك مغبة الإعراض عن دين الله عاقبته وخيمة، ونهايته خطيرة. وسترى بالتفصيل من خلال الصفحات القادمة كيف تسبب الذنوب ضب في الرزق، وهزيمة في المعركة، ونسياناً للعلم.

ففي الرزق: (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)[1] ولفظ ابن ماجة عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: [لا يزيد في الع إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه] وفي الزوائد: إسناده حسن.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الحاكم[2] وقال صحيح الإسناد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: [خرج نبي من الأنبياء يستسة فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء، فقال ارجعوا فقد استجيب لكم من شأن النملة]. وجاء في بعض رواياته [اللهم نحن خا من خلقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم].

وأما هزيمة المعركة فقول الله تعالى:

(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) (آل عمران: ١٥٩).

فهزيمة المعركة كانت نتيجة لبعض الذنوب وأما العلم فعن ابن مسعود مرفوعاً[3]: [إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به الشيء مـ الرزق، وإنه ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم كان قد علمه، وإنه ليذنب الذنب فيمنع قيام الليل].

وكل هذا سنراه تفصيلاً ونحن نطرق أبواب السعادة البشرية باباً باباً، وندرك أثر طاعة الله في السهادة، ونتيجة الذنوب حدو المصائب والمحن والشقاء والبوار، والحق أن هذه القاعدة هي جماع الأمر كله في هذا الدين، بل خلاصة دين الله هي هذه القاعد ولذا لا يستطيع الإنسان أن يوفيه حقاً ولو كان من كبار العلماء وأساطينهم، فكيف بعبد صغير جاهل مثلي؟

وإذا ضربنا أمثلة فإنما هي على سبيل توضيح القاعدة لا على سبيل الحصر، فإن الأمثلة كثيرة من الشواهد القرآن والأحاديث النبوية، ودعنا نرى بعض الأمثلة الشاهدة لهذه القاعدة الكبرى.

ونبدأ الآن بذكر بعض أبواب السعادة البشرية:

## ١- السعادة النفسية والراحة القلبية:

لا يختلف اثنان أن غاية ما يصبو إليه الإنسان هو إدراك السعادة في أعماق فؤاده، والشعور بلذة العيش وطيب الحياة، فكد واجتهاده، ونصبه ووصبه كله من أجل تحقيق الراحة النفسية والطمأنينة في كيانه، ومفتاح هذا الباب خارج عن إرادة البشر، وليس بمقدور الانسان، لأن القلب الذي هو مستقر السعادة بين أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، ولذا فليس من سبيل إلى راحة الروح وو القلب إلا باستمطار رحمة الله ليفتح هذا الفؤاد بمفاتحه، وينعم عليه بالسعادة، ولا مفر للإنسان -إن شاء أن يسعد- إلا أن يسلا هذا الطريق الوحيد للسعادة النفسية. وإلا فليعش في الشقاء كيف يشاء.

لأن الروح التي هي من أمر الله، وهي صبغة الله، وفطرته لا يمكن أن تجد الراحة الا أن تشبع، وتشبع بنظام رباني، شأنه شأن المعدة الجائعة التي لا تهدأ إلا بالطعام والغذاء، ولا يسد جوعتها ولا يؤمن راحتها رؤية المال ولا ضجيج الإعلام، ولا هتاف المجد من أفواه الملايين، إنما يريح المعدة الجائعة قطعة خبز تدخلها فتوقف اعتصارها بالألم عنه.

١ رواه أحمد عن ثوبان مرفوعاً انظر كشف الخفا ومزيل الألباس (١/ ٢٨٠)، وانظر سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٣٤).

٢ انظر المجموع شرح المهذب (٥/ ٦٧)، وانظر تلخيص الحبير لابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي الكبير مع المجموع (٥/ ٩٤).

٣ انظر كشف الخفاء ومزيل الألباس (١/ ٢٨٠).

الصدر وسلامته، وكيف أن قلب الكافر ضيق فهو متوتر الأعصاب، حرج: والحرج أضيق الضيق كما قال الزجاج[1]: كأنما تحمله في مركبة فضائية، وتطلقه في السماء فيكاد يختنق لضيق التنفس، بل قد ينفجر ما لم توفر له جواً يعادل الضغط الداخلي، إنها معجزة القرآن الذي نزل من عند رب العالمين في وقت لم يكن أحد في الأرض قد صعد الآفاق العليا، وجرب ضيق التنفس، وحرج الصدر، والنزيف الداخلي، ثم يعقب رب العزة قائلاً (**كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون**) والرجس: هو العذاب كما قال ابن زيد[2] وأصل الرجس في اللغة: هو النتن، فحياة الكافر في العذاب والنجس والنتن.

قال ابن مسعود[3] يا رسول الله! وهل ينشرح الصدر؟ فقال: نعم يدخل القلب نور، فقال: وهل لذلك علامة؟ فقال ﷺ: **{ التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت}.**

٢- العلم النافع: فإنه يشرح الصدر، وييسر القلب، وأما الجهل فيورث الضيق والحصر والحبس.

٣- المحبة فإنها نعيم القلب وسعادة الروح وسرور النفس، ومحبة غير الله سجن للقلب وعذاب للروح بالشيء الذي تعلق به وهو عذاب الروح وضيق الصدر.

٤- الإحسان: فإن المحسن أطيب الناس نفساً وأشرحهم صدراً وأنعمهم قلباً.

الشجاعة: فهي سرور النفس ولذتها ونعيمها وابتهاجها، وهذه كلها محرمة على كل جبان.

٥- ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم، فإن هذه الفضول تورث آلاماً وهموماً وغموماً في القلب تحصره وتحبسه ويتأذى بها[4].

# رعي الإبل أولى من رعي الخنازير*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

يروي لنا التاريخ أن الفونسو السادس حاكم قشتالة وليون في إسبانيا أراد أن يبتلع الأندلس كلها مدينة مدينة، وفي ذلك الوقت كان أمراء الطوائف إذ كانوا آنذاك سبع ملوك في المدن السبع الكبرى (سرقسطة، قرطبة، طليطلة، بطليوس، أشبيلية، غرناطة، بلنسية).

وصدق فيهم قول شاعرهم، قال أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني فيهم:

*مما يزهدني في أرض أندلس ... أسماء معتمد فيها ومعتضد*

*ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد*

وبلغ السوء بملوك الطوائف أن يقدموا عروضهم على الفونسو السادس بمساعدته ضد إخوانهم، وكان المعتمد بن عباد (صاحب إشبيلية وقرطبة) أقواهم، ولكنه صانع الفونسو واستخذى له وسكت عليه وهو يأكل أراضي المسلمين التي يحكمها إخوانه، وكان يدفع لألفونسو ضريبة سنوية، ولكن الغرور الذي ملأ نفس الفونسو جعله يطلب المزيد من التنازلات من المعتمد، وأرسل إليه ليقدم المراسم الزائدة في الاستخذاء والهوان، فارسل وفداً برئاسة وزيره اليهودي (إبن شاليب) وطلب من المعتمد بن عبّاد أتاوات فادحة، وأبلغه أن الفونسو قرر أن تلد زوجته في مسجد قرطبة بناء على إشارة القساوسة، وأن تنزل الزهراء (مدينة بناها الناصر على بعد خمسة أميال من قرطبة).

فاهتز المعتمد بن عبّاد لهذه المطالب، وقتل رسول الفونسو، فغضب الفونسو وبدأ يعد للهجوم على إشبيلية.

كان هذا سنة (٤٧٥ هـ)، وجاء نذير الخطب الفادح عندما سقطت طليطلة سنة (٤٧٨ هـ)، فانتفض المعتمد واتصل بالمتوكل

---

١، ٢- تفسير القرطبي (٨٢/٧). ٣- القرطبي (٨٠/٧)، وقد روى الحديث الترمذي، أنظر زاد المعاد (١٥٢/١).

٤- ملاحظة: هذا الموضع حذف لأنه مأخوذ أصلاً من كتاب «الاسلام ومستقبل البشرية» من ص ٢٢-٢٧

* - مقالة للإمام الشهيد نشرت في منبر المجتمع (مجلة المجتمع عدد (٦٧٨) بتاريخ (١٠/٧/١٩٨١م)

حاكم بطليوس وطلب إليه أن يرسل إليه قاضيه، واجتمع مع قاضي غرناطة، وأضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون، واستشار استدعاء أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لإيقاف هذا السيل الداهم من الشر. فأخذت بطانة السوء تحذره من مغبة عاقبة المرابطين، وتزين له عدم استدعائهم بحجة أن المرابطين سيستولون على عرشه إذا انتصروا على الفونسو، أما القضاة فقد ـ النصح باستدعائه لإنقاذ الإسلام في شبه الجزيرة الأندلسية، وعندما رأى ابن عبّاد حاشية السوء تصر على عدم الاستعانة بالم صاح في وجههم قائلاً كلمته المشهورة: (رعي إبل البربر خير من رعي خنازير الإفرنج).

وأرسل وفده من القضاة الثلاثة ووزيره لاستدعاء يوسف بن تاشفين، فاستجاب يوسف لنجدة إخوانه في الأندلس و الإسلام فيها، وكانت معركة الزلاقة الشهيرة في (١٢) رجب سنة ( ٤٧٩ هـ)، ونصر الله جنده وأعز دينه، ولقد أمدت وقعة الزلا عمر الإسلام في الأندلس أربعة قرون.

وهنا نقف أمام معالم هذا الحدث العظيم للعبرة:

**(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)** (يوسف: ١١١).

**(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** (ق: ٣٧).

١-أول ما يتبادر إلى الذهن من العبر هو أن الموقف الصادق من حاكم واحد قد يحفظ الله به الأمة المسلمة لقرون ؛ تحمى بها الأعراض، وتحقن بها الدماء، وتصان بها الأمة معززة مكرمة، وهذا يظهر جلياً من كلمة المعتمد بن عباد: (أن أكون لإبل يوسف بن تاشفين المسلم البربري أحب إليّ من أن أكون راعياً لخنازيرالفونسو السادس النصراني).

إنها لحظة اختيار، والسعيد فيها من وفقه الله لاختيار الخير لدينه ودنياه، وكم من الناس اختاروا هواهم فخسروا د وأخراهم.

ومن هو يوسف بن تاشفين؟! لقد جاء إلى الحكم عندما وكله ابن عمه أبو بكر بن عمر زعيم المرابطين بإدارة الدولة، ، أبوبكر للإصلاح بين قبائل نهاجة سنة (٤٥٣ هـ)، وعندما عاد أبو بكر ورأى القدرة الفائقة التي أبداها يوسف في إدارة الدولة م الناس والتوفيق من الله به عليه، تنازل أبو بكر عن الحكم لابن عمه يوسف الذي حكم قرابة خمسين سنة، أحيا بها سيرة ال الصالح، واتبع سمت الخلفاء الراشدين من قبل، إنها تضحية من حاكم واحد بكرسيه حفظ الله به الإسلام والأمة من الذ والاندثار.

والآن نتوجه إلى مخاطبة الأفغان سواء الذين يجاهدون أو يتاجرون بالدماء والأعراض، وسواء ممن ينادون بعودة الملك الم ظاهر شاه (يريدون أن ينفخوا الحياة في العظام الرميمة استجابة لأهواء السادة في واشنطن وباريس ولندن) أو الذين يرفضون الملك ويأبونها فنقول لهم:

أليس الأولى بكم أن تقولوا كما قال المعتمد بن عباد: (جندية عند سياف خير من عبودية تحت أقدام كارمل).

أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً؟ صحبة قائد مجاهد يعيش معك كأخ وصديق، يعاملك بالإجلال والتكريم والاحترا خدمة حاكم لا يعتقد بالدين الذي تجاهد من أجله، ولا يقرب إلا كل كافر وفاسق، وينفر ويشمئز من كل عالم وصادق؟ وأتوجه بالك الى الذين ينادون بعودة الملك فأقول: من الذي غرس الشيوعية في أفغانستان؟ أليس الملك هو الذي داس على حجاب المرأة الم وقال: انتهى عهد الظلام إلى الأبد؟!

أليس الملك هو الذي وجه الدبابات إلى قندهار عندما رفضت نساؤها إلقاء الحجاب وقتل الآلاف من أجل فرض خلع الحج ولإرغام النساء على التهتك والتبذل والسفور؟ أليس الملك هو الذي جر هذه الويلات والمصائب إلى أفغانستان؟

٢- والعبرة الثانية: الدور العظيم الذي يقوم به العلماء في قيادة الأمة، وفي جمع كلمتها، وفي بناء أجيالها، ومواجهة الأه التي تهدد مصيرها.

ولقد ذهلت وأنا أطالع التاريخ الأندلسي، فكم من العلماء استشهد في غمار المعارك مع الصليبية.

إن فكرة استدعاء المرابطين لنصرة المسلمين في الأندلس ابتدأت من العلماء وعلى رأسهم أبو الوليد الباجي، وهذه المعركة ا

أشرنا إليها (الزلاقة) قد استشهد فيها من العلماء الكثير، منهم: أحمد بن رصيلة، وأبو مروان عبد الملك المعمودي (قاضي مراكش)، والفقيه أبو رافع الفضل ولد الحافظ (أبي محمد بن حزم) صاحب المحلى.

وهنا نسجل بالفخر والاعتزاز لعلماء أفغانستان أنهم هم الذين نادوا بالجهاد، وفجّروا طاقات الخير في الأمة الإسلامية في أفغانستان، وهم الدعاة لهذا الاتحاد، ولكننا نأخذ على العلماء شيئاً واحداً انهم لم يقفوا وقفة حاسمة من الذين يحاولون أن يعبثوا بوحدة المسلمين، ويريدون تفريق كلمتهم، وتشتيت جمعهم، لم تصدر فتوى واحدة من العلماء في أولئك الذين لا يتركون فرصة في النيل من هذا الاتحاد، ويحاولون تمزيقه، وبالتالي إنهاء الجهاد سواء قصدوا أو لم يقصدوا، فليسمع هؤلاء حديث المصطفى ﷺ: **(من أعطى بيعه ثم نكثها لقي الله وليس معه يمينه)**[1].

٣- والعبرة الثالثة: بطانة السوء التي تسول للزعماء والمسؤولين دائماً فعل الشر، فكم من القيم ضاعت؟ وكم من الاوطان اغتصبت بآراء هؤلاء الذين يعيشون على الفتات، ويقتاتون بدماء البشر، ويعيشون على ركام الآلام والآهات والأنات.

وبطانة الشر هذه هي التي تتهافت حول قادة الجهاد ينفخون فيهم ويسولون لهم ما تهون أنفسهم، ويزينون لهم الانفراد عن الجماعة.

٤- والعبرة الرابعة: أن النفوس السوية من عادتها أن تتجمع وتجمع قواها وتتناسى نفسها أمام الخطر الداهم الذي يهدد وجودها، فلقد تجاوز المعتمد مصلحته وعرشه إلى مصلحة الأمة، ووجود البلاد، وعزة العباد، لقد وجد أن اتباع الهوى سيعصف بعرشه وببلاده، وأن العودة الى نفسه وصوابه سيحفظ عرشه وبلاده.

كان الأولى: أن يستيقظوا أمام المخططات الرجعية التي ترمي إلى سحق كل قيمة في أفغانستان، وإلى التصفية الجسدية لهذا الشعب بكامله.

كان الأولى: أن ينظروا إلى المجازر الجماعية التي تقيمها روسيا للأطفال والنساء، خاصة بعد مجيء (تشيرننكو) إلى الحكم، وبعد أن وجه أوامره للجيش الروسي في أفغانستان بأن يقتلوا الطفل قبل الشيخ، ففي كل يوم تقريباً تشهد أرض أفغانستان مذبحة مثل مذبحة صبرا وشاتيلا، دون أن ينزجر تُجّار الدماء أو يرعووا.

لقد كان جديراً بمن في قلبه إحساس أو حرقة على المسلمين، وعلى اليتامى والأرامل والثكلى والجرحى والمشوهين وذوي العاهات من مصابي الحرب، الأجدر بهؤلاء أن يستيقظوا من الحس ويثوبوا إلى رشدهم. إذ أن (هجرة ثلاثة ملايين افغاني) إلى باكستان (ومليون) إلى إيران، وهجرة (سبعة ملايين أفغاني) آخرين من أفغانستان إلى أفغانستان (هجرة داخلية) مشردين في الجبال والأدغال بعد هدم بيوتهم وحرق منازلهم ومسحها من الوجود، أقول: هجرة هؤلاء الملايين كافية ليستيقظ الضمير إن كان في النفس أثارة من ضمير، أو بقية من صدق أو لب.

ولكن الهوى قد يتملك القلوب حتى يصبح إلهاً **(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم)**.

# خراسان أم أفغانستان*

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد اختلفت الآراء في مكان خراسان التاريخية، والتي كان لها دور كبير عبر الحقبات الزمنية على مسيرة الحضارة الإسلامية، وقد شرف الله خراسان بتخريج أفواج الجهابذة من العلماء الأفذاذ والقادة البارزين عبر التاريخ الإسلامي المشرف.

وأما ياقوت الحموي فرأيه مع الراجح لدى المؤرخين والجغرافيين أن خراسان منطقة شاسعة قسمت الآن بين ثلاث دول:

١- قسم منها في إيران: وهي تضم القسم الشرقي من إيران المحاذي لأفغانستان، وتسمى هذه المنطقة خراسان حتى اليوم.

٢- والقسم الكبير منها في أفغانستان: فخراسان كانت تضم هرات وبادغيس وغور وكل الولايات التي تقع شمال جبال الهندكوش فهي تضم: بروان وكابيسا وبغلان وباميان وبدخشان وتخار وكندز وجوزجان وبلخ وسمنجان وفارياب (ميمنة).

---

[1] رواه الطبراني بإسناد جيد.

* ملاحظة: نشر هذا المقال في مجلة الجهاد في العدد (١٠) رجب (١٤٠٨) مارس (١٩٨٨م) باسم (د. محمد عبد الرحمن) لأن الإخوة كانوا يكتبون مقالات الشيخ بأسماء مختلفة للحفاظ على ثرة المجلة

أما منطقتا فراه ونمروز فكانتا واقعتين في ولاية سجستان (ستان)، والغالب أنها ليست من خراسان على أرجح أقو المؤرخين.

وأما كابل وجنوبها وشرقها فلا تدخل بأي حال من الأحوال في مسمى خراسان، فلوگر وكابل وغزني وپكتيكا وأورزجان وهلم وقندهار وزابل وننجرهار ووردك هذه الولايات لا تقع في خراسان.

٣- وأما القسم الثالث من خراسان فهو واقع فيما وراء النهر، ويضم قسماً كبيراً من تركستان الغربية، ويمتد حتى ب الخزر، وكانت عاصمة (حاضرة) إقليم خراسان مرو وهي واقعة الآن تحت الإستعمار السوفيتي.

ومن أشهر المدن الأفغانية الخراسانية: (هرات وطالقان (تخار) وبلخ (مزار شريف) )، ولقد كان لخراسان أثر كبير في تسي دفة الأحداث في حواضر العالم الإسلامي، وعلى هذا فإذا أطلقنا كلمة خراسان على أفغانستان فإننا لا نجافي الحقيقة كثيراً...

## مناقب خراسان:

لقد وردت أحاديث في فضائل خراسان منها:

١- عن بريدة [**سيكون بعدي بعوث كثيرة فكن في بعث خراسان بناها ذو القرنين**] [١].

٢- [**إذا أقبلت الرايات السود من خراسان فأتوها**] **قال** الحافظ ابن حجر في (القول المسدد في الذب عن مسند أحمد) أخر أحمد من حديث ثوبان وأحمد والبيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة وليس في إسنادهما متهم بالكذب.

## جهابذة العلماء من أفغانستان:

لقد قدمت أفغانستان عبر مسيرة التاريخ الإسلامي العريق كواكب من العلماء كانت درراً فريدة في تاريخ الإسلام المشرق، و من فن من فنون إلا وكان لعلماء أفغانستان قصب سبق فيه، ونورد مهنا بعض الأسماء كأمثلة لا للحصر:

**١- فمن الفقهاء والمحدثين:**

الإمام ابو حنيفة من كابل، ومكحول بن أبي مسلم (فقيه أهل الشام بعد العبادلة الأربعة) من كابل كذلك، وأبو حاتم محمد ب حبان البستي (صاحب الصحيح)، وأبو الفتح بن حبان البستي، وأبو سليمان الخطابي (صاحب معالم السنن)، وكلهم من منطقة قر هرات، وأبو سليمان الجوزجاني (جوزجان)، ومحمد بن يوسف الفاريابي من (فارياب )، وأبو عاصم محمد بن أحمد الهروي (هرات صاحب الزيادات والمبسوط والهادي وأدب القضاة، والجويني (إمام الحرمين) من جوين، والبيهقي (صاحب السنن) من مناطق حو هرات.

**٢- ومن المفسرين:**

عبدالله الثقة بن المأمون الهروي، وأبو زياد البلخي: قال عنه أبو حيان التوحيدي: (ما رؤى الناس من جمع بين الحك والشريعة سواه)، وعطاء الخراساني البلخي التابعي، وقد روى عن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود، وشيخ الإسلام الصابوني م زندجان (هرات)، وعبد الرحمن الجامي الهروي -المفسر واللغوي الشهير- ولا زالت كتبه تدرس في الأزهر.

**٣- ومن الزهاد:**

شقيق البلخي، أبو علي الجوزجاني، وعبدالله الانصاري الهروي (صاحب منازل السائرين الذي شرحه ابن القيم في مدار السالكين).

**٤- ومن الأطباء:**

ابن سينا البلخي، وأبو منصور الهروي.

**٥- ومن الفلاسفة:**

ابن سينا، والكعبي.

**٦- ومن الجغرافيين والسياسيين:**

---

١ أخرجه أحمد وأبو نعيم في الدلائل، وقال الحافظ ابن حجر، حديث حسن.

أبو زيد البلخي، والسائح الهروي.

٧- ومن المؤرخين:

البيروني والعتبي وهما من غزني.

٨- ومن علماء اللغة:

الأزهري (صاحب التهذيب)، وأبو عمرو الهروي، وأبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي، وأبو سعيد الغوري، والجامي.

٩- ومن الأدباء والشعراء:

يحيى بن خالد البرمكي، والبرامكة من بلخ، وبشار بن برد من تخار، وعطاء بن يعقوب الغزنوي، وأبو المعاني محمد بن تميم البرمكي البلخي، والصاحب بن عباد الطالقاني، ورشيد الدين الوطواط، وأبو الحسن الكرخي الغزنوي.

وخلق كثير لا أستطيع إحصاءهم في هذه العجالة، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب (أفغانستان بين الأمس واليوم لأبي العينين المعري).

وعليه فإن بإمكاننا أن نقول: أن مناقب خراسان هي مناقب أفغانستان، وسماتها هي نفس سماتها، وبقعة أفغانستان تحتل جزءاً كبيراً من خراسان التاريخية.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

## الدكتور عبد الله عزام في حوار شامل مع مجلة المغترب

شنت وسائل الإعلام الغربية مؤخراً حملة ضد الوجود العربي في ساحة الجهاد الأفغاني خوفاً من احتمال تأثر العرب بهذا الجهاد، وسعياً لإيقاع الفتنة بين إخوة الدين والمصير.

وبدأت الصحف والإذاعات الغربية تتهم المجاهدين العرب ظلماً وإفكاً بأنهم إنما جاؤوا للاغتصاب والنهب والسلب. وهذا أيضاً ما زعمته صحيفة (المسلم) الباكستانية ذات الاتجاه الشيعي الشيوعي.

كما هاجم الإعلام الغربي قيادات هؤلاء المجاهدين زاعماً أنهم يحاولون نشر (الوهابية) في أفغانستان كبديل عن مذهب الإمام أبي حنيفة، وهي العوبة بريطانية قذره تولت كبرها الـ (BBC) التي قالت في إذاعتها الفارسية عن الدكتور عبدالله عزام إنه بروفسور وفد قبل ست سنوات إلى أفغانستان، وجمع الشباب المتطرف من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد زعموا أنهم جاؤوا للشهادة في سبيل الله، ولكنهم في الحقيقة -والكلام للإذاعة- جاؤوا لنشر الوهابية عن طريق القادة الأصوليين الثلاثة: سياف وحكمتيار ورباني.

وقد ذكرت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية أن الدكتور عبدالله عزام جاء لنشر الوهابية، وقالت الهيرالد تريبيون أن الشيخ عزام بروفسور فلسطيني يجمع حوله الشباب المتطرف.

في هذا اللقاء مع فضيلة الشيخ المجاهد الدكتور عبدالله عزام أردنا أن نسلط الضوء على هذه القضايا وعلى أخبار الجهاد الأفغاني، ومعارك المدن، خاصة وأن الإعلام الأمريكي يمارس تعتيماً على انتصارات أهلنا في أفغانستان.. وقد اتصلنا بالدكتور عبدالله في مقره ببيشاور واتفقنا على توجيه أسئلة له عن طريق (الفاكس) وأن يرد عليها (بالفاكس)، وفيما يلي نص المقابلة:

المغترب

**- سقط الرهان الغربي على اختلاف منظمات الجهاد وهي الآن متلفة سياساً وعسكرياً..**

**- أمريكا قتلت ضياء الحق.. وهذه هي الأدلة!**

**- حكومة بنازير بوتو تطبق المخطط الأمريكي.. وتضيق الخناق على المجاهدين!**

**- وهناك خطة أمريكية لتصفية قادة الجهاد وعلى رأسهم حكمتيار وسياف**

- تولت بريطانيا كبر فتنة (الوهابية) ولحقها الغرب والشرق وحكومة كابل وإيران..

- يخشى الغرب انتقال نور الجهاد الأفغاني إلى فلسطين وتأجيج المعركة التي تقودها (حماس) بالحجارة!

**سؤال:** فضيلة الشيخ عبدالله.. من الطبيعي والحالة هذه أن نبدأ بسؤال عن الوضع العسكري، فما هو تقويمك لحالة الن الشيوعي عسكرياً، من حيث عدد الجنود وكمية السلاح، وقدرته على الصمود؟

**جواب:** ليس عندنا عدد دقيق للقوات الحكومية، ولكن يقال أن الجيش الآن مكون من (٨٥) ألف حزبي شيوعي، بالإضافة خمسين ألفاً من عامة الناس الذي يجمعون كرها وإجباراً باسم التجنيد الإجباري، أما الروس فيوجدون في ثلاثة أماكن:

١- بيت الرئيس نجيب ومركز الدولة ولديه المستشار الروسي (فرنيكوف)، الذي أعطته روسيا صلاحيات مطلقة بالتص بمصير نجيب، ولا بأس عند روسيا الآن أن يُقصى نجيب أو يسجن إذا ضمنت تنفيذ خطة مناسبة للمصالح الروسية.

٢- المطار.

٣- دار الأمان، وبجانبها صواريخ سكود ولها ثلاثمائة مختص من الروس.

وتصب روسيا السلاح صباً على أفغانستان، كما تنقل المواد الغذائية.. وتصل إلى مطار كابل يومياً ثلاثون طائرة نقل كبير وتأتي الطائرات العسكرية من روسيا وتحط في مطار بجرام-بروان، أما صمود الدولة الشيوعية فهذا راجع إلى علم الله وقد وقدره، إذ أن معركة كابل لم تنشب بعد، وستشهد أشهر هذا الصيف -والله أعلم- معارك ساخنة لم تمر كابل بفترة مثلها، وية بعض العسكريين مثل نائب وزير الدفاع الأمريكي أن تسقط كابل في هذا الصيف قبل سقوط الثلج في نوفمبر القادم. أما أنا فأة أن يستمر الحكم الشيوعي عاماً، إلا إذا استسلمت حامية عسكرية في كابل فهذا يعجل بالإطاحة بالنظام.

**سؤال:** تردد وسائل الإعلام الأمريكية أن قرار الهجوم على جلال آباد كان مرتجلاً، وبضغط من الحكومة الباكستانية، فما ص هذا؟ ولماذا تأخر سقوط المدينة؟

**جواب:** أما أن القرار كان بضغط من الحكومة الباكستانية فهذا والله أعلم أمر عار من الصحة.. أما أنه كان مرتجلاً ف صحيح أن رحيم وردك (جنرال عند سيد أحمد الجيلاني) هو الذي بدأ المعركة دون تنسيق مع بقية الأحزاب، اصطحب رحيم ود مجموعة من المصورين والمراسلين الأجانب، وجاءوا والتقطوا له الصور، وترك المعركة ثم دخلت كتائب المجاهدين المعركة.

وقد احتل المجاهدون الحقيقيون الذين يسميهم الأمريكان الأصوليين مساحة كبيرة في ثلاثة أيام، إذ أن مساحة ننجرهار الو التي مركزها جلال أباد كبيرة جداً (٣٠ × ٧٠ كم) ولم يبق بيد الكفار سوى (٤ × ٧) كم، و الأطراف مدينة جلال أباد محتل المجاهدين، والمدينة تحت رحمة نيران المجاهدين.

ولقد تأخر الفتح لعدة عوامل أهمها:

١- أن المجاهدين لم يلقوا بثقلهم في المعركة، بينما سحبت الدولة قواتها من أماكن متعددة لتدافع عن المدينة..

٢- أن جلال أباد يتركز فيها عتاة الشيوعيين، وتعتبر من أهم منابتهم.

- كثرة الألغام التي زرعها الشيوعيون حول المدينة..

٤- تحرّج المجاهدين من قصف المدينة بالأسلحة الثقيلة خوفاً على المدنيين.

**سؤال:** تردد بعض الجهات أن حرباً أهلية ستنشب بين فصائل المقاومة بعد سقوط النظام الشيوعي، كيف يمكن أن يفند ا القول حينما نضع في الاعتبار التباين القبلي والخلافات السياسية بين بعض الأطراف في حركة الجهاد؟

جواب: نشوب القتال بين الأحزاب الجهادية ليس راجحاً. إذ أن المجاهدين فتحوا عدة مدن بالتعاون والشورى، ولم يحد الاشتباك الذي كان يراهن عليه الغربيون، والأحزاب كلها انتخبت الدولة الانتقالية، والأحزاب كلها متفقة على الانتخابات للدولة الدا المقبلة إن شاء الله.

سؤال: قبل مدة نشرت صحيفة (النيويورك تايمز) خبراً عن قيام بنازير بوتو بعزل الضابط الباكستاني الذي كان ضياء ال

قد عينه مسئولاً عن المساعدات التي تصل إلى المجاهدين، ما تأثير هذا على الجهاد؟ وما موقف الحكومة الباكستانية الحالي من الجهاد؟

**جواب:** لقد اتفق المراقبون -تقريباً- على أن أمريكا هي التي قتلت ضياء الحق بأن وضعت مادة كيماوية في طائرته أدت إلى سقوطها، وقد كان ذلك راجعاً لأسباب عديدة:

١- إن ضياء الحق قد بقي واقفاً بجانب الجهاد الأفغاني وقفة الشرف التي لا ترتضيها أمريكا ولا الغرب، ولذا فإن الغرب والشرق كانوا يخشون أن يصل المجاهدون إلى الحكم وضياء الحق على قيد الحياة فيقوم اتحاد فيدرالي أو كونفدرالي بين أفغانستان ذات الطاقة البشرية الإيمانية الصلبة مع باكستان ذات القنبلة الذرية، فتصبح قوة إسلامية ترتعد لها فرائص الكفر في العالم أجمع..

٢- إن ضياء الحق قد أمسك المفاعل النووي بيده العسكرية، وحال دون اطلاع الأمريكان واليهود عليه، مع أنهم استماتوا في ذلك.

٣- لقد صرح ضياء الحق رحمه الله عندما أطاح بحكومة جونيجو المدنية أنه سيحكم بالإسلام وإن كلفه ذلك عرشه ونفسه، فقال له وزير داخليته أسلم ختك: سيقتلك الأمريكان، فرد عليه قائلاً: (إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض)، وكان ضياء يعلم أن الأمريكان يخططون لقتله، فكان حريصاً على اصطحاب السفير الأمريكي معه في كل رحلاته.

٤- لقد كانت أمريكا تريد جر الهند إلى المعسكر الغربي، ولكن الهند كانت تشترط أن تكون شرطي المنطقة، وكان ضياء الحق يرفض أن يعطي الدنية في دينه للهند.

وهذه جميعاً قد ضمنتها أمريكا بغياب أسد الله (ضياء الحق) ومجيء حكومة بوتو.

والآن يعزل رجال ضياء الحق أو يحجّمون أو تحدد صلاحيتهم، ويأتي إلى المسرح السياسي أناس يطبقون المخطط الأمريكي، فعزل حميد جل مدير الاستخبارات العسكرية (وهو رجل مسلم يقف مع قضية الجهاد من منطلق إسلامي)، وجيء بشمس الدين كالو الذي عزل أيام ضياء الحق بسبب مخالفته في دعم الجهاد الأفغاني، ومنعت المواد الغذائية من الخروج من باكستان بقرار، وذلك لخنق المجاهدين من الناحية التموينية، ولم يستلم المجاهدون منذ مجيء هذه الحكومة رصاصة واحدة، ووضعت نقاط الهدنة لتراقب الحدود، ومنع دخول سيارات المساعدات للمجاهدين، ومنعت سيارات الإسعاف -مؤخراً- من دخول أفغانستان لإخلاء الجرحى من أرض المعركة في جلال آباد. هذا إضافة إلى تصريحات الحكومة الباكستانية المتتالية أن معركة أفغانستان لا تحسم عسكرياً بل تحل سياسياً.

**سؤال:** لماذا لم تعترف كثير من الحكومات في العالم بحكومة المجاهدين؟

جواب: لأن العالم كله لا يريد قيام دولة إسلامية في أفغانستان، فمنذ سقوط دولة الخلافة على يد الذئب الأغبر أتاتورك في ٣ مارس (١٩٢٤م)، اتفق عالم الكفر كله على عدم السماح مرة أخرى بتكرار هذه الظاهرة فوق أية بقعة من الأرض، فالغرب كان يريد خروج روسيا، وهزمت روسيا ذليلة مهينة، والآن لا تريد الدنيا أن تقوم للإسلام قائمة، وبإمكانك أن تدرك السبب إذا قارنت بين الاعترافات بالحكومة الفلسطينية وبين الاعترافات بحكومة المجاهدين.

**سؤال:** صرح الشيخ سياف أن الحكومة الإسلامية ستنتقل إلى أفغانستان.. فهل تم هذا؟ وما المصلحة من الانتقال الآن؟

**الجواب:** نعم.. تم هذا.. وقد باشر سياف عمله داخل أفغانستان في العاصمة الأولى (جاجي)، وبعض الوزراء يذهب إلى العاصمة الثانية (الأورغون)، وهي مناطق أفغانية قريبة من الحدود، أما مصالح الانتقال الآن فهي عظيمة وأهمها: تحريك المعركة وتأجيج نارها وإدارة دفتها خاصة من قبل سياف وحكمتيار وخالص، الذين غالباً ما يشهدون المعارك بأنفسهم، ثم إن أفغانستان أكثر أمنا، لأن المخطط العالمي لا يمكن أن ينفذ ما دام بعض قادة الجهاد أحياء، وتميل المخابرات الأمريكية الآن إلى التصفية الجسدية وعلى رأس القائمة حكمتيار وسياف.

**سؤال:** أين وصل الحوار مع الشيعة؟ وهل تغير موقف إيران عما مضى؟ وهل تتوقعون تغيراً بعد وفاة الخميني؟ وما هي طبيعة الاتصالات الإيرانية مع كل من باكستان والاتحاد السوفيتي حول القضية الأفغانية؟

جواب: يطالب الشيعة الآن باحتلال ربع مقاعد مجلس الشورى ومجلس الوزراء، واعتبار هذه النسبة قاعدة ثابتة في ا
القادمة. وقد نشرت الواشنطن بوست أن إيران أدخلت ستين ألف مسلح إلى مناطق الشيعة وسط أفغانستان، ولكن المج
يصلوا مع الشيعة إلى شيء، ولم يتفقوا معهم أبداً.

أما الاتصالات بين إيران وباكستان فهي تزداد الآن وثوقاً وعمقاً، لأن أم رئيسة الوزراء شيعية، ولا نعلم عن تشيع أبيه
زرات المعابد والمزارات الشيعية في العراق، وأعلنت أنها ستزور المزارات الشيعية في إيران.

وبدأت الصلات بين إيران وروسيا تزداد قوة يوماً بعد يوم. طمعاً من روسيا في الحصول على عقود جديدة للغاز و
ومحاولة منها لخنق المجاهدين من كل الأطراف وعلى جميع الحدود المحيطة.

سؤال: شيخ عبد الله.. هل هي حرب من نوع جديد تلك التي بدأ يشنها الإعلام المعادي للجهاد، وذلك من خلال الاد
الوهابيين يريدون السيطرة على أفغانستان، وفرض آراء مخالفة لمذهب الإمام أبي حنيفة الذي يتبعه عامة الأفغان؟ ما مدى فا
الحرب في زعزعة الثقة بين الأفغان والعرب؟

جواب: فتنة الوهابية نغمة جديدة تعزف عليها الجهات الغربية، وسهم مسموم لبث الفرقة بن الأفغان والعرب، سعياً
الجهاد الأفغاني من جهاد إسلامي عالمي إلى قتال إقليمي، وقد كانت بريطانيا التي تولت كبر هذه المؤامرة، ثم لحقها الغرب ،
وحكومة كابل وإيران، وذلك لأن للعرب دوراً كبيراً في رفع المعنويات، وحشد الطاقات، وإدخال المساعدات، وتأجيج الجبهات، و
ذات بين المجاهدين، وتوحيد فصائلهم، والتنسيق بينها، ولذا كان لا بد من تمزيق الأواصر بين العرب والأفغان. ولكن هذه الد
تستطع أن تفرق بين المجاهدين وبين إخوانهم العرب المهاجرين الانصار، ولقد بدأ صوت هذه الفتنة يخفت، ونباحها يبح ويضعف

سؤال: ما هو الدور الإيراني في هذه العملية؟

جواب: للصوفية دور، ولإيران الشيعة دور، وللغرب دور كبير.

سؤال: هل يستطيع مكتب خدمات المجاهدين أن يقوم بتثقيف الأفغان حول حقيقة مصطلح (الوهابية)، وأنها لا تعدو أ
حركة إصلاحية من حركات أهل السنة والجماعة؟ في رأينا أن مثل هذا العمل يحبط المؤامرة التي يراد بها إيقاع الفتنة بين
والأفغان.. وهل ترون وسيلة أخرى لقطع الطريق على المتآمرين؟

جواب: لقد جاء الشيخ عبد المجيد الزنداني بشريط مسجل من الشيخ عبدالعزيز بن باز حول هذه القضية، وبرسائل إل
الجهاد، ورسائل أخرى إلى العلماء، وقرأها الزنداني على القادة والعلماء، ثم قام الشيخ الزنداني بدور مشكور في جمع تصو
قادة الجهاد حول دور الإخوة العرب مسجلة على الأشرطة المسموعة والمرئية، وقد ساعد المكتب في ترتيبها، ويقوم الآن مجمو
الإخوة بتفريغ الأشرطة لطبعها باللغتين الفارسية والبوشتو وتوزيعها على المجاهدين والمهاجرين -إن شاء الله-.

سؤال: هل تفسر هجوم الإعلام الغربي عليك شخصياً وعلى المجاهدين العرب بأنه توجس ورعب عالمي من خطورة دور ا
في الحركة الجهادية العالمية، أو رغبة جامحة في بقاء العرب بالذات بعيدين عن الإحساس بالحرية والكرامة والانعتاق؟

جواب: يهدف الهجوم الغربي على دور الإخوة العرب إلى تحجيم الجهاد الأفغاني، وإخفات صوت المعركة، وكف الأيد
البذل، ومنع انتشار روح الجهاد في العالم الإسلامي، وطمس معالم البطولة وآيات التضحية الرائعة التي تصلح أن تكون زاداً ا
الأجيال في القرون القادمة، كما أن اليهود -وإعلامهم وراء هذا الكير الذي يبث ليل نهار ضد العرب (المرتزقة !!)- ترتعد فرائ
خوفاً أن يصل نور هذا الجهاد إلى أعماق الأرض المباركة، فيزجج لهيب المعركة التي تقودها (حماس) بالحجارة.. واليهود يخشو
تتحول معركة الحجر إلى رصاصة وقنبلة.. وهذا كله يكون بالتأسي والاقتداء بليوث الله الذي يكبرون فوق ذرى الهندوكش.

*فتشبّهـوا إن لـم تكونـوا مثلهـم إن التشبـه بالكـرام فلاح*

أما عن كونهم يهاجمونني شخصياً فلأنهم يعلمون أني تربيت في دعوة الإخوان المسلمين -الغول الذي يقض مضاجع ا
جنبيه ويؤرق أجفانه-، ويعلمون أن الله سخرني لتجميع كثير من هؤلاء الشباب وتوجيههم، وتعميق معاني الجهاد في نفوس
وتثبيتهم بفضل الله وعونه في أرض المعركة، أضف إلى هذا أن اليهود يعلمون أني فلسطيني، ويخشون أن ننقل المعركة إلى

المقدس -إن شاء الله- مع جند الله الذين خاضوا أشرس المعارك حول كابل وقندهار وجلال آباد.

وأخيراً هم يعلمون أكثر من غيرهم أنه ليس لطاغوت في الأرض سلطة علي، ولا تربطني أية مصلحة مع أية دولة عربية حتى مع الأردن التي أحمل جنسيتها، فالأردن لم أدخلها منذ أربع سنوات، ولم أر بيتي في عمان ولا أهلي منذ هذه الفترة. ولا تستطيع سلطة في الأرض أن تزاول علي ضغوطاً نفسية أو معنوية أو مادية، حتى باكستان التي نعيش فوق أرضها، فلو كشّرت عن أنيابها تركنا لها أرضها ودخلنا داخل أفغانستان.. وحسبنا الكلام عن أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، ونستغفر الله عز وجل من تزكية أنفسنا..

وختاماً فإنهم يعلمون أني إن غادرت هذه الأرض -والله أعلم- فسينفض السامر ويتفرق الجمع -إلا من رحم الله-، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أثابكم الله يا أبا محمد وحفظكم ورعاكم وجعلكم ذخراً للجهاد والأمة الإسلامية إنه ولي ذلك والقادر عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

# رسالة إلى أبي أكرم*

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الحبيب أبا أكرم حفظه الله ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصلني منك عدة رسائل كلها تنضح إخلاصاً وحباً، وتعبر عما يكنه قلبك نحونا من مودة، وهذا ليس موضع شك لدينا، ونحن نظن أنك أنت وأبو محمد عطا من أخلص الناس نحوي، وأظن أنكما تحباني أكثر من نفسيكما، ولا خلاف في هذا أبداً، ولكن الخلاف في الموطن الذي يمكن أن نفيد فيه أكثر، ويمكن أن نقدم لدين الله أقصى ما نستطيع، أنت تعلم الظروف التي يحياها الناس عندكم من كبت وضيق، فكل حركة تحت المجهر، وكل من تنفس نفساً عالياً وجد الأنظار مصوبة نحوه.

ودعك عن الظروف الداخلية والخارجية التي يمر بها إخواننا، وانشغالهم بأمور، هنالك أشياء كثيرة أعظم منها وأرفع ذكراً وأعز شأناً، وأما حرقة الإخوة فأرجو الله أن تكون معبرة بين المؤمنين، وأن تحفظ الحرمات وتحمي الأعراض وتصان الكرامات. لا يهمني شخصي، ولايهمني ما ألاقي من متاعب في ذات الله وابتغاء مرضاته لإعادة الفريضة الغائبة إلى دنيا المسلمين، وأن لا تمسخ التأويلات لنصوص القتال، ولاتتحول إلى كلمات مبرمجة وجمل مرتبة مصفوفة، يكتبها فارغ بال وهو يجلس على أريكة تحت أثير المكيف.

نريد أن يعود الجهاد إلى حياة المسلمين، نريد أن نتنفس كيف شئنا، نريد لقلوبنا أن لا تحصى نبضاتها، ولأفواهنا أن تتكلم كيف شاءت ومتى شاءت، لا أن نعيش مكممي الأفواه، مقيدي الأيدي، موثقي الأرجل. لقد أضحى العمل للإسلام خطبة حارة، أو كتاباً مجلداً أنيقاً، أو جلوساً خلف مكتب للتفكير كيف يكون الإسلام، فالناس ينظرون إلى الإسلام من خلال بروجهم العاجية، يتحركون في فراغ، ويعملون في فراغ، ولاينتجون إلا الفراغ...لا بد من مجموعة من المسلمين تتصدر عملية نقل الإسلام من الأوراق إلى الأرض، فنرجو الله أن نكون منهم، لابد من طليعة تضحي بكل ما تمتلك وتعيش، من أجل قضية القتال (وليس الجهاد بالقلم واللسان)، لا بد من نخبة تتحمل تكاليف إحياء الجهاد في واقع الناس بعد أن أصبح نسياً منسياً. فوقفنا هنا في أثمن فرصة مرت علينا في حياتنا نحاول تجميع المسلمين على هذا المعنى العظيم، وقفنا نحاول أن نفي بالعقد المعقود بيننا وبين رب العالمين: **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة)**.

يا أبا أكرم: كم نحنّ إلى أيامك، وكلما ركبت السيارة البيضاء بين إسلام آباد وبيشاور وبالعكس كلما تذكرت تلك الساعات الجميلة التي كانت تمر بين الدعابة اللطيفة والكلمة المخلصة والقصة الظريفة.

*- وهذه رسالة كانت موجهة من قبل الشهيد الشيخ عبدالله عزام عام (١٩٨٦م) إلى أحد الإخوة الذين شاركوا المسيرة في بدايتها ويطلب فيها إقناع الدكتور أحمد نوفل بالحضور إلى أرض الجهاد، وقد انفردت اللهيب بنشرها.

يا أبا أكرم: ازدادت مشاغلنا، وتراكمت همومنا، وثقلت تبعتنا، وأتلفت إلى من يحمل معي هذا الحمل أو يخفف عني أو يو جراحي فأجد الكثيرين من إخواننا المخلصين ذوي تجربة محدودة، ونظرة قريبة، وحساسية بالغة لا يمتصها إلا وجود كبير ، يحل مشاكلهم، ويؤلف بينهم بإذن الله ومشيئته.

يا أبا أكرم: إن المجال مفتوح لكل من أراد أن يتحرك فوق هذه الساحة، وهي فرصة عزيزة أضاعها الذين يحاولون أن ، لهذا الدين مكانته، وهي أيام ثمينة ما مرّ في تاريخ المسلمين مثلها، معارك مستعرة في كل مكان، والحدق محمر، وجنو يتساقطون في ميدان النزال فتلتهب المشاعر وتحيا النفوس..

يا أبا أكرم: لقد أضحى عملنا غالبيته في أرض الرجولة والكفاح، وقلمّا تجد في بيشاور إلا القليل من الإخوة، وهنالك ما تقريباً الآن موزعون داخل ولايات أفغانستان وعلى مساحتها العريضة الشاسعة.

يا أبا أكرم: لا زال مكانك شاغراً بين إخوانك.. تتحمل عنها أعباء طريقها، وتشاركهم آلامها، وتدفعها في هذا الطريق ا الشائك....

يا أبا أكرم: هيّا إلينا وأحضر معك أهلك أو ابقهم عندك وسيستفيد الكثيرون ممن تظن أن بقاءهم عندك أكثر فائدة.

هذا الصيف المقبل ساخن والله أعلم، إذ أن الشتاء كان ساخناً هذا العام فكيف بالصيف؟

شاركنا همومنا وأحضر معك أخانا الكبير أحمد نوفل يعيش بيننا ولو لفترة شهرين أو ثلاثة في الصيف. فوالله إنها عز والآخرة، ونور في الأرض وذخر في السماء.

سلامي إلى كل من حولك خاصة كاظم علي عيد هنيدي وأبو نظمي أبو مروان وجميع الأساتذة أبو ساجدة وراجح ، وغيرهم.

من عندنا نورالدين البنشيري يسلم عليك، وكنت معه اليوم في طريقنا من إسلام أباد إلى بيشاور وأعطيته رسالتك يقرأها

سلام عليك يا أبا أكرم وسلام على أيامك، ونرجو الله أن يعيدها، وأستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم.

أخوكم/ عبدالله عزام

(٢٨) رجب (١٤٠٦هـ) (٨/٤/١٩٨٦م)

## رسالة إلى الوليد*

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الحبيب وليد حفظه الله ورعاه،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد:

وصلتني رسالتك، وأرجو الله عز وجل أن يكتب لكم الخير حيث كان ويرضيك به. وأمل من الله أن تكون على أحسن صله وبكتابه العزيز، وأنك على مواظبة تامة على الجماعة، وعلى صله طيبة بإخوانك من حولك، ولا تنس صلاة الفجر فإنها ملتقى ، الليل والنهار **{وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً}**، ولا تنس المأثورات فإنها حرزك وحصنك من الشيطان ومن النفس شرور الناس أجمعين، ومفاتيح الخير في رزقك وصحتك وعبادتك، وأكثر من تلاوة القرآن، ففي الحديث القدسي **{من أشغله ذكر: مسألتي أعطيته خير ما أعطي السائلين}**.

أما بالنسبة للجامعة الإسلامية التي أدرس فيها فلا يقبل فيها أحد إلا إذا قدم طلباً قبل (٣١/٧)، ويجب أن يحضر المقابل أجريت هذا العام في (١٥/٨)، وأما تكاليفها فهي مقبولة، ومعقولة حتى الآن لا يأخذون أقساطاً عالية بل عادية جداً، وهنالك

* السبت (٤) ذي الحجة (١٤٠٣هـ) الموافق (١١/٩/١٩٨٣م)

داخلي للطلاب يأخذون من الشاب بدل أكله وشربه ونومه عشرة دنانير شهرية، ويعطونه حوالي ستة دنانير شهرية، أي تكاليف الأعزب قليلة جداً.

ففي هذا العام لا تقبل، وفي العام القادم تقبل بإذن الله. أخبار المجاهدين على خير وينتقلون من نصر إلى نصر، وهناك مؤامرات من كل العالم لسرقة الجهاد الأفغاني، ونرجو الله أن يحمي الجهاد وينصر المجاهدين.

سلامي إلى كل من حولك، وأستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم

عبدالله عزام

## مضيت يا أبا محمد*

### في رثاء الشيخ سعيد حوى رحمه الله

سلام الله على روحك الطاهرة، وهكذا سرت على نفس الطريق الذي شقه أمامك مروان حديد، ضمتكما بلدة أبي الفداء، وفي مرابعها طاب الفداء، تلفتما حولكما فلم تجدا إلا القليل فحملتما الأمانة إذ ناءت بحملها غالب الرجال وأفذاذه القلل (القمم)، لقد حمّلت جسدك فوق ما يطيق ولكن:

*وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام*

قلب كبير يحمل آمال أمة، ونفس عظيمة تصدت لحمل آلام جيل:

*وأورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرن من لا يجالد*

*ولكن إذا لم يحمل القلب كفه على حالة لم يحمل الكف ساعد*

في دمشق أيام الدراسة في كلية الشريعة لأول مرة اكتحلت عيناي بمرآك وقد حفّت بك جمع الشباب المقبل على الله، وأنت تشرح لهم النعم العظمى التي ستعم البشر فيما لو طبق نظام الإسلام، ثم مضت السنون واخترت طيبة المنورة منزلاً، ومررت بك في بيتك أثناء حجتي سنة (١٣٩١هـ)، وقد كان بيتك مستراح الظامئين، ومهوى أفئدة السالكين، حباً بالتلقي على يديك، وطمعاً في التلمذ بين يديك، ولكن أسد الشرى لا تطيق بعداً عن خيفتها، ولا تستطيع فراقاً لعرينها، كيف لا، وقد برح بك الشوق إلى ليث حماة الشام -مروان- فما رضيت روحك أن تبقى في حرقتها بعيداً عن غمار المعركة، ومحنة الحركة، فما كان منك إلا أن طلقّت الإخلاد إلى الراحة، وحطّمت أغلال النعيم الجسدي، وقيود الإسار الروحي، وعدت هناك حيث يجثم الطاغوت بكلكله على الصدور، ويصوّب نباله ونبله نحو النحور، وبدأت تدفع بكل طاقتك عجلة الدعوة لتمضي بها قدماً في طريق الإباء، ولتنتشلها من وهدة الركود التي تعصف بكيان الدعوات وتحطم بنيان الحركات.

أبا محمد: ماذا نقول فيك؟ إذ حيثما فقدنا الرجال في ميدان وجدناك، طرقنا باب الدعوة فألفيناك قلعة من قلاعها، وتلمسنا طريق العلم فوجدناك علماً من أعلامه، ومضينا على جادة الجهاد فرأيناك صارماً من صوارمها، ونظرنا في ميدان السياسة فلقيناك قنماً من أقلامها، سلكنا طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوجدناك معلماً بارزاً من معالمها -هكذا نحسبك ولا نزكي على الله أحداً-.

أبا محمد: لقد جل بك الخطب، وعظم بك المصاب، وفدح بك الرزء، وعزاؤنا على الطريق فقد الأمة لرسولها ﷺ وأصحابه الكرام [فندعو الله أن يأجرنا في مصيبتنا ويبدلنا خيراً منك].

ولو نطقت روحك لقالت لمن يتشرفون بحمل جثمانك:

*خذانـــي فجـــراني ببردي إليكما فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا*

ولو علمت كريمتك لرددت مع مالك بن الريب:

*تقول ابنتي لما رأت طول رحلتي سفارك هذا تاركي لا أبا ليا*

* ملاحظة: نشرت في مجلة الجهاد في العدد (٥٣) في شعبان (١٤٠٩هـ) مارس -إبريل (١٩٨٩م) صفـ (١١)، ونشرت في لهيب المعركة في العدد (٤٣) (١١) شعبان (١٤٠٩هـ) (١٨) مارس (١٩٨٩م).

هكذا مضوا: الواحد تلو الآخر، وشرفت الأرض بضم أجداثهم، أولئك القوم:

*ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب*

كم كنت أحب أن أجلس إليك لأستمع الدرر التي تغوص إليها من أعماق الأمهات الغرر، وكم كانت تعجبني آراؤك الفقهية كانت تنم عن سعة اطلاع وفقه دقيق عميق.

كيف ننساك وكتبك تأبى علينا أن نمل ذكراك؟ إن نسينا أخلاقك ذكرنا (جند الله ثقافة وأخلاقاً) فنعرف عزمك وهمتك، أردنا أن نتعرف على بدائع صنع الله عز وجل هزنا إلى كتابك (الله جل جلاله) شوق ونشوة.

وإن أزمعنا التعرف على هذا الدين ففي(الإسلام) مرتعنا وروحنا، وإن شدنا إلى الرسولﷺ حنين ففي كتابك ريحاننا وهو ويدفعنا (المدخل) أن نقتحم عالمك الذي كنت فيه تحيا ثم نمضي من أجل خطوة إلى الإمام على طريق الجهاد المبارك).

ونرتقي صعداً إلى القمة السامقة، وهناك يحلو لنا أن نستروح أرج (آفاق التعاليم)، وما أجمل الجولات مع الفقه ال والأصغر.

ونتقلب مع النعيم في تصفح تفسير الكتاب الكريم.

ما نسيناك أيها الأخ الحبيب الأمير وعندنا (فصول في الأمرة والأمير)، وسنبقى على الجادة سائرين -إن شاء الله- نس بآرائك كيف لا وعندنا(دروس في العمل الإسلامي).

أبا محمد: أنت الآن بين يدي ربك وأفضيت إلى ما قدمت، فنرجو الله أن يغفر لك زلاتك، وأن يتجاوز عن سيئاتك، وأن يد مدخلاً ترضاه، وأن يرزقك رزقاً حسناً، وهو خير الرازقين، ونرجو الله أن يجمعنا جميعاً في الصالحين.

## في رثاء الشيخ عبد الله ناصح علوان*

### وغاب الصرح الشامخ

عرفتك من خلال كتبك أباً حانياً ومربياً مرموقاً، وعالماً فذاً، وداعية يشار إليه بالبنان، وقائد جيل متعطش لفهم القرآن.

ورأيتك في الأردن: فاراً بدينك، شامخاً بعزتك، مستعلياً بإيمانك، متوقداً بحماسك وضرام غيرتك مع إخوانك.

**وعايشتك:** في جامعة الملك عبد العزيز أخاً كبيراً وصديقاً حبيباً ورفيقاً رؤوماً كريماً...

**وفارقتك:** وتوجهت إلى أرض النزال وميدان الأبطال هنا في ذرى الجبال وفي أعماق الغابات والأدغال في أرض أفغانس التي تخط تاريخ الإسلام بالدماء، وتبني سد الإسلام العظيم أمام الطوفان الأحمر بالجماجم والأشلاء.

وبقيت رسائلك ومقالاتك المباركة ترد إلى مجلتنا (الجهاد) -صوت أفغانستان المسلمة- تباعاً، وصرنا ننشرها وننتظر الم حتى جاء مقالك الرابع والأخير مع العدد الخامس والثلاثين.. ففاجأنا النعي في مجلة المجتمع.

فرحمك الله يا شيخنا الكريم وأستاذنا الكبير، ونرجو الله أن يجمعنا بكم في الصالحين.

أخوكم/ د. عبدالله عزام

## دعاء وثناء*

### من الدكتور عبدالله عزام إلى الشباب المسلم في الولايات المتحدة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أضرع الى الله العلي القدير أن يحفظكم في خضم هذا البحر المتلاطم من الفتن، وأن يعصمكم من الفتن ما ظهر منها و بطن، وأن يرينا وإياكم الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يحبب إلينا الإي

*- ملاحظة نشر هذا المقال في مجلة الجهاد العدد (٣٥) صفر (١٤٠٨هـ) أكتوبر (١٩٨٧م)

*- ملاحظة نشر هذا المقال في مجلة الجهاد العدد (٣٦) في شهر جمادي الثانية (١٤٠٨هـ) (١٩٨٨م)

ويزينه في قلوبنا، وأن يكره الينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا من الراشدين.

وأبتهل إليه تعالى أن يكتب لنا ولكم حياة السعداء، وخاتمة الشهداء، والحشر مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن يجمعنا وإياكم في الدنيا على محبته وفي الآخرة في مستقر رحمته.

إخواني الأعزاء: لقد شرح صدري وأبهج نفسي إقبالكم على الله في هذه الصحراء المقفرة في دياجير ظلمات الجاهلية، وتعطشكم لسماع الكلمة الطيبة، وتشوقكم لمن يحمل هذا الدين، وحملكم لشعلة النور المبين في ربع العالمين.

ومما شفى نفسي وأبرأ سقمها حنينكم للجهاد، وإقبالكم على أخباره، وتتبعكم لخطواته، والعيش مع قادته وأبطاله، وإني لأعلم أن البون شاسع ما بين واقعكم الذي تعيشون وبين أرض المعركة التي إليها تحنون ، إلا أن النية الصادقة، والعزيمة الماضية بعون الله تبلغ صاحبها منازل رفيعة، ورحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة **{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}. (ومن طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو مات على فراشه)** والصدق يقتضي الإعداد **{ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة}.**

لقد سرني في الولايات المتحدة أشياء:

- سرني من رابطة الشباب المسلم العربي: هذا المؤتمر الذي يعتبر من أكبر المؤتمرات الإسلامية للطبقات المثقفة في العالم، مع أن المشرفين عليه طلاب دخلهم محدود، وطاقاتهم وإمكانياتهم قليلة، وتجربتهم في العمل الإسلامي قريبة.

إلا أن نظامه وأمنه وتنسيقه مما يسترعي الانتباه، ويسترعي الاهتمام، ويلفت نظر المسلمين الذين أنعم الله عليهم أن يتعاونوا مع هذه الرابطة.

ومراكز هذه الرابطة: واحات ظليلة في منافي الهجرة، ورياض وارفة في مفاوز الجاهلية المتطاولة، وسفن نجاة آمنة في خضم بحر الضياع المتلاطم.

فجزاهم الله خيراً عن الشباب الذين يلتقطونهم من الانزلاق في مستنقع الجنس الآسن، ويحمونهم بإذن الله من وحل الخطيئة التي أصبحت كالطعام والشراب في هذا المجتمع الآبق عن ربه، الهارب من نفسه، بعد أن حطم كل القيود الأخلاقية، ودمر كل القيم الانسانية، وفر لا يلوي على شيء، ولا يستقر إلى شيء.

- وسرني من الفروع التي زرتها إقبالها على الجهاد، وشوقها المجنح وأرواحها المرفرفة فوق أرض أفغانستان، ومع المظاهرات التي تزلزل أرض فلسطين.

- وسرني بعض الوسائل التي استعملها الإخوة للجمع للجهاد، منها:

صناعة القمصان المكتوب عليها: (Help free Afghnstan) في ملبورن-فلوريدا، وأورلاندو، وسرني ما قام به فرع بورتلاند من شراء سيارة (VAN) متجولة بها معرض دائم عن أفغانستان والطواف بها في الولايات.

- وسرني هذه الحصالات (علب جمع النقود) التي تقوم بصناعتها (I . C . H) ومن ثم توزيعها على البيوت والمؤسسات، وكذلك صناعة الحلويات في كل أسبوع تباع بعد صلاة الجمعة في توسان وجمع حصيلتها للجهاد وهكذا.

ومما شرح صدري كثيراً: اهتمام جماعة نيويورك (مسجد الفاروق) وبروكلن بالجهاد عامة والأفغاني خاصة، ولقد أبهجني كثيراً هذا الحماس المتفجر، والاندفاع المتدفق، والعزيمة والمضاء الذي تلمحه في قسمات وجوه الشباب والشيوخ في هذه المنطقة.

- وسرني كذلك أنهم قاموا بأنفسهم بفتح مكتب لخدمات الجهاد الأفغاني، ووكلوا محامياً واستخلصوا له رخصة من الحكومة، وقاموا بترتيب رحلات الغزاة إلى أفغانستان وتكفلوا بتذاكرهم وبتتبع إخراج التأشيرات لهم من السفارة في نيويورك، ولقد وصل إلينا حتى الآن منهم سبع حملات من الوافدين للغزو دون أن يكلفونا درهما واحداً، وجزاهم الله خيراً وثبتهم.

ولذا فتحت حساباً باسمي في بروكلن ورقم الحساب:(٠١٦٧١٤٤٤٦).(INDEPENDENCE SAVING BANK) فمن أراد أن يرسل أو يحول لهذا الحساب (TRANSFER) فجزاه الله خيراً، ومن أراد أن يرسل شيكاً شخصيا فليرسله على هذا العنوان:

(552- Atlantic Ave Brooklyn - N . Y) ( ١١٢١٧ ) مكتب الخدمات Tel: (718-797-0207) ويكتب على الشيك اسمي: (Dr. ABDULLAH Y. AZZAM).

- وختاماً أشكر كل الإخوة الذين رتبوا لي الزيارات، أو رافقوني في السفرات ، وعانوا معي في الحل والترحال، وأخص

بالذكر منهم الإخوة هشام يوسف، محمد توبة، محمد بلاطة، عبد الرزاق العرادي، عبد الله الشيباني، محمد عوينات، عبد الأمريكي. واعتذر عن عدم ذكري بعض الأسماء نسيانا أو غفلة أو عمداً

.. أوصيكم بتقوى الله، والإخلاص، وتلاوة جزء من القرآن يومياً، وقراءة أذكار الصباح والمساء من المأثورات، أو من صح الكلم الطيب، وحفظ اللسان، والورع في المطاعم والمشارب، والبعد عن النساء الأجنبيات، وحب المسلمين، وقراءة شرح العق الطحاوية، وتفسير الجلالين، والمطالعة في ظلال القرآن والأذكار للنووي، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، وفقه السنة لسيد سابق، وقر كتب المودودي وابن القيم خاصة الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

## مضيت يا أمساه*

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

**يقول عز شأنه: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابـ مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون).**

كانت أمنية فحققها الله -عز وجل- أن يكون الوالدان في بيتي أعيش في كنفهما، وكنت حريصاً أن أقبل يد الوالدة كل صب ومساء حتى أسمع كلمة الرضا تنطلق من فيها وهي تثقل عندي الدنيا وما فيها.

وكانت أمنية أن تقضي أيامها الأخيرة عندي، وأتقلب بين أعطاف الرضا ونعيم الابتهال الذي ينطلق حاراً من أعماق الوالد ولقد فقدت الوالدة، ولكن الذي عزاني كثيراً أنها دفنت في مقبرة الشهداء والمهاجرين، في ذلك المكان الذي ضم الأجساد الطا ومن بينها جسد يحيى سنيور وأبي عبد الحق الجزائري، ومما شرح صدري أنها توفيت في أرض الرباط وقلعة الهجرة.

ولئن مضت أمي إلى مصيرها وودعناها إلى مثواها الأخير الذي أرجو الله أن يكون روضة من رياض الجنة، فعزاؤنا أن نودع فوق ثرى أفغانستان يومياً مئات الشباب الذين يبارون ماء المزن طهراً، ويناطحون السحاب عزة وشموخاً.

ولئن حظيت والدتي بأبنائها وأحفادها يحملونها ويدفنونها، وهي أكثر امرأة عربية في أرض المهجر حفت بأبناء وأحـ يتسابقون في خدمتها، ويتبارون في القيام عليها أثناء مرضها.

أقول: لئن أكرمها الله بمن يخدمها من بيتها فلقد غابت آلاف النساء تحت الركام لم يعثر بنوها إلا على قطع لحم متناثرة جسدها.

ولئن قضت أمي -رحمها الله- على فراشها، فلكم أن تسألوا نهر كنر كم ابتلع من جثث العواتق، وكم أغرق من العذا اللواتي ألقين بأنفسهن فيه فراراً بأعراضهن، وخوفاً على طهرهن. وقد سئلت في هذه المسألة فقلت:(لقد أجمع فقهاء المذاهب الأر أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر إن خشيت على عرضها). ونحن نردد ما كان يقوله عمر رضي الله عنه: (الحمد لله أن لم ت أعظم، الحمد لله أن لم تكن في ديننا، الحمد لله أن ثبت الأجر).

لقد عاد الموت في حياتنا أمراً عاديا مألوفاً بعد أن سلكنا هذا الطريق المرير وارتضينا لأنفسنا هذه الجادة المليئة بالعقبا المفروشة بالأشواك، والمروية بالدماء، بل عاد الموت في سبيل الله أغلى أمانينا، حقاً، فلم تعد النفس ترهب أن تلاقي حتفها، أو توا مصيرها في أية لحظة، ما دام الأمر لله، والنهاية هي الشهادة إن أخلصت النية، وصدقت الطوية، وفي الحديث الصحيح: **(من فـ في سبيل الله فمات أو قتل وقصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة)** ر أبو داود والحاكم.

وختاماً: جزى الله الإخوة الذين تكرموا بإرسال برقيات التعزية ورسائلها خير الجزاء، ولا أراهم الله مكروها، ومتعهم ا بدينهم وبأنفسهم وأهليهم في الدنيا والآخرة.

أخوكم / عبدالله عز

* ملاحظة: كان العنوان (شكر على تعاز) فرأينا تغييره إلى (مضيت يا أماه) فهو أدل على الموضوع الذي كتبه الشيخ، ونشر في لهيب المعركة العدد (٣١) بتاريخ (٧) جمادي الأ ١٤٠٩هـ) الموافق (١٩٨٩/١/١٤م).

# فتوى شرعية *

## حول أخذ الربا على الأموال المودعة في البنوك من أجل المجاهدين

أفتى المجلس الفقهي الأعلى للدول المودعة لأموالها في الغرب وللأفراد وللتجار أن يأخذوا ربا أموالهم التي يستحقونها حسب النظام البنكي في الغرب بشرط أن تصرف في وجوه الخير. لأن القاعدة الشرعية تقول: (المال الخبيث سبيله الصدقة)، وبشرط أن لا يدخل جيب الآخذ أي درهم، ولا يجوز للآخذ أن يسد من الربا الضرائب المستحقة عليه للدولة التي يعيش فيها.

وقد وافق المجمع الفقهي بالإجماع على جواز هذا بشرط أن ينفق في أي طريق من طرق الخير. وقد عارض البعض في طريق واحد وهو بناء المساجد من هذا المال.

أما الآخرون فقد أجازوا بناء المساجد والصدقة على الأيتام والجهاد والفقراء وغير ذلك.

ونحن بناء على هذا نرى جواز ما أجازه هذا المجمع وهو أخذ الربا على الأموال المودعة بشروط.

١- أن تحول الى طرق الخير والجهاد أولى هذه السبل.

٢- يشترط أن لا يستفيد منه الآخذ درهما واحداً ولو لدفع الضرائب.

٣- أن لا يكون في البلد بنك إسلامي.

٤- أن يكون مضطرا لإيداع أمواله في البنك الربوي.

**(ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشد).**

الدكتور عبد الله عزام

(١٩/٨/١٩٨٩م)

# تصحيح وتوضيح حول أخذ أموال الربا *

ذكرنا سابقاً أنه أفتى المجلس الفقهي الأعلى بجواز أخذ ربا الأموال المرصودة في البنوك الغربية حتى لا تترك للكفار، وقلت هناك: لا بأس «بأخذ هذه الفوائد الربوية بناء على هذا لأن: (المال الخبيث سبيله الصدقة) وقد اشترطت أربع شروط:

١- أن لا يكون في البلد الغربي مصرف على الطريقة الإسلامية، فلا يجوز الإيداع في بنك ربوي ما دام البنك الإسلامي قائما.

٢- إذا كان إيداع المال للضرورة كالخوف عليه من السرقة.

٣- أن لا يستفيد منها صاحب المال ولو درهماً ولو لسد الضرائب عنه للحكومة التي يعيش فيها.

٤- أن تقدم للمحتاجين من المهاجرين والمجاهدين والفقراء.

وقد كانت الفتوى جواباً على سؤال الإخوة الذين يعيشون في السويد... وزيادة في التوضيح أقول:

١- الربا حرام قطعاً ولو كانت نسبته واحد في الألف.

٢- على المسلم أن لا يدع الكفار يستفيدون من ماله، فإذا كان في البنك صناديق مغلقة للأمانات فيجب وضع المال فيها، ولا يسمح للبنك باستعمال ماله.

٣- إن لم يستطع المسلم أن يحفظ ماله في البنوك في صناديق الأمانات المغلقة فيجب أن يضعها في الحساب الجاري الذي يمكن أن يسحب منه في أي وقت حتى لا يستفيد البنك منه.

٤- إن لم يستطيع أن يحفظ أمواله بالطرق السابقة وكان قانون البنك يعطيه (ربا على أمواله) فهل يترك الربا للبنك؟ اختلف الفقهاء على رأيين:

---

*- ملاحظة: نشرت في العدد (٦٦) من لهيب المعركة.

*- ملاحظة: نشرت في العدد (٧٦) في لهيب المعركة.

أ- منهم من قال: يأخذ الربا مع العلم أنه حرام ومال خبيث ولا بد من التصدق به مع أن صاحب المال لا أجر له، وهـ الرأي رجّح مصلحة أخذه بدلاً من تركه لليهود أو الكفار أصحاب بيوت المال، وهذا الرأي الذي رجحناه بأن يأخذه ويوزعه على فقـ المسلمين من المجاهدين والمهاجرين وغيرهم.

ب- ومنهم من منع ذلك مطلقاً، ورأى ترك الربا لليهود والكفار أفضل، والله أعلم بالصواب.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

الدكتور عبد الله عز

من وصايا الإمام الشهيد عبد الله عزام*

## للشباب الذاهبين لجبهات القتال في أفغانستان

١- الحرص على عدم الاصطدام بـ (المولوية)[1] الأفغان.

٢- عدم انتقاد المذهب الحنفي أمام الأفغان.

٣- لا تأكل أمامهم طعاماً دون أن تعطيهم منه، أو كل منه سراً.

٤- لا تصدق كلام الأفغان في خلافاتهم بعضهم عل بعض.

٥- لا تختلفوا أمام الأفغان فتقل هيبتكم.

٦- الطاعة الكاملة بالمعروف لأمير العرب في الولاية، والشورى غير ملزمة.

٧- صلّوا على المذهب الحنفي وكذلك الوضوء، واتركوا هيئات الصلاة حتى لا تشوشوا على الأفغان دينهم.

٨- إن سألوك عن مذهبك فاصدقهم بأنك شافعي أو غيره ولا تكذب عليهم.

٩- السعي للإصلاح بين الناس في الداخل ومحاولة تخميد نار الفتنة.

١٠- إنشاء دار للقرآن الكريم ولو صغيرة في كل جبهة تتواجدون فيها.

١١- تقسيم المساعدات للجميع أي (التنظيمات)، ويراعى أن الذين أقرب للعدو وأشد قتالاً لهم نصيب أكبر على حسب حاجتهم

١٢- زيارة جميع الجبهات في كل التنظيمات وعدم البقاء عند تنظيم واحد، حتى لا تحدث حساسيات بين التنظيمات ، أو حتى لا يكونوا عرب جمعية أو عرب حزب...

## إعلان إلى الإخوة المتبرعين*

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فلقد عرضنا في بضع عشرة حلقة من (لهيب المعركة) الدور الذي يقوم به مكتب الخدمات، وبينا ضرورة التواجد العربي للجهاد الأفغاني، وأنهم كالملح بالنسبة للطعام، فالمجاهدون الأفغان هم الطعام والعرب كالملح.

والعمل الذي يقوم به هؤلاء الإخوة المجاهدون العرب إنما يقوم به معظمهم محتسبين لوجه الله، لا يطلبون سوى الطعام واللباس وتكاليف التنقلات من شراء حصان أو غيره مع تكاليف إطعام دابته، ولكن بعض هؤلاء الإخوة متزوجون، ولا بد من كفالة أسرهم من استئجار بيوت تؤوي أسرهم وما يكفيهم من الطعام بالمعروف، وهؤلاء يقومون بالتعليم لدى الأفغان، ورفع المعنويات وتوجيه الجبهات وتوحيد الفئات، والإصلاح بين الأحزاب، وتوزيع الأموال على الأيتام، وإيصال التبرعات إلى أيدي القادة في خنادق

* - ملاحظة: نشرت في العدد (٩٨) من لهيب المعركة (١٢) رمضان (١٤١٠هـ) الموافق (٧) إبريل (١٩٩٠م)، وقد وزعت على المجاهدين العرب في حياة الشهيد

١- يطلق الأفغان على علمائهم مولويه مفرده مولوي

ملاحظة: نشرت في مجلة الجهاد العدد (٥٧) في ذو الحجة (١٤٠٩هـ) يوليو (١٩٨٩م) صفحة (٢١)

القتال، بالإضافة إلى تدريب بعض الأفغان على الأسلحة ونزع الألغام وتوجيه الهاون والمدفعية والتكتيك، وشراء الأطعمة وإيصالها إلى المجاهدين في المعركة، ولا أكون مبالغاً إن قلت: (إن العربي المجاهد يحي جبهة بكامله )، ولذا يقول بعض قادة الجهاد (شاب عربي واحد أحب إلينا من مائة ألف دولار).

ولذا فإنا نستأذن الإخوة المتبرعين أن نقطع نسبة من أموالهم قد تصل إلى (١٠٪) لكفالة هؤلاء الإخوة الذين لو دفع لهم جميعاً رواتب لاحتجنا ملايين الدولارات، وإنما هو حفظ ماء وجوه الإخوة المجاهدين العرب الذين نفروا في سبيل الله مهاجرين ومجاهدين، وإنما كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إني أنزلت نفسي من مال بيت المال بمنزلة وصي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أخذت ما يكفيني بالمعروف )، مع العلم أن مكتب الخدمات لا يدع رواتب المجاهدين العرب الذين ليس لهم عائلات وطعامهم في بيت الضيافة والمعسكرات مع غيرهم وفي الجبهات مع المجاهدين، وإنما يعطي بعض المصروف القليل لجيبه إذا اشتهت نفسه شيئاً وما أطاقت أن تعيش على الدوام كالمجاهدين الأفغان على الخبز الجاف والشاي المر، وهم يعيشون في الجبهات حياة الكفاف.

وكذلك ليكن في علم الجميع أننا لا نعلم هيئة إغاثية تعطي المجاهدين العرب أقل مما يعطيه مكتب الخدمات، ومعظم الإخوة المتزوجين الذين يعملون معنا –على حد علمي– مدينون يطالبون بزيادة أعطياتهم وأنا أرفض.

فنأمل من الإخوة المتبرعين أن تطيب أنفسهم بهذه النسبة حتى يأكل الشباب العرب أطعمتهم حلالاً طيباً، هنيئاً مريئاً تطيب به أنفسهم، مع العلم أن بعض الشباب قد يمكثون سنة بكاملها يطوفون ولاية بكاملها حتى يوزع أموال الأيتام، وبعضهم متزوج يترك عائلته سنة بكاملها أو دونها حتى يقوم بالواجب الذي كلف به، وحتى الآن لم نخصم من كفالة الأيتام شيئاً، ولا نريد أن نخصم من كفالة اليتيم في المستقبل، ونرجو الله أن يبارك للجميع في دينه وماله وأهله ودنياه، وجزى الله الجميع خير الجزاء

أخوكم: الدكتور عبدالله عزام

---

ملاحظة: هذا الكتاب (سعادة البشرية) ملزمة صغيرة وجدت بخط الشيخ في مكتبته ثم بحثنا عن موضوع مشابه لها لنضيفه إليها فوجدنا موضوعاً نشرته مجلة المجتمع بعنوان (مأساة الفكر الغربي) فألحقناه بالموضوع السابق لاتفاقهما، ثم جمعنا بعض المقالات والرسائل والوصايا والرثاء والدعاء إضافة إلى فتوى حول الأموال في البنوك الربوية، ولما كانت هذه المواضيع متناثرة في النشرات والمجلات الإسلامية فرأينا جمعها وإلحاقها بالكتاب ولو لم تكن مشابهة لموضوع الغلاف– وذلك حفظاً لها من الضياع والإندثار (الناشر).

# عملاق الفكر الإسلامي

(الشهيد سيد قطب)

وفي شهر آب سنة (١٩٦٥م) وهو نفس الشهر الذي اعتقل فيه أرسل إليه المباحث واحداً فتسور الدار ودخل ليفتش، فأمسكه وأنبه وأدبه، وقال: (إن للبيوت حرمات، ألا تعرف أدب الدخول؟ ثم كتب كتاباً وأرسله إلى مدير المباحث وقال: (أرسل إليّ بشراً ولا ترسل كلاباً)، ثم ذهب الى قسم المباحث، وقال: (جئتكم حتى تعتقلوني).

**٣- كرمه وسخاؤه.**

وهذه صفة تقترن مع الشجاعة غالباً، فحيثما وجدت صفاء النفس وسخاءها وجدت الجرأة والشجاعة، فالنفس الأبية التي تجود بروحها يرخص عليها المال ومتاع الحياة، ولقد كان سيد ينفق كل ما يأتيه ولا يدخر شيئاً، وكان لكثير من نزلاء ليمان طرة في امواله شيء معلوم، حتى من المجرمين، ومن السجانين، ولقد كان يشفق على حالة السجانين الأسرية، وضيق ذات يدهم فيرثي لحالهم ويخفف من كربهم وضنكهم وبأسائهم.

ولقد ملك مضاؤه وسخاؤه هذا قلوب عارفيه، وأصبح بكرمه الآسر هو المدير الفعلي لسجن ليمان طره، حتى كان الحلواني -مدير السجن – يقول: إن المدير الفعلي للسجن هو سيد قطب، واقرأ إن شئت رسالته الصغيرة (أفراح الروح) وكيف كان يفجر ينابيع فطرة الخير في قلوب المجرمين، وفي هذه الرسالة زاد كبير للعاملين من الدعاة.

ولذا فقد مضى إلى ربه وهو لا يملك متراً واحداً فوق هذه الغبراء (فهو بصدقه وفيّ العهود، وبكرمه أسر القلوب، وبتواضعه ألف بين الجنود، وبشجاعته وصلابته قاد الجموع).

**٤- تواضعه.**

وهذا سمت الصالحين (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)، وبالقدر الذي كان يستعلي به على الطغاة كان يتواضع ويتطامن للمؤمنين من تلامذته، فترى أحدهم يشير عليه أن يحذف فقرة من مسودة التفسير أو يصحح عبارة فيستجيب.

**٥- حبه ووفاؤه وعاطفته الفياضة.**

وأما عاطفته الجياشة فلقد أفاضت من روحه على أسرته جميعاً، وتراه لهذا الوفاء لا يتزوج قبل محنته ليرعى الأسرة التي أصبح راعيها بعد أبيه، يقول الأستاذ محمد قطب عن أخيه سيد: (هو أبي وأخي وأستاذي وصديقي).

كان سنة (١٩٥٣م) في ضيافة المؤتمر الإسلامي في القدس، وقد كان الإخوان آنذاك يشرفون عليه، يقول فضيلة المراقب العام للإخوان في الأردن -الأستاذ محمد خليفة-: كان الأستاذ سيد يطلب مني أن أطلب القاهرة -هذا من عمان- فأقول له: هل طرأت لك حاجة؟ فيقول: لا، وإنما هو الشوق لسماع صوت الوالد المرشد العام الهضيبي ولو من خلال الهاتف.

وكثيراً ما كان يردد كلمة الوالد المرشد في التحقيق وفي المحكمة، ولم يقتصر وفاء الأستاذ سيد على صلته بالبشر بل تعداه إلى علاقته بكل ما حوله حتى للحيوانات، فلقد ألِفَ نزلاء ليمان طرة قطاً أعور تتقزز الأبدان لرؤيته، كان يأوي بالقرب من الأستاذ سيدقطب يخصص له قسماً من طعامه، وكان يقول: (ليس من الوفاء أن نجافيه ونضيعه في هرمه بعد طول صحبته لنا)، وهو بوفائه يعيد إلى ذاكرتنا سيرة الرعيل الأول كأبي هريرة، ويفتح أمام ناظرينا صورة زيد بن الدثنة وهو يقول: (والله لا أحب أن أكون سالماً في أهلي ويصاب محمد صلى الله عليه وسلم شوكة في قدمه)، وذلك وهو يرد على أبي سفيان عندما سأله: أتحب أن محمداً مكانك نعلقه على خشبة الصلب والإعدام، فقال أبو سفيان: (ما رأيت مثل حب أصحاب محمد محمداً).

أقول: هذه النماذج التي أقفرت الأرض منها إلا القليل القليل، والتي عقمت الدنيا أن تلد أمثالها، عاد جنود البنا يجددون سيرة هذا النفر الكريم، هؤلاء أحيوا الأمل في قلوب مئات الملايين، وأثبتوا للدنيا أن الإسلام لا زال قادراً على صناعة الرجال.

يقول الأستاذ سيد قطب لشقيقته حميدة: (إن رأيت الوالد المرشد -وهذا قبل إعدامه بيوم- فبلغيه عني السلام وقولي له: لقد تحمل سيد أقصى ما يتحمله البشر حتى لا تمس بأدنى سوء.)

## سيرة سيد قطب الحركية:

دخل الأستاذ سيد دعوة الإخوان المسلمين سنة (١٩٥١م)، وكان يعبر عن هذا بأعمق تعبير قائلاً: ولدت سنة (١٩٥١م)، وقد جاء سيد على قدر، ولكل أجل كتاب، فلم يحفل سيد بالدعوة في بداية الأمر، ولم يكن يعني نفسه للقاء بقائدها البنا الذي ضم الأفذاذ

من أبناء مصر تحت جناحيه وبين صفوفه، فكانت دعوته صفوة أبناء مصر.

وقد ابتدأ سيد قطب يتجه نحو الكتابة عن الإسلام العام، ولم يكن سيد بعد قد أدرك بُعد أعماق هذا الدين، ولم يسبر أغ بمسبار، وكتب كتاب العدالة الاجتماعية مستعرضاً نظام الحكم والمال، وتركه مع إهداء جميل: (إلى الذين كنت ألمحهم بعين ال قادمين، فرأيتهم بواقع الحياة قائمين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في مستقبل قريب جد قريب)، ثم عهد إلى أخيه محمد في ط لطباعته، وطبعه الأستاذ محمد مع هذا الإهداء، على حين كانت الحكومة قد نكلت بالإخوان وأودعتهم المعتقلات تمهيداً لاغتيال ا الشهيد البنا، وظنت الحكومة أن سيد قطب هو أحد أعضاء الإخوان، وأن الكتاب مهدى إلى شباب الإخوان، فصادرت الحكومة ال ولم تسمح بنشره إلا برفع الإهداء، فرفع الإهداء.

ويحدث الأستاذ سيد عن نفسه وهو في طريقه إلى أمريكا مبعوثاً من وزارة المعارف المصرية التي يستلم وزارتها طه حـ -أستاذه-، فأرسل الأستاذ سيد للاطلاع على المناهج الأمريكية، يقول الأستاذ سيد: (كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك[1]) فهو يعتبر نفسه آنذاك منتسباً إلى الإسلام.

ويشاء الله عز وجل أن يهديه سواء السبيل، وأن يريه آياته ليجعله جندياً مخلصاً في صف الدعوة الإسلامية، وتحدث حادثتان تضطرانه للدخول تحت جناح الدعوة.

**أما الحادثة الأولى**: فقد حصلت في (١٢) شباط (١٩٤٩م)، يقول فيها أنه كان مستلقيا فوق سريره في إحدى مستشفا أمريكا، فيرى معالم الزينة وأنوار الكهرباء الملونة وألوان الموسيقى الغربية والرقصات، ما هذا العيد الذي أنتم فيه؟ فقالوا: اليوم عدو النصرانية في الشرق، اليوم قتل حسن البنا، وقد كانت هذه الحادثة كفيلة أن تهزه من أعماقه، حسن البنا!! يحتفل بمقتله داخل أمريكا، إذن لا بد أن يكون الرجل مخلصاً، وأن تكون دعوته خطيرة حقاً، ترجف لسماعها أوصال الغرب هلعاً واضطراباً.

**وأما الحادثة الثانية**: فقد حصلت في بيت مدير المخابرات البريطاني في أمريكا، إذ كانت السفارات الغربية تتسابق في شباكها لاصطياد الطلاب الشرقيين وإيقاعهم بحبائلها ليكرسوا في محافلها المختلفة، ويقسموا العهد على خدمتها وإنذار ال خالصة لخدمتها، وأي صيد أثمن من الكاتب المعروف سيد؟ فدعاه مدير المخابرات البريطاني إلى بيته، يقول الأستاذ سيد: (واست انتباهي أمران: الأول: إن هذا البريطاني يسمي أبناءه بأسماء المسلمين، محمد وعلي وأحمد.... والثاني: وجدت لديه كتاب العـ الاجتماعية، وهو يعمل في ترجمته، وهي النسخة الثانية في أمريكا، إذ الأولى لدي وصلتني من أخي محمد قطب).

وبدأ الحديث عن أحوال الشرق وما ينتظره من مستقبل وأحداث، ويعرج على مصر ليستفيض في الحديث عنها، وتأخذ جـ الإخوان المسلمين القسط الوافر من الحديث، ويعرض علي تقارير مفصلة عن نشاط الجماعة وعن تحركات البنا وخطبه منذ أن كـ الجماعة ستة في الإسماعيلية حتى سنة (١٩٤٩م)، تفصيلات تؤكد أنهم قد سخروا أجهزة وأموال تتبع نشاط الإخوان وحركا وسكناتهم، ورصدوا لذلك أموالاً ورجالاً خوفاً من هذا الغول البشع -الإسلام-، وعقب البريطاني قائلاً: (إذا قدر ونجحت حـ الإخوان في استلام حكم مصر فلن تتقدم مصر أبداً، وسيحولون بعقليتهم المتخلفة بين الحضارة الغربية، وستقف عقلياتهم المتحـ دون تطور الشعب والأرض، ثم قال: ونحن نأمل من الشباب المتعلمين أمثالك ألا يمكنوا هؤلاء من الوصول إلى سدة الحكم).

يقول سيد: قلت في نفسي (الآن حصحص الحق) وأيقنت أن هذه الجماعة على الحق المبين، ولم يبق لي عذر عند الله إن لم أتب فهذه أمريكا ترقص على جمجمة البنا، وهذه بريطانيا تسخر أجهزتها وأقلام مخابراتها -حتى داخل أمريكا- لمحاربة الإخوان.

يقول سيد: فصممت في قرارة نفسي أن أدخل الإخوان وأنا لم أخرج بعد من بيت مدير المخابرات البريطاني.

وكانت يد الله تعد لتهيئة الأجواء حتى يدخل سيد قطب دعوة الإخوان، فهناك في مصر وزع كتاب (العدالة الاجتماع والإخوان مودعون لدى معتقلات الطور وغيرها تحاربهم زبانية فاروق، وإهداء الكتاب يوحي أنه مهدى إلى الإخوان، فظنه الإخـ منهم وأن الإهداء موجه إليهم، فأقبلوا على العدالة يتداولونها ويقرأونها.

وهنا في أمريكا الحادثة تلو الحادثة تقنع سيداً بصدق دعوة الموتيرامي إلى مسامع الإخوان تاريخ مقدم سيد إلى مصر، فـ الدعوة كوكبة من شباب جماعة القاهرة لاستقباله في ميناء الإسكندرية مثل عبد العزيز سيسي رحمه الله

---

[1] في ظلال القرآن عند تفسير آية (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) (يونس ٣٧)، انظر طبعة الشروق (١١/١٧٨٦)

فيعجب الأستاذ سيد بتربية الإخوان وأدبهم الجم وخلقهم الرفيع، وبمجرد أن وطئت قدماه أرض مصر اتصل بالأستاذ الهضيبي المرشد وعرض عليه أن يقبله جندياً في صف دعوة الإسلام، فيرحب به الأستاذ الهضيبي، ويبدأ الأستاذ سيد منذ تلك اللحظة جهاده المنظم المركز، وقد كان صادقاً منذ اللحظة الأولى، وتعبيراً عن جده في الأمر قدم استقالته إلى وزارة المعارف وأعلن مفاصلته لطه حسين.

وقد سلمه الأستاذ الهضيبي بعد فترة رئاسة تحرير جريدة (الإخوان المسلمون)، وكتب بها مقالات صدرت فيما بعد في كتاب أسماه (دراسات إسلامية)، ثم قامت الثورة سنة (١٩٥٢م)، وكان للإخوان اليد الطولى في إنجاح الثورة وتهدئة الأوضاع، إن الذي أجبر الملك فاروق على التوقيع على وثيقة التنازل هو الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف أحد أفراد الدعوة المخلصين في قصر المنتزه في الإسكندرية، ووزع الإخوان عشرة آلاف مسلح في القاهرة وحدها لحماية الثورة، ولقد كتب فاروق في مذكراته: (إن الإخوان المسلمين هم الذين قلبوا عرشي)، (وما كان ضباط الثورة إلا العوبة بأيديهم، ولقد أراد الإخوان المسلمون ضربي في عرض البحر لولا أني أمرت ربان السفينة أن يغير اتجاهها)[1].

أقول بعد الثورة طلب مجلس الثورة من الأستاذ سيد أن يكون مستشارهم للشؤون الداخلية فقبل، ولكن لم يستطع العمل معهم أكثر من ثلاثة أشهر، وثلاثة أشهر أخرى على مضض وبفتور، ثم تركهم لأن طبيعته لا تقبل الالتواء والتثني.

## سجنه الطويل:

لقد بدأت سلسلة المحن تتوالى على الدعوة وعلى كبار رجالاتها، والحق أن سيداً من بين النفر القليل الذين أعطوا الدعوة أوقاتهم وحياتهم ودماءهم وأموالهم، ولم يروا من إقبال الدنيا على الدعوة شيئاً، فقد أقبل عليها ودنياها في إدبار، ورحم الله خباب بن الأرت إذ يقول: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله.. فمنا من مضى ولم يأكل من أجره في دنياه شيئاً، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه)[2].

وفي سنة (١٩٥٤م) وبعد تمثيل فصول مسرحية الرصاصات على الطاغوت عبدالناصر في منشية البكري في الإسكندرية، بدأت اعتقالات الإخوان، وغيبت السجون المظلمة وراء جدرانها آلاف الشباب، ولم يكن سيد لينجو، إذ كان رئيساً لقسم نشر الدعوة أنذاك، وكان من المفروض أن يكون سابع السبعة الذين علقوا على الأعواد شنقاً( وهم الشهداء: عبدالقادر عودة، محمد فرغلي، يوسف طلعت، إبراهيم الطيب، هنداوي دوير، محمود عبد اللطيف).

إلا أن إرادة الله أخرت شهادته ليكتب الظلال والمعالم، وخصائص التصور الإسلامي، فلقد أصيب سيد قطب من جراء التعذيب الشديد بنزيف في الرئة، مما اضطرهم إلى نقله إلى المستشفى، ونُفذ الإعدام وهو في المستشفى، وثارت ثائرة الشعوب المسلمة، وعبرت عن سخطها بتظاهرات احتشدت أمام السفارات في الدول العربية والإسلامية، وأحرقت بعض الأماكن، وانهال سيل البرقيات الساخطة من المسلمين في كل مكان، تكيل اللعنات وتنذر بالثبور والويل للقتلة ومصاصي الدماء.

وصدر وعد من القصر الجمهوري ألا يحدث إعدام فيما بعد، وجاءت محاكمة سيد قطب في الحلقة الثانية، وكانت المحاكمة مفتوحة ويرأس محكمة الشعب فيها جمال سالم وحوله عضوان حسين الشافعي وأنور السادات، ولقد أبدى سيد قطب جرأة نادرة أمام ما يسمون بالقضاة، فلقد خلع قميصه أمام المحكمة وقال بسخرية: أنظروا يا قضاة العدالة!! ثم قال: نحن نريد أن نسأل: أينا أحق بالمحاكمة والسجن: نحن أم أنتم؟ إن لدينا وثائق أنكم عملاء للمخابرات الأمريكية، وبدأ يسرد الوقائع والوثائق التي تصمهم بالخزي، وتسمهم بالصلات المشبوهة بكافري -السفير الأمريكي آنذاك-، مما اضطر جمال سالم أن يرفع الجلسة ويغلق المحاكمة.

وصدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة، وبعد فترة ولأسباب صحية خُفف الحكم إلى خمسة عشر عاماً.

وأودع سيد قطب ليمان طُرَه (السجن الذي يضم المئات من شباب الإخوان)، ولقد شهد بأم عينيه مذبحة الإخوان في ليمان طره عندما فتحت الحكومة الرشاشات على الإخوان، حيث قتل من عنبر واحد واحد وعشرون من شباب الإخوان، والتصقت لحومهم بالحائط، ومن شاء الاستزادة فليقرأ كتاب (أقسمت أن أروي لروكس معكرون).

كان سيد قطب مصاباً بالتهاب في الشعب الهوائية، فوضع في مصحة السجن (مستشفى صغير للسجن مع المصابين

---

١- أنظر فاروق بين القمة والحضيض. ٢- رجال حول الرسول ص(٤٢).

بالأمراض الصدرية كالسُّل من المجرمين المسجونين) واستأذن من إدارة السجن أن يضع حواجز من القماش بينه وبين المرضى، فأذن له، فوضع حواجز من القماش المقوى، فأصبح كأنه في غرفة مستقلة، وألحق به داخل الحواجز القماشية محمد يوسف هواش، وكانت هذه جريمة لهواش استحق عليها الإعدام سنة (١٩٦٦م).

وبقي الأستاذ سيد صابراً محتسباً في سجنه يربي إخوانه من حوله بالصدق، ويفيض عليهم من روحه المشرقة، ويضمهم في حنايا قلبه الكبير، وكان يرد على الذين يحاولونه المهادنة والاستسلام: (إن في صبرنا صبر للكثيرين)، وهي نفس كلمة الإمام أحمد بن حنبل.

وساءت حالته الصحية في السجن، وأصيب بالذبحة الصدرية، وأصبح جسده الناحل يحمل في طياته قائمة من الأمراض، وهو مُصرٌ على البقاء في السجن، وكانت الذبحة تصيبه مرتين في الأسبوع (الذبحة تشبه الجلطة).

وقدم الأطباء المشرفون على صحته تقارير لعبد الناصر ونصحوه قائلين: إن كان يهمك ألاّ يموت هذا الرجل في السجن فأخرجه لأنه معرض للموت في كل لحظة، وماطل عبد الناصر، ولقد تدخل المرحوم أحمد أوبلو -رئيس وزراء نيجيريا الشمالية الذي أسلم على يديه ستمائة ألف مسلم- لإخراجه من السجن أثناء مروره بالقاهرة قبل قتله بفترة وجيزة، فكذبوا على أحمد أوبلو متظاهرين بإخراجه، فنقلوه إلى مستشفى القصر العيني(جامعة القاهرة)، وكانت حالته الصحية تستدعي هذا النقل، لأن مصحة السجن بعلاجاتها وأدواتها البسيطة لم تعد تكفي لعلاج أمراضه.

ومكث في القصر العيني ستة أشهر وأعيد إلى مصحة ليمان طرة، وفي نيسان سنة (١٩٦٤م) أقيمت الاحتفالات بمناسبة الانتهاء من المرحلة الأولى للسد العالي، واستضافت مصر خريتشوف لمشاهدة الاحتفالات، وأخرج الشيوعيون من السجون تحية لخريتشوف، وكان عبد السلام عارف من بين الذين دُعوا للمشاركة في الاحتفال، وتلقى عبد السلام عارف برقية من مفتيّ العراق الشيخ أمجد الزهاوي يقول فيها: (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، فاشفع بسيد) فتوسط عبد السلام لإخراجه، فأخرج الأستاذ سيد من السجن في سنة (١٩٦٤م)، ولقد عرض عليه عبد السلام أن يصحبه إلى العراق ويكون مستشاره، ولكن الأستاذ سيد استماحه عذراً، متعللاً بصحته التي تشرف على الرحيل وتؤذن بالوداع، ولكن السبب الحقيقي وراء اعتذاره هو الذي وضّحه قائلاً:(إننا بإسنادنا ولو بالآراء لوضع جاهلي، فإننا نحكم بالإعدام على كل كتاباتنا ضد الطواغيت، وتصبح كلمتنا حبراً على أوراق)

والحقيقة أن عبد الناصر ما وافق على إخراجه إلاّ بعد تيقُّنه أن سيد قطب قد استُهلك وأضحى حطام إنسان ليس لديه طاقة على حركة أو تجميع.

ولكن الروح هي التي تعمل، فلقد كان الأستاذ سيد قد أعد مسودات المعالم وبدأ بمراجعتها، ثم دفع بها إلى المطبعة، وخرج المعالم لتنفذ الطبعة الأولى التي أصدرتها مكتبه وهبة في وقت جد قصير، مما أدهش المخابرات المصرية، وتحرك الشيوعيون الذين قرأوا كلمات المعالم كلمة كلمة، وأيقنوا أن هذا سيعصف بتنظيمهم الذي تقوى في فترة غياب الشباب المسلم في غياهب السجون، وأجج الشيوعيون نار الحقد والبغضاء التي ما هدأ أوارها لحظة في قلب عبد الناصر.

جاء أحد الناس إلى الأستاذ محمد قطب وأخبره بأن الشيوعيين جادّون في محاولة قتلك وقتل أخيك سيد قطب.

ويرى الأستاذ سيد في منامه أفعى حمراء تلتف حول عنقه، فحدث بها جلساءه فقالوا أضغاث أحلام، فقال: ولكني أظنها المشنقة التي يُمسك بها الشيوعيون.

وحاولت الحكومة أولاً أن تقضي على الظاهرين من الدعاة باغتيالات فردية، وابتدأت المحاولة بالحاجة المجاهدة (زينب الغزالي) إذ داهمت سيارة كبيرة للمخابرات أو بإيعاز منها سيارتها وكسرت رجلها، ومكثت على أثرها عاماً كاملاً في المستشفى، وانتشر الخبر بأن المخابرات جادة في قتل سيد قطب، وزينب الغزالي، ومحمد قطب، ومحمد هواش، فنكلت المخابرات عن خطتها، وأقبل صيف (١٩٦٥م) الذي يحمل بين جوانحه ما تخبئه الأقدار للدعوة الإسلامية من اعتقال وتشريد وإعدام بتنفيذ المخططات التي ترسم بروتوكولاتُها في الكرملين والقصر الأبيض لتنفذ من خلال المخالب في المشرق.

واعتقل سيد قطب في (٢٦/آب/١٩٦٥م)، وأودع السجن الحربي بعد أن انتقل من سجن إلى سجن، وانتهى به المقام في الحربي، وفي أوائل اعتقاله ألقي في زنزانة مظلمة بين أربعة كلاب بوليسية وظيفتها إرهاب السجناء بالإضافة إلى انتهاش لحومهم

وتقطيعها فور تلقيها أية إشارة من الكلاب البشرية.

وأسندت تهمة الخيانة العظمى له بترؤس تنظيم إرهابي يدعو إلى قلب نظام الحكم بالقوة. وهذه حقيقة وكلمة حق أريد بها باطل، فصاحب الحق يدعو لانتصار دينه وتطبيق الإسلام في كل مجالات الحياة، ولا يهادن ولا يداهن ولا يتنازل عن هذا الحق الذي يطالب به.

نعم لقد عهد إليه فضيلة المرشد بقيادة تنظيم سنة (١٩٦٢م)، وأطاع الأمر، إذ أنه يعرف معنى الطاعة في الإسلام، وأن طاعة الأمير فريضة في الأعناق، ومعصيته إثم يستحق صاحبه العقاب، فقبل وأشرف على تربية أفراده بكتاباته وهو في داخل السجن، ثم أشرف بنفسه ووهب التنظيم حياته، وروحه، ووقته، وفكره، هذا التنظيم الذي يشير إليه في مقدمة المعالم بأنه طليعة البعث الإسلامي، وهو يعتقد تماماً أن صلاح البشرية وسعادتها وراحتها متوقفة على نجاح الحركة الإسلامية كما يقول في مقدمة الظلال ص(١٥) -دار الشروق-: (وانتهيت من فترة الحياة في ظلال القرآن إلى يقين جازم حازم... أنه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة، ولا بركة، ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلاّ بالرجوع إلى الله، والرجوع إلى الله -كما يتجلى في ظلال القرآن- له صورة واحدة، وطريق واحد... واحد لا سواه... إنه العودة بالحياة كلها إلى هذا الكتاب).

لقد كان وهو يستجيب لأمر المرشد بالإشراف على التنظيم ممن قال الله فيهم:

**(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم)** (آل عمران: ١٧٢)

وبقي التحقيق والتعذيب مستمراً عاماً كاملاً من آب سنة (١٩٦٥م) حتى آب سنة (١٩٦٦م)، وإن كان القضاة سلفاً قد ارتشفوا دمه، وقد كان الجلادون حريصين ألاّ يموت سيد قطب ليبقى معذباً، فكانوا يربطونه بالكرسي ويقولون: (نحن نعلم أنك إذا عذبت ستموت، ونحن لا نريد أن تموت فتستريح).

ولقد بدأ الأستاذ سيد عملاقاً إبّان التحقيق والمحاكمات، فكثيراً ما كان يسخر من الضباط الخائنين الذين انقلبوا بين عشية وضحاها قضاة يحكمون في الدماء والأعراض.. كالدجوي الذي ترأس المحكمة، وقد كان ممن وقع في الأسر سنة (١٩٥٦م)، وقد كان يهاجم مصر من خلال اذاعة إسرائيل، وقد كان سيد بأسلوبه اللاذع الساخر يقابل الذئاب البشرية التي تمسك بخناق المسلمين، وتتربع على عرش مصر، وتحكم بالحديد والنار، وتجتث بما في أيديها من وسائل بقايا الخلق والقيم من المجتمع، وتحارب بأقلامها وأجهزتها كل فضيلة آدمية، أو مبدأ رباني، أو أرضي.

واستطاع سيد بصبره وترفعه وبصيرته أن يبين سخافة هؤلاء الأمساخ، والتف حوله الفئة المؤمنة التي استطاعت بطاعتها واحترامها له أن تقتل الجلادين غما وحقداً وغيظاً، قال أحد المحققين للحاجة زينب الغزالي -حفظها الله-: (إن سيد قطب كذب عليك وقال عنك..) فقالت: حاشا لله أن يكذب سيد.

وقالوا لشاب مؤمن: هل اتصلت بسيد قطب؟ فأنكر وأصر على إنكاره رغم التعذيب، فقالوا له: ولكن سيد قطب يقول: إنك قد اتصلت به، فقال الشاب: إن كان قالها لقد صدق!! وهي نفس الكلمة التي قالها الصديق أبوبكر بصدد الإسراء والمعراج.

ولقد اهتز كيان الطاغوت عند رؤية هذه الفئات، وصعقوا إذ أنهم ظنوا أن قد قضي على الإسلام والجماعة المسلمة، وإذا بهم يفاجؤون بنماذج أنقى، وبفئات أصلب عوداً وأشد في دين الله مما رأوا من ذي قبل، وهم في هذه المرة من الشباب المتعلم المثقف، بل معظمهم من الكليات العلمية والعملية كالطب والهندسة والعلوم والذرة، ولهول الصدمة كانت ضرباتهم جنونية، ولقد استشهد تحت التعذيب مائتان وثمانون شابا من هذه النماذج، وكانت النازلة شديدة الوقع على الطاغوت، وكاد يُجَن حقاً، وبدأ يصرخ في وجوه المخابرات صرخات محمومه جنونية (إزاي يسرقوا مني جيل الثورة، قباني -بائع قطن وهو الشهيد عبدالفتاح إسماعيل-، وامرأة -يعني زينب الغزالي-، واضطرب كيانه، وساءت صحته، وخارت قواه العقلية والعصبية، مما اضطره أن يذهب إلى روسيا حيث الحمّامات الساخنة والجلسات الكهربائية، وبعد أن أمسك بأنفاسه في روسيا أعلن من فوق قبر لينين: (لقد اكتشفنا مؤامرة للإخوان المسلمين، ولئن عفونا المرة الأولى، فلن نعفو المرة الثانية)، وأعطيت الأوامر الشديدة فكان التعذيب الرهيب الذي استمر قرابة عام أثناء التحقيق، وهنالك علاوات الإجرام، ويحضرني قصة كتبها أحمد رائف في البوابة السوداء يقول فيها: (مات أحدنا لشدة التعذيب في الزنزانة، وعندما فتح السجان باب الزنزانة صباحاً قلنا: يا أفندم مات واحد، فقال السجان: (يا أولاد الكلب بس واحد مات، حانودي

وشنا فين من المسؤول).

تقول الحاجة زينب الغزالي: لقد ضربوني ستة آلاف وخمسمائة سوط، وكانت غرف التعذيب ثلاثين غرفة، تختلف أدوات التعذ في كل واحدة عن الأخرى، وكان لا بد أن يصدر حكم الإعدام على الأستاذ سيد وعلى تلميذه محمد يوسف هواش وعلى الش عبدالفتاح إسماعيل، قال سيد عند صدور الحكم: (الحمد لله، لقد جاهدت مدة خمسة عشر عاماً حتى نلت هذه الشهادة)، وقال الش عبد الفتاح: (فزت ورب الكعبة).

ولقد ملك كل واحد منهما بصبره العجيب القلوب، حتى قلوب جلاديه، فلقد كان ضباط الحربي يقولون للشيخ عبد الفتاح: و إن هذه البلد لا تستحقك، فأنت درة ضائعة في مصر.

جاءت الأرحام من آل قطب لزيارة سيد بعد صدور حكم الإعدام، فطوقهم بذراعيه وقال: (لقد دعوت الله عز وجل أن ينفذ الحـ لتكون الشهادة، دعوت الله أن يجعل هذه العائلة كلها شهداء، هل قبلتم؟ قالوا: قبلنا، ونفذ حكم الإعدام في سحر ليلة الإثنين (٢٩) (١٩٦٦م)، وفاضت هذه الروح الكبيرة إلى بارئها بعد أن أدت دورها، وقد تبدو هذه النتيجة في حساب الأرض أسيفة أليمة، و يعدها البشر هزيمة مريرة، لكن كما يقول هو في فصل (هذا هو الطريق) وهو يتحدث عن أصحاب الأخدود ص(٢٣٤) من معالم ا الطريق: (إن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم، وانتصار الإيمان على الفتنة... وا هذا الحادث انتصرت الفئة المؤمنة انتصاراً يشرف الجنس البشري كله.. إن الناس جميعاً يموتون، وتختلف الأسباب، ولكن النا جميعاً لا ينتصرون هذا الانتصار، ولا يرتفعون هذا الارتفاع، ولا يتحررون هذه التحرر، ولا ينطلقون هذا الانطلاق إلى هذه الآفا إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده، لتشارك الناس في الموت، وتنفرد دون الناس في المجد في الملأ الأعلى، وفي د الناس أيضاً، إذا نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال، لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقا الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعـ الكبير؟ معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم عا الأجساد).

ولقد صدق الله فصدقه، إذ كان يتمنى الشهادة صادقاً -والله أعلم- فرزقه الله إياها: تقرأ له مقالاً كتبه سنة (١٩٥٢م) في كتا دراسات إسلامية ص (١٣٨)، فكأنك تلمح من خلاله أنه يخط بإلهام من الله نهايته إذ يقول: (إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلو الآخرين فتحركها، وتجمعها، وتدفعها، إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حي، كل كلمة عاشت قد اقتاتت قل انسان، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة، ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشر شبرا واحداً إلى الإمام، إن أحداً لن يتبناها لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنون الأموات، ويكتب عند آية:

**(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التور والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** (التوبة: ١١١)

(إن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين.. الله سبحانه هو المشتري، والمؤمن فيها هو البائع، فهي بيعة مع الله لا يبقى بعد للمؤمن من شيء في نفسه ولا في ماله يحتجزه دون الله -سبحانه- ودون الجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدي كله لله...

إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن... كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل، ومنذ كان دين الله.. إنها السد الجارية التي لا تستقيم الحياة بدونها، ولا تصلح الحياة بتركها، بعونك اللهم فإن العقد رهيب.. وهؤلاء الذين يزعمون أنفسهـ (مسلمين) في مشارق الأرض ومغاربها، قاعدون، لا يجاهدون لتقرير ألوهية الله في الأرض، وطرد الطواغيت الغاصبة لحقوق الربوبي وخصائصها في حياة العباد، ولا يقتلون ولا يُقتلون، ولا يجاهدون جهاداً ما دون القتل والقتال)[1].

---

(١) في ظلال القرآن (١١/١٧١٦) -ط/الشروق-.

(رد شـــبهة)

# سيد قطب والقول بوحدة الوجود

اطلعت في مجلة المجتمع العدد (٥٢٠) المؤرخ (١١) جمادي الأولى سنة (١٤٠١هـ) على مقابلة مع الشيخ الألباني يقول فيها: (إن قول سيد قطب في تفسير سورة الإخلاص وأول سورة الحديد هو عين القائلين بوحدة الوجود.. (كل ما تراه بعينك فهو الله، وهذه المخلوقات التي يسميها أهل الظاهر مخلوقات ليست شيئاً غير الله..) وعلى هذا تأتي بعض الروايات التي تفصل هذه الضلالات الكبرى بما يرى من بعض الصوفيين القدماء من كان يقول (سبحاني ما أعظم شاني)، والآخر الذي يقول (ما في الجبة إلا الله)... هذا الكلام كله في هذين الموطنين من التفسير)[١].

ولقد هزتني من أعماقي أن تنشر المجتمع على صفحاتها هذا الكلام لقرائها في العالم، والمجتمع بالهيئة المشرفة عليها تدرك أن قراءها هم تلاميذ الأستاذ سيد قطب.

ولقد حز في النفوس أن ينسب هذا الكلام (القول بوحدة الوجود) إلى الأستاذ سيد الذي جلى حقيقة التوحيد من كل غبش، بل ركز معظم كتاباته على شرح معنى (لا إله الا الله)، ونقل المعنى النظري للتوحيد إلى واقع حي متمثل في سلوك وحركات، ودماء وتضحيات، ولقد كانت حياته المليئة بصنوف الإعتزاز بالله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، خير شاهد على أن توحيد الربوبية (التوحيد العملي والنظري في القلب والنفس) (توحيد المعرفة والإثبات) قد جمع معه توحيد الألوهية (التوحيد العملي بالفعل) في واقع الحياة مشاعر وشعائر وكلمات ومواقف، حتى غدا المؤمن بهذا التوحيد كالشم الرواسي لا يزعزعه قوى الأرض، ولا يهزه جبروت الطغيان.

وحسبك منه تلك الكلمات التي كانت تنبثق من أعماقه معبرة عن استقرار التوحيد في طياته، تسمعه وهم يعرضون عليه الوزارة وهو رهين القيود يقول: (إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً تقر به حكم طاغية).

وتصغي إليه وهم يحاولونه أن يسترحم فيقول:(لماذا أسترحم؟ إن كنت محكوماً بحق فأنا أرتضى حكم الحق، وإن كنت محكوماً بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل).

ولقد حدثت شقيقته حميدة أمامي فقالت: يوم الأحد (٢٨) اغسطس (١٩٦٦م) جاء قرار الإعدام موقعاً من رئيس الجمهورية -عبدالناصر- ولكنهم كما يبدو أوعزوا إلى مدير السجن الحربي حمزة البسيوني أن يحاوله الاعتذار حتى آخر لحظة.

قالت حميدة: دعاني حمزة البسيوني وأطلعني على مصادقة عبد الناصر على قرار الإعدام، فارتعشت أوصالي، لأني كنت أحب سيدا حبا يملك علي نفسي، ثم قال حمزة: أمامنا فرصة أخيرة لإنقاذ هذا العلامة، لأن إعدامه خسارة كبرى للعالم الإسلامي، فإذا اعتذر فإننا نخفف حكم الإعدام إلى السجن، ثم يخرج بعفو صحي بعد ستة أشهر، فبادري إليه لعله يعتذر.

قالت حميدة: فدخلت عليه وقلت له: إنهم يقولون: إن حكم الإعدام سيوقف فيما إذا اعتذرت.

قال سيد: (عن أي شيء أعتذر؟! عن العمل مع الله؟ والله لو عملت مع غير الله لاعتذرت، ولكنني لن أعتذر عن العمل مع الله، ثم قال: اطمئني يا حميدة، ان كان العمر قد انتهى سينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى فلن ينفذ حكم الإعدام، ولن يغني الاعتذار شيئاً في تقديم الأجل أو تأخيره).

يا لله! حبل المشنقة يلوح أمام ناظريه، ولا تهتز أوصاله، ولا يضطرب موقفه، ولا يتراجع عن كلمته، إنها القمة السامقة التي أحله فيها التوحيد، إنها الطمأنينة التي سكبها الإيمان بالله في أعماقه، وهو كما يقول في مقدمة (في ظلال القرآن) ص(١٣) دار الشروق: ومن ثم عشت في ظلال القرآن هادئ النفس، مطمئن السريرة، قرير الضمير، عشت أرى يد الله في كل حادث، وفي كل أمر، عشت في كنف الله وفي رعايته، عشت أستشعر إيجابية صفاته تعالى وفاعليتها..) (**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**).

(أي طمأنينة ينشئها هذا التصور؟ وأي سكينة يفيضها على القلب؟ وأي ثقة في الحق والخير والصلاح؟ أو أي استعلاء على الواقع الصغير يسكبها في الضمير[٢]؟).

والكلام في هذا الموضوع يطول، وليس هذا مكان الاسترسال في بيان أثر التوحيد في حياة هذا العملاق الكبير، وما تركته

---

١- انتهى كلام الشيخ الألباني.

٢- ص(١٤) مقدمة الظلال.

كتاباته عن التوحيد من أثر في نفوس الجيل العائد إلى الله، في جميع أنحاء الأرض.

ليس بدعاً من القول أن نشير إلى أن سيد قطب أكثر مَنْ أثر في الأجيال بعد النصف الثاني من القرن العشرين، ولا نعر إنساناً ترك بصماته واضحة عميقة في نفوس الشباب اكثر منه، ولا أظنني مغالياً إن قلت ما من مجموعة مسلمة أثرت في مجتمعا إلا وكان لسيد قطب أثر في نفوسها قليلاً كان التأثير أم عميقاً.

إن محاولة النيل من سيد قطب عبث، وإن النزول معه في معركة سذاجة تبوء على صاحبها بالخيبة والخسران بعد أن الرجل كلمته، وحمى كلماته بدمه، وسار إلى ربه رافع الرأس، قرير العين، شامخ الأنف، عزيزا، أنا لا أنكر أن بعض محاولات الن منبعثة من قلوب مخلصة، ومحبة لإظهار الحق، لأن الحق لا يعلو عليه أحد، وإنما يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال.

نحن لا ننزه سيداً من الخطأ، وحاشا لله أن ندعي له العصمة، إذ ما من إنسان إلا ويؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا الق ﷺ، كما كان يردد إمام المدينة وعالمها مالك.

ونحن قد نجد في الظلال وغيره بعض الألفاظ التي قد تحتاج إلى دقة أكثر لتتفق مع المصطلحات الشرعية في العقي الإسلامية، وهذا لا بد أن يكون مادام بشراً يخطئ ويصيب.

أما: أن يصل بنا الأمر أن ننسب إليه تلك العقيدة الفاسدة الضالة وهي: القول بوحدة الوجود.

هذه القولة التي تكاد تخر لها الجبال هداً، سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم، إن وحدة الوجود تعني أن الخالق والمخلوق شي واحد، وأن الأثر هو المؤثر، وأن الصانع قد ظهر في المصنوع لا انفصال ولا تباين.

إن وحدة الوجود تعني أن الحجر هو الله، وأن الصحن هو الله، وأن الحيوانات هي الله، فلم يعد هنالك فرق بين من عبد الص والصنم والشمس وبين من يعبد الله، لأنها كلها صور لشيء واحد هو الذات الإلهية (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)، هل يصد عاقل أن سيد قطب كان يعتقد أن عبدالناصر هو الله، وأن حمزة البسيوني وشرطته هم صور الله، وأن صفوت الروبي الجلاد هو ا وأن لا فرق بين من يعبد ابن غوريون ودايان، وبين من يعبدالرحمن، هل يصدق ذو لب أن سيد قطب كان يعتقد أن السجن الحربي الله، أو يدخل في عقل عاقل أن سيد قطب كان يظن أن الشجر والحجر والقرد والخنزير والكلب صور لله عز وجل -سبحانك يا ر إنها لإحدى الكبر-.

والآن لا بد أن نقف على بعض الأقوال لمن قالوا بوحدة الوجود، وقبل أن أدخل معك لأطلعك على أقوالهم، أحب أن أبين أن س قطب قد هاجم القول بوحدة الوجود بالنص.

يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى:

**(وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون، بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يق له كن فيكون) (البقرة: ١١٧).**

يقول في تفسيرها ص(١٠٦) ج(١) دار الشروق: (والنظرية الإسلامية أن الخلق غير الخالق، وأن الخالق ليس كمثله شي ومن هنا تنتفي من التصور الإسلامي فكرة: وحدة الوجود -على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح- أي بمعنى أن الوج وخالقه وحدة واحدة أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق، أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده، أو على أي نحو من أنحاء التص على هذا الأساس.

والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى آخر (وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة، ووحدة ناموسه الذي يسير به.. والآن لنرجع إلى أقوال الذي قالوا بوحدة الوجود، هؤلاء قوم كانوا يرون أن المصنوعات كلها صور للصانع حتى بلغ الأمر ببعضهم لا يبصق على الارض ولا يستنجي بالحجارة، لأنها في نظره صور لله عز وجل تعالى عما يقولون علواً كبيراً[1].

يقول أبو يزيد البسطامي سنة (٢٦١هـ): (خرجت من الله إلى الله، حتى صاح مني فيّ يا من أنا أنت) (سبحاني ما أع شاني)[2].

وتحدث البسطامي عن حوار بينه وبين الله تعالى فقال: ورفعني فاقامني بين يديه، وقال لي يا أبا يزيد: إن خلقي يحبون

١- أنظر قاسم غني ص(٥٦) تاريخ التصوف في الإسلام.
٢- أنظر كتاب الركيل: هذه هي الصوفية ص(٦٤) عن تذكرة الأولياء ص(١٦٠).

بروك. فقلت: ربني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك لتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك)[1].

وقال الحسين بن منصور الحلاج سنة (٣٠٩ هـ):

*مزجت روحك في روحي كما ... تمزج الخمرة بالماء الزلال*
*فإذا مسك شيء مسني ... فإذا أنت أنا في كل حال*[2]

وقال الحلاج[3]:

*أنا من أهوى ومن أهوى ... أنا نحن روحان حللنا بدنا*
*فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا*

هذا كلام البسطامي والحلاج في وحدة الوجود، والقول ظاهر لا مجال فيه لتأويل متأول، ولا لتفسير مفسر، أن الخالق هو المخلوق، ولم يعد هنالك انفصال ولا تمايز و لا تباين، بل الصور هي الله، والأشياء هي الله. فعبادة الأشياء هي عبادة لله.

أين هذا الكلام من عقيدة سيد قطب التي يصرح فيها مئات المرات في ظلال القرآن بالفرق بين الخالق والمخلوق، والتباين بين مقام الألوهية ومقام العبودية، والآن تعال معي نقتبس بعض عباراته.

يقول في خصائص التصور الإسلامي[4]: (يقوم التصور الإسلامي على أساس أن هناك ألوهية وعبودية... ألوهية يتفرد بها الله سبحانه، وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه..

وكما يتفرد الله -سبحانه- بالألوهية، كذلك يتفرد تبعاً لهذا بكل خصائص الألوهية، وكما يشترك كل حي وكل شيء بعد ذلك في العبودية، كذلك يتجرد كل حي وكل شيء من خصائص الألوهية.. فهناك إذن وجودان متميزان، وجود الله، ووجود ما عداه من عبيد الله، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبيد).

أرأيت إذن: إن عبارة نصه تقول: فهناك إذن وجودان متميزان، وجود الله، ووجود ما عداه من عبيد الله، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبد.

هل بقي قول لقائل أن يدعي بأن سيد قطب يخلط بين الله وبين عبيده، وأن الله قد تجلى في صور مخلوقاته، وأن الخالق والمخلوق شيء واحد لا فرق بينهما ولا تمايز.

ويقول سيد -رحمة الله عليه- في تفسير آية الإسراء: **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)**[5].

(وتذكر صفة العبودية (أسرى بعبده) لتقريرها وتوكيدها في مقام الإسراء والعروج إلى الدرجات التي لم يبلغها بشر – وذلك كي لا تنسى هذه الصفة ، ولا يلتبس مقام العبودية، بمقام الألوهية كما التبسا في العقائد المسيحية بعد عيسى عليه السلام، بسبب ملابس مولده ووفاته ، وبسبب الآيات التي أعطيت له فاتخذها بعضهم سببا للخلط بين مقام العبودية ومقام الألوهية.. وبذلك تبقى للعقيدة الاسلامية بساطتها ونصاعتها وتنزيهها للذات الإلهية عن كل شبهة من شرك أو مشابهة، من قريب أو من بعيد) ويقول رحمه الله عند آية: **(لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً)** (النساء: ١٧٢).

لقد عني الإسلام عناية بالغة بتقرير حقيقة وحدانية الله سبحانه، وحدانية لا تتلبس بشبهة شرك أو مشابهة في صورة من الصور، وعني بتقرير أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يشترك معه شيء في ماهية ولا صفة ولا خاصيه.

كما عني بتقرير حقيقة الصلة بين الله سبحانه وكل شيء (بما في ذلك كل حي)، وهي أنه صلة ألوهية وعبودية، ألوهية الله

---

١- هذه هي الصوفية للوكيل ص(١١٢) نقلاً عن اللمع للسطوسي ص(٣٨٣).
٢- هذه هي الصوفية للوكيل ص(٤٩) نقلاً عن الطواسين للحلاج ص(١٣٠-١٣٢)
٣- الصلة بين التصوف والتشيع (كامل الشيبي) ص(٥٨).
٤- خصائص التصور ص(٣٠٨) ط(١)/الإتحاد الإسلامي العالمي
٥- أنظر في ظلال القرآن ط/دار الشروق (٢٢١١).

وعبودية كل شيء.. والمتتبع للقرآن كله يجد العناية فيه بالغة بتقرير هذه الحقائق -أو هذه الحقيقة الواحدة بجوانبها هذه- بحيث لا تدع في النفس ظلاً من شك أو شبهة أو غموض.

ولقد عني الإسلام كذلك بأن يقرر أن هذه هي الحقيقة التي جاء بها الرسل أجمعون. تقررها في سيرة كل رسول، وفي دعوة كل رسول، وجعلها محور الرسالة من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد خاتم النبيين -عليه الصلاة والسلام- تتكرر الدعوة على لسان كل رسول: (**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**).

وكان من العجيب أن اتباع الديانات السماوية -وهي حاسمة وصارمة في تقرير هذه الحقيقة- يكون منهم من يحرف الحقيقة وينسب لله -سبحانه- البنين والبنات، أو ينسب لله سبحانه. الامتزاج مع أحد من خلقه في صور الأقانيم، اقتباساً من الوثنيات التي عاشت في الجاهليات!

ألوهية وعبودية... ولا شيء غير هذه الحقيقة، ولا قاعدة إلا هذه القاعدة، ولا صلة إلا صلة الألوهية بالعبودية، وصلة العبودية بالألوهية، ولا تستقيم تصورات الناس -كما لا تستقيم حياتهم- إلا بتمحيص هذه الحقيقة من كل غبش، ومن كل شبهة، ومن كل ؛

أجل لا تستقيم تصورات الناس ولا تستقر مشاعرهم إلا حين يستيقنون حقيقة الصلة بينهم وبين ربهم.

هو إله لهم وهم عبيده، هو خالق لهم وهم مخاليق.. هو مالك لهم وهم مماليك.. وهم كلهم سواء في هذه الصلة لا بنوة لأحد، ولا امتزاج بأحد.. ومن ثم لا قربى لأحد إلا بشيء يملكه كل أحد ويوجه إرادته إليه فيبلغه (التقوى والعمل الصالح).. وهذا مستطاع كل أحد أن يحاوله. فأما البنوة وأما الامتزاج ما لي بهما لكل أحد؟!

إن المسيح عيسى بن مريم لن يتعالى عن أن يكون عبداً لله، لأنه -عليه السلام- وهو نبي الله ورسوله خير من يعرف حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، وأنهما ماهيتان مختلفتان لا تمتزجان. وهو خير من يعرف أنه من خلق الله ، فلا يكون خلق الله كالله ولا بعضاً من الله[1].

والآن دعنا نرجع إلى بعض أقوال القائلين بوحدة الوجود، الذين خرجوا من دين الله بأقوالهم هذه. إذ أن عباراتهم واضحة جلية في الكفر الصراح البواح، وبمنطوقهم الصريح لا لبس فيه أنهم يعتبرون الخلق هم عين الخالق، والأشياء هي حقيقة الله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

يقول ابن الفارض سنة (٦٣٢) في قصيدته التائية وهو يصف الله ويتكلم عنه كأنه يتكلم عن معشوقته ويتغزل بحبيبته.

*لها صلواتي بالمقـــــام أقيمـــــها* ... *وأشهد فيها أنهـا لـي صـلـــَّت*

*كلانا مصل واحد ساجــــــد إلى* ... حقيقته بالجمع فـي كل ســـجدة

*وما كان لي صلى سواي ولـم تكن* ... صلاتي لغيـــري في أدا كل ركعة

إنه ينطق بعبارة صريحة أنه يصلي لله والله يصلي له، فكلاهما مصل واحد وساجد واحد، فابن الفارض صلى لنفسه، ولم تكن صلاته لغيره، فهو وربه حقيقة واحدة، وشيء واحد، تعالى الله عما يقول الفارض.

ويقول ابن عربي (٦٣٨ هـ): (فوجودنا وجوده، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا، وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه من يحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده[2].

ويقول[3]:

*العبد رب والرب عبد* ... *يا ليت شعري من المكلف*

ويقول[4]:

*لا تـراقب فليس في الكون إلا* ... *واحد لعين فهو عين الوجود*

*ويسمى فـي حالـــة بالـــه* ... *ويسمى فـي حالة بالعبـــد*

---

١- أنظر تفسير الآية (لن يستنكف المسيح...) (النساء ١٧٢) في طبعة دار الشروق (في ظلال القرآن) المجلد (٢) ص (٨١٨-٨٢٠)

٢- هذه هي الصوفية للوكيل ص(٢٣) نقلاً عن فصوص الحكم لابن عربي (٨٣/١)

٣- هذه هي الصوفية للوكيل ص(١٧٤) نقلاً عن الفتوحات المكية لابن عربي الباب (١٢٩) ٤- مدارج السالكين (٦٠/١)

وأما جلال الدين الرومي سنة (٦٧٢) فهو يقول[1]: (يا من تبحثون عن الله، إنما أنتم الله، ليس الله خارجاً عنكم، هو أنتم أنتم، اعتكفوا في الدار، ولا تدوروا هنا وهناك لأنكم أنتم الدار، وأنتم رب الدار، أنتم الذات وأنتم الصفات، فالذي لم يلد ولم يولد هو منكم أنتم الأطهار والقيومون المنزهون البعيدون عن التغيير).

ويقول صدر الدين القونوي سنة (٦٧٣): (فالإنسان هو الحق، وهو الذات، وهو الصفات، وهو العرش، وهو الكرسي... وهو الموجود وما حواه... وهو الحق، وهو الخلق، وهو القديم وهو الحادث)[2].

هذه عبارات القائلين بوحدة الوجود، هي واضحة صريحة بمنطوقها ونصها أن الخالق هو المخلوق، وأن الإنسان هو الله. سبحان الله عما يشركون-.

أهذه العبارات تشبه عبارة سيد قطب التي حملوها فوق ما تحتمل، وفسروها تفسيراً يفضي إلى الكفر كما يقول الألباني:(نحن لا نحابي في دين الله أحداً... نقول هذا الكلام كفر).

يقول الأستاذ سيد في تفسير آية الحديد: **(هو الأول والآخر والظاهر والباطن)** هذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي الذي يستمد منه كل شيء وجوده، وهذه هي الحقيقة الأولى التي يستمد منها كل شيء حقيقته، وليس وراءها حقيقة ذاتية ولا وجود ذاتي لشيء في هذا الوجود.

إذن فهما وجودان: وجود الله، ووجود الأشياء الذي استمد وجوده من الله، وهما حقيقتان: حقيقة الله، وحقيقة الأشياء.

وهما وجودان متمايزان كما يقول في خصائص التصور[3]: (ووجود ماعداه من عبيد الله والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبيد).

وما كان لكاتب المعالم والظلال، وخصائص التصور ومقوماته إلا أن تكون عقيدته صافية بهذا الشكل، فهو يقول في تفسير آية:

**(يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق...)** (النساء: ١٧١)

(والله سبحانه تعالى عن الشركة، وتعالى عن المشابهة، ومقتضى كونه خالقاً يستتبع -بذاته- أن يكون غير الخلق، وما يملك ادراك أن يتصور إلا هذا التغاير بين الخالق والمخلوق، والمالك والملك)[4].

أرأيت هذه العبارة الأخيرة لعملاق الفكر الإسلامي: (وما يملك إدراك أن يتصور إلا هذا التغاير بين الخالق والمخلوق).

أي: لا يمكن لعاقل في رأسه ذرة من تفكير أو بقية من لب أن يتصور أن الشيء وخالقة واحد، ولا يمكن الإنسان سوى أن يمر بذهنه أو قلبه لحظة أن الحجر والشجر هو ذات الله -عز وجل-، بل لقد كان المشركون الذي يعبدون الأصنام يقولون: **(ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)**.

وكانوا يقولون: (لبيك اللهم لبيك لاشريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك).

ثم يقول الأستاذ رحمه الله في سورة الحديد: (ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتى، بعضهم قال: أنه يرى الله في كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: أنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود، وبعضهم قال : انه رأى الله فلم ير شيئاً غيره في الوجود، وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ القاصرة في هذا المجال[5].

إن ذكر كلمة المتصوفة في هذا المجال هو الذي جعل المنتقدين بهذه العبارات ينتفضون، والمتصوفة يقولون بوحدة الوجود، اذا فسيد قطب يقول بوحدة الوجود!!.

هذه عبارات أدبية خرجت مع قلم سيد قطب السيال بهذا النص، هو يريد أن يوضح القضية الكبرى التي تجعل الإنسان يعبر عن مسيرة الحياة بالمبادئ الربانية والشريعة الإلهية. هذه القضية أن الله عز وجل هو الفعال لما يريد، وكل فعل ممن عداه لا يستحق أن ينظر إليه، لانه صغير، حقير، وهو بجانب قدرة الله وفعله لا يساوي شيئاً، بل كأنه غير موجود.

---

١- قاسم علي ص(١٥٣).

٢- هذه هي الصوفية للوكيل.

٣- خصائص التصور الإسلامي ص(٣٠٨) ط/ الإتحاد الإسلامي العالمي.

٤- في ظلال القرآن ص(٨١٦) المجلد (٢).

٥- سورة الحديد في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٨٠) ط/الشروق.

وكما يقول في مقدمة (في ظلال القرآن): (ومن ثم عشت في ظلال القرآن، هادئ النفس، مطمئن السريرة، قرير الضم عشت أرى يد الله في كل حادث وفي كل أمر)[1].

ويقول في تفسير (قل هو الله أحد): (ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله نستصحبه رؤية الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها، وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئ الكون إلا الله، لأنه لا حقيقة هناك يراها الا حقيقة الله)[2].

العبارات أدبية بأسلوب رائع رصين، وفيها خفاء في المعنى وبعض الإبهام، وهي تتضمن في ذاتها (الفرق بين الد والمخلوق)، فهو يقول: مستصحبة رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها إذن فهما وجودان: وجود الله، ووجود كل شيء آ انبثق من إرادة الله.

هذه واحدة، والشيء الآخر أن المسألة والقضية هي: مجرد مشاعر ورؤية قلبية، فالعبارات تقول: وهذه درجة يرى فيها القلب الله في كل شيء يراه، وأما إذا أردنا الوقوف على ظاهر الألفاظ فهل يرى القلب يد الله؟[3].

ولابن القيم كلام قريب من هذا أن الأمر الذي يريد سيد قطب إقراره في القلب هو: إرجاع الأمر كله إلى الله (قل إن الأمر لله)، ويريد أن يوهن أمر الأسباب حتى لا يعلق بها القلب البشري، فهي صغيرة، ضئيلة لا قيمة لها ولا وزن بجانب الإرادة الف -ارادة الله – (فعال لما يريد)، فوجود هذه الأشياء والأسباب والقوى التي تستعلي في الأرض صغير صغير أمام الذي (لا يع شيء في الأرض ولا في السماء)، إن سيد رأى تخاذل الناس أمام قوى الطغيان التي تستعبد الناس في الأرض، فأراد أن يغرس النفوس أن هؤلاء بقواهم وعددهم لا ينظر إليهم إذا نظرنا إلى وجود الله وقوة الله فكأنهم غير موجود، لأن القلب المرتبط بالله ينظر القوة الحقيقية، ينظر إلى جبار السموات والأرض، إلى الذي يمسك السموات أن تزولا، فما هذا الغثاء، وما بال هذا الزبد ي وينتفش ويستعلي على عباد الله، وهو في حقيقته كأنه غير موجود.

ويصرح سيد بهذا المعنى الذي يريد إقراره في النفوس في تفسير سورة الإخلاص، (كذلك سيصحبه نفي فاعلية الأسباب، كل شيء وكل حدث، وكل حركة إلى السبب الأول الذي منه صدرت، وبه تأثرت.. وهذه هي الحقيقة التي عني القرآن عناية كم بتقريرها في التصور الإيماني، ومن ثم كان ينحي الأسباب الظاهرة دائماً، ويصل الأمور مباشرة بمشيئة الله (وما رميت إذ رم ولكن الله رمى)، (وما النصر إلا من عندالله) ، (وما تشاءون إلا أن يشاء الله)، هذه هي مدارج الطريق التي حاد لها المتص فجذبتهم إلى بعيد[4].

وما أجمل لو أضاف سيد هنا وهو ينتقد الصوفية عبارة (فجذبتهم إلى بعيد بالقول بوحدة الوجود)، ثم يضيف عبارته ال أوردها في سورة البقرة في تفسير (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه).

(والنظرية الإسلامية: أن الخلق غير الخالق، وأن الخالق ليس كمثله شيء... ومن هنا تنتفي من التصور فكرة وح الوجود....أي بمعنى أن الوجود وخالقه وحدة واحدة، أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق، أو أن الوجود هو الصورة المرئية الموجده، على أي نحو من أنحاء التصور على هذا الأساس)[5].

وما أجملها من عبارة له -رحمه الله- يقول فيها: (وعقيدة أن لله -سبحانه- ولداً عقيدة ساذجة، منشؤها قصور في التص يعجز عن إدراك الفارق الهائل بين الطبيعة الإلهية الأزلية الباقية والطبيعة البشرية المخلوقة الفانية، والقصور كذلك عن إدراك حكم السنة التي جرت بتوالد أبناء الفناء، وهي التكملة الطبيعية لما فيها من نقص وقصور لا يكونان لله)[6].

ويقول: (الحقيقة الاعتقادية التي تنشأ في النفس من تقرير حقيقة الوحدانية.. حقيقة أن الوهية الخالق تتبعها عبودية الخلائق

---

١- مقدمة الظلال ص(١٣).　　　　٢- في ظلال القرآن (٦/٤٠٠٣) ط/دار الشروق.

٣- قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/١٥٤): (الفناء: هذا الاسم يطلق على ثلاثة معان:

أ- الفناء عن وجود السوى (غير الله): فهذا فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود.

ب- الفناء عن شهود السوى: فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين وهو الذي بنى عليه أبو إسماعيل الأنصاري كتابه، وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج فنائه عن شهودهم وحسهم، فحقيقته: غيبة أحدهم عن سوى مشهوده (الله).

ج- الفناء عن إرادة السوى: وهو فناء خواص الأولياء وائمة المقربين، فيغنى بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه.

٤- تفسير سورة الإخلاص، في ظلال القرآن (٦/٣٠٠٣).

٥- في ظلال القرآن مجلد (١/١٠٦) ط/دار الشروق.　　　　٦- في ظلال القرآن مجلد (٣/١٨٠٥) ط/دار الشروق.

وأن هناك فقط ألوهية وعبودية، ألوهية واحدة وعبودية كل شيء، وكل أحد في هذا الوجود)[١].

هذه عبارة سيد قطب يهاجم فيها بالنص (القول بوحدة الوجود) ويصرح فيها باللفظ مئات المرات، أن مقام الإلوهية غير مقام العبودية (وأن الخالق غير الخلق... فهناك إذن وجودان متمايزان - وجود الله ووجود ما عداه من عبيد الله).

فهل هذه تلتبس وتشبه عبارات القائلين بوحدة الوجود مثل ابن عربي ويسمى في حالة بالله ويسمى في حالة العبيد؟![٢].

أو تشبه عبارات سيد عبارة جلال الدين الرومي؟! (يا من تبحثون عن الله، إنما أنتم الله، ليس الله خارجاً عنكم.. هو انتم أنتم)؟![٣]، أو هناك تماثل بين عبارات سيد الناصعة وبين قول فريد الدين العطار (اندمج أنت فيه فهذا هو الحلول.. فادخل الوحدة واجتنب الإثنية؟!)[٤]، أو هناك تقارب بين النصوص التي كتبها سيد وبين قول عبد الكريم الجيلي (إن الحق تعالى من حيث ذاته يقتضي إلا يظهر في شيء إلا ويعبد ذلك الشيء، وقد ظهر في ذرات الوجود؟!)[٥].كان الأولى والأورع في دين الله قبل أن نتهم سيد قطب بالقول بوحدة الوجود أن نقرأ له أولاً ثم بعد ذلك نقدم المنطوق الصريح له على المنطوق غير الصريح، ونقدم المفسر من قوله على القول المبهم له، ونقدم بالترجيح المنطوق على المفهوم، ونقدم عبارة النص على إشارة النص هذه من القواعد الأساسية في علم الأصول للخروج بأحكام (فإذا تعارضت النصوص لا بد من الجمع أولاً ثم النسخ ثم الترجيح فهل حاولنا أن نقرأ تفسير جزء واحد من ثلاثين جزءاً من ظلال القرآن حتى نحكم على الرجل؟! إن سيد قطب لم يقل: (إن كل ما تراه بعينك فهو الله)، وهذه المخلوقات التي يسميها أهل الظاهر مخلوقات ليست شيئاً غير الله.

إن سيداً يقول: (ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله، فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها، وهذه درجة يرى القلب فيها يد الله في كل شيء يراه، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا الله. لأنه لا حقيقة هناك يراها إلا حقيقة الله).

إذن لم يقل -كما قال الشيخ الألباني- إن كل ما تراه بعينك فهو الله، بل قال: يرى القلب فيها يد الله في كل شيء، وشتان شتان بين رؤية القلب ورؤية العين.

وقال سيد: ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا الله، وفاعل يرى في هذه الجملة الثانية: ضمير مستتر تقديره هو يعود على القلب في الجملة الأولى.

فعبارة الأستاذ سيد: تصور، رؤية القلب، إحساس داخلي، وإن الإمام ابن القيم لا يعتبر هذا ولا أكثر منه صراحة من قبيل القول بوحدة الوجود.

يقول ابن القيم في مدارج السالكين (١/١٥٢): (وفرق بين إسقاط الشيء عن درجة الوجود العلمي الشهودي، وإسقاطه عن رتبة الوجود الخارجي العيني، فشيخ الإسلام -يعني الهروي صاحب منازل السائرين- بل مشايخ القوم المتكلمين بلسان الفناء هذا مرادهم) هذه شهادة من إمام من أئمة السلف الذين يتذوقون أساليب البيان، وتذوقوا طعم الأنس بالله من خلال السير صعداً على مدارج السالكين، يقول ابن القيم: هذا الكلام السابق في تفسير عبارات الهروي صاحب المنازل، يقول الهروي صاحب منازل السائرين: (الفناء: هو اضمحلال ما دون الحق علماً، ثم جحداً، ثم حقاً، وهو على ثلاث درجات).

قال ابن القيم في تفسيرها: (الفناء اضمحلال ما دون الحق جحداً).

(لا يريد به أن يعدم من الوجود بالكلية، وإنما يريد اضمحلاله في العلم فيعلم أن ما دونه باطل وأن وجوده بين عدمين، وأنه ليس له من ذاته إلا العدم فعدمه بالذات، ووجوده بإيجاد الحق له، فيفني في علمه، كما كان فانياً في حال عدمه، فإذا فني في علمه ارتقى إلى درجة أخرى فوق ذلك، وهي جحد السوى وإنكاره، وهذه أبلغ من الأولى لأنها غيبته عن السوى فقد يغيب عنه وهو غير جاحد له، وهذه الثانية جحده وإنكاره.

ومن ههنا دخل الاتحادي وقال: المراد جحد السوى بالكلية، وإنه ما ثم غير بوجه ما.

وحاشا لشيخ الإسلام من إلحاد أهل الاتحاد، وإن كانت عبارته موهمة بل مفهمة ذلك، وإنما أراد بالجحد في الشهود لا في

---

١- في ظلال القرآن مجلد (٢/٨١٨) ط/دار الشروق. ٢- الفتوحات المكية لابن عربي الباب (١٢٩) ٣- قاسم غني في كتابة تاريخ التصوف في الإسلام ص (١٥٣).
٤- قاسم غني في كتابة تاريخ التصوف في الإسلام ص (١٧٥). ٥- كتاب هذه هي الصوفية لوكيل ص(٣٨) نقلاً عن الإنسان الكامل للجيلي (٢/٨٣)

الوجود، أي يجحده أن يكون مشهوداً فيجحد وجوده الشهودي العلمي، لا وجوده العيني الخارجي، فهو أولاً يغيب عن وجود الشهودي العلمي، ثم ينكر ثانياً وجوده في علمه وهو اضمحلاله جحداً، ثم يرتقي من هذه الدرجة إلى درجة أخرى أبلغ منها وهي اضمحلاله في الحقيقة، وأنه لا وجود له البتة، وإنما وجوده قائم بوجود الحق، فلولا وجود الحق لم يكن هو موجوداً، ففي الحقيقة الموجود إنما هو الحق وحده، والكائنات من أثر وجوده، وهذا معنى قولهم (إنها لا وجود لها ولا أثر لها، وإنها معدومة وفانية ومضمحلة)[1].

أين عبارات سيد قطب من عبارات الهروي؟ كل الذي قاله سيد: عدم رؤية القلب للأشياء لأنه متعلق بالحق، بالوجود الحق، فهذه الأشياء والمخلوقات لا يعلق بها القلب، ولا يجعل لها لأنه مشغول بالله، فهي صغيرة حقيرة لا يراها القلب ولا يأبه لها فكأنها غير موجودة، فالقضية باختصار: إحساس قلبي، ومشاعر نفسية، ورؤية داخلية ببصيرته ببصره، أما عبارات الهروي: (اضمحلال ما دون الحق علماً، ثم جحداً، ثم حقاً) (فإذا فني في علمه ارتقى إلى درجة أخرى فوق ذلك وهي جحد السوى وإنكاره) أي إنكار ما سوى الله وجحده، والعبارة واضحة في وحدة الوجود.

ومع هذا فإن ابن القيم رحمه الله يقول: (وحاشا لشيخ الإسلام -الهروي- من إلحاد أهل الاتحاد، وإن كانت عبارته موهمة بل مفهمة ذلك، وإنما أراد بالجحود في الشهود لا في الوجود، أي يجحده أن يكون مشهوداً، فيجحد وجوده الشهودي العلمي، لا وجوده العيني الخارجي) ماذا نقول في سيد قطب لو قال بالدرجة الثالثة: (ثم يرتقي من هذه الدرجة إلى درجة أبلغ منها وهي: اضمحلاله في الحقيقة، وإنه لا وجود له البتة) هذه عبارة ابن القيم في تفسير عبارة الهروي (ثم اضمحلاله حقاً)، ويزيد ابن القيم في توضيح العبارة (وإنه لا وجود له البتة) (وإنما وجوده قائم بوجود الحق، فلولا وجود الحق لم يكن هو موجوداً، ففي الحقيقة: الموجود إنما هو الحق وحده، والكائنات من أثر وجوده، هذا معنى قولهم (إنها لا وجود لها ولا أثر لها، وإنها معدومه وفانية ومضمحلة)، هل سمعت عبارة ابن القيم؟ ففي الحقيقة: الموجود إنما هو الحق وحده والكائنات من أثر وجوده.

ولقد دافع ابن القيم عن عبارات وأبيات للهروي خطيرة جداً[2]

يقول الهروي[3]:

| | |
|---|---|
| ما وحد الواحد من واحد | إذ كل من وحده جاحد |
| توحيد من ينطق عن نعته | عارية أبطلها الواحد |
| توحيده إياه توحيده | ونعت من ينعته لاحد |

قال ابن القيم: ومعنى أبياته (ما وحد الله -عز وجل- أحد توحيده الخاص، الذي تفنى فيه الرسوم ويضمحل فيه كل حادث ويتلاشى فيه كل مكون، فإنه لا يتصور منه التوحيد إلا ببقاء الرسم -وهو الموحد، وتوحيده القائم به- فإذا وحده شهد فعله الحادث ورسمه الحادث، وذلك جحود لحقيقة التوحيد، الذي تفنى فيه الرسوم، وتتلاشى فيه الأكوان).

ثم يقول ابن القيم: رحمة الله على أبي إسماعيل، فتح للزنادقة باب الكفر والإلحاد فدخلوا منه، وأقسموا بالله جهد أيمانهم: إنه لمنهم وما هو منهم، وغره سراب الفناء... وحاشا شيخ الإسلام من إلحاد أهل الاتحاد. هذا موقف إمام السلف -ابن القيم- من عبارات تكاد تكون صريحة في وحدة الوجود، فليتنا إذ لم نقف موقف ابن القيم وهو موقف الدفاع والتوضيح وإزالة الغبش والغموض أقول ليتنا وقفنا موقف المحايد من الأستاذ سيد قطب، لا الموقف الذي يحمل العبارات التي فيها شيء من الخفاء والإجمال على أسوء تفسير وأخطر محمل لنقول: (نحن لا نحابي في دين الله أحداً، هذا الكلام كفر)، ولو تركنا هذه المسألة دون إثارة ما فهم أحد من الناشئة أن هذا الكلام يشير إلى وحدة الوجود.

لقد رأيت عبارات لابن تيمية قريبة من كلام سيد قطب يقول في دقائق التفسير[4](ومن المأثور عن أبي يزيد رحمه الله أنه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق، وعن الشيخ أبي عبد الله القرشي أنه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة السجين بالسجين، وهذا تقريب وإلا: فهو استغاثة العدم بالعدم).

هذا كلام ابن تيمية: استغاثة المخلوق بالمخلوق استغاثة العدم بالعدم، فالمستغيث عدم والمستغاث به عدم، إذا حملنا هذا الكلام

١- مدارج السالكين شرح منازل السائرين ج(١٤٨/١-١٥٠).

٢- مدارج السالكين لابن القيم (١٤٧/١).

٣- مدارج السالكين لابن القيم (١٤٧/١)

٤- دقائق التفسير لابن تيمية تحقيق محمد الجليند، دار الأنصار جـ (٣٠١/١)

﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (الحشر: ١٠)

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[١]

عبد الله عزام

١٤٠١/٦/٤هـ

١٩٨١/٤/٧م

(١) ملاحظة: حذف موضوع (عشرون عاماً على الشهادة) وذلك لتكراره في كتاب (خضم المعركة) المجلد الرابع من الموسوعة.

ملاحظة: هذا الكتاب (عملاق الفكر الإسلامي) لقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته، ففي السنة التي استشهد فيها طبع "الظلال" سبع طبعات بينما لم تتم الطبعة الثانية أثناء حياته، ولقد صدق عندما قال: "إن كلماتنا ستبقى عرائس من الشموع حتى إذا متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء".

ولقد مضى سيد قطب إلى ربه رافع الرأس ناصع الجبين عالي الهامة وترك التراث الضخم من الفكر الإسلامي الذي تحيا به الأجيال، بعد أن وضح معان غابت عن الأذهان طويلاً، وضح معاني ومصطلحات الطاغوت، الجاهلية، الحاكمية، العبودية، الألوهية، ووضح بوقفته المشرفة معاني البراء والولاء، والتوحيد والتوكل على الله والخشية منه والالتجاء إليه.

والذين دخلوا أفغانستان يدركون الأثر العميق لأفكار سيد في الجهاد الإسلامي وفي الجيل كله فوق الأرض كلها، أن بعضهم لا يطلب منك لباساً وإن كان عارياً ولا طعاماً وإن كان جائعاً ولا سلاحاً وإن كان أعزل ولكنه يطلب منك كتب سيد قطب. (الناشر).

# حماس

## الجذور التاريخية والميثاق

فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي، لأن دم إنجليزي واحد أحب إلي من جميع الشعوب التي نحكمها، ولم تكلفنا الثورة العربية سوى عشرة ملايين دينار.

### وعد لينين ووعد بلفور:

وفي أكتوبر سنة (١٩١٧م) صدر وعد لينين لليهود بوطن قومي في فلسطين، وفي (٢) نوفمبر (١٩١٧م) صدر وعد بلفور لليهود بوطن قومي في فلسطين، واسم بلفور الأصلي (أرثر جيمس).

وقد وافقت فرنسا على وعد بلفور بعد صدوره بثلاثة أشهر (فبراير سنة ١٩١٨م)، ووافقت أمريكا رسمياً سنة (١٩٢٢م) واحتج العرب بمظاهرات على قرار بلفور في معظم العواصم الإسلامية وقالوا: إعلان ممن لا يملك لمن لا يستحق.

### الانتداب البريطاني على فلسطين:

في أول جولي (تموز) سنة (١٩٢٠م) عينت بريطانيا هربرت صموئيل (اليهودي) مندوباً سامياً على فلسطين، وفي (٢٤) تموز من نفس العام أقرت عصبة الأمم انتداب بريطانيا على فلسطين، فبدأ صموئيل يشجع الهجرة اليهودية ويهبهم الأراضي الفلسطينية.

وقد تضاعف عدد اليهود من سنة (١٩١٨م-١٩٢٨م) ثلاثة أضعاف، فقد أصبح عددهم (١٧٥) ألفاً، وأنشأوا الجامعة العبرية، والوكالة اليهودية التي نص عليه صك الانتداب، ومحطة فلسطين للكهرباء التي أسهمت بنصيب وافر في إنشاء المستعمرات.

وقد قام الإخوان سنة (١٩٤٨م) بنسف بعض المحلات في حارة اليهود، فوجدوا أن معظم المحلات تزين جدرانها بصور هرتزل وصورة (محطة فلسطين للكهرباء).

### الخطة العشرية لقيام دولة اليهود:

قرر اليهود تنفيذ مخططهم على خطوات، مدة كل خطوة عشر سنوات.

١- في سنة (١٨٩٧م) مؤتمر بال.

٢- في سنة (١٩٠٧م) كان العمل الماسوني المنظم لإسقاط السلطان عبد الحميد من أجل هجرة اليهود.

٣- في سنة (١٩١٧م) وعد لينين ووعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

٤- في سنة (١٩٢٧م) زيادة بناء المستعمرات، وشراء الأراضي من عائلات سرسق وتيانا والإنجلين.

٥- في سنة (١٩٣٧م) بدأت بإنشاء القوات النظامية لليهود، وأصبح لديهم عصابات إرهابية مسلحة، لديها كميات من الأسلحة والذخيرة، اشترك فيلق يهودي مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية لأخذ الدربة والتدريب والتجربة.

٦- في سنة (١٩٤٧م) قرار التقسيم الذي أقرته هيئة الأمم في (٢٩) نوفمبر، ثم حلت جماعة الإخوان، ثم قتلت البنا.

٧- سنة (١٩٥٦م) احتلت سيناء وغزة بعد ضرب الحركة الإسلامية وإعدام عبد القادر عودة ومحمد فرغلي ويوسف طلعت وإخوانهم.

٨- في سنة (١٩٦٧م) النكبة الكبرى واحتلت كل فلسطين والجولان وسيناء بعد ضرب حركة الإخوان وإعدام سيد قطب وإخوانه.

٩- في سنة (١٩٧٧م) الهجوم على لبنان ومعاهدة كامب ديفيد وبداية ضرب التجمعات الإسلامية على يد السادات. صالح سرية (الفنية العسكرية) وجماعة المسلمين.

### وقفة لا بد منها:

مما لا شك فيه أن قيام دولة إسرائيل كان بمؤامرة عالمية واتفاق دولي، ولكن لا بد أن يكون واضحاً في الأذهان أن الجهود الضخمة التي قدمها اليهود، والمعاناة المريرة طيلة الخمسين عاماً لم تكن أمراً سهلاً ولا ميسوراً، وأن قيام الدولة كان ثمرة دماء وعرق وسهر وتعب، فاليهودي الأمريكي أو الهولندي الذي ترك وطنه وخاطر [illegible]

أعصابه، ويتوقع الموت في كل لحظة من أجل أرض الميعاد والآباء والأجداد لم تكن حياته في أمن ورفاهية، بل ضحى بكل شيء لأجل أرض الأجداد والميعاد، ولقد كانت التضحيات بالأموال، والإنسلاخ من الوطن الأصلي، والاستعلاء على الأشواق التي كانت تشدهم إلى أهاليهم في أوروبا وأمريكا أمراً ضخماً، أضف إلى هذا أنهم قد جهدوا في بناء مستعمراتهم في جو من الرعب والخوف، وكذلك إنشاء منظماتهم العسكرية التي تقذف بنفسها في أتون الحرب الثانية من أجل الاستعداد للمعركة القادمة مع الفلسطينيين كان أمراً ضخماً كذلك، فعندما أقرت الأمم المتحدة قرار التقسيم كان لدى اليهود خمسة وسبعون ألفاً من المسلحين المدربين موزعة على عصابات منظمة: الهاغانا: ستون ألفاً، البالماخ: خمسة آلاف، الأرغون: خمسة آلاف، شتيرن: ألفا مقاتل.

وإن الإصرار على بناء دولة في أرض الميعاد كان ذا ضريبة عالية. فلقد كلف اليهود الكثير، وما برز بن غوريون ولا دايان ولا بيغن إلا من خلال المعارك التي خاضوها، والبناء التربوي الهادي، ذي النفس الطويل.

هؤلاء أعداؤنا وهذا إعدادهم، فماذا أعددنا إزاء هذا الجهد الضخم الذي قدمه هؤلاء؟ والمشاق التي تكبدوها على باطلهم؟ وعندما اختلفوا مع مندوب الأمم المتحدة (الكونت برنادوت) قتلوه.

وقد اختلف اليهود مع بريطانيا بسبب حرص اليهود على تدفق الهجرة سنة (١٩٤٦م) وكانت بريطانيا تريد أن تنظم الهجرة، فبدأ اليهود يهاجمون المراكز البريطانية ويقتلون جنودهم، فهاجم وايزمن بريطانيا بسبب عرقلتها هجرة مائة ألف يهودي إلى فلسطين، واتهمت القوات البريطانية مقر الوكالة اليهودية، وصادرت وثائق تدين الوكالة بالإرهاب، وأودعتها فندق الملك داوود بالقدس في مقر القيادة البريطانية، فأدخل اليهود المتفجرات في براميل الحليب إلى مطبخ الفندق وفجروها، فانهار الفندق بطبقاته الست وقتل (٤١) عربياً و(٢٨) بريطانياً و(١٧) يهودياً وجرح آخرون.

ليت شعري بعد هذا كم زعيماً بريطانياً قتلنا؟ مع أنهم يتعلمون الرماية بأبناء فلسطين كأغراض لرصاصهم بدل الحجارة أو الأهداف.

## جهاد شعب فلسطين ضد اليهود:

لقد سقط فوق أرض فلسطين عشرة ملايين شهيد من المسلمين عبر الأدوار التاريخية المتعاقبة.

**أما بالنسبة لوقوفهم أمام اليهود:**

١- في (٢٧) فبراير سنة (١٩٢٠م) قامت مظاهرة من المسجد الأقصى ضمت أربعين ألفاً سلمت قناصل الدول الكبرى في القدس مذكرات ضد وعد بلفور والهجرة اليهودية.

٢- في اليوم الأول من مارس سنة (١٩٢٠م) بدأ أول عمل مسلح ضد اليهود في مستوطنة المتلا قتل سبعة يهود منهم كابتن.

٣- في (١٩٢٠/٣/٢٨م) زار تشرشل القدس، فقابله وفد برئاسة موسى كاظم الحسيني -رئيس البلدية- محتجاً، فأجاب تشرشل: إن بريطانيا ملتزمة بتنفيذ وعد بلفور.

٤- في منتصف أيار سنة (١٩٢٠م) هاجم ثلاثة آلاف عربي مستوطنة بتاح تكفا -قرب يافا- واستمرت المناوشات أسبوعاً، وأسفرت المعركة بعد تدخل الدبابات البريطانية ضد العرب عن استشهاد (١٠٨) وجرح (٧٥) عربياً وقتل (٤٧) يهودياً وجرح (١٤٦).

٥- ثورة البراق من (١٦آب-٢٦ آب) سنة (١٩٢٩م) سقط نتيجتها (١٣٣) يهودياً وجرح (٣٣٩) واستشهد (١١٦) عربياً و(٢٣٢) جريحاً.

وصدر حكم الإعدام على عطا الزير ومحمد جمجوم من الخليل وفؤاد حجازي من صفد، وقد نفذ الإعدام في حزيران (١٩٣٠م).

٦- المؤتمر الإسلامي الأول برئاسة الحاج أمين الحسيني (٢٧) رجب (١٣٥٠هـ) الموافق (١٩٣١م).

الناري على البنا باب دار الشبان المسلمين، وجرح البنا وكانت جراحه طفيفة، فأوفد الملك ضابطاً اسمه محمد وصفي ليجهز على البنا في غرفة العمليات، وقطعت الكهرباء عن المنيل حيث يسكن البنا، وصلت عليه أربع نساء، ونقلت جنازته بين صفوف الدبابات، ودفن وحرس قبره.

## معاهدة رودس:

وبدأت مصر في اليوم الثاني لمقتل البنا (١٣) فبراير المفاوضات، ووقعت المعاهدة في(٢٤) فبراير لإقرار اليهود على حدود آمنة.

## مجاهدون سجناء:

وألقى فاروق أوامره بتمزيق جمع الشباب المجاهد في فلسطين، وكان أخطرها كتيبة أحمد عبدالعزيز التي تحاصر مستعمرات اليهود في القدس، وقد خشيت الدول أن يحتل أحمد عبدالعزيز القدس ويطهر اليهود منها، فبعث الملك فاروق صلاح سالم وقتل أحمد عبد العزيز، ولقد كان غيظهم من أحمد قد استشاط عندما علموا أن أحمد قد التقى بالبنا ورجع يائساً من كل الدول العربية نافضاً يده من جيوشها.

ثم شتتوا كتيبة أحمد عبدالعزيز، وبقيت سرية حسين حجازي التي تحمي منطقة مار الياس وعددها ثلاثمائة يقودها اثنا عشر ضابطاً، فارسل الجيش الأردني سبعة يقودهم شاويش للاستلام مكانه ريثما يتم التسليم إلى دايان. فرفض حسين حجازي، وأخيراً أخذوه إلى السجن في الخليل بتهمة (جاسوس مصري).

وأما الكتائب الأخرى من الإخوان التي كانت في الجنوب، غزه وبئر السبع والنقب فاوعز فاروق إلى جيشه باعتقالها وقبلت الاعتقال لأنها ما أحبت أن تدخل في معركة مع الجيش المصري، وعادوا بها رهن الأغلال والقيود إلى معتقل الطور –القاهرة–.

وأما الجيش العراقي فقد كان يردد (ماكو أوامر: لا أوامر).

وأما أهل فلسطين فقد كافحوا كفاحاً مجيداً، وأبلوا بلاء حسناً في الذود عن حياضهم، وقد قدموا اثني عشر ألف شهيد، وأضرب مثالاً هنا باللد والرملة التي مكثت ستة أشهر يرابط أهلها أمام عصابات اليهود، يرابط الرجال في الليل وترابط النساء في النهار، وأخيراً جاء الجيش الأردني واستلم المنطقة التي تمتد جبهتها على طول (٤٨) كم ووزع الجيش مائة وخمسين جندياً لحماية هذه الجبهة ومعهم ضابط واحد، ولكن قائد المنطقة مستر لاش الإنجليزي –أحد قادة الجيش الأردني– الذي يرأسه جنرال جلوب باشا الإنجليزي.

وصدر قرار بعقوبة الإعدام على كل واحد من الأهالي يضبط متلبساً بجريمة حمل السلاح.

ولذا وفي آخر يوم من الهدنة الأولى هجم اليهود على اللد والرملة فلم تحتمل المعركة سوى ساعتين، وسقطت المدينتان.

# حماس

## الجذور التاريخية والميثاق

# الإهـــداء

إلى منقذ البشرية وسيد الأنام ﷺ ، وإلى الصحب الكرام الذين انتشل الله بهم فلسطين من الظلمات إلى النور.

إلى مجدد القرن الذي هز العالم بالإسلام، والذي قدم النماذج الفذة التي روت بدمائها نجود الأرض المباركة.

إلى الذين قضوا نحبهم على طريق هذا الدين فوق ربى الأرض المباركة محاولين غرس راية التوحيد.

إلى الذين لا زالوا على الطريق جادين مضحين صابرين لبناء المجتمع الإسلامي فيها.

أقدم ثواب عملي المتواضع ضارعاً إلى الله القبول والنفع والسداد.

د. عبدالله عزام

بيشاور–شوال (١٤٠٩هـ)/مايو (أيار ١٩٨٩م)

بسم الله الرحمن الرحيم

# الباب الأول

# جذور حماس التاريخية

## فلسطين من عمر رضي الله عنه حتى انتفاضة الجهاد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فمما لا شك فيه أن فلسطين الأرض المباركة قد فتحها الإسلام، وعاشت بالإسلام طيلة العهود التاريخية، وكلما تعرضت للغز وسقطت بين براثن صائل كافر أو طاغوت ملحد، تقدم الإسلام لينقذها من وهدة الموت ومن ظلام الجاهلية.

فقد سقطت القدس بيد الصليبيين سنة (٤٩٢هـ)، فتقدم الإسلام يزحف بقيادة عماد الدين زنكي من الموصل، رغم أن عما الدين ينتسب إلى العراق التركي، ولم ينحدر من سلالة عدنان، ولم ينسل من ظهر قحطان، بل نبت من دوحة الإسلام، واستشهد عما الدين سنة (٥٤١هـ)، وواصل ابنه نور الدين زنكي مسيرة البلاء والعناء والمرارة والضناء، وقد أعاد بسمت الصالح وعدله وهديه سير الخلفاء الراشدين، فكان يُدعى سادس الخلفاء الراشدين، ودخل نور الدين دمشق، ولكن عينه ترنو إلى بيت لمقدس، وقلبه يهفو إل المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، واستشهد نور الدين سنة (٥٦٩هـ)، وتسلم الراية صلاح الدين الكردي، ودخل دمشق سـ (٥٧٠هـ)، وأخذ يجمع المسلمين تحت هذه الراية، ويزحف حتى التقى بجحافل الصليبيين في حطين (٢٥) ربيع الثاني (٥٨٣هـ وهزمهم شر هزيمة:

*لما تحكمت الأسنة فيهم     جارت وهن يجرن في الأحكام*

*فتركتهم خلل البيوت كأنما     غضبت رؤوسهم على الأجسام*

وواصل جيش الإسلام زحفه والأكاليل فوق مفرقيه، ورايات النصر تظلل عطفيه، حتى وصل بيت المقدس في السابع والعشري من رجب سنة (٥٨٣هـ)، ثم سلم الملك الكامل القدس للأنبرطور ملك الإفرنج سنة (٦٤١هـ)، ثم استنجد الملك الصالح الأيوبي في العام التالي سنة (٦٤٢هـ) بالخوارزميين، (ومعلوم أنهم ليسوا عرباً) وحرر القدس من الصليبيين، وطهرها من رجسهم.

وفي سنة (٦٥٦هـ) سقطت دار الخلافة، وتقدم التتار، وتصدى لهم الظاهر بيبرس والمظفر قطز سنة (٦٥٨هـ) في عين جالو وهزموا جمعهم، وشتتوا شملهم وخر قطز من على جواده ساجداً شاكراً لله على هذا النصر المبين، وهذان الليثان ليسا من أرو العرب ولا من دوحتهم.

وظلت فلسطين تنعم بالتفيؤ في ظلال الإسلام، وتستروح أرج هذا الدين القويم، لا يعكر موردها كدر، ولا يلوث جوها وبا وأقبلت تركيا بإسلامها، وحكمت الأرض المباركة أربعة قرون سنة (١٥١٦-١٩١٨م)، ثم طعنت تركيا المسلمة بخنجر القومية المسمو تلك الطعنة النجلاء التي أودت بالإسلام فاقصته عن الوجود، وغيبته عن الشهود، وكانت تلك النكبة القاسمة التي أطاحت بصر الخلافة السامق الذي جمع المسلمين حوله القرون، والذي سارت على هدي منارته الأجيال مصونة من الانحراف والضلال ع الحقبات الزمنية المتعاقبة، وثل عرش الخلافة في الثالث من مارس سنة (١٩٢٤م) على يد الذئب الأغبر أتاتورك الذي أحال أرض ترك فقراً بلقعاً لا ترى فيها أثارة خير ولا بصيص نور، تمزق المسلمون شذر مذر كالغنم في الليلة الشاتية، تتناوشها الحراب، وتنهم لحومها الذئاب، وحق لنا أن نخاطب أتاتورك وأبطال القومية العربية بقول الشاعر:

وكنت كعنز السوء قامت لحتفها     إلى مدية تحت الثرى تستثيرها

ولقد كانت تنحية الإسلام عن الحكم أكبر قاصمة أصابت ظهر البشرية على الإطلاق، وأعظم نكبة ألمت بها طيلة حقباته التاريخية.

ولقد كان إقصاء دين الله عن مناحي الحياة أمراً مقصوداً للكثيرين ممن تولوا قيادة الأمة الإسلامية، ولقد كانت محار الملتزمين لازمة في الماتم التي عزفوها في مأتم الضحايا التي قدموها قرابين على مذابح شهواتهم.

## الحقد اليهودي على البشرية:

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (المائدة: ٨٢).

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (المائدة: ٥١).

إن المتبصر بآي الذكر الحكيم يدرك الحكمة الربانية من إفراد صفحات كثيرة من كتاب الله العزيز في تتبع كتاب الله تاريخ اليهود ومواقفهم تجاه أنبيائهم عليهم السلام، وكشف طبيعة جنسهم، وإيضاح خبيثتهم، وذلك -والله أعلم- لأنه سبحانه يعلم أن هذا الجنس كان عبر التاريخ كله معول هدم لكل القيم، ومسحاة تجتث بها الأخلاق وتحارب بها المبادىء والمثل.

ولأمر ما -يعلمه الله - استغرق تاريخهم هذه المساحة من كتاب الله الكريم، وكأن البصيرة تدرك أن لهذا الجنس دوراً خطيراً في مواجهة هذا الدين عبر حقبات زمنية قادمة، ولذا لا بد لأبناء هذا الدين من أن يأخذوا حذرهم ويعدوا عدتهم.

فإذا كان اليهود قد أقدموا على قتل الأنبياء -عليهم السلام-: (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (البقرة: ٦١)، فكيف لا يستحلون بعد هذا محاربة أتباع الأنبياء وحملة المبادىء وأصحاب العقائد؟

ولقد حملت أجيال اليهود في أعماقها الأحقاد السوداء على البشرية جمعاء، فقد كانت النكبات التي تعرضوا لها بالسبي الصغير على يد بختنصر الكلداني (٥٨٦ ق.م)، والسبي الكبير على يد تيطس الروماني الذي خرب القدس سنة (٧٠م)، وهدم الهيكل (المسجد الأقصى الذي كان قبل سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، وكان البيت الثاني على وجه الكرة الأرضية -بعد المسجد الحرام بأربعين عاماً-، ثم جاء سيدنا سليمان عليه السلام وجدد بناء المسجد الأقصى كما في صحيح النسائي، ولكن اليهود أطلقوا على المسجد الأقصى الهيكل ظلماً وعدواناً)، وسبي اليهود إلى بابل. بالإضافة إلى عمليات الإبادة التي تعرضوا لها في أوروبا وفي روسيا وإسبانيا وإيطاليا، كل هذه زرعت الأحقاد في قلوب اليهود، وغرست الضغائن وحب الانتقام من كل الأديان، وسفك دماء الجوييم (الأمميين).

جاء في التلمود: (إهدم كل قائم، لوث كل طاهر، إحرق كل أخضر، كي تنفع يهودياً بفلس) (أقتل من قدرت عليه من غير اليهود) (إلعن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات في اليوم)، ونصت البروتوكولات: (إن الجوييم خلقهم الله حميراً لشعب الله المختار، كلما نفق حمار ركبنا حماراً آخر)، ولقد رتب اليهود لتدمير عرش البابوية وتحطيم الديانة النصرانية. فقد جاء في البروتوكولات: (سننزع فكرة الله من أذهان المسيحيين)، واخترقوا حصن البابوية حتى أعلن البابا يوحنا الثالث والعشرون: أن اليهود براء من دم المسيح (وهذا الأمر حق)، ولكن النصارى عبر التاريخ يعتقدون أن المسيح عليه السلام صلب بيد اليهود.

ورتب اليهود لنجاح أكبر ثورتين في أوروبا، الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩م)، وذلك لتحطيم فرنسا الكاثوليكية وحصنها الحصين وتحويلها إلى مزرعة يهودية، وكان شعار الثورة الفرنسية كلمة ميرابو: (أشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)، ورتبوا للثورة البلشفية سنة (١٩١٧م)، ورفعوا شعارها كلمات لينين اليهودي (لا إله والحياة مادة)، (الدين أفيون الشعوب)، فقد عاد لينين من منفاه من ألمانيا مع (٢٢٤) ثائراً من ثوار البولشفيك، منهم مائة وسبعون يهودياً، وكان تروتسكي اليهودي -الذي قضى فترة في حي بروكلن (نيويورك) يخطط للثورة- قد عاد وينتظر لينين، وقاموا بالثورة ووجه البيان التالي: (أيها اليهود، لقد قربت ساعة انتصارنا التام، ونحن الآن عشية يوم قد تسلمنا قيادة العالم، لقد استولينا على الحكم في روسيا، لقد كان الروس سادتنا فأصبحوا عبيدنا)، وصدر في الأسبوع الأول للثورة أكتوبر سنة (١٩١٧م) (أي قبل صدور وعد بلفور بأسابيع) قرار ذو شقين بحق اليهود:

١- يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه القانون.

٢- الاعتراف بحق اليهود في إنشاء وطن قومي في فلسطين.

المكتب السياسي الأول: وكان المكتب السياسي الأول للثورة الشيوعية مكوناً من سبعة أشخاص، خمسة منهم يهود الأبوين، وهم لينين وتروتسكي، كامنيف، سوكولنيكوف، زينوفيف، أما ستالين فزوجته يهودية، وسابعهم بينوف ولم يكن يهودياً. أما الوزارة التي

شكلها لينين، فكانت تضم اثنين وعشرين، سبعة عشر منهم من اليهود[1].

## استغلال العلوم لتدمير البشرية:

ولقد أبرز اليهود مجموعة من أبنائهم من خلال إعلامهم وذلك ليكونوا معاول هدم في حياة الأمم، فنشروا نظرية دارون -مع أنه ليس يهودياً- من أجل الإلحاد، جاء في قرار بني برت (أبناء اليهودية) سنة (١٩٣٩م) ما يلي: (لقد نشرنا روح الثورية التحررية الكاذبة بين شعوب الغير لإقناعهم بالتخلي عن أديانهم، بل بالشعور بالخجل من الإعلان عن تعاليم هذه الأديان، ونجحنا في إقناع كثيرين بالإعلان جهاراً عن إلحادهم الكلي وعدم الإيمان بخالق البتة، وأغريناهم بالتفاخر بكونهم أبناء القرود -نظرية دارون-).

وأبرزوا في علم النفس: (فرويد) ليدمروا الأخلاق (إن فرويد منا وسنعمل على نشر آرائه الجنسية على مثل ضوء الشمس حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، وتنهار الأخلاق في كل مكان، ونستولي على العالم وهو مخدر).

ودفعوا بماركس اليهودي في علم الاقتصاد الذي صور التاريخ أنه تاريخ البحث عن الطعام، وأبرزوا (دوركايم) في علم الاجتماع.

## المحاولات المعاصرة لإقامة الدولة اليهودية:

لقد كان كتاب موسى هيس (من روما إلى القدس) أول دعوة منظمة لإقامة دولة يهودية في فلسطين. وقد كان موسى هيس أستاذاً لماركس إذ يقول عنه ماركس (لقد اتخذت هذا العبقري هيس لي مثالاً وقدوة).

وقد سبق هيس نابليون الذي أعلن في (١٧٩٩/٤/٢٠م) في الجريدة الرسمية الفرنسية إعلاناً دعا فيه اليهود للالتحاق بجيشه ليدخلوا معه القدس.

وبعد هيس جاء هيرتزل وكتب كتابه (الدولة اليهودية محاولة إيجاد حل عصري للمسألة اليهودية) في (١٤) فبراير سنة (١٨٩٦م). وادعى هيرتزل أنه رأى المسيح في المنام وحمله على جناحه إلى السماء حيث التقى بموسى عليه السلام. فقال موسى عليه السلام: من أجل هذا الصبي كنت أصلي.

ويقال: أن هرتزل هذا الصحفي النمساوي قد حضر محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي (دريفوس)، وصدر الحكم ضد دريفوس، وشعر هرتزل بالظلم الذي حل بدريفوس بسبب يهوديته، فخرج من المحكمة يصيح ويقول (من شاء أن ينصف فليتنصر)، وقرر أن ينذر نفسه لإقامة دولة لليهود.

## سبب اختيار فلسطين:

ويبدو أن السبب الحقيقي لاختيار فلسطين كدولة لليهود: أنها أرض الهيكل، ومثوى داود وسليمان عليهما السلام، اللذين أقاما دولة مدة سبعين سنة لبني إسرائيل في القدس (١٠٤٠-٩٧٠ ق.م).

ولا بد لأي تجمع من فكرة يلتقي عليها الناس، فإذا كانت الفكرة دينية وعقدية فإنها تجد تجاوباً من أعماق النفس البشرية، وتندفع النفس للتضحية والبذل لتحقيق أهدافها الدينية المنبعثة من الداخل، أكثر من الأهداف السياسية.

أما بالنسبة للغرب -خاصة بريطانيا- وبعض اليهود الآخرين فقد كان هدفهم كما قال ناحوم جولدمان (رئيس المؤتمر اليهودي العالمي) في محاضرة في كندا مونتريال: (لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي والديني بالنسبة إليهم، ولا لأن مياه البحر الميت تعطي بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليون دولار من المعادن وأشباه المعادن، وليس لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأمريكيين مجتمعين، بل: لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وإفريقيا، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم، ولأنها المركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم).

---

١- أنظر الأفعى اليهودية لعبد الله التل ص(٤٥)، يا مسلمي العالم اتحدوا، التاريخ السري للعلاقات الشيوعية اليهودية ص(٣٢)، حكومة العالم الخفية ص(٣٢)، الشيوعية وليدة الصهيونية لأحمد العطار، واقرأ كتابنا (السرطان الأحمر).

ولقد عرضت أماكن أخرى على اليهود لإقامة الدولة، ولكنها لم تحظ بالتأييد والقبول من قبل اليهود، مثل أوغندة، صحراء سيناء، محميات شرق إفريقيا، هضبة جواس نجشو، فقال وايزمن لرئيس وزراء بريطانيا: (لو أن موسى نفسه جاء يدعو اليهود إلى غير فلسطين ما تبعه أحد).

مؤتمر بال (٢٩-٣١) أغسطس (١٨٩٧م)، وقد قام المؤتمر بجهود هيرتزل ووايزمن، وهو أول مؤتمر للصهيونية العالمية في بال/سويسرا، وحضره (٢٠٤) من المندوبين، قرروا قيام دولة لليهود في فلسطين، وحدد هرتزل خمس سنوات لقيامها، ثم قال: ولكن لن تزيد عن خمسين عاماً.

## السلطان عبدالحميد (القمة الشامخة والقلعة الصامدة) في وجه المطامع اليهودية:

لقد بدأ اتصال اليهود بالسلطان عبدالحميد منذ (١٨٨٢م)، عندما قدمت جمعية (أحباء صهيون) طلباً للقنصل العثماني في أوديسا (روسيا) يطلبون الإقامة في فلسطين، فكان رد السلطان: (تحيط الحكومة العثمانية علماً جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى تركيا بأنه لا يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين).

فثارت ثائرة اليهود الذي أرسلوا الوفد تلو الوفد، والتي لا تسمع إلا الرفض من السلطان، وتدخل السفير الأمريكي فقال السلطان: (إنني لن أسمح لليهود بالاستقرار في فلسطين ما دامت الإمبراطورية العثمانية قائمة، وقابل هرتزل سنة (١٨٩٦م) السلطان للسماح بإقامة مستعمرة واحدة في القدس، فقال السلطان: (إن الإمبراطورية العثمانية ملك العثمانيين الذين لا يمكن أن يوافقوا على هذا الأمر، فاحفظوا أموالكم في جيوبكم).

وبعد مؤتمر بال نشطت الحركة الصهيونية، مما دفع السلطان أن يصدر قراره المشهور الذي بلغ به جميع ممثلي دول العالم في استانبول سنة (١٩٠٠م) بمنع الحجاج اليهود من الإقامة في فلسطين أكثر من ثلاثة شهور، وعليهم تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين، ويتسلم بدلاً منها إذن إقامة من موظفي الباب العالي في الميناء الذي يدخلون منه، وكل من لا يغادر البلاد خلال المدة سيطرد بالقوة، وأصدر السلطان إذن الإقامة (الجواز الأحمر) لليهود حتى يسهل طردهم، ولذا فقد رأى اليهود بعد تمكنهم أن يفرضوا اللون الأحمر على الجوازات الدبلوماسية التي لا يفتش أصحابها في المطارات الدولية!!

وفي سنة (١٩٠١م) أصدر السلطان قراراً يحرم فيه على اليهود شراء أي قطعة أرض في فلسطين. فماذا علينا لو أنشدنا الخليفة السلطان:

*هو الشجاع يعد البخل من جبن*     *وهو الجواد يعد الجبن من بخل*
*لقد رأت كل عين منك مالئها*     *وجربت خير سيف خيرة الدول*

ولم ييأس هرتزل، وشكل وفداً مع (قرصو) سنة (١٩٠٢م) وتوجه إلى السلطان بعروض مغرية، وطلب مقابلة السلطان، فرفض السلطان المقابلة، فدفعوا العروض إلى رئيس وزرائه (تحسين باشا).

## العروض المغرية على السلطان عبدالحميد:

١- مائة وخمسون مليون ليرة إنجليزية لجيب السلطان الخاص.

٢- وفاء جميع ديون الدولة العثمانية البالغة (٣٣) مليون ليرة إنجليزية ذهبية.

٣- بناء أسطول لحماية الإمبراطورية، بتكاليف قدرها مائة وعشرون مليون فرنك ذهبي.

٤- تقديم قرض بـ (٣٥) مليون ليرة ذهبية دون فوائد لإنعاش مالية الدولة.

٥- بناء جامعة عثمانية في القدس.

وقد رد السلطان عبدالحميد -كما جاء في مذكرات هرتزل نفسه-: (انصحوا الدكتور هرتزل بأن لا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، إنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل

هذه الأرض ورواها بدمه، فليحفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت إمبراطوريتي يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسط ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي، وهذا أمر لا يكون، إ أستطيع أن أوافق على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة).

إن الحفاظ على الدين والأرض والدم والعرض قضية باهظة التكاليف، عالية الضرائب، لا يصمد لإغراءاتها وتهديدات النفوس المتكلة على الله، المستعصمة بحبله، الملتجئة إلى حماه، المستعلية بإيمانها على حطام الدنيا ومتاعها، المشمخرة بيقينه الجبروت والطاغوت.

وللأسف العميق أن عبد الحميد ذهب مظلوماً، وبقيت الألسنة تنهش لحمه ومضى غير مأسوف عليه من قبل المسلمين، مع بالدكتاتورية والغطرسة والصلف، وبقي مغموط الشأن مغمور الشرف حتى نشرت مذكرات هرتزل بعد سنة (١٩٢٠م)، فعرف مكانته ذات الشأو الرفيع، وندموا ولات ساعة مندم.

ولكننا نقول: إن جهل المسلمون حقه عليهم، وإن لم يعرفوا تضحياته، فإن رب العزة لا يضل ولا ينسى، ونرجو الله أن يج المواقف الشامخة في صفحاته يوم تضع كل مثقلة حملها في الميزان.

وصمم اليهود بعد هذه المقابلة أن يطيحوا بالسلطان، وأرسل إليه قرصو برقية يقول فيها (ستدفع ثمن هذه المقابلة من ونفسك).

فحاولوا نسف المنصة التي يجلس عليها السلطان في صلاة الجمعة بسيارة متفجرات فأنجاه الله، ثم بدأوا يتصلون با ل وكبار الموظفين من خلال المحافل الماسونية، ونشروا المحافل الماسونية -خاصة في سالونيك-، وطالبوا بإعلان الدستور (م اليهود والنصارى مع المسلمين)، وتحركت بعض قطاعات الجيش، وأجبروا السلطان في (٢٣) تموز سنة (١٩٠٨م) على الدستور، وبعد هذا انتخب مجلس المبعوثان (النواب)، ودخل فيه اليهود والنصارى ممن تربوا في المحافل الماسونية، وخلال أشهر في (٢٧) إبريل (١٩٠٩م) أقصي السلطان عبد الحميد عن الحكم على يد جمعية (تركيا الفتاة: جون تركيا).

وفي الليلة التي أقصي فيها عبد الحميد نستطيع أن نسجل حدثين عظيمين:

١- غياب الإسلام الفعلي عن الوجود والشهود.

٢- سقوط فلسطين بيد اليهود.

وجاءت جمعية الاتحاد والترقي مع تركيا الفتاة (الماسونية) إلى الحكم، وبدأ التمهيد لهجرة اليهود إلى فلسطين.

لقد كانت تنحية السلطان أعظم ضربة وجهت إلى الإسلام في بداية هذا القرن، وارتفع عدد اليهود نتيجة لذلك من (٣ سنة (١٨٨٠م) إلى (٨٥) ألفاً سنة (١٩١٣م)، ثم نقص عدد اليهود في الحرب العالمية الأولى بسبب المجاعة، فنقص عدد اليه (٨٥) ألفاً إلى (٥٥) ألفاً.

## سقوط تركيا والقدس معاً:

ثم وقف العرب بجانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، وأغمدوا أنصالهم في قلب تركيا المسلمة مقابل وعود بريطانيا الشريف حسين ملك العرب!!.

ثم اتفقت بريطانيا وفرنسا على تقسيم ممتلكات تركيا فيما إذا هزمت، وذلك في معاهدت (سايكس بيكو) في ماي (١٩١٦م).

واتفق اللنبي القائد الإنجليزي مع مصطفى كمال أتاتورك سراً -قائد الجيش الثاني في فلسطين- وسمح لخيالة اللن يضربوا مؤخرة الجيوش التركية الأربعة مقابل تسليم تركيا فيما بعد، وفعلاً حدث وانسحب أتاتورك ووقع (مائة ألف من ال التركية في أسر الإنجليز)، ودخل اللنبي القدس في (٩/١١/١٩١٧م)، وأطلق كلمته المدوية التي تعبر عن الحقد العميق: (الآن الحروب الصليبية)، يقول لورنس -ملك الصحراء العربية وضابط المخابرات البريطانية الذي قاد الثورة العربية ضد تركيا-: إذ

فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي، لأن دم إنجليزي واحد أحب إلي من جميع الشعوب التي نحكمها، ولم تكلفنا الثورة العربية سوى عشرة ملايين دينار.

## وعد لينين ووعد بلفور:

وفي أكتوبر سنة (١٩١٧م) صدر وعد لينين لليهود بوطن قومي في فلسطين، وفي (٢) نوفمبر (١٩١٧م) صدر وعد بلفور لليهود بوطن قومي في فلسطين، واسم بلفور الأصلي (آرثر جيمس).

وقد وافقت فرنسا على وعد بلفور بعد صدوره بثلاثة أشهر (فبراير سنة ١٩١٨م)، ووافقت أمريكا رسمياً سنة (١٩٢٢م) واحتج العرب بمظاهرات على قرار بلفور في معظم العواصم الإسلامية وقالوا: إعلان ممن لا يملك لمن لا يستحق.

## الانتداب البريطاني على فلسطين:

في أول جولي (تموز) سنة (١٩٢٠م) عينت بريطانيا هربرت صموئيل (اليهودي) مندوباً سامياً على فلسطين، وفي (٢٤) تموز من نفس العام أقرت عصبة الأمم انتداب بريطانيا على فلسطين، فبدأ صموئيل يشجع الهجرة اليهودية ويهبهم الأراضي الفلسطينية.

وقد تضاعف عدد اليهود من سنة (١٩١٨م-١٩٢٨م) ثلاثة أضعاف، فقد أصبح عددهم (١٧٥) ألفاً، وأنشأوا الجامعة العبرية، والوكالة اليهودية التي نص عليه صك الانتداب، ومحطة فلسطين للكهرباء التي أسهمت بنصيب وافر في إنشاء المستعمرات.

وقد قام الإخوان سنة (١٩٤٨م) بنسف بعض المحلات في حارة اليهود، فوجدوا أن معظم المحلات تزين جدرانها بصور هرتزل وصورة (محطة فلسطين للكهرباء).

## الخطة العشرية لقيام دولة اليهود:

قرر اليهود تنفيذ مخططهم على خطوات، مدة كل خطوة عشر سنوات.

١- في سنة (١٨٩٧م) مؤتمر بال.

٢- في سنة (١٩٠٧م) كان العمل الماسوني المنظم لإسقاط السلطان عبد الحميد من أجل هجرة اليهود.

٣- في سنة (١٩١٧م) وعد لينين ووعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

٤- في سنة (١٩٢٧م) زيادة بناء المستعمرات، وشراء الأراضي من عائلات سرسق وتيانا والإنجليز.

٥- في سنة (١٩٣٧م) بدأت بإنشاء القوات النظامية لليهود، وأصبح لديهم عصابات إرهابية مسلحة، لديها كميات من الأسلحة والذخيرة، اشترك فيلق يهودي مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية لأخذ الدربة والتدريب والتجربة.

٦- في سنة (١٩٤٧م) قرار التقسيم الذي أقرته هيئة الأمم في (٢٩) نوفمبر، ثم حلت جماعة الإخوان، ثم قتلت البنا.

٧- سنة (١٩٥٦م) احتلت سيناء وغزة بعد ضرب الحركة الإسلامية وإعدام عبد القادر عودة ومحمد فرغلي ويوسف طلعت وإخوانهم.

٨- في سنة (١٩٦٧م) النكبة الكبرى واحتلت كل فلسطين والجولان وسيناء بعد ضرب حركة الإخوان وإعدام سيد قطب وإخوانه.

٩- في سنة (١٩٧٧م) الهجوم على لبنان ومعاهدة كامب ديفيد وبداية ضرب التجمعات الإسلامية على يد السادات، صالح سرية (الفنية العسكرية) وجماعة المسلمين.

## وقفة لا بد منها:

مما لا شك فيه أن قيام دولة إسرائيل كان بمؤامرة عالمية واتفاق دولي، ولكن لا بد أن يكون واضحاً في الأذهان أن الجهود الضخمة التي قدمها اليهود، والمعاناة المريرة طيلة الخمسين عاماً لم تكن أمراً سهلاً ولا ميسوراً، وأن قيام الدولة كان ثمرة دماء وعرق وسهر ورعب، فاليهودي الأمريكي أو البولندي الذي ترك وطنه وخاطر بنفسه وعاش مهدداً في فلسطين أربعين سنة أو أكثر يحيى على

أعصابه، ويتوقع الموت في كل لحظة من أجل أرض الميعاد والآباء والأجداد لم تكن حياته في أمن ورفاهية، بل ضحى بكل شيء لأجل أرض الأجداد والميعاد، ولقد كانت التضحيات بالأموال، والإنسلاخ من الوطن الأصلي، والاستعلاء على الأشواق التي كانت تشدهم إلى أهاليهم في أوروبا وأمريكا أمراً ضخماً، أضف إلى هذا أنهم قد جهدوا في بناء مستعمراتهم في جو من الرعب والخوف، وكذلك إنشاء منظماتهم العسكرية التي تقذف بنفسها في أتون الحرب الثانية من أجل الاستعداد للمعركة القادمة مع الفلسطينيين كان أمراً ضخماً كذلك، فعندما أقرت الأمم المتحدة قرار التقسيم كان لدى اليهود خمسة وسبعون ألفاً من المسلحين المدربين موزعة على عصابات منظمة: الهاغانا: ستون ألفاً، البالماخ: خمسة آلاف، الأرغون: خمسة آلاف، شتيرن: ألفا مقاتل.

وإن الإصرار على بناء دولة في أرض الميعاد كان ذا ضريبة عالية. فلقد كلف اليهود الكثير، وما برز بن غوريون ولا دايان ولا بيغن إلا من خلال المعارك التي خاضوها، والبناء التربوي الهادي، ذي النفس الطويل.

هؤلاء أعداؤنا وهذا إعدادهم، فماذا أعددنا إزاء هذا الجهد الضخم الذي قدمه هؤلاء؟ والمشاق التي تكبدوها على باطلهم؟ وعندما اختلفوا مع مندوب الأمم المتحدة (الكونت برنادوت) قتلوه.

وقد اختلف اليهود مع بريطانيا بسبب حرص اليهود على تدفق الهجرة سنة (١٩٤٦م) وكانت بريطانيا تريد أن تنظم الهجرة، فبدأ اليهود يهاجمون المراكز البريطانية ويقتلون جنودهم، فهاجم وايزمن بريطانيا بسبب عرقلتها هجرة مائة ألف يهودي إلى فلسطين، واتهمت القوات البريطانية مقر الوكالة اليهودية، وصادرت وثائق تدين الوكالة بالإرهاب، وأودعتها فندق الملك داوود بالقدس في مقر القيادة البريطانية، فأدخل اليهود المتفجرات في براميل الحليب إلى مطبخ الفندق وفجروها، فانهار الفندق بطبقاته الست وقتل (٤١) عربياً و(٣٨) بريطانياً و(١٧) يهودياً وجرح آخرون.

ليت شعري بعد هذا كم زعيماً بريطانياً قتلنا؟ مع أنهم يتعلمون الرماية بأبناء فلسطين كأغراض لرصاصهم بدل الحجارة أو الأهداف.

## جهاد شعب فلسطين ضد اليهود:

لقد سقط فوق أرض فلسطين عشرة ملايين شهيد من المسلمين عبر الأدوار التاريخية المتعاقبة.

**أما بالنسبة لوقوفهم أمام اليهود:**

١- في (٢٧) فبراير سنة (١٩٢٠م) قامت مظاهرة من المسجد الأقصى ضمت أربعين ألفاً سلمت قناصل الدول الكبرى في القدس مذكرات ضد وعد بلفور والهجرة اليهودية.

٢- في اليوم الأول من مارس سنة (١٩٢٠م) بدأ أول عمل مسلح ضد اليهود في مستوطنة المتلا قتل سبعة يهود منهم كابتن.

٣- في (١٩٢٠/٣/٢٨م) زار تشرشل القدس، فقابله وفد برئاسة موسى كاظم الحسيني -رئيس البلدية- محتجاً، فأجاب تشرشل: إن بريطانيا ملتزمة بتنفيذ وعد بلفور.

٤- في منتصف أيار سنة (١٩٢٠م) هاجم ثلاثة آلاف عربي مستوطنة بتاح تكفا -قرب يافا- واستمرت المناوشات أسبوعاً، وأسفرت المعركة بعد تدخل الدبابات البريطانية ضد العرب عن استشهاد (١٠٨) وجرح (٧٥) عربياً وقتل (٤٧) يهودياً وجرح (١٤٦).

٥- ثورة البراق من (١٦آب-٢٦ آب) سنة (١٩٢٩م) سقط نتيجتها (١٣٣) يهودياً وجرح (٣٣٩) واستشهد (١١٦) عربياً و(٢٣٢) جريحاً.

وصدر حكم الإعدام على عطا الزير ومحمد جمجوم من الخليل وفؤاد حجازي من صفد، وقد نفذ الإعدام في حزيران (١٩٣٠م).

٦- المؤتمر الإسلامي الأول برئاسة الحاج أمين الحسيني (٢٧) رجب (١٣٥٠هـ) الموافق (١٩٣١م)

٧- (١٩٣٣م) أكتوبر قامت مظاهرات عنيفة في معظم أرجاء فلسطين احتجاجاً على بريطانيا.

٨- (١٩٣٥م) عقد مؤتمر حضره خمسمائة شخصية فلسطينية أصدر قراراً بحظر بيع الأراضي لليهود.

٩- حركة القسام: فطن الشيخ القسام منذ (١٩٢١م) إلى تربية جيل على حب الجهاد ويحرضهم على القتال، وشكل مجموعة ورباها قوامها مائتا رجل، وبثهم في أرجاء فلسطين يضربون المستوطنات، وكان رئيساً لجمعية الشبان المسلمين في حيفا، وكان يدرس في مسجد الاستقلال، وفي العشرين من نوفمبر سنة (١٩٣٥م) خرج إلى أحراش (يعبد) قرب جنين، فوجهت بريطانيا إليه قوة، واستشهد مع مجاهدَيْن من أصحابه، ولقد أرسل الأستاذ البنا أخاه عبد الرحمن البنا للاتصال مع القسام، وكان القسام قد التقى به في القاهرة.

ولقد كان لاستشهاد الشيخ أثر كبير في تفجير الحماس في أعماق الشعب الفلسطيني، وقد حمل المسلمون جثة الشيخ وصاحبيه وعلى مسافة طولها خمسة كيلو مترات، وصليت صلاة الغائب عليه في معظم مساجد فلسطين في يوم الجمعة (١٩٣٥/١١/٢٢م)، وأصبح القسام رمزاً للجهاد وعنواناً للبطولة والكفاح.

*وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم*

١٠- ثورة (١٩٣٦م) أطول إضراب في التاريخ من (١٥) إبريل حتى الثامن من أكتوبر من نفس العام، وقد كانت بريطانيا تحاول بستين ألف جندي بريطاني يقاتلون مع اليهود أن تفك الإضراب ففشلت، وأخيراً وسطت الدول العربية التي خدعت الشعب الفلسطيني، فأذيع البيان التالي من الحكومات العربية يوم الإسراء والمعراج: (لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين، فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للإخلاد للسكينة حقناً للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية)، وقد كان الإضراب مصحوباً بجهاد مسلح، وانضم إلى الفلسطينيين مجاهدون مسلحون من سوريا ولبنان والعراق، حيث تسلم فوزي القاوقجي قيادة المجاهدين (الثوار على حد وصفهم)، وفي أثناء الإضراب (٢٥) نيسان (إبريل) (١٩٣٦م) تشكلت الهيئة العربية العليا برئاسة المفتي الحاج أمين الحسيني، هذا الرجل الصابر الذي لم توهنه بنات الدهر، ولم تهد عزمه السنون العجاف.

**(فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا)** (آل عمران: ١٤٦)

## الجامعة العربية:

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية: وعلق الحاج أمين الحسيني آمالاً عراضاً على ألمانيا، ثم كتب الله لألمانيا أن تهزم، فخرج الحاج أمين الحسيني إلى سويسرا، ثم رجع واستقر في بيروت.

وفي أثناء الحرب الثانية دخل الفيلق اليهودي مع الحلفاء، فأخذ الدربة والتدريب استعداداً للمعركة القادمة مع أهل فلسطين.

سنة (١٩٤٥م) في الثاني والعشرين من آذار قامت جامعة الدول العربية وكان إيدن -رئيس وزراء بريطانيا- صاحب فكرتها وكان للجامعة حسناتها وسلبياتها.

ومن سلبياتها إخراج القضية الفلسطينية من أيدي أصحابها، وعقدت الجامعة عدة اجتماعات للقمة العربية منها مؤتمر دعا إليه فاروق في (إنشاص) (٢٨-٢٩) أيار سنة (١٩٤٦م)، وكان الإجتماع الثاني في بلودان (سوريا) (٨-١٢) حزيران سنة (١٩٤٦م)، وصدر قرار بتعيين جمال الحسيني رئيساً للهيئة العربية العليا نيابة عن الحاج أمين الحسيني الذي استقر في لبنان بعد مطاردات بريطانيا له.

في (٢٩) تشرين الثاني نوفمبر سنة (١٩٤٧م) اجتمعت هيئة الأمم وصوتت بأكثرية الثلثين على قرار تقسيم فلسطين، ورفض العرب القرار، واجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في (١٩٤٧/١٢/٨م) وأقرت ما يلي:

١- تخصيص مليون جنيه للقتال (للكفاح المسلح).

٢- عينت عبدالقادر الحسيني قائداً عاماً للجهاد المقدس الذي يعتمد على المتطوعين من فلسطين.

٣- قررت دخول الجيوش العربية بعد انتهاء الانتداب البريطاني في (١٥) أيار (١٩٤٨م).

بدأت الجامعة العربية بالتدريب، وذلك بعد اتفاق حسن البنا -مرشد الإخوان المسلمين- مع عبد الرحمن عزام -الأمين العام للجامعة العربية- على تشكيل (هيئة وادي النيل لإنقاذ فلسطين ورئيسها محمد علي علوبة باشا)، وكان الحاج أمين الحسيني أحد أعضائها، وفي بيت علوبة باشا تعرف الحاج أمين الحسيني على حسن البنا.

وجهت الجامعة العربية نداء إلى الدول العربية أن تفتح معسكرات لتدريب المتطوعين، فسلمت معسكر الهاكستب للجامعة، وفي سوريا فتح معسكر قطنه.

في (١٠) فبراير سنة (١٩٤٨م) بدأت بريطانيا تنسحب من بعض المناطق وتسليمها إما إلى العرب أو إلى منظمة الهاغانا، بمقتضى قرار التقسيم.

في (٦) مارس (آذار) سنة (١٩٤٨م) دخل فلسطين جيش الإنقاذ الذي يعد ثلاثة آلاف بقيادة فوزي القاوقجي (لبناني تدور حوله الشبهات) وذلك بإذن من الجنرال الإنجليزي جلوب قائد الجيش الأردني.

خاضت القوات العربية معارك ناجحة ضد اليهود ولكن القاوقجي انسحب بجيشه مما أدى إلى نتائج سيئة.

## سقوط المدن الفلسطينية:

١- في (٢٨) نيسان (١٩٤٨م) هاجمت قوات الأرغون يافا، فانسحب جيش الإنقاذ، فدارت معركة بين أهلها يدعمهم المجاهدون اليوغسلاف وسقط ألفان وخمسمائة شهيد، ثم هاجر أهلها بحراً.

٢- في الثامن من إبريل (نيسان) (١٩٤٨م) قام اليهود بمذبحة دير ياسين وقتلوا مائتين وخمسين من أهلها، فقام العرب بحملة دعائية كبيرة ضد اليهود، مما أدى إلى نتائج عكسية، وهو أنهم بثوا الرعب في قلوب أهل فلسطين، فصاروا يهربون بمجرد وصول العصابات الإسرائيلية. وفي نفس اليوم دارت معركة القسطل واستشهد عبدالقادر الحسيني.

في (١٨) نيسان سقطت طبريا، وفي (٢١) نيسان طوق اليهود حيفا من الجهات الثلاث عدا البحر حتى يسمحوا لأهلها بالفرار، وفر أهلها إلا خمسة آلاف.

(١٠) مايو (أيار) سقطت صفد، (١٢) مايو سقطت بيسان.

## قيام دولة اليهود:

في الرابع عشر من آيار (مايو) سنة (١٩٤٨م) غادر المندوب السامي البريطاني فلسطين عن طريق حيفا إلى إنجلترا، وفي هذا اليوم بالذات اجتمع المجلس الأعلى لليهود في متحف تل أبيب يوم الجمعة الرابعة مساء وأعلن قيام دولة إسرائيل، فاعترفت بها الولايات المتحدة فوراً، ثم اعترفت بها بقية الدول الكبرى.

وفي (١٥) أيار دخلت الجيوش العربية بقيادة الأمير عبد الله والجنرال الإنجليزي جلوب باشا، وفي (١٩) أيار سقطت مدينة عكا، وفي (٢) حزيران دخل اليهود جنين، وأخذ القائد العراقي عمر علي على عاتقه مقاومة اليهود، وعمل فيهم مقتلة عظيمة، فخسر اليهود فيها ألف قتيل وستمائة جريح، وكانت مكافأة عمر على أن حوكم محكمة عسكرية في بغداد بعد عودته لهذا التصرف وهو التمرد على الأوامر.

(١١) حزيران (يونيو) سنة (١٩٤٨م) فرضت أمريكا -بطلب من اليهود- على الدول العربية قبول الهدنة الأولى، وفرضت الهدنة على الجيوش العربية، وحتى على المجاهدين القادمين من مصر من الإخوان المسلمين، لأن قيادة المجاهدين كانت مرتبطة بقيادة الجيش المصري (بسبب الجامعة العربية)، ومدة الهدنة أربعة أسابيع استورد اليهود فيها السلاح من تشيكوسلوفاكيا، وجاء المهاجرون واستعاد اليهود توازنهم.

(١١) تموز سنة (١٩٤٨م) سقطت اللد والرملة في ساعتين، ودخلت الدبابات الإسرائيلية تحمل العلم الأردني.

(١٧) أيلول سنة (١٩٤٨م) قتل اليهود الكونت برنادوت الوسيط الدولي.

(٢٣) أيلول أعلن الحاج أمين الحسيني قيام حكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي في غزه.

(١٥) تشرين الأول بدأ احتلال بئر السبع.

(١) كانون الأول سنة (١٩٤٨م) عقد مؤتمر أريحا بوجود الملك عبد الله، وتقرر ضم الضفة الغربية للاردن، وأصبح اسمها المملكة الأردنية الهاشمية.

## اتفاقيات الهدنة للاعتراف بدولة إسرائيل:

وهكذا كما ترى المسرحية التي تم من خلالها تشريد شعب بكامله، واغتصاب أرضه وتسليمها لليهود، وقد اشترك العالم كله في تمزيق هذا الشعب وتحطيم نفسيته، وليت الدول العربية ما دخلت فلسطين، لأنها دخلت لتسلم الأراضي لليهود، وصيانة نبتتها الناشئة من أعاصير الرياح الإسلامية التي يمكن أن تعصف بها، وما خدع شعب أو ظلم أكثر من الشعب الفلسطيني.

فلقد دخلت الجيوش العربية لتسليم الأراضي لليهود، وكان دور الأسلحة الفاسدة التي أرسلها الملك فاروق جد مدمر للنفسية العربية والإسلامية.

وكذلك قام الجيش العراقي بالدور الموكل إليه على الوجه الأكمل، وكلمته التي كان يرددها كلما استنجد الشعب الفلسطيني به (ماكو أوامر) لا زالت مرارتها تسري لهيباً في دماء أبناء فلسطين.

وأما الجيش الأردني فحدث عن دور قائده الإنجليزي الجنرال كلوب باشا ولا حرج، فقد جاء ليستلم مواقع المجاهدين من الإخوان القادمين من مصر، وقد كان القائد الأردني الذي يستلم مواقع مار الياس اسمه عبد القادر يسير مع موسى دايان ليسلمه الخنادق والمراكز الواحد تلو الآخر، وكان حسين حجازي القائد المصري من الإخوان المسلمين قد رفض أن يسلم مواقع مار الياس إلى سبعة من الجيش معهم شاويش، فصاح حسين حجازي بالشاويش (انصرف راجعاً) كيف تحمون موقعاً فيه ثلاثمائة مجاهد واثنا عشر ضابطاً بسبعة من الجنود؟ وهنا ظن عبدالقادر أن حسيناً من أبناء فلسطين، فشتم أبناء فلسطين قائلاً: أنتم خونة بعتم أرضكم!!

## قصة أبي جهل مع العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

وتحضرني في هذا المقام قصة أبي جهل مع العباس رضي الله عنه إذ كانا يسيران ذات يوم -بعد هجرة الرسول ﷺ مع أصحابه من مكة فراراً بدينهم ونجاة بعقيدتهم-، فمرا على البيوت التي صوحت من أصحابها، وأقفرت من سكانها، فقال العباس:

*وكل دار وإن طال سلامتهــــــــا يوماً ستدركها النكباء والحوب*

فقال أبو جهل: هذا فعل ابن أخيك.

نعم، وبعد الحيف والظلم وحرب الجوع والإبادة والمقاطعة والتشريد للنبي ﷺ وأصحابه الكرام يحمل أبو جهل مغبة ما حصل للرسول ﷺ: هذا فعل ابن أخيك.

ولذا فعبد القادر -بعد المؤامرة التي مزقت هذا الشعب وباعت أرضه وعرضه ودمه- يقول: أنتم خونة أيها الفلسطينيون، وقد كان بجانبه دايان يسلمه عبد القادر الموقع تلو الموقع!!.

## طعنات تلو طعنات:

وبعد أن قامت الجيوش العربية بدورها المحدد -وهو تسليم الأرض لليهود-، قامت كثير من الألسنة تلوك أعراض أبناء فلسطين الممزقة، وتنهش لحومهم بعد أن مزقتها بالحراب، وكما قال أبو الطيب:

*أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام*

*جرحت مجرحاً لم يبق فيه مكان للسيوف أو السهام*

والحق أن الأدلة الدامغة ترد هذا الافتراء، وتدحض هذا الادعاء، فقد كان اليهود يملكون حتى بداية سنة (١٩٤٨م) حوالي (٢) مليون دونم من أصل (٢٧.٢) مليون دونم، فقد كانت نسبة الأراضي عند إعلان قيام الدولة الإسرائيلية (٦ .٥٪) بينما احتلت إسرائيل في هذا اليوم (٧٧.٥٪) من الأراضي، وذلك بالتواطؤ مع الجيوش العربية.

ولقد كانت الأراضي التي تملكها (٢) مليون دونم معظمها بيع إليهم بأثمان رمزية، أو سلمت هدية بلا مقابل من الانتداب البريطاني، أما العائلات التي باعت فهي ليست من أصل فلسطيني، بل عائلات نصرانية من لبنان مثل (سرسق وتيان والمطران).

وإليك إحصائية تبين أن الشعب الفلسطيني بريء مما يصمونه به.

## الأراضي التي كان يملكها اليهود عند دخول الجيوش العربية:

**مساحة الأرض بالدونمات وكيفية امتلاك اليهود لها:**

(٦٥٠.٠٠٠) ستمائة وخمسون ألفاً اختلست بالرشوة من الولاة الأتراك في أواخر عهد الخلافة العثمانية.

(٣٠٠.٠٠٠) ثلاثمائة ألف منحة من المندوب السامي البريطاني للوكالة اليهودية بالمجان.

(٢٠٠.٠٠٠) مائتا ألف بيعت للوكالة اليهودية بثمن رمزي من حكومة الانتداب البريطاني.

(٤٠٠.٠٠٠) أربعمائة ألف (مرج ابن عامر) باعتها أسرة سرسق والمطران النصرانيتان.

(١٦٥.٠٠٠) مائة وخمسة وستون ألفاً أرض امتياز الحولة وبيسان مسجلة باسم السلطان عبد الحميد وأهدتها بريطانيا لليهود.

(٣٢.٠٠٠) اثنان وثلاثون ألفاً وادي الحوارث باعتها عائلة تيان البيروتية.

(٢٨٠٠٠) ثمانية وعشرون ألفاً جملة أراضي متطرفة في طول كرم وجنين وبيسان وعكا وصفد والناصرة، والبائعون لهذه الأراضي والوادي والحولة ومرج بني عامر ليسوا من أهل فلسطين بل إنهم من عائلات سرسق والمطران والجزائري والقباني والتيان من الجبل وسوريا، وكثير منهم ليسوا مسلمين.

(٣٠٠.٠٠٠) باعها فلسطينيون خونة لاقوا جزاءهم قتلاً وتذبيحاً على أيدي المجاهدين الثائرين.

(١.٤٢٥.٠٠٠) مليون وأربعمائة وخمسة وعشرون ألفاً أراضي أخرى سلمها المندوب السامي البريطاني للوكالة البريطانية في حيفا ويافا وصفد وعكا وطبريا، وذلك قبل رحيل آخر جندي بريطاني عن أرض فلسطين يوم (١٥/٥/١٩٤٨م).

(٣.٥٠٠.٠٠٠) جملة ما كان في حوزة اليهود من أرض حتى جلاء الإنجليز عنها.

ولعلك تسألني أيها الأخ الحبيب كيف امتلكت هذه العائلات النصرانية هذه الإقطاعيات الشاسعة من أرض فلسطين؟ خاصة في مرج ابن عامر الذي كان يضم أراضي أبي وجدي وأهل قريتي، فأجيبك حتى يزول اللبس من ذهنك.

لقد كان الحاكم التركي من جمعية الاتحاد والترقي التي كان يتحكم بها اليهود والماسونية تأخذ ضرائب وأتاوات عالية على الأرض، فأرادت أن تسجل الأراضي بأسماء أصحابها من أبناء فلسطين، فكانوا يفرون في الجبال، وتبحث عنهم، ثم تجبرهم على تسجيل أراضيهم بأسمائهم، وعندما كان يسأل أبناء العائلات المالكة عن أسناد وصكوك التمليك يخرجون بسيوفهم ويقولون: هذه صكوك أراضينا، ولذا بقيت الأرض دون تسجيل، فباعها حكام الأتراك الماسونيون إلى النصارى بثمن بخس دراهم معدودة.

## الأراضي التي تسلمها اليهود بعد دخول الجيوش العربية:

دخلت الجيوش العربية بعد جلاء الإنجليز في (١٥) مايو (أيار) سنة (١٩٤٨م) يقودها الجنرال الإنجليزي جلوب باشا، وقد تسلم جلوب الراية التي تركها له الانتداب ليواصل تسليم فلسطين لليهود، وقد عجز الانتداب في مدة ثلاثين عاماً أن يصنع ما صنعه جلوب، وقد حاول أن يهلك الجيش المصري المحاصر في الفالوجة، فعندما استنصحه قادة الجيش المصري نصحهم أن يلقي الجيش

المحاصر السلاح وأن يلبسوا لباس النساء ويخرجوا من بين اليهود، فأدرك القادة الخدعة ورفضوا.

وقد تسلم اليهود في عدة أشهر خمسة أضعاف ما استولوا عليه خلال خمسين عاماً.

**وإليك البيان التلصيلي بالأراضي التي استلموها غنيمة باردة:**

| مساحة الأراضي بالدونمات | أماكن صفقة التسليم |
|---|---|
| (٩٥٠٠٠٠) دونم | اللد والرملة |
| (٢.٠٠٠.٠٠٠) دونم | الجليلان الشرقي والغربي |
| (١.٦٧٥.٠٠٠) دونم | الشونة ومناطق الخليل |
| (١٢.٧٥٠.٠٠٠) دونم | صحراء النقب والممرات الإستراتيجية |

(١٧.٥٠٠.٠٠٠) دونم سبعة عشر مليون وخمسمائة ألف دونم من الأراضي العربية مجموع ما سلمت الدول العربية لليهود في فلسطين.

## أراضي القدس:

أما بالنسبة للقدس فقد كانت محط أنظار اليهود منذ أن فكروا بفلسطين -أرض الآباء والأجداد-، إذ أنها -في نظرهم- أرض الهيكل، وفيها سيكون العرش الذي يحكم من فوقه أحد أبناء داوود -عليه السلام- العالم كله.

ولذا يقول ابن غوريون: (لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل)، وقال ابن غوريون في (٧) يونيو (حزيران) (١٩٦٧م) عند دخول القدس القديمة والمسجد الأقصى: هذا أعز يوم مر علي منذ أن قدمت إسرائيل، إذ توحدت فيه شطرا العاصمة المقدسة (القدس).

وأما دايان فقال: (من أورشليم إلى يثرب).

وصاح الجنود اليهود في المسجد الأقصى: (محمد مات مات وخلف بنات) وكنت أسمعهم، وقد سقطت قريتنا قبله بيوم واحد.

## بيان باغتصاب اليهود لأرض القدس:

١- توزيع الملكية العقارية لأراضي القدس سنة (١٩١٨م) -خروج تركيا-: كانت الأراضي سنة (١٩١٨م) موزعة بالشكل التالي:

(٩٤٪) للعرب المسلمين والنصارى، (٤٪) لليهود، (٢٪) للطوائف الأجنبية.

٢- الملكية سنة (١٩٤٨م) (قبل نهاية الانتداب البريطاني): (٨٤٪) للعرب -مسلمين ونصارى-، (١٤٪) لليهود، (٢٪) للأجانب.

٣- الملكية سنة (١٩٤٨م) (بعد أن تسلم الجيش الأردني مواقع الإخوان في القدس وصور باهر، ثم انسحب عبد الله التل -قائد الجيش الأردني- وتسلمها اليهود): (٢٥٪) للعرب -مسلمين ونصارى-، (٧٣٪) لليهود، (٢٪) للأجانب.

٤- أما بالنسبة للقدس القديمة (التي بقيت بيد العرب عشرين عاماً بسبب رفض بعض المجاهدين من الإخوان المسلمين واليوغسلاف الانسحاب من المسجد الأقصى سنة (١٩٤٨م): أما مساحتها فهي (٩٢٧) دونماً، يملك اليهود منها أربعين دونماً فقط قبل الاحتلال سنة (١٩٦٧م)، وأما توزيع ملكيتها بعد سنة (١٩٧٦م) فكانت كالتالي: ((١٤٪ للعرب، (٨٤٪) لليهود، (٢٪) للأجانب). فهل رأيت يا صاح؟ أم أن فؤادك غير صاح؟

سكان دولة الاحتلال اليوم (٢.٩٠٠.٠٠٠) نسمة، باستثناء الضفة الغربية وقطاع غزة، يؤلف القادمون من الدول العربية منهم: (٦٥٪).

حضر من المغرب العربي بعد الاستقلال ستمائة وعشرون ألفاً، حضر من العراق مائتان وعشرون ألفاً، حضر من اليمن مائة ألف، والباقي من بلاد عربية مختلفة.

## ملف الذكريات من التجربة المرة:

لقد حفرت مأساة فلسطين بذكرياتها جراحات عميقة، سيما وقد عشناها بالدموع والدماء، وقد رأينا أرضنا تسلم سنة (١٩٤٩م) بعد معاهدة رودس، فقد سلم لقريتنا (سيلة الحارثية) (٣٨) ألف دونم من مرج ابن عامر في هذه المعاهدة على يد أحمد صدقي الجندي -قائد الجيش الأردني وممثل الأردن في معاهدة رودس في (٣) نيسان (إبريل) سنة (١٩٤٨م)-، وقد سلم بناء على المعاهدة المثلث الأخضر -أخصب أراضي فلسطين- وذلك رجحه على الصفقات السابقة:

*وبي مما رمتك به الليالي      جراحات لها في القلب عمق*

وقد رأيت أبناء قريتنا يعز عليهم أن تسلم أراضيهم بعد أن زرعوا بأيديهم الذرة في مرج ابن عامر، فجاء اليهود وقطفوا الذرة، وحصدوا القمح، فنزلت مجموعة من الشباب لحصد القمح الذي زرعوه، فأمسكت بهم العصابات اليهودية، وبقرت بطونهم، وملأتها قمحاً وشعيراً، ثم نصبتهم على أعمدة من حديد ليكونوا نكالاً لكل معتبر.

ورأيت قريتنا طيلة العشرين عاماً (١٩٤٩-١٩٦٧م) وهي ساقطة عسكرياً، إذ كان عداد القرية خمسة آلاف، بها مائة بندقية، مع كل بندقية مائة طلقة.

ورأيت قريتنا وهي تتجرع مآسيها بذلة، وتنتظر ابتلاعها لحظة لحظة، وهي تحرس من قبل أبناء القرية (الحرس الوطني) الذين يأخذون راتباً قدره ديناران أردنيان في الشهر، مع أن حراستهم طيلة الليل من المساء حتى الصباح ليلة بعد ليلة.

ورأيت اليهود يصلون بيتنا في ليالي كثيرة يراهم الناس في دوريات استكشافية، فيراهم توفيق[1] جارنا في حديقة بيته، فيخبر مركز الجيش في مدينة جنين، فيتهم بالخيانة، ويلقى رهن القيود في السجن يكنس اصطبل خيل الخيالة من الجيش الأردني، ويقدم إلى محكمة عسكرية، ولا ينجيه إلا الله ثم نصيحة أحد ضباط المحكمة قائلاً له بأن يدعي أنه كان يحلم في الليل فظن الأمر حقيقة!!.

ورأيت قريتنا وقد سلخت أرضها، وبقيت جدرانها تجأر إلى الله بالدعاء على أولئك الذين باعوا أرضها، وبقي أهل القرية يقتاتون الامهم، ويأكلون سغوبهم، ويمضغون فقرهم، يعيشون على حليب البقر الذي بقي موردهم الوحيد للاقتيات.

وذات يوم تنزل دورية يهودية إلى حدود القرية، وتسوق قطيع البقر، وتأخذه في رابعة النهار، ويذهب أبي مع بقية أعضاء المجلس القروي إلى صالح الشرع يستصرخون ويستنجدون لعلهم يردون إليهم موردهم الوحيد لعائلاتهم المحطمة فقراً، فكان رد صالح الشرع (ضابط الارتباط الأردني): ذهب بقر السيلة! الحمد لله! الآن استرحت!!.

وبعدها بفترة يرى مجموعة من فتية القرية المجاورة (زبوبا) قطيعاً للشياه اليهودية قرب الحدود، فينزلون ويسوقون القطيع، ووصلوا زبوبا، وأثناء نشوة النصر نحروا مجموعة من الشياه، فجاءت السلطات الأردنية وأودعتهم السجن، وأذاقتهم سوء العذاب بالسياط، واشترت مجموعة من الشياه وأوفتها الأربعمائة، ثم أعادتها إلى اليهود مع الاعتذار!!.

ورأيت (قاسم دواسه) يُقتل باب بيتنا من دورية يهودية.

## ذكريات (١٩٦٧م):

ورأيت دخول الدبابات اليهودية سنة (١٩٦٧م) تمر على مجموعة من القرى العزلاء من السلاح من بينها قريتنا ولا يطلق عليها سوى طلقات متفرقة من البنادق الإنجليزية (إلي انفيلد) من خمسة شباب كنت من بينهم، فجاء الشاويش الأردني وقد كان لنا مخلصاً أميناً، فنصحنا قائلاً: إن دبابة واحدة بإمكانها أن تمر عليكم وتدوسكم بجنزيرها دون أن يتحرك لمن في داخلها طرف.

وكنت في أثناء احتلال سنة (١٩٦٧م) في قريتنا، وسقطت الضفة الغربية، وسقط المسجد الأقصى دون أن يقتل حوله عشرة من الشباب أو الجيش الأردني!!.

---

١- هو توفيق الأمين الفحماوي.

وسمعت برقية الرئيس عبدالناصر للملك حسين التي التقطتها الإذاعة الإسرائيلية، وكانت تعيدها بين الفينة والأخرى أثناء المعركة يقول فيها (أسقطنا ثلثي طائرات العدو، طائراتنا فوق تل أبيب، شد حيلك يا جلالة الملك، التوقيع سلمى) سلمى اسم عبدالناصر في الشيفرة.

ورأيت النظام النصيري وقرأت لسعد جمعة رئيس وزراء الأردن -أثناء النكبة- في كتابه (المؤامرة ومعركة المصير): إن الأردن طلبت من سوريا الغطاء الجوي من القيادة القطرية في سوريا، فاستمهلوهم ساعة، ثم راجعوهم بعد ساعة فاستمهلوهم أخرى، ولا زالت الأردن حتى الآن تنتظر الغطاء الجوي.

قال سعد جمعه: ثم علمنا النبأ اليقين أن إسرائيل أرسلت إلى سفير دولة كبرى في دمشق -الامريكي- تقول فيها: إن إسرائيل تعطف على التجربة الاشتراكية العلوية، فإذا التزمت سوريا الصمت فإن إسرائيل لا تمسها، وأرسل السفير البرقية إلى القيادة القطرية فوافقت على الفور.

يقول حفيد تشرشل في كتاب (حرب الأيام الستة): في الوقت الذي كانت المدفعية السورية تلقي آلاف الأطنان من المتفجرات على الأعشاش الفارغة والقش اليابس، كانت جرافات البلدوزر الإسرائيلية تشق طريقها صاعدة إلى الجولان، وقد حصل أن تعطل جنزير إحدى الدبابات، فوجه قائدها مدفعه نحو الدبابات الصاعدة، فدمر ست دبابات إسرائيلية، مما أعاق تحرك الجيش الإسرائيلي ثماني ساعات في ذلك المحور.

ومما يندى له الجبين أن سفير سوريا في الأمم المتحدة أعلن سقوط القنيطرة بأيدي اليهود والسفير اليهودي أنكر ذلك.

وأما على الجبهة المصرية فحدث ولا حرج، وأحيلك إلى كتاب (تحطمت الطائرات عند الفجر) لباروخ نادل اليهودي، الذي بقي أربعة عشر عاماً سنة (١٩٥٣-١٩٦٧م)، ورتب حفلة ساهرة ليلة الخامس من حزيران سنة (١٩٦٧م) حضرها أربعمائة طيار، وبعد الثانية ليلاً قسم الضباط إلى قسمين: الضباط الذكور وسماهم الميج المصري، والضباط الإناث وسماهن الميراج الإسرائيلي، ويكمل باروخ القصة... ويغرق الجميع في الدن والراح ومستنقع الجنس الآسن، ولا ينصرفون إلا بعد الرابعة فجراً.

يقول باروخ نادل: وما غادرت سماء القاهرة إلا وقد رأيت الدخان يغطي سماءها من المطارات المحترقة التي أغارت عليها الطائرات الإسرائيلية الساعة الخامسة صباحاً.

وعايشت مسرحية استقالة عبدالناصر في الثامن من حزيران سنة (١٩٦٧م)، وقال في الاستقالة: لقد كنا نعلم مائة في المائة أن الهجوم يوم الإثنين الخامس من حزيران، اتصل بي السفير الأمريكي الساعة السابعة مساء وقال: لا تضرب، واتصل بي السفير الروسي الساعة الثالثة فجراً، وقال لا تضرب.

وقد كانت الضربة الأولى للطيران الإسرائيلي بعد ساعتين الخامسة صباحاً.

وقارنت بين موقف اليهود الذين يحركهم الدافع الديني كما تقول (ابنة دايان) في كتابها (جندي من إسرائيل): أن فرائصنا كانت ترتجف بسبب أنباء تجمع جيش العدو على الجبهة الجنوبية -مصر-، فجاء إلينا الحاخام فصلى وقرأ نصوصاً من التوراة فانقلب الخوف أمناً.

**أما الجيش المصري فكانت الإذاعة توجهه لأجل الربيع، لأجل الحياة، لأجل عشاق الحياة اضرب، وذلك بدلاً من (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) (وقاتلوا في سبيل الله...).**

وتقول له أجهزة الإعلام: أم كلثوم معك في المعركة، وعبد الحليم وشاديه معك في المعركة!

**بدل أن تقول له: الله معك في المعركة، أو تقول: (وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين).**

أما جريدة الجيش السوري فقد كتبت قبل شهر من المعركة بقلم إبراهيم إخلاص: (أن الله والرأسمالية والإمبريالية وكل القيم التي سادت في المجتمع السابق أصبحت دمى محنطة في متاحف التاريخ) (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً).

يا حسرة ما أكاد أحملها    آخـــرها مؤلم وأولهـــا

## ذكريات العمل الفدائي سنة (١٩٦٧-١٩٧٠م):

وواكبت العمل الفدائي سنة (١٩٦٧-١٩٧٠م)، وقد كانت بداية (فتح) نظيفة جادة، فيها شخصيات متزنة تحترمها لعط وجدها وثقلها، ثم رأيت الغثاء وقد طم وعم عليها، وكثر فيها الزبد بسبب الكوادر الواسعة التي لم تجد ما يملؤها سوى الهاربين من التجنيد الإجباري، أو الساقطين في امتحان الإعدادية العامة، أو الذين لم يجدوا عملاً في المجتمع، فالتجأوا إلى حمل السلاح دون تربية، والتقطتهم الأيدي اليسارية التي تتاجر بالدماء، وتختفي غالباً وراء أبواق أجهزة البث، لتبني قصور أمجادها على جماجم الطيبين من أبناء فلسطين، الشباب الأغرار الذين التقطهم ربتهم على اليسار والتمرد على الأديان جميعاً، وعلمتهم تمجيد لينين وستالين وجيفارا وماو وهوشي منه، ورفعت شعار العلمانية، وحاربت الملتزمين بأخلاقهم، وضيقت على الصادقين الجادين في مسيرتهم.

وجاء جورج حبش وشكل الجبهة الشعبية، ونايف حواتمه الشيوعي وشكل الجبهة الديمقراطية (وقد كادا يكونان جبهة واحدة وقد كان عبد الناصر يدعم كل من يحارب الإسلام)، وشكل الشيوعيون منظمة الأنصار التي لم تعمل عملية واحدة.

ثم جاء حزب البعث السوري وشكل الصاعقة السورية، وحزب البعث العراقي ونظم جبهة التحرير العربية العراقية.

واستدرجت الأردن هذه الجبهات كلها تهيء للمعركة معها، وتحصي عليها أخطاءها، وتعد عليها أنفاسها، وقد أثارت المنظمات الفدائية حفيظة النظام الأردني، وتطاولت كثيراً حتى ملأت شعاراتها جدران عمان بالدهان الأحمر والأسود وبالخط العريض (كل السلطة للمقاومة)، (عمان هانوي العرب)، (طريقنا إلى فلسطين إسقاط الحكم الرجعي في عمان).

واختطفوا ثلاث طائرات في يوم واحد من سماء أوروبا وجمعوها في الأزرق وفجروها.

ولقد كنت تحت الصواريخ والقذائف التي تتصبب على الناس من كل مكان في فتنة سنة (١٩٧٠م) (أيلول) بعد اتفاق الأردن وعبدالناصر على هذا.

وبعدها عشت محاصرة العمل الفدائي في المدن، وملاحقته من بيت إلى بيت، ومن جبل إلى جبل في عمان، وقد كانت أحداث سنة (١٩٧٠-١٩٧١م) في جميع المدن الأردنية مما تشيب له نواصي الولدان، حتى ظهرت الأمراض النفسية والعقلية بين الأطفال لكثرة الفزع الذي يهز كيانهم من إطلاق النار الذي قد لا يتوقف ليلاً ولا نهاراً.

وعشت أحداث تجميع الفدائيين في أحراش جرش بمعاهدات كثيرة بين وصفي التل -رئيس الوزراء الأردني- وبين زعماء المنظمات، ثم واكبنا أحداث سحق العمل الفدائي نهائياً في أحراش جرش من الدبابات الأردنية وإبادة الفدائيين، وقد كنت في القاهرة للدراسة يوم أن اغتيل وصفي التل في القاهرة على أبواب فندق شيراتون على يد بعض الشباب الفلسطيني انتقاماً، وتابعت أحداث إبادة الشعب الفلسطيني من الأردن إلى سوريا، ثم طردهم من سوريا وتجميعهم في لبنان، ثم المعركة التي قامت بين الفلسطينيين والموارنة في لبنان، وكادت المنظمة أن تحتل لبنان، ثم تنقلب الكفة بدخول النظام النصيري بإشارة من كارتر والوقوف بجانب النصارى ضد المسلمين وإبادة تل الزعتر.

وعايشنا الأحداث سنة (١٩٨٢م) إذ دخل اليهود لبنان، وحاصروا بيروت، وتدخل العرب رحمة بالأطفال الفلسطينيين كما يقولون، والخدعة التي انقادت بها المنظمة يوم أن رضيت أن تلقي سلاحها وتخرج عزلاء يوزعون كما توزع سبايا الحروب، ثم إبقاء النساء والأطفال في مخيمي صبرا وشاتيلا، والعمل بهم تقتيلاً وذبحاً، وبقر بطون النساء إرواء لغليل الحقد النصراني الماروني، وإرضاء للسادة اليهود.

وواكبنا الأحداث في جنوب لبنان، وبروز حقد جديد في المنطقة -حقد أمل الشيعية-، والتفت السيوف مع الرماح، ورشقت السهام المسلمين الفلسطينيين من كل جانب، حتى حق لنا أن نردد أشجاننا قائلين:

## تشديد حكومة فاروق:

بدأت مخابرات فاروق تطارد كل شاب يفتح فمه بحب الجهاد، وأخذت محطات البوليس تحاول انتزاع جوازات السفر من الشباب، وتحول دون رحلاتهم حتى في القطار من مصر إلى القناة.

ولذا كانت (هيئة وادي النيل) فتحاً عظيماً للإخوان، لأنها باسم الجامعة العربية التي لا تستطيع الدول العربية مقاومتها علنياً.

وكم كانت روح الإخوان وثابة وهي تتسابق إلى التسجيل للجهاد في فلسطين، ولقد كانت المشاعر ملتهبة والقلوب متوثبة والنفوس متحفزة حتى تصل إلى الأرض المباركة أرض الأقصى، وكم من الشباب كانوا يتفجرون بالبكاء لأن المرشد يردهم، أو لأن الدعوة لم تخترهم، ولقد أعلن عزام باشا أمين الجامعة أنه اتفق مع الدول العربية على إعداد معسكرات للتدريب على الأعمال الفدائية وحرب العصابات، وأن الجامعة العربية ستتكفل بالمتطوعين للجهاد طعاماً ولباساً وسفراً وسلاحاً وذخيرة، وقد اختير لتدريب الكتيبة الأولى في الهاكستب خيرة ضباط مصر، وتكونت الكتيبة بعد التدريب، وكانت صفوة أبناء الدعوة وعصارة أبناء مصر.

**الكتيبة الأولى مكونة من ثلاثمائة شخص:**

وهي تضم أربع سرايا، الأولى ثلاثة أرباعها من مصر الفتاة -أحمد حسين- وربعها من الإخوان.

السرية الثانية: ثلثاها من الإخوان وثلثها من مصر الفتاة.

السرية الثالثة: كلها من الإخوان.

السرية الرابعة: من الإخوان، واختير لقيادتها أحمد عبد العزيز (بكباشي أركان حرب) ضابط وطني فيه طيب، ويوزباشي عبدالمنعم عبدالرؤوف (من الإخوان)، وهو الذي أجبر الملك فاروق فيما بعد على التنازل عن العرش وسفره خارج مصر، وكان عبد المنعم قائداً للعمليات يساعده معروف الحضري في العمليات وهو من خيرة الإخوان، وكان معهم كمال الدين حسين من المحسوبين على الإخوان، واختاروا من الدعوة مجموعة من الضباط برتبة (ملازم ثاني)، وسارت الكتيبة على بركة الله، وكانت حقاً خيرة أبناء العالم الإسلامي أدت دوراً كبيراً في مواجهة اليهود.

**المعركة الأولى:**

كفار ديروم (١٢) مايو (١٩٤٨م)، ولقد كانت المستعمرة محصنة جداً ودفع الإخوة ثمناً باهظاً في اقتحامها، مما أدى إلى استشهاد مجموعة كبيرة من الإخوة، وقد كان الدكتور محمد غراب في هذه الغزوة، ولقد أرسل البنا كذلك الدكتور أحمد الملط إلى يافا لعمل مستشفى ميداني ومعه د. حسان حتحوت ود. خطاب بالاتفاق مع الهلال المصري.

## معسكر النسيرات:

وقد كونه الإخوان بعد أن انضمت قوات محمود عبده إلى الكتيبة الأولى، واستطاعوا أن يدمروا قافلة لليهود فيها إحدى عشرة مصفحة يتقدمها ونش كبير، وعندما قلبوا الجثث وجدوا وشم المنجل والمطرقة على أيديهم فعرفوا أنهم من يهود روسيا، وقد كانت ضربة موجعة لليهود.

## إلى معسكر البريج:

احتله الإخوان في (١) مايو بعد جلاء بريطانيا بيوم، وكان فيه كامل الشريف ومحمد فرغلي، ثم دخل الجيش المصري بقيادة المواوي، وأمر أحمد عبدالعزيز أن تكون قواته المتطوعة متنقلة، فتحرك أحمد عبدالعزيز من خان يونس إلى بئر السبع، وأمر عبدالمنعم عبدالرؤوف بالتحرك إلى العوجة، ولكنه توقف في العلوج لأنها محاطة بمعسكرات يهودية وقد تحتلها فتقطع الطريق بين الخليل وبئر السبع، وقصفت مستعمرات بيت إيشل، ثم تحرك أحمد عبدالعزيز إلى الخليل وبيت لحم، وبقي محمود عبده في بئر السبع، واتخذ أحمد عبدالعزيز بيت لحم مقراً له، وشهدت المنطقة ما بين القدس والخليل ملاحم سطرها الشباب المسلم بدمائهم يجدونها إن شاء الله بين أيديهم يوم القيامة.

## مستعمرات حول القدس:

رامات راحيل، تل بيوت، مستعمرات الدجاج، أما تل بيوت فقد نسفها حسين حجازي بكاملها، وأما رامات راحيل ومستعم الدجاج فقد افتتحوها وغنموا كل ما فيها، أما الجنوب: غزة ورفح، خان يونس، وبئر السبع، فيحدثك عنه كتاب كامل الشري (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين)، أما خط القدس الخليل فيحدثك عنه كتاب (جماعة افتدت أمه -حسين حجازي-)، يقول حسـ حجازي في كتابه: جماعه افتدت امه ص(١١٧): (ولو لم يحدث ما حدث من حكومة النقراشي التي -حلت جماعة الإخوان-، وإبراه عبدالهادي -الذي قتل البنا- لاستطاعت هذه الحفنة من الشباب المؤمن الصامد تحرير فلسطين من الغاصبين).

تبة اليمن: (جبل مرتفع يشرف على الولجه وعين كارم والمالحة) شمال غرب بيت لحم استولى عليها اليهود، فندبت القوا المصرية الإخوان المسلمين في صور باهر لتطهيرها، ولم تمر ساعة حتى طهروها، وأطلقت عليها قيادة الجيش المصري (تبة الإخوا المسلمين) في (٢٠) أكتوبر سنة (١٩٤٨م).

## حسن البنا وفلسطين:

لقد كان البنا يدرك أبعاد المؤامرة على فلسطين، ويرى خطورة قيام دولة اليهود في فلسطين، ولذا فإنه كان يرى أن يحد (وجهة الصراع: الهدف) ويوحدها، فكان يرى تركيز الجهود على فلسطين حتى لا يضرب اليهود بجذورهم فيفسدوا المنطقة بأسره وكان يرى تجاوز الصراع مع أي نظام أو حزب وتوجيه الطاقات لضرب اليهود، ولذا كان البنا يرى أن لا يصطدم مع نظام فاروق، دام رأس الأفعى -اليهود- قائماً، ويرى أن الأنظمة وسائل وقفازات يستعملها رأس الأفعى، فلا بد من ضرب الرأس، ولذا وج الإخوان إلى فلسطين تحت اسم الجامعة العربية، واتصل بالشيخ مصطفى السباعي مراقب الإخوان في سوريا وأمره أن يخر بكتيبته إلى فلسطين، وكذا الأمر مع الأستاذ الصواف مراقب الإخوان في العراق، وعبداللطيف أبو قوره مسؤول الإخوان في الأردن.

## كتيبة من عشرة آلاف مسلح:

كان البنا قد اتفق مع عبدالرحمن عزام على أن يعد البنا عشرة آلاف مسلح يخرج على رأسها لقتال اليهود، وقد أرسل البن برقية إلى مؤتمر القمة العربي في عاليه أيار (١٩٤٨م) قال فيها: إن الإخوان المسلمين على استعداد لإدخال عشرة آلاف مجاه متطوع كدفعة أولى للقتال ضد اليهود في فلسطين.

## حديث عبدالبديع صقر (سكرتير البنا):

حدثني عبد البديع رحمه الله قائلاً: لقد ودعنا آخر كتيبة للإخوان توجهت إلى فلسطين بحماس منقطع النظير، وبهتافات مدو بعد خطاب الأستاذ البنا، ثم أخذني البنا بيدي ودخلنا إحدى غرف دار الإخوان وقال لي: انتهت قضية فلسطين، فلقد وافقت الدوا العربية على الهدنة، فثرت في وجهه قائلاً: (أنت آثم ومسؤول عن دماء هؤلاء)، فابتسم البنا قائلاً: أنا لا أستطيع أن أصد عن الجها في سبيل الله هذه واحدة، وأما الثانية فالبشر يخططون، ولعل هؤلاء الشباب يكونون قدر الله في إحباط المؤامرة العالمية.

## تضحيات رائعة ونماذج فريدة:

لقد كانت كتائب الإخوان التي خرجت للجهاد قمماً رائعة في التجرد والأخلاق الجهادية والتفاني في سبيل الله، وأضرب مثا كما حدثني الدكتور أحمد الملط قال: كنت مع البنا إذ دخلت عليه امرأتان تصيحان تقولان: يا بنا أنت آثم لأنك تأخذ أولادنا وتريد أن نأكل الطوب (التراب) إذ كان عماد عيشنا فدان من الأرض يجره ثور وحمار، فقام ابننا (عبد السلام عجلان) وباعهما وهو الآ في السيارة التي باب دار الإخوان متوجهة إلى فلسطين، فأرسل إليه البنا وقال له: نحن لا نريدك أن تذهب إلى فلسطين، وإذ بعبدالسلام يستشيط غضباً ويرد على البنا بقوله: إن كنت تظن أنني ذاهب إلى فلسطين لإرضائك فأنت واهم، أنا ذاهب لنيل الشهاد في سبيل الله ودخول الجنة، ثم خرج من دار الإخوان وركب السيارة، فأمر البنا بإنزاله من السيارة، فنزل فركب عبدالسلام في المواصلات العامة، وكم كانت دهشة الإخوان أن وجدوه ينتظرهم على القنيطرة فاضطروا لأخذه.

## المرتبات:

عرض على كتيبة الإخوان التي مع أحمد عبد العزيز رواتب من الجامعة العربية فردوا جميعاً لا نريد رواتب.

وقال أحمل الملط: لقد أرسل وراءنا سليمان عزمي باشا (مدير الهلال الأحمر المصري) وقال: اطلبوا ما شئتم من المرتبات، لأننا أعلنا في الصحف نطلب أطباء برواتب مغرية فلم يتقدم أحد، قال أحمد الملط: كنا ثلاثة أطباء من الإخوان أنا ود. حسان حتحوت ود. خطاب فقلنا: لا نريد إلا الطعام والمأوى، فقال: ولكننا نكتب لكل طبيب دية تسلم عند استشهاده لمن يريد، ثم سلموا الثلاثة أوراق الدية وقيمتها (ثلاثة آلاف جنيه مصري)، وكان للجنيه آنذاك قيمة كبيرة إذ كان ثمن الرغيف مليماً واحداً.

فكتب الدكتور أحمد الملط: ديتي تسلم لحسن البنا، وعندما ودع الملط حسن البنا أفصح له بأن ديته تدفع له، فانفجر باكياً وشاركه البكاء مصطفى السباعي.

## رأي البنا:

ولقد كان رأي البنا أن لا تدخل الجيوش العربية فلسطين، وعرض هذا الأمر على النقراشي، ونصحه بأن يسمح للإخوان أن يواجهوا اليهود وحدهم، فإن قضى اليهود عليهم كان لمصر الذي أرادت وارتاحوا من الإخوان، وإن انتصروا على اليهود ارتاح العرب من اليهود، وكأنه يتأسى برسول الله ﷺ حين قال يوم الحديبية: **{يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش!! فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة}**[1].

**رأي:** يبدو أنه لم يكن يدور بخلد البنا أن السوء سيصل بالحكام العرب أن يوالوا أعداء الله ضد شعوبهم، ويتولوا بأيديهم عملية ذبح الشعب الفلسطيني في مجازر شهوات سادتهم.

قيل لابن المبارك: من الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: من السفلة؟ قال: الذين يأكلون بدينهم، قيل له: من سفلة السفلة؟ قال: الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم.

**المؤامرة:** كان العالم يعلم أنه لن يقوم لليهود دولة ما دامت الحركة الإسلامية قائمة، وأبناؤها يشرعون هاماتهم للموت في أرض النزال حول الأقصى، فكان لا بد من ضرب الحركة في منبتها -مصر-، ولا بد من قتل قائدها وعقلها المفكر وقلبها النابض -البنا-، ولا بد من إرجاع الشباب المجاهد من أرض القتال.

## ضرب المؤسسات اليهودية والبريطانية في مصر:

قام الإخوان بنسف منازل في حارة اليهود رداً على مجزرة دير ياسين، وفي (٢٩) تموز سنة (١٩٤٨م) نسف الإخوان محلات شيكوريل وأوريكو، وفي أوائل آب نسفوا محلات بنزايون وجاتينيو، وفي (٢٢) أيلول جرى تدمير جزء من حارات اليهود، وفي (١٢) تشرين الأول دمرت شركة الإعلان الشرقية، وكل هذه المؤسسات يملكها اليهود.

## استغاثة اليهود:

ولقد ألهب اليهود عواطف الغرب خاصة أمريكا، ووقف دايان في أمريكا يقول: نحن لا نطلب السلاح لمواجهة الجيوش العربية فأمرها سهل علينا، نحن نطلب السلاح لمواجهة عصابات الإخوان المسلمين المتوحشة.

وبدأت الصحف الغربية تنبه إلى خطر الحركة الإسلامية الداهم، وتستدر عطف الغرب، وتستجيش مشاعرهم تجاه اليهود.

## العذراء المصون (فلسطين):

وكان لا بد من إبعاد الشعب الفلسطيني عن المعركة، وإسلام قياده إلى جيوش الدول العربية، وفلسطين (هذه العذراء المصون

١- السالفة: صفحة العنق.

حصان رزان لا تزن بريبة) كعاتق في خدرها تتمنى الشمس رؤية وجهها، لا تمتد إليها يد لامس)، ولكن هذه المحصنة الغافلة أغ حصنها على نفسها، وألقت بمقاليد الأبواب ومفاتحها لأبناء جلدتها كيما يرنوا الدواهي عن أسوارها، فما راعها إلا وشذاذ الآ وصعالكة الأمم ونفايات الأقوام يقتحمون عليها خلوتها، ويمزقون حجب حرمتها، فماذا دهاها؟ لقد بكت دماً بدل الدموع وهي ترى حماتها من أرحامها هم الذين سلموا المفاتيح لحثالات الأمم، وسهلوا المسالك ومهدوا السبل للدخول عليها.

*وظلم ذوي القربى أشد مضاضة — على المرء من وقع الحسام المهند*

ومن بعيد أقبل قوم تسطع وجوههم نوراً، ويزيد زينتها اللحى التي تتوجها، ومن يكون هؤلاء؟ أو ليسوا من فئة حملة المفا الذي أدخلوا عليها نفايات الأقوام ولطخوها بطين المستنقع؟ لا، إنهم صنف جديد من الناس، شعارهم مصحف وسيفان. وأبلوا الوغى أيما بلاء، وقدموا في الجهاد المهج والدماء، وأعادوا إغلاق أبواب الحصن على العاتق المصون العذراء.

وجاء دور حملة المفاتيح مرة أخرى ، وقد أوعز إليهم أن يسحقوا هؤلاء الذين لا يشغلهم عن المكارم كاس راح، ولا تلهيه رقصة غانية عن البأس، وكل واحد منهم يكاد يصدق عليه إذا أطريته:

وسيف لأنت السيف لا ما تسله — لضرب ومما السيف منه لك الغمد

ورمح لأنت الرمح لا ما تبله — نجيعاً ولولا القدح لم يثقب الزند

## الأمر بالانسحاب:

وانسحبت الجيوش العربية من الجبهات الشمالية والوسطى والجنوبية، فانسحب أديب الشيشكلي من الشمال، وبدأ الجيش المصري في الجنوب بالانسحاب، وانسحب فوزي القاوقجي بجيش الإنقاذ، ونشأ ما يسمى (بمثلث الفالوجه)، إذ حوصر ثلث الجيش المصري (٤) آلاف فيها من بينهم عبدالناصر، ويئست الجيوش العربية أن تنقذهم، وأخيراً لجأ قائد الجيش المصري عبدالجواد طبا إلى الإخوان قائلاً: لم يبق إلا أنتم، فقالوا: نحن لها وإن عظمت، وأخذوا على عاتقهم الإنقاذ المقترن بالموت:

*فلا تستنكرن له ابتساماً — إذا فهق المكر دماً وضاقا*

*فقد ضمنت له المهج العوالي — وحمل همه الخيل العتاقا*

*ملاقية نواصيها المنايا — معلمة فوارسها العناقا*

وأدخلوا من خلال الطوق المضروب سبعة عشر قافلة محملة بالسلاح والدواء والغذاء، كان آخرها قافلة فيها نجيب جويفل (عبدالعزيز سالم) وأسر القائد معروف الحضري.

## اجتماع فايد:

في (٦) ديسمبر سنة (١٩٤٨م) اجتمع السفراء الثلاثة (البريطاني والفرنسي والقائم بأعمال السفارة الأمريكية) وقرروا حل جماعة الإخوان، وألقوا بالقرار بين يدي النقراشي -رئيس وزراء مصر- لتنفيذه، وقرر النقراشي حل الجماعة في (٨) ديسمبر سنة (١٩٤٨م)، وصادر ممتلكاتها، وزج بأبطالها في غياهب السجون، وترك البنا خارج السجن ليقتل خارج السجن، وفي نفس الشهر قتل النقراشي في مصعد داخل وزارة الداخلية من قبل أحد أبناء الحركة الإسلامية.

## رسالة البنا إلى المجاهدين في فلسطين:

أيها الإخوان لا يهمنكم الأحداث التي تجري فوق أرض مصر، إن مهمتكم تحرير فلسطين من اليهود، ولا تنتهي مهمتكم ما دام في فلسطين يهودي واحد.

وجاء قادة الجيش المصري إلى الإخوان في الجبهات يعتذرون ومنهم القائد العام المصري فؤاد صادق

## مقتل البنا:

وفي يوم عيد ميلاد فاروق (١٢) فبراير سنة (١٩٤٩م) أرسل فاروق مدير مخابرات القصر الملكي (محمود عبد المجيد) وأطلق

الناري على البنا باب دار الشبان المسلمين، وجرح البنا وكانت جراحه طفيفة، فأوفد الملك ضابطاً اسمه محمد وصفي ليجهز على البنا في غرفة العمليات، وقطعت الكهرباء عن المنيل حيث يسكن البنا. وصلت عليه أربع نساء، ونقلت جنازته بين صفوف الدبابات، ودفن وحرس قبره.

### معاهدة رودس:

وبدأت مصر في اليوم الثاني لمقتل البنا (١٣) فبراير المفاوضات، ووقعت المعاهدة في(٢٤) فبراير لإقرار اليهود على حدود أمنه.

### مجاهدون سجناء:

وألقى فاروق أوامره بتمزيق جمع الشباب المجاهد في فلسطين، وكان أخطرها كتيبة أحمد عبدالعزيز التي تحاصر مستعمرات اليهود في القدس، وقد خشيت الدول أن يحتل أحمد عبدالعزيز القدس ويطهر اليهود منها، فبعث الملك فاروق صلاح سالم وقتل أحمد عبد العزيز، ولقد كان غيظهم من أحمد قد استشاط عندما علموا أن أحمد قد التقى بالبنا ورجع يائساً من كل الدول العربية نافضاً يده من جيوشها.

ثم شتتوا كتيبة أحمد عبدالعزيز، وبقيت سرية حسين حجازي التي تحمي منطقة مار الياس وعددها ثلاثمائة يقودها اثنا عشر ضابطاً. فأرسل الجيش الأردني سبعة يقودهم شاويش للاستلام مكانه ريثما يتم التسليم إلى دايان. فرفض حسين حجازي، وأخيراً أخذوه إلى السجن في الخليل بتهمة (جاسوس مصري).

وأما الكتائب الأخرى من الإخوان التي كانت في الجنوب، غزه وبئر السبع والنقب فأوعز فاروق إلى جيشه باعتقالها وقبلت الاعتقال لأنها ما أحبت أن تدخل في معركة مع الجيش المصري، وعادوا بها رهن الأغلال والقيود إلى معتقل الطور -القاهرة-.

وأما الجيش العراقي فقد كان يردد (ماكو أوامر: لا أوامر).

وأما أهل فلسطين فقد كافحوا كفاحاً مجيداً، وأبلوا بلاء حسناً في الذود عن حياضهم. وقد قدموا اثني عشر ألف شهيد، وأضرب مثالاً هنا باللد والرملة التي مكثت ستة أشهر يرابط أهلها أمام عصابات اليهود، يرابط الرجال في الليل وترابط النساء في النهار، وأخيراً جاء الجيش الأردني واستلم المنطقة التي تمتد جبهتها على طول (٤٨) كم ووزع الجيش مائة وخمسين جندياً لحماية هذه الجبهة ومعهم ضابط واحد، ولكن قائد المنطقة مستر لاش الإنجليزي -أحد قادة الجيش الأردني- الذي يرأسه جنرال جلوب باشا الإنجليزي.

وصدر قرار بعقوبة الإعدام على كل واحد من الأهالي يضبط متلبساً بجريمة حمل السلاح.

ولذا وفي آخر يوم من الهدنة الأولى هجم اليهود على اللد والرملة فلم تحتمل المعركة سوى ساعتين، وسقطت المدينتان.

### محاكمة المجاهدين في فلسطين بعد خمسة أعوام في القاهرة:

وفي سنة (١٩٥٤م) شكل عبد الناصر محكمة الشعب (الثورة) برئاسة جمال سالم وعضوية السادات والشافعي، وكان السؤال يلقى على المتهمين من الإخوان: أشهدت حرب فلسطين؟ فإن كان الجواب نعم فالحكم جاهز: الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة.

ونفذ حكم الإعدام بمحمد فرغلي -ممثل مكتب الإرشاد في فلسطين-، وعبد القادر عودة -وكيل الجماعة-، ويوسف طلعت، هنداوي دوير، محمود عبد اللطيف، وإبراهيم الطيب، وكانت الجريمة هي الجهاد في فلسطين والقتال!!

### جهاد الحركة الإسلامية سنة (١٩٦٩-١٩٧٠م):

بعد هزيمة العرب سنة (١٩٦٧م) تقدمت حركة فتح ووسعت كوادرها ونادت بالناس، وتقدم إليها كثير من الناس ولكن معظم

(قواعد الشيوخ)، ولقد أبلت بلاء حسناً، وكنت أميراً في إحدى القواعد (قاعدة بيت المقدس في مرو).

والحق أن السرية الأولى التي تقدمت وكنت منها كانت نماذج رفيعة، وكان من بيننا مجموعة من الإخوة السودانيين على رأس الوزير السوداني (محمد صالح عمر) الذي استشهد فيما بعد في جزيرة (أبا) بقذائف الطيران المصري.

وكانت على خلق عال، وأدب إسلامي جم، وقد كتبت بعض ذكرياتها في رسائل من القلب إلى القلب في مجلة الجهاد -رسم الإخلاص والزهد والإخوة والمحبة-، كانوا يرفضون أن يحدثوا عن معاركهم خوفاً من الرياء ولئلا ينقص ثوابهم، كان القائد الشه صلاح حسن يربينا بعمله دون قوله، وكان أخوه -أبو خليل- يعتبرنا أخوة له ولسنا تلاميذ، وكان قائدنا العام عبدالعزيز علي له في قلوبنا هيبة وأيما هيبة، وحباً ومودة لا نظير لها.

وبقيت مجموعات الشيوخ تشق طريقها بين الأعاصير الهوجاء التي تريد أن تقتلعها من جذورها، ونحن نقيم علائق طيبة م الجيش الأردني الذي كان يحترمنا أيما احترام، حتى كان خلف رافع قائد اللواء المسؤول عن حراسة الحدود -الغور- يوقف سيار إذا رأى شاباً من شبابنا.

## ذكريات الرفيد وحرثا:

وكان بيننا وبين الأهالي صلة وثيقة ومحبة عميقة، خاصة الذين كانت قواعدنا في أكنافهم، وأخص بالذكر آل عبيدات -فـ الرفيد وحرثا-، ولقد احتضنونا كأننا أبناؤهم، ويودون لو يضعونا في أجفانهم وقلوبهم، ولقد وقفوا وقفة طيبة عندما دخل الجيش الأردني لضرب قواعدنا، فقالوا: نحورنا دون المس بهم، وصدورنا دون إيذائهم، قالوا: عرفناهم لأبنائنا معلمين، ولمساجدنا أئم وخطباء، ولقرانا ولمزارعنا حراساً أمناء، والحق أن ذكر الرفيد لا يمكن أن يأتي النسيان عليه -والله أعلم- ما دام لنا عين تطرف أ قلب ينبض، ولقد كان أحد أبنائهم أحمد قد عرفنا من خلال حديث أهله وقريته وعشيرته عنا، فأحبنا عن بعد، ثم ارتقى مناصب عل في الدولة حتى تسلم رئاسة الوزراء، فكان خير مدافع عنا إذا كثرت الأقاويل أو اشتدت علينا الحملات.

ولقد خاض الإخوة معارك كثيرة، وكان الجيش الأردني خير متعاون معنا، إذ أننا صدقناه فصدقنا، وعاملناه بالرجول الإسلامية فعاملنا بالمروءة والنخوة البدوية.

## معركة المشروع:

وإن كنت أنسى فلا أنسى معركة المشروع (روتنبرغ) التي دخلناها، وكنت فيها، وكان معنا أبو مصعب السوري الذي تحامل على جراحه البالغة التي أصابته في المعركة بجانبي، فجاء قائد الكتيبة الأردني واقتحم النيران الملتهبة من جراء القذائف المتصبب وأصابته شظية وجرح القائد ولكنه أنقذ أخانا وأوصله إلى المستشفى حيث أشرف على الموت وهو يموج بين الدم.

## معركة (٥) حزيران سنة (١٩٧٠م):

ستة من إخواننا، منهم أبو إسماعيل مهدي الإدلبي الحموي، وإبراهيم (بن بله)، وبلال الفلسطيني، وفي أرض مكشوفة تصدوا لدبابتين وكاسحة ألغام، وكان دايان أرسل مراسلاً كندياً وأمريكياً ليطوف بهم على الحدود ويريهم أن العمل الفدائي قد انتهى، وإذا بجند الله يخرجون لهم كالجن المؤمن من باطن الأرض، وانهالت القذائف، وجرح الصحفيان، واعترف اليهود باثني عشر قتيلاً، ولكن قتلى الأعداء أكثر من هذا بكثير.

وقد ضج الإعلام العربي وخاصة -فتح- بهذه العملية الرائعة في رابعة النهار ضحى يوم (٥) حزيران. واستشهد ثلاثة من إخواننا منهم الحبيب المهدي الإدلبي أحد أبناء قاعدتي، وبلال المقدسي من قاعدة غزة.

## عملية سيد قطب:

ولقد كان الأخ أبو عمرو (صلاح حسن) يعد لعملية بالصواريخ يسميها عملية سيد قطب ضد دورية من عدة دبابات، ورتب

الخطة، وأشرف على المكان، ووزع الصواريخ التي سيطلقها بالكهرباء، ولكن المنية كانت له بمرصد، إذ كمن له اليهود قرب الشارع، ودارت بينهم معركة سقط فيها أبو عمرو شهيداً، واستشهد معه محمود البرقاوي، وزهير قيشو (من حماة)، ومن الموافقات العجيبة أن تاريخ الشهادة كان في نفس اليوم الذي استشهد فيه سيد قطب (٢٩) أغسطس (آب) سنة (١٩٧٠م).

وهكذا فاز أبو عمرو بالشاهدة -كما نرجو من الله ولا نزكي على الله أحداً- قبل ضرب العمل الفدائي في الأردن بعشرين يوماً، وشيعت جنازته بوداع مهيب في مطار عمان، واستقبلت في مطار الكويت حيث يسكن أهله، وكان يوماً من أيام المسلمين في الكويت.

وأما جنازة زهير فقد قمت بنقلها إلى حماه في سوريا، ومكثت هناك عدة أيام في ضيافة الشيخ مروان حديد، وقد قدمت جنازة أخرى إلى حماة وأنا هناك وهي جنازة (نصر عيسى) شقيق الدكتور رشيد عيسى الذي قضى معنا في فلسطين فترة طيبة يرعى إخوانه من شباب حماة، وقد عاش معنا في هذه الفترة في فلسطين الأخ عبدالستار الزعيم.

وبدأ الاستعداد لضرب العمل الفدائي، واجتمعنا -نحن الإخوة المسؤولون عن الشباب-، وقررنا فيما إذا اصطدم الجيش مع الفدائيين أن لا ندخل في هذا الصراع الذي لا طائل من ورائه، ونخشى أن نصيب دماً حراماً **{لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم}**، وكذلك فالمعركة ليست واضحة، والراية عمية وليست إسلامية، خاصة وأن العمل الفدائي قد اجتاحه طوفان من الغثاء، وأصبح الكثير منه زبداً رابياً، فلم يكن قتال الجيش أمراً مقبولاً شرعاً ولا عقلاً ولا مصلحة.

فآثرنا الوقوف على الحياد، ولقد دار حديث حول الأخطار التي تكتنف المرحلة القادمة، والغموض الذي يلف الليالي المقبلة، ولكن عين الله كانت ترعى هذه المجموعة، فقلت للإخوة: اطمئنوا فلن يضيعنا الله، ولن تكون نهاية هذه الصفوة السحق تحت جنازير الدبابات الأردنية. **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)** (العنكبوت: ٦٩).

وفي الحديث الصحيح: **{ثلاث حق على الله عونهم: الغازي في سبيل الله، والناكح يريد العفاف، والمكاتب (العبد) يريد الأداء}**.

ولقد كان فضل الله علينا عظيماً، إذ رعانا بعين رعايته، وأحاطنا بعنايته، فلم يمس أحد منا بأذى، رغم أن كثيراً من المدنيين قتلوا وعذبوا وسجنوا وأهينوا.

## الشهداء:

واستشهد من أبناء الحركة الإسلامية (١٣) شهيداً، منهم رضوان كريشان، ورضوان بلعه الدمشقي، ومحمد سعيد باعباد الضابط اليماني، وأبو الحسن إبراهيم الغزي وهو من مؤسسي حركة فتح، وكان من خيرة المدربين في معسكر العلوك.

## رأي في جهاد الحركة الإسلامية سنة (١٩٦٩م):

**والحق أن الدعوة قصرت من ناحيتين:**

١- الأولى: أنها تأخرت في التحرك للجهاد، وسبقتها المنظمات العلمانية والقومية الشيوعية التي يجمعها جميعاً العداء للإسلام ومحاربة الخط الإسلامي.

إذ قلما كنت تجد آنذاك مصلياً في المنظمات، ولعلك تستطيع أن تدرك السوء البالغ الذي كانت تحياه المنظمات، والدرك الهابط الذي كانت تتخبط فيه أنه في (٤) نيسان سنة (١٩٧٠م) -الذكرى المئوية لميلاد لينين- اتفقت المنظمات جميعاً -دون استثناء- على أن تحتفل ولمدة أسبوع بهذه الذكرى المجيدة المشرفة!! واشترك وزير الأوقاف الأردني آنذاك بالترتيب للاحتفال وفي الإسهام في إنجاحه. وبإمكانك بعد هذا أن تتصور الضيق البالغ الذي كان يأخذ بخناقنا -أبناء الحركة الإسلامية- ونحن نعيش في هذا الوسط المظلم المكفهر.

وأذكر أنني طُلبت لمحاكمة عسكرية لأنني انتقدت جيفارا، فقلت للمثقف الثوري وهو يمثل الإدعاء العام (من هو جيفارا؟ فقال: مناضل شريف، فقلت له: ما هو دين فتح؟ فقال: فتح لا دين لها، فقلت له: أما أنا فديني الإسلام، وجئت لأجاهد في سبيل الله، وأما جيفارا فهو تحت قدمي هذا).

وهذا الغثاء لم يكن موجوداً سنة (١٩٤٨م)، لأن الحركة الإسلامية آنذاك كانت سيدة الموقف، ورمز الصمود، والنجم المتألق على الساحة الفلسطينية، وذلك لأنها سبقت الناس إلى الجهاد، وبقيت ثابتة حتى عصفت بهم النوائب التي ساقها الله على يد حكام العرب يومئذ.

فإذا كانت الحركة الإسلامية تعيب على المنظمات الثورية يساريتها وانحرافها وتخبطها وإغوائها للشباب، فما ذاك إلا لغياب الحركة الإسلامية.

*وجدير إذا الليوث توارت أن يلي ساحها جموع الثعالب*

٢- والعامل الثاني: لتبجح أهل الباطل وانتفاشهم وانتفاخهم أن عدد المسلمين كان قليلاً في منظمة فتح، لقد كانت المنظمات اليسارية تسب الله ورسوله عمداً أمامنا ليغيظونا، وقد كانت بجانبنا جبهة ديمقراطية (نايف حواتمه)، فكانت كلمة السر في الليل أثناء الحراسة شتم الله أو النبي أو الدين، وكنا أحياناً نلتقي في تجمع فنقف لنؤذن، فيصطفون مقابلنا يرددون:

*إن تسل عني فهذي قيمي أنا ماركسي لينيني أممي*

والحق أنه لولا الله ثم لافتة فتح لمزقونا إرباً إرباً، أو لمنعونا من الجهاد في سبيل الله.

## إعتذار:

ونحن نعتذر للحركة الإسلامية أن رأسها كان رهن الأغلال والقيود في سجون عبد الناصر، وقد أعلن هذا الطاغوت من فوق قبر لينين سنة (١٩٦٥م) أننا ألقينا القبض على سبعة عشر ألفاً من الإخوان المسلمين، ولئن عفونا المرة الأولى فلن نعفو المرة الثانية، ولقد صب عليهم من العذاب ما لم تره حركة في الأرض أبداً، يقول الأستاذ محمد قطب: راجعت تاريخ الاضطهاد في البشرية فلم أر جماعة اضطهدت وعذبت مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر، اللهم إلا ما كان من محاكم التفتيش في إسبانيا التي أبادت المسلمين.

ويحضرني في هذا المجال كلمة كتبها أحمد رائف في كتابه البوابة السوداء قال: فتح علينا السجان ذات يوم باب الزنزانة فقلنا له: يا أفندم هذا شاب مات هذه الليلة من آثار التعذيب، فرد علينا قائلاً: يا ولاد الكلب، حنودي وشنا فين من الريس، ما متش إلا واحد هذه الليله!! هذا وبكل صفاقة وتبجح أنه يشعر بالخجل من الرئيس عبد الناصر لأنه لم يمت ليلتها إلا واحد.

## الملاحقة التي لا تكف عن ضرب التجمعات الإسلامية:

وبعد أن رفع السادات فكي الكماشة عن الحركة الإسلامية، واستيقظت الأجيال، وبدأت الصحوة الإسلامية تقوى في مصر، وقد جاءت على قدر من الله ثم كانت ثمرة طبيعية لصبر الحركة الإسلامية الأم على المحن والضربات، هنا انتبه أعداء الله مرة أخرى وبدأوا يحذرون من التيار الإسلامي الذي بدأ يقوى بإذن ربه.

فجاءت الضربات المتلاحقة: القضية العسكرية التي انتهت بإعدام صالح سرية وكارم الأناضولي، ثم قضية التكفير والهجرة (جماعة المسلمين) والتي تمت بتعليق شكري مصطفى -رئيس الحركة- وخمسة من أصحابه على الأعواد.

ثم جاءت أحداث سنة (١٩٨١م) وقتل السادات، وتلاحقت قضايا تنظيم الجهاد، لا يكاد يمر عام إلا وعمليات السحق والإبادة تلاحق رؤوسه وتطحن قادته.

## في فلسطين:

لقد كانت الأجهزة الصهيونية واليهودية قد نظمت أبناء فلسطين في الحزب الشيوعي اليهودي (راكاح) منذ وقت بكر (١٩٢٠م) على يد (روز شتاين) (وجابوتينكس-أستاذ بيغن-) (وافر وبوخ (أبو زيام) صديق لينين)، وقد تولى رئاسة الحزب الشيوعي الفلسطيني سنة (١٩٢٤-١٩٢٩م).

وأبرزت الشيوعية اليهودية أميل توما سكرتيراً لنقابة العمال الشيوعية في حيفا، وإميل حبيبي سكرتيراً لها في الناصرة، وفؤاد ر سكرتيراً لها في يافا.

وكان الجميع يطالبون بإقامة دولة يهودية لليهود في فلسطين، ويرون أن قتال اليهود الشرفاء رجعية دينية متعاونة مع مبريالية، وأدخلت إسرائيل توفيق طوبي وأميل حبيبي في الكنيست الإسرائيلي، وكذلك أبرز اليهود محمود درويش وسميح القاسم توفيق زياد والأخيران في مجلس الكنيست الإسرائيلي، وكان محمود درويش وسميح القام يحملان العلم الإسرائيلي في مؤتمر صوفيا الدولي.

يقول رفيق رضا مساعد خالد بكداش: صحيحة قيادة الحزب الشيوعي اللبناني السوري (كانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماس ابن غوريون على بعث الدولة اليهودية في فلسطين، فإسرائيل في نظرهم واحة ديمقراطية في الشرق).

وقال فهد -سكرتير الحزب العراقي-: مرحباً بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين، واشترط لها الاشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية[1].

وكانوا يقولون عن اليهود: شعب له حق الحياة كما لنا حق الحياة.

واستمر اليهود يبرزون أعداء الإسلام، ثم تبنت الثورة الفلسطينية من أبرزتهم أجهزة الإعلام اليهودية مثل محمود درويش الذي يقول:

*أنـــــا مـــــن قرية عزلاء منسيـــــة وكل رجالها في الحقل والمعمل يحبون الشيوعية*

وكان نشيد الثورة الذي يتردد على لسان كل طفل فلسطيني:

*أنا يا أخي آمنت بالشعب المضيع والمكبل وحملت رشاشي لتحمل بعدي الأجيال منجل*

فالقتال في فلسطين لتحمل الأجيال (المنجل والمطرقة والشاكوش) شعار الشيوعية!!.

ويقول محمود درويش: وصرنا نقرأ مبادئ الماركسية التي أشعلتنا حماساً وأملاً، وفي سنة (١٩٦١م) دخلت الحزب الشيوعي فتحددت معالم طريقي. ولذا ليس غريباً أن يكتب درويش: نامي فعين الله نائمة عنا وأسراب الشحارير.

ويقول: فسبحان التي أسرت بأوردتي إلى يدها (تعالى الله عما يشركون).

## العودة إلى الله في فلسطين المحتلة:

بعد هزيمة سنة (١٩٦٧م) نفض الشباب في فلسطين المحتلة أيديهم من الأصنام التي تعلقت بها الأوهام، ويئس الجيل من الطواغيت التي عبدوها ردحاً من الزمن، وبدأوا يبحثون عن مخرج، ويتلمسون عقيدة يعتنقونها -بعد أن سقطت كل الشعارات وتهاوت كل المنارات-. فهداهم الله عز وجل إلى الإسلام، ولم يجدوا خيراً من قرآنهم الذي فيه الروح والحياة والنور والهدى ومن سنة نبيهم ﷺ التي فيها الرشاد والحكمة.

## الدعاة من أبناء الحركة الإسلامية:

وبدأ أبناء الحركة الإسلامية بعد سقوط الضفة الغربية يدخلون المنطقة المحتلة سنة (١٩٤٨م)، ومن بين هؤلاء أحمد ياس والشيخ محمد فؤاد أبو زيد وسعيد بلال وأحمد الحاج علي وإبراهيم أبو سالم، وقد نفع الله بهم كثيراً. وصارت الجموع تدخل في ا الله أفواجاً، وخلصت من تلك الأسمال البالية التي ضاقت بها ذرعاً. فخلعت ثياب الشيوعية والقومية والناصرية والاشتراكية وع إلى الله تقول: (آيبون تائبون لربنا حامدون).

## عبد الله نمر درويش:

وهذا الشاب يحتاج كتاباً كاملاً لنوفيه حقه، فهو من أبناء كفر قاسم التي شهدت المذبحة المشهورة. وكان عضواً با الشيوعي، ثم رجع إلى الله ودرس في المعهد الشرعي في نابلس. ثم أصبح معلماً في أم الفحم التي كانت معقلاً خ

معاقل الشيوعية، وبدأ أبناؤها يعودون إلى الله، ويخرجون من الشيوعية، ويحملون الدعوة الإسلامية، حتى غيروا اسم البلد إلى النور)، وتحدى عبد الله نمر كاهانا، وعبد الله يردد دائماً (نحن شعب الله المختار)، وقد تحولت أم النور إلى حصن شاهق من ما الإسلام.

ولقد بدأ عبد الله سرايا الجهاد، واكتشفها اليهود، مما جعلهم يرتعدون رعباً وفزعاً، وضيقوا على عبد الله، وحددوا إقا ومنعوا حركته.

## إرهاصات جهاد الانتفاضة:

كنت أحس منذ سنوات أن اليهود يتوجسون خيفة من هزة قادمة بسبب الزلزال الذي حدث في أفغانستان، وكنت ألمح من خ التشديدات التي تجريها أجهزة الأمن الإسرائيلي على كل قادم من باكستان، وزاد رعبهم عندما وجدوا أفواج الشباب العربي تفد أفغانستان، وبدأ الشهداء يتساقطون، فانتفضت إسرائيل هلعاً، وحركوا أجهزة الحكم الغربية وأمريكا حتى تشدد على منح التأشير إلى باكستان، ثم الأوامر الصارمة التي ألقيت على شركات الطيران العالمية أن لا تقل على ظهرها راكباً إلا بعد التأكد من التأشير:

وكتب (شخترمان) اليهودي الأمريكي عن الجهاد الأفغاني: ما الذي فعلناه؟ لقد أيقظنا العملاق.

واشترط اليهود في معاهدة جنيف إغلاق المعسكرات الأفغانية في باكستان حتى لا يتدرب فيها الشباب العربي.

وفي المقابل كان التيار الإسلامي من أبناء الصحوة الإسلامية الذين تأثروا بالحركة الإسلامية الأم في فلسطين يرددون أناشيدهم أعلام الجهاد الأفغاني الذين أصبحوا رمزاً للتضحية وعنواناً للعزة والمجد والفداء، وفي أهازيجهم الوطنية الفسطينية: أ يا سياف الروس منك تخاف، أخي يا حكمتيار على العدا مثل النار، بدنا (نريد) رجال تعد اجيال تقوم الليل تهد جبال كسيا الصامد.

وقد بدأ الشباب يتلقفون كتاب (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) ويطبعونه ويوزعونه، وقوات الأمن الإسرائيلي تتا وتطاردهم.

## موقف الشعب الأفغاني:

وأما الشعب الأفغاني المسلم فهو ينظر إلى قضية فلسطين أنها قضية عقيدة ودين، باعتبار المسجد الأقصى أولى القبلتين وثا الحرمين الشريفين، ولذا فإن بعضهم يدعو الله عز وجل (اللهم افتح على أيدينا كابل ولا تمتنا إلا في بيت المقدس).

وكثيراً ما يردد سياف وحكمتيار ورباني أن قضية فلسطين هي أهم قضايا العالم الإسلامي.

وإن كنت أنسى فلا أنسى موقف الأخ أحمد شاه[1] الذي عقد صفقة سلاح مع تاجر إسباني، وبعد أن تمت الصفقة طل التاجر الإسباني من أحمد شاه أن يوقع على ورقة يتعهد فيها أن لا يستعمل السلاح ضد اليهود، فرفض وألغى الصفقة، فقال التاج وهل تريدون استعمالها ضد اليهود؟ قال: لا، ولكنك تريدني أن أوقع على ورقة أتعهد فيها بإيقاف حرب شنها رب العزة على اليهو منذ بضعة عشر قرناً، وألغى الصفقة وعاد، فقال التاجر: ما رأيت شعباً أعز منكم رغم فقركم.

## بداية جهاد الانتفاضه:

بدأ بعمليات عسكرية قام بها تنظيم الجهاد الذي يقوده عبدالعزيز عودة وفتحي الشقاقي في غزه ومناطقها، وكذلك بعض العمليات التي قامت بها سرايا الجهاد، وبعض الشباب الراجع إلى الله ضمن فتح، مثل عملية حائط المبكى التي هزت اليهود، ث حصلت عملية جباليا التي داس فيها يهودي أربعة من أبناء المخيم انتقاماً لأخيه، ثم تحرك المسلمون وأبناء فلسطين قاطبة، وقام أحم ياسين رمز صمود الحركة الإسلامية، وبدأ الشارع الفلسطيني يرجع إلى الله على أصداء نغم الله أكبر، خيبر خيبر يا يهود دين محم سوف يعود، واشترك في هذا الجهاد جميع الطبقات والفئات من أبناء فلسطين، وبدأت المنظمة تدخل الأموال لدعم الانتفاضة، ولك

---

١- هو أحمد شاه احمد زي، وقد تسلم رئاسة الحكومة المؤقتة أيام الجهاد الأفغاني.

(حركة المقاومة الإسلامية حماس) قد برزت بشكل منظم واضح، وأخذت تشتد يوماً بعد يوم، ويصلب عودها، ويقوى تيارها، وبدأت تستحوذ على اهتمام الجماهير وإعجابهم بسبب التزامها ونظامها، ونحن نرقب ذلك اليوم الذي يتحول فيه الحجر بأيدي حماس إلى رصاص، ويتبدل الحجر وتحل القنبلة والبندقية، وهذا سهل بأمر الله إذا وجد الشباب الذين ينتزعون سلاحهم من أيدي أعدائهم ويقاتلونهم به، ونرقب اليوم الذي تهتز الأرض فيه تحت أقدام اليهود، وتزيغ فيه أبصارهم، ونبتهل إلى الله أن يفتح لنا ثغرة إلى فلسطين نزاول فيها عبادة القتال وفريضة الجهاد، وما ذلك على الله بعزيز. **(ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)** (الإسراء: ٥١)

## قيام الدولة الفلسطينية:

وعندما أعلنت حماس عن هويتها وأنها فرع من حركة الإخوان المسلمين انتفضت الدنيا كلها هلعاً، وتداعت دول الكفر من كل ناحية، وبسرعة كالبرق الخاطف اجتمع المجلس الفلسطيني بإيحاء من هذه الدول، وأعلن قيام الدولة الفسطينية التي ليس لها شبر أرض تقف عليه، فهي معلقة في الهواء، وليس بيدها أية ورقة ضاغطة على اليهود، فلا المواقف العسكرية القوية التي تحسم القضايا، ولا الأرض الصلبة التي تستوي قائمة عليها.

وخلال أسبوع تعترف بها خمسون دولة تقريباً، ثم فطنت أمريكا أنها تسرعت بالاعتراف، فأخرجت مسرحية تأشيرة أبي عمار لدخول أمريكا، واعترفت المنظمة بدولة إسرائيل على مرأى من العالم كله، وقال أبو عمار: هل يرضيكم هذا؟

فقالت أمريكا: لا بل لا بد من أن تقرأ الكلمات التي نكتبها لك، وكتبت له الكلمات، وأعاد قراءتها على شاشة التلفاز على مرأى ومسمع من الدنيا كلها، ومع هذا كله لا زالت إسرائيل رافضة أن تجتمع بالمنظمة، واعترف بالمنظمة حتى الآن أكثر من مائة دولة.

وصورة أخرى مشرقة تقابلها من فوق ذرى الهندوكوش من أولئك الأبطال الذين دوخوا روسيا فولت على أعقابها خاسرة، وقد مزق شملها، وتشتت جمعها، واندحرت على أدبارها خاسئة ذليلة تحدث لمن بعدها من دول الكفر قائلة: (أنج سعد فقد هلك سُعيْد).

فقد طلب ريغان بنفسه مقابلة حكمتيار ورفض، فأرسل له رسالة مع ابنته (مورين ريغان)، فرفض مقابلته، ودعي من الكونجرس ورفض مقابلته، وقابل يونس خالص ريغان وعرض عليه الإسلام، ورفض خالص مقابلة كردوفيز مندوب الأمم المتحدة أكثر من مرة، وأعلن مجددي أننا لن نقابل روسيا، وعندما طلب فورنتسوف وكيل الخارجية الروسية مقابلة رباني اشترط عليه شروطاً:

١- أن تكون المقابلة في أرض إسلامية كالسعودية وباكستان.

٢- أن لا تتضمن المباحثات شكل الحكومة القادمة.

٣- أن يدخل الوفد الروسي إلى القاعة قبل الوفد الجهادي حتى يقوم الروس للمجاهدين.

٤- أن لا يصافح المجاهدون الروس.

وقبل الشروط كلها، وطلب فورنتسوف من رباني أثناء المباحثات أن يدخلوا ثلاث وزراء مسلمين من حكومة نجيب في دولتهم ريثما يتم خروج القوات الروسية حتى يحفظوا ماء وجوههم أمام العالم، فقال المجاهدون: إن الإسلام لا يعطي حق الحياة للشيوعي (من بدل دينه فاقتلوه)، فكيف يعطي حق الحكم للشيوعي؟

وهربت روسيا من أفغانستان لا تحمل بيدها ورقة واحدة موقعة من المجاهدين، ولا أظن أن المجاهدين حتى الآن قدموا ورقة التماس واحدة لأية دولة من دول العالم الكبرى غربية أو شرقية.

ومع هذا كله: فقد قامت دولة المجاهدين في أفغانستان فوق (٩٠٪) من أرض أفغانستان، وسيوفهم لا زالت تقطر دماً من أعدائهم، ومعاركهم التي يخوضونها الآن لتصفية شراذم الشيوعيين الذين يشهقون شهقات الموت لم يشهد لها نظير في شراستها وعنفوانها.

ومع هذا كله لم تعترف بهم إلا السعودية والبحرين والسودان وماليزيا، جزاهم الله خيراً.

أما الدولة الفلسطينية فقد أنيط بها مهمة إخماد نار جهاد الانتفاضة، وإطفاء نورها، وعبثاً يحاولون.

(ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين، فتلك بيوتهم خا
بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (النمل: ٥٠-٥٣)

وما لنا ألا ننشد لجهاد حماس وأفغانستان مع أبي الطيب:

وصـن الحسام ولا تذله فإنه — يشكو يمينك والجماجم تشهد[1]
جـف النجيع عليه وهو مجرد — من غمده فكأنما هو مغمد[2]
ريان لــو قذف الذي أسقيته — لجرى من المهجات نهر مزبد[3]
مـا شـاركته منية في مهجة — إلا وشفرتها على يدها يد[4]

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# حكم الجهاد في فلسطين

## أو حكم الجهاد عند دخول الكفار بلدة من بلاد المسلمين

ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقاً الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة التي هاجمها الكفار وعلى من قرب منهم، بحيث يخرج الولد دون إذ والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا أو تكاسلوا أو قعدوا يتوسع فرض العين على شكل دوائر الأقرب فالأقرب، فإن لم يكفوا أو قصروا فعلى من يليهم ثم على من يليهم حتى يعم فرض العين الأرض، وشر نفير المرأة أو الغلام الأمرد أن يكون مع ولي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعاً، فالعدو الصا الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط (كالزاد والراحلة)، بل يدفع بحسب الإمكان، و نص على ذلك العلماء وغيرهم.

**أولاً: فقهاء الحنفية:**

قال ابن عابدين: (وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام فيصير فرض عين على من قرب منه، فأما من وراء ببعد عن العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم، بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو، أو لم يعجزوا عنها ولكن تكاسلوا ولم يجاهدوا فإنه يفترض على من يليهم فرض عين كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه، وثم وثم إلى أن يفترض على جميع أه الإسلام شرقاً وغرباً على هذا التدريج). وبمثل هذا أفتى الكاساني وابن نجيم وابن الهمام.

**ثانياً: عند المالكية:**

جاء في حاشية الدسوقي: ويتعين الجهاد بفجء العدو، قال الدسوقي: (أي توجه الدفع بفجء (مفاجأة) على كل أحد وإن امر وعبداً أو صبياً، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدين).

**ثالثاً: عند الشافعية:**

جاء في نهاية المحتاج للرملي: (فإن دخلوا بلدة لنا وصار بيننا وبينهم دون مسافة القصر فيلزم أهلها الدفع حتى من لا جها عليهم من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة).

**رابعاً: عند الحنابلة:**

جاء في المغني لابن قدامة: ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع:

١. إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.

---

١- الحسام: السيف. ٢- النجيع: الدم. ٣- ريان: مرتوي، المهجات: دماء القلوب. ٤- منية: موت، مهجة: روح.

الإسلامية الأخرى، والتي أجمعت على تحريم بيع الأرض في فلسطين لليهود، وتحريم السمسرة على هذا البيع والتوسط فيه وتسهيل أمره بأي شكل وصورة، وتحريم الرضا بذلك كله والسكوت عنه، وأن ذلك كله أصبح بالنسبة لكلّ فلسطيني صادراً من عالم بنتيجته راض بها، ولذلك فهو يستلزم الكفر والارتداد عن دين الإسلام باعتقاد حله كما جاء في فتوى سماحة السيد أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

بعد النظر والبحث في ذلك كله، وتأييد ما جاء في تلك الفتاوي الشريفة، والاتفاق على أن البائع والسمسار والمتوسط في الأراضي بفلسطين لليهود والمسهل له هو:

أولاً: عامل ومظاهر على إخراج المسلمين من ديارهم.

ثانياً: مانع لمساجد الله أن يذكر فيها اسمه وساع في خرابها.

ثالثاً: متخذ اليهود أولياء، لأن عمله يعد مساعدة ونصراً لهم على المسلمين.

رابعاً: مؤذ لله ولرسوله وللمؤمنين.

خامساً: خائن لله ولرسوله وللأمانة.

وبالرجوع إلى الأدلة المبينة للأحكام –في مثل هذه الحالات– من آيات كتاب الله كقوله تعالى:

**(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم)** (الأنفال: ٢٧-٢٨).

وقوله تعالى: **(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا)** (الأحزاب: ٥٨).

وقوله تعالى: **(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** (البقرة: ١١٤).

وقوله تعالى: **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)** (الممتحنة: ٨-٩).

وقوله تعالى في آية أخرى: **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)** (الممتحنة: ١).

وقوله تعالى في آية أخرى: **(ومن يتولهم منكم فإنه منهم)** (المائدة: ٥١)

وقد ذكر الأئمة المفسرون أن معنى قوله تعالى: (فإنه منهم) أي من جملتهم وحكمه حكمهم.

فيعلم من جميع ما قد قدمناه من الأسباب والنتائج والأقوال والأحكام والفتاوي أن بائع الأرض لليهود في فلسطين سوا ذلك مباشرة أو بالواسطة وأن السمسار والمتوسط في البيع والمسهل له والمساعد عليه بأي شكل –مع علمهم بالنتائج المذكورة أولئك ينبغي أن لا يصلى عليهم، ولا يدفنوا في مقابر المسلمين، ويجب نبذهم، ومقاطعتهم، واحتقار شأنهم، وعدم التودد إليهم، و منهم، ولو كانوا آباء أو أبناء أو إخواناً أو أزواجاً.

**(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم ا قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أ من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)** (التوبة: ٢٣-٢٤)

هذا وإن السكوت عن أعمال هؤلاء والرضا به مما يحرم قطعاً.

(... أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وإنه إل ... واعلموا أن الله شديد العقاب) (الأنفال: ٢٤-٢٥)

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فإنه مولانا وهو نعم المولى ونعم النصير.

تحريراً في (٢٠) شوال سنة (١٣٥٣هـ) (٢٦) كانون الثاني (٣٥

٢- أصدر علماء الإسلام في نجد في يوليو (١٩٣٧م) فتوى تقول: إن ولاية اليهود في بلاد الإسلام باطلة ومحرمة.

٣- كما أصدر علماء الإسلام في العراق في يوليو (١٩٣٧م) فتوى بواجب كل مسلم في مقاومة إنشاء دولة يهودية فلسطين.

## فتوى محمد رشيد رضا:

إن من يبيع شيئاً من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للإنجليز فهو كمن يبيعهم المسجد الأقصى، وكمن يبيع الوطن لأن ما يشترونه وسيلة إلى ذلك وإلى جعل الحجاز على خطر، فرتبة الأرض من هذه البلاد هي كرقبة الإنسان من جسده، وهي تعد شرعاً من المنافع الإسلامية العامة لا من الأملاك الشخصية الخاصة، وتمليك الحربي لدار الإسلام باطل وخيانة لله ولرس ولأمانة الإسلام، ولا أذكر هنا كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة، وإنما أقترح على كل من يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله خاتم النب أن يبث هذا الحكم الشرعي في البلاد، مع الدعوة إلى مقاطعة هؤلاء الخونة الذين يصرون على خيانتهم في كل شيء: المعاش والمعاملة والزواج والكلام حتى رد السلام.

## فتوى علماء الأزهر في الصلح مع اليهود سنة (١٩٥٦م):

بعد قيام دولة اليهود في فلسطين سنة (١٩٤٨م) بين علماء المسلمين حكم الصلح مع دولة اليهود، ففي الفتوى الصادرة لجنة الفتوى -فتوى الأزهر- سنة (١٩٥٦م) إجابة على حكم الصلح والسلام مع دولة اليهود في فلسطين أعلنت اللجنة:

(إن الصلح مع (إسرائيل) لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار للغاصب على الاستمرار في غصب ما اغتصبه، وتمكينه، والاعترا بحقية يده على المعتدي من البقاء على عدوانه).

(فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم، بل يج على المسلمين أن يتعاونوا جميعاً -على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم- لرد هذه البلاد إلى أهلها...

ومن قصر في ذلك أو فرط فيه، أو خذل المسلمين عن الجهاد، أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمك لدول الاستعمار من تنفيذ مخططهم ضد العرب والإسلام وضد فلسطين فهو في حكم الإسلام مفارق جماعة المسلمين، ومقترف أعظ الآثام).

## مطامع اليهود

وفي خزائن روتشلد -الذي أرسل إليه وعد بلفور- خريطة لأرض إسرائيل المرتقبة، تشمل بلاد الشام والعراق، وبعضاً م تركيا وشمال الكويت وشمال السعودية -بحيث تدخل ضمنها خيبر والمدينة المنورة-، وشرقي مصر حتى النيل[1].

وعندما قدم اليهود سنة (١٩١٩م) تصورهم عن الحد الأدنى الذي يرغبونه لحدود الوطن القومي اليهودي وضعوا فيه بالإضا إلى فلسطين أجزاء من لبنان وسوريا وشرق الأردن[2].

وعندما حصل قرار التقسيم لفلسطين في الأمم المتحدة سنة (١٩٤٧م) لم يكتف اليهود بالنصيب الذي فرضته دول الكف لليهود، وهو (٥٦٪) حيث أضاف لذلك مساحات أخرى فأصبحت المساحة المحتلة المغتصبة من فلسطين (٧٨٪)[3].

## مخاوف اليهود من الحل الإسلامي:

إن أخشى ما يخشاه اليهود أن تستيقظ روح الإسلام في النفوس، وتنتشر روح الجهاد وحب الإستشهاد، وللقارئ أن يطل على

١- أنظر الخريطة رقم (١) المرفقة في آخر الكتاب. ٢- أنظر الخريطة رقم (٢) المرفقة في آخر الكتاب. ٣- أنظر الخريطة رقم (٣) المرفقة في آخر الكتاب.

عشرات التصريحات في هذا الشأن.

- يقول ابن غوريون: نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الاسلام هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ من جديد.

- ويقول أيضاً: إن أخشى ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد.

- ويقول شمعون بيرز في مهرجان خطابي انتخابي (١٩٧٨م): إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه.

- ويقول إسحق رابين في تصريح نشرته مجلة المجتمع سنة (١٩٧٦م): إن مشكلة الشعب اليهودي في أن الدين الإسلامي ما زال في دور العدوان والتوسع، وليس مستعداً لقبول حلول مع إسرائيل، إنه عدونا اللدود الذي يهدد مستقبل إسرائيل وشعبها.

ويقول المعلق السياسي لراديو إسرائيل في يوم (١٩٧٨/٩/٥م) الساعة العاشرة والنصف مساء: إن على اليهود وأصدقائهم أن يدركوا أن الخطر الحقيقي الذي تواجهه إسرائيل هو خطر عودة الروح الإسلامية إلى الاستيقاظ من جديد، وإن على المحبين لإسرائيل أن يبذلوا جهدهم لإبقاء الروح الإسلامية خامدة، لأنها إذا اشتعلت من جديد فلن تكون إسرائيل وحدها في خطر، ولكن الحضارة الغربية كلها ستكون في خطر.

والعشرات من الأمثلة التي تقرأها في كتاب (عداء اليهود للحركة الإسلامية) وغيرها.

فهلا انتبه الغافلون؟ ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

## موقف الإستعمار من الصحوة الإسلامية:

(من مقال للأستاذ يوسف القرضاوي -بتصرف- البعث الإسلامي العدد (٩) المجلد (٣٣)).

تجرأ فؤاد زكريا بقوله: أن الاستعمار (وخاصة الصهيونية) لا يخشى الصحوة الإسلامية ولا يحاربها، مدعياً أن السادات كان يشجع التيار الإسلامي في نفس اللحظة التي قرر فيها أن يكون توجهه أمريكياً، إلى غير ذلك من الافتراءات، مع علمه أن الحركة الإسلامية مضطهدة من الغرب والشرق على حد سواء، وقوله هذا مخالف لمنطق الدين، يقول القرآن: **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** (البقرة: ١٢٠).

ومخالف لمنطق التاريخ: فالحرب لم تتوقف بين الإسلام وأعدائه من اليهود والنصارى منذ الصراع مع (بني قينقاع والنضير وقريظة إلى يومنا هذا.

ومخالف للواقع الحافل بالأدلة على أنهم لا يخشون غير الإسلام، وننقل هنا قليلاً مما نشرت الصحف عن قلقهم من الإسلام ومحاولتهم إخماد كل حركة بالدم والحديد حتى لا تتحول إلى ثورة فدولة.

## الوثائق والحقائق تتكلم:

١- انتقدت يدعوت أحرنوت في (١٩٧٨/٣/١٨م) إجراء مقابلة تلفزيونية مع سعد حداد وإبراز معالم الفرح التي عمت قرى النصارى بسبب احتلال اليهود للبنان، لأن ذلك التصرف الطائش سبب ردة فعل عنيفة بين المسلمين في لبنان وغيرها، وحرك فيهم الروح الإسلامية.

قالت الصحيفة: إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، وهي أننا نجحنا في إبعاد الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد، ويجب منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أي بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا، وقالت: لقد وقع تلفزيوننا في خطأ كاد أن ينسف كل خططنا لأنه تسبب في إيقاظ الروح الإسلامية، ونخشى أن تستغل الجماعات الإسلامية هذه الفرصة لتحريك المشاعر ضدنا، وإذا فشلنا في إقناع أصدقائنا بتوجيه ضربة إليها في الوقت المناسب فإن على إسرائل أن تواجه عدواً حقيقياً لا

وهمياً حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة.

٢- يقول بيرغرين دروستون في مقال نشرته الصنداي تلغراف في (١٩٧٨/٢/١٧م): إن أكبر خطأ يرتكبه الغربيون هو: تفكيرهم بضرورة التدخل العسكري المباشر في المنطقة في حالة عجز الأنظمة العربية عن كبح جماح المتطرفين المسلمين، لأن خطر لا يقارن بأي خطر آخر مهما كان.

٣- نقلت القبس الكويتية في (١/٢٦) عن وكالات الأنباء قول دايان في خطاب له أمام يهود أمريكا: أن على أمريكا والغ أخذ العبرة من أحداث إيران التي ممكن أن تهب بشكل مفاجيء في غيرها (كتركيا وأفغانستان)، وأكد أن عدوه الأول هو (الإخو المسلمون)، وأنه في الوقت الذي تشعر فيه إسرائيل أن العرب في فلسطين بدأوا يتمسكون بالاتجاهات الإسلامية المتعصبة فستقذ بهم بعيداً لينضموا لإخوانهم اللاجئين.

٤- قالت صحيفة (كمشلر الفيجلر) التي تصدر في ألمانيا الغربية: على الغرب إذا أراد المحافظة على مصالحه في الشر الأوسط أن يبدي مرونة في تفهم مقاصد الاتجاهات الإسلامية.

٥- قال حاييم هيرتزوغ في صحيفة (الجروزلم بوست) في (١٩٧٨/٩/٢٥م): أن ظهور حركة اليقظة الإسلامية بهذه الصو المفاجئة المذهلة قد أظهرت بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية وقبل هؤلاء جميعاً وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت تغط ا سبات عميق.

٦- في مقابلة مع صحيفة هآرتس في (١٢) شباط (١٩٧٩م) قال مسؤول يهودي: إن الذي يثير قلقنا هو أن مواقف العر داخل إسرائيل بدأت تتحول من مواقف مبنية على قاعدة قومية إلى مواقف تستند إلى قواعد دينية.

ثم قال: إن خطراً حقيقياً بدأ يهدد الاستقرار في الشرق الأوسط وقسماً كبيراً من إفريقيا، وهذا الخطر هو خطر انتشار ثو إسلامية شاملة يقوم بها متدينون متطرفون.

٧- في ندوة في جامعة تل أبيب في (١٩٧٩/١م) قال شارون: ما من قوة في العالم تضاهي قوة الإسلام من حيث قدرته عا اجتذاب الجماهير، فهو يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية.

وقال يوشواح بورات: إن المساجد هي -دائماً- منبع دعوة الجماهير العربية إلى التمرد على الوجود اليهودي.

وقال البروفيسور الباريش: إن الإسلام قوة سياسية واجتماعية قادرة على توحيد الجماهير، وخاصة في الضفة الغربية، حي يقوم علماء الدين المسلمون بمهمة توحيد الصفوف ضد اليهود.

وقال موشيه شارون: إن جهود علماء المسلمين كالحسيني وحسن البنا ما زال لها تأثير كبير في كسب المسلمين إلى جانب عر فلسطين باسم الإسلام وباسم حماية الأماكن المقدسة.

٨- قال مستشار البيت الأبيض لشؤون الأمن القومي (بريجنسكي): إن الولايات المتحدة بحاجة إلى إعداد دراسة جديدة حو الحركة الإسلامية المتشددة، ليسهل على الإدارة الأمريكية وأصدقائها في المنطقة الإسلامية مراقبتها عن كثب، حتى لا تفاجأ باندلا ثورة إسلامية جديدة في أي مكان في العالم الإسلامي، لأن أمريكا حريصة على عدم السماح للإسلام بأن يلعب دوراً مؤثراً فم السياسة الدولية.

٩- وذكرت صحيفة القبس الكويتية في عددها الصادر في (١٩٧٩/١/٤م): أن مجلس الأمن القومي الأمريكي طلب من هيئ المخابرات البريطانية تزويد الإدارة الأمريكية بكل ما يتوافر لديها من معلومات تتعلق بالحركة الإسلامية للاستعانة بها في وضـ الخطط الكفيلة بالقضاء على خطرهم قبل فوات الأوان.

١٠- أوردت وكالة الأنباء الفرنسية في نبأ لها من بيت المقدس بتاريخ (١٩) شباط (فبراير) (١٩٧٩م) أن السلطات اليهودي قامت باعتقال اثني عشر عالماً من علماء المسلمين، ومعظمهم من الشباب في بيت المقدس.

١١- جاء في مقال فورتشن ما يلي: إن صحوة الإسلام الجديدة تزعج الإسرائيليين كثيراً، فإسرائيل تعرف تماماً أنه إذ

فشلت محادثات السلام مع مصر، فإنها ستكون هدفاً لحرب الجهاد المقدس التي ستشنها الصحوة الإسلامية المتزايدة، ثم قالت: إنه حتى في الجامعات العبرية في إسرائيل بدأ الطلاب العرب المسلمون يطلقون لحاهم ويؤدون العبادات الإسلامية، في حين بدأت الفتيات المسلمات في ارتداء الزي الإسلامي الشرعي[١].

هذه بعض الوثائق التي ترد ادعاءات الكاتب المصري العلماني (فؤاد زكريا) وكلها تؤكد العداء السافر لليهود والنصارى ضد الإسلام والحركات الإسلامية، نقلناها باختصار من مقال للدكتور يوسف القرضاوي[٢].

## وصايا لأبناء حماس والصحوة الإسلامية:

١- عليك بإخلاص النية، وصدق الطوية، وإياك والرياء.

٢- عليك بتلاوة جزء من القرآن يومياً.

٣- احفظ من القرآن يومياً ولو آية.

٤- عليك بأذكار الصباح والمساء.

٥- داوم على قراءة أذكار اليوم والليلة (المأثورات) أدعية الطعام واللباس والخروج والمسجد والمنام.

٦- احتفظ بتفسير صغير مثل الجلالين أو مختصر الطبري وكتاب رياض الصالحين.

٧- اقرأ كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية (لمنير الغضبان).

٨- إقرأ حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي.

٩- إقرأ كتاب فقه السنة للسيد سابق.

١٠- إقرأ كتاب الإيمان -أركانه ونواقضه- للدكتور محمد نعيم ياسين.

١١- عليك بكتاب التاريخ الإسلامي لأحمد شاكر.

١٢- احفظ لسانك وابك على خطيئتك.

١٣- لا تضيع وقتك سدى وطالع في الكتب الإسلامية خاصة رسائل البنا، وآل قطب، وسعيد حوى، ومصطفى مشهور، والقرضاوي، وفتحي يكن، والمودودي ومحمد أبو فارس، وأحمد نوفل، ومحمد أحمد الراشد، وجاسم مهلهل.

١٤- إحفظ أعضاءك من المعاصي يحفظها الله لك نشيطة قوية.

١٥- لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي.

١٦- ابتعد عن المحرمات خاصة فيما يختص بالنساء {فما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء}.

١٧- نم مبكراً وقم مبكراً ولا تنم بعد الفجر.

١٨- عليك بقيام الليل.

١٩- بيت النية على الجهاد، واستعد له، وخذ له أهبته.

---

١- القبس (١٩٨٦/٦/٣٠م). ٢- مجلة البعث الإسلامي عدد (٩) جمادي الثانية (١٤٠٩هـ).

# ميثاق حركة المقاومة الإسلامية فلسطين (حماس)

فلسطين (١) محرم (٩. ١٤هـ) (١٨) آب (١٩٨٨م)

بسم الله الرحمن الرحيم

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم م المؤمنون وأكثرهم الفاسقون، لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون، ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء ب حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (آل عمران (١١٠-١١٢)

(ستقوم إسرائيل، وستظل قائمة إلى أن يبطلها الإسلام كما أبطل ما قبلها)

(الإمام الشهيد حسن البنا رحمه ا

(إن العالم الإسلامي يحترق، وعلى كل منا أن يصب ولو قليلاً من الماء ليطفئ ما يستطيع أن يطفئه دون أن ينتظر غيره).

(الشيخ أمجد الزهاوي رحمه ا

---

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقــــدمه

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوكل عليه، ونصلي ونسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه، ود بدعوته واستن بسنته، صلاة وتسليماً دائمين ما دامت السماوات والأرض، وبعد:

**أيها الناس:** من وسط الخطوب، وفي خضم المعاناة، ومن نبضات القلوب المؤمنة والسواعد المتوضئة، وإدراكاً للواجب واستجابة لأمر الله، كانت الدعوة وكان التلاقي والتجمع، وكانت التربية على منهج الله، وكانت الإرادة المصممة على تأدية دورها ف الحياة، متخطية كل العقبات، متجاوزة مصاعب الطريق، وكان الإعداد المتواصل، والاستعداد لبذل النفس والنفيس في سبيل الله.

وكان أن تشكلت النواة، وأخذت تشق طريقها في هذا البحر المتلاطم من الأماني والآمال، ومن الأشواق والتمنيات، والمخاو والعقبات والآلام والتحديات في الداخل والخارج.

ولما نضجت الفكرة، ونمت البذرة، وضربت النبتة بجذورها في أرض الواقع، بعيداً عن العاطفة المؤقتة، والتسرع المذمو انطلقت حركة المقاومة الإسلامية لتأدية دورها، مجاهدة في سبيل ربها، تتشابك سواعدها مع سواعد كل المجاهدين من أجل تحر فلسطين، وتلتقي أرواح مجاهديها بأرواح كل المجاهدين الذين جادوا بأنفسهم على أرض فلسطين، منذ أن فتحها صحابة رسول ا ﷺ وحتى يومنا هذا.

وهذا ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)[١] يجلي صورها، ويكشف عن هويتها، ويبين موقفها، ويوضح تطلعها، ويتحد عن آمالها، ويدعو إلى مناصرتها ودعمها، والالتحاق بصفوفها، فمعركتنا مع يهود جد كبيرة وخطيرة، وتحتاج إلى جميع الجهو المخلصة، وهي خطوة لا بد من أن تتبعها خطوات، وكتيبة لا بد من أن تدعمها الكتائب تلو الكتائب من هذا العالم الإسلامي المترام الأطراف، حتى يندحر الأعداء، ويتنزل نصر الله، هكذا نلمحهم في الأفق قادمين.

---

١- حماس -الشدة والشجاعة- (المعجم الوسيط ج١).

**(ولتعلمن نبأه بعد حين)** (ص: ٨٨)

**(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز)** (المجادلة: ٢١)

**(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)** (يوسف: ١٠٨)

# الباب الأول: التعريف بالحركة

## المنطلقات الفكرية:

**المادة الأولى:**

حركة المقاومة الإسلامية: الإسلام منهجها، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان، وإليه تحتكم في كل تصرفاتها، ومنه تستلهم ترشيد خطاها.

## صلة حركة المقاومة الإسلامية بجماعة الإخوان المسلمين:

**المادة الثانية:**

حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين، وحركة الإخوان تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث، وتمتاز بالفهم العميق، والتصور الدقيق، والشمولية التامة لكل المفاهيم الإسلامية في شتى مجالات الحياة، في التصور والاعتقاد، في السياسة والاقتصاد، في التربية والاجتماع، في القضاء والحكم، في الدعوة والتعليم، في الفن والإعلام، في الغيب والشهادة، وفي باقي مجالات الحياة.

## البنية والتكوين:

**المادة الثالثة:**

تتكون البنية الأساسية لحركة المقاومة الإسلامية من مسلمين أعطوا ولاءهم لله، فعبدوه حق عبادته **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** (الذاريات: ٥٦)، وعرفوا واجبهم تجاه أنفسهم وأهليهم ووطنهم، فاتقوا الله في كل ذلك، ورفعوا راية الجهاد في وجه الطغاة لتخليص البلاد والعباد من دنسهم وأرجاسهم وشرورهم **(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)** (الأنبياء: ١٨).

**المادة الرابعة:**

ترحب حركة المقاومة الإسلامية بكل مسلم اعتنق عقيدتها، وأخذ بفكرتها، والتزم منهجها، وحفظ أسرارها، ورغب أن ينخرط في صفوفها لأداء الواجب وأجره على الله.

## البعد الزماني والمكاني لحركة المقاومة الإسلامية:

**المادة الخامسة:**

بعد حركة المقاومة الإسلامية الزماني: باتخاذها الإسلام منهج حياة لها، يمتد إلى مولد الرسالة الإسلامية، والسلف الصالح، فالله غايتها، والرسول قدوتها، والقرآن دستورها.

وبعدها المكاني: حيثما تواجد المسلمون الذين يتخذون الإسلام منهج حياة لهم، في أي بقعة من بقاع الأرض، فهي بذلك ضاربة في أعماق الأرض، وتمتد لتعانق السماء.

**(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها**

## التميز والاستقلالية:

### المادة السادسة:

حركة المقاومة الإسلامية حركة فلسطينية متميزة، تعطي ولاءها لله، وتتخذ من الإسلام منهج حياة، وتعمل على رفع راية الله على كل شبر من فلسطين، ففي ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات جميعاً في أمن وأمان على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم، وفي غياب الإسلام ينشأ الصراع، ويستشري الظلم، وينتشر الفساد، وتقوم المنازعات والحروب.

ولله در الشاعر المسلم محمد إقبال حيث يقول:

*إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي دينا*
*ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا*

## عالمية حركة المقاومة الإسلامية:

### المادة السابعة:

بحكم انتشار المسلمين الذين ينهجون منهج حركة المقاومة الإسلامية في كل بقاع العالم، ويعملون على مناصرتها وتبني مواقفها، وتعزيز جهادها، فهي حركة عالمية، وهي مؤهلة لذلك لوضوح فكرتها ونبل غايتها، وسمو أهدافها.

وعلى هذا الأساس يجب أن ينظر إليها ويقدر قدرها، ويعترف بدورها، ومن غمطها حقها وضرب صفحاً عن مناصرتها وعميت بصيرته فاجتهد في طمس دورها، فهو كمن يجادل القدر، ومن أغمض عينيه عن رؤية الحقائق، بقصد أو بغير قصد فسيفيق وقد تجاوزته الأحداث، وأعيته الحجج في تبرير موقفه، والسابقة لمن سبق.

*وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند*

**(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)** (المائدة:٤٨).

وحركة المقاومة الإسلامية حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عزالدين القسام وإخوانه المجاهدين من الإخوان المسلمين عام (١٩٣٦م)، وتمضي لتتصل وترتبط بحلقة أخرى تضم جهاد الفلسطينيين وجهود الإخوان المسلمين في حرب (١٩٤٨م)، والعمليات الجهادية للإخوان المسلمين عام (١٩٦٨م) وما بعده.

هذا، وإن تباعدت الحلقات، وحالت دون مواصلة الجهاد العقبات التي يضعها الدائرون في فلك الصهيونية في وجه المجاهدين فإن حركة المقاومة الإسلامية تتطلع إلى تحقيق وعد الله مهما طال الزمن، والرسول ﷺ يقول: **[لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود]**[1].

## شعار حركة المقاومة الإسلامية:

### المادة الثامنة:

الله غايتها، والرسول قدوتها، والقرآن دستورها، والجهاد سبيلها، والموت في سبيل الله أسمى أمانيها.

# الباب الثاني: الأهداف

## البواعث والأهداف:

### المادة التاسعة:

وجدت حركة المقاومة الإسلامية نفسها في زمن غاب فيه الإسلام عن واقع الحياة، ولذلك اختلت الموازين، واضطربت المفاهيم

---

١- رواه البخاري ومسلم.

وتبدلت القيم، وتسلط الأشرار، وساد الظلم والظلام، وتنمر الجبناء، واغتصبت الأوطان، وشرد الناس، وهاموا على وجوههم في كل بقعة من بقاع الأرض، وغابت دولة الحق، وقامت دولة الباطل، ولم يبق شيء في مكانه الصحيح، وهكذا عندما يغيب الإسلام عن الساحة يتغير كل شيء، وتلك هي البواعث.

أما الأهداف: فهي منازلة الباطل وقهره ودحره، ليسود الحق، وتعود الأوطان، وينطلق من فوق مساجدها الأذان معلناً قيام دولة الإسلام، ليعود الناس والأشياء كل إلى مكانه الصحيح، والله المستعان.

**(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)** (البقرة: ٢٥١).

**المادة العاشرة:**

وحركة المقاومة الإسلامية وهي تشق طريقها سند لكل مستضعف، ونصير لكل مظلوم، بكل ما أوتيت من قوة، لا تدخر جهداً في إحقاق الحق وإبطال الباطل، بالقول والفعل، في هذا المكان وفي كل مكان يمكنها أن تصل إليه وتؤثر فيه.

# الباب الثالث: الاستراتيجية والوسائل

## استراتيجية حركة المقاومة الإسلامية: فلسطين أرض وقف إسلامي:

**المادة الحادية عشرة:**

تعتقد حركة المقاومة الإسلامية أن أرض فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط بها أو بجزء منها، أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس، أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات، سواء كانت فلسطينية أو عربية، لأن فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، ومن يملك النيابة الحقة عن الأجيال الإسلامية إلى يوم القيامة؟

هذا حكمها في الشريعة الإسلامية، ومثلها في ذلك مثل كل أرض فتحها المسلمون عنوة، حيث وقفها المسلمون زمن الفتح على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة.

وكان ذلك أن قادة الجيوش الإسلامية بعد أن تم لهم فتح الشام والعراق قد أرسلوا لخليفة المسلمين عمر بن الخطاب يستشيرونه بشأن الأرض المفتوحة هل يقسمونها على الجند، أم يبقونها لأصحابها، أم ماذا؟ وبعد مشاورات ومداولات بين خليفة المسلمين عمر بن الخطاب وصحابة رسول الله ﷺ استقر قرارهم أن تبقى الأرض بأيدي أصحابها ينتفعون بها وبخيراتها، أما رقبة الأرض أما نفس الأرض فوقف على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، وامتلاك أصحابها، امتلاك منفعة فقط، وهذا الوقف باق ما بقيت السماوات والأرض، وأي تصرف مخالف لشريعة الإسلام هذه بالنسبة لفلسطين فهو تصرف باطل مردود على أصحابه.

**(إن هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم)** (الواقعة: ٩٥-٩٦).

## الوطن والوطنية من وجهة نظر الحركة الإسلامية بفلسطين:

**المادة الثانية عشرة:**

الوطنية من وجهة نظر حركة المقاومة الإسلامية جزء من العقيدة الدينية، وليس أبلغ في الوطنية ولا أعمق من أنه إذا وطئ العدو أرض المسلمين فقد صار جهاده والتصدي له فرض عين على كل مسلم ومسلمة، تخرج المرأة لقتاله بغير إذن زوجها، والعبد بغير إذن سيده.

ولا يوجد مثل ذلك في أي نظام من النظم الأخرى، وتلك حقيقة لا مراء فيها، وإذا كانت الوطنيات المختلفة ترتبط بأسباب مادية وبشرية وإقليمية، فوطنية حركة المقاومة الإسلامية لها كل ذلك، ولها فوق ذلك وهو الأهم أسباب ربانية تعطيها روحاً وحياة، وحيث تتصل بمصدر الروح وواهب الحياة، رافعة في سماء الوطن الراية الإلهية لتربط الأرض بالسماء برباط وثيق.

(قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)

(البقرة: ٢٥٦)

## الحلول السلمية والمبادرات والمؤتمرات الدولية:

**المادة الثالثة عشرة:**

تتعارض المبادرات وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية مع عقيدة حركة المقاومة الإسلا فالتفريط في أي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين، فوطنية حركة المقاومة الإسلامية جزء من دينها، على ذلك تربى أفراد ولرفع راية الله فوق وطنهم يجاهدون(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف: ٢١).

وتثار من حين لآخر الدعوة لعقد مؤتمر دولي للنظر في حل القضية، فيقبل من يقبل، ويرفض من يرفض لسبب أو لآخر، مط بتحقيق شرط أو شروط ليوافق على عقد المؤتمر والمشاركة فيه، وحركة المقاومة الإسلامية لمعرفتها بالأطراف التي يتكون منها المؤت وماضي وحاضر مواقفها من قضايا المسلمين، لا ترى أن تلك المؤتمرات يمكن أن تحقق المطالب أو تعيد الحقوق، أو تنصف المظل وما تلك المؤتمرات إلا نوع من أنواع تحكيم أهل الكفر في أرض المسلمين، ومتى أنصف أهل الكفر أهل الإيمان؟!

**(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير)** (البقرة: ١٢٠).

ولا حل للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد، أما المبادرات والطروحات والمؤتمرات الدولية، فمضيعة للوقت، وعبث من العب والشعب الفلسطيني أكرم من أن يعبث بمستقبله، وحقه ومصيره، وفي الحديث الشريف: **{أهل الشام سوط الله في أرضه، ينتقم به من يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، ولا يموتوا إلا هماً وغماً}**[1].

## الدوائر الثلاث:

**المادة الرابعة عشرة:**

قضية تحرير فلسطين تتعلق بدوائر ثلاث: الدائرة الفلسطينية، والدائرة العربية، والدائرة الإسلامية، وكل دائرة من هذه الدوا الثلاث لها دورها في الصراع مع الصهيونية، وعليها واجبات، وإنه لمن الخطأ الفادح والجهل الفاضح إهمال أي دائرة من ه الدوائر، ففلسطين أرض إسلامية بها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مسرى رسول الله ﷺ**(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)** (الإسراء: ١).

ولما كان الأمر كذلك فتحريرها فرض عين على كل مسلم حيثما كان، وعلى هذا الأساس يجب أن ينظر إلى القضية، ويجب يدرك ذلك كل مسلم، ويوم تعالج القضية على هذا الأساس الذي تعبأ فيه إمكانات الدوائر الثلاث، فإن الأوضاع الحالية ستتغ ويقترب يوم التحرير. **(لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون)** (الحشر: ١٣).

## الجهاد لتحرير فلسطين فرض عين:

**المادة الخامسة عشرة:**

يوم يغتصب الأعداء بعض أرض المسلمين فالجهاد فرض عين على كل مسلم، وفي مواجهة اغتصاب اليهود لفلسطين لا بد م رفع راية الجهاد، وذلك يتطلب نشر الوعي الإسلامي في أوساط الجماهير محلياً وعربياً وإسلامياً، ولا بد من بث روح الجهاد ف الأمة، ومنازلة الأعداء، والالتحاق بصفوف المجاهدين.

ولا بد أن يشترك في عملية التوعية العلماء ورجال التربية والتعليم ورجال الإعلام ووسائل النشر، وجماهير المثقفين، وعا الأخص شباب الحركات الإسلامية وشيوخها، ولا بد من إدخال تغييرات جوهرية على مناهج التعليم تخلصها من آثار الغزو الفكر

---

١- رواه الطبراني مرفوعاً، وأحمد موقوفاً، ولعله الصواب ورواتهما ثقات والله أعلم.

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

المادة الحادية والعشرون:

ومن التكافل الاجتماعي تقديم المساعدة لكل محتاج، سواء كانت مادية أو معنوية، أو المشاركة في إنجاز بعض الأعمال. وعلى عناصر حركة المقاومة الإسلامية أن ينظروا إلى مصالح الجماهير نظرتهم إلى مصالحهم الخاصة، وعليهم أن لا يدخروا جهداً في سبيل تحقيقها والمحافظة عليها، وعليهم أن يحولوا دون التلاعب بكل ما يؤثر في مستقبل الأجيال أو يعود على مجتمعهم بالخسارة، فالجماهير منهم ولهم، وقوتها قوة لهم، ومستقبلها مستقبلهم، على عناصر حركة المقاومة الإسلامية أن يشاركوا الناس في أفراحهم وأتراحهم، وأن يتبنوا مطالب الجماهير وما يحقق مصالحها ومصالحهم، ويوم تسود هذه الروح تتعمق الألفة، ويكون التعاون والتراحم، وتتوثق الوحدة، ويقوى الصف في مواجهة الأعداء.

## القوى التي تدعم العدو:

المادة الثانية والعشرون:

خطط الأعداء منذ زمن بعيد وأحكموا تخطيطهم كي يتوصلوا إلى ما وصلوا إليه، آخذين بالأسباب المؤثرة في مجريات الأمور، فعملوا على جمع ثروات مادية هائلة ومؤثرة، سخروها لتحقيق حلمهم، فبالأموال سيطروا على وسائل الإعلام العالمية، من وكالات أنباء وصحافة ودور نشر، وإذاعات وغير ذلك، وبالأموال فجروا الثورات في مختلف بقاع العالم، لتحقيق مصالحهم وجني الثمار، فهم من وراء الثورة الفرنسية والثورة الشيوعية، ومعظم ما سمعنا ونسمع عن ثورات هنا وهناك، وبالأموال كونوا المنظمات السرية التي تنتشر في مختلف بقاع العالم لهدم المجتمعات وتحقيق مصالح الصهيونية كالماسونية ونوادي الروتاري والليونز وأبناء العهد وغير ذلك، وكلها منظمات تجسسية هدامة، وبالأموال تمكنوا من السيطرة على الدول الاستعمارية، دفعوها إلى استعمار كثير من الأقطار لكي يستنزفوا ثروات تلك الأقطار وينشروا فيها فسادهم.

وعن الحروب المحلية والعالمية حدث ولا حرج، فهم من خلف الحرب العالمية الأولى، حيث تم لهم القضاء على دولة الخلافة الإسلامية، وجنوا الأرباح المادية، وسيطروا على كثير من موارد الثروة، وحصلوا على وعد بلفور، وأنشأوا عصبة الأمم المتحدة ليحكموا العالم من خلال تلك المنظمة، وهم من خلف الحرب العالمية الثانية، حيث جنوا الأرباح الطائلة من تجارتهم في مواد الحرب، ومهدوا لإقامة دولتهم، وأوعزوا بتكوين هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن بدلاً من عصبة الأمم المتحدة ولحكم العالم من خلال ذلك.

وما من حرب تدور هنا أو هناك إلا وأصابعهم تلعب من خلفها. **(كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين)** (المائدة: ٦٤).

فالقوى الاستعمارية في الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي تدعم العدو بكل ما أوتيت من قوة مادياً وبشرياً، وهي تتبادل الأدوار، ويوم يظهر الإسلام تتحد في مواجهته قوى الكفر، فملة الكفر واحدة.

**(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)** (آل عمران: ١١٨)

وليس عبثاً أن تختم الآية بقوله تعالى **(إن كنتم تعقلون)**.

# الباب الرابع: موقفنا من...

## أ- الحركات الإسلامية:

**المادة الثالثة والعشرون:**

تنظر حركة المقاومة الإسلامية إلى الحركات الإسلامية الأخرى نظرة احترام وتقدير، فهي إن اختلفت معها في جانب أو تصور، اتفقت معها في جوانب وتصورات. وتنظر إلى تلك الحركات -إن توافرت النوايا السليمة والإخلاص لله- بأنها تندرج في باب الاجتهاد

ما دامت تصرفاتها في حدود الدائرة الإسلامية، ولكل مجتهد نصيب.

وحركة المقاومة الإسلامية تعتبر تلك الحركات رصيداً لها، وتسأل الله الهداية والرشاد للجميع، ولا يفوتها أن تبقى رافعة لوا الوحدة، وتسعى جاهدة إلى تحقيقها على الكتاب والسنة.

**(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكن على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)** (آل عمران: ١٠٢)

**المادة الرابعة والعشرون:**

لا تجيز حركة المقاومة الإسلامية الطعن أو التشهير بالأفراد أو الجماعات، فالمؤمن ليس بطعان ولا لعان، مع ضرورة التفر بين ذلك وبين المواقف والتصرفات للأفراد والجماعات، فعندما يكون خطأ في الموقف والتصرفات فلحركة المقاومة الإسلامية الحق ف بيان الخطأ، والتنفير منه، والعمل على بيان الحق وتبنيه في القضية المطروحة بموضوعية، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

**(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليما ، إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن ا كان عفواً قديرا)** (النساء: ١٤٨-١٤٩)

## ب- الحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية:

**المادة الخامسة والعشرين:**

تبادلها الاحترام، وتقدر ظروفها والعوامل المحيطة بها والمؤثرة فيها، وتشد على يدها ما دامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوع أو الغرب الصليبي، وتؤكد لكل من هو مندمج بها أو متعاطف معها بأن حركة المقاومة الإسلامية حركة جهادية أخلاقية واعية فم تصورها للحياة، وتحركها مع الآخرين، تمقت الانتهازية، ولا تتمنى إلا الخير للناس أفراداً وجماعات، لا تسعى إلى مكاسب مادية، أ شهرة ذاتية، ولا تبغي أجراً من الناس، تنطلق بإمكانياتها الذاتية وما يتوافر لها **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** (الأنفال: ٦٠) لأداء الواجب، والفوز برضوان الله ، لا مطمع لها غير ذلك.

وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية من أجل تحرير فلسطين، بأنها لها سند وعون، ولن تكون إ كذلك، قولاً وعملاً، حاضراً ومستقبلاً، تجمع ولا تفرق، تصون ولا تبدد، وتوحد ولا تجزئ، تثمن كل كلمة طيبة، وجهد مخلص، ومسا حميدة تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية، ولا تصغي للشائعات والأقوال المغرضة، مع إدراكها لحق الدفاع عن النفس.

وكل ما يتعارض أو يتناقض مع هذه التوجهات فهو مكذوب من الأعداء أو السائرين في ركابهم بهدف البلبلة وشق الصفوف والتلهي بأمور جانبية.

**(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)** (الحجرات: ٦).

**المادة السادسة والعشرون:**

حركة المقاومة الإسلامية وهي تنظر إلى الحركات الوطنية الفلسطينية -التي لا تعطي ولاءها للشرق أو الغرب- هذه النظرة الإيجابية، فإن ذلك لا يمنعها من مناقشة المستجدات على الساحة المحلية والدولية حول القضية الفلسطينية مناقشة موضوعية تكشف عن مدى انسجامها أو اختلافها مع المصلحة الوطنية على ضوء الرؤية الإسلامية.

## جـ- منظمة التحرير الفلسطينية:

**المادة السابعة والعشرون:**

منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ففيها الأب أو الأخ أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه، فوطننا واحد، ومصابنا واحد، ومصيرنا واحد، وعدونا مشترك.

وتأثراً بالظروف التي أحاطت بتكوين المنظمة، وما يسود العالم العربي من بلبلة فكرية نتيجة للغزو الفكري الذي وقع تحت تأثيره العالم العربي منذ اندحار الصليبيين، وعززه الاستشراق والتبشير والاستعمار ولا يزال، تبنت المنظمة فكرة الدولة العلمانية

وهكذا نحسبها.

والفكرة العلمانية[1] مناقضة للفكرة الدينية مناقضة تامة، وعلى الأفكار تبنى المواقف والتصرفات وتتخذ القرارات.

ومن هنا مع تقديرنا لمنظمة التحرير الفلسطينية -وما يمكن أن تتطور إليه-، وعدم التقليل من دورها في الصراع العربي الإسرائيلي، لا يمكننا أن نستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لنتبنى الفكرة العلمانية، فإسلامية فلسطين جزء من ديننا، ومن فرط في دينه فقد خسر. (**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**) (البقرة: ١٣٠).

ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كمنهج حياة، فنحن جنودها، ووقود نارها التي تحرق الأعداء، فإلى أن يتم ذلك -ونسأل الله أن يكون قريبا- فموقف حركة المقاومة الإسلامية من منظمة التحرير الفلسطيني هو موقف الابن من أبيه، والأخ من أخيه، والقريب من قريبه، يتألم لألمه إن أصابته شوكة، ويشد أزره في مواجهة الأعداء، ويتمنى له الهداية والرشاد.

*أخاك أخاك إن من لا أخا له — كساع إلى الهيجا بغير سلاح*

*وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه — وهل ينهض البازي بغير جناح*

## د- الدول والحكومات العربية والإسلامية:

**المادة الثامنة والعشرون:**

الغزوة الصهيونية غزوة شرسة لا تتورع عن سلوك كل الطرق، مستخدمة جميع الوسائل الخسيسة والخبيثة لتحقيق أغراضها، وتعتمد اعتماداً كبيراً في تغلغلها وعمليات تجسسها على المنظمات السرية التي انبثقت عنها كالماسونية ونوادي الروتاري والليونز وغيرها من مجموعات التجسس، وكل تلك المنظمات السرية منها والعلنية تعمل لصالح الصهيونية وبتوجيه منها، وتهدف إلى تقويض المجتمعات، وتدمير القيم، وتخريب الذمم، وتدهور الأخلاق، والقضاء على الإسلام، وهي من خلف تجارة المخدرات والمسكرات على اختلاف أنواعها ليسهل عليها السيطرة والتوسع.

والدول العربية المحيط بإسرائيل مطالبة بفتح حدودها أمام المجاهدين من أبناء الشعوب العربية والإسلامية ليأخذوا دورهم، ويضموا جهودهم إلى جهود إخوانهم من الإخوان المسلمين بفلسطين.

أما الدول العربية والإسلامية الأخرى فمطالبة بتسهيل تحركات المجاهدين منها وإليها، وهذا أقل القليل.

ولا يفوتنا أن نذكر كل مسلم بأن اليهود عندما احتلوا القدس الشريف عام (١٩٦٧م) ووقفوا على عتبات المسجد الأقصى المبارك هتفوا قائلين: (محمد مات خلف بنات).

فإسرائيل بيهوديتها ويهودها تتحدى الإسلام والمسلمين (فلا نامت أعين الجبناء).

## هـ- التجمعات الوطنية والدينية والمؤسسات والمثقفين والعالم العربي والإسلامي:

**المادة التاسعة والعشرون:**

تأمل حركة المقاومة الإسلامية أن تقف تلك التجمعات إلى جانبها على مختلف الأصعدة، تؤيدها، وتتبنى مواقفها، وتدعم نشاطها وتحركاتها، وتعمل على كسب التأييد لها، لتجعل من الشعوب الإسلامية سنداً وظهيراً لها، وبعداً استراتيجياً على كل المستويات البشرية والمادية والإعلامية الزمانية والمكانية، من خلال عقد المؤتمرات التضامنية، وإصدار النشرات التوضيحية، والمقالات المؤيدة، والكتيبات الهادفة، وتوعية الجماهير حول القضية الفلسطينية وما يواجهها ويدبر لها، وتعبئة الشعوب الإسلامية فكرياً وتربوياً وثقافياً لتأخذ دورها في معركة التحرير الفاصلة كما أخذت دورها في هزيمة الصليبيين وفي دحر التتار وإنقاذ الحضارة الإنسانية وما ذلك على الله بعزيز. (**كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز**) (المجادلة: ٢١).

**المادة الثلاثون:**

الأدباء والمثقفون ورجال الإعلام والخطباء ورجال التربية والتعليم وباقي القطاعات على اختلافها في العالم العربي والإسلامي،

ما دامت تصرفاتها في حدود الدائرة الإسلامية، ولكل مجتهد نصيب.

وحركة المقاومة الإسلامية تعتبر تلك الحركات رصيداً لها، وتسأل الله الهداية والرشاد للجميع، ولا يفوتها أن تبقى رافعة لوا الوحدة، وتسعى جاهدة إلى تحقيقها على الكتاب والسنة.

**(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكن على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)** (آل عمران: ١٠٢)

**المادة الرابعة والعشرون:**

لا تجيز حركة المقاومة الإسلامية الطعن أو التشهير بالأفراد أو الجماعات، فالمؤمن ليس بطعان ولا لعان، مع ضرورة التفري بين ذلك وبين المواقف والتصرفات للأفراد والجماعات، فعندما يكون خطأ في الموقف والتصرفات فلحركة المقاومة الإسلامية الحق في بيان الخطأ، والتنفير منه، والعمل على بيان الحق وتبنيه في القضية المطروحة بموضوعية. فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

**(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليما، إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن ا كان عفواً قديرا)** (النساء: ١٤٨-١٤٩)

## ب- الحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية:

**المادة الخامسة والعشرين:**

تبادلها الاحترام، وتقدر ظروفها والعوامل المحيطة بها والمؤثرة فيها، وتشد على يدها ما دامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوعي أو الغرب الصليبي، وتؤكد لكل من هو مندمج بها أو متعاطف معها بأن حركة المقاومة الإسلامية حركة جهادية أخلاقية واعية في تصورها للحياة، وتحركها مع الآخرين، تمقت الانتهازية، ولا تتمنى إلا الخير للناس أفراداً وجماعات، لا تسعى إلى مكاسب مادية، أ شهرة ذاتية، ولا تبغي أجراً من الناس، تنطلق بإمكانياتها الذاتية وما يتوافر لها **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** (الأنفال: ٦٠) لأداء الواجب، والفوز برضوان الله ، لا مطمع لها غير ذلك.

وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية من أجل تحرير فلسطين، بأنها لها سند وعون، ولن تكون إ كذلك، قولاً وعملاً، حاضراً ومستقبلاً، تجمع ولا تفرق، تصون ولا تبدد، وتوحد ولا تجزئ، تثمن كل كلمة طيبة، وجهد مخلص، ومسا حميدة تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية، ولا تصغي للشائعات والأقوال المغرضة، مع إدراكها لحق الدفاع عن النفس.

وكل ما يتعارض أو يتناقض مع هذه التوجهات فهو مكذوب من الأعداء أو السائرين في ركابهم بهدف البلبلة وشق الصفوف والتلهي بأمور جانبية.

**(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)** (الحجرات: ٦).

**المادة السادسة والعشرون:**

حركة المقاومة الإسلامية وهي تنظر إلى الحركات الوطنية الفلسطينية -التي لا تعطي ولاءها للشرق أو الغرب- هذه النظرة الإيجابية، فإن ذلك لا يمنعها من مناقشة المستجدات على الساحة المحلية والدولية حول القضية الفلسطينية مناقشة موضوعية تكشف عن مدى انسجامها أو اختلافها مع المصلحة الوطنية على ضوء الرؤية الإسلامية.

## جـ- منظمة التحرير الفلسطينية:

**المادة السابعة والعشرون:**

منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ففيها الأب أو الأخ أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه، فوطننا واحد، ومصابنا واحد، ومصيرنا واحد، وعدونا مشترك.

وتأثراً بالظروف التي أحاطت بتكوين المنظمة، وما يسود العالم العربي من بلبلة فكرية نتيجة للغزو الفكري الذي وقع تحت تأثيره العالم العربي منذ اندحار الصليبيين، وعززه الاستشراق والتبشير والاستعمار ولا يزال، تبنت المنظمة فكرة الدولة العلمانية

وهكذا نحسبها.

والفكرة العلمانية[1] مناقضة للفكرة الدينية مناقضة تامة، وعلى الأفكار تبنى المواقف والتصرفات وتتخذ القرارات.

ومن هنا مع تقديرنا لمنظمة التحرير الفلسطينية -وما يمكن أن تتطور إليه-، وعدم التقليل من دورها في الصراع العربي الإسرائيلي، لا يمكننا أن نستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لنتبنى الفكرة العلمانية، فإسلامية فلسطين جزء من ديننا، ومن فرط في دينه فقد خسر. **(ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)** (البقرة: ١٣٠).

ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كمنهج حياة، فنحن جنودها، ووقود نارها التي تحرق الأعداء، فإلى أن يتم ذلك -ونسأل الله أن يكون قريباً- فموقف حركة المقاومة الإسلامية من منظمة التحرير الفلسطيني هو موقف الابن من أبيه، والأخ من أخيه، والقريب من قريبه، يتألم لألمه إن أصابته شوكة، ويشد أزره في مواجهة الأعداء، ويتمنى له الهداية والرشاد.

*أخاك أخاك إن من لا أخا له — كساع إلى الهيجا بغير سلاح*

*وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه — وهل ينهض البازي بغير جناح*

## د- الدول والحكومات العربية والإسلامية:

**المادة الثامنة والعشرون:**

الغزوة الصهيونية غزوة شرسة لا تتورع عن سلوك كل الطرق، مستخدمة جميع الوسائل الخسيسة والخبيثة لتحقيق أغراضها، وتعتمد اعتماداً كبيراً في تغلغلها وعمليات تجسسها على المنظمات السرية التي انبثقت عنها كالماسونية ونوادي الروتاري والليونز وغيرها من مجموعات التجسس، وكل تلك المنظمات السرية منها والعلنية تعمل لصالح الصهيونية وبتوجيه منها، وتهدف إلى تقويض المجتمعات، وتدمير القيم، وتخريب الذمم، وتدهور الأخلاق، والقضاء على الإسلام، وهي من خلف تجارة المخدرات والمسكرات على اختلاف أنواعها ليسهل عليها السيطرة والتوسع.

والدول العربية المحيط بإسرائيل مطالبة بفتح حدودها أمام المجاهدين من أبناء الشعوب العربية والإسلامية ليأخذوا دورهم، ويضموا جهودهم إلى جهود إخوانهم من الإخوان المسلمين بفلسطين.

أما الدول العربية والإسلامية الأخرى فمطالبة بتسهيل تحركات المجاهدين منها وإليها، وهذا أقل القليل.

ولا يفوتنا أن نذكر كل مسلم بأن اليهود عندما احتلوا القدس الشريف عام (١٩٦٧م) ووقفوا على عتبات المسجد الأقصى المبارك هتفوا قائلين: (محمد مات خلف بنات).

فإسرائيل بيهوديتها ويهودها تتحدى الإسلام والمسلمين (فلا نامت أعين الجبناء).

## هـ- التجمعات الوطنية والدينية والمؤسسات والمثقفين والعالم العربي والإسلامي:

**المادة التاسعة والعشرون:**

تأمل حركة المقاومة الإسلامية أن تقف تلك التجمعات إلى جانبها على مختلف الأصعدة، تؤيدها، وتتبنى مواقفها، وتدعم نشاطها وتحركاتها، وتعمل على كسب التأييد لها، لتجعل من الشعوب الإسلامية سنداً وظهيراً لها، وبعداً استراتيجياً على كل المستويات البشرية والمادية والإعلامية الزمانية والمكانية، من خلال عقد المؤتمرات التضامنية، وإصدار النشرات التوضيحية، والمقالات المؤيدة، والكتيبات الهادفة، وتوعية الجماهير حول القضية الفلسطينية وما يواجهها ويدبر لها، وتعبئة الشعوب الإسلامية فكرياً وتربوياً وثقافياً لتأخذ دورها في معركة التحرير الفاصلة كما أخذت دورها في هزيمة الصليبيين وفي دحر التتار وإنقاذ الحضارة الإنسانية وما ذلك على الله بعزيز. **(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز)** (المجادلة: ٢١).

**المادة الثلاثون:**

الأدباء والمثقفون ورجال الإعلام والخطباء ورجال التربية والتعليم وباقي القطاعات على اختلافها في العالم العربي والإسلامي،

كل أولئك مدعوون إلى القيام بدورهم، وتأدية واجبهم، نظراً لشراسة الغزوة الصهيونية وتغلغلها في كثير من البلاد، وسيطرتها الم والإعلامية، وما يترتب على ذلك في معظم دول العالم.

فالجهاد لا يقتصر على حمل السلاح، ومنازلة الأعداء، فالكلمة الطيبة، والمقالة الجيدة، والكتاب المفيد، والتأييد والمناصرة ذلك -إن خلصت النوايا لتكون راية الله هي العليا- فهو جهاد في سبيل الله.

**(من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا)**[1].

## و- أهل الديانات الأخرى:

**المادة الحادية والثلاثون:حركة المقاومة الإسلامية حركة إنسانية:**

حركة المقاومة الإسلامية حركة إنسانية، ترعى الحقوق الإنسانية، وتلتزم بسماحة الإسلام في النظر إلى أتباع الديانات الأخ ، لا تعادي منهم إلا من ناصبها العداء، أو وقف في طريقها ليعيق تحركها أو يبدد جهودها.

وفي ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية) في أمن وأمان، ولا يمكن أن يتو الأمن والأمان إلا في ظل الإسلام، والتاريخ القريب والبعيد خير شاهد على ذلك.

وعلى أتباع الديانات الأخرى أن يكفوا عن منازعة الإسلام في السيادة على هذه المنطقة، لأنهم يوم يسودون فلا يكون التقتيل والتعذيب والتشريد، فهم يضيقون ذرعاً ببعضهم البعض فضلاً عن أتباع الديانات الأخرى، فالماضي والحاضر مليئان يؤكد ذلك. **(لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم لا يعقلون)** (الحشر: ١٤).

والإسلام يعطي كل ذي حق حقه، ويضع الاعتداء على حقوق الآخرين، والممارسات الصهيونية النازية ضد شعبنا لا تطيل ع غزوتهم، فدولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)** (الممتحنة: ٨).

## محاولة الانفراد بالشعب الفلسطيني:

**المادة الثانية والثلاثون:**

تحاول الصهيونية العالمية والقوى الاستعمارية بحركة ذكية وتخطيط مدروس أن تخرج الدول العربية واحدة تلو الأخرى دائرة الصراع مع الصهيونية، لتنفرد في نهاية الأمر بالشعب الفلسطيني، وقد أخرجت مصر من دائرة الصراع إلى حد كبير ، باتفاقية (كامب ديفد) الخيانية وهي تحاول أن تجر دولاً أخرى إلى اتفاقيات مماثلة لتخرج من دائرة الصراع.

وحركة المقاومة الإسلامية تدعو الشعوب العربية والإسلامية إلى العمل الجاد لعدم تمرير ذلك المخطط الرهيب، وتوعية الجماه إلى خطر الخروج من دائرة الصراع مع الصهيونية، فاليوم فلسطين وغداً قطر آخر من أقطار أخرى، والمخطط الصهيوني لا حد له، وبعد فلسطين يطمعون في التوسع من النيل إلى الفرات، وعندما يتم لهم هضم المنطقة التي يصلون إليها يتطلعون إلى توسع آ وهكذا، ومخططهم في (بروتوكولات حكماء صهيون) وحاضرهم خير شاهد على ما نقول.

فالخروج من دائرة الصراع مع الصهيونية خيانة عظمى ولعنة على فاعليها.

**(ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** (الأنفال: ١٦)

ولا بد من تجميع كل القوى والطاقات لمواجهة هذه الغزوة النازية التترية الشرسة، وإلا كان ضياع الأوطان، وتشريد السكا ونشر الفساد في الأرض، وتدمير كل القيم الدينية، وليعلم كل إنسان إنه أمام الله مسؤول.

**(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)** (الزلزلة: ٧-٨).

---

١- رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

وفي دائرة الصراع مع الصهيونية العالمية تعتبر حركة المقاومة الإسلامية نفسها رأس حربة أو خطوة على الطريق، وهي تضم جهودها إلى جهود كل العاملين على الساحة الفلسطينية، ويبقى أن تتبع ذلك خطوات وخطوات من الشعوب العربية والإسلامية، ومن التجمعات الإسلامية على مستوى العالم العربي والإسلامي، فهي المؤهلة للدور المقبل مع اليهود تجار الحروب.

**(وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين)** (المائدة: ٦٤).

**المادة الثالثة والثلاثون:**

وحركة المقاومة الإسلامية -وهي تنطلق من هذه المفاهيم العامة والمتناسقة والمتساوقة مع سنن الكون كما تتدفق في نهر القدر في مواجهة الأعداء ومجاهدتهم دفاعاً عن الإنسان المسلم والحضارة الإسلامية والمقدسات الإسلامية، وفي طليعتها المسجد الأقصى المبارك- لتهيب بالشعوب العربية والإسلامية وحكوماتها وتجمعاتها الشعبية والرسمية أن تتقي الله في نظرتها لحركة المقاومة الإسلامية، وفي تعاملها معها، وأن تكون لها كما أرادها الله سنداً وظهيراً يمدها بالعون والمدد تلو المدد حتى يأتي أمر الله، وتلحق الصفوف بالصفوف، ويندمج المجاهدون بالمجاهدين، وتنطلق الجموع من كل مكان في العالم الإسلامي ملبية نداء الواجب، مرددة حي على الجهاد نداء يشق عنان السماء ويبقى متردداً حتى يتم التحرير ويندحر الغزاة ويتنزل نصر الله.

**(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** (الحج: ٤٠).

# الباب الخامس: شهادة التاريخ

## عبر التاريخ في مواجهة المعتدين:

**المادة الرابعة والثلاثون:**

فلسطين صرة الكرة الأرضية، وملتقى القارات، ومحل طمع الطامعين، منذ فجر التاريخ والرسول ﷺ يشير إلى ذلك في حديثه الشريف الذي يناشد به الصحابي الجليل معاذ بن جبل حيث يقول: يا معاذ إن الله سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات رجالها ونساؤها وإماؤها مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة.

وقد طمع الطامعون بفلسطين أكثر من مرة فدهموها بالجيوش لتحقيق أطماعهم، فجاءتها جحافل الصليبيين يحملون عقيدتهم ويرفعون صليبهم، وتمكنوا من دحر المسلمين ردحاً من الزمن، ولم يسترجعها المسلمون إلا عندما استظلوا برايتهم الدينية، وأجمعوا أمرهم، وكبروا ربهم، وانطلقوا مجاهدين بقيادة صلاح الدين الأيوبي قرابة عقدين من السنين، فكان الفتح المبين، واندحر الصليبيون، وتحررت فلسطين.

**(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد)** (آل عمران: ١٢).

وهذه هي الطريقة الوحيدة للتحرير، ولا شك في صدق شهادة التاريخ، وتلك سنة من سنن الكون، وناموس من نواميس الوجود. فلا يفل الحديد إلا الحديد، ولا يغلب عقيدتهم الباطلة المزورة إلا عقيدة الإسلام الحقة، فالعقيدة لا تنازل إلا بالعقيدة، والغلبة في نهاية الأمر للحق والحق غلاب.

**(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون)** (الصافات: ١٧١-١٧٣)

**المادة الخامسة والثلاثون:**

تنظر حركة المقاومة الإسلامية إلى هزيمة الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي واستخلاص فلسطين منهم، وكذلك هزيمة التتار في عين جالوت وكسر شوكتهم على يد قطز والظاهر بيبرس، وإنقاذ العالم العربي من الاجتياح التتري المدمر لكل معاني الحضارة الإنسانية، تنظر إلى ذلك نظرة جادة تستلهم منها الدروس والعبر، فالغزوة الصهيونية الحالية سبقتها غزوات صليبية من

الغرب، وأخرى تترية من الشرق، فكما واجه المسلمون تلك الغزوات وخططوا لمنازلتها وهزموها يمكنهم أن يواجهوا الغزوة الصهيـ ويهزموها، وليس ذلك على الله بعزيز، إن خلصت النوايا، وصدق العزم، واستفاد المسلمون من تجارب الماضي، وتخلصوا من ا الغزو الفكري، واتبعوا سنن أسلافهم.

# الخاتمة

## حركة المقاومة الإسلامية جنود :

المادة السادسة والثلاثون:

وحركة المقاومة الإسلامية -وهي تشق طريقها- لتؤكد المرة تلو المرة لكل أبناء شعبنا والشعوب العربية والإسلامية أنها لا تبـ شهرة ذاتية، أو مكسباً مادياً، أو مكانة اجتماعية، وأنها ليست موجهة ضد أحد من أبناء شعبنا لتكون له منافساً، أو تسعى لا مكانته، ولا شيء من ذلك على الإطلاق، وهي لن تكون ضد أحد من أبناء المسلمين أو المسالمين لها من غير المسلمين في هذا المـ وفي كل مكان، ولن تكون إلا عوناً لكل التجمعات والتنظيمات العاملة ضد العدو الصهيوني والدائرين في فلكه.

وحركة المقاومة الإسلامية تعتمد الإسلام منهج حياة، وهو عقيدتها، وبه تدين، ومن اعتمد الإسلام منهج حياة سواء كان هنا هناك تنظيماً كان أو منظمة أو دولة أو أي تجمع آخر فحركة المقاومة الإسلامية له جنود ليس إلا.

نسأل الله أن يهدينا وأن يهدي بنا، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق.

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) (الأعراف: ٨٩)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

********************

# هذا الكتاب

على قدر جاءت فهزت مضاجع النائمين.

ونفحات هبت فأحيت قلوب الغافلين.

وأحداث دمدمت فدوت أصداؤها في ربوع العالمين.

وأنوار برقت أضاءت لها أرجاء فلسطين.

درة الفاروق رضي الله عنه اهتزت في يد عماد الدين سيفاً وانبعثت بيمين نور الدين ترساً، وأومضت بيارق نصرها فظلا صلاح الدين في فيئها، ونهل بيبرس وقطز من صفاء وردها، وتتبعت خطا القسام معالم أقدام السابقين، ومن نفس المشكاة اقتبـ البنا وفرغلي وأحمد ياسين.

ونحن على مواصلة المسيرة وسلوك الجادة صممنا وأقسمنا اليمين.

فيا قوم:

(استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)

د / عبد الله عزام

# نظرات وأضواء
# على
# القومية العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

## الإهـــــداء

إلى الذين يودون مخلصين أن يعرفوا الحق وينشدون اتباعه.

إلى الذين ساروا على الطريق صادقين بعواطفهم وقلوبهم ولكن قبل استبانة الجادة الحقة وقبل اتضاح النور في صراطهم.

وإلى الذين عرفونا طريق الله وأنقذونا من وحل الجاهلية وضلال التيه وفتحوا أبصارنا لرؤية النور.

أقدم هذا البحث المتواضع راجياً من الله أن لا يحرمنا الثواب أجمعين.

راجي عفو ربه الكريم

عبد الله عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، وبعد:

فلطالما شغلني هذا الأمر كثيراً خاصة بعد أن أصبحت القومية زياً فكرياً رائجاً تهتف باسمه الحناجر، وتنادي به كثير من الأقلام والصحف والدوريات.

وأصبح الإنسان حائراً مع دوي هذه الأصوات والشعارات، فأخذ يتلمس طريقه ينشد الحق، ويريد الخلاص م هذا التيه الكبير، ويبحث عن مورد صاف بعد أن اختلطت الينابيع واتصلت الجداول.

ولقد طلب مني بعض الإخوة بعد أن كتبت السرطان الأحمر أن أكتب في هذا الموضوع بحثاً صغيراً أوفيه حق ولطالما تشوقت أن أرى كتاباً كتب بيد إسلامية يتتبع الموضوع من الناحية التاريخية ويوفيه حقه، مع إلقاء أضواء ع هذا الخط التاريخي والأصابع التي كانت تحرك هذا التيار وترسم بقلمها هذا الخط، ولم أعثر على كتاب واف في ه الموضوع، ولعل الظروف التي مرت بالمنطقة الإسلامية كانت تجعل الكتاب يحجمون عن هذا الموضوع، ولقد حرم أن أتتبع وباختصار شديد الخط القومي في المنطقة الإسلامية والعربية، ثم أبديت رأي الإسلام وحكمه في القو وحكم الشرع في اعتناقها والدعوة إليها، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وحسبي اجتهدت صادقاً وعلى الله قصد السبيل وهو ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

# القومية العربية

(ARABIC NATIONALISM)

**القومية:** مصدر صناعي بإضافة ياء النسبة وتاء التأنيث إلى القوم، والقوم في الأصل مصدر قام، ثم غلب على الرجال دو النساء لأنهم قوامون على النساء.

وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته[1].

القومية اصطلاحاً: مبدأ سياسي اجتماعي يفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها، أو هو: عقيا تصور وعياً جديداً يجد فيه الإنسان جماعة محدودة من الناس يضمها إطار جغرافي ثابت، ويجمعها تراث مشترك، وتنتمي إل أصول عرقية واحدة[2].

**العــــرب:** نسبة إلى يعرب بن قحطان أبو اليمن كلهم وهم العرب العاربة (الخالصة)، ويقابلهم العرب المستعربة الذين سكنو بلاد العرب (الجزيرة العربية) وتكلموا العربية.

**والأعرابي:** البدوي، والعرب هم الذين استوطنوا القرى والمدن.

وقيل: سمي العرب عرباً لأنهم سكنوا وادي العربات (بفتح العين والراء)، ففي لسان العرب: (وأقامت قريش بعربة فتنحت به وانتشر سائر العرب في جزيرتها فنسبوا كلهم إلى عربة)[3].

# الإسلام والعــــرب

إن بلاد العرب كانت تطلق على الجزيرة العربية فقط، وعندما امتد نور الإسلام في الأرض وافتتح جند الله عز وجل من المسلمين العرب نصف الأرض في نصف قرن كان لا بد للشعوب التي دخلت في الإسـ دم أن تتعلم العربية حتى تؤدي شعائر عبادتها فلا بد من تعلم القرآن الكريم لأن صلاتهم لا تجوز إلا بتلاوة القرآن باللسان العربي المبين، ولا بد من حفظ الأذكار والأدعية بالعربية، ولا بد من معرفة أحاديث الرسول ﴿ﷺ﴾ فأصبحت العربية جزءاً أساسياً من حياة الشعوب الإسلامية، فأخذت تتعرب تدريجياً، فكل مسلم عربي بلغة قرآنه، وعربي بنبيه ﴿ﷺ﴾ العربي، وقبلته التي يتوجه إليها كل يوم خمس مرات واقعة في بلاد العرب، وحجه الذي يسعى إليه من استطاع سبيلا في جزيرة العرب، وبعد أن عربت الدواوين في زمن عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ) ونقلت إلى أيدي المسلمين بعد أن كانت باللغة الفهلوية (الفارسية القديمة في العراق)، وبالرومية في الشام، وبالقبطية (المصرية القديمة في العصر المسيحي)[4] فأصبحت العربية لغة الدولة والشعوب، وبازدياد الاختلاط والامتزاج بين الفاتحين العرب والشعوب المفتوحة ازداد التعريب، وتسابق المسلمون إلى تعلم العربية خاصة الموالي الذين كانوا يعيشون في بلاد العرب، ونبغ هؤلاء وفاقوا العرب الأصليين باللغة، فاستلموا القضاء، ونقلوا الحديث والتفسير، وحسبك من هذه الأسماء طاووس ومكحول وعكرمة ومجاهد من تلاميذ ابن عباس الذين نقلوا لنا دين الله، وقد سأل عمر بن الخطاب والي مكة: من أنبت بعدك على مكة؟ فقال ابن ابزي رجل من موالينا، فقال: أمرّت عليهم مولى؟ فقال: إنه أعلمنا، فقال عمر رضي الله عنه: لقد سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: **[إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين]**[5].

ثم كان أبو حنيفة من الفقهاء، سيبويه من النحاة، والبخاري وابن إسحق وابن سينا والفارابي وابن حبان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والرازي والسرخسي، وهؤلاء كلهم ليسوا من العرب أصلاً، ولكن عرّبهم الإسلام.

ثم حافظ الإسلام والقرآن على العرب والعربية من الاندثار رغم المحاولات المستميتة لمحو العربية، وتوسعت الرقعة العربية، فأصبحت تطلق على كل الشعوب التي عرّب الإسلام لسانها، وأفصح القرآن بيانها، فصارت مصر والشام (بأكملها) والعراق والشمال الإفريقي من العرب، وكان الأعاجم ينظرون إلى العرب نظرة إجلال واحترام لأنهم قادتهم وأساتذتهم ومعلموهم ومنقذوهم، فكيف حصل الانفصام النكد بين الإسلام والعرب في القرن الأخير؟

١- لسان العرب (١٢/٥٠٥) والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/١٢٤)، والمنجد (٦٦٤). ٢- الإسلام والحضارة الغربية د. محمد محمد حسين ص(٢٠١).

٣- لسان العرب (١/٥٨٨). ٤- الإسلام والحضارة الغربية -محمد محمد حسين- ص(٢١٥). ٥- رواه البخاري.

# الأسباب الحقيقية وراء الدعوة القومية

١- **السبب الرئيسي:** هو محاولة الغرب استبعاد الإسلام كرابطة وحيدة وإحلال رابطة جديدة مكانه بعد فشل الغرب في الحروب الصليبية، فأراد أن يستعمل أسلوب الفكر واللسان بدل السنان، وذلك ليسهل للغرب تثبيت أقدامه في بلادنا. خاصة بعد حملة نابليون على مصر

٢ – طموح محمد علي باشا وإبراهيم باشا إلى عمل امبراطورية قومية عربية.

٣ – التخلص من تركيا المسلمة والقضاء عليها حتى يرث الغرب ممتلكاتها .

٤ – محاولة النصارى التخلص من تركيا لأنها كانت تطبق عليهم الجزية وبعض الواجبات الاستثنائيه التي تقابل عند المسلمين دفع الزكاة والقيام بالجندية لحماية الدولة الاسلامية.

وطمعاً من المسيحيين أن يقودوا المجتمعات التي يعيشون فيها ويوجهوا دفتها ويصبحوا سادتها وعلية أقوامها.

# التطور التاريخي للفكرة القومية

تعتبر حملة نابليون النقطة الأولى في بداية تحويل العرب من الاسلام إلى القومية، وقد اختمرت هذه الفكرة في ذهن نابليون على أثر المقاومة التي حركها الأزهر بنداء (الله أكبر) واقتنع الغرب بهذه الفكرة.

وخرج الفرنسيون سنة ١٩٠٤ من مصر و جاء محمد علي باشا. وكان محمد علي ضابطاً ألبانياً – لا يعرف العربية جاء مع الحملة التي أرسلها الخليفة إلى مصر لمقاومة نابليون، وكان محمد علي يتيماً طموحاً ذكياً، ولكنه كان أمياً، فكان مصاباً بعقدة النقص بسبب أميته، فأراد أن يحضر مصر ويطورها، فقضى على المماليك ونودي به حاكما على مصر .

# محمد علي باشا والفرنسيون

كان محمد علي معجباً بالفرنسيين، فهو منذ صغره على صلة بفرنسي اسمه ليون (Lion)[1] ثم استقدم إلى مصر د. (كلوت) الطبيب الفرنسي ليكون مستشاره، فأشار عليه بفكرة القومية (وقد عنيّ كلوت بأن يطبع الطلاب في المدارس العليا التي كان يديرها على الشعور الصحيح بالقومية العربية )[2] وبدأ محمد علي يرسل البعثات إلى فرنسا، فرجعت البعثات تحمل بذور الفكرة القومية، ومن بين هؤلاء رفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس ١٨٢٦– ١٨٣١ فحمل فكرة الثورة الفرنسية القومية.

# إبراهيم باشا في بلاد الشام

كان محمد علي باشا يطمع في امبراطورية عربية تنفصل عن الحكم العثماني، وقد زين له هذا الأمر الغرب (الفرنسيون بالذات)، فأرسل ابنه ابراهيم باشا واحتل الشام كلها، ومكث حكم إبراهيم في بلاد الشام سبع سنوات ١٨٣٣ – ١٨٤٠ .

وقد كان لهذه السنوات أثر عميق في تغيير مجرى الأحداث في الشام ولمدة قرن ونيف.

***لماذا صنع ابراهيم باشا في الشام؟***

١ – ألغى الأحكام الاسلامية المطبقة على النصارى في الشام ونادى بمساواتهم بالمسلمين وكذلك فعل أبوه في مصر.

٢ – شجع الجمعيات التبشيرية ومدارسها، وأما أبوه في مصر فكان جلساؤه دائماً من السفراء والسائحين والمبشرين[3] ، وكان نتيجة هذا التشجيع للمبشرين في الشام:

أ- قدوم البعثات البروتستنتية (الأمريكية) وكان من بين رجالاتها :-

١ - إيلي سمث الذي مكث يعمل دائبا للنصرانية من ١٨٣٤ - ١٨٥٧م، فنقل المطبعة التي كانت للبعثة من مالطة إلى بير وبدأت تطبع بالعربية وهي أول مطبعة من نوعها في بلاد الشام، وأقام سمث هو وزوجته [1] في بيروت مدرسة للبنات وهي أول مدر في بلاد الشام من هذا النوع.

٢ - الدكتور كورنيليوس فانديك جاء طبيباً مع البعثة الامريكية وبقي يعمل ٥٥ سنة في بلاد الشام (وربما كانت جهوده أ الجهود الفردية الأجنبية قيمة وأكثرها أثراً في التطور الثقافي في هذه البلاد)[2].

٣ - ناصيف اليازجي: (١٨٠٠- ١٨٧١) لبناني نصراني، عمل مع البعثة الأمريكية. وفي مطبعتها مع سمث وفانديك، قام وابنه ابراهيم اليازجي بترجمة التوراة، وكان ابنه ابراهيم هو أول من أسس (جمعية بيروت السرية) ذات الطابع القومي وشعارها ب من شعر ابراهيم نفسه.

*لنطلبن بحد السيف مأربنـا* — *فلن يخيب لنا في جنبه أرب*

وابراهيم هذا كان نصرانياً ماسونياً، عاش ما بين (١٨٤٧- ١٩٠٦ )، مات في مصر و نعته المحافل الماسونية فيها، و صاحب القصيدتين اللتين تناديان بالثورة على الأتراك.

*تنبهوا واستفيقوا أيها العـــرب* — *لقد طما السيل حتى غاصت الركب*
*أقداركم في عيون الترك نازلــة* — *وحقكـــم بين أيدي التـــرك منتهب*

والثانية:

*دع مجلس الغيــد الأوانس* — *وهــوى لواحظها النواعس*
*أي النعيــم لـــــن يبيت* — *على فراش الذل جـــالس*
*فالتـــرك قـــوم لا يفـــوز* — *لديهـــــم إلا المشـــاكس*

٤ - بطرس البستاني: ١٨١٩ - ١٨٨٣، وهو لبناني كان يعمل مترجماً في القنصلية الأمريكية في بيروت، وغير دينه من مارو ى بروتستنتي بسبب صداقته مع سمث وفانديك. وظفه المبشرون مدرساً في مدرسة عبية، ترجم التوراة مع سمث واستغرق ف ترجمة عشر سنوات. أصدر قاموس (محيط المحيط) ومختصره (قطر المحيط) و(دائرة المعارف للبستاني).

أصدر في فتن عام ١٨٦٠ (بين النصارى والدروز في لبنان) مجلة اسمها (نفير سورية) يدعو إلى الوحدة القومية. أسس عا ١٨ (المدرسة الوطنية) كان يدرس هو وناصيف اليازجي فيها. وأصدر عام ١٨٧٠ مجلة (الجنان) صحيفة نصف شهرية سياس بية، - شعارها (حب الوطن من الإيمان). وأصدر صحيفتي (الجنة) و(الجنينة) [3] .

ويعتبر اليازجي والبستاني من الرواد الأوائل لفكرة القومية العربية، فلقد قام تلاميذهم بالتنظيمات القومية التي آتت أكلها فيه ، وأثمرت هذا الإقصاء لدين الله عن الحياة وتربية الرواد الذين يعتبرون القومية مثلهم الأعلى تقدم له القرابين والتضحيات.

ومن ثمار البعثة الأمريكية عدا إبراز اليازجي والبستاني أنها قامت بانشاء أكبر معهد لحضانة الفكر القومي وهو:

## الجامعة الأمريكية في بيروت ١٨٦٦

وكان اسمها في البداية (الكلية السورية الانجيلية)، وكان أول رئيس لها هو دانيال بلس راهب أمريكي يحمل الدكتوراه فم وت، وبقي رئيساً للجامعة حتى عام ١٩٠٢ وخلفه ابنه هوارد بلس. وأثر الجامعة الأمريكية في المنطقة لا يوازيه أي أثر في الفكر مية. ولقد خرجت الجامعة أجيالاً من قادة بلاد الشام على مدى قرن ونيف. ومن أساتذتها المعروفين برعاية الفكر القوم لنطين زريق الذي تخرج على يديه جورج حبش.

ب - البعثة الكاثوليكية - اليسوعية ، وقد قامت بإنشاء مطبعة حجرية ١٨٤٧ وأسست مدرسة القديس يوسف التي عرفت فيم بالجامعة اليسوعية.

ج - *اللعازريون*: افتتحوا كلية (عين طورة ) في لبنان.

لة العرب هامش ١١٢.
(٣) انظر يقظة العرب ص١١٢ والاسلام والحضارة الغربية ٢٢٣.

# الجمعيات القومية

ومن الأعمال التي قامت بها البعثات التبشيرية إنشاء الجمعيات التي تنادي بالفكر القومي وأهمها:

**١ - جمعية الآداب والفنون عام ١٨٤٧:**

أسستها البعثة التبشيرية الأمريكية وعلى رأسهم سمث وفانديك والبستاني وناصيف اليازجي. لم يمض عليها عامان حتى بلغ أعضاؤها خمسين عضوا أكثرهم من النصارى السوريين في بيروت، ولم يكن فيهم مسلم واحد ولا درزي. وبقيت الجمعية خمس سنوات.

**٢ - الجمعية الشرقية عام ١٨٥٠** أسسها اليسوعيون وكان يشرف عليها الأب دبرونر.

**٣- الجمعية العلمية السورية عام ١٨٥٧م:**

بلغ أعضاؤها مائة وخمسين عضواً ، اشترك فيها بالاضافة إلى مؤسسيها النصارى من أتباع البعثة الأمريكية بعض المسلمين والدروز، ونالت اعتراف الحكومة بها عام ١٨٦٨.

(كان أول صوت ظهر لحركة العرب القومية هو صوت ابراهيم اليازجي أحد أعضاء الجمعية فالقى قصيدة اتخذت صورة النشيد القومي) (١) .

**جمعية بيروت السورية عام ١٨٧٥:**

- يقول جورج انطونيوس (يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى عام ١٨٧٥ أي قبل ارتقاء عبدالحميد العرش بسنتين حين ألف خمسة شبان من الذين درسوا في الكلية البروتستنتينية السورية -الجامعة الأمريكية- ببيروت جمعية سرية وكانوا جميعاً من النصارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضموا الى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصاً ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية، ويمثلون الصفوة المختارة المستنيرة في البلاد، وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشام على صورتها التي عرفتها أوربا، فاستطاع مؤسسو الجمعية السرية عن طريق أحد زملائهم أن يستميلوا إليهم المحفل الماسوني الذي كان قد أنشيء منذ عهد قريب ويشركوه في أعمالهم) (٢) .

من هذا ندرك :-

١ - أن بداية العمل القومي المنظم كان في بلاد الشام عن طريق النصارى .

٢ - أن هؤلاء النصارى من تلاميذ البستاني واليازجي أو من محبيهم وكانوا ثمرة جهود البعثة الأمريكية.

٣ - ان من بين المؤسسين ابراهيم اليازجي صاحب شعار الجمعية.

*لنطلبن بحد السيف مأربنا*　　　*فلن يخيب لنا في جنبه إرب*

وكذلك كان فارس نمر باشا(نصراني لبناني) وصهره شاهين مكاريوس من مؤسسيها. وهؤلاء الثلاثة من كبار الماسونيين المعروفين.

فالأيادي الماسونية - اليهودية - هي التي تبنت فكرة القومية العربية، وهي نفس الأيادي التي كانت تحرك في الوقت ذاته القومية الطورانية التي يتبناها يهود الدونمة في سالونيك وتعقد اجتماعاتهم في بيوت اليهود الايطاليين.

(وان الذي أوحى بفكرة تأسيس جمعية بيروت السرية هو رجل يسمى إلياس حبالين من بلدة ذوق مكايل، وكان استاذاً للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف فيهم اليازجي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس، وكان الأستاذ معجباً بالثورة الفرنسية) (٣).

وقد كان يشك أن مدحت باشا- زعيم الماسونية وكان يكنى بأبي الأحرار - وراء تشكيل الجمعية، فقد جاء في برقية أرسلها القنصل البريطاني في حزيران عام ١٨٨٠ (ظهرت في بيروت منشورات تحض على الثورة يشك في أن مدحت هو منشؤها)(١) . وكان

(١) يقظة العرب ١٢٠.　　(٢) يقظة العرب ١٤٩.　　(٣) الشعوبية الجديدة لمحمد مصطفى رمضان ص ١٥٦ نقلاً عن كتاب المجتمع العربي كلية الآداب جامعة

مدحت أنذاك والياً على الشام.

ولكن حزم السلطان عبدالحميد ومتابعته للجمعية ومنشوراتها جمّد نشاطها، وكان أهم منشورات الجمعية هو المنشور الثا الذي صدر في ٣١ ديسمبر ١٨٨٠ وحدد مطالبهم بأربع نقاط [١].

١ – منح سوريا مع لبنان الاستقلال.

٢ – الاعتراف بالعربية لغة رسمية.

٣– رفع الرقابة عن حرية التعليم .

٤ – عدم إرسال أبناء العرب للحرب مع الأتراك خارج بلادهم.

## الهجـرة إلى القاهـــرة

كانت شخصية السلطان عبدالحميد فذة وفريدة وقد ملأ مكانه وفرض حبه على القلوب، إذ أنه كان يعيش عيشة زاهدة دو ترف ولا ترهل، مع إقصاء كل مظاهر الترف والتحلل التي وجدها في القصر، ولذا لم يستطع المبشرون وتلاميذهم أن ينشطوا ف أيامه، وجاءت فكرة الرحيل إلى القاهرة حتى تعيش الفكرة القومية في محضن الرعاية البريطانية حيث يجثم كرومر المعت البريطاني، فهاجرت العائلات النصرانية والكتاب النصارى الى القاهرة لتكون القاهرة منطلقاً لمحاربة تركيا، ولنشر الأفكار العلما والقومية لتحل تدريجياً محل الاسلام، ولتكون رابطة عربية بدل الرابطة الاسلامية، ومن بين هذه الأسماء التي هاجرت:

ـ ابراهيم اليازجي بن ناصيف اليازجي – ماسونيان، وإبراهيم هذا نعته المحافل الماسونية في القاهرة، وأسس جري (الضياء).

ـ فارس نمر وصهره شاهين مكاريوس صاحب جريدة (المقطم) اليومية ومجلة (المقتطف الشهرية) وهما نصرانيان ماسونيان.

ـ سليم تقلا: الذي أسس الأهرام (جريدة يومية) تصدر حتى يومنا هذا.

ـ جورجي زيدان: صاحب دار الهلال وله مؤلفات كثيرة.

ـ أديب إسحق (مدير صحيفة مصر) وسليم نقاش (مدير إدارة صحيفة التجارة)، وهذان النصرانيان من الشام كانا يعملا بإرشاد جمال الدين الأفغاني وهو الذي أسس هاتين الصحيفتين [٢].

ـ روزاليوسف – جاءت من الشام نصرانية ثم تظاهرت بالاسلام وسمت نفسها فاطمة اليوسف، ولكنها أصدرت المج باسمها القديم (روز اليوسف).

ـ أحمد فارس الشدياق – ماروني اعتنق البروتستانتيه على يد البعثة الأمريكية، ثم جاء مصر وأصدر صحيفة (الجوائب )، ؛ أسلم على يد باي تونس.

## الأفغاني وعبده والكواكبي

ولا بد هنا أن نشير إلى ثلاثة من الدعاة ممن كانوا يتزيون بزي العلماء وهم مشهورون في العالم كله كدعاة إلى الوحد الاسلامية، مع أنهم كانوا في الوقت نفسه يهاجمون تركيا ويسعون إلى هدم صرح الخلافة . وهم:

**الأفغاني:** وكان يحتضن كثيراً من النصارى واليهود، وكان طبيبه الخاص اسمه هارون يهودياً ، وقد حضر موته هو ونصران آخر اسمه (جورجي كونجي)، وكان ينزل في لندن ضيفاً على مستر (بلنت) البريطاني صاحب كتاب (مستقبل الاسلام)، وعندما حاو الخليفة منع الأفغاني من الخروج من تركيا توسط له السفير البريطاني وخرج. وكان الأفغاني رئيساً لمحفل الشرق الماسوني [٣] .

**أما محمد عبده:** فكان صديقاً حميماً لكرومر، وصرح كرومر بأن الشيخ عبده سيبقى مفتياً لمصر مادامت بريطانيا فيها، وكا

(١) يقظة العرب ص ١٥٥ (٢) تاريخ الأستاذ الامام ١/٤٥ انظر كتاب الاسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين ص ٦٦.

٣) كتاب الاسلام والحضارة الغربية لفصل الافغاني ومحمد عبده وكتاب الفكر الاسلامي المعاصر للتوبة.

ماسونياً ، ومن رواد صالون الأميرة نازلي فاضل، ومن تلاميذه: أحمد لطفي السيد العلماني الذي أعلن كفره البواح في صحيفته (الجريدة) وسعد زغلول . وقاسم أمين (صاحب كتاب تحرير المرأة)، وهؤلاء كان لهم أثر عميق في مجرى الأحداث في مصر (١) .

وعبدالرحمن الكواكبي ١٨٤٩ - ١٩٠٣: **وأصدقاؤه وتلاميذه من المسلمين واليهود والنصارى** . كانت دروسه في مقهى (سبلنددبار)، نادى بمبايعة خليفة عربي في كتابه (أم القرى)، وله كتاب آخر اسمه (طبائع الاستبداد) ، دعا إلى المساواة بين الأديان لتحقيق التماسك القومي . ويقول (دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط، دعونا نجتمع على كلمة سواء، ألا وهي فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء)، ( هذه أمم اوروبا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والارتباط السياسي دون الإداري) (٢) .

هؤلاء الثلاثة كانت أفكارهم تمهيداً للعلمانية، فقد كانت آراؤهم قنطرة عبرت عليها العلمانية إلى العالم الاسلامي كما يقول البرت حوراني(٣) .

وحطم الحاجز النفسي بين الكافرين والمسلمين، وأصبحت نفوس المسلمين قابلة لتقبل الأفكار الواردة وعلى رأسها القومية، يقول البرت حوراني ( ومن الحق أن الذي يقرأ لمحمد عبده في مناظراته مع رينان ومع فرح انطون يحس أنه كان يريد أن يقيم سداً في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الاسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الاسلامي لتحتل المواقع الواحد تلو الآخر) (٤) .

ثم جاء تلاميذ محمد عبده ليعمقوا هذا التيار وليقودوا المجتمع بعلمانتيهم.

فمثلاً لطفي السيد: عمق الوطنية الاقليمية وتزعم الدعوة الى التاريخ الفرعوني.

وجاء سعد زغلول : وسلّمه كرومر وزارة المعارف لينادي بالاتجاه الوطني الاقليمي الفرعوني على الصعيدين السياسي والاجتماعي، ويقول كرومر بأني سلمته وزارة المعارف لأنه من تلاميذ الشيخ عبده(٥) .

وجاء قاسم أمين: ليوضح العموميات ويفصل مجمل ما كان يدعو إليه الشيخ عبده، وينادي بخلع الحجاب ونزع الحياء من حياة المرأة حتى أن كتاب (تحرير المرأة) نال إعجاب الشيخ عبده، وقد اطلع على مسودته هو وتلميذه لطفي السيد في جنيف سنة ١٨٩٧ كما ذكر ذلك لطفي السيد وقاسم أمين(٦) .

ولذا تعزى الفصول الفقهية في الكتاب إلى الشيخ محمد عبده -كما يظن- لأن قاسم أمين لا علم له بهذه القضايا.

ويذكر في هذا المجال إسماعيل مظهر صاحب (مجلة العصور) وهو صهر لطفي السيد، وكذلك لا بد من الاشارة إلى إصبع من أصابع التخريب وهو عبدالعزيز فهمي -صديق لطفي السيد الحميم، وصديقهم الثالث طه حسين الذي فصل من الجامعة بسبب كفره الصريح في (الشعر الجاهلي)، فاستقال لطفي السيد من الوزارة ( وكان وزيراً للمعارف ) احتجاجاً على فصل طه حسين من الجامعة المصرية(٧) .

هذه المجموعة قد فرّغت الشعب المصري من الاسلام لتحل محلّه أفكاراً جديدة من الفرعونية والعلمانية والوطنية اللادينية.

وقد تكون الصداقة الحميمة بين هؤلاء وبين الشيخ محمد عبده إن هي إلا محاولة لتقريب هذه الفئة من الاسلام، ولكنه لم يستطع بعد أن تساهل -من أجل جذبهم- في كثير من القواعد الشرعية التي تحدد الولاية والعداوة والصداقة والمقاطعة، وأفتى بكثير من الفتاوي من أجل رفع الحواجز بينه وبين كرومر من جهة، وبينه وبين هذه الفئة من جهة أخرى، مثل الفتوى الترنسفالية، وفتواه في المرأة والطلاق والتعدد، بالاضافة إلى تفسيره كثيراً من الآيات الغيبية في القرآن تفسيراً يكاد يخرجها عن اللسان العربي ويلغي مضمونها بالكلية.

جاء في تقرير كرومر سنة ١٩٠٦ المقدم إلى الحكومة البريطانية عن حزب محمد عبده ( ... وهؤلاء راغبون في ترقية مصالح

(١) كتاب الاسلام والحضارة الغربية فصل الأفغاني ومحمد عبده وكتاب الفكر الاسلامي المعاصر للتوبة.

(٢) طبائع الاستبداد ص ١١٢- ١١٣ انظر العلمانية لسفر الحوالي ص ٥٨٠ وانظر يقظة العرب ص ١٧٢.

(٣) الفكر العربي المعاصر / البرت حوراني ص ١٤٤ وانظر كتاب الاسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين ص ٨٣.

(٤) الاسلام والحضارة الغربية ص ٧٩ - ٨٣ نقلاً عن [illegible]

مواطنيهم واخوانهم في الدين. ولكنهم غير متأثرين بدعوى الجامعة الاسلامية، ويتضمن برنامجهم - إن كنت فهمته حق الفهم التعاون مع الأوروبيين لا معارضتهم في إدخال الحضارة الغربية إلى بلادهم)(١) .

ويقول كرومر (إني أشك كثيراً أن صديقي محمد عبده كان إلا إدرياً Agnostic) (٢) .

ويقول صديقه بلنت - الإنجليزي - (أخشى أن أقول أن محمد عبده - بالرغم من أنه المفتي الأعظم - ليس له من الا بالإسلام أكثر مما لي من الثقة في الكاثوليكية)(٣) .

وأصدق كلمة في محمد عبده وشيخه كلمة الشيخ مصطفى صبري شيخ الاسلام (فلعل الشيخ محمد عبده وصديقه أو شيـ جمال الدين أرادا أن يلعبا في الاسلام دور لوثر وكلفن - زعيمي البروتستانت - في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر بتأسيس د حديث للمسلمين، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الالحاد المقنع بالنهوض والتجديد)(٤) .

ويقول شيخ الاسلام مصطفى صبري - كذلك- (أما النهضة الاصلاحية المنسوبة إلى محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأز من جموده على الدين، فقرب كثيراً من الأزهريين إلى اللادينين خطوات، ولم يقرب اللادينين إلى الدين خطوة، وهو الذي أد الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني. كما أنه هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر) (٥) .

## الدعوة القومية في بداية القرن العشرين

استطاعت شخصية عبدالحميد الفذة أن تجمد الدعوة إلى القومية خاصة وأنه رفع شعار (يا مسلمي العالم اتحدوا).

وقبل نهاية القرن التاسع عشر عقد مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ الصهيوني وقرروا انشاء وطن لليهود في فلسطين، وزار هرتز السلطان عبدالحميد مرتين وعرض عليه مبلغ (١٥٠) مليون جنيه، وانشاء أسطول عثماني، والدفاع عن سياسته في أوربا وأمريكا وسداد كثير من ديون الدولة العثمانية مقابل السماح لليهود بشراء بعض الأراضي في فلسطين.

وكان جواب السلطان عبدالحميد قاطعاً بأن(قطع عضو من أعضائي أهون عليّ من أن تقطع فلسطين من الدولة العثمانية).

فبدأت أجهزة البث تعمل ليل نهار ضد السلطان عبدالحميد، وقد أصبحت القاهرة وباريس أهم مراكز التآمر على السلطان وقد أشرنا قبل قليل كيف عملت جميع القوى -تقريباً- في القاهرة ضد السلطان - حتى الدعاة المعروفون أمثال الشيخ جمال الدي ومحمد عبده - على السلطان عبدالحميد. وتجمع في القاهرة كذلك شباب تركيا الفتاة - وهم من أعداء الله وأدعياء القومي الطورانية- تحركهم أصابع اليهودية في سلانيك وإيطاليا وأسبانيا.

وأما دعاة القومية العربية فبالاضافة إلى نصارى الشام في القاهرة الذين تولوا توجيه الفكر في مصر كلها فهناك في المرك الآخر في باريس (٦) بعض النصارى السوريين ومنهم: نجيب عازوري.

وهو نصراني سوري ألف سنة ١٩٠٤ جمعية (عصبة الوطن العربي) في باريس. وكان هدفها الذي أعلنته تحرير الشام والعرا من السيطرة التركية، ونشر سنة ١٩٠٥ كتاب (يقظة الأمة العربية) باللغة الفرنسية، وأصدر بالاشتراك مع الكتاب الفرنسيين مجل (الاستقلال العربي) صدر العدد الأول منها في أبريل سنة ١٩٠٧ ، وتوقفت بعد إعلان دستور سنة ١٩٠٨ .

يقول ساطع الحصري ( إن القومية ابتدأت بنجيب عازوري الذي يضع أماله العربية السورية في فرنسا أولاً وفي إنجلترا ثانياً وكانت أعمال نجيب عازوري تمهيداً لمؤتمر باريس سنة ١٩١٣.

**مؤتمر باريس سنة ١٩١٣:**

يكاد كثير من كتاب القومية العربية يعتبرون مؤتمر باريس أساساً للقومية الحديثة، وكان عدد المشتركين ٢٤ عضواً نصفهم م المسيحيين ونصفهم من أبناء المسلمين، فيقول عنه أنيس الصايغ بانه كان خالياً من المطالبة بالاستقلال حتى لا تحرج بعض الدو

(١) الاسلام والحضارة الغربية ص ٧٩.
(٢) الاسلام والحضارة الغربية ص ٧٩ .
(٣) مذكرات بلنت My Dairies ج ١/ ٢٤٦ ( ٨ يناير سنة ١٩٠٠).
(٤) كتاب شيخ الاسلام - مصطفى صبري - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (٤) أجزاء ج ١ / ١٤٤ وانظر كتاب الاسلام والحضارة الغربية ص ١٠٧
(٥) الاتجاهات الوطنية لمحمد محمد حسين ج ٢/ ٧٥-٨٥.
(٦) يقظة العرب ص ١٧٤.

الأوروبية التي كانت تشجع الحركة القومية وتمدها بالأموال. وقد صرح الزهراوي رئيس المؤتمر لمراسل الطان الفرنسية بأنه ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانية – أي الشمال الافريقي –، لأن فرنسا تشرف على المؤتمر وهي تحكم الشمال الافريقي، وشكر وزارة الخارجية الفرنسية، ورفض المؤتمرون إشراك مصر في المؤتمر، وقد طالبوا بجعل اللغة العربية رسمية في البلاد العربية. واضطرت الحكومة الاتحادية أن تفاوضهم وترضيهم بإدخال ٣ وزراء عرب وخمسة من الولاة عرب كذلك في سلك الدولة .

## عوامل هامة في تطور الحركة القومية

هنالك عوامل هامة كان لها أثر كبير في تأجيج نار القومية العربية في الربع الأول من القرن العشرين، ومن أهم هذه العوامل:

١ – استلام جمعية الاتحاد والترقي الحكم في تركيا بعد اسقاط السلطان عبدالحميد في ٢٧ نيسان سنة ١٩٠٩، وبدأت المناداة بالقومية الطورانية التركية، ومن فلاسفتها خالدة أديب –اليهودية – التي أصبحت فيما بعد وزيرة للمعارف. وكذلك ضياكوك ألب وهو تلميذ اليهودي دوركايم وتلميذ اليهودي الآخر مويزألب (Moizalp) ومن المعلوم أن قادة الاتحاد والترقي كلهم على الاطلاق من الماسون، وليس منهم واحد مسلم الأصل أو تركي العرق. فأنور بولندي، جاويد –يهود دونمة–، كراسو – يهودي أسباني... وبدأت جمعية الاتحاد والترقي بفرض عملية التتريك على جميع المحافظات العربية وغيرها. ففرضت التركية في الدواوين والمدارس والمناهج.

وبدأت عملية التتريك كذلك في أجهزة الدولة، وقد ظهر هذا واضحاً في انتخابات مجلس النواب (المبعوثان) الذي انتخب على أثر إعلان الدستور سنة ١٩٠٨، فأشرفت جمعية الاتحاد والترقي على الانتخابات لتكون النتيجة في جانب الجنس التركي، فكانت النتيجة أن نجح ١٥٠ من الاتراك و ٦٠ من العرب، بينما العرب متفوقون في عدد السكان بنسبة ٥ : ٢.

وفي غمرة الفرحة بتكبيل أيادي السلطان عبدالحميد أنشئت (جمعية الإخاء العربي العثماني) في ٢ أيلول سنة ١٩٠٨ بعد الدستور بشهر، فعاشت هذه الجمعية ثمانية أشهر ثم حلتها الجمعية الاتحادية.

وعملية التتريك الجبري على يد يهود الدونمة أدى إلى ردود فعل عنيفة لدى العرب بإنشاء الجمعيات السرية والعلنية .

٢ – تشكيل الجمعيات العلنية والسرية التي تنادي بالقومية العربية، وتنادي بفصل الدول العربية عن الأتراك، ولو على الأقل الحكم الذاتي في داخل الدولة العثمانية يكون للعرب إدارة أمورهم الداخلية من تعليم واقتصاد وثقافة، ومشاركة الدولة العثمانية في الأمور الخارجية كالدفاع وغيرها.

وقد تشكلت عدة جمعيات منها:

**أ– العلنية: منها:**

١ – جمعية المنتدى الأدبي في إستانبول .

٢ – حزب اللامركزية الإدارية العثماني، وقد تأسس في القاهرة سنة ١٩١٢.

**ب– الجمعيات السرية: منها:**

١ – : الجمعية القحطانية: أسسها عزيز المصري، وكان أحد الضباط البارزين في الجيش، ومن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، واشترك في الأحداث سنة ١٩٠٨– ١٩٠٩ ضد السلطان عبدالحميد . وكان يحاضر في كلية الأركان، وهدف الجمعية تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين (تركي وعربي) مثل الأمبراطورية النمساوية (النمسا مع المجر) . وكان الضابط (سليم الجزائري) يعين عزيز المصري في إدارة الجمعية.

٢ – جمعية (العربية الفتاة) أسست في باريس سنة ١٩١١ على يد سبعة من أبناء المسلمين منهم عوني عبدالهادي وتوفيق التميمي، وهذه الجمعية مهدت لمؤتمر باريس سنة ١٩١٣.

٣– جمعية (العهد) أسسها عزيز المصري سنة ١٩١٣ وكل أعضائها من العسكريين عدا اثنين أحدهما عادل أرسلان . ورغم كل البطولات التي نسبت إلى عزيز المصري إلا أن شخصيته لا زالت غامضة لديّ، وفي سنة ١٩١٤ اعتقل عزيز المصري في استانبول واتهم بتسليم برقة للطليان، وتدخل السفير البريطاني في مصر (كتشنر) لانقاذه، وكتبت التايمز أربع مقالات افتتاحية تدافع عنه،

قامت ضجة كبرى في العالم العربي عندما حكم عليه بالاعدام، ولكن بالضغط البريطاني أخلي سراحه ووصل في ٢١ نيسان سنة ١٩١١ إلى مصر مع استقبال شعبي رائع .

٣- تولية جمال باشا والياً على بلاد الشام، وكانت خالدة أديب اليهودية أمينة سره. وقد اضطر جمال باشا أن يهادن العرب ويحسن إليهم في بداية الحرب الكبرى لئلا ينضم العرب إلى معسكر الحلفاء ضد تركيا، وقد استلم جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سوريا، وقد كان جمال باشا يحس بوجود التجمعات القومية السرية في بلاد الشام وكان يعلم أن العرب ضاقوا ذرعاً بتصرفات الاتحاديين وبتعصبهم لتركيا. فكان العرب يبحثون عن مخرج، واتصل زعماؤهم بفرنسا. مما جعل جمال باشا يقتحم السفارة الفرنسية في كل من بيروت و دمشق ويضبط وثائق فيها تثبت اتصال قادة التنظيمات والجمعيات العربية بفرنسا وتنادي بانفصال سوريا عن العثمانيين، إلا أن جمال باشا أراد أن يغض الطرف عن القضية طمعاً في وقوف العرب لجانب تركيا في الحرب.

وبعد إحساس جمال بنية الشريف حسين بدخول الحرب ضد تركيا والى وجانب بريطانيا استشاط جمال باشا غضباً وأمر بإعدام ١١ شخصية عربية في ٢١ آب سنة ١٩١٥ بعد المحاكمة العسكرية في عاليه.

وفي (٦) أيار سنة ١٩١٦ شنق ٢١ شخصية عربية أخرى منهم عبدالحميد الزهراوي (رئيس مؤتمر باريس وعضو مجلس الأعيان التركي) وسليم الجزائري مساعد عزيز المصري في الجمعية القحطانية، وكانت المحاكمة كذلك للمرة الثانية في عاليه .

ولقد أحدثت هذه الاعدامات هزة عنيفة في العالم العربي، ولقد نفذ جمال باشا الاعدام بعد توسط الشريف حسين وابنه فيصل، إلا أنه لم يصغ إليهما. وقد كان الأمير فيصل بن الحسين آنذاك في دمشق فرمى كوفيته على الأرض وداسها وقال (طاب الموت يا عرب)[1] .

٤ - العامل الرابع: دخول الشريف حسين الحرب العالمية بجانب بريطانيا ضد تركيا. فلقد بقي الشريف حسين في تركيا ستة عشر عاماً إذ كان السلطان عبدالحميد يخشى منه، وبعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ اختارته جمعية الاتحاد والترقي ليكون أميراً لمكة، وعارض عبدالحميد في هذا التعيين[2].

وقد كان اعلان الدستور في ٢٤ تموز سنة ١٩٠٨ بعد مؤامرة طويلة المدى يديرها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين كان معظمهم من اليهود الدونمة أو الأتراك المتهودين الذين تلعب بهم أصابع الماسونية في محافل سالونيك، وقد كانت الجمعية تعقد اجتماعاتها في بيوت اليهود المنتمين الى الجنسية الايطالية .

**لقد كتب ستون وستون يقول** [3] .

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير اسلامية، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من اصل تركي صاف، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة (دونمة)، وكراسو من اليهود الأسبان القاطنين في مدينة سالونيكا، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الاسلام ديناً، أما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه شركسيا ونصفه غجرياً الى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلاً إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهوداً أو مسلمين من أصل يهودي، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيكا الاثرياء.... كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية - أو الشبيهة بالدولية - من فينا وبودابست وبرلين وربما من باريس ولندن).

**ويقول هربرت أبري:**

(كان يهود سالونيكا ويعرفون (بالدونمة) - أي المرتدين- شركاء الثورة التركية الحقيقيين ، وهؤلاء هم من العرق اليهودي، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهودياً أصلاً. والاعتقاد الشائع بين الناس هو: أنهم مسلمون بالاسم، أما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى... وفي تلك الفترة التي نحن بصددها لم يعرف أحد من الناس شيئا عنهم ، سوى قلة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليهودية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دوراً رئيسياً في ثورة كان لها نتائج خطيرة

(١) انظر يقظة العرب ١٧٦- ، ١٨٥ (٢) يقظة العرب ص ١٧٨.

(٣) انظر الطرق المستوردة للقرضاوي ص ١٦٥ نقلاً عن كتاب نشوء القومية العربية لزين زين ص ٨٦- ٨٧

في سير التاريخ [١].

وقد كان الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي، خاصة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة ١٩١٤ يريدون التخلص منه. وكان عبدالله بن الحسين آنذاك نائباً في البرلمان التركي، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) ورونالدستورز المستشار الشرقي في دارالاعتماد البريطاني. وأطلعه على النفور الشديد بين أبيه وبين الأتراك وسأله عن إمكانية وقوف بريطانيا بجانب الشريف فيما إذا أعلن الشريف الحرب على تركيا، إلا أنه لم يلق أي تشجيع منهما، وقال كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بريطانيا بجانب أبيك [٢] .

(وكان الأمير عبدالله نفسه عضواً في إحدى الجمعيات السرية، وكان مؤمنا بفوائد التفاهم الانجليزي العربي متحمساً له) [٣].

ونشبت الحرب الكبرى في آب سنة ١٩١٤، وكان عبدالله متحمساً لاعلان الحرب على تركيا، بينما كان الأمير فيصل يرى الوقوف معها. وفي سنة ١٩١٥ زار فيصل دمشق واستانبول، وفي دمشق انضم إلى جمعية (العربية الفتاة) وأقسم على نصرتها. وأعلن الشريف الحرب على تركيا يوم الاثنين ٥ حزيران سنة ١٩١٦ (وسبحان ربي! كانت هزيمة العرب في ٥ حزيران يوم الاثنين سنة ١٩٦٧) ، ومن جانب قبر حمزة بن عبدالمطلب بالمدينة أعلن الحرب بعد أن وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب وبتتويجه ملكا عليها، وكان كتشنر قد أصبح وزيراً للحربية البريطانية، واستلم مكماهون معتمداً بريطانياً في مصر، وحدثت المكاتبات المعروفة بينه وبين مكماهون، و وعدوه بملك البلاد العربية بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحمية العربية ضد الأتراك، وهزم الأتراك. وحصلت اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا، وأعطيت فلسطين لليهود بوعد بلفور، وكان الجزاء الجميل للشريف حسين أن نفته بريطانيا ست سنوات وسلبت ملكه، ولقد كانت الصدمة عنيفة لأعصاب الشريف حتى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألماً، وكان يصب جام غضبه طيلة حياته على مكماهون ولويد جورج - الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج انطونيوس [٤] .

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة ١٩٣١م ، وقد قلصه الفالج، وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت ... فقال لي: الانجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم، في السراء والضراء، أقول: شرفاء، ماعدا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب. أقول: ثعلب، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر).

كانت هذه النتيجة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الانجليز، وصدق الله العظيم **(يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين )** [٥].

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الانجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة، فقد كتب شكيب أرسلان [١] إلى الشريف عندما بلغه عزم الشريف لغزو سوريا مع جيوش الحلفاء قائلاً (أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء انجلترا على جزيرة العرب وفرنسا على سوريا واليهود على فلسطين؟).

يقول لورنس في أعمدة الحكمة السبعة (لقد كنت أعلم أننا اذا كسبنا الحرب فإن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كنت ناصحاً شريفاً للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم. لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهماً عشائرياً بدوياً، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتماداً على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ولهم ثقة بالعدو... إنني أكثر ما أكون فخراً أن الدم الانجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت انجليزي واحد) .

ويقول وايزمان (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة)، هذا هو لورنس الذي كانوا يسمونه - ملك العرب غير المتوج.

وصلت جمعية الاتحاد والترقي الى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبدالحميد)، وأصبحت تركيا الاسلامية دمية في يد اليهودية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت.

(١) [illegible] ١٦٨ [illegible] ٢٠٧ - ٢٠٨ (٢) [illegible] (٣) [illegible]

وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحاً للذئاب الغربية من أعداء الاسلام، وأصبح هذا المارد الجبار (الدولة العثمانية) يؤكل شلواً شلواً، وكما قال الشاعر:

*رب في الفناء علوا وسفلاً          وأراني أموت عضوا فعضوا*

فابتلع الغرب أولاً دول البلقان النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأول سنة ١٩٠٨ (أي بعد تسلم الاتحاد والترقي زمام الامور) وبعد اعلان الدستور بشهرين فقط، وانفصلت بلغاريا، واعتدت ايطاليا على ليبيا في خريف سنة ١٩١١ ثم نشبت الحرب البلقانية سنة ١٩١٢، وفي هذه السنوات القليلة فقدت الدولة العثمانية جميع ولاياتها في اوربا (ماعدا تراقيا الشرقية) [1] ، وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي -، لقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانية مكشوفة لا تخفى على كل ذي عينين، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليهود الايطاليين هم اساتذة المحافل الماسونية في سالونيك، وفي بيوت هؤلاء اليهود الايطاليين كانت تعقد اجتماعات جمعية الاتحاد والترقي، فليس كبيراً أن تعطي جمعية الاتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة الى ايطاليا كرد جميل على صنيعهم السابق الكبير.

وفضلاً عن هذه الخسارة فقدت كريت، وكانت ميزانية تركيا تنوء بأعباء النفقات العسكرية.

# القومية بعد الحرب الاولى

تعتبر وقفة العرب بجانب الحلفاء ضد تركيا المسلمة نقطة تحول كبرى في الفكر القومي والتجمع على أساس القومية. إذ لم يكن الانجليز يحلمون في يوم من الأيام أن يقف العرب بجانبهم ككفار ضد بني دينهم وعقيدتهم.

يقول لورنس [2] ( رجل المخابرات البريطاني وملك الصحراء العربية كما يسمونه ):

(وأخذت أفكر طيلة الطريق إلى سوريا وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدينية؟ وبمعنى أوضح: هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والالهام وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟).

ويعتبر الغرب هذا الموقف نقطة تحول الى مرحلة جديدة في التفكير القومي.

كتبت الايكونومست في حزيران سنة ١٩٦٢ تحت عنوان (الاسلام ضد القومية ) [3] مايلي:

(لقد وضع العرب منذ الحرب العالمية الأولى القومية في المكان الأول حين قاتلوا بجانب الانجليز -الكفار - من أجل التحرر من المسلمين الأتراك. وباستثناء البقية الهزيلة من الاخوان المسلمين فليس هناك في العالم العربي اليوم أناس ذوو تفكير سياسي يضعون مجتمع الدول الاسلامية فوق قوميتهم العربية).

ولكن بعد الحرب الأولى وإن كانت التجربة القومية مريرة إلا أنه برز عامل جديد وهو: جثوم الاستعمار بثقله على كاهل العالم العربي، وأصبح هذا العامل وتراً جديداً يعزف عليه دعاة القومية ومفكروها، خاصة بعد ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقيام ثورة سنة ١٩٣٦ الفلسطينية.

فهناك نقاط بارزة ما بين الحربين الأولى والثانية أدت الى ازدياد التفكير القومي أهمها:

١- الاستعمار البريطاني والفرنسي وقد نقل معه:

أ- العلمانية (اللادينية) إلى أجهزة الدولة، ورفع الطبقة المبرزة اجتماعياً، المتفلتة أخلاقياً، المستعدة للنفاق وإيقاد البخور وإشعال الشموع للحاكم الجديد، وأصبحت هذه الطبقة هي المستعمر الجديد وإن كانت من أبناء المنطقة.

ب - المناداة بالأفكار القومية كبديل للاسلام وكأساس للتفكير والتجمع والتنفير من الاتجاه الديني، وأخذ العبرة من التاريخ الأسود المرير لرجال الدين في العصور الوسطى في أوربا.

ج - أصبح نغم التحرر من الاستعمار مادة دسمة للطبقات الناقمة على الاسلام والتي تريد أن تجعل من بعض فترات الحكم

---

(١) انظر يقظة العرب لجورج انطونيوس ص ١٨١.    (٢) مجلة المجتمع العدد ١٣٣ سنة ١٩٧٩ / ٢٠ فبراير.    (٣) الشعوبية الجديدة لمحمد مصطفى رمضان ص ٥١

التركي صورة للاسلام الذي يمثل الجمود والتأخر والانحطاط!؟؟

٢ – أسقاط الخلافة على يد مصطفى كمال أتاتورك وما تبع ذلك من تفكير جدي بانشاء تنظيم حركي اسلامي لإعادة الخلافة وقيام حركة (الاخوان المسلمين) على يد حسن البنا.

٣ – بروز التفكير القومي على شكل تنظيمات يقودها المسيحيون، وبرز حزب البعث، والقوميون العرب، والقوميون السوريون على السطح، وكانت الجامعة الأمريكية محضناً دافئاً لكثير من هذه الأفكار.

## حزب البعث العربي الاشتراكي

تكون حزب البعث العربي الاشتراكي من حزبين:

١- **حزب البعث العربي:** وقد أسسه الأرسوزي وعفلق.

٢ – **الحزب العربي الأشتراكي :** الذي أسسه سنة ١٩٣٨ عثمان الحوراني، ثم آلت قيادته إلى أكرم الحوراني، وقد انضم أكرم الحوراني سنة ١٩٣٦ إلى الحزب السوري القومي وانسحب منه سنة ١٩٣٨ لينضم إلى حزب الشباب العربي الاشتراكي.

وفي ١٩٥٢/١/٢٦ انضم الحزبان الأول والثاني فكونا حزب البعث العربي الاشتراكي.

## حزب البعث العربي

اختلف في المؤسس، فمنهم من قال ميشيل عفلق وصلاح والبيطار، ومنهم من قال زكي الأرسوزي، إلا أن حركة ٢٣ شباط التي عملها صلاح جديد النصيري سنة ١٩٦٦ في سوريا أحلت الأرسوزي أباً روحياً للحزب، والبعث هو وارث (عصبة العمل القومي) وهي عبارة عن نواة تنظيمي كل من عفلق والأرسوزي، وقد بقيت هذه العصبة من ١٩٣٢-١٩٣٩.

سنة ١٩٣٩ انسحب الأرسوزي منها وشكل الحزب القومي العربي) [١] .

**زكي الأرسوزي:** رجل نصيري، ملحد، لا يتكلم العربية متأثر بمباديء الثورة الفرنسية وبالنازية خاصة كتاب نيتشه (هكذا تكلم زرداشت عن موت الإله ونشوء الإنسان السوبرمان)، بدأ يتعلم العربية بعد سنة ١٩٤٠، وكان الأرسوزي يرى الجاهلية العربية مثله الأعلى، ويعتبرها المرحلة العربية الذهبية .

يقول سامي الجندي (ناقشته سنة ١٩٤٦ بالقرآن فعاب عليّ نزعتي الدينية) [٢] .

## مباديء حزب البعث

المنقولة عن مبادئ الحزب القومي الذي شكله الأرسوزي سنة ١٩٣٩ رمزه النمر.

١- العرب أمة واحدة.

٢ – للعرب زعيم واحد يتجلى من إمكانات الأمة العربية يمثلها ويعبر عنها.

٣ – العروبة وجداننا القومي، مصدر المقدسات، عنه تنبثق المثل العليا، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء.

٤- العربي سيد القدر ، وفسرها الارسوزي مستشهداً بالانجيل (لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا بأمر أبيكم الذي في السموات).

**يقول الجندي** [٣] :

( وفي ١٩٤٠/١١/٢٩ كنا في غرفة فقال الأرسوزي: أرى أن نؤسس حزباً نسميه حزب البعث العربي).

أصبحت مبادئ الحزب القومي هي مبادئ حزب البعث العربي هي هي [1] .

ويقول سامي الجندي:

(كنا عصاة تمردنا على كل القيم القديمة، أعداء لكل ماتعارف عليه البشر، ألحدنا بكل الطقوس والعلاقات والأديان) [2] ، (اتهمنا بالالحاد وكان ذلك صحيحاً أيضاً رغم كل ما زعم البعثيون فيما بعد من مزاعم التبرير)[3].

## أما مشيل عفلق

فكان متأثراً بنتشه واندرية جيد Andray Geed، أعطاه الأول الثورة والثاني الأسلوب، وغذيا فيه القلق الذي وسم حياته السياسية بالتأرجح والتردد، كان عفلق كسولاً في مظهره، كان الحزب تعبيراً عن انسانيته، فتجلت في الحزب منذ الأيام الأولى مواهبه وضعفه، وفي عفلق طيب الفنان وعصبيته وقرفه وسوء ظنه، إن تناقض عفلق قتل الفنان ولم ينقذ السياسي[4].

في آذار سنة ١٩٤٩ جاء حسني الزعيم فأيده البعث، ثم اختلفوا فالقى بمشيل عفلق في السجن، فكتب مذكرة استعطاف لـ فخرج، ثم جاء الحناوي بعد حسني الزعيم فاختار ميشيل عفلق وزيراً للمعارف، فاغتنمها فرصة ليرسل البعثيين في بعثات دراسية الى فرنسا، فعادوا واستلموا الجامعات والادارات.

كان الصراع على أشده بين قادة الحزب، حتى أنه في انتخابات سنة ١٩٥٥ للمؤتمر القطري كانوا يقولون (عفلق جاسوس انجليزي، والحوراني فرنسي، والبيطار عميل لأكثر من دولة ) [5] .

أما الاتهامات بالسرقة والجرائم الخلقية فحدث عنها ولا حرج.

وهنا نسجل بعض الملاحظات:

١- لقد كان الحزب مأوى يتجمع فيه كل الناقمين على الاسلام أو الطامعين في الحكم، فانتبه النصيريون إليه ودخلوه ليكون سلماً إلى دولتهم النصيرية، ودخل فيه الإسماعيليون مثل سامي الجندي وعبدالكريم الجندي.

والدروز: مثل سليم حاطوم.

واليهود: مثل أحمد رياح الذي كان رئيساً للحزب في دمشق .

وإيلي كوهين [6] : ضابط المخابرات الاسرائيلي الذي ذهب إلى الأرجنتين، وأقام صداقة مع أمين الحافظ، ثم دخل سوريا باسم (كامل أمين ثابت)، وسكن حي (أبورمانة ) في دمشق، وأصبحت شقته الحصن الحصين الذي يأوي إليه قادة البعث وفوق أسرة كوهين شرب نخب النصر سليم حاطوم وعبدالكريم زهرالدين يوم الانقلاب البعثي ( ٨ آذار ١٩٦٣)، وعرضت على كوهين الوزارة واستشار بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل فلم يوافق. وكان يسمى الشاب الثوري الأول، وكان الشخص المدني الوحيد الذي يدخل المطارات والقواعد العسكرية، وأخيراً اكتشفت السفارة الهندية أنه يهودي من خلال الاشارات اللاسلكية التي يرسلها الى اسرائيل يومياً، وكانت فضيحة عالمية، وحوكم كوهين، وكان الذي يحاكمه هم تلاميذه وربائب حجره ، ولعله وعد بأن يخلي سراحه إذا أخذ مصائب الحزب البعثي الحاكم.، وكان سليم حاطوم هو رئيس المحكمة العسكرية التي حاكمته، وبسرعة فائقة طويت القضية، وأعدم كوهين ليطوي في صدره مآسي ونكبات الصبية البعثيين الذين تديرهم اليهودية العالمية من خلال المرأة والكأس.

٢- إن المؤسسين لحزب البعث ليسوا مسلمين أصلاً، فزكي الأرسوزي نصيري ملحد، وميشيل عفلق مسيحي- قيل أنه يوناني الأصل .

٣- إن مبادئ حزب البعث كفر صريح، (العروبة مصدر المقدسات، عنه تنبثق المثل العليا، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء العربي سيدالقدر) المثل العليا هي العروبة وليس الاسلام أو القرآن والسنة.

---

(١) البعث ص ٢٧. (٢) البعث ص ٢٧ . (٣) ص ٣١ .

(٤) البعث ص / ٣٤. (٥) البعث ص ٧١ .

(٦) إيلي كوهين من جديد/ لمحمد جلال كشك، وجاسوس من اسرائيل لكاتب غربي.

٤ - كان أتباع البعث الأوائل ملحدين، أعداء للأديان جميعاً.

(لقد كنا خوارج على الشرائع التي تعارف عليها الناس فنسفناها جميعاً) [١] .

٥ - إن الحزب رغم ادعائه القومية والوطنية لم يعد دراسة عن القضية الفلسطينية[٢] أخطر قضية عربية في العصر الحديث .

٦- لقد تسلق النصيريون على سلم البعث فاستطاعوا أن يستلموا البلد عسكرياً ومدنياً، وفي ٢٣ شباط سنة ١٩٦٦ قام صلاح جديد - النصيري - بحركته التصحيحية - أي إقصاء عناصر اهل السنة من مراكز القوى- وفي سنة ١٩٧٠ عندما جاء حافظ الأسد جعل الدولة نصيرية خالصة.

٧ - إن الأحزاب القومية ليس لها أيديولوجية (عقيدة ) تجاه الكون والانسان والحياة، ولذا بقيت إطاراً فقط دون مضمون، ولذا اضطرت أن تملأ فراغها العقائدي بالماركسية والاشتراكية، ولذا فإن الأحزاب القومية كلها أصبحت:-

**(عربية الإطار والمظهر شيوعية الحقيقة والمخبر)** وهذا الذي أقر به جلال السيد في كتابه (حقيقة القومية العربية ) [٣] بأن هنالك تيار عفوي قام بصياغة المواضيع الاقتصادية، لأن الرواسب قد أطلت تحت ستار التقدمية والاشتراكية وبأن الشيوعية هي حقيقة هذا التيار.

٨ - لقد انتحر الحزب بمجرد وصوله إلى الحكم، ولقد انتقد ميشيل عفلق سنة ١٩٦٥ في سوريا تسلط العسكريين على الحزب واقصاء المدنيين من اللجان المركزية للحزب، فطرد عفلق، بل حكم عليه بالاعدام هو والمؤسس الآخر صلاح البيطار، ثم لوحق البيطار حتى اغتالته النصيرية في باريس سنة ١٩٨١، وأما عفلق فقد احتضنه البعث العراقي بعد وصوله إلى الحكم في انقلاب ١٩٦٨ على عبدالرحمن عارف. فجاء به تلميذه صدام حسين الذي أصبح نائباً لرئيس الجمهورية ثم بالتالي رئيساً لجمهورية العراق.

وقد سئل الرئيس صدام حسين في مقابلة صحفية له طبعت ووزعت في الأردن سنة ١٩٨١:

ما علاقتك بمشيل عفلق؟ فرد صدام: علاقة الابن بأبيه، ولولا ميشيل ما كان صدام شيئا . ومن المعروف أن صداماً كان حارساً خاصاً لميشيل عفلق من بداية الستينات. وكان ميشيل يستعمله لتصفية خصومه السياسيين. وفي سنة ١٩٧٩ صفى الرئيس صدام حسين - منذ الأيام الأولى لحكمه - معظم قادة الحزب لمعارضتهم المبدئية لرئاسته.

وكتب عن مأساة الحزب بعض قادته مثل الدكتور منيف الرزاز (التجربة المرة)، ومطاع الصفدي ( حزب البعث مأساة المولد ومأساة المصير).

لقد انتهى الحزب في سوريا إذ تسلق عليه النصيريون ثم قتلوه، وأصبحوا يتفكهون بالتعدي على كل الأديان والقيم والمبادئ . فاستعانوا أولاً بذراري المسلمين الداخلة في حزب البعث، ثم صفوهم تدريجيا . وأصبح الكفر هو شعار الدولة في كل الأجهزة: كتب ابراهيم خلاص في مجلة جيش الشعب السورية ٦٧/٤/٢٥ (والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الانسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والاقطاع ورأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التاريخ)[٤] .

وقال شفيق الكمالي يمدح صداماً:

*تبارك وجهك القدسي فينا كوجه الله ينضح بالجلال*

وعندما دخلت قوات البعث حماة سنة ١٩٦٤ كانت تهزج قائلة:

*هات سلاح خذ سلاح دين محمد ولى وراح*

وفي سنة ١٩٨٠ خرجت سرايا الدفاع والحزبيون يهتفون (يسقط الله) (الأسد ربنا) (لا إله إلا الوطن ولا رسول إلا البعث) [٥].

وأما النصيريون فكانوا يهتفون في جسر الشغور:

(لا إله إلاساجي - بن سليمان المرشد-)

٩ – لقد ابتدأ حزب البعث مع بداية الحرب الثانية ١٩٣٩، وكانت النازية والفاشستية تملأ برنينها العالم ولذا فقد تأثر.. فمثلا زكي الأرسوزي متأثر بنيتشة فيلسوف النازية خاصة كتابه (هكذا تكلم زرداشت عن موت الإله....)، وأما عفلق فهو متأثر كذلك (بنيتشه) وجيد، فجاءت أفكارهم تلخيصاً للالحاد والقلق الذي كان يعاني منه نيتشه الذي كان يسمي المسيحية (دين الكلاب العرجاء) [1]، وأهم سمات فلسفة نيتشة تتلخص في ثلاث نقاط:

١- الالحاد ٢- إن فكرة القيامة هي التي جعلت من المسيحية (أخلاق عبيد) إذ أن حقد الضعفاء تجاه الأقوياء جعلهم يوحون لهم بفكرة الآخرة، فاستسلم الأقوياء للأساطير، وعم ظلام المسيحية العالم .

٣ – اليأس والقلق: اللذان هما شرطان دائمان للعظمة الانسانية [2] .

وإليك مقارنة بين كلام عفلق وكلام النازية والفاشستيه [3] :

١ – (البعث قدر الأمة العربية) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية هي قدر الأمة الايطالية) وهو الحق الالهي عند هتلر وهو نفس كلام تروتسكي (إن الحزب الشيوعي لا يخطيء لأنه تجسيد للحتمية التاريخية).

٢ – إن عقيدة البعث لا يمكن الوصول إليها بالعقل ولكن بالايمان وحده) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية لا تناقش، إنها تدرك بالإحساس) .

٣- (إن القدر الذي حملنا رسالة البعث أعطانا الحق في أن نأمر بقوة ونتصرف بقسوة) وهو نفس كلام موسوليني (إن القدر الذي حملنا رسالة الفاشستية أعطانا الحق في أن نأمر بقوة، ونتصرف بقسوة).

٤ – (إن البعث هو الطليعة، وعلى الجماهير أن تمشي وراءها)، وهو نفس كلام موسوليني (إن الفاشستية هي حكم الصفوة المختارة وعليها أن تقود الجماهير) .

# الانقلابات العسكرية والقومية

ان الأفكار الجديدة لابد لها من قيادات عسكرية تفرض آراءها بالقوة، وتستبدل القومية والاشتراكية بالاسلام.

ولذا فقد أوصت الدوائر الغربية في بلادنا، والمستشرقون بوجوب المجيء بقيادات شابة عسكرية يفرض من خلالهم ما يريد الغرب من مبادئ.

**يقول قسطنطين زريق** [4] (إن العرب لابد لهم في عهدهم الجديد من قيادة قديرة وتقدمية، وأن عليهم أن ينبذوا من تقاليدهم العناصر الرجعية، وعندئذ فقط تستطيع الطائفة المستنيرة أن تواصل كفاحها ضد العناصر الرجعية بالتعاون مع الغرب).

**ويقول جب** [5] :

(إن نجاح التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الاسلامي وعلى الشباب منهم خاصة).

وفكرة القومية قضية جذابة براقة تستطيع أن تخدع الجماهير بسهولة باسم التحرر والتقدم والوطنية.

**يقول جب** [6] :

(إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين قبضتها الثابتة على السلطة في الدولة.... فالقومية هي فكرة غربية تماماً).

ومن المعلوم أن العسكريين لا علم لهم بادارة الأمم ولا رعاية الشعوب ولا سياسة الجماهير، ولذا تدار البلاد من خلالهم. لقد

(١) تهافت العلمانية د. عماد الدين خليل ص ٩٢ نقلاً عن كتاب كولن ولسن (سقوط الحضارة) ترجمة انيس زكي ص ١٧١– ١٧٩.

(٢) المذاهب الوجودية جوليفيس ص ٦٣.

(٣) الحلول المستوردة للقرضاوي ص ٢٠٦–٢١١ نقلاً عن كتاب (التجربة والخطأ) لانيب نصور ص ١٦–٤٨.

(٤) الشرق الادنى ثقافته ومجتمعه ص ٣٢٥ انظر كتاب الاسلام والحضارة الغربية ص ١٢٦.

(٥) الشرق الادنى ص ٣٥٢ انظر الاسلام والحضارة الغربية ١٣٦.

(٦) مقدمة الإسلام والغرب والمستقبل لتوينبي ترجمة صبحي الطويل ص ٩.

وصف (ستيف ميد) المبعوث من وزارة الخارجية الأمريكية فئة العسكر لانقلاب سنة ١٩٥٢ في مصر وصفاً دقيقاً يصلح لكل العسكريين فيقول:

( إن هؤلاء الأولاد يظنون أنفسهم أعضاء عصابة (روبين هود) الهزلية، وهم فرحون بأنهم يحملون صفة (أبطال الثورة) ، ولكني لم أجد واحداً استطاع أن يشرح لي ما هو هدف هذه الثورة... إنهم لا يهتمون بالسياسة، ولعل هذا من حظنا نحن وعبدالناصر معنا... إنهم بحاجة إلى من يقول لهم ماذا يفكرون ويعملون)[١] .

ولقد سأل بعض ضباط الجيش عبدالحكيم عامر-غداة اطلاق النار على عبدالناصر في ميدان المنشية- سنة ١٩٥٤ عما حققته الثورة وأسباب الحادث فقال في صراحة (إنه لا يعرف شيئاً عما تحققه الثورة، وأن جمال هو الذي خطط ونفذ، وهو الذي يعرف خطوات المستقبل) [٢] .

ويقول مورو بيرجر في كتابه (العالم العربي اليوم):

(إن النخبة العسكرية في الشرق الأدنى في مصر والسودان والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التغيير... فأصبح العرب متغربين بدون أن يتكلفوا الذهاب إلى أوربا).

يقول مايلزكوبلاند [٣] :

(إن عبدالناصر لو لم يكن قد ولد فإن لعبتنا كان عليها أن تخلقه أي تربي حاكماً دكتاتوريا مثله) ولذلك فإن منادة عبدالناصر بالقومية سنة ١٩٥٤ كان باشارة أمريكا كما بين ذلك مايلز كوبلاند - رجل المخابرات الأمريكي-، ولقد كان لمنادة عبدالناصر بالقومية أثراً بالغاً في العالم العربي، وما كان للقومية أن يكون لها هذا الانتشار لولا مصر وزعيمها، ولقد مهد عبدالناصر لهذا الانتشار القومية ونجاح البعث وتغلغل الشيوعية وانحسارالاسلام من المنطقة كلها. ولكن الأفكار التي فرضت على المنطقة بالقوة اجتثت من فوق الأرض - كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار- كما يقول برنارد لويس:

(إن أخذ أي نظام سياسي جاهز ليس فقط من بلد مختلف بل من حضارة مختلفة وفرضه بواسطة الغربيين أو الحكام المتغربين في الشرق عمل خاطئ، فلقد فرضت الديمقراطية بأوامر وفرامانات الحاكم المطلق... فكانت النتيجة قيام نظام لاصلة له بماضي أو بحاضر البلد، ولا صلة له بحاجات مستقبلة ) [٤] .

ولقد نادى كوك ألب بفصل الدين عن الدولة (علمانية الدولة)، ونادى بوجوب أخذ مدنية الغرب بحذافيرها، مع الاحتفاظ بالثقافة القومية، أو بعبارة أدق هو يريد إقصاء الاسلام نهائيا عن الحياة مع عدم السماح للناس أن يسموا هذا العمل إلحاداً أو زندقة، بل على الناس أن يسموا هدم الاسلام اسلاماً.

ويعتبر الغربيون كوك ألب (واضع الأسس النظرية للدولة التركية الحديثة ) كما يقول هارولد سمث [٥] .

## القومية التركية ( الطورانية )

لابد قبل أن نغادر جمعية الاتحاد والترقي وهي جمعية شكلها شباب تركيا -تركيا الفتاة- أن نقف هنيهة عند القومية التركية.

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكرية في استانبول مع الأساتذة العسكريين الألمان الذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الذين كانوا بحاجة الى جيش قوي مدرب على وسائل القوة الحديثة وأساليب القتال العالية، خاصة وأن تركيا تقابل العالم بأسره يرميها عن قوس واحدة، فقد وصلت بعثة عسكرية ألمانية سنة ١٨٨٣ يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) [٦] وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تمت خلالها بذرة القومية.

(١) لعبة الأمم/ مايلزكوبلاند ص ٦٤، وتحليله (الدبلوماسية والميكافيلية د.محمد صادق ص ١٩٩.

(٢) قصة ثورة ٢٣ يوليو لأحمد حمروش ج ٢/ ٤٠ وانظر كتاب صفحات من التاريخ ج ٢٣٧/١ لصلاح شادي .

(٣) لعبة الأمم ص ١٢١ وتحليله (الدبلوماسية والميكافيلية) ص ١٤٩.

(٤) الحلول المستوردة للقرضاوي نقلا عن كتاب الغرب والشرق الأوسط ٨٥-٨٦.

وأما العامل الثاني لنشوء القومية الطورانية هو: هجرة اللاجئين المجريين والبولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة ١٨٤٨، واعتنق هؤلاء الاسلام وأصبحوا من الطبقة المتنفذة في الدولة، ومن بين هؤلاء (قسطنطين بورزيكي)، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا، فلقد كان هذا الرجل هو رأس الأفعى القومية التي نقلت سمها الى عقول ونفوس الأتراك. يقول برنارد لويس:

(ولقد عمل بورزيسكي على نقل القومية البولونية ووضعها في قالب تركي، وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيين الباحثين في الشئون التركية.. وكان لها تأثير هام في تقدير التاريخ التركي القديم، والاعتقاد بالهوية المميزة) (١).

ولا يفوتنا أن نعود فنتذكر بأن جمعية الاتحاد والترقي كلهم ماسون (يهودية عالمية ) ، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجمعية وهم داخلون فيها، ونعود مرة أخرى فنتذكر بكلام ستون وتسون: (إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير اسلامية) (٢)، فأطاحت بعبدالحميد وبتركيا وبالاسلام.

ولقد كان لهذه الدعوة الى القومية التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشعوب الاسلامية التي تخضع للسيادة العثمانية وبدأوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجمعيات السرية لمحاربة تركيا، خاصة بعد السلوك المشين الغريب الذي سارت عليه جمعية الاتحاد والترقي، وعلى رأس هذه الشعوب العرب الذين اتخذوا من هذا السلوك مبرراً للوقوف بجانب بريطانية ضد الأتراك في الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين، وكان لها من النتائج الوخيمة على العالم الاسلامي.

يقول توينبي (٣) :

(إن الضباط في تركيا الحميدية هي الطبقة الوحيدة التي استطاعت أن تفتح نافذة فكرية دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية، لذلك ففي سنة ١٩٠٨ وبعد ثلاثين عاماً من حكم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكريين هو رأس الحربة لهجوم الليبرالية الغربية على تركيا).

## مقارنة بين القومية الطورانية والقومية العربية

لقد التقت القومية الطورانية والعربية على أشياء أهمها:

١- ان الغرض من كل منهما هو القضاء على تركيا المسلمة، وعلى السلطان عبدالحميد بالذات.

٢- لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريباً وإن كانت القومية العربية قد تقدمت قليلاً على الطورانية.

٣- القوميتان علمانيتان اتفقتا على استبعاد الاسلام عن الحياة .

٤- إن كلاً من القوميتين نشأتا في محاضن أجنبية، فالقومية العربية نشأت في المحاضن الأمريكية وفي الجامعة الأمريكية بينما الطورانية نشأت في المحافل الماسونية اليهودية التي يشرف عليها اليهود الاسبان والبولنديون والايطاليون.

٥- إن الرواد الأوائل لكل من الدعوتين لم يكونوا مسلمين أصلاً ولا من الجنس الذي يدعون إلى قوميته، فمثلاً (بورزيكي) الذي سمى نفسه مصطفى جلال الدين - بولندي الأصل- عمل على نقل القومية البولندية وصبها في قالب تركي، ومنذ تأسيس جمعية الاتحاد والترقي لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من أصل تركي صاف، فأنور باشا بولندي مرتد، وجاويد من الطائفة اليهودية (دونمة)، وكراسو (من اليهود الاسبان) في سالونيك، وطلعت باشا من أصل غجري، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بكونت (٤).

والرواد الأوائل للقومية العربية كانوا جميعاً من غير المسلمين من بطرس البستاني، وناصيف وابنه ابراهيم اليازجي، والشدياق وأديب إسحق ونقاش وشميل وتقلا وصروف وزيدان وتمر ومشاقة. كل هؤلاء على الاطلاق من النصارى، ثم جاء القرن العشرون وكان من قادتهم: زكي الأرسوزي وميشيل عفلق - قادة البعث، وأنطون سعادة وجورج عبدالمسيح من قادة الحزب القومي السوري، وجورج حبش- من قادة القوميين العرب.

---

(١) الحلول المستوردة ص/١٦٠. (٢) نشأة القومية ، زين زين ص/٨٦-٨٧، انظر الحلول المستوردة ص/١٦٤.

(٣) الاسلام والغرب والمستقبل لتوينبي ص ٢٠ تعريب نبيل صبحي.

(٤) نشوء القومية العربية / زين زين ص ٨٥-٨٦.

يقول الكاردينال بريغولي للبابا: [1]

(إن المسيحية في الشرق هي التي زرعت الحركات الثورية وحركات التغيير، وإن أسماء ميشيل عفلق وأنطون سعادة وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه).

٦- إن الأصابع الماسونية - اليهودية- كانت تحرك طلائع الحركتين، بل لقد نمت الفكرة وترعرعت في المحافل الماسونية، فالخمسة الأوائل الذين أنشأوا (جمعية بيروت السرية) كلهم من الماسون، وكذلك كل الذين نادوا بالطورانية هم من الماسون.

٧ - هنالك بعض الرؤوس المدبرة للإطاحة بالاسلام في تركيا انتقلت لتواصل عملها في القاهرة. فمثلاً عزيز المصري كان في جمعية الاتحاد والترقي، ثم أنشأ (الجمعية القحطانية) و(جمعية العهد)، والحاخام اليهودي في استانبول - ناحوم حايم- انتقل إلى القاهرة بعد اسقاط الخلافة في تركيا. ولقد كان لهذا الحاخام تأثير في السياسة المصرية. فلقد كان العقاد محروماً من جائزة العلم لفترة طويلة، وذات يوم زار ناحوم حايم فأعطي العقاد جائزة العلم في اليوم التالي من قبل عبدالناصر. وكذلك (اسماعيل أحمد أدهم)[2] جاء من تركيا إلى مصر وألف كتاب (لماذا أنا ملحد)، وأسس (المجمع الشرقي لنشر الالحاد)، وكانت مجلة العصور لإسماعيل مظهر تنشر آراءهم.

٨- تأثرت القومية العربية بالنظريات السياسية الأمريكية، وتأثرت الطورانية بالثورة الفرنسية.

يقول فيليب حتي[3] :

(كان من نتيجة الاحتكاك بين العقلية السورية والنتاج الفكري الغربي أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة، واستمدت وحيها بالأكثر من النظريات السياسية الأمريكية، بخلاف القومية التركية التي جاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية).

٩- لقد كانت الأصابع اليهودية بارزة في القومية التركية، ولا زال اليهود يحرصون على ربط العرب بقوميتهم.

كتب سفير بريطانيا في الأستانه (لاوثر) إلى وزير خارجية بريطانيا (هادينغ) بتاريخ ١٩١٠/٥/٢٩ يقول:

(في سالونيكا مقر حركة الاتحاد والترقي (تركيا الفتاة) يسكن حوالي ١٤٠ ألفاً من اليهود ، (٨٠) ألفاً من أصل أسباني و (٢٠) ألفاً من طائفة سبط اللاوي- اللاويين -، وهم يهود تظاهروا بالاسلام، ومعظم هؤلاء اليهود الاسبانيي الأصل قد حصل في الماضي على الجنسية الايطالية، وهم ماسونيون ينتمون إلى المحافل الايطالية، فاليهودي لوزاتي وسونتيو من رؤساء الوزارة، وغيرهما من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب هم أيضا فيما يظهر من الماسونيين، وهم يزعمون بأن محافلهم الماسونية هي فرع من المحفل الأسكتلندي القديم وتبع طقوسه، وقبل بضعة أعوام أسس (عمانوئيل قراصو) وهو يهودي ماسوني من سالونيكا ويمثل الآن مدينة سالونيكا في مجلس المبعوثان العثماني (وهو المجلس النيابي الذي يمثل كل الطوائف والطبقات من رعايا الدولة العثمانية مسلمين كانوا أو غير مسلمين) بالتعاون مع الماسونية الايطالية محفلاً في سالونيكا سمي (بالمحفل المقدوني). ويبدو أن قراصو قد اقنع رجال تركيا الفتاة ضباطاً ومدنيين بالانتماء إلى الماسونية، وهدف من ذلك فرض النفوذ اليهودي - غير المستساغ- على الأوضاع التركية الجديدة، وإن كان يتظاهر بأنه إنما يريد مساعدة رجال تركيا الفتاة في تضليل جواسيس السلطان عبدالحميد ومنحهم الأمن في محفله الماسوني، لأن هذا المحفل الماسوني ينعقد في بيت أجنبي يتمتع بالحصانة الممنوحة للأجانب في الدولة العثمانية ضد الملاحقة والتفتيش، وقد عملت الماسونية على رفع رمزي بك - وهو يهودي ماسوني - تظاهر بالاسلام إلى مركز رئيس أركان حرب السلطان محمد رشاد، وعند ما نقل السلطان عبدالحميد عين أخ لرمزي مشرفاً عليه) [4] .

أما حرص اليهود على بقاء الشعور القومي لدى العرب فهو ظاهر خوفاً من عودة العرب إلى الاسلام.

يقول أبا إيبان [5] - كان وزيراً لخارجية اسرائيل - في محاضرة له في جامعة برنستون/ أمريكا:

(يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبة المد الاسلامي بعد الهزيمة الأخيرة، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل، ولذا كان من أولى واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي).

# حكم الإسلام في القومية العربية

جاء الاسلام منذ اليوم الأول ليصوغ البشرية على مبادئ جديدة يتجمعون عليها، ويلتقون في ظلها، وجاء لينقل الانسان نق بعيدة فيرتفع به من التراب والطين إلى العقيدة والدين، وجاء ليقر الحق ويبطل الباطل، ويعطي كل ذي حق حقه، وعلَّم الناس أن يكون قوامين بالقسط شهداء لله.

**(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالل أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)**[1] .

جاء الاسلام ليقيم العدل في الأرض، فقد قال عبدالله بن رواحة لما بعثه رسول الله ﴿ﷺ﴾ يخرص على أهل خيبر ثمار وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ، ولأنتم أبغض إليّ من أعدادكم من القر والخنازير، وما يحملني حبي إياه، وبغضي لكم، على أن لا أعدل فيكم، فقالوا: **بهذا قامت السموات والأرض**[2] .

وعندما سرق بنو أبيرق (طعمة أو بشير) درعاً وسلاحاً وطحينا من بيت (رفاعة بن زيد)، ثم كادت السرقة تظهر عند طعم فألقى طعمة السلاح في بيت آخر -جاء في بعض الروايات أنه يهودي-، وكاد الرسول ﴿ﷺ﴾ يصدق أن السارق هو اليهودي واسه زيد بن السمين، نزلت عشر آيات من السماء تبرئ زيد بن السمين اليهودي وتثبت السرقة عند المنافق الذي يظهر الاسلام وهو طعم بن أبيرق الذي قال عنه رسول الله ﴿ﷺ﴾ عندما جاءته الشكوى: **(عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة ء غير ثبت ولابينة)**[3] .

**وجاء الاسلام ليخرج الناس من حياة الحيوان التي يكون تجمع القطيع فيها على الكلأ والحظيرة إلى التجمع على أسا العقيدة والمبادئ، ونزل القرآن يلعن أبالهب- عبدالعزى بن عبدالمطلب - عم الرسول ﴿ﷺ﴾ الهاشمي القرشي، ويرفع بلالاً وعمار وصهيباً ويأمر الرسول ﴿ﷺ﴾ أن يصبر نفسه معهم «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تع عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا»[4].**

**( وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة ....)**[5].

**جاء الأقرع بن حابس وعيينه بن حصن الفزاري للرسول ﴿ﷺ﴾ ، وعندما رأوا صهيباً وبلالاً وعماراً وخباباً حوله قالوا: ، محمد (إن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد )**[6] .

**فكاد ﴿ﷺ﴾ يوافق أن يقرر لزعماء العرب مجلساً، فنزل جبريل عليه السلام بالقرآن ينهاه ويقول له (ولا تطرد الذين يدعو ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)**[7]

**وسمَّى رسول الله ﴿ﷺ﴾ أبا جهل -عمر بن هشام- فرعون هذه الأمة وإن كان مخزومياً قرشياً.**

**وقتل أبو عبيدة أباه في بدر، وكان رأي عمر أن يقتل الأسرى في بدر وإن كانوا قرشيين ومن أقاربهم الأدنين (جمع أدنى) وانتصر الاسلام بأمثال هؤلاء الأعبد، وطوت عجلة التاريخ القرشيين المعاندين ليبقوا لعنة وعاراً في صفحات تاريخ هذه الأمة، واختف من بين الناس تلك النعرات الجاهلية والأصوات المنكرة التي كانت تؤجج نار حرب البسوس وحرب داحس والغبراء، واختفى صو الشاعر دريد بن الصمة**

***وما أنا الآ من غزية إن غوت    غويت وإن ترشد غزية أرشد***

**اختفى هذا الصوت ليرتفع الصوت الجديد بنشيده:**

***أبي الاسلام لا أب لي سواه    إذا افتخروا بقيس أو تميم***

**واختنقت الأصوات التي تنادي بالانتصار لبكر أو تغلب أو لخزاعة عندما دوى صوت الوحي في جنبات الأرض.**

---

(١) النساء / ١٣٥.
(٢) انظر مختصر ابن كثير للصابوني ١/٤٤٧ ومعنى يخرص التمر: يقدر كميته.
(٣) انظر مختصر ابن كثير للصابوني ١/٤٢٤-٤٣٧ والآيات من سورة النساء من آية (١٠٥-١١٥).
(٤) الكهف / ٢٨.
(٥) النساء / ٥٤.
(٦) مختصر ابن كثير ١/٥٨١.
(٧) الأنعام. ٥٢.

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير)[1]

وأصبحت أنشودة كل مسلم:

*الهند لنا والصين لنـــا — والعرب لنا والكل لنـــا*

*أضحى الاسلام لنا دينا — وجميع الكون لنا وطنا*

*دستور الله لنـــــا نور — أعددنا القلب له سكنا*

## والآن نأتي إلى القومية العربيةالحديثة لنرى حكم الاسلام فيها

هنالك عدة قضايا نبني عليها حكمنا:

١- القومية العربية تقيم التجمع واللقاء على أساس الجنس والأرض بدل العقيدة. وهذا يصطدم مع الاسلام.

٢ - القومية العربية تفضل المسيحي العربي على المسلم الباكستاني أو التركي وهذا يناقض القرآن (إن أكرمكم عند الله أتقاكم...).

٣ - القومية العربية تنصر اليهودي العربي أو المسيحي العربي على المسلم الباكستاني أو الأفغاني وإن كان الحق للباكستاني أو الأفغاني أو الايراني. وهذا يناقض (فأصبحتم بنعمته إخوانا....) (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه).

٤- القومية العربية: توالي الكفار وتتبع القادة الكفار، فهي تقدم كلام ميشيل عفلق أو جورج حبش أو أساتذتهم أمثال نيتشة وروسو على أي كلام آخر ولو كان كلام الرسول ﴿ﷺ﴾ . والله يقول:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم...)[2]

٥ - القومية العربية لا تقبل أن تجعل قانونها من الاسلام خوفاً من إثارة النعرات الدينية والطائفية -كما يدعون- فهي تريد أن تبعد ٩٠٪ من أبناء الدول العربية عن اسلامهم وتخرجهم عن دينهم مراعاة لشعور فئة قليلة من المسيحيين العرب .

(وإذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم....)[3]

٦ - القومية العربية لا ترى أن الاسلام صالح لهذا الزمان ولذلك كثيراً ما تصف الاسلام بالرجعية والجمود والتأخر، وتصف العلمانية والتحلل من الدين بالتقدمية والتحرر.

٧ - القوميون العرب يرون أن الاسلام وثبة من وثبات الأمة العربية أدت دورها ومضت، وأما اليوم فهناك مبادئ أخرى تؤدي دورها دون الاسلام الذي لا يستطيع أن يواكب العصر.

٨ - القوميون يرون أن القومية العربية دين جديد له سدنته وحواريوه وأتباعه وقديسوه.

يقول محمود تيمور[4] : (وإن كتاب العرب في أعناقهم أمانة هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة – القومية– يزكونها بأقلامهم).

ويقول علي ناصر الدين[5] في مقدمة كتابه (قضية العرب) ط ٢ :

(العروبة نفسها دين عندنا – نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين-، ولئن كان لكل عصر نبوته المقدسة، إن القومية العربية لهي نبوة هذا العصر).

جاء في مجلة العربي[6] عدد ٢ ص ٩ يناير ٥٩ (الوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من

(١) الحجرات / ١٣.

(٢) المائدة / ٥١.

ـلوب قوم مؤمنين).

**ويقول عمر فاخوري (كيف ينهض العرب):**

(لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية – أو المبدأ العربي – ديانة يغارون عليها كما يغار المسلم على قرآن النبي الكريم وغرضي من هذا الكتاب تشكيل ديانة جديدة هي الجنسية أو العنصرية العربية).

٩ – القومية العربية تقديم للجاهلية على الاسلام (**أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**)والجاهلية هي كل حكم غير حكم الله. ولقد رأينا أن زكي الأرسوزي [١] يرى أن الجاهلية العربية هي الفترة الذهبية في حياة العرب ويراها مثـ الأعلى.

١٠ – القومية العربية: طاغوت جديد (صنم جديد)، والطاغوت: كل حكم غير حكم الله، وكل ما أطيع من دون الله، وكل ـ تحاكم إليه الناس دون الله، سواء كان صنماً أو كاهناً أو شيطاناً أو قانوناً أو وطناً أو قوماً أو زعيم قبيلة أو عشيرة أو بلداً.

وهذا كفر بنص القرآن (**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبل يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغو وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافق يصدون عنك صدوداً فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً**)[٢] صدق الـ العظيم: إنهم يقولون لا نريد إلا الاحسان والتوفيق بالقومية، لا نريد إلا الوحدة الوطنية، ونريد أن نتلافى الخلافات المذهبية والطائفـ والدينية.

**يقول ابن كثير** [٣] : (من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسو فقد كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسا – قانون جنكيزخان – وقدمها عليه – على الاسلام – لا شك أن هذا يكفر باجماع المسلمين).

ويقول سيد قطب (إن الذي يحكم على عابد الوثن بالشرك ولا يحكم على الذي يتحاكم إلى الطاغوت بالشرك. ويتحرج من هـ – الحكم بالكفر على من يتحاكم إلى الطاغوت – ولا يتحرج من تلك، إن هؤلاء لا يقرأون القرآن، فليقرأوا القرآن كما أنزل، وليأخذ قول الله بجد (**وإن أطعتموهم إنكم لمشركون**)[٤] . وبعد:

**فهذه نقاط عشر، كل واحدة منها تخرج القومي من الاسلام وتكفره كفراً ينقله عن الملة الاسلامية.**

ولزيادة الطمأنينة أنقل إليك بعض النصوص الكريمة من فم النبوة الشريف:

١ – عن جندب بن عبدالله مرفوعاً إلى الرسول ﴿ﷺ﴾ (**من قتل تحت راية عمية، يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية**) [٥] .

وفي رواية (**من قتل تحت راية عمية، ينصر العصبية، ويغضب للعصبية، فقتلته جاهلية**)[٦] .

٢ – عن جبير بن مطعم مرفوعاً (**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات عا عصبية**) [٧] .

٣ – عن ابن مسعود مرفوعاً [٨] (**من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي في مهواة فهو ينزع بذنبه**) [٩] .

٤ – عن أبي مرفوعاً (**إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنّوا**) [١٠] .

أعضوه بهن أبيه: أي قولوا له: عض أير أبيك – هكذا في النهاية لابن الأثير.

٥ – عن أبي هريرة مرفوعاً (**لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجـ الذي يدهده الخزء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآ خلق من التراب** ) [١١] .

---

(١) البعث لسامي الجندي ص ٢٨. (٢) سورة النساء ٦٠-٦٣. (٣) البداية والنهاية ج ١٣/١١٨-١١٩.

(٤) في ظلال القرآن عند آية (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون...) الانعام ١٢١. (٥) رواه مسلم والنسائي جامع الاصول لابن الاثير ١٠/٥٨.

(٦) رواه مسلم والنسائي عن جندب وابن ماجه عن أبي هريرة صحيح الجامع الصغير ٦٢١٨ ج ٥/٢٣١. (٧) رواه أبو داود وهو حسن لغيره.

(٨) جامع الأصول ١٠/٥٨ وانظر صحيح الجامع ٦٤٥٠ ج ٥. (٩) رواه أبو داود باسناد صحيح و أحمد وابن حبان والحاكم.

(١٠) رواه أحمد والترمذي وهو صحيح (صحيح الجامع ٥٨١ ج ١/ ٢١٥). (١١) رواه الترمذي وهو صحيح و رواه أحمد والحاكم في المستدرك (صحيح الجامع ٥٢٠٨ ج٥/١١١).

هذه النصوص فيمن يعتز بآبائه الجاهليين، فكيف بمن يقدم الجاهلية على الاسلام ؟ وكيف بمن يقول : (إن العروبة مصدر إلهامنا، ومصدر مقدساتنا، عنه تنبثق المثل العليا، وبالنسبة إليه تقدر قيمة الأشياء ، والعربي هو سيد القدر)(١).

وكيف تحكم على البعثي الذي كتب في جريدته عن مشيل عفلق (الإله العائد)، وقال شاعرهم:

*يا سيـــدي ومعبـــــدي حسبي ألم فتاتكم حسبي*

وكيف تحكم على البعث السوريين الذين يقولون:(٢)

(إن الطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي: هي خلق الانسان الإشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ).

وقد أشرت قبل قليل إلى بعض النصوص التي تعتبر العروبة دينا لها نبوتها، والإيمان بالعروبة يجب أن يكون كالإيمان بالوحدانية لله.

إن القوميين يصرحون على لسان قادتهم (ألحدنا بكل الطقوس والعلاقات والأديان، اتهمنا بالالحاد وكان ذلك صحيحاً - رغم كل ما زعم البعثيون فيما يعد من مزاعم التبرير- لقد كنا خوارج على كل الشرائع التي تعارف عليها الناس فنسفناها)(٣) .

## اعتناق مبادئ القومية كفر ينقل عن الملة

وبناء على ما تقدم فإن اعتناق مبادئ القومية العربية وغير العربية كالكردية والايرانية كفر ينقل عن الملة ويخرج من الاسلام.

فمن اعتنق مبادئ القومية فإنه يخرج من الاسلام فلا تؤكل ذبيحته، ولا تنكح البنت القومية، ولا يزوج القومي من بنات المسلمين، ولا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يقبر في مقابر المسلمين، ولا يرد عليه السلام، ولا يترحم عليه إذا مات -فلا نقول يرحمه الله-، ولا يرث الشاب القومي من أبيه المسلم، ولا يرثه أبناؤه إن كانوا مسلمين ويخالفونه في مذهبه القومي، وإذا اعتنق الشاب القومية وهو متزوج مسلمة فتطلق منه وتحرم عليه، وإذا بقيت على صلة به فالصلة الجنسية بينهما زنا، وأولادهما أولاد زنا، وعورة المرأة المسلمة أمام الفتاة القومية كعورتها أمام الرجل فلا يحل لها كشف رأسها أمام الفتاة القومية. والمرأة اذا اعتنقت القومية وهي متزوجة مسلماً ينفسخ العقد حالاً.

١- **سيقول أناس:** إن بعضهم يصلي ويصوم أحياناً. فنقول: إن الصلاة والصيام لا يقبلان مع فساد العقيدة والشرك، فلقد كان الجاهليون يصلون ويحجون ويدعون، ولكن الله ردَّ أعمالهم كلها لأنها ليست مبنية على إيمان بالله وبرسوله وبدينه، ولأن الأفعال الصالحة لا تقبل من الكفار.

٢ - **وسيقول آخرون:** إن كثيراً من الحزبيين منتفعون من أجل المناصب والأموال يقبلون على الحزب، فنرد عليهم: نحن لا نعلم الغيب، ونجري أحكامنا على الظاهر، ونحاسبهم على ما يخرج من أفواههم، وندع قلوبهم إلى الله - عز وجل- فالقاعدة العامة: أن القومي كافر، والاستثناء إنما هو استثناء من عموم القاعدة، فلا يثبت إلا بدليل قوي يرجح على الأصل، أي أننا إذا تأكدنا من شاب أنه يكره القومية ويحب انتهاءها ويقاوم في الواقع انتشارها فإننا نحكم له بالاسلام.

ولا بد من معرفة أن هؤلاء المنتفعين هم أنصار الكفر بهم ينتشر وعلى أكتافهم يقوم .

٣ - **وسيقول فريق ثالث:** إن معظم الأفراد جهلة بالحكم الشرعي، فنرد عليهم: الجاهل يعلم ويبين له الحكم، فإن أصر فإنه يحكم عليه بالكفر. فإذا كتب بعض العلماء الذين يوثق بدينهم مقالات أو كتباً في تكفير القوميين فإن هذا يكفي في التبليغ، ولم يبق الجهل عذراً بعد البيان.

---

(١) قائلها زكي الأرسوزي في مبادىء الحزب. انظر البعث ص ٢٢٢.
(٢) مجلة جيش الشعب السورية ٢٥/٤/١٩٧م

٤ – **وقد يسأل شاب قومي: ما حكم القومي إذا تاب ورجع: هل يقضي الصلوات والصيام؟**

فنقول –والله المستعان– الإسلام يجب (يقطع) ما قبله)[١] فليس عليه أن يقضي الصلاة والصيام.

وفي الحديث[٢] (إذا أسلم العبد فحسن اسلامه، يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها (قدمها) .

وفي الحديث الآخر (إذا أسلم العبد فحسن اسلامه، كتب الله كل حسنة كان أسلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها) (٤

# كلمة أخيرة في القومية

وختاماً نريد أن نسأل القوميين بعض الأسئلة:

١ – ما هي مبادئكم؟ وكيف تصوغون قوانينكم؟ ومن أين تستقونها؟

٢ – ما هي نظرتكم نحو الكون والانسان والحياة؟

٣ – ماهي أنظمتكم الاقتصادية، والأخلاقية، والاجتماعية والعائلية، والسياسية؟

٤– أين يقع الاسلام من دعواتكم؟

٥ – ما هي الأسس التي ستعاملون عليها شعوبكم إذا حكمتم؟ وكيف ستعاملون شعوب الأرض الأخرى؟

٦ – كيف ستعاملون الشعوب الاسلامية؟ أتكون معاملتهم تماماً كالشعوب الوثنية – البوذية والهندوسية–، أو كالد النصرانية في الغرب.

**أما المبادئ :** فلم يصلوا حتى الآن إلى تعريف لأحزابهم، يقول سامي الجندي: (بدأ الحزبيون يسألون ما هو البعث؟ م وحدة البعث، أيهما أسبق الوحدة أو الاشتراكية؟ لم تجب القيادة ولا تستطيع أن تجيب حتى الآن)[٥] .

**أما القوانين:** فإنهم سيأخذونها من أي مصدر – عدا الاسلام–، أما النظرة (العقيدة) في الله، والنظرة إلى الكون والا والحياة، فليس عندهم نصوص في هذا، ولذا لجأوا إلى الماركسية لملأ الفراغ الفكري عندهم.

**أما الأخلاق:** أي بيان قائمة الحلال والحرام في المجتمع العربي فليس هنالك أي شيء من هذا، ولذا فأخلاق المجتمعات ا –بدون إسلام– أخلاق نفعية تبنى على المصلحة والمنفعة المؤقتة العاجلة. والغاية تبرر الوسيلة كما قال ميكافيلي.

**أما الاسلام:** فقد اختلفوا في النظرة إليه في الماضي، أما في الحاضر فهم على اتفاق أنه يجب أن ينبذ من الحياة، أما بال للاسلام في الماضي:

**١– فمنهم الجاحد لفضله أبداً :** مثل قسطنطين زريق الذي يرى أن العرب هم نقلة لحضارة اليونان والرومان ولم يص حضارة.

**٢ – ومنهم المغفل :** أمثال علي عبدالرازق (الاسلام وأصول الحكم)، وخالد محمد خالد (من هنا نبدأ) الذين يرون أن الدي أساس التفرقة والتمزق ولذا يجب إبعاده من المجتمعات.

**٣– ومنهم المنكر فقط وليس جاحداً بالمرة:** مثل ميشيل عفلق : فهو يرى أن الاسلام وثبة من وثبات الأمة العربية، ولكن ا ذلك إلى الوحي والنبوة لقدرات الأمة العربية تجمعت في الماضي حتى أنتجت محمداً .

**٤– ومنهم المذبذب والمنافق:** مثل حازم نسيبة – من ذراري المسلمين – فهو يقول[٦] : (وقد انصب المستشرقون في ا التاسع عشر بكل قواهم على بحث النواحي الدنيوية أكثر مما اهتموا بالنواحي اللاهوتيه من التاريخ العربي الذي أظهر أن العربية أقامت حضارة متقدمه راقية قبل الاسلام وبعده على السواء، وبهذا لم تكن الحضارة العربية حادثاً دينياً صرفاً لا النصارى العرب أن يشاركوا فيه، بل العكس هو الصحيح وهو: أن لتلك الحضارة ملامح منقطعة الصلة بالدين كما أثبت الواقع

(١) حديث صحيح رواه ابن سعد عن ابن الزبير وجبير بن مطعم، انظر صحيح الجامع ٢٧٧٤.

(٢) رواه البخاري والنسائي - صحيح الجامع الصغير ٣٢٢ ، ٣٢٤ ج ١/١٥٢.

(٣) صحيح الجامع الصغير ٣٢٣ ، ٣٢٤ ج ١/ ١٥٦.

(٤) حديث صحيح رواه مالك والنسائي والبيهقي.

(٥) البعث ص ٧٠.

(٦) القومية العربية – فكرتها، نشأتها، ترجمة عبداللطيف شرارة.

انصب الباحثون الغربيون على كشفه)، وليت شعري من سبق حازم نسيبة بهذا الرأي سواء كان من ذراري الصليبيين من المستشرقين أو الباحثين أو من ذراري المسلمين – المستغربين – أن ينكر صلة الاسلام بالحضارة العربية أبداً؟ وأين حضارة العرب قبل الاسلام؟ أهي حضارة عنترة أو أبي جهل أو أبي لهب؟ ولعلها حضارة مسليمة الكذاب.

**وأخيراً فإنا نقول:** إن واقع العرب يدل دلالة واضحة على النتائج التي توصلت إليها الدعوات القومية والإقليمية والعلمانية:

١ – قطع صلة العرب بالدول الاسلامية.

٢ – تمزيق العالم العربي الى دويلات هزيلة حتى تبقى في قبضة العالم الغربي والشرقي، تتسابق في ولائها لأمريكا أو إلى روسيا لتحمي أنظمتها في المنطقة.

٣ – تضخم الكيان الاسرائيلي الذي أصبح تنيناً يفتح شدقيه يبتلع كل فترة جزءاً من بلاد العرب.

٤ – انهيارات في معظم النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

٥ – نشوء أجيال ليس لها هوية معينة، وليس لها أي مبدأ في الحياة، لا تعلم لماذا تعيش؟ ممزقة خلقياً، متفسخة اجتماعياً، متفككة أسرياً ، ألهتهم هواء، تراهم كل يوم في رأي، يغيرون أفكارهم كما يغيرون أزياءهم في الاعتقاد والاقتصاد والثقافة والاجتماع، يقول زويمر – زعيم المبشرين – مخاطباً المبشرين (إنكم أعددتم شباباً في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الاسلام، فجاء النشء الاسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات)[1] .

إن هذا الشرق لم يشهد في يوم من الأيام وحدة ولا عزة، ولم يكن له كيان إلا بالاسلام الذي وحده أول مرة، ولن يجد نفسه مرة ثانية إلا بالإسلام.

لقد مزقت القومية أوربا فنقلها العرب ليمزقوا أمتهم الإسلامية، بل ليفتتوا الشعوب العربية نفسها.

كما يقول توينبي[٢] (فهل من الضروري حقاً أن يتفتت العالم العربي كما تفتتت الأمبراطورية الإسبانية في أمريكا –لسوء الحظ– إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضيقة غربية النمط. هذا هو الوجه الثاني الكالح لحضارتنا الغربية، ومن المؤسف أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليداً تاماً. إن سحر القومية جذاب في أمثال هذه المجتمعات الإسلامية المبعثرة، ولكن القومية لن تقود هذه المجتمعات الى حياة جديدة، بل إلى حكم بالموت والفناء).

إن النغمة التي عزفتها الطبقات المتسلطة في العالم الاسلامي والعربي هي نغمة القومية، وهي معزوفة جميلة تشنف الأسماع وتبهج القلوب، ولكنها مخدرات تذبح الشعوب من خلالها على مذابح الشهوات قرابين رخيصة في سبيل الطغاة والطاغوت، وإن الخرير الذي يعكسه صوت النزيف الدموي قد جذب كثيراً من القطعان لتستاق إلى مذبحها ونهايتها البئيسة الأليمة.

يقول جب [٣] : ( إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين قبضتها الثابته على السلطة في الدولة... كان القومية... فالقومية هي فكرة غربية تماماً).

وإن سبب انتشار القومية في العالم العربي هو سيطرة الغرب نفسه على العالم الإسلامي.

(ففي الوقت الحاضر الذي يجد الغرب نفسه منذ الحرب العالمية الثانية ويرى أنه مجزء إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيار البيت كله كاملة على من فيه بسبب انقسامه هكذا على نفسه.

ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوة في العالم ما يبقي جرثومة القومية الغربية قادرة على السريان والعدوى، ومن المأمول أن يستطيع العالم الاسلامي على كل حال إيقاف انتشار هذا الداء السياسي الغربي – القومية– عن طريق الشعور الاسلامي القومي بالوحدة) [٤] .

إن القومية ليست الدواء الناجع لأمراضنا، بل هي داء عضال مما أصابنا.

**يقول سمث :** ( وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق، وما ! يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه، لن تثمر الجهود البتة) .

وما أجمل كلمة سيد نا عمر بن الخطاب نتهي بها هذا البحث:

(نحن قوم أعزنا الله بهذا الدين ومهما ابتغينا العزة عن غير طريقه أذلنا الله).

**(لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون)** فالمسلمون يذكرون بالقرآن، فبسبب من هذا الكتاب تذكر هذه الأمة، ولا تقدم العرب أول مرة إلى البشرية على هدي هذا القرآن، وأمسكوا بزمام البشرية بعد أن تمسكوا بالكتاب وأقاموه في حياتهم.

**(وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)** .

**(قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم )**[1] .

فأهل القرآن ليسوا على شيء، لا وزن لهم ولا قيمة إلا إذا أقاموه فيهم، وعملوا به في حياتهم، وطبقوه في واقعهم.

**(ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً)**[2]

جاء في تقرير ديلسيس - قنصل فرنسا العام في سوريا- في ١٩٥٦/٨/١٩ الذي كتبه بمساعدة مساعده(بلانس) ما يلي (« أبرز الحقائق التي يلحظها من يريد درس هذه البلدان المكانة التي يحتلها الدين في نفوس الناس، والسلطة التي له في حياة الناس فالدين يظهر في كل مكان وفي كل أمر.

ففي المجتمع الشرقي يظهر أثر الدين في الأخلاق العامة، وفي اللغة، وفي الأدب، وفي جميع المؤسسات الاجتماعية.

والرجل الشرقي لا ينتمي إلى وطن ولد فيه - الشرقي ليس له وطن- بل إلى الدين الذين ولد فيه، وكما أن الرجل في الغر ينتمي إلى وطن، فإنه في الشرق ينتمي إلى دين، وأمة الرجل الشرقي هي مجموعة الناس الذين يعتنقون الدين ذاته الذي يعتنقه » وكل فرد خارج عن حظيرة الدين هو بالنسبة إليه رجل أجنبي غريب)[3] .

# القوميات والإقليميات الجاهلية

لقد حرك الغرب وتلاميذه في كل مكان نغمات الارتباط بالجاهليات التي تسبق الاسلام حتى يقطع الصلة بالاسلام ويتجاوزها

**ففي المغرب:** حاولت الادارة الفرنسية أن تشد أزر الروح الجنسية بين بربر مراكش، فقامت بإصدار الظهير البربري في ! مايو سنة ١٩٣٠ الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانونهم الخاص بالأحوال الشخصية بدل الشريعة الاسلامية.

**وفي إندونيسيا :** اكتشفت الحضارة الجاوية - الهندوكية .

**وفي لبنان:** أثار سعيد عقل و يوسف السودا وفيكتور خلاط شبح الفنيقية، وقالوا: بأن لبنان لا ينتمي إلى العرب، بل جزء ، حضارة البحر المتوسط - إيطاليا، اليونان.

**وفي مصر :** أثيرت الحضارة الفرعونية، خاصة بعد اكتشاف توت عنخ أمون، وبعد أن حل شامليون حجر روزيتا، وتو سلامة موسى، ولطفي السيد، ثم سعد زغلول، وطه حسين الدعوة إلى الفرعونية، وبدأت تظهر أسماء رعمسيس، الأهرام، نفرتيتي أبوالهول، واتخذ أبو الهول شعاراً يمثل نهضة مصر، وفي زمن عبدالناصر أقيم السدّ العالي فأثارت اليونسكو همة العالم لإنقاذ هـ أبي سنبل الفرعوني، ونقل تمثال رمسيس - فرعون موسى- الى القاهرة وكلف الملايين، وأصبح الأتراك ينادون بشعار (تر للأتراك) ومصر (للمصريين) .

**يقول « كويلريلغ » عن لويس توماس**[4] (أنه قد استطاع أن يرسم الخطوط العريضة للظروف التاريخيه والاجتماعية للحر التي انتهت بالزعماء الأتراك المحدثين إلى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك، وهذا المبدأ الذي سار عليه أغلب شعوب المنطقة)، ولذلك ك الكماليين يقولون[5] (نريد أن نبني إسلاماً تركياً يصبح ملكاً لنا وجزءاً في مجتمعنا الجديد على نحو الكنيسة الأنجليكانية التي ،

---

(١) المائدة ٦٨.　　(٢) النساء ٦٦ - ٦٨.　　(٣) الحلول المستوردة ص ١٦٠ نقلاً عن كتاب نشوء القومية ص ١٨٥.

(٤) الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته / مؤتمر لمجموعة من المستشرقين في جامعة برنستون في أمريكا سنة ١٩٤٧.

(٥) انظر كتاب الاسلام والحضارة الغربية لمحمد حسين نقلا عن (الاسلام في العصر الحديث/كانتون سمث) ص ١٩٢.

مسيحية على النمط الانجليزي) ، وفي مصر العربية كانت أضواء هذه الصيحات تتجاوب فتحرك الببغاوات المصرية التي تلعب بها الأصابع الغربية (الانجليزية بالذات) فتنادي (بفرعونية مصر)، فقال طه حسين (المصري فرعوني قبل أن يكون عربياً)، وقال طه (لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي)، وقال شوقي:-

*وجــه الكنانة ليس يغضب ربكـم — أن تجعلـــــوه كوجهـــــه معبوداً*

ويقول شوقي مخاطباً مصر:

*أدير إليك قبــل البيت وجهـــــي — إذا فهت الشهـــادة والمتـــابـــا*

ويقول شوقي متغنياً بالهرم[1].

*هو من بنـــاء الظلم إلا أنــــه — يبيض وجــه الظلم منه ويشرق*

ويقول شوقي في توت عنخ آمون:

*وطوى القرون القهقرى حتى أتــــى — فرعــون بين طعامـــه وشــرابه*

ويقول شوقي في أبي الهول:

*تحيـــرت البــــدو ماذا تكون — وضلت بـــوادي الظنون الحضر*

ويقول حافظ ابراهيم:

*أنا مصري بناني من بنى — هرم الدهر الذي أعيا الفنا*

وعليه فانه ليس من الغريب أن نرى اهتمام الغرب الكبير بالآثار والمتاحف الوطنية، فتأسست قبل قرن تقريباً هيئات غربيــة للإشــراف على التنقيب فــي العالم الإسلامي لــربط المسلميــن بالآثــار وبالقيــم والأعلام الذين كانوا قبل مجيء الاسلام، فجاء (بوتا) ولايارد إلى العراق BOTTA AND LOYARD ، (وماريت) MARIET في مصر، وشليمان في تركيا SCHLIMAN [2] ثم أنشئوا دوائر الآثار والمتاحف الوطنية، وليس عجيباً بعد ذلك أن ندرك تبرع مؤسسة «روكفلر اليهودية» بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية ومعهد لتخريج رجال الآثار[3] ، ولعلنا بعد هذا نصل إلى سبب النص في صك الانتداب البريطاني على فلسطين مادة (٢١): يجب أن تضع الدولة المنتدبة وتنفذ في السنة الأولى من تاريخ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات). كل هذا لقطع صلة المسلمين باسلامهم وربطهم بالجاهلية الأولى ، حتى يتسنى للغرب أن يستعبدهم ويذلهم تحت يده.

يقول الدكتور «ولسون» في مؤتمر الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة الذي عقد في جامعة «برنستون » سنة ١٩٥٢ PRINSTON UNIVERCITY ( إن في بلاد الشرقين الأدنى والأوسط في هذه الأيام نهضة حضارية هي من ناحية جديدة، ومن ناحية أخرى بعث القديم إن نهضة الغرب المسيحي وحركة إحياء المعارف فيه قامت عمليات التفكير والجدل فيها على الأعمال الكلاسيكية والوثنية).

**وفي إيران** [1]: قام الصفويون والحكم البهلوي بتوهين العلاقة مع العالم الاسلامي فأنشأ الحكم البهلوي أكاديمية للتخلص من المفردات العربية في الفارسية، واكتشفت الأكاديمية مجد إيران القديمة، وبزغ مذهب زرداشت من جديد واحتل مكانا مرموقاً في بلاد السبع والشمس، وبدأت العمارات الجديدة تبنى على الطراز الأخميني القديم، وأقام الشاه محمد رضا بهلوي احتفالاً بمناسبة مرور (٢٥) قرنا على كورش صانع الأمبراطورية الفارسية، وثارت في ايران قوميات أخرى مثل : البلوش ، الاكراد والعرب .

**وفي العراق**: ثارت النعرات، فنادى بعضهم بالقومية العربية ونادى الأكراد بقوميتهم الكردية، والأتراك بالتركية، وثارت الدعوات الأشورية والكلدانية.

**وفي الهند**: تأججت نار العصبية الهندية، وأصبح الهنود يفخرون بالهندية، و يرون الانقطاع عن ماء زمزم في مكة إلى نهر

(١) مجموعة أعلام الشعر/ للعقاد ص ٣٦٨.

(٢) الاسلام والحضارة الغربية ص ١٥٢ نقلاً عن الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ص ٣٢٩.

(جنجا)، ويتغنون بأبطال الهندوس (بهيم أرجن، رام ما)[1].

وأصبحوا ينظرون إلى الفتح العربي أنه استعمار واستعباد واحتلال الغريب لأرض الوطن، وهذا الذي يفخر به المسلمون، جعل المسلمين ينادون بقيام دولة يعيشون فيها حياة اسلامية، وبفكر اسلامي، تكون فيها جنسية المسلم هي عقيدته ودينه واسلامه.

وقد قال إقبال يخاطب المسلم – حيث كان–[2] :

(لا تقس أمم الغرب على أمتك، فإن أمة الرسول الهاشمي ﴿ﷺ﴾ فريدة في تركيبها، أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم على الو والنسل، ولكن انما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين).

وفي الأردن وفلسطين: ارتفعت الأصوات بالتغني بالأمجاد القبلية القديمة وقامت النزاعات بين قبائل الشمال والجنوب في شـ الأردن وبين الفلسطينيين وبين أبناء شرق الأردن، وأصبحنا نسمع مؤاب، فيلادلفيا، عمون.

*تمزقنا العـدو ولا جهاد — وشردنا الطغاة ولا عدالة*
*وباتت أمة الاسلام حيرى — وبات رعاتها في شر حالة*
*وهم الجمع ثوب أو رغيف — وصك من رصيد أو حوالة*
*مؤامرة يدبرها يهـود — ويرعاها عميل لا أبالـه*[3]

لقد صدق فينا قول رب العزة (إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين)[4].

(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)[5].

وصدق رسول الله ﴿ﷺ﴾ (بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار والذلة على خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)[6].

– وفي الحديث الصحيح [7] الذي رواه ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً (كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين ع رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأقبل علينا رسول الله ﴿ﷺ﴾ بوجهه فقال: يا معشر المهاجرين) خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن :

١ – ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها الا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.

٢ – ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان.

٣ – وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

٤ – ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.

٥ – وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديداً .

فنحن أمة خفرنا العهد مع الله فسلط علينا عدونا من كل جهة، وتداعت علينا الأمم كما تداعت الأكلة على قصعتها.

ونحن أمة ترك حكامنا كتاب الله وتاجروا بالغثاء من أفكار الغرب والشرق فجعل بأسنا بيننا شديداً. وصدق الله العظيم (و الظالمين لفي شقاق بعيد)[8].

يقول سيدنا علي رضي الله عنه (ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة).

وقال الحسن البصري (بلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عـود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر)[9].

لقد ذقنا مرارة بعدنا عن كتاب الله، وتجرعنا آلام تنكبنا لطريق الله، وحصدنا ما زرعنا من بذور القومية ثمار القطيعه والتم

---

(١) انظر كتاب العرب والاسلام للندوي.
(٢) انظر كتاب العرب والاسلام للندوي.
(٣) الشاعر يوسف العظم.
(٤) المجادلة: ٢٠.
(٥) طه : ١٢٤.
(٦) حديث صحيح رواه أحمد.
(٧) سنن ابن ماجة / كتاب الفتن ٢ / ١٣٣٢، جاء في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به وقد اختلفوا في ابن أبي مالك. وأورده الدهلوي في حاشيته على بلوغ المرام عند باب الاستـ
(٨) الحج / ٥٣.
(٩) تفسير ابن كثير ٤/٢١٤.

والضياع والخذلان والخسران (**أفلا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون**) [1] .

لقد آن لنا أن نرجع إلى الله ، وننبذ من أيدينا كل أوضار الجاهلية، وندعو أنفسنا بالعودة إلى طريق السعادة (**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**) [2] .

إما الله أو الفناء، إما الإسلام أو الدمار .

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# خط التحول التاريخي

وثار الباتان على السلطان (أمان الله خان) الافغاني سنة (١٩٢٤م) وأجبروه أخيراً على التنازل عن العرش بسبب محاولته إدخال السفور على النساء.

(٣) أما الطور الثالث:

(طور الإستقلال الوطني) كما يحلو لهم أن يسموه، ومجيء الأنظمة المحلية، والعسكرية بالذات، فقد كان هذا الطور أشد الأطوار تأثيراً، وفرضت الحضارة الغربية بالقوة العسكرية التي تسمى بالوطنية والتقدمية والشعبية ، هذه الأنظمة التي جاءت بضجة الزفاف الوطني، والتي قدمت إلى الأمة بأهازيج شعبية حماسية، وتحت هذا الضجيج والصخب قام أبناء الوطن -المستغربين- الحاكمية بنصب المشانق وسحق المبادئ واجتثاث القيم، وإبادة العلماء والمفكرين والمخلصين.

ولقد لقي الصادقون من أبناء جلدتهم الحاكمين -من العذاب والإضطهاد- أضعاف أضعاف ما رأوه أيام الإنجليز والفرنسيين، ويكفي أن نضرب أمثلة لهذا:

- ما لقيه الباتان على يد أمان الله خان.
- ما لقيه الأكراد على يد مصطفى كمال أتاتورك.
- ما عاناه الإخوان المسلمون على يد عبد الناصر وزبانيته.
- وما يواجهه الصادقون على أيدي الأنظمة العسكرية المنبثة في أرجاء العالم الإسلامي فهي نسق واحد ونموذج واحد في محاربة الحق وأهله ينسجون على منوال سابقيهم ويسيرون على نهجهم.

(أتواصو به بل هم قوم طاغون)

وإن صورة القسوة والوحشية التي عامل بها الغرب أبناء المسلمين لتبدو هزيلة صغيرة بجانب الصورة التي عاملهم بها الحكام المحليون -الإنجليز السمر-.

## خطوط التغيير:

هذا وقد سار التغيير في العالم الإسلامي في خطوط ثلاثة متوازية:

١- الخط الأول: خط الإفساد الأخلاقي.

٢- الخط الثاني: خط محاربة مصادر التشريع الإسلامي وتمييع النصوص.

٣- الخط الثالث: خط تمزيق الأمة الإسلامية.

### أما الخط الأول: الإفساد الخلقي.

فيتلخص في كلمة زويمر -رئيس المبشرين- في مؤتمر القدس سنة (١٩٣٤م): (... نريد أن نخرج جيلاً لا صلة له بالله، ولا صلة له بالأخلاق التي تقوم عليها الأمم)(١).

فكان التركيز على المرأة وإخراجها، وعمل الإتحادات النسائية والمسرح والغناء والتمثيل ومعاهد الفنون الجميلة، ومعاهد الرياضة للبنات، ونشر العري والمسابح ودور الأزياء، والصورة العارية، ودكاكين التجميل حتى أصبحت المرأة كما قال مورويبرجر في كتابه -العالم العربي اليوم: (إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيداً عن الدين)(٢).

وقد بدأت ثورة المرأة على الإسلام بوضوح في مصر ابتداء من منيرة ثابت (أول صحفية مصرية) والتي يسمونها الفتاة الثائرة وكانت صديقة لسعد زغلول وتستطيع أن تتدخل في توجيه - في - دفة الحكم حتى أنها أخرجت إذناً لسعد زغلول بإصدار جريدتين (للوفد) في الوقت الذي كان الوفد يضيق عليه.

ثم جاءت هدى شعراوي وقامت في ثورة بسنة (١٩١٩م) بمظاهرة نسائية وأحرقن الحجاب في الشوارع العامة.

وكانت (صفية زغلول) زوجة سعد زغلول أول زوجة زعيم تظهر سافرة في المحافل العامة وسمت نفسها على الطريقة الإنجليز باسم زوجها[1] وأطلقت على نفسها أم المصريين.

ولقد كان زوجها سعد زغلول زعيماً من زعماء الحركة النسائية ويقول: (لقد شاركت صديقي قاسم أمين في أفكاره ال ضمنها كتابه (المرأة الجديدة)[2].

وصدرت الصحف تدافع عن حقوق المرأة منها (فتاة الشرق) ومجلات الهلال والمقتطف والمصور.

ونادى بالتعليم المختلط لطفي السيد وفرضه على الجامعة المصرية ولذا فقد أشادت هدى شعراوي بهذا الفعل ، ثم أيد حسين وسمير القلماوي هذا الفعل وكتب الرافعي عنهما (شيطان وشيطانه) ثم جاءت أمينة السعيد.

وفي تركيا سنة (١٩٢٩م) صدر قرار حرم تعدد الزوجات وقضى على الحجاب والحريم ونظرة الطلاق وخرجت المرأة في م تركيا *باللباس العاري*[3].

وفي سنة (١٩٥٦م) أصدر الحبيب بورقيبة قرارات مشابهة في تونس.

**أما الخط الثاني:** (التشكيك في مصادر التشريع الإسلامي وتمييع نصوصها) فقد تمثل في الهجوم على:

١- **القرآن نفسه:** وتميز القران المكي بقوته، والتشكيك بالمدني وسلخ القرآن عن الوحي، واعتباره الوحي انفعالاً نفسياً وحا عصبية.

وأول من جاهر من ذراري المسلمين بإنكار ربانية القرآن ورفع عقيرته بجحود المصدر الإلهي للقرآن هو طه حسين في ك (الشعر الجاهلي) الذي اتبع فيه مصدر التشكيك الذي ورثه عن ديكارت.

٢- **السنة المشرفة:** وقد كان التركيز في عدائها لتحطيمها كمصدر أساسي لشرح القرآن وبيان مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه.

**(.... وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)** (النحل:٤٤)

وقد جاء الهجوم على السنة من نواح كثيرة أهمها:

أ- *التعرض* لشخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ والنيل منها.

ب- التركيز على صحيح البخاري باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله والتشكيك فيه: وقد كتب (أبو ريا -أضواء على الـ المحمدية-) (وصالح أبو بكر -الإسرائيليات في البخاري-) ومجلة العربي كتبت (راجعوا البخاري فليس كل ما فيه صحيح).

جـ- التركيز على النيل من شخصية أبي هريرة كأكثر راو عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ والطعن بشخصية السيدة عائشة كمص غني من مصادر نقل هذا الدين.

د- والآن هناك دعوة عريضة تتبناها بعض الأنظمة مثل ليبيا لنبذ السنة نهائياً.

٣- **اللغة العربية:** باعتبارها لغة القرآن فنادوا:

أ- نبذ قواعد اللغة (النحو والصرف) وقد نادى بهذا سلامه موسى، وطه حسين، وتوفيق الحكيم صاحب قاعدة (سكن تسلم)

ب- *العامية* بدل الفصحى: ابتداء من ولهلم سبيتا (الألماني: مدير دار الكتب المصرية)، ثم ويلمور (WELMORE) القاض الإنجليزي، ونليكوكس -المهندس الزراعي الإنجليزي- وأخيراً جاء سلامة موسى، قاسم أمين، ثم كتب بالعامية يوسف السبا. وإحسان عبد القدوس.

جـ- اتخاذ الأحرف اللاتينية بدل العربية: ونادى بهذا عبد العزيز فهمي -مصر- وسعيد عقل -لبنان-.

وأما مصطفى كمال أتاتورك فقد نفذ هذا الأمر بالحديد والنار.

د- الشعر المنثور بدل الشعر الموزون.

---

١- العلمانية لسفر الحوالي ص(٦٣٥). ٢- سعد زغلول ص(٢٠٣)، أنظر العلمانية ص(٦٣٥). ٣- الإسلام في الغرب ص(١٨٦) أنظر العلمانية.

٤- التاريخ الإسلامي: والتركيز على الشبهات فيه وتضخيم مساحة الإختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم والتركيز على أن الدولة العباسية هي دولة الإماء والخمور والغلمان خاصة عهد الرشيد -كتاب الأغاني للأصفهاني- ثم تشويه تاريخ الدولة العثمانية الإسلامية واعتباره نوعاً من الإستعمار.

**٥- استبدال الثقافة الغربية بالثقافة الإسلامية.**

ففي مصر -قائدة العالم العربي- أوصى المؤتمر التبشيري المنعقد سنة (١٩٠٦م) بإنشاء جامعة علمانية تناهض الأزهر الذي (يهدد الكنيسة بالخطر) ولتكن هذه الجامعة على غرار الجامعات الفرنسية فقامت الجامعة المصرية سنة (١٩٠٨م) واستلم رئاستها بعد فترة لطفي السيد.

وقد ظهرت كتابات تنادي بالذوبان بالغرب مثل طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) حيث يقول: (علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب)[1].

وقد بدأ هذا الخط أيام محمد علي من خلال كتابة رفاعة الطهطاوي في (تخليص الإبريز بتلخيص باريز) واشتدت الدعوة إليه أيام الخديوي إسماعيل وظهر خط إسماعيل في كتابات (محمد عثمان جلال) خليفة الطهطاوي ووضع إسماعيل نظاماً للأزهر سنة (١٨٧٢م) وجاء دنلوب واستلم التوجيه في وزارة المعارف وأقصى الإسلام نهائياً عن المدارس وازدرى الأزهر وحاول الحط من مكانته فكان حامل شهادة اللغة الإنجليزية يأخذ (١٢) جنيه وحامل شهادة اللغة العربية يأخذ (٤) جنيهات، وأما الأزهري يأخذ (١١٢) قرشاً مصرياً.

ثم ظهرت مدارس كثيرة في هذا الشأن:

١- المدرسة الأولى (مدرسة الذوبان في الغرب نهائياً) وقطع الصلة بالإسلام ومن أبرز الأسماء في هذا الشأن: طه حسين، سلامه موسى، لطفي السيد وصهره إسماعيل مظهر، وعبد العزيز فهمي.

٢- مدرسة الخلط والترقيع (بين الإسلام والثقافة الغربية) ويتزعمها الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

٣- مدرسة الخط الأصيل (الإسلام): ويتزعمها حسن البنا (جماعة الإخوان المسلمين).

وارتفعت في هذا المجال دعوات وعلت أصوات بشعارات كثيرة منها:

١- التطوير: ومعناه تمييع النصوص الإسلامية، وإدخال الإلحاد والعلمانية الغربية بالثوب المقنع البراق، ومن هذا قانون تطوير الأزهر الذي صدر أيام عبد الناصر فكان ضربة قاصمة له.

ومعنى التطوير كذلك بناء قنطرة فوق الهوة التي صنعها الإسلام بين الشرق والغرب من أجل الوصول إلى التفاهم والتواصل[2] وبالتالي تؤدي إلى تمزيق العالم الإسلامي كما يقول جب: (لعل الآراء الجديدة وحاجات الحياة الجديدة ستنجح أخيراً في تشتيت المجتمع الإسلامي وتمزيق وحدته)[3].

٢- الإتصال بالثقافة اليونانية كأساس من أسس التطوير.

٣- رفع شعار الحرية: وقد قامت الحكومات العلمانية في العالم الإسلامي بتوفير الحرية الفكرية إذا استعملها الناس ضد الدين.

٤- الدعوة إلى دين عالمي: كما نادى به "كالفرلي" ومعنى الدين العالمي إنهاء الإسلام نهائياً وذوبانه في بوتقة اليهودية العالمية.

٥- التقارب بين الأديان: كما نادى بذلك آصف على فيظي الإسماعيلي وأصبحت المؤتمرات تعقد من أجل هذا الشأن.

٦- أنواع للإسلام: كالإسلام الكلاسيكي.

والإسلام الحديث كما قال فضل الرحمن الهندي، وبه قال أحمد خان مؤسس الكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية (نشر الإسلام

الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية) وكذلك تكرار أسماء الإسلام الهندي والإسلام الباكستاني والإسلام التركي.

٧- العلمانية (secularism) (اللادينية) وذلك ليصبح الإسلام كالمسيحية تماماً لا صلة له بالحياة وفيه كتاب (الإسلام وأصول الحكم) علي عبد الرازق.

٨- الإصلاح الديني: كما يسمونه التحطيم الكمالي للإسلام باسم الإصلاح الديني كما يسميه سمث وبروكلمان وغيرهم من المستشرقين، ومعنى الإصلاح الديني تغيير نصوص الإسلام بنصوص جديدة ويبقى عليه اسم الإسلام

وقد كان الإستعمار والإستشراق والتبشير هذه الأصابع الثلاثة الأخطبوط المعادي للإسلام تسير جنباً إلى جنب.

وقد عقدت الجامعات الأمريكية بالذات عدة مؤتمرات لمحاربة الإسلام على رأسها المؤتمرات التي عقدت في جامعة برنستون (priceton) في أمريكا.

أ- مؤتمر جامعة برنستون سنة (١٩٤٧م) واسمه (الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته).

ب- مؤتمر جامعة برنستون سنة (١٩٥٢م) واسمه (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة)

جـ- مؤتمر لاهور الذي عقد سنة (١٩٥٥م) بترتيب المستشرقين الغربيين وفشل تماماً.

**٣- الخط الثالث: خط التمزيق للأمة المسلمة.**

ومن وسائله:

أ- القومية: العربية والكردية والهندية.

ب- الدعوات العالمية: كالشيوعية.

جـ- الدعوات الإنسانية: كالماسونية -اليهودية- وفروعها مثل نوادي الليونز، الروتاري، شهود يهوه، بني برث، (أبناء العهد).

د- الفرق (الكافرة) المنسوبة للإسلام:

١. القاديانية.

٢. البابية.

٣. البهائية.

٤. النصيرية.

٥. الدروز.

وقد سرت في هذا الكتاب مع الخط التاريخي وكنت فقط أقف عند الحوادث الكبرى والأفكار البارزة التي كان لها أثر في التغيير، وكنت أعلق أحياناً، لكنني وضحت أن اليد العاملة في خط التغيير هي اليهودية أصلاً والتي كانت ترمي بعد مؤتمر بال (١٨٩٧م) للوصول إلى أرض الميعاد وإقامة الهيكل وحكم العالم من فوق عرش سليمان -عليه الصلاة والسلام- وهو منهم بريء حتى وصلت إلى عقد الصلح مع مصر سنة (١٩٧٩م).

وقد قسمت البحث إلى بابين:

الباب الأول: وهو باب التغيير في أهم بلدين في العالم الإسلامي: تركيا ومصر، ووقفت طويلاً عند التجربة الكمالية، ومع أسرة محمد علي باشا وهي تغير وجه أرض الكنانة.

والباب الثاني: الحركة الإسلامية والمؤامرة العالمية، وركزت على أن المقصود من التغييرات في المنطقة هو عدم وصول الإسلام إلى الحكم وإلى تسيير دفة الحياة.

وختاماً أرجو الله عزوجل أن يكتب لنا الثواب والأجر إنه سميع قريب مجيب وأن يهدينا سواء السبيل

المؤلف

عشرة الآف وألقاه رهين القيد في دار لقمان في المنصورة [١] وعندها قال لويس كلمته التي أصبحت دستوراً لأوروبا في حروبها التالية:

«ان المسلمين لا يهزمون مادامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحرب على المسلمين بحرب الكلمة».

وانتهت الحروب الصليبية يوم أن استعاد الأشراف خليل عكا ٦٩٠هـ ١٢٩١م وبعد تسع سنوات قامت الدولة العثمانية واستمرت حتى ١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٨م بعد أن أقامت الإسلام وأقامها خمسة قرون ونصف. واستطاعت الدولة العثمانية المسلمة أن تفتح قلعة أوروبا وآسيا (أستانبول: القسطنطينية) ٨٥٧هـ الموافق ١٤٥٣ واتخذتها عاصمة لها.

انتهت الحروب الصليبية ليرجع الغزاة إلى عقر دارهم ويبدأوا بمعركة أطاحت بالبابا وبالكنيسة بعد أن رأوا النور في الشرق المسلم، واقتبسوا بعض الحقائق العلمية التي حركت عقول مفكريهم بنظريات كروية الأرض ودورانها التي أدت إلى إندلاع المعركة بين الكنيسة بمحاكم تفتيشها وبطلائع مفكريهم ورواد العلم عندهم مما أدى أخيراً إلى تحطيم الكنيسة إلى الأبد «**ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**» [٢]

وأما حرب التتار: التي أدت إلى سقوط بغداد ٦٥٦هـ عاصمة الخلافة في يد هولاكو وألقيت الكتب التي كانت نتاج العبقرية الإسلامية لقرون خلت من الحضارة الزاهرة أقول: ألقيت في نهر دجلة واصطبغ ماؤه بالحبر لفترة طويلة. ثم هزم التتار في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ على يد المظفر قطز والظاهر بيبرس واستمرت الحملات التتارية طويلاً وأخيراً أثر الإسلام في هؤلاء الغزاة فاعتنقوه وهي ظاهرة فريدة في التاريخ. أن تعتنق الأمة الغالبة عقيدة الأمة المهزومة.

## أوروبا وحرب الكلمة بدل حرب السيف

كانت حملة نابليون على مصر نقطة بارزة في تحول المعركة وأساليبها فلقد غزا نابليون مصر ١٧٩٨هـ مدججاً بأحدث الأسلحة الفرنسية الحديثة ومدافعها ورشاشاتها. ودخلت الخيل الأزهر وداست سنابكها الحصير الذي خرج عشرات الألوف من علماء هذه الأمة، فانتفض الأزهر وهب دفاعاً عن كرامة هذا الدين وأقض مضجع نابليون وأرق أجفانه ولم يستطع الاستقرار رغم العملاء الذين وقفوا بجانبه كيعقوب القبطي [٣] ومن وقف معه من الأروام ونصارى الشوام وغيرهم. وأخيراً انقض سليمان الحلبي على نائب نابليون الذي خلفه في مصر -وهو كليبر- وقتله.

وكان خروج الفرنسيين من مصر من ابرز المعالم في معركة أوروبا الحديثة، إذ أدت إلى تصميم أوروبا على خوض معركة اللسان بدل معركة السنان، واتجهت إلى نزع هذا الدين من أعماق هذه الامة ليغرسوا بدله القومية والعصبية وغيرها من الشعارات محاولة لملأ الفراغ.

لقد جاء في مؤتمر (الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته)[٤] الذي أقامه مجموعة من المستشرقين في جامعة أمريكية جاء فيه:

«أننا في كل بلد اسلامي دخلناه نبشنا الأرض حتى نخرج آثار ما قبل الإسلام ونحن لا نطمع أن يرتد المسلم عن عقيدة الإسلام إلى عقيدة ما قبل الإسلام ولكن يكفي تشتيت ولائه»

وجاء في تقرير أحد معاهد الارساليات بقلم نبيه أمين فارس [٥] «بينما كان الشرق الأدنى مطمحاً لأفكار بناء الأمبرطوريات كان أيضاً مطمح جماعة اخرى من الناس تنشد أن تنجز عن طريق الكلمة ما عجز أجدادهم الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف»

## محمد علي باشا (وريث نابليون)

### ١٩٠٤ - ١٩٤٩

وجاء محمد علي باشا ليعمل ما عجز عمّا عمله نابليون، وكان محمد علي باشا متأثراً برجل فرنسي اسمه (ليون) كان على صلة به أيام يتمه وفقره وأراد أن يحول مصر قطعة من فرنسا، وبدأ بارسال البعثات إلى فرنسا لتغسل أدمغة المبعوثين، ومعظم

# خط التحول التاريخي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً. وبعد.

فإن أخطر ما تعرضت له الأمة الإسلامية هو عملية التحويل الداخلي أي الهزيمة الروحية والنفسية والعقلية أمام أع فاستخذت أمام الأصنام وركعت على أقدام الطغاة وأصابها الوهن الذي عرفه رسول الله ﴿ﷺ﴾ بانه (حب الدنيا وكراهية الموت) الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى ا إلى قصعتها. فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، «ولكنكم غثاء كغثاء السيل»

«ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب ا وكراهية الموت» (١)

ـ فكيف أصبحت خير أمة -أخرجت للناس- غثاءً؟

ـ وكيف أضحى الخير النافع زبداً جفاءً؟

ـ وكيف خلفت الأسود قروداً؟

ـ وكيف ولدت ليوث الحق خنازيراً؟

إن أخطر ما يمكن أن تصاب به الأمم هو: هزيمتها في أعماقها.

فهذا هو الداء القاتل، إن أشد رمية أصابت الأمة في مقتلها هي: فقدان الثقة بنفسها. فالشعوب إنما تنتصر يوم أن تث بمبادئها وتحيا بعقائدها وتستعلي بدينها. ولن تهزم أمة تلتف على عقيدة صحيحة تعيش من أجلها وتجاهد لاحيائها مهما أعداؤها، ومهما تألبت عليها القوى وأحكمت خطط أعدائها وهذا المبدأ هو الذي سطره رب العزة في سبب النصر والهزيمة إذ سبحانه معقباً على هزيمة أحد:

## قانون الهزيمة:

يقول سبحانه :

«أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها، قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم، إن الله على كل شيء قدير» (٢).

فالهزيمة تبدأ داخلية ثم تنعكس على ساح المعركة.

والخلل يبدأ في أعماق النفس ثم نرى آثاره إنحداراً في ميادين الحياة، سلوكاً وأخلاقاً ومعاملة. فكيف تمت عملية التحويل

# فشل الأعداء في ساحة المعركة

لقد حاول أعداء هذه الأمة أن ينازلوها في ميادين السيف والقتال فارتدوا على أعقابهم خاسرين، فلقد دخلوا معها في ال الصليبية التي جمع فيها بطرس الناسك أوروبا وتبني وضع شارة الصليب البابا يوربان الثاني واستمرت الحرب قرنين من ال وسطرت في تاريخ أوروبا صفحات وحشية لا تنس، يقول جيبون «تم انتخاب (جودفري) ملكا على القدس في ١٥ يوليو ٩ في مشهد تاريخي رهيب، رأى خدام رب المسيحيين باعتقادهم الأعمى أن يكرموه بذبح سبعين ألفاً من المسلمين تعظيماً واجلالاً وقرباناً ولم يرحموا كبار السن والأطفال والنساء وقد استمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام وما تركوا بقية الاسرى الا من التعب والاج

## شعب أعزل ينتصر على فرسان الصليبين :

ولكن اوروبا رأت أعظم ملوكها، ملك فرنسا (لويس التاسع) ١٢٤٩م يقع أسيراً في يد الظاهر بيبرس الذي أسر مع

(١) جامع الأصول لا بن الأثير ٢٨/١٠ قال الأرناؤوط: اسناد أحمد قوي وأخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣٦٤/٦ ٢- (آل عمران :١٦٥)

المبعوثين كانوا من الجيش أو في ميدان الطب، ومن بين الذين ذهبوا هناك (رفاعة الطهطاوي) الذي عاد داعية للثقافة الغربية وكتب (تخليص الابريز في تلخيص باريز) ونقل القانون الفرنسي واتخذ محمد علي باشا رجلاً فرنسياً -وهو طبيب- مستشاراً له وكان اسم هذا الرجل (كلوت بك) وكان لهذا الفرنسي تأثيراً كبيراً في تغريب مصر وفي عهد محمد علي أدخلت القوانين الفرنسية لتحل تدريجياً محل الشريعة الإسلامية. وكان جلساءه الخاصين من السياح والقناصل والمبشرين ومن أعمق الآثار السيئة التي حلت أيام محمد علي باشا أنه فتح أبواب مصر والشام -عندما خضعت له- للمبشرين النصارى، فقد كانت موصدة دون هؤلاء بسبب صرامة الدولة العثمانية وحزمها في هذا الموضوع ومنعها للمبشرين.

وكان من نتيجة دخول المبشرين للشام أن أنشئوا جامعتين في لبنان :

١ : **الأولى** : الكلية السورية الإنجيلية التي انشأها البروتستانت ثم أصبح اسمها الجامعة الأمريكية - بيروت.

٢ : **الثانية**: كلية العزير التي أنشأها الكاثوليك الفرنسيون ثم أصبح اسمها الجامعة اليسوعية.

ولقد كانت الجامعة الأمريكية نقطة الانطلاق لكثير من الآراء والاتجاهات المنحرفة التي تركت آثاراً عميقة في عملية تحويل العالم العربي، ومن بين هذه الاتجاهات الاتجاه القومي الذي كان يراد له أن يحل محل عقيدة الإسلام في القلوب ولملء الفراغ الذي خلفه الإسلام بعد أن انحسر في جميع مناحي الحياة جاء في كتاب المجتمع العربي / جامعة بيروت / كلية الآداب.

«إن أول جمعية بدأت تدعو إلى القومية العربية هي جمعية مسيحية أوحى بفكرة تأسيسها رجل يسمى الياس حبالين من بلدة ذوق مكايل وكان أستاذاً للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف، فيهم إبراهيم اليازجي و يعقوب صروف و شاهين مكاريوس وكان الأستاذ معجباً بالثورة الفرنسية [١].

وأصبحت القومية العربية بفضل قادتها ودعاتها ومعظمهم من النصارى ديناً جديداً حل محل الإسلام كما قال علي ناصر الدين في مقدمة كتابه قضية العرب، هامش ص ٢٨ «العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، لأن كان لكل عصر نبوته المقدسة، فالقومية العربية هي نبوة هذا العصر»[٢].

وقدمت لنا الجامعة الأمريكية ومدارسها في المنطقة قادة الأحزاب القومية في المنطقة: فاسس حزب القوميين السوريين: انطون سعادة ومن بعده أسد أشقر ثم جورج عبد المسيح.

وأسس حزب البعث: ميشيل عفلق، زكي الأرسوزي النصيري ويرأس حزب القوميين العرب: جورج حبش بتوجيه من أستاذه قسطنطين زريق – الأستاذ في الجامعة الأمريكية.

جاء في البروتوكول الخامس (لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية خلال عشرين قرناً) وقد نجحت الدول الغربية في توجيه محمد علي باشا لتأدية أكبر خدمة للغرب ومنها:

١ : زلزلة سلطة الدولة العثمانية الإسلامية على الشرق ومحاربة تركيا نفسها في مواطن كثيرة.

٢ : تنشيط حركة التبشير في المنطقة.

٣ : تحويل مصر وسوريا إلى دول متغربة بتفكيرها وحياتها.

٤ : ضرب الحركة الإسلامية التي ظهرت في الجزيرة العربية (الحركة الوهابية) .

٥ : إدخال القوانين الغربية لتطبق على المسلمين، وما وصل محمد علي إلى قبضة العزيز الجبار سنة ١٩٤٩ إلا وقد جُنّ وفقد عقله في آخر حياته مع أن مصر تدار باسمه وبرهبة صولجانه مع أنه مجنون.

وكل القضايا التي فعلها (الخمسة المتقدمة) خطيرة وأحدثت أثراً كبيراً في حياة المسلمين خاصة فيما يتعلق بادخال الدين الجديد (دين نابليون) أي القوانين الفرنسية وخلطها بالقانون الإلهي فانشأ دينا جديداً خليطاً من (الدين الفرنسي والدين الإسلامي) وكان ساعده الأيمن في تبديل دين الله هو رفاعة الطهطاوي وأما أستاذه الكبير فهو الدكتور (كلوت) الذي وجه الحياة المصرية في أكثر مناحيها، وأما بالنسبة لضرب الحركة الوهابية (دعوة التوحيد) في الجزيرة العربية فأرسل محمد علي ابنه ابراهيم باشا سنة

١٢٣١هـ (سنة ١٨١٥م) إلى الجزيرة وفي سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٧م) استطاع أن يأسر عبيد الله بن سعود وأرسله إلى الاستانه فقتل هناك بعد أن طافوا به في الأسواق ثلاثة أيام ثم دخل ابراهيم باشا الدرعية وقضى على الحركة الوهابية وأطلق السلطان على محمد علي لقب (خان) وعلى ابنه ابراهيم لقب (والي مكة)[1] .

وقبل أن نطوي صفحة محمد علي باشا لابد من وقفة عند رفاعة الطهطاوي الذي كان له اكبر الأثر في عملية التحويل لقد أقام الطهطاوي (أحد أعضاء بعثات محمد علي إلى باريس) في باريس من ١٨٢٦ - ١٨٣١ فرجع وكتب كتابه (تخليص الابريز في تلخيص باريز) الذي كتبه أثناء اقامته في فرنسا وعرضه على استاذه (جومار) وأبدى إعجابه الشديد بفرنسا، وقد قام في تخليص الابريز بترجمة الدستور الفرنسي ويمجد الثورة الفرنسية التي حطمت الكنيسة وأحالتها إلى ركام من مخلفات التاريخ.

وفي زمن اسماعيل كان الطهطاوي عضده الأيمن في الافساد والتغريب وكتب زمنه كتابيه (مناهج الألباب المصرية في مناهج الاداب العصرية) و (المرشد الامين للبنات والبنين) وهو يبدي اهتماماً ظاهراً بالتاريخ الفرعوني ويسمي رعمسيس الثاني (فرعون سيدنا موسى) (فخر الدولة المصرية في الازمان الجاهلية ومصباح تاريخها) ولا ينقضي عجب المسلم وهو يرى الطهطاوي يعرض نظام الشركات والمصارف الربوية دون تعليق ويرى أن الرقص الفرنسي نوع من الشلبنة (الاناقة والفتوة والرياضة ويعجب بالمرأة ويشجع الطهطاوي على اختلاط الجنسين وتعليم الفتيات دون قيود ولا التزام بحدود شرعية ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق وأصبح يردد شعاراً جديداً (اخوة الوطن) هذا الشعر الذي أصبح ديناً لدعاة القومية والعنصرية فيما بعد.

والطهطاوي شأنه شأن معاصره (خير الدين التونسي الذي ألف كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) هما أول رسل الحضارة الغربية في بلادنا اللذين عملا كطلائع لهدم صرح الإسلام العظيم في نفوس أبنائه[2].

## أسرة محمد علي تواصل تغريب مصر

وواصلت أسرة محمد علي عملية الهدم في أرض الكنانة، البلد الطيب الذي يتميز بطيب أهله ورقة قلوبهم وسهولة تأثرهم.

ويتميز من جهة أخرى بوجود الأزهر قبلة العلم والعلماء ولقد كان لهذه الجامعة أثر عميق في حياة مصر والمسلمين في كل مكان فلقد خرّج قادة المجتمعات ورواد الفكر ومفجري الثورات الإسلامية في كثير من البلدان الإسلامية ويتميز من جهة ثالثة بالثقل السكاني والاكتفاء الذاتي -لو أراد حكامه- وبالتقدم العلمي على سائر بلدان العالم الإسلامي.

أما بالنسبة للاكتفاء الذاتي فلقد أنقذت مصر بقمحها (حنطتها) الشرق عدة مرات منها أيام سيدنا يوسف عليه السلام يوم أن أصاب المنطقة الجدب والجفاف فأنقذت الشام ومنها أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه -عام الرمادة- يوم أن تعهد عمرو بن العاص -والي عمر بن الخطاب- في مصر رضي الله عنهم- تعهد بامداد الجزيرة بما يكفيها. وأيام الدولة الرومانية كانت تعتبر أحد مخازن القمح الكبرى في الأمبراطورية الرومانية إذ كانت تسمى (بئر قمح روما).

أقول: هذا البلد الطيب -بلد السمن والعسل- توالت عليه أيدي الطغاة تدميراً وتخريباً حتى أوصلته إلى ماوصل إليه.

فهذا اسماعيل باشا: يغرق البلد بالديون الباهظة من خلال الترف وبطر العيش؛ فقد كان هذا شاباً ماجناً تربى في صالونات باريس فرجع لينقل فساد المرأة الغربية إلى المرأة المصرية وصارت الرقصات الداعرة والليالي الحمراء عنواناً لحياة القصور فقد كان يبدأ حفلاته بمراقصة زوجة أقدم السفراء وتلعب الخمور بالرءوس، وأنشأ (الأوبرا) دار الفن والمسرح، وأصبح اللهو شعار الحاكم وحاشيته وفي زمن اسماعيل إزداد دخول القوانين الغربية من خلال ماسماه (محاكم الأجانب) التي تختلف عن (المحاكم الوطنية).

ومن خلال الترف الفاجر عجزت مصر عن سداد الديون حتى وصلت ديونها (٩١) مليون جنيه انجليزي فجاءت بعثة (Cave) سنة ١٨٧٥ لمراقبة مالية مصر ثم انشىء نظام المراقبة الثنائية (رجل انجليزي وأخر فرنسي)، ثم وكل اسماعيل بتشكيل الوزارة لرجل أرمني -نصراني حاقد- اسمه نوبارباشا فشكلها سنة ١٨٧٨م فيها وزير المالية من بريطانيا ووزير الأشغال من فرنسا فأحالت الوزارة (٢٥٠٠) ضابطاً إلى التقاعد فثار الضباط المصريون على وزارة نوبار في ١٨ شباط سنة (١٨٧٩) واستقالت الوزارة وخلع اسماعيل في حزيران سنة ١٨٧٩م وجاء توفيق ثم جاءت ثورة أحمد عرابي سنة ١٨٨٢م وبعد فشلها دخل الاحتلال الانجليزي[3] .

---

(١) أنظر دائرة معارف القرن العشرين ١/١٥.  (٢) انظر الاسلام والحضارة الغربية (الفصل الاول) ص ١٦-٤٠، د. محمد محمد حسين.

(٣) الفكر الإسلامي المعاصر لغازي التوبة ص ١٦ والفكر الإسلامي الحديث لمحمد البهي ص ٧٤.

# صالون الأميرة نازلي فاضل

كانت نازلي إبنة مصطفى فاضل -أخ اسماعيل باشا- وكان مصطفى ولياً للعهد ثم أقصاه إسماعيل فسافر إلى تركيا ثم إلى أوربا وهناك تربت ابنته نازلي وأتقنت عدة لغات وتزوجت أحد وزراء تونس ثم عادت إلى مصر لتعمل بها من التخريب ما عجزت عنه الدوائر الغربية ففتحت صالونها وكان صالونها ملتقى هواة السلطة ومحط أنظار الذين يحلمون بالعلو في الأرض. لأن الصالون أصبح يحظى برعاية (كرومر) (Kromer) (المعتمد البريطاني) وكان الرواد الدائمون لهذا الصالون ممن يتطلعون إلى الانتفاع بجاه الأميرة وبمالها.

من بين هؤلاء الذين يعتبرون جلس مجلسها:

**سعد زغلول:** الذي جاء من الشارع -دون جاه ولا علم ولا مال- وتولى رئاسة مكتبها وبقي حتى سن السادسة والثلاثين لم يتزوج ثم تزوج (صفية إبنة مصطفى فهمي) رئيس الوزراء للاحتلال البريطاني لبضعة عشرة عاماً. والغريب أن هذا الزواج من إبنة رئيس الوزراء التي لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها. وأصبحت (صفية) فيما بعد تحمل اسم (صفية زغلول) وتكنى (بأم المصريين).

**و من رواد الصالون:** الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده ولقد اطلعت على رسالة بين الشيخين عن الأميرة مما يدمي القلب لحالة قادة الفكر الإسلامي؟؟؟

**ومن رواد الصالون كذلك:** لطفي الخولي ثم جيء بقاسم أمين الذي رد مرة على أحد الفرنسيين (داركور) وقد نال هذا الفرنسي من مكانة المرأة في الإسلام فقام قاسم أمين ورد عليه وبين أن الإسلام أعطى المرأة مكانتها اللائقة وحفظ لها وظيفتها الأساسية واحتشامها بلباسها. وبسبب هذه المقالة أوغر سعد زغلول ومحمد عبده صدر الأميرة نازلي على قاسم أمين لأن كلامه ينال من مقام الأميرة لأنها تدعو إلى العري والتهتك. ثم إقترحوا حلاً لرضى الأميرة عليه بأن يكتب كتاباً عن المرأة فخرج سنة ١٩٠٠ (صفحة) كتاب (تحرير المرأة) الذي اشترك في كتابته قاسم أمين والشيخ محمد عبده. وقبل سنوات اكتشف هذا السر فقد أعلن حفيد محمد عبده أن جدي هو كاتب كتاب (تحرير المرأة) ومعنى تحرير المرأة: تحريرها من القيم والمبادئ والحياء والخلق.

وبقيت بريطانيا ترعى هذا الصالون ورواده حتى أوصلوهم إلى سدة الحكم: محمد عبده أصبح مفتياً للديار المصرية وأصبح سعد زغلول وزيراً للمعارف ثم رئيساً للوزراء وأضحى لطفي السيد (استاذ الجيل) رئيساً للجامعة المصرية وفرض الاختلاط بين الجنسين في الجامعة.

**لطفي السيد:** هذا هو الذي سخر صحيفته المسماة (بالجريدة) لتكريس أراء كرومر والدفاع عنها، والدعوة إلى الفرعونية وصياغة شخصية مصرية ذات طابع مميز.

وقد كان صنائع صالون نازلي فاضل يتبنون هذا الخط بفصل مصر عن العالم العربي والإسلامي.

فمثلاً سعد زغلول أجاب عن سؤال حول الوحدة العربية قائلاً (إنها وحدة بين أصفار) [1].

وسار في هذا الخط طه حسين الذي قال: إن الدين واللغة لا يصلحان أساساً للوحدة السياسية، وإن المصري فرعوني قبل أن يكون عربياً. وقد نشر هذا الحديث (سلامة موسى) في صحيفته (المجلة الجديدة) ١٩٢٨ لأنه كان يسير في نفس الخط.

وقال طه حسين [2] (لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت اسلامي) وأما سعد زغلول فإنا لا ندري حتى الآن إن كان إعتقال بريطانيا له في ٨ مارس ١٩١٩ ونفيه إلى مالطة كان مسرحية سياسية لصياغته كبطل قومي أو كان هذا الاعتقال حقيقة؟

وفي سنة ١٩٢٧ مات سعد زغلول ليأتي النحاس رئيساً للوفد والذي فرضته الدبابات البريطانية في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ رئيساً للوزراء رغم أنف الملك فؤاد.

## صفية زغلول (أم المصريين) وهدى الشعراوي

ولقد كان لصفية وهدى أثر كبير في إفساد فطرة المصرية الطيبة أما صفية فكانت تدير عجلة الفساد من فوق سدة الحك بسبب كون زوجها رئيساً للوزراء وهي كما ذكرنا إبنة مصطفى فهمي رئيس الوزراء من قبل.

أما هدى شعراوي فهي إبنة سلطان باشا الذي وقف بجانب الانجليز ضد الثورة العرابية وقد استلم من الانجليز مبلغاً ضخم لقاء عمالته ثم أصابه السرطان وقبل أن يموت زوج إبنته من رجل ثري اسمه (علي شعراوي) في الخمسينات من عمره فأصبح اسمه (هدى شعراوي) وكان علي شعراوي من عملاء الانجليز وقد أخذت هدى إلى أوربا ولدى عودتها من رحلتها وعلى سلم الباخرة نزعت خمارها (منديل الرأس) ووضعته تحت قدميها وقالت انتهي عصر الظلام إلى الأبد. وشكلت (جمعية السيدات المصريات).

## كرومر ودنلوب

أما كرومر فهو المعتمد البريطاني الذي يدير مصر منذ الاحتلال سنة ١٨٨٢ إلى ١٩٠٦، قال الدكتور النشار (أعلن كرومر مذ مجيئه إلى مصر أنه سيهدم القرآن والكعبة والأسرة الإسلامية والأزهر).

ركز كرومر في هجومه على الدولة العثمانية وحمل على الإسلام من خلال تركيا التي تمثله، نشر الانجليزية، حارب العربية ونادى بفكرة مصر للمصريين، وحط من قيمة الأزهر ورجاله وربىّ طبقة من المتفرنجين. وكان يقول:

«سوف يجد محبو الوطنية أحسن أمل لهم في ترقي أتباع محمد عبده للحصول على مصر مستقلة بالتدريج»

ألف كرومر كتاب (مصر الحديثة New Egypt) وادعى أن الإسلام مناف للحضارة ويعلم أتباعه الحقد على مخالفيهم وه ينافي العمران ويبيح الطلاق ويحرم الربا والخمر.

كان لطفي السيد أحد الذين حملوا لواء الدفاع عن كرومر وسياسته في صحيفته (الجريدة)، وصحيفة المقطم.

أما دوجلاس دنلوب :

فهو أحد سيئات كرومر الكبرى. فلقد شجع كرومر المبشرين في مصر والسودان الا أنه عندما رأى طريقتهم الساذجة ف التعرض للناس في الشوارع خشي أن يؤدي عملهم هذا إلى يقظة الناس ومن ثمّ تنفجر ثورة وطنية بحمية اسلامية. فحدّ م نشاطهم، فرفع المبشرون تقريراً إلى الحكومة البريطانية فارسلت بريطانيا عتاباً إلى كرومر فرد كرومر على المبشرين باني سأعمل ع طريق راهب واحد أضعاف عملكم، وأحضر دنلوب سنة ١٨٨٩ وهو راهب تخرج من كلية لاهوت بريطانية وعينه كرومر ٨٩٧ سكرتيراً للمعارف ثم سنة ١٩٠٦ عين مستشاراً لوزارة المعارف، وقد كان دنلوب هو الوزير الفعلي.

وكان ينفذ سياسة كرومر (عقل بريطاني وأيدي مصرية) ويرفع شعار سيده (متى توارى القرآن ومكة من بلاد العرب يمكن حينئذٍ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة) وقد حارب دنلوب العربية والأزهر، وشجع الانجليزية وأصبح تدريس العلو والرياضيات والكيمياء والجغرافيا بالانجليزية وحارب التعليم العالي بحجة أن المصريين لا يصلحون للتعليم العالي وحارب الكت الإسلامية أوالتي فيها عاطفة اسلامية مثل كتب علي مبارك وعبد العزيز جاويش.

وأخطر ما عمله دنلوب رسم المناهج التي أصبحت مثالاً يحتذى للدول العربية وقسم التعليم إلى قسمين: ديني: وجعله خاص بالأزهر ومعاهده، ومدني: حارب فيه كل كلمة دينية، ومنع من توظيف خريجي الأزهر -أهل العلم الحقيقي- وإذا احتاج إلى بعضه كان يدفع لـإحد ١١٢ قرشاً مصرياً في الشهر. هكذا كانت الحال في مصر -رائدة العالم العربي- أواخر القرن التاسع عشر وأوا القرن العشرين.

ففي السياسة : يرجع الأمر إلى الانجليز فمعتمدهم هو الحاكم الفعلي للبلد وأما الخديوي فلا يملك من أمره شيئاً.

وفي الاقتصاد: خيرات مصر تصب في جيوب الانجليز.

الأزهر : مقصى عن توجيه دفة الحياة.

الاعلام : الاذاعة مديرها لطفي السيد وأمثاله كما أنه مدير الجامعة، والصحف اليومية والدورية والمجلات معظمها بـ

النصارى كالأهرام، والمقطم، المقتطف، الهلال، ماينوف على عشرين منها بأيدي النصارى، وزارة المعارف والمناهج: بيد دنلوب.

الجامعة: بيد لطفي السيد ثم جاء طه حسين ليواصل الدور من خلال كتبه (الشعر الجاهلي) (الأدب الجاهلي) لينكر ربانية القرآن وأطلق كلمته.

(للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ولكننا لا نرى هذين مصدراً تاريخياً موثوقاً) ثم استلم الجامعة، ثم وزارة المعارف قال بعضهم «انتهى عهد دنلوب وابتدأ عهد طه حسين» وفي أواخر القرن التاسع عشر حصل أخطر حدث في العصر الحديث وهو مؤتمر بال ١٨٩٧ الذي عقده هرتزل في سويرا.

# مؤتمر بال ١٨٩٧م

يكاد كثير من مفسري التاريخ يجمعون أن مؤتمر بال يعتبر أخطر حادث في العصر الحديث، وهو نقطة التحول بالنسبة للعالم الإسلامي، اذ دأبت بعده اليهودية العالمية على تنظيم الخطط وإحكام الأحابيل والشباك التي تصطاد بها المسلمين للوصول إلى أرض الميعاد وهرتزل هذا صحفي نمساوي ولد سنة ١٨٦٠ وفي سنة ١٨٩٤ حضر محاكمة الضابط اليهودي (دريفوس) الذي يحمل الجنسية الفرنسية حيث اتهم هذا الضابط بالتعامل مع ألمانيا وحكمت عليه المحكمة بجريمة الخيانة عشر سنوات مع تجريده من مناصبه العسكرية، ولقد أثرت المحاكمة في نفس هرتزل إذ ظن أن دريفوس حكم ظلماً بسبب دينه اليهودي وقال -من شاء أن ينصف في هذا المجتمع فلينتصر- وصمم أن يعمل من أجل إنشاء وطن لليهود، وبعد هذا الحادث بسنة أي سنة ١٨٩٥ أصدر كتابه (الدولة اليهودية) وهو شبيه بالكتاب الذي أصدره موسى هيس (من روما إلى القدس).

وفي سنة ١٨٩٧ استطاع أن يجمع المنظمات الصهيونية في مؤتمر صهيوني عالمي في بال، وأعلن هرتزل في نهاية المؤتمر أن الدولة اليهودية قامت وحدد لذلك زمناً لا يتعدى خمسين سنة.

وانبثقت عن هذا المؤتمر (بروتوكولات حكماء صهيون) التي تعتبر أخطر الوثائق في العصر الحديث، ومعظم التدمير الذي حل بالبشرية في القرن العشرين كانت بسببها.

## نصوص من البرتوكولات:

**البرتوكول الثاني** (لاتحسبوا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء نحن الذين رتبنا نجاح دارون -من قبل- وإن فرويد منا وان ماركس ونيتشة منا وسنبقى ننشر آراءهم لمالها من أثر هدام على الفكر الأممي) الفكر الأممي، الأمم غير اليهودية وقد أشار القرآن إلى طبيعة اليهود هذه فقال تعالى **«ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل»** ليس من حرج ولا إثم علينا -اليهود- إذا أسأنا إلى الأمم الأخرى غير اليهودية.

**البرتوكول الثالث** : «سننشر بين الشعوب أدبا قذراً مريضاً يهدم الأسرة وسنستمر بالترويج لهذا الأدب. يجب أن نعمل لتنهار- الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا.

إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه ارواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق في كل مكان ونستولي على العالم وهو مخدر»

**البروتوكول الرابع**(١) : «سننتزع فكرة الله من أذهان المسيحيين ونضع بدلها أرقاماً حسابية وضرورات مادية».

وخلاصة البروتوكولات تتلخص في كلمة أوسكار ليفي التي قالها بتبجح وصلف:

«نحن اليهود سادة العالم ومفسدوه ومحركو الفتن فيه وجلادوه» وكانت طريقة اكتشاف البروتوكولات أن روسيا علمت أن اليهود يخططون ضدها فأرسلت فرقة لاقتحام مقر حكماء صهيون وبالفعل وبخطة محكمة أوقدوا النيران حول العمارة فهرب اليهود من العمارة فاقتحموها وأخرجوا ما استطاعوا أن يخرجوه من الأوراق ثم أحضرتها روسيا وقام الدكتور (نيلوس) بتحليلها وتوقع نيلوس

# معاول التدمير اليهودي

يميل كثير من المراقبين والمؤرخين أن اليهود هم وراء كثير من الدمار الذي حل بالغرب والشرق ولايزال.

فلقد أبرز اليهود شخصيات يهودية الدين أو الفكرة إلى مسرح التاريخ ليكونوا معاول هدم في حياة الأمم والمجتمعات وعا رأس هؤلاء:

١) **ماركس: (علم الاقتصاد)** وقد أدى دوره عن طريق علم الاقتصاد، وفسّر التاريخ بأنه «تاريخ البحث عن الطعام» فا معركة عالمية هي معركة الخبز من خلال صراع الطبقات الذي ابتدأه (بالبيان الشيوعي المانيفستو سنة ١٨٤٨)

٢) **داروين (علم الأحياء)** : وقد استغل اليهود كتابيه اللذين أصدرهما الأول (أصل الأنواع سنة ١٨٥٩) (أصل الانسان س ١٨٧١ وذلك لتحطيم الكنيسة نهائياً التي تقوم على فكرة خلق الانسان مع ما ورثه من الخطيئة الأولى التي ارتكبها أبوه آدم -ع الصلاة والسلام- ونزل ابن الله -تعالى الله عن إفك النصارى- ويقول النصارى: نزل ابن الله -سبحانه وتعالى- ليصلب ليتح الخطايا عن البشر.

واستعمل اليهود فكرة التطور في علم الأحياء التي قال بها داروين في كل شيء: في الدين والخلق والاقتصاد والسيا والمبادئ.

٣) **فرويد (علم النفس)** : وهو يهودي فسّر التاريخ تفسيراً جنسياً واعتبر أن التصرفات جميعها إنما تنعكس عن الد الجنسية فالطفل يلتقم ثدي أمه بلذة جنسية ويتبرز بلذة جنسية واحترام الأم نشأ ابتداء لأن أولاد الأسرة الأولى قتلوا أبا ليستمتعوا بأمهم جنسياً ثم ندموا فاتفقوا على احترام الأم، وكل العقد التي تصاحب الولد أو البنت (عقدة أوديب، وعقدة الكترا) خلال الكبت الجنسي، وللأسف لازالت كتب فرويد في علم النفس تسير أقسام علم النفس في العالم الإسلامي وتتحكم بها من خا تلاميذ فرويد (الأساتذة).

٤) **نيتشة (القومية)** : الذي تقوم فلسفته على الالحاد والاستهزاء بفكرة البعث والقيامة واليأس والقلق هما شعار العظ الانسانية.

ويرى نيتشة أن فكرة القيامة هي التي جعلت من اخلاق المسيحيين (أخلاق عبيد) فالمسيحية ثمرة عجز حقيقي وينبغي نلتمس مصدرها الرئيسي في الحقد الذي يشعر به الضعفاء حيال الأقوياء فحين أقنع الضعفاء الأقوياء بأن هناك عالماً آخر تفر فيه العقوبات على الأقوياء أصيبوا بتأنيب الضمير وراودهم الشك في أنفسهم فاستسلموا أمام الأساطير التي اخترعها حقد الضع ومنذ تلك اللحظة انتشر ظلام المسيحية على العالم.

ولذلك كانت (النازية) هي الترجمة العملية لفلسفة نيتشة وما جرته على البشرية من ويلات في حرب لفت العالم كله. ونيتشة يعتبر المسيحية «دين الكلاب العرجاء» (١).

٥) **دوركايم (علم الاجتماع)** : من خلال نظريته في العقل الجمعي الذي يفعل مايشاء دون قيد ولا قانون وهو يرى أن ا الأسرة مصطنع وأن الدين نبت من الأرض وتعتمد مؤلفات دور كايم كمصدر رئيسي لأقسام الاجتماع في جامعات العالم الاسلا وفي هذه المناسبة نذكر أن دوركايم كان استاذاً لطه حسين ولذا فإننا وجدنا طه حسين -وهو ممن عاشوا القضية الفلسطينية البداية- لم يتكلم كلمة واحدة ضد اليهود بل نجد العطف الشديد والميل الجامح إلى اليهود.

٦) **سارتر (الوجودية)** : الوجودية التي أدت إلى الالحاد والعبث والتمرد من خلال كتبه (الغثيان) (الوجودية فلسفة انسا وليس الغثيان سوى هذا الشعور بالاختناق الذي يسببه ذلك الكثيف للوجود ... ويثقل على قلبك كأنه حيوان ضخم لايتحرك ومن نظرته اليائسة إلى الحياة يفلسف الانتحار ويرى أنه اعتراف بأن الحياة لاتستحق أن تعاش وليس من فرحة للحياة من غير يأس الحياة (٢) وهو يدافع عن اليهود في كتابه Jews and ANTI SEMITE (اليهود واللاسامية)، ويبقى سارتر مع عشيقته الوج

---

(١) انظر كتاب تهافت العلمانية للدكتور عماد الدين خليل ص/٩٢ نقلاً عن كتاب كولن ولسون (سقوط الحضارة) ص ١٧٤-١٧٥، وانظر كتاب المذاهب الوجودية ريجيس جوليفية نزاد كامل.

(٢) انظر كتاب تهافت العلمانية للدكتور عماد الدين خليل ص ١٦٩، وكتاب الغرب راشد الغنوشي ص ٣١ Rashed .

سيمون دي بوفوار ينشران الاباحية والفساد في أرجاء العالم حتى مات قبل ثلاث سنوات. إقرأ إن شئت كتاب "الجنس الثاني" الذي كتبته سيمون سنة ١٩٤٩ الذي ترى فيه أن تاريخ المرأة اختلط بتاريخ الميراث وظل مفهوم الزنا مرتبطاً بمفهوم الملكية فترة طويلة أي أن اسلوب الملكية هو الذي جعل الزنا عيباً محرماً.

وهي ترى أن التربية الدينية هي التي جعلت الفتاة تقر أن الرجل له القوامة عليها والسبق في الكفاءة.

أما الزواج فهو مبدأ فاحش لأنه يقصر التمتع على واحد وأما الجنين في بطن الأم فهي تشمئز منه ولابد من الإجهاض وتقرف من مهنة الأمومة، وكتبت (مذكرات فتاة عاقلة) (شرخ الشباب) (قوة الأشياء) وهي الكتب الثلاثة هي مذكراتها[1].

٧) ليفي بريل ونظريته في الأخلاق.

٨) فولتير وروسو : قال لويس السادس عشر: «ان هذين قوضا أركان فرنسا»

٩) فولتير وديدرو (الموسوعة الفلسفية) : جاء فيها: إن الزنا ليس محرماً وإنه شريعة الطبيعة.

هذه الأسماء التي أبرزها اليهود سواء ما كان منها يهودية النسب أو يهودية العقل والفكر كان لها أثر كبير في تحويل الاتجاه القويم وإخراج الانسان عن إنسانيته ودينه وقيمه. وأختم هذا الفصل بكلمة لهتلر (زعيم ألمانيا) [2].

«ما من فعل يغاير الأخلاق، وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود يد فيها وإن تسعة أعشار المسرحيات واللوحات الفنية التي تروج للاباحية المطلقة وللماركسية الا وهو من صنع اليهود»

## السلطان عبد الحميد يعرقل على اليهود الطريق إلى فلسطين

إن معظم الأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة الاسلامية -العربية خاصة- كانت ترمي إلى الهدف الكبير الذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليهود نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد.

كان أمام اليهود عقبة كأداء لايمكن تجاوزها وهي الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان الصالح عبد الحميد الثاني الذي حكم بين ١٨٧٦ - ١٩٠٩ أي قرابة ثلث قرن أطالت عمر الإسلام هذه الفترة.

حاول اليهود أولاً: اغراء السلطان عبد الحميد، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخلافة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدولة حيث تمكن مدحت باشا -أبو الأحرار كمايسمونه- وبعبارة أدق في نظرنا «أبو الماسونية آنذاك» أقول تمكن أن يخلع خليفتين ويقتل السلطان عبد العزيز عم السلطان عبد الحميد، واشترط على السلطان عبد الحميد قبل أن يأتي إلى الحكم أن يعلن الدستور «أي الدستور العلماني الغربي الذي يتساوى فيه اليهود والنصارى مع المسلمين - وكان السلطان عبد الحميد شخصية داهية ذكية ممتزة بربها فقبل وبعد أن وصل إلى الحكم ألقى القبض على مدحت باشا وأودعه السجن في الطائف وأخيراً قتل مدحت في السجن بطريقة ذكية مما أثار سخط العالم الذي تحركه الماسونية على السلطان عبد الحميد. إلا أن تلاميذ مدحت واصلوا التخطيط للانتقام من السلطان عبد الحميد.

ولنرجع إلى هرتزل الذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ لمقابلة السلطان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القسطنطينية (موسى ليفي) وعرضوا على السلطان عروضاً منها:

١ : إنشاء أسطول عثماني .

٢ : دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.

٣ : مساعدة اليهود للسلطان في تحسين أوضاعه المالية

٤ : إنشاء جامعة عثمانية في القدس.

قال هرتزل «مثلاً لورضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مالكون في فلسطين بالثمن الذي يقدره»

فغضب السلطان وقال :

«إن أراضي الوطن لا تباع، إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع الا بالثمن نفسه» [1]

ولم ييأس هرتزل وقابل السلطان مرة ثانية ١٩٠١ وفي هذه المرة عرضوا على السلطان نفسه ١٥٠ (مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الانجليزية فقال «إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهباً – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية مايزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين»

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قره صو) المحامي اليهودي الماسوني الذي أشرف على محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السلطان صاح في وجه هرتزل «أخرج من وجهي يا سافل» وصاح بالحاجب الذي أدخله قائلا «أما كنت تعلم مايريده هذا الخنزير مني» [2]

فطار هرتزل مع قره صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السلطان.

«ستدفع ثمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك».

يقول هرتزل في مذكراته: «ونصحني السلطان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شبر واحد من أرض فلسطين، إذ هي ليست ملكاً له، بل هي لأمته الإسلامية التي قاتلت من أجلها ورويت التربة بدماء أبنائها .... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين تقتطع من أمبرطوريتي. ثم قال: وفر نقودك يا هرتزل فعندما يذهب عبد الحميد ستأخذون فلسطين مجاناً».

وبعد هذا صمم اليهود على الاطاحة بعبد الحميد وفي سنة ١٩٠٤ فجروا عربة أمام المسجد الذي يصلي فيه السلطان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من الناس [3]

وتكالب الماسون على إقصائه، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدولة أمثال طلعت باشا، أنور باشا –وزير الحربية– أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيراً للنافعة، جمال باشا –حاكم الشام– مصطفى كمال باشا قائد جبهة الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى جاويد باشا (داقيد باشا) – وزير المالية.

حسين جاهد يالشين أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثية (أمريكي وفرنسي وتركي) بين العرب واليهود وأصبح السلطان يحس نفسه يوماً بعد يوم محاطاً برجال اشترتهم الماسونية من خلال جمعية (الاتحاد والترقي) وأصبحت قبضتة تخف تدريجياً حتى استطاعوا أن يجبروه على إعلان الدستور. فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الذي دخله اليهودي والنصراني والمسلم وجاء قره صو إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصراً للنصراني واليهودي في كل الأرض حتى أهدى جورجي زيدان النصراني –دار الهلال– كتاب الانقلاب العثماني إلى الأبطال!!؟ الذين أعلنوا الدستور سنة ١٩٠٨ ثم استطاع الماسون أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت العربي واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قراراً بالاطاحة بالسلطان ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القسطنطينية) بارزة في الأمر، وقدم كتاب الخلع إلى السلطان عبد الحميد ثلاثة.

١ – قره صو

٢ – أرستيدي باشا

٣ – عارف حكمت – أمه كانت خادمة في قصر السلطان فأخذ السلطان ابنها هذا –عارفاً– وأدخله في البحرية حتى أصبح ياوراً في البحرية.

كان إقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة في نيسان سنة ١٩٠٩ وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للاسلام. وفي تلك الليلة التي نزل فيها السلطان عبد الحميد عن سدة الحكم نستطيع القول بأن:

الإسلام الفعلي أزيل من الوجود والشهود وسقطت فلسطين –حقيقة– في يد اليهود يقول أنور باشا –أحد أقطاب الماسون

(١) انظر مكائد يهودية عبر التاريخ لعبد الرحمن حبنكة ص ٢٧٤.

(٢) انظر كتابي: يهود الدونمة، الانقلاب العثماني لكتاب اتراك.

(٣) حقائق عن نشأة الأرمية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

والانقلاب على السلطان عبد الحميد مخاطباً جمال باشا (اتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آلة في يد الصهيونية واستثمرتنا الماسونية العالمية. نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي»

**ويقول برنارد لويس :** (لقد تعاون الاخوة الماسون واليهود سراً على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان معارضاً قوياً لليهود. إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين» [١].

## تركيا بعد السلطان عبد الحميد

سقط السلطان الصالح عبد الحميد بفعل الماسونية اليهودية وأصبحت تركيا تسير من قبل (تركيا الفتاة، الاتحاد والترقي) التي أضحت لعبة بيد الماسونية، فقد كانت القومية التركية التي يدعو إليها حزب الاتحاد والترقي بيد اليهود. وعلى سبيل المثال: ضياء كوك ألب [٢] Ziya Gok Alp ١٨٧٥ – ١٩٢٤ كان رائداً من رواد القومية بل كان أطلق عليه بعد موته (أبو القومية التركية). وقد ظهر ضياء ألب بعد ثورة ١٩٠٨ بين أعضاء الاتحاد والترقي واشترك في مؤتمر سلانيك سنة ١٩٠٩ ونشر مبادئه القومية في مجلة (غنج قلملر) وقد شغل منذ ١٩١٢ كرسي علم الاجتماع في جامعة الأستانة. وكان يدعو إلى القومية الطورانية ومن أشهر قصائدة (طوران) التي يقول فيها:

«إن وطن تركيا ليس هو تركية ولا تركستان بل وطننا بلاد عظيمة خالدة هي طوران» ونشر ديوانه تحت عنوان (قزل ألما) من أبرز الذين تأثر بهم ضياء كوك ألب هم دوركايم – عالم الاجتماع اليهودي وأستاذه الآخر الذي تتلمذ على يديه وتربى على عينه هو (مويز تاكين ألب).

(مويز تكين ألب (Moiz Tekin Alp) وقد استلهم منه فكرة القومية وكتب عدة كتب عن القومية والعلمانية وكان يساهم في كتابة المقالات اليومية في جريدة (الجمهورية (Cumhuriyet) وهذه الجريدة كانت تملكها أسرة من (يهود الدونمة). وكثير من الضباط الذين تدربوا في الأكاديميات العسكرية العلمانية رجعوا يحملون فكرة القومية التي استلهموها من الألمان النازيين منهم واليهود. وتدفقت الهجرات اليهودية إلى فلسطين.

وهكذا توالت النكبات على تركيا، الخلافة ضعيفة تلعب بها جمعية الاتحاد والترقي –الدعاة القوميون- وهؤلاء علمانيون لا متدينون، المحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم. الديون تتراكم. ومن وراء ذلك كله الأصابع اليهودية التي صممت الاطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

## ودخلت تركيا الحرب العالمية الأولى

قامت الحرب العالمية بين سنة ١٩١٤ – ١٩١٨ فقد أوهم اليهود بريطانيا أنهم سيرثون مستعمرات ألمانيا بعد هزيمتها.

يقول هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية) [٣] «نحن اليهود حينما نغرق نتحول إلى عناصر ثورية مخربة، وحينما ننهض، تنهض معنا قوتنا الرهيبة لجمع المال العالمي في بنك اليهود»

ويقول ماركوس رافاج الروماني [٤] (نحن اليهود نقف من وراء جميع حروبكم، وان الحرب الأولى قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم) [٥]

وقال أوسكاريلفي (العناصر اليهودية أساس الرأسمالية والشيوعية)

وقال هذي فورد «إن الطرف الذي استفاد من الحروب دائماً هم اليهود العالميون» [٦] وعليه فقد استطاع اليهود من خلال وزرائهم في الحكومة البريطانية وبضغط أموال آل روتشيلد أن يتسببوا بالحربين العالميتين.

أما الحرب الأولى فقد دفع اليهود إليها بريطانيا ثم زجوا في أتونها أمريكا وذلك بتأثير مستشاري الرئيس الأمريكي (ولسن)

(١) عبد الرحمن حبنكة في كتابه مكائد يهودية ص ٢٧٤ نقلاً عن كتاب تركيا الحديثة لبرنارد لويس.

(٢) انظر كتاب أبي الحسن الندوي ( الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ) فقد تكلم عن ضياء كوك ألب باسهاب. وانظر الموسوعة الإسلامية ١٥ / ٢٣

وهم من اليهود، فقد كان (باروخ) مستشاراً للشؤون الاقتصادية ومورجانتو للمالية وماندل: للشؤون السياسية وايمان للقانون الدولي.

وقد جرت محاولات جادة لا يقاف الحرب، ولكن اليهود هم الذين أبقوا الحرب مستمرة فشركة (مورجان) أقنعت الجنرالا الفرنسيين بعدم توقيع الهدنة، وذلك لأن أصحاب الملايين قد أصبح عددهم في سنتي ١٩١٧ - ١٩١٨ واحداً وعشرين ألفاً [١].

وحاول السفير الأمريكي في تركيا أن يخرج تركيا من الحرب واستطاع (مورجانتو) السفير الأمريكي لدى تركيا أن يقن الرئيس ولسن بضرورة إخراج تركيا من الحرب وعقد صلح منفرد مع بريطانيا وحلفائها ووافق ولسن وأوفد مورجانتو مع الأموا لاتمام المشروع وعندما علم اليهود جن جنونهم وأفدوا (وايزمن) الذي أقنع مورجانتو وعدل عن المشروع.

**وكانت النتيجة :**

أن أمريكا في الفترة القصير التي اشتركت فيها بالحرب بين ٧ نيسان ١٩١٧ حتى ١١ نوفمبر ١٩١٨ دفعت أمريكا في هذ الفترة ٩.٥ مليار دولار معونة للحلفاء وأنفقت على قواتها ٢٢.٦٢٥ مليار دولار.

**أما تكاليف الحرب وخسائرها:**

- تكاليف الحرب ٢٠٨ مليار دولار
- خسائر الحرب ١٥١ مليار دولار
- عدد القتلى ٩.٩٩٨.٧٧١
- عدد الجرحى ذوي الاصابات الخطيرة ٦.٢٩٥.٥١٢
- عدد الجرحي ذوي الاصبات العادية ١٤.٠٠٢.٠٣٩
- عدد أسرى الحرب والمفقودين ٥.٩٨٣.٦٠٠
- عدد ضحايا الحرب* الاسبانية ١٠.٠٠٠.٠٠٠
- مجموع القتلى والمصابين ٤٦.٢٧٩.٩٢٢ [٢]

هذه الخسائر التي تكبدها العالم بالأرواح والأموال إشباعاً لجشع اليهود وارواء لغليل حقدهم على البشرية، من أجل أ ينتقموا من الجوييم (الأمميين)، ويبيعوا السلاح المكدس في المخازن بأسعار خيالية لتمتلئ بطونهم من دماء البشرية وعرقها وصد الله العظيم: **(وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون)** [٣] **(ولتجدنهم أحرص النا على حياة)** [٤].

وتحقق حلم اليهود -الذي طالما راود خيالهم- وهو تحطيم العملاق الشامخ -تركيا- وسحقها والوصول إلى فلسطين.

## مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة

وخرجت تركيا محطمة من الحرب الأولى وتقاسمت الدول الكبرى ورثة الرجل المريض؟؟ كما كانوا يطلقون على ترك واستراحت أوروبا من هذا الغول الرهيب الذي كان يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمتة في جبهته في الشرق العربي وبرزت شخصيته كقائد عسكري من خلال بعض الاشتباكا العسكرية مع اليونان وخاصة بعد معركة (سقاريا) التي خلص فيها مقاطعة من اليونان وجاء بعدها إلى البرلمان التركي يطلب مليو ليرة تركي مقابل النصر وانطلقت الأقلام لتبرز مصطفى كمال فقال أحمد شوقي:

*الله أكبر كم في الفتح من عجب — يا خالد الترك جدد خالد العرب*

وهناك بعض المحللين التاريخيين والسياسيين يرون أن سكوت دول الحلفاء الثلاث التي كانت تعسكر قواتها على مقربة أرض المعركة كان لقطة وهي إبراز مصطفى كمال من أجل الدور الذي ينتظره وهو محاربة الإسلام واسقاط الخلافة.

(١) المصدر السابق (٢) كتاب عبد الله التل (الافعى اليهودية في معاقل الإسلام) (٣) سورة المائدة آية ٦٢ (٤) سورة البقرة آية ٩٦ * في الأصل مشطوبة

وفي بداية السبعينات شكل (نجم الدين أربكان) حزباً اسلامياً باسم (حزب النظام الوطني) وبدأ هذا الحزب ينمو. بعد سنتين أو ثلاثة اعتقل أربكان وحوكم بتهمة خرق مبادئ أتاتورك وحلّ حزبه فقام أحد أتباعه وشكل حزباً آخر باسم (حزب السلامة) واستطاع خلال أقل من خمس سنوات أن يحرز (٥٢) مقعداً في مجلس النواب التركي ولم يستطع أجاويد زعيم حزب الشعب أن يشكل الوزارة وأن يحوز على ثلثي الأصوات فاضطر لعمل ائتلاف وزاري مع حزب السلامة وأدخل الحزب (٨) وزراء وكان أربكان نائبا (لاجاويد) رئيس الوزراء، وقد اتخذ أربكان القرار التاريخي بإدخال الجيش التركي لاحتلال قبرص -وكان أجاويد مسافراً- واحتل الجيش التركي نصف قبرص في يوم وهرعت اوربا للخبر وعاد أجاويد ليوقف الجيش التركي.

وفي سنة ١٩٨٠ عقد (أربكان) مؤتمر (قونية) الذي حضره قرابة مائة ألف من الحزب ونادى الجمهور بهتافات تندد باليهود وأعوانهم، وأعلنوا سخريتهم بالكمالية. وخافت أمريكا في هذه المرة كثيراً وأقامت انقلابها على يد (كنعان ايفرين) الذي أعلن أنه جاء للمحافظة على الخط الكمالي واعتقل أربكان وأجاويد وديميرل. ولكن المقصود بالانقلاب هو إنهاء حزب السلامة وسجن أربكان ولازال أربكان رهن المحاكمة حتى الآن. وأما عمل الحكومة العسكرية الجديدة فيقتصر على (نحت الآف التماثيل) لمصطفى كمال وتوزيعها على مفارق الطرق و نواحي الشوارع، ووضعت الحكومة نصب أعينها أعضاء حزب السلامة فنقلت جميع أعضاء هيئة التدريس الإسلاميين المنتسبين إلى حزب السلامة في أكاديمية حقاريا، وأصدرت الحكومة قراراً بمنع دخول أعضاء هيئة التدريس في الجامعات التركية والأكاديميات إلا بعد أن يحلقوا لحاهم وفصل من تمسك باللحية من الجامعة[1].

وأصدرت الحكومة قراراً آخر بمنع الحجاب (اللباس الشرعي) في السابع من ديسمبر سنة ١٩٨١م ويسري قرار المنع على جميع المدارس الإعدادية والثانوية -بما فيها المدارس الدينية ومدارس تخريج الواعظات ومدرسات الدين- وعلى الجامعات بما فيها الكليات الإلهية (الشريعة) وأفتى رئيس الشئون الدينية التركية (طيار ألتي قولاج) أن الشعر ليس بعورة [2].

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن تركيا تحارب الإسلام في الوقت الذي تمر فيه بأزمة اقتصادية خانقة وقد هددها صندوق النقد الدولي باعلان افلاسها لولا أن تدخلت بعض الدول البترولية العربية وأنقذت سمعتها ببعض النقود.

## حالة العالم الإسلامي بعد منتصف القرن التاسع عشر

كان العالم الإسلامي في النصف الأول من القرن العشرين نائماً في سبات عميق مستسلماً للذل قد استمرأ السياط التي بيد جلاديه يلهب ظهره، ويصفهم محمود حسن اسماعيل بقصيدة:

من هؤلاء التائهون    الخابطون على التخوم
أعشى خطى أبصارهم    رهج الزوابع والغيوم
فإذا غفوا فعلى مواطئ    كل جبار غشوم
وإذا صحوا فعلى خطى    للذل خاشعة الرسوم
من هؤلاء التائهون    أفهؤلاء المسلمون؟
أبداً تكذبني وترجمني    الحقائق والظنون

**وقد اتفق الغرب الذي يقبض بخناق العالم الإسلامي على أمرين:-**

١) أن لا تقوم للإسلام قائمة

٢) أن تقوم دولة اليهود في فلسطين

والعالم الإسلامي قسمان:

١- العالم الإسلامي العربي

٢ - العالم الإسلامي غير العربي

## العالم الإسلامي العربي

محمد علي وعن طريق صنائعهم فيها، وكانت الأردن والعراق وفلسطين تحت وطأة الاحتلال البريطاني كذلك، ولم يكن حالها أحسن من حال سابقتها مصر

وأما فرنسا: فكانت تتحكم بسوريا ولبنان والشمال الافريقي حيث صممت أن تحول الشمال الافريقي إلى ماخور كبير من مواخير باريس من تونس حتى طنجة وفرضت اللغة الفرنسية وأخرجت الظهير البربري (القانون البربري) في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانون الأحوال الشخصية البربرية بدل الشريعة الإسلامية وذلك للتفريق بين العرب والبربر وتحويل البلاد إلى ساحة نزاع عرقي وسلخ المسلمين عن دينهم (١).

وفي نفس الوقت أثار سعيد عقل ويوسف السودا وفيكتور خلاط بثيرون شبح الفنيقية وإحياء أسماء هانيبال وصناعة حزب القوميين السوريين وإعلان أن لبنان لا ينتمي إلى العرب بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط.

وفي مصر: يثير سلامة موسى وطه حسين الفرعونية حيث يعلن طه حسين: (٢) أنه لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت اسلامي خاصة بعد اكتشاف توت عنخ آمون وبعد أن حل شامبليون حجر رزويتا.

وأعلن طه حسين في مستقبل الحضارة في مصر: أن مصر جزء من حضارة البحر المتوسط (الأوروبية) وليست عربية فهي أقرب إلى حضارة إيطاليا وفرنسا واليونان منها إلى جزيرة العرب. ويجب تقليد الأوروبيين في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وحياتهم.

وأما فلسطين: فهي تحت إدارة المندوب السامي اليهودي -هربرت صموئيل- الذي يمهد لاقامة دولة اليهود فيها. ولذا فإنه يغرق المدن الكبرى بالمسارح والسينما والأندية الليلية بالاضافة إلى التحكم بالمناهج المدرسية العلمانية وإقصاء التربية الاسلامية والتاريخ الإسلامي عن الحياة المدرسية والصحافة والاذاعة بأيديهم.

النصيريون في سوريا(٣) : فكانت فرنسا بالاضافة إلى ما تقدم من وسائل بريطانيا في عملية التغيير فقد كانت ترعى طائفة النصيريين الذين سمتهم العلويين ليختلط أمرهم لدى المسلمين وهذه الطائفة كانوا قد اتخذوا إلها وهو سليمان المرشد وقد كان راعياً البقر واتخذ رسولاً اسمه (سليمان الميدة) كان يعمل راعيا للجمال، وسليمان المرشد هذا من قرية (جوبا برغال) شرقي اللاذقية، رفعه الفرنسيون وكان المستشار الفرنسي يسجد له، واتخذ ثوباً في داخله أزرار كهربائية تضئ فيسجد أتباعه، وجعل الفرنسيون نظاماً خاصاً للعلويين وإدارة أدارها سليمان المرشد وعين قضاة ودرب فدائيين وكان نائباً عن النصيريين في مجلس النواب، وقد ترك له الفرنسيون أسلحة بعد جلائهم فأعلن العصيان فأعدم سنة ١٩٤٦ وبعد إعدام سليمان المرشد ألهوا إبنه مجيب المرشد وبعد أن قتل المجيب ظلوا يذبحون على اسمه ويقولون (باسم المجيب أكبر من يدي إلى رقبة أبي بكر وعمر) والآن تؤله النصيرية إبن سليمان المرشد واسمه (ساجي) وقد خرجت مظاهرة سنة ١٩٨٠ تقول (لا إله إلا ساجي) والنصيريون يقولون بقدم العالم واستحلال الخمر وتناسخ الأرواح وإنكار البعث والنشور.

والصلوات الخمس عندهم: عبارة عن خمسة أشياء: علي، حسن، حسين، محسن(٤) وفاطمة وذكر هذه الأسماء الخمسة يغني عن الطهارة من الجنابة والحدث

الصيام عندهم: اسم ثلاثين رجلاً وثلاثين إمرأة(٥)

إلههم الذي خلق السموات والأرض: علي بن أبي طالب.

فعلي بن أبي طالب هو الرب ويسمونه (المعنى) ويرمز إليه بالحرف -ع-

ومحمد ﴿ﷺ﴾ هو الاسم ويسمونه (الحجاب) ويرمز إليه بالحرف -م-

وسلمان هو الباب ويرمز إليه بالحرف -س-

---

(١) الحركة الفكرية ضد الإسلام للدكتور بركات دويدار ص/١٨٠ فما بعدها.      (٢) انظر كتاب طه حسين لأنور الجندي.

(٣) في الأصل الأول مكتوب أما في سوريا والأصل الثاني مكتوب النصيريون في سوريا.

(٤) محسن: يقول الشيعة هذا اسم جنين أجهضته السيدة فاطمة الزهراء وحملوا تبعة الاجهاض عمر بن الخطاب (رض) فيدعون أنه فتح باب علي وكان يعلم أن فاطمة وراء الباب فكسر ضلعها واجهض جنينها ولذلك يقولون عن فاطمة (ذات الضلع المكسور).

(٥) انظر الفتاوى لابن تيمية جـ ٣٥/١٤٥.

* ملاحظة: هوامش هذه الصفحة موجودة في الأصل الثاني

فهم يقولون: إن الله عزوجل قد ظهر عدة مرات في صور البشر [1].

**نقد ظهر في صور:** هابيل وشيث ويوسف ويوشع وآصف وشمعون وعلي أي أن الله -عزوجل- قد تجلى في المرة الأخيرة تعالى الله عمايقولون علوا كبيراً -في صورة علي بن أبي طالب ومن أدعيتهم (يامولاي، يا علي، يا نور الأنوار، يارب الأسرار يا عزيز يا غفار، يا واحد يا قهار) فعلي إله خلق محمداً ومحمد خلق سلمان الفارسي، وسلمان الفارسي خلق الأيتام الخمسة (الملائكة الخمسة) الذين يديرون الكون وهم:

أبوذر الغفاري، عبد الله بن رواحة، قنبر بن كاران (خادم علي رضي الله عنه.) المقداد بن الأسود، وعثمان بن مظعون.

وقد مزجوا دينهم بالنصرانية والمجوسية فلهم أعياد مع المجوس كالنيروز وأعياد مع النصارى: مثل عيد الصليب والبربارا.

**ولقد اتفق علماء أهل السنة بالإجماع على تكفير النصيريين:** فلاتؤكل ذبائحهم ولاتنكح نساؤهم ولا يغسلون ولايقبرون في مقابر المسلمين ولا يصلى عليهم.

**وأما عمالتهم لفرنسا:** فهي من سلسلة عمالتهم للصليبيين والتتار ضد المسلمين جاء في وثيقة رقم ٣٥٤٧ بتاريخ ١٩٤٦/٦/١٥ في سجل وزارة الخارجية الفرنسية (هذه الوثيقة وقعها سليمان الأسد (جد حافظ الأسد)، ومحمد الأحمد إلى دولة ليون بلوم رئيس حكومة فرنسا ... جاء فيها الشعب العلوي يرفض أن يلحق بسوريا المسلمة .... وسوف يصبح الشعب العلوي بعد الغاء الانتداب معرضاً للموت والفناء ... إننا نطلب بقاء حكومة فرنسا ضماناً لحريته واستقلاله ويضع بين يديها مصيره ومستقبله ... إننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم بعدم إرسال المواد الغذائية لاخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين، وان هؤلاء اليهود الطيبين الذين جاءوا إلى العرب بالحضارة والسلام .... أعلن المسلمون ضدهم الحرب المقدسة) وقد أفتى علماء الشيعة الامامية بكفر النصيريين

فقد نقل سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي في كتابه (المقالات والفرق) ص ١٠٠ - ١٠١ عن كتاب الرجال للطوسي ط ١ ص ٤٣١

أن محمد بن نصير النميري كان يدعي أنه نبي ويغلو في علي فيقول فيه بالربوبية وجاء نفس النص عن أبيّ محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتابه فرق الشيعة ص ٧٨ وكذلك قال أبو جعفر الطوسي في كتابه (الغيبة) ص ٢٤٤ ط ٢ / النعمان النجف بكفر محمد بن نصير النميري وإلحاده.

وكذلك كفر النصيرية من علماء الشيعة أبو طالب الانباري[2].

## تعاون النصيريين مع اليهود والتبشير بمقدمهم:

نشرت مجلة المجتمع الكويتية في عددها ٣٠٥ تاريخ ١٩٧٦/٦/١٥م

التقاء الأعورين (يظهر من الجنوب وحيد العين الذي يكون مجتمعابه حدث الميم وقدم الدال ويكون وارد الوقت وحيد العين قد ظهرت إعلان الخضراء من الشرق راكباً الميمون وبيده ذوالفقار المسنون فيطهر البلاد ويقضي على الفساد وينصب الخيام على العاصي وينهى الناس عن المعاصي ويطعم الجائع.

في تلك السنة يكون صاحب حدث الميم وقدم الدال قد وصلت راياته إلى دمشق واتجهت جيوشه نحو الشمال لتلتقي مع جيوش وارد الوقت وحيد العين متلألا الأنوار وتظهر الأظلة والأشباح والأيتام من خلف القباب لتؤدي الطاعة إلى وارد الوقت سيدنا وحيد العين. ويدوم العز في رؤس الجبال مدة (٧٠) سنة بالتقريب تكون كلمة وارد الوقت وحيد العين هي السائدة بخدمة وحيد العين صاحب حدث الميم وقدم الدال)[3].

وفي سنة ١٩٦٧ كان قسم منهم يفسر (حدث الميم وقدم الدال) بموسى دايان ولذلك فقد أعلنوا سقوط القنيطرة قبل بضعة

(١) انظر الباكورة السليمانية، وإسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ص ٣٢١ - ٣٢٨ الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٣٤ والجذور التاريخية للنصيرية العلوية / الحسيني عبد ا...

(٢) انظر فتاوى علماء الشيعة بالطائفة النصيرية / عبد المهدي الحسين.

عشر ساعة من سقوطها.

يقول سامي الجندي البعثي: كم كان مخزياً أن مندوب سوريا يعلن على تلفاز الأمم المتحدة سقوط القنيطرة والمندوب الإسرائيلي ينفي وصول القوات الإسرائيلية إليها(١).

يقول الشيخ عبد الرحمن خ أحد علماء النصيرية في رسالة طويلة وجهها في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٨٨هـ إلى أبناء الطائفة النصيرية -بعد أن تاب ورجع- يدعوهم إلى فتح أبصارهم على الضلال والكفر الذي يغرقون فيه وبعد أن ساق الرسالة السابقة قال: «وأبو شعيب يفسرونه !! (الأصح يفسره) مشايخنا اليوم موشي دايان -حدث الميم وقدم الدال»(٢).

(ولهذا السبب تنازل المقدم جديد (صلاح جديد - حاكم سوريا سنة ١٩٦٧) عن جنوب سوريا لوحيد العين حدث الميم وقدم الدال تسهيلاً لالتقاء الأعورين على نهر المصاحي حيث سيدوم ملكهما سبعين سنة)(٣) ولا ننسى أن وزير الدفاع -آنذاك- كان حافظ الأسد.

# ملخص فتوى ابن تيمية بالنصيريين

## مجموع الفتاوى جـ ٣٥ ص ١٤٥

١- النصيريين وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل أكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد ﴿ﷺ﴾ أعظم من ضرر الكفار المحاربين أمثال التتار والفرنج وغيرهم.

**٢- لا يؤمنون بالله ولا برسله ولا بكتابه ولا بالشرائع.**

**٣- لهم في معاداة المسلمين مراتع مشهورة،** قتلوا الحجاج وألقوهم في زمزم وسرقوا الحجر الأسود، استولى النصارى (الصليبيون) على الساحل والقدس بسببهم، ودخل التتار بغداد بمؤازرتهم بسبب وزيرهم النصير الطوسي.

**٤- ذبائحهم ونساؤهم:** لا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ولا يتزوج امرأة منهم، ولا تباح ذبائحهم.

**٥- أوانيهم وملابسهم:** كالمجوس لاتستعمل إلا بعد غسلها.

**٦- لا يصلى عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين.**

**٧- استخدامهم في الثغور:** من الكبائر كمن يستخدم الذئب في رعي الغنم والواجب على ولاة المسلمين قطعهم من الدواوين فلا يستعملون لا في الثغور ولا غيرها.

**٨- لا يمكنون من حمل السلاح ولا أن يكونوا من المقاتلة.**

**٩- جهادهم:** ان جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم ( حد الردة) من أعظم الطاعات واكبر الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين فإن الصحابة (رض) بدأوا بالمرتدين قبل كفار أهل الكتاب.

# بقية المسلمين في العالم الإسلامي

أما عن المسلمين في بقية العالم الإسلامي فحدث عنهم ولا حرج، فزيادة عن الجهل المطبق الذي يتضور فيه غالبية المسلمين شجعت الدول الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا الطرق الصوفية المنحرفة التي لا تفهم من الإسلام إلا العزلة السلبية والصبر على الإستعمار لأنه ابتلاء من الله وكذلك التمسح بالقبور وإقامة الأضرحة ورفع الرايات فوقها من أجل التبريكات واشغال الشعب بعيد ميلاد المشايخ وحماتهم وتتويجهم ثم الدعوات حول قبورهم والحلف بأسمائهم وإهداء الزهور على أنصبتهم.

وزيادة على هذا فقد ابتدعت نبرات جديدة وظيفتها إلغاء الجهاد والولاء لبريطانيا

---

(١) كتاب البعث / سامي الجندي ـ وسامي الجندي: أحد أقطاب البعث.

(٢) مجتمع الكرامية ص ٧٤.

(٣) انظر كتاب مجتمع الكرامية ص ٧٤ وأما الوثيقة فهي موجودة في كتاب الاسوس (من كتب النصيريين) ص ٢١٣.

١) **ففي الهند:** أبرزت (ميرزا غلام أحمد) القادياني[1] وهذا المتنبئ ولد سنة ١٨٤٠ في قاديان/ مديرية كرداسبور وأصيب في شبابه بالهستيريا وبالبول السكري وفي سنة ١٨٨٤ أعلن حرمة الجهاد ضد الانجليز في كتابه (براهين أحمدية).

وفي المرحلة الثانية: أعلن تشبهه بالمسيح سنة ١٨٩١ وأصدر ثلاثة كتب (فتح الإسلام، توضيح مرام، إزالة أوهام)

وقال: انه هو المسيح الموعود.

وفي المرحلة الثالثة: أعلن أنه نبي سنة ١٩٠٠ وقد ادعى أن الله جمع له كل الأنبياء في شخصه (لقد أراد الله أن يتمثل جميع الانبياء والمرسلين في شخص واحد وأنني ذلك الرجل) (وآتاني مالم يؤت أحداً من العالمين) .

قال بشير محمود (إن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل)

ولقد تبعه الكثيرون ليبايعوه على الولاء لبريطانيا.

يقول محمود أحمد خليفة ميرزا غلام أحمد في (هدية لسمو الأمير ويلز نجل جورج الخامس سنة١٩٢١ (أنا أرحب بك وأؤكد لك أن الجماعة الأحمدية وفية لبريطانيا وستبقى وفية -إن شاء الله- وإن منهج هذه الجماعة منذ تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة- بريطانيا وهذا شرط البيعة فيها.

وحينما دخلت بريطانيا العراق وقف خليفة -ميرزا- وقال أنا مهدي وبريطانيا سيفي، ونحن نبتهج لهذا الفتح ونريد أن نرى لمعان هذا السيف وبرقه في العراق وفي الشام وفي كل مكان، وان الله أنزل ملائكة لتأيد هذه الحكومة -بريطانيا-) [2].

وفي ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨ مات النبي الكذاب (الميرزا) -في بيت الخلاء- بعد أن قام بينه وبين العالم الهندي الشهير (ثناء الله الأمر تسري) مساجلة سنة ١٩٠٧ وقال الكذاب القادياني) إن الكاذب المفتري -مني ومنك- سيموت في حياة صاحبه فمات القادياني بعد سنة، وصدق الله العظيم (**إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ...)[3] روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: كان المستفتح أبو جهل فإنه قال: -حين التقى القوم- أينا كان أقطع للرحم وأتى بما لا يعرف فاحنه (أهلكه) الغداة -غداً-) [4] فرد الله عليه وأجاب دعاءه وقتله وهزم قريشاً وأنزل (**إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**).

هلك القادياني بعد أن خلف وراءه الملايين الذين يتبناهم الغرب ويقيمون لهم المراكز في أوربا وأمريكا وينشرون الديانة الجديدة القاديانية، ولازال قبر القادياني محجاً لهذه الملايين بحيث يقول خلفاءه إن الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء في (القاديان) له نصيب من البركات التي تختص بالقبة الخضراء في المدينة)

(والحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف لأن الحج اليوم إلى مكة لا يؤدي رسالته) (ومن دخله كان -آمنا- (مسجد قاديان) وهو المسجد الأقصى عندهم.

ولقد كان (نهرو) رئيس وزراء الهند يؤيدهم ويدعمهم ليشقوا صفوف المسلمين [5].

تفريق المسلمين وتمزيق صفهم، وإذلالهم، واصطناع العبيد هذا هدف بريطانيا.

ولقد كان الجندي البريطاني عندما يريد أن يعلو صهوة جواده يقبل هندي من بعيد ويركع بجانب الجواد ليطأ على ظهره ويركب الحصان، بدلاً من أن يضع رجله في ركاب السرج ويصعد يطأ على ظهر الهندي.

جاء في كتاب (ترياق القلوب) لميرزا غلام أحمد القادياني ص ١٥ رسالة موجهة إلى حاكم البنجاب الانجليزي مايلي:

«لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الانجليز من الكتب والنشرات مالو جمع بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل)[6] .

---

(١) انظر كتاب القاديانية لأبي الحسن الندوي والقاديانية لاحسان ظهير إلهي. (٢) كتاب القاديانية لاحسان ظهير الهي ص/٣١. (٣) الانفال ١٩.

# البابية والبهائية في ايران

هذا دين آخر رعته بريطانيا وحرصت على نشره روسيا من أجل تمييع العقيدة الإسلامية.

فالبابية : مؤسسها شيعي يدعى (ميرزا علي محمد الشيرازي سنة ١٢٣٥ - ١٢٦٥ هـ) سنة ١٨٢١ - ١٨٥٠م كانت تعتريه نوبات عصبية أثناء فترة شبابه فقد كان يجلس في الشمس في بلده (بوشهر) عدة ساعات وهو عاري الرأس في الشمس المحرقة.

**مهّد لظهوره رجلان:**

١) الأول: أحمد الاحسائي: لا يعرف له نسب ويظن أنه راهب كان في أندونسيا ثم في روسيا ثم دخل ايران.

٢) الثاني: كاظم الرشتي وقد تتلمذ الباب (ميرزا علي محمد) على يد كاظم الرشتي وكان كاظم يقول: إن الباب بينكم وسيظهر قريبا وفي سنة ١٢٦٠ مات كاظم الرشتي وظهر الباب الذي اشتق اسمه من الحديث الموضوع (أنا مدينة العلم وعلي بابها).

ادعى النبوة أولاً وكتب كتابه البيان وقسمه تسعة عشر قسماً قال في القسم الأول من الكتاب (لقد خلقتك ورزقتك و... وبعثتك وقال: (إني أفضل من محمد وقرآني أفضل من قرآن محمد)

ثم ادعى أنه المظهر لله (... فإنه لا يرى فيّ إلا الله) [1]

ثم إن تلميذه البهاء الذي اسس البهائية قال عن الباب (لقد أصدر حضرة الرب الأعلى توقيعاً خاصاً لجميع علماء البلد) ومن الواجبات التي ألقاها الباب على أتباعه أن يقرأ كل يوم (١٩) فقرة من البيان وذلك لأن العدد ١٩ عندهم مقدس ولابد أن يذكر الله ك يوم ٣٦١ مرة وأما حجهم فهو زيارة البيت الذي ولد فيه البهاء.

وفي سنة ١٨٤٨ أي سنة ١٢٦٤ هـ عقد مؤتمر بدشت للبابية وأعلنت فيه (رزين تاج: قرة العين وفرح الفؤاد) نسخ الشريعة الإسلامية بالبابية وكان الذي يوجه هذه المرأة (رزين تاج) هو التلميذ المرشح لادعاء الألوهية وهو البهاء (حسين بن علي المازندراني وكانت فائقة الجمال شديدة الذكاء [2] ثم أعدم الباب سنة ١٢٦٥ هـ وتفرقت جماعته إلى فرق:-

١ - **فرقة إلى مازندران:** مع القدوس (محمد علي)

٢ - **فرقة إلى خراسان:** مع الأبواب (ملاّ حسين البشروئي)

٣ - **فرقة إلى طهران :** مع البهاء

**ولايفوتنا أن ننبه أن النواة الأولى لأتباع الباب كان لليهود فيها [3] عدد كبير: منهم:**

١٥٠ يهوديا من طهران، ١٠٠ يهودي من همدان، ٨٥ يهودياً من كلباكيان، ٥٠ يهودياً من كاشان، وقد كان قسم من أعضاء السفارة الروسية في طهران منحصراً في تهيئة الألواح وتنظيم أعمال البابية.

**البهائية:** سميت هذه النحلة بالبهائية لأن مؤسسها (حسين) كان يدعى أن بهاء الله في وجهه وكان يغطي وجهه فعندما علم الباب أنه سيعدم جمع مكتوباته وخاتمه وأقلامه في جعبة وأرسلها مع مفتاحها بصحبة شخص اسمه ملا باقر ليسلمها إلى ملا عبد الكريم القزويني في مدينة (قم) وهذا أوصلها إلى ميرزا حسين علي المازندراني (البهاء) سنة ١٨١٧ - ١٨٩٢ وهذا حسين (البهاء) له ستة أخوة أحدهم يحيى الذي لقبه الباب صبح أزل وقد كان البهاء متصوفاً في بداية الأمر ثم إنضم (حسين ويحيى) إلى البابية فنفتهما الحكومة إلى بغداد ثم أدرنه ثم نفي حسين (البهاء) إلى عكا وأخوه إلى قبرص حتى هلك البهاء في عكا سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢)م فخلفه ابنه عباس (عبد البهاء).

**وقد مرت دعوة البهاء بثلاثة أطوار:**

١) الأول: ادعى أنه عيسى عليه السلام.

٢) ثم ادعى النبوة ،

---

(١) انظر حقيقة البابية والبهائية ص ٦٢ ومفتاح باب الابواب ص ٣٧ وانظر كتاب البيان المطبوع مع كتاب خفايا الطائفة البهائية ص ٤٩ وانظر كتاب تهافت البابية ٤٢ - ٤٣ نقلاً مفتاح باب الابواب ١١٢ ومقالة سائح في البابية والبهائية ص ٣

(٢) انظر البابية لاحسان ظهيري ص ٢٠ (٣) الغزو الفكري عبد الصبور مرزوق ص ٨٧.

٣) ثم ادعى الألوهية [١].

وقد كتب البهاء كتبا منها:

(١) الأقدس. (٢) الايقان (٣) اشراقات تجليات (٤) كلمات مكنونة.

وكانت الأصابع المعادية للإسلام هي التي تحرك البهاء. فعندما سجن في ايران تدخلت روسيا وبريطانيا لا خراجه من السجن ونفي إلى بغداد وكان يبشر بقدوم الطوائف اليهودية إلى فلسطين ويدعو إلى توحيد الأديان الثلاثة في ديانة موسى عليه السلام.

وهذه الطائفة لم تستطع الحياة في الشرق فاتجهت إلى أوربا وأمريكا كأختها القاديانية ولهذا فأكثر أتباعها الآن في أوربا فلها مراكز في فرنسا وإنجلترا وألمانيا وأمريكا [٢].

## مدرسة مد الجسور نحو الغرب

لقد أشرنا أكثر من مرة أن الغرب اثر أن لا يستعمل القوة إلا في حالات الضرورة القصوى لأنه أدرك أن بامكانه أن يصنع من خلال ربائبه من أبناء البلد أضعاف ما تحققه جنده وأساطيله الجوية والبحرية.

ولقد رأى الانجليز -بالذات- أن من أفضل الطرق لضرب جذوره في أرض المسلمين هو إقامة مدارس تقوم بردم الهوة بين الغرب المشرك والشرق المسلم بتميع الحواجز وإزالة الفواصل وتقريب الشقة بين الإيمان الناصع والكفر الصريح بتلبيس الأمور واختلاط الشارات وهدم الفوارق بين المسلمين والكافرين.

ومن هذه المدارس:-

١ - مدرسة محمد عبده في مصر.

٢ - مدرسة أحمد خان وعلى طريقه وحيد الدين خان

### مدرسة محمد عبده في مصر:

يختلف المفسرون لأحداث التاريخ حول شخصية محمد عبده وفي تحليل مواقفه السياسية وصلته بالاحتلال البريطاني.

أ) فمنهم من يغالي في رفعه وإعلاء شأنه ويرى فيه المصلح الذي أيقظ مصر من سباتها العميق ولقد اجتهد أقصى ما يستطيع بذله في سبيل اصلاح الازهر، وهزّ العقليات القديمة حتى تنتبه إلى دورها المأمول في سبيل نهوض بلدها والقيام بما يجب عليها. وكان لابد أن يعترف أنه لا يستطيع مواجهة بريطانيا فاضطر إلى مهادنتها من أجل حماية الأوقاف الإسلامية والقيام بالاصلاح الجذري للأزهر ولنفوس العلماء وعلى رأس هؤلاء المدافعين: محمد رشيد رضا، ومحمد البهي

ب) ومنهم من يرى أن محمد عبده قام بدور في خدمة بريطانيا أكثر من العلمانيين الواضحين كلطفي السيد وعبد العزيز فهمي.

وذلك لأنه قام بمد الجسور بين النفسية المصرية الإسلامية والنفسية الانجليزية الصليبية الحاقدة، واستطاع أن يقنع الكثيرين أنه لابد من التعاون مع بريطانيا.

ومن أصحاب هذا الرأي محمد محمد حسين وأنور الجندي وقبلهم كان الشيخ عليش شيخ الجامع الأزهر الذي وصل به الأمر هو وبعض أتباعه إلى تكفير الشيخ محمد عبده.

ومهمايكن من أمر فهنالك قضايا كبرى لا نستطيع تجاهلها في حياة محمد عبده، منها:

١) دخوله الماسونية وقد أثبت هذا تلميذه الوفي محمد رشيد رضا في كتابه تاريخ الأستاذ الإمام وأنه نال وسام الصدف

---

(١) أنظر مفتاح باب الأبواب ص ٢٨٦ وحقيقة البابية والبهائية ص ١٥٣ والبهائية لمحب الدين الخطيب وتهافت البابية والبهائية ص ٩٤ والبهائية سراب ص ٢٣ وخفايا الطائفة البهائية ص ١٠١. ودائرة المعارف الإسلامية ٤/٢٤١

والبلح من الملحق الثقافي الأمريكي في المحفل الماسوني اللبناني [١].

والذين يحسنون الظن بالشيخ محمد عبده يقولون: لم تكن الماسونية واضحة أنها العوبة بيد اليهودية العالمية. وقد تحول مز المحفل الاسكتلندي إلى المحفل الفرنسي [٢].

٢: ) وقوفه بجانب كرومر ضد عباس، وهذا الذي لا يقبل بحال أن يقف بجانب المعتمد البريطاني ضد ابن مصر مهما كاز الظلم والطغيان.

٣) عندما زار محمد عبده الاستانة وأراد السلطان منعه من العودة إلى مصر تدخلت السفارة البريطانية لدى السلطان عب الحميد لارجاعه [٣].

٤) لقد كان الشيخ محمد عبده أحد الرواد الدائمين والأوائل لصالون الأميرة –نازلي فاضل- كما أشرنا من قبل.

٥) لقد كانت بريطانيا تبني آمالاً كباراً على الشيخ محمد عبده وحزبه فمنصب الافتاء كان مقصوراً عليه.

فقد جاء مجموعة من العلماء بصورة شمسية للشيخ محمد عبده مع بعض نساء الافرنج وقدموها لكرومر وقالوا: إن هذا يليق بمنصب الافتاء فتبسم كرومر ساخراً وقال: (أن هذه الصورة لا يثبت لها عندي أصل، ولكن الاستاذ يزورنا هنا وتحضر مجلس الليدي Lady كرومر وغيرها من عقائلنا فهل يعتبر هذا إهانة له أولنا)

وقد قال كرومر لعباس (اسمح لي أن أقول: أنه مادام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر فإن الشيخ محمد عبده يكون هوالمفتي حتى يموت)

جاء في كتاب (مصر الحديثة New Egypt) تاليف كرومر ص ١٧٩ – ١٨٠.

«إن محمد عبده كان مؤسسا لمدرسة فكرية حديثة قريبة الشبه من تلك التي أسسها السيد أحمد خان في الهند مؤسس جامعة عليكرة)[٤].

• وهذا المستشرق الانجليزي (هاملتون جب) في كتابه (أين يتجه الاسلام Wither Islam ص ٦٣، وفي كتابه (الاتجاهات الحديثة في الإسلام New Trends in Islam) ص ٨٤ (ومن ناحية أخرى نجد الشيخ محمد عبده قد صنع جسراً فوق الهوة التي تفصل التعليم التقليدي الجاف عن التعليم العصري الخاضع لمذهب العقليين الذي غزا الشرق من الغرب) [٥].

٦) لاشك أن تفسير الشيخ محمد عبده للقران الذي نقله تلميذه رشيد رضا في (المنار) يدل على الهزيمة الروحية أمام ضغط الغرب الجاثم على صدور المسلمين واستحياء من المستشرقين فكان يريد تأويل معظم النصوص الغيبية تأويلاً عقلياً يكاد يلغي معاني الحقيقة.

مثل تأويل الملائكة: بالقوى الطبيعية.

وسجود الملائكة لآدم: تسخير قوى الأرض للانسان .

امتناع ابليس من السجود: قوة اغراء الشر.

تأويل الجن : بالميكروب.

النفاثات بالعقد: بالنمامين وأنكر السحر مطلقاً .

الطير الأبابيل : من جنس البعوض أو الذباب.

الحجارة السجيل : جراثيم الجدري والحصبة [٦].

وأخيراً نقول: أين كان محمد عبده من قوله تعالى :

**(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)** [٧].

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ / ١٦ .

(٢) كتاب المرأة المصرية في الشعر الحديث/ عادل أبو عمشة رسالة دكتوراه.

(٣) تاريخ الاستاذ الامام لمحمد رشيد رضا ١/ ٨٦٠.

(٤) انظر كتاب غازي التوبة (الفكر الإسلامي المعاصر) ص ١٢.

(٥) الفكر الاسلامي المعاصر لغازي التوبة ص ملاحظه. هذه الآية موجودة في الأصل الثاني

(٦) الفكر الاسلامي المعاصر ص ٥٢.

(٧) هود: ١٠٢.

# مدرسة أحمد خان بهادور في الهند

لقد أقلق بريطانيا وجود النفسيات الصادقة المجاهدة أمثال أحمد بن عرفان الشهيد سنة ١٨٤٢، فلقد ألهب شعلة الحماس والجهاد في نفوس المؤمنين في الربع الأول من القرن التاسع عشر.

ولذا لجأت إلى تربية صنائع تمسح من أذهان الناس فكرة الجهاد فاخترعت:

١ - القاديانية وقدمت ميرزا غلام أحمد على أنه نبي ينسخ الجهاد.

٢ - أحمد خان العلماني الذي نادى بإلغاء الجهاد.

ولد أحمد خان سنة ١٨١٧ في دهلي ثم التحق بخدمة الحكومة البريطانية أمينا في الحكم الجنائي سنة ١٨٣٧ وفي جهاد سنة ١٨٥٧ عندما قام المسلمون ضد الانجليز في الهند وقف أحمد خان ضد الثورة الإسلامية وخلص كثيراً من الانجليز من القتل ودفع مبلغاً ضخماً من ماله لا نقاذهم وكتب كتابا عن أسباب الثورة وأنحى باللائمة على المسلمين الجهلة، وقد كوفيء على إخلاصه الشديد للحكومة البريطانية بأن منح معاشاً ولقب صاحب (نجمة الهند) وفي سنة ١٨٨٨ لقب (قائد فرسان نجمة الهند) [١] وفي سنة ١٨٧٥ أنشأ (الكلية الإسلامية الشرقية الانجليزية) في عليكرة واسمها الآن الجامعة الإسلامية وتوفي سنة ١٨٩٨م.

وأهم محاولات أحمد خان [٢]:

١) انشاء دين جديد تنصهر فيه الأديان الثلاثة (الاسلام، النصرانية، اليهودية)

٢) محاولة اثبات صحة الأناجيل وكتب بهذا كتاباً سماه (تبيان الكلام) سنة ١٨٦٢

٣) نادى بالمذهب الطبيعي الدهري وقال: لا وجود إلا للطبيعة العمياء وقال بأن جميع الانبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الذي جاءت به الشرائع -والعياذ بالله- ولقب نفسه بالطبيعي.

ولقد رد عليه جمال الدين في كتابه (الرد على الدهريين) سنة ١٨٧٩

٤) إلغاء فريضة الجهاد في -وقته- ليستقر الانجليز ويطمئنوا.

٥) ان النبوات يمكن أن تكتسب اكتساباً عن طريق الرياضة الروحية.

# وحيد الدين خان في دهلي (دلهي) بالهند

فهذا الرجل يفخر بأحمد خان وطريقته الاصلاحية وقد أصدر كتاباً سماه (مسؤليات الدعوة) وقال فيه (وأن أعمالاً عديدة تستمر عندنا بناء على الفكرة التي تقول (إعداد المسلمين أولاً) وقد توفي مؤسس أحد هذه الأعمال سنة ١٨٩٨ (يعني أحمد خان الدهري الانجليزي كما وضحنا سابقاً) ولا يزال يستمر هذا العمل بدون أن يتعطل يوماً واحداً.

والكتاب مليء بالمغالطات التي تصطدم مع حقائق الإسلام البدهية منها:

١) - نريد انشاء مركز اسلامي وعالمي وعصري في نفس الوقت بشرط واحد وهو ألا يكون سياسياً بأي وجه من الوجوه. أي كأنه يقول: أعطوا ماليقصر لقيصر ومالله لله، بل يريد أن يحذف ايات الحكم والأمر بالمعروف ومواجهة الطاغوت من القرآن ومايقابلها من الأحاديث الشريفة

٢) - ترك الدنيا لأهلها يعيثون في الأرض الفساد. وتذكير الناس بالموت فقط. ولكن الإسلام مصحف وسيف. دينا وأخرة، عقيدة وعمل، دين ودولة

٣) - إلغاء الجهاد والتقليل من قيمة مقاومة الغرب الصليبي يقول: (لكن من أفدح الأخطاء التي ارتكبتها الحركات الإسلامية الحديثة أنها ظنت أن الجهاد هو القتال والعويل السياسي ؟؟

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة مستشرقين جـ ١/ ١٧٩

٤) - (الأنبياء قد بعثوا عموماً إلى المسلمين الفاسدين) وهذا يناقض نص القرآن **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)**(١) .

**فخلاصة مهمة الأنبياء هي** : انقاذ الناس من بين براثن الطواغيت في الأرض -أن أعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت- والمعركة الحاسمة بين النبوات والمستكبرين في الأرض، هؤلاء الذين يعبدون البشر لأنفسهم ويمنعون القطعان البشرية المستضعفة أن ترى النور أو تستمع بالهدى. فوظيفة الإسلام هي تحطيم هولاء الطواغيت الذين يستنزفون حياة الانسان ويحولونه إلى حطام آدمي دون مرتبة الحيوان، وهنا نسوق كلمة ربعي بن عامر الصحابي رضي الله عنه لرستم «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام»

٥) ان العمل الجليل الذي يشير إليه ويعتز به وهو (وقد توفي مؤسس أحد هذه الأعمال سنة ١٨٩٨ ولايزال يستمر هذا العمل بدون أن يتعطل يوماً واحداً) هذا العمل هو إنشاء (الكلية الإسلامية الشرقية الانجليزية) في عليكرة سنة ١٨٧٥ من قبل أحمد خان بهادور (٢) ثم بنى لها الانجليز بناء سنة ١٨٧٧ وضع حجر أساس الكلية "ليتون" الانجليزي ثم أصبحت الكلية جامعة يطلق عليها (الجامعة الاسلامية) وهي تدرس النصرانية بنفس الاهتمام الذي تدرس فيه الإسلام.

ولقد ذهب أحمد خان وبقي اسمه وصمة عار في تاريخ الإسلام في الهند، وحرص الانجليز أن يستمر خطه وهو «تمييع الإسلام ليصبح خادماً للغرب».

٦) : يقول «ان النبي محمداً ﴿ﷺ﴾ بدأ ينشر الإسلام بين المشركين، ولكن الأنبياء الآخرين قد بعثوا عموماً إلى المسلمين الفاسدين في عصورهم(٣)، وأسلوب هؤلاء الأنبياء في التعامل مع المسلمين الفاسدين هو عين الأسلوب الذي ينبغي علينا اتخاذه أسوة.

هذا الكلام يناقض نصوص القرآن، فكل الأنبياء أرسلوا إلى أقوام ضالين مشركين **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** (٤) .

وقال الله -عزوجل- عن قوم نوح عليه السلام **(وقالوا لاتذرن ألهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً)** (٥).

وقال الله -عزوجل- عن قوم هود عليه السلام **(قالوا: يا هود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركي ألهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين)** (٦) **ألا إن عاداً كفروا ربهم)**(٧) وقال الله -عزوجل- عن قوم صالح عليه السلام . **قالوا: يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهنا أن نعبد مايعبد آباؤنا)** (٨) **(ألا إن ثمود كفروا ربهم)** (٩) .

وقال الله -عزوجل- عن قوم شعيب عليه السلام **(قالوا: يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا)**(١٠) .

وقال عزوجل عن قوم لوط عليه السلام **(فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)**(١١) .

وعن قوم سيدنا إبراهيم -عليه السلام **(فآمن له لوط)**(١٢) . وعن قوم سيدنا موسى -عليه السلام- **(فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه )**(١٣) .

ولكن -وللأسف- فإن المؤلف يبدو أنه لا يعرف القرآن ولا يتلوه **(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)**.

٧) إن المؤلف يدعو المسلمين إلى الاستكانه والذل والصبر تحت نير العبودية والاستعمار والظلم: فيقول في ص ٢٠ (فهذا ماينطبق على الحركات الإسلامية المعاصرة فهي لم تقم لأجل فكر إسلامي إيجابي بل قامت رداً على عوامل خارجية محضة كاعتداء شعوب الغرب على أوطاننا والعدوان الاسرائيلي) ... (إن الدافع المحرك للحركات الإسلامية كلها ليس إلا الأحداث الدنيوية الخارجية .. (ان المسلم يصبر على المصائب الخارجية حتى لا ينصرف عن رسالته الحقيقية ... فالأحمق وحده يستطيع أن يصرف طاقاته للقضايا المؤقتة) (... ان الدعوة التي تصاحب الصراعات السياسية والاقتصادية ليست من الدعوة في شيء بل هي مسرحية ساخرة).

أرأيتم إذن؟ أنه يرى أن الجهاد في سبيل الله -القتال- من أجل الحفاظ على الدين والوطن والقيم وعلى الأمة المسلمة يعتبر

---

(١) النحل / ٣٦. (٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٤٧٩ والفكر الإسلامي الحديث لمحمد البهي ص ٢٧ نقلاً عن مجلة العروة الوثقى سنة ١٨٨٤ (باريس / الأفغاني ومحمد عبد
(٣) مسؤليات الدعوة / وحيد الدين خان ص ١٢. (٤) الأنبياء ٢٥. (٥) نوح ٢٣. (٦) سورة هود ٥٣. (٧) هود ٦٠. (٨) سورة هود ٦٢
(٩) هود ٦٨. (١٠) هود ٨٧ (١١) الذاريات ٣٥ - ٣٦ (١٢) العنكبوت ٢٦ (١٣) يونس ٨٣

عملاً دنيوياً ومسرحية ساخرة وتبديد للطاقة لا يقوم به إلا الحمقى ونسي الكاتب حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ **«بعثت بالسيف بين يدي الساعة وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»** (١) *.

ولكنه خط واحد رسمه الانجليز وسار عليه أحمد خان وتبعه وحيد الدين خان، فلقد هزأ أحمد خان بالمجاهدين سنة ١٨٥٧ وساعد الانجليز وفي نفس الفترة كان القادياني يمهد للنبوة التي سيدعيها وليقول خلفاؤه للناس إن الله أمره أن يساعد الانجليز وان الملائكة تنزلت لنصرتهم في احتلال العراق ويتمنى أن يرى السيف الانجليزي يسيطر على الشام وفلسطين.

إن الذي يقلق الغرب –أمريكا وأوربا وروسيا– أن الشباب المسلم آمن أنه لا وجود للإسلام بدون حمل السلاح للدفاع عنه فهبت تدافع عن دينها في سوريا ضد شرذمة النصيرية الكافرة، ووقفت بالقليل من المال والعتاد أمام الزحف الأحمر في أفغانستان وأذلت كبرياء الالحاد الشيوعي وحطمت غرور الروس الأحمق.

إن الغرب يريد من الشباب أن يكونوا قطعاناً تساق لتذبح على مذابح شهواتهم وطمعهم وجشعهم، وتود أن يعتزلوا الدنيا في صوامع يزاولون العبادات -على جهل- ويدعون قوى الشر الغربي تسفك الدماء وتنتهك الأعراض وتسلب الأموال وتجتث الإسلام نفسه من الوجود.

وحسبنا هذه العجالة في الرد على هذا الخط الغربي لصناعة اسلام انجليزي واسلام أمريكي يقوم دعاته بالتخويف من عذاب القبر وجحيم النار ويدعون الأرض للشياطين يعبثون بها كما يشاءون والدعاة يرددون **(ولو شاء ربك ما فعلوه، فذرهم وما يفترون)** وليتهم تذكروا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولو كان هذا الدين فقط هو التمهيد للآخرة والدعوة لها دون التعرض لواقع الأرض والمستكبرين فيها والملأ الذين يذلون المستضعفين –لوكان الإسلام فقط– هو ترانيم وتخويفات وترغيب من الآخرة فقط لما قامت على الأنبياء عليهم السلام هذه الحرب الضروس من المستكبرين ولما احتاج الناس لهذه الصفحات الطويلة من الكتاب العزيز في الحوار بين المستكبرين والمستضعفين، ولقد جرت سنة الله كما أراد سبحانه على قانون التدافع **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)** (٢).

وصدق الله العظيم وكذب المرجفون المبطلون.

## المستشرق جب يصف العالم الإسلامي سنة ١٩٣٢*

لقد رأينا كيف مهَّد الغرب الذي تلعب به أصابع اليهود لقيام الدولة اليهودية في فلسطين.

أسقط السلطان عبد الحميد، ثم زجوا بتركيا في الحرب حتى حطمت وقسمت ممتلكاتها بينهم وقد وقف العرب بجانب الحلفاء أملاً في إقامة دولة عربية تعطيهم إياها بريطانيا بعد هزيمة تركيا.

ووقفة العرب هذه يصفها لورنس (رجل الاستخبارات الانجليزي) الذي كان يطلق عليه (ملك العرب غير المتوج) و(سلطان الصحراء العربية) فيقول: «لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب فإن عهودنا للعرب ستصبح أوراقاً ميتة، ولوكنت ناصحاً شريفاً للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهماً عشائرياً بدوياً وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتماداً على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ولهم ثقة بالعدو -انني أكثر ما أكون فخراً أن الدم الانجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضناها لأن جميع الأفكار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت انجليزي واحد» (٣).

هذه الثورة العربية التي يقول عنها لورنس «لم تكلف بريطانيا سوى عشرة ملايين جنية».

ولقد قدم لورنس خدمات جليلة لليهود كما يقول وايزمن (رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي بعد هرتزل).

سقطت تركيا إذن بسقوط عبد الحميد، وانتصرت بريطانيا على تركيا بجهود العرب، وأصبحت مواعيد بريطانيا حبراً على ورق، ثم مزقت العالم العربي وقسمته بين الذئاب الغربية البيضاء المفترسة.

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد. * في الأصل الثاني تخريج الحديث: حديث صحيح رواه أحمد والطبراني عن ابن عمر. انظر صحيح الجامع الصغير للألباني حديث/٢٨٢٨ – ٨/٣.
(٢) البقرة آية ٢٥١. * هذه الصفحات [illegible]

وأما تخريب العالم العربي من شباب وشابات فقد أفسدتهم باغراقهم في الجنس، ونشر الصورة العادية والاكثار من السينما وإنشاء المسارح، وتشجيع أدب الفراش (الجنس) الخليع وإخراج المرأة من البيت، وتشجيع الاختلاط في الجامعات خاصة حتى تفخر هدى شعراوي بلطفي السيد بأنه مصلح كبير لأنه فرض الاختلاط على الجامعة بين الجنسين أثناء رئاسته للجامعة وإنشاء المعاهد الرياضية للبنات اللواتي يؤخذ على آبائهن صكاً بالتنازل عن بكارة -التي قد تفقدها أثناء قفزة رياضية- ثم كليات الرياضة المختلطة ، والمسابح المختلطة، والعري الفاضح والشواطيء الموبوءة المستباحة للناظرين، ثم نوادي العراة وكم أضحكني أن أسمع أن هنالك نوادي في تونس مثلاً اسمها ( صفر في الأخلاق ) وزج المرأة في كل دائرة من دوائـر الدولة حتى البوليس والجيش، أضف إلى هذا نواد الماسونية (Free Mason) والروتاري الليونز (Rotary, Lions) وكلها لافتات تعبث الأصابع اليهودية من خلالها بحياة الناس وأموالهم وأعراضهم وأوطانهم.

أضف إلى هذا الصنائع التي أقيمت في العالم الإسلامي أحجاراً على رقعة الشطرنج تحركها الأيادي الغربية كما شاءت وما أصدق قول الشاعر فيهم (وكأنه يخاطب الغرب بشأن صنائعه)

*ما هم كما تهوى تحركهم دُمّى      لايفتحون بغير ما تهوى فما*

ولقد مهد اليهود لقدومهم بكل الوسائل وكل شيء حسبوا حسابه ونفذوه بدقة إلا شيئا واحداً جاء على قدر من الله -عزوجل- وهو الحركة الإسلامية التي يشير اليها جب في كتابه (وجهة الإسلام) [1]

في الهامش وينسطرين اثنين بأن حركة جديدة اسمها الاخوان المسلمون اسم مؤسسها حسن البنا ولا ندري ان كانت ستؤثر في الأحداث أم لا؟

**وصف جب للعالم الإسلامي في كتابه (وجهة العالم الإسلامي) [2].**

يقول جب «عن التعليم» هذا هو السبيل الوحيد لفرنجة بلاد المسلمين وتغريبها، لقد كان التركيز قويا لأنشاء الطبقة التي تأخذ (نهائيا بوجهة نظر لاسلطان للدين عليها) وحينئذ يمكن الجلاء من أرضها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل.

ويقول جب «إن المدارس والمعاهد لا تكفي فليست إلا الخطوة الأولى ويجب صرف الاهتمام إلى خلق رأي عام بالاعتماد على الصحافة، فهي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإسلامي، ومديرو الصحف اليومية معظمهم من التقدميين، والصحافة تتميز بنزعة علمانية غالبة كما يرى.

وكما يرى جب ان التعليم عن طريق المدارس العصرية المختلفة والصحافة قد ترك في المسلمين من غيروعي منهم أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد.

**إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته.**

ولكن جب يبدي تخوفه من ناحيتين :

١ - المعاهد الدينية.

٢ - الحركات الإسلامية فهو يرى أنها تتطور عادة بسرعة مذهلة مدهشة فهي تنفجر إنفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقب من إماراتها مايدعوهم إلى الاسترابة في أمرها.

**فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين.**

ولقد كان تخوف المستشرق جب في مكانه وحصل ماتوقع فقد تطورت الحركة الإسلامية بصورة مدهشة وأصبحت خطراً على مخططات الغرب في المنطقة يحسب لها ألف حساب ويضرب طلائعها بغير هوادة ويسحقها بلا ضمير ولارحمة، ومما زاد من رعب الغرب ورهبته أنه رأى نماذج منها يحملون السلاح ويجاهدون في فلسطين وقناة السويس فأصبحت الحركة الإسلامية شبحاً رهيباً يطاردهم في نومهم ويقظتهم، يؤرق أجفانهم ويقض مضاجعهم.

## البروتوكول التاسع يصف الجيل:

(لقد خدعنا الجيل الناشيء من الأمميين، وجعلناه فاسداً متعفناً، بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها ا

---

(١، ٢) Wither Islam ١٩٣٢م

**وفي عام ١٩٣٦** ثار أهل فلسطين، وأضربوا الاضراب الذي استمر ستة أشهر وشكل البنا لجنة مساعدة فلسطين برئاسته، وقامت بينه وبين رئيس الوزراء -علي ماهر- مكاتبات حول فلسطين، وراسل عوني عبد الهادي -السكرتير العام للجنة العربية العليا بالقدس- وكذلك اتصل البنا بمفتي فلسطين الأكبر -الحاج أمين الحسيني- رئيس اللجنة العربية العليا وأنشأ صندوقاً سماه (صندوق فلسطين) [1].

**وفي سنة ١٩٣٩** أعاد البنا إصدار مجلة (المنار) التي كان يديرها محمد رشيد رضا لمدة (٣٥) عاماً، وبعد أن أصدر منها ستة أعداد صدر قرار حسين سري / رئيس الوزراء باغلاقها.

وفي هذا العام أعلنت الحرب العالمية وكتب البنا إلى رئيس الوزراء علي ماهر يحذره من مغبة الدخول في الحرب.

**سنة ١٩٤٢** رشح البنا نفسه عن الاسماعيلية فعارض الانجليز وأضطروا النحاس أن يمنعه.

**سنة ١٩٤٤** قتل أحمد ماهر واتهم الاخوان باغتياله.

**سنة ١٩٤٧** ثار الشعب الفلسطيني، وجاء قرار التقسيم.

**سنة ١٩٤٨** اشترك الاخوان في الجهاد في فلسطين وشكلوا كتيبة عارضتها قوات فاروق واعتقلوا البعض في المطارات والمحطات فاضطروا أن يقطعوا سيناء مشياً على الأقدام ووصلوا إلى النقب وبدأ بالجهاد ضد اليهود ثم اضطرت جامعة الدول العربية إلى الاعلان عن فتح باب التطوع للمجاهدين فسارع الاخوان وانضموا إلى الكتائب الثلاث التي شكلتها جامعة الدول العربية بل كانوا نواتها وقواعدها وكان أحمد عبد العزيز أحد قادة هذه الكتائب الثلاث.

ولقد كان الاخوان أمثلة رائعة ونماذج فريدة وقمماً فريدة شامخة في القتال، مما أثار رعب اليهود، وشهد بشجاعتهم القريب والبعيد، وأشادت الصحف العربية بتضحياتهم في البريج، بيت صفافا، النقب، بيت لحم.

والعرب جميعاً يعلمون كيف أنقذ الاخوان ثلث الجيش المصري (أربعة آلاف) عندما حوصروا في الفالوجة وكان من بينهم جمال عبد الناصر، وبعد أن يئست الجيوش العربية من إنقاذهم أخذ الاخوان -بل مجموعة لا تصل إلى الخمسين في عددها- على عاتقهم انقاذهم وأوصلوا إليهم سبع عشرة قافلة محملة بالزاد والسلاح والدواء، وكان من بين الأبطال البارزين في هذه العملية: معروف الحضري رحمه الله، وحسن الجمل وغيرهم [2].

**مؤتمر القمة العربي في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧** [3]: في عاليه وفي هذا التاريخ عقد مؤتمر القمة العربي ورأى البنا أن فلسطين ستضيع والدول العربية لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً فأرسل إليهم برقية.

**برقية البنا** [4] :

«اسمحوا لي أن أدخل فلسطين بعشرة آلاف مسلح»

كان البنا يريد أن يعلن الحرب المقدسة من القدس وإثر برقية البنا قامت قيامة الدنيا وما قعدت، وقد قاد الاستاذ البنا في اليوم [5] التالي مظاهرة ضخمة من أجل فلسطين.

**اجتماع سفراء الدول الكبرى في ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٨م:**

اجتمع سفير بريطانيا وفرنسا والقائم بأعمال السفارة الأمريكية في فايد وقرروا حل جماعة الاخوان المسلمين وأمروا رئيس الوزراء النقراشي أن ينفذ القرار فنفذ القرار واعتقل الاخوان وأودعوا السجون وأبقي البنا خارج السجن ليقتل. وقتل الأخوان النقراشي.

**رسالة البنا إلى الاخوان في فلسطين :**

بعد إغلاق دور الجماعة ومصادرة حريتها أرسل البنا إلى المجاهدين في فلسطين.

(أيها الأخوان لا يهمنكم مايجري من الأحداث على أرض مصر إن مهمتكم مقاتلة اليهود ولا تنتهي مهمتكم مادام في فلسطين

---

(١) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي / فصل الأيدي المترضنة.

(٢، ٣، ٤) انظر الاخوان المسلمون في حرب فلسطين لكامل الشريف.

يهودي واحد) [١].

**دايان يعقد مؤتمراً صحفيا في أمريكا سنة(١٩٤٨) ديسمبر:**

قال دايان -وزير الدفاع فيما بعد لاسرائيل- (نحن لا نطلب الأسلحة لمواجهة الدول العربية نحن نطلبها لمواجهة عصابا الاخوان المسلمين[٢].

وكتبت فتاة أمريكية اسمها (روث كاريف) مقالاً تحذر فيه أمريكا و الغرب من الاخوان المسلمين الذي سيعملون دولة الإسلامي

**قتل البنا ١٢ شباط سنة ١٩٤٩ (يوم عيد ميلاد فاروق)**

وتولى محمود عبد المجيد (رجل استخبارات في القصر الملكي) عملية اغتيال البنا مع خمسة من رجاله، وجاء في مذكرة النيا أن حادث الاغتيال وقع في الساعة الثامنة من مساء السبت ١٢ شباط ١٩٤٩ واتصل فاروق فوراً ببيت يوسف رشاد -مستشار المل أو رئيس الديوان- وأخبر زوجته وقال فاروق: حسن البنا اتضرب ولسا ما متش (أي لم يمت بعد) وأوفد فاروق ضابطاً من قصر اسمه -محمد وصفي- ودخل غرفة العمليات وسأل الطبيب فقال: إن إصابته ليست خطيرة فأخرج الناس جميعاً من غرفة العمليا وأجهز عليه وأعلنت الوفاة الساعة الثانية عشرة والنصف [٣].

**أمريكا والغرب يحتفلون بقتل البنا:**

حدث سيد قطب فقال:

كنت في أحد المستشفيات الأمريكية في ١٣ شباط ١٩٤٩ إذ كنت موفداً في بعثة من وزارة المعارف- وكنت آنذاك لا أع الاخوان المسلمين فرأيت في هذا اليوم معالم للزينة ورقصات وموسيقى فسألت أحد الموظفين أي عيد هذا الذي تحتفلون فيه؟ فقا **اليوم قتل عدو النصرانية في الشرق، اليوم قتل حسن البنا**[٤]. فهزتني هذه الكلمة من أعماقي وأدركت أنه لا يمكن لدعوة يكيد ا العالم هذا الكيد المجنون إلا أن تكون صادقة مخلصة.

**عقد معاهدة رودوس بعد قتل البنا بيومين[٥]**

وفي ١٤ شباط سنة ١٩٤٩ عقدت مصر معاهدة رودوس مع اسرائيل للاعتراف بحدودها الآمنة وفي ٢٤ شباط سنة ١٩٤٩ عقدت الأردن معاهدة رودوس كذلك مع اسرائيل.

**اعتقال الاخوان المجاهدين من فلسطين إلى معتقل الطور في مصر:**

وكان جزاء الاخوان لقاء هذا الجهاد الرائع في فلسطين أن أمر فاروق جيشه في فلسطين باعتقالهم، وخيرّ الاخوان بين الدخ في معركة مع الجيش المصري أو الاستسلام للأسر فآثروا الثانية وألقوا خلف قضبان السجون وتواروا خلف الأسوار.

قال المواوي[٦] (أحد قادة الجيش المصري) عندما استدعي للشهادة على الاخوان: لقد كان الاخوان ينزعون ألغام اليهود ا النقب ويفجرونها بهم.

**وقال فؤاد صادق**[٧] : لقد أدى الاخوان واجبهم كمجاهدين أحسن أداء (قائد الجيش المصري)

وجاء على لسان فضيلة المراقب العام للاخوان / الأردن -الاستاذ محمد عبد الرحمن خليفة[٨] : أن قائد الجيش المصري قا لقد بكيت مرتين في حياتي: مرة عندما توفيت أمي، ومرة عندما أمرت بسجن الاخوان.

## إخراج الاخوان بعد قيام اسرائيل:

بعد إخراج أكثر من نصف مليون من أبناء فلسطين وتوقيع الدول العربية لاسرائيل بحدود آمنة في معاهدة رودوس، وبعد اطمأنت اسرائيل أخرج الاخوان من السجن بعد أن أمضوا قرابة عام في المعتقلات. وانتخب الاخوان الاستاذ حسن الهضي -رحمه الله- مرشداً عاماً.

(١، ٢) الاخوان المسلمون في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ لكامل الشريف.
(٣) مجلة المسلمون العدد ٥ ص ٣٠ أو مجلد ٩ / ٢٩.
(٤) حدثني هذا شخصياً أهل بيت الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-
(٥) انظر مذكرات دايان.
(٦، ٧) الاخوان المسلمون في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ لكامل الشريف.
(٨) مجلة المجتمع العدد ٥٥٨ ربيع الثاني سنة ١٤٠٢ يناير سنة ١٩٨٢م.

## المقاومة السرية في قناة السويس سنة ١٩٥١م – ١٩٥٤م:

وفي سنة ١٩٥١ ألغت حكومة النحاس (الوفدية) المعاهدة البريطانية المنعقدة سنة ١٩٣٦ وذلك من أجل الدعاية السياسية للحزب، فوضع الاخوان الحكومة أمام الأمر الواقع المعلن وخيّروها بين أن تخرج بريطانيا فعلاً أو تسمح بالجهاد ضد الانجليز واضطرت الحكومة أمام الضغط الشعبي أن تسمح لمن أراد أن يقاوم.

ودخل الاخوان –وحدهم– المعركة ضد الانجليز[١] وتضايق الانجليز من المقاومة وبدأوا يدفعون تكاليف باهظة في حراسة منشآتهم وأنفسهم ومراكز دفاعهم، وتكبدوا خسائر في الأرواح والأموال حتى ضج تشرشل في مجلس العموم البريطاني عندما أحرق معسكر أبي سلطان وحسبك من التضحيات معركة (التل الكبير) التي استشهد فيها عمر شاهين –سنة ثانية/ آداب / جامعة القاهرة، وأحمد منسي/ هندسة ولقد شهد جنازة عمر شاهين قرابة ثلاثمائة ألف في القاهرة.

وأصبح الاخوان قادة العمل الشعبي، بل أصبحوا يمتلكون قلوب الشعب بأكملة، وتسلموا القيادة الجامعية ففازوا بمعظم مقاعد اتحادات الطلبة في الجامعات، وأصبحت مصر بأيديهم شعبياً وهم القوة الوحيدة المسلحة.

وهنا خشيت أمريكا من الاخوان أن يمسكوا بالحكم وقد رأوا عرش فاروق يترنح ويهتز ليسقط. وقد اشارت الدوائر الغربية أن «النظام الملكي سيسقط، وسيرثه إحدى جهتين، أولاهما الأخوان المسلمون والثانية الشيوعيون والغالب أن الاخوان هم القادمون لاستلام الحكم»[٢].

ولذا فقد تعجلت أمريكا واتصلت بالضباط...

# أمريكا والانقلابات العسكرية

خرجت أمريكا من الحرب العالمية الثانية وهي أغنى دولة في العالم وبدأت تعد نفسها لترث ممتلكات ومستعمرات الأمبراطورية العجوز بريطانيا وفرنسا إلا أنها لا تريد أن تحل جيشاً أمركياً محل الجيش البريطاني بل تريد أن تحكم الشعوب بأبنائها ومن خلال شخص الحاكم فقط فبدأ التفكير بالانقلابات العسكرية.

ومن المعروف أن الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا تفضل العسكريين على الملوك لأسباب:

(١) أن العسكريين ليس لهم أية معرفة بالشعوب ولا بنفسياتها ولا بطريقة إدارتها ولذلك فإنهم يكونون مجرد صور تدار البلد من خلالها بالأصابع الأمريكية. كما ذكرت البروتوكولات: سنأتي إلى الحكم بأناس لا قبل لهم بالسياسة فندير الشعوب من خلالهم.

٢) ان العسكريين يديرون البلد بأنظمة عرفية وأحكام عسكرية فطبقة العسكر طبقة ديكتاتورية لانه تربى عليه من خلال النظام العسكري الصارم الذي يطبق على الجنود.

٣) ان العسكر أقدر على إدارة عجلة الفساد بسرعة لأنهم أدوات سهلة بيد أسيادهم طيعة لهم وفي ظل النظام العسكري، تنصب المشانق وتفتح السجون ويصفى الجيش، وتقلب الموازين ويوقف النظام، وتداس القيم، وتحارب المبادئ ... وكل هذا ...

باسم الشعب والوطن والحرية والتقدمية .

وباسم محاربة الرجعية والجمود وعملاء الاستعمار.

وعليه : فإن الأدمغة تهرب، والشرفاء يعدمون باسم العمالة. والمخلصين يسجنون، وتخرب البلد وينهار الاقتصاد وتفسد الأسر وتمزق الروابط.

جاء في مقررات اليهود [٣].

يجب اضعاف الدولة السياسية القائمة وبذر الخلاف والشقاق بين حكامها بواسطة الجمعيات السرية ونقل أنظمتها إلى الاباحية والفوضى.

---

(١) [illegible]

٤) إن كثيراً من العسكريين لا يدخلون الكليات العسكرية -غالباً- إلا بسبب إنسداد أبواب الدراسات الجامعية في وج بسبب معدلاتهم المنخفضة في الامتحانات الثانوية العامة. ولذلك فغالبهم ليس عندهم الطاقات العقلية المرتفعة، زيادة على أن بعـ يؤتى بهم من الشوارع، من المرتزقين خلقياً واجتماعياً، فعندما تنقله أصابع الماسونية أو دوائر المخابرات من الحضيض إلى -دفعة واحدة- عندها يصاب الرئيس بجنون العظمة ويستشري فيه سعار الشهوات والأموال، فهو لا يصدق هذه النقلة الـ الخيالية في حياتهم.

ولذا تجري الدماء وتسحق الكرامات، وتنصب المشانق ويتحول المجتمع كله إلى جحيم لا يطاق. وسجن كبير تعد فيه الأنا وتكمم فيه الأفواه. ولذا كانت كلمة ميرابو -زعيم الثورة الفرنسية الماسوني- دستوراً للضرب بشأن الثورات: «سنشنق اخر بامعاء قسيس»

٥) ان الوراثة في نظام الملكيات يجعلها حريصة على إقامة علاقات حسنة مع شعوبهم لأنهم يطمحون أن يستمر الحك عائلاتهم فإن ذهب هو فانه يأمل أن يأتي ولي عهده -أخوه أو ابنه- وكذلك فإن نهبهم للأموال لايكون نهب ذاهب بلارجعة بل المال والملك باقياً له وفي ذريته.

بخلاف الانقلابات العسكرية - كلما دخلت أمة لعنت أختها، وكلما جاء عسكري كشفت عورات سابقه، وحاكم عهده و أسرته مسؤولية نهب الأموال وإراقة الدماء. والعسكري الذي جاء إلى الحكم لا يطمئن إلى استمراره ولذا فإنه ينهب أموال البلد و أبناءها ويحارب خيارها وهذه حقائق نسوقها لا لنقول بأن الملكيات طاهرة مطهرة بل لها سيئاتها وسلبياتها وطغيانها وظلمها ولك حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وإن كنت في شك من قولي فاسأل البلدان التي دهتها مصائب الانقلابات العسكرية، ان اصحابها يترحمون على عهود ا الغابرة ولو انشق قبر أحدهم لاستقبله الناس بالهتاف: طلع البدر علينا.

ولو أردت أن تبدأ باصلاح وضع مصر إلى أن يرجع كما كان في اليوم الذي غادر فيها فاروق ميناء الاسكندرية كم ستـ إلى جهود وسنوات؟ إنه خراب لايمكن تصوره بالخيال.

فلا مقارنة بين عداوة عتبة بن ربيعة -الكافر- للإسلام وبين عداوة أبي جهل -الكافر- للإسلام. فالأول قال ﴿ﷺ﴾ عنه يو **(إن كان فيهم خير ففي صاحب الجمل الأحمر)** [١] والثاني قال ﴿ﷺ﴾ عنه يوم بدر **(إن لكل أمة فرعون وهذا فرعون هذه الأمة)** (

ولا مقارنة بين أبي طالب وأبي لهب مع أنهما كافران وأخوان ولا مقارنة بين مطعم بن عدي وأمية بن خلف مع أنهما كافـ فقد قال ﴿ﷺ﴾ يوم بدر عن المطعم بن عدي **(لوكان المطعم بن عدي حياً وكلمني في هؤلاء النتن- يعني الأسرى- لا طلقتهم لـ** يكافئ المطعم بن عدي باجارته له بمكة والمطعم غير معاهد .

قال ابن تيمية[٤] فعلم أن مؤذي الرسول ﴿ﷺ﴾ يتعين اهلاكه والانتقام منه بخلاف الكاف عنه، وان اشتركا في الكفر كما يكافيء المحسن إليه باحسانه وان كان كافراً.

وقال ابن تيمية[٥]: وكذلك بنو المطلب -مع مساواتهم لعبد شمس ونوفل في النسب- فلما أعانوه ونصروه وهم كفار شكر ذلك لهم فجعلهم بعد الاسلام مع بني هاشم في سهم ذوي القربى، وأبو طالب لما أعانه ونصره وذب عنه خفف عنه العذاب فهو أ أهل النار عذابا.

## الانقلابات العسكرية

لقد قامت اسرائيل سنة ١٩٤٨ بعد مسرحية المعركة التي خاضتها الجيوش العربية السبعة، وشرد أبناء فلسطين في الأر بعد أن حرموا من القتال بانفسهم.

*بلاد باعهـــا بالسحت سمسار وخـــوان وأهل شردوا في الأرض لولا الغدر ما هانوا*

---

(١، ٢) سيرة ابن هشام -غزوة بدر

(٣، ٤، ٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ﷺ) لابن تيمية ص ١٦٣ - ١٦٤.

والآن جاء دور الأنظمة لحماية اسرائيل أثناء نموها، ثم عقد الصلح معها لتوفير جو ملائم لهجرة اليهود من كل العالم لملأ المناطق المحتلة.

وكانت الراية التي يرفعها كل عسكري قادم للحكم هي:

إزالة الأنظمة الرجعية الخائنة التي تآمرت على فلسطين سنة ١٩٤٨ وإرجاع الأراضي السليبة وإعادة الشعب الفلسطيني إلى وطنه هذا هو الشعار المرفوع

ولكن الحقيقة : أن النظام القادم وظيفته عقد الصلح مع اسرائيل، وضرب الحركة الإسلامية.

## انقلاب حسني الزعيم / أذار سنة ١٩٤٩

وقد أشرف على الانقلاب (ستيفن ميد) السفير الأمريكي في سوريا.. أنظر تسلسل الأحداث:

١ - قتل حسن البنا في شباط سنة ١٩٤٩

٢ - معاهدات رودوس في شباط سنة ١٩٤٩

٣ - انقلاب حسني الزعيم في أذار سنة ١٩٤٩

كل هذا من أجل الوصول إلى حل دائم وأمن مستقر لاسرائيل توفره الأنظمة التي تحيط بها.

وبعد شهرين من مجيء حسني الزعيم إلى الحكم صارح مجلس الوزراء بأن هناك ضغوطاً أو عروضاً عليّ للقاء بابن غوريون[1] رئيس الوزراء الاسرائيلي، كان هذا الكلام في وقت يعتبر النطق به ضرباً من الجنون لدى الشعوب العربية ثم بعد قليل قام انقلاب على حسني الزعيم فاتجهت الأنظار إلى أرض الكنانة إلى القاهرة.

## انقلاب تموز سنة ١٩٥٢ في مصر

نحن الآن في أواخر سنة ١٩٥١، الوضع السياسي قلق، الحكم الملكي مهتز، الوزارة الوفدية مفروضة على الملك من الانجليز، الملك يريد أن يتخلص من ضغط الوفديين المدعوم بالانجليز.

الاخوان المسلمون يقودون الجامعات ويحتلون قلوب الناس لانهم يقومون بالحرب الشعبية الجهادية ضد الانجليز في القناة.

أمريكا تخشى أن تسقط الملكية بدون أن تقدم عنها بديلاً.

ستيفن ميد (السفير الأمركي في سوريا) انتقل إلى القاهرة في هذا الوقت أو بعده بقليل، وجيفرسون كافري / سفير أمريكا في القاهرة مع وليم ليجلان وكذلك كيم (كيرمت) روزفلت حفيد وانضم إليهم فيما بعد خامس من مخابرات أمريكا وهو (مايلز كوبلاند/ صاحب كتاب لعبة الأمم Game of Nations) هؤلاء الخمسة كان لهم دور كبير في سياسة المنطقة وإدارة دفة الأمور في مصر وما حولها.

وهؤلاء يبحثون عن بديل للنظام الملكي.

وشاء الله أن يلتقوا بعبد الناصر وزمرته لقد كان محمد حسين هيكل ومصطفى أمين في بداية الأمر صلة الوصل بين الضباط والسفير الأمريكي.

في مارس سنة ١٩٥٢ (قبل الانقلاب بأربعة أشهر) كلف عبد الناصر خالد محي الدين الذي كان يطبع منشورات الضباط الأحرار أن لايستخدم عبارة الاستعمار (الانجلو أمريكي) ويكتفي بذكر الاستعمار البريطاني.

وفي هذا الشهر (مارس) كان كيم روزفلت قد اتصل بعبد الناصر وعرض عليه مساعدة أمريكا فقبل بشرط أن يستبعد الاخوان المسلمين والشيوعيين عن الانقلاب، فقام عبد الناصر بفصل عبد المنعم عبد الروف -الضابط المسلم الذي أدخل عبد الناصر نفسه في تنظيم الاخوان العسكري).

ورجع روزفلت في أيار (مايو) إلى أمريكا وقال لهم ان الاخوان والشيوعيين قد [illegible]

أمريكا بالموافقة على إبعاد فاروق ودار الحديث وتم العقد وكان عبد الناصر في ذلك الوقت على صلة بأربعة منظمات أو جماعات رأسها الاخوان المسلمون وقد كان أحد أعضاء جهازهم العسكري، بل كان يمد شبابهم المجاهدين في القناة بالسلاح.

وحصل حريق يناير سنة ١٩٥٢ (كانون الثاني) وبقيت النيران تلتهم شارع فؤاد ثلاثة أيام دون أن تتحرك أية جهة ر حركة جادة لاطفاء الحريق. ويبدو أن معظم الجهات الرسمية راضية بالحريق بل بعض المنظمات راضية كذلك.

**أما الملك:** فإنه راض عن الحريق لاثبات عجز الوزارة الوفدية عن إدارة البلد، وليفرض الأحكام العرفية، ولينهي ا الجهادية في القناة.

**أما الوزارة :** فإنها راضية عن الحريق لاقلاق الملك وهز وضعه واثبات ضعفه ليبقوا في الحكم كذلك.

**أما حرس الحديد** (الحرس الملكي) أمثال عبد الناصر فإنهم راغبون في إشاعة الفوضى ليجدوا مبرزاً للانقضاض على الح

**أما الأمريكان:** فهم راضون كذلك لعله يتسنى لعملائهم فرصة قلب النظام.

**وأما الشيوعيون :** فهم وروسيا لا يعيشون إلا في جو من الفوضى والتخريب.

وبعد الحريق أعلن الملك الأحكام العرفية وفرض نظام منع التجول ليلاً، وأظلمت القاهرة أطول فترة في تاريخها وبقي ا حتى يوليو. وفي هذه الفترة أحكمت خطة قلب نظام الحكم بين الضباط وبين السفير الأمريكي، وقد سنحت لهم فرصة الاظلام لي منع التجول أن يتحركوا دون رقيب ولا حسيب. إذ أن سيارات الجيش والأمن هي التي كانت تتحرك باسم القانون العرفي.

اللهم إلا من عين واحدة لاتنام -الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم-

## الانقلاب ودور الاخوان فيه :

وفي ليلة ٢٢ تموز سنة ١٩٥٢ جاء عبد الناصر وكمال الدين حسين إلى بيت منير الدلة أحد أعضاء مكتب الارشاد في الاخوان المسلمين وكان صلاح شادي من الحاضرين وفتح الحديث عن الانقلاب وأقسم عبد الناصر وكمال الدين حسين على المم أن يحكموا بالقرآن والسنة بعد استلام الحكم.

وعلى هذا الاساس أنزل الاخوان في اليوم التالي عشرة الاف مسلح لحماية الثورة وأعلنت الثورة في اليوم التالي.

وتوجه عبد المنعم عبد الرؤوف -أحد الاخوان- وهو ضابط معروف في الجيش -إلى الاسكندرية حيث كان الملك في قصر ا ودخل عبد المنعم وأرغم الملك على التوقيع على وثيقة التنازل عن العرش، وسفّر الملك.

وقد ذكر فاروق في مذكراته [١] (إن الاخوان المسلمين هم الذين قلبوا عرشي، ولم يكن رجال الثورة إلا العوبة بأيديهم، أراد الاخوان المسلمون ضربي في عرض البحر لولا أني أمرت ربان السفينة فغير اتجاهها).

اتفق عبد الناصر -كما ترى- من جهة مع الاخوان المسلمين واتفق من جهة أخرى مع السفير الأمريكي هو وبعض الض

**وكان من بين الأمور التي اتفق عليها مع السفير الأمريكي:**

١ - ضرب الحركة الإسلامية

٢ - عدم المساس بأمن اسرائيل

٣ - إنهاء وجود الأزهر

وقد لعب محمد حسنين هيكل ومصطفى أمين دوراً في توثيق العلاقة بين الضباط وأمريكا.

## رجال الانقلاب بين الاخوان والأمريكان:

ونجح الانقلاب واتخذ محمد نجيب ستارة (لافتة) لأنه رئيس نادي الضباط وأعلاهم رتبة فنصب رئيساً للجمهورية. ومن ال الدالة على صلة الضباط بالسفارة الأمريكية:

١:) أعلن محمد نجيب هذا في مجلة المصور في اليوم الثالث للثورة بأن بعض الضباط كانوا على صلة بالسفير الأمريكي

١) انظر كتاب الاخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية لاسحق موسى الحسيني نقلاً عن كتاب فاروق بين اللمة والغضب..

شهر مارس من هذا العام سنة ١٩٥٢

٢:) أعلن خالد محي الدين مثل هذا الكلام

٣:) كان السفير الأمريكي يحضر أول اجتماع أو الثاني لمجلس الثورة في فندق انتركونتنتال وقد كتب هذا أنور السادات في كتابه -يا ولدي هذا عمك جمال [1].

٤:) تقــريــر ايـخلبـرجـر EKHIL - BERGER - مستشار وزارة الخارجية الأمريكية للدول العسكرية النامية - وهذا التقرير هو الدستور الذي طبقته الثورة بحذافيره وهــو مطبــوع في بداية كتاب ( الدبلوماسية والميكافيلية في العلاقات العربية الأمريكية خلال عشرين عاماً / الدكتور محمد صادق ) وهو تحليل لكتاب لعبة الامم Game of Nations لمايلز كوبلاند وأصبح (دستور الثورة) وقد بدأ رجال الانقلاب يراغمون الاخوان ويسوفون بشأن الحكم بالإسلام. **(يخادعون الله والذين آمنوا)**

١) **فاعلنوا:** إعادة التحقيق بمقتل حسن البنا وسجنوا محمود عبد المجيد ورجاله ودفعوا دية البنا عشرين ألف لابنه

٢) **في الذكرى الأولى** [2] -بعد الثورة- لمقتل البنا ١٢ شباط سنة ١٩٥٣ بقي الراديو طيلة النهار لا يقرأ إلا القرآن وسيرة البنا ووجه محمد نجيب -رئيس الجمهورية- كلمة بهذه المناسبة إلى الشعب المصري وفي العصر ذهب مجلس الثورة وزاروا قبر حسن البنا ثم عادوا وعزوا الاستاذ

٣) **اختيار الاستاذ سيد قطب مستشاراً** لشؤون الثورة الداخلية لمدة ثلاثة أشهر ثم فترت العلاقة مع مجلس الثورة لمدة ثلاثة أشهر أخرى ثم قاطعهم عندما رأى التوائهم وانحرافهم.

## تشكيــــل الوزارة :

تشكلت الوزارة وعرض على الاخوان أن يقدموا سبعة وقيل ثلاثة وزراء فرفض الاستاذ الهضيبي إلا أن تعلن الثورة الحكم بالإسلام فرفضوا ولكنهم، أقنعوا الباقوري بالاشتراك في الوزارة للأوقاف فخيره الهضيبي بين الاخوان وبين الوزارة فاختار الوزارة واستقال من الاخوان. واستلم عبد الناصر وزارة الداخلية.

## مايلز كوبلاند [3]

أحد رجالات المخابرات الأمريكية، وصل في بداية سنة١٩٥٢ ليعمل مع المجموعة الأمريكية في القاهرة وقويت صداقته بعبد الناصر حتى أصبح يدخل بيته دون استئذان.

سافر مايلزكوبلاند إلى أمريكا وعرض على المخابرات الامريكية CIA أن يقدموا لعبد الناصر ثلاثة أمور:

١ : سيارة مصفحة ضد الرصاص

٢ : مجموعة من المخابرات الامريكية لتبني له المخابرات المصرية

٣ : أن يقدموا له هدية مالية.

فاعتذروا له عن الهدية المالية فقال لهم: لواقنعتم الرئيس ايزنهاور أن يقدم هذه الهدية من مخصصات رئيس الجمهورية للولايات المتحدة فوافق ايزنهاور وارسل ثلاثة ملايين دولار جاءت إلى السفير الامريكي في بيروت ثم قدمت إلى جيفرسون كافري السفير في القاهرة فأعطاها إلى مايلز كوبلاند وسلمها الساعة الثانية عشرة ليلاً إلى حسن التهامي -رئيس حرس عبد الناصر الخاص- وسلمها هذا بدوره إلى عبد الناصر واشترى بها رجالات الثورة.

ومن الطريف أن كوبلاند عد المبلغ على التهامي فوجده ناقصاً عشرة دولارات .

## إقصاء محمد نجيب في ٢٨ شباط سنة ١٩٥٤:

اتفق عبد الناصر بعد أن أصبح رئيسا للوزراء مع مجموعته مثل صلاح سالم وعبد الحكيم عامر على إقصاء محمد نجيب

(١) يا ولدي -هذا عمك جمال- لأنور السادات

(٢) انظر الاخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية [illegible]

فقامت المظاهرات وأحاطت بقصر عابدين وكان الاخوان يطالبون بعودة محمد نجيب، وكان مجموع المتظاهرين قرابة ثلاثمائة أ
وفي هذا اليوم لو أراد الاخوان قتل كل رجال الثورة لسهل عليهم وبمسدس واحد اذ كانوا كالعصفور في القفص ولكن قدر الله غا
(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) واضطر عبد الناصر وصلاح سالم أن يحضرا محمد نجيب والجماهير البشر
تموج كالبحر حول القصر، وحاول رجال الثورة أن يتكلموا ولكن هيهات هيهات.

وجاء عبد القادر عودة وكيل جماعة الاخوان وظهر للجماهير من إحدى أبواب القصر العليا وأشار بيده فصمتت الجماهير وأ
عودة محمد نجيب ليخطب وخطب وطالبت الجماهير قائلة: أعلنها الآن يا نجيب لا صلاح ولا جمال ولكن وللأسف لم يجرؤ مح
نجيب أن يعلنها، والحياة أخذ بالحزم في مواقف وكم من موقف تخاذل فيه قائد فضاعت أمة وكم من موقف وبحزم رجل أنقذ أ
كموقف أبي بكر الصديق يوم الردة أنقذت أمة الإسلام بكاملها.

بكلمة واحدة كان بإمكان محمد نجيب أن يعتقل عبد الناصر وصلاح سالم وينتهي وجودهما السياسي وإلى الأبد.

وسبحان الذي يجري القدر وبحكمة لا يعلمها إلا هو وهذا الموقف هو الذي قتل عبد القادر عودة فيما بعد.

## اقصاء محمد نجيب في ٢٨ آذار سنة ١٩٥٤:

وأقصي محمد نجيب للمرة الثانية واختفى عن مسرح السياسة وإلى الأبد.

## عقد معاهدة الجلاء :

كانت المقاومة الجهادية التي يقوم بها الاخوان لازالت مستمرة وقد تعبت بريطانيا من الاقامة في مصر ولما تقدمه من تكالي
اتفقت مع عبد الناصر على أن تجلو عن القناة مقابل شروط على رأسها:

(يحق لبريطانيا أن ترجع لاحتلال القناة إذا حصل اعتداء على مصر أو على الدول العربية أو تركيا)

عارض الاخوان هذا الشرط معارضة شديدة وحصلت بين عبد الناصر وبين الاستاذ الهضيبي مكاتبات على صفحات الجر
كانت كلمات الاستاذ الهضيبي شديدة وحادة.

يقول خالد محي الدين –أحد قادة الثورة– قال لي روجيه استفانو –أحد المراسلين الأجانب–

(إن عبد الناصر عقد صفقة بواسطة مصطفى أمين أساسها أن يتم التخلص من محمد نجيب، على أن يوقع معاهدة
جلترا يمكن بمقتضاها أن تعود قواتها إذا احتلت تركيا) فقال محمد نجيب (١): ان هذا يعني ربط مصر بحلف الاطلنطي ونشر
كلام في مؤتمر صحفي.

**كانت هذه أحد المبررات البارزة للاحتكاك بالاخوان.**

## لمبرر الثاني الحقيقي لضرب الاخوان:

**مشروع جونستون –مبعوث ايزنهاور لملء الفراغ في الشرق الأوسط**

وفي ربيع سنة ١٩٥٤ أي بعد استلام عبد الناصر رئاسة الجمهورية بأقل من شهر تقريباً جاء جونستون مبعوث أيزنه
لى الشرق الأوسط لتقديم حل للمشكلة الفلسطينية– أي لاقرار صلح مع اليهود وقدم اقتراحاته في مشروع يسمى مشروع
راغ، واقترح أن:

تقسم مياه نهر الأردن بين الأردن واسرائيل بنسبة ٤٠ ٪ للأردن و ٤٠ ٪ لاسرائيل و ١٠ ٪ لسوريا و ١٠ ٪ للبنان

وأن تستصلح أراضي يسكن فيها الشعب الفلسطيني، وأن تكون هنالك منطقة مجردة من السلاح بين العرب واليهود .. الخ
آخر جملة في المشروع : لن يكون هنالك سلام في المنطقة مادامت جماعة الاخوان المسلمين –التي تعد مليوناً من البشر دا
صر وخارجها– موجودة وقائمة.

---

(١) مجلة المجلة العدد ١٠٦ شباط (فبراير) سنة ١٩٨٢ جمادي الأولى سنة ١٤٠٢ هـ.

## ضرب جماعة الإخوان المسلمين

بعد هذا التقرير من جونستون اتخذ عبد الناصر معارضة الاخوان له في معاهدة الجلاء مبرراً لاعتقال الاخوان واعتقل الاخوان، الاعتقال الأول في مارس سنة ١٩٥٤ وحصل بعد الاعتقال خلاف بين أعضاء مجلس الثورة اضطر عبد الناصر أن يخرجهم من السجن، وكان عبد الناصر حتى الآن -رئيساً لمجلس الوزراء-

**حادثة المنشية في صيف سنة ١٩٥٤ (محاولة الاغتيال المزعومة)**

بدأ عبد الناصر يعد لضرب الاخوان المسلمين.

- فبدأ يستورد أدوات التعذيب وأرسل بعض الناس دورة إلى ألمانيا للتدرب على استعمال أدوات التعذيب

ب- دار نقاش بين عبد الناصر وبين عبد القادر عودة حول وضع الاخوان فافلت من فم عبد الناصر السر الرهيب فقال لعبد القادر: كم هم الاخوان ٣.٤.٧ مليون أنا مستعد أن أقضي عليهم، فأجابه عبد القادر باستغراب تقضي على سبعة ملايين من أجل شخصك [1]؟.

- خطط المستشار الاعلامي للثورة -وهو أمريكي- لمسرحية الاغتيال .

- اتفق عبد الناصر مع الأمريكان أن يرسلوا له قميصاً واقياً ضد الرصاص وتأخرت الطائرة ربع ساعة ولذا تأخر خطاب المنشية ربع ساعة.

- خطب عبد الناصر وأثناء خطابه أطلقت عدة رصاصات من مسدس فهرب الناس ولكن عبد الناصر لم يهرب ولم يتحرك وواصل الخطاب وقال: لا تهربوا، إن قتل عبد الناصر فكلكم عبد الناصر (لقد خلقت فيكم العزة والكرامة).

## اعتقالات الاخوان سنة ١٩٥٤:

وأمر عبد الناصر أجهزته باعتقال الاخوان وألقي آلاف الشباب المؤمن في داخل السجون يسامون سوء العذاب، وما عرفوا أسلوباً في الإهانة وهدرالكرامة وسحق الانسانية إلا استعملوه.

وما تركوا وسيلة من وسائل التعذيب إلا جربوها، وقد اختير لعملية الابادة والتعذيب مجموعة ممن لا دين لهم ولا إنسانية وقد برز حمزة البسيوني كمدير للسجن الحربي فعندما يستغيث المسلم أثناء التعذيب -بالله- يقول حمزة

(لوجاء الله لوضعته في الزنزانة) -سبحانه وتعالى عما يقولون- وكان السؤال الرئيسي من المحكمة التي تتألف من جمال سالم رئيساً، أنور السادات عضو أيمن، حسين الشافعي عضو أيسر السؤال الأول: هل حضرت القتال في فلسطين؟ فمن أجاب بنعم أعدم أو سجن مدة الحياة.

**القافلة الأولى من الشهداء:** قدم عبد الناصر قافلة من الشهداء في كانون الأول سنة ١٩٥٤ على رأسهم :-

١ - عبد القادر عودة: صاحب كتاب التشريع الجنائي في الإسلام ووكيل جماعة الاخوان

٢ - محمد فرغلي: قائد الاخوان في فلسطين وقناة السويس والذي دفعت بريطانيا خمسة الاف جنية لمن يأتي بخبره حياً أو ميتاً

٣ - يوسف طلعت: جزار الانجليز في قناة السويس كما كانت تطلق عليه إذاعة فايد

٤ - هنداوي دوير : محامي مجاهد

٥ - ابراهيم الطيب : محامي مجاهد

٦ - محمود عبد اللطيف : من مدربي شباب الاخوان

أما الاستاذ الهضيبي فحكم عليه بالاعدام ثم خفف الحكم لشيخوخته

على الأعواد أعناق    إليها الحور تشتاق
تغني وهي تستاق    لمصرعها أ إشفاق
وملء الموت إشراق
سقوا انجلترا الذلا    وأنهوا جندها قتلا
وسل صهيون كم أبلى    كتائبها فما أغلى
دماً في الله يهراق
هم في الحرب فرسان    وأما الليل رهبان
وملء الليل قرآن    إذا متلوا به لا نوا
فدمع العين رقراق

وطارد عبد الناصر الاخوان المسلمين والإسلام في كل بقعة في الأرض، ففي الداخل : حارب كل المظاهر الإسلامية ـ أضحت اللحية علامة تؤدي بصاحبها في غياهب السجون، وتوارى المسلمون خلف القضبان، وتمزقت أسرهم، وتشتت عائلا، حورب أبناؤهم، وحرموا حتى لقمة العيش، وحورب كل من يساعدهم بدرهم يشتري به خبزاً لهم، وكم من سيدة شريفة زوجة طب و مهندس أو استاذ جامعة انتقلت زوجته إلى خادمة في البيوت لتكسب اللقمة الجافة لأطفالها، ولقد بلغنا أن أسرة ذهبت لت نصرها وردتها في الكنيسة لتتخلص من مطاردات رجال المباحث.

وكانت فترة ما شهد لها التاريخ مثيلاً

يقول الأستاذ محمد قطب حفظه الله (راجعت تاريخ التعذيب في البشرية فلم أجد نظيراً لتعذيب الاخوان في مصر) اللهم حاكم التفتيش في اسبانيا.

## اعتقالات سنة ١٩٦٥م

وفي سنة ١٩٦٥م أعلن عبد الناصر في موسكو ومن فوق قبر لينين (أننا اكتشفنا مؤامرة للاخوان المسلمين ولئن عفونا ا لأولى فلن نعفو المرة الثانية).

ولقد اختلف الناس في تفسير الاعتقالات هذه المرة .

١ - فمنهم من يرى : أن الدوائر الغربية الصليبية قدمت له تقريراً أن هنالك تياراً اسلامياً تحت السطح.

٢ - ومنهم من يرى أن الضجة التي أحدثها كتاب (المعالم) الذي أصدره سيد قطب رحمه الله سنة ١٩٦٤ ونفاذ ثلاثين أ لخة من السوق بسرعة كان له رد فعل لدى الدولة خاصة وأن الشيوعين قرأوا الكتاب وبينوا لعبد الناصر مدى خطورته. وقد صر د الشيوعيين بهذا للأستاذ محمد قطب قبل الاعتقال بفترة بسيطة.

٣ - ومنهم من يرى أن الصحف الغربية بدأت تحرض عبد الناصر على الاخوان ولقد قرأت سنة ١٩٦٤ بعض المقالات المنقو الصحف الألمانية تقول فيها ان الاخوان المسلمين الذين ظن عبد الناصر أنه قضى عليهم قد نشطوا في منفاهم في السعود ها ولن يجد عبد الناصر بداً من منازلة الاخوان المسلمين مرة أخرى (١).

٤ - ومنهم من يرى أن عبد الناصر أراد أن يثبت للأمريكان أنه لازال باستطاعته أن يؤدي دوراً وذلك على أثر اجتماع لسفر كا (١٤) سفيراً في المنطقة وقد بحثوا في جدوى بقاء عبد الناصر أو ذهابه

فاقر ثمانية منهم بقاؤه وقال ستة منهم أن فائدته الآن لنا قليلة جداً والأولى استبداله. ولذا أراد أن يثبت لهم أن له دوراً ف . وقد تكون هذه العوامل كلها مجتمعة هي السبب في الاعتقالات .

---

لة المسلمون، بنشرة وا إسلاماه لسعيد رمضان.

## الاعتقالات في أغطس سنة ١٩٦٥:

أعلن عبد الناصر أنهم اعتقلوا في يوم واحد (١٧ ألف) سبعة عشر ألف من الاخوان، واستحضر عبد الناصر بعثة من علماء النفس الأمريكان ليدرسوا نفسيات الاخوان وطريقة غسل أدمغتهم ولدى تفريغ الاستمارات التي عبأها الاخوان في السجون خرجوا بنتيجة (أنه لا يمكن لهؤلاء أن يتغيروا)

وكانت الضربة في هذه المرة أشد لأن الحكومة قوبلت بنماذج أرفع وأنضج وبتنظيم أدق وأين نبت هذا التنظيم في أحلك الظروف وأقسى الفترات في حياة مصر.

لقد كانت صدمة عنيفة لعبد الناصر وتأثرت أعصابه وحالته النفسية كثيراً بل اضطربت -شيئاً ما- حالته العقلية وهو يرى أن الاخوان يصلون إلى هذا المستوى من التنظيم ويستطيعون النفاذ حتى يصلوا إلى حرسه الخاص فينظموا اسماعيل الفيومي رحمه الله بين صفوفهم وهذا الجندي الذي اتهم بأنه المعد لاغتيال عبد الناصر ولذا فقد حملوه بأرجله وضربوا رأسه بتمثال عبد الناصر فقضى نحبه إلى الله على طريق قافلة الشهداء.

وكان التعذيب في هذه المرة أعتى ومات تحت التعذيب (٢٨٤) شاباً من أرقى التخصصات العلمية من طب وهندسة وذرة وطاقة نووية وأساتذة جامعات.

وحكمت المحكمة بالاعدام على :

١ : الاستاذ سيد قطب

٢ : الشيخ عبد الفتاح اسماعيل

٣ : الاستاذ محمد يوسف هواش

وذلك في ٢٩ آب سنة ١٩٦٦. وأصدر عبد الناصر قراراً يقول:

(لا يخرج واحد من الاخوان من السجن، من أنهى مدة السجن ينقل إلى المعتقل).

# حرب حزيران سنة ١٩٦٧م

## وبعد مقتل سيد قطب بتسعة أشهر فقط احتلت اسرائيل حتى القناة/ يونيو سنة ١٩٦٧

في شهر أيار (الخامس) سنة ١٩٦٧ طرد عبد الناصر البوليس الدولي من سيناء وحرك الجيش إلى سيناء استعداد للحرب. كان هذا بعد أن أعلن عبد الناصر قبل أشهر من هذا التاريخ في معرض مناقشته للسوريين حول تحويل مياه نهر الأردن.

(ان التفكير في أية معركة شاملة مع العدو اليوم هو بمثابة انتحار) (١).

ولقد قرر مؤتمر الدار البيضاء للقادة العرب في آخر سنة ١٩٦٥ مايلي:

(إن خطتنا العسكرية إذا صفت النيات تحتاج إلى بضع سنين لتصل إلى مستوى الردع لا إلى مستوى الهجوم)(٢)

وبعد أقل من عام أعلن عبد الناصر الهجوم على اسرائيل وسبق الهزيمة ادعاء عريض من عبد الناصر وصحفه وتبجح لا يكاد يحتمل، وأما صواريخ القاهر، الظافر فلا تسأل عن الأغاني لها. ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده عبد الناصر في ٢٧ / ٥ / ٦٧ أعلن أنه: سيحارب اسرائيل ومن وراء اسرائيل وقالت الاذاعة (تجوّع يا سمك) (بالبحر حنقذفهم: أي سنلقي اليهود في البحر) (أم كلثوم ستغني لك في تل أبيب)

وكتبت جريدة الجمهورية القاهرية ٢١/٥/٦٧ (في ساعات قليلة يمكن أن تسحق اسرائيل بغير استخدام كافة اسلحتنا) (٣).

وقال محمد حسنين هيكل ٢/٦/٦٧ -قبل النكبة بثلاثة أيام: (إن اسرائيل مقبلة على عملية انكسار تكاد تكون محققة سواء من الداخل أو من الخارج)(٤)

وسئل شمس بدران[1] -وزير الحربية المصري- فيما لو تدخل الأسطول السادس الأمريكي فرد: ·إطمئن، أول طلقة ي أبطله (أي أسحقه) وكانت مسرحية حرب سنة ١٩٦٧ التي أعلن فيها عبد الناصر في خطاب الاستقالة يوم ٩ يونيو بعد اا فقال:

(كنت على علم مائة بالمائة أن الهجوم يوم الاثنين واتصل بي السفير الأمريكي الساعة السابعة مساء والسفير الروسي اا الثالثة صباحاً من فجر الاثنين)

مع هذا العلم بالهجوم ماذا كان في مصر

١ ـ حفلة ليلة الهجوم (ليلة الاثنين) ساهرة ترقص فيها سهير زكي ويحضرها أربعمائة ضابط من الطيران ويشرف على ا صدقي محمود -قائد السلاح الجوي- وياروخ نادل اليهودي الذي بقي مستشاراً للطيران المصري العسكري من سنة ١٩٥٥ - ١٩٦٧ ثم كتب كتابه (تحطمت الطائرات عند الفجر) [2] واستمرت الحفلة إلى الفجر.

٢ - كانت الطائرات الحربية معروضة على أرض المطارات دون ملاجيء .

٣ - لم يكن في جو مصر طائرة مراقبة واحدة كما يقول جنرال هود قائد سلاح الجو الاسرائيلي.

٤ - كان عدد الجيش المصري في الصحراء أربعين ألفاً (٤ فرق مشاة) لم يطلب منه أن يحفر حتى مجرد خنادق دفاعية.

٥ - عندما سأل بعض المقربين لعبد الناصر عن تفكيره جديا بالحرب قال (أنتو فاكرين عايزين نحارب، المسألة كلها مـ سياسية)

٦ - أمر عبد الحكيم عامر أن يكون مع كبار أركانه في طائرة هليوكبتر في صباح ٥ حزيران حتى لا تشتغل المضادات ا ضد الطيران الاسرائيلي لأن طائرة المشير في الجو.

٧ - يقول أحمد اسماعيل والجمعي: كنا قادة في سيناء فلم تمر علينا أية برقية ولو واحدة.

٨ - كانت المحطات المصرية تعلن هدف المعركة (لأجل الربيع، لأجل الحياة لأجل عشاق الحياة إضرب) أم كلثوم وعبد ا معك في المعركة.

٩ - جاء الأمر للقوات في سيناء كالتالي

(سلاح الطيران تحطم ألقي سلاحك وانسحب)

١٠- أعلن عبد الناصر أنه يتحمل النتيجة وامتص غضب الجمهور بدموع التماسيح واستقال وخرجت جماهير تسعة و يونيو لترجعه ؟؟؟

وكل شيء معد من قبل ...

١١ - اتصل الملك حسين بعبد الناصر ظهر الخامس من حزيران ليسأله عن خبر المعركة فقال (أسقطنا ثلثي طائرات طائراتنا فوق تل أبيب، شد حيلك يا جلالة الملك) التوقيع: سلمى (اسم عبد الناصر بالشيفرة العسكرية). وقد اا محطة اسرائيل هذه البرقية وأذاعتها عدة مرات من إذاعتها بصوت عبد الناصر وأنا سمعتها أكثر من مرة أثناء الأيام الستة بأذني.

- أخفى عبد الناصر خبر الطيران المصري عن الأردن مدة ٣٦ساعة حتى يزج بالأردن في المعركة وتتحطم كما تحطمت ، يقول سعد جمعة [3] رئيس وزراء الأردن أثناء الحرب

(سمعت المذيع الأردني ظهر الخامس من حزيران يقول: (لقد بلغ مجموع ما حطمه نسورنا للأعداء خمسين طائرة مقا: تصلت لتوي · (رأساً) بمدير الاذاعة أسأله عن هذا التزوير فأجاب ببساطة وهدوء:

لقد أسقط أحمد سعيد مائتي طائرة للعدو فلا أقل من أن نسقط نحن خمسين!؟ هكذا والله!

أما بالنسبة للأردن: فلم يكن عندها غطاء جوي واتفقت مع سوريا أن تقوم سوريا بهذه المهمة.

(1) الحلول المستوردة ص ٢٧٥. (٢) انظر نفس الكتاب: تحطمت الطائرات عند الفجر. (٣) مجتمع الكراهية ص ١٢٩، وأما أحمد سعيد فهو مدير إذاعة صوت العرب ا

أما دباباتها فلم ترسل منها إلا قليلاً للضفة الغربية وبقيت معظم الدروع في الغور

**أما سوريا،** فقد اتصل عبد المنعم رياض (القائد العام للقوات المشتركة الأردن -سوريا- مصر) بسوريا وطلب من سوريا ب المطارات الاسرائيلية بالتعاون مع الأردن والعراق، وتباطأ البعثيون عدة مرات، ولو تحركت الطائرات السورية وضربت المطارات سرائيلية لتغير وجه المعركة. ويصرح بهذا الأستاذ سعد جمعة -رئيس الوزراء الأردني- في أثناء الحرب وقد كتب كتابا سماه )امرة ومعركة المصير).

يقول بأنا طلبنا من سوريا المرة تلو المرة يوم الخامس من حزيران أن تخرج طائراتها وهي تستمهلنا ساعة ولم تخرجها.

ويقول [1] سعد جمعة:

(ظهر الخامس من حزيران اتصل سفير دولة كبرى في دمشق بمسؤول كبير ودعاه إلى منزله لأمر عاجل، وتم الاجتماع في ال فنقل السفير للمسؤول السوري نص برقية عاجلة من حكومته تؤكد أن سلاح الجو الاسرائيلي قد قضى قضاء مبرماً على سلاح و المصري، وأن المعركة بين العرب واسرائيل قد اتضحت نتائجها وإن اسرائيل لا تنوي مهاجمة النظام السوري وإن اسرائيل من ، ومن بعد بلد اشتراكي يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية خاصة (البعثية العلوية) ... لذا فمصلحة سوريا، مصلحة الحزب، كاسب الثورة أن تكتفي بمناوشات بسيطة لتكفل لنفسها السلامة.

وذهب المسؤول السوري غير بعيد ليعرض ما سمعه لتوه على رفاق القيادتين القومية والقطرية، وعاد الرسول السوري غير بعيد ـغ السفير استجابة الحزب والحكومة والقيادات لمضمون البرقية العاجلة، وهكذا كان) [2].

ويبين رودلف تشرشل في كتابه (حرب الأيام الستة) كيفية الخيانة: فيقول: في الوقت الذي كانت المدفعية السورية مشغولة قاء الآف الأطنان من المتفجرت على العشب اليابس والاكشاك الفارغة في المستعمرات القريبة من الجولان كانت جرافات البلدوزر سرائيلية شاقة طريقها أمام الدبابات الاسرائيلية.

ولقد حدث أن تعطل محرك إحدى الدبابات السورية المنسحبه من الجولان فأدار الجندي فوهة مدفعها وقصف محور الدبابات سرائيلي فأصاب ستاً من الدبابات عطل تقدم الجيش الاسرائيلي ثماني ساعات في ذلك المحور [3].

ولذا فقد أعلنت سوريا من إذاعتها سقوط القنيطرة قبل سقوطها بتسع عشرة ساعة.

يقول سامي الجندي -من قادة البعث- كم كان مخزياً أن يعلن المندوب السوري وعلى شاشة تلفاز الأمم المتحدة سقوط نيطرة بينما المندوب الاسرائيلي ينفي ذلك.

ولقد كانت الاذاعة السورية تردد (الميج تتحدى القدر) أي طائرات الميج السوري تتحدى الله فهزمت شر هزيمة.

ونحن لا نستغرب كل هذا: لأن الأمين العام لفرع حزب البعث في دمشق هو أحمد رباح -يهودي مغربي- واختفى بعد حرب نة ١٩٦٧.

ولقد طلعت علينا سوريا بعد هذه الهزيمة النكراء تقول (اننا لم نهزم لأن قصد اسرائيل اسقاط الحزب ولم تستطع اسقاطه) دق رسول الله ﴿ﷺ﴾ **«وأن مما ادرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت»** رواه البخاري عن أبي مسعود عقبة ن عمرو الأنصاري

وإذا أردت مزيداً من الوضوح عن قضية الخيانة فاقرأ كتاب (سقوط الجولان/خليل مصطفى / مدير الاستخبارات العسكرية ي الجولان لفترة طويلة) وقد اختفى هذا المؤلف إذ اختطفته كلاب البعث النصيري من بيروت.

وبعد الحرب طلبت سوريا من أمريكا المحافظة عليها فاشترطت أمريكا عليها تفريغ الجولان ويحدث (دريد المفتي) [4] -وزير سوريا المفوض في مدريد أثناء حرب حزيران- فيقول في حديث له مع سعد جمعة :

لقد قرأت كتابك (المؤامرة ومعركة المصير) عن جريمة تسليم الجولان لجيش الدفاع الاسرائيلي دون قتال والتي اقترفها الثلاثي صلاح جديد، زعين، ماخوس).

وأحب أن أطلعك على مذكرة سلّمت لي بتاريخ ١٩٦٧/٧/٢٨ (تهدي وزارة الخارجية الاسبانية تحياتها إلى السفارة اا بمدريد، وترجو أن تعلمها أنها قامت بناء على رغبة الحكومة السورية بالاتصال بالجهات الأمريكية المختصة لاعلامها برغبة سو المحافظة على الحالة الراهنة الناجمة عن حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ....

وتود إعلامها أنها نتيجة لتلك الاتصالات تؤكد الحكومة الامريكية أن ماتطلبه الحكومة السورية ممكن: **إذا حافظت سوري هدوء المنطقة، وسمحت لسكان الجولان بالهجرة للاستيطان في بقية أجزاء الوطن السوري، وتعهدت بعدم قيام نشاطات تخري ناحيتها تعكر الوضع الراهن)**

لعلك تلاحظ يا أخي أن تفريغ الجولان من سكانها تم منذ سنة ١٩٦٧ فالجولان فعلاً منضمة إلى اسرائيل منذ ذلك والآن تملأ سوريا الدنيا عويلاً على ضم الجولان سنة ١٩٨٢.

## مطامع قادة اسرائيل بعد سنة ١٩٦٧:

في مقابلة صحفية لدايان بعد حرب سنة ١٩٦٧ سأله صحفي كيف تنشر خطة احتلال سيناء المقبلة سنة ١٩٥٨ ثم ت كماهي في حرب سنة ١٩٦٧؟

فقال: إن العرب لا يقرأون [١].

**ويقول دايان في مقابلة له:**

إن أباءنا صنعوا ما قبل سنة ١٩٤٨ ونحن أقمنا حدود سنة ١٩٤٩ وأبناؤنا صنعوا حدود سنة ١٩٦٧ وليست هذه ا بعد سنجتاز شرق الأردن وأجزاء أخرى من سوريا.

**ويقول بيغن في خطاب له سنة ١٩٥٦:** ان اليوم الذي يقدم فيه تلاميذ جابوتنسكي (يعتبر الأب الروحي لبيغن ولكتا الطبقة الأولى في اسرائيل) برنامجهم إلى رئيس دولة اسرائيل قد بات قريباً وعندها سنضم الضفة الشرقية من اسرائيل. لأن اسرائيل بضفتيها الشرقية والغربية قضية لا تقبل الجدال جغرافيا ولا تاريخياً.

وهذا الكلام لازال يردده بيغن وهو رئيس لدولة اسرائيل إذ ردد هذا الكلام سنة ١٩٨١م عندما طالب العرب باقامة فلسطينية في الضفة الغربية فقال: يجب أن يعلم العرب أننا ساكتون عن المطالبة بالضفة الشرقية لاسرائيل وعليهم أن يشكروا لنا الموقف.

**ويقول دايان عند دخوله المسجد الأقصى سنة ١٩٦٧:** «من أورشليم إلى يثرب».

**ويقول هرتسك** ( الحاكم العسكري للقدس ومدير الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية سنة ١٩٦٧) لزوجة أبي السعود من القدس»

وكان قد قابلها من أجل شراء دارلها في القدس فرفضت وقالت: أنا ذاهبة الآن إلى العمرة وليس عندي وقت لهذا الحديث لها:

(قولي للملك فيصل -رحمه الله وكان لايزال حياً-

إننا قادمون إليك لأخذ بيت أبينا ابراهيم)

**وتقول جولدا مايير** -رئيسة وزراء اسرائيل- وهي واقفة على شاطيء العقبة:

«إني لا تتنسم ريح أبائي من خيبر»

**ويقول ابن غوريون في مذكراته:** (إن نقطة الضعف في العالم العربي هي لبنان إذ أن اتحادها مع العرب مصطنع وإذا دولة في الجنوب اللبناني ونتحد معها وعندها سنحتل عمان ودمشق وإذا تحركت مصر فسنضرب القاهرة والسويس)

لاحظ كلام ابن غوريون: وإذا تحركت مصر فكأنه ضامن على الغالب أن لا تتحرك

(١) المسلمون بالحرب الرابعة لزهدي الفاتح، وانظر ( مجلة الأمة القطرية ) شباط سنة ١٩٨٢.

**أما المسجد الأقصى :** فإنهم يطمحون أن يهدموه ويقيموا مكانه الهيكل لأنهم يعتبرون أن المسجد نفسه هو هيكل سليمان.

ولذا فقد أرسل رئيس المحافل الماسونية في أمريكا إلى الشيخ حلمي المحتسب [١] يعرض عليه مائة مليون دولار من أجل أن يسمح لهم بهدم المسجد الأقصى لاقامة الهيكل مكانه ثم قالوا:

إن بامكان المسلمين أن يبنوا مسجد أقصى آخر في الضفة الشرقية.

هذه بعض مطامع اليهود؟ على ألسنة قادتهم

فإلى أي شيء يطمح قادة العرب؟

## أسباب الهزيمة

لقد لخص رب العزة أسباب الهزيمة في سطر واحد:

**«إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين»** [٢]

**«وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير»**[٣] .

**«يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين»**[٤] .

**«إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون)**[٥] .

**«ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، ومالكم من دون الله من أولياء، ثم لا تنصرون»**[٦] .

**«... ومن يهن الله فماله من مكرم ...»**[٧] .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد **(بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ...)**

إذن خلاصة أسباب الهزيمة :

عصينا الله فهزمنا

نسينا الله فنسينا

تحدينا الله فأذلنا

### وأنا أسوق إليك بعض أخبار العالم العربي للاثبات:

١) اختطف السوريون (جميل ارتقا- مدير مخابرات إربد وأخذوه إلى درعا في ٢٢ / ٩ / ١٩٧٠ فبادره النقيب السوري (حسن الحوري) مدير مخابرات [٨] درعابشتم آل البيت فقيل له: ألاتستثني الرسول الكريم؟ فأجاب: هو على رأس القائمة.

٢) قال أحد قادة المنظمات في عمان قبل فتنة أيلول:

(لو امتدت إلينا يد الله لقطعناها)[٩] تعالى الله عمايشركون .

٣) عرضت في مصر سنة١٩٦٧ مسرحية اسمها (أصل الحكاية) ألفها (بكر الشرقاوي) وهي أول مسرحية بطلها الله -سبحانه وتعالى-

وتقول المسرحية -إن الانسان خلق قبل الله- [١٠].

٤) الدبابات الأولى المصرية التي دخلت سيناء مكتوب عليها (ناصرنا ناصر) -أي ناصرنا عبد الناصر- بينما الدبابات الأولى الاسرائيلية مكتوب عليها نصوص من التوراة.

---

(١) الشيخ حلمي المحتسب / مدير أوقاف الضفة الغربية. (٢) المجادلة ٢٠ . (٣) الشورى ٣٠. (٤) آل عمران [illegible]

٥) بتاريخ ١٩٦٥/١/٢٤ دخلت الدبابات لأول مرة في تاريخ دمشق مسجد بني أمية تفتك بالمصلين فاستشهد منهم مائتان واغلق الجامع أياما لازالة ما علق بأستاره ومحرابه من دماء المسلمين.

وفي ذلك اليوم قال مذيع دمشق (إننا لن نسمح لمن كانوا يعيشون في هذه البلاد قبل ألف وأربعمائة سنة أن يفرضوا علينا أنظمتهم القديمة وأن يضعوا لنا أسس حياة نعيشها في هذا العصر)

٦) في مدينة جنين / الضفة الغربية / فلسطين قامت مظاهرة خرجت من مدرسة جنين الثانوية وهجموا على دار الاخوان وأخرجوا المصاحف والتفاسير ومزقوها تدوسها الأقدام على طول الشارع العام وذلك في شهر نيسان سنة١٩٦٧ قبل الهجوم بشهرين.

٧) عندما أعدم جمال عبد الناصر المفكر الإسلامي سيد قطب -رحمه الله- وزع أهل مدينة نابلس / فلسطين الكنافة[1] احتفاء بهذا النصر.

٨) قالت لي إحدى المثقفات وهي تناقشني: إن عمر بن الخطاب لم يعمل مثل عبد الناصر فغضب زوجها وقال: والله إن محمداً لم يعمل مثل عبد الناصر.

٩) كانت كلمة ( سرالليل ) في بعض قواعد الجبهة الديمقراطية في الأردن سنة ١٩٦٩ سب الرب، وشتم الدين، وعلى سبيل المثال قاعدة (حرثا)

١٠) في تجمع للفدائيين في قرية (الرام / إربد / الأردن) سنة ١٩٦٩ عندما كان الشباب المسلم (الاخوان المسلمون) يؤذنون للصلاة يصطف مقابلهم أعضاء الجبهة الشعبية الديمقراطية / نايف حواتمه والجبهة الشعبية / جورج حبش ينشدون:

*إن تسل عني فهذي قيمي*      *أنا ماركسي لينيني أممي*

وقد رأيت هذا بنفسي.

١١) (ليلى خالد) تسمي مجموعتها مجموعة (جيفارا) وتعلن في صحيفة لبنانية أنها (ماركسية) وأنها أكبر من أن تؤمن بالله لأنها سخافة [2].

١٢) اعلنت (فدوى طوقان) [3] في صحيفة اسرائيلية أنها تنكر وجود الله فتقول لها الكاتبة الاسرائيلية (لهذا بنينا وهدمتم .. وغلبنا وانهزمتم)

١٣) يقول سعد جمعة [4] : في يدنا وثائق تثبت أن المخابرات الأمريكية والبريطانية كانت وراء انقلاب البعث في العراق في ١٧ أيلول سنة١٩٦٨ وكان همزة الوصل مع المخابرات الأجنبية هو العميل المشهور (لطفي العبيدي) وكان العبيدي على اتصال مستمر بعدد من البعثيين وفي طليعتهم أحمد حسن البكر.

١٤) يقول هيكل [5] في عدد الأهرام ١٩٧١/١/١٥ وهو يستعير لسان الأديب الفرنسي مالرو (لديّ تصور عن انتشار الإسلام في مصر بسرعة، إن مصر دائماً تبحث عن فرعون يمثل سمو روحها ... إن الإسلام لم ينتشر بسرعة بعد الفتح العربي لكنه انتشر بسرعة بعد الخلافة، حين أصبح الخليفة -بالسلطة الزمنية والروحية في يده- فرعونا يلبس بدل التاج عمامة)

١٥) كتبت جريدة البعث العراقي -في أول مرة استلم فيها البعث العراق- عن ميشيل عفلق (الاله العائد) وقال شاعرهم:

*يا سيدي ومعبدي وإلهي*      *حسبي ألمُ فتاتكم حسبي*

١٦) قال ابراهيم خلاص في مجلة ( جيش الشعب السورية ) في ٦٧/٤/٢٥ (قبل الهزيمة بشهر واحد) (والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الانسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن: أن الله والأديان والاقطاع ورأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ) [6].

١٧) كتبت عناصر الوحدات والسرايا والحزبيون -التابعون للسلطة في سوريا- لافتات تقول مايلي [7]:

---

(١) ... ى فلسطينية مشهورة. (٢ ، ٣) مجتمع الكراهية ص ٩٤ . (٤) مجتمع الكراهية ص ٥٩ . (٥) مجتمع الكراهية ١٩٨.

(٦) ... ر كتاب أبي الحسن الندوي (العرب والإسلام) في المقدمة وكذلك الحلول المستوردة ص ١٩٢. (٧) مجلة النذير عدد ١٧ بتاريخ ١١ رجب ١٤٠٠ هـ الموافق ١٩٨٠/٥/١٥م.

(يسقط الله) (الأسد ربنا)

(لا إله إلا الوطن = ولا رسول إلا البعث)

كان هذا في رجب سنة ١٤٠٠ هـ الموافق أيار سنة ١٩٨٠م

**وأظن أن هذا النقل من هذا الغثاء يكفي**

## وأنقلك إلى صفحة أخرى عن أعدائنا -اليهود-

(١) تقول إبنة دايان في كتابها (جندي من اسرائيل) : لقد كانت فرائصنا ترتعد عندما سمعنا بكثافة العدو على الجبهة الجنوبية ولكن عندما جاء الحاخام وصلى بنا تبدل الخوف أمناً.

(**وتقول** : إن من مراسيم الطقوس -في التوراة- أن يقدم للجنود يوم السبت معلبات، وعندما أحضروا لنا طعاماً طازجاً مطهياً قبل المعركة -يوم السبت- (٦٧/٦/٣) رفض الجنود الأكل فأفتى لهم الحاخام الأكبر جواز هذا أثناء الاستنفار) [١].

(٢) تقول جولدا مائيـــر ( إن أساس قوتنا الوحيد هو إرتباط كل يهودي في الدنيا بنا إرتباط العقيدة)[٢].

(٣) حضر ابن غوريون وزلمان شازار تشييع جنازة تشرشل وكان اليوم -يوم سبت- فسارا على أقدامهما حوالي ٦ كم لأن ركوب السيارة ممنوع عندهم يوم السبت، مع أنهما قد بلغا من العمر عتيا.

(٤) كتب ابن غوريون[٣] إلى ديجول -رئيس وزراء فرنسا- سنة ١٩٦٨ يقول (إن سربقائنا بعد التدمير البابلي والروماني وحقد المسيحيين الذين أحاطوا بنا ألف عام يكمن في صلاتنا الروحية بالكتاب المقدس. وعندما جاءت اللجنة الملكية البريطانية في آخر سنة ١٩٢٦ لتدرس مستقبل الانتداب قلت لها: الانتداب الخاص بناهو التوراة، لقد استخرجنا منه قوتنا لنقاوم عالماً عادياً ولنستمر في الايمان بعودتنا إلى بلادنا)

(٥) وفي الصفحات الأخيرة من مذكرات وايزمن[٤] -ما يعتبر توصية عامة لاسرائيل- «هدفنا هو بناء حضارة تقوم على المثل الصارمة للآداب اليهودية عن تلك المثل يجب أن لا نحيد .... فإذا استهدف اليهود في نشاطهم قيماً حقيقية ... عندما يطل الله بعطف على أبنائه الذين عادوا بعد تيه طويل إلى بيتهم ليخدموه وعلى شفاههم مزمور، وفي أيديهم مجرنة محيين بلادهم القديمة وجاعليها مركز حضارة انسانية)

(٦) عندما دخل دايان القدس سنة ١٩٦٧: قال: يا لثارات خيبر، وقال الجنود الاسرائيليون وأنا سمعت أصواتهم مسجلة من الاذاعة الاسرائيلية: محمد مات محمد مات وخلف بنات.

(٧) لقد رفض الحاخام أن يكتب عقد قران (ابنة ابن غوريون) رئيس وزراء اسرائيل لأن أمها ليست يهودية، والتوراة تعتبر النسب للأم.

(٨) يقول بيغن أثناء نقاشه مع السادات حول الضفة الغربية: (أنا رجل مؤمن بالتوراة، رباني الاب الروحي جابوتنسكي- كما ربّى حسن البنا عندكم سيد قطب، وأنا أعتبر الانسحاب من الضفة الغربية مخالفة للتوراة ولمبادئي الروحية)

حدثني هذا الاخوة نقلاً عن إخواننا في المنطقة المحتلة سنة ١٩٤٨ الذين قاموا بترجمتها من العبرية.

(٩) قال ابن غوريون عندما دخل القدس سنة ١٩٦٧ (هذا أعز يوم عليَّ منذ دخولي أرض الميعاد)

١٠) بعد احتلال القدس ١٩٦٧ جاء ليفي اشكول يحمل ورقة صغيرة كتب فيها أمانيه ووضعها في شق من شقوق حائط المبكى (حائط البراق للمسلمين) كما تفعل العجائز عندنا[٥].

١١) في مقابلة اذاعية مع جندي اسرائيلي في جبهة السويس صيف سنة ١٩٦٩ يقول المذيع له: أنت شاب في العشرين من عمرك، وقد قدمت إلى اسرائيل بعد حرب الأيام الستة من كاليفورنيا فما الذي حفزك؟ قال الشاب: لقد حفزني ديني ودفعني إيماني للمجيء إلى الأرض المقدسة لأحقق رسالة الأنبياء والسعادة التي أحسها في الدفاع عن معتقداتي الدينية لا تعدلها سعادة في الدنيا [٦].

(١) مجتمع الكراهية ص ١٠٩. (٢) مجتمع الكراهية ص ١١٠. (٣) انظر كتاب الحلول المستوردة ص ٣٤٦ نقلاً عن جريدة لوموند الفرنسية ١٩٦٨/١/١٠

١٢) لقد أحيت اسرائيل اللغة العبرية -لغة التوراة- بعد أن درست منذ ثلاثة الآف عام، فأسماء: الهستدروت، الكنيست، إيا أصبحت هي أسماء مؤسسات ومدن.

هل عرفت بعد هذه المقارنة لماذا هزمنا ولماذا انتصر اليهود؟ ولا يغرّ البعض قوله: أننا مسلمون أفضل من اليهود على أية حـ فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم (أمابعد، فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى ا على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو .... فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلم بمعصية عدوهم لله ... فإن استوينا وإياهم في المعصية كان لهم فضل في القوة .... وإن الله سلط المجوس الكفار ء اليهود وهم أهل كتاب) (١).

# الصلح مع اسرائيل

طلبت أمريكا من مصر ممثلة بزعيم العرب !! جمال عبد الناصر أن يقدم على الصلح مع اسرائيل. فاستمهلهم حتى يه لشعب إلى حافة اليأس ولذا فقد بدأت عمليات الضرب في العمق وصار الطيران الاسرائيلي يقذف ويقصف مدن القناة باستمر هاجر حوالي مليونين من سكان مدن القناة إلى القاهرة وغيرها بلا مأوى ولا غذاء.

وجاءت مبادرة روجرز فأعلن جمال عبد الناصر قبولها في شهر آب سنة ١٩٧٠ قبل أن يهلك بشهر واحد. فسخط عليه عابد أعلنوا غضبهم عليه في مظاهرات في عمان وغيرها خاصة من الشعب الفلسطيني الذي أوصله إلى مقام النبوة أو الربوبية؟؟

## مات عبد الناصر في ٢٨ أيلول سنة ١٩٧٠

بعد أن خلف وراءه تركة مثقلة تنوء بالعصبة أولي القوة، ترك وراءه مصر غارقة في الديون لاتكاد صادراتها تغطي فوا قروض البنكية التي عليها للدول الكبرى، فقد كانت خسارته في الحرب وحدها من المعدات العسكرية ١٢ ملياراً من الدولارات.

والديون التي على الدولة تصل إلى حوالي عشرين ملياراً ولذا نصح بعض الاقتصاديين -أنورالسادات- أن يجمد الديون لأن تطاق ولا تُسد.

مات بعد أن أوصل قيمة الجنية المصري إلى الحضيض والجنية المصري كان في قيمته يوم أن غادر فاروق ديناراً كويتياً وأك ن قيمة الدينار الأردني ومامات عبد الناصر إلا والجنية لا يساوي ربع دينار كويتي.

- مات عبد الناصر والحريات مصادرة، والأفواه مكممة

- مات عبد الناصر والإسلام في داخل الأسوار الحديدية والشباب المسلم مطارد في كل بقعة أو يموت موتاً بطيئاً ف سجون، استلم عبد الناصر ومصر مكتفية -تقريباً- بماتنتجه من القمح وفي سنة ١٩٥٦ استوردوا (٣٠٠) الف طن من القمح و ف ة ١٩٦٧ استوردوا ثلاثة ملايين طن من القمح (٢).

كان تقدير عبد الناصر لخسائر سنة ١٩٦٧ (كمايدعي مع أن الحقيقة أن الأرقام أكثر من هذا بكثير) فيقول:

**القتلى من الجنود** : عشرة الآف القتلى من الضباط: ألف وخمسمائة.

**الأسرى من الجنود** : خمسة الآف. الأسرى من الضباط : خمسمائة

الخسائر من المعدات العسكرية ٨٠ ٪ (٣).

- مات عبد الناصر وقد ترك لأتباعه سنة متبعة أن لايتركوا مسلماً إلا حاربوه وأن لايتركوا كافراً إلا صادقوه ووالوه وأحبوه.

لقد وقف عبد الناصر مع الهند الهندوسية الوثنية ضد الباكستان المسلمة.

لقد وقف عبد الناصر مع الهند لفصل بنجلادش عن باكستان.

لقد وقف عبد الناصر مع هيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة ضد المسلمين في الحبشة

(١) مختصر العقد الفريد.   (٢) الحلول المستوردة / يوسف القرضاوي ص ٢٥٧.   (٣) الحلول المستوردة ص ٢٧٦.

لقد وقف عبد الناصر مع الأخ؟! تيتو ضد المسلمين في يوغسلافيا وسلمه المجاهدين اليوغسلافيين الذين جاهدوا في فلسطين ليعدمهم في يوغسلافيا، لقد هنأ عبد الناصر الوفد النيجيري المسلم الذي جاء ليشكوا إليه قتل زعيمهم المسلم الحاج أحمد أوبللو -رئيس الوزرا- الذي أسلم على يديه ١.١١٨/٠٠٠ وثني. أقول: لقد هنأهم بمقتل هذا الرجعي المتأخر

لقد وقف عبد الناصر بجانب جوليوس نيريري في تنزانيا ضد المسلمين في زنجبار وتنجانيقا.

لقد وقف عبد الناصر مع الأسقف مكاريوس في قبرص ضد المسلمين الأتراك فيها وكانت الصاعقة المصرية تقوم بنسف المساجد في قبرص.

لقد وقف عبد الناصر مع خريتشوف الزعيم السوفياتي الشيوعي ضد مصالح المسلمين هناك.

لقد مات عبد الناصر بعد أن مزّق العالم العربي وأنهك الجيش المصري في الفتن الداخلية في العالم العربي وقتل من الجيش المصري في جبال اليمن ٣٠-٤٠ ألفاً وبلا مقابل، مات عبد الناصر بعد أن جعل السخرية من الإسلام والعلماء فناً، وأصبح ابن الشارع يحتقر العلماء والائمة ويزري بقيمة الدعاة والصادقين. وأصبحت الراقصات والداعرات من النجوم والكواكب وتوارى الأشراف وتغيب العقلاء وبُدت الفضيلة ودفنت المبادئ وحوربت القيم وانتهكت الأعراض وسالت الدماء.

ملاحظة: هذا الكتاب (خط التحول التاريخي) يعتبر سجلاً متسلسلاً لاحداث رهيبة، ومؤامرات ضخمة مرّت بالعالم الإسلامي كانت نتيجتها الاطاحة باعظم صرح في هذا القرن الا وهي الخلافة الإسلامية متمثلة برمزها البطل السلطان عبد الحميد.

والمطلع على هذا الكتاب يفهم جيداً كيف سقط العالم الإسلامي والعربي بأيدي العلمانيين والقوميين واللادينيين، بل كيف استطاع الكفار استخدام أبناء البلد نفسه في تحطيم وتقتيل أبنائه البارزين وتهجير الطاقات والكفاءات العلمية والدينية إلى خارج البلاد، حيث يُجمع كل من كان عنده ذرة من علم أن أمثال هؤلاء الذين رباهم الإستعمار كان لهم دور بارز في التدمير والتخريب أكثر من الجيوش الجرارة الكافرة التي استعمرت البلاد الإسلامية بالقوة المسلحة.

على كل حال نترك القارىء الكريم مع هذا الكتاب [illegible]

# السرطان الأحمر

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهـــــداء

إلى الذين يريدون معرفة الحق، وفتح أبصارهم على النور وينشدون إنقاذ أنفسهم من أن يكونوا فرائس سهلة مستساغة بين أنياب الذئاب ومخالب الوحوش.

أقدم هذا البحث [1] المتواضع ضارعاً إلى الله -عزوجل- أن يتقبله منا، وأن يجعله في ميزاننا يوم القيامة، وأن يكون خالصاً لوجهه، وأن ينفعنا وينفع بنا.

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب).

العبد الفقير إلى الله

عبدالله

---

ملاحظة: هذا الكتاب (السرطان الأحمر) يتحدث عن أضخم معول هدم في أعماق البشرية في العصر الحديث وهو (الشيوعية التي تتبنى الإلحاد).

وعن أصابع اليهودية اللئيمة التي صنعت هذه الفكرة الخبيثة، وعن الأحزاب الشيوعية العربية الناعقة (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون).

والأسباب التي أدت إلى انتشارها وكيف أن الشيوعية بدأت تنهار نظرياً وعملياً وأسباب انهيارها.

## مقدمة الطبعة الثانية (للناشر)(١)

## بقلم: الدكتور فايز عزام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يض فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فأريد أن أنوّه في بداية هذه الكلمة، وأنا أكتب مقدمة لكتاب السرطان الأحمر الذي ألفه الشهيد عبد الله عزام في أو السبعينات، أنه كان في نيته إعادة كتابة مقدمة له -وهو يطبع للمرة الثانية- في هذه المرحلة الدقيقة يبين فيها -رحمه الله- إر الخط البياني للتاريخ الإسلامي، وما تمر به الشيوعية -الآن- من الإندثار والإنحسار والإستبدال، ولكن الأجل المحتوم حال بينه و تحقيق ذلك، لم يكن يدور بخلد الشيخ وهو يؤلف هذا الكتاب، أنه سيكون أحد أبطال وقادة تحطيم كيان الشيوعية في عقر دارها.

لقد وقف في وجه زحف المنظمات اليسارية عام (١٩٦٨م) التي أرادت -كالجراثيم- أن تغزو جسم الأمة الإسلامية، و يجاهد على أرض فلسطين.

ووقف الشهيد يقارع الشيوعية؛ وهو يحمل بيده القرآن وباليد الأخرى الحسام يوم أن تعرضت أفغانستان للغزو العسكري بل الجيش الأحمر.

لقد أقر الله عين الشيخ وهو يرى مزيمة الدب الروسي-أعتى قوة برية على وجه الأرض- عن أرض أفغانستان، وبدأت الشيو تهاوى على رؤوس أصحابها، وبدأت تتساقط دول الإلحاد واحدة بعد الأخرى؛ وهبت رياح الجهاد في كل مكان، وسرى هذا النور سط الظلام الذي كاد يخيم على العالم، وهبت رياح التغيير في كل مكان لتؤكد أن هذا الإلحاد، الذي أراد ماركس وأفراخه -لي ستالين- أن ينشروه في كل مكان قد سقط وفشل فشلاً ذريعاً.

إن هذا السقوط والفشل الذريع، الذي أصاب الشيوعية قد توقعه الشهيد في نهاية السبعينات، وأن انهيار الشيوعية واقع ند حين.

ونحن هنا -في مقدمة هذا الكتاب- ننقل كلام الشهيد بتمامه (كما جاء في كتابه الإسلام ومستقبل البشرية من صف ٣٠-٣٨) حيث يقول: (إنني ألمح الذبول في فرعي الحضارة (الغربي والشرقي) ولكنني أرى أن الضمور والإصفرار في الق رقي أشد وأكثر، هذا مع تأكدي -والله أعلم- أن الشجرة بفرعيها ستنوي وليس زمن سقوطها نهائياً بعيداً لأنها سنة الله.

**(ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) (إن الله لا يصلح عمل المفسدين)**

سنة الله وناموسه يمضي على كل حضارة، إن قانونه يجري على المجتمعات، والحياة والأحياء.

**(إستكباراً في الأرض ومكر السّيء ولا يحيق المكر السّيء إلا بأهله، فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبد ، تجد لسنة الله تحويلا)** (فاطر:٤٣)

لقد استكبر الإنسان الغربي في الأرض واستعلى، ومكر السيئات، وأظهر الفساد في البلاد فجنى حصاد ما زرعته يداه (و يق المكر السيء إلا بأهله).

جنى الشوك والشقاء، والقلق والبلاء وحصد من بذور الشك شوكاً، وأنتج من بذور الهجر لله ندماً وخساراً، وألماً وبو ياعاً وحيرة وانتحاراً.

**أقول:** إنني ألمح أن الذبول في الفرع الشرقي أشد رغم أنه أحدث سناً وأصغر عمراً، أراه يلوي على نفسه ويتدلى بسر . بقية الحياة فيه اللحظة تلو اللحظة، ولذا فإنني أتوقع أن يكون انهيار الشيوعية (الفرع الشرقي) أسرع -والله أعلم- لأن بة ات الحرية في الفرع الغربي، بقية الأقلام التي ما زالت تنقد وتحذر، بقية العقول التي لم توضع في داخل الطوق الحديدي تشير إلى النهاية الرهيبة، بقية الأفواه -غير المكممة- ما زالت تصيح وتنذر من الهوة المهلكة التي ستسقط فيها البشرية)(ا. هـ

---

(١) مة منقحة ومزيدة نقحها الإمام الشهيد عبدالله عزام قبل استشهاده وطبعت نفس الطبعة في عام ١٩٩٠م.

كان بعض الناس يعتبر مثل هذه التوقعات آنذاك ضربا من الخيال: أن الشيوعية ستتهاوى تحت ضربات جند الله، ولم يكن أحد يتوقع أن يكون مؤلف هذا الكتاب أحد الأبطال الذين سيتصدرون لضرب الشيوعية، وأنه سيمتشق سلاحه لمواجهة الطوفان الأحمر، الذي كاد أن يبتلع العالم الإسلامي، قطعة قطعة إبتداء من أفغانستان ثم باكستان، ثم الزحف على الخليج العربي والوصول إلى المياه الدافئة، ثم الزحف على الجزيرة العربية.

لم يكن أحد يصدق لا من العالم الغربي، ولا من البلاد العربية والإسلامية: أن مجرد المواجهة بين القوة الناشئة من المجاهدين بقيادة الحركة الإسلامية في أفغانستان وبين الدب الروسي -أعتى قوة برية على وجه الأرض- يمكن أن تؤدي إلى هذه النتيجة التي أذهلت العالم كله بانتصار المجاهدين، وقد رفعت رؤوس المسلمين عالياً في كل مكان. لقد عاد الدب الروسي إلى قمقمه -مثخناً بالجراح- كسيفاً حزيناً لا يفكر أن تتكرر هذه الغلطة التي ارتكبها مرة أخرى.

لقد دفع هذا الأمر بالأحزاب الشيوعية في بعض البلاد العربية (سوريا واليمن) أن ترسل برسالة إلى غوربتشوف يطلبون فيها أن يتريث في الإنسحاب من أفغانستان، لأن ذلك سينعكس سلبياً بالنتائج الوخيمة على الأحزاب الشيوعية في العالم العربي.

لا شك أن انتصار الجهاد المبارك على أرض أفغانستان -ضد الروس- على الشيوعية قد زلزل الأرض تحت أقدام الشيوعية في كل مكان، وأن نفس الجهاد قد انتقل إلى الأماكن التي يستضعف فيه المسلمون في الأرض.

إن سقوط الأيديولوجية الشيوعية التي نصبت من نفسها كعقيدة تفسر التاريخ تفسيراً مادياً، وتعتبرأن الدور في صنع التاريخ للشعوب وليس للأبطال: إن هذا الإنهيار للشيوعية والإتيان عليها من القواعد يؤذن -والله أعلم- بأن المسمار الأخير في نعش الامبراطورية الروسية سيكون قريباً -بإذن الله-، بعد هذه الهزيمة الماحقة التي لحقت بالجيش الأحمر على أرض أفغانستان. (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم).

# تمهيد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

**(فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله، إن الله لا يصلح عمل المفسدين، ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون)** (يونس: ٨١- ٨٢)

إنه الناموس الإلهي الذي يجري على كل قانون يصادمه فيدفعه ويبطله.

إنه القانون الرباني الذي يزهق كل باطل ويدمغ كل زيغ. إن مشيئة الله اقتضت أن تحيط كل ضلال، وتجتث كل خبيث.

إن الفطرة البشرية قد صبغت بحيث لا تتناسب إلا مع مبادىء من عند ربها، وإن البنية الانسانية قد فطرت بحيث لا تتناسب إلا مع قيم من عند بارئها، ولذا فقد فشلت كل الأنظمة البشرية في تحقيق سعادة الإنسان، ولقد خابت كل المحاولات لإنقاذ الإنسان من شقائه عن غير طريق الله وبعيداً عن منهاجه، لقد هرب الأوروبي من ظلم الكنيسة وجحد إلهه، ظاناً أنه يجد السعادة في الفردية المطلقة برأسماليتها وديمقراطيتها، فازداد شقاء ويأساً وقلقاً فاتجه إلى الجماعية المطلقة باشتراكيتها فوقع بين براثن وحش أشد فتكاً وأكثر تمزيقاً.

لقد سقطت الحضارة الغربية بشقيها -الرأسمالي الغربي النفعي، والشيوعي الإلحادي الشرقي-.

لقد هرعت البشرية المنكودة الحائرة على حداء (جون لوك، وستيوارت ميل وفولتير وروسو) ظانين في صرخاتهم النجاة، فما سعدوا وما اطمأنوا.

ثم مشت البشرية وراء (ماركس ولينين وتروتسكي وستالين)، فزاد نكدها وخاب فألها وتمزقت نفسيتها.

سقطت الأنظمة كلها، فشلت المناهج جميعها، خابت التجارب بأكملها، لم يبق إلا نظام الله الذي يستطيع مخاطبة الإنسان بنونته وكليّته، بجسده وروحه، وأعصابه ومشاعره، وعقله وقلبه، وصدق الله العظيم:

**(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** (الملك: ١٤)

ومن أجل هذا فقد حظر رب العزة على المسلمين التلقي إلا منه -عزوجل- ومن رسوله ﷺ، وحذر من سؤال الكافرين وأهل الكتاب، وقصر تربية الجيل المبارك من الصحابة على النبع الصافي من الكتاب والسنة.

فقد قال رب العزة:

**(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم با الله لقد هدي الى صراط مستقيم، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** (آل عمران: ١٠٠-١٠٤)

فهذه الآيات ترسم طريق النجاة في الدنيا والآخرة، وهي خير عنوان يصلح لمن أراد أن يكتب عن الأفكار التي سادت الأرض وسممتها وعانت منها البشرية ما عانت شقاء وضياعاً ونكداً وتمزقاً وتمرغاً في الوحل وهبوطاً في الحياة والقيم والإهتمامات.

هذه الآيات تبين للأمة المسلمة أنها جاءت بقدر من الله لدورها المحدد وهو قيادة البشرية والأخذ بزمامها نحو الآفاق العالية السامقة.

والأمة الرائدة القائدة لا بد لها من هاد على الطريق وهو النبي ﷺ، ولا بد لها من دليل وخارطة وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ العصمة والنجاة، وهما النور إذا ادلهم الظلام والمعلم المبين إذا اضطربت الأمور وحارت الأفئدة.

والأمة القائدة ليس لها أن تتخلى عن دورها القيادي الإنقاذي، وما كان لها أن تنبذ كتاب الله وهدي نبيها ﷺ وراء ظهورها

وترجع إلى ذيل القافلة تقُمّ أقذار البشرية وتلم أوضارها وأوساخها، وتجمع منها منهجاً لحياتها ودستوراً لأخلاقها وموجها لعقولها ونظامها، تحكمه في دمائها وأموالها وأعراضها فتضيع وتضيع وتَتْيه وتتيه.

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)

(آل عمران: ١٤٩-١٥٠)

وطاعة أهل الكتاب والكفار إلى جانب أنها تخل بمركز القيادة في الأرض فهي تنم عن الهزيمة الداخلية، وتشي عن الخواء الروحي والفراغ الهائل الرهيب الذي يعاني منه من يحمل ألقاب المسلمين وعناوينهم.

روى البخاري[1] في صحيحه في كتاب الشهادات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم].

وفي هذا المعنى روى الإمام أحمد عن عبد الله بن ثابت قال: {جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ص فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله. قال عبد الله بن ثابت: ألا ترى ما بوجه رسول الله؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً. قال: فسُرّي عن النبي ﷺ وقال: (والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم، إنكم حظيّ من الأمم وأنا حظكم من النبيين)[2].

وسنشرع الآن في الكلام عن الماركسية (موضوعنا).

## الفصل الأول

## الجوّ العام الذي نبتت فيه الماركسية

اعتاد الناس أن يطلقوا لفظ الشيوعية على مذهب ماركس في حالة التطبيق، لأنه يزعم أن مذهبه ينتهي الى إباحة كل شيء على الشيوع أو بالمشاع، ولكن أصحاب المذاهب جميعا يسمّونه بالمادية التاريخية أو المادية الديالكتيكية( الثنائية الحواري[3] Dialectical Materilism

### فكيف نشأت هذه الأفكار؟

لقد كان العقل الأوروبي يتقبل في القرن التاسع عشر كل ما فيه عداء للدين أو للتفكير الغيبي، لأنه خاض معركة مريرة شرسة لتحطيم قيد الكنيسة الجبّار.

ولقد ورث العقل الأوروبي من الحضارة الأوروبية عداء الآلهة للانسان وأسطورة برومثيوس (إله الصناعة والعلم) الذي أعطى العلم للانسان، فغضب عليه كبير الآلهة زيوس أو جوبيتر، وطرده من حضرة الآلهة وربطه إلى قيد وثيق في أحد الجبال؛ تنهش الطيور كبده ولحمه نهارا ويعيده ليلاً ليتلقى عذابه في اليوم التالي. هذه الأسطورة، أصبحت المحرك للعقل الأوروبي، والمحور الذي تدور حوله القصص والمسرحيات والتمثيليات الأوروبية؛ التي تقف بجانب الإنسان المظلوم في صراعه ضد الآلهة المتجبرة الغاشمة!!

وقد جاءت الكنيسة في العصور الوسطى لتركز هذا المعنى (صراع العلم مع الدين!) فأنشأت محاكم التفتيش للعلماء والمفكرين وكتبت كتاباً ملؤه الأساطير وسمتّه (الجغرافيا النصرانية)، ورمت كل من خالفه بالكفر وعاقبته فقتلت ثلاثمائة ألف من البشر وحرقت منهم (٣٢) ألفاً أحياء ومن بينهم برونو[2] سنة (١٥٩٨م) لأنه قال بدوران الأرض وعذبت كوبرنيكس وجاليلو لأنهما ناديا بنفس الفكرة.

---

١- ج ٣ / ٢٣٧ صحيح البخاري.

يقول ماركس[1] في أطروحته التي كتبها سنة (١٨٤١م): (ان الفلسفة تتبنى شعار (بروميثوس)، أنا ضد كل الآلهة، فنعم، الشعار على كل أرباب الأرض والسماء الذين ينكرون على الوعي البشري أن يكون الإله الأعلى، فهي تأبى أن يكون له منافس).

هذه العقلية الأوروبية كانت تبحث عن بديل لإله الكنيسة الذي تركته وهربت منه لتسد الفراغ الكبير في حياتها، فماذا صنع لقد طرحت العقل إلهاً بديلاً عن إله الكنيسة عن طريق المدرسة العقلية المثالية بشقيها:

أ. الشق الذي يؤمن بإله مع اضطراب في التصور ويقود هذا الجناح (هيجل)، فهيجل يعتقد بوجود اله لكنه يرى أن الإله العقل الكبير أو المطلق، وإن كان يقول: (إن الأديان المختلفة ليست إلا مراتب مختلفة لنمو الفكر البشري وجلود ثعابين قشرها الإنس ن نفسه)[2].

ب. الشق الإلحادي الذي ينكر الإله بالمرة وزعيمه (فشتة) ثم طرحت العقلية الأوروبية الطبيعة إلها عن طريق مدرسة أوغس كونت (المدرسة الحسية الوضعية) أي: لا إيماناإلا بالمحسوس، وقد كان كونت يرى أن الفكر البشري لدى الفرد والنوع على الس ر بثلاث حالات[3]:

١- اللاهوتية التي ترد تفسير الأحداث إلى الله.

٢- الميتافيزيقية التي تفسر الأحداث لقوى وراء الطبيعة دون ذكر الله.

٣- المرحلة الوضعية التي تفسر الأحداث بقوانين طبيعيةٍ حسيّةٍ ولا تؤمن إلا بالمحسوس.

روافق الفكر الأوروبي على قول كونت مع إدراكه أن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون، وليست تفسيراً له يقول سيسل أمريكي: (إن الطبيعة لا تفسر شيئاً من الكون وإنما هي بحاجة إلى تفسير).

لقد نادى فيرباخ (تلميذ كونت) بحلول الإنسان محل الله، وطالب أن تصبح الإنسانية هي المعبود الأكبر، وقال فيرباخ: الله فكر أولى، ثم العقل فكرتي الثانية ثم الإنسان براقعيته فكرتي الثالثة والأخيرة [5].

وصاح نيتشه أثناء تخبطات صرعه بموت الإله ونشوء الإنسان السوبرمان -هكذا تكلم زرادشت-.

ولكنها كلها صرخات المذعورين الفارّين من الكنيسة، وصيحات الفزعين من شبحها الذي يطاردهم ويقض مضجعهم وية متهم ويهدد وجودهم.

ولذا لم يكن الإلحاد في أوروبا طبيعياً إنما كان رداً على موقف الكنيسة وأخطائها وشناعة تصرفاتها إزاء الإنسان في أورو بقفها المؤسف الأليم تجاه العلماء والتجارب البشرية الإنسانية.

في هذا الجو نشأ ماركس الذي جاء متأثراً بهذه الآراء لينكر الإله، ويحشر البشرية في جحر الإقتصاد وليقول: إن تار لم؛ هو تاريخ البحث عن الطعام ليدمّر بقية الكيان الإنساني المتماسك.

يرى الأستاذ محمد البهي[6] إن صراع الدين والعقل والحس، مر في أوروبا بأربعة أدوار على الترتيب:

١- سيادة النص، أي: المذهب الكاثوليك الذي يمثله بولس ثم قسطنطين الإمبراطور.

٢- سيادة العقل (المدرسة العقلية المثالية) ومن قوّادها: هيجل ونيتشة.

٣- سيادة الحس (المدرسة الحسية الوضعية) ورائدها كونت[7].

٤- المدرسة المادية الدياليكتيكية، وفيلسوفها ماركس وإنجلز.

---

ظر ماركسية القرن العشرين لروجيه جارودي ص (١٤٥).

ركسية القرن العشرين لجارودي ص (١٥٣).

نخدام كونت في فلسفته (تاريخ المعرفة) فقال: كانت معرفة الإنسان قبل فلسفة الإغريق ذات طابع ديني، ثم أصبحت على عهد سقراط وأفلاطون من الإغريق عقلية، ثم أصبحت ع . أرسطو واقعية حية، ثم ابتدأت دورة أخرى من جديد، أنظر الفكر الإسلامي الحديث -محمد البهي ص (٣٠٢)-.

. الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان.   ٥- الفكر الإسلامي الحديث للبهي ص (٢٦٤).

أتباع المدرسة الحسية في بريطانيا (ميل، سبنسر، راسل) وفي ألمانيا ( لودفيج، وفرباخ).

. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ص (٢١٠) فما بعدها.

لقد كان الجو الذي نشأت فيه الماركسية مشحونا بالعداوة للغيب، مطبوعا بطابع الكراهة للدين. كما ذكر الله في هذا الجو نفر الى أذهانهم (وجوه كالحة عابسة وجباه مقطبة وعيون ترمي بالشرر وصدور ضيقة حرجة وعقول سخيفة بليدة لرجال الدين)[1].

ويقول الأستاذ محمد البهي: (ومن هذا يتضح أن صراع العقل مع الدين هو صراع الفكر الإنساني مع مسيحية الكنيسة وإن دوافع هذا الصراع هي الظروف التي أقامتها الكنيسة في الحياة الأوروبية)[2].

ومن هنا ندرك أن الماركسية فرع لشجرة المادية التي غرست في أوروبا؛ لخنق شجرة الكنيسة ثم اقتلاعها، أو أحد المسامير الكبيرة التي دقت في نعش الكنيسة.

## الفصل الثاني

# ماركس والماركسية

### أ- المبحث الأول: لمحة عن ماركس.

ولد ماركس سنة (١٨١٨م) ومات سنة (١٨٨٣م). كان أبوه في بداية حياته يهوديا اسمه (مرشل)، ثم تنصر وغير اسمه إلى (هنريخ)، وقد أشار بعض المؤرخين أن تبديله لدينه كان حيلة اقتصادية ليستطيع كسب قوته في مجتمع نصراني، وقد أرجع بعضهم نظرة ماركس الى الدين (من أنه حيلة ووسيلة للعيش من خلال خداع الناس) إلى هذه الحادثة بالإضافة إلى الجو العام الأوروبي.

وماركس هو حفيد الحاخام (مردخاي ماركس) اليهودي، ولذا فان بعض علماء التاريخ يرى أن الماركسية هي تفسير يهودي للتاريخ، ورؤيا توراتية تلمودية للحياة والناس[3].

لم يكن ماركس في بداية حياته ملحداً، فقد قال: (ان خير الناس وأجدرهم بالتكريم من يعمل لخيرالناس والدين أساس الحياة الإنسانية، وهو نفسه يلقننا الخير والحكمة)[4].

نشأ ماركس فقيراً وعاش كل حياته فقيراً، كانت زوجته (جيني) تصف فقره بأنهم لم يجدوا كفناً لإبنتهم عندما ماتت، وقد طردوا من المنزل لأنهم ليس معهم أجرته.

كان ماركس يميل للدراسات النظرية والفلسفية ويكره العمل والوظيفة، وهذا سر فقره، ولذا فقد اضطر أن يعيش معظم حياته عالة على غيره لأنه بلاحرفة ولا مكتب ولا عمل منتظم.

عاش أولاً معتمداً على مال أبيه الفقير ولذا فقد كتب إليه أبوه مرة: (إنك أناني تُغلّب الأنانية على جميع صفاتك)، وعندما مات والده أرسل رسالة إلى أمه يطالب بنصيبه من الإرث دون كلمة تعزية واحدة، وأنفق نصيبه ثم عاد يعيش على مال أمه وإخوته. كتبت إليه أمه: (إنك لا تنتظر بداهة أن تعيش طفيلياً إلى الأبد، إنك الآن في الرابعة والعشرين فاعتمد على نفسك).

وقد اضطره نفوره من العمل إلى اكتساب المال بأية وسيلة ولو بالإحتيال، فقد تعاقد مع أحد الناشرين (لسكي) لإخراج كتاب عن الإقتصاد، وقبض مبلغاً مقدماً ولم يف، وكذلك فعل مع (الهردنكر) الإشتراكي إذ تعاقد معه على إخراج كتاب وأخذ مقدماً مبلغاً من المال ولم يخرجه.

وقد باع كتابه (رأس المال) إلى دارَين للنشر في وقت واحد، يكتب إليه تلميذه وصديقه الحميم (فردرك إنجلز): (إنك جامد العاطفة أناني ناقص المروءة والشعور).

---

١- أنظر المستقبل لهذا الدين لسيد قطب ص (٥٢) نقلاً عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

٢- أنظر العقيدة وأثرها في بناء الجيل ص (٣٥) نقلاً عن كتاب الفكر الإسلامي الحديث ص (٢٥٩) لما بعدها.

٣- يقول الله عز وجل عن اليهود: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) (البقرة: ٩٦) وقال عنهم: (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال)(البقرة: ٢٤٧).

وكان ماركس تلميذاً (لموسى هيس) اليهودي صاحب كتاب (من روما إلى القدس)[1] ولقد تأثر به ماركس وقال[2]: (لقد اتخ هذا العبقري (هيس) لي مثالا وقدوة، لما يتحلى به من دقة التفكير، واتفاق آرائه مع عقيدتي وما أؤمن به أنه رجل نضالي وم وسلوك)[3].

وفي سنة (١٨٤٨م) أخرج ماركس البيان الشيوعي، وفي سنة (١٨٦٧م) وضع كتابه رأس المال بصورته النهائية[4] ي الماركسي (أوتورهل) صاحب كتاب (كارل ماركس) فيصف ماركس بأنه كان على الدوام متقلباً مبتئساً حقوداً، لا يزال في تص عرضة لتأثير سوء الهضم وهياج الصفراء، وكان موسوساً يغلو كجميع الموسوسين في متاعه الجسدي.

ومن المعروف أن ابنَتَيْ ماركس ماتتا منتحرتين.

## ب- المبحث الثاني: النظرية الماركسية:

إن الأصول الفكرية للنظرية الماركسية مستمدة من المدارس الفكرية التي مر ذكرها في الجو العام الذي مهد للماركس وخاصة مدرستي هيجل (العقلية المثالية) وكومت (الحسية الوضعية).

وقد أخذ ماركس عن هيجل فكرة القضيَّة ونقيضها ليطبقها على المجتمعات البشرية وتغيراتها. فالله -عزوجل- عند هي (العقل المطلق: وهو القضية أو الدعوى) ومن العقل المطلق صدر العقل المحدود (الطبيعة: مقابل القضية أو مقابل الدعوى) والطب المتفرقة بكائناتها تحاول أن تكسب الوحدة لتكون أقرب الى (العقل المجرد) وهذا (جامع القضية ومقابل القضية أو جامع الدع ومقابل الدعوى).

وهذا العقل المجرد وسط بين (اطلاق العقل المطلق وتقييد عقل الطبيعة) أي أن الفكرة انتقلت من المطلق الى المقيد، ثم من الم الى الوسط[5].

أخذ ماركس هذه النظرية ليطبقها في ميدان الاقتصاد والمجتمعات: قال ماركس: العقل موجود، ولكن المادة موجودة قبل الع والعقل مرآة تنعكس عليه صور المادة، وهو يريد أن يقول: مادامت المادة قبل العقل فلا وجود لخالق -سبحانه وتعالى عما يقولون ع كبيراً- بل يقول: الإله والدين والخلق والسياسة والفكر انعكاسات للمادة على مرآة العقل.

ويرى ماركس أن العباقرة السياسيين والمفكرين تنتجهم الظروف الإقتصادية على خلاف (فشته) الذي يرى أن التار الحضارة يصنعها عظماء الرجال والسياسيون والمفكرون.

وعلى هذا فان ماركس يرى: أن أي تغير في المادة والإقتصاد بالذات، يتبعه تغير في عالم النفس؛ لأنه ينعكس على العقل خ سلوكاً ودينا وسياسة. فالشعور النفسي وعالم الإنسان الفكري والوجداني إنما هو نتيجة لتغير آلة الإنتاج، لأن المادة في المست إجتماعي تعبر عن نفسها في الإقتصاد.

والعنصر الفعال في الحياة الإقتصادية، هو أسلوب الإنتاج (آلة الانتاج)[6].

وقد حاول ماركس أن يستخدم نفس مصطلحات هيجل في التفسير التاريخي الذي اعتبره حتميا قطعياً فيما سماه (صر لطبقات).

**١- ففي مجتمع الملوك القديم: الملوك وحاشيتهم: قضية (دعوى)، العبيد والفقراء: مقابل القضية (مقابل الدعوى).**

هذا الكتاب كان أول دعوة منظمة صريحة لإقامة دولة يهودية في فلسطين، ثم أخذ هرتزل عنه كتابه الدولة اليهودية سنة (١٨٩٥م).

وقد كان ماركس كما يقول عنه أستاذه باكونين يتشبه بأسلافه اليهود، فيرسل لحيته ويطلق جمته كأنه أب من أبناء العبرانيين.

أنظر كتاب (التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية) للنادري ص(١٨).

أنظر هذا الكلام عن حياة ماركس في الكتب التالية: (أفيون الشعوب للعقاد ص (٢٢-٢٧)، الشيوعية وليدة الصهيونية لأحمد العطار ص(٥٠) فما بعدها، وكتاب هذه الشيوعية ا الحفيظ محمد ص(٢١). وانظر محاضرة الإسلام والنظم المعاصرة للمشماوي سليمان -ندوة المحاضرات في حج سنة (١٣٨٨هـ -١٩٦٩م) ص(١٦٧-١٨٠) والشيوعية والإنس للعقاد.

لفكر الإسلامي الحديث لمحمد البهي ص(٣٠٨) ط/رابعة/وهبة.

يقول ماركس: (إن أسلوب الإنتاج للحياة المادية يقرر مجرى الحياة الإجتماعي والسياسي والعقلي بصورة عامة ). أنظر تفسير التاريخ لصدقي ص(٦٦). ودراسات قرآنية لمحمد ق (٢٣).

ومن خلال الصراع بين القضية ومقابل القضية: نشأ مجتمع جديد هو (جامع القضية ومقابل القضية) وهو المجتمع الاقطاعي.

**٢- في المجتمع الإقطاعي:** الملاكون:قضية (دعوى)، الفلاحون والعبيد: مقابل قضية (مقابل دعوى).

ومن خلال الكفاح بين الفريقين (الملاكين والفلاحين) نشأ مجتمع جديد من بقية الطرفين هو: المجتمع الرأسمالي (القضية ومقابل القضية).

**٣- في المجتمع الرأسمالي:** البرجوازيون (أصحاب المصانع): قضية (دعوى)، البروليتاريا (العمال): مقابل القضية (مقابل الدعوى).

ومن خلال الصراع ينتقل المال من البرجوازيين إلى العمال ثم إلى الدولة التي هي (جامع القضية ومقابل القضية)، وهذا هو المجتمع الشيوعي.

وهنا يتوقف قانون النقيض -كما يرى ماركس- لزوال الملكية التي هي محور الصراع وزوال الطبقات التي تتصارع عليها.

ويمكن تلخيص نظرية ماركس هذه: (كل مجتمع يحتوي نقيضه الذي يسقطه ويقوم مقامه، وهذا المجتمع الجديد يحوي في طياته نقيضه الذي سيسقطه ويحل محله، وهكذا دواليك إلى أن يقوم المجتمع الشيوعي الذي لا يحوي نقيضاً، ولذلك فهو دائم مستمر أبدي).

ويرى ماركس أن كل مجتمع جديد خير من سابقه وأفضل: لأنه متقدم بالنسبة لسابقه،، وذلك لأن آلة الإنتاج الجديدة أفضل من سابقتها، فمجتمعها أفضل كذلك، وهذا هو البريق الخادع الذي يخطف به الشيوعيون أعين العمى من أتباعهم، ولذا نرى الشيوعيين يكثرون من الإضطرابات والفتن والثورة حيثما حلوا حتى يسقط المجتمع و ينشأ مكانه مجتمع جديد تقدمي.

ويضرب ماركس مثالاً على تغير الأخلاق بتغير آلة الانتاج فيقول: في المجتمع القديم (مجتمع الصيد) كان الرجل هو الذي يحصل على المال، والمرأة لا تستطيع الصيد، فمكانتها كانت محتقرة اجتماعياً، ثم جاء المجتمع الإقطاعي الذي أصبحت المرأة تشارك ولو مشاركة بسيطة في الأعمال الزراعية فارتفعت مكانتها، ولكن معظم الأعمال في هذا المجتمع تعتمد على عضلات الرجل، فحرم المرأة من استمتاعها بحريتها الجنسية فنشأت حرمة الزنا وعدم جواز تعدد الأزواج للمرأة الواحدة.

أما عندما صار المجتمع رأسمالياً واصبحت المرأة مستقلة اقتصادياً؛ لأنها تستطيع إدارة الآلة كالرجل تماماً مارست المرأة حريتها الجنسية، وأصبح الجنس مباحاً ولم يعد محرماً، وهناك قانون آخر يعتمد عليه ماركس للثورة العمالية وهو (قانون الفائض: ربح الرأسمالي) فماركس يرى أن الفائض هو نتيجة عرق العمال ودمهم.

القانون : (قيمة الفائض: ربح الرأسمالي)= عمل العامل أو انتاجه -أجرة العامل) ويوماً بعد يوم سيزداد العمال شقاءً وفقراً وحاجة ويزداد الرأسمالي تضخماً وانتفاخاً، فهو كالعلقة تمتص دماء العمال وتنتفخ على حسابهم، وسيصل شقاء العمال يوماً ما الى درجة من البؤس والشظف لا تطاق، وعندها ستدفعهم الحاجة لتحطيم الفئة البرجوازية التي تملك المال والجاه، وعندئذ يقوم المجتمع العمالي (الشيوعي).

وعند انتصار الثورة العمالية لا بد من استعمال دكتاتورية البروليتاريا لتطهير المجتمع من البرجوازيين، وبعد لأي سيستقر (الأمر) للبروليتاريا وتزول الدولة طبيعياً إذ تصبح زيادة لا حاجة لها، ويدار المجتمع بلجان عمالية بلا بوليس ولا جيش ولن تتوقف الثورة العمالية عند حد حتى تحطم الإمبريالية والبرجوازية في كل مكان في العالم وتسود حكومة البروليتاريا العالم كله.

ويرى ماركس أن هذه حتمية تاريخية وجبرية لا مفر منها (صراع الطبقات)، وهذا سيؤدي حتماً إلى قيام دولة العمال في العالم ثم الوصول إلى الشيوعية حيث يملك الشعب كل شيء، وكل شيء في المجتمع يصبح شائعاً مباحاً كالجماعات البدائية الأولى.

ويرى ماركس أنه من أجل انتصار البروليتاريا لا بد من: تأجيج نار الحقد وإثارة روح الإنتقام في قلوب العمال ضد الرأسماليين في كل مكان على وجه الأرض، وعليه فان الرحمة والبر والشفقة لا تناسب الثوري، ولا تتفق مع الشيوعي عند ماركس وتلاميذه[1].

---

١- هذا التلخيص يمكن أن يرجع إليه في الكتب التالية:

[illegible]

يقول ماركس[1]: (إنه لا مفر من أن يكون المحرومون من الإمتياز مستائين، ومن أن يكونوا أغلبية، وبذلك يكون عدم الإستقر . . ثورات وحرب الطبقات وما سواهما، وليس الباعث على كل هذه العملية في النظام مبدأ من مبادىء العدالة، وإنما المبدأ السلـ المحض. مبدأ العداء).

## الفصـل الثالث

# الثورة البلشفية

### أ- المبحث الأول: اختيا ر روسيا للثورة.

اختارت اليهودية العالمية لينين ليكون المنفذ للثورة البلشفية، ولينين يهودي اسمه (حيام غولدمان). ولد في (١٠) إبريل سـ (١٨٧٠م) من أب يهودي ألماني اسمه (ايلكوسرول غولدمان)، وأمه يهودية اسمها (صوفيا غولدمان). وقد عرف لينين فيما بعد باسـ (فلاديمير ايليتش أوليانوف). وقد أعدم أخوه (الكسندر أوليانوف) في تهمة اغتيال امبراطور روسيا سنة (١٨٨١م) (اسكندر الثاني وقد كان لإعدام أخيه أعمق الأثر في نفسه، مما جعله يفكر بالإنتقام لأخيه من الشعب الروسي.

نفي لينين أكثر من مرة، وأخيراً استقر به المقام في سويسرا مع سبعة من اليهود يخططون للثورة في روسيا، ويخرجون مجـ اسمها (إسكرا) أي (الشرارة)، وكانت زوجته اليهودية المتعصبة (ترويسكايا) هي سكرتيرة التحرير، وكانت الأموال تتدفق عليهم . (جاكوب شيف) المليونير اليهودي صاحب شركة (كوهين لوب) في نيويورك، وكانت هذه الشركة إحدى الشركات الكبرى للبارو اليهودي (هيريش) فولاها (جاكوب شيف). ولعل الناظر في النظرية الشيوعية يدرك أنها مصممة لتنفذ في بريطانيا، ولكن الأمر . تغير بعد إعلان البيان الشيوعي سنة (١٨٤٨م). لقد تسلل اليهود إلى المناصب الكبرى في بريطانيا، وحدث حادث جلل بالنسـ لليهود، فقد اغتالوا الإمبراطور الأسكندر الثاني سنة (١٨٨١م) فاندفع الشعب الروسي يعمل في اليهود تقتيلاً وتشريداً، وأقاموا لـ مجازر كثيرة فصمم اليهود على الإنتقام من الشعب الروسي، هذه نقطة مهمة في تحويل أنظار اليهود نحو روسيا لتكون محـ للإنقلاب الثوري البلشفي، بالإضافة إلى نقاط أخرى منها:

١- إن اليهود كان لهم دولة قرب بحر الخزر بين القرن التاسع والعاشر الميلادي، إلا أن روسيا حطمتها، وضمت قسماً كبيـ من اليهود داخل أرضها، ولذا فالعداء قديم بين اليهود والروس، ومن الملاحظ أن (تسعة أعشار) اليهود في العالم اليوم من يهـ الخزر، ولذا فقد طمس اليهود كلمة الخزر من الخرائط الجغرافية، وأبدلوها ببحر قزوين، عدا أنهم قد مسحوا لفظ خزر من المعاجـ الأوروبية، حتى لا يفطن العالم إلى منشأهم. ولأجل أن يثبت اليهود للناس أنهم بنو إسرائيل وقد طردوا من أرض الميعاد في فلسطـ ويحق لهم أن يعودوا إليها[2]

٢- لقد حطم اليهود الكاثوليكية بالثورة الفرنسية اليهودية سنة (١٧٨٩م) فأرادوا تحطيم الأرثوذكسية في روسيا.

٣- كثرة اليهود في روسيا، إذ أن عددهم عند الثورة حوالي سبعة ملايين (٦٫٩٤٦٫٠٠٠) وخاصة في مدينة بطرسبيرغ (لينـ جراد) التي كانت فوهة بركان الثورة.

٤- مساحة روسيا الواسعة وثروتها المعدنية والزراعية.

٥- فقر الشعب الروسي، مما يمكن شراء ضميره بالمال.

٦- ظلم القيصرية وتحيرها وتسلط الأرثوذكسية وانحرافها ورقوفها تبرر ظلم القياصرة، وقد رصد اليهود الأغنياء الخمـ

---

١- أطر التفسير التاريخي -عبد الحميد صديقي (١٢١) نقلاً عن كتاب -برتراند رسل- (الآمال الجديدة للعالم المتغير) ص(٢٨٦).

٢- راجع هذا البحث في الكتب التالية:

أ- المخططات الصهيونية التلمودية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي -أنور الجندي ص(٨٠)-.

بـ- التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية (النادري).

ج- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام (لعبد الله التل) ص(٤٢) فما بعدها (أثر اليهود في الثورة الشيوعية)

د- الشيوعية وليدة الصهيونية (أحمد العطار).

هـ- الشيوعية والصهيونية فرانك بريتون ص(٦٤-٤٥).

ر- مدخل إلى إسرائيل (آلان تايلور) ص(١٤).

وهم: (شبسو وليفي وشيف وروين وموتيمر) ألف مليون دولار للثورة وأعدوا مليون يهودي وقودا للثورة [1].

وفي سنة (١٨٩٧م) عقد هرتزل مؤتمر بال للمنظمات الصهيونية العالمية، وكان التاكيد على إقامة الثورة البلشفية في روسيا، أحد بنود مقررات صهيون التي انبثقت عن هذا المؤتمر.

وفي سنة (١٩٠٥م) أقام يهود بطرسبيرغ ثورة على القيصر، ومع أن الثورة فشلت، إلا أنها اضطرت القيصر أن يعطي قسطاً من الحرية للناس، وأن يعفو عن كثير من المنفيين والسجناء السياسيين الذين عادوا إلى روسيا ليخططوا لثورة قادمة ناجحة، ورفعت هذه الثورة تروتسكي، الذي أصبح أحد أركان الثورة البلشفية سنة (١٩١٧م).

ولقد أفادت الحرب العالمية الأولى الثورة، فقد كانت قوات القيصر المنظمة في الجيش مليوناً ونصف المليون من الجنود المحترفين المدربين المخلصين للإمبراطور، بدأت هذه القوات تهلك إبان الحرب، فقد بلغت خسائر الإمبراطورية في الشهور العشر الأولى للحرب ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف، بمعدل ثلاثمائة ألف مقاتل يموتون للشهر الواحد [2] وهذا مما اضطر الإمبراطورية أن تجند ثمانية عشر مليوناً جلهم من الفلاحين الذين لا يعتمد عليهم سياسياً، وكانوا فريسة سهلة للمشاغبين، أمثال (تروتسكي، ولينين وكامنيف، ويهود بطرسبيرغ) وهؤلاء الفلاحون كانوا عماد الثورة البلشفية فيما بعد ووقودها، ثم لقوا مصيرهم في جحيم البلشفية.

دخل لينين ومعه (٢٢٤) ثائراً من ثوار البولشفيك، منهم (١٧٠) يهودياً. وكان تروتسكي ينتظره داخل حدود روسيا مع آلاف اليهود الفارين من الجيش الروسي، واعتماداً على التنظيمات الطلابية التي نظموها من قبل، وأقاموا الثورة البلشفية في (٧) تشرين الأول أكتوبر سنة (١٩١٧م) وسقطت روسيا فريسة للبلشفية.

ووجه اليهود البيان التالي إلى رؤساء مقاطعات الإتحاد اليهودي الدولي: (أيها اليهود، لقد قربت ساعة انتصارنا التام، ونحن الآن عشية يوم قد تسلمنا قيادة العالم، لقد استولينا على الحكم في روسيا، لقد كان الروس سادتنا فأصبحوا عبيدنا)[3].

## ب- المبحث الثاني: الثورة البلشفية واليهود.

الثورة البلشفية يهودية التفكير والتخطيط والتمويل والتنفيذ، ففيلسوفها ومفكرها هو ماركس، حفيد الحاخام اليهودي (مردخاي ماركس). وكذلك لينين، الذي حول كلمات ماركس إلى واقع وثورة، وأمد الحركة الشيوعية بمؤلفاته هو يهودي كذلك.

جاء في قرار بني بيرث (أبناء العهد اليهودية) سنة (١٩٣٩م) ما يلي[4]: (لقد نشرنا روح الثورية التحررية الكاذبة بين شعوب الغير، لإقناعهم بالتخلي عن أديانهم بل بالشعور بالخجل من الإعلان عن تعاليم هذه الأديان، ونجحنا في إقناع كثيرين بالإعلان جهاراً عن إلحادهم الكلي وعدم الإيمان بخالق البتة، وأغريناهم بالتفاخر بكونهم أحفاد القرود -نظرية داروين-، ثم قدمنا لهم عقائد يستحيل عليهم سبر أغوارها الحقيقية؛ كالشيوعية والفوضوية التي تخدم مصالحنا وأهدافنا.

أما التمويل فهو يهودي كما مر.

وكان (حي بروكلن) الحي الشرقي من نيويورك مسرحاً للتخطيط للثورة، يتولاه (تروتسكي) ولا زال هذا الحي هو مركز التخطيط اليهودي العالمي لتدمير البشرية..

وقد صدر في الأسبوع الأول للثورة قرار ذو شقين بحق اليهود:[5]

١- يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه قانونياً.

٢- الإعتراف بحق اليهود في أنشاء وطن قومي في فلسطين.

---

١- المخططات التلمودية اليهودية لأنور الجندي ص(٨٣).

٢- الصهيونية والشيوعية (فرانك بريتون) ص(٤٥-٥٥).

٣- أنظر كتاب الشيوعية وليدة الصهيونية لأحمد عبد الغفور العطار -نقلاً عن صحيفة فرنسا القديمة عدد (١٦٩) سنة (١٩٢٠م)-.

٤- مجلة المصور المصرية عدد (٢٦٢٩).

## المكتب السياسي الأول للثورة البلشفية:

مكون من سبعة أشخاص، خمسة من اليهود لابوين[1] وهم:

١- لينين: يهودي، وزوجته (ترويسكايا) يهودية.

٢- تروتسكي: يهودي.

٣- كامينيف:يهودي.

٤- سوكولنكوف: يهودي.

٥- زينو تيف: يهودي.

٦- أما ستالين[2] فزوجته يهودية اسمها (روزاكاجا نوفتش).

٧- بينوف: روسي وليس يهوديا، وهوالوحيد.

## د- المبحث الثالث: الدولة التي شكلها لينين سنة (١٩١٨م).

وهذه أول حكومة بعد الثورة.

| الجهة | العدد الكلي | اليهود |
|---|---|---|
| الوزراء | ٢٢ | ١٧ |
| ادارة الحرب | ٤٣ | ٣٤ |
| لجنة الشئون الداخلية | ٦٤ | ٤٥ |
| لجنة الشئون الخارجية | ١٧ | ١٣ |
| لجنة الصحافة | ٤٢ | ٤١ |
| مجموع كبار الموظفين | ٥٣٢ | ٤٢٥ |

أي أن نسبة الموظفين (٨٠٪) من اليهود [3].

الكوميساريا (اللجنة المركزية الشيوعية) زمن لينين [4] :

| السنة | العدد الكلي | اليهود |
|---|---|---|
| ١٩٢٠ | ٤٥٧ | ٣٢٣ |
| ١٩٢١ | ٥٥٠ | ٤٤٨ |
| ١٩٢٢ | ٥٢٥ | ٤٤٥ |

زمن ستالين [5] سنة (١٩٣٦م).

| العدد الكلي | اليهود |
|---|---|
| ٥٩ | ٥٦ |

كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام لعبد الله التل ص(٤٤)، وحكومة العالم الخفية ص(٣٢) للمؤلف شيريب سبيريدو فيتش.

ويصبا تدار في زمن ستالين من قبل اليهودي (لازار كاجانوفيتش) شقيق زوجة (ستالين) الذي أصبح رئيساً للجمهوريات، وقد زوج ابنه من ابنة ستالين (سرفت لانا)

، اليهودية لعبد الله التل ص(٤٥).

شيوعية في العالم العربي عبد الحفيظ محمد ص(٩١).

: العالم السرية ص(٣٢).

ولعل القارىء الكريم يحسب أن هذا كان في بداية الثورة، الا أن الأمر استمر حتى يومنا هذا، ففي سنة (١٩٦٥م) كتبت الكاتبة السوفياتية (نينا اليكسيفا): (عدد اليهود في الإتحاد السوفيتي لا يزيد عن واحد في المائة، ولكنهم يمثلون ستين في المائة من هيئة التدريس في المعاهد العليا والجامعات، وثمانين في المائة من مسؤولية التوجيه العقائدي في الحزب والسياسة الخارجية، وان نائب رئيس الوزراء ورئيس المجلس الاقتصادي في السوفيات يهودي)[١].

وقد نشرت اللوموند الفرنسية في (٢٠) إبريل (١٩٧١م): (إن القيادة الإستراتيجية للقيادة المسلحة السوفياتية في أيدي اليهود).

ولا زالت إسرائيل تصدر (٦٠٪) من صادراتها الزراعية و (٤٠٪) من الكيماويات و (٥٠٪) من مختلف الصناعات إلى الإتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية خاصة يوغسلافيا.

ولعل بعض المخدوعين يظنون أن الأسلحة التي يقدمها السوفيات للعرب من أجل القضاء على إسرائيل، وهذا خطأ تدحضه تصريحاتهم الصريحة.

ففي (٢٢) يونيو (١٩٦٤م) صرح الملحق العسكري السوفياتي في باريس لمراسل جريدة معاريف الإسرائيلية ما يلي: (نحن نشارك العرب في كفاحهم الإستعمار والرجعية العربية وما نقدمه للجمهورية العربية المتحدة من سلاح إنما هو لأغراض دفاعية، ولا يمكن أن نسمح باستعماله ضد إسرائيل، فلا تقلقوا من السياسة السوفياتية في المنطقة العربية، فهذه السياسة متممة، بل ضرورية لسلامة إسرائيل، وثقوا أن الاتحاد السوفياتي مع إسرائيل، وسيؤيدها اليوم وغدا، كما أيدها ورعاها بالأمس، وكونوا على ثقة من أننا نرعى الإشتراكية العربية، لأن في ذلك تعزيزا لمصلحة إسرائيل، مثلما هو تعزيز لمصلحتنا نحن السوفيات [٢].

ويقول ريمون أرون أستاذ العلوم في المدنية المعاصرة في كوليج دو فرانس: (وعلى هذا فإن الحركة الشيوعية تعمل على بعث الخرافات والأساطير اليهودية القديمة التي تراكم عليها غبار السنين، مما يدل دلالة واضحة على أن الحركة لا تقتصر على الضياع في متاهات الخرافات، وإنما تسعى لإنزال الخرافة في مداميك الواقع لتكون الستار الذي تخفي وراءه كل ركام الأحقاد والأمراض النفسية والشهوات الدنيئة للسيطرة على الحكم، إنها تريد من البروليتاريا أن تقوم بدور المسيح المخلص المنتظر.[٣]

## د- المبحث الرابع: الثورات الشيوعية في العالم كلها يهودية.

ذكرنا عن سيطرة اليهود على الثورة البلشفية منذ البداية وعلى الإتحاد السوفياتي حتى يومنا هذا، أما بالنسبة للثورات في المناطق الأخرى فقد قام بها اليهود كذلك.

**١- ففي المجر (هنغاريا):** قام بها سنة (١٩١٩م) يهودي اسمه (بيلاكون) وهو محرف عن هارون كوهين، ثم كافحت المجر حتى تحررت من بيلاكون الذي أهلك الحرث والنسل، فقد كان يجمع الفتيات الجميلات في الشوارع العامة عاريات ويبيحهن لجنوده، وبعد أن يفجروا بهن يقتلهن ويرميهن في نهر الدانوب، وفي سنة (١٩٤٥م) وقعت المجر مرة ثانية في يد الشيوعيين حيث استولى عليها (راكوزي)[٤] الذي أرسله صديقه ستالين وراكوزي يهودي، وبقيت المجر تحكم في الخمسينات من قبل يهود ثلاثة هم: راكوزي، فاس، جيرو.

**٢- في يوغسلافيا:** قام بها (تيتو) تلميذ اليهودي المعروف (موسى بيجادا).

**٣- في رومانيا:** قامت بها اليهودية الرعناء (آنابوكر) وأبوها الجزار وأخوها الآن يعيشان في إسرائيل.

**٤- في بولونيا:** أقطاب الرحى فيها اليهود الثلاثة: مينك، مافيسكي، بورمان.

**٥- في تشيكوسلوفاكيا:** قام بها اليهودي (رودلف سلنسكي).

---

١- أنظر كتاب الشيوعية وليدة الصهيونية (أحمد عبد الغفور العطار).

٢- كتاب الشيوعيا وليدة الصهيونية (أحمد عبد الغفور العطار) و (كتاب التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية) للنادري ص(١٤٢).

الفصل الرابع

# الشيوعية في العالم العربي

لقد أشرف اليهود على تنظيم وتكوين الأحزاب الشيوعية في العالم العربي فهم قادتها ومخططوها.

يقول الشيوعي اليهودي الفرنسي (رودنسون): لم تتأسس أحزاب شيوعية ومنظمات متعاطفة إلا في الحلقات الأجنبية البلدان العربية في مصر وفلسطين، ولم تجد إلا القليل من الأتباع وكانت مقطوعة عن واقع تلك البلاد، وانتهت دون أن تثير اهت كبيرا[1].

وفيما يلي نورد الأسماء اليهودية في البلدان العربية:

١- الحزب الشيوعي في مصر:

بدأ التنظيم سنة (١٩٢١م) في الإسكندرية على يد روسي يهودي اسمه (جوزيف روزنبرغ) تصحبه ابنته (شارلوت) ، (١٩٢٧م)، أوفدت موسكو ثلاثة يهود لتشكيل التنظيم ومتابعته.

ثم انتدبت روسيا اليهودي المصري (هنري كوريل) وأمدته بأموال طائلة أسس بها بنك كوريل في مصر، وشكل الحـ الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو).

ثم تشكلت (منظمة الأسكرا) أي الشرارة وهو نفس اسم الجريدة التي كان يصدرها لينين في سويسرا قبل نجاح الثورة، ش ذه المنظمة اليهودي (ايلي شوارتز)، ثم غير اسمها فيما بعد إلى (نحشم): نحو حزب شيوعي مصري، ثم انضمت إلى (حدتو).

(منظمة الفجر الجديد) أسسها اليهوديان يوسف درويش وريمون دويك، ثم أصبح اسمها (د.ش) الديمقراطية الشعبية.

(المنظمة الشيوعية المصرية) (م. ش. م): أسسها اليهوديان أوديت وزوجها سلمون سدني.

(منظمة تحرير الشعب): أسسها (مارسيل إسرائيل)[2].

٢- الحزب الشيوعي في العراق:

أسسه اليهود وكان معظم أفراده في بداية الأمر من اليهود، وعلى رأس قادته ساسون دلال، ناجي شميل، وصديق يهو يسف حزقيل، وكلهم من اليهود.

ويروي قدري قلعي في كتابه (تجربة عربي في الحزب الشيوعي) ص(٢١-٢٢) يروي الأستاذ بدر شاكر السياب -بالإضافة إ رواه من فضائح أخلاقية لا نريد الوقوف عندها- كيف كان يعمل مع رفاقه الشيوعيين العراقيين لنشر الشيوعية فيقول: (ر ضرب على كل وتر تخرج نغمته موافقة لما نريد، بثثنا بين الطلاب الأكراد أن القوميين يكرهون الأكراد وقوميتهم، بينما نعتبرهم ث إننا، وأخذنا نسبّ القومية العربية أمامهم، بل رحنا ننتقص من العرب، ونزعم أن التاريخ العربي ما هو إلا مجموعة من المذا جازر، وزعماؤهم العظام ما هم إلا اقطاعيون جلادون إلى غير ذلك، ومررنا على إخواننا اليهود دون حاجة إلى دعوة، واستغل ن الرفيقات للتأثير على بعض الطلبة.

٣- الحزب الشيوعي السوري اللبناني.

تأسس الحزب سنة (١٩٢٤م) بعد الحزب الشيوعي الفلسطيني والمصري، وكان يرأسه في لبنان (جاكوب تايبر) اليهو سي، وكان يساعده ثلاثة يهود روس هم: ميك، أوسكار، مولر.

ثم دخل بيروت يهود ثلاثة عن طريق حيفا وكلهم من الروس، وهم عيون موسكو الثلاثة جوزيف بيرجر، الياهوبيتر، نخم سكي.

(١) انظر الإنحسار الماركسي في العالم الإسلامي لناصر العربي ص(٤).

(٢) انظر التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص(١٧٠) فما بعدها، والشيوعية وليدة الصهيونية لأحمد العطار، والمسلمون والحرب الرابعة لزهدي الفاتح ص(٤٠) فما بعدها.

وقد كان الحزب السوري اللبناني تابعاً للحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين، ثم تبع الحزب الشيوعي الفرنسي[١].

**٤- الحزب الشيوعي الفلسطيني والأردني.**

لقد كان التفكير بفلسطين من القضايا الكبرى التي تشغل رؤوس قادة الثورة البلشفية، ومنذ الأيام الأولى من الثورة: أصدر لينين في روسيا قراراً ذا شقين بحق اليهود.

أولاً: اعتبار العداء لليهود (للسامية) جريمة قانونية.

ثانياً: تأييد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين[٢].

وقد صدر هذا القرار قبل صدور وعد بلفور -وزير خارجية بريطانيا- في (٢) تشرين الثاني سنة (١٩١٧م) بأقل من عشرين يوماً.

ولذا اهتم شيوعيو روسيا بالتنظيم الشيوعي في فلسطين، فكان الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي تأسس سنة (١٩١٩م) أول حزب في المنطقة، وقد شكله أولاً اليهودي الروسي (روزشتاين)، وأوفدت موسكو قطبين يهوديين من أقطاب الحزب الشيوعي الروسي للتنظيم في فلسطين، وهما: جاك شابيليف، رادول كارن بورغ وكان جميع عناصر الحزب الشيوعي الفلسطيني في بداية الأمر يهوداً روسيين.

ثم أرسلت موسكو (فلاديمير جابو تينسكي) فنشط نشاطاً ملحوظاً في فلسطين، ثم انتدب (س.افربوخ) اليهودي -الملقب بأبي زيام- لتنظيم الحزب الشيوعي في البلاد العربية، وكان هذا الأخير صديقاً للينين في سويسرا، وأبرز الشيوعيين في فلسطين، وقد تولى رئاسة الحزب الشيوعي في فلسطين من (١٩٢٤م-١٩٢٩م).

وكانت عضوية الحزب الشيوعي الفلسطيني أولاً، قاصرة على اليهود ثم دخله قلة من الفلسطينيين العرب، وقد كانوا غير موثوقين لدى الأكثرية الشيوعية وغير مؤتمنين على أسرارهم[٣].

وفي سنة (١٩٣٧م) تأسست أول حركة علنية للحزب الشيوعي الفلسطيني وراء ستار نقابة عمال في حيفا سكرتيرها إميل توما.

وفي الناصرة نقابة عمال سكرتيرها إميل حبيبي.، وفي يافا سكرتيرها فؤاد نصار.

سنة (١٩٣٩م) أنشأ الشيوعيون عصبة التحرر الوطني، سكرتيرها اليهودي (بن فسكي)، ومساعده توفيق طوبي، وكانت مطالب هذه العصبة جلاء بريطانيا، ثم تشكيل حكومة مشتركة بين اليهود والعرب.

وفي حرب (١٩٤٨م) تحول أعضاء عصبة التحرر الوطني إلى قادة عصابات مسلحة، يذبحون الشعب الفلسطيني. فانسحب بعض الشباب المغرر بهم، في حين وقف الشيوعيون المتحمسون يدافعون عن اليهود ويقفون بجانبهم، منهم المحامي إبراهيم بكر[٤] في الناصرة، وفؤاد نصار في يافا، وغيرهم من قادة الشيوعيين العرب في فلسطين.

وبعد نكبة (١٩٤٨م) صار الحزب الشيوعي الفلسطيني اليهودي يشرف على بقية فلسطين غير المحتلة، وكان في رئاسة الحزب إميل توما وتوفيق طوبي وإميل حبيبي، وهذان الأخيران عضوان في الكنيست اليوم.

و كانت الصلة بين الشيوعيين في قسمي فلسطين عن طريق (ضابط إسرائيلي وسكرتير صحفي من الشيوعيين يعملان في لجنة الهدنة).

و كانت نشرات الحزب الشيوعي تذيل بعبارة في أسفلها بالعبرية: طبعت بمطابع الحزب الشيوعي الفلسطيني، أي (القسم

١- أنظر المسلمون والحرب الرابعة ص(٤٦)، تاريخ العلاقات السري بين الشيوعية والصهيونية ص(١٥٩) الإنحدار الماركسي في العالم الإسلامي ص(٥).

٢- أنظر كتاب (يا مسلمي العالم اتحدوا)، وكتاب التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص(٣٣).

يقول لينين: (إن الدين أفيون الشعوب، ولكن المحافظة على الدين اليهودي أمر ضروري لحياة الشعب اليهودي المختار حتى ينالوا حقوقهم، لأنه لا يجمع بين إسرائيل إلا الدين) المخططات التلمودية (٩٥).

المحتل).[1]

وفي سنة (١٩٥٠م) ضُمّت الضفة الغربية الى الأردن، وقد اعتقل طلعت حرب الشيوعي في رام الله وهو يوزع المنشورا الشيوعية التي أحضرها من إسرائيل، سنة (١٩٥١م)، عثرت قوات الأمن في عمان على مطبعة للشيوعيين وهي مسجلة بإرة ـعبارات عبرية.

سنة (١٩٥٢م) صدر الأمر من موسكو؛ بفصل الحزب الشيوعي الأردني عن الحزب الشيوعي الفلسطيني، وكان فائق ورّاد ال في المنطقة المحتلة، فسمحت له القوات الإسرائيلية بالخروج ليصبح قائداً من قادة الحركة الشيوعية، ولتقدمه منطقة رام الله سـ ١٩٥٦م) نائباً عنها في مجلس النواب الأردني، ويومها قدمت القدس يعقوب زيادين -الشيوعي النصراني- نائباً عنها[2].

وفي سنة (١٩٥٧م) حُلّ الحزب الشيوعي الأردني واعتقل قادته وأودعوا معتقل الجفر، وألقى فؤاد نصّار سكرتير الحز شيوعي الأردني عدة محاضرات أولها (الشيوعية وإسرائيل) جاء فيها (إننا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لـ يانها السياسي والاقتصادي والعسكري، وإن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس طّى بغربال[3].

وعندما مات فؤاد نصار في عمان سنة (١٩٧٧م)؛ أقام الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح) له حفلاً تأبينياً في الناصرة تكا ، زعيم الحزب (ماير ملنر)، وكذلك توفيق طوبي وإميل توما، وتوفيق زياد صاحب فكرة (يوم الأرض) -٣٠ آذار-، وتوفيق هذا عض ـ الكنيست الإسرائيلي وكان يجمع التبرعات سنة (١٩٧٨م) بالعلم الإسرائيلي من أمريكا.

ولا زالت البرقيات تتبادل بين الحزب الشيوعي الأردني والحزب الشيوعي الإسرائيلي، منها ما جاء بالنشرة الشيوعية الأرد ـ نيسان سنة (١٩٧٧م) ما يلي: (كما تقدر المجلس عالياً المواقف المبدئية والثابتة في القوى التقدمية في إسرائيل نفسها وفي ـدمتها الحزب الشيوعي (راكاح).

وقد كان محمود درويش وسميح القاسم الشاعران الفلسطينيان الشيوعيان -الممثلان للأرض المحتلة- يحملان علم اسرائي مؤتمر صوفيا الدولي.

يقول الأستاذ سعد جمعة (وقد ثبت بما يقطع كل شبهة قيام تنظيم موحّد، وترابط عقائدي، وتخطيط، وتكامل في التخطي ـدف، بين كل من الحزب الشيوعي الإسرائيلي والأحزاب الشيوعية العربية، ومن عانى متاعب الحكم في الأردن؛ يعرف أن الكثي المنشورات الشيوعية العربية كانت تأتينا عبر الحدود من إسرائيل، وإن كثيراً من قادة الحزب الشيوعي الأردني قذفوا علينا مر ـائيل بعد أن تتلمذوا وتدرّبوا على أيدي دهاقنة الحزب الصهيوني المضللين)[4].

## الفصل الخامس

# موقف الشيوعية من الإسلام والمسلمين

## المبحث الأول: أقوالهم في الدين.

الشيوعية حرب على كل الأديان، وفي مقدمتها الإسلام. أما الديانة اليهودية فلم تتعرض لها الثورة البلشفية، وكانت حجة لينين يهود شعب مظلوم يحتاج إلى دينه ليستعيد حقوقه المغتصبة!!

ومن أقوالهم في الأديان:

---

ـدر السابق ص(٢٧).

الشيوعية في العالم لعبد الحفيظ محمد ص(٢٩). والجدير بالذكر أن يعقوب زيادين من الكرك وليس من القدس. وقد استغل الشيوعيون تقارب مصر مع روسيا للدعاية. ففي ـاديق الإقتراع وجدت أوراق مكتوب عليها كرمالك يا جمال خذ يا زيادين.

ـهذه الشيوعية في العالم العربي ص(٨٩).

. كتاب المسلمون والحرب الرابعة ص(٤٧) نقلاً عن كتاب المؤامرة ومعركة المصير لسعد جمعة ص(١٤١-١٤٢).

**١- يقول ماركس:** (الدين أفيون الشعوب) (إن الله لم يخلق الجنس البشري بل الإنسان هو الذي خلق الله).

**٢- يقول لينين:** (الدين خرافة وجهل)، وفي المؤتمر الثالث للشباب يقول لينين: (إننا لا نؤمن بإله، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبوننا باسم الإله الا استغلالاً).

**٣- يقول ستالين** (سنة (١٩٣٧م): (يجب أن يكون مفهوماً أن الدين خرافة، وأن فكرة الله خرافة وأن الإلحاد مذهبنا).

**٤- تقول برافدا السوفييتية:** (نحن نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين، الملكية الخاصة)[1].

ولا زال الشيوعيون -حتى يومنا هذا- يصدرون الكتب والمعاجم التي تؤكد نظرة زعمائهم السابقين، ففي سنة (١٩٦٧م) صدر المعجم الفلسفي في موسكو يردد نفس العبارة (الدين أفيون الشعوب). (الإسلام يبرر الظلم الإجتماعي، ويصد الناس عن الكفاح الثوري، ويدفعهم إلى انتظار بليد للسعادة في الآخرة)[2].

## ب- المبحث الثاني: حكم من يعتنق الشيوعية.

بناء على ما تقدم من مبادىء الشيوعية؛ فكل شيوعي كافر خارج من الإسلام وإن كان يصلي دائماً أو أحياناً، فلا يزوج من بنات المسلمين، وإذا تزوج مسلمة فالزواج زنى، والأولاد أولاد زنى، ولا تؤكل ذبيحة الشيوعي، ولا يغسل إذا مات، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يقبر في مقابر المسلمين، ولا يجوز لأبنائه المسلمين أن يرثوا منه لأنه لا يتوارث أهل ملّتين شتّى.

وكذلك لا يجوز زواج البنت الشيوعية من المسلم، والعقد باطل، وقربها زنى، هذه فتوى جميع العلماء في العصر الحديث، وهي فتاوى شيوخ الأزهر كذلك، ومنها: فتاوى الشيوخ: حسنين مخلوف، محمد البخيت، عبد الحليم محمود[3].

ملاحظة:

اقتناء المصحف محظور على المسلمين الروس، فهم لا يعرفون القرآن، فقد ذكر لي أحد الشباب أن مسلماً روسياً علم أن عندي مصحفاً، فجاءني عن بعد (٣٥٠٠) كم، وعلى الطريق قال لي: هل المصحف قطعة واحدة أم عدة قطع؟

## جـ- المبحث الثالث: المذابح التي أقامها الشيوعيون للمسلمين.

لم يشهد التاريخ في أحقابه مثيلاً للمجازر التي أقامها الشيوعيون المسلمين، فعند قيام الثورة البلشفية وجّه لينين وستالين في (١٩١٧/١٢/١٥م) نداءً للمسلمين جاء فيه: (أيها المسلمون مساجدكم، صلواتكم، أعيادكم، تقاليدكم في أمان، قوموا وساعدوا الثورة ضد القيصرية. لقد جاءت ساعة خلاصكم)[4] وظنها المسلمون ساعة الخلاص، فهبوا للتخلص من القيصرية والإستراحة من نيرها، وإذا بها تقع بين فكي تنين سحقها سحقاً، أو بين أنياب وحش مزّقها تمزيقاً، وقد وقع حوالي (٦٠-٦٥) مليوناً من المسلمين تحت وطأة الثورة البلشفية، وهؤلاء المسلمون ينتشرون على أرض مساحتها أكثر من (١٥) مليون ميل مربع (أكثر من مساحة إفريقيا).

## فماذا صنع الشيوعيون بالمسلمين؟

**١- في تركستان الشرقية:** احتلتها الصين سنة (١٩٣٤م) بمساعدة الجيش الأحمر الروسي، وقتلوا (ربع مليون مسلم) من المفكرين والعلماء والشباب. وقامت الثورة الصينية سنة (١٩٥٢م) فقتلت (١٢٢) ألفاً من المسلمين.

**٢- في يوغسلافيا:** أباد تيتو بعد الحرب العالمية من المسلمين (٢٤) ألفاً.

**٣- في القرم:** أبادت الشيوعية سنة (١٩٢١م) (مائة ألف)، وهجّروا (خمسين ألف) في عهد بيلاكون، وكان عدد مساجدها قبل احتلال روسيا لها زمن كاترينا الثانية (١٥٥٤) مسجداً، وعدد سكانها (٥) ملايين، فما زالت تهجّر وتقتل وتنفي إلى سيبريا حتى بقي

---

١- أنظر هذه الأقوال في كتاب فتاوى عن الشيوعية للشيخ عبد الحليم محمود، وكتاب هذه الشيوعية في العالم العربي لعبد الحفيظ محمد، والإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص(٣٠)، والمخططات التلمودية لأنور الجندي ص(٩٥) وكتاب (ما هو الغرب) لراشد الغنوشي ص(٤٠).

منهم (٣) مليون وبقي من المساجد (٧٠٠) مسجد.

وعندما جاء البلاشفة سنة (١٩٢٠م) أغلقت المساجد، وشنّت على أهل القرم حرب التجويع.

فقد نشرت الأزفستيا (١٥) يوليو سنة (١٩٢٢م) تقريراً للرفيق (كالينين) عن مجاعة القرم: (بلغ عدد الذين أصابتهم مجـ الجوع في يناير (٣٠٢٠٩٠) مات منهم (١٤٤١٣).ارتفع عددهم في مارس (٣٧٩٠٠٠) مات منهم (١٢٧٥٤)).

وارتفع عددهم في يونيو (٣٩٢٠٦٣) وتوقف عن ذكر الموتى[1].

وفي سنة (١٩٤٦م) كان قد بقي من شعب القرم نصف مليون نفاهم ستالين إلى سيبريا[2].

**القفقاس (بلاد الشيشان والشركس)[3]:**

نفى ستالين إلى سيبريا وأذربيجان جميع الشعبين (٨٠٠) ألف من الشيشان و (٣٠٠) ألف من شعب كارة شاي و (٢٥٠) أ من شعب كالملوك ولا يوجد في جمهورية الشيشان كلها الآن مسجد واحد.

لقد هدمت المساجد وحولت إلى اصطبلات ودور للسينما ومراكز للحزب ودور للترفيه ونوادي، والمساجد الباقية في المناط الأخرى تدفع ضرائب للدولة، فمثلا مسجد لينين جراد الباقي للسياحة يدفع عنه المسلمون ضريبة سنوية قيمتها (٢٤ ألف) روبل.

**٤- في تركستان الغربية[4]:**

كان مجموع ماقتل من المسلمين فيها (٦) ملايين مسلم سنة (١٩١٩م) هرب منها مليونان ونصف، وسنة (١٩٣٤م) قة الشيوعيون مائة ألف مسلم.

سنة (١٩٢٧-١٩٣٩م) أعدم ونفي إلى سيبريا نصف مليون مسلم.

سنة (١٩٣٤م) نفي منها (٩٣٠٠ ألف مسلم.

سنة (١٩٥٠م) قتل منها (٧) آلاف مسلم.

سنة (١٩٣٢-١٩٣٤م) مات جوعاً (٣) ملايين مسلم (أخذت محاصيلهم وقدمت إلى الصين).

سنة (١٩٥١م) اعتقل منهم (١٣٥٦٥) مسلماً.

وقد ثبت بالإحصائيات الروسية: أن ستالين قد قتل(١١) مليوناً من المسلمين[5].

والآن ازداد إحساس السوفيات لخطر المسلمين الذين يشكّلون حوالي (٦٠) مليوناً، وسيصبحون حوالي مائة مليون في نهاي هذا القرن -إن شاء الله-، وهم يمتدون على حدود إيران التي بدأت تبث لهم يومياً (ساعتين) عن الإسلام باللغة الروسية.

## د- المبحث الرابع: موقف الشيوعيين من تعليم الاسلام والمساجد والعلماء[6].

التعليم الديني ممنوع منعاً باتاً في مدارس الدولة في السوفيات.

ولكن وجود مدارس دينية محضة لتخريج علماء أمر جائز نظرياً.

ومنذ سنة (١٩٤٥م) لم يسمح إلا بمدرسة واحدة، وهي مدرسة (ميري عرب) في بخارى أعيد فتحها[7].

وكان عدد المساجد في روسيا وحدها (عدا مساجد بخارى وخيوه الكثيرة جداً) يساوي (٢٦٢٧٩) مسجداً سنة (١٩١٣م).

---

١- أنظر الاسلام في وجه الزحف الأحمر لمحمد الغزالي ص١٤٢.

٢- أنظر مجلة البلاغ الكويتية العدد (٤٧٨) نوفمبر سنة (١٩٧٨م)، وانظر الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام لعبد الله التل ص(٤٨).

٣- الأفعى اليهودية.

٤- إحصائيات تركستان الغربية مأخوذة من تقرير مقدم إلى الأمم المتحدة، وانظر الأفعى اليهودية ص(٢٢٧)، والإسلام في وجه الزحف الأحمر للغزالي ص(١٤٦).

٥- المسلمون في الإتحاد السوفياتي لكاتبين فرنسيين هما (شانتال لكلجي، الكسندر بينيغسن) تعريب د. إحسان حقي ص(٢٦٧).

٦- أنظر المسلمون في الإتحاد السوفياتي ص(٦٧-٢٧٨).

٧- يراجع بتوسع كتاب محمود شاكر (المسلمون تحت السيطرة الشيوعية) ص(٦٤) فما بعدها.

وفي الصحيفة الرسمية السوفييتية (سوفيات ورنيوز Soviet Warnewz) المساجد المفتوحة الأبواب للمصلين يساوي (١٣١٢) مسجداً.

وفي سنة (١٩٦٤م) صدرت نشرة عن طشقند بالفرنسية أنه يوجد في كل أسيا الوسطى بما فيها قزقستان يساوي (٢٥٠) مسجداً فقط.

**أما العلماء:** كان عددهم سنة (١٩١٧م) (فيما عدا بخارى وخيوه) لا يقل عن (٤٥٣٣٩).

وفي سنة (١٩٥٥م) عددهم (٨٠٥٢) إذ أن معظم العلماء سحق في الثلاثينات.

**أما الدعاية ضد الإسلام**[1]:

أنشأ الشيوعيون اتحاداً سمّوه (إتحاد من لا اله لهم)، وبعد الحرب (جمعية نشر المعلومات السياسية)، معظم عملها محاربة الإسلام.

**ففي الفرع التازاقي:** نظمت الجمعية بين سنة (١٩٤٦-١٩٤٨م) ما يساوي (٣٠٥٢٨) محاضرة منها (٢٣٠٠٠) محاضرة ضد الإسلام.

**وفي أوزبكستان:** سنة (١٩٤١) أكثر من (١٠) آلاف محاضرة ضد الإسلام.

**وفي تركمانستان:** سنة (١٩٦٣م) أكثر من (٥) آلاف محاضرة ضد الإسلام.

وطبعت من الكتب بين سنة (١٩٥٥-١٩٥٧م) (٨٤) كتاباً في (٨٠٠) ألف نسخة ضد الإسلام.

وطبعت من الكتب بين سنة (١٩٦٢-١٩٦٤) (٢١٩) كتاباً ونشرة ضد الإسلام وموجهة للمسلمين.

**أما أركان الإسلام الخمسة:**

الشهادتان: يقولها المسلمون سراً.

الزكاة: محظورة.

الصوم: فهو مستحيل عملياً.

الحج: كان ممنوعاً ثم سمح به نظرياً.

أما القرآن: فرأيت بعض القوانين تحكم على اقتنائه بالسجن سنة كاملة.

## الفصل السادس

# الشيوعيون وفلسطين

### المبحث الأول: تخطيط البلاشفة واليهود لإسقاط الخلافة العثمانية.

ذكرنا سابقاً أن الثورة البلشفية أصدرت منذ الأسبوع الأول لانتصارها قراراً يعترف لليهود بوطن قومي في فلسطين. بل يرى قادة الحركة الصهيونية أن ماركس أكثر من عمل لإقامة دولة يهودية، يقول الحاخام إسحق واين: أحد أقطاب الصهيونية الحديثة: (إن كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس، كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ماقام به واعد له أشد إخلاصاً لإسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بدورهم في مولد الدولة اليهودية)[2]. ثم خطط هرتزل زعيم المنظمات الصهيونية بجد لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين فقد أخرج كتاباً سنة (١٨٩٥م) تحت عنوان (الدولة اليهودية)، ثم رتب لاجتماع بال سنة (١٨٩٧م) ضم فيه

١- أما الزكاة فمحظورة، وأما الحج فكان مستحيلاً ثم سمح به بعد سنة (١٩٤٥م) ولكن عدد من حج منذ سنة (١٩٤٥م) وحتى سنة (١٩٧٧م) فلا يزيدون على مائة شخص، أما رمضان: فلم يمنع رسمياً إلا أنه يكاد عملياً أن يكون مستحيلاً، وأخيراً اضطر بعض المفتين أن يفتوا المسلمين بصيام ثلاثة أيام تحسب لهم عن ثلاثين يوماً (الأيام ١، ١٥، ٣٠ من رمضان) انظر المسلمون في الإتحاد السوفياتي ص(٢٦٧) فما بعدها لمؤلفين فرنسيين.

٢- [illegible] (١٩)

منهم (٣) مليون وبقي من المساجد (٧٠٠) مسجد.

وعندما جاء البلاشفة سنة (١٩٢٠م) أغلقت المساجد، وشنّت على أهل القرم حرب التجويع.

فقد نشرت الأزفستيا (١٥) يوليو سنة (١٩٢٢م) تقريراً للرفيق (كالينين) عن مجاعة القرم: (بلغ عدد الذين أصابتهم مه الجوع في يناير (٣٠٢٠٩٠) مات منهم (١٤٤١٣).ارتفع عددهم في مارس (٣٧٩٠٠٠) مات منهم (١٢٧٥٤)).

وارتفع عددهم في يونيو (٣٩٢٠٦٣) وتوقف عن ذكر الموتى[1].

وفي سنة (١٩٤٦م) كان قد بقي من شعب القرم نصف مليون نفاهم ستالين إلى سيبريا[2].

القفقاس (بلاد الشيشان والشركس)[3]:

نفى ستالين إلى سيبريا وأنربيجان جميع الشعبين (٨٠٠) ألف من الشيشان و (٣٠٠) ألف من شعب كارة شاي و (٢٥٠) أل من شعب كالموك ولا يوجد في جمهورية الشيشان كلها الآن مسجد واحد.

لقد هدمت المساجد وحولت إلى اصطبلات ودور للسينما ومراكز للحزب ودور للترفيه ونوادي، والمساجد الباقية في المناط الأخرى تدفع ضرائب للدولة، فمثلا مسجد لينين جراد الباقي للسياحة يدفع عنه المسلمون ضريبة سنوية قيمتها (٢٤ ألف) روبل.

٤- في تركستان الغربية[4]:

كان مجموع ماقتل من المسلمين فيها (٦) ملايين مسلم سنة (١٩١٩م) هرب منها مليونان ونصف، وسنة (١٩٣٤م) قت الشيوعيون مائة ألف مسلم.

سنة (١٩٣٧-١٩٣٩م) أعدم ونفي إلى سيبريا نصف مليون مسلم.

سنة (١٩٣٤م) نفي منها (٩٣٠٠) ألف مسلم.

سنة (١٩٥٠م) قتل منها (٧) آلاف مسلم.

سنة (١٩٣٢-١٩٣٤م) مات جوعاً (٣) ملايين مسلم (أخذت محاصيلهم وقدمت إلى الصين).

سنة (١٩٥١م) اعتقل منهم (١٣٥٦٥) مسلماً.

وقد ثبت بالإحصائيات الروسية: أن ستالين قد قتل (١١) مليوناً من المسلمين[5].

والآن ازداد إحساس السوفيات لخطر المسلمين الذين يشكّلون حوالي (٦٠) مليوناً، وسيصبحون حوالي مائة مليون في نهاي هذا القرن -إن شاء الله-، وهم يمتدون على حدود إيران التي بدأت تبث لهم يومياً (ساعتين) عن الإسلام باللغة الروسية.

## د- المبحث الرابع: موقف الشيوعيين من تعليم الاسلام والمساجد والعلماء[6].

التعليم الديني ممنوع منعاً باتاً في مدارس الدولة في السوفيات.

ولكن وجود مدارس دينية محضة لتخريج علماء أمر جائز نظرياً.

ومنذ سنة (١٩٤٥م) لم يسمح إلا بمدرسة واحدة، وهي مدرسة (ميري عرب) في بخارى أعيد فتحها[7].

وكان عدد المساجد في روسيا وحدها (عدا مساجد بخارى وخيوه الكثيرة جداً) يساوي (٢٦٢٧٩) مسجداً سنة (١٩١٣م).

١- أنظر الاسلام في وجه الزحف الأحمر لمحمد الغزالي ص١١٢.

٢- أنظر مجلة البلاغ الكويتية العدد (٤٧٨) نوفمبر سنة (١٩٧٨م)، وانظر الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام لعبد الله التل ص(٤٨).

٣- الأفعى اليهودية.

٤- إحصائيات تركستان الغربية مأخوذة من تقرير مقدم إلى الأمم المتحدة، وانظر الأفعى اليهودية ص(٢٢٧)، والإسلام في وجه الزحف الأحمر للغزالي ص(١٤٦).

٥- المسلمون في الإتحاد السوفياتي لكاتبين فرنسيين هما (شانتال كلكجي، الكسندر بينيغسن) تعريب د: إحسان حقي ص(٢٦٧).

٦- أنظر المسلمون في الإتحاد السوفياتي ص(٦٧-٢٧٨).

٧- يراجع بتوسع كتاب محمود شاكر (المسلمون تحت السيطرة الشيوعية) ص(٦٤) فما بعدها.

وفي الصحيفة الرسمية السوفييتية (سوفيات ورنيوز Soviet Warnewz) المساجد المفتوحة الأبواب للمصلين يساوي (١٣١٢) مسجداً.

وفي سنة (١٩٦٤م) صدرت نشرة عن طشقند بالفرنسية أنه يوجد في كل آسيا الوسطى بما فيها قزقستان يساوي (٢٥٠) مسجداً فقط.

**أما العلماء:** كان عددهم سنة (١٩١٧م) (فيما عدا بخارى وخيوه) لا يقل عن (٤٥٣٣٩).

وفي سنة (١٩٥٥م) عددهم (٨٠٥٢) إذ أن معظم العلماء سحق في الثلاثينات.

**أما الدعاية ضد الإسلام[1]:**

أنشأ الشيوعيون اتحاداً سمّوه (إتحاد من لا اله لهم)، وبعد الحرب (جمعية نشر المعلومات السياسية)، معظم عملها محاربة الإسلام.

**ففي الفرع القازاقي:** نظمت الجمعية بين سنة (١٩٤٦-١٩٤٨م) ما يساوي (٣٠٥٢٨) محاضرة منها (٢٣٠٠٠) محاضرة ضد الإسلام.

**وفي أوزبكستان:** سنة (١٩٤١) أكثر من (١٠) آلاف محاضرة ضد الإسلام.

**وفي تركمانستان:** سنة (١٩٦٣م) أكثر من (٥) آلاف محاضرة ضد الإسلام.

وطبعت من الكتب بين سنة (١٩٥٥-١٩٥٧م) (٨٤) كتاباً في (٨٠٠) ألف نسخة ضد الإسلام.

وطبعت من الكتب بين سنة (١٩٦٢-١٩٦٤) (٢١٩) كتاباً ونشرة ضد الإسلام وموجهة للمسلمين.

**أما أركان الإسلام الخمسة:**

الشهادتان: يقولها المسلمون سراً.

الزكاة: محظورة.

الصوم: فهو مستحيل عملياً.

الحج: كان ممنوعاً ثم سمح به نظرياً.

أما القرآن: فرأيت بعض القوانين تحكم على اقتنائه بالسجن سنة كاملة.

## الفصل السادس

# الشيوعيون وفلسطين

## المبحث الأول: تخطيط البلاشفة واليهود لإسقاط الخلافة العثمانية.

ذكرنا سابقاً أن الثورة البلشفية أصدرت منذ الأسبوع الأول لانتصارها قراراً يعترف لليهود بوطن قومي في فلسطين. بل يرى قادة الحركة الصهيونية أن ماركس أكثر من عمل لإقامة دولة يهودية، يقول الحاخام إسحق واين: أحد أقطاب الصهيونية الحديثة: (إن كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس، كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ماقام به واعد له أشد إخلاصاً لإسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بدورهم في مولد الدولة اليهودية)[2]. ثم خطط هرتزل زعيم المنظمات الصهيونية بجد لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين فقد أخرج كتاباً سنة (١٨٩٥م) تحت عنوان (الدولة اليهودية)، ثم رتب لاجتماع بال سنة (١٨٩٧م) ضم فيه

---

١- أما الزكاة فمحظورة، وأما الحج فكان مستحيلاً ثم سمح به بعد سنة (١٩٤٥م) ولكن عدد من حج منذ سنة (١٩٤٥م) بحتى سنة (١٩٧٧م) فلا يزيدون على مائة شخص. أما رمضان: فلم يمنع رسمياً إلا انه يكاد عملياً أن يكون مستحيلاً، وأخيراً اضطر بعض المفتين أن يفتوا المسلمين بصيام ثلاثة أيام تحسب لهم عن ثلاثين يوماً (الأيام ١.١٥.٢٠ من رمضان) انظر المسلمون في الإتحاد السوفياتي ص(٢٦٧) فما بعدها لمؤلفين فرنسيين.

٢- التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية للقادري ص(١٩).

المنظمات الصهيونية في العالم وانبثق عن هذا المؤتمر (بروتوكولات حكماء صهيون).

وفي سنة (١٩٠١م) حاول هرتزل مع السلطان عبد الحميد من أجل السماح لليهود بشراء الأراضي التي ليس لها أصحاب ف فلسطين، ورفض السلطان، وفي سنة (١٩٠٢م) حاول هرتزل مع السلطان عبد الحميد، وفي هذه المرة دخل معه -كراسيوس (قر صو) المحامي اليهودي الماسوني[1] وعرضا على السلطان:

١- (١٥٠) مليون دينار ذهب إنجليزي.

٢- سد ديون الدولة العثمانية.

٣- بناء أسطول للدولة العثمانية.

٤- بناء جامعة عثمانية في القدس.

٥- الدفاع عن سياسة السلطان عبد الحميد في أوربا وأمريكا [2]

كل هذه مقابل السماح لليهود بالهجرة.

فكان ردّ السلطان عبد الحميد -كما ذكر هرتزل في مذكراته-: (ونصحني السلطان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أخر في هذا السبيل، لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، إذ هي ليست ملكاً له، بل هي للأمة الإسلامية ال قاتلت من أجلها وروت تربتها بدماء أبنائها)، وقال عبد الحميد: (إن عمل المبضع في بدني أهون علي من أن أرى فلسطين بترت ، امبراطوريتي). وجاءت رسالة السلطان عبد الحميد لشيخه أبي الشامات (عرض علي اليهود (١٥٠) مليون جنيه إنجليزي ذهباً، فقا لهم: إنكم لو دفعتم ملء الارض ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي. لقد خدمت الأمة المحمدية والملة الإسلامية ما يزيد عا ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين)[3] ولا زالت الرسالة محفوظة عند أحف الشيخ أبي الشامات.

وفي سنة (١٩٠٤م) مات هرتزل ليتولى زعامة الحركة الصهيونية حاييم وايزمن. وفي أيار سنة (١٩١٦م) التقى وايزمن ، لينين بحضور الكاتب الصهيوني جاك ليفي في بيت الصناعي اليهودي دانيال شوين في زيورخ، لبحث المخطط الثوري الإشترا لتقويض القيصرية ولبحث المخطط اليهودي للشرق، قال لينين لوايزمان[4]: (على نجاح الثورة في روسيا يتوقف تحرير اليهود ، كابوس ملوك أوربا وحكامها ورفعهم إلى أسمى المراتب في الدولة، وفرض احترامهم وشخصيتهم، وسوف تحقق الثورة للشع اليهودي المشتت ما عجزت عن تحقيقه لهم الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩م)، وبعد أن تزول القيصرية وكنيستها من روسيا تقام الد الماركسية الإشتراكية على الأسس التي خطط لها لتحقيق أهدافها البعيدة المدى في الغرب والشرق).

واقتنع وايزمن بالفكرة وقال للينين[5]: (إن فتح أبواب الشرق واستقرار اليهود في فلسطين يتوقف بالدرجة الأولى على تد الإمبراطورية العثمانية، وبتدميرها تزول الحواجز والعقبات التي تعترض المسيرة إلى أرض الميعاد... عمرها أصبح محدوداً وانهيار وشيكاً. لا بد من إنشاء دولة يهودية في فلسطين على أسس اشتراكية بعد أن تحقق الثورة الروسية الإشتراكية أهدافها).

يقول جاك ليفي[6]: (لقد عرفت لينين -في زيورخ حيث عقدت عدة اجتماعات حضرها وايزمن- أنه رجل ثوري مدين إ تروتسكي بالمكاسب التي حققها، لا يصلح لقيادة أمة شعبها مثقف واعي).

وفي سنة (١٩٢٠م) أرسلت موسكو إلى فلسطين (فلاديمير جابو تنسكي) اليهودي الشيوعي مهمته تدريب الشباب اليهو وتشكيل فرق منهم.

---

١- وصل (قرة صو) إلى مصر بعد إسقاط الخليفة والخلافة في تركيا، وعمل ليل نهار باسم حاخام اليهود، وكان اسمه (ناحوم حاييم) وكان على صلة وثيقة بالثورة المصرية، وقد كان ، العقاد محروماً من جائزة العلم، وذات يوم زار العقاد ناحوم وفي اليوم التالي منحه عبد الناصر الجائزة.

٢- كتاب مكائد يهودية عبر التاريخ لعبد الرحمن حبنكة ص(٢٨٤).

٣- أنظر مكائد يهودية عبر التاريخ لحبنكة ص(٢٨٤). يقول (برنارد لويس) -اليهودي- في كتاب (تركياالحديثة): (لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود سراً على إزالة السلطان عبد ال لأنه كان معارضاً قوياً لليهود، إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين).

٤،٥- دور الدول الإشتراكية في تكوين إسرائيل للدكتور إبراهيم الشريقي -عضو المجامع العلمية الدولية- ص(١٧)

٦- دور الدول الإشتراكية في تكوين إسرائيل ص(١٨).

تشيكوسلوفاكيا (٨/١٠/١٩٤٧م): (اليهود بحاجة إلى حضانتنا لا العرب).

الإتحاد السوفياتي (١٣/١٠/١٩٤٧م) يقول سيمون تسارابكين: أمام اللجنة السياسية المؤقتة: (من حق اليهود فرض سيادتهم على وطن لهم في فلسطين).

يوغسلافيا (١٤/١٠/١٩٤٧م): (افتقار العرب إلى الروح الإشتراكية هو سبب صلفهم مع اليهود).

تشيكوسلوفاكيا (١٦/١٠/١٩٤٧م): (يهود العالم يريدون فلسطين فيجب أن نتجاهل معارضة العرب).

الإتحاد السوفياتي (٢٤/١١/١٩٤٧م): (نحن مستعدون لتنفيذ قرار التقسيم بأنفسنا).

غروميكو (٢٦/١١/١٩٤٧م): (ما يقوله المندوبون العرب الرسميون، لا يعبر عن مصالح الجماهير العربية التي ستتطلع يوماً إلى موسكو تطلب معونتها للنضال ضد الرجعية).

بولندا (٢٦/١١/١٩٤٧م): (هناك مصالح مشتركة بين العرب واليهود على أساس الإشتراكية).

غروميكو (٧/٣/١٩٤٨م): (على الجميع أن يمتثلوا لقرار التقسيم).

غروميكو (٣٠/٣/١٩٤٨م): (سنلجأ إلى مختلف الوسائل لتنفيذ قرار التقسيم).

في (٢٣/٤/١٩٤٨م) قال غروميكو: (على الأمم المتحدة إنزال العقاب بالغزاة العرب).

(٢١/٥/١٩٤٨م) قال غروميكو: (الرجعيون العرب هم الذين يناوئون حركة التحرير الوطني اليهودية بفلسطين).

(٢٩/٥/١٩٤٨م) قال غروميكو: (إن مصلحة العرب واليهود واحدة في مكافحة الرجعية وفي تلاحم الأخوة الأشتراكية).

(٢/١٢/١٩٨٤م) قال جاكوب مالك مندوب السوفيات في مجلس الأمن: (وجدت إسرائيل لتبقى حيث هي موطن أجدادها، وأعداؤها هم عملاء الإستعمار وشركات البترول)(١).

لقد سارع رئيس الوفد السوفياتي في الأمم المتحدة إثر التصويت لصالح قرار تقسيم فلسطين، فدخل إلى مكتبه وأخرج زجاجات الخمر وقدمها لأعضاء الوفد اليهودي، داعياً الجميع ليشربوا نخب (هذا النصر التاريخي الذي كانت الإخوة الإشتراكية الدولية تعمل من أجله منذ البداية)(٢).

هذا الكلام المنقول حرفياً من ملفات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، يصفع كل شيوعي أحمر يتشدق بمقاومة اليهود أو يتاجر باسم فلسطين، ويخدع الجاهلين الذين لا يعرفون من أمر الشيوعية سوى أنها مقاومة الإستعمار والإمبريالية والمساواة بين الناس وإقامة العدالة الإجتماعية وهدم الفوارق الطبقية!!.

لقد خدع الأغرار في بداية الأمر بشعارات الشيوعية ورايات البلشفية، فدخلوا فيها ظناً منهم أنها النجاة من الغول الغربي والأمريكي البشع الذي ذاقوا على يديه الويلات أثناء حكمه منطقة الشرق العربي والبلاد الإسلامية، وإذا به سراب خلب سرعان ما بان للناظر زيفه، وسحابة صيف عن قليل تقشّع.

المستجير بعمرو عند كربته     كالمستجير من الرمضاء بالنار

لقد سقطت أسهم الشيوعيين بعد مواقفهم المشينة تجاه القضايا الوطنية في سنة (١٩٤٨م) وسنة (١٩٦٧م)، وبعد الإطلاع على مخازيهم، فقدوا كثيراً من أنصارهم الذين كان بريق الدعاية قد أعشى أبصارهم، ثم فتحوا أعينهم فجأة على الحقائق المرة.

الفصل السابع

# الشيوعيون العرب وفلسطين

رأينا فيما سبق أن التنظيمات الشيوعية في العالم العربي كلها أشرف عليها اليهود وسهروا عليها، وأما القادة الشيوعيو الذين ينتسبون إلى العروبة فقد تربوا على أيدي دهاقين اليهود بعد أن غيّروا عقولهم فأصبحت يهودية. وقد كان اليهود يعلقون آما كبيرة على هؤلاء التلاميذ وعلى التقدم الإشتراكي في المنطقة.

وفي سنة (١٩٤٨م) كان الشيوعيون العرب -من أبناء فلسطين- يكتبون إلى موسكو: (إن جعل فلسطين وطنا قومياً لليهود ه الطريق الوحيد والوسيلة الناجحة لبلشفة العالم العربي)[١].

وعندما كان قرار التقسيم في أروقة الأمم المتحدة ولم تفصح روسيا بعد عن قرارها كان الشيوعيون العرب يهاجمون قرا التقسيم، وبعد أن أعلنت روسيا عن تأييدها الصارخ للقرار، عاد الشيوعيون العرب يؤيدون التقسيم. فقد أعلن السكرتير العا لشيوعيين العرب -خالد بكداش- رأيه قائلاً: (الحكومات الرجعية العربية هي المسؤولة، لقد عارضت الإتحاد السوفياتي الصديق حت للحظة الأخيرة ولم تخطب وده، صحيح أن اليهود ليسوا أمة لكنهم شعب له حق الحياة)[٢].

ولقد كشف رفيق رضا (عضو قيادة الحزب الشيوعي اللبناني السوري) الذي انشق على خالد بكداش وكان مساعدا له، فيقو (كانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماس ابن غوريون على بعث الدولة اليهودية في فلسطين، فإسرائيل في نظرها واحة من واحا لديمقراطية في الشرق الأدنى، والشعب الإسرائيلي المشرد لا بد وأن يلتقي في أرض الميعاد، وإن واجب التضامن الأممي في عرا لقيادة المذكورة هو من صلب المبادىء الماركسية ولذا فوجود إسرائيل له في عرفها مبرراته الإنسانية التي تتخطى المبررات والوقا قومية).

ولقد عرف الناس جميعاً موقف الشيوعية المخزي تجاه إخوانهم من أبناء جلدتهم، فقد رموا العرب المشردين -الذين يدافعو ن كيانهم وعن حياتهم ودينهم وأعراضهم- عن قوس واحدة، وهاجموهم واعتبروهم معتدين، وكانوا يصفون اليهود أنهم مظلومو د كانوا يعتبرون الدفاع عن فلسطين رجعية دينية ومؤامرة ضد اليهود[٣].

ففي العراق قال الشيوعيون: (إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق)[٤].

وقال سكرتير الحزب في العراق (يوسف سلمان الملقب بفهد): (مرحباً بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين واشترط له شتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية).

وكتبت المنظمة الشيوعية المصرية في (١٥) مايو سنة (١٩٤٨م) تحت عنوان (غزت جيوش البلاد العربية فلسطين): (وه رب حرب رجعية تخدم البرجوازية العربية بكبت البروليتاريا الصاعدة (اليهود) الثورية في فلسطين)[٥].

وبعد قيام إسرائيل أخذ الشيوعيون ينادون بالصلح معها. فقد كان الشيوعيون يوزعون باستمرار مقالات (صموئيل ميكونيس كرتير الحزب الشيوعي الإسرائيلي التي كان ينشرها في جريدة (الكومنفورم) تحت عنوان (في سبيل سلم دائم).

وألقى فؤاد نصار (سكرتير الحزب الشيوعي الأردني سنة (١٩٥٧م) محاضرة في الجفر قال فيها: (إننا نعلم ويعلم الجميع ب رائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السياسي والإقتصادي والعسكري، وأن اليهود شعب كباقي الشعوب، له حق الحياة، وأنا أعتر جود كدولة لأن الشمس لا تغطى بغربال)[٦].

وبعد قيام الثورة الفلسطينية واشتداد عودها اندسّ الشيوعيون في أوساطها وصاروا ينادون بمقالاتهم (التفريق بين يهود هيوني) وذلك لتمييع القضية الفلسطينية.

ظر الشيوعية وليدة الصهيونية.

ظر التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص ١٧٠ نقلاً عن كتاب صفحات مجهولة عن تاريخ الحزب الشيوعي/الزرقا ومرتص ص ١٢٧ - ١٢٨.

تاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص(١٧١).

تاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص(١٧٠) لما بعدها.

ريخ السري للعلاقات للنادري ص(١٧١).

ه الشيوعية في العالم العربي لعبد الحفيظ محمد ص(٨٨).

قالوا: نحن لا نقاتل اليهود الشرفاء إنما نقاتل الصهيونية.

ولا ندري كيف نفرق في الميدان العام بين يهودي شريف؟! على حد زعمهم وبين صهيوني، بينما يرى قادة المنظمات الصهيونية أن كل صهيوني يهودي. بل صهيون يطلق على الجزء الجنوبي من القدس (جبل اليبوسيين)، ثم أصبح اليهود يطلقونه على القدس ويسمونها (ابنة صهيون) وفي التوراة (ترنمي يا ابنة صهيون، إهتفي يا ابنة أورشليم)[1].

يقول هرتزل[2]: (الصهيونية هي العودة الى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد).

ويقول بن غوريون[3]: (أنا يهودي أولاً وإسرائيلي بعد ذلك، لاعتقادي بان دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره ونيابة عنه).

وأخذوا يثقفون الشباب الثقافة الثورية!! ثقافة ماو وجيفارا. وثورية لينين وستالين، وآراء ماركس وحياة كاسترو. لقنوا الشباب عشرين اصطلاحاً يلفون ويدورون حولها... إمبريالية، برجوازية، ديماغوجية، بروليتاريا...

وظن الشباب أنهم قد ملكوا شيئاً جديدا أستبدلوه بدين الله -عزوجل- واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، وضاع الشباب بين متاهات الفكر ومعمّيات المادية وتحولت المعركة من جهاد ضد اليهود، ومن كفاح في سبيل الله لاسترجاع الأرض والمقدسات... إلى حرب ضد الرجعية (دين الإسلام)، إلى صراع داخلي نقل إلى كل بيت بين الأخ وأخيه، وبين الابن وأبيه، وبين الفتاة وأمها.

وصار مسؤولوا منظمة الانصار (الشيوعية) -التي ماسمعنا بها إلا من خلال الأوراق- يحاضرون في مجمّع النقابات سنة (١٩٦٩-١٩٧٠م) ويقولون: أعداؤنا (الإمبريالية الصهيونية وليس اليهود الشرفاء!!).

واحتفلت الفئات الثورية في أمانة العاصمة في عمان في (١٠) نيسان (١٩٧٠م) اسبوعاً كاملاً بعيد ميلاد لينين المئوي، وما بقي مفرق طريق، ولا باب، ولا بقالة، ولا حانوت، إلا وألصقت عليه صور لينين العظيم!! -فارس دولة الإلحاد في الأرض-.

أما في قواعدهم فقد رأيناهم عن كثب، وأسماؤهم الحركية أبو جهل، أبو لهب، ماو، جيفارا، هوشي منه.

أما سر الليل عندهم: فهو شتم الدين والرب، أما طعامهم: فقد كانوا يصطادون الكلاب ببنادقهم ثم يأكلونه، لانه لا فرق عندهم بين الكلب والخروف، إذ دعوى التفريق خرافة رجعية جاء بها أحد الأعراب في الصحراء اسمه (محمد ﷺ).

ولقد رأيناهم عندما كان الشباب المسلم المجاهد الذي يحمل السلاح يرفع الأذان في التجمعات الفدائية، كان أبناء لينين وماوتسي تونغ يصطفون يلغون ويرفعون أصواتهم قائلين:

إن تسـل عنـي فهـذي قيمـــي       أنا مـــاركسـي لينينـي أممـــي

وصدق الله العظيم:

**(وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)** (المائدة:٥٨)

ولا يزال الشباب المسلم المجاهد الذي يرزح تحت الأغلال في سجون إسرائيل -عندما يقوم للصلاة- يعاني من الضجة التي يفتعلها الذين يعملون لحساب جورج حبش ونايف حواتمة، وكم حصلت خلافات وصدامات بسبب تعرض أحد الشباب المسلم لماو أو لجيفارا أو للينين أو لماركس.

وبعد انتهاء العمل الثوري في الأردن: رأينا بعض قادة اليساريين مثل جورج حبش يظهر مرة أخرى في (اليمن الجنوبية الديمقراطية) -أرض عاد- ينظم جامعات ومعاهد لماو وماركس ولينين.

وعجبت كيف يتعاون الإنجليز مع دعاة القومية العربية ومع الشيوعيين، لولا أنها جبهة واحدة سخّرت لمحاربة الإسلام وأهله.

(الصليب الإنجليزي يمكن للشيوعيين في اليمن ليرفع منجلهم وشاكوشهم وتنظم طلائع القومية العربية ممثلة بشخص جورج

---

[illegible] (١٤٤) نقلاً عن [illegible] (٣/ ١٠).

معه ليس عربيا-) وذلك لترويع الشعب اليمني المسلم بفطرته، ولإرسال العبوات الناسفة إلى اليمن الشمالية لهدم المنشآت وقتل فال والبنات.

وأدركت أبعاد المؤامرة العالمية ضد الإسلام وأهله. أما القيم والأخلاق فليس لها أي اعتبار عند الثوريين الإشتراكيين. فكم من بقات!! قد غرر بهن باسم فلسطين وكنت تدخل قواعدهم -خاصة- في مكاتب المدن كعمان، فتجد ذوات البنطال الضيق اللواتي , على أنغام الموسيقى ويستيقظن على أوتار العود بين مجموعات الخنافس والهيبيين!!

وفي مظاهرة في الجامعة الأردنية سنة (١٩٧٩م) كانت أصوات هؤلاء ترتفع فتقول مطالبنا شرعية (خبز وأمن وحرية والشاب ب الصبية).

وقد رأيت أحد الشباب اقترب منهم وقد بدأت بعض النعرات الإقليمية تظهر، فقال هذا الشاب الطيب لهم: أيها الإخوة بكم باسم الاسلام، فقام له أحد المغرر بهم من الرفقاء الاشتراكيين الثوريين (مطالبنا على المكشوف رجعية ما بدنا نشوف) أي: يد أن نرى الإسلام.

## الفصل الثامن

# سقوط الماركسية نظرياً وتطبيقياً

لقد آن الأوان للحكم على النظرية الماركسية:

**أولاً**: وهي لا زالت بعد نظرية في بطون الكتب سيما وقد مضى عليها قرابة قرن ونيف.

**ثانياً**: بعد أن نقلها لينين من كلمات وجمل إلى أثقال على ظهور البشر.

**ولا بد من النظر إليها من الناحيتين:**

١- النظرية الماركسية.

٢- الثورة البلشفية في عالم الواقع.

## ث الأول: نقد النظرية الماركسية.

لقد سخر الله للماركسية منذ أن ألقيت كتبها في الشوارع من بيّن زيفها. فلقد وقف أمام الماركسية في القرن التاسع عشر ف الدنيماركي المعاصر لماركس (كير كجارد) سنة (١٨١٣-١٨٥٥م) صاحب فلسفة (الصلة بين العلم والإيمان). والفيلسوف ي (برجسون سنة (١٨٥٩م) زعيم المذهب الروحي في الفلسفة المعاصرة والفيلسوف الألماني (هيدجر) الذي ولد سنة (١٨٨٩م) ب فلسفة (الوجود الزماني).

كان في قمة المظهرين لزيف الماركسية: الفيلسوف الألماني (شيلر)[1] سنة (١٨٧٤-١٩٢٨م) وفلسفته تقوم على الصلة بين لديني والميتافيزيقي والعملي وبين الحياة الإجتماعية والعلمية والسياسية والإقتصادية، كما تبين فلسفته أن القيم الأخلاقية ابتة.

**كان مما وجه إلى ماركس من نقد ما يلي:**

- إن الناظر في جدل ماركس يرى أنه أقامه على أساس (نظرية النقيض عند هيجل)، والنقيض والأنا والعقل والمطلق التي ا هيجل: كلها عبارة عن قضايا تجريدية مثالية منطقية لا أساس لها في عالم الواقع.

- كتب في المادية التاريخية قبل ماركس: هولباخ واسبنيوزا وكتب في صراع الطبقات: سان سيمون، كتب في الأزمات ية: سيموندي، وفي دكتاتورية البروليتاريا: بابويف، وفايتلنج، وفي قيمة الفائض والإستغلال: فوريه[2].

---

سلامي العتيد لمحمد البهي ص(٣٥١).

فسير الإسلامي للتاريخ د. عماد الدين خليل ص(٥٦) وتفسير التاريخ لصديقي ص(٨٧).

يقول روجيه جارودي -الفيلسوف الماركسي الفرنسي المعاصر الذي كتب كثيراً في نقد الماركسية رغم أنه كان زعيماً شيوعياً يومئذ ثم أسلم بعد أن نقد الشيوعية-: (إن الجزائري ذا الثقافة الإسلامية يستطيع أن يصل إلى الإشتراكية العلمية بدءاً من منطلقات أخرى غير سبل هيجل أوريكاردو أو سان سيمون، فلقد كانت له هو الآخر اشتراكيته الطوباوية ممثلة في حركة القرامطة وكان له ميراثه العقلاني والجدلي ممثلاً في ابن رشد وكان لديه مبشر بالمادية التاريخية في شخص ابن خلدون، وهو على هذا التراث يستطيع أن يقيم اشتراكيته العلمية)[1] لا يعني أن الإشتراكية العلمية ليست مقصورة على ماركس وكان مسوقاً بها ويردد جارودي في كتابه (نحو حوار بين المدنيات) تساؤله للشيوعيين: لماذا تريدون أن تفرضوا على المسلم إلحاد ماركس الذي ألف اشتراكيته من (الإشتراكية الفرنسية وفلسفة هيجل والإقتصاد السياسي الإنجليزي) وهذه العبارة الأخيرة هي نفس عبارة لينين.

٣- يرى ماركس أن العقل الإنساني ليس له قيمة أمام أهمية المادة وأسلوب الإنتاج ونوع الآلة. ولكنا نقول: إن العقل هو الذي فجر الطاقة واكتشف الكهرباء وطور الإنتاج واخترع الآلة البخارية.

يقول ماركس[٢]: (إن عملية التفكير عند هيجل هي خالقة العالم الخارجي، وأما أنا فأقول: إن الفكرة ما هي إلا العالم المادي بعد أن يعكسه ذهن الإنسان (ليس شعور الناس هو الذي يحدد وجودهم ولكن وجودهم هو الذي يعيّن مشاعرهم)، وهذا تجاهل كبير لحقيقة الإنسان.

٤- يرى ماركس أن أي تغير في العالم إنما هو نتيجة حتمية لتغيير وسيلة الإنتاج. ولكنا نقول: أي تغير في آلة الإنتاج حصل عندما بعث رسول الله ﷺ وهذا التغيير الكبير الذي أحدثه في تاريخ العالم؟ وهل الإقتصاد هو الذي أظهر أمثال: شكسبير ودانتي ولوثر وكلفن ومونتسكيو؟ وكيف نفسر أحداث الجهاد الأفغاني تحت قيادة أبناء الحركة الإسلامية والعلماء، إذ أن منطق التحليل الماركسي يقتضي أن تكون يسارية شيوعية فكيف رفعت راية الإسلام؟ الذي هو رجعية عند ماركس؟!!

٥- يرى ماركس أن فكر أي عصر وثقافته وحضارته إنما هو نتاج التطور الإقتصادي في ذلك العصر، وهذا يعني: أن أفكار ماركس التي ظهرت في القرن التاسع عشر كانت نتيجة الإقتصاد في تلك الفترة، أما وقد وقع التطور الكبير في عالم الإقتصاد بعد ماركس فان أفكار ماركس تعتبر رجعية وقديمة وبالية في أواخر القرن العشرين.

٦- إن الماركسية تعطي علاجاً واحداً لكل مشاكل البشرية، وهذا خداع كبير، كالطبيب الجاهل الذي يعطي الأسبرين لكل المرضى الذين يدخلون عنده على اختلاف أدوائهم.

٧- اعتمد ماركس وإنجلز على شواهد قديمة جداً، أوردها (مورجان) في دراساته عن قبائل (الاركوي)، وكتاب جورج فون عن القبائل الألمانية الزراعية، مما لا يمكن -حتى مجرد إثباتها تاريخياً- لأنها كانت تعيش قبل الميلاد. فمن الأمثلة التي يعتمد عليها ماركس (إن القبائل الرحل التي تعيش على الصيد تحتقر المرأة، بينما زاد احترام المرأة في المجتمع الزراعي: لأنها أصبحت تشارك في الزراعة بينما كانت تعيش بلا فائدة اقتصادية في أثناء عهد الصيد).

ولكن هذا مردود لأن المرأة كانت موضع احترام كبير في الهند مثلاً[٣]، بينما كانت المرأة عند الرومان والألمان -الزراعيين- في مركزها القانوني في مقام العبد.

٨- يرى ماركس أن الدين خادم للرأسمالية والإمبريالية فكيف قام الدين في أفغانستان ضد الملك ظاهر شاه ثم ضد داود العلماني ثم ضد تراقي وحفيظ الله أمين وبابرك وروسيا ثم هزم روسيا.

٩- يقول ماركس: إن تغير آلة الإنتاج يؤدي إلى تغير النظام، ولكن واقع أمريكا وأوربا يكذب هذا الإدعاء. فخلال قرنين من الزمان وصلت أمريكا في التكنيك إلى ما يشبه الخيال مع ثبات نظامها.

١٠- يقول ماركس: إن الأخلاق في أي عصر هي انعكاس لآلة الانتاج. وآلات الإنتاج تسجل تقدماً مستمراً، والأخلاق بناء عليه

---

١- ماركسية القرن العشرين -روجيه جارودي ترجمة نزيه الحكيم- ص(١٥) ونحن ننقل هذا النص مع عدم تسليمنا للمؤلف بما ورد فيه، لأن المسلم لا يمكن أن يسمو إلى الإشتراكية الإلحادية التي يمثلها القرامطة الكفار، ولا من طريق التخبطات الفلسفية المتهافتة التي كتبها ابن رشد، ولا نتفق مع المؤلف أن ابن خلدون بشر بالمادية التاريخية.

تسجل تقدماً مستمراً. ولكن العالم الغربي انحط في درك البهيمية وارتكس في حمأة الوحل وانتكس في عالم الأخلاق مما يك
القول.

وإن شئت فاقرأ (اللامنتمي) (وسقوط الحضارة) للكاتب الإنجليزي كولن ولسون. واقرأ (دراسة للتاريخ: أرنولد توينبي) ،
الحضارة الغربية: شبنغلر) (والإنسان ذلك المجهول: الكسيس كاريل)[1].

وكلها تقول لك: إن السقوط الأخلاقي الرهيب أدى إلى سقوط الحضارة الغربية.

١١- لقد توقع ماركس -حسب نظريته- أن يقوم الإنقلاب الشيوعي في أكثر البلدان تقدما من ناحية الصناعة كبر
وألمانيا. وإذا بالإنقلاب يحصل في أكثر البلدان الأوروبية تأخراً -بل القريب إلى الإقطاع- وهو روسيا، وأما في الصين فقد
الثورة الاشتراكية دون أن تمر بالمرحلة الصناعية.

١٢- إن توقف تطبيق نظرية النقيض عندما تقوم الثورة الشيوعية عند ماركس تحكمٌ وهوى وليس علماً، ولذا فإنا أقول
النظرية الماركسية عبارة عن تفسير توراتي للحياة وتفكير تلمودي للجنس البشري. إن اليهود الذين عبدوا العجل الذهبي
يصبّون العجل في قوالب علمية ونظريات فلسفية. وإن الحقد اليهودي التلمودي على البشر صب جام غضبه وسمّ حقده و غيظه
الإنسانية من خلال كلمات براقة لإنقاذ العمال وتحرير الكادحين. والحق أن ماركس نفسه كان يعلم أن نظريته لا تستطيع الحيا
مواكبة الواقع، وكما نقل أن ماركس صاح في صهره ذات مرة: (على كل حال، ما أنا متأكد منه هو: (أنني -أنا نفسي-
ماركسيا)[2].

١٣- إن المتتبع لكتابات ماركس وإنجلز لا يجد تفصيلاً للمجتمع الذي سيعقب الثورة وسقوط الرأسمالية، فهما ينتقلان
فجأة من انتصار الثورة إلى مرحلة اضمحلال الدولة، ولذلك كان ريمون أرون على حق حين قال: (إن الإشتراكية العلمية هي أولاً ،
كل شيء نظرية نقدية للرأسمالية... مذهب تفتش فيه عبثاً عن وصف تفصيلي لهذا النظام الذي يقتضي أن يعقب الن
الرأسمالي)[3].

١٤- درج الشيوعيون على تسمية الشيوعية (بالماركسية اللينينية) وكأنهما قول واحد وبنية واحدة، ولكن المتفحص في :
لينين بعد سنة (١٩٠٢م) يشعر بالبون الشاسع والإنفصام الواسع بينه وبين كلام ماركس. إذ أن لينين بعد سنة (١٩٠٢م) وبعد ك
(ما العمل) تظهر في كتابته الآراء الدموية التي جسدها فيما بعد ستالين واقعاً حياً في شلالات الدم التي جرت أنهاراً في (الصر
لتبقى في ظل دكتاتورية البروليتاريا)، ولذا فآراء لينين غير آراء ماركس[4]. فالديمقراطية التي دعا إليها ماركس أصبحت دكتاتو
دموية في آراء لينين.

يقول الكسندر حربي في كتابه تطور النظرية الإقتصادية[5] ص(٢٠٧): (كان من الممكن ألا يجد كالفن شخصاً مثل مارك
من الممكن ألا يجد ماركس رجلاً مثل لينين. إن الأصوب عند تفسير التاريخ أن يتواضع المرء وربما أن يعتقد بعدم كفاية عقله لإدر
لغيبيات، ذلك أن يدرك أن تاريخ الإنسان إنما تكونه عوامل كثيرة؛ ليس الإقتصاد إلا عاملاً واحداً منها، وهو ربما لم يكن أكثر
مية)[6].

إن أشد الناس احتراماً للنظرية الماركسية؛ يرى أن الإقتصاد ليس هو العامل الوحيد في بناء الأمم وحضارتها. فه
ي-دي. أيج. كول) يقول[7]: (إن الأساس الإقتصادي للمجتمع عامل واحد فقط من عوامل تصوير الشكل العام للحضارة، حتى و
ن أهم عامل).

ويضرب برتراندرسل[8] في كتابه (الآمال الجديدة للعالم المتغير) عدة أمثلة حاسمة تبين تهافت النظرية الماركسية في تفسيره

---

ظر كتاب المستقبل لهذا الدين سيد قطب-. الإسلام ومشكلات الحضارة -سيد قطب- وكذلك تهافت العلمانية للدكتور عماد الدين خليل وهو كتاب قيم في هذا الموضوع.
انهيار الماركسي في العالم الإسلامي ص(٢٨)، وكتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي د. محمد البهي.
ركسية القرن العشرين -جارودي- ص(٢٣)، والكلام للمعرب ينقله عن كتاب (من ماركس إلى ماوتسي تونغ، مائة عام من الدولة الماركسية).
ركسية القرن العشرين -جارودي والكلام لنزيه الحكيم-.
ر تفسير التاريخ لصديقي ص(٩٩).
سير التاريخ لصديقي ص(١٠٤).
سير التاريخ لصديقي ص(١٢٣).
صدر السابق ص(١٢٥).

أحداث التاريخ اقتصادياً فيقول (لقد كان مجازفة أن تسمح الحكومة الألمانية بأن يعود لينين إلى روسيا سنة (١٩١٧م)، ولو أن ذلك الوزير المختص قال: لا، ولم يقل نعم التي قالها فعلاً لكان صعباً أن نتصور أن الثورة الروسية كانت ستتخذ السبيل التي اتخذتها، ثم لو أن (جنوا) لم تسلم جزيرة كورسيكا إلى فرنسا سنة (١٧٦٨م) لكان نابليون الذي ولد فيها في السنة التالية إيطالياً، ولما كانت له في فرنسا حياة سياسية، والآن لا يكاد يستطيع امرؤ أن يدعي ادعاءً جدياً بأن تاريخ فرنسا كان سيكون نفسه بنفسه بدون نابليون).

إن هنالك لحظات حاسمة في التاريخ يتخذ فيها رجال مواقف تنقذ أمة بكاملها أو تدمِّرها. فلحظة قرار أبي بكر لتسيير الجيوش في حرب الردة: أنقذت الأمة المسلمة من خطر محدق وفناء قد يكون محققاً.

وما أجمل عبارة الكسندر جري في النظرية الماركسية[١]: (إن ماركس واضع أساطير، فيها الحقيقة أمر ثانوي مادامت الأسطورة تصور مايرغب في أن يعتقده وما دام في هذه العقيدة قوة تلهم العمل، هذه الفلسفات لا داعي لها أن تكون صحيحة في نفسها، ولكنها يجب أن تتفق مع عواطف الجماهير الكافحة).

## المبحث الثاني: سقوط التطبيق الماركسي وفشل الثورة العمالية.

لقد استفادت الثورة البلشفية من عوامل كثيرة حتى قامت على أقدامها. فقد استفادت من خروج روسيا منتصرة من الحرب العالمية الأولى بعد الذي عاناه الناس من ظلم القياصرة ورجال الدين.

واستفادت من الفراغ الهائل الذي أعقب الحرب الأولى بعد أن انطلق الشعبان الأمريكي والإنجليزي إلى عصر الجاز ابتداء من سنة (١٩٢٠م) (ونادوا بحلول الخمر محل الدم) وسقطت القيم التي كانت تسود المجتمع قبل الحرب، وظن الناس أن الفلسفة الماركسية هي المرشح لملء الفراغ النفسي لدى جماهير الاوروبيين.

واستفادت الماركسية في الثلاثينات من استفحال أمر الفاشية والنازية ولم يبق أمام الكاتب أو الشاب المثقف إلا الهرب إلى البلشفية؛ لأنها القوة الوحيدة التي يمكن أن تقف أمام (البرابرة: حملة الصليب المعكوف)[٢].

واستفادت الماركسية من الجشع الغربي لامتصاص دماء البشر، ومن أجل إبقاء الأسعار مرتفعة كانت آلاف الأطنان من الثمار والحبوب وعشرات الألوف من الخنازير تلقى في البحر، بينما الجوع ينشب أظفاره في خناق الناس[٣] كما يقول آرثر كستلر.

واستفادت الماركسية من انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية فابتلعت دول أوربا الشرقية.

كل هذه العوامل -وأخرى غيرها- أدت إلى إرتماء الشباب الأوربي في أحضان الشيوعية، ثم اكتشفوا زيفها فخرجوا يائسين ساخطين، يقول (سيلوني) مازحا لرفيقه (توكلياني) معبراً عن نفسية هؤلاء الشيوعيين الساخطين: (إن المعركة الفاصلة ستكون بين الشيوعيين وبين من خرجوا على الشيوعيين)[٤]. ولقد كان بيرتراند راسل -الفيلسوف البريطاني- أحد القلائل الذين أدركوا تهافت التطبيق الماركسي منذ السنة الثالثة للثورة، فقد كتب كتابه (البلشفية بين النظرية والتطبيق) الذي ألفه سنة (١٩٢٠م)، ثم أعاد طباعته دون أن يحتاج إلى تغيير كلمة واحدة.

ومن الأمثلة على اليائسين من الشيوعية الفيلسوف الفرنسي (أندريه جيد) الذي كان متحمساً للشيوعية ويرى أن خلاص البشرية من آلامها سيكون في ذلك الفردوس.

وقد كان يقول عن الإتحاد السوفيتي: (إنه لم يكن مجرد الوطن المختار أو المثال، أو مهبط الوحي، بل كان أكثر من ذلك وأسمى.

لقد خيل إليَّ في البداية أن أشق الأمور قد إنجزت، فكنت على استعداد لأن أوقع عن البشرية المعذبة دون قيد ولا شرط)[٥].

---

١- الصنم الذي هوى ص(٢٧)

[illegible]

لكن ولأول زيارة لجيد سنة (١٩٣٦م) لروسيا تحطمت كل آماله، وعاد يائساً من الشيوعية وقال[١]: (هل هنالك دولة أخر العالم قد كان فيها الروح والعقل أقل حرية وأكثر ذلة واستعباداً وجبناً منها في السوفيات).

## لقد سقطت الشيوعية من جميع النواحي:

### ١- فمن ناحية المساواة:

التي خدع الشيوعيون بها العمال، وكم جذب بريقها من فراش البشر ليصطلي في نار الشيوعية، وبعد نجاح الثورة البـ فاتح الشيوعيون الناس بأن المساواة مستحيلة، وأن المساواة هي تحطيم الطبقات (أي الوصول إلى الحكم).

يقول لينين في (١٩١٩/٢/٦م): (لقد أصاب انجلز ألف مرة حين صرح بأن كل طلب للمساواة يتجاوز المناداة لمحو الط هو تحيز سخيف عن دائرة المعقول)[٢].

ويقول ستالين في تقريره إلى مؤتمر الحزب السابع عشر عام (١٩٣٤م): (نحن نستطيع أن نجد في فوارق الأجور بين ا والأدنى في الإتحاد السوفيتي، وهذا ما ذهب إليه إنجلز ولينين وستالين، فهذه الفوارق كثيراً ما تزيد مثيلتها في المجتمعات الغر تبلغ حدوده، فهي مرة عشرة أمثال وهي مرات عشرون مثلاً أو يزيد)[٣].

ثم أين الفوارق في محو الطبقات، فهنالك طبقة الحزب الشيوعي التي تعيش، وبقية الشعب لا حياة له، يأكل السغوب، ويـ الألم، وإن شئت فاقرأ كتاب (الطبقة الحاكمة للكاتب اليوغسلافي ميلوفان دوجلاس) الرجل الثاني بعد تيتو لترى الحقائق المر مصاصي الدماء الشيوعيين؛ الذين يعيشون فوق السحاب وعامة القطعان تحت التراب، وقد نال صاحبه عقوبة السجن تسع سنوا

### ٢- الحرية والديمقراطية:

يرى ماركس أن ديكتاتورية البروليتاريا ضرورية في البداية لتصفية الرجعية والبرجوازية، ثم تختفي الحاجة إلى الـ والدولة، وتسقط الدولة طبيعياً، وتدار الدولة بلا جيش ولا بوليس.

ولهذا درجت الدول الإشتراكية على تسمية نفسها الديمقراطية الشعبية، ولكننا نرى أن الديكتاتورية والظلم يزداد يوماً بعد ي وكل الناس في المجتمعات الإشتراكية يعيشون داخل سجن حديدي.

فالفرد في الإتحاد السوفياتي محروم من جواز السفر، ومن التنقل، ولو ملك الناس حرية السفر لما بقي في روسيا إلا ثـ ملايين شيوعي.

إن الشعب كله يعيش بين مطرقة اللجان المركزية للحزب و بين سندان قواعده، لقد قسمت برلين سنة (١٩٤٥م) إلى قسم الغربي تحت حكم الغرب والشرقي تحت سيطرة الشيوعيين وفصل بينهما بجدار، ولو اطلعت على هذا الجدار وما يسلط عليه أضواء؛ لعجبت وهلعت وهناك شبكة من الأسلاك الكهربائية التي تصعق كل من يمسها أو يقترب منها، وكم من الناس صعقوا ع هذا الجدار وهم يحاولون الهرب من جحيم الشيوعية الى برلين الغربية.

لقد تحدثت الصحف الغربية في شهر أيلول (١٩٧٩م) عن قصة عجيبة، قصة هرب أسرتين من برلين الشرقية: بقيت الأسرت تجمع قطعاً من محلات كثيرة مختلفة حتى ركبتا منطادين ثم خاطرتا بأنفسهما وركبتا المنطادين وطارتا إلى برلين الغربية -قصـ تشبه الخيال لولا أنها حقيقة- . وأما اللجوء السياسي للأدمغة الهاربة ومن أناس من جميع القطاعات، وعلى جميع المستويات: فنا وراقصات ورياضيين وصحفيين وكتّاب، والكل ناقم ساخط يتنفس الصعداء بمجرد فتح أقفال الستار الحديدي الأحمر.

لقد أبادت الثورة البلشفية عشرات الملايين من أعدائها ثم عادت تصفي جنودها، سحقت ثلاثة أرباع قيادات الحزب في روسيا كان مجلس الشعب سنة (١٩٣٦م) (٢١ شخصاً لم يبق منهم بعد سنتين سوى خمسة والبقية أبيدوا).

---

١- التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص(١٩٧-١٩٨).

٢- التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص(١٩٧-١٩٨).

٣- التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص(١٩٧-١٩٨).

كان أعضاء اللجنة المركزية سنة (١٩٣٨م) (٧١ شخصاً) لم يبق منهم سنة (١٩٢٨) سوى (٢١) شخصاً وأما الباقون: ثلاثة ماتوا طبيعيا، واحد ذبح، (٣٦) اختفوا في منافي سيبريا (٩) قتلوا بالرصاص، مارشال انتحر[1].

أي إنسان يستطيع أن يتفوه بكلمة في داخل الإتحاد السوفياتي ضد الحزب؟ أي إنسان يستطيع الدفاع عن نفسه أو توكيل محام عنه؟! وحسبك في هذا المجال التجربة التشيكية، عندما حاولت تشيكوسلوفاكيا أن تدع الفكر الشيوعي، احتلت احتلالاً عسكريا بالدبابات والطائرات (خلال يوم واحد).

في (١٩٦٨م) نشرت أربع صحف تشيكوسلوفاكية في عهد السكرتير الشيوعي (دوبشك)[2] بياناً من ألفي كلمة للنقاد والديمقراطيين حددوا فيه الحزب الشيوعي على النحو التالي:

هو منظمة للسلطة لها قوة جذب كبيرة تشد إليها:

١- الأنانيين ذوي الرغبة في الحكم.

٢- الجبناء الذين لا يعرف لجبنهم حد.

٣- أصحاب الضمائر السيئة.

وقد أجروا استفتاء لإلغاء احتكار الحزب الشيوعي، فكانت النتيجة (تسعة أعشار) الشعب يحبذون الإلغاء.

ومن جراء الظلم نجد أن كثيراً من كتابهم المرموقين ينتحرون في سن الشباب أمثال: (مايكو فسكي، دايسين، وياجر سسكي) اذ انتحر ثلاثتهم قبل سن الخامسة والثلاثين[3].

**٣- الإنتاج:**

- أصبح الانتاج يقل عاماً بعد عام حتى، تضطر روسيا لبيع رصيد الذهب من أجل شراء القمح من الدول الرأسمالية. لقد أصبح المارك في برلين الغربية يعدل أربعة ماركات شرقية.

- لم يجد العامل سعادته ولا رفاهيته التي منّاه بها ماركس ولينين. بل العامل في الإتحاد السوفياتي (داخل دولة العمال) يعيش حياة بائسة أليمة محزنة فوقها حياة الكلاب في الغرب.

- قلّ إنتاج العامل في الدول الشيوعية. فقد أعلن سكرتير الحزب الشيوعي الروماني في (١٩٦٦/١٢/٢٣م) أن انتاج العامل الروماني يساوي (ثلث- نصف إنتاج العامل الإيطالي والفرنسي والألماني).

- انحط مستوى الإنتاج (كمية ونوعية) فقد خسرت (١٣٧٠) سلعة في رومانيا مايقرب من (٢٤٠) مليون جنيه، والعجز في الميزانية الرومانية سنة (١٩٦٧م) يساوي (٢١٥) مليون جنيه)[4]. لقد هرب العامل إلى الخمر لينسى شقاءه فقد نشرت التايمز[*] عن صحيفة الحزب الشيوعي أن معدل تناول الفرد في موسكو للكحول يوميا (١٣ لتر فودكا + ٥ر١٠ لتر من الكحول المصنعة في البيوت).

لقد تحطمت كل آمال (أندريه جيد) على صخرة الواقع المرير في داخل الإتحاد السوفياتي. قال جيد: لقد كانت الوجبة الواحدة من الطعام الذي يقدم الي تكلف (٢٠٠-٣٠٠) روبل بينما لا تزيد أجرة العامل عن (٥) روبلات في اليوم.

ويقول جيد: (لقد ذهبت إلى الإتحاد السوفياتي حتى لا أجد فيها فقراء، ولكنني وجدت أناساً يعيشون في أعشاش حقيرة كل حجرة من حجرها الصغيرة بمساحة (٦ قدم٢) مخصصة لأربعة أفراد). (لقد آن للعمال في خارج الإتحاد السوفياتي أن يعلموا أنهم خدعوا من قبل الأحزاب الشيوعية كما خدع عمال الإتحاد السوفياتي من قبل)[6].

---

١- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام لعبد الله التل نقلاً عن الثورة الشيوعية ص(٤٦).

٢- تهافت الفكر المادي الدكتور محمد البهي نقلاً عن صحيفة الثانية (١٥) تموز (يوليو) سنة (١٩٦٨م).

٣- كتاب الزين الشعوب للعقاد ص(١٣٥).

٤- تهافت الفكر المادي للدكتور محمد البهي ص(٥٠).

أي عامل في الإتحاد السوفياتي الآن يمكن أن يطيق سماع اسم الإشتراكية فقط؟[1].

أي عامل في بولندا الآن يطيق مجرد سماع اسم الإتحاد السوفياتي؟!!

لقد هجر العمال بلادهم، وهرب المفكرون، وهاجرت الأدمغة، ويئس الناس، إن هواية العمال والطلاب أحياناً هي جمع الدخان الأمريكية الفارغة في بيوتهم، أو البحث عن الأعلام الأمريكية لوضعها في جيوبهم.

لقد أصبح في أعماقهم عقدة الصناعات الغربية، وأنت تستطيع أن تقدم هدية فاخرة لعامل سوفياتي، ممثلة في واحدة أمريكية، أو قلم حبر جاف غربي.

إن عقدة (الجينز: البنطال الأمريكي): تستحوذ على اهتمام الكثيرين في داخل الستار الحديدي الأحمر حتى أصبحت أية شخصية من خلال بنطال.

حدثني أحد الطلبة الصادقين عن زميل له أن أحد الأساتذة جاء يرجوه في (حذاء غربي) يلبسه الطالب طيلة العام، وث من دينارين أردنيين.

وحدثني آخر أن أستاذة له (بروفسور) في الجامعة وعدته أن تعطيه ابنتها مقابل بنطالي جينز أمريكي يحضرها لها من الأردن.

لقد أصبح العامل اليوم في العالم الإشتراكي:

١- في عمله روتينيا.

٢- في حياته متواكلاً.

٣- يعيش بلا دافع ويتحرك بلا هدف.

لقد خيم اليأس على كل نفس تعيش في ظلال الشيوعية، وأصبح القلق طابعاً عاماً لها.

لم يزد العامل شقاء وبؤسا في العالم الغربي الصناعي كما وعد ماركس وتنبأ، بل على خلاف ماتوقع لقد ارتفعت مست العمال، ووجدت التأمينات الإجتماعية والصحية، والحماية أثناء العطل من الفقر والعوز.

وزالت الجهالة عن العمال يوماً بعد يوم، وأصبح العامل المثقف والإداري الفني.

بينما البؤس يزداد في حياة العامل في العالم الإشتراكي، والشقاء يخيم عليه.

**٤- من الناحية الإنسانية والشعورية والفكرية والفنية:**

فالماركسية تتعامل مع الإنسان كآلة من الآلات، أو حيوان يعيش بلا شعور، ويحيا بلا فكر.فقد كان فيورباخ يرى أن عظ الرجال هم الذين يصنعون التاريخ ويقيمون الحضارات ويبنون الإقتصاد.

أما ماركس فيرى أن الإقتصاد هو الذي يصنع عظماء الرجال.

إن ماركس يرى أن المجتمعات البشرية عبارة عن حظائر تنقلها من حالة إلى حالة مقادير الطعام والشراب والفساد.

وبعد أن قامت الثورة البلشفية أصبح الأدب والفن والشعور والقصص والمسرحيات كلها تدور مع دولاب الآلة، وأصبح الذ مناعة ونفاقاً لأن أية كلمة تخرج عن خط الحزب ستدفن مع صاحبها تحت التراب أو تحت سياط العذاب.

يقول ريمون أرون -أستاذ العلوم الإجتماعية في المدنية المعاصرة في كوليج دوفرانس (وخرافة الثورة إلتي يذهب الماركسي ، أنها طوق النجاة للإنسانية من آلامها ليست الا خدعة كبيرة لا تعني سوى إضرام حرائق الفتيل لدك الأسس الحضا جتمعات وسفك الدماء البريئة، ليعقبها قيام نظام دكتاتوري رهيب يفرض سيطرته بقوة الحديد والنار على جموع الشعب، وما يلا من تقييد الحريات وخنق الأفكار وإخماد التطلعات المشروعة نحو حياة أفضل ومستقبل أمثل)[2].

---

قرا إن شئت كتاب (عائد من الجحيم) (لأشلوان دبمازا) -دار النفائس).

كتاب الدين المثقفين لريمون أرون الفرنسي ص(١٦).

ويقول أندريه جيد[1]:(إن أية ثقافة أو فن لا يتفق مع آراء الحزب يعتبر شكلياً، ويدفن ويسخر منه ولا يستطيع أن يرى النور).

إن نغمة الشكلية الآن في الإتحاد السوفياتي هي المعول الذي تدفن به كل المواهب والطاقات والأفكار التي تخالف آراء قيادة الحزب الشيوعي.

ولذا فليس أمام المفكر والأديب المعارض -وما أكثرهم- من طريق سوى أن يسلك أحد ثلاثة سبل:

١- الهرب الى الدول الغربية وهذه ظاهرة كبيرة في الدول الإشتراكية، فقد هجرت الأدمغة هذه الأوطان التي عاشت فيها.

٢- أن يتخلص من الحياة بالإنتحار أو الشذوذ النفسي والتمرد.

٣- أن يجد مكانة بين المصفقين الذين يحرقون البخور ويهللون ويكبرون باسم الحزب، ويدفن جميع أفكاره لتصبح الحياة وقيمها عنده لقمة غذاء أو خرقة كساء.

**٥- من ناحية وحدة الأمل والهدف والفكر:**

فقد باتت الإشتراكية تعاني تمزقاً رهيباً في أفكارها وواقعها. وأصبحت المؤتمرات العالمية للحزب الشيوعي تنادي بنبذ أفكار ماركس ولينين التي أدت إلى جمود البلدان التي تتمسك بها. وبعد بيانات خرتشوف سنة (١٩٥٦م) التي تضمنت كشف فضائح ستالين وجرائمه وحصلت ردة عنيفة من قبل كثير من معتنقي الشيوعية، لقد صرح خرتشوف عن سلفه ستالين بأنه وحش مجرم قذر وأخرج رفاته من مقابر عظماء السوفيات إلى مقابر العامة. ومن الأمثلة الكثيرة على التحول بعد سنة (١٩٥٦م) روجيه جارودي الذي بدأ يكتب في فرنسا ويعلن بملء صوته بوجوب التطور في الأفكار القديمة وكتب (ب. ليفي) كتابه عن الشيوعية تحت عنوان (البربرية في وجهها الإنساني) وكتب (ج. بينو) كتابه عن الشيوعية تحت عنوان (مات ماركس)[2].

لقد وقفت الصين الإشتراكية مع أمريكا الإمبريالية الرأسمالية ضد الإتحاد السوفياتي الإشتراكي. لقد سقطت الهالة الكبيرة التي أقامها صاحب الثورة الثقافية الصينية (ماوتسي تونغ) لنفسه. سقطت ولما يمض على موته سنتان فقط.

فتقول الصحف الصينية عن أستاذها الكبير ماو (دكتاتوري فاشي ايديولوجيا. وتطالب بمحاكمة الثورة الثقافية، وإعادة الإعتبار إلى ضحاياها، وإعدام قادة الحرس الأحمر القدماء).[3]

يقول ريمون أرون: (إن هذا اليسار المهووس كان فوضوياً معقداً، يبعث على الفزع، شأنه شأن الحوادث الفظيعة التي خلفته فانتسب اليها. لقد كانت وحدته وحدة خرافية لا أكثر) فهو لم يتحد على الإطلاق، بل ظل متغيراً شذر مذر[4].

ان فلسفة ماركس ولينين لم تعد فلسفة تملأ على الغربي نفسه وتسد فراغه، لقد أصبحت الماركسية نزعة اقتصادية عند الشيوعي. فكثير من الشيوعيين يترددون على الكنيسة وداسوا على كلام ماركس ولينين القائل (لا إله والحياة مادة). لقد خرجت بعض الإحصائيات تقول: إن (٧٠٪) من الحزب الشيوعي الإيطالي يترددون على الكنيسة.

لقد عاشت التجربة الإشتراكية الشيوعية في مهدها الأصلي حتى الآن سنة (١٩٧٠م) لا لأنها طبقت بل لأن الدولة خالفت النظرية في التطبيق، لأن النظرية لا تطبق في دنيا الناس.

لقد فشلت الشيوعية أو الماركسية أن تمحو الطبقات في المجتمع. بل أصبح المجتمع الإشتراكي طبقتين: طبقة الحزب وكوادره، وهؤلاء المترفون المنعمون، وبقية الناس: قطعان يمتص عرقها، ودمها ثم تساق إلى حبل المشنقة أو المنفى[5].

لقد حل الحزب بدل طبقة الرأسماليين وأصبح علقة تمتص دماء الشعوب.

لقد أضحى الحزب الشيوعي أفيونا للجهلاء فيخدرهم، وسيفا مسلطا على رقاب العقلاء فيفنيهم.

لقد يئست الماركسية أن تمحو من الفطرة الإنسانية حنينها للبيت والأسرة وللزوج والولد، كما ادعت ابتداء فعادت تسمح

---

١- الصنم الذي هوى ص(٢٣٦).

٢،٣- مجلة المعرفة التونسية عدد (٣) السنة الخامسة شهر آذار سنة (١٩٧٩م).

بالأسرة تحت ضغط وإلحاح الفطرة. ترى -لو انتفض القيصر- الذي قتله الناس سنة (١٩١٧م) أثناء الثورة - من قبره ماذا ، هتاف الجماهير له؟ سيقولون: طلع البدر علينا، وسيتخذونه وثنا معبوداً!!

لقد عزف الشيوعيون على أوتار (الديمقراطية والمساواة) ليجمعوا على أنغامها المظلومين الذين حملوا الثورة على أكتافهم أصبحت منزلتهم دون القطعان، سواء في حياتهم المادية أو مشاعرهم أو تطلعاتهم.

إن الفطرة الإنسانية لا تهزم أمام الأنظمة البشرية، لأنها دخيلة عليها لا صلة لها بأعماقها. إن القوانين البشرية لا تملأ تشبع الإنسان ولا أن تروي ظمأه، لأنه لا يستطيع أن يملأ النفس إلا منهاج خالقها. إن العالم الغربي بشقيه فشل أن يقدم الس للإنسان لأنه لم يعرف الإنسان، لقد استطاع الغرب أن يبدع فيما استطاع تحليله في مختبراته أو يراه من خلال مجاهره، ولذا أنتجت ما يشبه الخيال في عالم المادة والتكنيك.

ولكنها لم تستطع أن تقدم شيئا للإنسان كإنسان. لم تستطع أن تسعد روحه، لقد عجزت أن تبعد عن الإنسان الشقاء، لسبب واحد: (إن أوروبا لم تعرف الروح) وذلك بأن الروح لا تقاس بالأمتار، ولا توزن بالأطنان، ولاتحسب بالفولتيمتر، ولا يـ ضغطها بالبارومتر الزئبقي.

ولذا: فكل علاج قدمه الأوربيون للإنسان من أجل تخليصه فهو فاشل، لأنه دواء لداء غير معروف.

إن الوصفات التي تعطى لإسعاد الإنسان، وصفات جهال بهذا الإنسان، يريدون إسعاد الروح التي لا يعرفونها. يخاط الروح بلغة لا تفهمها، ويناجونها بكلمات لا تدركها. إنهم يقدمون المال، الجنس، والجاه لتخليص الروح من عذابها، فيزداد ظمأ ا لأن هذا ليس غذاء لها. كمن يقدم للمعدة الجائعة قناطير المال، وهتافات حناجر، وأوسمة تعلق. كل هذه لا تغني غناء قطعة صغيرة تقدم للمعدة الجائعة، لأنها النظام الرباني لتغذيتها.

وكذلك الروح غذاؤها عبادة ربها، إطاعة خالقها، والإذعان لمنهاج إلهها، وصدق الله العظيم:

**(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)** (طه:١٢٣)

## الفصل التاسع

# أسباب انتشار الشيوعية في العالم الإسلامي

هنالك أسباب كثيرة مهدت لانتشار الشيوعية في العالم العربي والإسلامي أهمها:

### ١- الإستعمار الغربي للعالم الإسلامي:

لقد عانى المسلمون من ويلات الإستعمار الغربي وبخاصة بريطانيا وفرنسا، بريطانيا في الشرق العربي، وفرنسا في الـ المغرب العربي، ثم قامت أمريكا مقامهما في الإستعمار الخفي والظاهر فامتص الغرب دماء المسلمين وسلب أوطانهم، و مقدساتهم، وانتهك أعراضهم مما زرع الحقد والعداوة للغرب في قلب كل من يحس لهذا الدين بحرمة، ولم يجرب الشباب مص الحكم الأحمر، فارتمى في أحضان الشيوعية ظنا منه أنها الخلاص من أخطبوط الغرب القاتل، وخدع الشباب بنغمات تحرير الشـ الضعيفة التي تتبجح بها موسكو.

### ٢- أجهزة التعليم والتوجية التي ركز عليها الغرب في العالم الإسلامي:

إن تركيز الإعلام على الجنس المفضوح، وعلى نشر العري والإختلاط، أدى إلى الفوضى الجنسية، وغرق الشباب في المـ جنسي الآسن، والشيوعية لا تفرخ إلا في مثل هذه البيئة، وكذلك تركيز الإعلام على تحطيم وتشويه علماء الإسلام أقام حاجباً بين الجيل وبين من يقدمون له هذا الدين. فالتجأوا إلى المبادىء والأيديلوجيات الهدامة ظناً منهم أنها تملأ فراغهم النفسي.

أضف إلى هذا: الخنجر المسموم -وهو المناهج الدراسية- التي حجبت الأجيال عن معرفة النور الذي أنزله رب العزة، وأ

للغة الأجنبية حصص أكثر من حصص دين الله كما خطط دنلوب وكرومر.

**ومن الأمثلة على هذا الباب (أفغانستان):**

فقد حمل الملك ظاهرشاه بيده حجاب المرأة (غطاء رأسها) ويضعه تحت قدمه إيذاناً بتحرير المرأة، فانطلق الشباب لإرواء السعار الجنسي، وهذا جعل الشيوعية تترعرع وتطيح بالملك نفسه بعد حين.

**وفي أندونيسيا المسلمة:**

سلطت الأجهزة الغربية سوكارنو على الحركة الإسلامية، فحارب الإسلام ونمت الشيوعية فأصبح الحزب الشيوعي فيها يعد بالملايين، وقد كان أكبر حزب شيوعي في العالم بعد الصين وروسيا، وبعد ضرب الشيوعية في أندونيسيا تقدمت النصرانية لتملأ الفراغ[1].

**وفي السودان:**

ضرب الإسلام فحصل فراغ فاتجه الشباب إلى الشيوعية، وبعد ضرب الشيوعية تقدمت النصرانية.

**وفي مصر:**

ضربت الحركة الإسلامية بوسائل القمع والإبادة قرابة ربع قرن، فتحركت الشيوعية، وعندما حد من نشاط الشيوعية حصل الفراغ فتحركت القبطية الصليبية.

## ٣- الإنفتاح على اليهود وموالاتهم:

فاليهود هم دهاقين الحركة الشيوعية وفلاسفتها -كما مر معنا- ولذا فقد قاموا بجميع التنظيمات الشيوعية في العالم الإسلامي والعربي -خاصة- وقد كانت فلسطين هي المورد للأفكار والشخصيات الشيوعية اليهودية في المنطقة، وقد كان لروسيا قصب السبق في تصدير الشخصيات الحزبية العريقة.

ولا زال الشيوعيون يحاولون جر العالم العربي إلى إسرائيل. فقد كتب كاتب شيوعي مصري اسمه (محمد سيد أحمد) كتابا سماه (بعد أن تسكت المدافع) سنة (١٩٧٥م) قبل زيارة السادات إلى إسرائيل.

وقد تكلم هذا الكاتب عن السلام وقال: السلام نوعان: سلام رجعي: وهو بحدود ورجال هدنة وحراسة. وسلام تقدمي: ويكون بانشاء مصانع كبرى (للبتروكيماويات) بأموال مصرية ويهودية، وكذلك مزارع كبرى تشترك فيها الأموال العربية واليهودية، وعندما تتوقف الحرب طبيعياً، لأن كلا من الطرفين يخشى على أمواله ومصانعه ومزارعه، وقد طبع الكتاب في بيروت فصادره الرقيب في مطار القاهرة، وإذا بالسلطات العليا تأمر بالإفراج عن الكتاب بعد يوم واحد، وإذا بآراء الكاتب الشيوعي تطبق حرفيا في معاهدة (كامب ديفيد)[2].

## ٤- المظالم الإجتماعية والتفاوت الكبير في مستوى العيش:

فالترف الذي تغرق فيه حفنة من المجتمع، أدى إلى حقد جماهير الناس التي تقتل بين أنياب الجوع ويفترسها الفقر. وصدقوا أن الشيوعية ستنشر العدالة والمساواة، وعلى الأقل ستحطم الطبقة البرجوازية المترفة. فمثلاً هنالك أمير من دولة بترولية زوّج ابنته، كان ثمن فستان الزفاف مائة ألف دينار، وأعطيت وردة الجزائرية ستين ألف دينار للغناء، وكانت نفقات الحفل في ليلتين نصف مليون دينار. كان هذا الحادث مادة دسمة لمنشور شيوعي صدر ووزع لفتح أنظار الجياع على أموالهم التي تراق عبثا وتهدر سفها.

وكذلك نجد أن الشيوعية قد وجدت مرتعاً خصباً في مخيمات اللاجئين في الأردن حيث الفقر والفاقة. وكان الحزب الشيوعي في إيران يجد من بذخ الشاه وبطر الحاشية مبررا لوجوده ونموه، فقد كانت السيدات المترفات تستقل الواحدة طائرة خاصة إلى

باريس لتصفيف شعرها فقط ثم تعود.

ولا زالت الليالي الحمراء التي يصب فيها الراح على الموائد الخضراء في باريس و لاس فيجاس مادة خصبة للبيانات الشي والإعلانات الإشتراكية الثورية ودعك من إنفاق مائة ألف ريال على زواج قطيّن في جدة في شهر أيار سنة (١٩٧٩م) من قبل المترفين الفارغين (القبس الكويتية (١٩٧٩/٧/٢٤م).

## ٥- انتشار العقيدة الفاسدة والأساطير الخرافية باسم الإسلام:

فإذا عمّت القصص الخرافية عن الأولياء في قبورهم بأنهم يشفون المرضى وتظهر كرامتهم فيمن يؤذي أبناءهم. هذه الخرا وغيرها من التردد على الدجالين الذين يفتحون بالفنجان أو الرمل يستغلها الشيوعيون ليصوّبوا سهامهم نحو الدين، وليعلنوا أن ا أفيون الشعوب، وأن الدين خرافة.

ولهذا فليس عجيبا أن نرى الحزب الشيوعي الإيطالي أقوى الأحزاب الشيوعية الأوربية على الإطلاق وهو ينافس الد المسيحي الديمقراطي، رغم دعم البابا للحزب المسيحي والأموال الظاهرة والخفية التي يريد الغرب بها أن لا يفوز الحزب الشي بالحكم. ومع ذلك فالمقاعد متقاربة وقريبا سيستولي الشيوعيون على مقاعد المجلس النيابي ومجلس الوزراء. رغم أن أمريكا تص أنها لن تسمح بهذا. وقوة الحزب الشيوعي الإيطالي راجعة إلى نفور الشباب الإيطالي من النصرانية لتعقيداتها وهرطقتها وتض الغفران والعشاء المقدس والصلب والأقانيم الثلاثة؟!

## ٦- خيانة علماء الإسلام:

إن وقوف العلماء واجمين أمام الظلم الذي يزاوله الطواغيت. بل وقوف زمرة من المستنفعين بهذا الدين يبررون أعمال الـ ويزينون للناس أعمالهم، ويخدعون مشاعر الناس ببعض النصوص، يعيد إلى الأذهان الدور الذي زاوله رجال الدين في العص الوسطى من امتصاص دماء الناس ليغرقوا بها مع الحكام. فكم تاجرت الشيوعية في عقر دارها بفضائح (راسبوتين) الكاردي الروسي الذي كان يفجر بالأميرات اللواتي يأتين للتوبة على يديه.

وعندما وقعت معاهدة (كامب ديفيد)، خرجت آراء علماء الأزهر الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً -تؤيد السلام وتقف بجا الرئيس، فجمع الشيوعيّون هذه الفتاوى ثم علقوا عليها قائلين: ألم نقل لكم (إن الدين مخدر) (الدين أفيون الشعوب).

## ٧- تقاعس المسلمين عن الجهاد:

فلقد ركن الناس إلى الراحة، ورضوا من الغنيمة بالإياب، وأخلدوا إلى الأرض، وتركوا الدنيا لقيصر يعبث بها كما يشاء، ه أتاح للكثير من المتاجرين بالقضايا الوطنية أن يتقدموا لقيادة الجماهير. وفي الثورة الفلسطينية أوضح مثال على هذا، فعندما ترا المسلمون، دفعت بعض القيادات العلمانية الى السطح، وانضوى تحت ألويتهم أبناء المسلمين الغيورين على أوطانهم، وتاجر جو رنايف برؤوسهم، وبنى على جماجمهم مجداً مؤثلاً وخط له بدمائهم تاريخاً وذكراً.

## ٨- تبني الحركات القومية للخط العلماني:

لقد تحمس كثير من الشباب وهرع للإنضواء تحت ألوية الحركات القومية في بلادنا، ظنا منهم أنها تريد تخليصهم ه الإستعمار الذي امتص دماءهم، وسرعان مارفعت هذه الأحزاب عقيرتها، وكشفت عن أهدافها، ونشرت على أتباعها منهاجها أ علمانية لا صلة لها بدين. ولكن النفس البشرية لا بد لها من عقيدة تحملها ولا بد من نظرة إلى الإنسان والكون والحياة، وهذا ، تفتقده الأحزاب القومية فعادت تملأ فراغها بفلسفة الإشتراكية المادية والعقيدة الماركسية الإلحادية، وبإمكانك أن تقول بلا تحرج: إ جميع الأحزاب القومية في العالم الإسلامي والعربي هي شيوعية الحقيقة والمخبر ولكنها قومية الإسم والمظهر.

يقول إبراهيم خلاص البعثي في (١٩٦٧/٤/٢٧م): (والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي: هي خل الإنسان الإشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله، والأديان، والإقطاع، ورأس المال، والإستعمار، والمتخمين، وكل القيم التي ساد المجتمع السابق، ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ).

ويقول علي ناصر الدين في كتابه (قضية العرب) هامش ص(٣٨): (لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة، فإن القومية العربية نبو

هذا العصر).

وقال شاعرهم:

*آمنت بالبعث رباً لا شريك لــــه     وبالعروبة ديناً ما له ثانـــي*

## ٩- تهاون الدول في بلاد المسلمين بالبعثات إلى العالم الشرقي:

إن كثيراً من الدول -في العالم الذي أهله مسلمون- تطمع في البعثات المعروضة عليها من الإتحاد السوفياتي والدول الشرقية الشيوعية وخاصة -بعثات الطب والهندسة- فتقذف بخيرة أبنائها، وبالنماذج اللامعة المتفوقة من حملة الشهادة الثانوية إلى أتون النار الحمراء، فيرجع هؤلاء بشهادة طب، بعد أن فقد شهادة -أن لا اله الا الله- وحمل الأفكار الإلحادية الماركسية. وعاد إلى بلاده منظراً حزبياً ومنظماً شيوعياً. فالدول تهدم بيدها حضارتها، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي أبنائهم وهم لا يعلمون. وإن تعجب فعجب عمل أجهزة الدول بمطاردة هؤلاء بعدها:

*ألقاه في اليم مكتوفاً وقال لـه     إيــاك إيــاك أن تبتل بالمــاء*

ولقد عملت روسيا على أخذ أكثر من مائتي ألف طفل أفغاني أثناء وجودها في أفغانستان، وربتهم على الشيوعية وأرجعتهم وهم الآن (رمضان ١٤٠٩ هـ) يخوضون أشرس المعارك ضد المجاهدين منافحين عن عقيدة ماركس ولينين وعن شعار المنجل والمطرقة.

وبعــــــد:

يقول عزوجل: **(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)**(طه: ١٢٣-١٢٤) ، **(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)** (النحل: ٩٧)

لقد سقطت الشيوعية لأنها منهاج بشري [1]، وهذه عاقبة كل منهاج بشري يصطدم مع منهاج الله، لأنه يتحطم على فطرة الانسان. **(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار)** (إبراهيم:١٦)

لا بد للإنسان أن يرجع الى الله إذا أراد أن يسعد.

ولا بد للإنسان أن يلتزم الجماعة المسلمة المجاهدة لإقامة منهج الله.

لا بد للإنسان أن يثوب إلى منهاج الله إذا شاء أن يجد إنسانيته.

لا بد للإنسان أن يئوب إلى خالقه إذا أحب أن يستقر في ضميره ويهدأ في وجدانه ويجد حلاوة الحياة في أعماقه.

**(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** (الروم: ٣٠)

**(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)** (الرعد:٢٨)

## قانون العودة إلى الله:

١- العمل مع جماعة إسلامية متوازنة الفكر تعنى بالتوحيد، وتعرف المخططات العالمية ضدها، وتربي أبناءها على التوحيد، والعبادة، وتهتم بالنوافل.

٢- تبدأ الجماعة الإسلامية الجهاد، فتكون كالصاعق الذي يفجر طاقات الأمة.

٣- تستمر المعركة التي تقودها الحركة الإسلامية.

٤- تنتهي المعركة بإذن الله بانتصار الشعب المسلم الذي تقوده الحركة وتقوم الدولة الإسلامية.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب اليك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

# جريدة المراجع


١- صحيح البخاري -لمحمد بن إسماعيل البخاري-.
٢- مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ط/ المكتب الإسلامي.
٣- الإسلام ومشكلات الحضارة -سيد قطب-.
٤- الإسلام والنظم المعاصرة -محاضرة للعشماوي سليمان-.
٥- الإسلام يتحدى -وحيد الدين خان-.
٦- أفيون الشعوب -عباس العقاد-.
٧- أفيون المثقفين -للمفكر الفرنسي ريمون أرون-.
٨- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام -عبد الله التل-.
٩- الإنحدار الماركسي في العالم الإسلامي -ناصر العربي-.
١٠- التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية -نهاد الغادري-.
١١- التفسير الإسلامي للتاريخ -الدكتور عماد الدين خليل-.
١٢- تفسير التاريخ -عبد الحميد صديقي-.
١٣- تهافت العلمانية -د. عماد الدين خليل-.
١٤- تهافت الفكر المادي -د. محمد البهي-.
١٥- جذور البلاء -عبد الله التل-.
١٦- خصائص التصور الإسلامي -سيد قطب-.
١٧- دراسات قرآنية -محمد قطب-.
١٨- دور الدول الإشتراكية في تكوين إسرائيل -الدكتور ابراهيم الشريقي-.
١٩- دولة في مرحلة الولادة -دافيد هوروفيتز-.
٢٠- الشيوعية وليدة الصهيونية -أحمد عبد الغفور العطار-.
٢١- الشيوعية والصهيونية -فرانك بريتون-.
٢٢- الصراع بين العلم والفلسفة -د. توفيق الطويل-.
٢٣- الصنم الذي هوى -ترجمة فؤاد حمودة- لستة من كتاب الغرب.
٢٤- بروتوكولات حكماء صهيون -ترجمة التونسي-.
٢٥- حكومة العالم الخفية -شيريب بيريدوفيتش-.
٢٦- فتاوى عن الشيوعية -د. عبد الحليم محمود-.
٢٧- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين -لأبي الحسن الندوي-.
٢٨- ماركسية القرن العشرين -الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي- ترجمة نزيه الحكيم.
٢٩- ما هو الغرب -راشد الغنوشي-.
٣٠- محاكم التفتيش -د. علي مظهر-.
٣١- المخططات الصهيونية التلمودية اليهودية في غزو الفكر الاسلامي -أنور الجندي-.
٣٢- مدخل الى اسرائيل -آلان تايلور-.
٣٣- المستقبل لهذ الدين -سيد قطب-.
٣٤- المسلمون والحرب الرابعة -زهدي الفاتح-.
٣٥- المسلمون تحت السيطرة الشيوعية -محمود شاكر-.
٣٦- المسلمون في الإتحاد السوفيتي -لكاتبين فرنسيين شانتال كلكجي، الكسندر بينيغسن- ترجمة إحسان حقي.
٣٧- مكائد يهودية عبر التاريخ -عبد الرحمن حبنكة-.
٣٨- مجلة البلاغ الكويتية.
٣٩- مجلة الغرباء الإسلامية -جمعية الطلبة المسلمين في بريطانيا-.
٤٠- مجلة المعرفة التونسية.
٤١- نقض أوهام الجدلية المادية -د. محمد سعيد رمضان البوطي-.
٤٢- هذه الشيوعية -عبد الحفيظ محمد-.

# وثيقة

## إلى الإخوان المسلمين في الأردن

# وثيقـــة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ماجعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

اللهم ارزقنا الاخلاص والصدق والاستقامة.

اللهم اجعل عملنا خالصاً صواباً.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنك سميع قريب مجيب.

اللهم ارحم شهداءنا ووفق قادتنا وبارك اخوتنا يارحيم يا ودود، يا عليم يا حليم ويا كريم ويا عظيم ارحمنا برحمتك في الدارين.

أكتب إليكم من قبيل التناصح والتفاتح ففي الصحيح (الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم).

وفي صحيح مسلم ومسند الامام أحمد **(إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم).**

أيها الاخوة الأحبة: إن الدعوات إنما تنتصر عندما تكون أصرة المحبة والاخوة هي الرابطة الوحيدة التي تسيرها. وبقدر ما يكون الحب بين أفرادها بقدر ما تتنزل الرحمة عليها من ربها، وفي الحديث **(أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله)** وعن ابن عباس **(وهل الايمان إلا الحب في الله والبغض في الله)**.

والحب هو الذي يدفع النفس للطاعة والتضحية، ويحفزها للتنفيذ والعمل، وإذا فقدت الجماعة هذا العنصر المحرك لها عادت كشركة اقتصادية يتعامل فيها الأفراد مع مسئوليهم كما يتعامل عمال الشركة مع مديرها (٣) وينفذون أوامره بتثاقل ، بل بعضهم لا يحب أن يراه ولا يسمع إليه ولو لمجرد كلمة وصدق الله العظيم **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ...)** (آل عمران: ١٥٩) فهو يمن على رسوله ﷺ أنه لين قلبه لجنوده وأتباعه، ولو استعمل معهم الألفاظ القاسية، والكلام الجافي لانفضوا من حول -محمد ﷺ - سيد الأولين والآخرين.

ويقول رب العزة: **(وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم* يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين*).**

(الأنفال: ٢

فالله سبحانه هو الذي يوجه القلوب فهي بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وهو يوجهها حيث يشاء، ويطلع عليها علام الغيوب -سبحانه- فإن علم فيها صدقاً واخلاصاً ملأها حباً له ولرسوله ﷺ ولعباده الصالحين وإن كانت غير ذلك -والعياذ بالله- ملأها حقداً وحسداً وهوى وضغينة ورياء.

والله سبحانه يقول لرسوله ﷺ : إنه يكفيك الله والمؤمنون حولك- كما ذهب إليه كثير من المفسرين، وذهب بعض المفسرين كابن القيم إلى أن المعنى (يكفيك الله ويكفي المؤمنين الله).

وهزيمة الجماعات والأمم إنما تأتي من الخلل في صفوفها، ومن الذنوب التي تظهر في أبنائها، ولذا فقد كان تعقيب القرآن على هزيمة أحد سنة ٣ هـ.

---

تم رفعها من قبل الإمام الشهيد عبد الله عزام إلى شورى الاخوان في الاردن ونظن أنها كانت في أواخر السبعينات الميلادية. والله أعلم.

حذفت أسماء الأشخاص في الطباعة.

في الأصل (مع مدير).

«أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها، قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم، إن الله على كل شيء قدير». (آل عمران: ٦٥)

«ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم، إن الله غفور حليم».

«ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم (١) باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين». (آل عمران: ١٥٢)

وقد علق ابن مسعود رضي الله عنه على الآية: فقال: ما كنت أظن أن أحداً من الصحابة يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية.

والآيات في الموضوع متوافرة جداً ولا أستطيع استقصاءها في مثل هذا المكان ولكن أريد أن أشير اشارات فقط اذن:

١-الحب في الله هو عنوان فلاح الجماعات والأمم.

٢-التنازع والخلافات الداخلية هي سبب الهزائم، يقول الأستاذ البنا رحمه الله «أيها الاخوان : والله لا أخشى عليكم الدنيا مجتمعة ولكن أخشى عليكم أحد اثنين: ان تنسوا الله فيكلكم إلى أنفسكم، أو تنسوا اخوتكم فيصبح بأسكم بينكم شديداً.

٣-علمنا الاسلام أن نقول الحق ولو على أنفسنا «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) (النساء: ١٣٥). (ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى». (المائدة: ٨).

ولقد نزلت عشر آيات من السماء لتبرئة يهودي في المدينة المنورة اتهم بالسرقة واثبات السرقة عند أحد المسلمين.

٤-ان الهوى هو سبب الفساد في الأرض «ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن». )المؤمنون: ٧١)

«إن أخشى ما اخشاه عليكم ... ومضلات الهوى، وفي رواية ومضلات الفتن».

وفي الحديث « ... حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك».

والاعجاب بالرأي غالباً ناشيء عن الهوى لأن صاحبه يرى نفسه أنه أفهم أو أعلم أو أحكم من غيره ومن هنا ينشأ الأعجاب بالرأي والاصرار عليه ومحاولة الآخرين بين الفينة والأخرى للإقتناع به ويزين لهم الأمر وتلطخ صورة الرأي الآخر حتى ينجح الرأي المعجب به صاحبه.

٥-علمنا الإسلام أن نعرف الفضل لبعضنا «ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير». (البقرة: ٢٣٧) .

ولقد عرف السلف الفضل لأهل السابقة في الإسلام، وأنزلها الله وحياً يتلى «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ...». (التوبة: ١٠٠).

«والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم». (الحشر: ١٠)

قال الشافعي عن أحمد « لقد خرجت من بغداد وما خلفت فيها رجلاً أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد بن حنبل».

وقال:

| | |
|---|---|
| *قالوا يزورك أحمد وتزوره* | *قلت المكارم لا تفارق أحمدا* |
| *إن زارني فبفضله أوزرته* | *فلفضله فالفضل في الحالين له* |

وقال أحمد عن الشافعي:

«ما دعوت الله منذ ثلاثين عاماً إلا ودعوت للشافعي».

كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن فهل عن هذين من غنى».

بمثل هؤلاء تقوم الأمم وتنتصر الجماعات وعلى أمثالهم تتآلف القلوب وتلتقي الأفئدة.

٦-إن دعوتنا دعوة إسلامية يحكم بها الاسلام أصلاً وفصلاً ويرجع فيها إلى الكتاب والسنة. فمصلحة الدعوة إنما تنبثق مما يرضى الله ورسوله، ولا يجوز استعمال وسائل لا يرضاها الله -عز وجل- للوصول إلى نتائج نظن أنه يرضاها. فالغاية لا تبرر

ربانية. فلا يجوز الكذب من أجل مصلحة الدعوة ولم يجوز الإسلام الكذب الا في حالات ثلاث -كما تعلم- ولايجوز السرقة ، الدفع للدعوة أو للجهاد وهكذا.

بناءً على ما تقدم أقول ما يلي:

إني أرى في الدعوة خطأً معجباً برأيه يستعمل كل وسيلة لطمس آراء الآخرين ولابعادهم عن الانظار حتى لا يرى في الجماعة إلا الحفنة التي توافقهم في كل شيء أو في معظم الأشياء ولا أريد أن أضرب أمثلة عن غيري. بل أضرب أمثلة فيما[1] وأعانيه منذ سنوات مع هذا الخط..

لقد لاحظت من خلال عشرات الشواهد التي عشتها واقعاً حياً في نفسي ألماً وحزناً وحسرة أن بعض إخواني يتصد ت لا لشيء إلا لأنهم يريدون أن لا آخذ أصواتاً في مجلس الشورى أو في المكتب، هذا تفسيري وتصوري والنتيجة التي خرجت . خلال المعاناة الطويلة مع هؤلاء.

طالما رددت في نفسي كيف ينظر الله إلينا ونحن على هذا الحال؟ كيف ينزل الله رحمة أو نصراً أو سكينة على قلوب هذا؟

كنت أشعر ولازلت أنني عندما أجلس مع بعضهم كأنني جالس مع عميد الكلية الذي يتربص بك الدوائر ينظر منك فيضخمها حتى تصبح جريمة، ويترقب منك كلمة حتى ينتزعها من مكانها ليوغر بها عليك الصدور، ويؤلب عليك النفوس.

وكنت أحتسب ذلك بيني وبين الله ولا زلت، ولو استطعت أيها الاخوة أن أعيش خارج هذه الدعوة لفعلت، فراراً بقلبي إ بقي فيه صفاء، الذي صرت افتقد خشوعه في ساعات الخشوع بين يدي رب العالمين. ورحمة بصدري الذي كان منشرحاً لاخوانه ليضمهم بين حناياه وأضلاعه.

كنت ألاحظ كثيراً أن الناس الذين تجمعني بهم صحبة المسجد يقبلون عليّ ويهفون لرؤيتي ويتوقون لحديثي وعندما يكت -عز وجل- لبعض هؤلاء أن يتشرفوا بحمل هذه الدعوة، يبدأون التنكر لي، ثم يخفت صوت الحب الذي جمعني وإياهم في بيو ثم اشعر أنهم يحملون في نفوسهم عليّ، بل يتجرأون عليّ سواء طلبة جامعة أو موظفين أو غير ذلك.

أقترب منهم ، وأحسن إليهم، وأتوق لرؤيتهم ومع ذلك لا أشعر منهم سوا (٢) الجفاء التدريجي، فكنت أقول في نفسي: حببنا إليهم هذه الدعوة -بإذن ربهم- ثم بدل أن ندفعهم نحو الله، وبدل أن نزيد رباطهم بهذه الدعوة ورجالها تكون النتيجة هك إذن فنحن أفسدنا عليهم فطرتهم، وأضررنا بقلوبهم وإليكم بعض الشواهد القليلة التي وصلتني والتي رأيت بعضها وهي قلي كثير:

١-أحد أعضاء المكتب يسأل أمام مسجد (عبد الرحمن بن عوف) من الذي قدّم عبد الله للامامة في الصلاة؟ والامام تلاميذنا في كلية الشريعة.

كيف ستصبح نظرة هذا الأخ الشاب إلينا حيث ينظر إلينا أنناقدوة يقتفي أثرنا، ثم كيف بعدها يثق في جماعة هذه ه قادتها، إني أعلم أن نفسيته ستتحطم وسيرجع تدريجياً حتى يترك الصف.

إن الجواب من الأخ المسئول حاضر أن الناس يتكلمون على إمامة عبد الله، ولكن لا أدافع وليس فخراً أن كثيراً يراجع لماذا لا تؤمنا ألا تأثم وأنت موجود أن تترك العوام يتقدمون للامامة فأقول: إن إمامة المفضول جائزة.

٢-لقد جربت على هذا الأخ المسئول أكثر من مرة أنه ينقل مايدور بيننا من خلافات في مجالسنا الخاصة: ينقلها لي ، الجامعة، وتتداولها النساء.

دعاني قسم التاريخ مرة لالقاء محاضرة فيجتمع طالبان ممن علمهم هذا الأخ أخطائي وأني لا أمثل الجماعة فيريان أن لهذا الأخ حتى يمنعني من المحاضرة ثم يعقب أحدهما أن الذي يمثل الجماعة أمثال فلان (هذا الأخ) وأمثال همام. إن فلانا ( الكبير هذا) هو الشخص الأول في الدعوة في الأردن.

ويقول هذا الطالب: إن عبد الله أخطأ في كذا وكذا -كلام دار بيني وبين الأخ الكبير وبين أبي حمزة.

---

(١) في الأصل (في). (٢) في الأصل همزه بعد الألف.

٣- يأتينا هذا العام طالب ممن يدرس في الغرب وممن تربو على يد هذا الأخ الكبير فيقول لي: جئتك مسرعا لتسامحني لقد أذيتك وتكلمت عليك، وعندما دعوناك هذا العام ولم تأتنا خشيت أنك قد عاجلتك المنية فخشيت أن ألقاك بذنوبي عند الله فتأخذ من حسناتي فطمأنت نفسه وأرضيت خاطره (١) وهدأت من روعه.

٤-وقفنا في الصلاة وبعد الايذاء الكثير الذي لحقني من اخواني قررت بيني وبين نفسي ألا أتقدم للصلاة وهم موجودون، وتظر الناس وليس من أحد يؤم بالناس فتقدمت وبعد أن وقفت قريباً من وقفة الإمام إذا بأخ ممن تربوا على يد هذا الأخ يقول: تقدم يا كاظم فرجعت ليتقدم كاظم (أحد تلاميذ نا من كلية العلوم).

٥-منذ ثلاث سنوات أقصيت إقصاء تاماً عن قسم العاملين فلم أحضر كتيبة ولم أشهد رحلة ولم أدع إلى اجتماع تنظيمي، وجاء العذر الذي يحمله هذا الأخ وهو أن عبد الله متفرغ لقسم الجامعة فكلما طلبت انبري الأخ يقول: هو متفرغ معنا، وليتكم تعلمون ماذا لي في قسم الجامعة؟ وما هو دوري.

إن أي طالب من الطلاب المسئولين في الجامعة رأيه مقدم على رأيي، بل كثيراً ما استحيي من نفسي وأنا أراجع بعض الطلبة المسئولين عن الكليات لتنظيم بعض الطلبة أو رؤيتهم لأن هؤلاء الطلبة البعيدين عنا يحسبون أنني على شيء وأن لي الأمر كله أو عشره فأرى الطالب المسئول يهمل كلامي ولي عودة مع قسم الجامعة.

أقول أقصيت عن قسم العاملين بينما كل الاخوة الذين يشتغلون مع قسم الجامعة ويتسلمون الكليات يدعون إلى الكتائب والرحلات وغيرها وهم يتفلتون لان طاقتهم دون ما يحملون وأنا أذوب حسرة من بعيد لا لحبي بالكلام أو التصدر بل للكنود العجيب والجحود الكبير لحق الاخوة الذي بيني و بين هؤلاء المسئولين.

٦-بعد نجاح الهيئة الادارية الجديدة في صويلح قسمت المناصب: الأخ الكبير نائب الشعبة، فلان أمين سرها. فلان مسئول عن قسم الأسر فلان مسئول عن قسم نشر الدعوة، عبد الله مسئول عن قسم الصلات الاجتماعية: الضيافات والتعزيات وكأن هذا يحتاج إلى قسم، ومسئول عن ماحص وليس في ماحص أسرة واحدة. وقال أحد الحاضرين: اعطوا أبا محمد كذا فقال بعضهم: يكفيه وكيل أول لنائب الشعبة. شعرت أنهم يعاملوننا كولد صغير ويسخرون من عقله بلعبة من العهن.

وجاء ذكر الأسر فقالوا: عندنا أسرة مفتوحة فقال أبو.... أنا آخذها ولكن عندي أسرة مغلقة فمن يأخذها فعندما لم يجدوا لها أحداً قلت أنا آخذها فقال أبو .....: لا: أنا آخذ الأسرتين لأن أبا محمد متفرغ للجامعة . فلم أتكلم وتجرعتها.

وفي اجتماع لاحق للشعبة قال رئيس قسم نشر الدعوة أنا لا استطيع أن أقوم بالقسم وأنا اقترح أعطاءه لأبي محمد فقال نائب الشعبة: لا ولم أنبس بكلمة.

وجاء ذكر الأسر مرة أخرى فقالوا هناك أسرة تحتاج نقيباً فلم يجدوا أحداً فقالوا اعطوها لأبي محمد فانبرى نائب الشعبة ليقدم التبريرات لعدم اعطائها لي وطال الجدال بينهم (٢٥) دقيقة هو يصر على صرفي عنها وهم يريدون تعليلاً مقبولاً. وأنا صامت فقالوا لماذا لا تتكلم يا أبا محمد فقلت : إن نائب الشعبة مستعد أن يجادلكم حتى الصبح حتى لا آخذ الأسرة. وشكوت لهم بعض آلامي.

٧-جاء أحد طلابنا من الضفة الغربية -ممن تخرجوا من الجامعة- فسأل أبا .... عني فقال له بحضور أخ كبير آخر: لماذا تسأل عنه، إن أبا محمد ليس مسئولاً في الدعوة.

٨-يمسك أحد الأخوة ممن تربوا على أيدينا طالباً في الجامعة فيقول له: أيهم أحب إليك عبد الله أم دعوتك، دعوتك أولى ويبدأ بالكلام عليَّ .

٩-في خطبة إبنتي وعند توزيع البطاقات(٢) يذهب نائب الشعبة من فوره ويخلوا بأحب الشباب إلينا وأشعر بيني وبينهم(٣) بالمودة: فيقول لهم ما يقول عن السرف وأين الزهد -ولا يعلم أحد ماذا أريد أن أفعل- ولقد أوغر صدورهم عليَّ حتى لم يحضر بعضهم الخطبة . وفي دارنا عندما وزعت المصاحف قال أحد الجالسين -إنها سنة حسنة- فانبرى نائب الشعبة ليقول: لوكانت حبة شوكولاته أفضل ولو زوجت ابنتي ما فعلت إلا هذا، فتألم بعض الحاضرين من هذا الموقف، والغريب: أن نائب الشعبة أوغر صدور اخوتنا علينا ثم جاء وقال لي: ان أخوانك عاتبون عليك.

**وأما زوجته:** المسئولة عن قسم النساء فقد وقفت في المركز الإسلامي تعاتب أم محمد وبغضب شديد عن هذا العرس الآثام التي حصلت فيه -والله يعلم أنه لم تحصل مخالفة واحدة للشرع كما أعلم هذا- أمام حوالي عشرين طالبة من طالبات الج

وفي مجلس آخر تقول زوجته لطالبات الجامعة وفي المركز الإسلامي:انظرن زهد عبد الله عزام في حفلة ابنته وانظرن إل الجديد فيه تدفئة مركزية.

وتأتي طالبة خريجة من تلميذاتنا من الضفة الغربية فتأتي إلى بيتنا لتسأل عن صحة تصوير ابنتي فقالت لها أم محمد ولكن هل عرفت كيف أخذت الصورة: لم يكن حاضراً سوى: العريس وابنتي وأنا وأمه، والمصور أنس بن أبي أنس [1] والكمرة[2] أبي أنس تسحب صورة واحدة فورية وتم الاشتراط على أمه أن لايراهاأحد أبنائها وإنماتريد أن ترسلها إلى أخت العريس السعودية تعيش مع والدها.

وفتاة أخرى من طالبات الجامعة جاءت من الكويت وزارتنا وسألت فوراً أم محمد عن التصوير.

هذا مع العلم أن الحفلة إستوهب فيها العريس ٣٠٠ مصحف ب٨١ د. [3] وفصلت بنفسي أرخص الكاسات[4] في السو قرشاً للكاسة واشترى منها ١٥٠ كأساً للنساء والأطفال بـ ١٨ ديناراً مع أنني حاولت أن لا تكون حفلة خطوبة وكنت أريد أن الخبر في الجريدة حتى يتم اشهار النكاح ولكن خشيت على الأخ من المخابرات أن يضايقوه ويمنعوا تعيينه.

أين نحن من حديث رسول الله ﷺ (**شر الناس: المفرقون بين الأحبة، المشاءون بالنميمة الباغون للبراء العيب**).

١٠-أما قسم الجامعة: فقد علم الله أن أثقل جلسة عليّ في الاسبوع هي هذه الجلسة لما أرى من غمض حقي وإهمالي. إذا اقترحت رأياً عارضه رئيس الجلسة، فآثرت السكوت، وأحياناً أفكر أن أقترح اقتراحاً معاكساً لما أرى حتى تتم الموافقة عكسه.

كثيرا من الشباب يكونون معي ثم يؤمرون أن يتركوا -من قبل المسئول- وتمضي عليهم أشهر دون أسرة وهذاوضع أحر المسئول من أن يكونوا معي. ويراجعني الشباب مرات فأقول لهم ارجعوا إلى المسئول.

بعد الجلسة الاسبوعية أبقى أحيانا متضايقاً طيلة اليوم، وأحياناً أتعب نفسياً وجسدياً وتعرض لي مواقف الايذاء في الد كثيراً وتقطع خشوعي وتذهب قنوتي.

ترتب المحاضرات والندوات فيعرض اسمي من قبل الاخوة فإذا وافقوا على اسمي ولم يستطع دفعي نظر إليّ وقال: هل موافق فأقول: لا فيشطب اسمي.

جامعة اليرموك: كنت أدعى إليها مرة أو مرتين في السنة ومنذ أن تولى هذا الأخ ترتيب المحاضرات لم أدخلها.

١١-أحد الاخوة من جامعة اليرموك يسأل يوسف ... على انفراد مارأيك بعبد الله فيقول ما يقول فيرد الطالب: إن عبد يحمس الشباب ويرسلهم إلى أفغانستان.

١١-لقد نظم هذا الأخ برنامج الأسر التمهيدية فنظرت فيه: فإذا الكتاب الذي كتبه (الاخوان في سطور) مقسم على عدة أ أما الكتاب الذي ساهمت في كتابته (الدعوة الإسلامية) فلم يرد الا في نصف أسرة.

١٣-مساجد صويلح: قالوا اقترحوا خطيباً لمسجد عبد الرحمن فقال أبو ....: عديلي، فسعيت له أنا و أبو .... فعيّن، وة المسجد الكبير (الشيشان) يحتاج إلى خطيب فقال أبو أنس: أبو ... فذهبت بنفسي وقدمت له طلباً ووافقوا عليه. أما بالنسبة لد الشيشان فلم يكلفني أبو .... إلامرة واحدة بالخطبة فيه. وبعد الخطبة قدّم أحد تلاميذه تقريراً لقسم الرصد أن الناس خرجوا يس على عبد الله.

كنت أدرس في المسجد درساً صباحياً فجاءوا إليّ إلى البيت لتقسيم الدروس الصباحية (الغنائم) وقسموها وضاع الدرس وحجة التقسيم أني أسيئ إلى الدعوة بدروسي ولقاءاتي.

١٤-كان عندي بعض الناس القريبين علينا من عمان وكانت جلسة عامرة فسألوا عن إبراهيم زيد فقلت يخطب خطبة فيغد

---

(١) ولد صغير من اقرباء الشيخ لا يتجاوز عمره عشر سنوات. (٢) آلة التصوير الفوتوغرافي. (٣) علامة (د) دينار أردني. (٤) علب حلوى توزع بالاعراس في الأردن وفلسطين

الدولة فيمنع من الخطابة ثم يعود فقال أبو ... رأساً: هذا غير صحيح بل كذب . وصبرت لله، وساق الله في تلك الليلة ابراهيم زيد على غير موعد وفي سياق الحديث قال: أنا ممنوع من الخطبة من شهرين أو ثلاثة فقلت سبحانك يا رب.

١٥-كنت اكمل ببعض الناس الذين يتأخرون عشرين ركعة أقرأ جزءاً، وذات مرة حضر معنا أبو .... وكنت أعقب على بعض الآيات بالشرح بعد كل ركعتين. فقلت: إن المهاجرين لم يسمح لهم بالبقاء في مكة في حجة الوداع أكثر من ثلاثة أيام، فقال أبو ... وأمام الطلاب هذا الكلام خطير. فقلت له: لقد قرأته ثم أنهيت الجدال. وبعد أن ذهب الأخ قمت إلى بعض الكتب في المسجد واستخرجتها منه وقرأته على الطلاب.

١٦-لقد عاتبت أبا ... في المكتب السابق عن قيامه بالدعاية لمحمود سالم فأنكر الدعاية ثم ذهب بنفسه إلى محمود سالم وأخبره أني اشتكيت عليه. ومرت الأيام وسمعت من أبي ... أكثر من مرة أن أكبر خطأ أخطأته أني نجحت هذا الشخص في مجلس الشورى.

١٧-لقد كان بعض الشباب يأتونني يقولون لي: ما بالهم يضيقون عليك. لقد قيل: انتخبوا فلاناً ولا تنتخبوا فلاناً وكنت أخشى على نفوس هؤلاء الشباب الذين ينقلون الكلام فإما أن أصمت وإما أن أمدح أبا ... حتى لا تتمزق نفوسهم وييأسوا من الأسوة والاخوة الكبار.

ان جواً كهذا يتربى في الصغار لهو قاتل لأرواحهم، ممزق لنفوسهم، محطم لآمالهم.

١٨-لقد ذهبوا إلى أحد الاخوة وقالوا له: نخشى أن يترك عبد الله الدعوة ونحن خائفون على الشباب المتأثرين به.

أيها الاخوة : إنني جد أسف أن أخذ من أوقاتكم التي يجب أن تصرف إلى قضايا كبرى. ولكن الصف الداخلي والجبهة الداخلية مهمة جداً.

إنني أتساءل كيف يصلح الله أعمالنا وهو يقول: **﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾**. (يونس: ٨١)

كيف يبارك الله جهودنا وهو يقول : **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**. (الانفال: ٤٦)

إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله اليكم أمركم/ أحمد صحيح.

بأي اسم أعتب:

١-أباسم الاخوة التي تفرض علينا أن نحب لاخواننا ما نحب لأنفسنا.

٢-أباسم الزمالة في العمل وإن الله يسأل عن صحبة ساعة .

٣-أباسم الجيرة ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه **(قالوا يا رسول الله: ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتكثر الذكر ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها قال: هي في النار).**

إن الجيران من أهل الجاهلية يدافعون عنا ويحترموننا أفلا يكون اخواننا أولى بهذا منهم.

أين نحن أيها الاخوة من حديث رسول الله ﷺ

**«إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق» وفي رواية ثم قرأ (والذين يؤذون المؤمنين)** رواه أحمد ورجاله ثقات.

أين نحن من أحاديث النميمة وعلى رأسها حديث البخاري **«مر ﷺ على قبرين يعذبان ... أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة.**

ألم تسمع قوله ﷺ **«فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»** الترمذي وصححه.

وقد حكت عائشة إلى رسول الله ﷺ انساناً فقال ﷺ **«ما أحب أن حكيت لي انساناً وأن لي كذا وكذا»** الترمذي وقال: حسن صحيح.

أعوضاً أن نحمي أعراض اخواننا في غيبتهم امتثالاً للحديث: **«من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه**

ما من أمرئ مسلم يخذل إمرءا مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه عرضه الأ خذله الله في موطن يحب نصرته».

بدل هذا نحن نتولى الوقوع والايقاع في أعراض اخواننا أين نحن من حديث (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)

أين نحن من حديث (إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم) البخاري

أين نحن من حديث (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا -ثلاثا- وأشار إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) . رواه الشيخان.

أين نحن من حديث أنس (يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ثلاثة أيام ... فتبعه عبد الله بن عمرو فبات معه ثلاث ليالٍ فلم يره يعمل كبير عمل فقال الرجل «وهو سعد» ما هو الأ ما رأيت غير اني لا أجد في نفسي لاحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير اعطاه الله إياه فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك) رواه الشيخان.

أين نحن من حديث عبد الله بن عمرو (قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان. قالوا فما مخموم القلب قال: هو التقي النقي لا اثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد) رواه ابن ماجه باسناد صحيح.

أيها الاخوة معذرة للاطالة عليكم وغفر الله لنا أجمعين.

كنت أريد أن أبقى هذا في نفسي أشكوه إلى الله وكنت أقول كثيراً (إنما اشكو بثي وحزني إلى الله) (يوسف: ٨٦) (فصبر جميل والله المستعان) (يوسف: ١٨) وأقول: كما قال الله (أنا يوسف وهذا أخي قدمنّ الله علينا) (يوسف: ٩٠) لماذا؟ (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) وكنت أمتثل لقول الله (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً، إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران: ١٢٠)

(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) (فاطر: ٤٣)

ولكني أخيراً آثرت اطلاعكم عليه لأني رأيت أن هذا اتجاها في داخل الجماعة، وأنا ألتزم أوامركم مع أنني اتهم بعدم الانضباط وأقف حيث تأمرون.

ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا.

ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# وصية

## الإمام الشهيد عبد الله عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

# وصية الفقير إليه تعالى عبد الله بن يوسف عزام

(كل حساباتي، ما لي وما عليّ عند المحاسب أبي محمد المقدسي)[1]

الأربعاء

(١٤٠٦/١٢/٨هـ) (١/٨/١٣)

وصية العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن يوسف عزام:

من بيت القائد البطل الشيخ جلال الدين حقاني وفي عصر الإثنين الثاني عشر من شعبان (١٤٠٦هـ) الموافق للعشر نيسان (إبريل) (١٩٨٦م) أكتب هذه الكلمات:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

لقد ملك حب الجهاد عليّ حياتي ونفسي ومشاعري وقلبي وأحاسيسي، إن سورة التوبة بآياتها المحكمة التي مثلت ا النهائية للجهاد في هذا الدين وإلى يوم الدين، لتعتصر قلبي ألماً وتمزق نفسي أسى وأنا أرى تقصيري وتقصير المسلمين أجمعين القتال في سبيل الله.

إن آية السيف التي نسخت قبلها نيفاً وعشرين آية (أو أربعين) آية بعد المائة من آيات الجهاد لهي الرد الحاسم وا الجازم لكل من أراد أن يتلاعب بآيات القتال في سبيل الله أو يتجرأ على محكمها بتأويل أو صرفها عن ظاهرها القاطع والقطعي الثبوت. وآية السيف **(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين)** أو آية:

**(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا ا وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم)** (التوبة:٥)

إن التبرير للنفس بالقعود عن النفير في سبيل الله، وإن تعليل النفس بعلل تخدر مشاعرها فترضى بالقعود عن القتال في الله لهوٌ ولعب، بل اتخاذ دين الله لهواً، ولعباً ونحن أمرنا بالإعراض عن هؤلاء بنص القرآن **(وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً و الحياة الدنيا...)**.

إن التعلل بالآمال دون الإعداد لهو شأن النفوس الصغيرة التي لا تطمح أن تصل إلى القمم ولا أن ترقى إلى الذرى:

*وإذا كانت النفوس كباراً تعبت من مرادها الأجسام*

إن الجوار في المسجد الحرام وعمارته لا يمكن أن يقاس بالجهاد في سبيل الله، وفي صحيح مسلم أن آية:

**(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم)** (التوبة:١٩-٢١)

هذه الآيات نزلت عندما اختلف الصحابة في أفضل الأعمال بعد الإيمان فقال أحدهم عمارة المسجد الحرام، وقال آخر سقاية الحجيج وقال الثالث: بل الجهاد في سبيل الله.

---

١- في الأصل: (ملاحظة: لاحقاً كما في الوصية: سدد كل ما في ذمتي للمجاهدين، ولي في حساب المجاهدين ستة آلاف دولار في رقم الحساب (٣٠٢)، وكذلك لي على المجاهدين على الستة آلاف، عشرين ألف روبية باكستانية)، إلا أن الشيخ شطب عليها بقلمه-انظر الأصل-.

فهذه الآيات نص في المسألة أن الجهاد في سبيل الله أعظم من عمارة المسجد الحرام، وخاصة أن صورة سبب النزول هي خلاف الصحابة حول هذه المسألة.

وصورة سبب النزول لا يجوز تخصيصها ولا تأويلها لأن معناها قاطع في النص.

ورحم الله عبد الله بن المبارك إذا يرسل إلى الفضيل بن عياض:

*يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب*

*من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب*

أرأيت قول الفقيه المحدث ابن المبارك للفضيل: أنه يرى أن جوار الحرم والعبادة فيه في الوقت الذي تنتهك فيه الحرمات وتسفك الدماء وتستباح الأعراض ويجتث فيه دين الله من الأرض، أقول يراه لعباً بدين الله.

نعم، إن ترك المسلمين في الأرض يذبحون ونحن نحوقل ونسترجع ونفرك أيدينا من بعيد دون أن يدفعنا هذا إلى خطوة واحدة تقدمنا نحو قضية هؤلاء لهوٌ ولعب بدين الله ودغدغة لعواطف باردة كاذبة طالما خدعت النفس التي بين جنباتها.

*كيف القرار وكيف يهدأ مسلم والمسلمات مع العدو المعتدي*

إنني أرى كما كتبت في كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) كما يرى شيخ الإسلام ابن تيمية من قبلي (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه).

إنني لا أرى -والله أعلم- أي فرق اليوم بين تارك القتال في سبيل الله وبين تارك الصلاة والصيام والزكاة.

إنني أرى أن أهل الأرض جميعاً الآن أمام مسؤولية عظيمة أمام رب العالمين ثم بين يدي التاريخ.

إنني أرى أنه لا يعفى عن مسؤولية ترك الجهاد شيء سواء كان ذلك دعوة أو تأليفاً أو تربية أو غير ذلك.

إنني أرى أن كل مسلم في الأرض اليوم منوط في عنقه تبعة ترك الجهاد (القتال في سبيل الله) وكل مسلم يحمل وزر ترك البندقية، وكل من لقى الله غير أولي الضرر دون أن تكون البندقية في يده فإنه يلقى الله آثماً لأنه تارك القتال، والقتال الآن فرض عين على كل مسلم في الأرض -غير المعذورين- وتارك الفرض آثم لأن الفرض: ما يثاب فاعله ويحاسب أو يأثم تاركه.

إنني أرى -والله أعلم- أن الذين يعفون أمام الله بسبب تركهم الجهاد هم الأعمى والأعرج والمريض والمستضعفون من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، أي لا يستطيعون الإنتقال إلى أرض المعركة ولا يعرفون الطريق إليها.

والناس كلهم آثمون الآن بسبب ترك القتال سواء كان القتال في فلسطين أو في أفغانستان أو أية بقعة من بقاع الأرض التي ديست من الكفار ودنست بأرجاسهم.

وإنني أرى أن لا إذن لأحد اليوم في القتال والنفير في سبيل الله، لا إذن لوالد على ولده، ولا لزوج على زوجته، ولا لدائن على مدينه، ولا لشيخ على تلميذه ولا لأمير على مأموره.

هذا إجماع علماء الأمة جميعاً في عصور التاريخ كلها: أنه في مثل هذه الحالة يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، ومن حاول أن يغالط في هذه القضية فقد تعدى وظلم، واتبع هواه بغير هدى من الله.

قضية حاسمة واضحة لا غبش فيها ولا لبس، فلا مجال لتمييعها ولا حيلة لأحد في التلاعب فيها وتأويلها.

إن أمير المؤمنين لا يُستأذن في الجهاد في حالات ثلاث:

١- إذا عطل الأمير الجهاد.

٢- إذا فوّت الإستئذان المقصود.

٣- إذا علمنا منعه مقدماً.

إنني أرى أن المسلمين اليوم: مسؤولون عن كل عرض ينتهك في أفغانستان وعن كل دم يسفك فيها. إنهم -والله أعلم- مشتركون في دمائهم بسبب تقصيرهم لأنهم يملكون أن يقدموا لهم السلاح الذي يحميهم، والطبيب الذي يعالجهم والمال الذي يشترون به الطعام، والحفارة التي يحفرون بها الخنادق. وقد جاء في حاشية [illegible]

فضل طعام ورأى جائعاً وتركه حتى مات فإن كان صاحب الطعام متأولاً يظنه لا يموت فإنه يدفع ديته من عاقلته (أقاربه) كان عامداً فقد جاءت روايتان في المذهب: إحداهما أنه يدفع ديته من ماله الخاص، والرواية الثانية أنه يقتص منه لأنه قاتل).

فأي حساب وأي عقاب ينتظر أصحاب الثروات والأموال التي تهدر على الشهوات وتراق عبثاً على الأهواء والكماليات.

## فيا أيها المسلمون:

حياتكم الجهاد، وعزكم الجهاد، ووجودكم مرتبط ارتباطاً مصيرياً بالجهاد.

## يا أيها الدعاة:

لا قيمة لكم تحت الشمس إلا إذا امتشقتم أسلحتكم وأبدتم خضراء الطواغيت والكفار والظالمين.

إن الذين يظنون أن دين الله يمكن أن ينتصر بدون جهاد وقتال ودماء وأشلاء هؤلاء واهمون، لا يدركون طبيعة هذا الدين.

إن هيبة الدعاة وشوكة الدعوة وعزة المسلمين لن تكون بدون قتال **(وليتزعنّ الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن ا قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت)** وفي رواية: وكراهية القتال: **(فقاتل في سبيل ا تكلّف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا والله أشدّ بأساً وأشد تنكيلاً)**.

إن الشرك سيعم ويسود بدون قتال **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)** والفتنة هي الشرك.

إن الجهاد هو الضمان الوحيد لصلاح الأرض: **(ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)**.

إن الجهاد هو الضمان الوحيد لحفظ الشعائر وبيوت العبادة **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وم ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)**.

## يا دعاة الإسلام :

إحرصوا على الموت توهب لكم الحياة ولا تغرنكم الأماني ولا يغرنكم بالله الغرور، وإياكم أن تخدعوا أنفسكم بكتب تقر وبنوافل تزاولونها، ولا يحملنكم الإنشغال بالأمور المريحة عن الأمور العظيمة **(وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم...)** ولا أحداً في الجهاد : لا إذن لقائد في النفير إلى الجهاد، إن الجهاد قوائم دعوتكم وحصن دينكم وترس شريعتكم.

## يا علماء الإسلام :

تقدموا لقيادة هذا الجيل الراجع إلى ربه، ولا تنكلوا وتركنوا إلى الدنيا وإياكم وموائد الطواغيت، فإنها تظلم القلوب الأفئدة وتحجزكم عن الجيل وتحول بين قلوبهم وبينكم.

## يا أيها المسلمون:

لقد طال رقادكم، واستنسر البغاث في أرضكم، وما أجمل أبيات الشاعر:

*طال المنام على الهوان فأين زمجرة الأســـود ... واستنسرت عصب البغاث ونحن في ذل العبيد*

*قيد العبيد من الخنوع وليس من زرد الحديــد ... فمتى نثور على القيود متى نثور على القيــود*

## يا معشر النساء:

إياكن والترف، لأن الترف عدو الجهاد والترف تلف للنفوس البشرية، واحذرن الكماليات واكتفين بالضروريات، وربين على الخشونة والرجولة وعلى البطولة والجهاد، لتكن بيوتكن عريناً للأسود[1] وليس مزرعةً للدجاج الذي يسمّن ليذبحه الطغاة.

---

١- في الأصل (الأسود).

في أبنائكن حب الجهاد وميادين الفروسية وساحات الوغى، وعشن مشاكل المسلمين وحاولن أن تكن يوماً في الأسبوع على الأقل في حياة تشبه حياة المهاجرين والمجاهدين، حيث الخبز الجاف ولا يتعدى الإدام، جرعات من الشاي.

## يا أيها الأطفال:

تربوا على نغمات القذائف ودوي المدافع وأزيز الطائرات وهدير الدبابات، وإياكم وأنغام الناعمين وموسيقى المترفين وفراش المتخمين.

## أما أنت أيتها الزوجة:

ففي النفس الكثير والكثير أريد أن أبثه إليك يا أم محمد، جزاك الله عني وعن المسلمين خير الجزاء، لقد صبرت معي طويلاً على لأواء الطريق وتجرعت معي كؤوس الحياة حلوها ومرها. وكنت خير عون لي على أن أنطلق في هذه المسيرة المباركة وأن أعمل في ميدان الجهاد، لقد تركت على كاهلك البيت سنة (١٩٦٩م) أيام أن كان لدينا طفلتان وولد صغير فعشت في غرفة واحدة من الطين لا مطبخ لها ولا منافع، وتركت على عاتقك البيت يوم أن ثقل الحمل وزادت العائلة، وكبر الأولاد وكثرت معارفنا وزاد ضيوفنا، فاحتملت لله ثم من أجلي القليل والكثير، فجزاك الله عني خير الجزاء ولولا الله ثم صبرك على غيابنا الطويل عن البيت ما استطعت أن أحتمل هذا العبء الثقيل وحدي.

لقد عرفتك زاهدة في الحياة، ليس للمادة أي وزن في حياتك، لم تشتكي أيام الشدة من قلة ذات اليد ولم تترفي ولم تبطري أيام أن فتح علينا قليل من الدنيا، لم تكن الدنيا في قلبك بل كانت معظم الوقت في يدك، إن حياة الجهاد ألذ حياة ومكابدة الصبر على الشظف أجمل من التقلب بين أعطاف النعيم وجوانب الترف، الزمي الزهد يحبك الله، وازهدي بما في أيدي الناس يحبك الناس.

القرآن هو متعة العمر، وأنس الحياة، والقيام وصيام النافلة والإستغفار في الأسحار يجعل للقلب شفافية، وللعبادة حلاوة وصحبة الطيبات وعدم التوسع في الدنيا والبعد عن المظاهر وعن أهل الدنيا راحة القلوب، وأمل من الله أن يجمعنا في الفردوس كما جمعنا في الدنيا.

## وأما أنتم يا أبنائي:

إنكم لم تحظوا من وقتي إلا بالقليل، ولم ينلكم من تربيتي إلا اليسير، نعم لقد شغلت عنكم ولكن ماذا أصنع ومصائب المسلمين تذهل المرضعة عن رضيعها، والأهوال التي ألمت بالأمة الإسلامية تشيب نواصي الأطفال، والله ما أطقت أن أعيش في قفص معكم كما تعيش الدجاجة مع فراخها، لم أستطع أن أحيا بارد النفس ونار المحنة تحرق قلوب المسلمين، لم أرض أن أبقى بينكم طيلة وقتي وأحوال المسلمين تمزق كل من له قلب أو بقية من لب، ليس من المروءة أن أعيش بينكم أتقلب بين أعطاف النعيم، توضع لي صحفة وترفع صحفة بين أطباق اللحوم وأنواع الحلويات، والله لقد كنت في حياتي أمقت الترف سواء كان ذلك في ثياب أو طعام أو مسكن، وحاولت أن أرفعكم ما استطعت إلى مقام الزاهدين وأبعدكم عن مستنقع المترفين، أوصيكم بعقيدة السلف (أهل السنة والجماعة) وإياكم والتنطع، أوصيكم بالقرآن تلاوةً وحفظاً، وبحفظ اللسان، وبالقيام والصيام، وبالصحبة الطيبة، وبالعمل مع الحركة الإسلامية، ولكن اعلموا أنه ليس لأمير الحركة أي سلطة عليكم بحيث يمنعكم من الجهاد أو يزين لكم البقاء للدعوة بعيداً عن مصانع الرجولة وميادين الفروسية، لا تأخذوا إذن أحد للجهاد في سبيل الله، إرموا واركبوا ولأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا.

أوصيكم يا أبنائي بطاعة أمكم واحترام أخواتكم (أم الحسن وأم يحيى) وأوصيكم بالعلم النافع الشرعي، وأوصيكم بطاعة أخيكم الكبير محمد واحترامه وأوصيكم بالمحبة فيما بينكم، وبروا جدكم وجدتكم وأكرموهما كثيراً وبروا عمتيكم (أم فايز وأم محمد) فلهما بعد الله فضل كبير عليّ، صلوا أرحامنا وبروا أهلنا، وأوفوا بحق صحبتنا لمن صاحبنا.

## وأما مكتب الخدمات(١):

على الإخوة أن يحفظوا لأهل السابقة سابقتهم وكل مجاهد وسابقته في هذا المضمار، واحفظوا للإخوة القدماء قدرهم خاصة

١- في الأصل (أتوصى بأن يكون مسؤوله بعدي (أبو حذيفة) الذي قدم عصارة شبابه للمكتب وخاصة ماله للمجاهدين (سقطت من الأصل كلمة (نائبه) أبو سياف (فتحي) ويساعده أبو

الإخوة[1].

أسامة وأبا الحسن المدني ونور الدين وأبا الحسن المقدسي وأبا سياف وأبا برهان، وأما أبا مازن فلقد خبرته[2].

فوجدته أطهر من ماء السماء، صواماً قواماً غيوراً على الجهاد. ولقد ساقه الله هدية إلى الجهاد فخدم بصمت[3] وكان أحـ

أعمدة الجهاد.

وتغاضوا عن زلاتهم، واحفظوا لهم مكانتهم، ولا تنسوا فضل الأخ أبي الحسن المدني ودوره في خدمة الجهاد، وتقبلوا نصائـ

أبي هاجر وليصلّ بكم فإن فيه رقة وخشوعاً[4].

وادعوا[5] كثيراً لمن تكفل هذا المكتب بماله الخالص الأخ أبو عبد الله أسامة بن محمد بن لادن، أدعو الله أن يبارك له في أهـ

وماله ونرجو الله أن يكثر من أمثاله، والله أشهد أني لم أجد له نظيراً في العالم الإسلامي، فنرجو الله أن يحفظ له دينه وماله[6].

وأن يبارك في حياته ولا تنسوا أن أبا حذيفة قد كفل كثيراً من أعمال المكتب بماله الخاص[7].

فادعو الله له كثيراً وكان عمود الخيمة للمكتب.

## وأما الأحزاب الجهادية:

فاهتموا كثيراً بسياف وحكمتيار ورباني وخالص.. لأننا نأمل منهم[8] أن يواصلوا[9] مسيرة الجهاد وأن يحفظوا مسيرته من

الإنحراف ولا تنسوا القادة في الداخل خاصة جلال الدين وأحمد شاه مسعود وإنجنير بشير وصفي الله أفضلي ومولوي أرسلان(

وفريد، ومحمد علم وشير علم/بغمان، وسيد محمد حنيف/لوجر.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الثلاثاء (١٣) شعبان (١٤٠٦هـ) الموافق (٢٢/٤/١٩٨٦م)

عبد الله بن يوسف عزام

---

١- في الأصل (أبو حذيفة) إلا أن الشيخ شطب عليها بقلمه، أنظر الأصل.

٢- في الأصل كلمة (والله) إلا أن الشيخ شطبها بقلمه.

٣- في الأصل (رغم تعيق الناعقين ولا يغرنكم نيهم) إلا أن الشيخ شطبها بقلمه -أنظر الأصل-.

٤- في الأصل (وكذلك الأخ أبو البراء) إلا أن الشيخ شطب بقلمه كلمة (أبو البراء -أنظر الأصل-.

٥- في الأصل (وادعو كثيراً لمن تكفل هذا المكتب بماله الخالص) إلا أنها وقعت داخل دائرة -بقلم الشيخ- ولا ندري هل يعني شطبها أم إثباتها، فرجحنا إثباتها، أنظر الأصل. والـ
الأخ أسامة تكفل المكتب في بداية عمل مكتب الخدمات حتى (١٩٨٦م) ثم اعتذر عن مساعدته بعدها

٦- في الأصل قوله (وأن يبارك... إلى قوله عمود الخيمة للمكتب) وضع تحتها خط ولا ندري مقصده، هل إثباتها أم حذفها فرجحنا إثباتها -أنظر الأصل-.

٧- في الأصل بماله الخاص إلا أنها وضعت داخل دائرة -بقلم الشيخ- فرجحنا إثباتها، أنظر الأصل.

٨- في الأصل (منهما).

٩- في الأصل (يواصلا).

١٠- في الأصل (وحسنوا صلتكم بنصر الله منصور) وشطبت بخط الشيخ -أنظر الأصل-.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصية الفقير إلى الله تعالى

عبد الله بن يوسف عزام

[illegible] في الوصية
[illegible] كل ما [illegible]
[illegible]
[illegible] 302 [illegible]
[illegible]
[illegible]

كل حساباتي مالي [illegible]
[illegible]

٨/١٠/١٤٠٦ هـ
١٣/٦/١٩٨٦ م

عبد الله بن يوسف عزام



بسم الله الرحمن الرحيم

وصية العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن يوسف عزام

[illegible] ١٤٠٦ هـ [illegible] (أبريل) ١٩٨٦ [illegible]
هذه الكلمات :

الحمد لله [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
لقد ملك حب الجهاد علي حياتي ونفسي وحسي وقلبي وجوارحي .

إن سورة التوبة [illegible] المحكمة [illegible] النهائية [illegible] في هذا الدين [illegible]
[illegible] المسلمين [illegible] في سبيل الله .

إن آية السيف التي [illegible]
[illegible]
[illegible] القتال في سبيل الله [illegible]
[illegible]

[illegible] المشركين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] في سبيل الله [illegible]
[illegible] القتال في سبيل الله .



[illegible]
[illegible] الحياة الدنيا ...)
[illegible] القتال [illegible]
[illegible]
[illegible] في سبيل الله
[illegible] آية [illegible]
[illegible] في سبيل الله [illegible]
[illegible] في سبيل الله [illegible]
[illegible]
[illegible] التوبة [illegible]
[illegible]
[illegible] الجهاد
في سبيل الله

[illegible] الجهاد في سبيل الله [illegible]
[illegible] سبب النزول هي [illegible]
[illegible] سبب النزول [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]



[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible] القتال في سبيل الله
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٦)

... [illegible] والقتال [illegible] على كل مسلم

[illegible] ما يناب

[illegible] سبيل الجهاد

[illegible] ١٤١٨هـ/ [illegible]

[illegible] من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان

[illegible] الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا [illegible]

[illegible]

[illegible] القتال [illegible]

[illegible] وسبيل المستضعفين [illegible]

[illegible]

وإن أمر [illegible] اليوم في القتال والنفير في سبيل الله

[illegible]

[illegible]

هذا [illegible] علماء الأمة جميعاً في عصرنا [illegible]

من هذه الحالة [illegible]

[illegible] من هذه [illegible]

[illegible]

[illegible] واجبة [illegible]

[illegible]

[illegible] الجهاد [illegible] ② [illegible] ③ [illegible]

(٥)

إني أعد أيها المسلمون : [illegible]

[illegible] والله أعلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بالنار [illegible].

[illegible] ٣/١١١ – ١١٢

( [illegible] )

فأي حساب [illegible] الشهادات [illegible].

فيا أيها المسلمون : [illegible] الجهاد [illegible]

[illegible] الجهاد .

يا أيها الدعاة : [illegible]

[illegible] .

[illegible] جهاد [illegible]

[illegible] هذا الدين .

[illegible] الدعوة [illegible] المسلمين [illegible]

[illegible]

7

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الجهاد [illegible]

[illegible]

[illegible] الجهاد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الجهاد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يا أيها المسلمون : [illegible]

[illegible]

[illegible]

8

[illegible]

[illegible]

[illegible] الجهاد [illegible]

[illegible]

[illegible] الجهاد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المسلمين [illegible]

[illegible]

[illegible]

يا أيها [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المسلمين [illegible]

[illegible]

[illegible]

للمطمئنة لإمام محمد رضوان الله عنه من مسلسل الجهاد . لقد عشت
معي طويلة بلا [illegible] وقد عشت معي كؤوس الحياة حلوها
ومرها . وكنت خير عون لي على أن انطلق في صحبة المسيرة المباركة
وأن أمضي في سبيل الجهاد . لقد تركت عليه [illegible] بيت
[illegible] ففيها [illegible] فارغة وأجهزة
[illegible] تركت عليها [illegible] البيت
يوم أن تنقل الحمل وزادت العائلة وكثر [illegible] وكثرت [illegible]
[illegible] فجمعت بين ما [illegible] أجر النيل والكرم جزاك الله
خير الجزاء [illegible] الله أن [illegible] العمل [illegible]
ما استطعت أن احتمل هذا العبء الثقيل وحدي .

... ليتكم تدركون خاصة في الحياة ليس [illegible] في [illegible]
لم [illegible] الأيام السعيدة [illegible] التي ولم [illegible]
ولم [illegible] الأيام أن [illegible] على [illegible] لم تكن الدنيا في قلبي
[illegible] بعض الوقت في بيتي .

... [illegible] الجهاد الحياة . وسأبقى العمر عند الشدة
أجمل من التمتع بين الملذات النعيم ومجالس الترف . [illegible]
[illegible] في أهلي [illegible] الناس .

... [illegible] العمر [illegible] الحياة . والأيام [illegible] الله
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] التوسع في الدنيا [illegible]
الدنيا [illegible] أن نجتمع في الفردوس كما جمعنا في الدنيا . ...



كل [illegible] أو [illegible] من [illegible] . [illegible] أسأله [illegible]
[illegible] في [illegible] صحيفة [illegible] بين [illegible]
[illegible] في [illegible] الترف [illegible]
[illegible] . [illegible] ما استطعت الى مقام الزاهدين
[illegible] المترفين . أوصيكم بعقيدة السلف [illegible]
[illegible] بالقرآن تلاوة وحفظاً . [illegible]
[illegible] الحركة الإسلامية [illegible]
[illegible] الحركة [illegible] الجهاد أو [illegible]
[illegible] في [illegible] . [illegible]
[illegible] الجهاد في سبيل الله . [illegible] واركبوا [illegible]
[illegible] أن تركبوا .

• وصيتكم يا أبنائي [illegible] (أم [illegible]
[illegible]) [illegible] بالعلم [illegible] الشرعي . [illegible]
[illegible] بالجنة [illegible] . [illegible]
[illegible] (أم [illegible] أم محمد) [illegible]
[illegible] . [illegible]
[illegible] .
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في هذا [illegible]
[illegible]

[illegible] الجهاد [illegible] إلى الجهاد [illegible] X
[illegible]

[illegible] واحفظوا [illegible]
[illegible] في [illegible] الجهاد . [illegible]
[illegible]
... X [illegible] المكتب [illegible]
[illegible] أبو عبد الله أسامة بن لادن [illegible]
[illegible] . [illegible] أشهد أني لم
[illegible] في العالم الإسلامي [illegible] الله [illegible]
[illegible] X
[illegible]
[illegible] الجهاد [illegible]
[illegible] مسيرة الجهاد [illegible]
[illegible] الجهاد [illegible]
[illegible] الإسلامي . [illegible]
[illegible] الشيخ محمد [illegible] سيد [illegible]

[illegible] أستغفر الله [illegible] . استغفره
[illegible]
الثلاثاء ١٣ صفر ١٤٠٧ هـ ٢٢/١٠/١٩٨٦م
عبد الله يوسف [illegible]

# أسئلة وأجوبة حول فقه الجهاد

## فطر المجاهد:(١)

**السؤال الأول:** جبهة تقصف كل يوم تقريباً، ويتوقعون المعركة يومياً، هل يجوز لهم الإفطار في رمضان؟

الفتوى: نعم، يجوز، لأن الرسول ﷺ افطر على طريق مكة وقال: **«إنكم مصبّحو عدوكم، والفطر أقوى لكم فافطروا»** مت عليه.

## زوجة المفقود:

**السؤال الثاني:** جائنا من القاضي عبدالرحيم رحماني (مساعد جبهة حفيظ الله أفضلي في هرات) أن مجاهداً متزوجاً اشت في معركتم فقد وانقطع خبره وظن هلاكه فماذا يحق لزوجه أن تفعل؟

**الفتوى:** ذهب مالك واحمد أنها تنتظر (٤) سنوات أخذاً بقضاء عمر رضي الله عنه، قال الشافعي أخبرنا مالك عن يحيى سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال "أيما امرأة فقدت زوجها فلم تدر أين هو فإنها تنتظر أربع سنين ثم تنتظر أربعة أش وعشراً قال: والحديث الثابت عن عمر وعثمان في امرأة المفقود مثل ما روى مالك عن ابن المسيب عن عمر وزيادة: فإذا تزوجت فا زوجها قبل أن يدخل بها زوجها الآخر كان أحق بها فإن دخل بها زوجها الآخر فالأول المفقود بالخيار بين امرأته و المهر" ومن بقوله في المفقود قال بهذا كله اتباعاً لقول عمر وعثمان.

روى الأثرم والجوزجاني باسنادهما عن عبيد بن عمر قال: فقد رجل فجاءت امرأته إلى عمر فذكرت ذلك له، فقال: انطا فتربصي أربع سنين، ففعلت ثم اتته، فقال: انطلقي فاعتدي أربعة أشهر وعشرا، ففعلت ثم أتته فقال: أين ولي هذا الرجل؟ فة طلقها، ففعل. فقال عمر: انطلقي فتزوجي من شئت فتزوجت، ثم جاء زوجها الأول، فقال عمر: أين كنت؟ قال: يا أمير المؤ استهوتني الشياطين فوالله ما أدري في أي أرض الله كنت، كنت عند قوم يستعبدونني حتى اغتزاهم منهم قوم مسلمون فكنت ؤ غنموه. فقالوا لي أنت رجل من الإنس وهؤلاء من الجن فما لك وما لهم؟ فأخبرتهم خبري، فقالوا: بأي أرض الله تريد أن تصبح؟ المدينة هي أرضي، فأصبحت وأنا أنظر إلى الحرة، فخيره عمر إن شاء إمرأته وإن شاء الصداق، فاختار الصداق، وقال: قد حبلن حاجة لي (إليها) فيها: قال أحمد يروى عن عمر من ثلاثة وجوه، ولم يعرف في الصحابة له مخالف.

**السؤال الثالث:** ما حكم الرجل يضع الحزام الناسف على بدنه متفجرات ثم يلقي بنفسه بين مجموعة كفار أو دبابات فتنفج وبهم جميعاً؟ وما حكم الرجل الواحد يحمل وحده على حلبة العدو؟

**الفتوى:** لقد أجاز الفقهاء التضحية بالنفس من أجل نصرة الإسلام ولا يعد هذا انتحاراً.

هنالك فرق بين الانتحار والتضحية بالنفس:-

فالانتحار: قتل للنفس هرباً من هموم الحياة وآلامها.

أما التضحية: فهي بذل النفس من أجل حماية دين الله ونصرة شريعته دون هم ولا غم.

جاء في أحكام الجصّاص ٢٦٢/١ عن أسلم أبي عمران قال: غزونا بالقسطنطينية وعلى الجماعة عبدالرحمن بن الوليد وا ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه مه لا إله إلا الله يلقي بيديه إلى التهلكة فقال أبو أيوب نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر دينه- الإسلام- قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله ت **(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)** فإلقاء الأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا فنصلحها وندع الجهاد أحمد والترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

- أما الرجل الواحد يحمل وحده على حلبة العدو، قال محمد بن الحسن في السير الكبير:-

(إن رجلاً لو حمل على ألف رجل وهو وحده لم أر بذلك بأساً إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٧ السنة الأولى ١٥ رمضان ١٤٠٥هـ ٢ يونيو ١٩٨٥م ص ٣٦.

فإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية فإني أكره له ذلك لأنه عرض نفسه التلف من غير منفعة المسلمين.

وإنما ينبغي للرجل أن يفعل هذا إذا كان يطمع في نجاة أو منفعة المسلمين.

١) فإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه يجرىء المسلمين بذلك حتى يفعلوا مثل ما فعل فيقتلون وينكلون بالعدو فلا بأس ذلك إن شاء الله وعندئذ ولو كان لا يطمع في النجاة فلا أرى بأسا أن يحمل عليهم.

٢)فكذلك إن طمع أن ينكي غيره فيهم بحملته عليهم فلا بأس ذلك وأرجو أن يكون فيه مأجوراً.

٣) وإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه مما يرهب العدو فلا بأس بذلك لأن هذا أفضل النكاية وفيه منفعة للمسلمين.

قال الجصاص: فإذا كان في تلف نفسه منفعة عائدة على الدين فهذا أمر شريف مدح الله به أصحاب النبي ﷺ **(إن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم ..)** **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً..)** **(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله..)**

في نظائر ذلك من الآية التي مدح الله فيها من بذل نفسه لله.

وفي الحديث الشريف (شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع) وذم الجبن يوجب مدح الإقدام والشجاعة فيما يعود نفعه على الدين وإن أيقن بالتلف.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨/٥٤٠:-

إن الغلام أمر بقتل نفسه لأجل مصلحة ظهور الدين ولهذا جوز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين. قد بسطنا القول في هذه المسألة في موضع آخر فإذا كان الرجل يفعل ما يعتقد أنه يقتل به لأجل مصلحة .

## ركن الفتوى (١)

**السؤال الرابع:** هل يجوز الغزو مع الفجرة والفساق؟

**الفتوى:** نعم يغزى مع كل بر و فاجر يعني مع كل إمام قال أبو عبدالله وسئل عن الرجل يقول أنا لا أغزو ويأخذه *ولد العباس* إنما يوفر الفيء عليهم، فقال سبحان الله هؤلاء قوم سوء هؤلاء القعدة مثبطون جهال فيقال أرأيتم لو أن الناس كلهم قعدوا كما قعدتم من كان يغزو؟ أليس كان قد ذهب الإسلام؟ ما كانت تصنع الروم وقد روى أبو داود بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً)، وبإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ **(ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله لا تكفره بذنب ولا تخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، والإيمان بالأقدار)**، ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم قال الله تعالى:

**(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض).**

قال أحمد لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين، وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطة على المسلمين فإن كان القائد يعرف بشرب الخمر والغلول يغزي معه إنما ذلك في نفسه ويروى عن النبي ﷺ **(إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر).**

ولا يستصحب الأمير معه مخذلاً وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويزدهم في الخروج إليه والقتال والجهاد مثل أن يقول الحر والبرد شديد والمشقة شديدة ولا تؤمن هزيمة هذا الجيش وأشباه هذا ولا مرجفاً -وهو الذي يقول قد هلكت سرية المسلمين وما لهم مدد ولا طاقة بالكفار والكفار لهم قوة ومدد وصبر ولا يثبت لهم أحد ونحو هذا- ولا من يعين على المسلمين بالتجسس للكفار واطلاعهم

(١) مجلة الجهاد العدد الثامن ص ٣٦ يونيو ١٩٨٥م

على عورات المسلمين ومكاتبهم بأخبارهم ودلالتهم على عوراتهم أو ايواء جواسيسهم، ولا من يوقع العداوة بين المسلمين ويسعى بالفساد لقول الله تعالى: **(ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة..)**.

ولأن هؤلاء مضرة على المسلمين فيلزمه منعهم، وإن خرج معه أحد هؤلاء لم يسهم له ولم يرضخ وإن اظهر عون المسلمين لأنه يحتمل أن يكون أظهره نفاقاً وقد ظهر دليله فيكون مجرد ضرر فلا يستحق مما غنموا شيئاً، وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يستحب الخروج معه لأنه إذا منع خروجه تبعاً فمتبوعا أولى ولأنه لا تؤمن المضرة على من صحبه.

**السؤال الخامس:** هل يجوز ضرب دور الكفار بالمدفعية بحيث يقتل أطفالهم؟

**الفتوى:** إذا تضمن ذلك اتلاف النساء والذرية يحرم اتلافهم قصداً ، وإن لم يقدر عليهم إلا به جاز كما يجوز البيات المتضمن لذلك، ويجوز نصب المنجنيق عليهم، وظاهر كلام أحمد جوازه مع الحاجة وعدمها لأن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف وممن رأى ذلك الثوري والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي، قال ابن المنذر جاء الحديث عن النبي ﷺ أنه نصب المنجنيق على أهل الطائف وعن عمرو بن العاص أنه نصب المنجنيق على أهل الاسكندرية ولأن القتال به معتاد فاشبه الرمي بالسهام.

* ويجوز تبييت الكفار وهو كبسهم ليلاً وقتلهم وهم غارون، قال أحمد لا بأس بالبيات وهل غزو الروم إلا البيات، قال ولا نعلم أحداً كره بيات العدو. وقرأ عليه سفيان عن الزهري عن عبدالله عن ابن عباس عن الصعب بن جثامة قال سمعت رسول الله ﷺ يسئل عن الديار من المشركين نبيتهم فنصيب من نسائهم وذراريهم، فقال: (هم منهم) فقال اسناد جيد. فإن قيل فقد نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والذرية، قلنا: هذا محمول على التعمد لقتلهم، قال أحمد: أما أن يتعمد قتلهم فلا، قال: وحديث الصعب بعد نهيه عن قتل النساء لأن نهيه عن قتل النساء حين بعث إلى ابن أبي الحقيق وعلى أن الجمع بينهما ممكن يحمل النهي على التعمد والإباحة على ما عداه.

* قال الأوزاعي: إذا كان في المطمورة العدو فعلمت أنك تقدر عليهم بغير النار فأحبُّ إليَّ أن يكف عن النار، وإن لم يمكن ذلك وأبوا أن يخرجوا فلا أرى بأساً، وإن كان معهمْ ذرية قد كان المسلمون يقاتلون بها ونحو ذلك قال سفيان وهشام ويدخن عليهم قال أحمد: أهل الشام أعلم بهذا.

* وإن تترسوا في الحرب بنسائهم وصبيانهم جاز رميهم ويقصد المقاتلة، لأن النبي ﷺ رماهم بالمنجنيق ومعهم النساء والصبيان ولأن كف المسلمين عنهم يفضي إلى تعطيل الجهاد لأنهم متى علموا ذلك تترسوا بهم عند خوفهم فينقطع الجهاد وسواء كانت الحرب ملتحمة أو غير ملتحمة، لأن النبي ﷺ لم يكن يتحين بالرمي حال التحام الحرب.

* ولو وقفت امرأة في صف الكفار أو على حصنهم فشتمت المسلمين أو تكشفت لهم جاز رميها قصداً لما روى سعيد حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف أشرفت امرأة فكشفت عن قبلها فقال: (هاؤنا فارموها) فرماها رجل من المسلمين فما أخطأ ذلك منها، ويجوز النظر إلى فرجها للحاجة إلى رميها لأن ذلك من ضرورة رميها وكذلك يجوز رميها إذا كانت تلتقط لهم السهام أو تسقيهم الماء أو تحرضهم على القتال لأنها في حكم المقاتل وهكذا الحكم في الصبي والشيخ وسائر من منع من قتله منهم.

**السؤال السادس:** هل يجوز رمي الكفار بالمدفعية إذا كان بينهم مسلم؟

**الفتوى:** إن تترسوا بمسلم ولم تدع حاجة إلى رميهم لكون الحرب غير قائمة أو لامكان القدرة عليهم بدونه أو للأمن من شرهم لم يجز رميهم، فإن رماهم فأصاب مسلماً فعليه ضمانه، وإن دعت الحاجة إلى رميهم للخوف على المسلمين جاز رميهم لأنها حال ضرورة ويقصد الكفار، وإن لم يخف على المسلمين لكن لم يقدر عليه إلا بالرمي فقال الأوزاعي والليث لا يجوز رميهم لقول الله تعالى **(ولولا رجال مؤمنون..)** الآية. قال الليث ترك فتح حصن يقدر على فتحه أفضل من قتل مسلم بغير حق. وقال الأوزاعي كيف يرمون من لا يرونه؟ إنما يرمون أطفال المسلمين. وقال القاضي والشافعي يجوز رميهم إذا كانت الحرب قائمة لأن تركه يفضي إلى تعطيل الجهاد فعلى هذا إن قتل مسلماً فعليه الكفارة وفي الدية على عاقلته روايتان.. هذه الفتاوى مأخوذة من كتاب (المغني).

# من فقه الجهاد

الشهيد والشهادة(١):

**السؤال السابع:** لماذا سمي الشهيد شهيداً؟

**الجواب:** الشهيد فعل بمعنى فاعل: شاهد لأنه يشاهد الكرامة والمقعد الذي أعده الله له في الجنة.

أو بمعنى: مشهود أي تشهده الملائكة وتظله بأجنحتها

والمعنى الأول أرجح وأكرم وأعلى.

**السؤال الثامن:** من هو الشهيد؟

– كل مسلم مات في حرب الكفار بسبب من أسباب قتالهم قبل انقضاء الحرب قاصداً إعلاء كلمة الله.

وقصد اعلاء كلمة الله معناها: أن يكون صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر. وفي الصحيح (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

**السؤال التاسع:** كيف تكون صورة القتال في سبيل الله؟

– كل من قاتل الكفار في صف المسلمين فهو في الصورة في سبيل الله.

العاشر: ما هي شروط الشهادة؟

١- أن يكون القتال في سبيل الله (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

وهذا نص ضابط

فكل من كان قصده نصرة الإسلام وقتل فهو شهيد وإلا فلا.

٢- الصبر **(إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر كفر الله خطاياك إلا الدين)** رواه مسلم.

والصابر: المقبل على العدو لصبورته وقلبه ولا يضره مع ذلك أن نجد ألماً في قلبه وكراهية للموت وفراق الأهل، والصبر على العبادة فعلها بشروطها، والصبر على الجهاد فعله بشروطه.

٣- الإحتساب: ومعناه أن ينوي به وجه الله ويجاهد طمعاً في مرضاة الله وثوابه.

٤- الإقبال وليس الإدبار.

٥- عدم الغلول **(ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة)** حاملاً على ظهره ما سرقه من الغنائم قبل القسمة. وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال (كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة فمات فقال ﷺ هو في النار، فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غلّها).

وفي حديث خيبر المشهور قول النبي ﷺ **(إن الشملة التي أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم تشتعل عليه ناراً)**.

والحق أن الشرط الأول يغني عنها جميعاً والشروط الأخرى توضيحية للبيان.

أما الغلول: فإنه ينقص الأجر ولا يبطل الشهادة.

السؤال الحادي عشر: ما أثر الدين في الشهادة وتكفير الخطايا؟

الجواب: الدين لا يؤثر في الشهادة ولكن تكفير الخطايا كلها قد يؤثر فيه الدين وقال النووي في شرح مسلم (إلا الدين) فيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وإنما تكفر حقوق الله تعالى.

وكذلك قال ابن عبدالبر:

وقد ذكر القرطبي شرطاً في الدين المانع من مغفرة الذنوب كلها وهو إذا امتنع من اداء الحقوق مع تمكنه، أما إذا لم يستطع قضاء الدين مع محاولته فالمرجو من كرم الله تعالى إذا صدق في قصده وصحت نيته أن يرضي الله تعالى خصومه عنه بما شاء

حتى يدخل الجنة هكذا حكم حقوق الآدميين، أما حقوق الله تعالى فالظاهر أنها تغفر كلها بالشهادة.

وفي النوادر: إن التشديدات التي وردت في الدين كلها منسوخة إلا من أدان في سرف أو فساد، وذكر نحو ذلك عن ابن شها وهذا رأي المالكية.

**السؤال الثاني عشر**[1]: ما حكم من مات في طريقه إلى الجهاد أو في أرض الرباط؟

– له أصل أجر الجهاد وفضل الشهادة وإن كانت منزلته دون منزلة الذي يقتل في المعركة شهيداً.

وفي صحيح مسلم **(من مات في سبيل الله فهو شهيد)**، وكذلك في الحديث **(من وضع رجله في الركاب فاصلاً في سبيل ال فلدغته هامة فمات، أو وقصته دابة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد)**، روى باسناد صحيح وفيه محمد بن اسحاق.

فاصلاً: مفارقاً أهله.

الهامة: الحشرات والزواحف السامة.

والقاعدة الشرعية: الوسائل لها حكم المقاصد ولكن ليس في رتبتها.

السؤال الثالث عشر: ما هي أقسام الشهيد؟

١– شهيد الدنيا والآخرة: وهو المسلم الذي قتل في المعركة مع الكفار وهو يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

–ومعنى شهيد الدنيا: الذي يعامل من قبل الناس معاملة الشهيد أي لا يغسل ولا يكفن.

–ومعنى شهيد الآخرة: الذي يأخذ أجر الشهادة ومنزلتها عند الله.

٢– شهيد الدنيا: المسلم الذي يقتل في المعركة مع الكفار ولكنه يقاتل حمية أو رياء.

٣– شهيد الآخرة: الذي يأخذ أجر الشهادة ولا يعامل معاملة الشهيد فيغسل ويكفن ويصلى عليه، مثل الميت في الطري والهجرة والجهاد، ومثل المبطون، والمصاب بالطاعون، والغريق . وفي صحيح البخاري قال ﷺ **(الشهداء خمسة: المطعون والمبطو والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله)**.

**السؤال الرابع عشر**[2]: ما حكم الذي يقطع عليه الطريق؟

– جاء في المبسوط (الأصل) لمحمد بن الحسن ١/٤٠٥ (قلت: أرأيت رجلاً قطع عليه الطريق فقتل دون ماله قال: يصنع به ، يصنع بالشهيد)، وفي المختصر وشرحه (ومن صار مقتولاً من جهة قطاع الطريق لم يغسل أيضاً لأنه قتل دفاعاً عن ماله، وقد قا عليه الصلاة والسلام **(من قتل دون ماله فهو شهيد)**، فهذا لا يغسل، وهذا رأي الشعبي والأوزاعي واسحاق ورواية الحنفية.

**السؤال الخامس عشر: ما حكم الذي يشنق أو يقتل في بيته؟**

وفي المبسوط أيضاً قلت: أرأيت من قتل في المعركة بسلاح هل يغسل؟ قال: إذا قتل مظلوماً فهو بمنزلة الشهيد. فأما سيد عثمان رضي الله عنه فأجهز عليه في مصرعه ولم يغسل، قال الحافظ: اتفقت الروايات كلها أنه لم يغسل، أما سيدنا عمر وعلي فه شهيدان بنص الحديث، ولكن لأنهما ارتثا (أي بقيا فترة بعد الطعن)، وهذا لا يعامل معاملة شهيد الدنيا ولذا فهو يغسل.

قلت: أرأيت الطائفتين يقتتلون أحدهما باغية والأخرى عادلة، كيف يصنع أهل العدل بقتلاهم؟ قال: يصنع لهم ما يصن بالشهداء.

**السؤال السادس عشر: ما حكم الذي يقتل في القتال بين أهل العدل وأهل البغي؟**

في المغني ٢/٥٣٤: (ومن قتل من أهل العدل في المعركة فحكمه في الغسل والصلاة حكم من قتل في معركة المشركين لأن عل رضي الله عنه لم يغسل من قتل معه، وأوصى عمار أن لا يغسل، وقال ادفنوني في ثيابي فإني مخاصم (مقاتل).

قال أحمد: قد أوصى أصحاب الجمل أنا مستشهدون غداً فلا تنزعوا عنا ثوباً، ولا تغسلوا عنا دماً، ولأنه شهيد المعركة اشب قتيل الكفار، وهذا رأي الحنبلية والحنفية وقول للشافعي.

(١) ركن الفتاوى مجلة الجهاد العدد ١١ ص ٣٥ أغسطس ١٩٨٥م.

(٢) مجلة الجهاد العدد ١٢ ص ٣٩ ١٥ أكتوبر ١٩٨٥م.

**السؤال السابع عشر**: هل يغسل المبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم والنفساء؟

نعم يغسلون ويصلى عليهم، ولا يعلم خلاف فيه بين الفقهاء إلا ما نقل عن الحسن أنه لا يصلى على النفساء لأنها شهيدة، ورأي الجمهور أرجح للحديث الذي رواه الشيخان (**صلى رسول الله ﷺ على امرأة ماتت في نفاسها فقام في وسطها**).

مع أن الحديث (**الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهداء في سبيل الله**)، قال الترمذي: هذا حديث صحيح متفق عليه وفي الحديث الصحيح (**الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله، المقتول في سبيل الله شهيد، والمطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع -أثناء النفاس- شهيدة**) حديث صحيح رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائي.

فهؤلاء جميعاً يغسلون ويكفنون وإن كان رسول الله ﷺ سماهم شهداء.

**السؤال الثامن عشر**: ما حكم الذي يقتل نفسه خطأ؟

هو شهيد، ويعامل كما يعامل الشهيد، فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه.

فعن جابر رضي الله عنه قال (**رمي رجل بسهم في صدره أو في حلقه فمات فأدرج بثيابه كما هو قال: ونحن مع رسول الله ﷺ**) رواه أبو داود وسكت عليه وقال النووي سنده على شرط مسلم.

وفي رواية أبي داود (**قالوا يا رسول الله أشهيد هو؟ قال: نعم وأنا له شهيد**) أنظر اعلاء السنن ٨/٢٠٦.

وعامر ابن الاكوع بارز مرحبا في خيبر فرجع سيف عامر على نفسه فاستشهد ولم يفرد من بين الشهداء (أي عومل معاملة الشهداء في عدم الغسل والتكفين).

## الهجرة وأحكامها(١)

**السؤال التاسع عشر**: ما معنى الهجرة لغة وشرعاً؟

- الهجرة لغة: الترك لأن الهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره.

**وفي الشرع**: ترك ما نهى الله عنه كذا قال الحافظ ابن حجر.

**وقال العيني**: هي في الشرع مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة وطلب إقامة الدين وفي الحقيقة مفارقة ما يكره الله تعالى إلى ما يحبه ومن ذلك سمي الذين تركوا توطن مكة وتحولوا إلى المدينة من الصحابة بالمهاجرين.

**السؤال العشرون**: ما هي أنواع الهجرة؟

- قال ابن حجر: وقعت الهجرة في الإسلام على نوعين:

أولا: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرة الحبشة وابتدأ الهجرة من مكة إلى المدينة.

ثانياً: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان بعد أن استقر النبي ﷺ في المدينة.

**السؤال الواحد والعشرون**: ما هو حكم الهجرة؟

-الهجرة واجبة من دار الكفر أو الدار التي كانت دار إسلام ثم جرى عليها حكم الكفر إلى بلد من بلاد الإسلام يسلم فيه دين المسلم ويختار في آخر الزمان أقلها إثماً وأحوطها لسلامة الدين والعرض والمال.

**قال الإمام النووي**: وأما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام قال العلماء أنها واجبة إلى قيام الساعة.

السؤال الثاني والعشرون ما معنى "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية"؟ الحديث رواه البخاري.

- أي لا هجرة واجبة من مكة إلى المدينة لأن مكة صارت دار إسلام بالفتح لانتهاء علة الكفر الموجبة للهجرة منها، وهذا الحكم في كل بلد كان عليه الكفر ثم زال عنه، فالهجرة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازاً ظاهراً (المهاجرين) انقطعت بفتح مكة ومضت بأهلها، وبقيت الهجرة بالجهاد لأنه لا جهاد بلا هجرة.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ١٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ ص ٣٧.

**السؤال الثالث والعشرون:** ما الدليل على استمرار الهجرة إلى يوم القيامة؟

-أولاً: استمرار الجهاد ومضيه إلى يوم القيامة (**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم**) حديث صحيح ولا جهاد بلا هجرة.

ثانياً: في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والنسائي من حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**).

ثالثاً: هنالك عدة أحاديث رواها الإمام أحمد (**لا تنقطع الهجرة ما دام العدو**)، (**إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد**)، وروى النسائي (**لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار**).

**السؤال الرابع والعشرون:** ما معنى دار الكفر ودار الإسلام؟

- دار الإسلام هي الدار التي تطبق فيها شريعة الإسلام، ودار الكفر هي الدار التي لا تطبق فيها شريعة الإسلام.

**السؤال الخامس والعشرون: متى تتحول دار الإسلام إلى دار كفر؟**

- وقال الصاحبان: تتحول دار الإسلام من دار اسلام إلى دار كفر إذا زال عنها تطبيق شريعة الإسلام، وقال أبو حنيفة تتحول الدار من دار إسلام إلى دار حرب بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يزول عنها تطبيق شريعة الله.

الشرط الثاني: أن لا يأمن المسلمون على دينهم وأموالهم ودمائهم.

الشرط الثالث: أن تكون متاخمة لدار الإسلام.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إذا استولى الكفار على أرض الإسلام فإنها لم تصبح دار إسلام، ولا تتحول إلى دار كفر، تصبح داراً من نوع ثالث مثل ماردين، لها أحكامها الخاصة).

السؤال السادس والعشرون: ما حكم السكن في ديار الكفر والشرك؟

-يحرم السكن في بلاد المشركين إلا للضرورة القصوى، ففي الحديث الحسن الذي رواه أبو داود عن سمرة مرفوعاً "من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله".

وفي الحديث الحسن كذلك الذي رواه النسائي "**لا يقبل الله من مشرك عملاً بعدما أسلم أو يفارق المشركين**".

ومدار الحكم على علة حفظ الدين والعرض والمال، وحيثما وجد مكاناً أحوط لسلامة دينه وعرضه فيجب عليه أن يختاره سكناً يقول صاحب المعيار عن السكن في ديار الكفر: فهو تحريم مقطوع به من الدين، كتحريم الدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير الحق وأمثاله من الكليات الخمس التي اتفق أهل الملل والأديان على تحريمها، وقال القرطبي وعلى هذا فلا يجوز لمسلم دخول بلد الكفر لتجارة أو غيرها إلا لضرورة في الدين، كالداخل لفداء المسلم وقد ابطل مالك شهادة من دخل دار الحرب للتجارة.

يقول محمد العاقب الشنقيطي في منظومته في أحكام الهجرة:

| | |
|---|---|
| *وهجرة من أرضهم ما اختلفا* | *في فرضها على امرىء ما استضعفا* |
| *وأن أباها مسلم قد أخلصا* | *فهو على اسلامه وقد عصى* |

والتكليف بحسب الإمكان والضرورة تقدر بقدرها.

والحمد لله رب العالمين.

## تترس الكفار في الحرب (١):

أولاً: بنسائهم وأطفالهم

التترس: هو التوقّي والإحتماء بالترس، والترس صفحة الفولاذ تحمل للوقاية من السيف فالترس: ما يُتوقّى به في الحرب.

(١) مجلة الجهاد العدد ٣٦ ربيع الأول ١٤٠٨هـ نوفمبر ١٩٨٧م ص ٣٤.

الترس يعني: اتخاذ المسلمين كترس (واقي) للكفار، فقد يلجأ الكفار أحياناً في المعركة لوضع أسير مسلم أو مجموعة من أطفال المسلمين معهم في داخل الحصن أو القلعة حتى يمنعوا المجاهدين المسلمين من اطلاق النار عليهم وذلك لأن الكفار يعلمون أن المجاهدين يخشون من قتل إخوانهم الأسرى في نفس الحصن مع الكافرين، ولأن دماء المسلمين محرمة (**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله**) حديث صحيح.

وقد يلجأ الكفار أحياناً إلى وضع أطفالهم معهم (أطفال الكفار) في الحصن أو المعسكر ليكونوا ذريعة لمنع المسلمين في اطلاق القذائف عليهم لأن الكفار يعلمون (**أن الرسول ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان**) متفق عليه.

وهذه مشكلة كبيرة تواجه المجاهدين في الحرب الحديثة لأن رحى الحرب يدور معظمه على القذائف الثقيلة كالهاون والصواريخ والرشاشات الثقيلة وقد يتورع بعض المجاهدين لقلة علمه أن يطلق القذائف على حصن فيه أطفال المشركين أو أسير مسلم وتزداد القضية تعقيداً عندما نعلم أنه ما من مركز للشيوعيين إلا وفيه جنود مسلمون من الشعب الأفغاني قد أخذوا كرهاً (التجنيد الإجباري) ويراهم الإخوة في المركز الشيوعي يصلون ويسمعون أذانهم وهؤلاء أحياناً يكون عددهم كثيراً وليس لهم حول ولا قوة لأنهم أخذوا قسراً ووضعوا لحراسة المراكز الشيوعية مع أن هؤلاء المجندين اجبارياً يكرهون الشيوعية والشيوعيين فما الحكم في مثل هذه الحالات؟

## حالات اختلاط الشيوعيين بأطفالهم:

أولاً: حرّم الإسلام قتل الأولاد إذا انفردوا أو أمكن تمييزهم وذلك للحديث: (**نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان**) رواه الشيخان، أما النساء فلا يقتلن إلا إذا قاتلن أو ارتددن بعد الإسلام كالشيوعيات في أفغانستان وهذا رأي الأئمة الثلاثة وخالف الحنفية في قتل المرتدة وقالوا تسجن ولا تقتل.

ثانياً: إذا اختلط أولاد (أطفال) المشركين مع المقاتلين منهم: هنا اختلف العلماء في اطلاق القذائف على الحصن الذي هم فيه على أقوال:

١- قال مالك والأوزاعي: لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء أو تحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النساء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم. أوجز المسالك ٢٢٣/٨.

٢- قال جمهور الشافعية والحنفية والحنبلية يجوز رميهم ولكن لا نقصد قتل الصبيان فإن قتل الصبيان والنساء فلا بأس به ولا حرج وقد استدل الجمهور بحديث الصعب بن جثامة (مرّ النبي ﷺ بالأبواء أو بودان فسئل عن أهل الدار يبيتون في المشركين فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال هم منهم) رواه البخاري ومسلم فتح الباري ١٤٦/٦ وشرح النووي على مسلم ٤٩/١٢.

ومعنى البيات الهجوم ليلاً بحيث لا يميز بين الصبي والرجل، ومعنى هم منهم: أي حكمهم كحكمهم، قال النووي في شرح مسلم ٤٩/١٢ (والمراد إذا لم يتعمد من غير ضرورة، وأما الحديث السابق في النهي عن قتل النساء والصبيان فالمراد به إذا تميزوا وهذا الحديث ذكرناه في جواز بياتهم وقتل النساء والصبيان والبيات هو مذهبنا ومذهب أبي حنيفة والجمهور) وعلى مثل هذا نص النووي في المنهاج. انظر زاد المحتاج بشرح المنهاج ٣٠٣/٤.

ومما احتج به المالكية قولهم حديث الصعب بن جثامة منسوخ بدليل قول الزهري بعد أن روى الحديث ثم نهى الرسول ﷺ عن قتل النساء والصبيان.

وكذلك يحتج المالكية بالحديث الذي رواه مالك في الموطأ عن عبدالرحمن بن كعب أنه قال: (نهى رسول الله ﷺ الذين قتلوا ابن أبي الحقيق عن قتل النساء والولدان، قال فكان رجل منهم يقول: برحت بنا امرأة ابن أبي الحقيق بالصياح فرفع عليها السيف، ثم اذكر نهي رسول الله ﷺ فاكف ولولا ذلك لاسترحنا) أوجز المسالك ٢٢٠/٨.

فلو كانت هنالك أية رخصة في قتل النساء لقتلها وكما قال الصحابي: (ولولا ذلك لاسترحنا) مع أنها اشتركت في الدفاع ولو بالصياح فكانت حياة الصحابة في خطر بسبب صياحها لأنهم في داخل حصن لابن أبي الحقيق اليهودي.

والراجح هو رأي الجمهور لأن الجمهور جمعوا بين الحديثين النهي عن قتل النساء والصبيان وحديث الصعب بن جثامة (هم

منهم) فقالوا حديث الصعب إذا لم يتميزوا وحديث النهي عند التميز، ولو أخذنا برأي مالك لانسد باب الجهاد في هذه الأيا
معظم القتال بالرمي من بعيد بالقذائف والرشاشات وغيرها.

ويشهد لرأي الجمهور كذلك حديث مكحول أن رسول الله ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف . رواه أبو داود ورواته
وهو مرسل ووصله العقيل باسناد عن علي كرم الله وجهه والمرسل إذا أورد بسند آخر موصول ولو ضعيف فهو حجة عند الكل.
السنن ١٢/ ٢٠.

والرسول ﷺ وقد قذف الحجارة بالمنجنيق على أهل الطائف يعلم أن الحجارة قد تصيب الأطفال والنساء وخصار الطائف
في أواخر حياة الرسول ﷺ من أواخر سنة ٨هـ.

وبناء على ما تقدم: يجوز رمي الكفار مع أطفالهم ونسائهم إذا لم يتميزوا ولا يجوز قتل الأطفال والنساء إذا انفردوا
اشتركت النساء في القتال ولو رأياً ثم انفردن يقتلن.

## تترس الكفار في الحرب(١)

ثانياً: بالمسلمين

هنالك بعض المراكز الشيوعية فيها جنود مكرهون يصلون ويؤذنون في كل وقت وقد رأى الإخوة في جاجي في الأ
الشيوعية القريبة عليهم أناساً يصلون ويؤذنون وتحرجوا من قتالهم، فسألوني عن الحكم الشرعي في هذا فأقول وبالله التوفيق:

لو امتنعنا عن الهجوم على هذه المراكز لانسد باب الجهاد ولانتشر الكفر وعمّت الفتنة واستراحت الشيوعية ورسخت أقد
في أفغانستان ولذا:

يجب قتال هذه المراكز ولو قتل هؤلاء المسلمون المكرهون للأسباب التالية:

١- دفع الضرر العام بارتكاب الضرر الخاص وهذه قاعدة شرعية متفق عليها، فقتل هؤلاء الجنود المسلمين ضرر
وضياع البلاد ضرر عام والضرر العام يدفع بالضرر الخاص.

٢- إن رسول الله ﷺ قال: **(يغزو هذا البيت "الكعبة" جيش من الناس بينما هم ببيداء من الأرض إذ خسف بهم، فقيل يا ر
الله إن فيهم المكره فقال: يبعثون على نياتهم)** روه الشيخان.

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٣٧ (فالله تعالى أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته -المكره فيهم وغير الم
مع قدرته على التمييز بينهم مع أنه يبعثهم على نياتهم فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميزوا بين المكره وغيره وهم لا يع
ذلك؟

٣- إن ظاهر هؤلاء ضد المسلمين: فهم يقومون بحماية قواعد الشيوعيين الذين يفسدون البلاد ويهلكون العباد وهذه الق
لقطع طرق المجاهدين وما في يوم إلا وتطلق القذائف على المجاهدين المارّين فقد يجرح بعضهم وقد يقتل بعضهم.

فوقوفهم في صف المشركين مع وجود السلاح معهم يبيح دمهم، يقول محمد بن الحسن في السير الكبير فقرة ٦/ ٢٧٩٩
(كذلك يباح قتال المسلم في صف المشركين إن كان عليه السلاح وهو في صف المشركين ولكنه لم يقاتل أحداً من المسلمين. لأ
كان مستعداً للقتال في صف المشركين فهو مباح الدم وإن كان يستحب التبين في أمره عند التمكن من ذلك).

والظاهر حجة للمجاهدين بجواز قتال المسلمين الذين في صف الكفار فقد روي: أن العباس بن عبدالمطلب قال للنبي، لما
المسلمون يوم بدر: يا رسول الله إني كنت مكرهاً، فقال النبي ﷺ: **(أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله)** مجموع الف
٢٨/ ٥٣٧.

ويعقب ابن تيمية على هذا الحديث بقوله. لو كان فيهم قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء ا
أيضاً.

وعندما تحرج المسلمون من قتال التتار لأن بعضهم يصلون ويصومون قال ابن تيمية: إذا رأيتموني بينهم والمصحف

(١) مجلة الجهاد العدد ٣٧ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ ديسمبر ١٩٨٧م.

رأسي فاقتلوني.

٤- إن عيش هؤلاء الجنود المسلمين بين الكافرين الذين يحاربون الله ورسوله ويقطعون الطريق على المجاهدين بل يقتلون المجاهدين فلا أقل من أن ينطبق عليهم جزاء قاطع الطريق (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) المائدة: ٣٣.

فهؤلاء المسلمون يعيشون مع الطائفة الممتنعة التي تقتل المسلمين وتقطع طريقهم فحكمهم هو نفس حكم المشركين عند عدم القدرة على التمييز.

ولقد قال علي رضي الله عنه حين قاتل أهل البصرة بجيشه لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤوكم ومقصوده من هذا الاستدلال (أن ظهور القتال من بعضهم لظهوره من جماعتهم في حكم اباحة قتالهم) شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الحنفي ١٤٤٦/٢٧٩٨، مع أن أهل البصرة كلهم مسلمون.

٥- أجمع الفقهاء على أن جيش الكفار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم.

ووجود هذه المراكز ضرر متحقق متعين لا شبهة فيه ولا مرية، فوجودها من أجل قطع دابر الجهاد وابقاء الكفار في البلاد.

أ- جاء في حاشية الدسوقي المالكي ١٧٨/٢ (وإن تترسوا بمسلم قوتلوا ولم يقصدوا الترس بالرمي وإن خفنا على أنفسنا لأن دم المسلم يباح بالخوف على النفس وإن لم يخف على أكثر المسلمين فإن خيف سقطت حرمة الترس وجاز رميه).

ب- يقول النووي في المنهاج (ويجوز حصار الكفار في البلاد والقلاع وارسال الماء عليهم ورميهم بنار ومنجنيق وتبيتهم في غفلة فإن كان منهم مسلم أسير أو تاجر ولو التحموا حرباً فتترسوا بنساء وصبيان جاز رميهم وإن دفعوا بهم عن أنفسهم ولم تدع ضرورة إلى رميهم فالأظهر تركهم.

وإن تترسوا بالمسلمين فإن لم تدع ضرورة إلى رميهم تركناهم وإلا جاز رميهم على الأصح). زاد المحتاج ٢٠٢/٤.

ج- جاء في شرح السير الكبير (فقرة ٢٨٠٠ ج١٤٤٦/٤) ولو أحرقوا سفينة من سفائن المشركين أو أغرقوها وفيها ناس من المسلمين، فليس على المسلمين دية ولا كفارة لأنهم باشروا فعلاً هو حلال لهم شرعاً مع العلم بحقيقة الأمر.

أما إذا نخشى الضرر على المجاهدين في حالة التترس بأسرى المسلمين فهل يجوز رميهم هنا اختلف الفقهاء الأربعة، فقد أباحه الحنفية ومنعه الثلاثة، جاء في فتح القدير ١٩٨/٥ لابن الهمام الحنفي: (لو تترسوا بأسرى المسلمين وصبيانهم سواء علم أنهم إن كفوا عن رميهم انهزم المسلمون أو لم يعلموا ذلك إلا أنه لا يقصد برميهم إلا الكفار، فإن أصيب أحد من المسلمين فلا دية ولا كفارة).

وعند الأئمة الثلاثة لا يجوز رميهم في صورة التترس إلا إذا كان في الكف عن رميهم في هذه الحالة انهزام المسلمين وهو قول الحسن بن زياد وفتوى الفقهاء الثلاثة مبنية على حالة أن الجهاد فرض كفاية حيث يفتتح المسلمون بلاداً جديدة أما في مثل حالة أفغانستان حيث اغتصبت بلاد المسلمين ويتعرض دينهم للزوال ويضمعون هؤلاء الجنود المسلمين لحماية الكفر ولاستمرار الاغتصاب وانتهاك الأعراض فلا أظن أحداً من الفقهاء يفتي بعدم جواز قتالهم.

أما وجهة نظر الحنفية الذين يبيحون ضرب المشركين المتترسين بالمسلمين وإن لم يخش الضرر على البلد المسلم أو الجيش المسلم فإنهم يرون أن هذا الأمر يؤدي إلى توقف الجهاد الذي به صلاح البشرية والأرض **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)**.

## يجب أن نتحرز في نياتنا عن قتل المسلمين:

يجب أن ننوي قتال المشركين وعدم قتل المسلمين وإن كنا لا نستطيع التمييز بينهم في قتالنا، أما النية فهي مما وسعنا وأمكننا.

## لا دية ولا كفارة على من يقتل المسلمين في صف المشركين:

يقول المرغيناني في الهداية (وإن تترسوا بصبيان المسلمين أو بالأسارى لم يكفوا عن رميهم) لما بيناه (ويقصدون با الكفار) لأنه إذا تعذر التمييز فعلاً فلقد أمكن قصداً والطاعة بحسب الطاقة وما أصابوه منهم ولا دية عليهم ولا كفارة لأن ال فرض عين والغرامات لا تقترن بالفروض) فتح القدير ١٩٨/٥.

وقال الحسن بن زياد قتل المسلم فيه الدية والكفارة، وعند الشافعية في الكفارة قول واحد وفي الدية قولان.

٦- ومما يستدل به على جواز القتال في حالة وجود المسلمين معهم ما رواه البخاري عن عكرمة قال أخبرني ابن عباس ناساً كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم أو يضرب فيقتل فأنزل الله: «إن الذين تو الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك م جهنم وساءت مصيراً»، فهذا حكم المستضعفين من المؤمنين في مكة الذين لم يهاجروا حفاظاً على أموالهم وقتلوا في بدر فما المستضعفين من الأفغان الذين يكثرون سواد الأفغان الشيوعيين المرتدين؟ إن حكمهم أشد وعقابهم أنكى والله أعلم.

٧- إن قتال هؤلاء المشركين الذين معهم مسلمون هو دفع للصائل ودفع الصائل المسلم واجب -فرض عند جمهور ا الفقهاء- وجائز عند بعضهم ولم يقل أحد من المسلمين بكراهية أو حرمة دفع الصائل ولو كان من خيار المسلمين.

٨- إن مصلحة حفظ الدين مقدمة على مصلحة حفظ النفس وقتل هؤلاء المسلمين في صف المشركين فيه مصلحة حفظ وإن كان فيه ذهاب مصلحة حفظ النفس.

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥٤٠/٢٨ (والسنة والإجماع متفقان على أن الصائل إذا لم يندفع صوله إلا بالقتا وإن كان المال الذي يأخذه قيراطاً من دينار كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: **(من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتـ دمه فهو شهيد ومن قتل دون حرمه فهو شهيد)**.

فكيف بقتال هؤلاء المشركين الذين معهم مسلمون يصولون على الدين والعرض والنفس والمال فهو لا شك ولا ريب أولى و فلو كان جميع ما في القاعدة مسلمون وجب قتالهم إذا لم ينسحبوا بأنفسهم لأنهم صائلون على أرض المسلمين ودينهم.

## خلاصة الأمر:

المسلمون الذين يختلطون بالجيش الكافر إذا استطعنا تمييزهم وعلمنا أنهم مكرهون فلا يجوز قتالهم، أما إذا فتحنا ووجدنا فيها جنوداً مسلمين بعد أن نقدر عليهم فإن قتلوا من قبل مسلماً فإنهم يقتلون قصاصاً.

(أما إذا اختلطوا بالمشركين ولم نستطع تميزهم ونحن لا نعلم المكره ولا نقدر على التمييز فإن قتلناهم بأمر الله كنا ؤ مأجورين ومعذورين وكانوا هم على نياتهم فمن كان مكرهاً لا يستطيع الامتناع فإنه يحشر يوم القيامة على نيته) الفتاوى ٢٨/

أما إذا دخلنا قلعة وبدأنا نطهرها -نقتل من فيها أثناء الاقتحام- وسمعنا واحداً ينطق بالشهادتين ولكنا خشينا منه أ فلا بأس بقتله ويحشر يوم القيامة على نيته.

وختاماً ندعو الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة وأن يلهمنا قو وفعل الحق إنه سميع مجيب.

# رد على استفتاء

- بعث لنا أحد الإخوة يستفتي بشأن قطعة أرض تركها والده وقفاً لبناء مسجد، هل يجوز بيعها والتبرع بثمنها خصوصاً وأن تكاليف إقامة المسجد غير متوفرة لديه.

وقد أحلنا السؤال للدكتور أبي محمد فكتب لنا:

لقد أجاز كثير من الفقهاء بيع المسجد القديم المهجور أو الذي تردى ولم يستطع الناس تجديد بنائه بشرط أن يوقف لمسجد آخر، وأجاز الفقهاء بيع جزء من الأرض لاعمار مسجد في الجزء الآخر، وبالنسبة للأرض المذكورة في السؤال فيجو وارسال ثمنها إلى رجل موثوق في الجهاد ويعمل بثمنها عشرة مساجد في عشر جبهات داخل أفغانستان تبنى في المناطق ا تحفر في الجبال للمجاهدين، والله أعلم.

# مقابلة مع الشيخ عبدالله عزام

## في الذكرى الخامسة لتأسيس مجلة الجهاد (١)

من غرفة صغيرة وبثلاثة أشخاص فقط -أحدهم الدكتور عبدالله عزام- بدأت مجلة الجهاد مسيرتها عبر الآلام والجراح وعبر الدماء والأشلاء لتبعث لنا النور الذي أضاءه الجهاد الأفغاني لهذه الأمة التي أتقنت فن التثاؤب وطال سباتها.. ولتجعل كلا منّا يعشق قندهار وتخار ويتمنى لو يروّي بدمه جبال تورغان أو يمر من أمام نهر جيحون ليقطعه إلى بخارى وسمرقند.. وقد واصلت "الجهاد" مسيرتها رغم العواصف الهوجاء كما يقول مؤسسها الدكتور عبدالله عزّام: معشوقة لدى الكثيرين، يترقبون صدورها ترقب المدلج الحيران بزوغ البدر وقد اشتدت على الساري ظلمة الليل. ونحن أخوة الدرب والمعاناة في "البنيان المرصوص" نشارك إخواننا في مجلة "الجهاد" فرحتهم ببزوغ العام الخامس لانطلاقة مجلتهم بهذا التحقيق الذي نقدمه لقرائنا الأحباء..

* في البداية نرحب بفضيلة الشيخ عبدالله عزّام على صفحات مجلة البنيان المرصوص ونود منكم أن تفتحوا قلوبكم لنا كما تعودنا منكم دائماً ونحب أن تعطي القارىء نبذة عن قصتك مع مجلة الجهاد ومتى كان ذلك؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. كان ذلك قبل أربع سنوات ونيف تقريباً، حيث بدأنا بالعام الخامس -قبل فترة-.. كان لابد من صوت يتكلم بالعربية عن الجهاد الأفغاني الذي كانَ مضموراً لدى العالم العَربي وكانت الساحة خالية من أية مجلة أو نشرة عربية وقد وجدت أن هذا الجهاد مظلوم جداً، وواقعه أضخم من اعلامه، فكثير من القضايا الأخرى إعلامها ضخم وواقعها هزيل، والجهاد الأفغاني بالعكس واقعه العملي كبير جداً ولا توجد تغطية للأحداث التي تجري يومياً في أفغانستان، وهي أحداث تحيي الإسلام من جديد، وتحيي سيرة السلف الصالح -رضوان الله عليهم- وكم يحز في نفسي أن كثيراً من الأحداث التي تجري في أفغانستان مما يشرف جبين البشرية قد غاب تحت الرمال، ما وجد قلما صادقاً يكتبه، ولا عدسة صادقة تصوره، فكان لابد أن نتكلم عن أفغانستان من خلال صحيفة، ففتح الله علينا بالأخ عماد العابد (أبو أنس) -رئيس تحرير مجلة الجهاد- وكان قد تخرّج من السعودية، فقلنا له: أنت تستلم تحرير المجلة، وكان هناك شاب مصري اسمه (أحمد أبو الفتوح)، فسلمناهما المجلة، ثم بدأت بخطوات بطيئة جداً وبشكل هزيل، ولكن الله بارك فيها، ويبدو أن ذلك بسبب إخلاص الإخوة القائمين عليها، وحركتهم، وبقيت تتقدم وتتحسن تدريجيا حتى وصلت إلى هذا المستوى، رغم أن كل الذين يعملون فيها ليسوا متخصصين في الإعلام، وقد تعلموا الإعلام فيها، فجزاهم الله خيراً وبارك فيهم.

* هل تختلف مهمة المحرر الذي يعيش في قلب المعركة وفي قلب الأحداث عنها في المجلات الأخرى؟

طبعاً لأن نقل الأخبار عن المعارك الحية غير نقل الأخبار عن المنتديات الصحفية والمؤتمرات الدولية، ونقل الأخبار في العالم الراكد لا تحتاج أن تخاطر بنفسك، أما هنا فالمحرر يعيش بين دويّ المدافع، ووابل من المتفجرات التي تنفجر فوق رأسه، فوق أرض كلها براكين متفجرة، والإتيان بالخبر والتدقيق بالخبر عملية صعبة داخل أفغانستان، فأنت بحاجة أن ترى بعينك، أو ترسل من يرى بعينه، وبحاجة أن تدخل أرض المعركة حتى تعد الدبابات المتفجرة بنفسك، كذلك صعوبة إحصاء القتلى خاصة من طرف العدو، وكذلك نقل الصورة بالكاميرا.. فالكاميرات كثيراً ما تكسر بالطريق، السيارات تنقلب بهم، أو يقع الأخ الذي يحمل الأخبار في كمين فيضطر أن يلقي كاميرته وأوراقه لينجو بنفسه وروحه، فهي عملية شاقة جداً.

* ما هو تقييمك لمسيرة مجلة الجهاد مع بداية عامها الخامس؟

الفضل لله أولا وأخيراً، والحمد لله من قبل ومن بعد، ونحن نشعر أن المجلة تتقدم يوما بعد يوم، وذلك بفضل الله ورعايته وتوفيقه وتسديده وإرشاده، وكما قلت فإن الإخوة يعملون عملاً دائباً بالليل والنهار في المجلة، مع أن الطاقم قليل جداً، والكفاءات بالنسبة للإعلام ليست على مستوى كبير، إلا أن الله عز وجل بارك، ونحن نرى أنها تتقدم كل يوم خطوات للإمام، والحقيقة أنها نجحت لأن القضية التي تتعامل معها نجحت، وهي تشتغل بأضخم وأعظم قضية في الأرض، ومن هنا جاءت أهمية مجلة الجهاد، وإلا فإن كثيراً من المجلات قد تكون أكثر إناقة في ترتيبها وإخراجها وغير ذلك، وقد يكتب فيها كتاب مشهورون في العالم وفي البلاد العربية، لكن هذه مهما كتبت فإنها تكتب بالدم تاريخ الإسلام الذي توقف منذ قرون عن الكتابة. والآن بدأ قلم التا يخ يكتب ولكن

---

(١) [illegible]

بتجيع الأبطال لا بمداد الكُتّاب.

*هل هناك تنسيق بين الصحافة الإسلامية في الخارج وبين صحافة الجهاد في أرض بيشاور؟

هنالك بعض الصحف مثل النور والمجتمع والبلاغ وغيرها تنشر دعاية أحياناً عن مجلة الجهاد عند صدورها، ونحن ذ أكثر من ذلك، وصحيفة المسلمون أحياناً يمكن أن تكتب عن موعد صدور المجلة.

ولكن نحن نأمل -إن شاء الله- أن يزداد هذا التعامل والتعاون بين مجلة الجهاد والصحافة الإسلامية.

لماذا تخصصت مجلة الجهاد في قضية أفغانستان فحسب؟ وهل أنت مع هذا التخصص؟ ما فائدة ذلك؟

والله أنا ما رأيت قضية ساخنة حية مثل قضية أفغانستان، ونحن نعيش فوق أرض أفغانستان، وجئنا لأداء فريضة التي تعينت علينا في أفغانستان، فنحن قلنا نريد أن ننقل للناس كلمة صادقة لخدمة هذه القضية الحقة الصادقة، ومن هنا أخبار المعركة كأناس يعيشون القضية، ومن أرضها الساخنة من بين أزيز الرصاص ودوي المدافع، وقضية فلسطين كانت قض وكان جهاد الانتفاضة لم يبدأ بعد في فلسطين، فهي بدأت قبل سنة ونصف فقط، والمناطق الأخرى من العالم التي فيها بعض أولاً: ليست في سخونة القضية الأفغانية، ثانياً: ليس لنا مراسلون هناك في تلك المنطقة بالإضافة إلى أننا لا نريد أن ندخل ف مع الأنظمة التي تحسب كل صيحة عليها، وحتى تدخل المجلة إلى هذه الدول العربية فنحن أحببنا أن تقتصر على هذه القض عليها، والتي لا تجد حساسية لدى الأنظمة الأخرى، وكذلك حتى نكون موضوعيين وننقل أخباراً صادقة، وبعد أن بدأت ا صرنا نخصص أكثر من صفحة لفلسطين ونرجو الله في المستقبل أن نوسع صفحاتها، وأن نفرد صفحة أو أكثر للقضايا الأخرى في العالم الإسلامي كالجهاد في الفلبين، وفي إرتيريا، ونرجو الله عز وجل ذلك.

* ما أكثر البلاد توزيعاً للمجلة، وأي البلاد أكثر تجاوباً معكم من حيث المراسلة؟

أكثر البلدان توزيعاً هي السعودية، والرسائل معظمها من الجزائر والسعودية وأمريكا ويصلنا منها عدة آلاف (و الشيخ حديثه معي ليرى مراجعيه الذين لا ينقطعون ثم تابعت الأسئلة مع الشيخ).

* هل تفكرون في تغيير مدة إصدار المجلة كأن تصبح اسبوعية أو نصف شهرية مثلاً؟

ما أظن أننا في الوقت الحاضر قادرون على هذا، لأن الطاقم بوضعه الحالي لا يستطيع إصدارها إلا شهرياً، وهنا الإخوة المخلصين طرحوا فكرة تطوير المجلة حتى تصبح نصف شهرية، وقالوا: لو زيد في طاقمها فقلنا: إنها تحتاج إلى أموا وتحتاج إلى طاقات أكثر، ولا نجد الآن كفاءات في الساحة تستطيع أن تقوم بهذه المهمة.

* ما أصعب موقف واجهك خلال مسيرة المجلة خلال سنواتها الأربع الماضية؟

أصعب موقف هو أن بعض الشباب الذين يعملون في الساحة قالوا لي: إننا ننفق أموالاً كثيرة على المجلة، وهذا لا يجو لهم: أنا أعرف الجائز وغير الجائز، هذا من الشرع، وكادوا يتفقون على ايقاف المجلة، لكنني رأيت أن تبقى المجلة سائرة، وق البعض في العالم العربي يقولون: لماذا هذا البذخ؟ ولماذا هذه الصور الملونة؟ وأنا أعلم أن المجلة تدخل على الجهاد الأفغاني الأضعاف مما ننفقه عليها، لأن المحسن الذي يدفع ماله لا بد أن يقرأ عن الجهاد ولابد أن يعرف شيئاً عن الجهاد، فإذا ق شهيد أو قصة انتصار في معركة من المعارك، فقد يخرج مليون ريال أو خمسين ألف دولار، وهذه تكفي المجلة عدة أشهر، يقدرون هذا، وأخيراً عندما وجدوا أثر المجلة في العالم كله وخاصة في العالم العربي والإسلامي قالوا: أنت أبعد نظراً منّا.

*مجلة الجهاد تصدر عن دار الجهاد في بيشاور التي ترأسون إدارتها، ما الخدمات التي تقدمها هذه الدار للمسلمين؟

هذه الدار تقوم بنشر الكتب الجهادية والنشرات التي نكتبها عن الجهاد، ولنا مطبعة اسمها مطبعة الجهاد تابعة لهذ وقد أدت دوراً طيباً في نشر الكتب التي كتبتها عن الجهاد، والآن طبعت عدة طبعات للكتب التي طبعتها، والطلب عليها من كل بالإضافة إلى أنها قامت بطباعة الكتي التي ترجمناها للغتين الفارسية والبشتوية، لندخلها في داخل أفغانستان، وكذلك قامت الكتب الدراسية، وفي العام الماضي طبعنا عدداً من الكتب التي أدخلناها داخل أفغانستان، والآن فإن أي كتاب يعجبنا وفي للقضية الأفغانية فإننا نقوم بترجمته، لإدخاله إلى داخل أفغانستان، بالإضافة إلى البوسترات (صور ملونة كبيرة)، وعمل الم

وهذه السنة كان لنا معرض في أمريكا في مؤتمر (المايا) كذلك أدت دوراً في هذا، وأعدت في العام الماضي تقويماً، هكذا.

* سؤال أخير فضيلة الشيخ.. هل تقرأ مجلة البنيان، وما أفضل ما يعجبك فيها من الموضوعات؟

وبعفويته وسهله الممتنع أجاب شيخنا:

والله مجلة البنيان أنا مسرور من اخراجها، والناس مسرورون كثيراً لإخراجها، وكلامها عن الشهداء يسرني، وكثيراً ما أراها تخاطب الناس على قدر عقولهم وهذا يسر الناس.. فأحياناً نجاح الصحافة يحتاج إلى لغة ليست عالية، حتى يفهم الناس ماذا تريد هذه الصحيفة منهم، فأحياناً تجد الكلام ليس على مستوى عالٍ من البلاغة الأدبية كالبديع أو البيان، لكن تجد الألسنة تتناقله وينفذ إلى القلوب أكثر من المقالات ذات النمط الرفيع في الأدب والسبك، وقد رأيت الناس متأثرين جداً برسائل الخلافة، وذات مرة كان عندنا ضيف فقلت له: هذا مهند.. قال: هذا الذي يكتب رسائل الخلافة العائدة؟ ففرح كثيراً وعانقه.. فالرسائل هذه لها صدى كبيراً في نفوس الناس كذلك انتقاؤها أحياناً للصور المؤثرة، مع تعليقات بسطية تحتها تؤدي دورها ونرجو الله أن ينفعنا جميعاً وجزاكم الله خيراً.

جزى الله شيخنا الفاضل خير الجزاء، ونسأل اله عز وجل له الشهادة بعد طول عمر وحسن عمل إن شاء الله.

## فهرسة المجلد الأول من الموسوعة

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|



## (٣) كتاب المأثورات بثوبة الجديد



## (٤) كتاب الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الاعيان

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|



## (٥) كتاب اعلان الجهاد



| الموضوع | الصفحة |
|---|---|



## (٦) كتاب الحق بالقافلة

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الأعذار... حكم التخوف من سؤال أجهزة الأمن إذا رجع المجاهد من الجهاد إلى مسقط رأسه.. حكم جهاد النساء العربيات في افغانستان... حكم الذي به عاهة تمنعه عن القتال | ١٩٤ |
| نداء إلى ذوي الأسر | ١٩٥ |

## (٧) كتاب آيات الرحمن في جهاد الافغان



## (٨) كتاب اتحاف العباد بفضائل الجهاد

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|---|

## (١٢) كتاب الذبائح واللحوم المستوردة

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

الموضوع — الصفحة



## (١٤) نظرية العقد والكفالة

## (١٧١) كتاب فقه الاجراءات والمرافعات في القضاء الاسلامي

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



## (٢١) كتاب بشائر النصر



(١) هذا المقال كتبه الامام الشهيد عبدالله عزام بعد اغتيال ضياء الحق كافتتاحية لمجلة الجهاد إلا أن بعض الاخوة رأوا إن الكتابه عن ضياء الحق يضر بسمعة الشيخ باعتبار أن الشباب في العالم الاسلامي يعتبرون كل الحكام طغاة وبعد أخذ ورد طرح الشيخ الموضوع للتصويت لنشره في مجلة الجهاد وكنا ممن شهد هذا المجلس علماً أن الشيخ لم يكن مقتنعاً بقناعتهم ومع ذلك طرحه للتصويت فكان المعارضين لنشره في المجلة اكثر من المؤيدين فوقف الشيخ عند رأيهم فاضطرنا نشره في كتاب بشائر النصر وذلك للتاريخ.

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|



## كتاب نظرات وأضواء على القومية العربية

## (٢٦) كتاب خط التحول التاريخي

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الأولى من الشهداء ١٩٥٤م... اعتقالات سنة ١٩٦٥م مع اختلاف الناس في تفسير هذه الاعتقالات | ٩٥٠ |
| الاعتقالات في أغسطس ١٩٦٥م... الحكم بالاعدام على مجموعة من خيرة أبناء مصر من بينهم سيدقطب.... حرب حزيران ١٩٦٧م | ٩٥١ |
| ليلة حرب حزيران | ٩٥٢ |
| ظهر الخامس من حزيران ١٩٦٧م | ٩٥٣ |
| مطامع قادة اسرائيل بعد سنة ١٩٦٧م أقوال دايان عند دخوله المسجد الأقصى ١٩٦٧م اقوال ابن غوريون في مذكراته | ٩٥٤ |
| اسباب الهزيمة.. اخبار العالم العربي | ٩٥٥ |
| اقوال اعدائنا من اليهود | ٩٥٧ |
| الصلح مع اسرائيل موت عبدالناصر في ٢٨ أيلول سنة ١٩٧٠م..... خسائر هزيمة ١٩٦٧م حسب تقدير عبدالناصر | ٩٥٨ |

## (٢٧) كتاب السرطان الأحمر

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| سقوط الحضارة الغربية بشقيها | ٩٦٤ |
| طاعة أهل الكتاب اخلال بمركز القيادة في الأرض.. وبالتالي هزيمة داخلية في نفوس المسلمين .. الجو العام التي نبتت فيه الماركسية | ٩٦٥ |
| ماركس والماركسية | ٩٦٧ |
| النظرية الماركسية | ٩٦٨ |
| الثورة البلشفية | ٩٧٠ |
| الثورة البلشفية واليهود | ٩٧١ |
| المكتب السياسي الأول للثورة البلشفية.. الدولة التي شكلها لينين سنة ١٩١٨م | ٩٧٢ |
| الثورات الشيوعية في العالم كلها يهودية | ٩٧٣ |
| الشيوعية في العالم العربي.. الحزب الشيوعي في مصر والعراق.. الحزب الشيوعي السوري واللبناني | ٩٧٤ |
| الحزب الشيوعي الفلسطيني والأردني | ٩٧٥ |
| موقف الشيوعية من الاسلام والمسلمين اقوالهم في الدين | ٩٧٦ |
| حكم من يعتنق الشيوعية ... المذابح التي اقامها الشيوعيون للمسلمين في تركستان الشرقية ويوغسلافيا والقرم وغيرها | ٩٧٧ |
| موقف الشيوعيين من تعليم الاسلام والمساجد والعلماء | ٩٨٧ |
| الشيوعيون وفلسطين تخطيط اليهود والبلاشفة لاسقاط الخلافة العثمانية | ٩٧٩ |
| العرض الذي قدمه هرتزل للسلطان عبدالحميد مقابل أن يسمح لليهود بشراء أرضي في فلسطين | ٩٨٠ |
| مؤتمر يالطة ١٩٤٥م قرار تقسيم فلسطين | ٩٨١ |
| من أقوال الشيوعيين في الأمم المتحدة | ٩٨٢ |
| الشيوعين العرب وفلسطين تثقيف الشباب الثقافة الثورية | ٩٨٤ |
| سقوط الماركسية نظرياً وتطبيقياً نقد النظرية الماركسية | ٩٨٦ |
| سقوط الشيوعية من جميع النواحي | ٩٩٠ |
| اسباب انتشار الشيوعية | ٩٩٤ |
| الانفتاح على اليهود | ٩٩٥ |
| خيانة علماء الاسلام من اسباب انتشار الشيوعية في العالم الاسلامي | ٩٩٦ |
| قانون العودة إلى الله | ٩٩٧ |
| وثيقة إلى الاخوان المسلمين في الأردن | ٩٩٩ |
| وصية الشيخ عبدالله عزام رحمه الله | ١٠٠٧ |
| آية السيف | ١٠٠٨ |
| مسؤولية المسلمين أمام الله | ١٠٠٩ |
| وصايا للدعاة والعلماء والمسلمين والنساء والأطفال، ولزوجته ولابنائه | ١٠١٠ |

# الفهرس



